

رد السهام عن خير الأنام

محمد - عليه السلام -

في دفع شبهات المنصرين عن النبي الأمين

تأليف

أكرم حسن مرسى

باحث في مقارنة الأديان

راجع له وقدم له

الدكتور / وديع أحمد فتحي أ / أبو إسلام أحمد عبد الله

رئيس قناة الأمة الفضائية

شماس مصري سابق

مكتبة زين العابدين الإسلامية

1ش المدينة المنورة - ناصية الثلاثيني - أمام عمارات الأوقاف -

عمرانية غربية . جيزة. ت/ 35470401 - محمول / 01003062242

بسم الله الرحمن الرحيم
تقديم الدكتور/ وديع أحمد فتحي
(شماس مصري سابق)

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.
الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، أحمدُ الله ﷻ عليها في كل لحظة بقت من عمري؛ الحمد لله الذي هداني لنعمة ونور الإسلام والتوحيد، بعد أربعين عاماً عشتها في ضلالٍ ، وذلك منذ ستة عشر سنة مضت تقريباً.
كنت شماساً (مساعد قسيس) ، وأستاذاً في مدارس الأحد ، ومعلماً للألحان القبطية والتسبحة (المستخدمة في صلاة القداس) وأستاذاً للغة القبطية أيضاً في كنيسة العذراء مريم بمحرم بك بالإسكندرية مصر. وتجد تفاصيل سيرتي الذاتية على منتدي

<http://www.ebnmaryam.com/vb/f138>

إن أهم موضوع في هذا العصر هو أن يتكاتف المسلمون للرد على هجوم المنصريين ضد الإسلام ، وتحذير المسلمين من سمومهم التي يبيثونها في أجهزة الإعلام المسموعة ، والمرئية ، والمقروءة ، وفي المدارس والجامعات.....
وفي هذا المجال كتب إخوة أفاضل كتباً يدفعون بها شبهاتهم عن الإسلام وعن سيد الأنعام ﷺ وعن القرآن العظيم ، بل وعن ربنا ﷻ الذي تجرؤا عليه أيضاً ، وهذا جهد مشكور وفوائده عظيمة ...

ولقد قرأت هذه الكتب ، ووجدت أن كل كتاب يحتوي على بعض الشبهات المتداولة حالياً في كتب المنصريين وعلى الشبكة العنكبوتية

أما هذا الكتاب الذي بين أيدينا، الذي كتبه الأخ الفاضل/ أكرم حسن ، الدارس الواعد ، قد فاق كل الكتب السابقة من حيث عدد الشبهات التي فندها - حفظه الله- ومن حيث تنسيق الردود عليها بأسلوب إسلامي علمي عظيم وسهل ؛ اشتملت ردوده على أصل كل شبهة ، والرد عليها من القرآن ، والأحاديث النبوية ، وكتب التاريخ الإسلامي ، وكتب الفقه

، والكتب التي يؤمن بها المنصّرين أيضاً ، حتى فندها تفنيداً بأسلوب مقنع وشرح واضح
ميسر.....

سلك الشيخ هنا مسلكاً علمياً إسلامياً، فأفلح وأجاد، وتوسع في جمع الشبهات حتى الغريب
منها ليردّ السهام عن خير الأنام محمد ﷺ.
وإني أجدّه بحق مرجعاً كبيراً وافيّاً لكلّ من سمع شبهات المنصّرين، ولكلّ من يريد أن
يتثبت من دينه إذا تزعزع بسببهم ، ولكل من يحب أن يدافع عن نبيه ﷺ ، فيفوز بسعادة
الدارين : الدنيا والآخرة ، ونحن نسأل الله ﷻ أن يثبت أخانا الشيخ / أكرم حسن ، وكلّ
من يعمل على نشر هذا العلم النافع ؛ الذي استغرق من كاتبه سنوات ومجهود كبيراً جداً ،
وبحث شاق للخروج بهذا العمل على أحسن ما يكون وقد كان بفضلّه ﷻ.

تقديم

أبو إسلام أحمد عبد الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والرسل وخلق الله في العالمين،
أما بعد:

قد ظلت المكتبة العربية والإسلامية لقرون طويلة ، عالة على مجموعة محدودة للغاية من
المؤلفات الكبرى لعدد من أئمة الدعوة والفكر الإسلامي في أنحاء العالم الإسلامي ، استطاع
أحد الباحثين التونسيين أن يضمهم في رسالة علمية كانت مرجعاً مهماً للمهتمين بدراسة ما
عُرف خطأ بعلم (الأديان المقارنة) ، والذي اشتهر بين أهل العلم ليس بالمقارنة بين
الإسلام وغيره من الديانات ، إنما وللمفاجأة العجيبة ، كانت كلها ردود أفعال من العلماء

وبالباحثين والمهتمين ، لرد افتراءات عباد الصليب على الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخاً وحاضراً .

ولقلة زاد المسلمين ، ولعدم استيعاب الجريمة المسيحية على حقيقتها تجاه الإسلام ، ولتبنى مفاهيم السماحة في غير موضعها ، أو قل لضعف وهوان المسلمين ، أو لأي أسباب أخرى ، افتخر أهل الإسلام طوال هذه القرون ، واحتفوا بها ، حتى أصبحت عناوينها محفوظة على الألسنة ، ويتبارى الخطباء على المنابر بذكرها .

إلى هذا الحد الكبير بلغ الهوان بالمسلمين ، إلى أن قبيض الله للأمة نمطاً جديداً من علاج مشكلة التعدي المسيحي على ثوابت الأمة ، وقفز بالعقل المسلم من دائرة الدفاع والافتخار بالقدرة على رد الافتراءات من الكتاب والسنة ، إلى دائرة المبادرة بقراءة العقيدة المسيحية والوقوف على أسرارها التي ظلت لقرون طويلة غائبة عن العقل الإسلامي .

لقد اكتفت كتب التراث الإسلامي المتخصصة في هذا العلم ، برد الافتراءات ، ليس لدعوة المسيحيين ، إنما لحماية وتحصين المسلمين ، فكانت الأدوار مغلوبة ، والمهام مقلوبة ، فالوثني هو الذي يقود دفة السفينة ، والموحد ظل دائماً هو المتهم ، ولم يفكر أبداً في أكثر من أن يثبت ويؤكد ويوثق أن الإسلام بريء من افتراءات المفتريين ، وأنه أسمى مما ينسبه إليه أهل الضلال الكاذبين .

وكان الشيخ المجاهد أحمد ديدات - رحمة الله عليه - هو الرائد في الخروج من هذا القمقم الدفاعي، إلى دائرة الصواب الأكمل ، بقراءة الآخر وسبر غوره وكشف أسرارهِ ، فسمع أهل الإسلام بل والمسيحيين لأول مرة أن المسيحية إجمالاً ليست أكثر من أسطورة ، عقيدة وكتباً وتاريخاً ، وعلى دربه كانت الأكاديمية الإسلامية لدراسة الملل والمذاهب برعاية مركز التنوير الإسلامي، كأول مشروع مؤسسي في العالم الإسلامي لتصويب المسار ، ولاستعادة الهيمنة والهيبة لعقيدة التوحيد ، وشغل أهل الباطل بأنفسهم وستر عوراتهم التي انكشفت في فترة زمنية محدودة للغاية .

وفي خط مواز، شاء الله نصرته المسلمين ودعم الطريق الجديد، عن طريق البرنامج الصوتي (Pal talk) ليخرج جيل ممن يمكن وصفهم بارتياح تام (المجاهدين) ، الذين شربوا علم علمائهم الأوائل والوقوف على دقائق ردودهم الشرعية ، لكنهم ولا حرج في الحق ، أنهم امتازوا بعقد مقارنات دائمة بين ما يثيره أهل الصليب من غبار على الإسلام ، وبين نصوص الكتب المسيحية التي فضحت حقيقة عجيبة للغاية ، أن كل افتراء أثاره المسيحيون، أصبح دليلاً لهؤلاء المجاهدين الذي احترقوا كشف الافتراء في العقيدة المسيحية، وأن ما يثار إنما كان مخططاً له لذر الرماد في عيون المسلمين فلا يرون عوار عقيدة المسيحيين ، فكان من هؤلاء المجاهدين المحترفين ، الأستاذ / أكرم حسن مؤلف هذا الكتاب ، والذي جمع فيه بين أصالة التشريع الإسلامي ، وبين إبداع كشف أسرار المستور في المعتقد المسيحي .

ولا شك أن هذا العمل هو علامة مميزة في المكتبة العربية، وإن كنت أختلف معه في بعض المصطلحات التي استخدمها ، والمنهج الذي اتبعه في بعض الإجابات التي أوردتها متأثراً بخطاب برنامج المحادثة (Pal talk) ، فإن الأستاذ أكرم قد حاول جاهداً أن يجعل من عمله موسوعة متكاملة، وأحسبه قد نجح إلى حد كبير ، الأمر الذي يجعلنا نشد على يديه أن يستكمل أجزاء هذا العمل الكبير، ليحمل حقاً المعنى الموسوعي، الذي كان أجمل ما أعجبني فيه، هو إحساسي بثقة المؤلف بنفسه، واعتزازه الكامل بدينه ، ودقته ورقته وذكائه في دمج الثقة الذاتية بالاعتزاز الرباني، فصنع لقارئه مساحة وافرة من الفضاء الروحي، والشعور بالانسجام العقلي، الذي أضفى متعة كبيرة لمن يتجول بين صفحاته .

خالص دعائي للأستاذ والشيخ والأخ والابن الباحث أكرم حسن

سائلاً الله -عز وجل- أن يتقبل منا صالح الأعمال، وبالله التوفيق والسداد .

القاهرة 16 ذي القعدة 1432 هجرية

14 أكتوبر 2011 مسيحية

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، سبحانه على حلمه بعد علمه ، سبحانه على عفوه بعد قدرته سبحانه لا يهزم ، ولا يغلب ، ولا يقتل ، ولا يصلب ، خلق عيسى من غير ذكر ، وخلق حواء من غير أنثى ، وخلق آدم من تراب ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نص عليه موسى وبشر به عيسى وهو دعوة إبراهيم - صلى الله عليه وعليهم أجمعين - وبعد.

فإن الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم ، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل ، ولا شك أننا نعيش زماناً اشتدت فيه الحروب على الإسلام والمسلمين ، فقد تكاثفت قوى الشر ، وأعوان الشيطان على الكيد للمسلمين ، فتارة يخوضون حروباً لا هوادة فيها ، وتارة ينفقون المليارات لصرفهم عن دينهم بالجنس والمخدرات ، وأخرى بإثارة الشبهات لتشكيك المسلمين في عقيدتهم ، وتعد الأخرى أخطر الحروب على الإسلام ؛ لأن أصحابها يستهدفون البسطاء وذوي النفوس الضعيفة ، وطالبي الدنيا ومتاعها الزائل ؛ فالمغريات كثيرة ، والشبهات شديدة على من تلقى إليهم ، فيتخبطون حيارى ، يريدون من يأخذ بأيديهم ، فلا يجدون من يشفي صدورهم ، ويريح قلوبهم ، ويزيل ما بها من شك وريبة

وأصدقكم القول إنني تعرضت لما تعرضوا ، وفتنت كما فتنوا ، وزلزلت زلزلاً شديداً ، فقد ألم بي طائف منهم ؛ تقرب إلي ، وادّعى صداقتي لينال مأربه وما كان ذلك إلا صرفي عن ديني وتشكيكي في عقيدتي التي درجت عليها ، وقد وجد ضالته ، وأصاب مني مأربه ، فقد كنت في ذلك الوقت ضائعاً ، أتخبط في الشهوات ... واستطاع - رغم عدم براعته في إلقاء الشبهة - أن يجعلني أسهر الليالي الطوال ، وأبيت مفكراً فيما يقول ، ولا أجد إجابة شافية ، فقد كنت خاوياً ؛ عقل ضال وقلب فارغ ، ثم أراد الله بي خيراً ، وتغمديني بواسع رحمته ، وعظيم فضله ، فقد قيض الله لي من يأخذ بيدي وينتشلني مما أنا فيه ؛ شاب نجيب ، له سمت العلماء وفطنة المفكرين ، فطرحت عليه تلك الأسئلة ، وأخبرته بمكنون

صدري ، وما كان يموجُ في عقلي من شكوكٍ وضلالاتٍ ، فأذهبَ ما في نفسي بالإقناعِ والحجةِ ، وليلتَها نمتُ مستريحَ البالِ ، قريحَ العينِ ، فقد كنتُ قبلَ ذلكُ تتنازعُني الوسوسُ والشكوكُ ، وقد ولدتُ على يديه مولداً جديداً ، وبعثتُ بعثاً آخرَ ، وأوصاني هذا الأخُ الكريمُ - حفظه الله- بأن التمسُ العلمَ ، وأنقِقه في الدينِ ، وبدأتُ بسماعِ المحاضراتِ ، وقراءةِ القرآنِ الكريمِ بتدبيرٍ ، وشيئاً فشيئاً أصبحتُ شغوفاً بالعلمِ ، أطلبُهُ أينما كان....

فليست العبرة بمن سبق ولكن العبرة بمن صدق ومع مرور الأيام دخلت على " الإنترنت . بقدر الله وحاورتهم وحاوروني ، فاكتسبت خبرةً بطرقهم ومسالكتهم ، وانكشفت لي ألعيبهم ، وأظنني اليوم قادراً على مجاراتهم وردِ كيدهم إلى نحورهم - بإذن الله - ولعل فيما ذكرته خيراً يردُّ الأمة إلى ربِّها ، ويوقظها من سباتها وما يراودُّ بها ، فينقلبُ السحرُ على الساحرِ ، **وصدق الله إذ يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾** (الأنفال36) .

وقد صحت عزمتي بعد أن استخرتُ الله ﷻ على أن أكتب كتاباً أكشف فيه أباطيلَ المنصرين وشبهاتهم ضدَّ الرسولِ الكريم ﷺ أردُّ فيه على أغلب شبهاتِ واقتراءاتِ المنصرين حوله ﷺ....

وأودُّ أن أشيرَ إلى أربع نقاط:

1- **إنني أخاطب بهذا الكتاب فئةً معينةً من الناس هؤلاء هم المنصرون الذين يلقون بالشبهات ، والافتراءات على نبينا ﷺ ولا أخاطبُ أحداً غيرهم فإنني أردُّ على شبهاتهم بعد عرضها بأسلوبهم ، ولم أَلجأ إلى ما لجئوا إليه من سخريةٍ ، واستهزاءٍ ، وهمزٍ ، ولمزٍ وكان بمقدوري ذلك ، وأنا بذلك لا أخاطبُ كلَّ نصراني ، ولا قصدتُ مهاجمتهم**

فأنا أدودُ عن ديني ، وأدفع الشبهة بالحجة ،وعلم الله أن لي جيراناً من النصارى ما أخطأت يوماً في حق واحد منهم وليس بيني وبينهم إلا ما أمرني الله ﷻ به في قوله : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة 8) .

وكذلك أرد به على كل من أساء الأدب مع نبيِّنا الكريم ﷺ وعلى رأسهم الشخصيات الدينية في بعض وسائل الأعلام ، ومنتجي الأفلام المسيئة ، وراسمي الصور المشينة في صحف الغرب السيّارة وغيرها ، وعلى كل من تسول له نفسه أن يجترأ على النيل من رسولنا الأعظم ونبيِّنا الأكرم ﷺ

2- إنني اعتمدتُ في منهج هذا الكتاب على جمع الشبهات التي تتال من الرسول ﷺ والرد عليها بأسلوب هادئ بعيد عن الانفعال والانسياق وراء العواطف وركوب الشطط والمغالاة ، ولم أسلك مسلك هؤلاء بالتعمية على القارئ وإخفاء الحقائق التي لا يستطيع عاقل أن ينكرها ومنصف أن يجحدها ، ومن المعلوم عندنا أن الأحاديث تعتمد على الإسناد فلولاه لقال من شاء ما شاء ولكنني وجدتُ المعترضين يعتمدون في إثارة شبهاتهم حول الرسول ﷺ على أحاديث - جلها- ضعيفة الإسناد ، أو صحيحة لم يفهموها إما لجهلهم أو لسوء نيتهم ... ووجدتهم يعمدون إلى الكذب والتدليس وبتر الأحاديث من سياقها ، والاستدلال بما ليس فيها ، وذلك لما تتطوي عليه قلوبهم

3- إنني لما ذكرتُ في كتابي أن الكتاب المقدس يقول : ... فهذا ليس إقراراً مني على أن كل ما فيه مقدس وصحيح ، ولكن هذا بحسب اعتقادهم هم

وحيثما أقول : إن بولس الرسول قال : ... فهذا ليس إقراراً مني بأنه رسول من عند الله ﷻ بل ذلك بحسب اعتقادهم هم

4- قمت بتحقيق جُل ما جاء في الكتاب ، وعزو القول إلى قائله.... وأما عن استخدامي لنصوص الكتاب المقدس فكان الأساس الذي اعتمدتُ عليه هو من نسخة الفانديك ، ولو ذكرتُ نصاً من غيرها بينتُ ذلك وأما بالنسبة لتخريج وتحقيق الأحاديث ، فقد سلكتُ منهجاً هو : إذا كان الحديثُ في صحيح البخاري ومسلم اكتفيتُ بالتخريج فقط ، وإن كان غير ذلك رجعتُ إلى كتب الشيخ الألباني ، والشيخ شعيب الأرنؤوط لمسند الإمام أحمد (الناشر / مؤسسة قرطبة - القاهرة) ، والشيخ حسين سليم أسد. فإن لم أجد ما أردتُ ذهبتُ إلى كتب التراجم والرجال...

وأخيراً: أقول - مع كلِّ أسفٍ- إن بعضَ الدعاةِ على الساحةِ في المساجدِ مقصرون جداً في دعوتهم، ألا يجتهدون في تحضيرِ خطبهم ودروسهم ويعلموا الناسَ أمورَ دينهم...!

ثم إنني أنصح إخواني البسطاء في العلم أن لا يدخلوا على مواقع الشبهات فإنها تدمر القلب.... وكنتُ ولا زلتُ أعلقُ بحديثِ النبي ﷺ الثابت في صحيح مسلم باب (أخذ الحلال وترك الشبهات) برقم 2996 قال ﷺ: " إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرعى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ " .

لاحظ : قوله : " فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ " .

لذلك اعلم أن القلب يمرضُ بمرضين إما بالشهوة وإما بالشبهة:

فَأَمَّا الشَّهْوَةُ فَعَلَّاجُهَا تَقْوَى اللَّهِ؛ قَالَ ﷺ : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (3) (الطلاق) . وَأَمَّا الشُّبْهَةُ فَعَلَّاجُهَا الْعِلْمُ ؛ قَالَ ﷺ : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (محمد19) .

إِذَا: بِالْعِلْمِ يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ وَبِهِ يَهْدُمُ الشُّبْهَةَ وَمَا أَكْثَرَ الشُّبْهَاتِ فِي زَمَانِنَا هَذَا! حَتَّى أَصْبَحَ النَّاسُ فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ وَصَدَقَ نَبِيُّنَا ﷺ إِذْ يَقُولُ كَمَا فِي سَنَنِ بْنِ مَاجَةَ بِرَقْم 4026 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ يُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيَكْذِبُ فِيهَا الصَّادِقُ ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيَخُونُ فِيهَا الْأَمِينُ ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ. قِيلَ : وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ ؟ قَالَ : الرَّجُلُ التَّافَهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ " .
تَحْقِيقُ الْأَلْبَانِيِّ : صَحِيحٌ ، الصَّحِيحَةُ (1887) .

وَهَذَا مَا شَاهَدْنَاهُ فِي زَمَانِنَا هَذَا ، فَمَا أَكْثَرَ الْكَاذِبِينَ ، وَمَا أَكْثَرَ الْخَائِنِينَ ، وَمَا أَكْثَرَ الرُّوَيْبِضَاتِ الَّذِي يَتَكَلَّمُونَ فِي دِينِنَا بِغَيْرِ عِلْمٍ - وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِي يَوْمَ أُدْرَجُ فِي أَكْفَانِي ، وَآخِرَ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

كتبه / أكرم حسن مرسى

باحث في مقارنة الأديان

الموقع والمنتدى / <http://akramhasan.a0001.net>

المدونة / <http://akramhasan.blogspot.com>

الباب الأول

شبهات حول عصمته ورسالته ﷺ

رد شبهة: هل أخبر القرآن أن محمداً سيأتي من نسل إسماعيل؟!

قال لي أحدهم: هل أخبر القرآن الكريم أن نبي الإسلام سيأتي من نسل إسماعيل...

الرد على الشبهة

أولاً: يكفي أن الله ﷻ خاطب نبيه محمداً ﷺ في القرآن الكريم بالرسالة، والنبوة، ولا يضربنا أن القرآن الكريم أخبر أنه ﷺ يأتي من نسل إسماعيل عليه السلام أو إسحاق عليه السلام ؛ المهم أنه رسول الله بشهادة القرآن الكريم نفسه..... أدلة ذلك ما جاءت في التالي :

1- قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (64) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65) ﴾ (الأنفال).

2- قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (70) وَإِنْ يَرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (71) ﴾ (الأنفال).

3- قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (1) وَاتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (2) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (3) ﴾ (الأحزاب).

3- قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (46) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (47) ﴾ (الأحزاب).

5- قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكُمْ وَبَنَاتَكِ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (59) ﴾ (الأحزاب).

4- قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ (9) ﴾ (التحريم).

7- قوله ﷺ : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرِ قُلُوبُهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41)﴾ (المائدة).

8- قوله ﷺ : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67)﴾ (المائدة).

ثانياً : إن القرآن الكريم لم يذكر صراحة أن النبي ﷺ سيأتي من نسل إسماعيل عليه السلام لكنه لمح أن محمداً ﷺ جاء من نسل إسماعيل عليه السلام ، وذلك لأن اليهود كانوا ينتظرونه ظناً منهم أنه ﷺ يأتي من نسل إسحاق - من بني إسرائيل - وكانوا في حروبهم مع العرب يقولون : " اللهم أنصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان " فلما جاءهم ما عرفوا وهو محمد ﷺ ؛ لما خرج من نسل إسماعيل كفروا به ، وأنكروا نبوته حسداً وكرهاً...

هذه الحقيقة ذكرها القرآن الكريم، وذكرتها التفاسير تحت قوله ﷺ : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89)﴾ (البقرة).

1- تفسير ابن كثير: نزلت هذه القصة يعني : { وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ }

قالوا كنا قد علوناهم دهرًا في الجاهلية ، ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب ، فكانوا يقولون : إن نبياً من [الأنبياء] يبعث الآن نتبعه، قد أظل زمانه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما بعث الله رسوله من قريش [واتبعناه] كفروا به. يقول الله تعالى : { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } [النساء 155] وقال أبو العالية : كانت اليهود تستنصر بمحمد ﷺ على مشركي العرب، يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوباً عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم. فلما بعث الله محمداً ﷺ ورأوا أنه من غيرهم، كفروا به حسداً للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ فقال الله : { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } . اهـ

2- تفسير المنتخب : ولما جاءهم رسولنا بالقرآن - وهو كتاب من عند الله مصدق لما أنزل عليهم من التوراة ، وعرفوا من التوراة نفسها صدق ما في هذا الكتاب - كفروا به عناداً وحسداً لأنه قد جاءهم به رسول من غير شعبهم بني إسرائيل ، مع أنهم كانوا من قبل إذا اشتبكوا مع المشركين في صراع حربي أو جدلي ذكروا أن الله سينصرهم بإرسال خاتم النبيين الذي بشر به كتابهم ، والذي تتفق صفاته كل الاتفاق مع صفات محمد . ألا لعنة الله على أمثالهم من المعاندين الجاحدين . اهـ

3- تفسير سيد طنطاوي : " ومعنى الآيتين الكريمتين : ولما جاء إلى اليهود محمد ﷺ ومعه القرآن الكريم وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه ، مصداقاً لما معهم من التوراة فيما يختص ببعثة النبي ﷺ ونعته ، وكانوا قبل ذلك يستنصرون به على أعدائهم ، لما جاءهم النبي المرتقب ومعه القرآن الكريم جحدوا نبوته ، وكذبوا كتابه { فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } . بنس الشيء الذي باعوا به أنفسهم. والحسد الذي خالط قلوبهم، وكراهية لأن ينزل الله وحيه على محمد العربي ﷺ فباعوا بسبب هذا الخلق الذميمة، بغضب مترادف متكاثر من الله ﷻ { وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ } جزاء كفرهم وحسدهم .

والمراد بالكتاب في قوله تعالى : { وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ } القرآن الكريم ، وفي تنكيده زيادة تعظيم وتشريف له ، وفي الأخبار عنه بأنه من عند الله ، إشارة إلى أن ما يوحى به ﷺ جدير بأن يتلقى بالقبول وحسن الطاعة لأنه صادر من الحكيم الخبير ، والذي مع اليهود هو التوراة ، ومعنى كون القرآن مصدقاً لها ، أنه يؤيدها ويوافقها في أصول الدين ، وفيما يختص ببعثة النبي ﷺ وصفته . وفي وصف القرآن الكريم بأنه مصدق لما معهم ، زيادة تسجيل عليهم بالمزمة لأنهم لم يكفروا بشيء يخالف أصول كتابهم وإنما كفروا بالكتاب الذي يصدق كتابهم . وقوله تعالى : { وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا } .

بيان لحالتهم قبل البعثة المحمدية، فإن اليهود كانوا عندما يحصل بينهم وبين أعدائهم نزاع ، يستنصرون عليهم بالنبي ﷺ قبل بعثته فيقولون : اللهم انصرنا عليهم بالنبي الذي نجد نعته في التوراة " . اهـ

وقال ﷺ في موضع آخر : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146) ﴾ (البقرة).

جاء في تفسير الجلالين : "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ " أَيُّ مُحَمَّدًا " كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ " بِنَعْتِهِ فِي كُتُبِهِمْ قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : لَقَدْ عَرَفْتُهُ حِينَ رَأَيْتُهُ كَمَا أَعْرِفُ ابْنِي وَمَعْرِفَتِي مُحَمَّدٌ أَشَدُّ " وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ " نَعْتُهُ " وَهُمْ يَعْلَمُونَ " هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ . اهـ

جاء في التفسير الميسر : " الذين أعطيناهم التوراة والإنجيل من أحرار اليهود وعلماء النصراني يعرفون أن محمداً ﷺ رسول الله بأوصافه المذكورة في كتبهم ، مثل معرفتهم بأبنائهم . وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون صدقه ، وثبوت أوصافه " . اهـ

هناك دليل آخر يقول ﷺ : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34)﴾ (آل عمران). فالأنبياء من ذرية واحدة ، ومحمد ﷺ من ذرية إبراهيم و إسماعيل....

جاء في تفسير المنتخب : 33- " كما اصطفى الله محمداً لتبليغ رسالته ، وجعل اتباعه وسيلة لحب الله ومغفرته ورحمته ، كذلك اصطفى آدم وجعله من صفوة العالمين ، واصطفى نوحاً بالرسالة ، واصطفى إبراهيم وآله إسماعيل وإسحاق والأنبياء من أولادهما ، ومنهم موسى - عليهم السلام - ، واختار آل عمران واختار منهم عيسى وأمه ، فعيسى جعله الله رسولا لبنى إسرائيل ، ومريم جعلها أمّاً لعيسى من غير أب .

34- اختارهم ذرية طاهرة ، فهم يتوارثون الطهر والفضيلة والخير . والله سميع لأقوال عباده ، عليم بأفعالهم وما تَكُنَّ صدورهم " . اهـ

ثالثاً : إن كتب السنة ، والسيرة ، والتاريخ هي من تذكر الأنساب والأحساب ، وقد جاء فيها أن محمداً ﷺ من نسل إسماعيل... وهذا أيضاً كاف جداً ...

دلت مراجع كثيرة على ذلك منها :

1- دلائل النبوة للبيهقي برقم 88 عن محمد بن إسحاق ، قال : " محمد رسول الله ﷺ ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن المقوم بن ناحور بن تارح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم بن آزر . وهو في التوراة : ابن تارح بن ناحور بن أرغوى بن سارح بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن

سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش
بن شيث بن آدم أبو البشر - صلوات الله عليه وعلى أنبياء الله الطيبين الأخيار
وسلم- " . اهـ

-2

3- كنز العمال برقم 35512 عن ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " أنا
محمد بن عبد الله بن المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة
بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن
مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن
يشجب بن بنت بن جميل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم بن تارح بن ناحور بن
اشوع بن ارعوش بن فالغ بن عابر وهو هود النبي ﷺ ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام
بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس بن أزد بن قينان بن أنوش بن
شيث بن آدم. " . ورواه الديلمي . اهـ

3- زاد الميعاد لابن القيم (ج 1 / ص 70) : " هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن
فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار
بن معد بن عدنان

إلى هاهنا معلوم الصحة متفق عليه بين النسابين ولا خلاف فيه البتة وما فوق عدنان
مختلف فيه ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام وإسماعيل : هو الذبيح
على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم " . اهـ

رابعاً: إن الكتاب المقدس ذكر لنا في سفر التكوين نبوءة عظيمة لإسماعيل عليه السلام ، ويذكر أتباعه الذين هم أمة عظيمة على رأسهم محمد ﷺ ، وبذلك يكون الكتاب المقدس هو الذي بشر بمحمد ﷺ بأنه يأتي من نسل إسماعيل عليه السلام.... وذلك في الإصحاح 17 عدد 20 "وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أَبَارِكُهُ وَأَنْمُرُهُ وَأَكْثَرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا يُلِدُّ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً".

وهذا هو قيدار من أبناء إسماعيل الذي من نسله محمد ﷺ كما أتيت به في المراجع السابقة، جاء ذلك في سفر التكوين إصحاح 25 عدد 13 "وَهَذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بِأَسْمَائِهِمْ حَسَبَ مَوَالِيدِهِمْ: نَبَايُوتُ بَكْرُ إِسْمَاعِيلَ، وَقِيدَارُ، وَأَدْبَيْلُ وَمِيسَامُ¹⁴ وَمِشْمَاعُ وَدُومَةُ وَمَسَا¹⁵ وَحَدَارُ وَتَيْمًا وَيَطُورُ وَنَافِيشُ وَقِدْمَةُ". لا تعليق !

رد شبهة: نبي يأمر بحبه أكثر من حب الإنسان لنفسه !...

قالوا: أمر رسول الإسلام - من تلقاء نفسه - بحب الناس له أكثر من أنفسهم... فهل هكذا يكون الحب بالأمر والغصب أيها المسلمون....

استندوا في قولهم على ما جاء في صحيح البخاري برقم 14 عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن الرد على هذه الشبهة يكون بطرح سؤالين :

السؤال الأول: لماذا يجبُ على المسلم أن يحب محمداً ﷺ أكثر من نفسه ؟

الجواب: لأن المسلم لو أحب نفسه عن النبي ﷺ فهذا حب للشهواتِ والملذاتِ....فلولا محمد ﷺ ما عرفنا اللهَ وعليكُم، ودينه ...

السؤال الثاني : هل هذا الأمر خاص بالنبي ﷺ فقط ؟

الجواب: ليس خاصاً بالنبي ﷺ بل نحبُ موسى ، وعيسى أكثر من أنفسنا ولكن خص النبي ﷺ لأنه مُبلغ هذه الأمة....

ثم إننا نحب الصحابة أكثر من أنفسنا، مثل : أبي بكر ، وعمر...

ثم إننا نجد من يحب الأندادَ كحب الله ﷻ - ولا حول ولا قوة إلا بالله- كما قال ﷺ :
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165)﴾
(البقرة).

ثم إن المحبة تكون إما جبلية وشرعية؛ محبة فرضية (مكتسبة) هذا حب مكتسب تكليفي كي يصل بالناس إلى مرضاة الرب ﷻ...

وما قاله النبي ﷺ كان بوحى من الله ﷻ لا من تلقاء نفسه كما زعم المعتضون

ثانياً : إن محمداً ﷺ هو من كان يأمر أصحابه بعدم المبالغة والإطراء فيه ﷺ كي لا يعبد من دون الله كما عبد المسيح ﷺ جاء ذلك في عدة مواضع منها :

1- سنن الدارمي برقم 2840 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " لَا تُطْرُونِي كَمَا تُطْرِي النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، وَلَكِنْ قُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ " .
قال حسين سليم أسد : إسناده صحيح.

2- سنن ابن ماجه برقم 3303 عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ فَجَعَلَ تَرَعْدُ فَرَائِصُهُ ، فَقَالَ لَهُ : " هَوَّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ ؛ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ " .

تحقيق الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم 7052 في صحيح الجامع .

ثالثاً : إن الأناجيل ذكرت أن يسوع المسيح أمر ببغض الأب ، والأم ، والمرأة ، والولد ، الإخوة ، والأخوات ... لكي يحبونه هو فقط ؛ وبذلك يصبحوا له تلاميذ ...

جاء في إنجيل لوقا إصحاح 14 عدد 25 "وَكَانَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ سَائِرِينَ مَعَهُ ، فَالْتَقَتْ وَقَالَ لَهُمْ : ²⁶ «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلَا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا ، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلَمِيذًا" .

وذكر إنجيل متى أن من يحب الأب ، والأم أكثر من يسوع فلا يستحق محبة يسوع له ... وذلك في الإصحاح العاشر عدد 37 "مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمَّ أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي ، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوْ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي" .

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو : لماذا الاعتراض على أمر مقدس جاء على لسان - ربهم يسوع- أم أن الاعتراض سببه أن محمداً رسول الله ﷺ هو الذي قال ؟!...

رد شبهة : هل هناك نبيٌ مذبٌ ؟!

قالوا: إن القرآنَ الذي جاء به محمدٌ - صلى الله عليه وسلم - يعترفُ عليه بأنه مذبٌ ، وأنتم أيها المسلمون تقولون : الأنبياء معصومون ومن بينهم محمد رسول الإسلام !

اعتمدوا في شبهتهم على قوله ﷺ : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (محمد19).

الرد على الشبهة

أولاً: إن الأنبياءَ معصومون من الكبائرِ دون الصغائرِ ، وإن فعلوا صغيرةً تابوا إلى الله منها ، فهم لا يصرون على فعلِ صغيرةٍ ، ولا يقعون في محقراتِ الصغائرِ ... وهذا مذهب ابنِ تيمية ، والجاهير من أهل العلم لعدة أدلة منها :

1- الحديث الذي رواه الترمذي ، وابنُ ماجّة ، والحاكمُ ، وصححه الألبانيُّ في صحيح الترغيب والترهيب برقم 3139 عن أنسٍ - رضي الله عنه - أن النبيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : " كل ابنِ آدمَ خطاءٌ وخير الخطائين التوابون " .

2- الحديث الذي رواه أحمدُ في مسنده برقم 2600 ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 2984 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : " مَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَقَدْ أَخْطَأَ ، أَوْ هَمَّ بِخَطِيئَةٍ لَيْسَ يَحْيَى بَنَ زَكَرِيَّا " .

وبالتالي : فإن الأنبياء قد تقع منهم بعض الصغائر ، وهي ليست كالصغائر التي تقع نحن فيها بل هي من باب (حسنات الأبرار سيئات المقربين) ...

ثم إن من دلائل نبوته أنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كانت حياته ظاهرة للجميع فلا يوجد زعيم من الزعماء ، أو رئيس من الرؤساء إلا وتجد الغموض في معظم حياته إلا محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فكانت حياته كالكتاب المفتوح لكل الناس حتى يعرفوها ويطلعوا عليها ، فأين هي هذه الذنوب التي جاءت في سيرته العطرة ، أو في كتاب الله ؟

قلتُ: لن يجدوا، وعليه فإن ما سبق هو بيان لقولهم : أنتم أيها المسلمون تقولون: الأنبياء معصومون ومن بينهم محمد رسول الإسلام

ثانياً: إن معنى قوله ﷺ للنبي ﷺ: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ (محمد19) ؛ يكون على وجهين :

الأول: أن يستغفر من الأمور التي اجتهد فيها - من غير وحيٍ - اجتهداً حسناً ، ولكنه ﷺ ترك ما هو أحسن (ترك الأولى) ومما لاشك فيه أن الرسول ﷺ كانت تصدر عنه بعض الأفعال التي لم يوح إليه شيء بخصوصها ، وكان أمرها متروكاً لاجتهاده الخاص فكان أحياناً يختار الفعل الحسن ويترك الأحسن ، وعدم إصابته في ذلك باعتبار مكانته تعد ذنباً وهي من باب (حسنات الأبرار سيئات المقربين) نظراً لمكانته في العلم والعقل

من جملة هذه الأمور التي اجتهد فيها النبي ﷺ اجتهاداً حسناً وترك ما هو أحسن فيما يلي:

1 - قوله ﷺ : ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ (التوبة 43). عفا الله عنك -أيها النبي- عما وقع منك من ترك الأولى والأكمل، وهو إنك للمنافقين في القعود عن الجهاد، لأي سبب أَذْنَتْ لهؤلاء بالتخلف عن الغزوة، حتى يظهر لك الذين صدقوا في اعتذارهم وتعلم الكاذبين منهم في ذلك؟. اهـ التفسير الميسر.

2- قوله ﷺ : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال 67). ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر : {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ} بالتاء والياء {لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} يبالغ في قتل الكفار {تُرِيدُونَ} أيها المؤمنون {عَرَضَ الدُّنْيَا} حطامها بأخذ الفداء {والله يُرِيدُ} لكم {الآخرة} أي : ثوابها بقتلهم {والله عَزِيزٌ حَكِيمٌ} وهذا منسوخ بقوله : {فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً} . اهـ تفسير الجلالين .

3- قوله ﷺ : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ 1﴿ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ 2﴿ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْغَى﴾ 3﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ 4﴿ أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى﴾ 5﴿ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ 6﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَرْغَى﴾ 7﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ 8﴿ وَهُوَ يَخْشَى﴾ 9﴿ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ 10﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ 11﴿ . {عَبَسَ} النبي ﷺ : كبح وجهه {وتولى} {أعرض لأجل} . {أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى} عبد الله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به ممن يرجو إسلامه من أشراف قريش الذين هو حريص على إسلامهم ، ولم يدر الأعْمَى أنه مشغول بذلك فناداه ، علمني مما علمك الله ، فانصرف النبي ﷺ إلى بيته فعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة ، فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء : « مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداؤه » . اهـ تفسير الجلالين .

الثاني: الخطاب له في أمته لتستن به ﷺ ... وذلك ما جاء في تفسير الجلالين لقوله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (محمد19). { فاعلم أنه لا إله إلا الله } أي: دم يا محمد على علمك بذلك النافع في القيامة { واستغفر لذنبيك } لأجله قيل له ذلك مع عصمته لتستن به أمته وقد فعله قال ﷺ : « إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة » { وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم { والله يعلم متقلبكم } متصرفكم لأشغالكم بالنهار { وَمَثْوَاكُمْ } مأواكم إلى مضاجعكم بالليل ، أي : هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شيء منها فاحذروه ، والخطاب للمؤمنين وغيرهم . اهـ

قلتُ: إنه تفسير رائع فالخطاب له في أمته لتستن به ﷺ حتى تتعلم الأمة عبادة الاستغفار والأدلة على أنه ليس له ذنب، وأنه مغفورة خطاياها التي لم يعملها ... جاءت فيما يلي :

1- قوله ﷺ : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ (الفتح2).

2- صحيح البخاري باب { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } برقم 4460 عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ : " أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا " .

3- صحيح مسلم باب (إِكْثَارِ الْأَعْمَالِ وَالِاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ) برقم 5046 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرِ رِجْلَاهُ قَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ: " يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا " .

نلاحظ : أن النبي ﷺ لم يُنكر عليها أنه غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وعلل ﷺ بقوله : " أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا " .

ثالثاً : إن قيل : لماذا كان النبي ﷺ يستغفر ... ؟

قلتُ : إن الاستغفار لا يشترط أن يكون من ذنب في كل الأحوال ؛ فقد علمنا النبي ﷺ أن نقول بعد الصلاة : استغفر الله ثلاثاً في حين أننا كنا نصلي ولم نرتكب معصية ...

فنحن نستغفر الله بعد الصلاة؛ لأنه قد يقع منا قلة خشوع في الصلاة فنستغفر الله على ذلك... دليل ذلك جاء في سنن أبي داود برقم 1297 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ " . ضعفه الألباني في سنن أبي داود برقم 1518 .

والحديث معناه قريب من قوله ﷺ عن نوح: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿ 11 ﴾ وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿ 12 ﴾ (نوح) .

إذا: الاستغفار يكون سبباً في اتساع الرزق، والمدد من الله، ورفع الهم... ولا يشترط أن يكون من معصية كما أسلفت - بفضل الله تعالى - .

ثم إن الله تعالى لم يحرم الأنبياء من عبادة الاستغفار؛ لأنه تعالى يحبها....

رابعاً: إن الكتاب المقدس ذكر أنبياء الله بأوصافٍ غير لائقة ... فمن المفترض أنهم أسوة للبشر نجاهم يزنون زنا المحارم، ويسكرون ، ويرقصون عراة ، ويكذبون حتى أن

المسيح عليه السلام ما سلم من تلك الأخطاء الكثيرة التي نسبت إليه ، وذلك بحسب ما كتبه كتبه الأنجيل الذين جعلوه مذنباً

فعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر الآتي :

1- وصفه كاتب إنجيل يوحنا بأنه كذب على إخوته وذلك لما طلبوا منه الصعود للعيد فقال : "إني لست بصاعد ثم صعد بعدها في الخفاء" ! نجد ذلك في إنجيل يوحنا إصحاح 7 عدد 9 "صعدوا أنتم إلى هذا العيد. أنا لستُ أَسْعِدُ بَعْدُ إِلَى هَذَا الْعِيدِ، لِأَنَّ وَقْتِي لَمْ يَكْمَلْ بَعْدُ". 9 قَالَ لَهُمْ هَذَا وَمَكَثَ فِي الْجَلِيلِ. 10 وَلَمَّا كَانَ إِخْوَتُهُ قَدْ صَعِدُوا، حِينَئِذٍ صَعِدَ هُوَ أَيْضًا إِلَى الْعِيدِ، لَا ظَاهِرًا بَلْ كَأَنَّهُ فِي الْخَفَاءِ".

2- وصفه كاتب إنجيل يوحنا بأنه سب الأنبياء جميعاً ... يقول عنهم : " سُرَّاقٌ و لصوص ". !

نجد ذلك في إنجيل يوحنا إصحاح 10 عدد 7 "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ. 8 جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَّاقٌ وَلُصُوصٌ، وَلَكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ".

3- وصفه كاتب إنجيل لوقا بأنه سب الفريسيين قائلاً لهم : " يَا أَغْبِيَاءُ " ، وذلك في الإصحاح 11 عدد 40 " يَا أَغْبِيَاءُ، أَلَيْسَ الَّذِي صَنَعَ الْخَارِجَ صَنَعَ الدَّاخلَ أَيْضًا؟ 41 بَلْ

4- وصفته الأنجيل بأنه سب المؤمنين من اليهود - الحواريين - كما يلي :

1 - قال لبطرس كبير الحواريين : " يا شيطان " . (متى 16 / 23) .

2 - سب آخرين منهم بقوله : " أيها الغيبان والبطينا القلوب في الإيمان " (لوقا 24 / 25) .

ونيراً إلى الله ﷻ مما وصف به المسيح ﷺ من مثل هذه الأوصاف ...

والأعجب من ذلك أن المعترضين يعتقدون أن الجميع زاغوا وفسدوا إلا المسيح فقط ؛ الذي هو بلا خطيئة ! ويستشهدون على ذلك بما قاله يسوع لليهود في إنجيل يوحنا إصحاح 8 عدد⁴⁶ "مَنْ مِنْكُمْ يَبْغِثُنِي عَلَى خَطِيئَةٍ؟ فَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ الْحَقَّ، فَلِمَذَا لَسْتُمْ تَوَدُّونَنِي بِي"؟

قلتُ: ترد عليهم النصوص السابقة وغيرها من النصوص التي نسبت إلى يسوع أنه يسب ! أليس السب خطيئة....؟!!

ويرد عليهم بقول يسوع نفسه أنه ليس صالحاً بل هو بشر له أخطاء ، فالصالح وحده هو الله الذي بلا خطيئة ؛ جاء ذلك في إنجيل لوقا إصحاح 19 عدد¹⁸ وَسَأَلَهُ رَئِيسُ قَائِلًا: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لَأَرِثَ الْحَيَاةَ الْآبَدِيَّةَ؟»¹⁹ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِمَذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ.

فالموضح من النصين التعارض البين:

نصٌ يقول فيه : "مَنْ مِنْكُمْ يَبْغِثُنِي عَلَى خَطِيئَةٍ؟" أي: من منكم يثبت علي خطأ فعلته ؟ ونصٌ آخر يقول فيه : "لِمَذَا تَدْعُونِي صَالِحًا ؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ" أي : لماذا تقولون عني أنني صالحٌ لا أفعل أخطاء ، الصالح الذي بلا خطيئة هو الله وحده ، كما أن هذا النص فيه دليلٌ واضحٌ على عدم إلهيته بخلاف ما يعتقد المعترضون لأن يسوع ليس صالحاً ؛ بل الصالح هو الله وحده....

رد شبهة: نبيٌ يسحر ؟!

يزعمون أن محمداً ﷺ لا يصلح أن يكون نبياً !

فإن قلنا: لماذا لا يصلح أن يكون نبياً ؟!

يقولون : إن محمداً كان مسحوراً أصابه السحر، والحديث في صحيح البخاري يقول: " كَانَ يُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ " فكان من الممكن أن يقول آيات شيطانية وهو مسحور فهل محمدٌ يصلح أن يكون نبياً من عند الله ؟! نبي يتحكم فيه شيطان ؟!

وهذه هي أدلتنا من صحيح البخاري كما يلي :

1- كِتَابُ (الْجَزِيَّةِ) بَابُ (هَلْ يُعْفَى عَنِ الدِّمِيِّ إِذَا سَحَرَ..) برقم 2939 عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَحَرَ حَتَّى كَانَ يُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ صَنَعَ شَيْئًا وَلَمْ يَصْنَعْهُ.

2- كِتَابُ (بَدْءِ الْخَلْقِ) بَابُ (صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ ..) برقم 3028 عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : سَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ اللَّيْثُ : كَتَبَ إِلَيَّ هِشَامٌ أَنَّهُ سَمِعَهُ وَوَعَاهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : سَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ يُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا ثُمَّ قَالَ : أَشَعَرْتُ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَانِي أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ : مَا وَجَعَ الرَّجُلَ ؟ قَالَ : مَطْبُوبٌ قَالَ : وَمَنْ طَبَّهُ ؟ قَالَ : لِبَيْدِ بْنِ الْأَعْصَمِ قَالَ : فِيمَا ذَا ؟ قَالَ : فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَّةٍ وَجَفٍّ طُلْعَةٍ ذَكَرَ قَالَ : فَأَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ : فِي بئرِ ذُرْوَانَ فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ : نَخَلُهَا كَأَنَّهُ رُعُوسُ الشَّيَاطِينِ فَقُلْتُ : اسْتَخَرَجْتَهُ ؟ فَقَالَ : " لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا ثُمَّ دُفِنْتُ الْبُئْرُ " .

3- كِتَاب (الْأَدَب) بَاب (قَوْلِ اللَّهِ ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾) برقم 5603 عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : مَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ كَذَا وَكَذَا يُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَأْتِي أَهْلَهُ وَلَا يَأْتِي قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَالَ لِي ذَاتَ يَوْمٍ : يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِي أَمْرِ اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ أَتَانِي رَجُلَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رِجْلِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رَأْسِي فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلِي لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا بَالُ الرَّجُلِ قَالَ: مَطْبُوبٌ يَعْنِي مَسْحُورًا قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمٍ قَالَ: وَفِيمَ قَالَ: فِي جُفٍّ طَلَعَهُ ذَكَرٌ فِي مِشْطٍ وَمُشَاقَّةٌ تَحْتَ رَعُوفَةٍ فِي بَيْتٍ ذُرْوَانَ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : هَذِهِ الْبَيْتُ الَّتِي أُرْبِتُهَا كَانَ رُعُوسٌ نَخَلِهَا رُعُوسُ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ مَاءُهَا نِقَاعَةً الْحَنَاءِ فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَأُخْرِجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: فَهَلَا تَعْنِي تَنْشَرَتْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ شَفَانِي وَأَمَّا أَنَا فَأَكْرَهُ أَنْ أَثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا " قَالَتْ : " وَلَبِيدُ بْنُ أَعْصَمٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودٍ " .

الرد على الشبهة

أولاً: من حيث صحة الحديث :

إن هذا الحديث أنكره بعض العلماء ، مثل : الجصاص في (كتابهِ أحكام القرآن) ، والقاسمي في تفسيرهِ (محاسن التأويل) ، والشيخ محمد عبده ، وأخيراً جماعة تختلف معها خلافاً عقائدياً... تسمى بالأحمدية (القديانية) أنكروا الحديث حينما قاموا بالرد على هذه الشبهة، فمن بعض أدلتهم على عدم صحة الحديث أنهم قالوا: إنه يتعارض مع القرآن الكريم كما يلي :

1- قوله ﷻ : ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (الفرقان 8).

2- قوله ﷺ عن الشيطان : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (النحل 99).

3- قوله ﷺ لنبيه ﷺ : ﴿ وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة 67).

قلتُ : أما عن قولهم : إن الحديث يتعارض مع الآيات السابقة فهذا خطأ بين فلا تعارض بين الآيات وهذا الحديث للآتي :

الآية الأولى: ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ (الفرقان 8).

في الآية نجد أن الله ﷻ يقول عن الكافرين بأنهم ظالمون ؛ لأنهم قالوا: عن النبي ﷺ إنه مسحور ، والحديث يقول: إنه سحر ! فهل هناك تعارض ؟

قلتُ : لا يوجد تعارض ، فالله ﷻ قال عن الكافرين بأنهم ظالمون ؛ لأنهم قالوا: إن النبي ﷺ مسحور في كل أقواله وأفعاله ، حتى القرآن نتيجة السحر، والواقع أن السحر وقع في أمر معين هو: " كَانَ يُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَأْتِي أَهْلَهُ وَلَا يَأْتِي " وهذا ليس له علاقة بكلام المشركين ؛ لأنهم قالوا : إنه مسحور في كل أقواله وأفعاله ، فهذا ليس من هذا الباب.

ثم إن قولهم هذا من جملة افتراءاتهم حول النبي ﷺ قبل أن يُسحر في مكة ، مثلما قالوا عنه : مجنون ، ساحر ، كاهن ، شاعر . ..

الآية الثانية : قوله ﷺ عن الشيطان : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (النحل 99).

قلتُ : إن المراد من قوله ﷺ عن سلطان الشيطان في الآية أنه يكون في الإغواء ، والإضلال ، والكفر ، وتزيينه للباطل ، والشر ، وإفساد الإيمان ، ولا شك أن هذا لم يحدث للنبي ﷺ أبداً ، وليس ذلك في الحديث .

الآية الثالثة: قوله ﷺ لنبيه ﷺ : ﴿ وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

قلتُ: إن الله ﷻ يعصم نبيه ﷺ من القتل فلا يقتل حتى يتم الرسالة ...

وقال بعض المفسرين: هو معصوم ﷺ من الوقوع في الكبائر ، وهذا ليس له علاقة بالحديث الذي معنا !

ثانياً: الرد على الشبهة بعد إثبات صحة الحديث ، والرد على المعترضين . أقول -
بفضل الله ﷻ - :

أولاً: إن من المعلوم المقطوع به أن النبي ﷺ بشرٌ يصيبه ما يصيب البشر من الصحة والمرض ، واللذة والألم ، والحياة والموت ، ولم نقل عنه إنه إلهٌ يُعبد ... قال ﷺ لنبيه ﷺ : ﴿

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ (الكهف 110). فوق السحر على النبي ﷺ ؛ لأنه بشرٌ يصيبه ما يصيب البشر، فالسحر مرضٌ من الأمراض ...

والدليل على ذلك قوله ﷺ : " أما أنا فقد شفاني الله " صحيح البخاري برقم 5912 ؛ أي: أن الله شفاه من مرضٍ من الأمراض التي تتعلق بالصفات البشرية ، وعوارضها التي ليس لها علاقة بالوحي ولا بالرسالة التي كُلفَ بها النبي ﷺ .. فالسحر مرضٌ روحي ، لذلك احتاج إلى طبيبٍ روحيٍّ ﷺ كان الملاك.

ومما يدلُّ أكثر على أن هذا السحرَ مرضٌ من الأمراض هو : أن البخاريَّ - رحمه الله - ذكر هذا الحديث في كتاب (الطب) .

ثانياً: إن هناك سؤالاً يطرح نفسه هو: ما معنى: " كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ صَنَعَ شَيْئًا وَلَمْ يَصْنَعْهُ " ؟

الجواب : إن المعنى واضحٌ من كلام عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - في الحديث الذي رواه البخاريُّ في صحيحه لما قالت : " كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَأْتِي أَهْلَهُ وَلَا يَأْتِي " . وهذا ما قاله ابن حجرٍ في الفتح ، وكذلك العلماء ؛ كان النبي ﷺ يخيل له أنه يأتي زوجته ولم يأتين ؛ فهذا ليس له علاقة بالوحي ولا بالرسالة التي كُلفَ بها ﷺ فالإنسان قد يأخذ قرصاً معيناً من الدواء فلا يستطيع أن يأتي أهله ، أو قد يكون متعباً نفسياً أحياناً ، فلا يستطيع أن يأتي أهله ، وكل هذه من الأمراض التي لها علاقة بالصفات البشرية، وليس لها علاقة بالوحي والرسالة....

ثالثاً: إن النبي ﷺ معصومٌ في تأديته للرسالة فلا يزيع عن الوحي أبداً... وذلك لعدة أدلة منها :

1- قوله ﷺ عن نبيه ﷺ : ﴿ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (النجم 4).

2- قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة 67).

4- قوله ﷺ : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴾ 44 ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ 45 ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ 46 ﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ (الحاقة).

نلاحظ : أن الوعيد في الآية الأخيرة لم يحدث للنبي ﷺ ..

إذا: السحر الذي أصابه ليس له علاقة بالوحي أبداً ...

رابعاً: إن سحر النبي ﷺ لا يقدر في نبوته قط؛ لأننا نجد أن موسى عليه السلام سحر من نفس نوع السحر الذي تعرض له النبي ﷺ وهو سحر التخييل... يدل على ذلك قوله ﷺ عن سحر موسى عليه السلام : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ (طه 66).

سحر موسى سحر تخيل، والنبي ﷺ كان يخيل إليه أنه أتى زوجاته ولم يأتين

يبقى السؤال: هل موسى ليس برسول لأنه سحر...!؟

ثم إن أيوب عليه السلام مسه الشيطان بنصب وعذاب؛ قال ﷺ عنه لنبيه ﷺ : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ (ص 41).

يبقى السؤال: هل أيوب ليس بنبي؟ لأن الشيطان مسه بنصب وعذاب أي: قام الشيطان بإيذائه...؟!

خامساً : إن سحر النبي ﷺ فيه دلالة واضحة على صدق نبوته ﷺ لوجهين :

الأول : جاء عند ابن سعد في الطبقات الكبرى الجزء الثاني صفحة 198: أن أخت لبيد بن الأعصم قالت : " إن يكن نبياً فسيخبر، وإن يك غير ذلك فسوف يدلّه هذا السحر حتى يذهب عقله فيكون بما نال من قومنا وأهل ديننا، فدلّه الله عليه " .

نلاحظ من النص: وقوع الشق الأول: " إن يكن نبياً فسيخبر " .

وعليه اتساءل: أليس هذا دليل واضح على صدق نبوته ﷺ بشهادة أخت الساحر نفسها ؟
الجواب: بلى .

الثاني: فيه تساولين:

السؤال الأول : جاء في الحديث أن النبي ﷺ دعا ربه فشفاه الله ﷻ، وجاء الملكان فاخبراه أن الذي سحره هو لبيد بن الأعصم ، وأخبراه عن مكان السحر، فهو ﷺ الذي أرسل أصحابه ﷺ ليستخرجوا السحر من المكان الذي وضع فيه كما جاء في الحديث، وعليه أتساءل عدة تساؤلات:

1. من الذي أخبره ﷺ أن الذي سحره هو لبيد بن الأعصم ؟

الجواب: إنهما الملكان.

2 . ومن الذي أخبره ﷺ أنه سحر؟

الجواب: إنهما الملكان .

3 . ومن أخبره بمكان السحر؟

الجواب: إنهما الملكان.

4 . أليس من دلائل النبوة أن الله ﷻ يستجيب لدعاء نبيه كما جاء في الحديث؟

الجواب : بلى ، وقد استجاب الله ﷻ لدعائه ﷺ فشفاه .

السؤال الثاني : إن النبي ﷺ فك السحر بقراءة المعوذتين لما أنزلهما الله ﷻ عليه حينما سحر ، فكلما قرأ النبي ﷺ كلما انحلت عقده ؛ أليس هذا دليلاً على أن القرآن كلام الله ﷻ ؛ لأنه أبطل عمل الشياطين (السحر) ، ودليلاً على أن محمداً ﷺ نبي من عند الله يوحى إليه بحق ؟

الجواب: بلى .

سادساً: إن قيل : إن سورة الفلق مكية ، والسحر كان في المدينة فهل هذا تعارض !

قلت: إن القرطبي - رحمه الله - نقل عن ابن عباس و قتادة في تفسيره لسورة الفلق أنها مدنية ، والسحر كان في المدينة ، وعليه يزول الإشكال - بفضل الله ﷻ - .

سابعاً: إن النبي ﷺ حياته أسوة لأمته قال ﷺ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب 21) .

فالسحر من الابتلاءات التي تعرض لها النبي ﷺ كما هو حال الأنبياء قبله ؛ ثبت في مسند أحمد برقم 25832 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ " .

تعليق شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح لغيره وهذا إسناد حسن.

وعليه : فمن أصيب بهذا المرض من هذه الأمة فليتأسى بالنبي ﷺ يدعو الله ، ويقرأ المعوذتين ، وغيرهما ، ولا يذهب إلى ساحر ، أو كاهن ؛ ثبت عن نبينا ﷺ في مسند أحمد برقم 9171 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ " .

تعليق شعيب الأرناؤوط : حسن رجاله ثقات رجال الصحيح.

ثامناً: إن هذا الحديث ردّ على المشركين الذين قالوا عن النبي ﷺ أنه ساحر: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ (يونس 2) .

وأتساءل : هل هناك ساحرٌ ويسحر - سبحان الله- ...؟!

تاسعاً: إن هذا الحديث دليلٌ على كذبِ المعترضين والمستشرقين عندما قالوا: إن السنة النبوية قد وضعها أصحابُ النبي ﷺ ليثبتوا أنه نبيٌّ ، وأنه كامل في كل صفاته ، وأوصافه....

قلتُ : لو كان كلامهم صحيحاً لحذف الصحابة عليهم السلام هذا الحديث ، ولم ينقلوه إلينا ؛ لأن فيه إساءة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم -على حد زعمهم وفهمهم - أليس كذلك ؟
الجواب: بلى.

كذلك هو رد على من يقول: إن المسلمين يصححون الأحاديث إذا كانت فيها منقبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويضعفون الأحاديث إذا كان فيها إساءة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.....

قلتُ : إن هذا الحديث صحيح رغم أنه شبهة بالنسبة لهم ضدنا... وقد نسفناها نسفاً - بفضل الله عز وجل - .

عاشراً: إن الأناجيل ذكرت أن الشيطان تسلط على يسوع أربعين يوماً ... وذلك في إنجيل متى ابتداءً من الإصحاح الرابع عدد 1 إلى 11 حيث كان الشيطان يجرب يسوع ، ويأخذه إلى حيث شاء فينقاد له ، فتارة يأخذه إلى المدينة المقدسة ، و يوقفه على جناح الهيكل، وتارة يأخذه إلى جبل عال جداً....¹ ثم أُنْصِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرِّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. ²فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ آخِرًا. ³فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرَّبُ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هَذِهِ الْحَجَارَةُ خُبْزًا». ⁴فَأَجَابَ وَقَالَ: «مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ». ⁵ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ، ⁶وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلٍ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلَائِكَتَهُ بِكَ، فَعَلَى أَيْدِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لَا تَصُدَّمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ». ⁷قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «مَكْتُوبٌ أَيْضًا: لَا تُجَرِّبَ الرَّبَّ إِلَهَكَ». ⁸ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، ⁹وَقَالَ لَهُ: «أُعْطَيْكَ هَذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي». ¹⁰حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ». ¹¹ثُمَّ تَرَكَهُ إِبْلِيسُ، وَإِذَا مَلَائِكَةُ قَدْ جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدُمُهُ " .

قلتُ: إن المعترضين يعتقدون أن يسوع إلهٌ ، وبحسب ما ذكرته هذه النصوص نجد أن الشيطان جرب الإله !

واتساءل :

1- هل كان الشيطان يعلم أنه يُجرب الإله الذي خلقه، وأوجده ، وأخرجه من الجنة.....؟!

2- كيف يُجرب شيطانُ إلهاً ويصعد به إلى الجبل فيأمره أن يلقي بنفسه من على الجبل...؟! هل يستحق هذا الإله أن يعبد بعد أن جربه شيطان...؟!
النص يقول: "10 حينئذ قال له يسوع: « اذهب يا شيطان! لأنه مكتوب: لِلرَّبِّ إِلَهَكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ " ؟!

2- هل الإله يُجرب من قبل شيطان؟ ومن المعلوم أن الإله لا يجرب بحسب ما جاء في الكتاب المقدس ؛ **لدليلين:**

الأول: قول يسوع: "مكتوبٌ أيضاً : لَا تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلَهَكَ" .

الثاني: ما جاء في رسالة يعقوب إصحاح 1 عدد 13 "لَا يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ: «إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ»، لِأَنَّ اللَّهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ، وَهُوَ لَا يُجَرِّبُ أَحَدًا. 14 وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا انْجَذَبَ وَانْخَدَعَ مِنْ شَهْوَتِهِ".

فهل يسوع إله بعد أن جربه الشيطان...؟!؟

ثم إنني اتساءل : هل للشيطان سلطان على بعض أنبياء الكتاب المقدس...؟!؟

قلت: إن الجواب على ذلك يكون في الإصحاح الأول من سفر أيوب عدد 8 "فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ جَعَلْتُ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الْأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللَّهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ». 9 فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «هَلْ مَجَانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللَّهَ؟ 10 أَلَيْسَ أَتُكِّسُكَ سِجِّتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟ بَارَكْتَ أَعْمَالَ يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي الْأَرْضِ. 11 وَلَكِنْ ابْسِطْ يَدَكَ الْآنَ وَمَسَّ كُلُّ مَا لَهُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ». 12 فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هُذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ، وَإِنَّمَا إِلَيْهِ لَا تَمُدُّ يَدَكَ». ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ الرَّبِّ".

ونقرأ أيضاً في الإصحاح الثاني من سفر أيوب 2 عدد 3 "فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ جَعَلْتُ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الْأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ. وَإِلَى الْآنَ هُوَ مُتَمَسِّكٌ بِكَمَالِهِ، وَقَدْ هَيَّجْتَنِي عَلَيْهِ لِأَبْتَلَعَهُ بِلَا سَبَبٍ». 4 فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «جُلْدٌ بَجِلْدٍ، وَكُلُّ مَا لِلْإِنْسَانِ يُعْطِيهِ لِأَجْلِ نَفْسِهِ. 5 وَلَكِنْ ابْسِطِ الْآنَ يَدَكَ وَمَسَّ عَظْمَهُ وَلَحْمَهُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ». 6 فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَا هُوَ فِي يَدِكَ، وَلَكِنْ احْفَظْ نَفْسَهُ». 7 فَخَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ، وَضَرَبَ أَيُّوبَ بِقُرْحٍ رَدِيٍّ مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ إِلَى هَامَتِهِ. 8 فَأَخَذَ لِنَفْسِهِ شَقَقَةً لِيَحْتَكَّ بِهَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي وَسْطِ الرَّمَادِ".

نلاحظ من النصوص السابقة: أن الشيطان استأذن الرب في إهلاك وتعذيب أيوب ، فأذن له الرب بذلك...

رد شبهة: نبي يسجد للأصنام (قصة الغرائق) !

زعم بعضهم أنهم تركوا الإسلام من أجل قصة الغرائق فإن قلنا لأحدهم : وماذا تعرفون عن قصة الغرائق ؟!

يقولون : إن نبيكم تكلم الشيطان على لسانه ، فمدح الأصنام ثم سجد لها ... وقال : " تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى " ، وسجد المسلمون لسجوده ، والمشركون أيضاً

والدليل على ذلك ما ذكره المفسرون في الآية التي تقول: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الحج 52).

ذكر المفسرون : أن محمداً ﷺ لما كان في مجلس من مجالس قريش أنزل الله عليه سورة النجم فقرأها حتى بلغ قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ (21) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴿ 20 ﴾ فألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمناه وهو " تلك الغرائق العلى وإن شفا عتهن لترتجى " . فلما سمعت قريش فرحوا به ومضى محمد ﷺ في قراءته فقرأ السورة كلها ، وسجد في آخرها وسجد المسلمون بسجوده ، كما سجد جميع المشركين. وقالوا : لقد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر. وقد عرفنا أن الله يحيي ويميت ولكن آلهتنا تشفع لنا عنده....

فهل بعد هذه القصة يصح أن نقول على محمد بأنه رسول من عند الله ؟!

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذه القصة قصة باطلة مكنوبة لا يعترف بها المسلمون... هذا واضح من أقول العلماء كما يلي:

1- قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره عن هذه القصة قبل ذكرها : قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ، ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ، ولكنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم . اهـ

نلاحظ : أن ابن كثير قال : " لم أرها مسندة من وجه صحيح " .

2- قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره بعد أن ذكر هذه القصة قال: ضعف الحديث مغن عن كل تأويل ، والحمد لله. ومما يدل على ضعفه أيضاً وتوهينه من الكتاب قوله تعالى: " وإن كادوا ليفتنونك " [الإسراء 73] الآيتين، فإنهما تردان الخبر الذي رواه، لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري، وأنه لولا أن ثبت له كان يركن إليهم. فمضمون هذا ومفهومه أن الله تعالى عصمه من أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلاً فكيف كثيراً؟! وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم ، وأنه قال - عليه الصلاة والسلام - : افتريت على الله وقلت ما لم يقل. وهذا ضد مفهوم الآية، وهي تضعف الحديث لو صح، فكيف ولا صحة له؟! وهذا مثل قوله تعالى: " ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت

طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء " (النساء 113).

3- سئل ابن خزيمة- رحمه الله- عن هذه القصة فقال : " من وضع الزنادقة ".
الفخر الرازي في «مفاتيح الغيب» (23 / 44).

4 - قال البيهقي - رحمه الله- : "هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ".
الطبيبي في شرح مشكاة المصابيح (3 / 4).

4- قال ابن حزم- رحمه الله- : " والحديث الذي فيه : وأنهن الغرائيق العلا ، وإن شفاعتهن لترتجى . فكذب بحت لم يصلح ... من طريق النقل ولا معنى للاشتغال به ، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد". الفصل في الملل والأهواء والنحل (2 / 311).

6- قال ابن عطية: «وهذا الحديث الذي فيه (هن الغرائقة) وقع في كتب التفسير ونحوها، ولم يدخله البخاري ولا مسلم، ولا ذكره في علمي مصنف مشهور، بل يقتضي مذهب أهل الحديث أن الشيطان ألقى، ولا يعينون هذا السبب ولا غيره، ولا خلاف أن إلقاء الشيطان إنما هو لألفاظ مسموعة بها وقعت الفتنة».

فتح الباري، لابن حجر (8 / 293).

بمثّل ما سبق : قال النووي ، والقاضي عياض ، الشوكاني ، والألوسي ، والنحاس ، و
البيزاري ، وابن العربي ، والمحققون من أهل العلم ، مثل: العالم الرياني محمد نصر الدين
الألباني الذي ألف رسالة بعنوان: (نصب المجانيق لنسف قصه الغرائيق) وقد دمر القصة
سنداً ومنتناً تدميراً، وأحيل المعترضين إلى قراءتها فمنها بعض ما سبق بيانه.

ثانياً : إن النبي ﷺ معصومٌ في تأدية الرسالة ، وهذا مجمع عليه عند أهل العلم لعدة
أدلة منها :

1- زكاه ربه ﷻ في رسالته فقال: ﴿ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (النجم 4) .

2- قوله ﷺ : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا
بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾
(المائدة 67).

4- قوله ﷺ : ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا
يُوحَى إِلَيَّ ﴾ (يونس 15).

3- قوله ﷺ عن نبيه ﷺ : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴾ 44 ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ
بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ 45 ﴿ (الحاقة).

هذا الوعيد لم يحدث للنبي ﷺ قط ...

وبالتالي فإنه ﷺ أدى الأمانة وبلغ الرسالة ﷺ على أكمل وجه ...

ثم إن الشرك محرم على الأنبياء فلا تجد نبياً مشركاً؛ يقول ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَ لِجِبْطُنْ عَمَلِكْ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65)﴾ (الزمر).
ثالثاً: إن النبي ﷺ لم يحترم الأصنام في الجاهلية ، ولم يُعرف عنه أنه تقرب لصنم قط ،
وقد كسر النبي ﷺ في فتح مكة ثلاثمائة وستين صنماً

واتسأعل : فكيف يوقرها وهو رسول من عند الله ﷻ !؟

أو كيف يتركه ربه ﷻ يسجد للأصنام بحسب هذه القصة الموضوعة ؟!

الجواب: إن محمداً ﷺ هو من أمر بطمس الأصنام ، وتغير معالمها ... ثبت ذلك في
صحيح مسلم برقم 1609 عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ قَالَ : قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : "
أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا تَدْعَ تَمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا
إِلَّا سَوَيْتَهُ".

رابعاً: إن قيل بعد هذه الإجابة : لماذا ذكر المفسرون القصة في تفاسيرهم وهي مكدوبة ؟

قلتُ: إن منهج الكثيرين من المفسرين يأتون بكل ما قيل عن الآية ، وما يتعلق بها ثم
يحققون بعد ذلك كما فعل ابن كثير و القرطبي ، وغيرهما مع هذه القصة (الغرائيق)
ذكروها ثم بينوا أنها لا تصح لتحذير المسلمين منها ، ومنهم من يجمع ولا يحقق ويأتي

أهل التحقيق بعد ذلك يحققون كالألباني ، وأحمد شاكر ، وغيرهما - رحمهما الله - وهذا من باب الثراء العلمي عند المفسرين القدامى يجمعون كل ما قيل عن الآية.....

يدلل على ذلك ما قاله الطبري في مقدمة تاريخه لما قال: فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستكره قارئه أو يستشنع سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهها في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ؛ وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا.. اهـ

خامساً: إن قيل : القصة مذكوبة كما قلتم ، فما هو معنى الآية التي ذكر المفسرون تحتها (قصة الغرانيق) ؟

قلتُ: إن القرآن الكريم أعظم من أن يفسر على وجه واحد ؛ هناك تفسيران للآية الكريمة :

التفسير الأول: قوله ﷻ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحج 52).

تمنى أي: اشتهى وهي من الأمنية التي جاءت من قوله ﷻ : ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ (النجم 24).

فالنبي ﷺ تمنى واشتهى هداية قومه فكان الشيطان عائقاً في دعوة النبي ﷺ فهو يوسوس للناس، ويزين لهم الباطل، ويكرهمهم في النبي ﷺ، وفي القرآن بوساوسه لهم وبعد ذلك ينسخ الله ﷻ ما يلقي الشيطان في قلوب الناس ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم.

التفسير الثاني: قال بعض المفسرين : (تمنى) أي : تلا كتاب الله ، والمعنى : أن النبي ﷺ حينما يتلو كتاب الله يلقي الشيطان على أسماع الكفار الوسواس والشبهات في قلوبهم ضد القرآن عند تلاوة النبي ﷺ ؛ فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ، ولا يلقي الشيطان على لسان النبي ﷺ كما جاء في القصة المكدوبة ، وهذا ما ذكره القرطبي عن سليمان بن حرب ، وما حكاه ابن عطية عن أبيه عن علماء الشرق، وقاله ابن العربي وغيرهم .

يدعم ما سبق الآية التي تليها؛ يقول ﷻ : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (الحج 53).

اتسأ عل سؤالين:

الأول: هل محمد ﷺ من الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ، وقد قال ﷻ له : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء 107) ،

وقال ﷻ في حقه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران 159)؟!

الثاني: هل محمد ﷺ من الظالمين الذين هم في شقاقٍ بعيدٍ؟! والله ﷻ يقول له : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نُّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الشورى 52).

ويقول ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (المؤمنون 73) ؟!

الجواب: إن محمداً ﷺ ليس من الظالمين الكافرين ، بل يدعو الخلق إلى صراطٍ مستقيم .

وبالتالي فإن الآيات تتحدث عن إلقاء الشيطان على أسماع وقلوب الكافرين، وليس على لسان النبي ﷺ ..

سادساً: إن هناك سؤالاً يفرض نفسه هو: هل لو سجد النبي ﷺ للأصنام . وحاشاه ذلك ﷺ . هل هذا يقدر في نبوته نظراً لمعايير النبوة في الكتاب المقدس ؟!

الجواب: لا يقدر ذلك في نبوته؛ لأن الكتاب المقدس نسب إلى بعض أنبياء الله السجود للأصنام، مثل: سليمان عليه السلام الذي نسب إليه الكتاب أنه في آخر حياته مال للأصنام، وذبح لها بسبب النساء.... وذلك في سفر الملوك الأول إصحاح 11 عدد 1¹ "وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بَنَاتِ فِرْعَوْنَ: مُوَابِيَّاتٍ وَعَمُونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ 2 مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمْ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «لَا تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لِأَنَّهُمْ يَمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ». فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهَؤُلَاءِ بِالْمَحَبَّةِ. 3 وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِائَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلَاثُ مِائَةٍ مِنَ السَّرَّارِيِّ، فَأَمَلَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ. 4 وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلَهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. 5 فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتَوْرَثَ إِلَهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَمَلَكُومَ رِجْسِ الْعَمُونِيِّينَ. 6 وَعَمَلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ، وَلَمْ يَتَّبِعِ الرَّبَّ تَمَاماً كَدَاوُدَ أَبِيهِ. 7 حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ

مُرْتَفَعَةً لِكَمْوُشَ رِجْسِ الْمُوَابِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهُ أُورُشَلِيمَ، وَلِمَوْلِكَ رِجْسِ بَنِي عَمُّونَ.⁸ وَهَكَذَا فَعَلَ لَجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوقِدْنَ وَيَذْبَحْنَ لِآلِهَتِهِنَّ.⁹ فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لِأَنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَرَأَى لَهُ مَرَّتَيْنِ،¹⁰ وَأَوْصَاهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنَّ لَا يَتَّبِعَ آلِهَةً أُخْرَى، فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ.¹¹ فَقَالَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ: «مَنْ أَجَلَ أَنْ ذَلِكَ عِنْدَكَ، وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِي الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي أُمَرِّقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْزِيقًا وَأَعْطِيهَا لِعَبْدِكَ.¹² إِلَّا إِنِّي لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَيَّامِكَ، مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ أَبِيكَ، بَلْ مِنْ يَدِ ابْنِكَ أُمَرِّقُهَا.»¹³ عَلَى أَنِّي لَا أُمَرِّقُ مِنْكَ الْمَمْلَكَةَ كُلَّهَا، بَلْ أُعْطِي سِبْطًا وَاحِدًا لِابْنِكَ، لِأَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي، وَلِأَجْلِ أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا". !

فإن قيل: إن سليمان ليس نبياً !

قُلْتُ: إن هذا من الكذب نُسِبَتْ له أسفار في العهد القديم مثل : سفر نشيد الإنشاد ، وسفر الجامعة ، وسفر الأمثال.

ثم كيف لا يكون نبياً وقد كلمه الله مرتين وأوصاه وذلك في سفر الملوك الأول الإصحاح 11 عدد⁹ "فغضب الربُّ على سليمان لأنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَرَأَى لَهُ مَرَّتَيْنِ،¹⁰ وَأَوْصَاهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ لَا يَتَّبِعَ آلِهَةً أُخْرَى، فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ". ؟!

ونحن نبرأ إلى الله ﷻ مما وصف به ﷺ فالقرآن يقول عنه ﷺ : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ (البقرة 102) .

ونسب الكتاب المقدس إلى النبي هارون أنه صنع العجل الذهبي وهو صنم ، وأمر بني إسرائيل بعبادته وذلك في سفر الخروج 32 عدد¹ "وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمْ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لِأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». ²فَقَالَ لَهُمْ هَارُونَ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا». ³فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. ⁴فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالْإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». ⁵فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونَ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونَ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ». ⁶فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلَامَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلْعِبَادَةِ !"

قُلْتُ : إن القرآن الكريم أخبر أن الذي صنع العجل الذهبي هو السامري رجل من السامريين ، وليس هارون النبي ﷺ فهو نبي مكرم عند المسلمين اصطفاه الله رب العالمين ﷻ .

والأعجب أن الكتاب المقدس نسب إلى الرب أنه يأمر الناس بعبادة الأصنام !

جاء ذلك في سفر حزقيال 20 عدد 39 "أَمَّا أَنْتُمْ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، فَهَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: اذْهَبُوا اعْبُدُوا كُلَّ إِنْسَانٍ أَصْنَامَهُ. وَبَعْدُ إِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لِي فَلَا تَتَجَسَّسُوا اسْمِي الْقُدُّوسَ بَعْدَ بَعْطَايَاكُمْ وَبِأَصْنَامِكُمْ". ! لا تعليق !

رد شبهة: نبي يتلقى الوحي من شيطان ابيض !

أثيرت شبهة يقول أصحابها: إن محمداً رسول الإسلام تلقى الوحي عن طريق شيطان أبيض، وليس جبريل... والدليل على ذلك ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره : أن شيطانا يقال له الأبيض أتى النبي ﷺ على صورة جبريل عليه السلام وألقى إليه بعض الكلمات

الرد على الشبهة

أولاً: إن ادعاءهم فاسد من جهة العقل والنقل؛ فأما من جهة العقل: فالعقل يطلب أسئلة حول هذا الادعاء... هم يقولون: إن هناك شيطانا كان يوحي للنبي ﷺ ...

السؤال الأول : ل هناك شيطان يأمر نبياً أن يستعذ بالله من الشيطان قبل كل قراءة القرآن وغير ذلك ؟

الجواب: لا؛ يقول ﷺ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98)﴾ (النحل).

ويقول ﷺ : ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98)﴾ (المؤمنون).

السؤال الثاني: ل هناك شيطان يأمر نبياً أن ينهى العباد عن عبادة الشيطان ، ويأمر بطاعة الرحمن...؟!

الجواب: نبي الشيطان يأمر بعبادة الشيطان، ولا يدعو للرحيم الرحمن ... القرآن الكريم يقول كما يلي:

1- قوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (168) (البقرة).

2- قوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (208) (البقرة).

3- قوله ﷻ: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (27) (الأعراف).

3- قوله ﷻ: ﴿ قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (5) (يوسف).

5- قوله ﷻ: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (60) (يس).

6- قوله ﷻ: ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (62) (الزخرف).

7- قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (6) (فاطر).

السؤال الثالث: هل هناك نبي يوحى إليه من شيطان، ثم يخبر أن هذا الشيطان ملعون ، ويستعيز به ، وعلم أتباعه الاستعاذة من مكائده.....؟

الجواب: لا؛ دلت أحاديث كثيرة على ضد ذلك منها:

1- صحيح البخاري كتاب (الأدب) باب (الحذر من الغضب) برقم 5650 عن سليمان بن صرد قال: استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس وأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه فقال النبي ﷺ: "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم". فقالوا للرجل: "ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ"؟ قال: "إني لست بمجنون".

2- سنن أبي داود كتاب (الصلاة) باب (فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد) برقم 394 عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: "أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم" قال: أقط؟ قلت: نعم قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان: "حفظ مني سائر اليوم".

3- سنن أبي داود كتاب (الصلاة) باب (من رأى الاستفتاح سبحانه اللهم وبحمدك) برقم 658 عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كبر ثم يقول: "سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك"، ثم يقول: "لا إله إلا الله ثلاثا ثم يقول: الله أكبر كبيرا ثلاثا أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ثم يقرأ".

5- سنن الترمذي كتاب (تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ) باب (ومن سورة البقرة) برقم 2914 عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "إن للشيطان لمةً بابن آدم وللملك لمةً فأما لمة الشيطان فيأعد بالشر وتكذيب بالحق وأما

لَمَّةُ الْمَلَكِ فَأَيَّعَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصَدِّقُ بِالْحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ
فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ الْآخَرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَرَأَ: {
الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ} الْآيَةَ.

6- سنن ابن ماجه كتاب (تعبير الرؤيا) باب (من رأى رؤيا يكرهها) برقم 3899
عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قال: "الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا
رأى أحدكم شيئا يكرهه فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان
الرجيم ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه".

أما من جهة النقل فهذا ما سوف أثبتته - إن شاء الله-....

ثانياً : إن الفخر الرازي - رحمه الله - قد رد هذا بعد أن نقله في معرض نفيه لقصة
الغرائق ، فقال في تفسيره(47/ 12): " وهذا القول لا يرغب فيه مسلم ؛ لأنه يقتضي أنه
ﷺ ما كان يميز بين الملك المعصوم والشيطان الخبيث " ؟ . اهـ

ويبقى السؤال : كيف يُنسب هذا للفخر الرازي وهو الذي يرده ، وينفيه عن رسول الله
!؟....

قلتُ: وعلى ما سبق قال بذلك المفسرون، وهذا بطلان ادعائهم من جهة النقل

فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد التالي :

1- قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره : وقد قال ابن عباس: إن شيطاناً يقال له الأبيض كان قد أتى رسول الله ﷺ في صورة جبريل عليه السلام وألقى في قراءة النبي ﷺ : " تلك الغرائق العلا، وأن شفاعتهن لترتجي " .

وهذا التأويل وإن كان أشبه مما قبله فالتأويل الأول عليه المعول، فلا يعدل عنه إلى غيره لاختيار العلماء المحققين إياه، وضعف الحديث مغن عن كل تأويل، والحمد لله.

ومما يدل على ضعفه أيضاً وتوهينه من الكتاب قوله تعالى : " وإن كادوا ليفتنونك " [الإسراء 73] الآيتين ، فإنهما تردان الخبر الذي رواه، لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري، وأنه لولا أن ثبته لكان يركن إليهم . فمضمون هذا ومفهومه أن الله تعالى عصمه من أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلاً فكيف كثيراً، وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم ، وأنه قال ﷺ : افتريت على الله وقلت ما لم يقل. وهذا ضد مفهوم الآية، وهي تضعف الحديث لو صح، فكيف ولا صحة له . وهذا مثل قوله تعالى : " وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ " [النساء 113] . اهـ

2- قال الواحدي النيسبوري - رحمه الله - في تفسيره : ثم إنها باطلة أم لا فيه وجهان : أما الأول ففيه طريقان : أحدهما قول ابن عباس في رواية أن « شيطاناً » يقال له الأبيض أتاه على صورة جبريل وألقاها إليه فقرأها فلما سمع المشركون ذلك أعجبهم فجاء جبريل واستعرضه فقرأها ، فلما بلغ إلى تلك الكلمة أنكر عليه جبريل فقال : إنه أتاني آتٍ على صورتك فألقاها على لساني . وثانيهما أنه لشدة حرصه على إيمان القوم أدخل هذه الكلمة من تلقاء نفسه ثم رجع عنها . والطريقان منحرفان عند المحققين، لأن الأول يقتضي أن النبي لا يفرق بين الملك والمعصوم والشيطان الخبيث . والثاني أنه يؤدي إلى كونه خائناً في الوحي . وأما الوجه الثاني فتصحيحه أنه أراد بالغرائق الملائكة ، وقد كان قرآناً منزلاً في وصف الملائكة فلما توهم المشركون أنه يريد آلهتهم نسخ الله تلاوته . أو هو في

تقدير الاستفهام بمعنى الإنكار ، أو المراد بالإثبات ههنا النفي كقوله { يبين الله لكم أن تضلوا } [النساء 176] . اهـ

3- قال صاحب كتاب اللباب في علوم القرآن - رحمه الله - أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى : 775هـ) : قال ابن عباس في رواية عطاء : إن شيطاناً يقال له الأبيض أتاه على صورة جبريل وألقى عليه هذه الكلمة فقرأها فلما سمع المشركون ذلك أعجبهم ، فجاءه جبريل فاستعرضه ، فقرأ السورة ، فلما بلغ إلى تلك الكلمة . قال جبريل عليه السلام : أنا ما جئتُك بهذا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أَتَانِي آتٍ عَلَى صُورَتِكَ فَأَلْقَاهُ عَلَى لِسَانِي ». الطريق الثاني : قال بعض الجهال : إنه عليه السلام لشدة حرصه على إيمان القوم أدخل هذه الكلمة من عند نفسه ، ثم رجع عنها . وهذان القولان لا يرغب فيهما مسلم ألبتة ، لأن الأول يقتضي أنه عليه السلام ما كان يميز بين الملك المعصوم والشيطان الخبيث . والثاني يقتضي أنه كان خائناً في الوحي ، وكل واحد منهما خروج عن الدين . اهـ

أنوه : بأنني لما طالعت كتب السنة لم أجد ذكراً أبداً للشيطان الأبيض هذا مما يؤكد لنا بطلان تلك الرواية....

ثالثاً : إن هذه الشبهة تشبه الشبهة التي أقيت على المسيح عليه السلام من الفريسيين لما قالوا عن يسوع إنه يخرج الشياطين ؛ لأنه زعيم الشياطين (ببعلزول)، أو أنه يتلقى منه تعاليم ... وقد دفع المسيح عليه السلام هذه الشبهة عن نفسه فهذا من باب الابتلاء الذي يقع على الأنبياء.....

وذلك في إنجيل متى اصحاح 12 عدد 24²⁴ "أَمَّا الْفَرِيسِيُّونَ فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «هَذَا لَا يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلَّا بِبَعْلَزْيُولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ» .²⁵ **فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «كُلُّ مَمْلَكَةٍ**

مُنْقَسِمَةً عَلَى ذَاتِهَا تُخْرَبُ، وَكُلُّ مَدِينَةٍ أَوْ بَيْتٍ مُنْقَسِمٍ عَلَى ذَاتِهِ لَا يَثْبُتُ.²⁶ فَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ يُخْرِجُ الشَّيْطَانَ فَقَدْ انْقَسَمَ عَلَى ذَاتِهِ. فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَمْلَكَتُهُ؟²⁷ وَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يُخْرِجُونَ؟ لِذَلِكَ هُمْ يَكُونُونَ قُضَاةً!²⁸ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللَّهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللَّهِ!²⁹ أَمْ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَ الْقَوِيِّ وَيَنْهَبَ أَمْتَهُ، إِنْ لَمْ يَرِبْطِ الْقَوِيُّ أَوَّلًا، وَحِينَئِذٍ يَنْهَبُ بَيْتَهُ؟³⁰ مَنْ لَيْسَ مَعِيَ فَهُوَ عَلَيَّ، وَمَنْ لَا يَجْمَعُ مَعِيَ فَهُوَ يُفَرِّقُ". لَا تَعْلِقْ!

رد شبهة: نبي يتقرب للرجز (الأصنام) !

بعد أن قمتُ بالردِّ على شبهة قصة الغرائيق الواهية ، وبيّنتُ أنها مكذوبة ، وموضوعة ؛ كان الردُّ من أحدهم سلمت لك بذلك ، فماذا عن هذه الآية التي تقول : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ (المدثر 5) ؟

فقلتُ له : وماذا تعرف أنت عن الآية الكريمة؟

قال: نحن لا نفسر من أنفسنا بل نقول ما جاء في التفسير، والتفاسير تقول: (الرجز) أي: الأصنام والأوثان فاهجر، فهل كان نبيُّك يتقربُ إلى الأصنام، ويعظمها... أم أن قصة الغرائيق صحيحةٌ ولذلك قال له ربُّه : "والرجز فأهجر"؟!

الرد على الشبهة

أولاً: إن شبهة الغرائيق سبق الرد عليها فهي قصةٌ مكذوبةٌ ، وموضوعةٌ لا يعترف بها المسلمون كما تقدم معنا - بفضلِ الله ﷻ - .

ثانيًا : إن معنى (الرجز) في الآية الكريمة هو كما قال المفسرون : الأصنام والأوثان ، ومعنى قوله سبحانه لنبيه : " والرجز فأهجر " أي : دم واستمر على هجرك للأصنام والأوثان ، وليس المعنى كما فهم المعترض...

و كم من عائبٍ قولًا صحيحًا *** وآفته من الفهم السقيم .

يدلل على ذلك ما جاء في كتب التفاسير منها ما يلي:

1- تفسير الجلالين : " والرُّجْز " فَسَّرَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْأَوْثَانِ " فَأَهْجَرَ " أَي : دُمَّ عَلَى هَجْرِهِ . اهـ

2- التفسير الميسر: يا أيها المتغطي بثيابه ، قم من مضجعك، فحذر الناس من عذاب الله ، وخص ربك وحده بالتعظيم والتوحيد والعبادة، وطهر ثيابك من النجاسات ؛ فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن ، ودُمَّ على هَجْرِ الأصنام والأوثان وأعمال الشرك كلها، فلا تقربها ، ولا تُعطِ العطية ؛ كي تلتمس أكثر منها ، ولمرضاة ربك فاصبر على الأوامر والنواهي . اهـ

ثالثًا: كان على المعترض أن يرجع إلى السابق واللاحق للآية الكريمة قبل عرضه للشبهة ..

الآيات برمتها في سورة المدثر تقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7) ۝ ﴾ .

إن الآيات وصايا من الله ﷻ لنبيه ﷺ ، وهذا ما جاء في التفسير الميسر - كما تقدم معنا -
فالملاحظ أن المعترضين اقتطعوا الآية الكريمة من الآيات ، وجعلوها شبهة ، وهذا يدل
على مدى حقه وكرامته لنبينا ﷺ وعدم إنصافه في بحثه الخال عن منهجية البحث
العلمي !

رابعاً: إن الناظر في كتب المفسرين يجدها لم تقل: إن النبي ﷺ كان يتقرب للأصنام،
ويعظمها كما قال المعترض ؛ فهذا يدل على كذبه أو سوء فهمه إن أحسنت به الظن

واتسأل: هل ثبت أن النبي ﷺ تقرب للأصنام وعظمها، وحياته صفحة يعرفها كل إنسان
على مر العصور من زمانه إلى زماننا ؟

الجواب : لا ، بل الثابت أن النبي ﷺ كسر الأصنام يوم فتح مكة ، وكان يوصى علياً عليه السلام
أن لا يدع صنماً إلا طمس وجهه ولا قبراً مشرفاً إلا سواه ، وذلك في صحيح مسلم باب
(الأمر بتسوية القبر) برقم 1609 عَنْ أَبِي الْهَيْجَاسِ الْأَسَدِيِّ قَالَ : قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ : " أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ أَنْ لَا تَدَعَ تِمْنَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا
قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ " .

فعلى ما سبق بيانه أتضح لنا : أن معنى قوله ﷻ لنبيه ﷺ : " والرجز فأهجر " أي : دم
يا محمد ﷺ واستمر على هجرك للأصنام والأوثان

وبالمثال يتضح المقال :

أولاً: حينما يقول الوالدُ لابنه الصغير الذي يطيع ربّه ويصاحب الأبرار ولا يعرف الفجار فيقول له إياك ومصاحبة الفجار فهل المعنى أنه يصاحب الفجار؟!

الجواب: لا، ولكن المعنى: دم واستمر على مصاحبتك للأبرار وبعّدك عن الفجار أصحاب السوء.

ثانياً: حينما يدخل المدرسُ في الفصلِ ويجدُ التلاميذَ في هدوءٍ تامٍ، ثم يقول لهم: التزموا الهدوءَ فهل هم لا يلتزمون الهدوءَ، أم أن المعنى استمروا على هدوئكم في الفصل؟! هذا هو.

ثالثاً: لما قال لقمانُ لابنه: ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان 13) .

هل كان ابنُ لقمان مشركاً بالله ﷻ ؟

الجواب: لا؛ وإنما هي نصيحةٌ، ووعظ له؛ لأن الشركَ أعظم الكبائر على الإطلاق.....

خامساً: إن الكتابَ المقدسَ في العهدِ القديمِ يذكر لنا ما قاله اللهُ لموسى في الوصايا العشر: " لا تقتل، لا تزني، لا تسرق..... وهي أيضاً من وصايا المسيح ﷺ في العهد الجديد.

فهل المعنى أن موسى ﷺ كان يزني فقال اللهُ له: " لا تزني " ؟ !

وهل المعنى أن موسى ﷺ كان يقتل فقال اللهُ له: " لا تقتل " ؟!

أو كان يسرق ﷺ فقال اللهُ له: " لا تسرق " ؟! أفلا يعقلون ؟!

جاءت هذه الوصايا في موضعين :

الأول: سفر الخروج إصحاح 23 عدد 12 "أَكْرِمُ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ. ¹³ لَا تَقْتُلْ. ¹⁴ لَا تَزْنِ. ¹⁵ لَا تَسْرِقْ. ¹⁶ لَا تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةً زُورَ. ¹⁷ لَا تَشْتَهَ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لَا تَشْتَهَ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلَا عَبْدَهُ، وَلَا أَمَتَهُ، وَلَا ثَوْرَهُ، وَلَا حِمَارَهُ، وَلَا شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ".

الثاني: إنجيل متى إصحاح 19 عدد 16 "وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيُّ صَالِحٍ أَعْمَلُ لَتَكُونَ لِي الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ؟» ¹⁷ فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا». ¹⁸ قَالَ لَهُ: «أَيَّةُ الْوَصَايَا؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. ¹⁹ أَكْرِمُ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». ²⁰ قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مِنْذُ حَدَاتِي. فَمَاذَا يُعْوزُنِي بَعْدُ؟".

رد شبهة: نبيُّ كاد أن يفتن !

من شبهاتهم أنهم قالوا: إن محمداً رسول الإسلام كاد أن يفتن ... استدلووا على ذلك بقوله ﷺ: «وَأِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا ﴿73﴾ وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَاكَ لَقَدْ كَدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿74﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿75﴾» (الإسراء).

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذه الآية من الآيات التي تدل على أن القرآن ليس من تأليف النبي ﷺ ؛ لأن فيها عتاب له ﷺ من ربه ﷻ ؛ فلو كان محمد ﷺ هو الذي كتب القرآن لم يكن ليعتاب نفسه ﷺ أليس كذلك !؟

ثانياً: ذكر المفسرون في سبب نزول الآية روايات منها : ما جاء في تفسير الطبري عن سعيد بن جبير أنه قال : كان النبي ﷺ يستلم الحجر الأسود في طوافه ، فمنعته قريش وقالوا : لا ندعك تستلم حتى تلم بالهتنا .. . فأبى الله ﷻ ذلك ، وأنزل عليه هذه الآية . وروى بسنده عن عطاء عن ابن عباس قال : نزلت في وفد ثقيف ، أتوا النبي ﷺ فسألوه شططا ، وقالوا : متعنا بالهتنا سنة حتى نأخذ ما يهدى لها . وحرّم وادينا كما حرمت مكة ، حتى تعرف العرب فضلنا عليهم . . . فنزلت هذه الآية . اهـ بتصرف .

وقال الدكتور سيد طنطاوي - رحمه الله - في تفسيره :

قوله ﷻ : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِينَا إِلَيْكَ لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾ (الإسراء: 73) .

وإن شأن هؤلاء المشركين أنهم قاربوا في ظنهم الباطل ، وزعمهم الكاذب ، أن يخدعوك ويفتوك - أيها الرسول الكريم - عما أوحينا إليك من هذا القرآن ، لكي تفتري علينا غيره ، وتتقول علينا أقوالاً ما أنزل الله بها من سلطان . وقوله ﷻ : ﴿ وَإِذَا لَأَتَّخِذُوكَ خَلِيلاً ﴾ بيان لحالهم مع الرسول ﷺ لو أنه أطاعهم فيما اقترحوه عليه .

والمعنى: لو أنك - أيها الرسول الكريم - وافقتهم على مقترحاتهم الفاسدة لأحبوا ذلك منك ، و صاروا أصدقاء لك في مستقبل أيامك . وقد بين القرآن الكريم في كثير من آياته ، أن الرسول ﷺ أعرض عن مقترحاتهم ورفضها ، ولم يلتفت إليها ، ومن ذلك قوله ﷻ : ﴿ وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ (يونس) . ثم بيّن ﷺ بعض مظاهر فضله على نبيه ﷺ فقال : ﴿ وَلَوْلَا أَن تَبْتَئَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْنًا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء74). أي: ولولا تنبئتنا إياك - أيها الرسول الكريم - على ما أنت عليه من الحق والصدق، بأن عصمناك من كيدهم لقاربت أن تميل ميلاً قليلاً، بسبب شدة احتيالهم وخداعهم قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ معصوماً، ولكن هذا تعريف للأمة لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين في شيء من أحكام الله تعالى وشرائعه. اهـ بتصرف.

إذا: ما استجاب النبي ﷺ لهم ، ولكن هم فقط ؛ لقوله ﷺ : " وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ " أي: هموا ، والهم : أي المقاربة للشيء دون القيام به أو الوقوع فيه ، ولا يعتبر معصية ، ولا أثم عليه ، وهو مما وضع عن هذه الأمة

تدل على ذلك أدلة منها:

1- صحيح البخاري برقم 6171 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا وَسَوَسَتْ أَوْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمْ " .

2- سنن أبي داود برقم 1888 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ ، أَوْ تَعْمَلْ بِهِ وَبِمَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا " .

تحقيق الألباني : صحيح أبي داود برقم 1915.

وعليه: فإن مفاد نسف هذه الشبهة في فهم معنى كلمتين هما : كادوا ، ولولا

كادوا: أي : هموا و " الهمّ " أي : المقاربة لشيء دون القيام به أو الوقوع فيه....

لولا: حرف امتناع لوجود فمقاربة الركون في الآية منعها { لولا } الإمتناعية لوجود التثبیت من الله ﷻ .

أقول مثلاً: شربت الشايّ لولا أن انكسر الكوب فهل المعنى أنني شربت الشاي ؟ الجواب : لا ، لم أشربه

ويتضح معنى الكلمتين أيضا من آيتين شبيهتين بالآية التي معنا هما :

1- قوله ﷻ : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۚ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (القصص 10).

والمعنى أنها قاربت أن تظهر أنه ابنها لولا أن ثبتها الله ، فصبرت ولم تبد به ؛ لتكون من المؤمنين بوعده الله الموقنين به.

وعليه قد بطلت الشبهة - بفضل الله ﷻ - .

2- قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (24) (يوسف).

والمعنى: لولا أن رأى برهان ربّه لهم بها فلاية تنفى وقوع الهمّ من يوسف ﷻ ...

ثالثاً: إن الكتاب المقدس ذكر لنا أن نبياً من أنبيائه هو هارون عليه السلام حاول قومه إضلاله ، وفتنته فسمع لهم ، وعمل على طلبهم فصنع عجلاً ذهبياً صنماً يعبد من دون الله ، وأمر بني إسرائيل بعبادته

وذلك في سفر الخروج إصحاح عدد¹ وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمْ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لِأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». ² فَقَالَ لَهُمْ هَارُونَ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَتُونِي بِهَا». ³ فَفَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. ⁴ فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالْإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عَجْلاً مَسْبُوكاً. فَقَالُوا: «هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدْتِكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». ⁵ فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونَ بَنَى مَذْبَحاً أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونَ وَقَالَ: «غداً عِيدٌ لِلرَّبِّ». ⁶ فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرِقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلَامَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلْأَكْلِ وَالشَّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلْعِبَادَةِ. لا تعليق !

رد شبهة: هل رأى نبي الإسلام ربه أم لا ...؟

تساءلوا قائلين: إن هناك تناقضاً في السنة حول رؤية محمد رسول الإسلام لربه أم لا ؟ واستدلوا على ذلك بما جاء في الآتي :

1- سنن الدارمي برقم 2204 أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُبَارَكِ حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ الْجَلَّاجِ وَسَأَلَهُ مَكْحُولٌ أَنْ يُحَدِّثَهُ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَائِشٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ " قَالَ : فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ فَقُلْتُ : أَنْتَ أَعْلَمُ يَا رَبِّ. قَالَ : فَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفِي فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيِي فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ». وَتَلَا (وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ).

قال حسين سليم أسد : هذا من أحاديث الصفات التي علينا أن نؤمن بها ونجريها على ظاهرها من غير تمثيل أو تشبيه أو تأويل . إسناده صحيح إذا ثبتت صحة عبد الرحمن بن عائش .

2- صحيح مسلم برقم 261 عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: " سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ " ؟ .
قَالَ : "نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الحديث الأول فيه أن الرؤية كانت رؤيا مناميه ، وليست رؤية عين ...
دليل ذلك ما جاء في سنن الترمذي برقم 3158 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَبِّ وَسَعْدَيْكَ قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى قُلْتُ رَبِّ لَا أَدْرِي فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقُلْتُ لَبَّيْكَ رَبِّ وَسَعْدَيْكَ قَالَ :فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى قُلْتُ: فِي الدَّرَجَاتِ وَالْكَقَارَاتِ وَفِي نَقْلِ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ وَإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَمَنْ يُحَافِظُ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ وَكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.

قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ قَالَ وَفِي الْبَابِ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَائِشٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِطَوِيلِهِ، وَقَالَ : إِنِّي نَعَسْتُ فَاسْتَقَلْتُ نَوْمًا فَرَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ : فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟.

نلاحظ جملة : " أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ " . وهذا يدل على أن الرؤية كانت منامية...

نلاحظ من كلام الترمذي أن النبي ﷺ كان نائماً : وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ بِطَوِيلِهِ وَقَالَ إِنِّي نَعَسْتُ فَاسْتَقَلْتُ نَوْمًا فَرَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟

قلت : وهو في سنن الترمذي برقم 3159 عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ .

ثانياً: إن النبي ﷺ لم ير ربه بالعين المجرد في اليقظة حتى لما عرج به ﷺ لم ير ربه... تدلل على ذلك أدلة منها :

1- صحيح مسلم برقم 262 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ: لِأَبِي ذَرٍّ لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ فَقَالَ : عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ أَلْ: أَبُو ذَرٍّ قَدْ سَأَلْتُ فَقَالَ : " رَأَيْتُ نُورًا " .

3- صحيح مسلم برقم 261 عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: " سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ " قَالَ : " نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ " .

والمعنى: كيف أراه وقد منعني النور من رؤيته...

4- صحيح البخاري برقم 2995 عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : " مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقَهُ سَادًّا مَا بَيْنَ الْأَفْقِ " .

4- سنن النسائي الكبرى برقم 11535 عن بن عباس : في قوله : { ما كذب الفؤاد ما رأى } قال : رآه بقلبه . وقال محمد بن العلاء : { ما كذب الفؤاد ما رأى } قال : رأى محمد ﷺ ربه بقلبه مرتين .

وأما رؤية الله ﷻ فقد ادخرها ﷺ للمؤمنين في الجنة ليكون ذلك أعظم نعيمها .. ولم يشأ أن يرى في الدنيا ؛ لأنه لو ظهر لنا في الدنيا لصار نعيم الآخرة في الدنيا قبل الآخرة ... دليل ذلك الآتي :

1- قوله ﷺ : ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (35) (ق) .

جاء في التفسير الميسر : لهؤلاء المؤمنين في الجنة ما يريدون ، ولدينا على ما أعطيناهم زيادة نعيم ، أعظمه النظر إلى وجه الله الكريم . اهـ

2- قوله ﷺ : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (26) (يونس) .

جاء في التفسير الميسر : للمؤمنين الذين أحسنوا عبادة الله فأطاعوه فيما أمر ونهى ، الجنة ، وزيادة عليها ، وهي النظر إلى وجه الله تعالى في الجنة ، والمغفرة والرضوان ، ولا يغطي وجوههم غبار ولا ذلة ، كما يلحق أهل النار . هؤلاء المتصفون بهذه الصفات هم أصحاب الجنة ماكنون فيها أبداً . اهـ

3- قوله ﷺ : "إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا " . (الطبراني في السنة عن أبي أمامة) . أخرجه النسائي في الكبرى (419/4 ، رقم 7764) .

إِذَا مِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ يَزُولُ إِشْكَالُ الْمَعْتَرِضِينَ - بِفَضْلِ اللَّهِ ﷻ - .

ثالثاً : إن الكتاب المقدس ذكر أن الله لا يراه أحد أبداً، وهذا يؤيد ما سبق بيانه... جاء ذلك في الآتي :

1- سفر الخروج إصحاح 33 عدد 17¹⁷ " فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هَذَا الْأَمْرُ أَيْضًا الَّذِي تَكَلَّمْتَ عَنْهُ أَفْعَلُهُ، لِأَنَّكَ وَجَدْتَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيَّ، وَعَرَفْتُكَ بِاسْمِكَ». ¹⁸ فَقَالَ: «أَرِنِي مَجْدَكَ». ¹⁹ فَقَالَ: «أُجِيزُ كُلَّ جُودَتِي قُدَّامَكَ. وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ. وَأَتَرَأَّفُ عَلَى مَنْ أَتَرَأَّفُ، وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ".

2- إنجيل يوحنا إصحاح 1 عدد 8 "الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبرلاً أحد يرى الله".

3- إنجيل يوحنا إصحاح 5 عدد 37 والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته".

رد شبهة: نبي لا يتق الله !

قالوا : إن من نواقض عصمة الأنبياء هي : أن لا يتق النبي المرسل ربّه ... وهذا قدحٌ شديدٌ في نبوة نبيكم أيها المسلمون فهو لا يتق الله...

وتعلقوا على ذلك بقول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (1) (الأحزاب).

الرد على الشبهة

أولاً: إن محمداً ﷺ كان أعظم عبد اتق الله، ولم تعرف البشرية رجلاً حقق العبودية مثل محمد ﷺ ... دليل ذلك ما يلي :

1- صحيح البخاري باب { لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } برقم 4460 عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَمْ تَصْنَعْ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ: " أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا " .

3- صحيح مسلم باب (إِكْثَارِ الْأَعْمَالِ وَالِاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ) برقم 5046 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرِ رِجْلَاهُ قَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ: " يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا " .

3- صحيح البخاري برقم 4675 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بَيْوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟ " أَمَا وَاللَّهِ

إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَّقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ ، وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي ، وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي .

نلاحظ : قوله ﷺ : " أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَّقَاكُمْ لَهُ " .

ثانياً: إن المعترضين لم يرجعوا لتفسير الآية ، وما يعتقد به المسلمون في هذه الآية وغيرها...

وعلى كل فإن معنى قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ أي : دم على تقوى ربك ، واجتهد أكثر في تقواه ... جاء ذلك في عدة تفاسير منها :

1- تفسير الجلالين : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ " دُمَ عَلَى تَقَوَاهُ " وَلَا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ " فِيمَا يُخَالِفُ شَرِيعَتَكَ " إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا " بِمَا يَكُونُ قَبْلَ كَوْنِهِ " حَكِيمًا " فِيمَا يَخْلُقُهُ . اهـ

2- التفسير الميسر: يا أيها النبي دُم على تقوى الله بالعمل بأوامره واجتتاب محارمه ، وليقتد بك المؤمنون؛ لأنهم أحوج إلى ذلك منك ، ولا تطع الكافرين وأهل النفاق. إن الله كان عليماً بكل شيء، حكيماً في خلقه وأمره وتدبيره . اهـ

3- تفسير البغوي : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ } أي : دُم على التقوى، كالرجل يقول لغيره وهو قائم: قم ها هنا، أي: اثبت قائماً. وقيل الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الأمة. وقال الضحاك: معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم. اهـ

4- تفسير الألوسي : وظاهر سياق ما بعد أن المعنى بالأمر بالتقوى هو النبي ﷺ لا أمته كما قيل في نظائره والمقصود الدوام والثبات عليها ، وقيل : الازدياد منها فإن لها باباً واسعاً وعرضاً عريضاً لا ينال مداه { وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ } أي المجاهرين بالكفر { والمنافقين } المضمرين لذلك فيما يريدون من الباطل. اهـ

5- تفسير المنتخب: يا أيها النبي: استمر على ما أنت عليه من تقوى الله، ولا تقبل رأياً من الكافرين والمنافقين، إن الله محيط علماً بكل شيء ، حكيم في أقواله وأفعاله . اهـ

إذاً من خلال ما سبق تبين للمعترضين مدى جهلهم وقلة اطلاعهم...

ثالثاً: إنني أوضح لهم أكثر من خلال ما جاء في كتابهم المقدس... الكتاب المقدس ذكر لنا ما قاله الله ﷻ لموسى ﷺ في الوصايا العشر: " لا تقتل ، لاتزن ، لا تسرق... " وهي أيضاً من وصايا المسيح ﷺ في العهد الجديد. فهل المعنى أن موسى ﷺ كان يزني فقال الله له : " لا تزن " ؟ ! وهل المعنى أن موسى ﷺ كان يقتل فقال الله له : " لا تقتل " ؟ ! أو كان يسرق فقال الله له : " لا تسرق " ؟ ! أفلا يعقلون ؟ !

جاءت هذه الوصايا في موضعين :

الأول: سفر الخروج إصحاح 23 عدد 12¹² أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لَكِي تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ. 13¹³ لَا تَقْتُلْ. 14¹⁴ لَا تَزْنِ. 15¹⁵ لَا تَسْرِقْ. 16¹⁶ لَا تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةً زُورَ. 17¹⁷ لَا تَشْتَهَ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لَا تَشْتَهَ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلَا عَبْدَهُ، وَلَا أَمَتَهُ، وَلَا ثَوْرَهُ، وَلَا حِمَارَهُ، وَلَا شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ».

الثاني: إنجيل متى إصحاح 19 عدد 16¹⁶ وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيِّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لَنَكُونُ لِي الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ؟» 17¹⁷ فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا». 18¹⁸ قَالَ لَهُ: «أَيُّهُ الْوَصَايَا؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. 19¹⁹ أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». 20²⁰ قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مِنْذُ حَدَاتِي. فَمَاذَا يُعْزِرُنِي بَعْدُ؟»..

رابعاً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه على المعترضين هو : هل لو لم يتق النبي الله في رسالته وغيرها هل هذا يقدر في نبوته بحسب معايير النبوة في الكتاب المقدس؟

الجواب: لا يقدر ذلك في نبوته؛ لأن الكتاب نسب لنبي أنه لم يتق الله ، وخالف أمر ربه... وذلك في سفر الملوك الأول إصحاح 13 عدد 11¹¹ "وَكَانَ نَبِيٌّ شَيْخٌ سَاكِنًا فِي بَيْتِ إِيلَ، فَأَتَى بَنُوهُ وَقَصُّوا عَلَيْهِ كُلَّ الْعَمَلِ الَّذِي عَمِلَهُ رَجُلُ اللَّهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ فِي بَيْتِ إِيلَ، وَقَصُّوا عَلَى آبَائِهِمُ الْكَلَامَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ إِلَى الْمَلِكِ. 12¹² فَقَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: «مَنْ أَيُّ طَرِيقٍ ذَهَبَ؟» وَكَانَ بَنُوهُ قَدْ رَأَوْا الطَّرِيقَ الَّذِي سَارَ فِيهِ رَجُلُ اللَّهِ الَّذِي جَاءَ مِنْ يَهُوذَا. 13¹³ فَقَالَ لِبَنِيهِ: «شَدُّوا لِي عَلَى الْحِمَارِ». فَشَدُّوا لَهُ عَلَى الْحِمَارِ فَرَكِبَ عَلَيْهِ 14¹⁴ وَسَارَ وَرَاءَ رَجُلِ اللَّهِ، فَوَجَدَهُ جَالِسًا

تَحْتَ الْبَلُوطَةِ، فَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ رَجُلُ اللَّهِ الَّذِي جَاءَ مِنْ يَهُودَا؟» فَقَالَ: «أَنَا هُوَ». ¹⁵ فَقَالَ لَهُ: «سِرْ مَعِيَ إِلَى النَّبِيِّ وَكُلْ خُبْزًا». ¹⁶ فَقَالَ: «لَا أَقْدِرُ أَنْ أَرْجِعَ مَعَكَ وَلَا أَدْخُلَ مَعَكَ وَلَا أَكُلْ خُبْزًا وَلَا أَشْرَبُ مَعَكَ مَاءً فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، ¹⁷ لِأَنَّهُ قِيلَ لِي بِكَلَامِ الرَّبِّ: لَا تَأْكُلْ خُبْزًا وَلَا تَشْرَبْ هُنَاكَ مَاءً. وَلَا تَرْجِعْ سَائِرًا فِي الطَّرِيقِ الَّذِي ذَهَبْتَ فِيهِ». ¹⁸ فَقَالَ لَهُ: «أَنَا أَيْضًا نَبِيٌّ مِثْلَكَ، وَقَدْ كَلَّمَنِي مَلَاكَ بِكَلَامِ الرَّبِّ قَائِلًا: أَرْجِعْ بِهِ مَعَكَ إِلَى بَيْتِكَ فَيَأْكُلْ خُبْزًا وَيَشْرَبْ مَاءً». كَذَبَ عَلَيْهِ. ¹⁹ فَارْجَعَ مَعَهُ وَأَكَلَ خُبْزًا فِي بَيْتِهِ وَشَرِبَ مَاءً. ²⁰ وَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عَلَى الْمَائِدَةِ كَانَ كَلَامُ الرَّبِّ إِلَى النَّبِيِّ الَّذِي أَرْجَعَهُ، ²¹ فَصَاحَ إِلَى رَجُلِ اللَّهِ الَّذِي جَاءَ مِنْ يَهُودَا قَائِلًا: «هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ خَالَفْتَ قَوْلَ الرَّبِّ وَلَمْ تَحْفَظِ الْوَصِيَّةَ الَّتِي أَوْصَاكَ بِهَا الرَّبُّ إِلَهُكَ، ²² فَارْجَعْتَ وَأَكَلْتَ خُبْزًا وَشَرِبْتَ مَاءً فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَكَ: لَا تَأْكُلْ فِيهِ خُبْزًا وَلَا تَشْرَبْ مَاءً، لَا تَدْخُلْ جُنَّتَكَ قَبْرَ آبَائِكَ». ²³ ثُمَّ بَعْدَمَا أَكَلَ خُبْزًا وَبَعْدَ أَنْ شَرِبَ شَدَّ لَهُ عَلَى الْحِمَارِ، أَيِ لِلنَّبِيِّ الَّذِي أَرْجَعَهُ، ²⁴ وَانْطَلَقَ. فَصَادَفَهُ أَسَدٌ فِي الطَّرِيقِ وَقَتَلَهُ. وَكَانَتْ جُنَّتُهُ مَطْرُوحَةً فِي الطَّرِيقِ وَالْحِمَارُ وَقَفَ بِجَانِبِهَا وَالْأَسَدُ وَقَفَ بِجَانِبِ الْجُنَّةِ. ²⁵ وَإِذَا بِقَوْمٍ يَعْبرُونَ فَرَأَوْا الْجُنَّةَ، مَطْرُوحَةً فِي الطَّرِيقِ وَالْأَسَدُ وَقَفَ بِجَانِبِ الْجُنَّةِ. فَاتَّوَا وَأَخْبَرُوا فِي الْمَدِينَةِ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ الشَّيْخُ سَاكِنًا بِهَا. ²⁶ وَلَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ الَّذِي أَرْجَعَهُ عَنِ الطَّرِيقِ قَالَ: «هُوَ رَجُلُ اللَّهِ الَّذِي خَالَفَ قَوْلَ الرَّبِّ، فَدَفَعَهُ الرَّبُّ لِلْأَسَدِ فَافْتَرَسَهُ وَقَتَلَهُ حَسَبَ كَلَامِ الرَّبِّ الَّذِي كَلَّمَهُ بِهِ». ²⁷ وَكَلَّمَ بَنِيهِ قَائِلًا: «شُدُّوا لِي عَلَى الْحِمَارِ». فَشَدُّوا. ²⁸ فَذَهَبَ وَوَجَدَ جُنَّتَهُ مَطْرُوحَةً فِي الطَّرِيقِ، وَالْحِمَارُ وَالْأَسَدُ وَقَفَيْنِ بِجَانِبِ الْجُنَّةِ، وَلَمْ يَأْكُلِ الْأَسَدُ الْجُنَّةَ وَلَا افْتَرَسَ الْحِمَارُ. ²⁹ فَارْفَعَ النَّبِيُّ جُنَّةَ رَجُلِ اللَّهِ وَوَضَعَهَا عَلَى الْحِمَارِ وَارْجَعَ بِهَا، وَدَخَلَ النَّبِيُّ الشَّيْخُ الْمَدِينَةَ لِيَنْدِبَهُ وَيُدْفِنَهُ ³⁰ فَوَضَعَ جُنَّتَهُ فِي قَبْرِهِ وَنَاحُوا عَلَيْهِ قَائِلِينَ: «أَهْ يَا أَخِي». ³¹ وَبَعْدَ دَفْنِهِ إِيَّاهُ كَلَّمَ بَنِيهِ قَائِلًا: «عِنْدَ وَفَاتِي ادْفِنُونِي فِي الْقَبْرِ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَجُلُ اللَّهِ. بِجَانِبِ عِظَامِهِ ضَعُوا عِظَامِي " !.

وذكر الكتاب المقدس أن هارون النبي كان لا يتقي الله، وذلك لأن الله حرم صنع

الأصنام كما جاء في سفر الخروج إصحاح 20 عدد 23 " لا تصنعوا معي آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب " .

فلم يتق الله هذا النبي وصنع العجل الذهبي الإله من وذهب وخالف أمر الرب
وذلك في سفر الخروج إصحاح 32 عدد¹ "وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ
مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمْ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ
أَمَامَنَا، لِأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا
أَصَابَهُ». فَقَالَ لَهُمْ هَارُونَ: «انزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ
وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا». فَفَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَاتُّوا بِهَا
إِلَى هَارُونَ. فَآخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالْإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا.
فَقَالُوا: «هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدْتِكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». فَلَمَّا نَظَرَ
هَارُونَ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونَ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ». فَبَكَّرُوا فِي
الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلَامَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ
قَامُوا لِلْعِبِّ! لا تعليق !

رد شبهة: نبي ينسى ما نزل عليه من الكتاب !

شكك بعضهم في عصمة رسول الله ﷺ وفي الأصل الذي قامت عليه كتابة القرآن الكريم
وجمعته، وهو حفظه ﷺ للقرآن بدعوى جواز النسيان في حقه ﷺ ...

واستدلوا على ذلك بالآتي :

1- قوله ﷺ: ﴿سَنَقْرُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (الأعلى 29) .
زعموا أن الآيات تدل - بطريق الاستثناء - على أن محمداً ﷺ قد أسقط عمداً، أو أنسى
آيات ...

3- صحيح البخاري برقم 4654 عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: سَمِعَ النَّبِيَّ
ﷺ قَارِئًا يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: " يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً
أَسْقَطْتُهَا مِنْ سُورَةٍ كَذَا وَكَذَا " .

3- صحيح البخاري برقم 4650 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي
سُورَةٍ بِاللَّيْلِ فَقَالَ: " يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً كُنْتُ أَنْسِيْتُهَا مِنْ سُورَةٍ كَذَا وَكَذَا
" .

زعموا أن النبي ﷺ أسقط عمداً بعض آيات القرآن ، أو أنسيها

الرد على الشبهة

أولاً: إن المسلمين يعتقدون أن النبي ﷺ بشرٌ، وليس إلهاً فهو ينسى كما ينسى البشر، وهذا
شأن كل الأنبياء - عليهم السلام-.... يدل على ذلك ما يلي :

1- آدم ﷺ : " وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنِي " (طه 115) .

2- موسى ﷺ: " قَالَ لَا تَأْخُذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تَرْهَقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا " (الكهف 73)

3- موسى ويوشع - عليهما السلام- : " فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا " (الكهف 61) .

4- يوشع عليه السلام : " قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا " (الكهف 63).

5- قوله ﷺ لنبيه ﷺ : " وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (24) " (الكهف)
ثم إن البشر جميعاً ينسون فما سُمي الإنسان إنساناً إلا لأنه كثير النسيان ؛ فسبحان الله الذي لا ينسي ...

قال ﷺ : " لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى " (طه 52) .

وقال ﷺ : " وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا " (مريم 64).

ثانياً: إن استدلال المعترضين بالآيات الكريمة التي تدل على جواز نسيان النبي ﷺ لبعض آيات القرآن الكريم استدلال ليس في محله ولا يخدمهم بحال من الأحوال؛ لأنني ألاحظ من قوله ﷺ : ﴿ سَتَقَرُّكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ (الأعلى 29)، وعدٌ عظيم من ربه ﷺ بعدم نسيانه ﷺ لما يقرأه من القرآن الكريم....

ثم إن (لا) في الآية نافية، أي: أن الله ﷻ أخبر نبيه ﷺ بأنه لا ينسى ما أقرأه إياه...

وقيل : (لا) ناهية ، فهي مثل قول لقمان لابنه : " لا تشرك بالله " فهل معني ذلك أنه أشرك ؟!

الجواب: لا ، والأول رجحه القرطبي على أن (لا) في الآية نافية .

وعليه: يصبح معنى الآية: سنعلمك القرآن فلا تنساه؛ فهي تدل على عكس ما أراد المعترضون....

ونلاحظ: أن الاستثناء في الآية معلق على مشيئة الله ﷻ ولم تقع المشيئة بدليل ما جاء في قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۖ ﴾ (القيامة 17).

فإن قيل: ما هي الحكمة من الاستثناء إذا ؟

قلت: إن هناك أقولاً ذكرها العلماء منها ما يلي :

- 1- أن الحكمة من هذا الاستثناء أن يعلم العباد أن عدم نسيان النبي ﷺ القرآن هو محض فضل الله وإحسانه ، ولو شاء ﷻ أن ينسيه لأنساه ، وفي ذلك إشعار للنبي ﷺ أنه دائماً مغمور بنعمة الله وعنايته ، وإشعار للأمة بأن نبيهم لم يخرج عن دائرة العبودية ، فلا يفتنون به كما فتن المعترضون بالمسيح ﷺ وجعلوه إلهاً !.
- 2- أن المراد من الاستثناء نسخ التلاوة لبعض الآيات ؛ فيكون المعنى أن الله ﷻ وعد بأن لا ينسى نبيه ﷻ ما يقرأه ، إلا ما شاء ﷻ أن ينسيه إياه بأن ينسخ تلاوته.

وذلك ما ثبت في كتب التفاسير مثل تفسير أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري يقول : { سنقرئك فلا تنسى } : أي : القرآن فلا تتساه بإذننا . { إلا ما شاء الله } : أي : إلا ما شئنا أن ننسيكه فإنك تتساه وذلك إذا أراد الله تعالى نسخ شيء من القرآن بلفظه فإنه يُنسى فيه رسوله ﷺ . اهـ

وجاء في تفسير زاد المسير لابن الجوزي : {إلا ما شاء الله} أن ينسخه فتتساه ، قاله الحسن ، وقتادة . اهـ

ثالثاً: إن هذا الحديث - محل الاعتراض - لا يخدم مصالح المعترضين لوجهين :

الوجه الأول: إن الآيات التي أنسيها النبي ﷺ ثم ذكرها كانت مكتوبة بين يدي النبي ﷺ ، ولم تنزل آية علي النبي ﷺ إلا قام كتبه الوحي بكتابتها ، وكانت محفوظة في صدور أصحابه ﷺ الذين تلقوها عنه ﷺ ، والذين بلغ عددهم مبلغ التواتر؛ وليس في الخبر إشارة إلى أن هذه الآيات لم تكن مما كتبه كتاب الوحي ، ولا ما يدل على أن أصحاب النبي ﷺ كانوا نسوها جميعاً حتى يخاف عليها الضياع ...

الوجه الثاني: إن روايات الحديث لا تُخبر أن هذه الآيات التي سمعها الرسول ﷺ من أحد أصحابه ﷺ كانت قد مُحيت من ذهنه جملة ؛ بل غاية ما تفيد أنها كانت غائبة عنه ثم ذكرها ، وحضرت في ذهنه بقراءة صاحبه ، وليس غيبة الشيء عن الذهن كمحوه منه ؛ فالنسيان هنا بسبب اشتغال الذهن بغيره أما النسيان التام فهو مستحيل على النبي ﷺ وبهذا قال أهل العلم كما يلي :

1- قال الباقلاني : وإن أردت أنه ينسى مثل ما ينسى العالم الحافظ بالقرآن نسياناً لا يقدر فيه فإن ذلك جائز بعد أدائه وبلاغه . اهـ

2- قال ابن حجر في الفتح : قوله (كُنتَ أَنْسَيْتَهَا) : هِيَ مَفْسَرَةٌ لِقَوْلِهِ " أَسْقَطْتُهَا " فَكَأَنَّهُ قَالَ أَسْقَطْتُهَا نَسِيَانًا لَا عَمْدًا ، وَفِي رِوَايَةٍ مَعْمَرٍ عَنْ هِشَامٍ عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيِّ " كُنتَ نَسَيْتَهَا " بَفَتْحِ الثَّوْنِ لَيْسَ قَبْلَهَا هَمْزَةٌ قَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ : النَّسْيَانُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لِشَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ يَكُونُ عَلَى قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا نَسْيَانُهُ الَّذِي يَتَذَكَّرُهُ عَنْ قُرْبٍ ، وَذَلِكَ قَائِمٌ بِالطَّبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ قَوْلُهُ ﷺ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي السَّهْوِ " إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ " وَالثَّانِي أَنْ يَرْفَعَهُ اللَّهُ عَنْ قَلْبِهِ عَلَى إِرَادَةِ نَسْخِ تِلَاوَتِهِ ، وَهُوَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ بِالْإِسْتِنَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) قَالَ : فَأَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ فَعَارِضٌ سَرِيعُ الرَّوَالِ لظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) وَأَمَّا الثَّانِي فِدَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا) عَلَى قِرَاءَةٍ مِنْ قَرَأَ بِضَمِّ أَوَّلِهِ مِنْ غَيْرِ هَمْزَةٍ . قُلْتُ : وَقَدْ تَقَدَّمَ تَوْجِيهِ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ وَبَيَانُ مَنْ قَرَأَ بِهَا فِي تَفْسِيرِ الْبَقَرَةِ . وَفِي الْحَدِيثِ حُجَّةٌ لِمَنْ أَجَازَ النَّسْيَانُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا لَيْسَ طَرِيقَهُ الْبَلَاغُ مُطْلَقًا ، وَكَذَا فِيمَا طَرِيقَهُ الْبَلَاغُ لَكِنْ بِشَرْطَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ بَعْدَمَا يَقَعُ مِنْهُ تَبْلِيغُهُ ، وَالْآخَرُ أَنَّهُ لَا يَسْتَمِرُّ عَلَى نَسْيَانِهِ بَلْ يَحْصُلُ لَهُ تَذَكُّرُهُ إِمَّا بِنَفْسِهِ وَإِمَّا بِغَيْرِهِ. اهـ

إِذَا : بحسب ما أسلفناه تبين أن المقصود من النسيان هو نسخ التلاوة ، وإن ما نسيه النبي ﷺ كان مما نسخه الله ، ولم يعلم الصحابي بنسخه ثم وقع العلم عند الصحابي بذلك ..

وأقول للمعترضين : إن حفظ القرآن وجمعه ليس مسئولية الرسول ﷺ وليس مسئولية الصحابة ، مثل : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ... ﷺ فالله ﷻ بين في كتابه أنه ﷺ متعهد بحفظه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر9).

وقال ﷺ : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ (16) ﴿ إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ (17) (القيامة16).

رد شبهة: هل كان نبي الإسلام أبتراً ﷺ؟!؟

قالوا: إن التفاسير ذكرت أن نبي الإسلام كان أبتراً مقطوع النسل، والذكر بعد موته... وهذا من تفسير الآية التي تقول: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)﴾ (الكوثر).

الرد على الشبهة

أولاً: إن التفاسير ذكرت أن أحد الكافرين قال: إن النبي ﷺ أبتَر ؛ أي (مقطوع الذكر في الدنيا ، لموت أولاده الذكور) فردَّ الله على الكافرين قولهم بقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)﴾ (الكوثر) .

يدلل على ما سبق ما جاء في الآتي :

1- تفسير ابن كثير: قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد

بن جببر، وقتادة: نزلت في العاص بن وائل. وقال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول: دعوه فإنه رجل أبتَر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره . فأنزل الله هذه السورة.... وقال عكرمة: الأبتَر: الفرد. وقال السُّدِّي: كانوا إذا مات ذكورُ الرجل قالوا: بُتِر. فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا : بتر محمد. فأنزل الله : { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ } وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتَر الذي إذا مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره، وحاشا وكلا بل قد أبقي الله ذكره

على رعوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرا على دوام الآباد، إلى يوم
الحشر والمعاد - صلوات الله وسلامه عليه - دائما إلى يوم التتاد . اهـ

2- تفسير الجلالين : " إِنَّ شَانِئَكَ " أَي : مُبْغُضُكَ " هُوَ الْأَبْتَرُ " الْمُنْقَطِعُ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ ،
أَوْ الْمُنْقَطِعُ الْعَقَبَ ، نَزَلَتْ فِي الْعَاصِي بْنِ وَائِلٍ سَمَّى النَّبِيَّ ﷺ أَبْتَرَ عِنْدَ مَوْتِ ابْنِهِ
الْقَاسِمِ . اهـ

3- تفسير المسير : إن مبغضك ومبغض ما جئت به من الهدى والنور، هو المنقطع
أثره، المقطوع من كل خير . اهـ

إِذَا مِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ تَبَيَّنَ لَنَا : لما مات ابن النبي ﷺ قال أحد الكافرين (الْعَاصِي بْنُ
وَائِلٍ) : إِنْ النَّبِيَّ ﷺ أَصْبَحَ مَقْطُوعَ الذِّكْرِ ؛ أَي : لَنْ يَذْكَرَ بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَرَدَّ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِمْ
قَائِلًا : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ (3) (الكوثر) ، وَقَالَ ﷺ : وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4) (الشرح) .

فها هو النبي ﷺ يعلو ذكره كل يوم، فيذكر اسمه خمس مرات يوميا مع الأذان ...

قال حسان بن ثابت ؓ :

وَضُمَ الْإِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ *** إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيَجْلَهُ *** فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ .

ثانيًا: إن المعترضين يغفلون عن الذي لا نسل له و هو- يسوع المسيح - فلم تذكر الأناجيل أنه كان متزوجًا، وليس له أولاد.... لا تعليق!

رد شبهة: نبيٌ يجرح وينزف دمًا ﷺ !

اعترض أحدهم على ما أصاب رسول الله ﷺ في غزوة أُحُدٍ من جروح، وكسر رباعيته ﷺ
...
قائلًا: لو كان محمدٌ رسول من عند الله لأرسل الله ملائكته بوقايته من الأذى الذي أصابه...

وتعلق بذلك على بعض ما جاء في كتب السيرة منها:

1- دلائل النبوة للبيهقي برقم 1128 أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، قال :
أخبرني أبو النضر الفقيه ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي ، قال : حدثنا
القنبي ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنسٍ أن رسولَ الله ﷺ
كُسرت رباعيته ، وشُج ، فجعل يسלט الدمُ عن وجهه ويقول : « كيف يفلح
قوم شجوا نبيهم ، وكسروا رباعيته ، وهو يدعوهم » ، قال : فأنزل الله ﷻ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ۚ ﴾ .

2- السيرة النبوية لابن كثير (ج3 / ص 75) : ورواه الإمام أحمد ، عن هشيم
ويزيد بن هارون ، عن حميد ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته
وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال: " كيف يفلح قوم فعلوا هذا

بَنِيهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ " فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران : 128] .

الرد على الشبهة

أولاً: إن كسر رباعيته وجروحه ﷻ من الابتلاءات التي يبتلي الله ﷻ بها الأنبياء والصالحين ليزيد بالبلاء أجرهم ، ويرفع به شأنهم ، ويغفر به ذنوبهم ... ولا شك أن محمداً ﷺ من أولي العزم من الرسل الذي صبروا على ما أذوا حتى أتاه نصر الله ﷻ دليل ما سبق ما يلي:

1- قوله ﷻ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (24) (السجدة).

2- قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَاِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (34) (الأنعام).

3- مسند أحمد برقم 1400 حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ : " الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَاءِهِ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ ". تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن .

إِذَا مِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ تَبَيَّنَ لَنَا: أَنْ مَا أَصَابَ نَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ الَّتِي مَا سَلَّمَ مِنْهُ الرِّسْلُ وَالنَّبِيُّونَ ، وَلَيْسَ هُوَ وَحْدَهُ ﷺ مِنْ يُبْتَلَى ... لَا سِوَمَا أَوْلَى الْعِزْمِ مِنَ الرِّسُولِ هُمْ : نُوحٌ ، وَإِبْرَاهِيمُ ، وَمُوسَى ، وَعِيسَى ، وَمُحَمَّدٌ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - .

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الْوَاضِحَ لِي أَنَّ لَا شَبَهَةَ، وَإِنَّهَا نُسِفَتْ نُسْفًا - بِفَضْلِ اللَّهِ ﷻ - .

ثَانِيًا: إِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ وَالتَّارِيخَ الْمَسِيحِي ذَكَرَا إِصَابَةَ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَتْلَ بَعْضِهِمْ....
كَمَا يَلِي :

1- نَبِيُّ اللَّهِ يَحْيَى ﷺ قُتِلَ وَقُطِعَتْ رَأْسُهُ وَقُدِّمَتْ رَخِيصَةٌ عَلَى صَحْنٍ إِرْضَاءً لِرَاقِصَةٍ دَاعِرَةٍ تُدْعَى سَالُومِي فِي مَشْهَدٍ مَأْسَاوِيٍّ مَهِينٍ وَمَخِيفٍ ...

وَيَبْقَى السُّؤَالُ: مَا الَّذِي مَنَعَ الْمَلَائِكَةَ مِنَ التَّدْخُلِ لِحِمَايَةِ نَبِيِّ اللَّهِ يَحْيَى ﷺ مِنْ هَذِهِ الْمَيِّتَةِ الْبِشْعَةِ ؟

2- نَبِيُّ اللَّهِ زَكَرِيَّا بْنُ بَرَخِيَّا ﷺ قُتِلَ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ...

وَيَبْقَى السُّؤَالُ: مَا الَّذِي مَنَعَ الْمَلَائِكَةَ مِنَ التَّدْخُلِ لِحِمَايَةِ نَبِيِّ اللَّهِ زَكَرِيَّا ﷺ مِنْ هَذِهِ الْمَيِّتَةِ الْبِشْعَةِ ؟

2- الْمَسِيحُ ﷺ بِحَسَبِ مَا ذَكَرَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ ، الْبَسُوهُ لِبَاسًا قَرْمَزِيًّا (لِبَاسَ زَانِيَاتٍ) وَضُرِبَ ، وَبَصِقَ فِي وَجْهِهِ ، وَوَضَعُوا أَكْلِيلَ الشُّوكِ عَلَى رَأْسِهِ.... ثُمَّ مَاتَ مَصْلُوبًا مَلْعُونًا؛ لِأَنَّهُ مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ كَمَا ذَكَرَ سَفَرُ التَّثْنِيَةِ (إِصْحَاحُ 21 عَدَدُ

23) ...إنا نحن - المسلمين - لا نؤمن بما ذكرته ، وننزه عن ذلك ، بينما هم يعتقدون أنه إلهاً وهذا الإله ضُرب ، وبُصق في وجهه....

جاء ما ذكرت في إنجيل متى إصحاح 27 عدد 27²⁷ "فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكُتَيْبَةِ،²⁸ فَعَرَّوْهُ وَالْبَسَوْهُ رِدَاءً قَرْمِزِيًّا،²⁹ وَضَفَرُوا إِكْلِيلًا مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ فَذَامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: «السَّلَامُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!»³⁰ وَيَبْصُقُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ.³¹ وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَؤُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَالْبَسَوْهُ ثِيَابَهُ، وَمَضُوا بِهِ لِلصَّلْبِ"....

وأما عن قلبي بأن اللباس القرمزي لباس زانيات فدليله ما جاء في رؤيا يوحنا الإصحاح 17 عدد 3³ "فَمَضَى بِي بِالرُّوحِ إِلَى بَرِّيَّةٍ، فَرَأَيْتُ امْرَأَةً جَالِسَةً عَلَى وَحْشٍ قَرْمِزِيٍّ مَمْلُوءٍ أَسْمَاءَ تَجْدِيفٍ، لَهُ سَبْعَةُ رُؤُوسٍ وَعَشْرَةُ قُرُونٍ.⁴ وَالْمَرَأَةُ كَانَتْ مُتَسَرِّلَةً بِأَرْجَوَانٍ وَقَرْمِزٍ، وَمُتَحَلِّيةً بِذَهَبٍ وَحِجَارَةٍ كَرِيمَةٍ وَلَوْلُؤٍ، وَمَعَهَا كَأْسٌ مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِهَا مَمْلُوءَةٌ رَجَاسَاتٍ وَنَجَاسَاتٍ زِنَاهَا،⁵ وَعَلَى جَبْهَتِهَا اسْمٌ مَكْتُوبٌ: «سِرٌّ». بَابِلُ الْعَظِيمَةِ أُمُّ الرُّوَائِي وَرَجَاسَاتِ الْأَرْضِ".

ثالثاً: إن تعذيب الأنبياء - عليهم السلام - وقتلهم جاء عند المعترض في كتابه المقدس، وعليه فليس هذا ناقض من نواقض النبوة بحسب كتابه المقدس الذي يؤمن به

دليل ذلك ما جاء على لسان يسوع في إنجيل متى إصحاح 24 عدد 9⁹ "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ! لِأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الْأَنْبِيَاءِ وَتَزَيِّنُونَ مَدَافِنَ الصِّدِّيقِينَ،³⁰ وَتَقُولُونَ: لَوْ كُنَّا فِي أَيَّامِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاهُمْ فِي دَمِ الْأَنْبِيَاءِ.³¹ فَانْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الْأَنْبِيَاءِ.³² فَامْلَأُوا أَنْتُمْ مِكْيَالَ آبَائِكُمْ.³³ أَيُّهَا الْحَيَاتُ أَوْلَادَ الْأَفَاعِي

! كَيْفَ تَهْرَبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟ 34 لِذَلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكُتُبَةً، فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصَلِبُونَ، وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ، وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ، 35 لَكِي يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سَفَكَ عَلَى الْأَرْضِ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصَّدِيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ. 36 الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَذَا كُلُّهُ يَأْتِي عَلَى هَذَا الْجِيلِ! 37 «يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادَكَ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاحَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تَرِيدُوا! 38 هُوَذَا بَيْنَكُمْ يَتْرُكُ لَكُمْ خَرَابًا. 39 لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لَا تَرَوْنَنِي مِنَ الْآنَ حَتَّى تَقُولُوا: مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! ". لا تعليق !

رد شبهة: هل أم النبي نجسه ؛ لأنها ماتت مشركة !

تساءلوا ساخرين قالين: هل أم نبي الإسلام نجسة لأنها كانت مشركة....
والقرآن يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (28) ﴾ (التوبة).

الرد على الشبهة

أولاً: إن النجاسة التي ذكرتها الآية المطهرة هي نجاسة معنوية لا حسية؛ نجاسة معتقد وهو (الكفر)، وهذه النجاسة لا تتعلق بالغسل، والوضوء للصلاة ونحو ذلك...
وعليه فإن الكافر نجس نجاسة معنوية نجاسة معتقد فقط ...

جاء في تفسير ابن كثير: أمر تعالى عباده المؤمنين الطاهرين ديناً وذاتاً بنفي المشركين، الذين هم نجس ديناً ، عن المسجد الحرام ، وألا يقربوه بعد نزول هذه الآية. وكان نزولها في سنة تسع ؛ ولهذا بعث رسول الله ﷺ علياً صحبة أبي بكر -رضي الله عنهما- وأمره أن ينادي في المشركين : ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. فأتى الله ذلك، وحكم به شرعاً وقدراً..... وأما نجاسة بدنه فالجمهور على أنه ليس بنجس البدن والذات ؛ لأن الله تعالى أحل طعام أهل الكتاب، وذهب بعض الظاهرية إلى نجاسة أبدانهم . اهـ بتصرف.

ثم إن القرآن الكريم أحل لنا أن نتزوج من نساء أهل الكتاب ونأكل من أكلهم...
يقول ﷺ : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (5) ﴾ (المائدة).

إذا: النجاسة المقصودة هي نجاسة معتقد نجاسة معنوية، وليست النجاسة التي تدور في أذهانهم....

ثانياً: إن أمّ نبيّنا ﷺ من أهل الفترة، ولم تكن مشركة كما زعم المعتضون.... وقد علّمنا النبي ﷺ أن نعمل؛ لأنه لا أحد يحمل ذنب أحد... ثبت ذلك في الصحيحين واللفظ للبخاري برقم 2548 عن أبي هريرة ؓ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ قَالَ : " يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرَوْا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ

الْمُطَلَّبُ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِّينِي مَا شِئْتُ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا " .

فبالنظر إلى الروايات الصحيحة التي جاءت عن مصير أمه ﷺ وجدت أنها من أهل الفترة، وأهل الفترة هم ما بين كل نبيين كانقطاع الرسالة بين عيسى ﷺ ومحمد ﷺ وأهل الفترة يأخذون حكم الكفار في الدنيا لا نستغفر لهم ... ويوم القيامة يختبرون في عراصات القيامة بنار يأمرهم الله ﷻ بدخولها، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها فقد عصى الله ﷻ فهو من أهل النار، وهذا قول جمهور السلف ، حكاه الأشعري عنهم ، وممن قال به محمد بن نصر المروزي ، والبيهقي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ، وابن كثير وغيرهم ...

ثم لم يؤثر في كتب التاريخ أنها تقربت لصنم قط أو قالت كلاماً شركياً تقربت به لغير الله...

يقول ﷺ : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لَتَنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (السجدة 3) .

ويقول ﷺ : ﴿ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴾ (سبأ 44) .

ويقول ﷺ : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء 15) .

إن الروايات تذكر أن محمداً ﷺ سأل ربه ﷻ أن يستغفر لأمه ، فلم يأذن له... وذلك واضح من خلال روايتين هما :

الرواية الأولى : في صحيح مسلم برقم 1621 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي " .

والرواية الثانية : في صحيح مسلم برقم 1622 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وبكى من حوله فقال : " استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت " .

قلتُ : إن هذين الحديثين يدلان على رحمته ﷺ ووفائه ، فإنه بكى حتى أبكى من حوله لبعائه ﷺ ؛ لأنها لم تدركه ﷺ وهو رسول من عند الله ﷻ فتؤمن به

قال النووي - رحمه الله :-

قوله ﷺ : (استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي) فيه جواز زيارة المشركين في الحياة، وقبورهم بعد الوفاة ؛ لأنه إذا جازت زيارتهم بعد الوفاة ففي الحياة أولى ، وقد قال الله ﷻ : ﴿ وصاحبهما في الدنيا معروفاً ﴾ وفيه : التهي عن الاستغفار للكفار .

قال القاضي عياض - رحمه الله - : سبب زيارته ﷺ قبرها أنه قصد قوة الموعظة والذكرى بمشاهدة قبرها ، ويؤيده قوله ﷺ في آخر الحديث : (فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت) .

قوله : (فبكى وبكى من حوله) قال القاضي : بكأوه ﷺ على ما فاتها من إدراك أيامه ، والإيمان به ﷺ . اهـ

قد يقال: ما الحكمة من كون أم النبي ماتت على غير دين محمد ﷺ ؟

قلت: لعل ذلك أحفظ لدين الله ﷻ كي لا تُعبد أمه من دون الله ﷻ كما عُبِدَت أم المسيح من بعض طوائف المسيحية ، مثل : المريمية ، والملكانية....

فإن قيل: هناك حديث يثبت أن أم النبي ﷺ في النار ، وذلك في مسند أحمد برقم 3598 حَدَّثَنَا عَارِمُ بْنُ الْفَضْلِ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ الْبُنَانِيُّ عَنْ عُثْمَانَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ وَالْأَسْوَدِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: جَاءَ ابْنَا مُلَيْكَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَا : إِنَّ أُمَّنَا كَانَتْ تُكْرِمُ الزَّوْجَ وَتَعْطِفُ عَلَى الْوَلَدِ. قَالَ: وَذَكَرَ الضَّيْفَ غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ وَادَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَالَ: أُمُّكُمْ فِي النَّارِ فَأَدْبَرَا وَالشَّرُّ يَرَى فِي وُجُوهِمَا فَأَمَرَ بِهِمَا فَرَدًّا فَرَجَعَا وَالسَّرُورُ يَرَى فِي وُجُوهِمَا رَجِيًّا أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَّثَ شَيْءٌ فَقَالَ : " أُمِّي مَعَ أُمُّكُمْ فِي النَّارِ " .

قلت: إن إسناده ضعيف لا يعتد به ، لضعف عثمان بن عمير فقد ضعفه المحققون منهم :

1- الشيخ شعيب الأرناؤوط قائلًا : " إسناده ضعيف " . اهـ

2- الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة (ج24 / ص740) قال: " منكر " . أخرجه الدارمي في "سننه"(325/2) ، والحاكم (364/2) ، والديلمي

في "مسند الفردوس" (2/81/1) من طريق الصَّعْقِ بْنِ حَزْنٍ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : قِيلَ لَهُ : مَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ ؟ قَالَ : ... فذكره . وقال الحاكم: «صحيح الإسناد وعثمان بن عمير هو: أبو اليقظان» وتعقبه الذهبي بقوله: " لا والله ! فعثمان ضعفه

الدارقطني ، والباقون ثقات". قلت وهو عند الدارقطني أسوأ مما حكاه عنه ، فقد قال البرقاني في "سؤالاته"

(ص 51): "سألته عن عثمان بن عمير أبي اليقظان ؟ فقال : كوفي متروك". ولم يذكر الحافظ في "التهذيب" عن الدارقطني : "كوفي" ، وما أورده في ترجمته من أقوال الأئمة فيه كلها مجمعة على تضعيفه . لكن روى ابن عدي في الكامل" (167/5) عن ابن معين قوله فيه : "ليس به بأس" . وعن يحيى بن سعيد أنه سئل: "كيف حديثه؟" . فقال : "صالح" وقد لخص الحافظ تلك الأقوال بقوله في "التقريب" : "ضعيف ، واختلط ، وكان يدلّس ، ويغلو في التشيع". اهـ

3- جاء في كتاب جامع الأحاديث (ج6/ ص 424) برقم 5465 أمي مع أمكما (أحمد، والبزار ، والطبراني عن ابن مسعود قال جاء ابنا مليكة إلى النبي ﷺ فقالا: إن أمنا كانت تكرم الزوج وتعطف على الولد وتكرم الضيف غير أنها وأدت في الجاهلية قال إن أمكما في النار فأدبرا والسوء في وجهيهما فأمر بهما فرجعا والسرور يرى في وجهيهما رجاء أن يكون قد حدث شيء فذكره) [المناوي] أخرجه أحمد (1/398 ، رقم 3787) ، والبزار (4/339 ، رقم 1534) ، والطبراني (10/80 ، رقم 10017) . وأخرجه أيضاً : الطبراني في الأوسط (3/82 ، رقم 2559) ، والحاكم (2/396 ، رقم 3385) . قال الهيثمي (10/362) : رواه أحمد ، والبزار ، والطبراني ، وفي أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير ، وهو ضعيف . اهـ

إذا من خلال ما سبق تبين لنا: أنها ليست كافرةً مشركةً كما ادعوا بل كانت من أهل الفترة الذي يختبرون في الآخرة، ثم إن الآية نزلت في العام التاسع من هجرته ﷺ ، وليس لها علاقة بمن كان قبل بعثته ﷺ ...

و تتعلق بمنع المشركين من دخول المسجد الحرام...

ثالثاً : إن النجاسة الحقيقية التي تدور في أذهانهم ؛ النجاسة الحسية هي التي كانت على مريم - أم الرب يسوع بحسب إيمانهم - وذلك لأن الكتاب المقدس أخبرنا أن المرأة التي تلد ذكراً تصير نجسة مدة أسبوع ... **وذلك في سفر اللاويين** إصحاح 12 عدد 1¹ **وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً:** ² «كَلَّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: إِذَا حَبَلَتْ امْرَأَةٌ وَوَلَدَتْ ذَكَرًا، تَكُونُ نَجِسَةً سَبْعَةَ أَيَّامٍ. كَمَا فِي أَيَّامِ طَمَثِ عِلَّتِهَا تَكُونُ نَجِسَةً. ³ وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يُخْتَنُ لَحْمُ غُرْلَتِهِ. ⁴ ثُمَّ تُقِيمُ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا. كُلُّ شَيْءٍ مُقَدَّسٍ لَا تَمَسُّ، وَإِلَى الْمُقَدَّسِ لَا تَجِئُ حَتَّى تَكْمَلَ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا. ⁵ وَإِنْ وَلَدَتْ أُنْثَى، تَكُونُ نَجِسَةً أَسْبُوعَيْنِ كَمَا فِي طَمَثِهَا. ثُمَّ تُقِيمُ سِتَّةَ وَسِتِّينَ يَوْمًا فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا.

ويبقى سؤال يطرح نفسه على المعترضين هو : هل مريم - أم الرب يسوع - بحسب معتقدهم كانت نجسة أسبوع لما ولدت يسوع ، أم أن يسوع كان سبباً في نجستها ...؟!

لا تعليق !

والأعجب مما سبق أن سفر اللاويين ذكر لنا مدى نجاسة المرأة... ولا ننسى أن أم الرب يسوع بحسب إيمانهم امرأة (مريم) ... **وذلك في سفر اللاويين** إصحاح 15 عدد 25²⁵ **"وَإِذَا كَانَتْ امْرَأَةٌ يَسِيلُ سَيْلُ دَمِهَا أَيَّامًا كَثِيرَةً فِي غَيْرِ وَقْتِ طَمَثِهَا، أَوْ إِذَا سَالَ بَعْدَ طَمَثِهَا، فَتَكُونُ كُلُّ أَيَّامِ سَيْلَانِ نَجَاسَتِهَا كَمَا فِي أَيَّامِ طَمَثِهَا. إِنَّهَا نَجِسَةٌ. ²⁶ كُلُّ فِرَاشِ تَضَطَّجِعَ عَلَيْهِ كُلُّ أَيَّامِ سَيْلِهَا يَكُونُ لَهَا كَفِرَاشِ طَمَثِهَا. وَكُلُّ الْأَمْتَعَةِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجِسَةً كَنَجَاسَةِ طَمَثِهَا. ²⁷ وَكُلُّ مَنْ مَسَّهَا يَكُونُ نَجِسًا، فَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ".** **لا تعليق !**

رد شبهة: نبيٌ نسبه غير مشرف !

أرادوا الطعن في نسب خير الأنام محمد ﷺ ، وذلك من خلال ما جاء عند ابن سعد في الطبقات وغيره.....

جاء في الجزء الأول من كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد الآتي :
(تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ) قال: حدثنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي قال: حدثني عبد الله بن جعفر الزهري عن عمته أم بكر بنت المسور بن مخرمة عن أبيها قال: وحدثني عمر بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن يحيى بن شبل عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قالا :كانت آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب في حجر عمها وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، فمشى إليه عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بابنه عبد الله بن عبد المطلب أبي رسول الله ﷺ فخطب عليه آمنة بنت وهب فزوجها عبد الله بن عبد المطلب، وخطب إليه عبد المطلب بن هاشم في مجلسه ذلك ابنته هالة بنت وهيب على نفسه فزوجه إياها ، فكان تزوج عبد المطلب بن هاشم وتزوج عبد الله بن عبد المطلب في مجلس واحد ، فولدت هالة بنت وهيب لعبد المطلب حمزة بن عبد المطلب فكان حمزة عم رسول الله ﷺ. اهـ

ثم ذكر في الجزء الثالث هذه القصة التي تتناقض معها في البدرين (طبقات البدرين من المهاجرين) أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال :كان حمزة معلما يوم بدر بريشة نعامة قال محمد بن عمر :وحمل حمزة لواء رسول الله ﷺ في غزوة بني قينقاع ولم يكن الرايات يومئذ، وقتل - رحمه الله- يوم أحد على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وهو يومئذ ابن تسع وخمسين سنة كان أسن من رسول الله ﷺ بأربع سنين . اهـ

تكمّن شبهتهم في أن هذا التناقض يؤدي إلى أن أم الرسول قد أنجبت النبي ﷺ من رجلٍ آخر غير عبد الله بن عبد المطلب بعد أربع سنوات من زواجها ...!

الرد على الشبهة

أولاً: أعجب كل العجب لما يأتي شخص لا وزن له في هذا الزمان يطعن في نسب النبي ﷺ لأبيه في حين أن الكافرين في زمانه ﷺ الذي كانوا يتربصون بالنبي ﷺ الدوائر، وتصيد الأخطاء له ليطعنوا في نبوته قالوا عكس ما ادعى المعترضون....

وذلك في عدة مواضع منها :

1- صحيح البخاري باب (بدء الوحي) برقم 6 حديث أبي سفيان الطويل لما سأل هرقل أبا سفيان وكان كافراً بالنبي ﷺ وقتها نقراً ما قاله أبو سفيان : كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ :كَيْفَ نَسَبُهُ فَيُكْم ؟ قُلْتُ : هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ ... وقال هرقل للترجمان: قُلْ لَهُ : " سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فَيُكْم ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تَبْعُثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا " .

نلاحظ : أن أبا سفيان لم يطعن في نسبه ﷺ أمام الحضور الذين منهم بعض مشركي قريش كما هو حال المنصرين اليوم ، بل مدحه رُغم كفره به ﷺ ، ونلاحظ من شهادة هرقل أن النبي ﷺ رسول من عند الله ذو نسب كشأن الأنبياء قبله

2- مسند أحمد حديث جعفر بن أبي طالب وهو حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ. برقم 21460 قصة حوار النجاشي مع جعفر بن أبي طالب ﷺ في وجود عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة وكانا كافرين بمحمد ﷺ نقراً سوياً ؛ جعفر بن أبي طالب يخاطب

النجاشي قَالَ لَهُ : " أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي
الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسَيِّئُ الْجَوَارِ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِمَّا الضَّعِيفُ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ
اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِمَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ " .

تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن .

نلاحظ من قول جعفر عليه السلام : " نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ " ولم يعترض أحد قط من
الحضور على كلام جعفر عليه السلام رغم كفرهم

3- صحيح مسلم باب (صُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ) برقم 3336 عَنْ الْبَرَاءِ رضي الله عنه
قَالَ: لَمَّا أُحْصِرَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ الْبَيْتِ صَالَحَهُ أَهْلُ مَكَّةَ عَلَى أَنْ يَدْخُلَهَا فَيُقِيمَ بِهَا
ثَلَاثًا وَلَا يَدْخُلَهَا إِلَّا بِجُلْبَانِ السِّلَاحِ السَّيْفِ وَقِرَابِهِ وَلَا يَخْرُجَ بِأَحَدٍ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهَا
وَلَا يَمْنَعُ أَحَدًا يَمْكُثُ بِهَا مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ قَالَ لِعَلِيٍّ : اكْتُبِ الشَّرْطَ بَيْنَنَا بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ الْمُشْرِكُونَ : " لَوْ
نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ تَابَعْنَاكَ وَلَكِنْ اكْتُبِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ..... " .

الشاهد : أن المشركين أنكروا عليه أنه رسول الله ؛ لكنهم لم ينكروا نسبه لأبيه .

4- إن النبي ﷺ دفع هذه الشبهة عن نفسه وكأن الله أعلمه أن المنصرين في زماننا هذا
سيطعنون في نسبه الشريف ﷺ ، وذلك في الحديث الصحيح الذي صححه الألباني في
إرواء الغليل برقم 1914 قال ﷺ : " ولدتُ من نكاحٍ لا من سفاحٍ " .

وفي صحيح الجامع برقم 5535 من حديث عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قال ﷺ : "
خرجتُ من نكاحٍ غيرِ سفاحٍ " .

ثانيًا: إن الروايات التي جاء ت عند ابن سعد في الطبقات ، والتي استدلوا بها على شبهتهم لا يصح إسنادها ؛ لأن الملاحظ من أول السند (حدثنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي) ومدار القصة من طريقه ؛ فالواقدي حديثه غير مقبول عند المحدثين والمحققين ... يتضح ذلك من خلال النظر إلى كتب التراجم كما يلي :

محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي:

قال عنه البخاري : الواقدي مديني سكن بغداد متروك الحديث تركه أحمد وابن نمير وابن المبارك وإسماعيل بن زكريا (تهذيب الكمال مجلد 26 ص 185-186) وفي نفس الصفحة قال أحمد : هو كذاب، وقال يحيى : ضعيف وفي موضع آخر ليس بشيء، وقال أبو داود : أخبرني من سمع من علي بن المديني يقول : روى الواقدي: ثلاثين ألف حديث غريب، وقال أبو بكر بن خيثمة :سمعت يحيى بن معين يقول : لا يكتب حديث الواقدي ليس بشيء ، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت عنه علي بن المديني فقال : متروك الحديث ، وقال أحمد بن حنبل: كان الواقدي يقلب الأحاديث يلقي حديث ابن أخي الزهري على معمر ذا قال إسحاق بن راهويه كما وصف وأشد لأنه عندي ممن يضع الحديث الجرح والتعديل 8/الترجمة 92، وقال علي بن المديني سمعت أحمد بن حنبل يقول : الواقدي يركب الأسانيد تاريخ بغداد 3/13-16، وقال الإمام مسلم: متروك الحديث ، وقال النسائي: ليس بثقة قال (النسائي) في " الضعفاء والمتروكين : "المعروفون بالكذب على رسول الله أربعة الواقدي بالمدينة ومقاتل بخراسان ومحمد بن سعيد بالشام ، وقال الحاكم : ذاهب الحديث ، وقال الذهبي: مجمع على تركه وذكر هذا في مغني الضعفاء 2/ الترجمة 5861 .

وعليه: فإن هذا الراوي متروك الحديث من المعروفين بالكذب. فلا تصدّق روايته أن عبد الله وأباه عبد المطلب تزوجا في يوم واحد. لكن شواهد كثيرة تؤكد أن حمزة كان أسن من رسول الله ﷺ بأربع سنوات أو بسنتين.

ثالثاً: مع مرور الأيام وجدتُ بعضهم (المعترضين) يتعلقون بحديثٍ ليطعنوا به في نسبِ النبي ﷺ بخلافِ ما جاء عند ابنِ سعدٍ كما تقدم معنا . هذا الحديث الذي ذكره يدل على جهلهم الزائد عن الحد كما سأبين - إن شاء الله ﷻ - الحديث في سنن الترمذي كتاب (المناقب عن رسول الله ﷺ) باب (في فضل النبي ﷺ) برقم 3540 حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُوسَى الْبَغْدَادِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ فَرِيشًا جَلَسُوا فَتَذَكَّرُوا أَحْسَابَهُمْ بَيْنَهُمْ فَجَعَلُوا مَثَلًا مِثْلَ نَخْلَةٍ فِي كَبُوءٍ مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخُلُقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ مِنْ خَيْرِ فَرَقِهِمْ وَخَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا " .

قلتُ : إن الرد يكون على وجهين :

الأول : أن هذا الحديث لا يصح فهو ضعيف ؛ نجد ذلك من تحقيق الألباني له فيما يلي :

ضعيف نقد الكتاني (31 - 32) ، الضعيفة (3073) ضعيف الجامع الصغير (1605) ، وبالتالي: لا تقام عليه حجة....

الثاني: أفترضُ جدلاً صحةَ الحديثِ، أقول: هم فهموا أن الروايةَ تطعنُ في نسبِ النبي ﷺ في حين أننا لم نجد ذلك من الرواية التي معنا بل نجد فيها العكس من ذلك...

الرواية تقول : " إِنَّ قُرَيْشًا جَلَسُوا فَتَذَاكُرُوا أَحْسَابَهُمْ بَيْنَهُمْ " .

نلاحظ: ليس من الرواية أنهم تذاكروا أنسابهم بينهم...

إِذَا: هناك فرقٌ بين النسبِ والحسبِ ، ولكن جهلة المعترضين لا يعرفون لغة العرب

وعليه فإنني أذكر بعض ما جاء في كتب اللغة بهذا الشأن كما يلي:

1- جاء في مختار الصحاح (ج 1 / ص 65) .

قال ابنُ السَّكَّيت: الحَسْبُ والكَرَمُ يكونان بدون الآباء والشَّرَفُ والمَجْدُ لا يكونان إلا بالآباء. وحَسْبُكَ دِرْهَمٌ أَي: كَفَاكَ وَشَيْءٌ حَسَابٌ أَي: كَافٍ. اهـ

2- جاء في التعريفات (ج 1 / ص 28) .

الحسب: ما يعده المرء من مفاخر نفسه وآبائه . اهـ

3- النهاية في غريب الحديث (ج 1 / ص 381) .

الحَسْبُ في الأصل الشَّرَفُ بالآباء وما يُعَدُّه الناس من مفاخرهم . وقيل الحَسْبُ والكَرَمُ يكونان في الرَّجُلِ وإن لم يكن له آباء لهم شَرَفٌ والشَّرَفُ والمَجْدُ لا يكونان إلا بالآباء. اهـ
وعليه: فإن الواضحَ من الحديث أن بعضَ المشركين أرادوا الانتقاصَ من قبيلة النَّبِيِّ ﷺ بني هاشم في مفاخرهم ، ولهذا جعلوا النَّبِيَّ ﷺ مثل النخلة وهي شيء مكرم عند العرب فالنبي عند قريش إنسان عظيم وجعلوا بني هاشم كالكبوة وهي أن تلقى الكناسة : أي أن النَّبِيَّ ﷺ كرجل فهو عظيم معروف بأخلاقه العالية لكن قبيلته لا مكانة لها. ثم بين النبيُّ

ﷺ مكانة قريش ومكانته في نهاية الحديث الذي فيه : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ مِنْ خَيْرِ فِرْقِهِمْ وَخَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا".

وليس المعنى كما فهم المعترضون ... ثم إن الحديث لم يصح أصلاً كما بينت - بفضل الله ﷻ - .

ثم إن النبي ﷺ نهى في عدة روايات عن التفاخر بالأحساب، وبين أنها من خصال الجاهلية المذمومة ، وهذا من مكارم أخلاقه ﷺ ... من هذه الروايات ما ثبت في صحيح مسلم برقم 1550 عن أبي مالك الأشعري أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " أَرَبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ ، وَقَالَ: النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تَقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ".

رابعاً: إن المسلمين يعتقدون أن المسيح ﷺ من رسل الله المكرمين، وأنه خلق من غير أب فكانت ولادته آية للعالمين. ويعتقدون أن أمه صديقة طاهرة مبرأة؛ ولكن نسبت الأنجيل إلى يسوع أنه متهم بأن نسبه غير مشرف.... وذلك في الآتي :

1- اتهمه بعض اليهود بأنه ابن زنا وهو يحاورهم.... وذلك في إنجيل يوحنا إصحاح 8 عدد⁴¹ " أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ آبَائِكُمْ". فَقَالُوا لَهُ: «إِنَّا لَمْ نُولَدْ مِنْ زِنَا. لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ".

2- نسبت الأنجيل إلى مريم أنها شهدت على نفسها أن ابنها يسوع من يوسف النجار ... وذلك لما قالت ليسوع : " يَا بُنَيَّ لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هَكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذِّبَيْنِ ! " (لوقا 2 / 48).

و كتب لوقا (3 / 23) في نسله أنه ابن يوسف بن هالي ، ثم أضافت الكنائس فيما بعد كلمة (على ما كان يُظن) ، لذلك تجدها في بعض النسخ المترجمة قد وضعت بين فاصلتين أو شرطتين أو قوسين. واعتبرتها أناجيل أخرى من متن نص لوقا ، وادعت الأناجيل أنه كان معروفاً للعامة أنه ابن يوسف النجار: أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ النَّجَّارِ؟ أَلَيْسَتْ أُمُّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبَ وَيُوسَى وَسِمْعَانَ وَيَهُوذَا؟ (متى 13 / 55).

ولكن ماذا نقول عن شهادة مريم نفسها التي ذكرتها الأناجيل : " يَا بَنِيَّ لِمَاذَا فَعَلْتِ بَنًا هَكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ " ؟!

3- إن الأعجب مما سبق كله هو أن كاتب إنجيل متى ذكر نسب يسوع المسيح ﷺ على النحو التالي:

في الإصحاح الأول عدد 1 " كَتَابُ مِيلَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ: 2 إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَاقَ. وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ. 3 وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ. وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ. وَحَصْرُونَ وَلَدَ أَرَامَ. 4 وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِينَادَابَ. وَعَمِينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ. وَنَحْشُونَ وَلَدَ سَلْمُونَ. 5 وَسَلْمُونَ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَحَابَ. وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوْبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ. وَعُوْبِيدُ وَلَدَ يَسَّى. 6 وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكِ. وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِي لِأُورِيَّا. 7 وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحْبَعَامَ. وَرَحْبَعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا. وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا. 8 وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ. وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُوْرَامَ. وَيُوْرَامُ وَلَدَ عَزِّيَّا. 9 وَعَزِّيَّا وَلَدَ يُوْثَامَ. وَيُوْثَامُ وَلَدَ أَحَازَ. وَأَحَازُ وَلَدَ حَزَقِيَّا. 10 وَحَزَقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى. وَمَنَسَّى وَلَدَ أَمُونَ. وَأَمُونَ وَلَدَ يُوْشِيَّا. 11 وَيُوْشِيَّا وَلَدَ يَكْنِيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ. 12 وَبَعْدَ سَبْيِ بَابِلَ يَكْنِيَا وَلَدَ شَالْتَيْئِيلَ. وَشَالْتَيْئِيلُ وَلَدَ زَرْبَابِلَ. 13 وَزَرْبَابِلُ وَلَدَ أَبِيهَوْدَ. وَأَبِيهَوْدُ وَلَدَ أَلْيَاقِيمَ. وَأَلْيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ. 14 وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ. وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيمَ. وَأَخِيمُ وَلَدَ أَلْيُودَ. 15 وَأَلْيُودُ وَلَدَ أَلْيَعَازَرَ. وَأَلْيَعَازَرُ وَلَدَ مَثَانَ. وَمَثَانُ وَلَدَ

يَعْقُوبَ. ¹⁶ وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وَلَدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ. ¹⁷ فَجَمِيعُ الْأَجْيَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَبْيِ بَابِلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا، وَمِنْ سَبْيِ بَابِلَ إِلَى الْمَسِيحِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا".

قُلْتُ : إن الملاحظ أن في نسبه عليه السلام بحسب ما أورده كاتب إنجيل متى أربع نساء زناة جدات للمسيح عليه السلام هن:

(1) ثامار زانية ... أنجبت فَارِصَ {أحد أجداد المسيح } من زناها بحماها يهوذا بن يعقوب أحد أسباط بني إسرائيل { راجع سفر التكوين الإصحاح 38 عدد 12 - 30 }

(2) رحاب زانية فَأَرْسَلَ يَشُوعَ بْنَ نُونٍ مِنْ شَطِئِمَ رَجُلَيْنِ جَاسُوسَيْنِ سِرًّا قَائِلًا اذْهَبَا انْظُرَا الْأَرْضَ وَارِثَا. فَذَهَبَا وَدَخَلَا بَيْتَ امْرَأَةٍ زَانِيَةٍ اسْمُهَا رَحَابُ وَاضْطَجَعَا هُنَاكَ (سفر يشوع 1/2)

(3) بِثَشِيعَ زَوْجَةٍ أَوْرِيَا الْحَثِّي زَانِيَةٍ زَنَا بِهَا دَاوُدُ (كما يزعمون) وَحَرَضَ عَلَى قَتْلِ زَوْجِهَا ثُمَّ تَزَوَّجَهَا وَأَنْجَبَ مِنْهَا سَلِيمَانَ (أحد أجداد المسيح) { راجع سفر الملوك الأول الإصحاح 11 } .

(4) راعوث الزانية فهي راعوث المؤابية زوجة بوعز وأم عوبيد... القصة كلها في سفر راعوث الإصحاح الثالث قصة الاضطجاع والبقية في الإصحاح الرابع شرائه لها ودخوله عليها وإنجابه منها... وبهذا فاق النسب ثلاثين جيلاً...

وبيقى إشكال : هو النص الذي جاء في سفر التثنية إصحاح 23 عدد 3 " لا يدخل عموني و لا موآبي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم احد في جماعة الرب إلى الأبد ."

واتسأ عل سؤالين:

1- هل قصد كاتب إنجيل متى أن يفهم من يقرأ إنجيله أن يسوع المسيح نسبه غير مشرفٍ ؟!

2- لماذا ذكر لنا هؤلاء النسوة دون غيرهن من زوجات أجداد المسيح ﷺ .. ؟!

فما أجمل الإسلام الذي كرم المسيح ﷺ وأمه الصديقة... في أكثر في عدة مواضع منها :

1- قوله ﷺ : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤَفَّكُونَ ﴾ (المائدة75).

2- قوله ﷺ : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظِّلُّ ﴾ (التحریم 12) (التحريم).

3- قوله ﷺ : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا فَفَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (91) (الأنبياء) .

رد شبهة : نبي الإسلام من كندة ، وليس من قريش !

شكك أحدهم في نسب النبي الكريم قائلًا: إن نبيَّ الإسلام ليس من بني هاشم (قريش) كما يزعم المسلمون، وإنما هو كندة..... وهذا ما جاء في البداية والنهاية (ج 2 / ص 313) حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي قال: حدثنا مالك بن أنس ، عن الزهري عن أنس بن مالك وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . قال: بلغ النبي ﷺ أن رجالاً من كندة يزعمون أنهم منه وأنه منهم فقال: إنما كان يقول ذلك : العباس، وأبو سفيان بن حرب إذا قدما المدينة ليأمننا فيأمننا بذلك.

وإنا لن ننتفي من بائنا، نحن بنو النضر بن كنانة " : قال: وخطب النبي ﷺ فقال: "أنا محمد، بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم ، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب بن مرة، بن كعب ، بن لؤي، بن غالب، بن فهر ، بن مالك ، بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرها فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية. وخرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم ، حتى انتهيت إلى أبي وأمي ، فأنا خيركم نفساً، وخيركم أبا " وهذا حديث غريب جدا من حديث مالك. تفرد به القدامي وهو ضعيف. ولكن سنذكر له شواهد من وجوه آخر.

فمن ذلك قوله : " خرجت من نكاح لا من سفاح " قال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه أبي جعفر الباقر في قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) قال لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية قال وقال رسول الله ﷺ : " إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح " وهذا مرسل جيد .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الجهل والكذب واضح على مدعى الشبهة من وجهين:

الوجه الأول : أن الرواية نفسها تنفي أن النبي ﷺ من كندة ، وذلك لما قال: " إنما كان يقول ذلك العباس، وأبو سفيان بن حرب إذا قدما المدينة ليأمننا فيأمننا بذلك " .

إذاً : أتضح لنا أن عمي رسول الله ﷺ العباس وأبو سفيان كانا إذا سافرا إلى كندة (اليمن) للتجارة ، كانوا يقولون للناس: نحن من كندة حتى يأمنوا من الشرور التي قد تقع عليهم في طريقهم أثناء تجارتهم.....

يدعم ذلك ما جاء في البداية والنهاية (ج5/ ص85) : قال الزهري: أنه قدم في ثمانين راكبا من كندة، فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده قد رجلوا جمهم وتكحلوا عليهم جيب الحبرة، قد كففوها بالحرير، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال لهم: ألم تسلموا ؟ قالوا: بلى ! قال فما بال هذا الحرير في أعناقكم ؟ قال : فشقوه منها فألقوه.

ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسول الله نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار، قال، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وربيعه بن الحارث ، وكانا تاجرين إذا شاعا في العرب فسئلا ممن أنتما ؟ قالا : نحن بنو آكل المرار يعني ينسبان إلى كندة ليعزا في تلك البلاد لان كندة كانوا ملوكا، فاعتقدت كندة أن قريشا منهم لقول عباس وربيعه نحن بنو آكل المرار وهو الحارث بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندی - ويقال ابن كندة - ثم قال رسول الله ﷺ لهم .

" لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمتنا ولا ننتفي من أبينا " . اهـ

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ بين نسبه في عين الرواية لما قال : أنا محمد، بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرها فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية....

نلاحظ: أن النبي ﷺ بين أنه من بني النضر بن كنانة أي: من قريش...يدعم ذلك ما جاء في سيرة ابن هشام (ج1/ ص 93) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : " النَّضْرُ قُرَيْشٌ ، فَمَنْ كَانَ مِنْ وَلَدِهِ فَهُوَ قُرَشِيٌّ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ وَلَدِهِ فَلَيْسَ بِقُرَشِيٍّ " . اهـ

كان الرد السابق على فرضية صحة الرواية...

ثانيًا: إن هذا الخبر لا يصح لوجود القداامي فيه، وهو ضعيف عند المحققين كما يلي:

1- ابن كثير نفسه في الرواية ضعفه قائلاً : تفرد به القداامي وهو ضعيف.

2- يقول المحقق للبداية والنهاية (ج2/ ص 313) : القداامي من أهل المصيصة كان

يقلب الأخبار، قلب على مالك أكثر من مائة حديث وخمسين حديثاً ذكره ابن حبان في

المجروحين 2 / 39 ولم يرد ذكره في ثقات العجلي ، له ترجمة في تقريب التهذيب،

ابن الربيع الكرمانى أبو عبد الرحمن ، ثقة 1 / 446 والكاشف 2 / 112.

ثالثاً : إن النبي ﷺ من نسل قي دار ولد إسماعيل الذي تحدث عنه الكتاب المقدس...

جاء ذلك في الآتي :

1- كنز العمال برقم 35512 عن ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " أنا محمد بن عبد الله بن المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن يشجب بن بنت بن جميل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم بن تارح بن ناحور بن اشوع بن ارعوش بن فالغ بن عابر وهو هود النبي ﷺ ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس بن أزد بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ". ورواه الديلمي.

2- أخبار الزمان (ج 1 / ص 104) : فمن عدنان ولد محمد النبي الكريم ﷺ وجميع العرب العاربة من ولده . وذكر آخرون أنه من ولد قيدار بن إسماعيل، واختلفوا في ولد إسماعيل اختلافا كبيرا، وكان رسول الله ﷺ إذا بلغ بالنسب إلى معد بن عدنان، قال عدنان بن أعراف الثري، ومن إسماعيل وعدنان أمم كثيرة .

الكتاب المقدس ذكر لنا في سفر التكوين نبوءة عظيمة لإسماعيل عليه السلام ، وذكر أتباعه الذين هم أمة عظيمة على رأسهم محمد ﷺ ، وذلك في الإصحاح 17 عدد 20 ²⁰ وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أَبَارِكُهُ وَأَثْمَرُهُ وَأَكْثَرُهُ كَثِيرًا جَدًّا. إِنِّي عَشْرَ رِئَاسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً.

وهذا قيدار من أبناء إسماعيل الذي من نسله محمد ﷺ كما ذكرت سابقاً ، جاء في سفر التكوين إصحاح 25 عدد ¹³ وَهَذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بِأَسْمَائِهِمْ حَسَبَ مَوَالِيدِهِمْ: نَبَايُوتُ بَكْرُ إِسْمَاعِيلَ، وَقِيدَارُ، وَأَدْبَنْيَلُ وَمِيسَامُ ¹⁴ وَمِشْمَاعُ وَدُومَةُ وَمَسَا ¹⁵ وَحَدَارُ وَتَيْمًا وَيَطُورُ وَنَافِيثُ وَقَدْمَةُ.

ثم ليت المعترضين يقوموا بحل إشكال ما جاء في كتابهم المقدس بشأن نسب يسوع ؛
فتارة يقول : يسوع بن يعقوب ، وتارة أخرى يسوع ابن هالي...

ويبقى السؤال : هل هو ابن يوسف ابن يعقوب، أم يوسف ابن هالي؟

إنجيل متى 16 / 1

وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَوْسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وَلَدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ.

إنجيل لوقا 3 / 23

وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنُ يَوْسُفَ، بَنِ هَالِي..

وصدق الله ﷻ لما قال في شأن المنصرين : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78) ﴾ (آل عمران).

رد شبهة : نبيُّ أقاربه في النار !

سألوا سؤالاً يقولون فيه: وجدنا من خلال دراسة سيرة نبيكم أن أمه (آمنة) كانت مشركة، وأن أباه (عبد الله) في النار، و كذلك عمه (أبو طالب)، فكيف لنبي من عند الله أن يكون أقاربه في النار ؟!

واستندوا في ذلك على ثلاثة أحاديث :

الأول: صحيح مسلم برقم 302 عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: " فِي النَّارِ " فَلَمَّا قَفِيَ دَعَاهُ فَقَالَ: " إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ " .

الثاني: صحيح مسلم برقم 1622 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ فَقَالَ : " اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ " .

الثالث: صحيح مسلم برقم 310 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: " لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحَضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن من عدل الله ﷻ أنه جعل للإنسان الحرية الكاملة في اختيار مصيره الأبدي فجعله مخيراً بين الخير والشر.... يدلل على ذلك ما يلي :

1- قوله ﷻ عن الإنسان: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد 1).

أي: بينا له طريق الخير والشر، فإنه ﷻ لا يظلم الناس شيئاً يحاسب كل إنسان عما فعل في حياته الدنيا...

2- قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (40) (النساء).

3- قوله ﷺ : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (النجم 39) .

جاء في التفسير الميسر: وأنه لا يحصل للإنسان من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه بسعيه . اهـ

3- قوله ﷺ عن يوم القيامة: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (غافر 17).

جاء في التفسير الميسر : اليوم تثاب كل نفس بما كسبت في الدنيا من خير وشر, لا ظلم لأحد اليوم بزيادة في سيئاته أو نقص من حسناته . إن الله ﷻ سريع الحساب, فلا تستبطئوا ذلك اليوم؛ فإنه قريب . اهـ

4- قوله ﷺ : ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (الجاثية 22) .

جاء في التفسير الميسر: وخلق الله السماوات والأرض بالحق والعدل والحكمة؛ ولكي تجزى كل نفس في الآخرة بما كسبت من خير أو شر, وهم لا يظلمون جزاء أعمالهم. اهـ

ثانياً : إننا نعتقد أن بعض أقارب النبي ﷺ ماتوا على الشرك

وأبدأ بالحديث عن أمه ﷺ وأقول : شاء الله ﷻ أن أمَّ نبيِّنا ﷺ تكون من أهل الفترة
وقد علّمنا النبي ﷺ أن نعمل ؛ لأنه لا أحدٌ يحمل ذنبَ أحدٍ ...

ثبت ذلك في الصحيحين واللفظ للبخاري برقم 2548 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﻻ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ قَالَ : " يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا " .

فبالنظر إلى الروايات الصحيحة التي جاءت عن مصير أمه رضي الله عنها وجدت أنها من أهل الفترة، وأهل الفترة يأخذون حكم الكفار في الدنيا لا نستغفر لهم، ويوم القيامة يختبرون ... الروايات ذكرت أن محمدًا ﷺ سال ربه ﷻ أن يستغفر لأمه ، فلم يأذن له ...

وذلك واضح من خلال روايتين كما يلي :

الرواية الأولى: في صحيح مسلم برقم 1621 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأْذَنْ لِي " .

والرواية الثانية: في صحيح مسلم برقم 1622 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ فَقَالَ : " اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأْذَنْ لِي فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ " .

قلتُ: إن هذين الحديثين يدلان على رحمته ﷺ ووفائه، فإنه بكى حتى أبكى من حوله لبكائه ﷺ ؛ لأنها لم تتركه ﷺ وهو رسول من عند الله ﷻ فتؤمن به

قال النووي - رحمه الله - : قوله ﷺ : (اسْتَأْذَنْتَ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتَهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأْذَنْ لِي) فِيهِ جَوَازُ زِيَارَةِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْحَيَاةِ ، وَقُبُورِهِمْ بَعْدَ الْوَفَاةِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا جَازَتْ زِيَارَتَهُمْ بَعْدَ الْوَفَاةِ فِي الْحَيَاةِ أُولَى ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ وَفِيهِ : النَّهْيُ عَنِ الْإِسْتِغْفَارِ لِلْكَفَّارِ .

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : سَبَبُ زِيَارَتِهِ ﷺ : قَبْرُهَا أَنَّهُ قَصَدَ قُوَّةَ الْمَوْعِظَةِ وَالذِّكْرَى بِمُشَاهِدَةِ قَبْرِهَا ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ ﷺ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ : (فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْمَوْتَ) .

قَوْلُهُ : (فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ) : قَالَ الْقَاضِي : بُكَاءُهُ ﷺ عَلَى مَا فَاتَهَا مِنْ إِدْرَاكِ أَيَّامِهِ ، وَالْإِيمَانُ بِهِ ﷺ . اهـ

قد يقال: ما الحكمة من كون أم النبي ماتت على غير دين محمد ﷺ ؟

قلت: لعل ذلك أحفظ لدين الله ﷻ كي لا تُعبد أمه من دون الله ﷻ كما عُبِدَتْ أم المسيح من بعض طوائف المسيحية ، مثل: المريمية ، والنسطورية ، والملكانية....

فإن قيل: هناك حديث يثبت أن أم النبي ﷺ في النار ، وذلك في مسند أحمد برقم 3598 حَدَّثَنَا عَارِمُ بْنُ الْفَضْلِ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ الْبُنَانِيُّ عَنْ عُثْمَانَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ وَالْأَسْوَدِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: جَاءَ ابْنَا مُلَيْكَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَا: إِنَّ أُمَّنَا كَانَتْ تُكْرِمُ الزَّوْجَ وَتَعْطِفُ عَلَى الْوَلَدِ قَالَ: وَذَكَرَ الضَّيْفَ غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ وَادَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. قَالَ: أُمُّكُمْ فِي النَّارِ فَأَدْبَرَا وَالشَّرُّ يَرَى فِي وُجُوهِهِمَا فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُدَّا فَرَجَعَا وَالسُّرُورُ يَرَى فِي وُجُوهِهِمَا رَجِيًّا أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَّثَ شَيْءٌ فَقَالَ: أُمِّي مَعَ أُمُّكُمْ فِي النَّارِ ...

قلتُ: إن إسناده ضعيف لا يعتد به، لضعف عثمان فقد ضعفه المحققون منهم:

1- الشيخ شعيب الأرناؤوط قائلًا : إسناده ضعيف. اهـ

2- الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة (ج 24 / ص 740) قال: منكر.

أخرجه الدارمي في "سننه" (2/325) ، والحاكم (2/364) ، والدلمي

في "مسند الفردوس" (1/81/2) من طريق الصَّعْقِ بْنِ حَزْنٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: قِيلَ لَهُ: مَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ؟ قَالَ: ... فذكره . وقال الحاكم: « صحيح الإسناد وعثمان بن عمير هو : أبو اليقظان » وتعقبه الذهبي بقوله: " لا والله ! فعثمان ضعفه الدارقطني ، والباقون

ثقات". قلت: وهو عند الدارقطني أسوأ مما حكاه عنه ، فقد قال البرقاني في "سؤالاته" (ص 51): "سألته عن عثمان بن عمير أبي اليقظان ؟ فقال : كوفي متروك".

ولم يذكر الحافظ في "التهذيب" عن الدارقطني : "كوفي" ، وما أورده في ترجمته من أقوال الأئمة فيه كلها مجمعة على تضعيفه . لكن روى ابن عدي في "الكامل" (5/167) عن ابن معين قوله فيه : " ليس به بأس " . وعن يحيى بن سعيد أنه سئل: "كيف حديثه؟" . فقال: "صالح" وقد لخص الحافظ تلك الأقوال بقوله في "التقريب" : "ضعيف ، واختلف ، وكان يدلّس ، ويغلو في التشيع" . اهـ

2- جاء في كتاب جامع الأحاديث (ج 6 / ص 424) برقم 5465 أمي مع أمكما

(أحمد ، والبزار ، والطبراني عن ابن مسعود قال جاء ابنا مليكة إلى النبي -

صلى الله عليه وسلم - فقالا إن أمنا كانت تكرم الزوج وتعطف على الولد وتكرم الضيف غير أنها وأدت في الجاهلية قال إن أمكما في النار فأدبرا والسوء في وجهيهما فأمر بهما فرجعا والسرور يرى في وجهيهما رجاء أن يكون قد

حدث شيء فذكره [المناوي] أخرجه أحمد (398/1 ، رقم 3787) ، والبزار (339/4 ، رقم 1534) ، والطبراني (80/10 ، رقم 10017) . وأخرجه أيضاً : الطبراني في الأوسط (82/3 ، رقم 2559) ، والحاكم (396/2 ، رقم 3385) . قال الهيثمي (362/10) : رواه أحمد ، والبزار ، والطبراني ، وفي أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير ، وهو ضعيف . اهـ

وأما الحديث عن أبيه ﷺ : فقد جاء في صحيح مسلم برقم 302 عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ أَبِي قَالَ : فِي النَّارِ فَلَمَّا قَفِيَ دَعَاهُ فَقَالَ : " إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ "

قال النووي - رحمه الله - : قوله : (أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ أَبِي ؟ قَالَ : فِي النَّارِ ، فَلَمَّا قَفِيَ دَعَاهُ قَالَ : إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ) فيه : أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ ، وَفِيهِ أَنَّ مَنْ مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَلَيْسَ هَذَا مُوَآخَذَةً قَبْلَ بُلُوغِ الدَّعْوَةِ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَانَتْ قَدْ بَلَغَتْهُمْ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - .

وقوله ﷺ : (إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ) هُوَ مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ لِلتَّسْلِيَةِ بِالِاشْتِرَاكِ فِي الْمُصِيبَةِ وَمَعْنَى (قَفِيَ) وَلَّى قَفَاهُ مُنْصَرِفًا . اهـ

وأما الحديث عنه عمه (أبي طالب) : فهو أقل الناس عذاباً يوم القيامة ... ثبت ذلك في عدة مواضع منها :

1- صحيح البخاري برقم 310 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ عِنْدَهُ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ : " لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحَضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ " .

قال النووي - رحمه الله - : قوله ﷺ : (أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجَلُ) أَمَّا (الشِّرَاكُ) فَبِكْسَرِ الشَّيْنِ وَهُوَ أَحَدُ سَيُورِ النَّعْلِ ، وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ عَلَى وَجْهِهَا وَعَلَى ظَهْرِ الْقَدَمِ . وَالْغَلِيَانُ مَعْرُوفٌ وَهُوَ شِدَّةُ اضْطِرَابِ الْمَاءِ وَنَحْوِهِ عَلَى النَّارِ لَشِدَّةِ اتِّقَادِهَا ، يُقَالُ : غَلَّتِ الْقَدَرُ تَغْلِي غَلِيًّا وَغَلِيَانًا وَأَغْلَيْتَهَا أَنَا . وَأَمَّا (الْمَرْجَلُ) فَبِكْسَرِ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْجِيمِ وَهُوَ قَدْرٌ مَعْرُوفٌ سِوَاءَ كَانَ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ نُحَاسٍ أَوْ حِجَارَةٍ أَوْ خَزَفٍ ، هَذَا هُوَ الْأَصَحُّ ، وَقَالَ صَاحِبُ (الْمَطَالِعِ) : وَقِيلَ : هُوَ الْقَدْرُ مِنَ النُّحَاسِ يَعْنِي خَاصَّةً ، وَالْأَوَّلُ أَعْرَفُ وَالْمِيمُ فِيهِ زَائِدَةٌ . وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ وَمَا أَشْبَهَهُ تَصْرِيحٌ بِتَفَاوُتِ عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ كَمَا أَنَّ نَعِيمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ مُتَفَاوِتٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ .

3- صحيح مسلم برقم 35 عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَا عَمُّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ : يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ : هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَمَّا وَاللَّهِ لَا أَسْتَغْفِرُ لَكَ مَا لَمْ أَتِهِ عَنْكَ " . فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ .

4- تفسير قوله ﷻ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (التوبة 113) .

جاء في الجلالين : ونزل في استغفاره ﷺ لعمه أبي طالب واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قَرْبَىٰ } ذوي قرابة {مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} النار ، بأن ماتوا على الكفر . اهـ

وبالجملة: نعتقد أن أكثرهم ماتوا على الشرك، وليس هم فقط بل هناك أيضاً أبو جهل، وأبو لهب....

فإن قيل : قد ذهب السيوطي - رحمه الله- وغيره إلى نجاة أبي الرسول ﷺ وأن الله تعالى أحياهما له بعد موتهما وآمنوا به ... !

قلتُ: إن القول أنكره عامة العلماء، وحكموا بأن الأحاديث الواردة في ذلك الشأن موضوعة أو ضعيفة جداً، ولا يقام عليها مقام.... دليل ذلك فيما يلي:

1- قال صاحب عون المعبود (ج10 / ص 236) : **وَكُلُّ مَا وَرَدَ بِإِحْيَاءِ وَالدِّيَةِ ﷺ وَإِيمَانِهِمَا وَنَجَاتِهِمَا أَكْثَرُهُ مَوْضُوعٌ مَكْذُوبٌ مُفْتَرَى ، وَبَعْضُهُ ضَعِيفٌ جِدًّا لَا يَصِحُّ بِحَالٍ لَا تَفَاقُ أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ عَلَى وَضْعِهِ كَالدَّارِقُطْنِيِّ وَالْجَوْزْقَانِيِّ وَابْنِ شَاهِينَ وَالْخَطِيبِ وَابْنِ عَسَاكِرَ وَابْنِ نَاصِرٍ وَابْنِ الْجَوَازِيِّ وَالسَّهْلِيِّ وَالْقُرْطُبِيِّ وَالْمُحَبِّ الطَّبْرِيِّ وَفَتْحِ الدِّينِ بْنِ سَيِّدِ النَّاسِ وَإِبْرَاهِيمَ الْحَلَبِيِّ وَجَمَاعَةٍ . وَقَدْ بَسَطَ الْكَلَامَ فِي عَدَمِ نَجَاةِ الْوَالِدَيْنِ الْعَلَامَةِ إِبْرَاهِيمَ الْحَلَبِيِّ فِي رِسَالَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ ، وَالْعَلَامَةِ عَلِيِّ الْقَارِي فِي شَرْحِ الْفَقْهِ الْأَكْبَرِ وَفِي رِسَالَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ ، وَيَشْهَدُ لِصِحَّةِ هَذَا الْمَسْئَلِ هَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ (يعني حديث : إن أبي وأباك في النار) وَالشَّيْخُ جَلَالَ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ قَدْ خَالَفَ الْحَفَازَ وَالْعُلَمَاءَ الْمُحَقِّقِينَ وَاتَّبَعَ لَهُمَا الْإِيمَانَ وَالنَّجَاةَ فَصَنَّفَ الرِّسَائِلَ الْعَدِيدَةَ فِي ذَلِكَ ، مِنْهَا رِسَالَةُ التَّعْظِيمِ وَالْمِنَّةِ فِي أَنَّ أَبَايَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ" . اهـ**

2- مجموع الفتاوى لابن تيمية - رحمه الله - (ج 4/324) : سئل الشيخ - رحمه الله تعالى - : هل صحَّ عن النبي ﷺ أنَّ الله تبارك وتعالى أحيَّا له أبويه حتى أسلما على يديه ثم ماتا بعد ذلك ؟

فأجاب : لم يصحَّ ذلك عن أحد من أهل الحديث ؛ بل أهل المعرفة متفقون على أنَّ ذلك كذبٌ مُخْتَلَقٌ وإنَّ كان قد روى في ذلك أبو بكر - يعني الخطيب - في كتابه السابق واللاحق وذكره أبو القاسم السهيلي في شرح السيرة بإسناد فيه مجاهيل وذكره أبو عبد الله القرطبي في التذكرة وأمثال هذه المواضع فلا نزاع بين أهل المعرفة أنَّه من أظهر الموضوعات كذباً كما نصَّ عليه أهل العلم وليس ذلك في الكتب المعتمدة في الحديث ؛ لا في الصحيح ولا في السنن ولا في المسانيد ونحو ذلك من كتب الحديث المعروفة ولا ذكره أهل كتب المغازي والتفسير وإن كانوا قد يروون الضعيف مع الصحيح . لأنَّ ظهور كذب ذلك لا يخفى على متدبرين فإنَّ مثل هذا لو وقع لكان مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله فإنَّه من أعظم الأمور خرقاً للعادة من وجهين : من جهة إحياء الموتى : ومن جهة الإيمان بعد الموت . فكان نقل مثل هذا أولى من نقل غيره فلما لم يروه أحد من الثقات علم أنَّه كذب . والخطيب البغدادي هو في كتاب " السابق واللاحق " مقصوده أنَّ يذكر من تقدَّم ومن تأخَّر من المحدثين عن شخص واحد سواء كان الذي يروونه صدقاً أو كذباً وابن شاهين يروي الغث والسمين . والسهيلي إنَّما ذكر ذلك بإسناد فيه مجاهيل . ثمَّ هذا خلاف الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع . قال الله تعالى : { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } { وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ } . فبيَّن الله تعالى : أنَّه لا توبة لمن مات كافراً . وقال تعالى : { فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَاكَ الْكَافِرُونَ } فأخبر أنَّ سنته في عباده أنَّه لا ينفع الإيمان بعد رؤية البأس ؛ فكيف بعد الموت ؟ ونحو ذلك من النصوص . وفي صحيح مسلم : " أنَّ رجلاً

قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَيْنَ أَبِي ؟ قَالَ : إِنَّ أَبَاكَ فِي النَّارِ . فَلَمَّا أَدْبَرَ دَعَاهُ فَقَالَ : إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ { " . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ : " { اسْتَأْذَنْتَ رَبِّي أَنْ أَزُورَ قَبْرَ أُمِّي فَأَذِنَ لِي وَاسْتَأْذَنْتَهُ فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يَأْذَنْ لِي . فزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ { " . وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي الْمُسْنَدِ وَغَيْرِهِ قَالَ : " { إِنَّ أُمِّي مَعَ أَمِّكَ فِي النَّارِ { " فَإِنْ قِيلَ : هَذَا فِي عَامِ الْفَتْحِ وَالْإِحْيَاءِ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَلِهَذَا ذَكَرَ ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِهِ وَبِهَذَا اعْتَذَرَ صَاحِبُ التَّذَكُّرَةِ وَهَذَا بَاطِلٌ لَوْجُوهٌ : - (الْأَوَّلُ : إِنَّ الْخَبَرَ عَمَّا كَانَ وَيَكُونُ لَا يَدْخُلُهُ نَسْخٌ كَقَوْلِهِ فِي أَبِي لَهَبٍ : { سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ { وَكَقَوْلِهِ فِي الْوَلِيدِ : { سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا { . وَكَذَلِكَ فِي : " { إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ { " وَ " { إِنَّ أُمِّي وَأَمِّكَ فِي النَّارِ { " وَهَذَا لَيْسَ خَبَرًا عَنْ نَارٍ يَخْرُجُ مِنْهَا صَاحِبُهَا كَأَهْلِ الْكِبَائِرِ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَجَازَ الْإِسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَلَوْ كَانَ قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ إِيْمَانُهُمَا لَمْ يَنْهَهُ عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْأَعْمَالَ بِالْخَوَاتِيمِ وَمَنْ مَاتَ مُؤْمِنًا فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ فَلَا يَكُونُ الْإِسْتِغْفَارُ لَهُ مُمْتَنَعًا . (الثَّانِي : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ زَارَ قَبْرَ أُمِّهِ لِأَنَّهَا كَانَتْ بِطَرِيقِهِ " بِالْحَجُّونَ " عِنْدَ مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ وَأَمَّا أَبُوهُ فَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وَلَمْ يَزِرْهُ إِذْ كَانَ مَدْفُونًا بِالشَّامِ فِي غَيْرِ طَرِيقِهِ فَكَيْفَ يُقَالُ : أُحْيِيَ لَهُ ؟ . (الثَّلَاثُ : إِنَّهُمَا لَوْ كَانَا مُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا يَنْفَعُ كَانَا أَحَقَّ بِالشُّهْرَةِ وَالذِّكْرِ مِنْ عَمِيهِ : حَمْزَةَ وَالْعَبَّاسِ ؛ وَهَذَا أَبْعَدُ مِمَّا يَقُولُهُ الْجُهَالُ مِنَ الرَّافِضَةِ وَنَحْوِهِمْ . اهـ

وعليه فإن ما سبق بيان عملي لقوله ﷺ : ﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (3) ﴾ (الممتحنة).

السؤال الذي ينبغي أن يسأل هو: ما ذنب النبي ﷺ في أن أقاربه في النار؟! هل هذه معصية ارتكبتها....؟!

ثالثاً: إن هناك سؤالا يطرح نفسه هو: هل موت أقارب النبي ﷺ على الشرك يقدر في نبوة نبينا ﷺ ؟

الجواب: إن هذا الأمر لا يقدر في نبوته قط؛ لأننا وجدنا بعض الأنبياء مات آباؤهم على الشرك، وأبناؤهم وأزواجهم فعلى سبيل المثال لا الحصر جاء إلينا ما يلي :

1- إبراهيم عليه السلام كان أباه كان مشركاً، وعدواً لله، ولم يقدر أحد في نبوته مطلقاً...

قال ﷺ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (114) ﴾ (التوبة) .

جاء في تفسير الجلالين : { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ } بقوله: { سأستغفر لك ربِّي } رجاء أن يسلم { فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ } بموته على الكفر { تَبَرَّأَ مِنْهُ } وترك الاستغفار له { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ } كثير التضرع والدعاء { غَفُورٌ حَلِيمٌ } صبور على الأذى . اهـ

الملاحظ: أن أبا إبراهيم عليه السلام كان مشركاً عدواً لله ﷻ....

وَأَسْأَلُ: لماذا لم يقدر المعترضون في نبوة إبراهيم عليه السلام كما فعلوا مع محمد ﷺ...؟!

2- نوح عليه السلام مات ابنه على الكفر، ولم يقدر أحد في نبوة نوح عليه السلام وذلك لما نادى نوح علي ابنه حتى يركب معه في السفينة ، ولا يغرق مع الكافرين فلم يمتثل الابن له قائلاً : " سَأُوي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ " فَكَانَ مِنَ الْمَغْرُقِينَ هَالِكِينَ .

وقد وعده ﷻ بنجاة أهله (المؤمنين من قومه) فكلّم نوح عليه السلام ربه ﷻ قائلاً : ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (45) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ

إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ (هود).

جاء في تفسير الجلالين : { قَالَ { تعالى { يا نوح إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ { الناجين أو من أهل دينك { إِنَّهُ { أي سؤالك إياي بنجاته { عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ { فإنه كافر ولا نجاة للكافرين ، وفي قراءة بكسر ميم «عَمَلٌ» فعل ، ونصب «غَيْرٌ» فالضمير لابنه { فَلَا تَسْأَلْنِ { بالتشديد والتخفيف { مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ { من إنجاء ابنك { إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ { بسؤالك ما لم تعلم . اهـ

وَأَسْأَلُ : لماذا لم يقدح المعترضون في نبوة نوح ﷺ كما فعلوا مع محمد ﷺ ؟

2- لوط ﷺ ماتت زوجته على الكفر كما كان من زوجة نوح، ولم يقدح أحد قط في نبوة النبيين - عليهما السلام - ، قال ﷻ : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنَبَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ ﴾ (التحریم10).

جاء في التفسير الميسر: ضرب الله مثلا لحال الكفرة - في مخالطتهم المسلمين وقربهم منهم ومعاشرتهم لهم، وأن ذلك لا ينفعهم لكفرهم بالله- بحال زوجة نبي الله نوح، وزوجة نبي الله لوط : حيث كانتا في عصمة عبيد من عبادنا صالحين، فوقعتهما من الخيانة لهما في الدين ، فقد كانتا كافرتين، فلم يدفع هذان الرسولان عن زوجتيهما من عذاب الله شيئا، وقيل للزوجتين : ادخلا النار مع الداخلين فيها. وفي ضرب هذا المثل دليل على أن القرب من الأنبياء، والصالحين، لا يفيد شيئا مع العمل السيئ. اهـ

رابعاً: إن الكتاب المقدس ذكر لنا أن زوجات، وأبناء أنبياء على الشرك، وأهلكهم الله ﷻ ... مع العلم أن الكتاب المقدس لم يصف لنا أحوال كل آباء ، وأبناء ، وأمهات ، وزوجات كثير من الأنبياء ، هل كانوا على الشرك أم الإيمان ؟

فعلي سبيل المثال لا الحصر جاء فيه ما يلي:

1- ذكر سفر التكوين أن زوجة لوط عليه السلام أهلكت بسبب كفرها؛ لأنها صنعت الشر في عيني الرب ... وذلك في الإصحاح 19 عدد 23²³ وَإِذْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَلَى الْأَرْضِ دَخَلَ لُوطٌ إِلَى صُوغَرَ ، فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيَةً وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ . وَقَلَبَ تِلْكَ الْمَدْنَ ، وَكُلَّ الدَّائِرَةِ ، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمَدْنِ ، وَنَبَاتِ الْأَرْضِ .²⁶ وَنَظَرَتْ امْرَأَتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ .

2- ذكر سفر الملوك الأول أن سليمان بن نبي الله داود عليه السلام كفر في آخر حياته ، عبد العشتورث ... وأن الله عاقبه بنزع الملك من بعده إكراماً لأبيه الصالح داود عليه السلام وأنه لم يغفر له الرب ؛ لأنه لم يتب لذلك سخر الرب له أعداءً وذلك في الإصحاح 11 عدد 1¹ وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بَنَاتِ فِرْعَوْنَ : مُوَابِيَّاتٍ وَعَمُونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ² مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمْ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : « لَا تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ ، لِأَنَّهُمْ يَمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ » . فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهِؤَلَاءَ بِالْمَحَبَّةِ .³ وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ ، وَثَلَاثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ ، فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ .⁴ وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةِ أُخْرَى ، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلًا مَعَ الرَّبِّ إِلَهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ .⁵ فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتُورِثَ إِلَهِةِ الصَّيْدُونِيِّينَ ، وَمَلَكُومَ رِجْسِ الْعَمُونِيِّينَ .⁶ وَعَمَلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ ، وَلَمْ يَتَّبِعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَدَاوُدَ أَبِيهِ .⁷ حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكُمُوشَ رِجْسِ الْمُوَابِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تَجَاهُ أُورُشَلِيمُ ، وَلِمَوْلَاكَ رِجْسِ بَنِي عَمُونَ .⁸ وَهَكَذَا فَعَلَ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوَقِدْنَ وَيَذْبَحْنَ لِآلِهَتِهِنَّ .

⁹فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لِأَنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَرَأَى لَهُ مَرْتِنِينَ، ¹⁰وَأَوْصَاهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ لَا يَتَّبِعَ إِلَهَةً أُخْرَى، فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ. ¹¹فَقَالَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ: «مَنْ أَجَلَ أَنْ ذَلِكَ عِنْدَكَ، وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِي الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي أَمَرُّقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْزِيقًا وَأُعْطِيهَا لِعَبْدِكَ. ¹²إِلَّا إِنِّي لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَيَّامِكَ، مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ أَبِيكَ، بَلْ مِنْ يَدِ ابْنِكَ أَمَرُّقُهَا. ¹³عَلَى أَنِّي لَا أَمَرُّقُ مِنْكَ الْمَمْلَكَةَ كُلَّهَا، بَلْ أُعْطِي سَبْطًا وَاحِدًا لِابْنِكَ، لِأَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي، وَلِأَجْلِ أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا». ¹⁴وَأَقَامَ الرَّبُّ خَصْمًا لِسُلَيْمَانَ: هَدَدُ الْأَدُومِيِّ، كَانَ مِنْ نَسْلِ الْمَلِكِ فِي أَدُوم. ¹⁵وَحَدَّثَ لَمَّا كَانَ دَاوُدُ فِي أَدُومَ، عِنْدَ صُعُودِ يُوَابَ رَئِيسِ الْجَيْشِ لِدَفْنِ الْقَتْلَى، وَضَرَبَ كُلَّ ذَكَرٍ فِي أَدُومَ. ¹⁶لَأَنَّ يُوَابَ وَكُلَّ إِسْرَائِيلَ أَقَامُوا هُنَاكَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ حَتَّى أَفْنَوْا كُلَّ ذَكَرٍ فِي أَدُومَ. ¹⁷أَنَّ هَدَدَ هَرَبَ هُوَ وَرِجَالُ الْأَدُومِيِّينَ مِنْ عِبِيدِ أَبِيهِ مَعَهُ لِيَأْتُوا مِصْرَ. وَكَانَ هَدَدُ غُلَامًا صَغِيرًا. ¹⁸وَقَامُوا مِنْ مَدْيَانَ وَاتُّوا إِلَى فَارَانَ، وَأَخَذُوا مَعَهُمْ رِجَالًا مِنْ فَارَانَ وَاتُّوا إِلَى مِصْرَ، إِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، فَأَعْطَاهُ بَيْتًا وَعَيْنَ لَهُ طَعَامًا وَأَعْطَاهُ أَرْضًا. ¹⁹فَوَجَدَ هَدَدُ نِعْمَةً فِي عَيْنَي فِرْعَوْنَ جَدًّا، وَزَوْجَةً أُخْتِ امْرَأَتِهِ، أُخْتِ تَحْفَنِيسَ الْمَلِكَةِ. ²⁰فَوُلِدَتْ لَهُ أُخْتٌ تَحْفَنِيسُ جَنُوبِثُ ابْنِهِ، وَفَطَمَتْهُ تَحْفَنِيسُ فِي وَسْطِ بَيْتِ فِرْعَوْنَ. وَكَانَ جَنُوبِثُ فِي بَيْتِ فِرْعَوْنَ بَيْنَ بَنِي فِرْعَوْنَ. ²¹فَسَمِعَ هَدَدُ فِي مِصْرَ بَأَنَّ دَاوُدَ قَدْ اضْطَجَعَ مَعَ آبَائِهِ، وَبَأَنَّ يُوَابَ رَئِيسَ الْجَيْشِ قَدْ مَاتَ. فَقَالَ هَدَدُ لِفِرْعَوْنَ: «أُطْلِقْنِي إِلَى أَرْضِي». ²²فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ: «مَاذَا أَعُوزُكَ عِنْدِي حَتَّى إِنَّكَ تَطْلُبُ الدَّهَابَ إِلَى أَرْضِكَ؟» فَقَالَ: «لَا شَيْءَ، وَإِنَّمَا أُطْلِقْنِي». ²³وَأَقَامَ اللَّهُ لَهُ خَصْمًا آخَرَ: رَزُونَ بْنُ أَلِيدَاعَ، الَّذِي هَرَبَ مِنْ عِنْدِ سَيِّدِهِ هَدَدَ عَزَرَ مَلِكِ صُوبَةٍ، ²⁴فَجَمَعَ إِلَيْهِ رِجَالًا فَصَارَ رَئِيسَ غَزَاةٍ عِنْدَ قَتْلِ دَاوُدَ إِيَّاهُمْ، فَانْطَلَقُوا إِلَى دِمَشَقَ وَأَقَامُوا بِهَا وَمَلَكَوا فِي دِمَشَقَ. ²⁵وَكَانَ خَصْمًا لِإِسْرَائِيلَ كُلِّ أَيَّامِ سُلَيْمَانَ، مَعَ شَرِّ هَدَدَ. فَكَّرَهُ إِسْرَائِيلَ، وَمَلَكَ عَلَى أَرَامَ. ²⁶وَيَرِيْعَامُ بْنُ نَابَاطَ، أَفْرَايِمِيٌّ مِنْ صَرْدَةٍ، عَبْدٌ لِسُلَيْمَانَ. وَاسْمُ أُمِّهِ صَرُوعَةُ، وَهِيَ امْرَأَةٌ أَرْمَلَةٌ، رَفَعَ يَدَهُ عَلَى الْمَلِكِ. ²⁷وَهَذَا هُوَ سَبَبُ رَفْعِهِ يَدَهُ عَلَى الْمَلِكِ: أَنَّ سُلَيْمَانَ بَنَى الْقَلْعَةَ وَسَدَّ شُقُوقَ مَدِينَةِ دَاوُدَ أَبِيهِ. ²⁸وَكَانَ الرَّجُلُ يَرِيْعَامُ جَبَّارَ بَأْسٍ، فَلَمَّا رَأَى سُلَيْمَانَ الْغُلَامَ أَنَّهُ عَامِلٌ شُغْلًا،

أَقَامَهُ عَلَى كُلِّ أَعْمَالٍ بَيْتَ يُوسُفَ.²⁹ وَكَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لَمَّا خَرَجَ يَرِيعَامُ مِنْ أُورُشَلِيمَ، أَنَّهُ لَاقَاهُ أَخِيًّا الشَّيْلُونِيُّ النَّبِيُّ فِي الطَّرِيقِ وَهُوَ لَابَسَ رِدَاءً جَدِيدًا، وَهُمَا وَحَدَهُمَا فِي الْحَقْلِ.³⁰ فَقَبَضَ أَخِيًّا عَلَى الرِّدَاءِ الْجَدِيدِ الَّذِي عَلَيْهِ وَمَرَّقَهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قِطْعَةً³¹ وَقَالَ لِيَرِيعَامَ: «خُذْ لِنَفْسِكَ عَشْرَ قِطَعٍ، لِأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: هَآنَذَا أَمْرُكَ الْمَمْلَكَةُ مِنْ يَدِ سُلَيْمَانَ وَأَعْطَيْكَ عَشْرَةَ أَسْبَاطٍ.³² وَيَكُونُ لَهُ سَبْطٌ وَاحِدٌ مِنْ أَجْلِ عَبْدِي دَاوُدَ وَمِنْ أَجْلِ أُورُشَلِيمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَرْتَهَا مِنْ كُلِّ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ،³³ لِأَنَّهُمْ تَرَكَوْنِي وَسَجَدُوا لِعَشْتُورَتِ إِلَهَةِ الصَّيْدُونِيِّينَ، وَلِكُمُوشِ إِلَهِ الْمُوَابِيِّينَ، وَلِمَلِكُومِ إِلَهِ بَنِي عَمُّونَ، وَلَمْ يَسْلُكُوا فِي طَرَقِي لِيَعْمَلُوا الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنِي وَفَرَائِضِي وَأَحْكَامِي كَدَاوُدَ أَبِيهِ.³⁴ وَلَا أَخَذُ كُلَّ الْمَمْلَكَةِ مِنْ يَدِهِ، بَلْ أُصِيرُهُ رَئِيسًا كُلِّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ لِأَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي الَّذِي اخْتَرْتَهُ الَّذِي حَفَظَ وَصَايَايَ وَفَرَائِضِي.³⁵ وَأَخَذُ الْمَمْلَكَةَ مِنْ يَدِ ابْنِهِ وَأَعْطَيْكَ إِيَّاهَا، أَيِ الْأَسْبَاطِ الْعَشْرَةِ.³⁶ وَأَعْطَيْتُ ابْنَهُ سَبْطًا وَاحِدًا، لِيَكُونَ سِرَاجَ لِدَاوُدَ عَبْدِي كُلِّ الْأَيَّامِ أَمَامِي فِي أُورُشَلِيمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَرْتَهَا لِنَفْسِي لِأَضَعَ اسْمِي فِيهَا.³⁷ وَأَخَذْتُكَ فَتَمَلَّكَ حَسَبَ كُلِّ مَا تَشْتَهِي نَفْسُكَ، وَتَكُونُ مَلَكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ.³⁸ فَإِذَا سَمِعْتَ لِكُلِّ مَا أَوْصِيكَ بِهِ، وَسَلَكْتَ فِي طَرَقِي، وَفَعَلْتَ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي عَيْنِي، وَحَفَظْتَ فَرَائِضِي وَوَصَايَايَ كَمَا فَعَلَ دَاوُدَ عَبْدِي، أَكُونُ مَعَكَ وَأَبْنِي لَكَ بَيْتًا أَمِنًا كَمَا بَنَيْتُ لِدَاوُدَ، وَأَعْطَيْكَ إِسْرَائِيلَ.³⁹ وَأُذِلُّ نَسْلَ دَاوُدَ مِنْ أَجْلِ هَذَا، وَلَكِنْ لَا كُلَّ الْأَيَّامِ.»⁴⁰ وَطَلَبَ سُلَيْمَانُ قَتْلَ يَرِيعَامَ، فَقَامَ يَرِيعَامُ وَهَرَبَ إِلَى مِصْرَ إِلَى شَيْشَقَ مَلِكِ مِصْرَ. وَكَانَ فِي مِصْرَ إِلَى وَفَاةِ سُلَيْمَانَ.⁴¹ وَبَقِيَّةُ أُمُورِ سُلَيْمَانَ وَكُلُّ مَا صَنَعَ وَحَكَمْتُهُ أَمَّا هِيَ مَكْتُوبَةٌ فِي سَفَرِ أُمُورِ سُلَيْمَانَ؟⁴² وَكَانَتْ الْأَيَّامُ الَّتِي مَلَكَ فِيهَا سُلَيْمَانُ فِي أُورُشَلِيمَ عَلَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.⁴³ ثُمَّ اضْطَجَعَ سُلَيْمَانُ مَعَ آبَائِهِ وَدُفِنَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَمَلَكَ رَحْبَعَامُ ابْنَهُ عَوَضًا عَنْهُ. لَا تَعْلِقُ !

3- ذكر يوحنا في إنجيله أن إخوة يسوع لم يكونوا يؤمنون به وذلك في الإصحاح

7 عدد³ فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: «انْتَقِلْ مِنْ هُنَا وَاذْهَبْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، لِكَيْ يَرَى تَلَامِيذُكَ أَيْضًا أَعْمَالَكَ الَّتِي تَعْمَلُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَعْمَلُ شَيْئًا فِي الْخَفَاءِ وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ

عَلَانِيَةً. إِنْ كُنْتَ تَعْمَلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ فَظَهَرَ نَفْسَكَ لِلْعَالَمِ». ⁵لَأَنَّ إِخْوَتَهُ أَيْضًا لَمْ يَكُونُوا يُؤْمِنُونَ بِهِ.

4- ذكر لوقا في إنجيله أن أم يسوع وأخواته لم يؤمنوا به ... وذلك في الإصحاح 8 عدد ¹⁹وَجَاءَ إِلَيْهِ أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ، وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ لِسَبَبِ الْجَمْعِ. ²⁰فَأَخْبَرُوهُ قَائِلِينَ: «أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ واقفون خارجًا، يريدون أن يروك». ²¹فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أُمِّي وَإِخْوَتِي هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ وَيَعْمَلُونَ بِهَا». لا تعليق !

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو : هل كفر أقارب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعد دخولهم الإسلام في حياته ثم ارتدوا ، أم أنه كانوا كفاراً من الأساس ، ومنهم من لم ير النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كي يؤمن به مثل أمه وأبيه

وهذا بخلاف حال بعض أنبياء الكتاب المقدس فإنهم كفروا بهم بعد دخولهم دينهم والإيمان بهم.... كما كان من سليمان الذي كفر بدين أبيه داود- عليه السلام - بعد أن اعتنقه؟! لا تعليق !

رد شبهة: نبي كان ضالاً !

قالوا على سبيل الاستهزاء: كيف كان رسولكم ضالاً ؟ وهل هناك رسول كان ضالاً كرسولكم ؟

وكان استشهدهم على استهزائهم هو: قول الله ﷻ : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (الضحى 7) .

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذه ليست بشبهة مطلقاً؛ فهي تدل على جهلهم وعمى بصيرتهم، وبصرهم... فكل ما هنالك أن قول الله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (الضحى 7). فهم منه أن النبي ﷺ كان بعيداً عن النبوة وعن الرسالة والعلم فهده الله ﷻ إليهم....

تدل على ذلك أدلة منها:

- 1- قوله ﷻ : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء 113).
- 2- قوله ﷻ : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (53)﴾ (الشورى).
- 3- قوله ﷻ : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف 3) .
- 4- قوله ﷻ : ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود 49) .

كان ما سبق أدلة على عدم بصيرتهم، وأما عن عمى بصرهم إن أحسنتُ بهم الظن... أقول: لو قرعوا التفاسيرَ ما سألوا بطريقتهم الغير لاثقة....

جاء في بعض كتب التفاسير ما يقوي ما سبق كما يلي:

1- تفسير الجلالين : { وَوَجَدَكَ ضَالًّا } عما أنت عليه الآن من الشريعة { فهدى } أي : فهداك إليها . اهـ

2- التفسير الميسر: ووجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان, فعلمك ما لم تكن تعلم, ووفقك لأحسن الأعمال. اهـ

وعليه : نزول الشبهة - بفضل الله ﷻ - .

ثانياً : إن سؤالهم يعبر عن مدى سوء أخلاقهم ، لما قالوا : وهل هناك رسول كان ضالاً كرسولكم ... ؟

قلتُ: أجيبُ رغم شعوري بالهمز والوقاحة في السؤال، وأقول: لقد كان موسى عليه السلام من الضالين حينما قتل المصري، وحينما أقول من الضالين أي: لم يكن رسولاً بعد؛ أعني بذلك : أنه كان بعيداً عن النبوة والرسالة والعلم كنبينا ﷺ

يدلل على ذلك قوله ﷺ عن موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ (الشعراء 20).

جاء في تفسير الجلالين : { قَالَ } موسى { فَعَلْتُهَا إِذَا } أي : حينئذ { وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ }
{ عما آتاني الله بعدها من العلم والرسالة . اهـ

وجاء في التفسير الميسر: قال موسى مجيباً لفرعون : فعلتُ ما ذكرتَ قبل أن يوحى الله
إلي ، ويبعثني رسولا . اهـ

إذا من خلال ما سبق تبين لنا: أن الضلال المقصود هنا ليس هو ما تصوره عقولهم
المريضة، ليس الضلال الذي هم عليه...

ثالثاً : إن الضلال الحقيقي الذي يدور في أذهان المعترضين هو ما نسبته الكتاب
المقدس إلى الربّ بأنه كان يضل الأنبياءَ والبشرَ ويُقسي قلوبهم وذلك في عدة
مواضع من الكتاب المقدس منها:

1- سفر الخروج إصحاح 10 عدد 1٠٠ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى : «ادْخُلْ إِلَى فِرْعَوْنَ، فَإِنِّي
أَغْلَظْتُ قَلْبَهُ وَقُلُوبَ عِبِيدِهِ لِكَيْ أَصْنَعَ آيَاتِي هَذِهِ بَيْنَهُمْ.

قُلْتُ : إن الملاحظ هنا أن الله هو من قسى قلب فرعون وعبيده ؛ ليهلكهم كما ذكر النص
وغيره من نفس السفر، ففي الإصحاح 7 عدد 3 وَلَكِنِّي أَقْسَى قَلْبَ فِرْعَوْنَ وَأَكْثُرُ آيَاتِي
وَعَجَائِبِي فِي أَرْضِ مِصْرَ .⁴ وَلَا يَسْمَعُ لَكُمْ فِرْعَوْنُ حَتَّى أَجْعَلَ يَدِي عَلَى مِصْرَ، فَأُخْرِجَ
أَجْنَادِي، شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ.

2- سفر حزقيال إصحاح 14 عدد⁹ فَإِذَا ضَلَّ النَّبِيُّ وَتَكَلَّمَ كَلَامًا، فَأَنَا الرَّبُّ قَدْ أَضَلَلْتُ ذَلِكَ النَّبِيَّ، وَسَامَدُ يَدِي عَلَيْهِ وَأُبِيدُهُ مِنْ وَسْطِ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ.¹⁰ وَيَحْمِلُونَ إِنْهُمْ. كَأَنْتُمْ السَّائِلِينَ يَكُونُ إِنْتُمْ النَّبِيِّ!

قلتُ : إن الملاحظ من النصين أن الله يضل النبي الذي يرسله!

وأتساءل : أليس هذا دليلاً على ضلال أنبياء الكتاب المقدس بزعم تلك النصوص ؟!

3- سفر الملوك الأول إصحاح 22 عدد²³ وَالْآنَ هُوَذَا قَدْ جَعَلَ الرَّبُّ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِكَ هَؤُلَاءِ، وَالرَّبُّ تَكَلَّمَ عَلَيْكَ بِشَرٍّ... لا تعليق!

4- سفر حزقيال إصحاح 20 عدد²⁴ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَصْنَعُوا أَحْكَامِي، بَلْ رَفَضُوا فَرَائِضِي، وَنَجَسُوا سُبُوتِي، وَكَانَتْ عُيُونُهُمْ وَرَاءَ أَصْنَامِ آبَائِهِمْ.²⁵ وَأَعْطَيْتُهُمْ أَيْضًا فَرَائِضَ غَيْرِ صَالِحَةٍ، وَأَحْكَامًا لَا يَحْيُونَ بِهَا،²⁶ وَنَجَسْتُهُمْ بِعَطَايَاهُمْ إِذْ أَجَازُوا فِي النَّارِ كُلَّ فَاتِحِ رَحْمٍ، لِأُبِيدَهُمْ، حَتَّى يَعْلَمُوا أَنِّي أَنَا الرَّبُّ.

قلتُ : إن الملاحظ من النصوص أن الرب بحسب ما نسب إليه يضل البشر وينجسهم ...!

وأتساءل : هل هذا العقاب يرتضيه المعترضون وهو أن يعاقب الله البشر بالضلال والنجاسة ... ؟!

5- سفر إشعياء إصحاح 63 عدد¹⁷ لِمَاذَا أَضَلَّتْنَا يَا رَبُّ عَنْ طُرُقِكَ، فَسَيِّتَ قُلُوبَنَا عَنْ مَخَافَتِكَ؟ ارْجِعْ مِنْ أَجْلِ عِبِيدِكَ، أَسْبَاطِ مِيرَاثِكَ.

6- سفر إرمياء إصحاح 16 عدد¹³ فَأَطْرُدْكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ لَمْ تَعْرِفُوهَا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَتَعْبُدُونَ هُنَاكَ إِلَهَةً أُخْرَى نَهَارًا وَلَيْلًا حَيْثُ لَا أُعْطِيكُمْ نِعْمَةً.

7- رسالة بولس تسالونيكي الثانية إصحاح 2 عدد¹⁰ وَبِكُلِّ خَدِيعَةِ الْإِثْمِ، فِي الْهَالِكِينَ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا مَحَبَّةَ الْحَقِّ حَتَّى يَخْلُصُوا.¹¹ وَلِأَجْلِ هَذَا سِيرُسِلُ إِلَيْهِمْ اللَّهُ عَمَلَ الضَّلَالِ، حَتَّى يُصَدِّقُوا الْكَذِبَ،¹² لِكَيْ يَدَانَ جَمِيعَ الَّذِينَ لَمْ يُصَدِّقُوا الْحَقَّ، بَلَّ سُرُوءًا بِالْإِثْمِ.

8- رسالة بولس إلى رومية إصحاح 9 عدد¹⁸ فَإِذَا هُوَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَقْسِي مَنْ يَشَاءُ.

﴿فَاطِرُ (8)﴾
إِنْ قِيلَ : إِنْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ آيَةٌ تَقُولُ : ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

قُلْتُ : إِنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَضِلًّا مِنْهُ ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ عَدْلًا ، يَهْدِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الهداية ، وَيُضِلُّ مَنْ يَسْتَحِقُّ الضلال، وذلك بعد النذير، وإقامة الحجة
يدلل على ذلك الآتي :

1- قوله ﷺ : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء 15).

2- قوله ﷺ : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (24) (فاطر).

3- قوله ﷺ : ﴿ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (36) (النحل).

4- قوله ﷺ : ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (7) (الرعد).

5 - أن الله ﷻ لا يضل الأنبياء والرسل كما هو حال الكتاب المقدس بل ينصرهم...
يقول ﷺ : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (غافر)
51 () .

5- ليس في كتابنا آيات تدل على ظلم الله ﷻ لأنبيائه ولعباده
بل يقول ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (40) (النساء).

رد شبهة: نبي يَأْكُلَ طَعَامًا ذُبِحَ عَلَى النصب !

قالوا لأحد المسلمين البسطاء : هل تعرف معنى النصب ؟ فقال : لا .

قالوا: تعريف النُّصْب :هي الأصنام والحجارة التي كان الكفار يذبحون عليها

ثم قالوا : هل تعلم أن رسولك أكل مما ذبح على النصب ، والقرآن يحرم ما ذبح على النصب : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المائدة3) .

فسكت المسلم البسيط ، ثم قالوا له : لقد أَكَلَ طَعَامًا ذُبِحَ عَلَى النصب ، والدليل على ما نقول هو ما جاء في مسند أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة (مسند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ١٥٦١) (برقم 1561 حَدَّثَنَا يَزِيدُ حَدَّثَنَا الْمَسْعُودِيُّ عَنْ نَفِيلِ بْنِ هِشَامِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ هُوَ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَمَرَّ بِهِمَا زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ فَدَعَاوَاهُ إِلَى سَفَرَةٍ لَهُمَا فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي إِنِّي لَا أَكُلُ مِمَّا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ قَالَ :فَمَا رَأَيْ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ أَكَلَ شَيْئًا مِمَّا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ :إِنَّ أَبِي كَانَ كَمَا قَدْ رَأَيْتَ وَبَلَغَكَ وَلَوْ أَدْرَكَكَ لَأَمَنَ بِكَ وَاتَّبَعَكَ فَاسْتَغْفِرَ لَهُ قَالَ: نَعَمْ فَاسْتَغْفِرْ لَهُ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَاحِدَةً .

تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده ضعيف ، ومعنى الحديث سيرد من حديث ابن عمر برقم 5369 بإسناد صحيح.

الرد على الشبهة

أولاً: أقول كما قال المحققون: إن هذا الحديث صحيحٌ إلا جملة: "فَمَا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ أَكَلَ شَيْئاً مِمَّا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ". فهي منكراً ولا تصحُّ حكم بذلك علماء أجلاء منهم:

1- الشيخ الألباني - رحمه الله - قال: "أخرجه الإمام أحمد (رقم 5369) من حديث ابن عمر، وقد رواه أيضاً من حديث سعيد بن زيد بن عمرو (1648) وفيه زيادةٌ منكراً، وهي تتنافى مع التوجيه الحسن الذي وجه به الحديث المؤلف وهي قوله بعد: "إِنِّي لَا أَكُلُ مِمَّا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ"، قَالَ: "فَمَا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ أَكَلَ شَيْئاً مِمَّا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ" وعلّة هذه الزيادة أنها من رواية المسعودي، وكان قد اختلط وراوي هذا الحديث عنه يزيد بن هارون سمع منه بعد اختلاطه، ولذلك لم يحسن صنعاُ حضرة الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر حيث صرح في تعليقه على المسند أن إسناده صحيح، ثم صرح بعد سطورٍ أنه إنما صححه مع اختلاطه لأنه ثبت معناه من حديث ابن عمر بسند صحيح يعني هذا الذي في الكتاب، وليس فيه الزيادة المنكرة، فكان عليه أن ينبه عليها حتى لا يتوهم أحد أن معناها ثابتٌ أيضاً في حديث ابن عمر. اهـ

2- الشيخ شعيب الأرناؤوط قال: إسناده ضعيف. اهـ

3- الإمام الذهبي - رحمه الله - حكم على هذه الزيادة بالنكارة، فالروايةُ أخرجها البزار (2755) والنسائي في الكبرى (8188) والطبراني (4663) وأبو يعلى (7211) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة عن أسامة بن زيد عن زيد بن حارثة قال خرجت مع رسول الله ... الحديث.

قال الذهبي في " سير أعلام النبلاء " (1/221-222) : " في إسنادِه مُحَمَّدٌ - يعني ابن عمرو بن علقمة - لا يُحتَجُّ به ، وفي بعضِه نكارةٌ بيّنة . اهـ

ثانياً: إن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل أكل النبي ﷺ طعاماً ذبح على النصب ؟!

قلتُ: إن النبي ﷺ أجاب هو بنفسه في عدة مواضع منها:

1- صحيح البخاري برقم 3540 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلَدٍ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْوَحْيُ فَقَدِمَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سَفَرَةٌ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ : إِنِّي لَسْتُ أَكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ وَلَا أَكُلُ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعْيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذِبَائِحَهُمْ وَيَقُولُ :الشَّاةُ خَلَقَهَا اللَّهُ وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ إِنْكَارًا لَذَلِكَ وَإِعْظَامًا لَهُ .

2- صحيح البخاري برقم 5075 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلَدٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَحْيُ فَقَدِمَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَفَرَةٌ فِيهَا لَحْمٌ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَا أَكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ وَلَا أَكُلُ إِلَّا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

جاء في شرح ابن بطلان للبخاري قال : فيه ابن عمر، عن النبي ﷺ ، أَنَّهُ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلَدٍ - وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْوَحْيُ فَقَدِمَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَفَرَةٌ فِيهَا لَحْمٌ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ : « إِنِّي لَا أَكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلَا أَكُلُ إِلَّا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ » . اهـ

نلاحظ: ليس في الروايات لفظة " فَمَا رُئِيَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ أَكَلَ شَيْئًا مِمَّا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ ". و ليس فيها أن النبي ﷺ ذبح على النصب ، أو أكل مما ذبح على النصب؛ الرواية تقول : " فَقَدِمْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سَفَرَةً فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا " .

3- مسند أحمد برقم 5836 حَدَّثَنَا عَقَانُ حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ أَخْبَرَنِي سَالِمٌ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلَدٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَحْيُ فَقَدِمَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَفَرَةً فِيهَا لَحْمٌ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا وَقَالَ : إِنِّي لَا أَكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ وَلَا أَكُلُ إِلَّا مَا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَحَدَّثَ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

الملاحظ مما سبق: أن السفارة قدمت للنبي ﷺ فرفض أن يأكل منها ، ثم قدمت لزيد ، ولم يأكل منها ...

فإن قيل : إن الرواية البخاري برقم 5075 تقول : إن النبي ﷺ هو من قدم اللحم لزيد وأبى زيد أن يأكل منها !

قلتُ : ليس في الرواية أن اللحم مما ذبح على النصب ، بل ظن زيد أنه ممن ذبح على النصب لذلك أبى أن يأكل بدليل فعل النبي ﷺ الثبت في رواية البخاري التي تقدمت معنا تقول : " فَقَدِمْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سَفَرَةً فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ : إِنِّي لَسْتُ أَكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ وَلَا أَكُلُ إِلَّا مَا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ " .
وعليه تبطل شبهتهم - بفضل الله - .

ثالثاً: أفترض جدلاً أن النبي ﷺ أكل مما ذبح على النصب قبل أن يوحى إليه - وحاشاه ذلك - أقول: لا يقدح هذا الأمر فيه ﷺ أبداً؛ يدل ذلك دليان:

الأول: قول الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾
(النساء 113).

الثاني: ما ذكره ابن حجر في الفتح: قَالَ الدَّوْدِيُّ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ الْمَبْعَثِ يُجَانِبُ
الْمُشْرِكِينَ فِي عَادَاتِهِمْ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الذَّبْحِ، وَكَانَ زَيْدٌ قَدْ عَلِمَ ذَلِكَ
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ لَقِيَهُمْ. وَقَالَ السُّهَيْلِيُّ: فَإِنْ قِيلَ فَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ أَوْلَى مِنْ زَيْدٍ
بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ، فَالْجَوَابُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷺ أَكَلَ مِنْهَا، وَعَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ
أَكَلَ فَزَيْدٌ إِنَّمَا كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِرَأْيٍ يَرَاهُ لَا بِشَرْعٍ بَلَّغَهُ، وَإِنَّمَا كَانَ عِنْدَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ بَقَايَا
مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ فِي شَرْعِ إِبْرَاهِيمَ تَحْرِيمُ الْمَيْتَةِ لَا تَحْرِيمَ مَا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ
عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا نَزَلَ تَحْرِيمُ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ، وَالْأَصَحُّ أَنَّ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ الشَّرْعِ لَا تُوصَفُ بِحِلٍّ
وَلَا بِحَرْمَةٍ، مَعَ أَنَّ الدَّبَائِحَ لَهَا أَصْلٌ فِي تَحْلِيلِ الشَّرْعِ، وَاسْتَمَرَ ذَلِكَ إِلَى نَزُولِ الْقُرْآنِ،
وَلَمْ يُنْقَلْ أَنْ أَحَدًا بَعْدَ الْمَبْعَثِ كَفَّ عَنِ الدَّبَائِحِ حَتَّى نَزَلَتْ الْآيَةُ. قُلْتُ: وَقَوْلُهُ إِنَّ زَيْدًا
فَعَلَ ذَلِكَ بِرَأْيِهِ أَوْلَى مِنْ قَوْلِ الدَّوْدِيِّ إِنَّهُ تَلَقَّاهُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِنَّ حَدِيثَ الْبَابِ بَيْنَ
فِيمَا قَالَ السُّهَيْلِيُّ، وَإِنَّ ذَلِكَ قَالَهُ زَيْدٌ بِاجْتِهَادٍ لَا بِنَقْلِ عَنْ غَيْرِهِ، وَلَا سِيَّما وَزَيْدٌ يُصَرِّحُ
عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ لَمْ يَتَّبِعْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِينَ. وَقَدْ قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ فِي الْمَلَّةِ
الْمَشْهُورَةِ فِي عَصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ الثُّبُوتِ إِنَّهَا كَالْمُمْتَنِعِ لِأَنَّ النَّوَاهِيَ إِنَّمَا تَكُونُ بَعْدَ تَقْرِيرِ
الشَّرْعِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَكُنْ مُتَعَبِّدًا قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ بِشَرْعٍ مِنْ قَبْلِهِ عَلَى الصَّحِيحِ. هـ

رابعاً : إن الكتاب المقدس أخبرنا بأمور عجيبة بشأن ما ذُبح على النصب (الذبح للأوثان)... أكتفي بذكر ما جاء عن النبي بلعام الذي أمر رجلاً يسمى بالآق بتعليم بني إسرائيل الذبح للأوثان ، والزنا....

وذلك في رؤيا يوحنا الإصحاح 2 عدد¹⁴ وَلَكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ قَلِيلٌ: أَنَّ عِنْدَكَ هُنَاكَ قَوْماً مُتَمَسِّكِينَ بِتَعْلِيمِ بَلْعَامَ، الَّذِي كَانَ يَعْلَمُ بِالْآقِ أَنَّ يُلْقِي مَعْتَرَةً أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَنْ يَأْكُلُوا مَا ذُبِحَ لِلْأَوْثَانِ، وَيَزْنُوا.

وكذلك تقديم الذبائح من هارون النبي الى عزازيل.... لا تعليق !

رد شبهة : نبي يأتيه الملك في مثل صلصلة جرس !

قالوا : هل هناك نبي صادق يقول : إن الوحي كان يأتيه مثل : صلصلة الجرس ؟!
لم نسمع أن نبياً من الأنبياء أتاه الوحي بهذه الصورة الغريبة (صلصلة الجرس) وما معنى ذلك ؟!

استدلوا على ذلك بحديث في صحيح البخاري كتاب (بدء الخلق) باب (بدء الوحي) برقم 2 عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني ، وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول . قالت عائشة - رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهَا - : " وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَقْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَنْقُصُ عَرَقًا " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الله ﷻ أراد أن يجعل للمؤمنين خوارق يشاهدونها فتوقن قلوبهم أن نبيهم يوحى إليه؛ فكان جبريل يأتي إلى رسول الله ﷺ على صورته الحقيقية الخارقة ، وهذا وقع مرتين ؛

يقول ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ (النجم 13) .

جاء في التفسير الميسر: ولقد رأى محمد ﷺ جبريل على صورته الحقيقية مرة أخرى . أه
رآه النبي ﷺ في الأفق كما جاء في صحيح مسلم برقم 255 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: { لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى } . قَالَ : " رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّ مِائَةِ
جَنَاحٍ " .

و كان يأتيه على صورة رجلٍ شديدٍ بياضِ الثيابِ شديدِ سوادِ الشعرِ لا يرى عليه أثرُ
السَّفرِ ... وهذا رآه المؤمنون

جاء ذلك في صحيح مسلم برقم 9 عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يَرَى عَلَيْهِ
أَثَرَ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ
كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامُ أَنْ

تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ : صَدَقْتَ قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ ؟ قَالَ : " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " . قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ؟ قَالَ : " أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ " . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ " ؟ قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمْرَتِهَا ؟ قَالَ : " أَنْ تَلِدَ الْأُمَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ " قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي : " يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : " فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ " .

وكان - عليه السلام - يأتي أحياناً إلى النبي في صورة الصحابي (دحية الكلبي) ، وذلك في صحيح مسلم برقم 244 عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : « عَرَضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ فَإِذَا مُوسَى ضَرْبُ مِنَ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَعَةٍ وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبْهًا عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبْهًا صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبْهًا دَحِيَّةَ » . وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمَاحٍ « دَحِيَّةُ بْنُ خَلِيفَةَ » .

الشاهد : أن الحديث الذي معنا به دليل عظيم من دلائل النبوة ، والمقصود بأنه كان يأتيه كصلصلة الجرس التشبيه في شدة الإطناب و ليس في ذات الصوت ، وإلا فالصوت هو القرآن ألتلو على لسان جبريل - عليه السلام - .

قال ابن حجر في الفتح : فَكَانَ عَلَى مِثْلِ صَلَصلةِ الْجَرَسِ ، فَإِنَّهُ بَيَّنَ بِهَا صِفَةَ الْوَحْيِ لَا صِفَةَ حَامِلِهِ . وَأَمَّا فُتُونُ الْوَحْيِ فَدَوِيَّ النَّحْلِ لَا يُعَارِضُ صَلَصلةَ الْجَرَسِ ؛ لِأَنَّ سَمَاعَ

الدَّوِيِّ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْحَاضِرِينَ - كَمَا فِي حَدِيثِ عُمَرَ - يُسْمَعُ عِنْدَهُ كَدَوِيَّ النَّحْلِ
وَالصَّلْصَلَةَ بِالنَّسْبَةِ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَشَبَّهَهُ عُمَرُ بِدَوِيِّ النَّحْلِ
بِالنَّسْبَةِ إِلَى السَّامِعِينَ ، وَشَبَّهَهُ هُوَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِصَلْصَلَةِ الْجَرَسِ بِالنَّسْبَةِ
إِلَى مَقَامِهِ . اهـ

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَهَى عَنِ الْجَرَسِ ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَصْحَبُ
رَفَقَةً فِيهَا جَرَسٌ فَكَيْفَ لَجَبْرِيلُ أَنْ يَأْتِيَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِصَلْصَلَةِ الْجَرَسِ ؟ !
أَلَمْ يَكُنْ جَبْرِيلُ مَلَكًا ؟ !

ثَبَتَ ذَلِكَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمَ بَابِ (كَرَاهَةِ الْكَلْبِ وَالْجَرَسِ فِي السَّفَرِ) بِرَقْمِ 3949 عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رَفَقَةً فِيهَا
كَلْبٌ وَلَا جَرَسٌ " .

قُلْتُ: إِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَهَى عَنِ الْجَرَسِ ، وَصَحِيحٌ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا
تَصْحَبُ رَفَقَةً فِيهَا جَرَسٌ ، لَكِنْ هَلْ قَالَ الْحَدِيثُ: إِنَّ جَبْرِيلَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِوَحْيٍ صَوْتُهُ جَرَسٌ ؟ ! أَمْ مِثْلُ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ ؟ !

الجواب : مِثْلُ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ ...

إِذَا: هَذَا تَشْبِيهِهُ فَقَطْ ، وَلَيْسَ هُوَ ذَاتُ الْجَرَسِ الْمَعْرُوفِ ، التَّشْبِيهُهُ وَقَعَ مِنْ حَيْثُ الْقُوَّةُ لَا
مِنْ حَيْثُ الطَّرَبُ كَمَا تَقْدُمُ مَعْنَاهُ - بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى - .

ثانيًا: إن هذا الحديث دليلٌ عظيمٌ من دلائل النبوة لوجهين :

الأول: إنه ﷺ كان يثقل وزنه بشدة حتى لو كان على ناقة لبركت و ذات مرة أوحى عليه ورأسه على فخذ على ﷺ فكادت فحذه يتحطم، و كان يتصبب عرقاً وقت الوحي حتى لو كان في وقت شديد البرودة ... وهذا الأمر يدل على أنه كان يوحى إليه وشاهده الصحابة.

الثاني: كان الصحابةُ ﷺ يسمعون صوتاً قوياً كدوي النحل في آذانهم ، وبالتالي فهذه خوارق تدل أن رسولَ الله ﷺ يوحى إليه من القدير ، وبالتالي فإن الشبهة منقلبة علي أصحابها لا تخدم مصالحهم - والله الحمد-.

ثالثًا: إن المتأمل في عقيدة المعترضين يجدهم يقولون : إن يسوع هو كلمة الله ، و نطقه العاقل ، وأن الله يتكلم في شخص يسوع المسيح، وذلك بحسب ما ذكرت الأنجيل....

يبقى سؤال يطرح نفسه هو : من كلم المسيح من السماء لما قال أمام التلاميذ :«هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. له اسمعوا». ؟! إله آخر غير المسيح تكلم...؟! جاء بيان ما سبق في الآتي :

1- إنجيل متى إصحاح 3 عدد 17 وصوت من السماوات قائلاً: « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت».

2- إنجيل متى إصحاح 17 عدد 5 وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظلتهم، وصوت من السحابة قائلاً: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. له اسمعوا».

2- إنجيل مرقس إصحاح 1 عدد 11 ¹¹ وَكَانَ صَوْتُ مِنَ السَّمَاوَاتِ: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ».

3- إنجيل لوقا إصحاح 3 عدد 22 ²² وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتُ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، بِكَ سُرَرْتُ».

وأتساءل: ما هو جوابهم على تلك النصوص ؟ أليس يسوع المسيح هو كلمة الله و نطقه العاقل ؟!

والأعجب أن المسيح - عليه السلام - نفسه قال في إنجيل يوحنا إصحاح 5 عدد 37 ³⁷ وَالْآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلَا أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ !

وأتساءل: أليست هذه إشكالية حقيقية من المفترض أن يهتموا بها ؟!...

وليتهم يخبرونا عن بولس الرسول وكيفية بدء الوحي له؟!

ذكرت الأناجيل في سفر أعمال الرسل ثلاث قصص تتناقض مع بعضها حول رؤيته ليسوع المسيح وبدء الوحي إليه؛ القصص الثلاث في نفس السفر كما يلي :

1- أعمال الرسل إصحاح 26 عدد 12 ¹² «وَلَمَّا كُنْتُ ذَاهِبًا فِي ذَلِكَ إِلَى دِمَشْقَ، بِسُلْطَانٍ وَوَصِيَّةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ، ¹³ رَأَيْتُ فِي نِصْفِ النَّهَارِ فِي الطَّرِيقِ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ، نُورًا مِنَ السَّمَاءِ أَفْضَلَ مِنْ لَمْعَانِ الشَّمْسِ، قَدْ أَبْرَقَ حَوْلِي وَحَوْلَ الدَّاهِبِينَ مَعِي. ¹⁴ فَلَمَّا سَقَطْنَا جَمِيعًا عَلَى الْأَرْضِ، سَمِعْتُ صَوْتًا يُكَلِّمُنِي وَيَقُولُ بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ: شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا

تَضْطَهْدُنِي؟ صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخَسَ .¹⁵ فَقُلْتُ أَنَا: مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ فَقَالَ: أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهْدُهُ.¹⁶ وَلَكِنْ قُمْ وَقِفْ عَلَى رِجْلَيْكَ لِأَنِّي لِهَذَا ظَهَرْتُ لَكَ، لِأَتُخَبِّكَ خَادِمًا وَشَاهِدًا بِمَا رَأَيْتَ وَبِمَا سَأْطَهْرُ لَكَ بِهِ .

2- أعمال الرسل إصحاح 9 عدد 3 وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نورٌ من السماء،⁴ فسقط على الأرض وسمع صوتًا قائلاً له: «شاول، شاول! لماذا تَضْطَهْدُنِي؟»⁵ فقال: «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟» فقال الربُّ: «أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهْدُهُ. صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخَسَ.»⁶ فقال وهو مرتعدٌ ومُنْحَرٍ: «يَا رَبُّ، ماذا تريدُ أَنْ أَفْعَلَ؟» فقال له الربُّ: «قُمْ وَادْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيَقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ.»⁷ وَأَمَّا الرِّجَالُ الْمُسَافِرُونَ مَعَهُ فَوَقَفُوا صَامِتِينَ، يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلَا يَنْظُرُونَ أَحَدًا.⁸ فَهَضَّ شَاوُلٌ عَنِ الْأَرْضِ، وَكَانَ وَهُوَ مَفْتُوحُ الْعَيْنَيْنِ لَا يَبْصُرُ أَحَدًا. فَاقْتَادَوْهُ بِيَدِهِ وَأَدْخَلُوهُ إِلَى دِمَشْقَ.

3- أعمال الرسل إصحاح 22 عدد 6 فَحَدَّثَ لِي وَأَنَا ذَاهِبٌ وَمُنْقَرِبٌ إِلَى دِمَشْقَ أَنَّهُ نَحْوُ نِصْفِ النَّهَارِ، بَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلِي مِنَ السَّمَاءِ نُورٌ عَظِيمٌ.⁷ فَسَقَطْتُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَسَمِعْتُ صَوْتًا قَائِلًا لِي: شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهْدُنِي؟⁸ فَأَجَبْتُ: مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ فَقَالَ لِي : أَنَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهْدُهُ.⁹ وَالَّذِينَ كَانُوا مَعِيَ نَظَرُوا النُّورَ وَارْتَعَبُوا، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الَّذِي كَلَّمَنِي.

قلتُ: إن الواجب على القارئ أن ينظر إلى هذا التناقض الواضح والاختلافات... ففي كل مرة القصة تختلف بحسب الروايات السابقة

ولما جاء الردُّ على الروايات من القس منيس عبد النور في كتابه : (شبهات وهمية)

قال: إنهم سمعوا صوتاً لكن لم يفهموه! هكذا كان رده! ونفهم من كلامه أنه صوت شديد فقط أي : أن الأمر مثل شبهة يأتيه الملك في مثل صلصلة جرس!

ثم إنني اتساءل : هل هذا هو الوحي ، وكلام الله المقدس الذي يؤمن به المعترضون رسائل شخصية ، وسلامات ويقولون : إنها وحي؟! جاء بيان ذلك في الآتي :

1- رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس إصحاح 4 عدد 10 لأن ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي، وكريسكس إلى غلاطية، وتيطس إلى دلماطية.¹¹ لوقا وحده معي. خذ مرفس وأحضره معك لأنه نافع لي للخدمة.¹² أما تيخيكس فقد أرسلته إلى أفسس.¹³ الرداء الذي تركته في ترواس عند كاريس، أحضره متى جئت، والكتب أيضاً ولا سيما الرقوق.¹⁴ إسكندر النحاس أظهر لي شروراً كثيرة. ليجازه الرب حسب أعماله.¹⁵ فاحتفظ منه أنت أيضاً، لأنه قاوم أقوالنا جداً.¹⁶ في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي، بل الجميع تركوني. لا يحسب عليهم.¹⁷ ولكن الرب وقف معي وقواني، لكي تتم بي الكرامة، ويسمع جميع الأمم، فأنقذت من فم الأسد.¹⁸ وسينقذني الرب من كل عمل رديء ويخلصني لملكوته السماوي. الذي له المجد إلى دهر الدهور. آمين.¹⁹ سلم على فرسكا وأكيلا وبيت أنيسيفورس.²⁰ أرسلت بقي في كورنثوس. وأما تروفيمس فتركته في ميليتس مريضاً.²¹ بادر أن تجيء قبل الشتاء. يسلم عليك أفولس وبوديس ولينس وكلاف دية والإخوة جميعاً.²² الرب يسوع المسيح مع روحك. النعمة معكم. آمين.

2- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية إصحاح 16 عدد 3. سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معي في المسيح يسوع،⁴ اللذين وضعنا عنقيهما من أجل حياتي، اللذين لست أنا وحدي أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم،⁵ وعلى الكنيسة التي في بيتهم. سلموا على أبينثوس حبيبي، الذي هو باكورة أخائية للمسيح.⁶ سلموا على

مَرِّمَ الَّتِي تَعَبَتْ لِأَجْلِنَا كَثِيرًا. ⁷ سَلِّمُوا عَلَى أُنْدَرُونِكُوسَ وَيُونِيَّاسَ نَسِيبِيَّ، الْمَأْسُورَيْنِ مَعِي، الَّذِينَ هُمَا مَشْهُورَانِ بَيْنَ الرُّسُلِ، وَقَدْ كَانَا فِي الْمَسِيحِ قَبْلِي. ⁸ سَلِّمُوا عَلَى أَمْبَلِيَّاسَ حَبِيبِي فِي الرَّبِّ. ⁹ سَلِّمُوا عَلَى أُوْرَبَانُوسَ الْعَامِلِ مَعَنَا فِي الْمَسِيحِ، وَعَلَى إِسْتَاخِيسَ حَبِيبِي. ¹⁰ سَلِّمُوا عَلَى أَبْلُسَ الْمُزَكِّيِّ فِي الْمَسِيحِ. سَلِّمُوا عَلَى الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ أَرِسْتُوبُولُوسَ. ¹¹ سَلِّمُوا عَلَى هِيرُودِيُونِ نَسِيبِيَّ. سَلِّمُوا عَلَى الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ نَرْكِسُوسَ الْكَانَنِيِّ فِي الرَّبِّ. ¹² سَلِّمُوا عَلَى تَرِيفِينَا وَتَرِيفُوسَا التَّاعَبَتَيْنِ فِي الرَّبِّ. سَلِّمُوا عَلَى بَرَسِيسَ الْمَحْبُوبَةِ الَّتِي تَعَبَتْ كَثِيرًا فِي الرَّبِّ. ¹³ سَلِّمُوا عَلَى رُوفُسَ الْمُخْتَارِ فِي الرَّبِّ، وَعَلَى أُمِّهِ أُمِّي. ¹⁴ سَلِّمُوا عَلَى أَسِينُكْرِيتَسَ، فَلَيفُغُونِ، هَرْمَاسَ، بَرُوبَاسَ، وَهَرْمِيسَ، وَعَلَى الْإِخْوَةِ الَّذِينَ مَعَهُمْ. ¹⁵ سَلِّمُوا عَلَى فِيلُولُغُسَ وَجُولِيَا، وَنِيرِيُوسَ وَأُخْتِهِ، وَأُولْمَبَاسَ، وَعَلَى جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ الَّذِينَ مَعَهُمْ. ¹⁶ سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَةٍ. كَنَائِسُ الْمَسِيحِ تُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ.

3- رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى تَيْطُسَ إِصْحَاح 3 عدد 12 حِينَمَا أُرْسِلُ إِلَيْكَ أَرْتِمَاسَ أَوْ تِيخِيكُسَ، بَادِرْ أَنْ تَأْتِيَ إِلَيَّ إِلَى نِيكُوبُولِيسَ، لِأَنِّي عَزَمْتُ أَنْ أَشْتِيَ هُنَاكَ. ¹³ جَهِّزْ زِينَاسَ النَّامُوسِيَّ وَأَبْلُوسَ بِاجْتِهَادٍ لِلسَّفَرِ حَتَّى لَا يَعْوِزُهُمَا شَيْءٌ. ¹⁴ وَلْيَتَعَلَّمْ مِنْ لَنَا أَيْضًا أَنْ يُمَارِسُوا أَعْمَالًا حَسَنَةً لِلْحَاجَاتِ الضَّرُورِيَّةِ، حَتَّى لَا يَكُونُوا بِلَا ثَمَرٍ. ¹⁵ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ الَّذِينَ مَعِيَ جَمِيعًا. سَلِّمَ عَلَى الَّذِينَ يُحِبُّونَنَا فِي الْإِيمَانِ. النِّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ.

نلاحظ من الأخير : أن بولس عزم إلى أن يشتي فنسي الجاكت ... وبعد ذلك
كثرة من السلامة

وعليه اتسأعل :

1- هل هذا وحي وكلام مقدس؟!؟

2- أليس هذا تعارضاً مع ما جاء في رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس
إصحاح 3 عدد 16¹⁶ كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحَى بِهِ مِنَ اللَّهِ ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ ، لِلتَّقْوِيمِ
وَالنَّادِبِ الَّذِي فِي الْبَرِّ ، 17¹⁷ لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللَّهِ كَامِلاً ، مُتَأَهِّباً لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ .
!؟

ثم إنني أتعجب أكثر من أن تخرج شبهة كهذه من أفواههم ، فهم يتعجبون أن الوحي
كان يجيء للنبي ﷺ على هيئة صلصلة الجرس ، ولا يتعجبون من أن الربّ عنده أحشاء
ترن كما زعم الكتاب المقدس في عدة مواضع منها :

1- سفر إشعياء إصحاح 16 عدد 11¹¹ لِذَلِكَ تَرْنُ أَحْشَائِي كَعُودٍ مِنْ أَجْلِ مُوَابَ وَبَطْنِي مِنْ
أَجْلِ قَيْرِ حَارِسَ .

2- سفر إشعياء إصحاح 63 عدد 15¹⁵ تَطْلُعُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَانْظُرْ مِنْ مَسْكَنِ قُدْسِكَ
وَمَجْدِكَ: أَيْنَ غَيْرَتُكَ وَجَبْرُوتُكَ؟ زَفِيرُ أَحْشَائِكَ وَمَرَاحِمُكَ نَحْوِي امْتَنَعْتُ .

3- سفر إرمياء إصحاح 4 عدد 19¹⁹ أَحْشَائِي، أَحْشَائِي! تُوَجِّعُنِي جُدْرَانُ قَلْبِي. يَنْثُنُ فِيَّ
قَلْبِي. لَا أَسْتَطِيعُ السُّكُوتَ. لِأَنَّكَ سَمِعْتَ يَا نَفْسِي صَوْتَ الْبُوقِ وَهْتَافَ الْحَرْبِ .

ولا يتعجبون من أن الرب يزأر كالأسد ويزمجر..... وذلك في سفر أرميا اصحاح 25 عدد 30 وَأَنْتَ فَتَنْتَبُ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ هَذَا الْكَلَامِ، وَقُلْ لَهُمْ: الرَّبُّ مِنَ الْعَلَاءِ يَزْمَجِرُ، وَمَنْ مَسَكَنَ قُدْسِهِ يُطْلَقُ صَوْتُهُ، يَزْأُرُ زَيْبَرًا عَلَى مَسْكَنِهِ، بِهِتَافٍ كَالدَّائِسِينَ يَصْرُخُ ضِدَّ كُلِّ سُكَّانِ الْأَرْضِ.

ولا يتعجبون من أن الرب يصفر للذباب وذلك في سفر إشعياء اصحاح 7 عدد 18 وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ الرَّبَّ يَصْفِرُ لِلذُّبَابِ الَّذِي فِي أَقْصَى تُرْعِ مِصْرَ، وَلِلنَّحْلِ الَّذِي فِي أَرْضِ أَشُورَ.

و يصفر للآمم أيضا وذلك في سفر إشعياء اصحاح 5 عدد 26 فَيَرْفَعُ رَايَةً لِلْأُمَمِ مِنْ بَعِيدٍ، وَيَصْفِرُ لَهُمْ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ، فَإِذَا هُمْ بِالْعَجَلَةِ يَأْتُونَ سَرِيعًا.

ولا يتعجبون من أن الرب يصفق ويضرب كفاً على كف وذلك في سفر حزقيال 21 عدد 17 وَأَنَا أَيْضًا أُصَفِّقُ كَفِّي عَلَى كَفِّي وَأُسَكِّنُ غَضَبِي. أَنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ!

قلتُ: كما قال ربي ﷻ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67) ﴾ (الزمر).

رد شبهة: نبيّ يحاول الانتحار !

قالوا : مات ورقة بن نوفل ، و فتر الوحي ، و حاول محمد رسول الإسلام الانتحار مراراً !

ثم ذكروا ما جاء في صحيح البخاري كتاب (التَّعْبِيرِ) بَاب (أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ) برقم 6467.... ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةً أَنْ تُوْفِيَ وَفَتَرَ الْوَحْيَ فِتْرَةً حَتَّى حَزَنَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا بَلَغْنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مَرَارًا كِي يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكَلَّمَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ لَكِي يُلْقِي مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لَذَلِكَ جَأَشُهُ وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ .

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذا البلاغ الذي جاء في صحيح البخاري وفيه أن النبي ﷺ حاول الانتحار بسبب موت ورقة بن نوفل وانقطاع الوحي عنه ﷺ... لا يصح؛ قال بذلك علماء أجلاء منهم :

أولاً : الشيخ الألباني - رحمه الله - ذكر تلك الرواية وقام بتفنيدها تفنيداً ، وذلك في كتابه (دفاع عن الحديث النبوي ج 1/ ص 40) برقم 2 - قال (1 / 55) : (وجزع النبي ﷺ بسبب ذلك جزعا عظيما حتى أنه كان يحاول - كما يروي الإمام البخاري - أن يتردى من شواهد الجبال) قلت : هذا الغزو للبخاري خطأ فاحش ذلك لأنه يوهم أن قصة التردى هذه صحيحة على شرط البخاري وليس كذلك وبيانه أن البخاري أخرجها في آخر حديث عائشة في بدء الوحي الذي ساقه الدكتور (1 / 51 - 53) وهو عند البخاري في أول (التعبير) (12 / 297 - 304 فتح) من طريق معمر : قال الزهري : فأخبرني عروة عن عائشة . . . فساق الحديث إلى قوله : (وفتّر الوحي) وزاد الزهري : (حتى حزن النبي ﷺ - فيما بلغنا - حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال فكلمنا أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدي له [40] جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه

فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك (وهكذا أخرجه بهذه الزيادة أحمد (6 / 232 - 233) وأبو نعيم في (الدلائل) (ص 68 - 69) والبيهقي في (الدلائل) (1 / 393 - 395) من طريق عبد الرزاق عن معمر به ومن هذه الطريق أخرجه مسلم (1 / 98) لكنه لم يسق لفظه وإنما أحال به على لفظ رواية يونس عن ابن شهاب وليس فيه الزيادة وكذلك أخرجه مسلم و أحمد (6 / 223) من طريق عقيل بن خالد : قال ابن شهاب به دون الزيادة وكذلك أخرجه البخاري في أول الصحيح عن عقيل به

قلت : ونستنتج مما سبق أن لهذه الزيادة علتين :

الأولى : تفرد معمر بها دون يونس وعقيل فهي شاذة

الأخرى : أنها مرسله معضلة فإن القائل : (فيما بلغنا) إنما هو الزهري كما هو ظاهر من السياق وبذلك جزم الحافظ في (الفتح) (12 / 302) وقال : (وهو من بلاغات الزهري وليس موصولا)

قلت : وهذا مما غفل عنه الدكتور أو جهله فظن أن كل حرف في (صحيح البخاري) هو على شرطه في الصحة ولعله لا يفرق بين الحديث المسند فيه والمعلق كما لم يفرق بين الحديث الموصول فيه والحديث المرسل الذي جاء فيه عرضا كحديث عائشة هذا الذي جاءت في آخره هذه الزيادة المرسله واعلم أن هذه الزيادة لم تأت من طريق موصولة يحتج بها كما بينته في (سلسلة الأحاديث الضعيفة) برقم (4858) وأشارت إلى ذلك في التعليق على (مختصري لصحيح البخاري) (1 / 5) يسر الله تمام طبعه [41] . اهـ

ثانياً: كتب الدكتور عبد الصبور مرزوق في كتاب (حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين) ما نصه: الحق الذي يجب أن يقال... أن هذه الرواية التي استندتم إليها . يا خصوم الإسلام . ليست صحيحة رغم ورودها في صحيح البخاري . رحمه الله . ؛ لأنه

أوردها لا على أنها واقعة صحيحة ، ولكن أوردها تحت عنوان " البلاغات " يعنى أنه بلغه هذا الخبر مجرد بلاغ ، ومعروف أن البلاغات في مصطلح علماء الحديث: إنما هي مجرد أخبار وليست أحاديث صحيحة السند أو المتن (صحيح البخاري ج 9 ص 38 ، طبعة التعاون).

وقد علق الإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (ج 12 ص 376) بقوله: " إن القائل بلغنا كذا هو الزهري، وعنه حكى البخاري هذا البلاغ ، وليس هذا البلاغ موصولاً برسول الله ﷺ، وقال الكرمانى : وهذا هو الظاهر ."

هذا هو الصواب، وحاش أن يقدم رسول الله ﷺ . وهو إمام المؤمنين . على الانتحار، أو حتى على مجرد التفكير فيه. وعلى كل فإن محمداً ﷺ كان بشراً من البشر ولم يكن ملكاً ولا مدعياً للإلهية. والجانب البشرى فيه يعتبر ميزة كان ﷺ يعتني بها ، وقد قال القرآن الكريم في ذلك : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (الإسراء 93) .

ومن ثم فإذا أصابه بعض الحزن أو الإحساس بمشاعر ما نسميه - في علوم عصرنا - بالإحباط أو الضيق فهذا أمر عادى لا غبار عليه ؛ لأنه من أعراض بشريته ﷺ .

وحين فتر (تأخر) الوحي بعد أن تعلق به الرسول ﷺ كان يذهب إلى المكان الذي كان ينزل عليه الوحي فيه يستشرف لقاء جبريل ، فهو محب للمكان الذي جمع بينه وبين حبيبه بشيء من بعض السكن والطمأنينة ، فماذا في ذلك أيها الظالمون دائماً لمحمد ﷺ في كل ما يأتي وما يدع ؟

وإذا كان أعداء محمد ﷺ يستندون إلى الآية الكريمة: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (6) (الكهف). فالآية لا تشير أبداً إلى معنى الانتحار، ولكنها تعبير أدبي عن حزن النبي محمد ﷺ بسبب صدود قومه عن الإسلام ، وإعراضهم عن الإيمان بالقرآن العظيم ؛ فتصور كيف كان اهتمام الرسول الكريم ﷺ بدعوة الناس إلى الله ﷻ ، وحرصه الشديد على إخراج الكافرين من الظلمات إلى النور. وهذا خاطر طبيعي للنبي الإنسان البشر الذي يعلن القرآن على لسانه ﷺ اعترافه واعتزازه بأنه بشر في قوله - رداً على ما طلبه منه بعض المشركين - : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ

لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿90﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا
تَفْجِيرًا ﴿91﴾ أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا

زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِلًا وَّالْمَلَانِكَةُ قَبِيلًا ﴿92﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ
تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنِ ثُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ
إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿الإسراء﴾. فكان رده: (سبحان ربي) متعجباً مما طلبوه، ومؤكداً أنه بشرٌ
لا يملك تنفيذ مطلبهم : ﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ (الإسراء 93). أما قولهم على محمد
ﷺ أنه ليست له معجزة فهو قول يعبر عن الجهل والحمق معاً. حيث ثبت في صحيح
الأخبار معجزات حسية تمثل معجزة الرسول ﷺ ، كما جاءت الرسل بالمعجزات من عند
ربها ؛ منها نبع الماء من بين أصابعه ، ومنها سماع حنين الجذع أمام الناس يوم
الجمعة ، ومنها تكثير الطعام حتى يكفى الجم الغفير ، وله معجزة دائمة هي معجزة
الرسالة وهي القرآن الكريم الذي وعد الله بحفظه فَحُفِظَ ، ووعد ببيانه ؛ لذا يظهر بيانه
في كل جيل بما يكتشفه الإنسان ويعرفه . اهـ

ثانياً : إن هذه الرواية لا يصح رفعها إلى النبي ﷺ كما تقدم معنا ، ومع كلِّ أفترض جدلاً
أنها صحيحة ، وحاول النبي ﷺ الانتحارَ لانقطاع الوحي عنه ، أقول : بأن هذه الرواية لا
تخدم المعترضين بحالٍ من الأحوال بل تدل على صدق نبوته ورسالته ﷺ ، وتدل على أن
الوحي فعلاً من عند الله ﷻ وليس اختراعاً منه ﷺ ؛ فلو كان اختراعاً منه ما حاول
الانتحار لما انقطع عنه الوحي !.

وأسأل المعترضين سؤالاً هو: من الذي منع النبي ﷺ من محاولة الانتحار بحسب ما جاء
في الرواية ؟

الجواب: إنه جبريل وهو ملك من عند الله ﷻ ..

إِذَا: محمد ﷺ رسول من عند الله ﷻ يوحى إليه بواسطة الملاك جبريل عليه السلام ...

ألخص ما سبق: إن الرواية لا تصح، وبفرض صحتها لا تطعن في عصمة النبي ﷺ ، بل فيها دلالة على أنه نبي ورسول من عند الله حقاً وبقيناً.

ثالثاً: إن قيل : كيف يحاول الانتحار وهو نبي من عند الله ﷻ وقد جاء عنه في صحيح البخاري برقم 5333 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا " .

قلت: إن الجواب يكون بسؤال هو: متى قال النبي ﷺ هذا الحديث ؟ قبل محاولة الانتحار أم بعدها بحسب ما جاء في الرواية ؟

الجواب: قال هذا الحديث بعدها بزمان بعيد.

إِذَا: محاولة الانتحار كانت قبل نزول التشريعات علي النبي ﷺ ، وعليه فلم يكن يعلم ﷺ أن الانتحار من الكبائر التي حرمها الله ﷻ ... قَالَ ﷺ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء 113).

رابعاً : إن هناك سؤلاً يفرض نفسه هو: هل لو انتحر النبي (مات منتحراً) هل هذا الأمر يقدر في نبوته بحسب ما جاء في الكتاب المقدس ؟

الجواب : لو مات النبي منتحراً لا يقدر ذلك في نبوته بحسب ما جاء في الكتاب المقدس ؛ لأن شاول الملك الذي يؤمن به بعض اليهود أنه نبي، والذي يقول عنه الكتاب المقدس أنه تنبأ : " فخلع هو أيضاً ثيابه وتنبأ هو أيضاً أمام صموئيل " (صموئيل الأول 19 : 24).

إذا : الكتاب المقدس قال إنه تنبأ ، ولكنه بعد ذلك فعل الشر في عيني الرب

ذكر سفر صموئيل الثاني أن شاول مات منتحراً ، وذلك في الإصحاح 1 عدد¹ وكان بعد موت شاول ورجوع داود من مضاربة العمالقة، أن داود أقام في صقلغ يومين.² وفي اليوم الثالث إذا برجل أتى من المحلة من عند شاول وثيابه ممزقة وعلى رأسه تراب. فلما جاء إلى داود خر إلى الأرض وسجد.³ فقال له داود: «من أين أتيت؟» فقال له: «من محلة إسرائيل نجوت». ⁴ فقال له داود: «كيف كان الأمر؟ أخبرني». فقال: «إن الشعب قد هرب من القتال، وسقط أيضاً كثيرون من الشعب وماتوا، ومات شاول ويوناثان ابنه أيضاً». ⁵ فقال داود للغلام الذي أخبره: «كيف عرفت أنه قد مات شاول ويوناثان ابنه؟» ⁶ فقال الغلام الذي أخبره: «اتفق أنني كنت في جبل جلبوع وإذا شاول يتوكل على رمحه، وإذا بالمركبات والفرسان يشدون وراءه. ⁷ فالتفت إلى ورائه فرأيت ودعاني فقلت: هأنذا. ⁸ فقال لي: من أنت؟ فقلت له: عماليقي أنا. ⁹ فقال لي: قف علي واقتلني لأنه قد اعتراني الدوار، لأن كل نفسي بعد في. ¹⁰ فوقفت عليه وقتلته لأنني علمت أنه لا يعيش بعد سقوطه، وأخذت الإكليل الذي على رأسه والسوار الذي على ذراعه وأتيت بهما إلى سيدي ههنا». ¹¹ فأمسك داود ثيابه ومزقها، وكذا جميع الرجال الذين معه. ¹² وندبوا وبكوا وصاموا إلى

الْمَسَاءِ عَلَى شَاوُلَ وَعَلَى يُونَاثَانَ ابْنِهِ، وَعَلَى شَعْبِ الرَّبِّ وَعَلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ لِأَنَّهُمْ سَقَطُوا
بِالسَّيْفِ...!!

ثم إن الأناجيل نسبت إلى يسوع المسيح أنه أوصى بعض الناس بالانتحار الذين يكونون
عقبات أمام المؤمنين في طريقهم إلى ربهم ، وذلك في إنجيل متى إصحاح 18 عدد⁶
وَمَنْ أَعَثَّرَ أَحَدَ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيَغْرُقَ
فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ. ⁷وَيْلٌ لِلْعَالَمِ مِنَ الْعَثَرَاتِ! فَلَا بُدَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ، وَلَكِنْ وَيْلٌ لِدَلِكِ الْإِنْسَانِ
الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثَرَةُ!

رد شبهة : هل اقتبس نبي الإسلام من الزرادشتية و المانوية...؟!

قالوا : إن محمداً أقتبس القرآن من ديانات سابقة ، مثل : المانوية و الزرادشتية.. وهناك
تطابق رهيب بينهما وبين القرآن الذي أتى به ...

قلتُ : إنني سأנסف هذه الشبهات نفساً -إن شاء الله- من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : التعريف بالمانوية و الزرادشتية .

الوجه الثاني : الرد على الشبهة بوجه عام.

الوجه الثاني : تفنيد الافتراءات التي زعموها.

الوجه الأول : التعريف بالمانوية و الزرادشتية .

أولاً: سيرة ماني و المانوية

نقلًا بتصريف عن موسوعة أقباط مصر: " ادعى أنه البارقليط الذي في الكتاب المقدس وأنه نبي، وظل ينطق بهرطقات ثم اتخذ لنفسه اثني عشر تلميذًا واثنين وسبعين أسقفًا، ثم أرسل هؤلاء لينشروا تعاليمه فاتبعه الكثير، وكان يدعي أنه طبيب وكان يعالج ابن ملك الفرس فلم يفلح في معالجته فمات الولد فألقي بماني إلى السجن، وحكم عليه بالإعدام إلى أنه رشى الحراس فمكنوه من الفرار، وفر إلى فلسطين حيث طرده أحد الأساقفة خوفًا من ضلاله، ولكن ملك الفرس استطاع أن يصل إليه فقبض عليه وسلخ جلده حيًّا ثم سلم جسده للوحوش وعلقه على باب المدينة، وبعد موته هاج أتباعه وظلوا ينشرون معتقداته في كل مكان. " (2)

شيء من فساد العقيدة المانوية:

المانوية يقولون بالثنوية، وهي ثنوية متناقضة، أي أن هناك إلهين متناقضين، الأول يجلس على عرش النور والثاني على عرش الظلام، أي أنهما إلهين واحد للنور وآخر للظلام!

وهم يحرمون أكل اللحم الذي يلهب شهوات الجسد الحسية! لذا فهم يأكلون الفواكه وخاصة البطيخ. وهم يحرمون ذبح الحيوان تحريمًا! ولديهم طائر مقدس اسمه "التدرج".

والمانوية تحلل زواج الآباء من البنات حسبما ترويهِ الروايات الإسلامية

وفي فهرست ابن النديم يقول عن عقيدة ماني: قال ماني: مبدأ العالم كونين أحدهما نور والآخر الظلمة، كل واحد منهما منفصل من الآخر، فالنور هو العظيم الأول، ليس بالعدد، وهو الإله ملك جنان النور، وله خمسة أعضاء، الحلم والعلم والعقل والغيب والفتنة، وخمسة آخر روحانية وهي، الحب والإيمان والوفاء والمودة والحكمة.

وزعم أنه بصفاته هذه أزلي، ومعه شيئان أزليان أحدهما الجو والآخر الأرض، قال ماني: وأعضاء الجو خمسة: الحلم والعلم والعقل والغيب والفتنة، وأعضاء الأرض: النسيم والريح والنور والماء والنار، والكون الآخر وهو الظلمة وأعضائها خمسة: الضباب والحريق والسموم والسم والظلمة،

قال ماني: وذلك الكون النير مجاور للكون الظلم لا حاجز بينهما، والنور يلقي الظلمة بصفحته ولا نهاية للنور من علوه ولا يمتنه ولا يسرته، ولا نهاية للظلمة في السفلى ولا في اليمنة واليسرة، قال ماني : ومن تلك الأرض المظلمة كان الشيطان، لا أن يكون أزلياً بعينه ولكن جواهره كانت في عناصره أزلية، فاجتمعت تلك الجواهر من عناصره فتكونت شيطانا، رأسه كراس أسد وبدنه كبذن تنين وجناحه كجناح طائر وذنبه كذنب حوت وأرجله أربع كأرجل الدواب، فلما تكون هذا الشيطان من الظلمة وتسمى إبليس القديم، ازدرد واسترط وأفسد ومر يمنا ويسرة ونزل إلى السفلى في كل ذلك يفسد ويهلك من غالبه، ثم رام العلو فرأى لمحات النور فأنكرها ثم رآها متعالية فارتعد وتداخل بعضه في بعض ولحق بعناصره، ثم إنه رام العلو، فعلمت الأرض النيرة بأمر الشيطان وما هم به من القتال والفساد، فلما علمت به علم به عالم الفطنة ثم عالم العلم ثم عالم الغيب ثم عالم العقل ثم عالم الحلم، قال: ثم علم به ملك جنان النور فاحتال لقهره، قال: وكان جنوده أولئك يقدرّون على قهره ولكنه أراد أن يتولى ذلك بنفسه، فأولد بروح ثمانية وبخمسة عالمية وبعناصره الاثنتي عشرة، مولوداً وهو الإنسان القديم، ونذبه لقتال الظلمة، قال: فتدّرع الإنسان القديم بالأجناس الخمسة وهي الإلهة الخمسة: النسيم والريح والنور والماء والنار، واتخذهم سلاحاً، فأول ما لبس النسيم وارتدى على النسيم العظيم بالنور المشع، وتعطف على النور بالماء ذي الهباء واكتن بالريح الهابة، ثم أخذ النار بيده كالمجن والسنان، وانحط بسرعة من الجنان إلى أن انتهى إلى الحد مما يلي الحربى، وعمد إبليس القديم إلى أجناسه الخمسة، وهي الدخان والحريق والظلمة والسموم والضباب، فتدّرعها وجعلنا جنة له، ولقى الإنسان القديم فاقتتلوا مدة طويلة واستتظهر إبليس القديم على الإنسان القديم، واسترط من نوره وأحاط به مع أجناسه وعناصره واتبعه ملك جنان النور بآله آخر، واستنقذه واستتظهر على الظلمة، ويقال لهذا الذي اتبع به الإنسان، حبيب الأنوار فنزل وتخلص الإنسان القديم من الجهنّمات مع ما أخذ وآسر من أرواح الظلمة، قال: ثم إن البهجة وروح الحياة طعنا إلى الحد، فنظرا إلى غور تلك الجنهم السفلى، وأبصرا الإنسان القديم والملائكة وقد أحاط بهم إبليس، والزجربون العتاة، والحياة المظلمة، قال: فدعا روح الحياة، الإنسان القديم بصوت عالي

كالبرق في سرعة، فكان إلهاً آخر، قال ماني: فلما شابك إبليس القديم بالإنسان القديم بالمحاربة، اختلط من أجزاء النور الخمسة بأجزاء الظلمة الخمسة، فخالط الدخان النسيم، فمنها هذا النسيم الممزوج، فما فيه من اللذة والترويح عن الأنفس وحياة الحيوان فمن النسيم، وما فيه من الهلاك والأدواء فمن الدخان، وخالط الحريق النار فمنها هذه النار، بما فيها من الإحراق والهلاك والفساد فمن الحريق، وما فيه من الإضاءة والإنارة فمن النار، وخالط النور الظلمة، فما فيها من هذه الأجسام الكثيفة مثل الذهب والفضة وأشباه ذلك، وما فيها من الصفاء والحسن والنظافة والمنفعة فمن النور، وما فيها من الدرن والكدر والغلظ والقساوة فمن الظلمة، وخالط السموم الريح فمنها هذه الريح فما فيها من المنفعة واللذة فمن الريح، وما فيها من الكرب والتعوير والضرر فمن السموم، وخالط الضباب الماء فمنها هذه الماء، فما فيه من الصفاء والعذوبة والملائمة للأنفس فمن الماء، وما فيه من التغريق والتخنيق والأهلاك والثقل والفساد فمن الضباب.

ثم يقول في الصفحة التالية:

قال: ثم إن أحد أولئك الأراكنة والنجوم والرجز والحرص والشهوة والإثم، تناكحوا، فحدث من تناكحهم الإنسان الأول الذي هو آدم والذي تولى ذلك، أركونان ذكر وأنثى، ثم حدث تناكح آخر فحدث منه المرأة الحسناء التي هي حواء. اهـ

ثانياً : سيرة زرادشت والزرادشتية

نقلاً بتصرف عن (موسوعة الأديان) : في ذلك الوقت، كانت هناك بشائر تتنبئ بقدوم نبي عظيم، وفي مدينة أذربيجان كان هناك رجل يعيش مع زوجته وذات يوم بينما كان الرجل يرفع ماشيته في الحقل، تراءى له شبحان اقتربا منه، وقدا إليه غصناً من أغصان نبات الهوما، وأمره أن يقدم هذا الغصن إلى زوجته لأنه يحمل كيان الطفل

الروحاني، ففعل الرجل ما أمراه به ومزج الغصن باللبن وشربه هو وزوجته، فحملت الزوجة زرادشت، وبعد خمسة شهور من الحمل رأت الأم في الحلم أن سحابة سوداء أحاطت ببيتها، وأن مخلوقات بشعة هبطت عليها من السحابة وانتزعت الطفل من رحمها وهمت بالقضاء عليه، وصرخت الأم وأعولت، ولم يلبث أن هبط من السماء شعاع نور مزق السحابة السوداء إرباً، فاخفت الكائنات البشعة التي ولت هاربة ثم انبثق من الطيف شاب يشع منه نور متألئ، أعاد الطفل إلى بطن أمه وسكن من روعها، وقال لها: هذا الطفل عندما يكبر سيصبح نبي "أهورا مزدا"، وحينما وُلد زرادشت لم يبك كسائر الأطفال بل قهقه بصوت عال اهتزت له أركان البيت الذي غمره نور إلهي، وهربت الأرواح الشريرة كلها إلى عالمها السفلي!

وتكثر الأساطير حول ما حصل بعد مولد الطفل زرادشت، منها أن "دوران سرون"، كبير سحرة إيران قد عرف أن طفلاً قد ولد وأنه حينما يكبر سوف يقضي على السحر وعلى عبادة الأصنام، ويطرده السحرة والكهان من جميع البلاد، فأرسل "دوران سرون" ثلاثة من سحرته لإحضار زرادشت إليه في معبد النار، وفي أثناء ذلك، أعد "دوران سرون" ناراً على المذبح، وعندما جيء بالطفل وضعه وسط النار، وانطلق خارجاً من المعبد هو وحسرتة، ولكن عندما عادت أم الطفل إلى البيت ولم تجد ولدها، انطلقت إلى معبد النار لتصلي وتدعو الآلهة أن ترده إليها، وهناك على المذبح وجدت الأم طفلها يلعب في ابتهاج وسط اللهب، كما لو كان يعبث في حمام دافئ، وبعد هذا دبر "دوران سرون" خطة جديدة فاستدعى سحرته الثلاثة وأمرهم بإحضار الطفل مرة أخرى ووضعوه وسط الطريق العام حيث يمر قطع كبير من الماشية، ولكن أول بقرة من القطيع أسرع نحو الطفل ووقفت تغطيه بجسمها لتحميه من القطيع، وظلت البقرة في مكانها حتى مر القطيع كله، وعندما جاءت أم زرادشت تجري على الطريق بحثاً عن ولدها وجدته على الأرض سليماً لم يلحقه أي أذى، فدبر "دوران سرون" مكيدة أخرى فقرر أن يسرق زرادشت ويضعه في جحر ذئاب وقال إن لم تأكله الذئاب فسيموت جوعاً، ولكن الذئاب عندما عادت إلى جحرها تسمرت فجأة في الأرض وعجزت عن التحرك، بينما ظهرت

عزتان داخل الجحر بغير خوف، راحتا ترضعان الطفل، وليست هذه سوى واحدة من عدة قصص قيلت حول ما حدث لزرداشت حينما كان طفلاً.

عندما بلغ زرداشت السابعة من عمره، أرسلوه بعيداً ليدرس مع الحكيم "بورزين كوروس"، وظل يدرس عند الحكيم ثمانية أعوام، وتعلم العقيدة والزراعة وتربية الماشية وعلاج المرضى، وحينما كان في الخامسة عشر من عمره غزا الطورانيون إيران، فتطوع زرداشت في علاج جرحى الحرب، وبعد الحرب انتشرت المجاعة في جميع أنحاء إيران، فتطوع زرداشت واضعاً جهده وخبرته في خدمة المرضى والفقراء، ثم تزوج فتاة اسمها "هافويه"، أنجبت له بنتاً وولدين وظل يواصل عمله في خدمة المرضى وعلاجهم لمدة عشرة أعوام أخرى.

وحينما كان زرداشت في العشرين من عمره قال لزوجته: "سأذهب بعيداً لأعيش ناسكاً زمناً، لأفكر في الخير والشر، فربما تبينت مصدر العناء في العالم"، فذهب زرداشت وانطلق إلى جبل "سابلان" حيث هام على وجهه سعيًا وراء أجوبة عن تساؤلاته الكثيرة حول الأصل والمصير ومعنى الحياة والخلص، وفي يوم ما قفز زرداشت واقفاً على قدميه وقد ملأه فرح غامر، لقد أمسك بيده سر الحكمة التي يبحث عنها، وجاء ذلك الإدراك وهو يرقب غروب الشمس، فقد أدرك وقتئذ أن اليوم ينقسم إلى قسمين: النهار والليل، النور والظلام، ولكن ألم يكن يعرف هذه الحقيقة العادية منذ طفولته؟ بلى ولكنه تبين فيها الآن سر الحكمة، فكما أن اليوم يتألف من النور والظلام، فالعالم أيضاً فيما بدا لزرداشت يتألف من الخير والشر، وكما أن الليل والنهار لا يمكن أن تتغير طبيعتهما أبداً، فالنهار متألق والليل مظلم، فكذلك لا يمكن للخير أن يصبح شراً، ولا يمكن للشر أن يصبح خيراً، وإذا كان الخير دائماً خيراً والشر شراً، فإن السحرة والكهنة الذين يقومون على عبادة الأوثان لابد أن يكونوا جزءاً من الخطأ أيضاً، فهم يعتقدون ويتقربون لآلهة الخير من أجل أن تصنع خيراً، فآلهة الخير لا يمكن أن تصنع شراً، وآلهة الشر لا يمكن أن تفعل أي خير، وبدا وضحا كل الوضوح لزرداشت أن العالم تحكمه قوتان: خير واحد وشر واحد، وقال زرداشت إن "أهورا مزدا" هو قوة الخير، وأن "أهرمان" هو قوة الشر.

وعندما نزل زرادشت من فوق جبل "سابلان" مستعداً في حماس لإعلان حقيقة الخير والشر للناس، لم يكن أهل إيران مستعدين للإنصات إليه، فقد كانوا قد تعودوا آلهتهم وأصنامهم التي كانت حقائق ملموسة بين أيديهم، بينما إله الخير وروح الشر اللذان يتحدث عنهما زرادشت لا يمكن رؤيتهما أو سماعهما أو لمسهما، ومرت بزرادشت عشرة أعوام رهيبة هائلة وهو يبحث عن مؤمنين به، ولقي خلال تلك السنوات من التعنت والشقاء والعذاب ما لا يتحمله بشر، فقد تخلص عنه أهله وعشيرته منذ أعلن فيهم رسالته وطردوه، فترك مسقط رأسه وراح يتنقل من بلد إلى بلد تسبقه إليها شهرته التي تقول إنه رجل يسب الدين والكهنة، فيخشاه النس ويأبون حتى أن يستضيفوه فلا يجد أمامه لبيت ليلاليه الطويلة سوى حظائر الخير والبغال والحمير، واستمر زرادشت يناضل في سبيل دعوته وهو يقطع أرض إيران طويلاً وعرضاً واعظاً الناس مرشداً ومجادلاً، ولكن لم يتبعه أحد حتى كاد اليأس الكامل أن يأخذ به، ومع هذا فإن ربه "أهورا مزدا" لم يتركه، فيقال إن الوحي نزل عليه في هذه المرحلة سبع مرات، ظهر له الإله "أهورا مزدا" في إحداهما، كما ظهر له بعد ذلك الملائكة الستة الكبار ليلقنوه أصول الحكمة وهؤلاء الملائكة الستة هم أساطين العرش، وهم رموز ومثل عليا لمعان إنسانية مقدسة، فثلاثة منهم ذكور يمثلون التفكير الطيب والحق الأسمى والإحسان، وثلاث إناث يمثلن الفداء والخلود والتقوى.

وكان أول من آمن بتعاليمه هو ابن عمه الذي نصحه بأن يبدأ بنشر تعاليمه بين المتعلمين أولاً لصعوبتها على العامة، فذهب زرادشت إلى الملك وحاشيته وبعد جهد جهيد استطاع زرادشت من إقناع الملك بالإيمان بأن الخالق هو "أهورا مزدا" إله الحكمة والحاكم الأسمى للعالم، خالق كل ما هو خير في العالم لأن الله خير، وبأن "أهرمان" روح الشر الذي هو خلق كل ما هو شر في العالم، وبأن دورة العالم تستمر اثني عشر ألف سنة، وفي أثناء الآلاف الثلاثة الأولى كان هناك عالمان متجاوران، هما عالم "أهورا مزدا" عالم النور، وعالم "أهرمان" عالم الظلمات، وكان العالمان متناهيين من جوانب ثلاثة، ولكن كلاً منهما يحد الآخر من الجانب الرابع، فعالم النور في الجانب الأعلى وعالم الظلمات في الجانب الأسفل وبينهما فراغ مملوء بالهواء، وقال "أهورا مزدا"

لأهرمان: إن طرق لا تتفق وطرقى وأفكارك لا تتفق وأفكاري وكلماتك ليس كلماتي وأعمالك ليست أعمالي فلنفترق، وكأن أهورا مزدا يعلم المستقبل فعرض على أهرمان حقبة من الحرب طولها تسعة آلاف سنة وقبل أهرمان العرض وهو لا يعرف غير الماضي وعنئذ قال أهورا مزدا بأن الجولة تنتهي بهزيمة عالم الظلمات، وفزع أهرمان ولم ينتبه إلا وهو يسقط في الظلمات ويقضي فيها مشلولاً مدة ثلاثة آلاف سنة، خلق "أهورا مزدا" خلالها الأرض بكل ما فيها من خير، وقد بدأ أهورا مزدا بخلق أرواح طيبة تنسجم مع طبيعته ليستعين بها في مقاتلة روح الشر أهرمان وعلم أهرمان بذلك فخلق أرواحاً شريرة من جنسه ليقاوم بها الأرواح الخيرة، ثم خلق أهورا مزدا النجو والكواكب وانتهى من خلق الأرض، وعندما انتهى من ذلك جعل الأرض حاجزاً بينه وبين أهرمان وأعوانه، ولكن أهرمان شق الأرض وأحدث فيها فجوة جمع بداخلها أعوانه الشريرين ثم صارت ميداناً للصراع بين القوتين، وعندما أتم أهورا مزدا خلق الأرض خلق الثور الأول ثم خلق الإنسان "كيومرد" الذي هو أول البشر، وعندئذ ألقى أهرمان بقوته ضد خلق أهورا مزدا، فنجس العناصر وخلق طوائف من الزواحف والحشرات، وأقام أهورا مزدا خندقاً أمام السماء، ولكن أهرمان كرر هجماته ونجح أخيراً في قتل الثور وكيومرد، وكانت بذور كيومرد مخبأة في الأرض فنتج منها عند انقضاء أربعين سنة شجرة خرج منها أول زوجين من البشر، وهكذا بدأت فترة اختلاط الخير بالشر، وأخذ البشر يلعبون دوراً في الحرب بين مملكتي النور والظلمات، ولأن الإنسان خلق حر الإرادة يختار بها بين الخير والشر. وظل زرادشت يدعو رجال الملك حتى اقتنع الملك بزرادشت، واعتنق الزرادشتية وبدأ الناس بالتدفق على زرادشت. أما في "طوران" فقد كره الناس زرادشت وراحوا يدبرون الخطط للانتقام كبير، فحاصروا مدينة "بلخ" وفتحوها، واندفعوا يحطمون كل شيء أمامهم وطعنوا زرادشت في ظهره وهو في السابعة والسبعين من عمره. اهـ

شيء من فساد العقيدة الزرادشتية للأخ /على سعيد :

1- جعل من هناك نظير للإله (أو أقل منه بدرجة)، وهذا ما ذكرناه حيث قلنا:

" وبعد جهد جهيد استطاع زرادشت من إقناع الملك بالإيمان بأن الخالق هو "أهورا مزدا" إله الحكمة والحاكم الأسمى للعالم، خالق كل ما هو خير في العالم لأن الله خير، وبأن "أهرمان" روح الشر الذي هو خلق كل ما هو شر في العالم، وبأن دورة العالم تستمر اثني عشر ألف سنة، وفي أثناء الآلاف الثلاثة الأولى كان هناك عالمان متجاوران، هما عالم "أهورا مزدا" عالم النور، وعالم "أهرمان" عالم الظلمات، وكان العالمان متناهيين من جوانب ثلاثة، ولكن كلاً منهما يحد الآخر من الجانب الرابع، فعالم النور في الجانب الأعلى وعالم الظلمات في الجانب الأسفل وبينهما فراغ مملوء بالهواء، وقال "أهورا مزدا" لأهرمان: إن طرق لا تتفق وطريقي وأفكارك لا تتفق وأفكاري وكلماتك ليس كلماتي وأعمالك ليست أعمالي فلنفترق، وكأن أهورا مزدا يعلم المستقبل فعرض على أهرمان حقبة من الحرب طولها تسعة آلاف سنة وقبل أهرمان العرض وهو لا يعرف غير الماضي وعندئذ قال أهورا مزدا بأن الجولة تنتهي بهزيمة عالم الظلمات، وفزع أهرمان ولم ينتبه إلا وهو يسقط في الظلمات ويقضي فيها مشلولاً مدة ثلاثة آلاف سنة، خلق "أهورا مزدا" خلالها الأرض بكل ما فيها من خير، وقد بدأ أهورا مزدا بخلق أرواح طيبة تنسجم مع طبيعته ليستعين بها في مقاتلة روح الشر أهرمان وعلم أهرمان بذلك فخلق أرواحاً شريرة من جنسه ليقاوم بها الأرواح الخيرة، ثم خلق أهورا مزدا النجوم والكواكب وانتهى من خلق الأرض، وعندما انتهى من ذلك جعل الأرض حاجزاً بينه وبين أهرمان وأعوانه، ولكن أهرمان شق الأرض وأحدث فيها فجوة جمع بداخلها أعوانه الشريرين ثم صارت ميداناً للصراع بين القوتين، وعندما أتم أهورا مزدا خلق الأرض خلق الثور الأول ثم خلق الإنسان "كيومرد" الذي هو أول البشر، وعندئذ ألقى أهرمان بقوته ضد خلق أهورا مزدا، فنجس العناصر وخلق طوائف من الزواحف والحشرات، وأقام أهورا مزدا خندقاً أمام السماء، ولكن أهرمان كرر هجماته ونجح أخيراً في قتل الثور وكيومرد، وكانت بذور كيومرد مخبأة في الأرض فنتج منها عند انقضاء أربعين سنة شجرة خرج منها أول زوجين من البشر، وهكذا بدأت فترة اختلاط الخير بالشر، وأخذ البشر يلعبون دوراً في الحرب بين مملكتي النور والظلمات، ولأن الإنسان خلق حر الإرادة يختار بها

بين الخير والشر. وظل زرادشت يدعو رجال الملك حتى اقتنع الملك بزرادشت، واعتنق الزرادشتية وبدأ الناس بالتدفق على زرادشت."

2- تقديس النار:

يقدر الزرادشتيون النار لدرجة عجيبة، وفي موسوعة الأديان: "يقول الزرادشتيون إنهم يقدسون النار ولا يعبدونها، لأنها مقدسة كرمز، ومن أجل ذلك تحملوا التبعة التي ألغها زرادشت على أكتافهم بالاحتفاظ بشعلة النار مضطربة بالمعنى الرمزي والمعنوي، فراحوا يوقدونها أبداً ويجعلونها تتأجج في صدورهم إلى جوار تأججها في المعابد، وعندما توقد النار في الهيكل، يصير من أهم الواجبات وأقدسها على رجال الدين أن يعملوا دائبين على إبقاء نارها مشتعلة، فيأتون إلى الهيكل خمس مرات في اليوم ليقدموا إلى النار وقوداً من خشب الصندل وغيره من المواد العطرية، فتنتشر في الهيكل رائحتها الزكية، وكلما كانت النار قديمة وطاهرة ازدادت قيمتها، وهي في معابد إيران أهم منها في معابد الهند لأنها أقدم، وتحتل النار المقدسة وسط غرفة خاصة، وتوضع في موقد حجري مستقر على أربع قوائم، ويوقدها الكهنة ليلاً ونهاراً وهم يلقون فيها كميات من البخور، ويضع الكاهن كمامة على فمه لئلا يدنس النار، ولا يجوز أن يعطس أو يسعل قريباً من النار المقدسة، وأحياناً يجمعون النار من أمكنة مختلفة لتكون أكثر طهارة، ويتقدم المؤمنون واحداً واحداً إلى عتبة الغرفة حيث النار المقدسة، بعد خلع أحذيتهم وغسل الأجزاء المشكوفة من أجسادهم، ويتلون صلاة بلغة الغاثة القديمة التي لا يعرفون معناها عموماً، لا هم ولا الكهنة الذين يحفظون في ذاكرتهم كثيراً من مقاطع الأفيستا، وعلى العتبة يتناول الكاهن من المؤمن تقدمته التي هي قبضة من البخور ومبلغ من المال، ويأكله حفنة رماد صغيرة من الموقد المقدس، يمسح بها جبينه وأجفانه، ثم يعود المؤمن إلى حيث ترك حذاءه فيلبسه ويرجع إلى البيت بشعور من التجدد النفسي".

وهذا فيديو لكهنة يقومون بالقوس المقدسة لتقديس النار:

اكتب في اليوتوب: Conclusion_of_Dae_Mahino_Jashan_2008_06_01

3- جثث الموتى في العراء وجبة للنسور!

وهي ما تُعرف باسم "أبراج الصمت"، حيث لا يدفن الزرادشتيون موتاهم، لأن الجسد نجس فلا يجب أن يختلط مع عناصر الحياة، لذا توضع الجثة في هذه الأبراج حتى تتخلص منها الطيور الجارحة، وحينما تنتهي الطيور الجارحة من وجبتها، يأتي البعض ويأخذون فضلات الجثة ويضعوها في فجوة خاصة بشرط ألا يدفنها!

وهذه صورة لبرج من أبراج الصمت المخيفة:

اكتب في جوجل للصور "أبراج الصمت".

- طقوس القربان الغربية:

في كتاب "المعتقدات الدينية لدى الشعوب"، يقول المؤلف متحدثاً عن طقوس القربان: "طقوس القربان" الهوما HAOMA"، والد "هوما HAOMA" نبات، لكنه أكثر من ذلك، هو الإله "هوما" على الأرض، وفي طقوس الهوما يُسحق الإله، ومن العصير يُستخرج شراب الخلود، وفي هذه القربان الخالية من الدماء يكون القربان في آن واحد هو الإله والكاهن والضحية، ويقوم المؤمن بالتهام هذا القربان الإلهي مستبقاً بذلك القربان الذي سيقام في نهاية العالم ويجعل جميع البشر خالدين.

لم يصل لنا من كتابهم المقدس إلا شذرات!

كتاب الزرادشتيين المقدس الأفيسستا (أو الأبستاق) Avesta ، لم يصل لنا منه إلا شذرات.

وفي كتاب "المعتقدات الدينية لدى الشعوب" ما نصه:

"وليس من المرجح أن يكون قد تم تدوينه قبل القرن الخامس الميلادي، وربما يرجع لما قبل الحقبة الزرادشتية، لكن جزءاً من مادة هذا الكتاب يرجع إلى ما قبل هذا التاريخ بزمان طويل، وقد فقدت جميع نسخ الأفيسستا بعد غزو الإسكندر لفارس عام 330 قبل الميلاد، وفقدت معها تفاسيره والمؤلفات التي كانت تشتمل على شيء من أجزاءه، ثم بدأ ملوك فارس في القرن الأول الميلادي في تدوين ما بقي من حوافظ الناس من الأفيسستا، وأكملوا هذا العمل في القرن الثالث ثم القرن الخامس". اهـ

الوجه الثاني: الرد على الشبهة بوجه عام كما يلي:

أولاً : إن محمداً ﷺ كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ؛ فكيف يأخذ عن الزرادشتية و المانوية...؟

دلت على ذلك أدلة كثيرة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)﴾ (الأعراف).

2- قوله ﷺ : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158)﴾ (الأعراف).

3- قوله ﷺ : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146)﴾ (البقرة). وصف ﷺ نبيه ﷺ بالأمية التي يعرفه بها اليهود والنصارى كما يعرفون أبنائهم....

4- قوله ﷺ : ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (48) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49)﴾ (العنكبوت).

جاء في التفسير الميسر : { وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (48) } من معجزاتك البينة -أيها الرسول- أنك لم تقرأ كتاباً ولم تكتب حروفاً بيمينك قبل نزول القرآن عليك، وهم يعرفون ذلك، ولو كنت قارئاً أو كاتباً من قبل أن يوحى إليك لشك في ذلك المبطلون، وقالوا: تعلّمه من الكتب السابقة أو استنسخه منها. { بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49) } بل القرآن آيات بينات واضحة في الدلالة على الحق يحفظه العلماء، وما يكذب بآياتنا ويردها إلا الظالمون المعاندون الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه . اهـ

ثانياً : إنني افترض جدلاً أن محمداً كان يعرف القراءة والكتابة ، وكان ينقل من الزرادشتية و المانوية... أتسأل عدة أسئلة تفرض نفسها علينا كما يلي:

1- أي جامعة هذه التي تخرج منها محمد، كي يعرف كل هذه اللغات والمقررات ، مثل: الإيرانية - الفارسية - ، والهندية ، والصينية...؟

الجواب : لم يدرس وكان أمياً ثم علمه شديد القوى ؛ قال ﷺ : ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً (113)﴾ (النساء).

2- أين مكتبته الضخمة الملائنة بالكتب الكثيرة التي كان ينتقي منها ويضيف بعد ذلك ما أحب إلى القرآن...؟

الجواب : لا أحد ذكر أن محمداً ﷺ كان يملك مكتبة ضخمة ... بل قالوا : إنه أمي لا يعرف القراءة والكتابة ...

3- هل قال واحد من المشركين إن محمدا ﷺ يعرف لغة غير العربية ...أو واحد من أصحابه حتى يدرس الزرادشتية و المانوية والتوراة بجميع نسخها والأناجيل المعترف وغير المعترف بها...؟

الجواب: لم يكن يعلم إلا العربية ﷺ ؛ بل إنه قال ﷺ لزيد: "تعلم لغة يهود...".

هل قال كفار قريش الذين كانوا يتصيدون أي خطأ للطعن في نبوته أن القرآن مأخوذ من الزرادشتية و المانوية...؟

الجواب : لا ، قالوا شاعر ، ساحر ، كاهن... وأكتفي بقول المشرك الوليد المغيرة مع زعماء قريش حينما سئل عن قرآن محمد لما سمعه... جاء ذلك في الآتي :

1- نبوة لابن كثير (ج1 / ص500): فقيل: يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقوم به.

فقال: بل أنتم فقولوا وأنا أسمع فقالوا: نقول كاهن.

فقال: ما هو بكاهن : رأيت الكهان، فما هو بزمزمة الكهان.

فقالوا: نقول مجنون .

فقال: ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته.

فقالوا: نقول شاعر.

فقال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول هو ساحر.

قال: ما هو بساحر، قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفته ولا بعقده.

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعنق ، وإن فرعه لجني ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لان

تقولوا: هذا ساحر، فتقولوا هو ساحر يفرق بين المرء ودينه، وبين المرء وأبيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره. وأنزل الله في الوليد " ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا " الآيات، وفي أولئك النفر الذين جعلوا القرآن عضين : " فوركك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون " .

قلت: وفي ذلك قال الله تعالى إخبارا عن جهلهم وقلة عقلهم: " بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه، بل هو شاعر، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون . اهـ

2- دلائل النبوة للبيهقي (ج 2 / ص 75) : قال (الوليد) : والله ، إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر؟ . اهـ

ثالثاً : إن القرآن الكريم رد على زعم مثل هذه الافتراءات بصورة عامة ... وذلك لما قال ﷺ : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (6) ﴾ (الفرقان) .

وقال ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (103) ﴾ (النحل).

جاء في التفسير الميسر: ولقد نعلم أن المشركين يقولون : إن النبي يتلقى القرآن من بشر من بني آدم. كذبوا ; فإن لسان الذي نسبوا إليه تعليم النبي ﷺ أعجمي لا يفصح ، والقرآن عربي غاية في الوضوح والبيان . اهـ

رابعاً : إن الديانتين كانتا مشهورة في إيران والهند والصين ... ولم تكن معروفة ومشهورة في جزيرة العرب.... ومن قال إنهما كانتا منتشرتا في جزيرة العرب يأتي بالدليل...!

إذاً : يبقى سؤال يطرح نفسه هو : هل ذهب محمد إلى إيران أو الهند... ليتعلم هاتين الديانتين...؟

الجواب : محمد ﷺ لم يذهب خارج مكة والمدينة ، والأخيرة مليئة باليهود قبل إجلائهم منها....

خامساً : إن التشابه في بعض المسائل العقائدية في الديانة المانية أتباع ماني والزدشتية ... قد يصل بنا المطاف إلى أن نقول: إن من المحتمل أن يكونوا أنبياء أرسلهم الله ﷻ إلى أهل إيران والهند ثم حرف دينهم مثلما حرف النصارى دين المسيح... فكل أمة رسول ، ولكل قوم هاد كما قال الله ﷻ ؛ فالتشابه في بعض العقائد مثل التوحيد وأن زرادشت حذر من المسيح الدجال ... ليس هذا اقتباس؛ بل النبي ﷺ نفسه أخبر أن الأنبياء السابقين حذروا أمتهم الدجال..

جاء ذلك في الآتي :

1- صحيح (سنن أبي داود للألباني برقم 4316 عن أنس بن مالك حدث عن

النبي ﷺ أنه قال : ما بعث نبي إلا قد أئذر أمتة الدجال الأعور الكذاب ألا وإنه

أعور وإن ربكم ليس بأعور وإن بين عينيه مكتوبا كافر .

تحقيق الألباني: صحيح قصة الدجال و قتل عيسى إياه.

2- صحيح الجامع للألباني برقم 10514 عن ابن عمر قال ﷺ: ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته الدجال أنذره نوح و النبيون من بعده و إنه يخرج فيكم فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم أن ربكم ليس بأعور و إنه أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية ألا إن الله حرم عليكم دماءكم و أموالكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ألا هل بلغت : اللهم اشهد ثلاثا ويحكم ! انظروا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض .

تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 5577 في صحيح الجامع .

وأما الذي يظهر لي من دراسة ماني : أنه عاش في زمن ما بعد المسيح بقليل وتعلم العلم الصحيح من تعاليم المسيح فذهب وبشر بتعاليمه ، وبين أنه ليس إلها ولم يصلب واتهم الكتبة بالتحرف ...

فكان الواجب على المنصرين أن يدفعوا عن أنفسهم ما جاء في عقيدة ماني الذي يهدم عقيدتهم الباطلة ولكنهم صبوا جام غضبهم إلى الإسلام ؛ لأن القرآن عظيم ، فهم يعرفون أن القرآن معجز لذا حاولوا أن يفتشوا من أين هذا الكتاب ، فعرفوا أنه لا يمكن أن يكون كلام أمي ، لكنهم لم يفكروا لدقائق أنه من عند الله ﷻ ففتشوا عن كل من قبله محاولين معرفة من أين هو هذا الكلام المعجز الذي لا يمكن أن يكون بكلام بشر .. والحقيقة أنه كتاب الله محفوظ منه ﷻ....

الوجه الثالث : تفنيد شبهات المنصرين :

عزمت أن أنفد هذه الشبهات وإذا بالأخ الفاضل علي سعيد وجدته قد سبقني و قام بتفنديها على عدة مسائل كما يلي :

المسألة الأولى : البارقليط.

تلخيص الادعاء: يقول الكاتب إن محمد ﷺ قال بأنه المُبشر من عيسى عليه السلام وكذلك قال ماني من قبل إنه البارقليط (المعزي) أي: المُبشر من عيسى عليه السلام.

الجواب:

أولاً : محمد ﷺ لم يقل إن هناك كلمة اسمها "البارقليط" في الإنجيل وهذه الكلمة معناها "المعزي" وأنه هو هذا المعزي، في حين أن ماني فعل ذلك...

ثانياً : محمد ﷺ لم يكن يعلم شيئاً عن الكتاب المقدس، أما ماني فكان خبيراً بالكتاب المقدس لأنه كان ملتصقاً بالمسيحيين ويُعتبره واحداً منهم، فماني يفسر الكتاب المقدس حينما يقول إن في سفر التثنية "أنا نار آكلة" (تثنية 49/24) أن إله العهد القديم هو الشر، فهذا الرجل يفسر الكتاب لنعلم أنه عالماً به وقد قراه مراراً وعلى علم بأدق أموره. فهنا نرى الفرق، محمد ﷺ قال بأن عيسى عليه السلام بشر به، وبعض تلك البشارات قد حذفت من الكتاب المقدس الذي أمامنا الآن وأخرى ظلت موجودة، لذا فهو لم يقل عن نفسه إنه هو البارقليط كما فعل ماني وكما يدعي صاحب المقال. وعموماً لا أرى في هذه النقطة كلام، فطبيعي أن يقول محمد ﷺ أن عيسى قد بشر به، مثلما قال عيسى عليه السلام أن موسى عليه السلام قد بشر به، فكلهم رسل من عند الله.

المسألة الثانية : بدايات الدعوة.

تلخيص الادعاء : يقول الكاتب إن زرادشت حينما وُلِدَ صاحبت ولادته الكثير من المعجزات والخورق، وحينما بدأ دعوته ظل يدعو الناس فلم يستجب له أحد، وكان يميل إلى العزلة، وأنه حينما أتته النبوة كان في الأربعين من عمره، ثم حدث له الإسراء والمعراج، فيقول إن هذا مُشابه أتم المشابهة لما حدث للنبي ﷺ وأنه اقتبس أفعاله من سيرة زرادشت!

المناقشة:

النص الأول من المسألة :

"ويروي أهل دينه كثيراً عما صحب ولادته من المعجزات وخورق العادات والإشارات، وأنه انقطع إلى منذ صباه إلى التفكير، ومال إلى العزلة، وأنه في أثناء ذلك رأى سبع رؤى، ثم أعلن رسالته فكان يقول: إنه رسول الله بعثه ليزيل ما علق بالدين من الضلال، وليهدي إلى الحق. وقد ظل يدعو الناس للحق سنين طويلاً فلم يستجب لدعوته إلا القليل، فأوحي إليه أن يهاجر إلى بلخ."

الجواب:

لا أرى في هذا النص أي إشكال، فكل نبي يفعل هذا، كل نبي يزيل ما علق بالدين من الضلال ويهدي إلى الحق وكذلك لم يستجب لدعواهم إلا القليل، أليست هذه وظيفة أي نبي؟

لكن يبدو أن الكاتب يريد التلميح على فكرة الهجرة، في قول النص : " فأوحي إليه أن يهاجر " ، لذا سأرد على فكرة الهجرة وسأبدأ بهذا السؤال:

هل محمد ﷺ وحده الذي هاجر؟

ألم يهاجر موسى ﷺ ؟

لقد هاجر عدد كبير من الأنبياء والرسل، وفي ذلك يقول الدكتور يوسف القرضاوي:
لقد هاجر رسل الله عامة أو عدد كبير منهم ، ولكن لم تكن هجرتهم مثل هجرة محمد عليه الصلاة والسلام ، هاجر إبراهيم، قال الله تعالى: (فأمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم) ، وفي آية أخرى: (وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين) فخرج من بلد إلى بلد إلى أن استقر به المقام في فلسطين، وفي المدينة التي دفن فيها وسميت باسمه - عليه الصلاة والسلام - مدينة الخليل إبراهيم ﷺ .

وهاجر موسى ﷺ ، ولكن كانت هجرته قبل البعثة حينما خرج من مصر بعد أن قتل ذلك القبطي خطأ واستغفر الله وقال له من قال: (إن الملائكة يأتون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين ، فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين)، وذهب إلى مدين وتزوج فيها وعاش فيها عشر سنوات مع ذلك الشيخ الكبير بعد أن تزوج ابنته، ولم يكن له في هذه المدة- السنوات العشر - عمل يذكر، كان شاباً صالحاً، وزوجاً طيباً، و صهراً كريماً، عاش مع هذا الرجل عشر سنوات ولكن لم يرق فيها بدور .

ولم تكن هجرة محمد ﷺ كهجرة موسى ﷺ حينما قال : (ففررت منكم لما خفتكم فوهد لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين) ، لم تكن هجرة محمد ﷺ لمجرد الفرار من الفتنة أو الهرب من الإيذاء والتضييق ، لا ، لقد كانت الهجرة سعياً حثيثاً لإقامة مجتمع جديد ، مجتمع إسلامي بمعنى الكلمة ، كانت سعياً لإقامة مجتمع وبناء أمة، وإنشاء دولة جديدة تقوم على الرابانية والإنسانية والأخلاقية والعالمية، كان هذا هو هدف محمد ﷺ من هذه الهجرة ، وفعلاً استطاع أن يقيم هذه الدولة، وأن يؤسس هذا المجتمع، وينشئ هذه الأمة الجديدة خير أمة أخرجت للناس.

وكما ترون النقطة ليس فيها كلام أصلاً، فهي محاولة لجعل زرادشت محتكراً لفكرة الهجرة

..

النص الثاني من المسألة :

وفي كتاب : "الدين في الهند والصين وإيران" تتكلم الكاتبة عن حال زرادشت في بدء الدعوة والكلام الذي تورده هو جزء من "الأفستا" ..

"عن هذه النبوة والرسالة والوحي المنزل ينبعث قسم من "جأتها" الحديث الفقهي وهو عن هذا النبي الرسول يحدث : إن إلى التفكير والعزلة انقطع زردشت منذ درجت به مدارج الحداثة من الصبا إلى الشباب وحتى تخطت به مراحل الشباب للشباب فجرا وللشباب غروبا ..

وعن الحقيقة باحثاً راح يطوي طيات الصحراء تهجدا... ومتجهدا طواه غار في جبل سبالان حيث بدأت أولى بشائر نبوته ورسالته حوالي سن الأربعين من العمر، بالرؤيا... ثم بالكلام... ثم بالإسراء أو المعراج إلى السماء!".

الجواب:

هذا النص يبدو خطيراً للوهلة الأولى حينما يقرأه عامي، لكن كل ما فيه هراء وفيه نقد من جميع النواحي:

أولاً: هذا نص المفروض أنه من كتاب مقدس وهو الأفيسستا (كتاب الزرادشتية المقدس)، فأين رقم الآية أو العدد وفي أي ترنيمة هو؟ هذه ديانة لا نعلم عنها إلا القليل، فحينما تقول نصاً فعليك أن تقول أين هو بالضبط للتأكد منه، خاصة أن خاصية البحث في الأفيسستا غير متوفرة.

كان يمكننا التغاضي عن هذا لو كان مصدر الحصول على هذا النص من مصدر زرادشتي، أما المصدر الذي أتى منه هذا النص هو كتاب "الدين في الهند والصين وإيران" للكاتبة ألكار السقاف وهي معروفة بفكرها الجريء ويُقال أن البعض قد كفرها.

غير أنني تغاضيت عن كل هذا، وظللت أنهك نفسي في البحث في الأفستا، وأبحث عن كلمات في النص لأحاول أن أصل إليه، فبحثت عن كلمات بالإنجليزية عديدة أحاول أن أصل إلى النص فلم أفلح!

لذا فالنص غير مقبول حتى يُثَبَّت أين هو في الأفيستا، وها هو موقع الأفيستا ابحثوا عنه
فلعلني أخطأت: avesta.org

كل هذا الكلام على النص مع أن ليس فيه شيء أصلاً! لكن للتأكد ليس إلا وللحصول
على الترجمة الدقيقة، ومع ذلك سأكون كريماً وسأعتبر النص موجود في الأفيستا وسأفنده
تفنيدياً - بإذن الله - .

ثانياً : هناك لبس ولا شك في كلمتي "الإسراء أو المعراج"، فلا توجد في حياة زرادشت ما
تشبه رحلة الإسراء والمعراج عند نبيينا محمد ﷺ وأتحدى الآن أن يأتي أحد بأن حدث إلى
زرادشت ما حدث لمحمد ﷺ .

فما هو المعراج الذي حدث مع زرادشت إذا؟
المعراج ببساطة الذي حدث لزرادشت هو أنه رُفِعَ إلى السماء وأخبره الإله بالشرعية والنبوة،
وحينما أُعْرِجَ بزرادشت قابل الإله أهورا مزدا فأخبره بالتحاليم وتعلم أسرار الوحي المقدسة
وأمر النبوة. (14) أي أنه كان معراجاً إلى السماء لكي يعرف أنه نبي ولكي يتلقى الشرائع،
وهو غير معراج نبيينا محمد ﷺ. بل أنه الواصل إلينا من سيرة زرادشت أن الوحي نزل
عليه في البداية سبع مرات، واحدة منها رأى فيها الإله! (15)

ثالثاً: الرفع إلى السماء في الكتاب المقدس قد حدث لعدة أشخاص وهم:

1- أخنوخ :

"وسار اخنوخ مع الله ولم يوجد لان الله أخذه" (تكوين 5:24)
بالإيمان نقل اخنوخ لكي لا يرى الموت ولم يوجد لان الله نقله. إذ قبل نقله شهد له بأنه قد
أرضى الله. (عبرانيين 11:5)

ويقول موقع (النعمة) المسيحي في الكلام عن أخنوخ :

هناك شئ آخر عجيب نحتاج أن نعرفه عن أخنوخ: وهو أنه لم يمت. هذا صحيح. فكلمة الله تخبرنا أن "أخنوخ سار مع الله ولم يوجد؛ لأن الله أخذه." (تك5:24). إن الله في عظمتة وخطته، نقل أخنوخ إلى السماء، دون أن يدعه يذهب عبر بوابة الموت. (16)

2- إيليا:

وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء (2 ملوك 2:11).

يقول أنطونيوس فكري في تفسيره للعدد السابق:

لقد مجد الله إيليا بهذا الصعود حتى يتعلم الأنبياء الشهادة للحق مثله مهما كلفهم هذا. ونفس الكلام موجه لكل خادم. ولكن ترتفع أنظار كل واحد إلى أن هناك حياة في السماء، والموت ليس نهاية وليعمل كل واحد أعمالا صالحة حتى تكون لحظة انتقاله مجيدة. (17)

3- بولس:

" أعرف إنسانا في المسيح قبل أربع عشرة سنة أفي الجسد لست اعلم أم خارج الجسد لست اعلم. الله يعلم. اختطف هذا إلى السماء الثالثة" (كورنثوس الثانية 12:2).

قال تادرس يعقوب ملطي في تفسيره للعدد السابق:

" أفي الجسد لست أعلم، أم خارج الجسد لست أعلم، الله يعلم:" كان الرسول في حالة دهش، فلم يدرك الحال الذي هو عليه، ولم يكن ذلك يشغله.

"اختطف هذا إلى السماء الثالثة" شعر بأنه حُمل إلى السماء الثالثة، لكن كيف؟ وبأي وضع؟ لا يعلم. لعله يقصد بالسماء الثالثة أنها وراء السماء الأولى التي تطير فيها الطيور، وأيضاً وراء السماء الثانية التي بها الأفلاك (الفضاء).

كان اليهود يعتقدون بوجود سبع سماوات، وجاء في العهد القديم "سماوات السماوات" التي غالباً ما يُقصد بها السماء الثالثة، حيث العرش الإلهي ومسكن القديسين مع السمائيين في الحياة الأبدية. ويرى البعض مثل أمبروسيايتر أن القديس بولس أُختطف مرتين، مرة إلى السماء الثالثة، وأخرى إلى الفردوس الذي انطلق إليه اللص اليمين عندما صُلب السيد المسيح. (18)

فهل يمكننا أن نقول إن المعراج إلى السماء في الكتاب المقدس مقتبس من الزرادشتية؟

كلام فارغ وحجة واهنة لا أجرؤ على الحديث بها مع نصراني ..
فأين هذا من رحلة الإسراء والمعراج ؟ وهل تلقى محمد ﷺ الشريعة من رحلة الإسراء والمعراج ؟
لا يوجد تشابه على الإطلاق سوى في ترجمة أبقار السقاف التي أتت بالالتباس - ولا نتهمها بالطبع - رحمها الله -.

رابعاً : قد يخاف أحد ويقول : أليس النبي ﷺ كان عمره أربعين عاماً حينما جاءه جبريل أي الوحي، وكذلك زرادشت؟

أقول : حينما أهلك نفسي في البحث لم أجد إلا أن زرادشت كان في الثلاثين حين أتاه الوحي وبدأ دعوته، وهاهي مصادري:

1- كتاب An Outline of Religion، حيث يقول الكاتب:

(Zoroaster began his great work when he was thirty years old. (19

2- كتاب "الأديان الحية: نشوؤها وتطورها"، يقول الكاتب:
"عندما بلغ زرادشت الثلاثين من عمره نزل عليه الوحي الأول على ضفة نهر دايتيا بالقرب
من قريته." (20)

3- والأمر أكثر وضوحاً في كتاب "زرادشت الحكيم"، حيث يقول الكاتب:
"من ذلك نعرف أن نبوة زرادشت تمت وهو في السنة الثلاثين من عمره، وتسمى هذه
السنة عند الزرادشتيين باسم (سنة الدين) لأنها تحدد اليوم الذي ارتجفت فيه قلوب
الشياطين والمردة فزعاً من هول هذا الحادث الذي يؤذن بزوال سلطانهم، فأخذوا يشدون
عزائمهم، ويستعدون لخوض غمار المعركة التي سوف تنشب في المستقبل القريب بين
الحق والباطل، أو بين الخير والشر، أو بين النور والظلام" (21)
فلا أدري ما حكاية الأربعين هذه وما أمر أبكار السقاف؟!
- لو افترضنا جدلاً - أنها كانت أربعين سنة، ثم ماذا؟

هل كان رسول الله ﷺ يعلم أن هناك رجل اسمه زرادشت وقد بدأت دعوته في الأربعين؟
فأراد أن يبدأ دعوته هو أيضاً في سن الأربعين؟ هل كان ينتظر كل هذا لكي يكون هو
وزرادشت متساويان؟

ما الحكمة في سن الأربعين؟ هل هناك سر في هذا السن؟ فأل حسن ربما؟!
أقول للمعترض :

هذا إلى جانب أنني وضحت إن السن ليست أربعين، وكان على المعترض الذي وضع
الشبهة، أن يقيم بعمل "هجمة مرتدة" فيسوع هو الذي قد بدأ تلقي الوحي في سن الثلاثين!
أي أنه مماثل لزرادشت!

"ولما ابتداء يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي
"(لوقا 3:23).

وفي ترجمة أخرى : "وكان يسوع عند بدء رسالته، في نحو الثلاثين من عمره "(لوقا
3:23). و لا يمكنني أن أقول هذا أمام نصراني، لأن هذا استخفاف بالعقول، ولكن علي
الرد بالتفصيل ورد الهجمة بالهجمة حتى ينتهي الأمر ..

النص الثالث من المسألة :

"بعد تلقيه الرسالة انطلق زرادشت يبشر بها في موطنه وبين قومه مدة عشر سنوات،
ولكنه لم يستطع استمالة الكثيرين إلى الدين الجديد. فلقد وقف منه الناس العاديون موقف
الشك والريبة بسبب ادعائه النبوة وتلقي وحي السماء، بينما اتخذ منه النبلاء موقفاً معادياً
بسبب تهديده لهم بعذاب الآخرة، ووعده للبسطاء بإمكانية حصولهم على الخلود الذي كان
وقفاً على النخبة في المعتقد التقليدي. ولما يئس النبي من قومه وعشيرته عزم على الهجرة
من موطنه، فتوجّه إلى مملكة خوارزم القريبة، حيث أحسن ملكها فشتاسبا استقباله، ثم
اعتنق هو وزوجته الزرادشتية وعمل على نشرها في بلاده"

الجواب:

أولاً : بالنسبة لنقطة "بدايات الدعوة" فقد بينتها - بفضل الله تعالى - والحمد لله سابقاً،
وأخبرت أن عدداً كبيراً من الأنبياء ، فقد هاجر ابراهيم اباه وقومه ،وقد هاجر موسى من
فرعون... فلم يتفرد محمد ﷺ بذلك وحده...

ثانياً : هل حقاً علم محمد ﷺ بسيرة زرادشت وأنه دعا زوجته إلى دينه ثم هاجر ففعل هذا؟

النقطة الأولى : القصة غير مطابقة لما فعل الرسول ﷺ فلم تهاجر السيدة خديجة معه!

النقطة الثانية : ليس أول من اعتنق فكره هي زوجته بل ابن عمه "ميتوماه". (22).

ثالثاً ١ : يأتي السؤال الأخير :

"فهل كانت "سيرة زرادشت" مصدر إلهام لنبي الإسلام في حياته وأفعاله؟".
ومن أين يمكن أن يقرأ عن سيرة زرادشت؟ هل تظن أن سيرة زرادشت كانت مدونة وكانت متوفرة يقرأها من يريد؟! وكيف أصلاً لو كانت مدونة ومتوفرة يقرأها النبي الأُمي ﷺ ؟

"العبري الفذ يسأل الآن : فهل كانت "سيرة زرادشت" مصدر إلهام لنبي الإسلام في حياته وأفعاله ؟

أي: هل أراد النبي ﷺ من قومه أن يعادوه؟؟ يعني هل أراد النبي ﷺ أن يهجر بلده !!؟

هذا أمر يحدث لكل من جاء بفكر جديد !! يحاربونه ثم يهجرونه ثم يتبعونه !! سواء كان من يتبعه العقلاء أو الفضلاء و في النهاية لا يصح إلا الصحيح !

هذا ديدن كل من خرج على قومه بقول جديد حقاً كان أو كذباً !!

بالمناسبة أظن المانوية تتكرر نبوة موسى وهذا تناقض فكري ليس برهيب بين الإسلام و المانوية ، موسى ﷺ دعا فرعون فحاربه و هاجر موسى ﷺ و المسيح ﷺ دعا اليهود فحاربوه ، و هكذا حتى قال ورقة بن نوفل عليه الرضوان في بداية النبوة للنبي ﷺ (ليتني فيها جذعاً إذ يخرجك قومك !!) ، فسأله النبي ﷺ : " أو مخرجي هم !!؟ " فقال ورقة : " نعم ما أتى أحد بمثل ما جئت به إلا عودي " ..

أقول للمعترض: اعزم على الخروج على قومك بفكر جديد فماذا ستفعل !!؟
ستعكف حيناً تدرس هذا الفكر، ثم تخرج على قومك به و تدعي النبوة مثلاً ، و يهجرك قومك ، و تضيق بك الأرض فتهاجر ، و لن تعدم إلا اثنين يتبعونك كهذا الذي نقل الكلام ، فتفرح به حيناً ، ثم تموت ، ثم فترة و يندثر قولك !! عندها سأقول إنك متأثر بزرادشت!

المسألة الثالثة: آخر الأنبياء.

تلخيص الادعاء : يقول الكاتب إن زرادشت قال إنه آخر الأنبياء وكذلك فعل ماني، وأن محمد ﷺ قال مثلهما !

الجواب:

أولاً: لم أجد النص في الأفيستا حتى تعبت من البحث، ومصدر النص أيضاً هو كتاب أبكار السقاف.

ثانياً : تتخيل مثلاً أن محمداً ﷺ كان في مكة ثم سمع سيرة زرادشت وماني وأنهما قالوا إنهما آخر الأنبياء فأراد تقليدهما ؟
هل هذا مقبول ؟ الجواب : لا، بل يقول بشيء جديد....

المسألة الرابعة: التوحيد.

تلخيص الادعاء: أن زرادشت دعا إلى التوحيد ومحمد ﷺ اقتبس منه التوحيد!

فعلاً في الزرادشتية توحيد، لكن ليس كتوحيد الإسلام العظيم، ففي الإسلام عليك أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، أما الزرادشتية فتتكر أن شر القدر من عند الله، وتقول أنه من عند قوة الشر أهرمان، وقد جعلوا لأهرمان قوة هائلة يتصارع بها مع الإله! والتوحيد هو الفطرة السليمة النقية لله عز وجل الواحد الأحد الفرد الصمد، فبالله عليك كيف يكون هناك إلهيين سرمديين؟ وهل هذا يشبه التوحيد الذي جاء به محمد، يقول: وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو ... بعكس الزرادشتية...؟

المسألة الخامسة: أسماء الله .

تلخيص الادعاء : زرادشت ذكر بضع أسماء للإله ، وكذلك ومحمد ﷺ اقتبس منه تلك الأسماء....!

أولاً: حينما كان زرادشت يدعو إلى التوحيد وذكر صفات الإله فلا بد أن توافق بعض صفات توحيد الله في اليهودية والإسلام، وخصوصاً أننا الآن نترجم الألفاظ من لغة غريبة لذا قد نصل إلى نتائج مماثلة في بضع الصفات.

ثانياً: كاتب الموضوع يقع في خطأ حيث يقول: " قال نبي الإسلام بأن الله أسماء عددها تسعة وتسعين اسماً "، فمن أخبره بهذا؟

جاء في صحيح البخاري برقم 7392، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : " إن لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة".

فليس هناك تحديد للأسماء، أما بعضها فقد وردت في القرآن وأخرى قد اجتهد فيها بعض العلماء، مثل: الوليد بن مسلم.... فكاتب المقال يظن أن التسعة وتسعين اسماً الذين

يسمعهم في الأنشيد ويتغنى بهم البعض قد عدهم النبي ﷺ وصرح بذكرهم وقال أسماء الله كذا وكذا؟!!

فتحصيل اسماء الله الحسنی أجتهد من المسلمين الصادقين؛ قال النبي : من احصاها دخل الجنة ؛ أي: من قام بجمعها وفهمها ودعاء بها...
هذا بالإضافة إلا أن الأسماء ليست متماثلة كل التماثل عند الزرادشتية !

المسألة السادسة : الإسراء والعروج .

تلخيص الادعاء : يقول الكاتب إن زرادشت حدث له رحلة الإسراء والمعراج وأن ﷺ اقتبس منه الأحداث !

الجواب:

أولاً : هي نقطة مكررة فقد سبق أن بينت أنه لا رحلة إسراء ومعراج عند زرادشت، وأتحدى كاتب المقال أو غيره أن يبين لي ذلك من مصادر زرادشتية أنه حدث له رحلة إسراء ومعراج كالرسول ﷺ بل فقط رُفِع عند الإله وأعطاه الشريعة وهنا لا مماثلة على الإطلاق، بل قال زرادشت أنه رأى الإله أهور مزدا مرة!
بل وأنه يوجد من رفعوا إلى السماء (أي حدث لهم معراج على قول الكاتبة أباكاز السقاف) في الكتاب المقدس كأخنوخ وإيليا وبولس!

ثانياً : يوجد في آخر المسألة جملة تريد أن تثير الريبة، حيث كتب الكاتب:
" (أنظر تفسير "ابن عربي"، وحديث عائشة " ما فقد جسد رسول الله قط ").
وهنا الكاتب يستدل بابن عربي الحلولي وهناك إجماع على كفره!، وقد قال:

عقد الخلائق في الإله عقائداً .. وأنا اعتقدت جميع ما عقدوا
فهو يعتقد أن الله حل في كل شيء لذا هو يؤمن بجميع الأديان!
وأين حديث عائشة هذا؟ لقد بحثت عنه ولم أجده!
بل لو أنك وضعت علامتي تنصيص في محرك البحث Google عن الحديث لظهر لك
هذا الموضوع! فأين هذا الحديث المزعوم؟!

المسألة السابعة: بعض العبادات والقيامات والصراط والثواب والعقاب وكتاب الإنسان

تلخيص الادعاء : يذكر الكاتب بعض العبادات من الديانتين الزرادشتية والمانوية ويقول
عن محمد ﷺ اقتبسها منهما!، ثم يقول إن محمداً ﷺ أخذ بعض الأمور الخاصة بما بعد
البعث من زرادشت كالنواب والعقاب...!

الجواب:

الجزء الأول من المسألة: بعض العبادات.

أولاً: نرى محاولة "تخابث" فهو يقول مرة في الديانة الزرادشتية وحينما لا يجدها في
الزرادشتية يقول في المانوية!

ثانياً : الصلاة في اليهودية 3 مرات في اليوم، والصلاة في الهندوسية مرتان ويتلون فيها
آيات مقدسة، وفي البهائية ثلاث صلوات، وعند الصابئة ثلاث صلوات في اليوم، وفي
المانوية أربع أو سبع صلوات في اليوم، وفي الزرادشتية خمس.

فحينما يتشابه رقم مع آخر نقول إن هذا اقتبس من هذا؟ أيعني هذا أن الصابئة قد اقتبسوا من اليهود؟!

الصلاة في الزرادشتية:

الوضوء: قال الجاحظ : " وشرع لأصحابه التوضوء بالأبوال" (23)
القبلة: يتجهون في النهار إلى الشمس وفي الليل إلى القمر أو النجوم أو ضياء كان (ومنها النار طبعاً)، لأن النور رمز الإله! (24)
وهذا فيديو يشرح صلاة الزرادشتيون :

اكتب في يوتوب: Zoroastrian Temple Prayer in Esfahan

هم فعلاً عندهم خمسة صلوات مفروضة مثلنا، لكن نحن عندنا صلاة جمعة، وعندنا سنن للصلوات وصلاة لتحية المسجد وصلاة عيد وصلاة استخارة وصلاة جنازة وغيرهم من الصلوات، ونحن صلواتنا في ميعاد محدد وفي جماعة، أما هم فلا جماعة وهناك وقت طويل يصلي فيه الفرد متى أراد، وعندنا الطهارة بالماء قبل الصلاة أما عندهم كما ذكر الجاحظ فبالأبوال، فلا تشابه في الكيفية إذاً.

وعند المصريين القدماء صلوات فيها حركات وسجدات مثل المسلمين، ففي كتاب (تاريخ الحضارات العام) ما نصه :

" كان المصريون القدماء يصلوا كل يوم في الصباح صلوات فيها خمس حركات وسجدات" (25). هذا تشابه بيننا في الصلاة، وكذلك هناك تشابه في الصيام والحج: فقد كان المصريون القدماء يحرصون على الصيام (26)، وهم كذلك يصومون من طلوع الشمس إلى غروبها حيث يمتنعون عن تناول الطعام ومعاشرة النساء! (27) وهم كذلك يحجون ويعتبرون أيام الحج من أسعد الأيام (28).

إنهم يشابهون المسلمين في الصلاة وكذلك في الصيام وفي كيفية الصيام فهم يمتنعون عن تناول الطعام والنكاح وكذلك في مدته!، سأذهب الآن وأضع موضوعاً أزينه بأقواس جميلة () أكتب فيها المصدر، وأفصح فيها المسلمون أنهم لصوص من الديانات الأخرى، وبهذا سيعرف الجميع أن الإسلام مُقتبس من الديانات الأخرى ويعرف الناس أنني مطلع على الديانات القديمة ويعرفون بثقافتي الفذة، فأكسب المدح وأكسب ارتداد المسلمين عن دينهم.

هذا هو - على الأقل - تفكير كل من كتب موضوعاً في هذا الأمر، فدعونا نوضح الأمر بهدوء:

هم فعلاً يشابهونا في الصلاة بحركات جسدية والصيام بالامتناع عن الأكل والنكاح، لكن هل يشابهونا في العقيدة والتشريعات؟!

هم يصومون فعلاً مثلنا، ويوافقونا في عدم معاشرة النساء أثناء الصيام، هذه نقطة اتفاق، لكن توجد العديد من نقاط الاختلاف، فانظر إلى عقيدة الإسلام العظيم وعقيدتهم الوثنية، وانظر كذلك في الاختلاف في كيفية الصيام بيننا وبينهم فمثلاً يقول كتاب (الصيام من البداية حتى الإسلام):

"صيام الكاهن يمر بمراحل إذ يصوم في التكريس الأول عشرة أيام عن أكل اللحم وشراب النبيذ، وفي التكريس الثاني يصوم عشرة أيام بعد تلقيه واجباته المقدسة، أما في الثالث فيصوم صوماً رغبة منه لا فرضاً عليه" (29)

أرأيت نقاط الاختلاف هذه الكثيرة؟

1- نحن عندنا لا فرق بين العالم في الدين وغيره من العامة، فصيامنا صوم واحد أما هم هناك فرق بين الكاهن وغيره.

2- لا يوجد عندنا مراحل في الصوم، أما عندهم فتوجد ثلاث مراحل للكاهن.

3- هم عندهم الكاهن في المرحلة الثانية يصوم صوماً لكن فيه يشرب النبيذ! نحن ليس عندنا هذا الكلام، فالصوم صوم، والنبيذ عندنا من المحرمات.

4- يوجد اختلاف في مدة الصوم، فعندنا الفرض هو شهر رمضان، أما عندهم غير ذلك ويختلف من الكاهن عن غيره.

ويقول كتاب (الفكر الديني القديم) ما نصه :

" والكهان خلطوا صيامهم بالأسرار المبهمة معتقدين أنها تضيفي القدسية عليهم، كما اعتقدوا ذلك في سائر طقوس العبادات، ففي الصلاة قصروا التراتيل فيها بالسرية والغموض ولم يسمحوا لعامة الناس بالإطلاع على شرح مضمونها، وليضمنوا بذلك لهم التبجيل والاحترام والتنعيم بما سيحصلون عليه من واردات المعابد " (30)

وها هي نقاط الاختلاف تتدفق، وأزيد من كتاب (الصيام من البداية حتى الإسلام):

"أما صيام الشعب فكان أربعة أيام من كل عام تبدأ عندما يحل اليوم السابع عشر من الشهر الثالث من فصل الفيضان." (31)

وهذا النص الأخير يقضي الأمر من نفس الكتاب:

" وهناك نوع آخر من الصيام يحرم فيه أكل كل شيء من الطعام خلا الماء والخضر مدة سبعين يوماً ويصومون كذلك في الأعياد كوفاء للنيل، وفي موسم الحصاد، أما فريضة الحج عندهم، فتتمثل بزيارة أماكن تواجد الآلهة في المعابد المنتشرة في المدن ومنها زيارتهم لهيكل معبودهم (إيزيس) و(نتاح) في مدينة منفيس، و(أمون) في مدينة طيبة." (32)

وبالنسبة للحج فهم يحجون، لكن حذار في اللفظ، فهو ليس كحج المسلمين بل هو حج وثني وفيه من الخرافات ما فيه، ففي كتاب (مقارنة الأديان [الإسلام]) ما نصه:

" وكانت أيام الحج عندهم من أسعد الأيام التي يتقربون فيها بالدعوات، وتقديم القرابين، وفق ما كان مألوفاً عندهم. وكانوا يغالون في الاعتقاد بسعادة أيام المراسيم الدينية الكبرى، ويذهبون إلى أن من يولد في هذه الأيام من أسعد الناس حظاً، ويزعون أنه سيكون من كبار رؤساء الدين في المستقبل." (33)

وفي كتاب (ديانة مصر القديمة):

" والحجاج كانوا يقدمون علامة على تعبدهم، نصباً يثبتونها بطريقة بربرية في نقوش مثبتة في معابدهم القديمة، وهذه النصب تعني، أن الإله قد استجاب إلى الدعاء. وهناك نذور أكثر بساطة، متعددة الصنع، مما يدل على قيام تجارة حقيقية ضخمة لمناسبة الحج." (34)، ومراسيم الوثنية معروفة فلا حاجة للزيادة فيها.

لذا هل نستطيع أن نقول الآن إن الإسلام قد اقتبس من المصريين القدماء؟! هل نستطيع أن نربط ديانة التوحيد الخالص بالوثنية المصرية القديمة؟!

الموضوع كله على مُنتهج هذه الطريقة، يستعين الكاتب مرة بدين الزرادشتية حينما يجد تشابهاً في الإسلام، ومرة أخرى يستعين بالمانوية حينما يجد تشابهاً، لكن أصلاً أغلب هذه التشابهات غير موجودة كما وضحتها في الموضوع!

لذا فهذا للأسف هو المنهج المتبع لكاتب الموضوع، وجد عبادة تشابه عبادة (وهو تشابه سطحي فقط) فيقول أن دين قد اقتبس من دين!

ولزيادة التوضيح فالهندوس يصومون مدة الصيام كالمسلمين وفيه يكفون عن الصلاة والاتصال الجنسي. (35)

وبالنسبة للصوم في المانوية فهو غير صيام المسلمين تماماً، فعندهم الفرض ثلاثين يوماً في الشهر وسبعة أيام من كل شهر، أما نحن عندنا فالفرض شهر رمضان كان ثلاثين يوماً أو لم يكن، وعندنا الأيام المُستحبة فيها الصيام كثيرة كسنة من شوال، وأول عشر من ذي الحجة ويوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس من أكل أسبوع، ومن الشهور بعد رمضان المُستحب صيامها محرم وشعبان.

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه):

"إن الغرض من العبادات تمثلها حقيقتان، أولهما تنبه الإنسان على الدوام بأن العبادات تغني وجوده الروحي الذي ينبغي أن تشغله طيلة وقته بمطالب غير مطالبه الجسدية وغير شهواته الحيوانية، والحقيقة الثانية من العبادة المثلى التي تنبه إليها ضميره هو الوجود الخالد الباقي إلى جنب وجوده الزائل المحدود في حياته الفردية".

ويقول الأستاذ عبد الرزاق رحيم في كتابه (العبادات في الأديان السماوية):

"إن تأدية العبادات بصورة عامة، والصلاة خاصة، إنما جاءت من إيمان الإنسان قديماً بوجود قوة إلهية غيبية تسيطر عليه وعبادة كهذه نجدها في سفر التكوين على شكل عرض القرابين من قبل قايين (قاييل وهابيل)، (وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب وقدم هابيل أيضاً من أبقار غنمه ومن سمانها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه لكن إلى قايين وقربانه لم ينظر، فاغتاظ قايين جداً وسقط وجهه)، وهناك صلوات أخرى يذكرها العهد الجديد من هذا القبيل".

وأريد أن يطلع كاتب المقال وغيره على بعض الكتب التي تهتم بدراسة شرائع الأديان، سيجدوا بالطبع متشابهات بين دين ودين، ولكن حينما يبحثون عن هذا الدين ويحاولون مقارنته بهذا الدين لن يكون هناك تشابه على الإطلاق.

وهذا كتاب من الكتب التي تهتم بدراسة شرائع الأديان:

- الصيام من البداية حتى الإسلام، تأليف: علي الخطيب.

للقراءة: <http://ia311227.us.archive.org/g/3/items/rsmrsm/sbi.pdf> (الرجاء إزالة الفراغات بين الأحرف والرموز والأرقام في الرابط).

الجزء الثاني: القيامة والصراط والثواب والعقاب وكتاب الإنسان

لن أتكلم في هذه النقطة لأنها لا تحتاج إلى رد، فكل هذا موجود في أغلب الديانات! وموجود في المسيحية!

لكن هناك بعض الدعاوي التي أريد لها توثيق، وأنا متأكد من أنها منقولة من كتاب أبقار السقاف رحمها الله لذا فلن أرد على تلك النقطة حتى يوثق الكاتب المعلومات ويحدد موضع التشابه ..

المسألة الثامنة: المهدي المنتظر.

تلخيص الادعاء: قال زرادشت بأن هناك من سيظهر في آخر الزمان وسيعدل وينصر الحق، ويقول: إن محمدا ﷺ اقتبس هذه الفكرة وقال بأمر المهدي المنتظر! يعني أن النبي ﷺ كان يعلم بكل حذافير الديانة الزرادشتية، وكان يعرف أن زرادشت قال بأنه هناك شخص سيأتي في آخر الزمان، فأراد النبي ﷺ تقليده؟! هذا والله كلام لا يقبله عقل.

وللعلم فينتظر الهندوس عودة "كرشنا"، وينتظر اليهود "نبي من أنبياء بني إسرائيل"، وكذلك ينتظر النصارى عودة "المسيح"، وكذلك البوذيون ينتظرون عودة "بوذا". والعديد من الديانات الأخرى تنتظر مخلصاً في آخر الزمان، فهل هذا يعني التقليد وهل هذه تهمة توجه إلى الإسلام؟

هذا شيء والشيء الآخر أن ظهور "أشيزريكا" مرهون بشيء، وهو انتصار الإله أهورا مزدا على أهردمان الشرير! فحينما ينتصر الإله ولا توجد هناك قوى شر ولا يستطيع أهردمان أن يبث الشر، سيرسل الإله "أشيزريكا" لأن الأرض أصبحت أمان ولا توجد قوى شر! فبالله عليكم هل هذا كلام؟ أين هو التعظيم لله - عز وجل - السرمدى خالق كل شيء ومُكوّن كل مُكوّن الصمد الذي لم يلد ولم يولد والذي ليس له كفؤ أو نظير؟!

المسألة التاسعة: تحريف الإنجيل.

تلخيص الادعاء: يقول الكاتب بأن ماني قال إن الإنجيل مُحَرَّف فاقْتَبَسَ محمد ﷺ هذه الفكرة من ماني وقال بتحريف الإنجيل!

أولاً: لم أجد أن ماني قد أنكر الإنجيل وقال بتحريفه قطعاً، بل فسره على هواه.

ثانياً : ماني كان يعترف بالتوراة (هذا ما تأكدت منه) ويقول بأنها لم تُحرف (على حد بحثي) وهو بهذا يخالف الإسلام في هذه النقطة فالإسلام يرفض التوراة والإنجيل.

ثم أتنظن بالله عليك أن الرسول ﷺ كان يقرأ في سيرة ماني وبلغه أن ماني قد قال بتحريف الإنجيل فقال لابد أن أقول أنا بتحريفه؟! هل هذا كلام يقبله عقل؟!

المسألة العاشرة: صلب المسيح.

تلخيص الادعاء: يقول الكاتب بأن ماني قال بأن المسيح لم يُصلب، فاقتبس محمد ﷺ الفكرة منه!

أما هذه المسألة فهي الأعجب، فيحاول كاتب الموضوع بأي طريقة أن يربط هرطقة مهرطق مسيحي زرادشتي وهو ماني ، بما قاله الإسلام العظيم ولكنه لم ولن يفلح بإذن الله.

فماني قال : إن المسيح ﷺ ظهر بين اليهود مرتدياً صورة وظل جسد إنساني وليس حقيقياً، لكن إله الظلمة أغوى اليهود ليصلبوه! ولكن بما أن المسيح لم يكن في جسد إنسان حقيقي فلم تؤثر فيه الآلام ولكن اليهود ظنوا أنهم صلبوه!

هل قال الإسلام هذا؟ للأسف هذا جهل آخر في الموضوع، فالإسلام العظيم قال بأن المسيح عيسى ﷺ قد رُفِعَ إلى السماء، وأنهم لم يصلبوه ولكن شبه لهم يهوذا على أنه المسيح ففعلوا ما فعلوا بيهوذا وظنوا أنه المسيح.

وبعد أن وضحت بحمد الله الأمر وانتهجت منهجاً علمياً في الرد، حيث رددت في البداية بمقدمة تنهي الموضوع ثم أتبعته بتفصيل كل مسألة والرد على كل مسألة بأكثر من وجه وتوضيح الالتباس، وأوضحت منهج الموضوع الخاطئ الذي يستند عليه وأعطيت الأمثلة، وكل معلومة قلتها في الموضوع أرفقت لها مصدراً وقد حرصت قدر المستطاع على أن يكون المصدر واضحاً لمن أراد مراجعة معلومة، بالرغم من أن الموضوع ليس فيه مصادر بل أقواس فقط ويبدو أن صاحب الموضوع نسى وضعها! وبالإضافة إلى أن صاحب الموضوع لا يضع المصادر مضبوطة حتى يرجع لها، فمثلاً قد اعتمد على أبحار السقاف

التي لا أعلم ما مشكلتها، لذا عليه حينما يضع أعداداً من الأفيستا أن يذكره تخريجها، لذا كان الأمر شاقاً في التوصل لتلك المصادر لكن الحمد لله على كل حال، وأرجو من الله أن أكون قد أدبت للشبهة حقها وأن يقتنع كل من قرأ الموضوع ببطولتها.

والى صاحب الموضوع أشكره أولاً وأقول له (كنصيحة أخ لك في الإنسانية يحبك): كُن منهجياً في بحثك، أعني لا تجعل كل همك أن يرى الآخرين بحثك ويعجبوا بك، بل أنت تبحث من أجل الحق، لذا فتقبل ردي هذا واقراه بتمعن فإن اقتنعت فاحذف موضوعك وأخبر كل من نقلوه أن يحذفوه أو أن تضع ردي بجانب الشبهة، وإن لم تقتنع فيمكنك الرد وسأقوم بالرد بإذن الله، حتى يكون الأمر منهجياً وليس عيبياً، فنحن الآن نتكلم في مصائر نفوس فليس الأمر بالعبث، وأرجو أن أجد رد فعل منك إما بالاعتناع فالحذف أو إرفاق الرد، أو الرد علي.

وأذكركم بقول أحدهم: "أهل العلم يقولون ما لهم وما عليهم، أما أهل الأهواء فلا يقولون إلا ما لهم".

" أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا".

وصلي اللهم وبارك على سيدنا محمد. اهـ بتصرف.

الهوامش

- (1) انظر مصادر الإسلام، جون سي. بلر، ترجمة: مالك مسلماني، ص32.
- (2) موسوعة أقباط مصر - http://www.coptichistory.org/new_page_1840.htm
- (3) الفهرست، ابن النديم، ص392.
- (4) الزندقة - ماني والمانوية، جيوايد نغرين، ترجمة وزيادة ملاحق: د. سهيل زكار. دار التكوين، دمشق. (وصل إليه عبر الويكيبيديا العربية <http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%...88%D9%8A%D8%A9>).

(5) القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، من تاريخ الإسلام في الإلحاد، عبد الرحمن بدوي، ص29.

(6) القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، من تاريخ الإسلام في الإلحاد، عبد الرحمن بدوي، ص30.

(7) الفهرست، ابن النديم، ص392 – 394.

(8) موسوعة الأديان، المجلد الرابع، ص145 – 169.

(9) موسوعة الأديان، المجلد الرابع، ص166 – 167.

(10) حلب: مركز الإنماء الحضاري، زرادشت الحكيم، حامد عبد القادر، الطبعة الأولى

2006م، ص78 – 79. ومقال الويكيبيديا العربية الذي باسم "أبراج الصمت" <http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%...B5%D9%85%D8%AA>

(11) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ص144.

(12) الأديان الحية، أديب صعب، ص107.

(13) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ص139.

(14) حلب: مركز الإنماء الحضاري، زرادشت الحكيم، حامد عبد القادر، الطبعة الأولى

2006م، ص45 – 46.

(15) موسوعة الأديان، المجلد الرابع، ص158.

(16) موقع النعمة: http://www.thegrace.com/books/TWOR/12_Enoch.htm

(17) تفسير العهد القديم، أنطونيوس فكري.

(18) تفسير العهد الجديد، تادرس يعقوب ملطي.

(19) An Outline of Religion – E. R. Appleton and S. Parkes

Cadman. – page 176

(20) الأديان الحية: نشوؤها وتطورها، أديب صعب، ص108.

(21) حلب: مركز الإنماء الحضاري، زرادشت الحكيم، حامد عبد القادر، الطبعة الأولى

2006م، ص46.

22) حلب: مركز الإنماء الحضاري، زرادشت الحكيم، حامد عبد القادر، الطبعة الأولى 2006م، ص8.

23) الرياض: دار الوطن، رسالة دكتوراه [دراسة للكتاب وتحقيقه من أوله إلى منتصفه]، تلبس إبليس، ابن الجوزي، تحقيق: د. أحمد بن عثمان المزيدي، ص396.

24) موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، عبد الرزاق رحيم، ص47.

25) تاريخ الحضارات العام، أندريه إيمار وجانين أوبوايه، نقله إلى العربية فريد. مم. دانمر. وفؤاد ج. أبو ربحان، انظر الصفحات 84، 105، 106 وما بعدها، منشورات عويدات، ط 2، 1986م.

26) الصوم في القديم والحديث، ناصر الدين أبي الفتوح الكرمل، ص 36، مطبعة الكونكورد.

27) بغداد: دار الشؤون الثقافية، الفكر الديني القديم، تقي الدباغ، ص85.

28) مقارنة الأديان (الإسلام)، ص142.

29) الصيام من البداية حتى الإسلام، علي الخطيب، ص103 - 104.

30) بغداد: دار الشؤون الثقافية، الفكر الديني القديم، تقي الدباغ، ص85.

31) الصيام من البداية حتى الإسلام، علي الخطيب، ص114.

32) الصيام من البداية حتى الإسلام، علي الخطيب، ص104 - 105.

33) مقارنة الأديان (الإسلام)، ص142.

34) ديانة مصر القديمة، ص 167 - 168.

35) الصيام من البداية حتى الإسلام، علي الخطيب، ص66 - 67.

رد شبهة: نبيُّ يقول : (نحن أحقُّ بالشكِّ من إبراهيم) !

ادعوا أن نبيَّنَا ﷺ كان يشكُّ في قدرةِ الله، وإبراهيمُ عليه السلام كذلك

وقالوا : هذا باعتراف نبيكم

واستدلوا على ادعائهم بما جاء في الصحيحين :

1- صحيح البخاري كتاب (التفسير) باب (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى) برقم 4173 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: { رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي }".

2- صحيح مسلم كتاب (الإيمان) باب (زِيَادَةُ طُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ بِتَظَاهِرِ الْأَدِلَّةِ) برقم 216 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ إِذْ قَالَ: { رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي } قَالَ: " وَيَرْحَمُ اللَّهُ لَوْطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجَنِ طُولَ لَبَثِ يُوسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ ".

الرد على الشبهة

أولاً : إن الأمة أجمعت على عصمة أنبياء الله ورسله من الكفر ، والشرك ، والشك في قدرة الله ﷻ ، ومن تسلط الشيطان عليهم وتمكنه من دعوتهم ، وأن تلك العصمة صفة أساسية فيهم ، وشرطاً ضرورياً من شروط الرسالة ، كما أنها جزء من الكمال البشري الذي كملهم الله به حتى يبلغوا رسالة ربهم إلى قومهم...

وبالتالي فإن من المستحيل أن يشك نبي من أنبياء الله في قدرة الله ﷻ أبداً لاسيما إبراهيم

عليه السلام.

فكيف يشك ﷺ وقد وصفه ربه ﷻ في كتابه المجيد قائلاً : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ (الأنبياء 51).

وقال ﷻ عنه : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام 75).

جاء في التفسير الميسر : وكما هدينا إبراهيم ﷺ إلى الحق في أمر العبادة نريه ما تحتوي عليه السماوات والأرض من ملك عظيم، وقدرة باهرة ، ليكون من الراسخين في الإيمان . أهـ

كذلك كيف يشك إبراهيم ﷺ ، وقد قال الله ﷻ بعد ذكر نوح ﷺ : ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ 83 ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ 84 ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ 85 ﴿ أَفَكَا أَلْهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ 86 ﴿ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ 87 ﴾ (الصفافات) ؟!

جاء في التفسير الميسر : وإنَّ من أشياع نوح على منهاجه وملته نبيَّ الله إبراهيم، حين جاء ربه بقلب بريء من كل اعتقاد باطل وخلق ذميم، حين قال لأبيه وقومه منكراً عليهم: ما الذي تعبدونه من دون الله؟ أتريدون آلهة مختلفة تعبدونها، وتتركون عبادة الله المستحق للعبادة وحده؟ فما ظنكم برب العالمين أنه فاعل بكم إذا أشركتم به وعبدتم معه غيره؟. أهـ

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل هذا كلام رجل شاك في قدرة الله ؛ يقول للكافرين علي سبيل الترهيب : " فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ " ؟!
و كيف يشك ﷺ وهو خليلُ الله ؟!

قال ﷺ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (125) (النساء).

ثانياً : إن معني قوله ﷺ : " نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ إِذْ قَالَ " رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنَ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي "

يتضح من أقوال العلماء كما يلي:

1- قال النووي - رحمه الله-: اختلف العلماء في معنى نحن أحق بالشك من إبراهيم على أقوال كثيرة أحسنها وأصحها ما قاله الإمام أبو إبراهيم المزني صاحب الشافعي وجماعات من العلماء : معناه أن الشك مستحيل في حق إبراهيم فإن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم وقد علمتم أنني لم أشك فأعلموا أن إبراهيم ﷺ لم يشك ، وإنما خص إبراهيم ﷺ لكون الآية قد يسبق إلى بعض الأذهان الفاسدة منها احتمال الشك وإنما رجع إبراهيم على نفسه ﷺ تواضعاً وأدباً أو قبل أن يعلم ﷺ أنه خير ولد آدم . اهـ

2- قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره : وأما قول النبي ﷺ : " نحن أحق بالشك من إبراهيم ﷺ " فمعناه أنه لو كان شاكا لكنا نحن أحق به ونحن لا نشك فإبراهيم ﷺ أخرى ألا يشك ، فالحديث مبني على نفى الشك عن إبراهيم ، والذي روى فيه عن النبي ﷺ أنه قال : (ذلك محض الأيمان) إنما هو في الخواطر التي لا تثبت ، وأما الشك فهو توقف بين أمرين لا مزية لإحدهما على الآخر ، وذلك هو المنفى عن الخليل ﷺ . اهـ

قلتُ: إن هذه هي أجمل الأقوال التي تميلُ إليها نفسي، وعليها فالحديث لا يؤخذ على ظاهره كما فهم المعتضون الذين لا علم عندهم بقواعد التفسير، ولا باللغة العربية.....

ثم إن هذا الحديث صنفه الإمام النووي في صحيح مسلم تحت باب (زِيَادَةُ طُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ بِتَظَاهُرِ الْأَدِلَّةِ) هكذا فهم - رحمه الله-، وفهمنا نحن - المسلمين-، وليس كما فهم المعتضون.

وعليه: تسقط دعوهم التي تقول : إن نبيَّنَا ﷺ كان يشك في قدرةِ الله ﷻ وإبراهيمَ ﷺ كذلك!

ثالثاً : إن قيل : إن الآية تدل على أن إبراهيم شك في قدرةِ الله ﷻ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة 260).

قلتُ : إن الجوابَ على ذلك يكون بجواب إبراهيم ﷺ نفسه حينما قال لما سأله ربُّه أولم تؤمن ؟ قال : " بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي " .

والمعنى: أني مؤمن بقدرتك ولكنني أطلب ذلك لأزدادُ يقيناً على يقيني...

يقوي ذلك ما قاله النووي في شرح مسلم (ج 1 / ص 277) : سَأَلَ زِيَادَةُ يَقِينٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْأَوَّلَ شَكًّا فَسَأَلَ التَّرَقِّيَ مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ ؛ فَإِنَّ بَيْنَ الْعِلْمَيْنِ تَفَاوُتًا

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- : سَأَلَ كَشَفَ غِطَاءِ الْعِيَانِ لِيَزْدَادَ
بِنُورِ الْيَقِينِ تَمَكُّنًا . اهـ

الواضح من السؤال والجواب أنه ﷺ لم يسأل لشك أو شبهة أو تردد وهذا ظاهر من
سؤاله إذ لم يقل لله ﷻ : هل تقدر أن تحي الموتى أم لا تقدر ؟

وهذا يشبه قولك لرسام كبير: دعني أنظر إليك وأنت ترسم اللوحة ، أو لخطاط كبير: خط
أمامي لكي أرى كيف تخط مثل هذه الخطوط الجميلة .

وعليه : فإن الإيمان ثلاثة مراتب: (1) علم اليقين (2) عين اليقين (3) حق اليقين
وبالمثال يتضح المقال : فلو أن هناك شخصاً آمن إيماناً يقينياً لا شك فيه أن داخل
الحقبة طعاماً فهذا علم اليقين ، و لو فتح الحقبة و نظر الطعام بعينه فهذا عين اليقين،
و لو أمسك بهذا الطعام وأكل منه فهذا حق اليقين ، **والملاحظ من الآيات** أنه ﷺ أراد أن
يرتقي من علم اليقين إلى عين اليقين ، وليس ثمة شك في إيمانه كما فهم واعتقد
المعتضون ، وبهذا ينتهي الرد على الشبهة الواهية - بفضل الله ﷻ -.

رابعاً: إن الكتاب المقدس ذكر لنا شبهة مثل شبهتهم تماماً ، ولكنها مع موسى ﷺ أرد أن
يطلب رؤية ربه كي يرى مجده.... **وذلك في سفر الخروج إصحاح 33 عدد**¹⁷ **قَالَ الرَّبُّ**
لِمُوسَى: «هَذَا الْأَمْرُ أَيْضًا الَّذِي تَكَلَّمْتَ عَنْهُ أَفْعَلُهُ، لِأَنَّكَ وَجَدْتَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيَّ، وَعَرَفْتُكَ
بِاسْمِكَ».¹⁸ **قَالَ:** «أُرِنِي مَجْدَكَ».¹⁹ **فَقَالَ:** «أُجِيزُ كُلَّ جُودَتِي قُدَّامَكَ. وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ
قُدَّامَكَ. وَأَتَرَأَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَأَفُ، وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ».²⁰ **وَقَالَ:** «لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي،
لَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ».²¹ **وَقَالَ الرَّبُّ:** «هُذَا عِنْدِي مَكَانٌ، فَتَقِفْ عَلَى الصَّخْرَةِ.

²² وَيَكُونُ مَتَى اجْتَاَزَ مَجْدِي، أَنِّي أَضَعُكَ فِي نُقْرَةٍ مِّنَ الصَّخْرَةِ، وَأَسْتُرُّكَ بِيَدِي حَتَّى اجْتَاَزَ.
²³ ثُمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتَنْتَظِرُ وَرَائِي، وَأَمَّا وَجْهِي فَلَا يَرَى».
نلاحظ هذا النص : ¹⁸ فَقَالَ : «أَرِنِي مَجْدَكَ».

وأتساءل : هل كان شاكاً في قدرة الله ... كي يطلب أن يرى مجد الله...؟!

رد شبهة: نبيّ يعظمُ ويقبلُ حجرَ أسوداً !

زعموا أن محمداً ﷺ كان يعظمُ ويقبلُ الحجرَ الأسودَ لدرجةِ العبادةِ حتى أنهم قالوا :أهذا هو التوحيد المنافي للشرك الذي جاء به رسولُ الإسلام.....؟! اعتمدوا في شبهتهم على ما جاء في الصحيحين واللفظ للبخاري كتاب (الحجّ) باب (ما ذُكرَ في الحجرِ الأسود) برقم 1494 عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ فَقَالَ : " إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْبَلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذا الحديث لا يخدم المعترضون بحالٍ من الأحوال؛ فهذا الحديث يدل على أن محمداً ﷺ ربي أصحابه ﷺ على التوحيد المنافي للشرك، مثل: تركِ عبادةِ الأَحجار..... وفيه مدى حب أصحابه ﷺ له ﷺ ...

وبالتالي فهذا الحديث يدل على نجاح النبي ﷺ في أبلّغِ دعوته وأداء رسالته

قال النووي - رحمه الله - في شرحه :

وَأَمَّا قَوْلُ عُمَرَ رضي الله عنه : " لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ حَجَرٌ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ وَأَنَّكَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ " فَأَرَادَ بِهِ بَيَانَ الْحَثِّ عَلَى الْإِقْتِدَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي تَقْبِيلِهِ ، وَنَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ لَوْلَا الْإِقْتِدَاءُ بِهِ لَمَا فَعَلَهُ ، وَإِنَّمَا قَالَ : وَأَنَّكَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ؛ لِئَلَّا يَغْتَرَّ بَعْضُ قَرِيبِي الْعَهْدِ بِالْإِسْلَامِ الَّذِينَ كَانُوا أَلْفُوا عِبَادَةَ الْأَحْجَارِ وَتَعْظِيمَهَا وَرَجَاءَ نَفْعِهَا ، وَخَوْفَ الضَّرَرِ بِالتَّقْصِيرِ فِي تَعْظِيمِهَا ، وَكَانَ الْعَهْدُ قَرِيبًا بِذَلِكَ ، فَخَافَ عُمَرُ رضي الله عنه أَنْ يَرَاهُ بَعْضُهُمْ يُقْبِلُهُ ، وَيَعْتَنِي بِهِ ، فَيَشْتَبِهَ عَلَيْهِ فَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ بِذَاتِهِ ، وَإِنْ كَانَ امْتِثَالَ مَا شَرَعَ فِيهِ يَنْفَعُ بِالْجَزَاءِ وَالتَّوَابِ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى نَفْعٍ وَلَا ضَرٍّ ، وَأَنَّهُ حَجَرٌ مَخْلُوقٌ كَبَاقِي الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَأَشَاعَ عُمَرُ هَذَا فِي الْمَوْسِمِ ؛ لِيُشْهَدَ فِي الْبُلْدَانِ ، وَيَحْفَظَهُ عَنْهُ أَهْلُ الْمَوْسِمِ الْمُخْتَلِفُو الْأَوْطَانِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

ثانيا : إن قيل : لماذا كان محمد ﷺ يعظم ويُقبل الحجر الأسود ؟

قلت : لأنه حجر ليس من أحجار الأرض ، وإنما هو من أحجار الجنة ؛ الجنة التي فيها الحياة الأبدية ، والتي من أجلها يعمل الإنسان في الدنيا الأعمال الصالحة ...

تدل على ذلك أدلة منها :

1- سنن الترمذي ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 2618 قال ﷺ : "نزل الحجر الأسود من الجنة أشد بياضا من الثلج ، فسودته خطايا بني آدم " .

2- المستدرک للحاکم ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم 5872 قال ﷺ : " الركن و المقام ياقوتتان من يواقيت الجنة " . وفي رواية في صحيح الترغيب والترهيب

برقم 1147 قال ﷺ : " الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا أن الله تعالى طمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب " .

3- سنن البيهقي ،صححه الألباني في صحيح الجامع برقم 9465 قال : " لولا ما مس الحجر من أنجاس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا شفي ، وما على الأرض شيء من الجنة غيره " .

4- قام العالم البريطاني" ريتشارد ديبرتون " برحلة إلى الحجاز متخفياً في زي مغربي ، مدعياً أنه مسلم وكان يجيد اللغة العربية، واندس بين الحجاج واستطاع أن يحصل على قطعة من الحجر، وحملها معه إلى لندن، وبدأت تجاربه عليها في المعامل الجيولوجية ، فتأكد أنه ليس حجراً أرضياً، بل هو من السماء، وسجل هذا في كتاب له بعنوان "الحج إلى مكة والمدينة" الذي صدر بالإنجليزية في لندن 1856م .

وعليه: فكان محمدٌ ﷺ يقبله ؛ لأنه حجر من أحجار الجنة كما بينا ، وليس لأنه يعبد كوثن كما يزعم المعتضون ،أو كما هم يفعلون حينما يصلون في الكنيسة للتماثيل مثل: تمثال يسوع والعذراء مريم...

ويبقى السؤال :هل تقبيل الحجر أو المرور من حوله عبادة من دون الله أو مساوياً للعبادة من دون عقيدة بذلك ... ؟

الجواب : لا ؛ فهذا شاعرٌ عربي يقول : " أمر على الديار ديار ليلي وأقبل ذا الجدار وذا الجدار ***** وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن تلك الديار " .

ويبقى السؤال: هل كان الشاعرُ يعبد الجدران ؟! هذا هو

ثالثاً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه هو: هل واجبٌ على كل مسلمٍ أن يقبلَ الحجرَ الأسودَ في الحجِّ ، أو بصيغةٍ أخرى ، هل يأثم من لم يقبلَ الحجرَ الأسودَ في الحجِّ ، أو تبطل حجته... ؟

الجواب : إن تقبيل الحجر الأسود على الاستحباب، فمن شاء قبله ومن شاء لا يقبله ، والدليل على ذلك هو أن الإمام النووي- رحمه الله- ذكر الروايات التي جاءت في تقبيل الحجر الأسود في صحيح مسلم تحت باب (استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف).

وقال النووي- رحمه الله - : هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ فَوَائِدُ مِنْهَا : اسْتِحْبَابُ تَقْبِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فِي الطَّوَافِ بَعْدَ اسْتِلَامِهِ. اهـ

إذا : لو كان الأمر فيه عبادة أصنام ، وشرك كما يهزم المعترضون لكان الأمر على الوجوب ، فشتان بين من يأتي ذلك طاعة لله ورسوله معتقداً أن الحجر لا يضر ولا ينفع كما يذكر الحديث الذي معنا ، وبين من يقدس الأوثان التي نهى الله ﷻ عن الاقتراب منها ؛ قال ﷻ : { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ } (الحج 30).

ثم إن النبي ﷺ كان يأمر بتغيير معالم الأحجار التي قد تتخذ عبادة ... ففي صحيح مسلم برقم 1609 عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ قَالَ : قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : " أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا تَدَعَ تِمْنَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ " .

ثم إنه ﷺ من كسر الأصنام جميعاً في يوم فتح مكة وهي أحجار كانت تُعبد. ...

رابعاً : إن الناظر في الكتاب المقدس يجده ينسب لنبي الله هارون أنه صنع العجل الذهبي ، وهو صنم وأمر بني إسرائيل بعبادته ونحن نبرئه من ذلك ؛ لأن القرآن الكريم برّاه جاء ذلك في سفر الخروج إصحاح 32 عدد¹ وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي التَّزَوُّلِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمْ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لِأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». ² فَقَالَ لَهُمْ هَارُونَ: «انزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا». ³ فَفَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَآتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. ⁴ فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالْإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عَجَلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدْتُكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». ⁵ فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونَ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونَ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ». ⁶ فَبَجَرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلَامَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلْأَكْلِ وَالشَّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلْعِبَادَةِ !

وَأَسْأَلُ :

- 1- أليس العجل الذهبي صنماً ؟
- 2- أليس هارون نبياً ؟
- 4- لماذا لم يطعنوا في نصوص كتابهم كما طعنوا في الحديث وجعلوه منه شبهة دون أدنى بينة ؟!.....!

وليتهم يخبرونا ألم يكن موسى والأنبياء من بني إسرائيل - عليهم السلام - كانوا يكرمون (تابوت العهد)، ويخرونه كما جاء في العهد القديم... ؟!

ثم هاهم الأمس واليوم يقبلون صورَ وتماثيل يسوع والعذراء ... ومنهم من يصلي لهذه الصور والتماثيل كي ينال البركة بالسجود لها على ما في ذلك من مخالفة لشريعة موسى ...

وذلك في عدة نصوصٍ منها :

1- سفر الآويين إصحاح 26 عدد 1¹ «لَا تَصْنَعُوا لَكُمْ أُوتَانًا، وَلَا تَقِيمُوا لَكُمْ تِمْنَالًا مَنحُوتًا أَوْ نَصَبًا، وَلَا تَجْعَلُوا فِي أَرْضِكُمْ حَجَرًا مُصَوِّرًا لِتَسْجُدُوا لَهُ. لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ. ²سُبُوتِي تَحْفَظُونَ وَمَقْدِسِي تَهَابُونَ. أَنَا الرَّبُّ.

3- سفر التثنية إصحاح 5 عدد 8⁸ لَا تَصْنَعْ لَكَ تِمْنَالًا مَنحُوتًا صُورَةً مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ. ⁹لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَهٌ غَيْرٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الْأَبَاءِ فِي الْأَبْنَاءِ وَفِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنَ الَّذِينَ يَبْغِضُونَنِي.

ومنهم من يقول: إن الصور والأحجار لا تضر ولا تنفع ، وإكرامها عائد لله ﷻ ...

قلتُ : ونحن مثل قولهم الأخير في شأن الحجر الأسود.

خامساً : إن الأعجب مما سبق كله هو أن المعترضين لا يعترضون عما جاء في كتابهم المقدس الذي يقول إن بولس الرسول قال لهم إن الصخرة التي شربوا منها ... كانت الصخرة هي المسيح الذي عبده !

وذلك في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح 10 عدد 1 فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا أَنَّ آبَاءَنَا جَمِيعَهُمْ كَانُوا تَحْتَ السَّحَابَةِ، وَجَمِيعَهُمْ اجْتَازُوا فِي الْبَحْرِ،² وَجَمِيعَهُمْ اعْتَمَدُوا لِمُوسَى فِي السَّحَابَةِ وَفِي الْبَحْرِ،³ وَجَمِيعَهُمْ أَكَلُوا طَعَامًا وَاحِدًا رُوحِيًّا،⁴ جَمِيعَهُمْ شَرَبُوا شَرَابًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتْهُمْ، وَالصَّخْرَةُ كَانَتْ الْمَسِيحَ. لا تعليق !

رد شبهة: نبيّ يحرم ما أحله الله له !

أعظم المعترضون الفرية على نبيّنا ﷺ لما قالوا عنه: إنه ﷺ يحرم ما أحله الله له ... ثم قالوا: كيف يحرم ما أحله الله ، هل هذه هي الأمانة في تبليغ الرسالة ...؟! واستندوا في ذلك بقوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (التحریم 1) .

الرد على الشبهة

أولاً: كان على المعترضين أن يكلفوا أنفسهم بتكملة الآيات ليفهموها فهماً صحيحاً.....

وعلى كل أقول : إن هذه الآية والآيات التي تليها تشير إلى قصة حدثت في بيت النبي ﷺ وهي قصة (العسل والمغافير) ؛ القصة ثابتة في الصحيحين واللفظ للبخاري برقم 4862 عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً ، فتواصيت أنا وحفصة أن آيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على إحدهما فقالت له ذلك فقال: لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت: { يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك إلى إن تتوبا إلى الله }

لعائشة وحفصة: { وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه } لقوله: بل شربت عسلاً.

نلاحظ بعد القراءة : أن نساءه ﷺ تظاهرن عليه بدافع الغيرة المعروفة عند النساء عامة ، فحرم النبي ﷺ العسل على نفسه إرضاءً لهن فعتابه الله ﷻ قائلاً له : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم ﴾ (التحريم1).

وعليه فهذه الآية الكريمة ليس فيها اتهام له ﷺ بتحريم ما أحل الله ؛ ولكنها من باب العتاب له ﷺ من ربّه ﷻ الذي يعلم ﷻ أنه ﷺ يستحيل عليه أن يحرم شيئاً ، أو أمراً ، أو عملاً أحله الله.....

فكل ما هنالك أنه ﷺ شدد على نفسه لصالح مرضاة زوجاته، وذلك من خلقه الرفيع وهذا من باب المشاكلة ثم العتاب لا كما فهم وزعم المعتضون

ثم إن قصة وطء النبي ﷺ لمارية القبطية في بيت حفصة لا تصح..... ويمكن للقارئ أن يرجع إلى هذه الشبهة في الباب الثالث التي يسمونها: نبي يزني مع أمته (مارية القبطية).....!

ثانياً: إن هذا التحريم الذي في الآية ليس له علاقة بالشرع ولا بالرسالة.... إنما هو تحريم شخصي (قديري) كقولك : حرمتُ شرب (الشاي) على نفسي ؛ لك مطلق الحرية في ذلك ، ولا تأثم قط ؛ فلك أن تشرب ما تشاء من المشروبات التي أحلها الله لك، وتترك منها ما تشاء....

وأما تبليغه ﷺ للرسالة وأدائه للأمانة ، فقد فعل النبي ﷺ ذلك على أكمل وجه ، ولقد شهد الله له ﷺ بتمام تبليغ الرسالة بكل أمانة لما قال ﷺ : ﴿ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴾ 44 ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ 45 ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ 46 ﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ 47 ﴿ . (الحاقة).

ثم إن الله ﷻ زكاه ﷺ في نبوته.... بقوله ﷻ : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ 3 ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ 4 ﴿ (النجم) .

وعليه: تسقط شبهتهم التي تقول: كيف يحل ما حرم الله ؟ هل هذه هي الأمانة في أداء الرسالة... ؟!

ثالثاً : إن هذه الآية الكريمة تدل على صدق نبوة النبي ﷺ ، وعلى أمانته ﷺ ... وذلك لأنه ﷺ ليس مؤلفاً للقرآن كما يزعمون فلو كان ﷺ صاحب القرآن ومؤلفه ما عاتب نفسه، ولأظهر نفسه في أحسن مظهر...فهذا يدل على خيبة أمل المعترضين من جانب غاب عنهم

رابعاً: إن الكتاب المقدس ذكر أن الرب أحل الحرام.... وذلك في عدة مواضع منها:

1- الرب أحل الحرام (الشر)، وراجع عبده ونبيه موسى ﷺ قائلاً له: " ارجع عن حمو غضبك، واندم على الشر بشعبك " ! وذلك بحسب ما جاء في سفر حزقيال إصحاح 32 عدد 11: 12 ¹¹ فتضرع موسى أمام الرب إلهه، وقال: «لماذا يا رب يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟ ¹² لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال، ويفنيهم عن وجه الأرض؟ ارجع عن حمو غضبك، واندم على الشر بشعبك. لا تعليق !

2- الرب أحل الحرام حيث إنه سلم أهل بيت نبيه داود ﷺ ليزنى بهم أمامه عقاباً له وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 12 عدد ¹⁰ والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد، لأنك احتقرتني وأخذت امرأة أوريا الحي لتكون لك امرأة. ¹¹ هكذا قال الرب: هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك، وأخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك، فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس. ¹² لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس». لا تعليق !

3- الرب أباح الحرام لبني إسرائيل في موضعين:

أ- أباح الحرام لبني إسرائيل فلهم يقرضوا الآخرين بالربا المحرمة، ولكن لإخواتهم لا ...

وذلك في سفر التثنية إصحاح 23 عدد¹⁹ «لَا تُقْرِضُ أَخَاكَ بَرِيًّا، رَبًّا فَضَّةً، أَوْ رَبًّا طَعَامًا ، أَوْ رَبًّا شَيْءً مَّا مِمَّا يُقْرِضُ بَرِيًّا، ²⁰لِلْأَجْنَبِيِّ تُقْرِضُ بَرِيًّا، وَلَكِنْ لِأَخِيكَ لَا تُقْرِضُ بَرِيًّا، لِيُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ فِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا.

لا تعليق !

ب- أباح لبني إسرائيل أن يسرقوا المصريين عند خروجهم من أرض مصر رغم حرمتها (السرقه)..... وذلك في سفر الخروج إصحاح 3 عدد²¹ وأُعْطِيَ نِعْمَةً لِهَذَا الشَّعْبِ فِي عِوْنِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَئِذٍ تَمْضُونَ أَنْكُمْ لَا تَمْضُونَ فَارِغِينَ. ²²بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةٍ بَيْتِهَا أَمْتَعَةً فَضَّةً وَأَمْتَعَةً ذَهَبًا وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلُبُونَ الْمِصْرِيِّينَ». لا تعليق !

رد شبهة: نبي الإسلام منع عليًا من التزوج من ابنة أبي جهل...

قالوا: نبي الإسلام منع عليًا من التزوج من ابنة أبي جهل، فهو بذلك يحرم الحلال ويحل الحرام.... تعلقوا على ذلك بما جاء في الآتي :

صحيح البخاري كتاب (النكاح) باب (ذُبَّ الرَّجُلُ عَنْ ابْنَتِهِ فِي الْغَيْرَةِ وَالْإِنْصَافِ) برقم 4829 عَنْ الْمُسَوِّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ : " إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُوا فِي أَنْ يَنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَلَا آذَنُ ثُمَّ لَا آذَنُ ثُمَّ لَا آذَنُ إِلَّا أَنْ يُرِيدَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ فَإِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي يُرِيدُنِي مَا أَرَابَهَا وَيُؤْذِنُنِي مَا آذَاهَا هَكَذَا قَالَ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن النبي ﷺ تصرف هنا بمنطلق الأبوة ، وليس النبوة كي يعاب عليه بأنه حرم حلالاً....

دليل ذلك ما يلي :

1- قال ابن حجر في الفتح : وَزَادَ فِي رِوَايَةِ الزُّهْرِيِّ " وَإِنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلَالًا ، وَلَا أُحِلُّ حَرَامًا ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا تَجْمَعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ أَبَدًا " وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ " مَكَانًا وَاحِدًا أَبَدًا " وَفِي رِوَايَةِ شُعَيْبٍ " عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَبَدًا " قَالَ ابْنُ التَّيْنِ : أَصَحَّ مَا تَحْمَلُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْقِصَّةُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَرَّمَ عَلَى عَلِيٍّ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ ابْنَتِهِ وَبَيْنَ ابْنَةِ أَبِي جَهْلٍ؛ لِأَنَّهُ عَلَّلَ بِأَنَّ ذَلِكَ يُؤْذِيهِ وَأَدْبَيْتَهُ حَرَامٌ بِالِاتِّفَاقِ ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: " لَا أُحَرِّمُ حَلَالًا " أَيُّ: هِيَ لَهُ حَلَالٌ لَوْ لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ فَاطِمَةُ ، وَأَمَّا الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا الَّذِي يَسْتَلْزِمُ تَأْذِي النَّبِيِّ ﷺ لَتَأْذِي فَاطِمَةَ بِهِ فَلَا ، وَزَعَمَ غَيْرُهُ أَنَّ السِّيَاقَ يُشْعِرُ بِأَنَّ ذَلِكَ مُبَاحٌ لِعَلِيٍّ ، لَكِنَّهُ مَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ رِعَايَةَ لِحَاطِرِ فَاطِمَةَ وَقَبْلَ هُوَ ذَلِكَ امْتِنَالًا لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ . وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّهُ لَا يَبْعُدُ أَنْ يُعَدَّ فِي خَصَائِصِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ لَا يَتَزَوَّجَ عَلَى بَنَاتِهِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ خَاصًّا بِفَاطِمَةَ -عَلَيْهَا السَّلَامُ- .

2- شرح النووي لصحيح مسلم : قَوْلُهُ ﷺ : (إِنْ بَنِي هَاشِمٍ بَنَ الْمُغِيرَةَ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يَنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلَيَّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَلَا آذَنَ لَهُمْ ، ثُمَّ لَا آذَنَ لَهُمْ ، ثُمَّ لَا آذَنَ لَهُمْ ، إِلَّا أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطْلَقَ ابْنَتِي ، وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ ، فَإِنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي ، يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا ، وَيُؤْذِنِي مَا آذَاهَا) وَفِي الرَّوَايَةِ الْآخَرَى : (أَنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلَالًا ، وَلَا

أَحَلَّ حَرَامًا ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ مَكَانًا وَاحِدًا أَبَدًا) وَفِي
الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى : (إِنَّ فَاطِمَةَ مُضْغَةٌ مِنِّي ، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ يَفْتَنُوهَا) .
أَمَّا الْبَضْعَةُ فَبِفَتْحِ الْبَاءِ لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ ، وَهِيَ قِطْعَةُ اللَّحْمِ ، وَكَذَلِكَ الْمَضْغَةُ بِضَمِّ الْمِيمِ .

2- تبويب البخاري للحديث يوضح المعنى : (ذَبَّ الرَّجُلُ عَنْ ابْنَتِهِ فِي الْغَيْرَةِ وَالْإِنْصَافِ).

نلاحظ: أنه لم يقل ذب النبي ﷺ ، ولكن قال ذب الرجل عن ابنته...لأن الأمر يتعلق
بالأبوة لا بالنبوة ...

إن قيل: إن نبيكم ما هو إلا وحي يوحى ، فما أقواله وما أفعاله إلا بوحى ،وهذا الأمر
وحي ...

قلتُ : إن النبي ﷺ كانت تصدر عنه بعض التصرفات و الأفعال التي لم يوح إليه شيء
بخصوصها ، وكان أمرها متروكاً لاجتهاده الخاص لكونه بشراً ، ومثل هذا الحديث الذي
معنا ، حديث أنتم أعلم بشؤون دنياكم ...واستشارته لأهل بدر قبل القتال....

وعليه: فإن ما سبق كاف جداً لإبطال الشبهة - بفضل الله ﷻ-.

ثانياً : إن الذي أحل الحرام ويحرم الحلال هو الربُّ بحسب الكتاب المقدس

وذلك في عدة مواضع منها :

1- الربّ أهل الحرام (الشر) ، وراجعهُ عبده ونبيّه موسى ﷺ قائلاً له : " ارجع عن حمو غضبك، واندّم على الشرّ بشعبك " ! وذلك بحسب ما جاء في سفر حزقيال إصحاح 32 عدد 11: 12 ¹¹ فتصرّع موسى أمام الربّ إلهه، وقال: «لماذا يا ربّ يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟ ¹² لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ، ويفنيهم عن وجه الأرض؟ ارجع عن حمو غضبك، واندّم على الشرّ بشعبك. لا تعليق !

2- الربّ أهل الحرام حيث إنه سلم أهل بيت نبيه داود ﷺ ليزني بهم أمامه عقاباً له وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 12 عدد ¹⁰ والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد، لأنك احتقرتني وأخذت امرأة أوريا الحنّي لتكون لك امرأة. ¹¹ هكذا قال الربّ: هأنذا أقيم عليك الشرّ من بيتك، وأخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهنّ لقريبك، فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس. ¹² لأنك أنت فعلت بالسّر وأنا أفعل هذا الأمر قدّام جميع إسرائيل وقدّام الشمس». لا تعليق !

3- الربّ أباح الحرام لبني إسرائيل في موضعين:

أ- أباح الحرام لبني إسرائيل فلهم يقرضوا الآخرين بالربا المحرمة ، ولكن لإخواتهم لا

و ذلك في سفر التثنية إصحاح 23 عدد ¹⁹ «لا تقرض أخاك ربياً، رباً فضّة، أو رباً طعام، أو رباً شيء مّا ممّا يقرض ربياً، ²⁰ للأجنبيّ تقرض ربياً، ولكن لأخيك لا تقرض ربياً، ليباركك الربّ إلهك في كلّ ما تمتدّ إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها. لا تعليق !

ب-أباح لبني إسرائيل أن يسرقوا المصريين عند خروجهم من أرض مصر رغم حرمتها (السرقه)..... وذلك في سفر الخروج إصحاح 3 عدد²¹ وأُعْطِيَ نِعْمَةً لِهَذَا الشَّعْبِ فِي عِيُونِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَمَا تَمْضُونَ أَتَكُمْ لَا تَمْضُونَ فَارْغِينَ.²² بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتَعَةً فَضَّةً وَأَمْتَعَةً ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلُبُونَ الْمِصْرِيِّينَ».

4- الرب يسوع - بحسب معتقدهم- حرم الحلال لما حرم زواج المطلقة... وذلك في إنجيل متى إصحاح 5 عدد 32 وأما أنا فأقول لكم : إن من طلق امرأته إلا لعلّة ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني. الزنا يجعلها تزني. لا تعليق!

رد شبهة: نبي لا يضمن دخول الجنة !

قالوا: إذا كان رسول الإسلام نفسه لا يضمن دخول الجنة ؛ فكيف الحال بكم أنتم أيها المسلمون ؟!

استشهدوا على قولهم بحديث في الصحيحين واللفظ لمسلم كتاب (صفة القيامة والجنة والنار) باب (لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى) برقم 5041 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " قَارِبُوا وَسَدُّوا ، وَعَلِّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ " ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَلَا أَنْتَ ؟ قَالَ : " وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن المسلمين يعتقدون أن النبي ﷺ بعد موته في الفردوس الأعلى كما دلت السنة المطهرة على ذلك، ودلت أيضاً على أن هناك ناساً بعينهم من أصحابه ﷺ في الجنة...

جاء ذلك في عدة أدلة منها :

1- صحيح البخاري برقم 4103 عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - : وَآ كَرَبٌ أَبَاهُ فَقَالَ لَهَا : " لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ " . فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ : يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَاوَاهُ يَا أَبَتَاهُ إِلَى جَبْرِيلَ نَنَعَاهُ فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - : يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْنُثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ.

الشاهد: أن النبي ﷺ قال: " لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ " . أي : أنه سينعم عند رب العالمين في جنته ودار مقامته ...

والشاهد أيضاً : قول فاطمة: " يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَاوَاهُ " . دليل على علم من حوله علماً يقيناً بأنه ﷺ في الفردوس الأعلى ..

صحيح البخاري برقم 4892 عَنْ سَهْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَجَ بَيْنَهُمَا شَيْئاً " .

3- مسند أحمد برقم 12133 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ اتَّقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَقَامَ عَلَيْهِنَّ كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ الْأَرْبَعِ " .

تعليق شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح بطرقه وشواهدة , وهذا إسناد قابل للتحسين .

1- ثبت أن الله ﷻ أطلعهُ ﷺ على الجنة ... وذلك في أكثر من موضع منها :

صحيح البخاري برقم 3002 عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ؓ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " أَطْلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ ، وَأَطْلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ " .

صحيح الجامع برقم 7695 قَالَ ﷺ : " فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَ لَا أَذُنٌ سَمِعَتْ وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ " .

ثبت أنه يشفع ﷺ لغيره ليدخلوا الجنة، وذلك في صحيح مسلم برقم 289 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا " .

5- ثبت أن الصحابة ؓ كانوا يتمنون مرافقته في الجنة؛ وذلك في صحيح مسلم برقم 754 عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ ؓ قَالَ : كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَّتِهِ فَقَالَ لِي : سَلْ فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ : " أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ " . قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ قَالَ : " فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ " .

7 - ثبت أن النبي ﷺ أخبر عن أناسٍ بعينهم بأنهم في الجنة منهم : العشرة المبشرين بالجنة ، وذلك في سنن الترمذي برقم 3680 عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ " .
تحقيق الألباني : صحيح ، المشكاة (6110 : 6111) ، تخرج الطحاوية (728) .

9- ثبت أنه ﷺ أخبر عن حال ابنه إبراهيم في الجنة ، وذلك في صحيح البخاري برقم 1293 عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّهُ سَمِعَ الْبَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا تَوَفَّى إِبْرَاهِيمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ " .

9- ثبت أنه ﷺ أخبر عن حال حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الجنة ، وذلك في صحيح البخاري برقم 2598 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أُمَّ الرَّبِيعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بِنْتُ سُرَاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرَبَ فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ قَالَ: " يَا أُمُّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى " .

ثبت أنه أخبر عن حال سعد بن معاذ في الجنة، وذلك في صحيح البخاري برقم 5388 عَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَهْدَى لِلنَّبِيِّ ﷺ ثَوْبٌ حَرِيرٍ فَجَعَلْنَا نَلْمُسُهُ وَنَتَعَجَّبُ مِنْهُ فَقَالَ النَّبِيُّ : " أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا ؟ قُلْنَا : نَعَمْ قَالَ: "مَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا " .

ثبت أنه ﷺ أخبر عن رجل قُتل يوم أحد بأنه في الجنة، وذلك في صحيح البخاري برقم 3740 عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيُّنَ أَنَا؟ قَالَ: " فِي الْجَنَّةِ ". فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

وبالتالي: فإن ما سبق يوضح لنا أن النبي ﷺ في الجنة ، وأنه أخبر عن أناسٍ بعينهم بأنهم من أهل الجنة ، وعليه تبطلُ شبهتهم التي تقول : إذا كان رسولُ الإسلام لا يضمن دخول الجنة فكيف الحال بكم أنتم أيها المسلمون...

ثانياً : إن فهمَ الحديثِ الذي أُشكلَ فهمُه على المعترضين وغيرهم يُفهمُ فهمًا صحيحًا من خلال فهمِ حرف واحد فقط هو حرف (الباء) من كلمة " بِعَمَلِهِ " ؛ الحديث يقول : " وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ " .

الباء هنا هي باء الثمنية ، والمعني : أن العملَ سببٌ من أسباب دخول الجنة ؛ لكنه ليس الثمن لدخولها فدخول الجنة بالعمل الذي كان بتوفيق من الله ورحمةٍ منه فما وفق العبدُ للعمل الصالح إلا برحمةٍ من الله وفضله... فالناظرُ إلى حياتنا يجدها تضيع بين النوم، والأكل، والعمل، والأهل..... وأما العبادة فقليلة.

وبالتالي: فإن هذا العمل القليل أمام النعم الكثيرة ليس هو الثمن لدخول الجنة بل برحمةِ الله ﷻ

يدلل على ما سبق ما جاء في الآتي :

1- قال الإمام النووي - رحمه الله - في شرحه : وفي ظاهر هذه الأحاديث : دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته ، وأما قوله تعالى : { ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون } {وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون } ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة، فلا يعارض هذه الأحاديث ، بل معنى الآيات : أن دخول الجنة بسبب الأعمال ، ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها ، وقبولها برحمة الله تعالى وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل . وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بالأعمال أي : بسببها ، وهي من الرحمة . والله أعلم . اهـ

2- نقل ابن حجر في الفتح قول الرافعي قائلًا : في الحديث أن العامل لا ينبغي أن يتكل على عمله في طلب النجاة ونيل الدرجات لأنه إنما عمل بتوفيق الله ، وإنما ترك المعصية بعصمة الله ، فكل ذلك بفضله ورحمته . وأما عن تفسير معنى " يتغمدني " قال أبو عبيد : المراد بالتغمد الستر ، وما أظنه إلا مأخوذاً من غمد السيف لأنك إذا أغمدت السيف فقد ألبسته الغمد وسترته به . اهـ

3- السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني برقم 1183 (ضعيف) خرج من عندي خليلي جبريل أنفا فقال : يا محمد ! والذي بعثك بالحق إن لله عبدا من عبيده عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل في البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعا في ثلاثين ذراعا والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية وأخرج الله ﷻ له عينا عذبة بعرض الأصبع تبض بماء عذب فتستنقع في أسفل الجبل وشجرة رمان تخرج له كل ليلة رمانة فتغذيه يومه فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته فسأل ربه ﷻ عند وقت الأجل أن يقبضه ساجدا وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء يفسده عليه سبيلا حتى يبعثه وهو ساجد قال : ففعل فنحن نمر عليه إذا

هبطنا وإذا عرجنا فنجد له في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله ﷻ فيقول له الرب : أدخلوا عبادي الجنة برحمتي فيقول : بل بعملتي فيقول له الرب : أدخلوا عبادي الجنة برحمتي فيقول : يا رب بل بعملتي فيقول له الرب : أدخلوا عبادي الجنة برحمتي فيقول : رب بل بعملتي فيقول الله ﷻ للملائكة : قايسوا عبادي بنعمتي عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت نعمة الجسد فضلا عليه فيقول: أدخلوا عبادي النار قال : فيجر إلى النار فينادي : رب برحمتك أدخلني الجنة فيقول : ردوه فيوقف بين يديه فيقول : يا عبادي من خلقتك ولم تك شيئا ؟ فيقول : أنت يا رب فيقول : كان ذلك من قبلك أو برحمتي ؟ فيقول : بل برحمتك فيقول : من قواك لعبادة خمسمائة عام ؟ فيقول أنت يارب فيقول : من أنزلك في جبل وسط اللجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح وأخرج كل ليلة رمانة وإنما تخرج مرة في السنة وسألتني أن أقبضك ساجدا ففعلت ذلك بك ؟ فيقول أنت يا رب فقال الله ﷻ: فذلك برحمتي وبرحمتي أدخلك الجنة . قال جبريل عليه السلام : إنما الأشياء برحمة الله تعالى يا محمد. اهـ

قلتُ: إن الحديثَ ضعيفٌ ،ولكن ذكرته من باب الاستئناسِ ، أو ضرب الأمثال مع اعتقادي بأن الحديث الضعيف لا يعمل به في العقائد، ولا في الأحكام الشرعية، ولا في فضائل الأعمال...

وأما عن قول القائل: " وَلَا أَنْتَ " . فأجاب النبي ﷺ قائلا: " وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ " .

قوله ﷺ : " وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ " . أي: أنه ﷺ أخبر أن هدايته للنبوّة ،وعصمته ،وعلمه الذي علمه ، ودخوله للجنة برحمة من الله ﷻ و فضله ﷻ

وبمعنى أكثر وضوحاً : لولا أن تداركني الله ﷻ برحمة منه فضل ما وفقت لعملي الصالح ، ودخولي الجنة ؛ يدل على ذلك قوله ﷻ : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء: 113) .

وهذا معنى آخر ذكره ابن حجر في الفتح قائلاً : قَالَ الْكِرْمَانِيُّ : إِذَا كَانَ كُلُّ النَّاسِ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ فَوَجَّهَ تَخْصِيصَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالذِّكْرِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مَقْطُوعًا لَهُ بِأَنَّهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ثُمَّ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ فَغَيَّرَهُ يَكُونُ فِي ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْأُولَى . قُلْتُ : وَسَبَقَ إِلَى تَقْرِيرِ هَذَا الْمَعْنَى الرَّافِعِيُّ فِي أَمَالِيهِ فَقَالَ : لَمَّا كَانَ أَجْرُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الطَّاعَةِ أَعْظَمَ وَعَمَلُهُ فِي الْعِبَادَةِ أَقْوَمَ قِيلَ لَهُ " وَلَا أَنْتَ " أَي : لَا يُنَجِّيكَ عَمَلُكَ مَعَ عَظَمِ قَدْرِهِ ، فَقَالَ : " لَا إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ " وَقَدْ وَرَدَ جَوَابُ هَذَا السُّؤَالِ بَعِيْنُهُ مِنْ لَفْظِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ بَلَفَظَ " لَا يَدْخُلُ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ وَلَا يُجِيرُهُ مِنَ النَّارِ ، وَلَا أَنَا إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى " . اهـ

ثالثاً : إن الكتاب المقدس يبين لقارئه أن يسوع المسيح لن يدخل الملكوت (الملوكوت)

...

يدلل على ذلك ما يلي :

1- إن كاتب إنجيل متى ذكر نسب يسوع المسيح ﷺ على النحو التالي:

في الإصحاح الأول عدد¹ كِتَابُ مِيلَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ :² إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَاقَ . وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ . وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ .³ وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ . وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ . وَحَصْرُونَ وَلَدَ أَرَامَ .⁴ وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِينَادَابَ . وَعَمِينَادَابُ وَلَدَ

نَحْشُونَ. وَنَحْشُونَ وَلَدَ سَلْمُونَ.⁵ وَسَلْمُونَ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَحَابَ. وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوْبِيدَ مِنْ رَاعُوْثَ. وَعُوْبِيدُ وَلَدَ يَسَّى.⁶ وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكِ. وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِي لِأُورِيَّا.⁷ وَسَلَيْمَانُ وَلَدَ رَحْبَعَامَ. وَرَحْبَعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا. وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا.⁸ وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ. وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُوْرَامَ. وَيُوْرَامُ وَلَدَ عَزِّيَّا.⁹ وَعَزِّيَّا وَلَدَ يُوْثَامَ. وَيُوْثَامُ وَلَدَ أَحَازَ. وَأَحَازُ وَلَدَ حَزَقِيَّا.¹⁰ وَحَزَقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى. وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ. وَآمُونُ وَلَدَ يُوْشِيَّا.¹¹ وَيُوْشِيَّا وَلَدَ يَكْنِيَا وَإِخْوَتُهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ.¹² وَبَعْدَ سَبْيِ بَابِلَ يَكْنِيَا وَلَدَ شَالْتَيْلَ. وَشَالْتَيْلُ وَلَدَ زَرْبَابِلَ.¹³ وَزَرْبَابِلُ وَلَدَ أَبِيهَوْدَ. وَأَبِيهَوْدُ وَلَدَ أَلْيَاقِيمَ. وَأَلْيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ.¹⁴ وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ. وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيْمَ. وَأَخِيْمُ وَلَدَ أَلْيُودَ.¹⁵ وَأَلْيُودُ وَلَدَ أَلْيَعَازَرَ. وَأَلْيَعَازَرُ وَلَدَ مَثَانَ. وَمَثَانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ.¹⁶ وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَوْسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وَلَدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ.¹⁷ فَجَمِيعُ الْأَجْيَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ جِيلًا، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَبْيِ بَابِلَ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ جِيلًا، وَمِنْ سَبْيِ بَابِلَ إِلَى الْمَسِيحِ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ جِيلًا.

قُلْتُ : إن الملاحظ أن في نسبه عليه السلام بحسب ما أورده كاتب إنجيل متى أربع نسوة زناة جدات للمسيح عليه السلام هن:

(1) ثامار زانية ... أنجبت فَارِصَ {أحد أجداد المسيح } من زناها بحماها يهوذا بن يعقوب أحد أسباط بني إسرائيل { راجع سفر التكوين الإصحاح 38 عدد 12 - 30 }

(2) رحاب زانية فَأَرْسَلَ يَشُوعَ بْنَ نُونٍ مِنْ شَطِئِمَ رَجُلَيْنِ جَاسُوسَيْنِ سِرًّا قَائِلًا اذْهَبَا انْظُرَا الْأَرْضَ وَارِيحَا. فَذَهَبَا وَدَخَلَا بَيْتَ امْرَأَةٍ زَانِيَةٍ اسْمُهَا رَحَابُ وَاضْطَجَعَا هُنَاكَ (سفر يشوع 1/2)

(3) بِشْبَعَ زَوْجَةَ أوريا الحثي زانية زنا بها داودُ (كما يزعمون) وحرّض على قتل زوجها ثم تزوجها وأنجب منها سليمان (أحد أجداد المسيح) { راجع سفر الملوك الأول الإصحاح 11 } .

(4) راعوث الزانية فهي راعوث المؤابية زوجة بوعز وأم عوبيد... القصة كلها في سفر راعوث الإصحاح الثالث قصة الاضطجاع والبقية في الإصحاح الرابع شرائه لها ودخوله عليها وإنجابه منها ... وبهذا فاق النسب ثلاثين جيلاً...

ويبقى إشكال : هو النص الذي جاء في سفر التثنية إصحاح 23 عدد 3 " لا يدخل عموني و لا مؤابي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم احد في جماعة الرب إلى الأبد " .

ويبقى السؤال : هل يسوع سيدخل الملكوت بحسب هذه النصوص...؟!...

4- إن بولس الرسول يقول في رسالته الأولى إلى كورنثوس إصحاح 6 عدد 10¹⁰ وَلَا سَارِقُونَ وَلَا طَمَاعُونَ وَلَا سَكِينُونَ وَلَا شَتَائِمُونَ وَلَا خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللَّهِ.

نلاحظ من كلامه : أن الشتامين لا يرثون ملكوت الله ؛ فبحسب كلام بولس أن يسوع لن يدخل الملكوت للآتي :

1- يسوع شتم المرأة الكنعانية ، وجعلها من زمرة الكلاب ...وذلك عندما جاءت إليه تسترحمه بأن يشفى ابنتها..... رد عليها قائلاً : " لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْرُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكَالِبِ " (متى 15 / 26) .

3- يسوع شتم معلمي الشريعة قائلاً لهم : " يا أولاد الأفاعي " (متى 3 / 7) .

وشتمهم في موضع آخر قائلاً لهم : " أيها الجهال العميان " (متى 23 / 17) . وغيرها من أمثال تلك النصوص التي نسبت ليسوع المسيح

وَأَتَسْأَلُ : هل سيدخل يسوعُ الملكوت بحسبِ كلامِ بولس أم لا ؟

الجواب: إننا نعتقد أن المسيحَ ﷺ في أعلى درجاتِ الجنة، أما هم فلا أعرف معتقدهم بعد هذه النصوص ... !

رابعاً : إن المعارضين على حديث النبي ﷺ لن يدخلوا الملكوت لدليلين من كتابهم المقدس ... كما يلي:

الأول: إن كاتب إنجيل متى نسب إلى يسوع المسيح أنه أمر أتباعه من الرجال أن يختصوا من أجل أن يدخلوا الملكوت (الجنة) ... وذلك في الإصحاح 19 عدد 9⁹ وأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني، والذي يتزوج بمطلقة يزني». 10¹⁰ قال له تلاميذه: «إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة، فلا يوافق أن يتزوج!» 11¹¹ فقال لهم: «ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطي لهم، 12¹² لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات. من استطاع أن يقبل فليقبل» !

قلتُ: إن الواضح من النصوص أن المعارضين لن يدخلوا الملكوت (الجنة) هذا إن أحسنتُ الظن بهم ؛ لأن الذي يدخل الجنة بحسب تلك النصوص لابد أن يكون مخصياً ؛ خصى نفسه لأجل ملكوت الله كما فعل القديس أرجانوس..... !

الثاني : إن المعترضين لن يدخلون الجنة حتى يؤمنوا بمحمد ﷺ ، وذلك بشهادة يسوع المسيح عليه السلام.... جاء ذلك في إنجيل متى إصحاح 21 عدد 43⁴³ لَذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ يُزَعُّ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لِأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ. لَا تَعْلِقُ !

رد شبهة: نبي يغل !

ادعوا بأن محمداً ﷺ سرق قطيفة حمراء يوم بدر

وقالوا: الدليل على قولنا هو ما جاء في أسباب نزول الآية التي تقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (آل عمران 161).

وسبب نزولها جاء عند الجلالين في تفسيريهما ما نصه : ونزل لما فُتِدَت قطيفة حمراء يوم بدر فقال بعض الناس : لعن النبي ﷺ أخذها : { وَمَا كَانَ } ما ينبغي { لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ } يخون في الغنيمة فلا تظنوا به ذلك ، وفي قراءة بالبناء للمفعول ، أي: ينسب إلى الغلول { وَمَنْ يَغُلُّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } حاملاً له على عنقه { ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ } الغال وغيره جزاء { مَّا كَسَبَتْ } عملت { وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } شيئاً . اهـ

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذه الرواية من ناحية السند فيها ضعف، فهي ليست صحيحة الإسناد ؛ يتضح ذلك من خلال ما ذكره الطبري في تفسيره بتحقيق الشيخ أحمد شاكر قال :

القول في تأويل قوله: { وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلَّ }
اختلفت القراءة في قراءة ذلك.

فقرأته جماعة من قراءة الحجاز والعراق: (وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلَّ) ، بمعنى: أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم من أموال أعدائهم. واحتج بعض قارئ هذه القراءة: أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في قطيفة فُقدت من مغنم القوم يوم بدر، فقال بعض من كان مع النبي ﷺ: "لعل رسول الله ﷺ أخذها" ، ورووا في ذلك روايات، فمنها ما: -

8136 حدثنا به محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال، حدثنا عبد الواحد بن زياد قال، حدثنا خصيف قال، حدثنا مقسم قال، حدثني ابن عباس: أن هذه الآية: "وما كان لنبي أن يغفل" ، نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، قال: فقال بعض الناس: أخذها! قال: فأكثرنا في ذلك، فأنزل الله - عز وجل - : "وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة". (1)

(1) الأثر: 8136 محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب القرشي الأموي ، روى عنه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه ، قال النسائي: "لا بأس به" ، وهو ثقة جليل صدوق. و"عبد الواحد بن زياد العبدي" أحد الأعلام أسلفت ترجمته في: 2616. و"خصيف بن عبد الرحمن الجزري" ، رأى أنساً ، وروى عن عطاء ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومقسم وغيرهم. قال أحمد "ضعيف الحديث" ، وقال: "شديد الاضطراب في المسند". وقال ابن عدي: "إذا حدث عن خصيف ثقة ، فلا بأس بحديثه". وقال ابن حبان: "تركه جماعة من أئمتنا واحتج به آخرون ، وكان شيخاً صالحاً فقيهاً عابداً ، إلا أنه كان يخطئ كثيراً فيما يروى ، وينفرد عن المشاهير بما لا يتابع عليه ، وهو صدوق في روايته ، إلا أن الإنصاف فيه ، قبول ما وافق الثقات ، وترك ما لم يتابع عليه". مترجم في التهذيب.

والحديث رواه الترمذي في باب تفسير القرآن ، من طريق قتيبة ، عن عبد الواحد بن زياد ، بمثله وقال: "هذا حديث حسن غريب" ، وقد روى عبد السلام بن حرب عن خصيف نحو هذا ، وروى بعضهم هذا الحديث عن خصيف عن مقسم ، ولم يذكر فيه

ابن عباس" - يعني مرسلاً. ونسبه ابن كثير في تفسيره 2: 279 ، إلى أبي داود أيضاً ،
ونسبه السيوطي في الدر المنثور 2: 91 إلى أبي داود ، وعبد بن حميد ، وابن أبي
حاتم ، والترمذي ، وابن جرير . اهـ

ثانياً: إنني افترض جدلاً صحة الرواية ... وأقول: إن الملاحظ من قراءة التفسير،
وأَسباب النزول هو لما سُرقت قطيفة حمراء يوم بدر قال ناسٌ: " لعل النبيَّ أخذها "
السؤال الذي يطرح نفسه هو : من هم هؤلاء الناس؟

الجواب : إنهم منافقون آذوا رسولَ الله ﷺ بإلقاء التهم والاذية عليه ﷺ... فهؤلاء لا يعتد
بقولهم؛ قال الله ﷻ فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾
(النساء145) .

وقال الله ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ
يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ (2) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (3) وَإِذَا
رَأَيْتَهُمْ تَعَجَّبَكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ
عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ (4)﴾ (المنافقون).

وعليه : فإن الآية تبرئ النبي ﷺ من كلامهم، وتنفي عنه ﷺ تهمة الخيانة ، وخوارم
المروءة... وفيها مدى احتمال النبي ﷺ أذى المنافقين، وصبره... وتثبت العصمة للنبي ﷺ
.... هذا إن افترضنا صحة الرواية...

يدلل على ذلك ما يلي :

1- الآية التي معنا : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (آل عمران 161) .

2- سنن النسائي برقم 3999 عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةً نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ، وَقَالَ: اقْتُلُوهُمْ، وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ عِزْمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطْلٍ، وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطْلٍ فَأُدْرِكَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حَرِيثٍ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَسَبَقَ سَعِيدٌ عَمَّارًا وَكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ فَفَتَلَهُ وَأَمَّا مَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ فَأُدْرِكُهُ النَّاسُ فِي السُّوقِ فَفَتَلُوهُ ، وَأَمَّا عِزْمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ: أَخْلَصُوا فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لَا تَغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنَا فَقَالَ عِزْمَةُ: وَاللَّهِ لَنْ لَمْ يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا الْإِخْلَاصُ لَا يُنَجِّنِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِي مُحَمَّدًا ﷺ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ فَلَا جِدْنَهُ عَفْوًا كَرِيمًا فَجَاءَ فَأَسْلَمَ وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايَعَ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا كُلَّ ذَلِكَ يَأْبَى فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَأَيْتُمْ كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ فَقَالُوا: وَمَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ هَلَا أَوْمَأَتْ إِلَيْنَا بَعِينُكَ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةٌ أَعْيُنُ .

تحقيق الألباني: صحيح التعليق على التنكيل (2 / 255) ، الصحيحة (1723) ، صحيح الجامع (2426) .

ثالثًا: إن كاتب إنجيل يوحنا نسب إلى يسوع المسيح أنه أخبر عن أنبياء الله أنهم جميعاً سُرَّاقٌ ولصوص وذلك في إنجيل يوحنا إصحاح 10 عدد 7 الحق الحق أقول

لَكُمْ : إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ. ⁸ جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَّاقٌ وَلُصُوصٌ، وَلَكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ !

تبقى أسئلة تطرح نفسها هي :

1- هل يُتصور أن الرسل والأنبياء من عهد آدم إلى موسى ﷺ ، وأنبياء بني إسرائيل أجداد يسوع المسيح ﷺ كانوا سرّاقاً ولصوصاً؟!

2- أليس هذا النص ينفي عن النَّبِيِّ ﷺ إسقاط النبوة عنه إن سرق - وحاشاه ذلك - ؛ لأن يسوع ذكر أن كلَّ الأنبياء كانوا سرّاقاً ولم تسقط النبوة عنهم ، فإن سرق محمدٌ - وحاشاه ذلك - لا تسقط عنه النبوة ؛ لأن هذا كان شأن جميع الأنبياء السابقين ليسوع ؟!

3- أليس هذا النص يهدم إلهية المسيح ﷺ التي يعتقد بها المعارضون ؛ لأنه قال: " جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَّاقٌ وَلُصُوصٌ " .

الجواب على الأخير يكون على وجهين:

الأول: أنه كان نبياً مثلهم.

الثاني: أنهم كانوا آلهة مثله.

قلتُ: إن الواضح لي أنه كان نبيًا مثلهم لكن الفارق بينه وبينهم بحسب النص أن الأنبياء قبله كانوا سرّاقاً ولصوصاً والخراف لم تسمع لهم ، وذلك بحسب ما جاء في نصوص الأناجيل السابقة ... !

رابعاً: إن المتأمل في الكتاب المقدس يجده قد نسب لرسله، ولأنبيائه، وللربّ تهمة السرقة فلما لم يعترض المعترضون على نصوص كتابهم ...؟!

يدلل على ذلك ما جاء في الآتي:

1- نسب بولس الرسول (شاول) بأنه كان يسرق الكنائس ... وذلك في سفر أعمال الرسل إصحاح 8 عدد 3 ³ وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجْرِ رِجَالًا وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السِّجْنِ.

2- نسب لنبي الله يعقوب أنه سرق البركة من أخيه عيسوا وذلك في سفر التكوين إصحاح 27 عدد 5 ⁵ وَكَانَتْ رِفْقَةُ سَامِعَةً إِذْ تَكَلَّمَ إِسْحَاقُ مَعَ عَيْسُو ابْنِهِ. فَذَهَبَ عَيْسُو إِلَى الْبَرِّيَّةِ كَيْ يَصْطَادَ صَيْدًا لِيَأْتِيَ بِهِ. ⁶ وَأَمَّا رِفْقَةُ فَكَلَّمَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا قَائِلَةً: «إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَبَاكَ يَكْلُمُ عَيْسُو أَخَاكَ قَائِلًا: ⁷ أَأَنْتَ بَصِيدٍ وَاصْنَعْ لِي أَطْعَمَةً لَأَكُلَ وَأُبَارِكَكَ أَمَامَ الرَّبِّ قَبْلَ وَفَاتِي. ⁸ فَالآنَ يَا ابْنِي اسْمَعْ لِقَوْلِي فِي مَا أَنَا أَمْرُكَ بِهِ: ⁹ اذْهَبْ إِلَى الْغَنَمِ وَخُذْ لِي مِنْ هُنَاكَ جَدِيَيْنِ جَدِيَيْنِ مِنَ الْمَعْزَى، فَأَصْنَعُهُمَا أَطْعَمَةً لِأَبِيكَ كَمَا يُحِبُّ، ¹⁰ فَتَحْضُرْهَا إِلَى أَبِيكَ لِأَكُلَ حَتَّى يَبَارِكَكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ». ¹¹ فَقَالَ يَعْقُوبُ لِرِفْقَةَ أُمِّهِ: «هُوَذَا عَيْسُو أَخِي رَجُلٌ أَشْعَرٌ وَأَنَا رَجُلٌ أَمْلَسُ. ¹² رُبَّمَا يَجْسُنِي أَبِي فَأَكُونُ فِي عَيْنَيْهِ كَمُتْهَوِّنٍ، وَأَجْلِبُ عَلَى نَفْسِي لَعْنَةً لَا بَرَكَهَةً». ¹³ فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «لَعْنَتُكَ عَلَيَّ يَا ابْنِي. اسْمَعْ لِقَوْلِي فَقَطْ وَاذْهَبْ خُذْ لِي». ¹⁴ فَذَهَبَ وَأَخَذَ وَأَحْضَرَ لَأُمِّهِ، فَصَنَعَتْ أُمُّهُ أَطْعَمَةً

كَمَا كَانَ أَبُوهُ يُحِبُّ.¹⁵ وَأَخَذَتْ رِفْقَةً ثِيَابَ عِيسَى ابْنِهَا الْأَكْبَرَ الْفَاخِرَةَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهَا فِي الْبَيْتِ وَالْبَسَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا الْأَصْغَرَ،¹⁶ وَالْبَسَتْ يَدَيْهِ وَمَلَأَتْهُ عَنْقَهُ جُلُودَ جَدِّي الْمَعْرَى.¹⁷ وَأَعْطَتْ الْأَطْعِمَةَ وَالْخُبْزَ الَّتِي صَنَعَتْ فِي يَدِ يَعْقُوبَ ابْنِهَا.¹⁸ فَدَخَلَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: «يَا أَبِي». فَقَالَ: «هَآنَذَا. مَنْ أَنْتَ يَا ابْنِي؟»¹⁹ فَقَالَ يَعْقُوبُ لِأَبِيهِ: «أَنَا عِيسَى بَكْرُكَ. قَدْ فَعَلْتُ كَمَا كَلَّمْتَنِي. قُمْ اجْلِسْ وَكُلْ مِنْ صَيْدِي لِكَيْ تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ». فَقَالَ²⁰ إِسْحَاقُ لِابْنِهِ: «مَا هَذَا الَّذِي أَسْرَعْتَ لَتَجِدَ يَا ابْنِي؟» فَقَالَ: «إِنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ قَدْ يَسَّرَ لِي»²¹ فَقَالَ إِسْحَاقُ لِيَعْقُوبَ: «تَقَدَّمْ لِأَجْسُكَ يَا ابْنِي. أَأَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسَى أَمْ لَا؟». فَقَدَّمَ²² يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ، فَجَسَّهُ وَقَالَ: «الصَّوْتُ صَوْتُ يَعْقُوبَ، وَلَكِنَّ الْيَدَيْنِ يَدَا عِيسَى». ²³ وَلَمْ يَعْرِفْهُ لِأَنَّ يَدَيْهِ كَانَتَا مُشْعِرَتَيْنِ كَيْدِي عِيسَى أَخِيهِ، فَبَارَكَهُ.²⁴ وَقَالَ: «هَلْ أَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسَى؟» فَقَالَ: «أَنَا هُوَ». ²⁵ فَقَالَ: «قَدَّمَ لِي لِأَكُلَ مِنْ صَيْدِ ابْنِي حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي». فَقَدَّمَ لَهُ فَأَكَلَ، وَأَحْضَرَ لَهُ خَمْرًا فَشَرِبَ. لَا تَعْلِقُ !

4-نسب إلى الرب أنه أمر موسى بسرقة المصريين ... وذلك في سفر الخروج
إِصْحَاح 3 عدد¹⁹ وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَلَكَ مِصْرَ لَا يَدْعُكُمْ تَمْضُونَ وَلَا بِيَدِ قَوِيَّةٍ،
²⁰فَأَمْدُ يَدِي وَأَضْرِبُ مِصْرَ بِكُلِّ عَجَائِبِي الَّتِي أَصْنَعُ فِيهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يُطْلَقُكُمْ.
²¹وَأُعْطِي نِعْمَةً لِهَذَا الشَّعْبِ فِي عِوْنِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَمَا تَمْضُونَ أَنْكُمْ لَا تَمْضُونَ فَارِغِينَ. ²²بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتَةً فَضَّةً وَأَمْتَةً ذَهَبًا وَثِيَابًا، وَتَضْعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلُبُونَ الْمِصْرِيِّينَ». لَا تَعْلِقُ !

5-نسب إلى الرب ﷻ في العهد القديم تهمة السرقة ... وذلك في سفر التكوين
إِصْحَاح 31 عدد⁹ فَقَدْ سَلَبَ اللَّهُ مَوَاشِيَ أَبِيكُمْمَا وَأَعْطَانِي.

و في سفر صفنيا إصحاح 3 عدد 8 «لِذَلِكَ فانتظروني، يَقُولُ الرَّبُّ، إِلَى يَوْمِ أَقُومُ إِلَى السِّلْبِ، لِأَنَّ حُكْمِي هُوَ بِجَمْعِ الْأُمَمِ وَحَشْرِ الْمَمَالِكِ، لِأَصْبَ عَلَيْهِمْ سَخَطِي، كُلُّ حُمُو غَضَبِي. لِأَنَّهُ بِنَارٍ غَيْرَتِي تُؤْكَلُ كُلُّ الْأَرْضِ..

نلاحظ من الأخير: أن الله موصوفُ بزعم تلك النصوص بأنه يسرق، ويسلب من الناس المواشي والبهائم، وأنه يقوم مخصص من أجل السلب والنهب ... ولكن مع مرور الأيام ، وكما تدين تدان ، نجد أن أناساً سرقوا الرب ! وذلك في سفر ملاخي إصحاح 3 عدد 8 ⁸أَيْسَلِبُ الْإِنْسَانُ اللَّهَ؟ فَإِنَّكُمْ سَلَبْتُمُونِي. فَقُلْتُمْ: بِمَ سَلَبْنَاكَ؟ فِي الْعُشُورِ وَالْتَّقْدِمَةِ.

قلتُ: صدق الله ﷻ إذ يقول: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج74).

رد شبهة : آمنت بك وبمن أنزلك !

يذكر المعترضون كثيراً حديثاً وردت به قصة استشارة اليهود لرسول الله ﷺ في أمرِ حادثة زنا فأجابهم النبي ﷺ بحكم الزنا ، موضحاً لهم أنه موجود في التوراة ، ولكنهم أخفوه فناشدهم الله أن يظهروا النص فأظهروه ، ويحاول المنصرون الاستدلال بلفظ ورد في بعض الروايات وهو أن النبي ﷺ قال عن التوراة : " آمنت بك وبمن أنزلك " .

قالوا: إذا التوراة ليس محرفةً فكلامه يتناقض مع القرآن الذي يقول بتحريف التوراة والانجيل
!..

أُستدلوا على ما سبق ذكره بما جاء في سنن أبي داود كتاب (الحدود) باب (في رجم اليهوديين) برقم 3859 حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الْهَمْدَانِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ أَنَّ زَيْدَ بْنَ أَسْلَمَ حَدَّثَهُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: أَتَى نَفَرٌ مِنْ يَهُودٍ فَدَعَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْفَقِّ فَأَتَاهُمْ فِي بَيْتِ الْمَدْرَاسِ فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ رَجُلًا مَنَّا زَنَى بِامْرَأَةٍ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ فَوَضَعُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَادَةً فَجَلَسَ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ بِالتَّوْرَةِ فَأَتَى بِهَا فَنَزَعَ الْوَسَادَةَ مِنْ تَحْتِهِ فَوَضَعَ التَّوْرَةَ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ : " آمَنْتُ بِكَ وَبِمَنْ أَنْزَلَكَ " ثُمَّ قَالَ : " ائْتُونِي بِأَعْلَمِكُمْ " فَأَتَى بِفَتَى شَابٍّ، ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةَ الرَّجْمِ نَحْوَ حَدِيثِ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ .

الرد على الشبهة

أولاً: إن كل الروايات التي وردت فيها القصة لم ترد بها لفظة " آمَنْتُ بِكَ وبِمَنْ أَنْزَلَكَ " إلا في رواية أبي داود فقط عن زيد بن أسلم ؛ وزيد بن أسلم من طبقة التابعين، بالرغم من أن الألباني - رحمه الله - حسننها في الإرواء (5 / 94) .

وبالرجوع لكتب التراجم ننظر إلى ما قاله العلماء في تخريج حديث أبي داود فيما يلي :

هذا إسناد ضعيف ؛ وإليك تراجم رجاله :

1 - أحمد بن سعيد الهمداني : هو أحمد بن سعيد بن بشر بن عبيد الله الهمداني أبو جعفر المصري.

قال زكريا الساجي : ثبت .

وقال العجلي : ثقة .

وقال أحمد بن صالح: ما زلت أعرفه بالخير منذ عرفته.

وذكره بن حبان في " الثقات. "

قال النسائي: ليس بالقوي لو رجع عن حديث بكير بن الأشج في الغار لحدث عنه.
قلت : والراجح أنه (ثقة) ، وقول النسائي هذا لخطأه في حديث واحد ، فلا يضعف بمثل هذا ، ومن الذي لا يخطئ . وانظر ترجمته : تهذيب التهذيب (1/31- طبع الهند).
2- ابن وهب : هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي الفهري ، أبو محمد المصري الفقيه.

قال الحافظ في تقريب التهذيب (3694): ثقة حافظ عابد .
هشام بن سعد: هشام بن سعد المدني، أبو عباد.

اختلف النقاد في حاله ، وإليك البيان:

أقوال من ضعفه :

- 1 - قال يحيى بن معين: "ضعيف " .
- 2 - قال أحمد بن حنبل: " ليس بمحكم للحديث " ، ولم يرضه .
- 3- قال أبو حاتم: " يكتب حديثه ، ولا يحتج به " .
- 4 - قال النسائي: " ضعيف الحديث " .
- 5 - قال ابن عدي: " ولهشام غير ما ذكرت ، ومع ضعفه يكتب حديثه " .
- 6- قال ابن سعد : "كان كثير الحديث يستضعف ، و كان متشيعا " .
- 7- قال ابن أبي شيبه عن علي ابن المديني: " صالح ، و ليس بالقوى " .
- 8 - ذكره يعقوب بن سفيان في "الضعفاء " .
- 9- قال أبو عبد الله الحاكم -كما في "من تكلم فيه "للذهبي-: " لينته " .
- 10- كان يحيى بن سعيد لا يروي عنه .
- 11- ذكره العقيلي في "الضعفاء " (4/341)

12- قال ابن حبان في "المجروحين" (89/3) : " كان ممن يقلب الأسانيد ، وهو لا يفهم ، ويسند الموقوفات من حيث لا يعلم فلما كثرت مخالفته الإثبات فيما يروي عن الثقات بطل الاحتجاج به وإن اعتبر بما وافق الثقات من حديثه فلا ضير".

13- قال أبو يعلى الخليلي في "الإرشاد" (156/344/1) : قالوا : إنه واهي الحديث

أقوال من قوى أمره:

1- قال أبو زرعة : " شيخ محله الصدق ".

2 - قال الساجي: "صدوق".

3- قال أبو داود : "هشام بن سعد أثبت الناس في زيد بن أسلم "

4- قال العجلي : "جائز الحديث ، حسن الحديث".

الراجح : أنه ضعيف مطلقاً ، وهو قول الجمهور ، والله أعلم .

3- زيد بن أسلم: هو زيد بن أسلم القرشي، العدوي، أبو أسامة.

قال الحافظ (2117): " ثقة عالم، وكان يرسل " .

4- ابن عمر: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن.

وهو الصحابي الجليل ، وهو مشهور

خلاصة البحث: هذه الزيادة ضعيفة. اهـ

وبالنظر إلى بقية الروايات في كتب الأحاديث لم ترد جملة : " آمنت بك وبمن أنزلك " إلا في رواية واحدة فقط هي (محل الشبهة) عند أبي داود كما بينتُ ، وبقية الروايات عارية تماماً عن ذكر هذه الجملة مما يدل على عدم صحتها ؛ لعدم انتشارها ، مع ضعف سندها....

ثانيًا : إن افترضت جدلاً أن هذه الرواية صحيحة ، أقول: لا إشكال في ذلك حيث إن قول رسول الله ﷺ : " آمَنْتُ بِكَ وَبِمَنْ أُنْزِلُكَ " هو إيمان إجمال لا تفصيل ؛ إيمان بأنها من عند الله ﷻ نزلت على نبي الله موسى عليه السلام ، وهذا ما لا ينكره عاقل أن التوراة كتاب من كتب الله ، أمرنا أن نؤمن بها ، ومن ينكر ذلك فقد كفر بالله ﷻ بلا شك

تدلل على ذلك أدلة منها :

1- قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء 136)

-2

3- قوله ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) ﴾ (البقرة).

3- قوله ﷺ : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) ﴾ (البقرة) .

كذلك لا يجوز في حق النبي ﷺ تأخير البيان عن وقت الحاجة... قال ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة 67) فهو ﷺ مأمور بالتبليغ في الحال ، فلما سُئِلَ ﷺ عن حكم الزنا من اليهود رغبة منهم في عدم تحمل مسئولية الحكم في تلك الحادثة ، وأن يحكم محمد ﷺ بالتخفيف ؛ كان هذا وقت التبليغ فلا يجوز في حقه ﷺ تأخير التبليغ ، فبين لهم ﷺ الحكم (الرجم) ، ففي هذه الحادثة دلالة على صدق نبوته وأمانته ﷺ ؛ فلو لم يكن رسولاً من عند الله صادقاً أميناً لكان أولى به أن يخالفهم بالحكم فيسمعوا له ويطيعوه

، وهذا ما لا يجوز في حقه ﷺ كما في قوله ﷺ: ﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (43) إِبْنُ أَنَزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44) ﴿ (المائدة).

ثالثاً: إن قيل: إن في زمن النبي ﷺ تورا ونسخ لم تحرف بدليل هذا الحديث ؟

قلتُ: إن الحديث لم يصح إسناده كما تقدم معنا، كما أن هذا القول ينقصه الدليل على صدقه...

قال ابن حجر في الفتح : وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهِ بَعْضُهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يُسْقِطُوا شَيْئًا مِنَ الْفَاطَهَا كَمَا يَأْتِي تَقْرِيرُهُ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ ، وَالِاسْتِدْلَالُ بِهِ لِذَلِكَ غَيْرُ وَاضِحٍ لِاحْتِمَالِ خُصُوصِ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْوَاقِعَةِ فَلَا يَدُلُّ عَلَى التَّعْمِيمِ ، وَكَذَا مَنْ اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ التَّوْرَةَ الَّتِي أُحْضِرَتْ حِينَئِذٍ كَانَتْ كُلُّهَا صَحِيحَةً سَالِمَةً مِنَ التَّيْدِيلِ لِأَنَّهُ يَطْرُقُهُ هَذَا الْإِحْتِمَالُ بَعِيْنُهُ وَلَا يَرُدُّهُ قَوْلُهُ : " أَمَنْتُ بِكَ وَبِمَنْ أُنْزِلُكَ " لِأَنَّ الْمُرَادَ أَصْلَ التَّوْرَةِ . اهـ

إن قيل: كيف عرف النبي ﷺ أن حكم الرجم موجود في كتبهم ؟ هل كان يعرف القراءة واطلع عليها ؟!

قلتُ : إن الجواب على ذلك جاء في فتح الباري لابن حجر في باب (أحكام أهل الذمة) : قَالَ الْبَاجِي : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عِلْمٌ بِالْوَحْيِ أَنَّ حُكْمَ الرَّجْمِ فِيهَا ثَابِتٌ عَلَى مَا شَرَعَ لَمْ يَلْحَقْهُ تَبْدِيلٌ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عِلْمٌ ذَلِكَ بِإِخْبَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَغَيْرِهِ مِمَّنْ أَسْلَمَ

مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ حَصَلَ لَهُ بِهِ الْعِلْمُ بِصِحَّةِ نَفْلِهِمْ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا سَأَلَهُمْ عَنْ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ مَا عِنْدَهُمْ فِيهِ ثُمَّ يَتَعَلَّمَ صِحَّةَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى . وَقَالَ ظَاهِرُ الْأَمْرِ أَنَّهُمْ قَصَدُوا فِي جَوَابِهِمْ تَحْرِيفَ حُكْمِ التَّوْرَةِ وَالْكَذِبَ عَلَى النَّبِيِّ إِمَّا رَجَاءً أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِمَّا لِأَنَّهُمْ قَصَدُوا بِتَحْكِيمِهِ التَّخْفِيفَ عَنِ الرَّانِيِّينَ وَاعْتَقَدُوا أَنَّ ذَلِكَ يَخْرِجُهُمْ عَمَّا وَجَبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ قَصَدُوا اخْتِبَارَ أَمْرِهِ ، لِأَنَّهُ مِنَ الْمَقَرَّرِ أَنَّ مَنْ كَانَ نَبِيًّا لَا يَقَرُّ عَلَى بَاطِلٍ ، فَظَهَرَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ صَدَقَ نَبِيُّهُ وَكَذِبَهُمْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ . اهـ

رابعاً : إن الملاحظ من خلال ما سبق أن النبي ﷺ لم يبلغ ناموس موسى ﷺ في رجم الزناة ، بخلاف اليهود أتباع موسى ﷺ الذين أخفوا حكم الرجم الثابت في توراتهم فقال ﷺ : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (المائدة:15)، و لكن بالنظر إلى ما قاله يسوع بحسب إنجيل متى إصحاح 5 عدد 17 «لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأُكَمِّلَ. ¹⁸ فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ.

وبالنظر إلى العهد القديم نقرأ كيف يُحكم على مرتكبي جريمة الزنا (حد الزنا) كما يلي :

1- سفر التثنية إصحاح 22 عدد 22 «إِذَا وَجَدَ رَجُلٌ مُضْطَجِعًا مَعَ امْرَأَةٍ زَوْجَةِ بَعْلٍ، يُقْتَلُ الْاِثْنَانِ: الرَّجُلُ الْمُضْطَجِعُ مَعَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ. فَتَنْزَعُ الشَّرَّ مِنْ إِسْرَائِيلَ.

²³ «إِذَا كَانَتْ فَتَاةٌ عَذْرَاءُ مَخْطُوبَةً لِرَجُلٍ، فَوَجَدَهَا رَجُلٌ فِي الْمَدِينَةِ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا، ²⁴ فَأَخْرَجُوهُمَا كِلَيْهِمَا إِلَى بَابِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَارْجَمُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَا. الْفَتَاةُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمَا لَمْ تَصْرُخْ فِي الْمَدِينَةِ، وَالرَّجُلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَلَّ امْرَأَةً صَاحِبِهِ. فَتَنْزَعُ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكَ.

²⁵ وَلَكِنْ إِنْ وَجَدَ الرَّجُلُ الْفَتَاةَ الْمَخْطُوبَةَ فِي الْحَقْلِ وَأَمْسَكَهَا الرَّجُلُ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا، يَمُوتُ الرَّجُلُ الَّذِي اضْطَجَعَ مَعَهَا وَحْدَهُ.

2- سفر الآويين إصحاح 20 عدد 10¹⁰ وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ، فَإِذَا زَنَى مَعَ امْرَأَةٍ قَرِيبِهِ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ.¹¹ وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ أَبِيهِ، فَقَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَبِيهِ. إِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ كِلَاهُمَا. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا.¹² وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ كَنَّتِهِ، فَإِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ كِلَاهُمَا. قَدْ فَعَلَا فَاحِشَةً. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا.¹³ وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرِ اضْطِجَاعِ امْرَأَةٍ، فَقَدْ فَعَلَا كِلَاهُمَا رَجْسًا. إِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا.¹⁴ وَإِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَأُمًّا فَذَلِكَ رَذِيلَةٌ. بِالنَّارِ يَحْرَقُونَهُ وَإِيَّاهُمَا، لِكَيْ لَا يَكُونَ رَذِيلَةً بَيْنَكُمْ.¹⁵ وَإِذَا جَعَلَ رَجُلٌ مَضْجَعَهُ مَعَ بَهِيمَةٍ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ، وَالْبَهِيمَةُ تَمُوتُ مَعَهَا.¹⁶ وَإِذَا اقْتَرَبَتْ امْرَأَةٌ إِلَى بَهِيمَةٍ لِنَزَائِهَا، تَمُوتُ الْمَرْأَةُ وَالْبَهِيمَةُ. إِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا.¹⁷ وَإِذَا أَخَذَ رَجُلٌ أُخْتَهُ بِنْتَ أَبِيهِ أَوْ بِنْتَ أُمِّهِ، وَرَأَى عَوْرَتَهَا وَرَأَتْ هِيَ عَوْرَتَهُ، فَذَلِكَ عَارٌ. يُقْطَعَانِ أَمَامَ أَعْيُنِ بَنِي شَعْبِهِمَا. قَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أُخْتِهِ. يَحْمِلُ ذَنْبَهُ.¹⁸ وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ طَامِثٍ وَكَشَفَ عَوْرَتَهَا، عَرَى يَنْبُوعَهَا وَكَشَفَتْ هِيَ يَنْبُوعَ دَمِهَا، يُقْطَعَانِ كِلَاهُمَا مِنْ شَعْبِهِمَا.¹⁹ عَوْرَةُ أُخْتِ أُمِّكَ، أَوْ أُخْتِ أَبِيكَ لَا تَكْشِفُ. إِنَّهُ قَدْ عَرَى قَرِيبَتَهُ. يَحْمِلَانِ ذَنْبَهُمَا.²⁰ وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ عَمِّهِ فَقَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ عَمِّهِ. يَحْمِلَانِ ذَنْبَهُمَا. يَمُوتَانِ عَقِيمَيْنِ.²¹ وَإِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةَ أَخِيهِ، فَذَلِكَ نَجَاسَةٌ. قَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ. يَكُونَانِ عَقِيمَيْنِ.

وفي غير ذي موضع من العهد القديم أمروا (اليهود) برجم الزانية والزاني، أو قتلها، أو حرقها.

ولكن بالنظر إلى ما نسب إلى يسوع المسيح بحسب نص إنجيل متى السابق بيانه.....

وعليه أتساءل :

1- هل صدق في كلامه لما قال : " لَا تَطْطُوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الْأَنْبِيَاءَ " ، أم أنه نسخ العهد القديم ؟!

2- هل نسخ- يسوع- حد الزنا ؟!

3- لماذا قال في شأن الزانية التي أُمسكت وهي تزني : " مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ " ؟!

جاء ذلك في إنجيل يوحنا إصحاح 8 عدد ⁴قَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، هَذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسَكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفَعْلِ، ⁵وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنْ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمَ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟ ⁶قَالُوا هَذَا لِيَجْرِبُوهُ، لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى إِلَى أَسْفَلٍ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإصْبَعِهِ عَلَى الْأَرْضِ. ⁷وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ، انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ : «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!؟»!

قُلْتُ: إن الواضح من النصوص السابقة أن يسوع المسيح ناقض نفسه لما قال: " لَا تَطْطُوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأُكَمِّلَ " ، وبهذا يكون يسوع مستوجباً الحد....

(يَمُوتُ دُونَ رَافَةِ) لمخالفته ناموس موسى.... وذلك بحسب ما جاء في الرسالة إلى العبرانيين إصحاح 10 عدد ²⁸مَنْ خَالَفَ نَامُوسَ مُوسَى فَعَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ شُهُودٍ يَمُوتُ بِدُونِ رَافَةٍ.

أو أن الله ﷻ أعلمه أن المرأة التي أمسكت بالزنا بريئة ، وكانت هذه مؤامرة من الفريسيين.....

ويبقى السؤال : لماذا لم يطبق المعترضون حد الزنا إلى يومنا هذا ؟! مع العلم أن هذه القصة ليست مذكورة في أقدم المخطوطات باعتراف علمائهم، وهذا أشكال آخر....

رد شبهة: نبي يشك في دينه !

قالوا : إن نبيكم كان شكاكاً...**وقالوا:** إذا كان القرآن كلام الله حقاً، ومحمد نبي من عند الله حقاً ويقيناً ، فلماذا يقول له الله : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (يونس 94) .

الرد على الشبهة

أولاً: كان على المعترضين أن يفرقوا أولاً بين " إن " الشرطية و " إذا " الشرطية:
إن الشرطية لا تفيد تحقق وقوع الحدث، ولكن تفيد بُعد وقوعه واحتماله...

جاء في تفسير اللباب لابن عادل : وقال أبو حيان : قال : " والذي أقوله إنَّ « إن » الشرطية تقتضي تعليق شيء على شيء ، ولا تستلزم تحقق وقوعه ولا إمكانه ، بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً كقوله تعالى { إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ } [الزخرف 81] ، ومستحيل أن يكون له ولدٌ فكذلك مستحيل أن يكون في شك ، وفي

المستحيل عادة كقوله تعالى: { فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ } [الأنعام 35]
لكن وقوعها في تعليق المستحيل قليل " . اهـ بتصريف

إذا معني الآية : على فرض أنك شككت ، ولن تشك فاسأل علماء أهل الكتاب عنك في كتبهم، وعندما نزلت الآية الكريمة على النبي ﷺ قال : " لا أشك ولا أسأل " .

أدلة ذلك جاءت في الآتي :

1- مصنف عبد الرزاق برقم 10211 أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله : " فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك " قال : بلغنا أن النبي ﷺ قال : " لا أشك ولا أسأل " . اهـ

2- تفسير ابن كثير : قال قتاده بن دعامة: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : " لا أشك ولا أسأل " ، وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة والحسن البصري ، وهذا فيه تثبيت للأمة وإعلام لهم أن صفة نبيهم ﷺ موجودة في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب كما قال ﷺ : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ (الأعراف 157) ثم مع هذا العلم الذي يعرفونه من كتبهم كما يعرفون أبناءهم يلبسون ذلك ويحرفونه ويبدلونه ولا يؤمنون به مع قيام الحجة عليهم . اهـ

3- تفسير الجلالين : " فَإِنْ كُنْتَ " يَا مُحَمَّدٌ " فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ " مِنَ الْقَصَصِ فَرَضًا " فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ " التَّوْرَةَ " مِنْ قَبْلِكَ " فَإِنَّهُ ثَابِتٌ عِنْدَهُمْ يُخْبِرُوكَ بِصِدْقِهِ

قَالَ ﷺ: "لَا أَشْكُ وَلَا أَسْأَلُ" لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ
الشَّاكِّينَ فِيهِ . اهـ

3- تفسير سيد طنطاوي : والمعنى : فإن كنت أيها الرسول الكريم - على سبيل الفرض والتقدير - في شك مما أنزلنا إليك من قصص حكيمة كقصّة موسى ونوح وغيرهما { فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ } وهم علماء أهل الكتاب ، فإن ما قصصناه عليك ثابت في كتبهم . فليس المراد من هذه الآية ثبوت الشك للرسول ﷺ وإنما المراد على سبيل الفرض والتقدير ، لا على سبيل الثبوت. قال ابن كثير : " قال قتادة بن دعامه : بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : " لَا أَشْكُ وَلَا أَسْأَلُ " . قال ابن عباس ومجاهد والضحاك : يعني مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه ، فيشهدون على صدق محمد ﷺ ويخبرونك بنبوته . اهـ

ثانياً: إن هناك سؤالاً يتبادر إلى الذهن هو: من هم الذين يسألهم النبي ﷺ ؟

الجواب: يسأل الذين يقرءون الكتاب من قبله من العلماء الذين كانوا قبله من اليهود والنصارى ؛ فلما بعث آمنوا به وصدقوه ... منهم على سبيل المثال :

1- عبد الله بن سلام الذي كان حبراً من أحرار اليهود فأسلم (راجع خبر إسلامه في صحيح البخاري برقم 3621) ، وفيه قال ﷺ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) ﴾ (الأحقاف) .

جاء في تفسير الجلالين : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ } أخبروني ماذا حالكم { إِنْ كَانَ } أي : القرآن { مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ } جملة حالية { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ } هو عبد الله بن سلام { عَلَى مِثْلِهِ } أي : عليه أنه من عند الله { فَأَمَّنَ } الشاهد { واستكبرتم } تكبرتم عن الإيمان . وجواب الشرط بما عطف عليه أَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ ؟ دل عليه { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } . اهـ

2- النجاشي ملك الحبشة، وذلك لما علم من خبر النبي ﷺ وشهد له النبي ﷺ بالإيمان حتى آخر حياته ف صلى عليه ﷺ ؛ ثبت ذلك في صحيح البخاري كتاب (الْمَنَاقِبِ) بَاب (مَوْتُ النَّجَاشِيِّ) برقم 3588 عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ : " مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ " .

3- إسلام وفد القساوسة الذين أرسلهم النجاشي إلى رسول الله ﷺ ، ونزلت بشأنهم آيات تثبت إيمانهم ؛

قال ﷺ : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (المائدة 83) .

جاء في التفسير الميسر: ومما يدل على قرب مودتهم للمسلمين أن فريقاً منهم (وهم وفد الحبشة لما سمعوا القرآن) فاضت أعينهم من الدمع فأيقنوا أنه حقٌّ منزل من عند الله تعالى، وصدقوا بالله واتبعوا رسوله، وتضرعوا إلى الله أن يكرمهم بشرف الشهادة مع أمة محمد ﷺ على الأمم يوم القيامة . اهـ

4- إسلام عدي بن حاتم الطائي الذي كان نصرانياً عالماً؛ الخبر بتمامه جاء في الآتي:

1- سنن الترمذي كتاب (تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ) باب (ومن سورة فاتحة الكتاب) برقم 2878 عن عدي بن حاتم قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد فقال القوم: هذا عدي بن حاتم وجئت بغير أمان ولا كتاب فلما دفعت إليه أخذ بيدي وقد كان قال قبل ذلك: إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي قال: فقام فلقيته امرأة وصبي معها فقالا: إن لنا إليك حاجة فقام معهما حتى قضى حاجتهما ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره فألقت له الوليدة وسادة فجلس عليها وجلست بين يديه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما يفرك أن تقول: لا إله إلا الله فهل تعلم من إله سوى الله قال: قلت : لا قال: ثم تكلم ساعة ثم قال: إنما تفر أن تقول الله أكبر وتعلم أن شينا أكبر من الله قال: قلت: لا
تحقيق الألباني: (قول عدي بن حاتم : أتيت ... الحديث) حسن.

3- سنن البيهقي الكبرى برقم 20847 عن مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم ﷺ قال : أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب قال: فسمعه يقول: (اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال: قلت يا رسول الله : إنهم لم يكونوا يعبدونهم. قال : " أجل ولكن يحلون لهم ما حرم الله فيستحلونه ويحرمون عليهم ما أحل الله فيحرمونه فتلك عبادتهم لهم " .

5- مجيء سلمان الفارسي إلى جزيرة العرب بعد أن بحث عن الحق ، وعلم من أخبار اليهود، ورهبان النصارى أن نبي آخر الزمان يخرج في أرض العرب ، وعلم صفته و مخرجه ، و ضحى بوطنه وماله ، بل وسقط في الرق في سبيل شهادة النبي ﷺ إلى أن اعتقه رسول الله ﷺ بأن جمع له مالا لعتقه ﷺ .

الخبر بتمامه رواه أحمد في المسند ، وقال المحققون : إسناده حسن.

4- اعتراف هرقل بنوّة رسول الله ﷺ ، وذلك في حديث أبي سفيان الطويل فيه: قال هرقلُ ملكُ الروم : " إن يكن ما تقول حقاً إنه نبيّ ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أكن أظنه منكم ، ولو أعلم أنني أخلص إليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه ما تحت قدمي". صحيح البخاري برقم 4188.

الخص ما سبق بتساؤلين :

- 1- هل يسأل النبي ﷺ من آمن به لأنه يشك ؟!
- 2- هل الذي يشك في شيء يكون جوابه: " لا أشك ولا أسأل " ؟

ثالثاً : إن من التفاسير الرائعة لقوله ﷺ : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (يونس 94) .

أن الخطاب ليس للنبي ﷺ ؛ وإنما هو لأمته من بعده لتتسنى به ...

فهو كقول الله ﷻ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (الإسراء 23) .

من المعلوم أن محمداً ﷺ نشأ يتيماً لا أب له ولا أم ، فكيف يقول له الله ﷻ : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ ؟

كان الجواب: أن هذا خطاب لأمة النبي ﷺ جاء في شخصه ﷺ.... وهذا ما يشبه الآية التي معنا؛ لذلك قال النبي ﷺ في الآية التي معنا: "لا أشك ولا أسأل" ، وهذا تأويل جيد ﷺ .

ومثل هذا في القرآن كثيرٌ كقوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (65) (الزمر). فالمعلوم لدينا أن الشرك محال على الأنبياء...

ثم كيف يشك في دينه وقد كُلف بتبليغ الناس ألا يشكوا في دينه ...

يقول ﷻ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّأَكُمْ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (104) (يونس).

يقوي ما سبق ما جاء في تفسير البغوي : وقيل : كان الناس على عهد النبي ﷺ بين مصدق ومكذب وشاك، فهذا الخطاب مع أهل الشك، معناه: إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان رسولنا محمد ﷺ، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك . اهـ

رابعاً : إن المتأمل في الكتاب المقدس يجد فيه البشارات بالنبي ﷺ كثيرة ؛ فكيف يشك وهو يعلم يقينا ﷺ أنه مذكور في الكتب المقدسة.... ؟!

فعلى سبيل المثال لا الحصر أكتفي بذكر نص واحد هنا هو في سفر إشعياء إصحاح 29 عدد 12 أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: «اقرأ هذا» فيقول: « لا أعرف الكتابة» .

وبحسب كتاب ترجمة الحياة وهي الأدق نقراً: إشعياء إصحاح 29 عدد 12 وعندهما يناولونه لمن يجهل القراءة قائلين: اقرأ هذا، يجيب: لا أستطيع القراءة.

فمن المعلوم المقطوع به أن جبريل حينما نزل على محمد ﷺ بالوحي قال له: اقرأ ، فقال ﷺ: " ما أنا بقارئ " . فهل هو محمد أم غيره؟ وهل هو ﷺ يشك في ذلك ، وهو يعلم علم اليقين من ربه أنه مذكور في الكتب المقدسة من قوله ﷺ: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (157) (الأعراف).

رد شبهة: نبي يعيس في وجه أعمى !

سألوا سؤالا يقولون فيه: كيف يهتم رسول الإسلام بأصحاب الجاه، ويرفض الفقير والمسكين، ويعيس في وجه الأعمى أليس هذا مطعناً في رسالته....؟!!

اعتمدوا في شبهتهم على تفسير قوله ﷺ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿1﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿2﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْگَى ﴿3﴾ أَوْ يَذْکُرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّکْرَى ﴿4﴾ أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى ﴿5﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿6﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْگَى ﴿7﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿8﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿9﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿عَبَسَ﴾ .

قال ابن كثير في تفسيره: ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطب بعض عظماء قريش، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديماً فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ويلح عليه، وودَّ النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك ليمكن من مخاطبة ذلك الرجل ؛ طمعا ورغبة في هدايته. وعَبَسَ في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله - عز وجل-: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿1﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿2﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْگَى ﴿3﴾ ... اهـ

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذا من الآيات التي تدلُّ على صدق نبوة نبيِّنا ﷺ ؛ لأن فيها عتاباً للنبي ﷺ من ربِّه ﷻ ؛ فلو كان محمدٌ ﷺ هو الذي اختلق القرآن كما يدَّعي أعداؤه ؛ ما كتب هذه الآيات التي فيها عتاب له ، ولأظهر نفسه في أحسن مظهر...

وعليه: فإن هذه الآيات تدلُّ على أن القرآن الكريم كلامُ الله ﷻ ، وليس من عند النبي ﷺ ، وأن محمداً ﷺ رسولاً أميناً من عند الله حقاً وبقيناً ...

ثانياً : إن الواضح من خلال الجمع بين روايات أسباب النزول هو: أن النبي ﷺ كان عنده بعضُ صناديدِ قريشٍ ، وكان النبي ﷺ حريصاً على هدايتهم فبينما هو يدعوهم إلى الله ﷻ ؛ لأنهم لو أسلموا لإسلام بإسلامهم خلقٌ كثيرٌ ؛ فإذا بعبد الله بن أم مكتوم ﷺ يأتي إلى رسول الله ﷺ

ويقول : " أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى " وكرر ذلك وهو لا يعلم بتشغل النبي ﷺ بالقوم ، فكره رسولُ الله ﷺ مقاطعته له ، وأعرض عنه عابساً ، مع العلم أن عبدَ الله بن مكتوم أعمى لم ير عبوسَ وجه النبي ﷺ فنزلت الآياتُ : " عَبَسَ وَتَوَلَّى " .

وعليه: فليس في القصة ما يفيد احتقاره ﷺ للأعمى ، فإنه لم يُعرض عن ابن أم مكتوم قاصداً إساءته ، ولا استصغاراً لشأنه ... وإنما فعل ذلك حرصاً منه على أن يتفرغ لما هو فيه من دعوة أولئك الصناديد الذين يقفون ضد دعوته ، فقد كان كثيراً الحزن عليهم ﷺ لأعراضهم عن دعوته ، وعدم الإيمان برسالته حتى قال له ربه ﷻ : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (الكهف 6) .

جاء في التفسير الميسر: فلعلك - أيها الرسول - مهلك نفسك غمًا وحزنًا على أثر تولي قومك وإعراضهم عنك، إن لم يصدقوا بهذا القرآن ويعملوا به . اهـ

وعليه فإن ما وقع من النبي ﷺ في هذه القصة ليس بخطأ منه ؛ وإنما هو ترك أولي ، وهو من باب (حسنات الأبرار سيئات المقربين) لأنه لم يكن يعلم أن الله ﷻ سيعاتبه في كتابه المجيد بهذا الشأن ؛ لذلك تذكر الروايات أن النبي ﷺ كان بعد ذلك إذا رأى ابن مكتوم ﷺ يبسط له رداءه ويقول : " مرحباً بمن عاتبني فيه ربي " .

يدلل على ما سبق هو ما جاء في الآتي:

1- تفسير الألوسي : { عَبَسَ وتولى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى } الخ روى أن ابن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة واسمه عمرو بن قيس بن زائدة بن جندب بن هرم بن رواحة بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤي القرشي وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن أبي ربيعة الفهري والأولى أكثر وأشهر كما في «جامع الأصول» وأم مكتوم كنية أمه واسمها عاتكة بنت عبد الله المخزومية وغلط الزمخشري في جعلها في «الكشاف» جدته وكان أعمى وعمى بعد نور وقيل ولد أعمى ولذا قيل لأمه أم مكتوم أتى رسول الله ﷺ وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب وأميمة بن خلف والوليد بن المغيرة يناجيهم ويدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله: أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى ، وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله ﷺ يكرمه ويقول إذا رآه مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من حاجة واستخلفه ﷺ على المدينة فكان يصلي بالناس ثلاث عشرة مرة كما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب من أهل العلم بالسير ثم استخلف بعده أبا لبابة وهو من المهاجرين الأولين هاجر على الصحيح قبل النبي ﷺ وهم القرطبي في زعمه أنه مدني وأنه لم يجتمع بالصناديد المذكورين من أهل مكة وموته قيل بالقادسية شهيداً يوم فتح المدائن أيام عمر - رضي الله تعالى عنه - ورآه أنس يومئذ وعليه درع وله راية سوداء وقيل رجع منها إلى المدينة فمات بها - رضي الله تعالى عنه - وضمير عبس وما بعده للنبي ﷺ وفي التعبير عنه ﷺ بضمير الغيبة إجلال له ﷺ لإيهام أن من صدر عنه ذلك غيره لأنه لا يصدر عنه ﷺ مثله كما أن في التعبير عنه ﷺ بضمير الخطاب في قوله سبحانه : وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِي . اهـ

2- تفسير الجلالين: " أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى " عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَقَطَعَهُ عَمَّا هُوَ مَشْغُولٌ بِهِ مِمَّنْ يَرْجُو إِسْلَامَهُ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشِ الَّذِينَ هُوَ حَرِيصٌ عَلَى إِسْلَامِهِمْ ، وَلَمْ يَدْرِ

الأعمى أَنَّهُ مَشْغُولٌ بِذَلِكَ فَتَادَاهُ : عَلَّمَنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ , فَأَنْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ فَعُوتِبَ فِي ذَلِكَ بِمَا نَزَلَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ , فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ إِذَا جَاءَ : " مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي " وَيَبْسُطُ لَهُ رِدَاعَهُ. اهـ

2- تفسير القرطبي : قال الثوري: فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول: [مرحبا بمن عاتبني فيه ربي] . اهـ

3- تفسير اللباب لابن عادل: قال الثوري: « فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم بسط له رداءه ، ويقول : « مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي » ، ويقول « : هَلْ مِنْ حَاجَةٍ ؟ » واستخلفه على « المدينة » مرتين في غزوتين غزاهما ». اهـ

ثالثاً: إن قيل: لماذا عاتب الله ﷻ نبيّنا ﷺ رغم أن ابن أم مكتوم ﷺ يستحق التوبيخ ؟

قلتُ: إن عبد الله بن أم مكتوم ﷺ وإن كان فقد بصره لا يرى القوم ؛ لكن صحة سماعه قوية كان يسمع مخاطبة الرسول ﷺ لأولئك الكفار، وكان يسمع أصواتهم أيضاً ، وكان يعرف بواسطة استماع تلك الكلمات شدة اهتمام النبي ﷺ بشأنهم ، فكان إقدامه على قطع كلام النبي ﷺ ، وإلقاء غرض نفسه في السؤال قبل تمام غرض النبي ﷺ إيذاء للنبي ﷺ ، وذلك معصية عظيمة ؛ لكن الله ﷻ عاتبه ﷺ ؛ لأن الأعمى يستحق مزيد الرفق والرفقة والرحمة

ونلاحظ : مدى حب الله ﷻ لنبيّنا ﷺ ، والحرص في المعاتبة له بالرفقة والرحمة... وذلك من قوله ﷻ : " عيس وتولى. أن جاءه الأعمى... جاءت بصيغة الحكاية عن أحد آخر

غائب غير المخاطب؛ أي: بلفظ الإخبار عن الغائب وذلك يُظهر لنا مكانة نبيِّنا ﷺ عند ربِّه ﷻ وإكرامه له عن المواجهة بهذا الأمر... فلم يقل الله ﷻ: " عَبَسْتَ وتوليتَ...".

رابعاً: أما عن سؤالهم الذي يقول: كيف يهتم رسول الإسلام بأصحاب الجاه، ويرفض الفقير والمسكين ، ويعبس في وجه الأعمى ... قد أُجبتُ على مرادهم وهو ما سبق بيانه وأما ما غاب عنهم فهو كثرة رحمته ﷻ بالفقراء والمساكين والسؤال عنهم والاستماع لحالهم...وهذا يبطل اعتراضهم

جاء ذلك في الآتي :

1- صحيح مسلم كتاب (الجنائز) باب (الصَّلَاةِ عَلَى الْقَبْرِ) برقم 1588 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُ الْمَسْجِدَ أَوْ شَابًا فَقَفَدَهَا ﷺ فَسَأَلَ عَنْهَا أَوْ عَنْهُ ،فَقَالُوا : مَاتَ قَالَ أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي ؟ قَالَ : - فَكَأَنَّهُمْ صَعُرُوا أَمْرَهَا - أَوْ أَمْرَهُ فَقَالَ: دُلُونِي عَلَى قَبْرِهِ فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ : " إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ " .

2- صحيح مسلم برقم 4275 عن انس قَالَ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: " يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ " .

3- فقه السيرة للشيخ الألباني (صحيح) : عن عدي بن حاتم قال : بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا قطع السبيل فقال : يا عدي هل رأيت الحيرة . قلت : لم أرها وقد أنبت عنها قال : (فإن طال بك الحياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله) - قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين دعار طيء الذين قد سعروا في البلاد (ولئن طال بك حياة لتفتحن كنوز كسرى) . قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : (كسرى بن هرمز) . قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز . .) .

نلاحظ : كان النبي ﷺ يسمع للفقراء...

4- صحيح سنن أبي داود برقم 4774 عن أنس قال : خدمت النبي ﷺ عشر سنين بالمدينة وأنا غلام ليس كل أمري كما يشتهي صاحبي أن أكون عليه ما قال لي فيها أف قط وما قال لي لم فعلت هذا أو ألا فعلت هذا . تحقيق الألباني: صحيح، انظر ما قبله (4773)

خامساً: إن الأناجيل نسبت إلى يسوع المسيح أنه احتقر المرأة الكنعانية ؛ أخبرها بأنها من الكلاب، وذلك لما جاءت راجية شفاء ابنتها منه

جاء ذلك في إنجيل متى إصحاح 15 عدد 21²¹ ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَانصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَاءَ. 22 وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ الثُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: «ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! ابْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدًّا». 23 فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ

قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا، لِأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!»²⁴ فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». ²⁵ فَأَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: «يَا سَيِّدُ، أَعِنِّي!» ²⁶ فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُوْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكَلابِ». ²⁷ فَقَالَتْ: «نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! وَالْكَلابُ أَيْضًا تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرَبَابِهَا!». ²⁸ حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، عَظِيمُ إِيْمَانِكَ! لَيْكُنْ لَكَ كَمَا تُرِيدِينَ». فَشَفِيتِ ابْنَتَهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ .

قُلْتُ: إن الملاحظ من النصوص أن كل من ليس يهودياً فهو من الكلاب بحسب ما نسب إلى يسوع المسيح

والملاحظ أيضاً : أن (يسوع) لم يشف ابنة المرأة الكنعانية إلا حينما اعترفت له أنها من الكلاب ، **وذلك لما قالت :** ²⁷ «فَقَالَتْ: «نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! وَالْكَلابُ أَيْضًا تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرَبَابِهَا»!

وأتساءل :

1- هل هذه هي المحبة من إله المحبة التي يؤمن بها المعترضون ؟!

2- هل هذا هو احترام الضعفاء كالإنصات لهم ، وتلبية مطالبهم....؟!

3- هل المسيح ﷺ بريء مما نسبته إليه كتبة الأنجيل مثل هذه القصة...؟!

رد شبهة: نبيّ اخطأ في علم الساعة !

أثاروا شبهةً تتعلق بخطأ النبي حول زمن القيامة ، وذلك بالإشارة إلى حديثٍ جاء في صحيح مسلم كتاب (الفتن و أشراف الساعة) باب (قرب الساعة) برقم 5248 حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ الْأَعْرَابُ إِذَا قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ مَتَى السَّاعَةُ فَنَظَرَ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ فَقَالَ: " إِنْ يَعِشَ هَذَا لَمْ يَدْرِكْهُ الْهَرَمُ قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ " .

قالوا: إن هذا الحديث يخالف الواقع فلقد مات الغلام، ومرت مئات السنين، ولم تقم الساعة إلى الآن ! أليست هذه نبوءة كاذبة من محمد رسول الإسلام ؟!

الرد على الشبهة

أولاً: إن من المعلوم المقطوع به أن نبيّنا محمداً ﷺ لا يعلم وقت الساعة أبداً؛ فهي من الأمور التي حجب علمها عنه ﷺ، وعن سائر خلقه ؛ فلا يعلمها ملكٌ مقربٌ ، ولا نبيٌّ مرسل

يدلل على ذلك ما يلي:

1- قوله ﷺ : ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ (طه 15).

2- قوله ﷺ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف 187) .

2- قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (34) ﴿ (لقمان).

3- قوله ﷺ : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِمَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴾ (47) ﴿ (فصلت).

4- قوله ﷺ : ﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (85) ﴿ (الزخرف).

5- صحيح البخاري برقم 48 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الْحَدِيثِ الشَّهِيرِ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَ جَبْرِيلَ ... قَالَ جَبْرِيلُ : مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ : " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ وَسَأَخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الْأُمَّةُ رَبَّهَا وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهِمُ فِي الْبُنْيَانِ فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ ﷺ : { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ } الْآيَةَ ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ رُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا فَقَالَ هَذَا جَبْرِيلُ جَاءَ يَعْلَمُ النَّاسَ دِينَهُمْ " .

إِذَا: مُحَمَّدٌ ﷺ يَبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مِيعَادَ السَّاعَةِ أَبَدًا بَلْ هِيَ مِمَّا اسْتَأْثَرَ بِهِ اللَّهُ ﷻ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ، وَبَيَّنَّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ أَطْلَعَهُ ﷺ عَلَى بَعْضِ عِلَامَاتِ قُرْبِهَا... ..

فَأَخْبَرَ ﷺ عَنْ بَعْضِ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَةِ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ الْحَيَاةَ سَتَسْتَمِرُّ قُرُونًا بَعْدَهُ ﷺ ، مِثْلَ : فَتْحِ بِلَادِ الشَّامِ ، وَالْيَمَنِ ، وَصُورِ ، وَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَ رُومِيَّةِ ، وَ أَنَّ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ثُمَّ تَصِيرُ مَلَكًا عَاضًا ثُمَّ تَصِيرُ مَلَكًا جَبْرِيًّا ثُمَّ تَعُودُ دَوْلَةُ الْخِلَافَةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، وَ إِخْبَارِهِ عَنْ تَكَالُبِ الْأُمَمِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَ هُمْ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ ، حَدُوثِ الْفِتَنِ ، وَالتَّغْيِيرَاتِ كَتَقَارِبِ الزَّمَانِ ، وَ كَثَرَةِ الْهَرَجِ (الْفِتْلِ) ، وَ الزَّلَازِلِ ، وَانْتِشَارِ الْفَسَادِ ، وَ الظُّلْمِ ، وَنَقْضِ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرُودَ عُرُودٍ ، وَ عَوْدَةِ الدِّينِ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ ، وَ أَخْذِ الْأُمَّةِ بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلُهَا شَبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ..... الْأَخْبَارُ كُلُّهَا صَحِيحَةُ السَّنَدِ .

وَأَخْبَرَ ﷺ عَنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الْكُبْرَى كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ بِرَقْمِ 5162 عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ قَالَ : أَطَّلَعَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ مَا تَذَكَّرُونَ قَالُوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنَزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسَفَ بِالْمَشْرِقِ وَخَسَفَ بِالْمَغْرِبِ وَخَسَفَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ .

وَعَلَيْهِ: فَلَا يَقُولُ عَاقِلٌ قَطُّ: إِنَّ وَاحِدًا مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ اعْتَقَدَ بِحُدُوثِ هَذَا كُلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ الْغُلَامُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ (مَحَلُّ الشَّبْهَةِ)..... !
فَمَا فَهْمُ هَذَا الْفَهْمِ السَّقِيمِ وَاحِدٌ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَا التَّابِعِينَ ، وَلَا مَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِخِلَافِ حَالِ الْمَعْتَرِضِينَ..... .
بَلْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ صِرَاحَةً فِي الْحَدِيثِ إِنَّ الْقُرُونِ سَتَتَوَالَى عَلَى الْأُمَّةِ.....

تدلل على ذلك أدلة منها :

1- صحيح البخاري برقم 2457 عن عُمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ". قَالَ عُمَرَانُ : لَا أَدْرِي أَذْكَرُ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمِنُونَ وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ " .

-2

3- صحيح مسلم برقم 208 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ " .

3- سنن ابن ماجه برقم 4026 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ يُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ ، وَيَكْذِبُ فِيهَا الصَّادِقُ ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ ، وَيَخُونُ فِيهَا الْأَمِينُ ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ " قِيلَ : وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ ؟ قَالَ : " الرَّجُلُ النَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ " .

تحقيق الألباني: صحيح ، الصحيحة (1887) .

و بهذا أكون قد نسفت الشبهة من جذورها نسفاً - بفضل الله ﷻ - ...

ثانياً: إن فهم الحديث فهما صحيحاً يكون من خلال الجمع بين الروايات الأخرى...

ففي صحيح البخاري برقم 6030 عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ جُفَاءً يَأْتُونَ النَّبِيَّ ﷺ فَيَسْأَلُونَهُ مَتَى السَّاعَةُ فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ فَيَقُولُ: " إِنْ يَعْشُ هَذَا لَا يَدْرِكُهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ ". قَالَ هِشَامٌ: " يَعْنِي مَوْتَهُمْ " .

الواضح لنا من هذه الرواية أن هشام بن عروة هو أحد رواة الحديث يوضح معنى لفظة (ساعتكم) بأنها تعني موتهم هم.... وليس المقصود منها يوم القيامة.... وبهذا فهم العلماء الأجلاء منهم :

1- الإمام النووي في شرحه قال : قَوْلُهُ : (سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ مَتَى هِيَ ؟ فَنَظَرَ إِلَى أَحَدِثِ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ فَقَالَ : إِنْ يَعْشُ هَذَا لَمْ يَدْرِكْهُ الْهَرَمُ قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ) وَفِي رِوَايَةٍ : (إِنْ يَعْشُ هَذَا الْغُلَامُ فَعَسَى أَلَّا يَدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ) وَفِي رِوَايَةٍ (إِنْ عُمِرَ هَذَا لَمْ يَدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ) وَفِي رِوَايَةٍ (إِنْ يُؤَخَّرَ هَذَا) قَالَ الْقَاضِي : هَذِهِ الرِّوَايَاتُ كُلُّهَا مَحْمُولَةٌ عَلَى مَعْنَى الْأَوَّلِ ، وَالْمُرَادُ (بِسَاعَتِكُمْ) مَوْتُهُمْ ، وَمَعْنَاهُ يَمُوتُ ذَلِكَ الْقَرْنُ ، أَوْ أَوْلَئِكَ الْمُخَاطَبُونَ قُلْتُ وَيَحْتَمَلُ أَنَّهُ عِلْمٌ أَنَّ ذَلِكَ الْغُلَامَ لَا يَبْلُغُ الْهَرَمَ ، وَلَا يُعَمَّرُ ، وَلَا يُؤَخَّرُ . اهـ

3- صاحبُ عون المعبود في شرح سنن أبي داود قال : " سَاعَتُكُمْ " أَي : قِيَامَتُكُمْ وَهِيَ السَّاعَةُ الصُّغْرَى وَالْمُرَادُ : " مَوْتُ جَمِيعِهِمْ " . اهـ

إذا فهمنا مما سبق: أن المراد بالساعة في الحديث ساعة السائلين فلكل إنسان ساعته الخاصة به هي لحظة مماته فيها ينقطع عمله ويبدأ حسابه....

جاء في صحيح مسلم برقم 5240 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوْ الدُّخَانَ، أَوْ الدَّجَالَ، أَوْ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَةِ".

نلاحظ : أن النبي ﷺ عبر عن موت المرء بخصاصته أي : ساعته الخاصة.

ثالثاً : أتعجب أن يصدر من المعترضين مثل هذا الاعتراض الوهمي ؛ لأن الأناجيل أكدت لنا أن القيامة ستكون في القرن الأول ، وأن يسوع سيعود ويحاسب البشر في القرن الأول قبل انقضاء جيله ، وكان كل تلاميذه ، والمكرزين بالأناجيل يعتقدون بذلك و ينادون به جاء ذلك في الآتي :

1- إنجيل متى إصحاح 24 عدد²⁹ «وَلَلْوَقْتُ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الْأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لَا يُعْطِي ضَوْؤَهُ، وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقَوَاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعَّزَعُ.³⁰ وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلَامَةُ ابْنِ الْإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ، وَيَبْصُرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ.³¹ فَيُرْسِلُ مَلَائِكَتَهُ بَبُوقٍ عَظِيمٍ الصَّوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الْأَرْبَعِ الرِّيَّاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا.³² فَمِنْ شَجَرَةِ التَّيْنِ تَعْلَمُوا الْمَثَلُ: مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصًا وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا، تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ.³³ هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى رَأَيْتُمْ هَذَا كُلَّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الْأَبْوَابِ.³⁴ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَمْضِي هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ !

2- إنجيل متى إصحاح 16 عدد²⁷ فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدٍ أَبِيهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ.²⁸ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ ههنا قَوْمًا لَا يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ !

واتسأعل : هل حدث ما أخبر به يسوع ؟ أم أن هذه نبوءة كاذبة بحسب تلك النصوص ..

!؟

رابعاً: إن الأمر المثير للدهشة والعجب العجيب هو عنوان الشبهة: (نبيُّ اخطأ في علمِ الساعة !) فالعنوان باطل من أساسه كما أسلفتُ بالأدلةِ الدامغةِ ولكن الأعجب من ذلك هو أن المعترضين يعتقدون أن يسوع المسيح إله ، ولكن هذا الإله لا يعلم وقت الساعة ، ولا يعلم موسم أنبات شجرة التين جاء ذلك في الآتي :

1- يسوع المسيح الإله لا يعلم متى الساعة جاء ذلك فيما يلي :

أ- إنجيل متى إصحاح 24 عدد³⁶ «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلَّا أَبِي وَحْدَهُ.

ب- إنجيل مرقس إصحاح 13 عدد¹¹ «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْابْنُ، إِلَّا الْآبُ.

2- يسوع دمر شجرة التين تدميراً ... لأنه لا يعلم موسم التين ... جاء ذلك فيما يلي:

أ- إنجيل مرقس إصحاح 11 عدد 11¹¹ فَدَخَلَ يَسُوعُ أُورُشَلِيمَ وَالْهَيْكَلُ، وَلَمَّا نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ إِذْ كَانَ الْوَقْتُ قَدْ أَمْسَى، خَرَجَ إِلَى بَيْتِ عَنِيَا مَعَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ.¹² وَفِي الْغَدِ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ عَنِيَا جَاعَ،¹³ فَنَظَرَ شَجَرَةَ تَيْنٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ، وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئًا إِلَّا وَرَقًا، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتُ الثَّيْنِ.¹⁴ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «لَا يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْكَ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الْأَبَدِ!». وَكَانَ تَلَامِيذُهُ يَسْمَعُونَ.

ب- إنجيل متى إصحاح 21 عدد 19¹⁹ فَنَظَرَ شَجَرَةَ تَيْنٍ عَلَى الطَّرِيقِ، وَجَاءَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا وَرَقًا فَقَطَّ. فَقَالَ لَهَا: «لَا يَكُنْ مِنْكَ ثَمَرٌ بَعْدُ إِلَى الْأَبَدِ!». فَيَبِسَتِ الثَّيْنَةُ فِي الْحَالِ !!

قلتُ : إذا كان يسوع المسيح إلهاً ، ولا يعلم متى الساعة ، ولا موسم الثين

أتساءل :

- 1- هل يستحق هذا الإله لقب إله ؟!
- 2- هل هناك إله لا يعلم الغيب....؟!
- 3- هل يستحق هذا الإله أن يُعبد... أم أن يسوع المسيح كان نبيًا مرسلًا من الله لا يعلم متى الساعة مثل نبيِّنا ﷺ...؟!

رد شبهة: نبي الإسلام كان غير متقن لقواعد اللغة العربية !

قالوا: نبيّ الإسلام كان غيرَ متقنٍ لقواعدِ اللغةِ العربيةِ، ويبدو أنه لما ألف القرآنَ كان ينسى قواعدَ اللغةِ ...ثم قاموا بطرحِ آياتٍ عديدةٍ ظناً منهم أن فيها أخطاءً لغويةً ، وهذه سأجيب عليها في كتابٍ جديدٍ منفصلٍ - إن شاء الله - .

الرد على الشبهة

إنني أعجب كل العجب من كل جاهلٍ وجهولٍ مجهالٍ يقول : إن النبيَّ ﷺ أو حتى كفار قريش كانوا غيرَ متقنينَ للغةِ العربيةِ... فإن هذا من الجهلِ المركبِ ، ومن العجبِ العجائبِ للاتي :

أولاً: إن العربَ كانوا يتكلمون بالصليقةِ ، ولا يعرفون قواعدَ اللغةِ العربيةِ ؛ لان قواعد اللغة لم تكن وضعت في زمانه ﷺ إنما وضعت بعد سنين من وفاته ﷺ ، والذي قام بهذا المشروع هو سيبويه...

ثانياً: من من كفار قريش ، مثل : أبي لهب ، وأبي جهل وأصحاب المعلقات... وهم اقحاح العرب قال : إن محمداً كان يخطئ أخطأً لغويةً ... ؟ لا أحد .

ثالثاً: إن قواعدَ اللغةِ العربيةِ جاءت بعد نزولِ القرآنِ الكريمِ بسنواتٍ بعيدةٍ ،فقواعد اللغة العربية تخضع للقرآن الكريم ، ولا يخضع القرآن الكريم لقواعد اللغة العربية أبداً.

رابعاً: إن القرآن الكريم نزل على سبعةٍ أحرفٍ موافقةً لجميع لهجات العرب وليست لقريشٍ وحدها .

وعليه: فإن ما سبق يبين لنا مدى جهل المتعرضين.....

رد شبهة: نبي الإسلام يصلي أمام عنزة - معزة - ليعبدها....!

من الشبهات التي فضحت أصحابها ، وبينت جهلهم ...
أنهم قالوا: إن رسول الإسلام كان يصلي أمام عنزة أي: معزة ، وكان يأخذها معه مع
رحلاته ويصلي إليها فلماذا تتكرون على عباد البقر...؟!

وتعلقوا على ذلك بما جاء في صحيح البخاري كتاب (الصَّلَاة) باب (سُتْرَةُ الْإِمَامِ سِتْرَةُ
مَنْ خَلْفَهُ) برقم 465 عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى بِهِمْ
بِالْبَطْحَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةُ الظُّهْرِ رَكَعَتَيْنِ وَالْعَصْرِ رَكَعَتَيْنِ تَمُرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ.

الرد على الشبهة

أولاً: إن العنزة ليست هي الماعز كما يتصور المعترضون بخيالهم المريض... فما هي
إلا عصا ، أو رمح صغير كان يضعه النبي ﷺ إمامَ صلاته حتى لا تقطع من المارين
أمامه... يدل على ذلك ما جاء في كتب الشروح منها:

1- شرح ابن بطل للبخاري : باب الصَّلَاةِ إِلَى الْعَنَزَةِ :

(1)/116 - فيه: أبو جحيفة : « أن نبي الله ﷺ صَلَّى وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ ... » الحديث.

(2/117 - وفيه : أنس : « أن الرسول ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ، تَبِعْتُهُ أَنَا وَغُلَامٌ، مَعَنَا عُكَّازَةٌ أَوْ عَصَا أَوْ عَنَزَةٌ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ حَاجَتِهِ، نَاولَنَاهُ الْإِدَاوَةَ » .

قال المهلب: الحربة والعنزة، إنما هما علم للناس على موضع صلاته ألا يحرفوه بالمشي بين يديه في صلاته، ومعنى حمل العنزة والماء أن الرسول كان التزم أن لا يكون إلا على طهارة في أكثر أحواله، وكان إذا توضأ صلى ما أمكنه بذلك الوضوء مذ أخبره بلال بما أوجب الله له الجنة من أنه لم يتوضأ قط إلا صلى، فلذلك كان يحمل الماء والعنزة إلى موضع الخلاء والتبرز ، وقال أبو عبد الله بن أبي صفرة: انظر مناوالتهم الإداوة ، يدل أنه استنجى بالماء ؛ لأن العادة في الوضوء أن يَصُبُّوا على يديه ، وكذلك تأتي الأحاديث . اهـ

2- فتح الباري لابن رجب : عن عطاء بن أبي ميمونة ، قال : سمعت انس بن مالك يقول : كان رسول الله ﷺ إذا خرج لحاجته تبعته أنا وغلام ، ومعنا عكازة أو عصي أو عنزة ، ومعنا إداوة ، فإذا فرغ من حاجته ناولناه الإداوة . ((شاذان)) ، هو : أسود بن عامر ، وشاذان لقب له .

وحديث انس قد خرجه في ((كتاب الوضوء))، في ((أبواب الاستنجاء))، وذكرنا هناك فائدة حمل العنزة وظاهر تبويب البخاري يدل على التفريق بين العنزة والحربة، وأكثر العلماء فسروا العنزة بالحربة . وقال أبو عبيد : العنزة عصا قدر نصف الرمح أو أكثر ، لها سنان .

وقد خرج مسلم حديث ابن عمر الذي خرجه البخاري في الباب الماضي من حديث عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، أن النبي ﷺ كان تركز له العنزة ويصلي إليها.

قال عبيد الله : وهي الحربة . وقد فرق قوم بين العنزة والحربة، فعن الأصمعي قال : العنزة : ما دور نصله ، والحربة : العريضة النصل. وأشار بعضهم إلى عكس ذلك . وصلاته ﷺ إلى العنزة والحربة يستفاد منه: أن السترة يستحب أن يكون عرضها كعرض الرمح ونحوه، وطولها ذراع فما فوقه. اهـ

3- قال النووي في شرحه لمسلم : وَأَمَّا (الْعَنْزَةُ) فَبِفَتْحِ الْعَيْنِ وَالزَّايِ ، وَهِيَ عَصَا طَوِيلَةٌ فِي أَسْفَلِهَا زَجٌّ ، وَيُقَالُ : رُمِحَ قَصِيرٌ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَسْتَصْحِبُهَا النَّبِيُّ ﷺ لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا تَوَضَّأَ صَلَّى فَيَحْتَاجُ إِلَى نَصْبِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ لَتَكُونَ حَائِلًا يُصَلِّي إِلَيْهِ .
اهـ

إِذَا مِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ تَبَيَّنَ لَنَا: أَنَّ هَذِهِ الشَّبَهَةَ فَضَحَتْ جَهْلَهُمْ

ثَانِيًا : إِنَّمَا نُنْكِرُ عَلَى عِبَادِ الْبَقَرِ عِبَادَتَهُمْ لَهَا ، وَنُنْكِرُ عَلَيْكُمْ عِبَادَتَكُمْ لَخُرُوفٍ - بِسَبْعَةِ قُرُونٍ وَسَبْعَةِ أَعْيُنٍ - وَلَوْ عَلَى سَبِيلِ التَّشْبِيهِ ... جَاءَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعَيْنِ:

الأول: رُؤْيَا يُوحَنَّا إِصْحَاح 5 عدد 6 وَنَظَرْتُ فَرَأَيْتُ فِي الْوَسْطِ بَيْنَ الْعَرْشِ وَالْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ الْأَرْبَعَةَ وَالشُّيُوخَ خُرُوفَ قَائِمٍ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ. وَكَانَتْ لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ، وَسَبْعُ أَعْيُنٍ تُمَلُّ أَرْوَاحَ اللَّهِ السَّبْعَةَ الَّتِي أُرْسِلَتْ إِلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا.

الثاني: رُؤْيَا يُوحَنَّا إِصْحَاح 17 عدد 14 هُوَ لَاءٌ سِيحَارِيُونَ الْخُرُوفَ، وَالْخُرُوفُ يُغْلِبُهُمْ، لِأَنَّهُ رَبُّ الْأَرْبَابِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ، وَالَّذِينَ مَعَهُ مَدْعُوُونَ وَمُخْتَارُونَ وَمُؤْمِنُونَ.»

وننكر عليكم أن يكون الرب مشبهاً بشخص مخمورٍ يصرخ عالياً من شدة الخمر ، وذلك في مزمور إصحا ح 78 عدد 65 فَاسْتَيْقِظَ الرَّبُّ كَنَائِمٍ، كَجَبَّارٍ مُعِيطٍ مِنَ الْخَمْرِ....

وننكر عليكم أن يكون الرب كالذودة ، وذلك سفر هوشع [5 / 12] يقول الرب : ¹²فَأَنَا
لَأَفْرَايِمَ كَالْعُتِّ، وَلَيَبَيْتَ يَهُوذَا كَالسُّوسِ.

وننكر عليكم أن يكون الرب مشبهاً بالدب ، وذلك في سفر مراثي إرمياء (3 / 10) "
هُوَ لِي كَدْبٌ مُتَرَبِّصٌ " .

وننكر عليكم أن يكون الرب مدخناً يخرج دخاناً من أنفه ، وذلك في سفر صموئيل الثاني
إصحاح 22 عدد ⁸ فَارْتَجَّتِ الْأَرْضُ وَارْتَعَشَتْ. أُسُسُ السَّمَاوَاتِ ارْتَعَدَتْ وَارْتَجَّتْ، لِأَنَّهُ
غَضِبَ. ⁹صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلَتْ. جَمْرٌ اشْتَعَلَتْ مِنْهُ. لا تعليق !

رد شبهة: نبي مات مسموماً !

قالوا: إن محمداً رسول الإسلام قدمت له امرأة من نساء اليهود شاة مسمومة؛ فأكل منها
فمات....

ويستدلون على ذلك بحديث جاء في سنن أبي داود كتاب (الدِّيَاتِ) بَاب (فِيمَنْ سَقَى
رَجُلًا سَمًّا أَوْ أَطْعَمَهُ فَمَاتَ أَيْقَادُ مِنْهُ) برقم 3912 حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةٍ عَنْ خَالِدٍ عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ ،
وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ " .

حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةٍ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ عَنْ خَالِدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَلَمْ
يَذْكُرْ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ زَادَ فَأَهْدَتْ لَهُ

يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ سَمَّتَهَا فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ فَقَالَ: "ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ" فَمَاتَ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الْأَنْصَارِيُّ فَأُرْسِلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ قَالَتْ: إِنَّ كُنْتُ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ، وَإِنْ كُنْتُ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَتَلَتْ، ثُمَّ قَالَ: فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ مَا زِلْتُ أَجِدُ مِنَ الْأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ فَهَذَا أَوَّانٌ قَطَعْتَ أَبْهَرِي.

الرد على الشبهة

أولاً: إن ما ذكره المعترضون صحيحٌ وليس فيه ضعف أو كذب.... نعم مات النبي ﷺ من أثر السم الذي كان في الشاة يوم خيبر، وهذا ليس عيباً ولا طعناً في النبي ﷺ بل فيه معجزةٌ من معجزاته ﷺ حيث إنه لم يمِت في الحال كما مات الصحابي الذي كان معه (بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الْأَنْصَارِيُّ)...

بل مات بعدها بأربع سنوات من هذه الحادثة وذلك من الرواية التي معنا ؛ فلا شك أن عدم موته بالسم فور أكله للشاة المسمومة، وحياته بعد ذلك سنوات يُعد معجزة من معجزاته ﷺ ، وعَلَمًا من أعلام صدق نبوته ﷺ كان هذا من خلال جانب يغفل عنه المعترضون.....

ثانياً: إن هذه الواقعة فيها معجزة لم تحدث لأي نبيٍّ من الأنبياء وهي : معجزة إحياء الموتى.

فإن قيل: إن المسيح ﷺ أحيا موتى !

قلتُ: نعم، لكن معجزة محمد ﷺ أبلغ منها؛ لنتفكر سوياً في شاة ذبحت، وقُطعت،
وسُلخت، وطبخت ثم تتكلم ، وأخبرت النبي بأنها مسمومة...!

ثالثاً: إن هذه الواقعة منة من الله لنبيه ﷺ حيث جمع الله له بين النبوة والشهادة فمات نبياً
شهيداً ﷺ.

والسؤال الذي قد يثير شبهة بالفعل هو: هل يوجد تناقض بين قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا
الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: 67) .

قلتُ: العصمة هنا تكون من القتل .

جاء في تفسير الجلالين: { يا أيها الرسول بَلِّغْ } جميع { مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } ولا
تكتم منه شيئاً خوفاً أن تُنال بمكروه { وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ } أي : لم تبلغ جميع ما أُنزل إليك {
فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ} بالافراد والجمع [رسالاته] لأن كتمان بعضها كتمان كلها { وَاللَّهُ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } أن يقتلوك وكان ﷺ يحرس حتى نزلت فقال : « انصرفوا فقد
عصمني الله » رواه الحاكم { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } . اهـ

وبين الحديث الذي معنا ، وما جاء أيضاً عند البخاري في صحيحه معلقاً ، والحاكم في
مستدركه موصولاً باب (مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ
* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ وَقَالَ يُونُسُ عَنِ الرَّهْزِيِّ قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ

عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: " يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ فَهَذَا أَوَانٌ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السَّمِّ " ؟

قُلْتُ: لا يوجد أدنى تناقض؛ لأن عصمة النبي ﷺ من القتل تعني: أنه ﷺ لا يُقتل إلا بعد إتمام الرسالة؛ وهذا ما حدث مع النبي ﷺ تأمر المشركون على قتله مرات، ولم يمت إلا بعد إتمام الرسالة ...

أمثلة ذلك ما يلي:

لما قالوا: نأخذ من كل قبيلة رجلاً.... وما كان من سراقه بن مالك قبل إسلامه ﷺ
وقد خاض محمد ﷺ الحروب... وأصيب في أحد؛ فكُسِرَت رِباعيته، وشُجَّت رأسه...
ولما وضعت زينب بنت الحارس السم في الشاة لم يُقتل ولم يمت إلا بعد أربع سنوات من هذه الواقعة، بعد قوله ﷺ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة3) .

فما مات نبيُّنا ﷺ شهيداً إلا بعد إبلاغه للرسالة التي كُلف بها ﷺ وقد تمت على أكمل وجه كما هو الواقع....

رابعاً: إن هناك أسئلة تطرح نفسها هي:

1- هل موت النبي ﷺ شهيداً يقدح في نبوته؟

2- ألم يرد في الكتاب المقدس أن زكريا قُتل ، ويحيى (يوحنا المعمدان) ، والمسيح ، وغيرهم ؟

3- ألم يرد في معتقد المعتندين أن الله نفسه قُتل على الصليب وهو (يسوع المسيح) ؟!

4- ألم يمت بطرس الرسول مصلوباً في روما عام 68م ؟

5- ألم يمت بولس الرسول أيضاً مصلوباً في روما ؟

6- ألم يمت برنابا رجماً على أيدي الوثنيين في قبرص سنة 61 م ؟

الجواب على ما سبق : إذا مات النبي مقتولاً ، لا يقدح ذلك في نبوته قط بحسب نصوص الكتاب المقدس والتاريخ المسيحي .

رد شبهة: نبي مات وتحلل جسده حتى تعفن ﷺ !

سألوا سؤالاً يدل على حقدهم وكراهيتهم لهذا النبي المكرم ﷺ وذلك لما قالوا: كيف نتبع محمداً الذي مات، وتحلل جسده حتى تعفن، ونترك المسيح الحي الذي لم يمت ؟!

الرد على الشبهة

أولاً: إن كون محمد ﷺ يموت فهذه سنة لا تتبدل في كل خلق الله جميعاً
تدلت على ذلك أدلة كثيرة منها :

1- قَوْلُهُ ﷺ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ (الأنبياء 34) .

جاء في تفسير الجلالين : ونزل لما قال الكفار : إن محمداً ﷺ سيموت { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ } البقاء في الدنيا { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن } فيها ؟ لا ، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري . اهـ

2- قَوْلُهُ ﷺ لِنَبِيِّهِ ﷺ وهو حيّ يمشي بين الناس : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ ﴾ (الزمر 30).

3- قَوْلُهُ ﷺ : ﴿ كُلُّ مَنَ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (الرحمن 26) . فكلُّ مذكورٍ سينسى ؛ ليس غير الله يبقى ؛ كل حيٍّ سيموت إلا ربُّ العالمين .

4- قَوْلُهُ ﷺ : ﴿ كُلُّ مَنَ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (26) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) (الرحمن) .

5- قَوْلُهُ ﷺ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُذُنُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ (الفرقان 58) .

6- مسندُ أحمد برقم 2608 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَرَ فِي جَنْبِهِ، فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ: لَوْ اتَّخَذْتَ فِرَاشًا

أَوْثَرَ مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ : " مَا لِي وَلِلدُّنْيَا مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَكَبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا " .

تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح.

إِذَا لَا إِشْكَالِيَّةَ فِي مَوْتِهِ ﷺ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ فَالْمَوْتُ كَتَبَ عَلَى كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ وَالرِّسْلَ جَمِيعًا بِمَا فِيهِمُ الْمَسِيحُ...

ثم إن الكتاب المقدس حكى لنا عن موت كثير من الأنبياء والرسل مثل : زكريا ، ويحيى، وبما فيهم يسوع نفسه الذي مات وقبر بحسب اعتقادهم الباطل فهذا ليس بمطعنٍ من مطاعن النبوة

كما إنني لا اعتقد أن المسيح حيٌّ في السماء كما ذهب بعض العلماء بذلك قديماً وحديثاً ..فقول المعترضين ما هي إلا سخافات لا قيمة ،بل ستصبح هباءاً منثوراً كما سيتقدم معنا - إن شاء الله-.

ثانياً : إن قولهم : تحلل جسده حتى تعفن ! فيه بيان مدى حقدهم وعداوتهم ، وسوء أخلاقهم وظنهم بالله ورسوله ظناً سيئاً ، وقولاً قبيحاً، وسوف يسألون يوم لا ينفع مال ولا بنون....

إن طعنهم في خير الأنام ﷺ سنة من السنن الكونية التي لا تتبدل مع الأنبياء والصالحين... قال ﷺ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ (31) (الفرقان).

وعلى كل أقول : ناقل الكفر ليس بكافرٍ ، واتساءل : أين الدليل على أن جسده ﷺ تحلل وتعفن ؟!

الجواب : لا يوجد دليل صحيح واحد على ذلك ، لا من القرآن الكريم ، ولا من سنة النبي الأمين ، ولا من أقوال الصحابة رضي الله عنهم ؛ وإنما يوجد عكس ادعائهم ، وهو ما ثبت عن النبي ﷺ لما قال : " إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ". رواه أبو داود 1047 ، وابن ماجه 1085 ، وهو في السلسلة الصحيحة 1527 للشيخ الألباني - رحمه الله -

وعليه : فالذي رد على هذه الفرية هو محمد ﷺ نفسه كما بين الحديث ؛ ليخرس ألسنتهم ... وكأن الله ﷻ أعلمه أنه سيقال عنه ذلك في يوم من الأيام ﷺ من قبل سفهاء حاقدين.....

ثالثاً : إن قولهم : لماذا نتبع محمداً الذي مات ، ونترك المسيح الحي يدل على عظم جهلهم ؛ لأنهم إن أتبعوا محمداً ﷺ لن يخسروا المسيح ﷺ ويتركوه ؛ بل سينالوا خير محمد ﷺ وحظاً كبيراً من خير المسيح ﷺ ؛ لأننا نؤمن بكل الأنبياء ، ولا نفرق بين أحدٍ منهم في الإيمان بهم....تدل على ذلك أدلة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿ لَا نَفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة 285).

2- صحيح البخاري برقم 3186 عن أبي هريرة قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ ، وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عِلَاتٍ لِّسَ بَنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ " .

3- صحيح البخاري برقم 6405 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ " .

وأما عن قولهم بشأن المسيح ﷺ أنه حيُّ أقول :إن علماء المسلمين قديما وحديثا اختلفوا في موته ؛فقديما قال بموته ابن عباس ، ومحمد بن إسحاق والإمام مالك وابن حزم ، وحديثا علماء كثر منهم : مفتي الأزهر محمود شلتوت، والأستاذ سيد قطب ،

والدكتور/ أحمد شلبي، والشيخ محمد رشيد رضا ،والشيخ محمد الغزالي،و الشيخ محمد أبو زهرة وغيرهم...

وقال الآخرون رفعه الله ﷻ إليه ولكنه سيموت كما قال هو عن نفسه ﷺ بنفسه: ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (مريم 33) .
نلاحظ: (وَيَوْمَ أَمُوتُ) !

إِذَا: على القول الآخر هو لم يمت إلى الآن، ولكن سينزل في آخر الزمان ليكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويكذب اليهود ومن اتبعهم الذين قالوا : إنهم قتلوه وصلبوه ... ثم يصلي خلف المسلمين، ويحكم بشرعة محمد ﷺ ثم يموت ويدفن كباقي البشر.... واستدلوا على ما سبق بما يلي:

1- قوله ﷺ : ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (الزخرف61) .

جاء في التفسير الميسر: وإن نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة لدليل على قرب وقوع الساعة، فلا تشكوا أنها واقعة لا محالة ، واتبعوني فيما أخبركم به عن الله تعالى، هذا طريق قويم إلى الجنة، لا اعوجاج فيه . اهـ
وقرأ ابن عباس ، وأبو هريرة وقتادة : " وإنه لعلم للساعة " بفتح اللام والعين ؛ أي: أمانة وعلامة لقربها...

2- صحيح البخاري باب (نزول عيسى ابن مريم - عليهما السلام -) برقم 3192 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدَلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ وَيَضَعِ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا " ، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَاقْرَعُوا إِنْ شِئْتُمْ : (وَأَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) (النساء159) .

وفي الحقيقية إنني مع الفريق الأول الذي قال بموت المسيح-عليه السلام-
؛فقد مات وانتهى أمره مثل أي نبي مضى قبله الرسل... وأكتفي هنا بدليل
واحد يعزز قولي وهو قوله تعالى : قوله ﷺ: " وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ
ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (145) " (آل
عمران).

نلاحظ قوله ﷺ : " قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ"، أي: سُنَّةَ اللَّهِ فِي الرُّسُلِ السَّابِقَةِ لَهُ أَنَّهُمْ
يَمُوتُونَ أَوْ يَقْتُلُونَ ، ومادام قد نفي القرآن الكريم أن المسيح ﷺ قتل فإنه قد مات، وذلك
بنص الآية الكريمة: "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ".

وبعيداً عن هذا الخلاف بين الفريقين: فالمسيح ميت لا محالة، و مآله الطبيعي
هو الموت الحتمي.... فليس هناك داعي لمثل هذه الترهات، وعلى فرض أن
المسيح حي في السماء هل يساعدك في الأرض ؟ هنا يستجيب لدعائكم
وتوسلكم له؟

الجواب: لا.

إذاً فهو ميت.

رابعاً: إن هناك أسئلة تطرح نفسها للمعترضين هي :

السؤال الأول: أليس في اعتقادهم أن المسيح عليه السلام هو الرب يسوع الذي مات على الصليب بعد أن ضرب على قفاه وغيره، وبصق في وجهه، وألبس لباساً قرمزيًا، ووضع تاج الشوك على رأسه.....؟!؟

الجواب: بلى، مات على الصليب، وضرب....

إذا: المسيح عليه السلام مات بحسب معتقدهم هم وهو إله.... فهل هناك إله يموت؟!؟

والأعجب من أن الإله مات هو أن بولس الرسول جعله ملعوناً بموته مصلوباً.... ويصرح بذلك في رسالته لغلاطية إصحاح 3 عدد ¹³ الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لَأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ».

فإن قيل: إنه قام من قبره بعد أن قُتِلَ ومات؟!؟
قلتُ: سوف نقوم جميعاً من قبورنا ونحيا حياة أبدية....

السؤال الثاني : إن يسوع المسيح بحسب عقيدة المعتضين مات وهو الإله المفترض أنه لا يموت وذلك بحسب الكتاب المقدس الذي يبين لقارئه أن الرب لا يموت أبداً كما يلي:

1- سفرُ التثنية يقول الربُّ عن نفسه: " حيُّ أنا إلى الأبد " (32 / 40).

2- 2- رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ الْأُولَى إِلَى تِيمُوثَاوُسَ 6 / 16: " الذي وحده له عدم الموت".

3- سفر إرمياء إصحاح 10 عدد 10¹⁰ أَمَّا الرَّبُّ الْإِلَهُ فَحَقٌّ. هُوَ إِلَهُ حَيٌّ وَمَلِكٌ أَبَدِيٌّ. مِنْ سُخْطِهِ تَرْتَعِدُ الْأَرْضُ ، وَلَا تَطِيقُ الْأُمَمُ غَضَبَهُ.

يبقى السؤال: أليس هذا تناقضاً وضحاً...؟! وهل الإله الذي يموت لو ساعة واحده يستحق العبادة...؟!؟

السؤال الثالث: هل العذراء مريم أم الإله - بحسب معتقدهم - وهي إله أيضاً عند البعض ، مثل : المريميين والنسطوريين وغيرهما ، العذراء مريم التي ماتت قبل ألفين سنة هل تحلل جسدها وتعفنت ؟!

وكيف تظهر لهم على الكنائس في محافظة أسيوط، وفي الوراق وغيرهما كما يزعمون؟!؟

فهل تعفنت؟!؟

الجواب : إنها تعفنت بحسب اعتقادهم هم ؛ لأن الأجساد تتحلل بعد موتها وتتعفن

وأما الظهورات المريمية ما هي إلا خداع يفعلها القساوسة كيثبتوا إيمان
النصارى

واتسأل: لماذا لم تتكلم مرة واحدة تخاطب الحاضرين ، وتخبرهم بأنها أم
الرب، أو تتلفظ بكلمة واحدة... ؟ولماذا لم تظهر في النهار.....؟!

السؤال الرابع : هل أنبياء الكتاب المقدس والقديسين ، مثل : بولس الرسول ،
ومارى جرجس ، وسانت تريزة تعفونوا في قبورهم... ؟! لا تعليق!

رد شبهة: نبيُّ بطنه انتفخت بعد موته ﷺ !

زعم المعترضون زوراً وبهتاناً أن جسدَ رسولِ الله ﷺ قد أسن، وانتفخ بعد وفاته كشأنِ سائرِ
الأجسادِ.....

واستدلوا على زعمهم بحديثين:

الأول: جاء في تاريخِ الإسلامِ للإمامِ الذهبي (ج 4 / ص 3): "عن علي بن خشرم
حدثنا وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهي، أن أبا بكر الصديق جاء
إلى النبي ﷺ بعد وفاته، فأكب عليه فقبله وقال: بأبي أنت وأمي، ما أطيب حياتك
ومماتك.

ثم قال البهي: وكان النبي ﷺ ترك يوماً وليلة حتى ربا بطنه ، وأنثنت خنصره. قال ابن خشرم: فلما حدث وكيع بهذا بمكة اجتمعت قريش وأرادوا صلبه، ونصبوا خشبة ليصلبوه، فجاء ابن عيينة، فقال لهم: الله، هذا فقيه أهل العراق وابن فقيهه، وهذا حديث معروف. قال: ولم أكن سمعته، إلا أنني أردت تخليص وكيع. قال ابن خشرم : سمعته من وكيع بعدما أرادوا صلبه. فتعجبت من جسارته. وأخبرت أن وكيعاً احتج فقال: إن عدة من الصحابة منهم عمر قالوا : إن رسول الله ﷺ لم يمت، فأحب الله أن يريهم آية الموت".

الثاني : جاء في سنن الدارمي باب (في وفاة النبي ﷺ) برقم 84 أخبرنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال : توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، فحبس بقيّة يومه وليلته والغد حتى دفن ليلة الأربعاء ، وقالوا : إن رسول الله ﷺ لم يمت ولكن عرج بروجّه كما عرج بروج موسى ، فقام عمر فقال : إن رسول الله ﷺ لم يمت ، ولكن عرج بروجّه كما عرج بروج موسى ، والله لا يموت رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي أقوام وألسنتهم. فلم يزل عمر يتكلم حتى أريد شذّاه ممّا يوعد ويقول ، فقام العباس فقال : إن رسول الله ﷺ قد مات وإنه لبشر ، وإنه يأسن كما يأسن البشر أي قوم ، فادفنوا صاحبكم فإنه أكرم على الله من أن يميته إِمَاتَتَيْن ، أيَمِيتُ أَحَدَكُمْ إِمَاتَةً وَيَمِيتُهُ إِمَاتَتَيْن وهو أكرم على الله من ذلك ؟ أي قوم فادفنوا صاحبكم ، فإن يك كما تقولون فليس بعزیز على الله أن يبحث عنه التراب ، إن رسول الله ﷺ والله ما مات حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً ، فأحلّ الحلال وحرّم الحرام ، ونكح وطلق وحارب وسالم ، ما كان راعي غنم يتبع بها صاحبها رعوس الجبال يخبط عليها العضاه بمخبطه ويمدّر حوضها بيده بأنصب ولا أداب من رسول الله ﷺ كان فيكم ، أي قوم فادفنوا صاحبكم. قال : وجعلت أم أيمن تبكي فقيل لها يا أم أيمن تبكي على رسول الله ﷺ ؟ قالت : إني والله ما أبكي على رسول الله ﷺ أن لا أكون أعلم أنه قد ذهب إلى ما هو خير له من الدنيا ، ولكني أبكي على خبر السماء انقطع. قال حماد : خنقت العبرة أيوب حين بلغها هنا.

تَكْمُنُ شَبَهَتْهُمْ فِي قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ﷺ - عَمِ النَّبِيِّ - لَمَّا قَالَ : " إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ مَاتَ وَإِنَّهُ لَبَشَرٌ ، وَإِنَّهُ يَأْسُنُ كَمَا يَأْسُنُ الْبَشَرُ أَيُّ قَوْمٍ ، فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن المسلمين لا يعبدون رسولَ الله ﷺ ، ولا يعتقدون بـإلهيته كما يعتقدُ المعترضون في المسيح عليه السلام ثم إننا لن نتبع جسده ﷺ أكان يتغير أم لا ، ويبلى بالوفاة أم لا....؟!

لأننا نؤمن أنه عبدُ رسولٍ ﷺ حفظه الله ﷻ حتى أتم رسالته ، وأكمل شريعته ، كما أننا نؤمن أن الله يحفظ أجسادَ الأنبياءِ موقنين بذلك يقيناً جازماً حازماً....

جاء في سنن ابن ماجه برقم 1627 عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ " .

تحقيق الألباني: صحيح، ابن ماجه (1085)، المشكاة (1361)، صحيح الجامع (2212) .

وهذا يكفيننا لدفع أي افتراء مثل الذي قيل ، ولكن رأيت من واجبي أن أفند ما افتراه المعترضون على رسول الله كما هو آت -إن شاء الله- .

ثانياً : إن من دلائل صدق نبوته ﷺ أن هناك علامات قبل موته تشير إلى قرب أجله ﷺ قُبِيلَ إتمام رسالته ﷺ في قمة فتوحاته وانتصاراته... ﷺ منها ما يلي :

1- سورة النصر، لما قال ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿2﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿3﴾ (النصر).

فهذه السورة فيها إشارة إلى أن رسول الله ﷺ قد أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة على أتم وجه ليقضي على الظلمة...

فعلية أن يستعد للانتقال من عالم الظالمين إلى عالم أرحم الراحمين؛ فكان رسول الله ﷺ قبل موته يكثر من قول: "سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ" ؛ ثبت ذلك في الآتي:

أ- مسند أحمد برقم 22936 قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ فِي آخِرِ أَمْرِهِ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ قَالَتْ : فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا لِي أَرَاكَ تَكْثُرُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ قَالَ: إِنَّ رَبِّي ﷻ كَانَ أَخْبَرَنِي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي ، وَأَمَرَنِي إِذَا رَأَيْتُهَا أَنْ أُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ ، وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا فَقَدْ رَأَيْتُهَا؛ { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } {

تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير داود بن أبي هند فمن رجال مسلم .

ت- المعجم الكبير للطبراني برقم 2610 عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ ، قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ " يَا جِبْرِيلُ نَفْسِي قَدْ نَعِيتُ " قَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: الْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِإِلَالَا أَنْ يُنَادِيَ بِالصَّلَاةِ جَامِعَةً ، فَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ صَعِدَ الْمُنْبَرَ ، فَحَمَدَ اللَّهَ ﷻ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَطَبَ خُطْبَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَبَكَتِ الْعُيُونُ ، ثُمَّ قَالَ : " أَيُّهَا

النَّاسُ أَيُّ نَبِيِّ كُنْتُ لَكُمْ ؟ " فَقَالُوا : جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ نَبِيِّ خَيْرًا فَلَقَدْ كُنْتُ بِنَا كَالْأَبِ الرَّحِيمِ ، وَكَالْأَخِ النَّاصِحِ الْمُشْفِقِ ، أَدَيْتَ رِسَالَاتِ اللَّهِ ﷺ وَأَبْلَغْتَنَا وَحْيَهُ ، وَدَعَوْتَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَازَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : " مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَنَا أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ وَبِحَقِّي عَلَيْكُمْ ، مَنْ كَانَتْ لَهُ قِبَلِي مَظْلَمَةٌ فَلْيَقُمْ فَلْيَقْتَصْ مِنْي " ، فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَنَاشَدَهُم الثَّانِيَةَ ، فَلَمْ يَقُمْ .

ث-

3- صحيح البخاري برقم 3615 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَقَالَ : " إِنَّ عَبْدًا خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ " ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ : فَدِينَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا فَعَجَبْنَا لَهُ وَقَالَ النَّاسُ انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ فَدِينَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ مَنْ أَمِنَ النَّاسَ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ إِلَّا خُلَّةَ الْإِسْلَامِ لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ " .

4- الكامل في التاريخ لابن الأثير (جزء 1 صفحة 356) : قال ابن مسعود ﷺ : نعى إلينا نبينا وحبينا نفسه قبل موته بشهر . فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة فنظر إلينا فشد ودمعت عيناه وقال : مرحباً بكم ، حياكم الله ، رحمكم الله ، آواكم الله ، حفظم الله ، رفعكم الله ، وفقكم الله ، سلمكم الله ، قبلكم الله ، أوصيكم بتقوى الله ، وأوصي الله بكم ، وأستخلفه عليكم ، وأؤديكم إليه ، إني لكم منه نذير وبشير ألا تعلوا على الله في عباده وبلاده ، فإنه قال لي ولكم : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين) القصص : ﷻ . قلنا : فمتى أجلك ؟ قال : دنا الفراق والمنقلب إلى الله وسدرة المنتهى والرفيق الأعلى وجنة المأوى . قلنا : من يغسلك ؟ قال : أهلي الأدنى فالأدنى . قلنا : فيم نكفئك ؟ قال : في ثيابي هذه إن شئتم أو في

بياض. قلنا: فمن يصلي عليك ؟ قال: مهلاً، غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً. فبكينا وبكى ، ثم قال: إذا غسلتموني وكفنتنموني فضعوني على سريري على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة ليصلي علي جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت مع الملائكة، ثم ادخلوا علي فوجاً فوجاً فصلوا علي ولا تؤذوني بتركية ولا رنة وليبدأ بالصلاة علي رجال أهل بيتي ثم نساؤهم ثم أنتم بعد، أقرئوا أنفسكم مني السلام ، ومن غاب من أصحاب فافرئوه مني السلام ، وما تابِعكم على ديني فافرئوه السلام.

5- قولُ النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع كما في مسند أبي يعلى الموصلي برقم 6683 قال ﷺ : " ألا إن أموالكم ودماءكم عليكم حرام كحرمة هذا البلد في هذا اليوم ، ألا فلا يعرفنكم : ترجعون بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا ليلِغ الشاهد الغائب ، فإني لا أدري هل ألقاكم هذا أبدا بعد اليوم ، اللهم اشهد عليهم ، اللهم بلغت " .

5- صحيح البخاري برقم 3353 عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: أَقْبَلْتُ فَاطِمَةَ تَمْشِي كَأَن مَشْيَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْحَبًا بِابْنَتِي ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ أَسْرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ فَقُلْتُ لَهَا لِمَ تَبْكِينَ ثُمَّ أَسْرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكْتُ فَقُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرِحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَتْ مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ أَسْرَّ إِلَيَّ إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي فَبَكَيْتُ فَقَالَ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ . وقد ماتت - رضي الله عنها - بعد موته ﷺ بستة أشهر

6- صحيح الجامع برقم 13840 قال ﷺ : " يا أيها الناس ! خذوا عني مناسككم فإني

7- لا أدري لعلني لا أحج بعد عامي هذا " . وحدث ما قاله ﷺ

8- مسند أحمد برقم 21040 عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ خَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوصِيهِ وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا أَوْ لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا أَوْ قَبْرِي فَبَكَى مُعَاذٌ جَشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ التَفَتَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا.

تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح .

ثالثاً : إِنَّ قول العباس بن عبد المطلب ﷺ : " إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ مَاتَ وَإِنَّهُ لِبَشَرٌ ، وَإِنَّهُ يَأْسُنُ كَمَا يَأْسُنُ الْبَشَرُ أَيُّ قَوْمٍ ، فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ " ليس إخباراً منه عن أمر قد وقع بالفعل ؛ وإنما هو اجتهادٌ منه ﷺ أخطأ فيه.... فالمحتملُ أنه لم يسمع حديثَ النَّبِيِّ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ فَنَبِيُّ اللَّهِ حَيٌّ يُرْزَقُ " .

تحقيق الألباني: صحيح، ابن ماجه (1085)، المشكاة (1361)، صحيح الجامع (2212).

فكلُّ ما هنالك أنه ﷺ ظنَّ أن جسدَ رسولِ الله ﷺ سيسرى عليه ما يسرى على سائرِ الأجسادِ بعد الموتِ ، ،وقد قال هذه المقولة ترهيباً، وتنبيهاً لعمر ﷺ الذي رفض مصيبة موتِ النبي ﷺ ، فقد صرخ ﷺ من هول المصيبة متوعداً كل من يقول: إن رسولَ الله ﷺ قد مات

فالرواية التي معنا فيها بيان ذلك كما يلي: " فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ حَتَّى أَزِيدَ شِدْقَاهُ مِمَّا يُوعَدُ وَيَقُولُ ، فَقَامَ الْعَبَّاسُ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ مَاتَ وَإِنَّهُ لَبَشَّرَ ، وَإِنَّهُ يَأْسُنُ كَمَا يَأْسُنُ الْبَشَرُ أَيْ قَوْمٌ ، فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ فَإِنَّهُ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يُمِيتَهُ إِمَاتَتَيْنِ ، أَيْمِيتُ أَحَدَكُمْ إِمَاتَةً وَيُمِيتُهُ إِمَاتَتَيْنِ وَهُوَ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ؟ أَيْ قَوْمٌ فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ ، فَإِنْ يَكُ كَمَا تَقُولُونَ فَلَيْسَ بِعَزِيزٍ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَبْحَثَ عَنْهُ الثَّرَابُ " .

فالملاحظ : أن جسد النبي لم يأسن ؛ وإنما طالب العباس ﷺ بدفن الجسد الشريف إكراماً له ، و ترهيباً لكل تركه حتى يأسن اعتقاداً منه أن ذلك محتملاً مع النبي ﷺ بحكم طبيعة البشرية...

كما أن هذا الحديث لم يصح إسناده كما يلي : " أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ عِكْرِمَةَ " .

فالحديث مرسلٌ منقطعُ السند لا يصح ؛ فعكرمة من التابعين يروي عن النبي ﷺ .

وعليه: فكانت إجابتي على الشبهة بفرض صحة الحديث مع كونه لا يصح....

رابعاً : أما عن حديث وكيع عن عبد الله البهي الذي فيه أن جسد رسول ﷺ قد ترك يوماً و ليلة حتى ربا بطنه... .. حديثٌ منكرٌ لا يصح؛ فهذا الخبر في إسناده علتان:

الأولى: الإرسال؛ فقد رواه عبد الله البهي - وهو تابعي - حكمه مرسلًا

الثانية: ضعف عبد الله البهي.

يدعم ما سبق : ما قاله الإمام الذهبي - رحمه الله - :

{ الراوي: عبد الله البهي مولى مصعب بن الزبير - خلاصة الدرجة : منكر منقطع
الإسناد - المحدث: الذهبي - المصدر: سير أعلام النبلاء - الصفحة أو الرقم
160/9. }

فهو حديث منكر منقطع لا حجة به ولا يلتفت إليه ...

ثم إن العلماء في زمن وكيع نفسه أنكروا عليه هذا الحديث حتى أن سفيان بن عيينة
العالم الوحيد الذي شهد للحديث بحسب الرواية أخبر أنه لا يعلم هذا الحديث أساساً
، ولكنه شهد له دفعاً للضرر الأكبر الذي كاد أن يفتك بوكيع لتحديثه بهذا الخبر المنكر؛
فهذا هو الملاحظ من الرواية ففيها :

قال ابن خشرم: فلما حدث وكيع بهذا بمكة اجتمعت قريش، وأرادوا صلب وكيع ونصبوا
خشبة لصلبه فجاء سفيان بن عيينة فقال لهم: الله الله هذا فقيه أهل العراق وابن فقيهه
، وهذا حديث معروف

قال سفيان بن عيينة: ولم أكن سمعته إلا أني أردت تخلص وكيع . اهـ

ويقول الإمام الذهبي : " فَهَذِهِ زَلَّةٌ عَالِمٌ ، فَمَا لَوَكَيْعٍ ، وَلِرِوَايَةِ هَذَا الْخَبَرِ الْمُنْكَرِ ، الْمُنْقَطِعِ
الْإِسْنَادِ كَادَتْ نَفْسُهُ أَنْ تَذْهَبَ غَلْطاً... " . اهـ

فإن قيل : لماذا كان وكيع يحدث بهذه الرواية ؟!

قلت: لعله حين روى هذا الخبر رأى أن هناك حكمة إلهية هي أن الله ﷻ جعل الجسد
الشريف يربوا حتى لا يفتتن الناس به ﷻ وينزلوه ﷻ غير منزلته، و حتى يثبت
للمكذابين بموت النبي ﷻ حقيقة وقوع موته ﷻ هذا على فرض صحة الرواية،
وهي لا تصح...

وبالتالي: فإن المعترضين يستدلون بخبرٍ مكذوبٍ، و منكرٍ ، لا يقام به الحجة البتة، وعلى ما سبق يسقط افتراءهم - بفضلِ الله ﷻ - .

خامساً: إن المفاجأة التي قد تصيب المعترضين بخيبة الأمل والحسرة.... هي أن الأخبار الصحيحة التي ثبتت بخصوص وفاة النبي ﷺ أثبتت الكرامات له ، ودلت على صدق نبوته ﷺ... كما يلي :

أولاً:- تغسيل جسده ﷺ: ثبت في سنن أبي داود برقم 2733 عن عائشة قالت : لَمَّا أَرَادُوا غَسْلَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا :وَاللَّهِ مَا نَدْرِي أَنْجَرِدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِدُ مَوْتَانَا أَمْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ التَّوَمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لَا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ أَنْ اغْسِلُوا النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ يَصُبُّونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ وَيَدُلُّكَوْنَهُ بِالْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: " لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَلَهُ إِلَّا نِسَاؤُهُ ". تحقيق الألباني : حسن الأحكام (49).

ثانياً: حالة جسده ﷺ : ثبت عند الحاكم في المستدرک برقم 4370 عن عليّ ﷺ قال : " غسَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيِّتِ فَلَمْ أَرْ شَيْئاً، وَكَانَ طَبِيباً حَيّاً وَمَيِّتاً ﷺ ". « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ».

تحقيق الألباني: صحيح، تلخيص أحكام الجنائز (ج 1/ص 30).

فهذا هو النبي ﷺ لم يدفن ثلاثة أيامٍ ثم لما حانت ساعة تغسيله ، أنزل اللهُ النعاسَ على صحابته ، و سمعوا صوتاً يأمرهم أن يغسلوا رسولَ الله ﷺ في ثيابه دون أن يكشفوا عنه

إكراماً وتوقيراً له ﷺ ، ثم يتولى عليُّ بنُ أبي طالب تدليك جسده الشريف ﷺ ؛ فلا يجد منه ما يجد من الميت بل يجد كل طيبٍ من أطيبِ الطيبين ﷺ ...

سادساً: إن المسلمين يعتقدون أن الله ﷻ لم يُقدِّر لأحدٍ الخلد ، فقد قضت مشيئته الموتَ على كل مخلوقاته بما فيهم الأنبياء ، والملائكة المقربين إلا وجهه الكريم ... أدلة ذلك ما يلي :

1- قوله ﷻ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) ﴾ (الرحمن).

2- قوله ﷻ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ (الأنبياء 34) .

ومن خلال النظرِ إلى الكتابِ المقدسِ نجد أن من الأنبياءِ من حُرِّقَ ، و قُتِلَ ، ومُزِقَ كل ممزقٍ ، مثل زكريا و يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) الذي يقول عنه المسيحُ في إنجيلِ لوقا إصحاح 7 عدد²⁸ "لَأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ لَيْسَ نَبِيٌّ أَكْبَرُ مِنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ" .

فقد قُتِلَ ، وقُطِعَ رأسُه الشريف ، ووضع بين يدي داعرة تُدعى سالومي ، وهذا بنصِ الكتابِ المقدسِ فهل يعنى هذا أنه ليس نبياً مكرماً...؟!

والأعجبُ من ذلك أن معتقدَ المعترضين هو أن الإلهَ نفسه قد صُلبَ ومات ؛ بل وظلت يداه مثقوبتان بعد قيامته في حين أنهم ينسبون لإنسان (أخنوخ النبي) أنه لم يذق

الموت ، وذلك في سفر التكوين إصحاح 5 عدد24"وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللَّهِ، وَلَمْ يُوْجَدْ لَأَنَّ اللَّهَ أَخَذَهُ".

وينسبون ذلك أيضاً إلى إيليا النبي ، وذلك في سفر الملوك الثاني إصحاح 2 عدد¹¹وَفِيمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَيَتَكَلَّمَانِ إِذَا مَرَكَبَةٌ مِنْ نَارٍ وَخَيْلٌ مِنْ نَارٍ فَصَلَّتْ بَيْنَهُمَا، فَصَعِدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ. لَا تَعْلِقُ!

رد شبهة: نبي جاء بآية تقول:

(لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ) ﷺ !

ادعوا أن رسول الله ﷺ كان يلغي عقول أصحابه قائلين: هل يحول الإسلامُ تابعيه إلى كائناتٍ مغيبيةِ العقولِ، لا تفكر في ما تسمع؟! كان الرسولُ يأمرهم بعدمِ السؤالِ عن أي شيءٍ ، وعليهم أن ينفذوا أوامره دون أن يسألوه (و هم مغمضون العيون)!!

تعلقوا على ذلك بقول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (المائدة 101).

الرد على الشبهة

أولاً: إن ادعاءهم بأن رسول الله ﷺ كان يلغي عقول أصحابه...

قائلين: هل يحول الإسلامُ تابعيه إلى كائنات مغَيَّبة العقول، لا تفكر فيما تسمع؟! ادعاء باطل وفرية سخيفة لا دليل عليها؛ لأنَّ الثابتَ ضد ادعائهم، فقد جاءت الآياتُ كثيرة في كتاب الله ﷻ تقول: " أفلا يعقلون " ... فمنها على سبيل المثال ما يلي :

1- أن الله ﷻ ذم المنافقين في كتابه المجيد ووصفهم بأنهم لا يعقلون، وذلك من قوله ﷻ : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (المائدة58) .

2- أن الله ﷻ بين أن شر الدواب عنده الذين لا يعقلون؛ قال ﷻ : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الأنفال22) .

3- قوله ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (يونس100) .

جاء في تفسير الجلالين : { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } بإرادته { وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ } العذاب { عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } يتدبرون آيات الله . اهـ

4- أن الله ﷻ حكى لنا عن حال أصحاب النار بأنهم ما كانوا يعقلون الحقائق قائلاً: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الملك10) .

جاء في تفسير الجلالين : { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ } أي : سماع تفهم { أَوْ نَعْقِلُ } أي عقل تفكر { مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } . اهـ

4- أن الله ﷻ مدح المؤمنين بأنهم يتفكرون ؛ قال ﷻ : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران191) .

5- أن الله ﷻ دعا عباده إلى عبادة التفكير ... وذلك في الآتي :

أ- قوله ﷺ : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر 21) .

ب- قوله ﷺ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم 21) .

ج- قوله ﷺ : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ (8) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (9) (الروم) .

7- أن الله ﷻ وصف المنافقين بأنهم لا يفقهون؛ قال ﷺ : ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (التوبة 127) .

وقال ﷺ عنهم : ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُتِفِقُوا عَلَىٰ مَن عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلَئِهِ خَازِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (المنافقون 7) .

فالآيات التي تحت على التعقل والتدبر والتفكر ما أكثرها في كتاب الله ﷻ ، وقد بوب البخاري - رحمه الله - باباً بعنوان : بَابُ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ { فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَثُوا الْعِلْمَ مِنْ أَخْذِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ :

{ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } وَقَالَ : { وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ } { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } ، وَقَالَ { هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا

يَعْلَمُونَ } ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ ،
وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ لَوْ وَضَعْتُمُ الصَّمَامَةَ عَلَى هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أَنْفَذْتُ كَلِمَةً
سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ لَأَنْفَذْتُهَا ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: { كُونُوا رَبَّانِيِّينَ }
حُلَمَاءُ فَقَهَاءُ ، وَيُقَالُ الرَّبَّانِيُّ: الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ. اهـ

وبين النبي ﷺ أن الله ﷻ رفع الحساب عن المغلوب على عقله ... وذلك في الحديث الذي
رواه أبو داود في سننه برقم 3825 عَنْ عَلِيٍّ ؓ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ
ثَلَاثَةٍ عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ ، وَعَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ " .
صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم 4403.

الأخص وأضيف على ما سبق بالآتي: إن العقل في الإسلام له أهمية كبيرة ؛ تكمن أهميته
في عدة أمورٍ منها:

- 1 - أنه شرط التكليف ، فمن شروط التكليف بالأوامر وترك النواهي أن يكون المكلف عاقلًا .
- 2 - أن العقل هو إحدى الضرورات الخمس التي جاءت الشريعة بحفظها والاهتمام بها، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، ومن تشريعات حفظ العقل في الإسلام تحريم شرب الخمر والمخدرات.
- 3 - أن استعمال الإنسان لعقله استعمالاً صحيحاً يجعله يفهم الآيات والأحاديث على وجهها الصحيح ، وإذا كان كافراً فإن الله ﷻ جعل في دينه من الحجج والبراهين ما لا يخفى على عاقل ، لكن من لم يستخدم عقله لم ينتفع بهذه الحجج والبراهين ، لذا سيندم هؤلاء يوم القيامة وسيتمنون لو أنهم استخدموا عقولهم على وجهها الصحيح؛ قال ﷻ: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (10) فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ

﴿ 11 ﴾ (الملك). وليس في الإسلام شيءٌ يخالفُ العقلَ الصريح، بل العقل موافق لما جاء في الشرع، وإنما ضلَّ أقوامٌ حَكَمُوا عقولهم هم في نصوصِ الشرع فضلوا وأضلوا، أما من استعمل عقله ليفهم ما جاء من نصوص وفق إذا كان من أهلِ الدرایة.

ثانياً: إن الرد على فريتهم التي تقول: كان يأمرهم ﷺ بعدم السؤال عن أي شيء، وعليهم أن ينفذوا أوامره دون أن يسألوه (و هم مغمضون العيون) ! واستدلّاهم بقول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُونَ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (المائدة 101). استدلال في غير محلة ، لا يخدم مصالحهم بحالٍ من الأحوال كما سيتقدم معنا - إن شاء الله ﷻ - .

وَأَسْأَلُ : هل قرؤوا تفسير، وسبب نزول الآية الكريمة كي يعوا معناها... ؟!
الجواب: من الواضح أنهم لم يقرؤوا جيداً ، هذا إن أحسنت بهم الظن ، التفاسير تقول بغير ادعائهم كما يلي :

1- قال ابن كثير - رحمه الله- في تفسيره : قال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُونَ ﴾ هذا تأديب من الله ﷻ لعباده المؤمنين، ونهي لهم عن أن يسألوا ﴿ عَنْ أَشْيَاءٍ ﴾ مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها ؛ لأنها إن أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءتهم وشق عليهم سماعها كما جاء في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: "لا يُبلّغي أحد عن أحد شيئاً، إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر". اهـ

2- قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - في تفسيره: القول في تأويل قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾

قال أبو جعفر: ذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ بسبب مسائل كان يسألها إياه أقوام، امتحاناً له أحياناً، واستهزاءً أحياناً. فيقول له بعضهم: "من أبي؟" ويقول له بعضهم إذا ضلت ناقتة: "أين ناقتي؟" فقال لهم تعالى ذكره: لا تسألوا عن أشياء من ذلك كمسألة عبد الله بن حذافة إياه من أبوه "إن تبد لكم تسؤكم"، يقول: إن أبدينا لكم حقيقة ما تسألون عنه، ساءكم إبدؤها وإظهارها. وبنحو الذي قلنا في ذلك تظاهرت الأخبار عن أصحاب رسول الله ﷺ.

ذكر الرواية بذلك: حدثنا أبو كريب قال : حدثنا حفص بن بُغَيْل قال : حدثنا زهير بن معاوية قال : حدثنا أبو الجويرية قال : قال ابنُ عباسٍ لأعرابيٍّ من بني سليم : هل تدري فيما أنزلت هذه الآية : " يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم " ؟ حتى فرغ من الآية ، فقال : كان قوم يسألون رسولَ الله ﷺ استهزاءً ، فيقول الرجل : " من أبي؟ " والرجل تضل ناقتة فيقول: " أين ناقتي " ؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية . اهـ

إذاً: يتضح من خلال قراءة التفسير، وأسباب النزول أن أحدهم كان يسأل النبي ﷺ أسئلة ليست لها فائدة ولا قيمة، وبعضهم يسأله ﷺ على سبيل الامتحان لنبوته ، وأحياناً على سبيل الاستهزاء والسخرية

فأنزل الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (المائدة : 101).

وبالتالي يتضح للقارئ أن ليس في الآية الكريمة ما ادعا المعترضون...

ثم إن الناظر في كتاب الله ﷻ يجد أن النبي ﷺ سُئل عن عدة أمور وكان يجيب عليها ﷺ منها:

1- اليهودُ سألوا النبي ﷺ عن الروح فأجابهم بقوله ﷺ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء 85) .

2- سألوه عن ذي القرنين فأجابهم بقوله ﷺ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ (الكهف 83) .

6- سألته الصحابةُ ﷺ عن أحكام الحيض فأجابهم؛ قال ﷺ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة 222)

7- سألته الصحابةُ ﷺ عن الإنفاقِ فأجابهم؛ قال ﷺ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة 215) .

8- سألته الصحابةُ ﷺ عن شرب الخمر والميسر فأجابهم؛ قال ﷺ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَاعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة 219) .

والناظر في السنة يجد أمثلة لا تحصى في ذلك الأمر ، وأكتفي بذكر حديث واحد في صحيح مسلم برقم 3982 عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ قَالَ : لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي فَقَالُوا : إِنَّكُمْ تَقْرَعُونَ يَا أُخْتَ هَارُونَ وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : " إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ " .

إذا: كان النبي ﷺ هو المعلم والمربي يُسأل فيجيب من سألته ، ويعين على نوائب الحق ﷺ

....

وعليه: تسقط شبهتهم التي هي أوهن من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون - بفضل الله ﷻ .-

ثالثاً: بعد أن بينتُ بفضلِ الله ﷻ أن الله ﷻ كرمَ الإنسانَ بنعمةِ العقلِ، فجعلَ العقلَ مناطَ التكليفِ، ووصفَ الكافرينَ والمنافقينَ بأنهم لا يعقلون.... نجد في الكتاب المقدس نقيضُ ذلك؛ فالإنسان فيه لا عقلَ له فهو عديم الفهم كالجحش، وبالتالي لا ينبغي له أن يسأل؛ لأنه إن سأل لا يفهم الإجابة....

وذلك بحسب ما جاء في سفر أيوب إصحاح 11 عدد¹² أَمَّا الرَّجُلُ فَفَارِغٌ عَدِيمُ الْفَهْمِ، وَكَجَحَشٍ الْفَرَا يُولَدُ الْإِنْسَانُ!

ونقرأ أيضاً ما قاله كاتبُ سفر الجامعة في الإصحاح 3 عدد¹⁸ قُلْتُ فِي قَلْبِي: «مِنْ جِهَةِ أُمُورِ بَنِي الْبَشَرِ، إِنَّ اللَّهَ يَمْتَحِنُهُمْ لِيَرِيَهُمْ أَنَّهُ كَمَا الْبَهِيمَةِ هَكَذَا هُمْ». ¹⁹لَأَنَّ مَا يَحْدُثُ لِبَنِي الْبَشَرِ يَحْدُثُ لِلْبَهِيمَةِ، وَحَادِثَةٌ وَاحِدَةٌ لَهُمْ. مَوْتُ هَذَا كَمَوْتِ ذَلِكَ، وَنَسَمَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْكُلِّ. فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مَزِيَّةٌ عَلَى الْبَهِيمَةِ، لَأَنَّ كُلَّيْهِمَا بَاطِلٌ. ²⁰يَذْهَبُ كِلَاهُمَا إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ. كَانَ كِلَاهُمَا مِنَ الثَّرَابِ، وَإِلَى الثَّرَابِ يَعُودُ كِلَاهُمَا.

نلاحظ من النص: أن الإنسان ليس له مزيةٌ على البهيمة ؛ فالإنسان كالبهيمة بحسب نص الكتاب المقدس!

قلتُ: لقد كرم القرآن الكريم الإنسان لما قال فيه ﷺ : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: 70).

رد شبهة: هل اسم نبي الإسلام أحمد أم محمد ﷺ !؟

سألوا عن اسم النَّبِيِّ ﷺ هل هو أحمد أم محمد ؟
فأجاب أخ من المسلمين البسطاء في العلم قائلاً : هو محمد .
فقالوا : إذا ليس هو بشري عيسى الذي بشر به في القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الصف: 6) .

فكرروا السؤال عليه مرة تلو المرة هل هو أحمد أم محمد... !؟

الرد على الشبهة

أولاً: إن المسلمين يعتقدون أن من أسماء النَّبِيِّ ﷺ أحمد، ومحمد... فهو القائل ذلك بنفسه ﷺ عن نفسه ثبت ذلك في الآتي :

2- صحيح البخاري كتاب (المناقب) باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، وقول الله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ} ، وقوله { مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ } برقم 3268 عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لِي

خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ وَأَنَا الْحَاشِرُ
الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي وَأَنَا الْعَاقِبُ ."

3- صحيح مسلم كتاب (الفضائل) باب (في أسمائه ﷺ) برقم 4342 عَنْ جُبَيْرِ بْنِ
مُطْعَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو بِي الْكُفْرَ
وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ
." .

إِذَا مِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ أَتَضَحُّ لَنَا: أَنْ مِنْ أَسْمَاءِ نَبِيِّنَا ﷺ أَحْمَدُ ، وَمُحَمَّدٌ...

إن قال قائل: أريد آية من القرآن تذكر اسم محمد ﷺ بأنه رسول من عند الله كما كان من
اسم أحمد في آية البشارة ؟

قلت: إن هناك عدة آيات تثبت ذلك منها:

1- قوله ﷺ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ
عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران 144) .

4- قوله ﷺ : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ
اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب 40) .

5- قوله ﷺ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح 29) .

وعليه : فلا شبهة عندنا - بفضل الله ﷻ -.

ثانياً : شاع بين الناس أن من أسماء النبي ﷺ طه ، ويس فالصحيح أنها ليست من أسماء النبي ﷺ وما هي إلا من الكلمات ذات الأحرف المتقطعة التي ذكرها الله ﷻ في كتابه المجيد، والتي لو قمنا بجمعها لكانت في جملة: " نصٌ حكيمٌ قاطعٌ له سر " .
وقد قال عليٌّ ؓ عنها: " إن لكل كتاب سر، وسر القرآن هذه الكلمات... " .
وأما المُرْمَلُ ، والمدثر فهي ليست من أسماء النبي ﷺ أيضاً ؛ وإنما هي وصف لحال النبي ﷺ ؛ أدلتي على ذلك جاءت في التالي :

- 1- تفسير الجلالين : { يا أيها المزمَل } النبي ﷺ وأصله المزمَل أدغمت التاء في الزاي ، أي: المتلف بثيابه حين مجيء الوحي له خوفاً منه لهيبته . اهـ
- 2- التفسير الميسر: يا أيها المتغطي بثيابه. اهـ
- 2- تفسير الجلالين : { يا أيها المدثر } النبي ﷺ وأصله المدثر أدغمت التاء في الدال ، أي: المتلف بثيابه عند نزول الوحي عليه . اهـ

وأما أسماؤوه ﷺ هي التي ذكرها هو بنفسه ﷺ كما سبق معنا بيانها في الحديث الذي يقول ﷺ فيه : " أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمَحِّي بِي الْكُفْرَ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي وَأَنَا الْعَاقِبُ " . وَالْعَاقِبُ : الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِي .

وفي صحيح مسلم برقم 4344 عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَقَالَ : " أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفِّي وَالْحَاشِرُ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ " .

قال النووي - رحمه الله - في شرحه : قَوْلُهُ : (وَالْمُقَفِّي وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ) : وَأَمَّا (الْمُقَفِّي) فَقَالَ شَمْرٌ : هُوَ بِمَعْنَى الْعَاقِبِ ، وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : هُوَ الْمُتَّبِعُ لِلْأَنْبِيَاءِ . يُقَالُ : قَفَوْتَهُ أَقْفُوهُ ، وَقَفَيْتَهُ أَقْفِيهِ إِذَا اتَّبَعْتَهُ . وَقَافِيَةُ كُلِّ شَيْءٍ آخِرُهُ . وَأَمَّا (نَبِيُّ التَّوْبَةِ ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ) ، وَنَبِيُّ الْمَرْحَمَةِ فَمَعْنَاهَا مُتَقَارِبٌ ، وَمَقْصُودُهَا أَنَّهُ ﷺ جَاءَ بِالتَّوْبَةِ وَبِالْتَّرَاحُمِ . قَالَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ رَحِمَاءَ بَيْنَهُمْ ﴾ . ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ (نَبِيُّ الْمَلَا حِم) لِأَنَّهُ ﷺ بُعِثَ بِالْقِتَالِ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى هَذِهِ الْأَسْمَاءِ مَعَ أَنَّهُ لَهُ ﷺ أَسْمَاءُ غَيْرُهَا كَمَا سَبَقَ لِأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَمَوْجُودَةٌ لِلْأُمَمِ السَّالِفَةِ . اهـ

رد شبهة: إنكم تشركون بمحمد ﷺ ... !

قالوا: إن المسلمين يشركون مع الله، ويجعلون معه إلهاً اسمه محمد.... دائماً نجد أنهم يجعلونه مقروناً بالله من خلال الحرف الشركي وهو الواو....
استشهدوا على ذلك بما جاء في الآتي :

1- قوله ﷺ : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (132) ﴾ (آل عمران).

2- قوله ﷺ : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69) ﴾ (النساء).

3- قوله ﷺ : ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (27) ﴾ (الأنفال).

4- صحيح البخاري برقم 7 عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : " شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذه شبهة تافهة ترددت في أن أرد عليها - ولكنها للأسف أثيرت- وكان منهجي في هذا الكتاب هو جمع كل الشبهات التي وجدتتها أثيرت حول النبي ﷺ ...

وعلى كل فإن الرد على هذه الشبهة التافهة يكون من وجهين:

الوجه الأول: أن القرآن الكريم والسنة أخبرتنا أن محمداً ﷺ رسول الله، وليس إلهاً أو شريك له... تدلل على ذلك أدلة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144) ﴾ (آل عمران).

2- قوله ﷺ : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40) ﴾ (الأحزاب).

3- قوله ﷺ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29) ﴾ (الفتح).

4- صحيح البخاري برقم 3271 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِنْ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ : " هَلَا وَضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ ! " . قَالَ : " فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ " .

5- سنن ابن ماجه برقم 3303 عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ : " أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ فَجَعَلَ تُرْعِدُ فَرَأَيْتُهُ فَقَالَ لَهُ هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ " .

6- الدليل الذي استشهدوا به فيه أن محمداً رسول الله، وليس إلهاً وهو في صحيح البخاري برقم 7 عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ " .

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل قال النبي ﷺ يوماً إنه إله أو أنه مساوي للإله...؟!

الجواب: حاشاه ﷺ وما سبق ينفي ذلك...

الوجه الثاني: أن حرف العطف (الواو) يقتضي المغايرة، ولا يقتضي الشرك إلا في مواضع معينة تُعرف من السياق، مثل: (اعتمدت على الله وعليك) والصحيح (اعتمدت على الله ثم عليك)!

إذاً: حرف العطف يقتضي المغايرة في الأصل لا الشرك، مثال ذلك: (ذهب أحمد وإسماعيل إلى المسجد) فالظاهر لنا أن أحمد غير إسماعيل... والسؤال: هل أحمد هو إسماعيل أم أنها شخصان مختلفان...؟ هذا هو

فحينما يقول الله ﷻ : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (132)﴾ (آل عمران).

هل معنى ذلك أن الله تساوى مع الرسول ﷺ أم أنهما يختلفان؛ لأن حرف العطف يقتضي المغايرة...؟

إذا معنى الآية هو: أيها المسلمون أطيعوا أمر الله ﷻ وأطيعوا أمر رسولكم ﷺ أيضاً.

إن قيل : لما ذا يذكر اسم النبي ﷺ بجانب الله ﷻ كثيراً ؟!

قلتُ: لأنه ﷺ أحب الخلق إلى الله ﷻ فهو حبيب الله ... أوجب الله ﷻ علينا حبه؛
فيذكر اسمه كل يوم ﷺ خمس مرات مع الأذان... قال حسان بن ثابت ؓ:

وَضُمَ إِلَهِ اسْمِ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ *** إذا قال في الخمس المؤذن أشهد.

وشق له من اسمه ليجله *** فذو العرش محمودٌ وهذا محمد.

ثانياً : إن إنجيل يوحنا ذكر لنا صيغة مثل الصيغة التي أتى بها المعارضون فهي تبطل
وشبهتهم ومعتقدهم أيضاً ، وذلك في الاصحاح 17 عدد 3 وهذه هي الحياة الأبدية: أَنْ
يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَّكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ.

وبالتالي فمعنى النص هو: أن طريق الحياة الحقيقية هو أن تؤمن بأن لا اله إلا الله ،
وان يسوع رسول الله ...

النص نفس ما قالوا في شبهتهم: " شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ " .

أقول لكل معترض يثير تلك الشبهة : كما قال أبو الأسود الدؤالي :

" لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله *** عار عليك إذا فعلت عظيم " .

وأقول له أيضاً: كما نُسب إلى يسوع المسيح في إنجيل متى إصحاح 7 عدد³ لِمَاذَا تَنْظُرُ
الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلَا تَفْطَنُ لَهَا؟⁴ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ
لَأَخِيكَ: دَعْنِي أَخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ ، وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ؟⁵ يَا مُرَائِي، أَخْرِجْ أَوَّلًا الْخَشَبَةَ
مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تَبْصُرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ!

رد شبهة: نبي أرتد أصحابه بعد موته... !

من الشبهات التي يتناقلها المنصرون عن الشيعة الإمامية (الرافضة) أنهم قالوا :إن
أصحاب محمد رسول الإسلام كفروا بعد موته إلا سبعة على أقصى تقدير منهم :علي ،
وسلمان ، وأبو ذر ، والمقداد، وعمار....

مستدلين على ذلك بقوله ﷺ : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ
أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ (144)﴾ (آل عمران).

الرد على الشبهة

أولاً: إن عنوان الشبهة باطلٌ من أساسه لوجهين:

الوجه الأول: أن الوحي انتهى بموت النبي ﷺ فهذه الآية ما نزلت بعد وفاته كما يظن
المعترضون الجاهلون....

وعليه: يصبح العنوان: (نبي أرتد أصحابه بعد موته) باطل لا أساس له إلا في عقول مريضة....

الوجه الثاني : أن للآية سبب نزول لا يتعلق بتلك الشبهة الواهية ؛ فكلُّ ما في الأمر أن الآية الكريمة تحكي موقفاً حدث في غزوةٍ أحدٍ وهو: أشيع أن النبي ﷺ قتل في المعركة فإذا بيعض الصحابة تصيبهم حالة من الذهول ويتوقفون عن القتال، ويتركون المعركة... وهذا هو المقصود بقوله تعالى: ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ أي: تركتم القتال ووليتم الأدبار...

وقد عاتبهم ربهم في موقف آخر قائلاً ﷺ : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (148)﴾ (آل عمران).

وأما الفريق الثاني قال: موتوا على ما مات على رسول الله ﷺ وهذا المراد من قوله ﷺ: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

دليل ذلك هو ما جاء في تفسير ابن كثير: " لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد، وقُتل من قتل منهم، نادى الشيطان: ألا إن محمداً قد قُتل. ورجع ابن قميئة إلى المشركين فقال لهم : قتلتم محمداً. وإنما كان قد ضرب رسول الله ﷺ فشجّه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس

واعتقدوا أن رسول الله قد قُتل، وجوزوا عليه ذلك، كما قد قصَّ الله عن كثير من الأنبياء، عليهم السلام، فحصل وهن وضعف وتأخر عن القتال ففي ذلك أنزل الله -

عز وجل - على رسوله ﷺ : { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ } أي: له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه

قال ابن أبي نجيح، عن أبيه، أن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشطح في دمه، فقال له : يا فلان أشعرت أن محمداً ﷺ قد قُتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد ﷺ قد قُتل فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم، فنزل: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ } رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة .

ثم قال تعالى منكر على من حصل له ضعف: { أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ } أي: رجعتم القهقري { وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } أي : الذين قاموا بطاعته وقاتلوا عن دينه، واتبعوا رسوله حياً وميتاً. اهـ

ثانياً: إن الشيعة الأمامية يعتقدون أن أبا بكر، وعمر، وعثمان... كفروا بعد موت النبي ﷺ
...

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو: من الذي حارب المرتدين بعد وفاة النبي ﷺ الذين امتنعوا عن أداة الزكاة وأعلن عليهم حروب الردة وسماهم بالمرتدين، أليس هو أبو بكر وأصحابه؟!
الجواب: بلي.

إذا كنت أتمنى أن لا يردد المنصرون كلاماً كالبيغاوات العجماوات... وأن يكونوا منصفين صادقين في بحثهم، وعرضهم..... ولكن هذا ما عاهدناه من تدليسهم، وكذبهم، وجهلهم....

ثالثاً : إن الاعتراض الحقيقي هو عند المنصرين المعترضين فأناجيلهم ذكرت أن أصحاب يسوع المسيح أنكره ، وباعوه ، وتركوه
أنكره بطرس ثلاث مرات ، وباعه يهوذا بثلاثين من الفضة ، وعند القبض عليه تركه الجميع وهربوا....

وأخيراً : أقول لكل واحد منهم كما قال أبو الأسود الدؤالي :
" لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله * * * * عارٌ عليك إذا فعلت عظيم "

وأقول له أيضاً كما نُسب إلى يسوع المسيح في إنجيل متى إصحاح 7 عدد³ لَمَّاذَا تَنْتَظِرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَمَا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلَا تَقْطُنْ لَهَا؟⁴ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لِأَخِيكَ: دَعْنِي أَخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ، وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ؟⁵ يَا مُرَائِي، أَخْرِجْ أَوَّلًا الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تَبْصُرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ.

رد شبهة: نبي الإسلام أخبر أن الإسلام سينكمش، ويختفي... !

قال كبيرهم على فضائيته قبل شلحه منها ... هذا حديثٌ خطيرٌ ... ثم ادعا أنه لا يفسر من تلقاء نفسه ولا يفتي... فقال: إنَّ الإسلام سوف ينكمش، ولا يبقى له أثر...

جاء في صحيح البخاري كتاب (الْحَجَّ) بَاب (الْإِيمَانُ يَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ) 1743 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا " .

ثم فسر من تلقاء نفسه قائلاً : إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ يَزَارُ أَي: ينكمش كما تنكمش الحية إلى جحرها.... وأردفها قائلاً: الوادع للإسلام لقد اقتربت نهايته...

الرد على الافتراء

إن المعارض كاذب في كل ما قاله بغيّة محاربة الإسلام بكذبه المعهود...
فدليل كذبه ودفع الافتراء يكون ثلاثة من أوجه :

الوجه الأول: أنه قال إنه لا يفسر من تلقاء نفسه، ولا يفتي من نفسه بل من كتب التراث ينقل... وهذا كذب واضح؛ لأنه فسر من نفسه... وسيظهر ذلك بعد الاضطلاع على كتب التراث -إن شاء الله-...

الوجه الثاني: إن كلمة (يأزر) ليس معناها ينكمش كما قال هذا الكاذب، ولكن معناها ينتشر، ويستقر... ويصبح معنى الحديث : " إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْزُرُ أَي: ينتشر ويستقر كما تنتشر الحية إلى جحرها....

أدلة ما سبق جاءت من شروح الحديث، وكتب اللغة (كتب التراث) كما يلي:

1- فتح الباري لابن حجر (ج6/ ص 107) : قَوْلُهُ : (كَمَا تَأْزُرُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا) :
أَي: إِنَّهَا كَمَا تَنْتَشِرُ مِنْ جُحْرِهَا فِي طَلَبِ مَا تَعِيشُ بِهِ فَإِذَا رَاعَهَا شَيْءٌ رَجَعَتْ إِلَى جُحْرِهَا كَذَلِكَ الْإِيمَانُ انْتَشَرَ فِي الْمَدِينَةِ ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ سَائِقٌ إِلَى الْمَدِينَةِ لِمَحَبَّتِهِ فِي النَّبِيِّ ﷺ ، فَيَشْمَلُ ذَلِكَ جَمِيعَ الْأَزْمَنَةِ لِأَنَّهُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِلتَّعَلُّمِ مِنْهُ ، وَفِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِهِمْ لِلِاقْتِدَاءِ بِهِدْيِهِمْ ، وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لِزِيَارَةِ قَبْرِهِ ﷺ فِي مَسْجِدِهِ وَالتَّبَرُّكِ بِمُشَاهَدَةِ آثَارِهِ وَآثَارِ أَصْحَابِهِ . وَقَالَ الدَّوْدِيُّ : كَانَ هَذَا فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْقَرْنِ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ خَاصَّةً اهـ

2- الديباج على مسلم بن الحجاج للسيوطي (ج 1 / ص 165) : عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : (إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وهو يأزر بين المسجدين كما تأزر الحية في حجرها) يأرز بهمزة وراء مكسورة ثم زاي وحكي ضم الراء وفتحها أي: ينضم ويجتمع بين المسجدين أي: مسجد مكة والمدينة . اهـ

3- جاء في كتاب كشف المشكل (ج 1 / ص 679) : وقوله : " يأرز " قال أبو عبيد: أي ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض قال رؤية فذاك بخال أروز الأرز .
أي: لا ينبسط للمعروف ولكن ينضم بعضه إلى بعض والمسجدان مكة والمدينة وقد ضمن النبي ﷺ أنه لا يدخلهما الدجال . اهـ

4- غريب الحديث لابن سلام (ج 1/ ص 37) : أرز وقال أبو عبيد : في حديثه ﷺ أن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها . قال الأصمعي : قوله : يأرز ينضم إليها ويجتمع بعضه إلى بعض فيها وأنشدنا لرؤية يذم رجلا : [الرجز] ... فذاك بَخَالُ أُرُوزُ الأَرزِ ...

وجاء في الجزء الثاني ص 572 : قوله : إن سئل أرز . أي : انقبض . يقال : فلان يأرز أروزاً ومنه قول النبي ﷺ : " إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها " أي : ينضم وتنقبض . اهـ

5- لسان العرب لابن منظور (ج 5 / 305) : (أرز) أرز يأرز أروزاً تنقبض وتجمع وثبت فهو أرز وأروز ورجل أروز ثابت مجتمع الجوهرى أرز فلان يأرز أرزاً وأروزاً إذا تضاماً وتنقبض من بخله فهو أروز ، وسئل حاجة فأرز أي: تنقبض واجتمع . اهـ

7- القاموس المحيط (ج 1/ 645) : أَرَزَ يَأْرِزُ مُثَلَّثَةً الرَّاءِ أُرُوزًا : انْقَبَضَ وَتَجَمَّعَ وَثَبَتَ فَهُوَ أَرِزٌ وَأُرُوزٌ وَ الْحَيَّةُ : لَانَتْ بِجُحْرِهَا وَرَجَعَتْ إِلَيْهِ وَثَبَتَتْ فِي مَكَانِهَا .
اهـ

7- شرح نهج البلاغة (ج 9 / ص 165) : وأرز المؤمنون ، أي انقبضوا ، والمضارع " يأرز " بالكسر أرزا وأروزا ، ورجل أروز أي: منقبض ، وفي الحديث : " إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها " ، أي: ينضم إليها ويجتمع . اهـ

الوجه الثالث : إن الأنبا مكسيموس قال على قناة الجزيرة في برنامج (بلا حدود) :إن المسيحيين الذي تركوا مسيحيتهم ودخلوا إلى الإسلام في مصر من 80 إلى 200 ألف يومياً ، وخلال حقبة سنة 36 أكثر من مليون وربع دخلوا الإسلام في مصر

ومن المعلوم اليوم نقلاً عن الصحف الأوروبية أن الإسلام هو أكثر الأديان انتشاراً في العالم، وهذا مصدر قلق للعديد من الدول، مثل: فرنسا التي حاربت الحجاب للمرأة، ومالي.... وألمانيا وأمريكا....

رد شبهة: هل محمد رسول الإسلام ألف القرآن ؟!

قالوا: إن محمداً رسول الإسلام هو الذي قام بتأليف القرآن، وليس القرآن وحياً من الله كما يقول المسلمون...

الرد على الافتراء

أولاً: إن القرآن الكريم ذكر أن هناك آيات عاتبت النبي ﷺ فلو كان محمدٌ مؤلفاً القرآن لأظهر نفسه في أحسن مظهر، وما عاتب نفسه أو انتقص من شأنه ﷺ مرة واحدة.... دلت على ذلك أدلة كثيرة منها ما يلي :

1- عاتبه الله ﷻ بشأن أسرى بدر، وذلك في قوله ﷻ: " مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَتَخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (68)"(الأنفال).

2- عاتبه الله ﷻ لما أذن ﷻ للمتخلف عن الجهاد معه في عزوة تبوك ، وذلك من قوله ﷻ: " عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (43)"(التوبة). نلاحظ: عفواً قبل عتاب من حب الله لنبيه...

3- عاتبه الله ﷻ لما أخفى ﷻ في قلبه حين أعلمه الله ﷻ أن زيد سوف يطلق زينب وسوف تكون من نصيبه، فكان كلما شكاه زيد سوء معاملة زينب له يقول له: " له امسك عليك زوجك".

وعاتبه الله بعدها بقوله ﷻ: " وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (38) الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (39)"(الأحزاب).

4- عاتبه الله ﷺ على موقفه ﷺ مع الأعمى ، وذلك من قوله ﷺ: " عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْغَى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنْ اسْتَعْزَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْغَى (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (11)" (عبس).

5- عاتبه الله ﷺ على موقفه ﷺ مع زوجاته في قصة (العسل والمغافير) ، وذلك من قوله ﷺ: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (1)" (التحریم).

6- عاتبه الله ﷺ لما استغفر وصل ﷺ على رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول عند موته ، وذلك من قوله ﷺ: "مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113)" (التوبة).

ثم كيف يؤلف محمد ﷺ القرآن وينسبه إلى غيره ؟
أليس من باب الأولى أن ينسبه لنفسه ليعلو بذلك شأنه وتتجلى بذلك عظمته عبر التاريخ ؛ فإنه آتى بعمل يعجز عن عمله البشر إلى يومنا هذا ؟!

ثانياً: إن هذا الافتراء دليل على حقد وغل وهو ناتج عقول مريضة فجعلتهم متخبطين ؛ فتارة يقولون : أخذ القرآن من أعجمي ، ومن ورقه بن نوفل ، ومن الراهب بحيرا....
وتارة يقولون : هو وحي من الشيطان ...
وها هم الآن يقولون : إن القرآن من تأليفه....

ثالثاً: جاء في كتاب: (الإسلام في قفص الاتهام) تأليف / شوقي أبو خليل رداً طيباً يقول:

1- إن أسلوب القرآن الكريم يخالف مخالفة تامة أسلوب كلام محمد ﷺ فلو رجعنا إلى كتب الأحاديث التي جمعت أقوال محمد ﷺ وقارناها بالقرآن الكريم لرأينا الفرق الواضح والتغاير الظاهر في كل شيء، في أسلوب التعبير، وفي الموضوعات، فحديث محمد ﷺ تتجلى فيه لغة المحادثة والتفهم والتعليم والخطابة في صورها ومعناها المألوف لدى العرب كافة، بخلاف أسلوب القرآن الكريم الذي لا يعرف له شبيه في أساليب العرب.

2- إذا افترض الشخص أن القرآن الكريم إنتاج عقل بشري، فإنه يتوقع أن يذكر شيئاً عن عقلية مؤلفه. ولو كانت تلك الادعاءات حقيقية فإن أدلة ذلك ستظهر في القرآن الكريم، فهل توجد مثل تلك الأدلة؟ وحتى نتمكن من الإجابة على ذلك فإن علينا معرفة الأفكار والتأملات التي دارت في عقله في ذلك الوقت ثم نبحث عنها في القرآن الكريم.

3- يستشعر القارئ في فطرته عند قراءة الحديث النبوي شخصية بشرية وذاتية تعترىها الخشية والمهابة والضعف أمام الله، بخلاف القرآن الكريم الذي يتراءى للقارئ من خلال آياته ذاتية جبارة عادلة حكيمة خالقة بارئة مصورة، رحيمة لا تضعف حتى في مواضع الرحمة مثل قوله سبحانه في شأن أتباع عيسى ﷺ: (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (المائدة: 118) فلو كان القرآن من كلام محمد ﷺ لكان أسلوبه وأسلوب الأحاديث سواء. ومن المسلم به لدى أهل البصر الأدبي والباع الطويل في اللغة أن من المتعذر على الشخص الواحد أن يكون له في بيانه أسلوبان يختلف أحدهما عن الآخر اختلافاً جذرياً.

4- محمد ﷺ أمي ما درس ولا تعلم ولا تتلمذ، فهل يُعقل أنه أتى بهذا الإعجاز التشريعي المتكامل دون أي تناقض، فأقر بعظمة هذا التشريع القريب والبعيد، المسلم

وغير المسلم ؟ فكيف يستطيع هذا الأُمي أن يكون هذا القرآن بإعجازه اللغوي الفريد الغريب وإعجازه التشريعي المتكامل اجتماعياً واقتصادياً ودينياً وسياسياً....هل يمكن لهذا الكتاب أن يكون من عنده ؟! وهل يجرؤ على تحدي ذلك بقوله " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً " هذا تحدٍ واضح لغير المسلمين فهو يدعوهم لإيجاد خطأ فيه .

5- إن نظرة القرآن الكاملة الشاملة المتناسقة للكون والحياة والفكر والمعاملات والحروب والزواج والعبادات والاقتصاد لو كانت من صنع محمد ﷺ ، لما كان محمد ﷺ بشراً. إن هذه التنظيمات وهذه التشريعات والآراء تعجز عن القيام بها لجان كثيرة لها ثقافات عالمية وتخصص عميق مهما أُتيح لها من المراجع والدراسات والوقت . فرجل واحد أياً كانت عبقريته ، وأياً كانت ثقافته ليعجز عن أن يأتي بتنظيم في مسألة واحدة من هذه المسائل ، فما بالك بكلها مع تنوعها وتلون اتجاهاتها وهل يتسنى لأُمي أن يأتي بهذه النظرة الشاملة في الكون والحياة والفكر ..؟

6- في القرآن الكريم أخبار الأولين بما يُغايّر أخبارهم في الكتب المتداولة أيام محمد ﷺ فإن القرآن الكريم يحتوي على معلومات كثيرة لا يمكن أن يكون مصدرها غير الله. مثلاً : من أخبر محمداً ﷺ عن سد ذي القرنين - مكان يبعد مئات الأميال شمالاً-؟ وماذا عن سورة الفجر وهي السورة رقم 89 في القرآن الكريم حيث تذكر مدينة باسم إرم " مدينة الأعمدة " ولم تكن معروفة في التاريخ القديم ولم يكن لها وجود حسب معلومات المؤرخين . ولكن مجلة الجغرافية الوطنية وفي عددها الذي صدر في شهر كانون الأول لعام 1978 أوردت معلومات هامة ذكرت أنه في عام 1973 اكتشفت مدينة إلبا في سوريا . وقد قدر العلماء عمرها بستة وأربعين قرناً ، لكن هذا لم يكن الاكتشاف الوحيد المدهش ، بل إن الباحثين وجدوا في مكتبة المدينة

سجلاً للمدن الأخرى التي أجرت معها إلبا تعاملات تجارية ، وكانت إرم إحدى تلك المدن ! أي أن مواطني إلبا تبادلوا معاملات تجارية مع مواطني إرم ! وماذا عما فيه من إعجاز علمي في الكون والحياة والطب والرياضيات....وذلك بالعشرات بل والمئات ، فهل يُعقل أن هذا الأُمي قد وضعها ؟ فكيف عرف ذلك الأُمي ما يلي:

1- أن الأرض كروية بشكل بيضوي لقوله سبحانه : (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) (النازعات30).

2- أن الحياة ابتدأت من الماء .لا يمكن إقناع من عاشوا منذ أربعة عشر قرناً بهذا ، فلو أنك وقفت منذ أربعة عشر قرناً في الصحراء وقلت " كل هذا الذي ترى " وتشير إلى نفسك " مصنوع بأغلبيته من الماء " فلن يصدقك أحد ، لم يكن الدليل على ذلك موجوداً قبل اختراع الميكروسكوب . كان عليهم الانتظار لمعرفة أن السيتوبلازم وهي المادة الأساسية المكونة للخلية تتكون من 80% من الماء (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء30).

3- أن هناك اختلافاً في التوقيت بين مناطق العالم (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ الْأُمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (يونس24) ومعنى الآية أنه عند نهاية التاريخ ومجيء يوم القيامة ، فإن ذلك سيحدث في لحظة ستصادف بعض الناس أثناء النهار وآخرين أثناء الليل ، وهذا يوضح حكمة الله وعلمه الأزلي بوجود مناطق زمنية ، رغم أن ذلك لم يكن معروفاً منذ أربعة عشر قرناً . إن هذه الظاهرة ليس بالإمكان رؤيتها بالعين المجردة ، أو نتيجة لتجربة شخصية وهذه حقيقة تكفي لتكون دليلاً على مصداقية القرآن الكريم.

4- نظرية انتشار الكون لقوله سبحانه (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)
(الذريات:47).

5- نظرية الانفجار الكبير (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) (الأنبياء:30) .

6 - أن كمية الهواء في الأجواء تقل إلى درجة أن الإنسان يضيق صدره فيها: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام:125) .

7- أن الشمس والقمر يسبحان في هذا الفضاء لقوله سبحانه (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلْقَاءَ رَبِّكُمْ تَوْقِنُونَ) (الرعد 2) اهـ بتصرف .

رابعاً: إن الكتاب المؤلف على الحقيقة هو الكتاب المقدس الذي يؤمن به المعترضون

...

فقد دلت الأدلة الدامغة على تأليفه وتحريفهم طرق كثيرة جداً ... ولكنني أكتفي هنا بما جاء في مقدمة إنجيل لوقا الذي قام بتأليفه لوقا ؛ وهو معترف أن هذا الإنجيل ألفه بنفسه كي يرسله إلى صديقه ثاوفيلس ، وليس هذا الإنجيل وحياً من الله كما يدعي المعترضون ، فليست بعد شهادة كاتب الإنجيل شيء آخر....

جاء ذلك في الإصحاح الأول عدد 1¹ إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الْأُمُورِ الْمُتَبَيَّنَةِ عِنْدَنَا، 2² كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مِنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ، 3³ رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، 4⁴ لَتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلَامِ الَّذِي عَلَّمْتُ بِهِ. لا تعليق !

رد شبهة: لماذا تدافعون عن نبيكم ؟!

سأل أحدهم سؤالاً يقول فيه: لماذا تدافعون عن نبيكم في حين أن القرآن يقول: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (الحجر 95) .

ويقول: وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿ (المائدة 67) .
فلماذا تدافعون عنه إذا ؟

الرد على الشبهة

أولاً: إننا ندافع عن نبينا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؛ لأنه حبيبنا ؛ فلولا ما عرفنا الله ﷻ و لولا ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا ، ولولا لكانا من الهالكين ، وذلك من فضل الله ﷻ علينا

إننا ندافع عنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ونفديه بدمائنا وأرواحنا ؛ لأنه القدوة والأسوة لنا؛ فلا يوجد من الخير شيء إلا ودلنا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عنه ، وما وجد من الشر شيء إلا ونهانا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عنه ؛ قال ﷺ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب 21).

إننا ندافع عنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأنه منة الله ﷻ لنا ؛ قال ﷻ : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (آل عمران 164).

إننا ندافع عنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؛ لأنه رحمة من الله ﷻ لنا ؛ قال ﷻ : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة 12).

وعلى الرغم من ذلك ننكر على من يقول هذه العبارة (إلا رسول الله) فهذه العبارة تتنافى مع العقيدة الصحيحة ؛ إذ أن الظاهر منها يا أعداء الإسلام سبوا كل شيء ، مثل : القرآن الكريم ، والأنبياء ، والكتب المقدسة....إلا رسول الله ، وهذا لا نقبله أبداً!

ثانياً: إن الأدلة على دفاعنا عنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كثيرة جداً منها ما يلي :

أولاً: من القرآن الكريم :

1- قوله ﷻ : ﴿ إِلَّا تَتَّصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة 40) .

جاء في تفسير الجلالين: { إِلا تَنْصُرُوهُ } أي: النبي ﷺ { فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ } حين { أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا } من مكة أي الجأه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة {ثَانِي اثْنَيْنِ} حال أي: أحد اثنين والآخر أبو بكر ، المعنى نصره الله في مثل تلك الحالة فلا يخذله في غيرها { إِذْ } بدل من «إِذْ» قبله { هُمَا فِي الْغَارِ } نقب في جبل ثور { إِذْ } بدل ثان { يَقُولُ لِصَاحِبِهِ } أبي بكر وقد قال له لما رأى أقدام المشركين : لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا {لَا تَحْزَنَ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } بنصره { فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ } طمأنينته { عَلَيْهِ } قيل على النبي ﷺ وقيل على أبي بكر { وَأَيَّدَهُ } أي : النبي ﷺ { بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا } ملائكة في الغار ومواطن قتاله : { وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا } أي : دعوة الشرك { السُّفْلَى } المغلوبة { وَكَلِمَةَ اللَّهِ } أي: كلمة الشهادة { هي العليا } الظاهرة الغالبة { وَاللَّهُ عَزِيزٌ } في ملكه { حَكِيمٌ } في صنعه . اهـ

2- قوله ﷺ: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي النُّورَةِ وَإِنْجِيلٍ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف 157) . يقول ربنا ﷺ عن المؤمنين في الآية هم الذين وقروه وعظموه ونصروه ، واتبعوا القرآن المنزل عليه ، و عملوا بسنته، أولئك هم الفائزون بما وعد الله به عباده المؤمنين.

فمن نصرته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن ندافع عنه ، ولا نقبل الإساءة من أحدٍ، ولا الطعن في شخصه الكريم.

3- قوله ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (119) مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ

الْكَفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120) ﴿التوبة﴾.

جاء في التفسير الميسر: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه ، امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه في كل ما تفعلون وتتركون، وكونوا مع الصادقين في أيمانهم وعهودهم، وفي كل شأن من شؤونهم. ما كان ينبغي لأهل مدينة رسول الله ﷺ ومن حولهم من سكان البادية أن يتخلّفوا في أهلهم ودورهم عن رسول الله ﷺ ، ولا يرضوا لأنفسهم بالراحة والرسول ﷺ في تعب ومشقة؛ ذلك بأنهم لا يصيبهم في سفرهم وجهادهم عطش ولا تعب ولا مجاعة في سبيل الله، ولا يطؤون أرضاً يغضب الكفار وطوهم إياها، ولا يصيبون من عدو الله وعدوهم قتلاً أو هزيمة إلا كُتِبَ لهم بذلك كله ثواب عمل صالح. إن الله لا يضيع أجر المحسنين . اهـ

ثانياً: من السنة المطهرة أدلة كثيرة جداً منها ما يلي :

1- ما حدث في غزوة أحد وغيرها ، ووقوف الصحابة - رضي الله عنهم - بجانبه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يدفعون عنه حتى فاضت أرواحهم الطيبة - رحمهم الله ، و رضي الله عنهم- ، وهذا واضح من أحاديث كثيرة ، ومن كتب السير .

2- قول أبي بكر ﷺ : " فِدَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا " وذلك في صحيح البخاري كتاب (مناقب الأنصار) باب (هجرة النبي ﷺ) برقم 3615 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَ: إِنَّ عَبْدًا خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: فِدَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا فَعَجَبْنَا لَهُ وَقَالَ النَّاسُ: انظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ فِدَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخِيرَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " إِنَّ مِنْ أَمَنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ إِلَّا خَلَّةَ الْإِسْلَامِ لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ " .

الواضح أن النبي ﷺ لم ينكر على قول أبي بكر ﷺ : " فِدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا ... " بل ذكر فضائله ﷺ

3- فعل عمر ﷺ في أكثر من موقف منها : مع رأس النفاق ابن سلول ، لما سب النبي ﷺ أراد قتله دفاعاً عن رسول الله ﷺ وذلك في صحيح مسلم كتاب (البر والصلة والآداب) باب (نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً) برقم 4682 عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : يَا لِلْأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا بَالُ دَعَايَ الْجَاهِلِيَّةِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قُحَيْفَةَ قَالَ: قَدْ فَعَلُوهُمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ قَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ: " دَعَهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ " .

4- القصيدة الرائعة التي دافع بها حسان بن ثابت ﷺ عن النبي ﷺ نجدها في صحيح مسلم كتاب (فضائل الصحابة) باب (فضائل حسان بن ثابت ﷺ) برقم 4545 عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : اهُجُّوا قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: اهُجَّهُمْ فَهَجَّاهُمْ فَلَمْ يُرْضَ فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آتَى لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنْبِهِ ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ

بِالْحَقِّ لِأَفْرِينَهُمْ بِلِسَانِي فَرِي الْأَدِيمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تَعْجَلْ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يُلْخَصَ لَكَ نَسَبِي فَأَتَاهُ حَسَّانُ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لِأَسْأَلُكَ مِنْهُمْ كَمَا تَسْأَلُ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ قَالَتْ عَائِشَةُ : فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانٍ إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَقَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى وَاشْتَفَى قَالَ حَسَّانُ : هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ هَجَوْتُ مُحَمَّدًا بَرًّا تَقِيًّا رَسُولَ اللَّهِ شَيْمَتُهُ الْوَفَاءُ فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرَضِي لِعَرَضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ ثَكَلْتُ بَنِيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنْفَى كِدَاءِ بِيَارَيْنِ الْأَعْنَّةِ مُصْعَدَاتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءُ تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ تَلْطِمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النِّسَاءُ فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغَطَاءُ وَالْأَفَاصِرُوا لَضْرَابِ يَوْمٍ يُعَزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ وَقَالَ اللَّهُ قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا هُمْ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللَّقَاءُ لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ سَبَابٍ أَوْ قِتَالٍ أَوْ هَجَاءٍ فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحْهُ وَيَنْصُرْهُ سِوَاءُ وَجَبْرِيلَ رَسُولِ اللَّهِ فِينَا وَرُوحَ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ .

ثالثاً: إن الآيات التي استدلت بها المعترضون تتم على جهلهم البين؛ لأن الواجب عليهم كباحثين بمنهجية صحيحة أن يجمعوا بين النصوص كلها، ويقروا التفسير فمثلاً :
الآية الأولى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (الحجر 95) .

جاء في تفسير الجلالين : { إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ } بك ياهلاكنا كلاً منهم بآفة وهم : الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل وعدي بن قيس والأسود بن عبد المطلب والأسود بن عبد يغوث . اهـ

وجاء في التفسير الميسر: إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ السَّخَرِينَ مِنْ زَعَمَاءِ قُرَيْشٍ . اهـ

وعليه: فهذه الآية وعد من الله ﷻ بأنه يكفي النبي ﷺ من المستهزئين الساخرين من زعماء قريش، وهذا ما حدث حيث أهلكهم الله ﷻ ومكن لنبيه ﷺ في الأرض.

وهنا نجد أسئلة تفرض نفسها علينا هي:

السؤال الأول: كيف قتل زعماء قريش المستهزئين الساخرين؟

الجواب: قتلوا بأيدي أصحابه ﷺ .

السؤال الثاني: ما المانع أن يكفي الله النبي ﷺ من المستهزئين بعد وفاته بنا ،ونكون جنداً

من جنوده ﷻ ؟ هل هناك دليل يمنع ذلك ؟!

الجواب : لا يوجد دليل يمنع ذلك ...

الآية الثانية: يقول ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة 67) .

جاء في تفسير الجلالين : { يا أيها الرسول بَلِّغْ } جميع { مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } { ولا تكتم منه شيئاً خوفاً أن تنال بمكروه } { وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ } أي : لم تبلغ جميع ما أنزل إليك { فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ } بالإفراد والجمع [رسالاته] لأن كتمان بعضها كتمان كلها { والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } أن يقتلوك وكان ﷻ يحرس حتى نزلت فقال : « انصرفوا فقد عصمني الله » رواه الحاكم { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } . اهـ

نلاحظ من خلال قراءة التفسير ما ملخصه : أن الله عصم نبيه ﷺ من القتل ؛ فلا يُقتل إلا بعد البلاغ وإتمام الرسالة ، وهذا ما حدث مع نبيِّنا ﷺ مات نبياً شهيداً ،وجمع الله ﷻ له بين النبوة والشهادة فلم يمت من أثر السم الذي أكل بخير إلا بعد أتمام الرسالة، وبعد

ما أنزل عليه ﷺ قوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۖ ﴾ (المائدة3) .

جاء في التفسير الميسر : اليوم أكملت لكم دينكم دين الإسلام بتحقيق النصر وإتمام الشريعة , وأتممت عليكم نعمتي بإخراجكم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان , ورضيت لكم الإسلام ديناً فالزموه , ولا تفارقوه . اهـ

وعليه: فإن هذا يدل على صدق كلام رب العالمين، وصدق رسالة نبينا ﷺ ، وأن هذه الآيات التي استشهد بها المعترضون لا تنهانا عن الدفاع عنه ﷺ فلا يوجد دليل واحد قط ينهانا عن أن ندافع عن نبينا ﷺ .

رابعاً: إن إنجيل لوقا ذكر أن يسوع المسيح أمر تلاميذه أن يدافعوا عنه ، وهو رب العالمين القادر القوي بحسب اعتقاد المعترضين ... أمرهم أن يبيعوا ملابسهم ويشتروا سيوفاً ! هل هي سيوف المحبة ؟ أم سيوف للقتل والدفاع عنه ؟!

جاء ذلك في إلا صحاح 22 عدد ³⁶ فَقَالَ لَهُمْ: «لَكِنَّ الْآنَ، مَنْ لَهُ كَيْسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمَزُودٌ كَذَلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِيعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتِرِ سِيفًا. ³⁷ لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ فِيَّ أَيْضًا هَذَا الْمَكْتُوبُ: وَأُحْصِيَ مَعَ أَثْمَةٍ. لِأَنَّ مَا هُوَ مِنْ جِهَتِي لَهُ انْقِضَاءٌ». ³⁸ فَقَالُوا: «يَارَبُّ، هُوَذَا هُنَا سِيفَانِ». فَقَالَ لَهُمْ: «يَكْفِي!».

وليتهم يخبرونا عن هذا الملاك الذي نزل ليقوي (يسوع) الإله بحسب إيمانهم.. ؟!
فهل الرب (يسوع) ضعيف يحتاج لمن ينصره ويقويه ؟!
الجواب: نعم، إنه بحاجة لمن ينصره ويقويه بحاجة لله ﷻ ...

جاء ذلك في إنجيل لوقا الإصحاح 22 عدد 43 وظهر له ملاك من السماء يقويه. 44 وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لاجابة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض.

ويبقى السؤال: هل هذا إله يُعبد؟! يقويه ملاك؟! أم أنه رسول من عند الله مكرم يحتاج المساعدة من الله فهو لا يحيى إلا به ﷻ؟! هذا هو.

وأخيراً أسئلة تطرح نفسها للمعترضين هي:

- 1- ماذا لو قامت مجموعة من الشباب المتهور من غير المسيحيين ليدمروا كنيسة الرب يسوع هل ستدافعون عنها من أجله؟!
- 2- ماذا لو كتب كاتب غير مسيحي كتاباً يطعن فيه (يسوع) هل ستقومون بالرد عليه أم تتركوه يطعن ويسب فيه ما شاء؟!

ويبقى السؤال حين إذاً: لماذا تدافعون عنه؟!

الباب الثاني

شبهات حول رحمته والحدود ﷺ

رد شبهة: هل نبي الإسلام رحمة للعالمين؟!

قالوا: إن هناك آية في القرآن يذكرها المسلمون دائماً عن نبيهم تقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء 107) . كيف يكون رحمة للعالمين في حين أنه لم يكن رحمة للكافرين أمثالنا ؟!

الرد على الشبهة

أولاً: إن في ظاهر بعض كلامهم الصحة؛ حيث إن الرحمة الكاملة متعلقة بشرط هو الإيمان به ﷺ ...

جاء في التفسير الميسر لقوله ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء 107). وما أرسلك - أيها الرسول - إلا رحمة لجميع الناس ، فمن آمن بك سعد ونجا ، ومن لم يؤمن خاب وخسر . اهـ

من خلال التفسير نجد أن من لم يؤمن به ﷺ لا ينال هذه الرحمة ، ومن آمن به كان سبباً في نجاته من النار ، وفوزه برضا العزيز الغفار ... تدلل على ذلك أدلة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16) (المائدة).

2- قوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (52) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (53) (الشورى).

ثانياً : إن النبي ﷺ كان رحمةً للكافرين حيث إن عذاب الاستئصال أخر عنهم بسببه ﷺ؛ فلم يهلكهم الله بسبب كفرهم به كما كان حال الأنبياء والرسل من قبله ،أهلك ﷺ مكذبيهم ؛ يقول ﷺ : ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (32) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿33﴾ (الأنفال) .

سبب نزولها هو ما جاء في صحيح البخاري برقم 4282 عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قَالَ أَبُو جَهْلٍ : اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فَتَنَزَّلَتْ : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا لَهُمْ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ }.

وعليه أتساءل: أليست هذه رحمة للعالمين بما فيهم الكافرين؛ لأن عذاب الاتصال رُفِعَ عنهم بسببه ﷺ فكان ذلك رحمة لهم !؟

ألخص ما سبق وأقول: إن الرسول ﷺ كان رحمةً عامةً للخلق حيث إنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه، ومن لم يتبعه فهو الذي قصر في حق نفسه ؛ ضيع نفسه ونصيبه من هذه الرحمة ... ومن رحمته أيضاً أن الله ﷻ لم يهلكهم كما أهلك الأمم السابقة التي كذبت أنبياءها ...

ثالثاً: إن المعترضين يعتقدون أن الله محبة، وأنه ﷺ بذل ابنه الوحيد أي : (قتله) لأنه هكذا أحب العالم

وعليه أتساءل : إذا كان الله محبة ورحيم كما يدعون ، فهل هذه المحبة والرحمة تصل لي وأنا لا أؤمن بيسوع المسيح إلهاً ، ولا بعقيدة الفداء والصلب ؟!

الجواب : في تكملة النص في إنجيل يوحنا إصحاح 3 عدد 16¹⁶ لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ. 17¹⁷ لَأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللَّهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيُدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. 18¹⁸ الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَا يَدَانُ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لَأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ.

إذا الواضح من خلال قراءة النصوص أن المحبة والرحمة تتعلق بالإيمان ؛ فالنص يقول : " لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ " بمفهوم المخالفة يصبح المعنى : من لا يؤمن به يهلك ، ولا تكون له حياة أبدية !

ونحن نقول مثلهم : إن رحمة النبي ﷺ تتعلق بالإيمان به ﷺ حتى يخلص العالم ، فإن آمنوا به نجوا أنفسهم من عذاب الله ، ونالوا ما عند الله من النعيم المقيم

رد شبهة: نبي ثمار رحمته اقتتال أصحابه من بعده!

من الشبهات التي تشدقوا بها أنهم طرحوا شبهة نقول: هل من ثمار رحمة نبيكم اقتتال أصحابه مع بعضهم البعض بعد وفاته من أجل السلطة ومقتل الألوف منهم كما في معركتي: الجمل وصفين ... ؟!

ثم قالوا : أجيبونا عن هذين الحديثين:

1- صحيح البخاري كتاب (الإيمان) باب { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا } فَسَمَّاهُمُ الْمُؤْمِنِينَ . برقم 30 عَنْ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِينِي أَبُو بَكْرَةَ . فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُ قُلْتُ : أَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ قَالَ : ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ " . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بِالِ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ : " إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ " .

2- صحيح مسلم برقم 46 عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ " .

قد حدث اقتتال عظيم في معركة الجمل وصفين بين عليٍّ ومعاوية ، فمن فيهما في النار ، أو من فيهما الكافر؟!

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذه الوقائع التي حدث فيها اقتتال بين المسلمين من بعده ﷺ تدل على صدق نبوته ﷺ وفيها معجزة من معجزاته ﷺ ؛ لأنه ﷺ أخبر عنها قبل وقوعها وذلك في عدة مواضع منها :

1- بين ﷺ أن الصلح سيكون على يدي ابنه الحسن بن علي ؛ فحدث كما أخبر ﷺ ، وذلك في صحيح البخاري برقم 6576 قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ " .

2- أخبر ﷺ أن عماراً تقتله الفئة الباغية ، وذلك في صحيح البخاري برقم 2601 عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ لَهُ وَلِعَلِّي بَنُ عَبْدِ اللَّهِ : انْتِيَا أَبَا سَعِيدٍ فَاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ

فَأَتَيْنَاهُ وَهُوَ وَأَخُوهُ فِي حَائِطٍ لَّهُمَا يَسْقِيَانِهِ فَلَمَّا رَأَانَا جَاءَ فَأَحْتَبَى وَجَلَسَ فَقَالَ: كُنَّا نَنْقُلُ لِبْنِ الْمَسْجِدِ لَبْنَةً لَبْنَةً وَكَانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لِبْنَتَيْنِ لِبْنَتَيْنِ فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَمَسَحَ عَنْ رَأْسِهِ الْغُبَارَ وَقَالَ: " وَيَحَ عَمَّارُ تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ عَمَّارُ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ " .

نلاحظ : أن النبي ﷺ أخبر عن هذه الفتنة فحدث ما أخبر به ﷺ

يبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو: من أخبر محمداً ﷺ بما سيحدث بعد موته، مثل تلك الأحداث ؟

الجواب: إنه الله ﷻ؛ إِذَا مُحَمَّدٌ ﷺ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ ...

إِذَا: هذه معجزة في حقه ﷺ حيث إنه أخبر عن أمور مستقبلية وتحققت بالفعل....

وعليه فالحديث لم يخدم المعترضين من جهة يغفلون عنها كما بينتُ - بفضلِ الله ﷻ -

ثانياً : إن النبي ﷺ مات وهو عن أصحابه ﷺ راضٍ ، وشهد لهم جميعاً بالإيمان ، وأخبر عن الفتنة ، ولم يخبر أن أحداً منهم من أهل النار بل شهد لهم جميعاً بالإسلام ...

دليل ذلك في الآتي:

1- الحديث الذي سبق معنا : " ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ " .

نلاحظ: " فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ " ولم يقل: " فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْكَافِرِينَ " .

4- القرآن الكريم شهد لهم ﷺ بالإيمان رغم الاقتتال الذي وقع بينهم

قال ﷺ: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات 9).

نلاحظ قوله ﷺ: " وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا " شهد الله لهم بالإيمان

2- قوله ﷺ: " إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ " ذكره البخاري - رحمه الله- في باب {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا {فَسَمَّاهُمُ الْمُؤْمِنِينَ.

وعليه: تسقط شبهتهم التي تقول: قد حدث اقتتالٌ عظيمٌ في معركتي الجمل وصفين بين عليٍّ ومعاوية فمن فيهما في النار، أو من فيهما الكافر....؟!

ثالثاً: إن اقتتالَ أصحابه ﷺ من بعده لم يكن من أجل دنيا يصيبونها ، مثل : خلافة ، أو عرقية ، أو قبلية ، أو حمية ولكن كان اقتتالهم اجتهاذاً ، وبحثاً عن الحق ؛ لأخذ الثأر من دم قتلة عثمان ﷺ خليفة المسلمين الذي قتله اليهود والمنافقون ، وبالتالي فهذا القتال لا يستوجب الكفر لأحدٍ من أصحاب النبي ﷺ ، مثل: عليٍّ أو معاوية - رضي الله عنهما- ؛ وإنما كان قتالهم بحثاً عن الحق في كيفية أخذ الثأر لأمير المؤمنين عثمان ﷺ. وأحيل المعترضين إلى قراءة كتب التاريخ ليتأكدوا بأنفسهم من هذا الأمر إذا كانوا يعرفون القراءة وإذا كانوا أصحابَ منهجيةٍ صحيحةٍ في البحث ...

وعليه: تسقط شبهتهم التي تقول: هل من ثمار رحمة نبيكم اقتتال أصحابه بعضهم البعض بعد وفاته من أجل السلطة ومقتل الألوف منهم كما في معركتي الجمل وصفين...؟!

رابعاً: كان على المعارضين قبل طرحهم للشبهة أن يعلموا أن الكفر كفران :
كفرٌ أكبر : وهو مُخرج عن ملة الإسلام.

وكفرٌ أصغر : وهو كفر دون كفر؛ لا يخرج عن ملة الإسلام ، والثاني لا شك أنه ذنبٌ كبيرٌ ... صاحبه في مشيئة الله ﷻ إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

ففي قوله ﷺ : " سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ " . يظهر لنا أنه كفر دون كفر لا يخرج عن الملة ، إلا إذا استحل القاتلُ القتلَ سواء أكان لمسلمٍ أو لغيره ، فهذا يخرج عن الملة ؛ وإن لم يستحل القتلَ فهو في مشيئة الله ﷻ إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه....

خامساً: إن الواجبَ عن المسلم أن يقول عن هذه الفتنة كما قال الله ﷻ : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة 134).
وكما قال عمرُ بنُ عبدِ العزيز - رحمه الله - : " هذه فتنة نجا الله أئدينا من دمائهم فلا نخوض فيها بالسنتنا " .

سادساً: إن المتأملَ في الكتاب المقدس يجد فيه أن بعض الأنبياء، والقديسين يقتتلون مع بعضهم البعض؛ من أجل الملك والسلطة، ومنهم من قتل أخاه من أجل الملك والسلطة، ونحن ننزههم عن ذلك دليل ذلك ما جاء في آلائي:

1- اقتتال داود النبي مع النبي شاول ، وذلك في سفر صموئيل الأول إصحاح 19
عدد¹ وَكَلَّمَ شَاوُلُ يُونَاثَانَ ابْنَهُ وَجَمِيعَ عبيده أَنْ يَقْتُلُوا دَاوُدَ.....

2- سليمان النبي يقتل أخاه الأكبر (أدونيا) ، وذلك من أجل الملك ؛ لأن أدونيا كان
الأكبر في السن وله الحق بالملك منه فقتله ! نجد ذلك في سفر الملوك الأول إصحاح
2 عدد²³ وَحَلَفَ سُلَيْمَانُ الْمَلِكُ بِالرَّبِّ قَائِلًا: «هَكَذَا يَفْعَلُ لِي اللهُ وَهَكَذَا يَزِيدُ، إِنَّهُ قَدْ تَكَلَّمَ
أَدُونِيَّا بِهَذَا الْكَلَامِ ضِدَّ نَفْسِهِ. ²⁴ وَالْآنَ حَيُّ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي ثَبَّتَنِي وَأَجْلَسَنِي عَلَى كُرْسِيِّ
دَاوُدَ أَبِي، وَالَّذِي صَنَعَ لِي بَيْتًا كَمَا تَكَلَّمْتُ، إِنَّهُ الْيَوْمَ يَقْتُلُ أَدُونِيَّا». ²⁵ فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ
بِيدِ بَنِيَاهُ بَنِي يَهُوَادَا، فَبَطَشَ بِهِ فَمَاتَ.

سابعاً: إن الناظر في تاريخ الكنيسة يجد المذابح التي قامت مع المسيحيين بعضهم
البعض، وقتل الموحدين منهم.... والقارئ لمجمع أفسوس سنة 325 م يجد أنهم كانوا
يتكلمون في أمر المشيئتين والطبيعتين للمسيح ، وعندما اختلف أصحاب المجمع كان رد
فعلهم أنهم تلاعنوا وتضاربوا بالأيدي حتى أن أحدهم سقط قتيلاً مع العلم أنهم كانوا أعلم
أهل الأرض بالمسيحية في ذلك الزمان وهذا اجتماع ديني....!

والقارئ لمحاكم التفتيش يجدها من أسوأ فصول التاريخ الغربي دموية تجاه المسلمين ، وقد
امتدت وحشيتها المفرطة لتتال النصرى أيضاً فيما بعد ؛ ارتكبتها القساوسة في محاولتهم
للحفاظ على المسيحية بعد خروج المسلمين من الأندلس ، وراح ضحيتها حسب بعض
المؤرخين الغربيين أكثر من نصف مليون مسلم ، وتم تنصير البقية الباقية من المسلمين
بالقوة ، ثم صدر مرسوم بتحويل جميع المساجد إلى كنائس.....!

وأخيراً: اقتتال البروتستانت والكاثوليك في أيرلندا الشمالية مذابح رهيبة....!
وتكفير الأرثوذكس لمن ليس من طائفتهم والعكس .

إذاً يبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو : هل هذه هي ثمار الرحمة والمحبة التي جاء بها الرب يسوع المسيح بحسب معتقد المعترضيين...؟! هذا هو.

رد شبهة: نبيٌ يدخل الناس دينه والسلاسل في أعناقهم !

قالوا : رسولُ الإسلام يدخلُ الناس دينه بالسلاسلِ على أعناقهم !

وكان دليلهم على ذلك هو ما جاء في صحيح البخاري برقم 4191 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ عَنْ سَفْيَانَ عَنْ مَيْسَرَةَ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ }

قال: " خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذا الحديث موقوفٌ على أبي هريرة رضي الله عنه ولم يرفعه إلى النبي ﷺ ، وهذا يدل على كذبٍ وجهلٍ المعترضيين....

ثانياً: إنني افترضُ جدلاً أن هذا الحديث مرفوعٌ إلى النبي ﷺ ..

لاحظتُ أن إشكالهم يكمنُ في أن النبي ﷺ أجبر الناسَ على دخولهم الإسلامَ عن طريقِ تقيديهم والسلاسل في أعناقهم....

قلتُ: إن هذا الفهم فهمٌ سقيمٌ لم يقل به أحدٌ؛ بل هو نابعٌ من خيالٍ مريضٍ بعيدٍ عن البحث العلمي والعقلي...

ذكر ابن حجر في الفتح أقولاً جيدةً تتناسب مع العقل والنقل ولن أضيف بعده إلا إضافة واحدة ؛ قال- رحمة الله-: قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ أُسِرُوا وَقِيدُوا ، فَلَمَّا عَرَفُوا صَحَّةَ الْإِسْلَامِ دَخَلُوا طَوْعًا فَدَخَلُوا الْجَنَّةَ ، فَكَانَ الْإِكْرَاهُ عَلَى الْأَسْرِ وَالتَّقْيِيدِ هُوَ السَّبَبُ الْأَوَّلُ ، وَكَأَنَّهُ أُطْلِقَ عَلَى الْإِكْرَاهِ التَّسْلُسُ ، وَلَمَّا كَانَ هُوَ السَّبَبُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ أَقَامَ الْمُسَبَّبُ مَقَامَ السَّبَبِ . اهـ

قلتُ : يدلل على ما سبق دليان :

الأول: صحيح البخاري برقم 2788 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ".

وهذا يفهم من القول الأخير الذي ذكره ابن حجر كما تقدم معنا.

الثاني : قصة ثُمَامَةَ بِنِ أَثَالِ التي فيها أنه أُسرَ ورُبطَ في المسجد ، فلما رأى عظمة الإسلام ونبيّه صلى الله عليه وسلم دخل طواعية فيه - الإسلام - فأدخله الجنة....

ثبت ذلك في صحيح البخاري كتاب (المَغَازِي) بَاب (وَفَدِ بَنِي حَنِيفَةَ وَحَدِيثِ ثُمَامَةَ بِنِ أَثَالِ) برقم 4024 عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بِنِ أَثَالِ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَقَتَّلْنِي تَقَتَّلَ ذَا دِمٍّ، وَإِنْ تَنْعَمَ تَنْعَمَ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ . فَتَرَكْتُ حَتَّى كَانَ الْغَدُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ قَالَ : مَا قُلْتُ لَكَ ، إِنْ تَنْعَمَ تَنْعَمَ عَلَى شَاكِرٍ . فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ فَقَالَ :عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ . فَقَالَ: أَطْلُقُوا ثُمَامَةَ . فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلِ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاعْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ : "أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينَكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى ؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتُ قَالَ: " لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ " .

ثالثاً: إن الكتاب المقدس ذكر لنا أجبار بني إسرائيل غيرهم لدخولهم دينهم بالرعب ...
جاء ذلك في سفر أستير إصحاح 8 عدد 17¹⁷ وفي كُلِّ بِلَادٍ وَمَدِينَةٍ، كُلُّ مَكَانٍ وَصَلَ إِلَيْهِ كَلَامُ الْمَلِكِ وَأَمْرُهُ، كَانَ فَرَحٌ وَبَهْجَةٌ عِنْدَ الْيَهُودِ وَوَلَّائِهِمْ وَيَوْمَ طَيِّبٍ. وَكَثِيرُونَ مِنْ شُعُوبِ الْأَرْضِ تَهَوَّدُوا؛ لِأَنَّ رُعبَ الْيَهُودِ وَقَعَ عَلَيْهِمْ . لا تعليق !

رد شبهة: نبي يقول: (أسلم الناس من خوف السيف) !

قالوا: لقد قال محمد رسول الإسلام: إن الناس أسلموا من خوف السيف، والاعتراف سيد الأدلة أيها المسلمون....

استندوا في قولهم على ما جاء في تفسير القرطبي لقوله ﷺ: ﴿ أَغْيَرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (83) (آل عمران).
قال القرطبي في تفسيره: وقال العلامة : (لا تسبوا أصحابي فإن أصحابي أسلموا من خوف الله، وأسلم الناس من خوف السيف) . اهـ

الرد على الشبهة

أولاً: إن قولهم باطل لا أساس له من الصحة... وذلك من وجهين:

الوجه الأول: إن الحديث لا يصح أبداً؛ لأنه ليس له إسناد، ولا يوجد في كتب السنة قط إلا في هذا الموضع فقط.

الوجه الثاني: إن إسلام الناس كان بالدعوة والموعظة الحسنة، ومحبة هدايتهم لرب العالمين...

وأتساءل: أي سيف هذا الذي سل على أبي بكر، وعمر، عثمان، وعلي...؟

الجواب: لا يوجد، وأكتفي هنا بذكر دليلين فقط أدحض بهما ما سبق:

الدليل الأول: قوله ﷺ: ﴿وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (63) (الأنفال).

الدليل الثاني: صحيح البخاري كتاب (المغازي) باب (وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال) برقم 4024 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال ، فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي ﷺ فقال: " ما عندك يا ثمامة " ؟ فقال: " عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل"

ذَا دِمَ ، وَإِنْ تَنْعَمَ تَنْعَمَ عَلَى شَاكِرٍ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ " . فَتَرَكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةَ ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ ، إِنْ تَنْعَمَ تَنْعَمَ عَلَى شَاكِرٍ . فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةَ ؟ فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ . فَقَالَ: أَطْلُقُوا ثُمَامَةَ . فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلِ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ : " أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ ، وَإِنْ خَيْلِكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ " فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْتَمِرَ ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ قَالَ : " لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ " .

ثَانِيًا: إن دخول الناس بالسيف والإرهاب ليس في دين الإسلام بل هو في دين المعترضين في كتابهم المقدس؛ فإننا نجد فيه الإجبار على دخول دينهم أكتفي هنا بذكر نصين:

الأول في العهد القديم: سفر أستر إصحاح 8 عدد ¹⁷ وفي كُلِّ بِلَادٍ وَمَدِينَةٍ، كُلُّ مَكَانٍ وَصَلَ إِلَيْهِ كَلَامُ الْمَلِكِ وَأَمْرُهُ، كَانَ فَرَحٌ وَبَهْجَةٌ عِنْدَ الْيَهُودِ وَلَوَائِمٌ وَيَوْمٌ طَيِّبٌ . وَكَثِيرُونَ مِنْ شُعُوبِ الْأَرْضِ تَهَوَّدُوا؛ لِأَنَّ رُعْبَ الْيَهُودِ وَقَعَ عَلَيْهِمْ .

نلاحظ أن سبب تهويد الناس هو الرعب الذي استخدمه اليهود : " وَكَثِيرُونَ مِنْ شُعُوبِ الْأَرْضِ تَهَوَّدُوا؛ لِأَنَّ رُعْبَ الْيَهُودِ وَقَعَ عَلَيْهِمْ " .

الثاني في العهد الجديد : إنجيل لوقا إصحاح 19 عدد ²⁷أَمَّا أَعْدَائِي، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَاتُّوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَادَّبَحُوهُمْ قُدَّامِي .

نلاحظ أن يسوع المسيح أمر بذبح مخالفه في العقيدة ومن لم يدخل في دينه.... لا تعليق !

رد شبهة: نبي يقول: (أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ) !

تشدق كبيرهم في بعض وسائل الإعلام، وكذلك أتباعه حول حديث النبي ﷺ : " أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ... " ادعوا أن رسول الله ﷺ أمر بقتال الناس جميعاً !
استندوا علي ادعائهم بما جاء في الصحيحين:

1- صحيح البخاري كتاب (الإيمان) باب (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) برقم 24 عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ . "

2- صحيح مسلم كتاب (الإيمان) باب (الْأَمْرُ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) برقم 30 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالُهُ وَنَفْسُهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ . "

الرد على الشبهة

أولاً: إن الشخصية التي تتكلم عن الحديث لا تهمنا؛ فما أكثر الكلاب، فالكلابُ تنبح والقافلةُ تمر، وليس بعد الكفرِ ذنب؛ **قال الله ﷻ:** ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (الفرقان 31).

وأما عن أتباعه أقول لهم محذراً: كما أن هناك أئمةً يهدون إلى الخير، هناك أئمةٌ يدعون إلى النار؛

قال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (القصص 41)
فندائي لأتباع هذا الدجال أن يبحثوا بإنصافٍ كي لا يهلكوا؛ كما أهلك الله ﷻ الذين من قبلهم ...

قال ﷻ عن أتباع فرعون وهامان الذين هم جنودهما وكانوا ينفذون ما يقولون دون تفكير: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (القصص 8) .
جاء في تفسير الجلالين : { إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ } وزيره { وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ } من الخطيئة أي : عاصين فعوقبوا على يديه . اهـ

ثانياً: إن ادعاءهم الذي يقول: إن رسولَ الله ﷺ أمر بقتالِ الناسِ جميعاً ادعاء كاذب... يدل على كذب أصحابه لماذا ؟
لأنني لما طالعتُ كلَّ الرواياتِ لم أجد أنه ﷺ أمر بقتالِ الناسِ جميعاً !

وأتساءل : أين لفظة (جميعاً) في أي روايةٍ من الرواياتِ هي ؟!

الجواب: لا توجد قط، بل توجد في عقولهم المريضة فقط
وبالتالي فهذا دليلٌ على كذبهم ، وتدليسهم على البسطاء الذين لا يبحثون

إن قيل: من هم الذين يقاتلهم النبي ﷺ كما جاء في قوله ﷺ: **أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ** ؟

قلت: إن فهم من الحديث أنه ﷺ يُقاتل كلَّ الناس فهذا من الجهل؛ لأن أصحابه ﷺ من الناس ولم يقاتلهم ، ولأن زوجاته - رضي الله عنهن - من الناس ولم يقاتلن ؛ ولأن أبناءه ﷺ من الناس ولم يقاتلهم !

أوضح ما سبق بأسئلة هي من قول الله ﷻ : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (آل عمران 173).

" الذين قال لهم الناس " من هم هؤلاء الناس ؟ هل هم كل الناس ؟

الجواب : لا ؛ ليسوا كل الناس " قال لهم الناس " أي: نعيم بن مسعود الأشجعي رجلاً واحداً وسماه الله ناس .

" إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ " من هم هؤلاء الناس ؟ هل هم كل الناس ؟

الجواب : لا ؛ ليسوا كل الناس " إن الناس " أبا سفيان وأصحابه " قد جمعوا لكم " الجموع ليستأصلوكم .

إذا : نعيم بن مسعود الأشجعي ، و أبو سفيان وأصحابه ليسوا كل الناس

وعليه فإن المعنى من قوله ﷺ : " **أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ ...** " . أي : أقاتل طائفة معينة من الناس.

وهذا ما بيّنه ابن حجر في الفتح قائلاً: أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَامِّ الَّذِي أُريدَ بِهِ الْخَاصُّ، فَيَكُونَ الْمُرَادُ بِالنَّاسِ فِي قَوْلِهِ " أَقَاتِلِ النَّاسَ " أَيُّ : الْمُشْرِكِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ رَوَايَةُ النَّسَائِيِّ بَلْفَظٍ " أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ الْمُشْرِكِينَ " . فَإِنْ قِيلَ: إِذَا تَمَّ هَذَا فِي أَهْلِ الْجَزِيَّةِ لَمْ يَتَمَّ فِي الْمُعَاهِدِينَ وَلَا فِيمَنْ مَنَعَ الْجَزِيَّةَ، أُجِيبَ بِأَنَّ الْمُمْتَنِعَ فِي تَرْكِ الْمُقَاتَلَةِ رَفْعُهَا لَا تَأْخِيرُهَا مُدَّةً كَمَا فِي الْهُدْنَةِ، وَمُقَاتَلَةُ مَنْ إِمْتَنَعَ مِنْ أَدَاءِ الْجَزِيَّةِ بِدَلِيلِ الْآيَةِ. اهـ

قلتُ : لعله قصد - رحمه الله - بالآية هي قوله الله ﷻ : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجَزِيَّةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (التوبة 29) .

وعليه فهو ﷻ لا يقاتل كل المشركين ﷻ ؛ لأن هذا لم يحدث ، ولكن يقاتل أئمة الكفر منهم الذين يعذبون الصالحين ، ويحاربون دين رب العالمين ، ويكونون عائقاً بينه وبين دعوته ﷻ لدين الله ﷻ حتى ينقذ الضعفاء من نار الجحيم إلى جنة النعيم....

ثالثاً: بعد أن بيّنتُ - بفضل الله ﷻ - من هم الناس الذين أشار إليهم النبي ﷺ في الحديث بقتالهم ...

يبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا يقاتلهم النبي ﷺ ؟

الجواب على ذلك يكون في تكملة الحديث : " حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ " .

إِذَا: لم يقاتلهم إلا بعد دعوته ﷺ لهم بالحسنى؛ كي يمتثلوا لأمر الله ﷻ ، ثم تخيرهم بين الإسلام ، والجزية إن كانوا من أهل الكتاب ، ثم القتال ؛ فإن اختاروا القتال كان ذلك كرها للمسلمين ؛ قال ﷺ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾ (البقرة 216). فهو ﷺ يقاتل رؤوس الكفر حتى يُعبد الناسَ لربِّ الناس ، وينقذ أتباعهم من نار جهنم، وتكلفة ذلك دمائه ﷺ ودماء وأشلاء أتباعه ﷺ

وعليه : فلم يقاتل رؤوس الكفر من أجل دنيا يصيبها ، مثل: مالٍ ، أو منصبٍ ، أو رئاسة... بل يقاتلهم " حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ " .

وبالتالي فإن هذا دليل على قمة رحمته بالمشركين؛ فهو بذلك ﷺ ينقذهم من نار جهنم بالإسلام بعد تخيير رؤوس الشرك والكفر بالأمور الثلاثة التي أسلفناها فلا شبهة عندنا في ذلك - بفضل الله ﷻ - .

ثم إنه ﷺ لما يقاتل رؤوس الكفر من تلقاء نفسه بل بأمر الله ﷻ بذلك... قال ابن حجر في الفتح: في قوله : (أُمِرْتُ) أي : أَمَرَنِي اللَّهُ ؛ لِأَنَّهُ لَا أَمْرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَقِيَاسُهُ فِي الصَّحَابِيِّ إِذَا قَالَ أُمِرْتُ فَالْمَعْنَى أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا يُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ أَمَرَنِي صَحَابِيٍّ آخَرَ لِأَنَّهُمْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ لَا يَحْتَجُّونَ بِأَمْرٍ مُجْتَهِدٍ آخَرَ ، وَإِذَا قَالَهُ التَّابِعِيُّ احْتَمَلَ . وَالْحَاصِلُ أَنَّ مَنْ اشْتَهَرَ بِطَاعَةِ رَئِيسٍ إِذَا قَالَ ذَلِكَ فَهُمْ مِنْهُ أَنَّ الْأَمْرَ لَهُ هُوَ ذَلِكَ الرَّئِيسُ . اهـ

وعليه : فهذا تكليف له من ربه ﷺ ؛ لأن الله ﷻ عَلمَ بعلمه القديم أنهم لا يؤمنون ، وسيحاربون ، ويتجبرون ... فأطلع نبيه ﷺ على ذلك، وليس هو ﷺ من يأمر بقتال أئمة الكفر من تلقاء نفسه كما فهم المعترضون

رابعاً: إن هناك farkاً كبيراً لا يعرفه المعترضون بين كلمتين: الأولى : أقاتل ، والثانية : أقتل .

فمعنى الأولى من القتال : وهو بذل الجهد في صرف العدو عن الإيذاء .
ومعنى الثانية من القتال: ومعناه القضاء على العدو وإبادته ، ولا شك أن الحديث يذكر الكلمة الأولى .

خامساً: إن الدكتور عبد المهدي عبد القادر ذكر ردً جميلاً في كتابه: (دفع الشبهات عن السنة والرسول ص153- 154) : إن الحديث لا إرهاب فيه ولا تطرف ، وإنما يمنع تطرف القساة واراها بهم الناس أن يسلموا . إنه حديث يمنع القساة أن يحرّموا الناس من الدخول في الإسلام. إنه يوفر الحرية الدينية لكل الناس . و هذا الحديث يعالج التطرف من زاوية أخرى ، فهو ينهى المسلم عن العدوان على من نطق بالشهادتين، إنه ينهى عن تكفير الآخرين بأمور باطنة ، ويعترف بالإسلام بناء على الأمور الظاهرة .
ولذلك ذكر العلماء هذا الحديث مع حديث أسامة بن زيد قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً إِلَى الْحُرَقَاتِ فَنَذَرُوا بِنَا فَهَرَبُوا فَأَدْرَكَنَا رَجُلًا فَلَمَّا غَشَيْنَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَضَرَبْنَاهُ حَتَّى قَتَلْنَاهُ فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: " مَنْ لَكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " . فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّمَا قَالَهَا مَخَافَةَ السَّلَاحِ. قَالَ: " أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَالَهَا أَمْ لَا مَنْ لَكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " . فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أُسَلِّمْ إِلَّا يَوْمَئِذٍ. رواه أبو داود في سننه .

إن حديثَ (أمرت أن أقاتل الناس) وحديث (أفلا شققت عن قلبه) ذكرهما أبو داود وابن ماجة في باب واحد ، مما يدل على أن من أظهر الإسلام ولو بالشهادتين فقط يعامل معاملة المسلم ، ولا يصح أن يتنكر لهذا القدر الذي أظهره ، لا يصح أن نبحث عن السرائر فهي موكولة إلى الله سبحانه ، وإنما الأحكام على الظاهر إن الحديث يحث على قتال الذين يمنعون وصول دعوة الحق إلى كل الخلق يقاتلون حتى يظهر الحق أمام كل الناس وتتوفر الحرية الدينية لكل البشر. اهـ بتصرف يسير .

قلتُ: إن الدكتور - حفظه الله - قصد بالباب باب (على ما يُقاتل المشركون).

سادساً: إن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد يخبرنا عن أمرٍ من الله ﷻ بقتال الناس كما كان من نبيِّنا ﷺ كما سيتقدم معنا - أن شاء الله ﷻ - .
فليت المعترضين يخبروني : هل قال النبي ﷺ يوماً كما قال يسوع بحسب ما نسبت إليه الأناجيل في مواضع عدة منها:

1- إنجيل لوقا إصحاح 19 عدد 27²⁷ أَمَّا أَعْدَائِي أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأَتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَادَّبَحُوهُمْ قُدَّامِي !»

2- إنجيل متى إصحاح 10 عدد 34³⁴ «لَا تَهْبِطُوا عَلَيَّ جَنَّتْ لَأُلْقِيَ سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ. مَا جِئْتُ لَأُلْقِيَ سَلَامًا بَلْ سَيْفًا !»

3- إنجيل لوقا إصحاح 12 عدد 49⁴⁹ يقول يسوع : «جِئْتُ لَأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الْأَرْضِ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوْ اضْطَرَمَّتْ !»

وَأَسْأَلُ : ما عكس كلمة (السلام) التي ذكرها يسوع ؟

الجواب: الحرب.

يبقى السؤال: كيف كانت الحربُ في زمنِ يسوع ؟

هل بالسيف والنار أم بالبنادق والرشاشات ؟

الجواب: كانت بالسيف والنار....

إِذَا كلام يسوع واضح لمن أراد أن يفهم... وبعد ذلك يعيرون علي نبينا ﷺ ؛ لأن الله ﷻ أمره بقتل الأشرار من الناس ، ولا يعيرون على نصوص كتبهم التي تقول: إن يسوع يأمر بذبح مخالفيه، وقتالهم بالسيف ، والنار.....

ويذكر العهد القديم لنا كيف أباح الربُّ قتل الرجال والنساء والأطفال من ست قبائل كاملة مع التدمير الكامل.... وذلك بحسب ما جاء في سفر التثنية إصحاح 20 عدد: ¹⁰«حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، ¹¹فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. ¹²وَإِنْ لَمْ تُسَالِمَكَ، بَلْ عَمِلْتَ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. ¹³وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلَيْكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَذِّ السَّيْفِ. ¹⁴وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلْ غَنِيمَةَ أَعْدَانِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ. ¹⁵هَكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مَدُنِ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ هُنَا. ¹⁶وَأَمَّا مَدُنُ هَؤُلَاءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ نَصِيبًا فَلَا تَسْتَبِقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَاءً، ¹⁷بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا: الْحَيَّيْنَ وَالْأُمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ، ¹⁸لِكَيْ لَا يَعْلَمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَاسِهِمُ الَّتِي عَمِلُوا لِأَلِهَتِهِمْ، فَتَخْطِئُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَهُكُمْ.

نلاحظ من النصوص : تعاليم الرب عند تخيير العدو قبل قتاله ، وبعد قتاله ، وكيف وصلت القسوة والوحشية فيها إلي منتهاها ولنقارن بينها وبين ما قاله نبينا ﷺ في وصاياه لأصحابه ﷺ عند لقاء العدو....
وذلك في الآتي :

1- صحيح مسلم برقم 3261 عن بريدة ؓ قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ : " اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَعْلُوا وَلَا تَغْدُرُوا وَلَا تَمْتَلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالَ فَأَيْتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفِيءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلِّهِمُ الْجَزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حَصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تَخْفَرُوا ذِمَّتَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفَرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حَصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا . "

2- سنن أبي داود برقم 2247 عن أنس ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا قَانِيًا وَلَا طِفْلًا وَلَا صَغِيرًا وَلَا

امْرَأَةً وَلَا تَغْلُوا وَضُمُوا غَنَائِمَكُمْ وَأَصْلَحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " .
تحقيق الألباني : ضعيف ، ضعيف الجامع الصغير (1346) ، المشكاة (3956) .

3- صحيح مسلم كتاب (الجهاد والسير) باب (تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب) برقم 3280 عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: وَجَدْتُ امْرَأَةً مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَغَارِي ، فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ .

4- سنن أبي داود برقم 2295 عَنْ جَدِّهِ رِبَاحِ بْنِ رَبِيعٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ : انْظُرْ عَلَامَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ فَجَاءَ فَقَالَ: عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ فَقَالَ : " مَا كَانَتْ هَذِهِ لَتُقَاتِلَ " قَالَ وَعَلَى الْمُقَدَّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ : قُلْ لِحَالِدٍ : لَا يَفْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا عَسِيفًا . السلسلة الصحيحة للألباني برقم 701 . (العسيف) : هو الذي يخدم في الجيش ولا يشارك في قتال نهى النبي ﷺ عن قتله .

5- سنن ابن ماجه برقم 2832 عَنْ حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَرَرْنَا عَلَى امْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا النَّاسُ فَأَفْرَجُوا لَهُ فَقَالَ : " مَا كَانَتْ هَذِهِ تُقَاتِلُ فِيمَنْ يُقَاتِلُ " ، ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ : انْطَلِقْ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَقُلْ لَهُ: " إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ يَقُولُ : " لَا تَقْتُلَنَّ نَرِيَّةً وَلَا عَسِيفًا " .

نلاحظ : أنه ﷺ كان ينهى عن قتل النساء ، والأطفال ، والشيوخ ، والرهبان ...

وَأَدْعُو الْقَارِئَ أَنْ يَنْظُرَ بَعِينَ الْإِنْصَافِ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْآتِي:

1- طرد وإبادة سبع أمم بأكملها ، وعدم قبول العهد والصلح منهم وذلك بحسب قول الرب لموسى عليه السلام في سفر التثنية إصحاح 7 عدد 1 «مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لَتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: الْحِثِّيَّ وَالْجَرْجَاشِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيَّينَ وَالْحَوِيثِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، سَبْعَ شُعُوبٍ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ،² وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلَهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَأَيْتُكَ تَحْرِمُهُمْ. لَا تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلَا تَشْفِقْ عَلَيْهِمْ،³ وَلَا تَصَاهِرُهُمْ. بَنَتَكَ لَا تَعْطِ لِابْنِهِ، وَبِنْتَهُ لَا تَأْخُذُ لِابْنِكَ.⁴ لِأَنَّهُ يَرُدُّ ابْنَكَ مِنْ وَرَائِي فَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى، فَيَحْمِي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكَ وَيَهْلِكُكُمْ سَرِيعًا.⁵ وَلَكِنْ هَكَذَا تَفْعَلُونَ بِهِمْ: تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتَكْسِرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتَقْطَعُونَ سَوَارِيَهُمْ، وَتَحْرِقُونَ تَمَاثِيلَهُمْ بِالنَّارِ.

2- داود النبي وقواته قتلوا أربعين ألف فارس وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 10 عدد 18 وهرب آرام من أمام إسرائيل، وقتل داود من آرام سبع مئة مركبة وأربعين ألف فارس، وضرب شوبك رئيس جيشه فمات هناك.

نلاحظ: كم قتل داود عليه السلام من الناس ؟ " أَرْبَعِينَ أَلْفَ فَارِسٍ " وكم قتل النبي ﷺ رجل واحد فقط؛ قتله بيده هو أبي بن خلف.

4- داود النبي وقواته قتلوا ووضعوا الأعداء تحت المناشير في سفر صموئيل الثاني إصحاح 12 عدد 26 وَحَارَبَ يُوَابُ رِبَّةَ بَنِي عَمُونَ وَأَخَذَ مَدِينَةَ الْمَمْلَكَةِ.²⁷ وَأَرْسَلَ يُوَابُ رُسُلًا إِلَى دَاوُدَ يَقُولُ: «قَدْ حَارَبْتُ رِبَّةَ وَأَخَذْتُ أَيْضًا مَدِينَةَ الْمِيَاهِ.²⁸ فَالآنَ اجْمَعْ بَقِيَّةَ الشَّعْبِ وَانْزِلْ عَلَى الْمَدِينَةِ وَخُذْهَا لَنَا أَخْذًا أَنَا الْمَدِينَةُ فَيُدْعَى بِاسْمِي عَلَيْهَا». ²⁹ فَجَمَعَ دَاوُدُ كُلَّ الشَّعْبِ وَذَهَبَ إِلَى رِبَّةَ وَحَارَبَهَا وَأَخَذَهَا.³⁰ وَأَخَذَ تَاجَ مَلِكِهِمْ عَنْ رَأْسِهِ، وَوَزْنَهُ وَوَزْنَةُ مِنَ الذَّهَبِ مَعَ حَجَرٍ كَرِيمٍ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ دَاوُدَ. وَأَخْرَجَ غَنِيمَةَ الْمَدِينَةِ كَثِيرَةً جَدًّا.³¹ وَأَخْرَجَ

الشَّعْبَ الَّذِي فِيهَا وَوَضَعَهُمْ تَحْتَ مَنَاشِيرَ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ وَفُؤُوسِ حَدِيدٍ وَأَمَرَهُمْ فِي أَتُونِ
الْأَجُرِّ، وَهَكَذَا صَنَعَ بِجَمِيعِ مَدُنِ بَنِي عَمُّونَ. ثُمَّ رَجَعَ دَاوُدُ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِلَى أُورُشَلِيمَ.

وأكتفي بذلك لكي يقرأ من كان له عينان ، وليفهم من كان له عقل ، ولا يردد كلاماً
كاللبغاواتِ العجمواتِ ، فالحمد لله على نعمة التفكير....

رد شبهة: نبيُّ يقول: (الجنة تحت ظلال السيوف) !

قالوا: لقد حث رسولُ الإسلامِ أتباعه على قتالِ الآخرين... بدعوى هذا الحديث الذي يدعو
للإرهاب ...

في صحيح البخاري كتاب (الجهاد و السير) باب (الجنة تحت بارقة السيوف) برقم
2607 عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "
وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ". تَابَعَهُ الْأَوْسِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ مُوسَى
بْنِ عُقْبَةَ.

الرد على الشبهة

أولاً: إن لي سؤالين للمعترضين من خلالهما أنسف الشبهة نسفاً - إن شاء الله ﷻ - :
الأول: متى وأين قال النبي ﷺ هذا الحديث " وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ "؟

الجواب: قاله النبي ﷺ في غزوة الأحزاب (الخندق).

الثاني: هل غزوة الأحزاب كانت اعتداء من المسلمين على غيرهم أم العكس... ؟

الجواب: العكس صحيح ؛ الغزوة كانت دفاعاً من المسلمين عن أنفسهم ...

إذًا: ليس في الحديث الحث على الاعتداء على الآخرين ، والكل يتفق أن استخدام السيف لدفع المعتدي يعتبر منقبة وليس مذمة ... وعلى هذا فالحديث يحث على الصبر على اعتداء الكفار على المسلمين كما سيتبين من الرواية الأخرى ...

يدل ذلك دليلاً:

الأول: سنن أبي داود برقم 3748 قال ﷺ : " دَعَا الْحَبَشَةَ مَا وَدَعَوْكُمْ وَأَتْرَكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ " . تحقيق الألباني : (حسن) انظر حديث رقم 3384 في صحيح الجامع .

والمعنى: إذا لم يعتدوا عليكم فلا تعتدوا عليهم ...

الثاني: قوله: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة 190) .

ثانياً: كان على المعترضين أن يدققوا في البحث قبل عرضهم.....

فلو بحثوا جيداً في الروايات والشروح لوجدوا الروايات الأخرى التي توضح الرواية التي جعلوا منها شبهة ...

ففي صحيح البخاري برقم 2744 عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا أَنْتَظَرَ حَتَّى مَالَتْ الشَّمْسُ ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا قَالَ : " أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَعَلِّمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ثُمَّ قَالَ : " اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ " .

قال ابن حجر في الفتح : قوله : (لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا) قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: حِكْمَةُ النَّهْيِ أَنَّ الْمَرْءَ لَا يَعْلَمُ مَا يَنْوُلُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ ، وَهُوَ نَظِيرُ سُؤَالِ الْعَافِيَةِ مِنَ الْفِتَنِ ، وَقَدْ قَالَ الصَّدِّيقُ: " لِأَنَّ أَعَافَى فَأَشْكُرُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبْتَلَى فَاصْبِر " وَقَالَ غَيْرُهُ : إِنَّمَا نَهَى عَنْ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ لِمَا فِيهِ مِنْ صُورَةِ الْإِعْجَابِ وَالْإِتْكَالِ عَلَى النُّفُوسِ وَالْوُثُوقِ بِالْقُوَّةِ وَقِلَّةِ الْإِهْتِمَامِ بِالْعَدُوِّ ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَبَيِّنُ الْإِحْتِيَاظَ وَالْأَخْذَ بِالْحَزْمِ . وَقِيلَ يُحْمَلُ النَّهْيُ عَلَى مَا إِذَا وَقَعَ الشَّكُّ فِي الْمَصْلَحَةِ أَوْ حُصُولِ الضَّرَرِ ، وَإِلَّا فَالْقِتَالُ فَضِيلَةٌ وَطَاعَةٌ . وَيُؤَيِّدُ الْأَوَّلَ تَعْقِيبُ النَّهْيِ بِقَوْلِهِ " وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ " وَأَسْتَدِلُّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى مَنْعِ طَلَبِ الْمُبَارَزَةِ ، وَهُوَ رَأْيُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، وَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ : لَا تَدْعُ إِلَى الْمُبَارَزَةِ ، فَإِذَا دُعِيتُ فَأَجِبْ تَنْصِرَ ، لِأَنَّ الدَّاعِيَ بَاغٍ . وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُ عَلِيٍّ فِي ذَلِكَ .

قوله : (ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ الْخ) أَشَارَ بِهَذَا الدُّعَاءُ إِلَى وُجُوهِ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ ، فَبِالْكِتَابِ إِلَى قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ (التوبة:14) . وَبِمُجْرِيَ السَّحَابِ إِلَى الْقُدْرَةِ الظَّاهِرَةِ فِي تَسْخِيرِ السَّحَابِ حَيْثُ يُحَرِّكُ الرِّيحُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ ﷻ ، وَحَيْثُ يَسْتَمِرُّ فِي مَكَانِهِ مَعَ هُبُوبِ الرِّيحِ ، وَحَيْثُ تُمْطَرُ تَارَةً وَأُخْرَى لَا تُمْطَرُ ، فَأَشَارَ بِحَرَكَتِهِ إِلَى إِعَانَةِ الْمُجَاهِدِينَ فِي حَرَكَتِهِمْ فِي الْقِتَالِ ، وَبِوُقُوفِهِ إِلَى إِمْسَاكِ أَيْدِي الْكُفَّارِ عَنْهُمْ ، وَبِإِنْزَالِ الْمَطَرِ إِلَى غَنِيمَةٍ مَا مَعَهُمْ حَيْثُ يَتَّفَقُ قَتْلُهُمْ ، وَبِعِدَمِهِ إِلَى هَزِيمَتِهِمْ حَيْثُ لَا يَحْصُلُ الظَّفَرُ بِشَيْءٍ مِنْهُمْ ، وَكُلُّهَا أَحْوَالُ صَالِحَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ . وَأَشَارَ بِهَازِمِ الْأَحْزَابِ إِلَى

التَّوَسَّلَ بِالنُّعْمَةِ السَّابِقَةِ ، وَإِلَى تَجْرِيدِ التَّوَكُّلِ ، وَاعْتِقَادِ أَنَّ اللَّهَ ﷻ هُوَ الْمُنفِرِدُ بِالْفِعْلِ .
 وَفِيهِ التَّنْبِيهُ عَلَى عَظَمِ هَذِهِ النُّعْمَةِ الثَّلَاثِ ، فَإِنَّ بِنِزَالِ الْكِتَابِ حَصَلَتِ النُّعْمَةُ الْأُخْرَوِيَّةُ
 وَهِيَ الْإِسْلَامُ ، وَبِإِجْرَاءِ السَّحَابِ حَصَلَتِ النُّعْمَةُ الدُّنْيَوِيَّةُ وَهِيَ الرِّزْقُ ، وَبِهَزِيمَةِ الْأَحْزَابِ
 حَصَلَ حِفْظُ النُّعْمَتَيْنِ ، وَكَأَنَّهُ قَالَ : اللَّهُمَّ كَمَا أَنْعَمْتَ بِعَظِيمِ النُّعْمَتَيْنِ الْأُخْرَوِيَّةِ وَالْدُّنْيَوِيَّةِ
 وَحَفَظْتَهُمَا فَأَبْقَهُمَا . وَرَوَى الْإِسْمَاعِيلِيُّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ وَجْهِ آخَرٍ أَنَّهُ ﷻ دَعَا أَيْضًا
 فَقَالَ : " اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا وَرَبُّهُمْ ، وَنَحْنُ عِبِيدُكَ وَهُمْ عِبِيدُكَ نَوَاصِينَا وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِكَ ،
 فَاهْزِمِهِمْ وَأَنْصِرْنَا عَلَيْهِمْ " وَلِسَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ عَنْ
 النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا نَحْوَهُ لَكِنْ بِصِيغَةِ الْأَمْرِ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ (وَسَلُّوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ : فَإِنْ بُلِيتُمْ
 بِهِمْ فَقُولُوا اللَّهُمَّ) فَذَكَرَهُ وَزَادَ (وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَاحْمَلُوا عَلَيْهِمْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ) . اهـ

ثالثاً: إن قيل: ما هو ما معنى قوله ﷻ : " وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ " ؟

قلتُ: إن المجاهد الذي يجاهدُ في سبيلِ الله بالسيفِ أو البندقية.... إن قُتِلَ من أجلِ كلمةِ
 التوحيدِ ومن أجلِ دفاعهِ عن المستضعفين جهاداً في سبيلِ الله؛ صار شهيداً ثم صار من
 أهل الجنة.

قال ﷻ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل
 عمران 169). وقد كان من الصحابة رضي الله عنهم من فتح الله مسامحه في الدنيا قبل استشهاده حتى
 اشتم رائحة الجنة كأنس بن النضر رضي الله عنه ، وذلك في صحيح البخاري برقم 3742 عَنْ
 أَنَسٍ ﷺ أَنَّ عَمَّهُ غَابَ عَنْ بَدْرٍ فَقَالَ: غَبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ لَنْ أَشْهَدَنِي اللَّهُ مَعَ
 النَّبِيِّ ﷺ لِيرِيَنَّ اللَّهُ مَا أَجِدُ فَلَقِي يَوْمَ أُحُدٍ فَهَزِمَ النَّاسُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا
 صَنَعْتُ هَؤُلَاءِ يَعْني الْمُسْلِمِينَ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ فَلَقِي سَعْدُ بْنُ
 مُعَاذٍ فَقَالَ: أَيْنَ يَا سَعْدُ إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ فَمَضَى فَقُتِلَ فَمَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفَتْهُ

أَخْتُهُ بِشَامَةٍ أَوْ بَيْنَانِهِ وَبِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمِيَةٍ بِسَهْمٍ . لهذا قال النبي ﷺ : " وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلِّ السَّيْفِ " .

وأقول: إن الجهاد ليس كله بالسيف؛ فمن الجهاد أيضاً الجهاد بالقرآن الكريم....

قال ﷺ : ﴿ فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان 52).

أجمع المفسرون أن الجهاد في هذه الآية هو بالقرآن الكريم.

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم " .
رواه أبو داود والنسائي والدارمي وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم 3821.

وحينما نتكلم عن السيوف والقتال لابد أن نفرق أولاً بين قتال من أجل الباطل، وقاتل دفعاً عن الدين و النفس، والعرض، والضعفاء من الولدان والنساء.... أي: من أجل الحق ...

قال ﷺ : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ (النساء 75).

جاء في التفسير الميسر : وما الذي يمنعكم - أيها المؤمنون - عن الجهاد في سبيل نصرة دين الله ﷻ، ونصرة عباده المستضعفين من الرجال والنساء والصغار الذين اعتدي عليهم، ولا حيلة لهم ولا وسيلة لديهم إلا الاستغاثة بربهم، يدعونه قائلين : ربنا أخرجنا من هذه القرية - يعني "مكة" - التي ظلم أهلها أنفسهم بالكفر والمؤمنين بالأذى، واجعل لنا من عندك ولياً يتولى أمورنا، ونصيراً ينصرنا على الظالمين . اهـ

وَأَسْأَلُ : هل هذا قتال من أجل الباطل ؟! هذا هو.

الجواب : إن ما وقع في الحديث الذي معنا أن الأحزاب تكالبت على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والمسلمين في غزوة الأحزاب (الخندق) ، وكان عددهم أكثر من عشرة آلاف مقاتل ، أمام ثلاثمائة من المسلمين بعد أن فارق المنافقون نبينا ﷺ ومن معه ، وحصر النبي ﷺ وأصحابه ﷺ والنساء والأطفال فخطب فيهم ﷺ قائلاً : " أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمْهُمْ فَأَصْبِرُوا وَعَلِّمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ " . ثُمَّ قَالَ : " اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِي السَّحَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ " . وبعدها حدث النصر من عند الله ﷻ بإرسال ريح دمرت حصونهم ، وأقلعت خيامهم ، وجنود لم يروها ؛ أرسلها الله نصرته للمؤمنين هم الملائكة ؛ قال ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (الأحزاب:9).

جاء في التفسير الميسر: يا معشر المؤمنين اذكروا نعمة الله التي أنعمها عليكم في "المدينة" أيام غزوة الأحزاب وهي غزوة الخندق، حين اجتمع عليكم المشركون من خارج "المدينة"، واليهود والمنافقون من "المدينة" وما حولها، فأحاطوا بكم، فأرسلنا على الأحزاب ريحاً شديدة اقتلعت خيامهم ورمت قدورهم ، وأرسلنا ملائكة من السماء لم تروها، فوقع الرعب في قلوبهم. وكان الله بما تعملون بصيراً، لا يخفى عليه من ذلك شيء . اهـ

رابعاً : بعد أن بينتُ - بفضل الله ﷻ - أن الحديث ليس فيه شبهة ؛ بل هو من أعظم أحاديث النبي ﷺ ، وفيه معجزة من معجزاته ﷺ حيث انتصر المسلمون لما دعا ﷺ أصحابه ﷺ إلى عدم تمني لقاء العدو ، والصبر عند اللقاء ، ثم دعا الله ﷻ فجاء المدد

من السماء بالنصر والتمكين من غير حول منه ولا قوة ﷺ ؛ نصره الله تعالى دون إراقة
دماء ، ودون قتال ؛ قال ﷺ : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ (الأحزاب 25) .

وبعد أن بينت للمعترضين الحق، وما غاب عنهم... ..

أتساءل : إن إنجيل لوقا ذكر أن يسوع إله المحبة بحسب اعتقادكم أمر تلاميذه بأن
يشترتوا سيوفاً لماذا؟؟ أليس هو إلهاً قوياً ؟ أم أنه رسول من عند الله... ؟!

جاء ذلك في الإصحاح 22 عدد 36 فَقَالَ لَهُمْ: «لَكِنَّ الْآنَ، مَنْ لَهُ كَيْسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمَزُودٌ
كَذَلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِيعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سِيفًا. 37 لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ فِي أَيْضًا
هَذَا الْمَكْتُوبُ: وَأُحْصِيَ مَعَ أَثْمَةٍ. لِأَنَّ مَا هُوَ مِنْ جِهَتِي لَهُ أَنْقِضَاءٌ». 38 فَقَالُوا: «يَارَبُّ، هُوَذَا
هُنَا سِيفَانِ». فَقَالَ لَهُمْ: «يَكْفِي!». 39 وَخَرَجَ وَمَضَى كَالْعَادَةِ إِلَى جَبَلِ الزَيْتُونِ، وَتَبِعَهُ أَيْضًا
تَلَامِيذُهُ. 40 وَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمَكَانِ قَالَ لَهُمْ: «صَلُّوا لِكَيْ لَا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ». 41 وَأَنْفَصَلَ
عَنْهُمْ نَحْوَ رَمِيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى 42 قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي
هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لَتَكُنْ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ». 43 وَظَهَرَ لَهُ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيه. 44 وَإِذْ
كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرْقُهُ كَقَطَرَاتٍ دَمٍ نَازِلَةً عَلَى الْأَرْضِ. 45 ثُمَّ
قَامَ مِنَ الصَّلَاةِ وَجَاءَ إِلَى تَلَامِيذِهِ، فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا مِنَ الْحُزَنِ. 46 فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا أَنْتُمْ نِيَامُونَ؟
قُومُوا وَصَلُّوا لِنَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ».

يبقى السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا أمر يسوع تلاميذه أن يبيعوا ملابسهم ويشترتوا سيوفاً
؟ هل كان المعنى (الجنة تحت ظلال السيف)، أم كان يدعوهم إلى بحيرة النار
والكبريت... ؟!

ثم إن لفظ السيف جاء في الكتاب المقدس مئات المرات، ولم يرد في القرآن الكريم مرة
واحدة، أفلا يعقلون ؟!

قلتُ: إن هذه النصوص تشبه نفس الظروف التي مرت بالنبي ﷺ في عزوة الأحزاب كما في الحديث الذي معنا، وما حدث مع يسوع حين حاصره اليهود هو وتلاميذه

نلاحظ من كلام يسوع: " صَلُّوا لِكَيْ لَا تَدْخُلُوا فِي تَجَرِبَةٍ " .

وأُتساعِلُ : أليس هذا هو نفس كلام النبي ﷺ : " لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا " أي : لا تتمنوا أن تدخلوا في تجربة القتال؟! - سبحان الله - إنها السنن

ونلاحظ من النصوص فعل يسوع : " ⁴¹وَأَنْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمِيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى ⁴²قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لَنْتُكَنَّ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ " أي: أنه دعا ربه أن ينصره ويخلصه من مكر اليهود ، وهو كفعل النبي ﷺ لما قَالَ : " اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِي السَّحَابِ وَهَازِمِ الْأَحْزَابِ اهْزِمْنَاهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ " .

ونلاحظ من النصوص : " ⁴³وَظَهَرَ لَهُ مَلَاكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيه " . ونزلت الملائكة بعد دعاء النبي ﷺ وهي الجنود التي لم يروها ؛ قَالَ ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (الأحزاب9) .

قلتُ: إنها السنن التي لا تتبدل، التي منها الابتلاء؛ حاصر اليهود المسيح ﷺ كما بينت النصوص التي ذكرناها، وحاصر المشركون النبي ﷺ بتحريض من اليهود وفيهم اليهود، وكان فعل المسيح ﷺ قريب جداً من فعل النبي ﷺ .

وعليه أتساءل : كيف للمعترضين إن يحكموا على نبيِّنا ﷺ بأنه يدعو للإرهاب من خلال حديثه الذي أسيء فهمه، وقد تم إيضاحه - بفضل الله ﷻ - ولم يحكموا بذلك الحكم على يسوع المسيح ﷺ ؛ فالظروف واحدة كما بينت - بفضل الله ﷻ - ؟!

رد شبهة : نبيُّ يقول : (لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ) !

قالوا: إن رسول الإسلام هو أصل الإرهاب الذي نراه في العراق من ذبح الأمريكان والشيعية وغيرهم تحت عنوان (الله أكبر) !.....!

مستندين في ذلك على ما جاء بمسند أحمد مسند المُكثَرين من الصَّحابة باب (مسند عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله تعالى - عنهما برقم 6739 قال : يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق قال: وحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فِيمَا كَانَتْ تَظْهَرُ مِنْ عِدَاوَتِهِ قَالَ: حَضَرْتَهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحَجْرِ فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ سَقَاهُ أَحْلَامُنَا ، وَشَتَمَ آبَاءَنَا ، وَعَابَ دِينَنَا ، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَسَبَّ آلِهَتَنَا لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ أَوْ كَمَا قَالُوا . قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ فَلَمَّا أَنْ مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ مَا يَقُولُ قَالَ: فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ مَضَى فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ الثَّانِيَةَ غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ مَضَى ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ الثَّالِثَةَ فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا فَقَالَ: تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ فَأَخَذَتِ الْقَوْمُ كَلِمَتَهُ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَانَتْ أَلْفَاظُهُ عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَقَعَ حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاءَةً قَبْلَ ذَلِكَ لَيَرْفُوهُ بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ : أَنْصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَنْصَرِفْ رَاشِدًا فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ جَهُولًا قَالَ: فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ اجْتَمَعُوا فِي الْحَجْرِ وَأَنَا مَعَهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ذَكَرْتُمْ مَا

بَلَغَ مِنْكُمْ وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ حَتَّى إِذَا بَادَاكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَثَبُوا إِلَيْهِ وَثَبَهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَاحَاطُوا بِهِ يَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا لَمَّا كَانَ يَبْلُغُهُمْ عَنْهُ مِنْ عَيْبِ آلِهِتِهِمْ وَدِينِهِمْ قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ قَالَ: وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ دُونَهُ يَقُولُ وَهُوَ يَبْكِي: { أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ } ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لِأَشَدُّ مَا رَأَيْتُ قَرِيشًا بَلَغَتْ مِنْهُ قَطٌّ .

الرد على الشبهة

أولاً: إن نبيينا ﷺ نهانا عن المثلة : وهي جُدْعُ الأطرافِ، أو قطعها، أو تشويه الجسد تنكيلاً، وقد تطلق على النذر بما يرهق النفس أو يشوهها ؛ تدلل على ذلك أدلة منها:

1- مسند أحمد برقم 17450 عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ قَالَ : " نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْمَثَلَةِ " .

انظر حديث رقم 6899 في صحيح الجامع.

2- مسند أحمد برقم 19012 عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ : " مَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً إِلَّا أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ وَنَهَانَا عَنِ الْمَثَلَةِ " .

3- نهى ﷺ عن المثلة حتى بالبهايم، وذلك في صحيح سنن النسائي للألباني برقم 4440 ، وفي السلسلة الصحيحة برقم 2431 عن عبد الله بن جعفر قال: مر رسول الله ﷺ على أناسٍ وهم يرمون كبشاً بالنبلِ فكره ذلك وقال : " لا تمثلوا بالبهايم " .

4- كان ﷺ يأمر أصحابه بعدم التمثيل بجسد العدو ، ففي سنن أبي داود برقم 2246 عَنْ بُرَيْدَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تُمَتِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا ". صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم 2613.

3- جملة وصاياه في ذلك الشأن في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحة برقم 3615 عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ثَنَّتَانِ حَفَظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُجِدْ أَعْدَاكُمْ شَفْرَتَهُ فليُرْحَ ذَبِيحَتَهُ " .

وبالتالي: فإن هذه هي سنة نبيِّنا ﷺ ووصياه بعدم التمثيل بالحيوانات، وبالأعداء.....

وعليه: تسقط فريتهم التي تقول: إن رسول الإسلام هو أصل الإرهاب.....ثم إن ناقل الكفر ليس بكافر، وليس بعد الكفر ذنب.....

ثانياً: إن هناك سؤالاً الذي يطرح نفسه هو: متى قال النبي ﷺ: " قَدْ جُنْتُكُمْ بِالدَّبْحِ " ؟

الجواب: من خلال قراءة الحديث يتضح لنا أن النبي ﷺ قاله قبل الهجرة، حيث إن المشركين اضطهدوه ﷺ ، وحاولوا خنقه

فقال لهم على سبيل التوعيد وتخويفهم حتى يبتعدوا عنه : " قَدْ جُنْتُكُمْ بِالدَّبْحِ " .

يُذلل على ما ذكرتُ ما جاء في صحيحِ بنِ حبان برقم 6689 عن عمرو بنِ العاص رضي الله عنه قال : ما رأيت قريشاً أرادوا قتل رسول الله ﷺ إلا يوماً رأيتهم وهم جلوس في ظل الكعبة ورسول الله ﷺ يصلي عند المقام ، فقام إليه عقبة بن أبي معيط ، فجعل رداءه في عنقه ، ثم جذبه حتى وجب لركبتيه ﷺ ، وتصايح الناس ، فظنوا أنه مقتول . قال : وأقبل أبو بكر رضي الله عنه يشتد حتى أخذ بضبعي رسول الله ﷺ من ورائه ، وهو يقول : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ، ثم انصرفوا عن النبي ﷺ ، فقام رسول الله ﷺ ، فلما قضى صلاته مر بهم وهم جلوس في ظل الكعبة ، فقال : « يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده ، ما أرسلت إليكم إلا بالذبح » ، وأشار بيده إلى حلقه ، فقال له أبو جهل : يا محمد ، ما كنت جهولاً ، فقال رسول الله ﷺ : « أنت منهم ».

نلاحظ من خلال ما سبق : أنه ﷺ أُوذي أشد الإيذاء ، وَخُنِقَ ﷺ وَضُرِبَ ... فقال لهم ذلك حتى يخوفهم ويبعدهم عنهم، ويتركوه لدعوته التي كُلف بها، وهذا واضح من قول المشركين عن النبي ﷺ : " سَقَه أَحْلَامَنَا وَشَتَمَ آبَاءَنَا وَعَابَ دِينَنَا وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا وَسَبَّ آلِهَتَنَا...." وبعد ذلك حاولوا خنقه ﷺ

ثالثاً: إن قيل : ما معنى كلمة (الذبح) التي جاءت في الحديث ؟

قلتُ : ربما أريد بها القتل ، فمثلاً : أنت لو قلتَ لإنسانٍ يضايقك أن لم تسكت سأذبحك! هل تقصد الذبح بمعنى النحر ؟! أم أنك تقصد القتل ؟ هذا هو .

وأما عن ضرب العنق في اللغة العربية فهو يُطلق على القتل عامة، وأما ضرب العنق يكون من الخلف فهو أريح للمقتول؛ وليس المراد أن يُذبح الإنسان بطريقة وحشية....

رابعاً : إن هذا الحديث فيه معجزة من معجزات النبي ﷺ ، وفيه دلالة واضحة على صدق نبوته ﷺ حيث إننا نجد في الروايات التي سبق ذكرها أن النبي ﷺ لما قال للذين أذوه: " قَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ " وكان ذلك على سبيل الوعيد والتخويف حدث ما قاله النبي ﷺ حيث قُتل أبو جهل في غزوة بدر مذبحاً ، وقتل عقبة بن أبي معيط الذي حاول قتل النبي ﷺ خنقاً وغيرهما ... وتحقق فيهم قولُ نبينا ﷺ " قَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ " ثم إن قوله ﷺ : " قَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ " ليس لكل المشركين بل لهؤلاء المجرمين الذي آذوا نبينا ﷺ خاصة ...

ولا شبهة في ذلك بفضل الله ﷻ؛ فليس في الحديث أدنى شبهة كما يحلم المعتضون بل فيه أثبات لصدق نبوته كما أسلفت

خامساً : إن الكتاب المقدس نسب لبعض أنبيائه ورسله أنهم أمروا بالذبح، ومنهم من ذبح بالفعل مخالفينهم وذلك في الآتي :

1- يسوع المسيح أمر أتباعه بذبح من لم يكن تحت سلطانه... وذلك في إنجيل لوقا الإصحاح 19 عدد 27²⁷ أَمَّا أَعْدَائِي الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَأَتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَادَّبَهُمْ قُدَّامِي . !

وَأَسْأَلُ : هل قرأ المعتضون " ادَّبَهُمْ قُدَّامِي " ؟!

هل هذا ذبح محبة ؟ أم ذبح حقيقي ؟!

وهل اعترضوا على هذا النص، وجعلوه شبهة عندهم كما اعترضوا على الحديث لما قالوا

إن رسول الإسلام هو أصل الإرهاب.....؟!

وماذا لو كان القاتل لهذا النص هو محمد ﷺ : " ادَّبُوهُمْ قُدَّامِي " ماذا يكون ردهم عليه

!؟...

2- داود النبي بأنه مثل بأعدائه من الفلسطينيين، وقطع الرأس ...

وذلك في سفر صموئيل الأول إصحاح 17 عدد ⁴⁶ هَذَا الْيَوْمَ يَحْبِسُكَ الرَّبُّ فِي يَدِي، فَأَقْتُلَكَ وَأَقْطَعُ رَأْسَكَ. وَأُعْطِي جُنْتَ جَيْشِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ هَذَا الْيَوْمَ لَطُيُورِ السَّمَاءِ وَحَيَوَانَاتِ الْأَرْضِ، فَتَعْلَمُ كُلُّ الْأَرْضِ أَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهُ لِإِسْرَائِيلَ ⁵¹ فَرَكَّضَ دَاوُدُ وَوَقَفَ عَلَى الْفِلِسْطِينِيِّ وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَاخْتَرَطَهُ مِنْ غَمْدِهِ وَقَتَلَهُ وَقَطَعَ بِهِ رَأْسَهُ. فَلَمَّا رَأَى الْفِلِسْطِينِيُّونَ أَنَّ جَبَّارَهُمْ قَدْ مَاتَ هَرَبُوا. ⁵² فَقَامَ رِجَالُ إِسْرَائِيلَ وَيَهُودَا وَهَتَفُوا وَلَحَقُوا الْفِلِسْطِينِيِّينَ حَتَّى مَجِيئِكَ إِلَى الْوَادِي، وَحَتَّى أَبْوَابِ عَقْرُونَ. فَسَقَطَتْ قَتْلَى الْفِلِسْطِينِيِّينَ فِي طَرِيقِ شَعْرَايِمَ إِلَى جَنْتٍ وَإِلَى عَقْرُونَ. ⁵³ ثُمَّ رَجَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْإِحْتِمَاءِ وَرَاءَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَنَهَبُوا مَحَلَّتَهُمْ. ⁵⁴ وَأَخَذَ دَاوُدُ رَأْسَ الْفِلِسْطِينِيِّ وَأَتَى بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَوَضَعَ أَدَوَاتِهِ فِي خِيَمَتِهِ.!

3- إيليا النبي ذبح في وادي قيشون 450 رجلاً من الذين كانوا يدعون نبوة البعل....

وذلك في سفر الملوك الأول إصحاح 18 عدد ²² ثُمَّ قَالَ إِيلِيَّا لِلشَّعْبِ: «أَنَا بَقِيْتُ نَبِيًّا لِلرَّبِّ وَحْدِي، وَأَنْبِيَاءُ الْبَعْلِ أَرْبَعُ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ رَجُلًا ⁴⁰ فَقَالَ لَهُمْ إِيلِيَّا: «أَمْسِكُوا أَنْبِيَاءَ الْبَعْلِ وَلَا يَفْلِتْ مِنْهُمْ رَجُلٌ». فَأَمْسَكُوهُمْ، فَنَزَلَ بِهِمْ إِيلِيَّا إِلَى نَهْرِ قِيشُونَ وَذَبَحَهُمْ هُنَاكَ.

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو: من هو مؤسس الإرهاب الحقيقي الذي نراه في

العراق وأفغانستان وغيرهما علي أيدي الأمريكان والشيعة وكل خَوَان..... ؟!

رد شبهة: نبي يقول: (نصرت بالرعب) !

قالوا: إن محمداً نبي الإرهاب يربعُ الناسَ ويذهبهم... وكتبوا في مواقعهم " نبيُّ مرعب " ينشر دينه بالإرهاب, والاعتراف سيد الأدلة ؛ اعترف بذلك لما قال في الحديث الصحيح في صحيح البخاري كتاب (الصلاة) باب (قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً (برقم 419 عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ وَأَحْلِلَتْ لِي الْغَنَائِمُ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن السؤال الذي من خلال طرحه أنسف به الشبهة نفساً هو: متى قال النبي ﷺ هذا الحديث ؟

الجواب : قاله ابن حجر في الفتح : وقوله : (أُعْطِيتُ خَمْساً) بَيِّنَ فِي رِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي (غَزْوَةِ تَبُوكَ) وَهِيَ آخِرُ غَزَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اهـ .

نلاحظ : أنه ﷺ قال هذا الحديث لما رجع من غزوة تبوك منتصراً بالرعب دون إراقة دماء حيث إنه ﷺ سافر إلى الروم لملاقاتهم ؛ لما ترامت الأنبياء إليه أن الروم تستعد للقضاء

على الإسلام وأهله في عقر دارهم ؛ فخرج إليهم قبل أن يأتوا هم إليه ؛ فلما أنتهي إليهم ولوا الأدبار وهربوا من الرعب فقال النبي ﷺ: " نصرت بالرعب مسيرة شهر " .

واتسأل : أين هو الإرهاب المذموم ؟ وأين نشر الدين بالإرهاب من الحديث كما زعم المعتضون ؟!

إن هذا النبي المكرم ﷺ نصره الله ﷻ بإلقاء الرعب في قلوب أعدائه وصدق الله ﷻ إذ يقول : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَنَوى الظَّالِمِينَ ﴾ (آل عمران 151) .

وقد بَوَّب البخاري - رحمه الله - باب بعنوان باب (قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَقَوْلِهِ ﷻ : { سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ } قَالَهُ جَابِرٌ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ .

وعليه: فإن الله من ينصر أتباعه بإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم.... ومن سوء أخلاقهم إن يقولوا على نبي من الأنبياء (نبي مرعب) فهذا ينم على مدى سوء أخلاقهم، ومدى حقدهم

قال ابن حجر في الفتح : قَوْلُهُ : (نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ) زَادَ أَبُو أُمَامَةَ : " يُقَذَّفُ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِي " أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ .

قَوْلُهُ: (مَسِيرَةَ شَهْرٍ) مَفْهُومُهُ أَنَّهُ لَمْ يَوْجَدْ لَغَيْرِهِ النَّصْرَ بِالرُّعْبِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ وَلَا فِي أَكْثَرِ مِنْهَا ، أَمَّا مَا دُونَهَا فَلَا ، لَكِنَّ لَفْظَ رِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ " وَنُصِرْتُ عَلَى الْعَدُوِّ

بِالرُّعْبِ وَلَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ شَهْرٍ" فَالظَّاهِرُ اخْتِصَاصُهُ بِهِ مُطْلَقًا ، وَإِنَّمَا جَعَلَ
الْغَايَةَ شَهْرًا ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ بَلَدِهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ أَعْدَائِهِ أَكْثَرَ مِنْهُ ... اهـ

ثانيًا: إن النبي ﷺ لما انتصر على أعدائه من الروم في غزوة تبوك دون قتال ؛ نصره
الله ﷻ بالرعب الذي قذفه في قلوب أعدائه قال النبي ﷺ هذا الحديث حيث إنه ذكر بنعم
الله تعالى عليه كما جاء في الحديث فهذا يدل على وفاء النبي ﷺ مع ربه ، وهذا من باب
قوله ﷺ : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى 11). نصره الله ﷻ بالرعب على أعدائه
دون قتال ولا إراقة دماء ، وجعلت له الأرض مسجد وطهورا ، وأحلت له الغنائم ، وأرسل
إلى الناس عامة وفي بعض الروايات أنه أرسل إلى الخلق كافة ؛ فلا شك أن هذا الحديث
يدل على عظمة هذا النبي ﷺ وعلى صدق نبوته ، وتأيد الله ﷻ له .

ثالثًا: إن الكتاب المقدس ذكر أن الله ﷻ ينصر أتباعه بإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم كما
كان من نبيينا ﷺ وذلك في عدة مواضع منها:

1- سفر التثنية إصحاح 11 عدد 25²⁵ لَا يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكُمْ. الرَّبُّ إِلَهُكُمْ يَجْعَلُ
خَشْيَتَكُمْ وَرُعْبَكُمْ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ الَّتِي تَدُسُّونَهَا كَمَا كَلَّمَكُمْ.

2- سفر أخبار الأيام الثانية إصحاح 14 عدد 11¹¹ وَدَعَا آسَا الرَّبِّ إِلَهُهُ وَقَالَ: «أَيُّهَا الرَّبُّ،
لَيْسَ فَرَقًا عِنْدَكَ أَنْ تُسَاعِدَ الْكَثِيرِينَ وَمَنْ لَيْسَ لَهُمْ قُوَّةٌ. فَسَاعَدْنَا أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُنَا لِأَنَّنَا
عَلَيْكَ اتَّكَلْنَا وَبِاسْمِكَ قَدَمْنَا عَلَى هَذَا الْجَيْشِ. أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْتَ إِلَهُنَا. لَا يَقْوَ عَلَيْكَ
إِنْسَانٌ». 12¹² فَضَرَبَ الرَّبُّ الْكُوشِيِّينَ أَمَامَ آسَا وَأَمَامَ يَهُوذَا، فَهَرَبَ الْكُوشِيُّونَ.

¹³ وَطَرَدَهُمْ أَسَا وَالشَّعْبُ الَّذِي مَعَهُ إِلَى جَرَارَ، وَسَقَطَ مِنَ الْكُوشِيِّينَ حَتَّى لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَيٌّ لَأَتَّهُمْ أَنْكَسَرُوا أَمَامَ الرَّبِّ وَأَمَامَ جَيْشِهِ، فَحَمَلُوا غَنِيمَةً كَثِيرَةً جِدًّا. ¹⁴ وَضَرَبُوا جَمِيعَ الْمُدُنِ الَّتِي حَوْلَ جَرَارَ، لِأَنَّ رُعْبَ الرَّبِّ كَانَ عَلَيْهِمْ، وَنَهَبُوا كُلَّ الْمُدُنِ لِأَنَّهُ كَانَ فِيهَا نَهَبٌ كَثِيرٌ. ¹⁵ وَضَرَبُوا أَيْضًا خِيَامَ الْمَاشِيَةِ وَسَاقُوا غَنَمًا كَثِيرًا وَجَمَالًا، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ.

3- سفر أستير إصحاح 8 عدد ¹⁷ وَفِي كُلِّ بِلَادٍ وَمَدِينَةٍ، كُلُّ مَكَانٍ وَصَلَ إِلَيْهِ كَلَامُ الْمَلِكِ وَأَمْرُهُ، كَانَ فَرَحٌ وَبَهْجَةٌ عِنْدَ الْيَهُودِ وَوَلَّائِمٌ وَيَوْمٌ طَيِّبٌ. وَكَثِيرُونَ مِنْ شُعُوبِ الْأَرْضِ تَهَوَّدُوا لِأَنَّ رُعْبَ الْيَهُودِ وَقَعَ عَلَيْهِمْ.

قُلْتُ: لماذا لم يطعن المعترضون على هذه النصوص كما طعنوا في الحديث بقولهم... أم أنهم لم يعرفوا كتابهم المقدس جيدا ؟!

رد شبهة: نبي يقول: (جعل رزقي تحت ظل رمحي)، ويأخذ الغنائم !

من الشبه التي أثاروها بهدف تشويه شخص رسول الله ﷺ ، وتنفير الناس منه ، والطعن في دعوته ﷺ..... أنهم ادعوا بأنه ﷺ كان صاحب مطامع دنيوية ، لم يكن يظهرها في بداية دعوته في مكة ، ولكنه بعد هجرته إلى المدينة بدأ يعمل على جمع الأموال والغنائم والسريا من خلال الحروب التي خاضها هو وأصحابه ؛ ابتغاء تحصيل مكاسب مادية وفوائد معنوية حتى أنه صرح بذلك فقال : " وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي".

الرد على الشبهة

أولاً: إن الادعاء بأن النبي ﷺ كان صاحب مطامع دنيوية، يحرص عليها، ويسعى في تحصيلها... ادعاء باطل ؛ وإنما دعوته ﷺ صالحة نافعة ، تعود بالخير على متبعيها في الدنيا والآخرة ، فالناظر في سيرته ﷺ والمتأمل في تاريخ دعوته، يعلم علم اليقين أنه ﷺ لم يكن يسعى إلى تحقيق أي مكسب دنيوي كما هو حال طلاب الدنيا ، وبالتالي فهذه الشبهة لا يوجد عليها دليل من واقع حياة رسول الله ﷺ ، والدليل على أدلتي هي كلامي عدم وجود الدليل علي كلامهم ؛ فالشائع عند كلام المشركين الأوائل عنه بأنه الصادق الأمين حتى بعد البعثة ، والتاريخ يثبت عكس ما ادعى المعتضون.

وأقول : لو كان ﷺ كما قالوا لعاش عيش الملوك، في القصور والبيوت الفارعة ، ولأخذ من الخدم والحراس والحشم ما يكون على المستوى المتناسب مع تلك المطامع المزعومة ؛ بينما الواقع يشهد بخلاف ذلك، إذ كان في شظف من العيش ، مكتفياً بما يقيم صلب الحياة ؛ فكانت هذه حاله ﷺ منذ أن رأى نور الحياة إلى أن التحق بالرفيق الأعلى ﷺ ، ويشهد لهذا أن بيوته ﷺ التي كانت عبارة عن غرف بسيطة لا تكاد تتسع له ولزوجاته ، وكذلك الحال بالنسبة لطعامه وشرابه ، فقد كان يمر عليه الشهر والشهر أحياناً ولا توقد ناراً في بيته ، ولم يكن له من الطعام أحياناً إلا الأسودان - التمر والماء - ...

ففي صحيح البخاري برقم 5977 عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ : " كَانَ يَأْتِي عَلَيْنَا الشَّهْرُ مَا نُوقِدُ فِيهِ نَارًا إِنَّمَا هُوَ التَّمْرُ وَالْمَاءُ إِلَّا أَنْ نُؤْتَى بِاللَّحِيمِ " .

ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي، ومات وفي بيته ست دنائير فقط، وقد أمر بالتصدق بها قبل موته....

جاء ذلك في الآتي:

1- صحيح البخاري برقم 2700 عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : " تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ " .

2- صحيح البخاري برقم 2534 عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ ﷺ قَالَ: " مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا وَلَا عَبْدًا وَلَا أَمَةً وَلَا شَيْئًا إِلَّا بَغَلْتَهُ الْبَيْضَاءَ وَسِلَاحَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً " .

4- صحيح البخاري برقم 2866 عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : " تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطَرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكَلْتُهُ فَفَنِي " .

إِذَا : سيرته ﷺ حافلة بما يدل على خلاف ما يدعيه المدعون فكان يعطي عطاءً من لا يخشى الفقر ويظل الجوع في بيته ﷺ ملازمًا له ولأهله ، وأحياناً يربط الحجارة على بطنه من شدة الجوع ﷺ ؛ لكي يطعم غيره ﷺ
ثبت ذلك في الآتي :

1- صحيح البخاري برقم 1376 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفَدَ مَا عِنْدَهُ ثُمَّ قَالَ : " مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ " .

2- سنن الترمذي برقم 2371 حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا سيار بن حاتم عن سهل بن أسلم عن يزيد بن أبي منصور عن أنس بن مالك عن أبي طلحة قال شكونا

إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين .

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ثانياً: إن شبهتهم هذه تتناقض مع زهده ﷺ الذي علمه الجميع حتى أعداؤه ﷺ ... يدلل على ذلك ما جاء في الآتي:

1- السلسلة الصحيحة برقم 439 عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال: يا نبي الله ! لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا ؟ فقال : " ما لي وللدنيا ؟ ! ما مثلي ومثل الدنيا ؛ إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها " .

2- صحيح البخاري برقم 3615 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَ : " إِنَّ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ " فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ : فَدِينَاكَ بَابَانَا وَأُمَهَاتِنَا فَعَجَبْنَا لَهُ وَقَالَ النَّاسُ : انظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ : فَدِينَاكَ بَابَانَا وَأُمَهَاتِنَا فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمُنَا بِهِ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ مَنْ أَمِنَ النَّاسَ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ إِلَّا خَلَّةَ الْإِسْلَامِ لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ " .

2- كان ﷺ يحث أصحابه ﷺ على الزهد ... وذلك في صحيح البخاري برقم 1372 عن أبي سعيد الخدري ﷺ يُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمَنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ فَقَالَ : " إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يَفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا " .

4- قرن ﷺ في التحذير بين فتنة الدنيا وفتنة النساء ... وذلك صحيح مسلم برقم 4925 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلَفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ " .

ثالثاً: إن ادعاءهم الواضح من شبهتهم التي تقول عنه ﷺ بأنه كان صاحب مطامع دنيوية ، لم يكن يظهرها في بداية دعوته في مكة ، ولكنه بعد هجرته إلى المدينة بدأ يعمل على جمع الأموال والغنائم من خلال الحروب التي خاضها هو وأصحابه ، ابتغاء تحصيل مكاسب مادية وفوائد معنوية! ادعاءً باطلٌ كاذبٌ ؛ الصحيح عكس ما ادعوا ؛ لأن أهل مكة عرضوا على رسول الله ﷺ المال والملك والجاه من أجل أن يتخلى عن دعوته ؛ فرفض ذلك كله ، وفضل أن يبقى على شطف العيش مع الاستمرار في دعوته ، فلو كان من الراغبين في الدنيا لما رفضها وقد أنته من غير عناء... يدل على ذلك ما جاء في الآتي:

1- كتب السيرة ﷺ قال: " يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ". فقه السيرة للألباني (ضعيف) برقم 109.

2- سنن أبي داود برقم 1351 عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن فقال: "إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لَذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لَذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُوْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لَذَلِكَ فَأَيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ". صححه الألباني في سنن أبي داود برقم 1584.

نلاحظ: أن من وصاياه ﷺ بعد أن ترك مكة كان يوصي أصحابه ﷺ وقواد جيشه بأخذ أموال الزكاة من الأغنياء وردها إلى الفقراء من أجل التكافل الاجتماعي

رابعاً: إن فهم هذا الحديث فهماً صحيحاً يفهم بخلاف فهمهم له ؛ فالحديث رواه البخاري في باب (مَا قِيلَ فِي الرَّمَاحِ وَيُذَكَّرُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي وَجُعِلَ الدَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي).

ورواه الإمام أحمد في مسنده برقم 4868 عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي وَجُعِلَ الدَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ ". انظر حديث رقم 2831 في صحيح الجامع .

قلتُ: في قوله ﷺ : " بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ".

قد تقدم معنا حديث معاذ ﷺ لما أرسله النبي ﷺ إلى اليمن ، تبين منه ومن غيره أنه ﷺ لم يقاتل أحداً ، قبل دعوته إلى الإسلام ، التي تصان به الدماء والحرمان

وأما قوله ﷺ : " وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي " .

قلتُ: إن الرزقَ الذي يتحدث عنه النبي ﷺ هو الجنة؛ لأنه ﷺ أشار في موضع آخر قائلاً: " الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ " .

قال ابن حجر في الفتح : قوله : " تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي " إشارة إلى أَنَّ ظِلَّهُ مَمْدُودٌ إِلَى أَبَدِ الْأَبَادِ وَالْحُكْمَةُ فِي الْأَقْتِصَارِ عَلَى ذِكْرِ الرُّمْحِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ كَالسَّيْفِ أَنَّ عَادَتَهُمْ جَرَتْ بِجَعْلِ الرَّايَاتِ فِي أَطْرَافِ الرُّمْحِ فَلَمَّا كَانَ ظِلُّ الرُّمْحِ أَسْبَغَ كَانَ نَسْبُهُ الرِّزْقِ إِلَيْهِ أَلْيَقَ وَقَدْ تَعَرَّضَ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ لظِّلِّ السَّيْفِ كَمَا سَيَأْتِي قَرِيبًا مِنْ قَوْلِهِ ﷺ " الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ " فَنَسَبَ الرِّزْقَ إِلَى ظِلِّ الرُّمْحِ لِمَا ذَكَرْتَهُ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِذِكْرِ الرُّمْحِ الرَّايَةَ وَنَسَبَتِ الْجَنَّةَ إِلَى ظِلِّ السَّيْفِ لِأَنَّ الشَّهَادَةَ تَقَعُ بِهِ غَالِبًا وَلِأَنَّ ظِلَّ السَّيْفِ يَكْثُرُ ظُهُورُهُ بِكَثْرَةِ حَرَكَةِ السَّيْفِ فِي يَدِ الْمُقَاتِلِ ؛ وَلِأَنَّ ظِلَّ السَّيْفِ لَا يَظْهَرُ إِلَّا بَعْدَ الضَّرْبِ بِهِ لِأَنَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ يَكُونُ مَغْمُودًا مُعْلَقًا . اهـ

وبالتالي: فإن الحديث يبين أن المجاهد في سبيل الله الذي يدفع العدوان، أو ينصر المستضعفين، أو يعلي كلمة التوحيد، ويصبح شهيداً بسبب جهاده ويصير رزقه الجنة.

وعليه: فلا حجة لهم بهذا الحديث الشريف الذي لا يخدم مصالحهم بحال من الأحوال كما تقدم معنا - بفضل الله ﷻ - .

خامساً: إن غير المسلمين من المنصفين شهدوا لنبيِّنا ﷺ بشهادات تخالف ادعاءات المعترضين ، وكما قيل : إن الحق ما شهدت به الأعداء ، فقد أجرى الله ﷻ على السنة بعض عقلاء القوم عبارات تكذب هذه الشبهة ، من ذلك ما قاله كارليل : " أيزعم الكاذبون أن الطمع وحب الدنيا هو الذي أقام محمداً وأثاره ، حمق وأيم الله ، وسخافة وهوس " .

ويقول : " لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه ، ومأكله ، ومشربه ، وملبسه ، وسائر أموره وأحواله.. ... فحبذا محمد من رجل خشن اللباس، خشن الطعام، مجتهد في الله، قائم النهار، ساهر الليل، دائماً في نشر دين، الله غير طامع إلى ما يطمع إليه أصاغر الرجال، من رتبة، أو دولة، أو سلطان، غير متطلع إلى ذكر أو شهوة ". اهـ

سادساً: إن من رزق النبي ﷺ الغنائم هذا لا إشكال فيه البتة...

واتسأل: هل لو أخذ النبي الغنائم بعد الحروب حرام بحسب الكتاب المقدس؟! أو في أي كتاب على وجه الأرض؟! أو في أي عرف من الأعراف...؟!

الجواب : لا ؛ لأن نصوص الكتاب المقدس فيها أمر من الرب لأنبيائه بأخذ الغنائم بعد قتل أصحابها في الحروب ، دليل ذلك الآتي :

1- **بعد انتصاره على عدوه ، وذلك في سفر صموئيل الأول** إصحاح 30 عدد ²⁰ وأخذ داود الغنم والبقر. ساقوها أمام تلك الماشية وقالوا: «هذه غنمة داود».

2- **كان يؤلف قلوب أتباعه بتوزيع الغنائم ، وذلك في سفر صموئيل الأول** إصحاح 30 عدد ²⁶ ولما جاء داود إلى صقلغ أرسل من الغنمة إلى شيوخ يهوذا، إلى أصحابه قائلاً: «هذه لكم بركة من غنمة أعداء الرب». ²⁷ إلى الذين في بيت إيل والذين في راموت الجنوب والذين في يثير، ²⁸ وإلى الذين في عروعر والذين في سفموت والذين في أشتموع، ²⁹ وإلى الذين في راخال والذين في مدن اليرحميليين والذين في مدن

الْفِينِيِّينَ،³⁰ وَإِلَى الَّذِينَ فِي حُرْمَةِ وَالَّذِينَ فِي كُورِ عَاشَانَ وَالَّذِينَ فِي عَتَاكَ،³¹ وَإِلَى الَّذِينَ فِي حَبْرُونَ، وَإِلَى جَمِيعِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي تَرَدَّدَ فِيهَا دَاوُدُ وَرِجَالُهُ.

3- أَخَذَ الْغَنَائِمَ بَعْدَ قَتْلِ أَعْدَائِهِ وَالتَّمَثُّلَ بِجَثَثِهِمْ ، وَذَلِكَ فِي سَفَرِ صَمُوئِيلَ الثَّانِي إِصْحَاحِ 12 عَدَدٍ²⁶ وَحَارِبَ يُوَابَ رِبَّةَ بَنِي عَمُونَ وَأَخَذَ مَدِينَةَ الْمَمْلَكَةِ.²⁷ وَأَرْسَلَ يُوَابَ رِسَالًا إِلَى دَاوُدَ يَقُولُ: «قَدْ حَارِبْتُ رِبَّةَ وَأَخَذْتُ أَيْضًا مَدِينَةَ الْمِيَاهِ.²⁸ فَالآنَ اجْمَعِ بَقِيَّةَ الشَّعْبِ وَأَنْزِلْ عَلَى الْمَدِينَةِ وَخُذْهَا لِنَا أَوْ أَخِذْ أَنَا الْمَدِينَةَ فَيُدْعَى بِاسْمِي عَلَيْهَا». ²⁹ فَجَمَعَ دَاوُدُ كُلَّ الشَّعْبِ وَذَهَبَ إِلَى رِبَّةَ وَحَارِبَهَا وَأَخَذَهَا.³⁰ وَأَخَذَ تَاجَ مَلِكِهِمْ عَنْ رَأْسِهِ، وَوزَنَهُ وَوزَنَهُ مِنَ الذَّهَبِ مَعَ حَجَرٍ كَرِيمٍ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ دَاوُدَ. وَأَخْرَجَ غَنِيمَةَ الْمَدِينَةِ كَثِيرَةً جَدًّا.³¹ وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِي فِيهَا وَوَضَعَهُمْ تَحْتَ مَنَاشِيرٍ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ وَفُؤُوسِ حَدِيدٍ وَأَمَرَهُمْ فِي أَتُونِ الْأَجَرِ، وَهَكَذَا صَنَعَ بِجَمِيعِ مَدَنِ بَنِي عَمُونَ. ثُمَّ رَجَعَ دَاوُدُ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِلَى أُورُشَلِيمَ.

3- الرَّبُّ أَمَرَ نَبِيَّهَ مُوسَى بِأَخْذِ الْغَنَائِمِ وَذَلِكَ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْهَا:

1- سَفَرُ التَّنْثِيَةِ إِصْحَاحِ 20 عَدَدٍ¹⁰ «حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ،¹¹ فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلنَّسْخِيرِ وَيَسْتَعْبِدُ لَكَ.¹² وَإِنْ لَمْ تَسَالِمَكَ، بَلْ عَمَلْتَ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا.¹³ وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلَيْكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ.¹⁴ وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْنَمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَانِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَيْكَ.¹⁵ هَكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جَدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنٍ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ هُنَا.

2- سفر العدد إصحاح 31 عدد¹ وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: ²«انْتَقِمْ نَقْمَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمَدْيَانِيِّينَ، ثُمَّ تَضُمَّ إِلَى قَوْمِكَ». ³فَكَلَّمَ مُوسَى الشَّعْبَ قَائِلًا: «جَرِّدُوا مِنْكُمْ رِجَالًا لِلْجُنْدِ، فَيَكُونُوا عَلَى مَدْيَانَ لِيَجْعَلُوا نَقْمَةَ الرَّبِّ عَلَى مَدْيَانَ. ⁴أَلْفًا وَاحِدًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ تُرْسِلُونَ لِلْحَرْبِ». ⁵فَاخْتِيرَ مِنْ أُلُوفِ إِسْرَائِيلَ أَلْفٌ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ. اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مُجَرَّدُونَ لِلْحَرْبِ. ⁶فَأَرْسَلَهُمُ مُوسَى أَلْفًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ إِلَى الْحَرْبِ، هُمْ وَفِينَحَاسُ بْنُ أَلْعَازَارِ الْكَاهِنِ إِلَى الْحَرْبِ، وَأَمْتَعَةُ الْقُدُسِ وَأَبَاقُ الْهَتَافِ فِي يَدِهِ. ⁷فَتَجَدُّوا عَلَى مَدْيَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ. ⁸وَمَلُوكُ مَدْيَانَ قَتَلُوهُمْ فَوْقَ قَتْلَاهُمْ: أُوَيَ وَرَاقِمَ وَصُورَ وَحُورَ وَرَابِعَ. خَمْسَةَ مَلُوكٍ مَدْيَانَ. وَبَلْعَامُ بْنُ بَعُورَ قَتَلَهُ بِالسَّيْفِ. ⁹وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مَدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلَاكِهِمْ. ¹⁰وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مَدَنِيَّتِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ، وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ. ¹¹وَأَخَذُوا كُلَّ الْغَنِيمَةِ وَكُلَّ النَّهْبِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، ¹²وَأَتَوْا إِلَى مُوسَى وَأَلْعَازَارِ الْكَاهِنِ وَإِلَى جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ وَالْغَنِيمَةِ إِلَى الْمَحَلَّةِ إِلَى عَرَبَاتِ مُوَابَ الَّتِي عَلَى أَرْضِ أَرِيحَا.

3- سفر العدد إصحاح 31 عدد²⁵ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: ²⁶«أَحْصِ أَنْتَ وَأَلْعَازَارُ الْكَاهِنُ وَرُؤَسَاءُ الْعَشَائِرِ الْغَنَائِمَ وَالسَّبْيَ مِنَ النَّاسِ وَالْحَيَوَانِ، ²⁷وَقَسِّمِ الْغَنَائِمَ مُنَاصِفَةً بَيْنَ الْجُنْدِ الْمُشْتَرِكِينَ فِي الْحَرْبِ وَبَيْنَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ. ²⁸وَاخْذْ نَصِيبًا لِلرَّبِّ مِنْ غَنَائِمِ أَهْلِ الْحَرْبِ، وَاحِدًا مِنْ كُلِّ خَمْسِ مِئَةٍ مِنَ النَّاسِ وَالْبَقَرِ وَالْحَمِيرِ وَالْغَنَمِ. ²⁹مِنْ نِصْفِ أَهْلِ الْحَرْبِ تَأْخُذُهَا وَتُعْطِيهَا لِأَلْعَازَارِ الْكَاهِنِ تَقْدِمَةً لِلرَّبِّ. ³⁰وَتَأْخُذُ مِنْ نِصْفِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاحِدًا مِنْ كُلِّ خَمْسِينَ مِنَ النَّاسِ وَالْبَقَرِ وَالْحَمِيرِ وَالْغَنَمِ وَسَائِرِ الْبَهَائِمِ، وَتُعْطِيهَا لِلْأَوْيَبِينَ الْقَائِمِينَ عَلَى خِدْمَةِ خِيْمَةِ الْاجْتِمَاعِ. ³¹فَفَقَدَ مُوسَى وَأَلْعَازَارُ الْكَاهِنُ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى. ³²وَكَانَ النَّهْبُ الْمُتَبَقِّي مِنْ غَنَائِمِ رِجَالِ الْحَرْبِ مِنَ الْغَنَمِ سِتِّ مِئَةٍ وَخَمْسَةِ وَسَبْعِينَ أَلْفًا، ³³وَمِنْ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ أَلْفًا، ³⁴وَمِنْ الْحَمِيرِ وَاحِدًا وَسِتِّينَ أَلْفًا، ³⁵وَمِنْ الْعَذَارَى اللَّوَاتِي لَمْ يُضَاجَعْنَ ذَكَرًا اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا. ³⁶فَكَانَ النِّصْفُ نَصِيبُ أَهْلِ الْحَرْبِ، مِنَ الْغَنَمِ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَسَبْعَةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَةٍ.

37 وَكَانَتْ زَكَاةُ الرَّبِّ مِنْهَا سِتُّ مِئَةٍ وَخَمْسَةَ وَسَبْعِينَ، 38 وَمِنَ الْبَقَرِ سِتَّةٌ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَزَكَاةُ الرَّبِّ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ، 39 وَمِنَ الْحَمِيرِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَةٍ، وَزَكَاةُ الرَّبِّ مِنْهَا وَاحِدًا وَسِتِّينَ، 40 وَمِنَ النِّسَاءِ الْعَذَارَى سِتَّةٌ عَشَرَ أَلْفًا، وَزَكَاةُ الرَّبِّ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ نَفْسًا. 41 فَأَعْطَى مُوسَى الزَّكَاةَ تَقْدِيمَةً لِلرَّبِّ لِأَلْعَازَارِ الْكَاهِنِ، كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى. 42 أَمَّا نِصْفُ غَيْرِ الْمُحَارِبِينَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ مِنَ الْغَنِيمَةِ الَّذِي قَسَمَهُ مُوسَى مِنْ كَامِلِ غَنَائِمِ أَهْلِ الْحَرْبِ، 43 فَكَانَ مِنَ الْغَنَمِ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَسَبْعَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَةٍ، 44 وَمِنَ الْبَقَرِ سِتَّةٌ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا، 45 وَمِنَ الْحَمِيرِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَةٍ، 46 وَمِنَ الْعَذَارَى سِتَّةٌ عَشَرَ أَلْفًا. 47 فَأَفَرَزَ مُوسَى مِنْ نَصِيبِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ وَاحِدًا مِنْ كُلِّ خَمْسِينَ مِنَ النِّسَاءِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ وَأَعْطَاهَا لِلْأَوْيِيِّينَ الْقَائِمِينَ عَلَى خِدْمَةِ الْمَسْكَنِ، كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى. (ترجمة الحياة).

4- سفر التثنية إصحاح 2 عدد 3635 : " وغنيمة المدن التي أخذنا.. الجميع دفعه الرب إلينا أمامنا " .

4- النبي يوشع أخذ الغنائم بأمر من الرب ... وذلك في سفر يشوع إصحاح 11 عدد 14 وَكُلُّ غَنِيمَةِ تِلْكَ الْمَدَنِ وَالْبَهَائِمِ نَهَبَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَأَنْفُسِهِمْ. وَأَمَّا الرِّجَالُ فَضَرَبُوهُمْ جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى أَبَادُوهُمْ. لَمْ يَبْقُوا نَسَمَةٌ. 15 كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى عَبْدَهُ هَكَذَا أَمَرَ مُوسَى يَشُوعَ ، وَهَكَذَا فَعَلَ يَشُوعُ. لَمْ يَهْمَلْ شَيْئًا مِنْ كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ مُوسَى.

4- أخذ الغنائم بأمر من الرب ، وذلك في رسالة بولس إلى العبرانيين إصحاح 7 عدد (1 إلى 4) ففيها أن إبراهيم حارب الملوك وقهرهم ... و في العدد الرابع أخذ الغنائم منهم كما يلي : " ثم انظروا ما أعظم هذا الذي أعطاه إبراهيم رئيس الإباء عُسْرًا أَيْضًا من رَأْسِ الغنائم " .

وعليه واتساءل:

1- إن هذا قليل من كثير؛ فإذا كان داودُ النبيُّ أخذَ الغنائمَ ، وموسى ، ويشوع ،.....
- عليهم السلام - وذلك بحسب ما جاء في الكتاب المقدس كما بينتُ ، فما
المانع ، وما العيب أن يأخذ نبينا ﷺ الغنائم كما هو حال أنبياء الكتاب المقدس...
؟

2- لماذا لم يطعن المعترضون في أولاً نصوص كتابهم..؟! هلا أخرجوا الخشبة التي
في أعينهم أولاً قبل النظر إلى القشة التي في عين الآخرين ؟!

سابعاً : إن النبي ﷺ كان من رزقه أخذ الغنائم كما هو حال غيره من الأنبياء كما تقدم
معنا ، لكن الأمر الذي يدعو للدهشة هو أن إنجيل لوقا نسب إلى يسوع المسيح
وأصاحبه أن رزقهم وأكلهم كان من عرق النساءِ منهن زانيات ، مثل مريم المجدلية.....

وذلك في الإصحاح 8 عدد¹ وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشّر
بملكوت الله ، ومعه اثنا عشر. ²وبعض النساء كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض:
مريم التي تدعى المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين، ³ويوثا امرأة خوزي وكيل
هيروُدس، وسوسنة، وأخر كثيرات كن يخدمنه من أموالهن .

لا تعليق !

هل أمر رسول الإسلام بهدم الأصنام ... ؟

قالوا: هل من رحمة نبي الإسلام أن يهدم أصنام يتعبد بها الغير.... أين حرية العقيدة ؟
والعجيب أنه أمر أصحابه بهدم أي صنم، مثل أبو الهول ، وتمثال الأقصر...؟

تعلقوا على ذلك بما جاء في الآتي :

1- المعجم الأوسط للطبراني برقم 2303 حدثنا إبراهيم قال حدثنا عبد الرزاق قال
حدثنا الثوري عن بن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عبد الله بن سخرية
عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة
وستون صنما فجعل يطعنهما فتساقط على وجهها وهو يقول جاء الحق وزهق
الباطل إن الباطل كان زهوقا .

2- صحيح مسلم برقم 1609 عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ قَالَ : قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ : " أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا تَدَعَ تِمْنًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا
قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي أعطى لغيره الحرية في العقيدة؛ دلت على ذلك
آيات القرآن الكريم كما يلي:

2- قوله : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (256) (البقرة).

3- قوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (99) (يونس).

3- قوله : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ﴾ (29) (الكهف).

4- قوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6) ﴾ (الكافرون).

ثانياً : إن كسر النبي ﷺ للأصنام والأمر بكسرها ؛ هو أمر من الله ﷻ لنبيه ومحمد ومن قبله موسى وغيره... لأن العقل رفض عبادة الأصنام بعد الحجج البالغة الدامغة....

والمقصود بالصنم: هو التمثال الذي يُعبد من دون الله ، وليس كما زعم المعترض أن الواجب على المسلمين أن يحطموا تماثال أبو الهول ، وتماثيل الأقصر... وفقد دخل الصحابة الأوائل مصر وعلى رأسهم عمرو بن العاص ولم يكسر تماثال أبو الهول والتماثيل الموجودة بأرض مصر....

ثالثاً: إن الكتاب المقدس ذكر أن الرب أمر أنبياءه بكسر الأصنام، والمذابح ... التي يُعبد فيها غيره.... جاء ذلك في الآتي :

1- سفر الخروج إصحاح 23 عدد 24 "لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدوها ولا تعمل كأعمالهم. بل تبيدهم وتكسر أنصابهم."

2- سفر الخروج إصحاح 34 عدد 13 "بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريتهم."

سفر التثنية إصحاح 7 عدد 5 "ولكن هكذا تفعلون بهم تهدمون مذابحهم -4 وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريتهم وتحرقون تماثيلهم بالنار."

4- سفر التثنية إصحاح 12 عدد 3 "وتهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتحرقون سواريتهم بالنار وتقطعون تماثيل آلهتهم وتمحون اسمهم من ذلك المكان."

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هو جواب المعترضين على تلك النصوص...؟

رد شبهة: نبي قاتل في شهر حرام وفي بلد محرم !

من شبهاتهم أنهم قالوا: نبيكم قاتل في الشهر الحرام ، والقرآن يقول : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ

دِينُكُمْ إِنِ اسْتِطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿البقرة 217﴾ .

وقاتل في مكة، والقرآن يقول عنها : ﴿ أُولَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ (العنكبوت 67) .

الرد على الشبهة

أولاً: إن المسلمين يعتقدون بحرمه الشهر الحرام ، وبحرمه الدماء فيه ؛ لأن محمداً ﷺ علمهم ذلك.....

فالناظر في سيرته ﷺ يجده كان يغضب غضباً شديداً إذا انتهكت محارم الله، ولا يغضب لنفسه قط....

دليل على ذلك ما يلي :

1- صحيح البخاري برقم 6288 عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : " مَا خَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْتِمْ فَإِذَا كَانَ الْإِثْمُ كَانَ أَبَعْدَهُمَا مِنْهُ وَاللَّهُ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ حَتَّى تَنْتَهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ " .

2- صحيح مسلم برقم 4296 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: " مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يَنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ".

ومن خلال القرآن الكريم الذي جاء به ﷺ من عند الله ﷻ نجد أنه كان من هديه ﷺ ألا يقاتل أحداً في الشهر الحرام إلا من بدأ بالاعتداء....

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : ماذا يفعل المسلمون إذا فوجئوا بمن يخرجهم من المسجد الحرام ، وفي الشهر الحرام ، وهم أهله ، وهم أولى به من غيرهم ؟

الجواب على ذلك : جاء في قوله ﷺ : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: 194) .

جاء في التفسير الميسر: قتالكم - أيها المؤمنون - للمشركين في الشهر الذي حرم الله القتال فيه هو جزاء لقتالهم لكم في الشهر الحرام. والذي يعتدي على ما حرم الله من المكان والزمان، يعاقب بمثل فعله، ومن جنس عمله. فمن اعتدى عليكم بالقتال أو غيره فأنزلوا به عقوبة مماثلة لجنايته، ولا حرج عليكم في ذلك؛ لأنهم هم البادئون بالعدوان، وخافوا الله فلا تتجاوزوا المماثلة في العقوبة، واعلموا أن الله مع الذين يتقونه ويطيعونه بأداء فرائضه وتجنب محارمه. اهـ

وبالتالي "بطلت الشبهة - بفضل الله ﷻ - ؛ لأن الله ﷻ أذن بالقتال في الشهر الحرام إذا حدث اعتداء وهذا لا ينكره عاقل، فهو ما تقرره (سنة الدفع) أو (قانون الدفع الحضاري) ، الذي يقره القرآن الكريم لحماية الكون من إفساد المتجبرين والظلمة ، ثم لحماية بيوت العبادة للمسلمين والنصارى واليهود أيضاً ، والذي عبرت عنه الآيتان الكريمتان :

الأولى: قوله ﷻ : ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج 40) .

جاء في التفسير الميسر : الذين أُجِئوا إلى الخروج من ديارهم، لا لشيء فعلوه إلا لأنهم أسلموا وقالوا : ربنا الله وحده. ولولا ما شرعه الله من دفع الظلم والباطل بالقتال لَهْزِمَ الحق في كل أمة و لخربت الأرض، وهدمت فيها أماكن العبادة من صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين التي يصلُّون فيها، ويذكرون اسم الله فيها كثيراً. ومن اجتهد في نصرته دين الله ، فإن الله ناصره على عدوه. إن الله لقوي لا يغالب، عزيز لا يرام، قد قهر الخلائق وأخذ بنواصيهم . اهـ

الثانية: قوله ﷻ : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة 251) .

جاء في التفسير الميسر: ولولا أن يدفع الله ببعض الناس - وهم أهل الطاعة له والإيمان به- بعضاً، وهم أهل المعصية لله والشرك به، لفسدت الأرض بغلبة الكفر، وتمكَّن الطغيان ، وأهل المعاصي ، ولكن الله ذو فضل على المخلوقين جميعاً. اهـ

وبالتالي: فسنة الدفع تحمي الكون والناس من إفساد المتجبرين وظلم الظالمين ؛ تحمي القيم النبيلة ، وتحمي العدل والحق ، وتمكن لكل ما فيه كل خير ، وتدفع عنهم كل ما فيه شر حتى تنعم البشرية بالأمن والاستقرار...

ثانياً: إن استشهادهم على قولهم : قاتل في مكة..... واستشهادهم بقوله ﷺ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ (العنكبوت 67).

لا يخدم مصالحهم قط لآتي :

1- جاء في التفسير الميسر : أولم يشاهد كفار "مكة" أن الله جعل "مكة" لهم حرماً آمناً يأمن فيه أهله على أنفسهم وأموالهم ، والناس من حولهم خارج الحر ، يُتَخَطَّفون غير آمنين ؟ أف بالشرك يؤمنون ، وبنعمة الله التي خصهم بها يكفرون ، فلا يعبدونه وحده دون سواه ؟ . اهـ

3- قال ﷺ عن مكةَ في صحيح البخاري برقم 2951 قَالَ ﷺ يَوْمَ فَتَحِ مَكَّةَ : "إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَمُهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " .

قلتُ: إن ما غاب على المعترضين يتضح من وجهين:

الأول: أننا نعتقد بحرمة مكة، وبحرمة الدماء في هذه الأرض المقدسة؛ لكن نعتقد أن حرمة دم المسلم أعظم عند الله ﷻ من حرمتها... يدل على ذلك ما يلي :

1- السلسلة الصحيحة برقم 3420 قال ﷺ : " مرحباً بك من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك إن الله حرم منك واحدة وحرّم من المؤمن ثلاثاً : دمه وماله وأن يظن به ظن السوء " .

2- المعجم الأوسط للطبراني برقم 5880 عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ نظر إلى الكعبة ، فقال : " لقد شرفك الله ، وكرمك ، وعظمك ، والمؤمن أعظم حرمة منك " . صحيح غاية المرام للألباني حسن برقم 435.

3- صحيح غاية المرام للألباني برقم 439 قال ﷺ : " لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجلٍ مسلمٍ " . أخرجه النسائي والترمذي.

نلاحظ من خلال الجمع بين الروايات: أن الكعبة لها حرمة عند الله ﷻ ؛ ولكن حرمة دم المسلم أعظم عند الله ﷻ منها .
أباح الله ﷻ القتال فيها لمن ظلموا من المسلمين، ومن فُتِنوا في دينهم، وأُخرجوا من ديارهم ظلماً وعدواناً ...

الثاني: أن من خصائصه ﷺ أن الله ﷻ أذن له أن يقاتل في مكة ؛ لأنه ﷺ أرحم الناس ، وأعدل الناس فلا يقتل ﷺ أحداً بظلم قط ... لذلك كان ﷺ يأمر أصحابه بقتل صناديد الكفر والفساد حتى لو كانوا معلقين على أستار الكعبة....

ثبت ذلك عند البخاري في صحيحه برقم 101 عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرٍو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ: ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ أُحَدِّثُكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ سَمِعْتُهُ أَذْنًا يَ وَوَعَاهُ قَلْبِي وَأَبْصَرْتُهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : " إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرِي يَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا وَلَا يَعْضُدَ بِهَا شَجَرَةً فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهَا فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ". فَقِيلَ لِأَبِي شُرَيْحٍ : مَا قَالَ عَمْرٍو: قَالَ : أَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ لَا يُعِيدُ عَاصِيًا وَلَا فَارًّا بِدَمٍ وَلَا فَارًّا بِخُرْبَةٍ. وعليه لا شبهة عندنا - بفضلِ الله ﷻ - .

ثالثاً: إن هناك سؤالاً يفرض نفسه على المعترضين هو: ماذا يفعلون لو قامت مجموعة إرهابية مسلحة بالهجوم عليهم وهم جالسون في أماكن مقدسة (كنيسة) ماذا يفعلون هل يدافعون عن أنفسهم، ونسائهم، وأطفالهم، وكنيستهم... أم لا يقاومون الشر عملاً بقول يسوع بحسب ما نسب إليه كاتب إنجيل متى في الإصحاح الخامس عدد 39³⁹ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ : لَا تَقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمِ.

رد شبهة: نبيٌّ يأمر بقتل النساءِ والصبيان !

قالوا: هل من رحمة نبيكم أن يقتل النساء والأطفال ؟!

واستدلوا على شبهتهم بما جاء في صحيح مسلم كتاب (الجهاد والسير) باب (جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمُد) برقم 3281 عَنْ الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ

قَالَ: سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ الدَّرَارِيِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُبَيِّنُونَ فَيُصِيبُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَدَرَارِيِّهِمْ فَقَالَ: " هُمْ مِنْهُمْ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن من رحمته ﷺ أنه نهى عن قتل النساء والأطفال لا كما يزعم المعترضون الجاهلون..... وقد ثبت ذلك في أحاديث كثيرة أكتفي بذكر حديث واحد منها وهو ما جاء في صحيح مسلم كتاب (الجهاد والسير) باب (تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب) برقم 3280 عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : " وَجِدْتُ امْرَأَةً مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَغَازِي فَنهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبِّانِ " .

الحديث واضحٌ لمن له عينان يبصر بهما: " نهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان " .

ونلاحظ: أن الإمام النووي بوب في صحيح مسلم هذا الحديث في باب (تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب) .

قال النووي - رحمه الله - في شرحه: قوله: (نهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان) أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث، وتحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يُقاتلوا، فإن قاتلوا قال جماهير العلماء: يقتلون. اهـ

وعليه: تسقط شبهتهم التي تقول: هل من رحمة نبيكم أن يقتل النساء والأطفال؟!!

ثانيًا: إن استدلالهم بهذا الحديث لا يخدم مصالحهم قط ... فالحديثُ جاء في صحيح مسلم عن الصَّعْبِ بْنِ جَتَّامَةَ قَالَ: " سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الدَّرَارِيِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَبِيتُونَ فَيُصِيبُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ فَقَالَ: هُمْ مِنْهُمْ ."

قال النووي- رحمه الله- في شرحه للحديث : قوله : (سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الدَّرَارِيِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَبِيتُونَ فَيُصِيبُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ فَقَالَ: هُمْ مِنْهُمْ) سَأَلَ عَنْ حُكْمِ صَبِيَّانِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَبِيتُونَ فَيُصَابُ مِنْ نِسَائِهِمْ وَصَبِيَّانَهُمْ بِالْقَتْلِ ، فَقَالَ : هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ أَيْ لَا بَأْسَ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّ أَحْكَامَ آبَائِهِمْ جَارِيَةٌ عَلَيْهِمْ فِي الْمِيرَاثِ وَفِي النِّكَاحِ وَفِي الْقِصَاصِ وَالذِّيَّاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَالْمُرَادُ إِذَا لَمْ يَتَعَمَّدُوا مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ .

وَأَمَّا الْحَدِيثُ السَّابِقُ فِي النَّهْيِ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ ، فَالْمُرَادُ بِهِ إِذَا تَمَيَّزُوا، وَهَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ جَوَازِ بَيَاتِهِمْ وَقَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ فِي الْبَيَّاتِ ، هُوَ مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالْجُمْهُورِ .

وَمَعْنَى (الْبَيَّاتِ ، وَيَبِيتُونَ) أَنْ يُغَارَ عَلَيْهِمْ بِاللَّيْلِ بِحَيْثُ لَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ مِنَ الْمَرْأَةِ وَالصَّبِيِّ . وَأَمَّا (الدَّرَارِيُّ) فَيَبْتَسِدِيدُ الْيَاءِ وَتَخْفِيفُهَا لُغْتَانِ ، التَّشْدِيدُ أَفْصَحُ وَأَشْهَرُ ، وَالْمُرَادُ بِالدَّرَارِيِّ هُنَا النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانِ . وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ لَجَوَازِ الْبَيَّاتِ ، وَجَوَازِ الْإِغَارَةِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُمْ الدَّعْوَةُ مِنْ غَيْرِ إِعْلَامِهِمْ بِذَلِكَ . وَفِيهِ : أَنَّ أَوْلَادَ الْكُفَّارِ حُكْمُهُمْ فِي الدُّنْيَا حُكْمُ آبَائِهِمْ ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَفِيهِمْ إِذَا مَاتُوا قَبْلَ الْبُلُوغِ ثَلَاثَةُ مَذَاهِبٍ : الصَّحِيحُ: أَنََّّهُمْ فِي الْجَنَّةِ.

وَالثَّانِي: فِي النَّارِ.

وَالثَّالِثُ: لَا يُجْزَمُ فِيهِمْ بِشَيْءٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

ثم إن هذا الحديث (محل الشبهة) ذكره الإمام النووي في باب (جَوَازِ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ فِي الْبَيَّاتِ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ).

نلاحظ : " من غيرِ تعمدٍ " .

وألخص ما سبق مع الإضافة والبيان فيما يلي:

نهى النبي ﷺ عن قتل النساء والأطفال في أحاديث كثيرة، وهذا هو الأصل في شرعنا؛ عدم جواز قتل النساء والأطفال، لكن استثنى العلماء من ذلك حالتين:

الحالة الأولى: إذا اشتركوا في الحرب بالقتال أو في الرأي والمشورة أو التحريض ونحو ذلك.

الحالة الثانية: إذا أراد المسلمون مثلاً شنَّ حربٍ بالمنجنيقِ على قبيلةٍ ما؛ فهذا القذف بالمنجنيق (المدافع اليوم) لا تضمن لنا أن لا تصيب طفلاً أو امرأة... وهذا بعد الإنذار والأعذار، وأن قتلوا يكون هذا من غير تعمدٍ فرخص الشارع في هذا ، وهو نظير القنابل الذرية ، والعنقودية ، والنووية ، وقصف الطائرات العشوائية في عصرنا التي لا تفرق بين طفلٍ ، أو شيخٍ ، أو رجلٍ ، أو امرأة....

ثالثاً: إن الكتاب المقدس نسب إلى الرب أنه يأمر أنبياءه وغيرهم بقتل النساء والصبيان.... وذلك في عدة مواضع منها :

1- سفر حزقيال إصحاح 9 عدد 6 الشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطُّفْلَ وَالنِّسَاءَ ، اقْتُلُوا لِلْهَلَاكِ . وَلَا تَقْرَبُوا مِنْ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ السَّمَّةُ ، وَابْتَدِئُوا مِنْ مَقْدِسِي . فَأَبْتَدَأُوا بِالرِّجَالِ الشُّيُوخِ الَّذِينَ أَمَامَ الْبَيْتِ

3- سفر صموئيل الأول إصحاح 15 عدد 3³ قَالَآن اذْهَبْ وَاصْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلَا تَعْفُ عَنْهُمْ بَلْ أَقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلًا وَرَضِيعًا، بَقْرًا وَغَنَمًا، جَمَلًا وَحِمَارًا».

4- سفر هوشع إصحاح 13 عدد 16¹⁶ تُجَازِي السَّامِرَةَ لِأَنَّهَا قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلَهِهَا. بِالسَّيْفِ يَسْقُطُونَ. تُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ، وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ.

4- مزمور إصحاح 137 عدد 8⁸ يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرِبَةِ، طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكَ جَزَاءَكَ الَّذِي جَازَيْتَنَا! 9⁹ طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكَ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ !

5- سفر نحميا إصحاح 4 عدد 14¹⁴ وَنَظَرْتُ وَقَمْتُ وَقُلْتُ لِلْعُظَمَاءِ وَالْوَلَاةِ وَلِبَقِيَّةِ الشَّعْبِ: «لَا تَخَافُوهُمْ بَلْ اذْكُرُوا السَّيِّدَ الْعَظِيمَ الْمَرْهُوبَ، وَحَارِبُوا مِنْ أَجْلِ إِخْوَتِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَائِكُمْ وَبُيُوتِكُمْ» !

قلتُ: قال لهم ذلك؛ لأنه يعلم أنهم يقتلون الصبيان والنساء... !

كما لا يوجد كتاب على وجه الأرض أمر بقتل النساء والأطفال، وشق بطون الحوامل.... إلا الكتاب المقدس، وأما القرآن الكريم لا توجد فيه آية واحدة تدعو لقتل النساء والأطفال.....

رد شبهة: نبيُّ يقتل امرأة (أم قرفة)!

قالوا وكتبوا في مقاتلهم: (محمد يشق أم قرفة بين جملين) وهذا دليلهم:

1_ أم قرفة هي فاطمة بنت ربيعة بن بدر بن عمرو الفزارية. أم قرفة تزوجت مالكا بن حذيفة بن بدر وولدت له ثلاثة عشر ولدا أولهم (قرفة) وبه تكنى، وكل أولادها كانوا من الرؤساء في قومهم. كانت من أعز العرب، وفيها يضرب المثل في العزة والمنعة

فيقال: أعز من أم قرفة وكانت إذا تشاجرت غطفان بعثت خمارها على رمح فينصب بينهم فيصطلحون. كانت تؤلب على رسول الله ﷺ فأرسل في السنة السادسة للهجرة زيد بن حارثة في سرية فقتلها قتلا عنيفا، فقد ربط برجلها حبلا، ثم ربطه بين بعيرين حتى شقها شقا. وكانت عجوزا كبيرة، وحمل رأسها إلى المدينة ونصب فيها ليعلم قتلها.

راجع : (تراجم الأعلام .. باب من وفيات سنة 6) .

2_ قال ابن إسحاق : فلما قدم زيد بن حارثة إلى أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة ، فلما استبل من جراحتة بعثه رسول الله ﷺ إلى بني فزارة في جيش فقتلهم بوادي القرى ، وأصاب فيهم وقتل قيس بن المسحر اليعمري مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر ، وأسرت أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر ، وبنت لها ، وعبد الله بن مسعدة ، فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر أن يقتل أم قرفة فقتلها قتلا عنيفا ؛ ثم قدموا على رسول الله ﷺ بابنة أم قرفة وبابن مسعدة.

راجع : السيرة النبوية لابن هشام .. باب (غزوة زيد بن حارثة بني فزارة و مصاب أم قرفة).

3_ ثم سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة بناحية بوادي القرى على سبع ليال من المدينة في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ قالوا خرج زيد بن حارثة في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ فلما كان دون وادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم ثم استبل زيد وقدم على رسول الله ﷺ فأخبره فبعثه رسول الله ﷺ إليهم فكمنوا النهار وساروا الليل ونذرت بهم بنو بدر ثم صبحهم زيد وأصحابه فكبروا وأحاطوا بالحاضر وأخذوا أم قرفة وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر وابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر فكان الذي أخذ الجارية مسلمة بن الأكوع فوهبها لرسول الله ﷺ فوهبها رسول الله بعد ذلك لحزن بن أبي وهب وعمد قيس بن المحسر إلى أم قرفة وهي عجوز كبيرة فقتلها قتلا عنيفا ربط بين رجلها

حبلا ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها. راجع : الطبقات الكبرى لابن سعد .. باب (سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة بوادي القرى).

الرد على الشبهة

أولاً: إن النبي ﷺ نهى عن قتل النساء فكان هذا من هديه ﷺ.... تدلل على ذلك أدلة منها :
1- صحيح البخاري برقم 2792 عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : " وَجِدْتُ امْرَأَةً مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَنهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ " .

2- سنن أبي داود برقم 2295 عَنْ جَدِّهِ رِبَاحِ بْنِ رِبِيعٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ : انْظُرْ عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ فَجَاءَ فَقَالَ : عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ فَقَالَ : " مَا كَانَتْ هَذِهِ لَتُقَاتَلَ " . قَالَ وَعَلَى الْمُقَدَّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ : قُلْ لِحَالِدٍ : " لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا عَسِيفًا " . السلسلة الصحيحة برقم 701 . (العسيف) : هو الذي يخدم في الجيش ولا يشارك في قتال نهى النبي ﷺ عن قتله.

3- سنن ابن ماجه برقم 2832 عَنْ حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ قَالَ : غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَرَرْنَا عَلَى امْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا النَّاسُ فَأَفْرَجُوا لَهُ فَقَالَ : " مَا كَانَتْ هَذِهِ تُقَاتَلُ فِيمَنْ يُقَاتَلُ " ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ : انْطَلِقْ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَقُلْ لَهُ : " إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ يَقُولُ : " لَا تَقْتُلَنَّ ذُرِّيَّةً وَلَا عَسِيفًا " .

4- سنن أبي داود برقم 2247 عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًّا وَلَا طِفْلًا وَلَا صَغِيرًا وَلَا امْرَأَةً وَلَا تَغْلُوا وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ وَأَصْلَحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ". سبق تخريجه .

ثانياً: إن الباحث المنصف في بحثه يسأل نفسه أولاً؛ ما مدى صحة الروايات التي جاءت حول مقتل أم قرفة ؟

قلتُ : إنها روايات لا تصح فهي مروية عن طرق الواقدي ؛ وتخرجها على النحو التالي :
جاءت الرواية في طبقات ابن سعد وعنه ابن الجوزي في كتابه المنتظم ومدار الرواية على محمد بن عمر الواقدي وهو شخص متهم بالكذب لدى علماء الحديث ، والقصة أوردها ابن كثير في البداية والنهاية مختصرة ولم يعلق عليها بشيء ، وذكرها ابن هشام في السيرة ، وكلاهما عن محمد ابن اسحق الذي لم يذكر سند الرواية ، فالحاصل أن الرواية لم تصح فلا يجوز الاحتجاج بها ؛ يتضح ذلك من خلال النظر كتب التراجم كما يلي :
محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي!

قال عنه البخاري : الواقدي مديني سكن بغداد متروك الحديث تركه أحمد وابن نمير وابن المبارك وإسماعيل بن زكريا (تهذيب الكمال مجلد 26 ص 185-186) وفي نفس الصفحة قال أحمد : هو كذاب، وقال يحيى: ضعيف وفي موضع آخر ليس بشيء، وقال أبو داود : أخبرني من سمع من علي بن المديني يقول : روى الواقدي : ثلاثين ألف حديث غريب، وقال أبو بكر بن خيثمة : سمعت يحيى بن معين يقول : لا يكتب حديث الواقدي ليس بشيء، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت عنه علي بن المديني فقال : متروك الحديث، وقال أحمد بن حنبل : كان الواقدي يقلب الأحاديث يلقي حديث ابن أخي الزهري على معمر ذا قال إسحاق بن راهويه كما وصف وأشد ؛ لأنه عندي ممن يضع الحديث الجرح والتعديل 8/الترجمة 92، وقال علي بن المديني سمعت أحمد بن حنبل يقول : الواقدي يركب الأسانيد تاريخ بغداد 13/3-16، وقال الإمام مسلم : متروك الحديث ، وقال

النسائي: ليس بثقة قال (النسائي) في " الضعفاء والمتروكين : " المعروفون بالكذب على رسول الله أربعة الواقدي بالمدينة ومقاتل بخراسان ومحمد بن سعيد بالشام، وقال الحاكم :
ذاهب الحديث ، وقال الذهبي : مجمع على تركه وذكر هذا في مغني الضعفاء 2/ الترجمة
5861 .

ثالثاً : إنني أفترض جداً أن القصة صحيحة فهل تستحق أم قرفة القتل بحسب ما جاء في الروايات أم لا ؟

قلتُ : إنها تستحق القتل بحسب الروايات لعدة أسباب منها:

1- ردتها عن الإسلام بحسب بعض الروايات ، وقد قال ﷺ : " من بدل دينه فقتلوه " .
صحيح البخاري .

2- كانت تغلب القبائل على قتل رسول الله ﷺ وتسبّه في شعرها .

3- أعدت فرقة مسلحة لقتله ﷺ .

رابعاً : إن القتل العنيف الذي جاء في الروايات ليس للنبي ﷺ أدنى ذنب فيه ، فالذي قتلها هذه القتل - بحسب الروايات التي لا تصح أصلاً - هو زيد بن حارثة ، وليس النبي ﷺ ؛ فعنوان الشبهة باطل من أساسه....

وعلى كلٍّ أقول: بفرض صحة الرواية نعتذر للمعترضين؛ لأن (المحمول) أو (الأقمار الصناعية) لم تكن موجودة في زمان النبي ﷺ حتى يخبر زيد ألا يقتل أم قرفة بهذه القتل العنيفة !!

ثم إن تعاليم محمد ﷺ واضحة في السيرة: أنه نهى عن التمثيل بالقتلى، والقتل بوحشية.... وذلك في عدة مواضع منها:

1- صحيح مسلم برقم 3261 عن بريدة كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ : " اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدُرُوا وَلَا تَمْتَلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا ...".

2- مسند أحمد برقم 17450 عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْمُثَلَّةِ . أنظر حديث رقم 6899 في صحيح الجامع .

3- مسند أحمد برقم 19012 عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: مَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً إِلَّا أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ وَنَهَانَا عَنْ الْمُثَلَّةِ. وغيرها من الأحاديث التي سبق ذكرها.

فالواضح من الحديث أن النبي ﷺ كان يوصي السرية والجيش بتقوى الله ﷻ وعدم الظلم للعدو، مثل: الغدر ، والتمثيل به ، وقتله قتلاً عنيفاً ... فهذا يدل على رحمته ﷺ.

رابعاً : إن الكتاب المقدس نسب إلى الربِّ بأنه يأمر بشق بطون الحوامل ، وذلك في سفر هوشع إصحاح 13 عدد ¹⁶ تُجَازِي السَّامِرَةَ لِأَنَّهَا قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلَهِهَا. بِالسَّيْفِ يَسْقُطُونَ. تَحْطُمُ أَطْفَالُهُمْ، وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ.

وأمر بضرب الأطفال بالصخرة، وذلك في سفر المزامير مزمور 137 عدد ⁸ يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرِبَةِ، طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكَ جَزَاءَكَ الَّذِي جَازَيْتَنَا! ⁹ طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكَ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!

ونسب الكتاب المقدس إلى داود النبي أنه قتل قتلاً عنيفاً (مثل بالجثث) ، وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 4 عدد 12¹² وأمر داود الغلمان فقتلوهما، وقطعوا أيديهما وأرجلهم، وعلقوهما على البركة في حبرون. وأما رأس إيشبوشث فأخذه ودفنوه في قبر أبنير في حبرون.

وذكر ذلك السفر نفسه في الإصحاح 12 عدد 30³⁰ وأخذ تاج ملكهم عن رأسه، ووزنه وزنة من الذهب مع حجر كريم، وكان على رأس داود. وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جداً. 31³¹ وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم في أنون الأجر، وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون. ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم..

قلت : إذا كان داود عليه السلام (مثل بالجثث) بزعم تلك النصوص حيث نشر الناس بالمناشير.... ولم يقدح أحد في نبوته! فلماذا يعترض المعترضون على حديث (أم قرفة)، ويطعنوا في نبوته ﷺ من خلاله مع ما سبق بيانه بعدم صحته ،وما سبق بيانه من نصوص كتابهم.... ؟!

رد شبهة : نبي يقتل امرأة (عصماء بنت مروان)!

قالوا في ملخص شبهتهم: أرسل النبي ﷺ عميراً بن عدي إلى عصماء بنت مروان وأمره بقتلها لأنها ذمته. فجاءها ليلاً، وكان أعمى، فدخل عليها بيتها، وحولها نفر من ولدها نيام ومنهم من ترضعه. فجسها عمير بيده، ونحى الصبي عنها، وأنفذ سيفه من صدرها إلى ظهرها. ثم رجع فأتى المسجد فصلى ، وأخبر النبي ﷺ بما حصل، فقال الرسول ﷺ : لا ينتطح فيها عنزان

ثم قالوا علي سبيل التهكم: ما أعظم رحمة نبيكم وصحابته....!

الرد على الشبهة

إن هذه القصة ليست صحيحة بل هي موضوعه؛ وضعها الزنادقة لينالوا من النبي ﷺ وأصحابه ﷺ ...

قال الألباني - رحمه الله - في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (33/13) الحديث رقم 6013 (لا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَزَّانٌ) موضوع .

أخرجه القضاعي فيمسند الشهاب (856/46/2) ، وكذا ابن عدي (2156/6) ، ومن طريقه ابن الجوزي في "العلل" (175/1) ، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (768/14) - المدينة) من طريق محمد بن إبراهيم بن العلاء الشامي : حدثنا محمد بن الحجاج اللّخمي أبو إبراهيم الواسطي عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عن ابن عباس قال : هجت امرأة من بني خزيمة النبي ﷺ بهجاء لها ، قال : فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فاشتد عليه ذلك ، وقال : « من لي بها ؛ » ، فقال رجل من قومها : أنا يا رسول الله ! وكانت تمرّة ؛ تبيع التمر ، قال : فأتاها ، فقال لها : عندك تمر ؛ فقالت : نعم . فأرته تمرّاً ، فقال أردت أجود من هذا . قال : فدخلت لتريه . قال : فدخل خلفها ونظر يميناً وشمالاً ، فلم ير إلا خواناً ، فعلا به رأسها حتى دمعها به ، قال : ثم أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله! قد كفيتكها . قال : فقال النبي ﷺ : « إنه لا ينتطح فيها عزّان » ، فأرسلها مثلاً .

وقال ابن عدي - وتبعه ابن الجوزي - : "هذا مما يتهم بوضعه محمد بن الحجاج"

قلت : وهو كذاب خبيث ؛ كما قال ابن معين ، وهو واضع حديث الهريسة ، وقد تقدم (690) ، وقبله حديث آخر له موضوع والراوي عنه محمد بن إبراهيم الشامي ؛ كذاب أيضاً ؛ كما تقدم بيانه في الحديث الذي قبله ؛ ولكنه قد توبع : أخرجه الخطيب في "التاريخ" (99/13) من طريق مسلم بن عيسى - جار أبي مسلم المستملي - : حدثنا

محمد بن الحجاج

اللخمي ... به . ذكره في ترجمة ابن عيسى هذا، ولم يزد فيها على أن ساق له هذا الحديث ، فهو مجهول العين . والله أعلم.

والحديث ؛ علقه ابن سعد في "الطبقات" (27/2 - 28) بأنّ مما هنا ، والظاهر أنه مما تلقاه عن شيخه الواقدي ، وقد وصله القضاعي (858/48/2) من طريقه بسند آخر نحوه . لكن الواقدي متهم بالكذب ؛ فلا يعتدّ به . وأورد منه الشيخ العجلوني في كشف الخفاء (3137/375/2) حديث الترجمة فقط من رواية ابن عدي ، وسكت عنه ؛ فأساء !

وعليه : فما بني عل باطل فهو باطل ؛ وذلك لكا كانت القصة باطلة مكذوبة ... فقد أبطلت الشبهة...

رد شبهة : نبيّ يأمر بقتل رجل متهماً بأمر ولده دون بينة !

قالوا : لقد أمر رسول الإسلام بقتل رجل كان يتهم بأمر ولده مارية دون بينة أو إقرار ... كيف يأمر رسول الله بقتل رجل بلا دليل أو برهان ؟!

استدلوا على شبهتهم بما جاء في صحيح مسلم كتاب (التَّوْبَةِ) بَاب (بَرَاءَةِ حَرَمِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الرَّيْبَةِ) برقم 4975 عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُتَّهَمُ بِأَمْرٍ وَلَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَعَلِّي : أَذْهَبُ فَاضْرِبْ عَنْقَهُ فَاتَاهُ عَلِيٌّ فَإِذَا هُوَ فِي رُكْبَةٍ يَتَبَرَّدُ فِيهَا فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : أَخْرِجْ فَنَاولُهُ يَدَهُ فَأَخْرَجَهُ فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ فَكَفَّ عَلِيٌّ عَنْهُ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : " إِنَّهُ لَمَجْبُوبٌ مَا لَهُ ذَكَرٌ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن أهل العلم - رحمهم الله - ذكروا أقولاً أذكرها أولاً ثم أرجح وأنسف الشبهة من جذورها نسفاً - إن شاء الله ﷻ - كما يلي :

1- قال النووي - رحمه الله - في شرحه : ذَكَرَ فِي الْبَابِ حَدِيثَ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُتَّهَمُ بِأَمِّ وَلَدِهِ ﷺ ، فَأَمَرَ عَلِيًّا ﷺ أَنْ يَذْهَبَ يَضْرِبُ عُنُقَهُ ، فَذَهَبَ فَوَجَدَهُ يَغْتَسِلُ فِي رَكِيٍّ ، وَهُوَ الْبُئْرُ ، فَرَاهُ مَجْبُوبًا فَتَرَكَهُ ، قِيلَ : لَعَلَّهُ كَانَ مُنَافِقًا وَمُسْتَحِقًّا لِلْقَتْلِ بِطَرِيقٍ آخَرَ ، وَجَعَلَ هَذَا مُحَرِّكًا لِقَتْلِهِ بِنِفَاقِهِ وَغَيْرِهِ لَا بِالزَّنا ، وَكَفَّ عَنْهُ عَلِيٌّ ﷺ إِعْتِمَادًا عَلَى أَنَّ الْقَتْلَ بِالزَّنا ، وَقَدْ عُلِمَ إِنْتِفَاءُ الزَّنا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

-2

3- قال ابنُ تيميةَ - رحمه الله - في الصارم المسلول على شاتم الرسول : ثم إن من نكح أزواجه أو سراريه فإن عقوبته القتل جزاء له بما انتهك من حرمة فالشاتم له أولى والدليل على ذلك ما روى مسلم في صحيحه عن زهير عن عفان عن حماد عن ثابت عن أنس أن رجلا كان يتهم بأمر ولد النبي فقال رسول الله ﷺ لعلي اذهب فاضرب عنقه فأتاه علي فإذا هو ركي يتبرد فقال له علي اخرج فناوله يده فأخرجه فإذا هو محبوب ليس له ذكر فكف علي ثم أتى النبي فقال يا رسول الله انه لمحبوب ماله ذكر فهذا الرجل أمر رسول الله ﷺ بضرب عنقه لما قد استحل من حرمة ولم يأمر بإقامة حد الزنا لأن حد الزنى ليس هو ضرب الرقبة بل إن كان محصناً رجم وإن كان غير محصن جلد ولا يقام عليه الحد إلا بأربعة شهداء أو بالإقرار المعتبر فلما أمر النبي رسول الله ﷺ بضرب عنقه من غير تفصيل بين أن يكون محصناً أو غير محصن علم أن قتله لما انتهكه من حرمة ، ولعله قد شهد عنده شاهدان أنهما رأياه يباشر هذه المرأة أو شهدا بنحو ذلك فأمر بقتله فلما تبين انه كان محبوباً علم أن المفسدة مأمونة منه أو انه بعث علياً ليستبرى القصة فإن كان ما بلغه عنه حقا قتله ، ولهذا قال في هذه القصة أو غيرها أكون كالسكة المحماة أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب . اهـ

4- قال ابن جرير : يجوز أن يكون المذكور من أهل العهد ، وفي عهده أن لا يدخل على مارية ، فقال : ودخل عليها ، فأمر رسول الله ﷺ بقتله لنقض عهده . اهـ

4- قال أبو محمد بن حزم في كتابه (الإيصال إلى فهم كتاب الخصال) : من ظن أنه ﷺ أمر بقتله حقيقة بغير بينة ولا إقرار فقد جهل ، وإنما كان النبي ﷺ يعلم أنه برئ مما نسب إليه ورمي به ، وإن الذي ينسب إليه كذب ، فأراد ﷺ إظهار الناس على براءته يوقفهم على ذلك مشاهدة ، فبعث عليا ومن معه فشاهدوه مجبوبا - أي مقطوع الذكر - فلم يمكنه قتله لبراءته مما نسب إليه ، وجعل هذا نظير قصة سليمان في حكمه بين المرأتين المختلفتين في الولد ، فطلب السكين ليشقه نصفين إلهاما ، ولظهور الحق ، وهذا حسن . انتهى كلام الحضيبي . اهـ

قلتُ : إن الأقوال التي قمت بعرضها رأيتُ منها ما هو بعيد عن الصحة والأخير أقرب للصواب ... فالصحيح هو ما ذكره الإمام الطحاوي في كتابِه مشكل الآثار (ج 11 / ص 116) برقم 433 عن علي بن أبي طالب ؓ قال : كان قد تجرؤوا على مارية في قبطي كان يختلف إليها ، فقال لي رسول الله ﷺ : « انطلق ، فإن وجدته عنده فاقتله » ، فقلت : يا رسول الله ، أكون في أمرك كالسكة المحماة (1) ، وأمضي لما أمرتني لا يثنيني شيء أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ؟ قال : « الشاهد يرى ما لا يرى الغائب » ، فتوشحت سيفي ، ثم انطلقت ، فوجدته خارجا من عندها على عنقه جرة ، فلما رأيته اخترطت سيفي ، فلما رأيته إياه أريد ، ألقى الجرة (2) ، وانطلق هاربا ، فرقي في نخلة ، فلما كان في نصفها ، وقع مستلقيا على قفاه ، وانكشف ثوبه عنه ، فإذا أنا به أجب أمسح ليس له شيء مما خلق الله عز وجل للرجال ، فغمدت سيفي ، وقلت : مه قال : خيرا ، رجل من القبط وهي امرأة من القبط ، وزوجة رسول الله ﷺ أحتطب لها ، وأستعذب لها ،

فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فأخبرته ، فقال : « الحمد لله الذي يصرف عنا السوء أهل البيت » ، فقال قائل : وكيف تقبلون مثل هذا عن رسول الله ﷺ من أمره عليا عليه السلام بقتل من لم يكن منه ما يوجب قتله ، وأنتم تروون عنه ﷺ قال : فذكر ما قد تقدم ذكرنا له في كتابنا هذا من قوله : " لا يحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث : زنا بعد إحصان ، أو كفر بعد إيمان ، أو نفس بنفس " وها لم يقم عليه حجة بأنه كانت منه واحدة من هذه الثلاث خصال فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله عز وجل وعونه : أن الحديث الذي احتج به يوجب ما قال لو بقيت الحكام على ما كانت عليه في الوقت الذي قال فيه رسول الله ﷺ هذا القول ، ولكنه قد كانت أشياء تحل بها الدماء سوى هذه الثلاثة الأشياء فمنها : من شهر سيفه على رجل ليقتله ، فقد حل له به قتله ومنها : من أريد ماله ، فقد حل له قتل من أراده ، وكانت هذه الأشياء قد يحتمل أن يكون كانت بعد ما في الحديث الذي حظر أن لا تحل نفس إلا بواحدة من الثلاثة الأشياء المذكورة فيه ، فيكون ذلك إذا كان بعده لاحقا بالثلاثة الأشياء المذكورة فيه ، ويكون الحظر في الأنفس مما سواها على حاله وكان في حديث القبطي الذي ذكرنا أمر رسول الله ﷺ عليا - عليه السلام - ، إن وجد ذلك القبطي عند مارية ، قتله ، يريد : إن وجدته في بيته ، فلم يجده عندها في بيته ، فلما لم يجده في بيته ، لم يقتله ، ولو وجدته فيه لقتله كما أمره النبي ﷺ به فكان من الأشياء التي ذكرنا منها الشيئين اللذين ذكرناهما مما في شريعته ﷺ : أن من وجد رجلا في بيته قد دخله بغير إذن له حلال له قتله ، وكذلك من أدخل عينه في منزل رجل بغير أمره ليرى ما في منزله ، حل له فقء عينه ، وكذلك روي عنه ﷺ في الذي اطلع في بيته من جحر فيه من قوله له : « لو أعلم أنك تنظر ، لطعنت به يريد مدرى كان في يده في عينك » ومن قوله : « من اطلع على رجل في بيته ، فحذفه ، ففقأ عينه ، فلا جناح عليه » ومن قوله : " من اطلع على قوم ففقئوا عينه ، فلا قصاص له ولا دية " وقد ذكرنا ذلك كله فيما تقدم في كتابنا هذا ، وكان مثل ذلك : من دخل ببدنه بيت رجل بغير إذن له ، حل له قتله ، فبان بحمد الله عز وجل ونعمته أن لا تضاد في شيء من آثار رسول الله ﷺ ، ولا خروج لبعضها عن بعض ، والله ﷻ نسأله التوفيق.

(1) السكة المحماة : الحديد الملتهبة من حرارة النار.

(2) الجرّ والجرار: جمع جرّة ، وهو إناء من الفخار أو الخزف.

نلاحظ من خلال ما سبق : أن النبي ﷺ لم يرسل علياً ؓ لقتله دون بينة أو أقرار من المتهم بأم ولده مارية - رضي الله عنها - ولكن أمره أن يتثبت قبل قتله فقد يكون بريئاً ، ذلك واضح من قول علي ؓ : " أَكُونُ كَالسَّكَّةِ الْمُحْمَاةِ أَمْ الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ ؟ " قَالَ : " الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ " .
جاء ذلك أيضاً في الآتي :

1- مسند الإمام أحمد برقم 594 عَنْ عَلِيٍّ ؓ قَالَ: قُلْتُ : " يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا بَعَثْتَنِي أَكُونُ كَالسَّكَّةِ الْمُحْمَاةِ أَمْ الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ ؟ " قَالَ : " الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ " .

1- مسند البزار برقم 634 عن علي قال : كثر على مارية أم إبراهيم في قبطي ابن عم لها كان يزورها ويختلف إليها فقال لي رسول الله ﷺ : (خذ هذا السيف فانطلق فإن وجدته عندها فاقتله قال : قلت : يا رسول الله أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة المحماة لا يثني شيء حتى أمضي لما أمرتني به أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ؟ قال : " بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب " فأقبلت متوشح السيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما رأيته أقبلت نحوه تخوف أنني أريده فأتى نخلة فرقى فيها ثم رمى بنفسه على قفاه ثم شغل برجله فإذا به أجب أمسح ما له قليل ولا كثير فغمدت السيف ثم أتيت رسول الله ﷺ وأخبرته فقال : " الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت " .

وعليه : تنسف شبهتهم نسفاً ، وذلك من خلال الجمع بين روايات الحديث - بفضل الله ﷻ - .

ثانياً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه هو : هل لو قتل النبي ﷺ رجلاً بريئاً - وحاشاه ذلك - هل هذا يقدح في نبوته بحسب حال بعض الأنبياء في الكتاب المقدس ... ؟

الجواب : لا يقدح ذلك في نبوته قط ؛ لأن الكتاب المقدس نسب لبعض أنبياء الله ﷺ الآتي :

1- داود قتل رجلاً بريئاً (أورياً) بعد أن زنا بزوجته وذلك في سفر صموئيل الثاني
إصحاح 11 عدد¹ وكان عند تمام السنة، في وقت خروج الملوك، أن داود أرسل يوباب وعبيده معه وجميع إسرائيل، فأخبروا بني عمون وحاصروا ربة. وأما داود فأقام في أورشليم.² وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد: «الليست هذه بثشبع بنت اليعام امرأة أورياً الحثي؟». ³ فأرسل داود رسلاً وأخذها، فدخلت إليه، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئتها. ثم رجعت إلى بيتها.⁵ وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود وقالت: «إني حبلت». ⁶ فأرسل داود إلى يوباب يقول: «أرسل إلي أورياً الحثي». فأرسل يوباب أورياً إلى داود. ⁷ فأتى أورياً إليه، فسأل داود عن سلامة يوباب وسلامة الشعب ونجاح الحرب. ⁸ وقال داود لأورياً: «انزل إلى بيتك واغسل رجلك». فخرج أورياً من بيت الملك، وخرجت وراءه حصاة من عند الملك. ⁹ ونام أورياً على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته. ¹⁰ فأخبروا داود قائلين: «لم ينزل أورياً إلى بيته». فقال داود لأورياً: «أما جئت من السفر؟ فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟» ¹¹ فقال أورياً لداود: «إن الثأبوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوباب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لأكل وأشرب واضطجع مع امرأتي؟ وحياتك وحياتك نفسك، لا أفعل هذا الأمر». ¹² فقال داود لأورياً: «أقم هنا اليوم أيضاً، وغدا أطلقك». فأقام أورياً في أورشليم ذلك اليوم وغده. ¹³ ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكراه. وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده، وإلى بيته لم ينزل. ¹⁴ وفي الصباح كتب داود مکتوباً إلى يوباب وأرسله بيد أورياً. ¹⁵ وكتب في المکتوب يقول: «اجعلوا أورياً في وجه

الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ». ¹⁶وَكَانَ فِي مُحَاصِرَةِ يُوَابَ الْمَدِينَةَ أَنَّهُ جَعَلَ أُورِيَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّ رِجَالَ الْبَاسِ فِيهِ. ¹⁷فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارِبُوا يُوَابَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عِبِيدِ دَاوُدَ، وَمَاتَ أُورِيَّا الْحَنِيُّ أَيْضًا.

2- موسى قتل رجلاً بريئاً (المصري) متعمداً مع العلم أن الإسرائيليين كان ظالماً
وذلك في سفر الخروج إصحاح 2 عدد ¹¹وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَمَّا كَبُرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَثْقَالِهِمْ، فَرَأَى رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ، ¹²فَالْتَقَتْ إِلَى هُنَا وَهَنَّاكَ وَرَأَى أَنَّ لَيْسَ أَحَدًا، فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ. لا تعليق!

رد شبهة : نبي يقتل غدرًا (كعب بن الأشرف) !

قالوا : لقد كان رسول الإسلام يقتل أعداءه غدرًا أين الرحمة. وأين الأخلاق الكريمة ؟!

تعلقوا بقصة مقتل كعب بن الأشرف التي جاءت في صحيح البخاري كتاب (المغازي) باب (قتل كعب بن الأشرف) برقم 3731 حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرُو : سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ لَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ " فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا قَالَ : قُلْ فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً وَإِنَّهُ قَدْ عَنَانَا وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ قَالَ : وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمْلُئَنَّهُ قَالَ : إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدْعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسَلِفَنَا وَسَقَا أَوْ وَسَقَيْنَ

و حَدَّثَنَا عَمْرُو غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَذْكُرْ وَسَقَا أَوْ وَسَقَيْنَ أَوْ فَقُلْتُ لَهُ فِيهِ وَسَقَا أَوْ وَسَقَيْنَ فَقَالَ : أَرَى فِيهِ وَسَقَا أَوْ وَسَقَيْنَ فَقَالَ : نَعَمْ ارْهُونِي قَالُوا : أَيُّ شَيْءٍ تَرِيدُ قَالَ : ارْهُونِي

نَسَاءَكُمْ قَالُوا : كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ قَالُوا :كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيَسِبُّ أَحَدُهُمْ فَيُقَالُ: رَهْنٌ بَوْسَقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأَمَةَ قَالَ: سَفِيَانُ يَعْنِي السَّلَاحَ فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرِّضَاعَةِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو قَالَتْ : أَسْمِعْ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقَطُرُ مِنْهُ الدَّمُ قَالَ : إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بَلِيلٍ لَأَجَابَ قَالَ :وَيَدْخُلُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ قِيلَ لِسَفِيَانِ سَمَاهُمْ عَمْرٍو قَالَ: سَمَى بَعْضُهُمْ قَالَ عَمْرٍو :جَاءَ مَعَهُ بَرَجْلَيْنِ وَقَالَ: غَيْرُ عَمْرٍو أَبُو عَبْسٍ بْنُ جَبْرِ وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ وَعَبَادُ بْنُ بَشْرٍ قَالَ عَمْرٍو :جَاءَ مَعَهُ بَرَجْلَيْنِ فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَاتِلٌ بِشَعْرِهِ فَاشْمُهُ فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمَكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ وَقَالَ مَرَّةً ثُمَّ أَشْمُكُمْ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مَتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفُجُ مِنْهُ رِيحُ الطَّيِّبِ فَقَالَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا أَيْ أَطْيَبَ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو قَالَ عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءَ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ قَالَ عَمْرٍو فَقَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشْمَ رَأْسَكَ قَالَ: نَعَمْ فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشْمَ أَصْحَابَهُ ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي ؟ قَالَ: نَعَمْ فَلَمَّا اسْتَمَكَنَ مِنْهُ قَالَ: دُونَكُمْ فَفَتَلَوْهُ ثُمَّ أَتَوَا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الإسلام أمر المؤمنين بالوفاء بالعهود ، ونهى عن الغدر...

تدلل على ذلك أدلة منها:

- 1- قوله ﷺ : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء:34) .
- 2- صحيح مسلم برقم 3261 عن بريدة ؓ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ : " اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْتَلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا..." . كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْهَى عَنِ الْغَدْرِ...

3- سنن أبي داود برقم 3068 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَدَّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ أَيْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ "

إِذَا : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْهَى عَنِ الْخِيَانَةِ

2- صحيح الجامع برقم 9301 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ ﷺ : " لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ أَلَا وَ لَا غَادِرَ أَعْظَمَ غَدْرًا مِنْ أَمِيرٍ عَامَةٍ " .

إِذَا: بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْغَادِرَ يَفْضَحُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَدْرِ غَدْرِهِ.....

ثَانِيًا : إِنْ ادَّعَاهُمْ بِأَنْ مَقَتَلَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ قَتَلَ غَدْرًا ادَّعَاءً بَاطِلٌ لِمَاذَا ؟ لِأَنَّهُ أَدَّى اللَّهُ وَرَسُولُهُ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ لَمَّا قَالَ ﷺ : " مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آدَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ " ؟ .

وَعَلَيْهِ : فَإِنْ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ كَانَ فِي حَالَةِ حَرْبٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَالْحَرْبُ يُحْرَمُ فِيهَا الصَّدَقُ مَعَ الْعَدُوِّ ، فَالْحَرْبُ خُدْعَةٌ ... يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا يَلِي :

1- صحيح البخاري برقم 2805 عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " الْحَرْبُ خُدْعَةٌ " وَبِالتَّالِي فَقَتَلَ هَذَا الصَّنْدِيدُ لَيْسَ بِغَدْرٍ ؛ لِأَنَّهُ فِي حَالَةِ حَرْبٍ مَعَ نَبِيِّنَا ﷺ ...

2- ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ قِصَّةَ مَقْتَلِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فِي بَابِ (الْكُذْبُ فِي الْحَرْبِ) . وَبِالتَّالِي فَإِنْ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ رضي الله عنه لَمَّا قَتَلَهُ أَصَابَ فِي قَتْلِهِ وَلَا يُسَمَّى هَذَا غَدْرًا .

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل قتل كعب بن الأشرف حق أم باطل ؟

الجواب : قتله حق ؛ لأنه " آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ " ، وقد نهى ربنا عن ذلك كما يلي:

- 1- قوله ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (6) (التوبة).
- 2- قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (57) (الأحزاب).

والمعلوم أن كعب بن الأشرف كان يهودياً يكتب الشعر ، ويسب فيه النبي ﷺ ، ويحرض عليه من خلال شعره وكلامه ، وكان يطعن في أعراض المسلمين.....

ثم إن الله ﷻ نهى عن قتل النفس إلا بالحق؛ قال ﷻ : وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ (الأنعام151) .
وعليه: فلا يأمر محمد ﷺ بقتل نفسٍ إلا بالحق فهو أعدل الناس ﷺ وأرحمهم وأصبرهم ... فمن يعدل إذا كان محمد ﷺ لم يعدل ؟

ثم إننا لم نسمع أحداً من المشركين في زمان النبي ﷺ قال: إن محمداً ﷺ قتل كعب بن الأشرف غدرًا ، ولكن نسمع ذلك من المعترضين اليوم !....

ثالثاً : إن قيل : إن كعب بن الأشرف كان من يهود المدينة واليهود كانوا علي عهد مع النبي ﷺ فكيف يأمر بقتله وهو معاهد... ؟

قلتُ: أفترض جدلاً أن اليهود في ذلك الوقت كان بينهم وبين النبي ﷺ معاهدة؛ أقول: كما قال علماؤنا الأوائل: إن ساب النبي ﷺ ينقض عهده بسبب سبه للنبي ﷺ وهكذا الحال مع الذمي أيضاً....

رابعاً : إن قيل : لماذا لم يعفو النبي ﷺ عنه كما عفا عن الذين سبوه من قبل وآذوه... ؟

قلتُ : إن من الجائز أن الله ﷻ أعلم نبيه ﷺ أن كعب بن الأشرف من الذين ختم الله على قلوبهم فلن يكف عن السب والإيذاء وتحريض الناس عليه ﷺ ، فأمر به ﷺ كما أمر ﷺ بقتل أبي رافع فكان يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، كما أمر ﷺ بقتل جماعة ممن كانوا يؤذونه من الكفار ويسبونه كالنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وغيرهم....

فما سبق مثلما حدث مع نوح عليه السلام لما أعلمه ربه ﷻ بخبر قومه قال ﷻ : ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح:27).

خامساً : إن الكتاب المقدس نسب إلى داود النبي أنه لما زنا بزوجة قائده أورياً الحثي أمر بقتله غداً وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 11 عدد¹ وكان عند تمام السنة، في وقت خروج الملوك، أن داود أرسل يواب وعبيده معه وجميع إسرائيل، فأخبروا بني عمون وحاصروا ربة. وأما داود فأقام في أورشليم. ² وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريرته وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. ³ فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد: «أليست هذه بثشبع بنت أليعام امرأة أورياً الحثي؟». ⁴ فأرسل داود رسلاً وأخذها، فدخلت إليه، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئنها. ثم رجعت إلى بيتها. ⁵ وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود وقالت: «إني حبلت». ⁶ فأرسل داود إلى يواب يقول: «أرسل إلي أورياً الحثي». فأرسل يواب أورياً إلى داود. ⁷ فأتى أورياً إليه، فسأل داود عن سلامة يواب وسلامة الشعب ونجاح الحرب. ⁸ وقال داود لأورياً: «انزل إلى بيتك واغسل رجلك». فخرج أورياً من بيت الملك، وخرجت وراءه حصنة من عند الملك. ⁹ ونام أورياً على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته. ¹⁰ فأخبروا داود قائلين: «لم ينزل أورياً إلى بيته». فقال داود لأورياً: «أما

جُنْتُ مِنَ السَّفَرِ؟ فَلَمَّاذَا لَمْ تَنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ؟»¹¹ فَقَالَ أُورِيَّا لِدَاوُدَ: «إِنَّ الثَّابُوتَ وَإِسْرَائِيلَ وَبِهَوْدًا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوَابَ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحَرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لِأَكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجِعَ مَعَ امْرَأَتِي؟ وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةَ نَفْسِكَ، لَا أَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ». ¹²فَقَالَ دَاوُدُ لِأُورِيَّا: «أَقِمْ هُنَا الْيَوْمَ أَيْضًا، وَغَدًا أُطْلِقُكَ». فَأَقَامَ أُورِيَّا فِي أُورُشَلِيمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَغَدَهُ. ¹³وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَلَ أَمَامَهُ وَشَرِبَ وَأَسْكِرَهُ. وَخَرَجَ عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَضْطَجِعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَإِلَى بَيْتِهِ لَمْ يَنْزِلْ. ¹⁴وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوبًا إِلَى يُوَابَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُورِيَّا. ¹⁵وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: «اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبُ وَيَمُوتُ». ¹⁶وَكَانَ فِي مُحَاصِرَةِ يُوَابَ الْمَدِينَةَ أَنَّهُ جَعَلَ أُورِيَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عُلِمَ أَنَّ رِجَالَ الْبَاسِ فِيهِ. ¹⁷فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارِبُوا يُوَابَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عِبِيدِ دَاوُدَ، وَمَاتَ أُورِيَّا الْحَنِيُّ أَيْضًا.

وَأَسْأَلُ : لماذا لم يسقط المعترضون النبوة عن داود ﷺ ؛ لأنه قتل أُورِيَّا الْحَنِيَّ غدرًا...
كما حالوا مع الحديث الذي جعلوا منه شبهة فأبطلتها- بفضل الله ﷻ-؟! لا تعليق!

رد شبهة : نَبِيٌّ سَمَلُ أَعْيُنِ نَاسًا مِنْ عَرِينَةٍ ، وَ قَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ.....!

قالوا : رسول الإسلام سَمَلُ أَعْيُنِ نَاسًا مِنْ عَرِينَةٍ ، وَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ دون وجه حق ... هل هذا من رحمة رسول الإسلام؟

استندوا في ذلك على ما جاء في صحيح البخاري كتاب (الحدود) باب (سمر النبي ﷺ أَعْيُنَ الْمُحَارِبِينَ) برقم 6307 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَهْطًا مِنْ عُكْلٍ أَوْ قَالَ عَرِينَةٍ وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ مِنْ عُكْلٍ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ فَأَمَرَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِلِقَاحٍ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فَيَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَالْبَانِهَا فَشَرَبُوا حَتَّى إِذَا بَرَأُوا قَتَلُوا الرَّاعِيَ وَاسْتَأْفَوْا النَّعَمَ فَلَبِغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَوَةً فَبَعَثَ الطَّلَبَ فِي إِثْرِهِمْ فَمَا ارْتَفَعَ النَّهَارُ حَتَّى جِيَ بِهِمْ فَأَمَرَ بِهِمْ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ فَأَلْقَوْا بِالْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَلَا يَسْقُونَ

قَالَ أَبُو قِلَابَةَ : " هَؤُلَاءِ قَوْمٌ سَرَقُوا وَقَتَلُوا وَكَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَحَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الرد على شبهة ألبان الإبل وأبوالها فيها شفاء... سيأتي في الباب السادس مفصلاً - إن شاء الله- ، ففيه دلالة واضحة على صدق نبوة النبي ﷺ ، وهو من معجزاته ﷺ ؛ نصح ﷺ الأعراب بشرب ألبان الإبل وأبوالها ، فتم شفاؤهم بالفعل بعد تناول هذه الوصفة ، ولم يبدو اعتراضاً لها ...

الحديث يقول: " حَتَّى صَلَحَتْ أَبْدَانُهُمْ " وفي رواية في صحيح البخاري برقم 226 " فلما صحوا " .

وعليه: فإن الحديث لا يخدم مصالحهم بحالٍ من الأحوال؛ وإنما هو دليل إثبات لنبوة نبيِّنا ﷺ ومن معجزاته ﷺ ... وليس فيه إلزام للمسلمين أن يشربوا من ألبان الإبل وأبوالها...

ثانياً : إن قولهم بأن النبي ﷺ سمل أعين ناساً من عُرَيْنَةٍ ، و قَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ دون وجه حق هذا ؛ قول باطل يدل على كذبهم وتدليسهم ...للآتي:

1- الحديث نفسه يقول : " قَتَلُوا الرَّاعِيَّ ، وَاسْتَأْفُوا النِّعَمَ " فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ غُدْوَةً فَبَعَثَ الطَّلَبَ فِي إِثْرِهِمْ فَمَا ارْتَفَعَ النَّهَارُ حَتَّى جِيَءَ بِهِمْ فَأَمَرَ بِهِمْ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ فَأُلْفُوا بِالْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَلَا يُسْقُونَ .

2- الحديث نفسه يقول : قَالَ أَبُو قِلَابَةَ : " هَؤُلَاءِ قَوْمٌ سَرَقُوا ، وَقَتَلُوا ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَحَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ " .

3- رواية أخرى من صحيح البخاري برقم 2795 قَتَلُوا الرَّاعِيَ ، وَاسْتَأْفُوا الدَّوْدَ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ فَأَتَى الصَّرِيخُ النَّبِيَّ ﷺ فَبَعَثَ الطَّلَبَ فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ حَتَّى أَتَى بِهِمْ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ثُمَّ أَمَرَ بِمَسَامِيرَ فَأُحْمِيَتْ فَكَحَلَهُمْ بِهَا وَطَرَحَهُمْ بِالْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَمَا يُسْقُونَ حَتَّى مَاتُوا.

إذاً من خلال ما سبق أتضح لنا: أن النبي ﷺ كان سبباً في شفائهم بعد إسلامهم بوصف لهم بول الإبل وألبانها فصحوا، ثم قتلوا الراعي، وسرقوا الإبل، وارتدوا عن الإسلام، فهذا يدل على الغدر والفساد...

ويبقى السؤال: هل قتل هؤلاء حق أم غير حق كما زعم المعترضون...؟! هذا هو

ثالثاً : إن قيل : هل من الرحمة أن يُسَمَّلَ أعين ناساً من عُرِينَةٍ و يَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ بهذه الطريقة ... بسبب قتل راعي واحد، وارتدادهم عن الإسلام...؟!!

قلتُ: إن الجواب على ذلك يكون من عدة نقاط منها:

1- إنهم لم يقتلوا رجلاً واحداً ؛ تدلل على ذلك رواية في صحيح البخاري برقم 6304 " فَيَشْرِبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا فَفَعَلُوا فَصَحُّوا فَارْتَدُّوا ، وَقَتَلُوا رُعَاتَهَا وَاسْتَأْفُوا الْإِبِلَ فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ فَأَتَى بِهِمْ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ ثُمَّ لَمْ يَحْسِمَهُمْ حَتَّى مَاتُوا".

2- إن هذا الحديث بيانٌ عمليٌ لحد الحراية وهو من قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ

عَظِيمٌ (33) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (34)
(المائدة) .

قال النووي في شرحه : فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي آثَارِهِمْ ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ، وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ ، وَتَرَكَهُمْ فِي الْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَلَا يَسْقُونَ ، حَتَّى مَاتُوا ، هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي عُقُوبَةِ الْمُحَارِبِينَ ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِ اللَّهِ ﷻ : { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ } .

3- جاء في المنتقى شرح الموطأ (ج 2 / ص 30) : رَوَى سَلْمَانَ التَّيْمِيُّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُمْ كَانُوا فَعَلُوا بِالرَّعَاءِ مِثْلَ ذَلِكَ وَمِثْلُ هَذَا يَجُوزُ مِنْ مِثْلِ بِمُسْلِمٍ أَنْ يُمَثَلَ بِهِ عَلَى سَبِيلِ الْقِصَاصِ وَالْمُقَارَضَةِ عَلَى فَعْلِهِ . اهـ

قُلْتُ : وقد قال الله تعالى : " وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ (45) " (المائدة).

3- صحيح مسلم برقم 3164 عَنْ أَنَسٍ قَالَ : " إِنَّمَا سَمَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْيُنَ أَوْلَيْكَ لِأَنَّهُمْ سَمَلُوا أَعْيُنَ الرَّعَاءِ " .

5- تحفة الأحوذني في شرح الترمذي (ج 1 / ص 84) : (إِنَّمَا سَمَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْيُنَهُمْ لِأَنَّهُمْ سَمَلُوا أَعْيُنَ الرَّعَاءِ) :

تَقَدَّمَ مَعْنَى السَّمَلِ أَي : فَعَلَ ﷺ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْقِصَاصِ ، قَالَ الْعَيْنِيُّ فِي عُمْدَةِ الْقَارِي : السُّؤَالُ الثَّانِي مَا وَجْهُ تَعْذِيبِهِمُ بِالنَّارِ ؟ الْجَوَابُ : أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ نَزُولِ الْحُدُودِ وَآيَةِ الْمُحَارَبَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمِثْلَةِ فَهُوَ مَنْسُوخٌ ، وَقِيلَ لَيْسَ بِمَنْسُوخٍ وَإِنَّمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ قِصَاصًا لِأَنَّهُمْ فَعَلُوا بِالرَّعَاءِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي بَعْضِ طَرَفِهِ انْتَهَى .

6- عون المعبود لشرح سنن أبي داود (ج 9/ ص 398) : تَعْلِيْقُ الْحَافِظِ ابْنِ الْقَيْمِ :
قَالَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ بَنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : قَدْ ذَكَرَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ :
" إِنَّمَا سَمَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْيُنَ أَوْلَيْكَ ، لِأَنَّهُمْ سَمَلُوا أَعْيُنَ الرِّعَاءِ " .
وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ : أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا قَدْ مَثَلُوا بِالرَّاعِي ، فَقَطَعُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَغَرَزُوا
الشَّوْكَ فِي عَيْنَيْهِ ، فَأَدْخَلَ الْمَدِينَةَ مَيِّتًا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ .
اهـ يراجع حاشية ابن القيم (ج 12 / ص 18) .

وَتَرْجَمَةُ الْبُخَارِيِّ فِي صَحِيحِهِ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ سَاقَهُ فِي بَابٍ " إِذَا حَرَّقَ الْمُسْلِمُ ، هَلْ يُحَرَّقُ
؟ " فَذَكَرَهُ
وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الصِّقَّةِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَحْسِمَهُمْ حَتَّى مَاتُوا . اهـ

7- صحيح البخاري برقم 6307 : قَالَ أَبُو قَلَابَةَ : " هَؤُلَاءِ قَوْمٌ سَرَقُوا وَقَتَلُوا وَكَفَرُوا
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَحَارِبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ " .

رابعاً : إن الكتاب المقدس ذكر لنا أن نبي الله داود قطع أيدي وأرجل ، ونشر بالمناشير
.... وذلك في الآتي :

1- سفر صموئيل الثاني إصحاح 4 عدد¹² وَأَمَرَ دَاوُدُ الْغُلَمَانَ فَقَتَلُوهُمَا ، وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمَا
وَأَرْجُلَهُمَا ، وَعَلَّقُوهُمَا عَلَى الْبَرْكَةِ فِي حَبْرُونَ . وَأَمَّا رَأْسُ إِيشْبُوشَثَ فَأَخَذُوهُ وَدَفَنُوهُ فِي قَبْرِ
أَبْنِيرَ فِي حَبْرُونَ .

2- سفر أخبار الأيام الأولى إصحاح 20 عدد¹ وَكَانَ عِنْدَ تَمَامِ السَّنَةِ فِي وَقْتِ خُرُوجِ الْمُلُوكِ، اقْتَادَ يُوَابُ قُوَّةَ الْجَيْشِ وَأَخْرَبَ أَرْضَ بَنِي عَمُّونَ وَأَتَى وَحَاصِرَ رَبَّةَ. وَكَانَ دَاوُدُ مُقِيمًا فِي أُورُشَلِيمَ. فَضَرَبَ يُوَابُ رَبَّةَ وَهَدَمَهَا.² وَأَخَذَ دَاوُدُ تَاجَ مَلِكِهِمْ عَنْ رَأْسِهِ، فَوُجِدَ وَزْنُهُ وَزَنَةُ مِنَ الذَّهَبِ، وَفِيهِ حَجَرٌ كَرِيمٌ. فَكَانَ عَلَى رَأْسِ دَاوُدَ. وَأَخْرَجَ غَنِيمَةَ الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ كَثِيرَةً جِدًّا.³ وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِينَ بِهَا وَنَشَرَهُمْ بِمَنَاشِيرٍ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ وَفُؤُوسٍ. وَهَكَذَا صَنَعَ دَاوُدَ لِكُلِّ مَدَنٍ بَنِي عَمُّونَ. ثُمَّ رَجَعَ دَاوُدَ وَكُلُّ الشَّعْبِ إِلَى أُورُشَلِيمَ.

واتساءل : لماذا لم يطعن المعترضون في نبوة داود النبي الذي قطع أرجل أيدي ونشر بالمناشير...

وذكر الكتاب المقدس لنا أن نبيَّ الله إيليا ذبح في وادي قيشون 450 رجلاً من الذين كانوا يدعون نبوة البعل وذلك في سفر الملوك الأول إصحاح 18 عدد 17 إلى 40 ²² ثُمَّ قَالَ إِيلِيَّا لِلشَّعْبِ: «أَنَا بَقِيْتُ نَبِيًّا لِلرَّبِّ وَحْدِي، وَأَنْبِيَاءُ الْبَعْلِ أَرْبَعُ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ رَجُلًا. ⁴⁰ فَقَالَ لَهُمْ إِيلِيَّا: «أَمْسِكُوا أَنْبِيَاءَ الْبَعْلِ وَلَا يَفْلِتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ». فَأَمْسَكُوهُمْ، فَنَزَلَ بِهِمْ إِيلِيَّا إِلَى نَهْرِ قَيْشُونَ وَذَبَحَهُمْ هُنَاكَ. لا تعليق !

رد شبهة: نبيُّ يقول: (أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ) !

قالوا: إن اليهود وغيرهم كانوا يعيشون في أرضهم آمنين، وجاء الإسلام ليطردهم من بيوتهم مع أبنائهم ونسائهم.... فهل هذا الفعل من رحمة رسول الإسلام لما قال : " أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ " ؟!

وتعلقوا على ذلك بما جاء في الآتي :

1- صحيح البخاري كتاب (المغازي) باب (مرض النبي ﷺ ووفاته..) برقم 4078 عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: " انتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا " فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه أهر استفهموه فذهبوا يردون عليه، فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، وأوصاهم بثلاث قال: " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم "، وسكت عن الثالثة أو قال: فنسيته.

2- صحيح مسلم كتاب (الجهاد والسير) باب (إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب) برقم 3313 عن عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلما ".

3- صحيح مسلم كتاب (الجهاد والسير) باب (إجلاء اليهود من الحجاز) برقم 3311 عن أبي هريرة أنه قال: بينا نحن في المسجد إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ قال: انطلقوا إلى يهود فخرجنا معه حتى جئناهم فقام رسول الله ﷺ فناداهم فقال: " يا معشر يهود أسلموا تسلموا " فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله ﷺ: ذلك أريد أسلموا تسلموا فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله ﷺ: ذلك أريد فقال لهم الثالثة فقال: " اعلموا أنما الأرض لله ورسوله وأني أريد أن أجليكم من هذه الأرض فمن وجد منكم بماله شيئا فليبعه وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله ".

الرد على الشبهة

أولاً: إن الإسلام قام على مبدأ لا إكراه في الدين ، وحق العقيدة مكفول للجميع ... وإما بالنسبة لحال المشركين العرب فلهم أن يبقوا على كفرهم ... شريطة أن يخرجوا من أرض الجزيرة؛ لأن رب الأرض الواسعة أراد أن يصطفى جزءاً من هذه الأرض التي خلقها و رزق أهلها لأهل الإيمان والإسلام فقط، فلا يُشرك به فيها أبداً، لاسيما وقد علمنا أنها أرض البعثة، والقبلة ، ومركز العالم الإسلامي ... وكفى به صبراً و كرمًا أنهم يكفروه ويرزقهم

يقول تعالى : ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128)﴾ (الأعراف).

ثانياً: إن المشركين العرب في الجزيرة لا عذر لهم في الكفر؛ لأن النبي ﷺ خرج من بينهم والقرآن المعجز بلغهم ، ويعرفونه ، و يعرفون صدقه ، و مخرجه و نسبه كما يعرفون أبناءهم فكان كفرهم به جحوداً مريعاً و تكبراً مقبياً ، وذلك أيضاً كافياً على طردهم فمن كانت فيه هذه الصفات كان سبباً للفتن ، وعدم استقرار المجتمع الإسلامي ...

ثالثاً : إن الأمر لم يأت إلا بعد أن ساد الإسلام في الجزيرة ، ودخل الأحزاب في دين الله أفواجا ، و لم يتبق إلا شرذمة قليلة من المعاندين أصحاب الفتن ، فهذه الشرذمة قليلة جدا غدروا بنبينا ﷺ ، وأردوا قتله ونقد كل اليهود العهود وخانوا وغدروا ..

ثم إن النبي ﷺ أمرهم ببيع أرضهم ليتشتروا بيوتاً غيرها في أرض الله الواسعة ، فَقَالَ : " إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ " ولكن لما غدروا به أجلاهم دون أن يبيعوها... وأكمل عمر من بعد المسيرة ... ثم أن المقصود بجزيرة العرب هو أرض الحجاز فقط وليس كل الجزيرة

تدل على ذلك كتب الشروح منها ما يلي :

1- شرح ابن بطلال للبخاري (ج 11 / ص 365) : قال المؤلف: وهؤلاء اليهود الذين أجلاهم النبي ﷺ هم بنو النضير، وذلك أنهم أرادوا الغدر برسول الله ﷺ وأن يلقوا عليه حجراً ، فأوحى الله إليه بذلك، فأمر بإجلائهم، وأن يسيروا حيث شاءوا، فلما سمع المنافقون بذلك بعثوا إلى بني النضير: اثبتوا وتمنعوا ؛ فإننا لن نسلمكم، إن قوتلتهم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فتربصوا بذلك لنصرهم فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله أن يجليهم، ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلفة، ففعل، فاحتملوا ذلك وخرجوا إلى خيبر، وخرج أكثرهم إلى الشام، وخلوا الأموال لرسول الله، فكانت له خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين دون الأنصار في حديث طويل ذكره ابن إسحاق .

قال المؤلف: فإن قال قائل: هذا معارض لحديث المقبري عن أبي هريرة؛ لأن فيه أن النبي ﷺ أمرهم ببيع أرضهم، وفي حديث ابن إسحاق أنهم تركوا أرضهم دون عوض، وحلت لرسول الله فما وجه ذلك ؟ فالجواب: أن النبي ﷺ إنما أمرهم ببيع أرضهم - والله أعلم - قبل أن يكونوا له حرباً، فكانوا مالكين لأرضهم، وكانت بينهم وبين النبي مسالمة وموافقة للجيرة، فكان النبي ﷺ يمسك عنهم لإسكانهم عنه، ولم يكن بينهم عهد، ثم أطلعه الله على ما يؤملون من الغدر به، وقد كان أمره لهم ببيع أرضهم وإجلائهم قبل ذلك فلم يفعلوا؛ لأجل قول المنافقين لهم: اثبتوا فإننا لن نسلمكم إن قوتلتهم فوثقوا بقولهم، وثبتوا ولم يخرجوا، وعزموا على مقاتلة النبي ﷺ فصاروا له حرباً؛ فحلت بذلك دماؤهم وأموالهم، فخرج إليه رسول الله وأصحابه في السلاح وحاصروهم، فلما يئسوا من عون المنافقين ألقى الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله الذي كان عرضه عليهم قبل ذلك، فلم يبيع لهم بيع الأرض ، وقاضاهم على أن يجليهم ويتحملوا بما استقلت به الإبل، وعلى أن يكف عن دمائهم وأموالهم ، فحلوا عن ديارهم، وكفى الله المؤمنين القتال، وكانت أراضيهم وأموالهم مما لم يوجف عليها بقتال مما انجلى عنها أهلها بالرعب، وصارت خالصة لرسول الله يضعها حيث شاء، قال ابن إسحاق: ولم يسلم من

بني النضير إلا رجلاً أسلماً على أموالهما فأحرزها، قال : ونزلت في بني النضير سورة الحشر إلى قوله : {ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا} أي : بالقتل والسبي ، ولهم في الآخرة مع ذلك عذاب النار .

وقوله: { لأول الحشر}، يعنى: الشام الذي جلا أكثرهم إليه ؛ لأنه روى في الحديث أنه تجيء نار تحشر الناس إلى الشام ، ولذلك قيل في الشام أنها أرض المحشر

وقد روى أبو زيد، عن ابن القاسم في رجل فاسد يأوي إليه أهل الفسوق والشر ما يصنع به ؟ قال: يخرج من منزله، وتحارج عليه الدار. قلت: ألا تباع عليه؟ قال: لا، لعله يتوب ، فيرجع إلى منزله. قال ابن القاسم : ويتقدم إليه مرة أو مرتين أو ثلاثاً فإن لم ينته أخرج وأكرت عليه. وقد مر هذا في آخر كتاب الجهاد في باب أمر النبي ﷺ بإخراج اليهود من جزيرة العرب. اهـ بتصرف.

3- شرح النووي لمسلم (ج5/ ص 395) : قَوْلُهُ : (فَأَجَلَاهُمْ عُمْرَ إِلَى تَيْمَاءَ وَأَرِيحَاءَ) : هُمَا مَمْدُودَتَانِ ، وَهُمَا قَرِيبَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِإِخْرَاجِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ إِخْرَاجَهُمْ مِنْ بَعْضِهَا ، وَهُوَ الْحِجَازُ خَاصَّةً ، لِأَنَّ تَيْمَاءَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، لَكِنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحِجَازِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

3- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري (ج22/ ص 368) : قال الكرمانى : جزيرة العرب هي ما بين عدن إلى ريف العراق طولاً ومن جدة إلى الشام عرضاً وقيل هذا عام أريد به الخاص وهو الحجاز . اهـ

رابعاً : إن الكتاب المقدس ذكر لنا قتل وإبادة شعوب كاملة حتى بلا دعوة قبلها لعبادة الله ... وذلك في التالي :

1- طرد وإبادة سبع أمم بأكملها ، وعدم قبول العهد والصلح منهم وذلك بحسب قول الرب لموسى عليه السلام في سفر التثنية إصحاح 7 عدد 1 «مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: الْحِثِّيَّ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنَعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيَّينَ وَالْحَوِّيَّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، سَبْعَ شُعُوبٍ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ،² وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلَهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تَحْرِمُهُمْ. لَا تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلَا تَتَشَفَّقْ عَلَيْهِمْ،³ وَلَا تُصَاهِرُهُمْ. بَنَاتُكَ لَا تَعْطِ لِابْنِهِ، وَبَنَاتُهُ لَا تَأْخُذُ لِابْنِكَ.⁴ لِأَنَّهُ يَرُدُّ ابْنَكَ مِنْ وِرَائِي فَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى، فَيَحْمِي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكَ وَيُهْلِكُكَ سَرِيعًا.⁵ وَلَكِنْ هكَذَا تَفْعَلُونَ بِهِمْ: تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتَكْسِرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتَقْطَعُونَ سُورِيَهُمْ، وَتَحْرِقُونَ تَمَاثِيلَهُمْ بِالنَّارِ.

2- داود النبي وقواته يقتلون يضعون الأعداء تحت المناشير في سفر صموئيل الثاني إصحاح 12 عدد 26 وَحَارَبَ يُوَابُ رِبَّةَ بَنِي عَمُونَ وَأَخَذَ مَدِينَةَ الْمَمْلَكَةِ.²⁷ وَأَرْسَلَ يُوَابُ رُسُلًا إِلَى دَاوُدَ يَقُولُ: «قَدْ حَارَبْتُ رِبَّةَ وَأَخَذْتُ أَيْضًا مَدِينَةَ الْمِيَاهِ.²⁸ فَالآنَ اجْمَعْ بَقِيَّةَ الشَّعْبِ وَانْزِلْ عَلَى الْمَدِينَةِ وَخُذْهَا لِنَا لَا أَخُذَ أَنَا الْمَدِينَةَ فَيُدْعَى بِاسْمِي عَلَيْهَا». فَجَمَعَ دَاوُدُ كُلَّ الشَّعْبِ وَذَهَبَ إِلَى رِبَّةَ وَحَارَبَهَا وَأَخَذَهَا.³⁰ وَأَخَذَ تَاجَ مَلِكِهِمْ عَنْ رَأْسِهِ، وَوَزَنَهُ وَزَنَهُ مِنَ الذَّهَبِ مَعَ حَجَرٍ كَرِيمٍ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ دَاوُدَ. وَأَخْرَجَ غَنِيمَةَ الْمَدِينَةِ كَثِيرَةً جِدًّا.³¹ وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِي فِيهَا وَوَضَعَهُمْ تَحْتَ مَنَاشِيرَ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ وَفُؤُوسِ حَدِيدٍ وَأَمَرَهُمْ فِي أَتُونِ الْأَجْرِ، وَهَكَذَا صَنَعَ بِجَمِيعِ مَدَنِ بَنِي عَمُونَ. ثُمَّ رَجَعَ دَاوُدَ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِلَى أُورُشَلِيمَ.

3- يسوع المسيح أمر أتباعه بذبح من لم يكن تحت سلطانه ... وذلك في إنجيل لوقا الإصحاح 19 عدد 27 أَمَّا أَعْدَائِي، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَاتُّوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَادَّبَهُمْ قُدَّامِي. !

وَأْتَسْأَلُ: هل قرأ المعتضون " ادَّبَحُوهُمْ قَدَّامِي " ؟!

هل هذا ذبح محبة ؟ أم ذبح حقيقي ؟!

وهل اعترضوا على هذا النص، وجعلوه شبهة عندهم كما اعترضوا على الحديث لما قالوا:

إن رسول الإسلام هو أصل الإِرهاب.....!؟!

وماذا لو كان القائل لهذا النص هو محمد ﷺ : " ادَّبَحُوهُمْ قَدَّامِي " كيف يكون ردهم عليه...!؟!

رد شبهة : نبيُّ الإسلام يقول : جبريلُ وضعُ الطينَ في فمِّ فرعونَ حتى ينطقَ الشهادة

! ...

نبيُّ الإسلام يحكي إن جبريلَ كان يضعُ الطينَ في فمِّ فرعونَ حتى لا يقولَ لا الهَ إلا

الله... هل هذا يعقل يا مسلمون ؟

هكذا قالوا ، وتعلقوا بما جاء في مسند أحمد برقم 2989 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا

شُعْبَةُ حَدَّثَنَا عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ وَعَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

رَفَعَهُ أَحَدُهُمَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يَدُسُّ فِي فِي فِرْعَوْنَ الطِّينَ مَخَافَةَ أَنْ يَقُولَ لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

قال الشيخُ الألباني: صحيح الإسناد .

الرد على الشبهة

أولاً: إن النبي ﷺ لم يقل ما جاء في الحديث قط ، وهذا يدل على جهلٍ مثيري الشبهة ؛ لأنهم ما بحثوا جيداً ، ولو بحثوا ما فقهوا ... لأن الحديث موقوفٌ على ابنِ عباس ...
يدلل على ذلك ما جاء في الآتي:

1- تعليق الشيخ شعيب الأرناؤوط : صحيح موقوفاً على ابن عباس.

2-سؤال يطرح نفسه هو: من الذي رفع الحديثَ إلى النبي ﷺ ، والحديث يقول: "رَفَعَهُ أَحَدُهُمَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ " ؟!

قلتُ: الذي يظهر لي أن الرواية موقوفةٌ عن ابنِ عباس، ولعله تناقلها من أهل الكتاب في زمانه، فهي تتعارض مع ظاهر كتاب الله ، فالرواية التي معنا تقول: جَبْرِيلَ كَانَ يَدُسُّ فِي فِي فِرْعَوْنَ الطِّينَ مَخَافَةً أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. أي: أنه وضع الطين في فمه فلا يتكلم أبداً ... والقرآن الكريم يقول أنه تكلم: " قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) " (يونس).

فمعنى ذلك أن فرعونَ نطقَ كلاماً كثيراً... وبذلك أكون متفقاً مع الكشميري من جهة أخرى وهي رد المتن لما قال: " إن هذا الحديث غلط فإن جبرائيل كيف يصير مانعاً من الإيمان والتوحيد ؟! ". (العرف الشذي للكشميري ج 3 / ص 438).

ثانياً: إنني أفترضُ جدلاً أن النبي ﷺ هو الذي قال هذا الحديث، لماذا يطعن المعترضون في رحمته ﷺ... وهو مبلغ لما حدث فقط بوحى من جبريل عليه السلام إليه... فلماذا الطعن في شخصه ﷺ!؟

ويبقى السؤال :هل يستحق فرعونُ ما وقع له كما ذكر الحديث...؟

الجواب على ذلك يكون بنعم ، ويتضح من عدة أوجه :

أولاً: إن فرعون قال :﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24) ﴾ (النازعات).

ثانياً: إنه عذب المؤمنين من بني إسرائيل بالقتل ، واستحياء الناس ... قال ﷺ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) ﴾ (القصص).

ثالثاً : إن فرعون حارب نبيا الله ﷺ موسى وهارون ، وكذبهما ، واتهمهما بأشنع الاتهامات ... والله ﷻ يدافع عن أنبيائه ورسله دليل ذلك الآتي:

1- قوله ﷻ : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109) ﴾ (الأعراف).

2- قوله ﷻ : ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88) ﴾ (يونس).

4- قوله ﷻ : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38) ﴾ (الحج).

رابعاً: إنه لم يقل أمنتُ بالله ﷻ حين عاين الغرق والهلاك ولكنه قال: أمنتُ بإله بني إسرائيل ، ولم يقبل الله ﷻ توبته ... قال ﷻ: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92)﴾ (يونس).

ثالثاً : إن الكتاب المقدس ذكر لنا أن الرب هو الذي قسى قلب فرعون كي يضلّه ، ويكون جزاءه الهلاك ...

واتسأل: هل هذه هي الرحمة والعدالة التي يرتضيها المعترضون.....؟! بيان ما سبق جاء في سفر الخروج إصحاح 10 عدد¹ ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى : «ادْخُلْ إِلَى فِرْعَوْنَ، فَإِنِّي أَغْلَطْتُ² قَلْبَهُ وَقُلُوبَ عِبِيدِهِ لِكَيْ أَصْنَعَ آيَاتِي هَذِهِ بَيْنَهُمْ.

قلتُ: إن الملاحظ هنا أن ربهم هو من قسى قلب فرعون وعبيده؛ ليهلكهم كما يذكر النص وغيره من نفس السفر، ففي الإصحاح 7 عدد³ وَلَكِنِّي أَقْسَيْ قَلْبَ فِرْعَوْنَ وَأَكْثَرُ آيَاتِي وَعَجَائِبِي فِي أَرْضِ مِصْرَ. ⁴ وَلَا يَسْمَعُ لَكُمْ فِرْعَوْنُ حَتَّى أَجْعَلَ يَدَيَّ عَلَى مِصْرَ، فَأُخْرِجَ أَجْنَادِي، شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ. لا تعليق !

ثم إن الأعجب مما سبق هو أن الكتاب المقدس نسب إلى الرب بأنه ضل الأنبياء والبشر وقسى قلوبهم ؛ نجد ذلك في عدة مواضع من الكتاب المقدس منها :

1- سفر حزقيال إصحاح 14 عدد⁹ فَإِذَا ضَلَّ النَّبِيُّ وَتَكَلَّمَ كَلَامًا، فَأَنَا الرَّبُّ قَدْ أَضَلَلْتُ ذَلِكَ النَّبِيَّ، وَسَامُدُّ يَدِي عَلَيْهِ وَأُبِيدُهُ مِنْ وَسْطِ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ.¹⁰ وَيَحْمِلُونَ إِنْهُمْ. كَأَنْتُمْ السَّائِلُ يَكُونُ إِنْهُمْ النَّبِيُّ.!

2- سفرملوك الأول إصحاح 22 عدد²³ وَالْآنَ هُوَذَا قَدْ جَعَلَ الرَّبُّ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِكَ هؤَلاءِ، وَالرَّبُّ تَكَلَّمَ عَلَيْكَ بِشَرٍّ...!

3- سفر حزقيال إصحاح 20 عدد²⁴ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَصْنَعُوا أَحْكَامِي، بَلْ رَفَضُوا فَرَائِضِي، وَنَجَسُوا مَبُوتِي، وَكَانَتْ عُيُونُهُمْ وَرَاءَ أَصْنَامِ آبَائِهِمْ.²⁵ وَأَعْطَيْتُهُمْ أَيْضًا فَرَائِضَ غَيْرِ صَالِحَةٍ، وَأَحْكَامًا لَا يَحْيُونَ بِهَا،²⁶ وَنَجَسْتُهُمْ بَعْطَايَاهُمْ إِذْ أَجَازُوا فِي النَّارِ كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ، لِأُبِيدَهُمْ، حَتَّى يَعْلَمُوا أَنِّي أَنَا الرَّبُّ. لَا تَعْلِقْ !

رد شبهة: نبي يحرق النخيل و الزرع !

قالوا: تزعمون أن نبيكم كان ينهى أصحابه عن عدم الإفساد في الأرض أثناء الحروب، مثل: عدم قطع الأشجار، وعدم هدم الكنائس، وعدم قتل الأطفال والنساء... .. ثم قالوا: وقع تحت أيدينا حديث صحيح فيه أن نبيكم حرق نخيل بني النضير.... الحديث في صحيح البخاري كتاب (الجهاد و السير) باب (حرق الدور و النخيل) برقم 2798 عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: "حَرَّقَ النَّبِيُّ ﷺ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ".

الرد على الشبهة

أولاً: إن رسول الله ﷺ كان يوصي الجيش والسرية بالإحسان، والإصلاح، وعدم الإفساد في الأرض... تدلل على ذلك أدلة منها:

1- سنن أبي داود برقم 2247 عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ﷺ ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ".

2- النبي ﷺ أمر الناس أن يزرعوا النخل حتى إذا قامت الساعة، وذلك في مسند أحمد برقم 12512 عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: " إن قامت الساعة وببئ أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل ".

3- النبي ﷺ نهى عن حرق الأحياء بالنار... وذلك في صحيح البخاري باب (لا يعذب بعذاب الله) برقم 2794 عن عكرمة أن علياً - رضي الله عنه - حرق قوماً فبلغ ابن عباس فقال: " لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي ﷺ قال: لا تعدبوا بعذاب الله ولقتلتهم كما قال النبي ﷺ: " من بدل دينه فاقتلوه ". وفي مسند أحمد برقم 15457 قال ﷺ: " إنه لا يعذب بالنار إلا رب النار ".

3- نهى الله ﷻ في كتابه المجيد عن الفساد، وبين ﷻ أنه لا يحبه ﷻ وذلك في عدة مواضع منها :

1- قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ (البقرة 205) .

2- مدح ﷺ الرجال الصالحين لما قالوا لقارون : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص 77) .

وعليه: فهذه هي وصايا النبي ﷺ أوصها لأصحابه من بعده أن لا يفسدوا في الأرض...

ثانياً: إن الله ﷻ هو من دفع الشبهة عن نبيه ﷺ لما بين أن فعل النبي وأصحابه كان بإذنه ﷻ ، وليس ذلك من الفساد في الأرض قائلاً: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (5) (الحشر) .

جاء في تفسير الجلالين : { مَا قَطَعْتُمْ } يا مسلمون { مَنْ لِينَةٍ } نخلة { أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ } أي: خيركم في ذلك { وَلِيُخْزِيَ } بالإذن في القطع { الفاسقين } اليهود في اعتراضهم أن قطع الشجر المثمر فساد . اهـ

ثالثاً : إن قيل : لماذا حرق النبي ﷺ نخيل بني النضير ؟

قلتُ: حرق النبي ﷺ نخيل بني النضير؛ لأنه ﷺ لما حاصر اليهود تحصنوا بها ، واستعملوها كأداة حربيه ، وبالتالي كان من الواجب أزلتها وتدميرها وهذا معروف أنه من باب (الضرورة العسكرية) لما استخدموها كحصون ودروع كان من الضرورة حرقها لتسهيل الطريق للمسلمين، وحتى لا يقع ضحايا بين المسلمين، وهذا ما ذكر في كتب السير كالحلبية والروض الأنف وغيرهما.

يذكر صاحبُ السيرةِ الحلبية أنها كانت ست نخلات فقط .

وعليه: لا شبهة عندنا - بفضل الله -؛ لأن ما ذكرته متعارف عليه عند العقلاء.....

رابعاً: إن من خلال ما تقدم أتضح للقارئ أن النبي ﷺ حرق نخيل بني النضير كان للضرورة العسكرية؛ لأنها أصبحت كدروع وحصون، وكان لابد من تدميرها لتفادي الخسائر عند المسلمين، مثل: أرواحهم ومعداتهم.... لكن بالنظر إلى الكتاب المقدس نجد أن فيه أهوالاً حول أخلاق الحروب، مثل: تدمير النخيل والأشجار...

يدلل على ذلك ما يلي :

أولاً : أبدأ بالعهد القديم:

1- سفر التثنية إصحاح 20 عدد 1 أما مدن الشعوب التي يهبها الرب إلهكم لكم ميراثاً فلا تستبقوا فيها نسمة حية، بل دمروها عن بكرة أبيها، كمدن الحثيين والأموريين والكنعانيين والفريزيين والحويين واليبوسيين كما أمركم الرب إلهكم .

نلاحظ : " فلا تستبقوا فيها نسمة حية، بل دمروها عن بكرة أبيها..." .

وعليه : فالنخيل والزرع يدمرا بحسب النص ليس كذلك ؟ هذا هو.

2- سفر العدد إصحاح 31 عدد 9⁹ وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مَدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلَاكِهِمْ. ¹⁰ وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مَدَنِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ، وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ.

نلاحظ : حرق الحصون والمساكن بما فيها النخيل والزرع !.....

3 - سفر الخروج إصحاح 34 عدد 11 أَطْعَ مَا أَوْصَيْتُكَ الْيَوْمَ بِهِ. هَا أَنَا طَارِدٌ مِنْ أَمَامِكَ الْأُمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالْحَوِيثِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. ¹² إِيَّاكَ أَنْ تَعْقِدَ مَعَاهِدَةً مَعَ سُكَّانِ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ مَاضٍ إِلَيْهَا لِئَلَّا يَكُونُوا شُرَكَاءَ لَكُمْ. ¹³ بَلْ أَهْدِمُوا مَذَابِحَهُمْ، وَاكْسَرُوا أَنْصَابَهُمْ، وَاقْطَعُوا أَشْجَارَهُمُ الْمُقَدَّسَةَ. ¹⁴ إِيَّاكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا إِلَهًا آخَرَ غَيْرِي، لِأَنَّ الرَّبَّ اسْمُهُ غَيْرٌ جَدًّا (ترجمة الحياة) .

نلاحظ : أن الرب أمر موسى بدخول أراضي الأمم الأخرى ؛ ليحطم أصنامهم ومذابحهم الوثنية ، وكذلك الأشجار التي لا ذنب لها ، وذلك في سبيل نشر دينه..... !

3- سفر التثنية إصحاح 20 عدد 19¹⁹ «إِذَا حَاصَرْتَ مَدِينَةً أَيَّامًا كَثِيرَةً مُحَارِبًا إِيَّاهَا لِنَأْخُذَهَا، فَلَا تَتْلَفُ شَجَرَهَا بَوْضِعَ فَأْسٍ عَلَيْهِ. إِنَّكَ مِنْهُ تَأْكُلُ. فَلَا تَقْطَعُهُ. لِأَنَّهُ هَلْ شَجَرَةُ الْحَقْلِ إِنْسَانٌ حَتَّى يَذْهَبَ قَدَامُكَ فِي الْحَصَارِ؟ ²⁰ وَأَمَّا الشَّجَرُ الَّذِي تَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ شَجَرًا يُوْكَلُ مِنْهُ، فَإِيَّاهُ تَتْلَفُ وَتَقْطَعُ وَتَبْنِي حِصْنًَا عَلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي تَعْمَلُ مَعَكَ حَرْبًا حَتَّى تَسْقُطَ.

نلاحظ : العدد 19 الرب نهى موسى عن قطع الشجر الذي يأكل منه ليتقوى به علي أعدائه ..

ونلاحظ : العدد 20 أن الرب أمره بإتلاف الشجر وقطعه ؛ لأنه لا يؤكل منه حتى ينتصر علي عدوه... !

ثانياً : بالنظر إلى العهد الجديد:

نجد أن يسوع بحسب ما نسب إليه كتبة الأناجيل دمر شجرة التين تدميراً

سوف نعرف لماذا من خلال قراءة القصة في الآتي :

1- إنجيل مرقس إصحاح 11 عدد 11¹¹ فَدَخَلَ يَسُوعُ أُورُشَلِيمَ وَالْهَيْكَلُ، وَلَمَّا نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ إِذْ كَانَ الْوَقْتُ قَدْ أَمْسَى، خَرَجَ إِلَى بَيْتِ عَنِيَا مَعَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ.
12¹² وَفِي الْعَدَمَ خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ عَنِيَا جَاعًا،¹³ فَنَظَرَ شَجَرَةَ تَيْنٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ،
وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئًا إِلَّا وَرَقًا، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتُ
التَّيْنِ.¹⁴ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «لَا يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْكَ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الْأَبَدِ!». وَكَانَ
تَلَامِيذُهُ يَسْمَعُونَ.

2- إنجيل متى إصحاح 21 عدد 19¹⁹ فَنَظَرَ شَجَرَةَ تَيْنٍ عَلَى الطَّرِيقِ، وَجَاءَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ
فِيهَا شَيْئًا إِلَّا وَرَقًا فَقَطُّ. فَقَالَ لَهَا: «لَا يَكُنْ مِنْكَ ثَمَرٌ بَعْدُ إِلَى الْأَبَدِ!». فَيَبَسَتْ التَّيْنَةُ
فِي الْحَالِ !

قلتُ: إن هناك أسئلة تطرح نفسها هي :

1- ما ذنب هذه الشجرة البريئة المسكينة ...؟

الجواب : ذنبها أن الرب (يسوع) بحسب إيمانهم إله يعلم الغيب ؛ لكنه لا يعلم موسم
التين فلعن شجرة التين المسكينة وحرَمَ الناسَ من الانتفاع بظلمها أو بثمرها في وقته....

2- هل هناك إله لا يعلم موسم الأشجار التي من المفترض أنه خلقها ..؟!

3- هل من الرحمة أن يفسد الزرع ويخرب الشجرة بسبب عدم معرفة بوقت إنتاجها؟!

4- لماذا يصف المعتضون يسوع بأنه إله محبة ورحمة، والأنجيل تقول: إنه أثلّف وأمات شجرة كانت تنفع الناس بثمرها الذي كان يخرج في وقته ؟!

رد شبهة : رسول الإسلام أمر بقتل الساحر ...!

قالوا: لماذا أمر رسول الإسلام بقتل الساحر، وهل قتله حلال عن الأنبياء السابقين من قبله ؟

تعلقوا على ذلك بما جاء في سنن الترمذي برقم 1380 حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ جُنْدَبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " حُدِّ السَّاحِرُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ".

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ الْمَكِّيُّ يُضَعَّفُ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قَبْلِ حَفْظِهِ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ الْعَبْدِيُّ الْبَصْرِيُّ قَالَ وَكَيْعٌ هُوَ ثِقَةٌ وَيُرْوَى عَنْ الْحَسَنِ أَيْضًا وَالصَّحِيحُ عَنْ جُنْدَبٍ مَوْقُوفٌ وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِمْ وَهُوَ قَوْلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَ قَالَ الشَّافِعِيُّ :

إِنَّمَا يُقْتَلُ السَّاحِرُ إِذَا كَانَ يَعْمَلُ فِي سِحْرِهِ مَا يَبْلُغُ بِهِ الْكُفْرَ فَإِذَا عَمِلَ عَمَلًا دُونَ الْكُفْرِ فَلَمْ نَرِ عَلَيْهِ قَتْلًا.

الرد على الشبهة

أولاً: إن الحديث محل الاعتراض لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ فهو لم يقل ذلك أبداً... حكم على ذلك أهل العلم كما يلي :

1- الإمام الترمذي - أبو عيسى - نفسه قال : قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعاً إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ الْمَكِّيُّ يَضَعُ فِي الْحَدِيثِ مَنْ قَبْلَ حِفْظِهِ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ الْعَبْدِيُّ الْبَصْرِيُّ قَالَ وَكَيْعٌ هُوَ ثِقَةٌ وَيُرَوَّى عَنِ الْحَسَنِ أَيْضاً وَالصَّحِيحُ عَنْ جُنْدَبٍ مَوْقُوفٌ.

2- تحفة الأحوزي : وَاسْتَدَلَّ بِهِ مَنْ قَالَ : إِنَّ حَدَّ السَّاحِرِ الْقَتْلُ لَكِنْ الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ .
قَوْلُهُ : (هَذَا حَدِيثٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعاً إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ)
وَأَخْرَجَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ.

2- الشيخ الألباني قال: ضعيف ، الضعيفة (1446) ، المشكاة (3551 -
التحقيق الثاني) ، ضعيف الجامع الصغير (2699) . اهـ

4- ابن حجر في الفتح : وَاسْتَدْلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ السَّاحِرَ لَا يُقْتَلُ حَدًّا إِذَا كَانَ لَهُ عَهْدٌ ، وَأَمَّا مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ جُنْدُبَ رَفَعَهُ قَالَ " حَدَّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ " ففِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ . اهـ

5- فيض القدير : ولهذا قال في الفتح : في سنده ضعف وقال الذهبي في الكبائر : الصحيح أنه من قول جندب انتهى ورواه الطبراني والبيهقي عن جندب مرفوعا وأشار مغلطاي إلى أنه وإن كان ضعيفا يتقوى بكثرة طرقه وقال خرجه جمع منهم البغوي الكبير والصغير والطبراني والبخاري ومن لا يحصى كثرة . اهـ

ثانياً: لا شك أن الساحر هو مرتكب كبيرة من الكبائر، فهو يستعين بالجن ويدبح لها ويكفر من أجل إرضائها... ويضر المسلمين بأفعاله الشيطانية... لهذا قال أكثر العلماء: الساحر كافر؛ وهو من قوله تعالى: {وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر} أي بعمل السحر ثبت أن هذا كفر .
ثم إن قتله ليس محل اتفاق عند أهل العلم... كما يلي :

1- قال ابن حجر في الفتح : وَأَمَّا مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ جُنْدُبَ رَفَعَهُ قَالَ " حَدَّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ " ففِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ ، فَلَوْ ثَبَتَ لَخُصَّ مِنْهُ مَنْ لَهُ عَهْدٌ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْجَزِيَةِ مِنْ رِوَايَةِ بَجَالَةَ " أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ " وَزَادَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ فِي رِوَايَتِهِ عَنْ بَجَالَةَ " فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ " أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ أَصْلَ الْحَدِيثِ دُونَ قِصَّةِ قَتْلِ السَّوَاحِرِ ، قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ : لَا يُقْتَلُ سَاحِرٌ أَهْلُ الْكِتَابِ عِنْدَ مَالِكٍ وَالزُّهْرِيُّ إِلَّا أَنْ يُقْتَلَ بِسِحْرِهِ فَيُقْتَلَ ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ ، وَعَنْ مَالِكٍ إِنْ أَدْخَلَ بِسِحْرِهِ ضَرَرًا عَلَى مُسْلِمٍ لَمْ يُعَاهَدَ عَلَيْهِ نَقِضَ الْعَهْدُ بِذَلِكَ فَيَحِلُّ قَتْلُهُ ، وَإِنَّمَا لَمْ يُقْتَلَ

النَّبِيِّ ﷺ لِبَيْدِ بْنِ الْأَعَصَمِ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ ، وَلَأَنَّهُ خَشِيَ إِذَا قَتَلَهُ أَنْ تَثُورَ بِذَلِكَ فِتْنَةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ حُلَفَائِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَهُوَ مِنْ نَمَطِ مَا رَاعَاهُ مِنْ تَرْكِ قَتْلِ الْمُنَافِقِينَ ، سَوَاءَ كَانَ لِبَيْدٍ يَهُودِيًّا أَوْ مُنَافِقًا عَلَى مَا مَضَى مِنَ الْاِخْتِلَافِ فِيهِ . قَالَ : وَعِنْدَ مَالِكٍ أَنَّ حُكْمَ السَّاحِرِ حُكْمُ الرَّنْدِيقِ فَلَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ ، وَيُقْتَلُ حَدًّا إِذَا ثَبَتَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَبِهِ قَالَ أَحْمَدُ . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ : لَا يُقْتَلُ إِلَّا إِنْ اعْتَرَفَ بِسِحْرِهِ فَيُقْتَلُ بِهِ ، فَإِنْ اعْتَرَفَ أَنْ سِحْرَهُ قَدْ يَقْتُلُ وَقَدْ لَا يَقْتُلُ وَأَنَّهُ سِحْرُهُ وَأَنَّهُ مَاتَ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ الْقِصَاصُ وَوَجِبَتْ الدِّيَّةُ فِي مَالِهِ لَا عَلَى عَاقِلَتِهِ ، وَلَا يُتَصَوَّرُ الْقَتْلُ بِالسَّحْرِ بِالْبَيِّنَةِ ، وَادَّعَى أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ فِي " الْأَحْكَامِ " أَنَّ الشَّافِعِيَّ تَفَرَّدَ بِقَوْلِهِ إِنَّ السَّاحِرَ يُقْتَلُ قِصَاصًا إِذَا اعْتَرَفَ أَنَّهُ قَتَلَهُ بِسِحْرِهِ ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ . قَالَ النَّوَوِيُّ : إِنْ كَانَ السَّحْرُ قَوْلٌ أَوْ فِعْلٌ يَقْتَضِي الْكُفْرَ كَقَوْلِ السَّاحِرِ وَتُقْبَلُ تَوْبَتُهُ إِذَا تَابَ عِنْدَنَا ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي سِحْرِهِ مَا يَقْتَضِي الْكُفْرَ عُزِّرَ وَاسْتَتِيبَ . اهـ

2- تحفة الأحوذى في شرح سنن الترمذى : قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ : عَمَلُ السَّحْرِ حَرَامٌ وَهُوَ مِنَ الْكِبَائِرِ بِالْإِجْمَاعِ ، قَالَ : وَقَدْ يَكُونُ كُفْرًا وَقَدْ لَا يَكُونُ كُفْرًا بَلْ مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ قَوْلٌ أَوْ فِعْلٌ يَقْتَضِي الْكُفْرَ كَقَوْلِهِ وَإِلَّا فَلَا . وَأَمَّا تَعْلُمُهُ وَتَعْلِيمُهُ فَحَرَامٌ ، قَالَ : وَلَا يَقْتُلُ عِنْدَنَا يَعْنِي السَّاحِرَ ، فَإِنْ تَابَ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ ، وَقَالَ مَالِكٌ : السَّاحِرُ كَافِرٌ بِالسَّحْرِ وَلَا يُسْتَتَابُ وَلَا يُقْبَلُ تَوْبَتُهُ بَلْ يَتَحْتَمُّ قَتْلُهُ . وَالْمَسْأَلَةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْخِلَافِ فِي قَبُولِ تَوْبَةِ الرَّنْدِيقِ؛ لِأَنَّ السَّاحِرَ عِنْدَهُ كَافِرٌ كَمَا ذَكَرْنَا وَعِنْدَنَا لَيْسَ بِكَافِرٍ وَعِنْدَنَا تُقْبَلُ تَوْبَةُ الْمُنَافِقِ وَالرَّنْدِيقِ . قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ : وَيَقُولُ مَالِكٌ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَهُوَ مَرْوِيُّ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ . قَالَ أَصْحَابُنَا إِذَا قَتَلَ السَّاحِرُ بِسِحْرِهِ إِنْسَانًا أَوْ اعْتَرَفَ أَنَّهُ مَاتَ بِسِحْرِهِ وَأَنَّهُ يَقْتُلُ غَالِبًا لَزِمَهُ الْقِصَاصُ ، وَإِنْ مَاتَ بِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ يَقْتُلُ وَقَدْ لَا يَقْتُلُ فَلَا قِصَاصَ وَتَجِبُ الدِّيَّةُ وَالْكَفَّارَةُ ، وَتَكُونُ الدِّيَّةُ فِي مَالِهِ لَا عَلَى عَاقِلَتِهِ ؛ لِأَنَّ الْعَاقِلَةَ لَا تَحْمِلُ مَا ثَبَتَ بِاعْتِرَافِ الْجَانِي . قَالَ أَصْحَابُنَا : وَلَا يُتَصَوَّرُ الْقَتْلُ بِالسَّحْرِ بِالْبَيِّنَةِ وَإِنَّمَا يُتَصَوَّرُ بِاعْتِرَافِ السَّاحِرِ وَاللَّهِ تَعَالَى أَعْلَمُ . انْتَهَى كَلَامُ النَّوَوِيِّ . اهـ

ثالثاً: إن الكتاب المقدس ذكر أن الرب أمر بقتل الساحر والساحرة التي تسخر وتتعامل مع الجان... وذلك في الآتي :

1- سفر الخروج إصحاح 22 عدد 18 لا تدع ساحرة تعيش.

2- سفر اللاويين إصحاح 20 عدد 27 وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فانه يقتل بالحجارة يرمونه دمه عليه.

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو : ما هو رد المعترضين على هذين النصين ، بعد بيان أن الحديث لا يصح، وما وقع عندنا ما هي إلا اجتهادات من علماء الأمة بضوابط وليس القتل مباشرة ، بخلاف ما ذكر الكتاب المقدس كما بينتُ - بفضل الله- ؟!

رد شبهة: نبيُّ يأمر بقتل الكلاب !

قالوا على سبيل التهكم والاستهزاء: لقد بلغت رحمة رسول الإسلام بالحيوانات إلى أنه أمر بقتل الكلاب في المدينة ! وأدلتنا في الآتي :

1- مسند أحمد من مسند القبائل حديث أبي رافع رضي الله عنه برقم 25935 حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ طَحْلَاءَ حَدَّثَنَا أَبُو الرَّجَالِ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقْتُلَ الْكَلَابَ فَخَرَجْتُ أَقْتُلُهَا لَا أَرَى كَلْبًا إِلَّا قَتَلْتُهُ

فَإِذَا كَلْبٌ يَدُورُ بَبَيْتٍ فَذَهَبْتُ لِأَقْتُلَهُ فَنَادَانِي إِنْسَانٌ مِنْ جَوْفِ الْبَيْتِ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا تَرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ قَالَ: قُلْتُ : أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَ هَذَا الْكَلْبَ فَقَالَتْ : إِنِّي امْرَأَةٌ مُضِيعَةٌ وَإِنَّ هَذَا الْكَلْبَ يَطْرُدُ عَنِّي السَّبْعَ وَيُؤْذِنُنِي بِالْجَانِي فَأَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَادَّكُرْتُ ذَلِكَ لَهُ قَالَ : فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَأَمَرَنِي بِقَتْلِهِ .

تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح إن ثبت سماع سالم بن عبد الله وهو ابن عمر من أبي رافع .

2- مسند أحمد باقي مسند الأنصار حديث أبي رافع ﷺ 22745 حَدَّثَنَا رَوْحٌ حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ أَبِي خَدَّاشٍ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي رَافِعٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " يَا أَبَا رَافِعٍ اقْتُلْ كُلَّ كَلْبٍ بِالْمَدِينَةِ " قَالَ :فَوَجَدْتُ نِسْوَةً مِنَ الْأَنْصَارِ بِالصُّورِ مِنَ الْبَقِيعِ لَهُنَّ كَلْبٌ فَقُلْنَ :يَا أَبَا رَافِعٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَغْزَى رَجَالَنَا وَإِنَّ هَذَا الْكَلْبَ يَمْنَعُنَا بَعْدَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَنَا حَتَّى تَقُومَ امْرَأَةٌ مِنَّا فَتَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَادَّكُرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَهُ أَبُو رَافِعٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: " يَا أَبَا رَافِعٍ اقْتُلْهُ فَإِنَّمَا يَمْنَعُهُنَّ اللَّهُ ﷻ " .

تعليق شعيب الأرناؤوط : أصل الحديث صحيح بغير هذه السياقة .

الرد على الشبهة

أولاً : إن موقف الشريعة الإسلامية التي جاء بها محمد ﷺ بشأن الحيوانات ؛ شريعة تقول : إنها بهائم معجزة أمر الله برحمتها ، وأخبر أنها تسبحه

تدل على ذلك أدلة منها:

1- نهى ﷺ عن التمثيل بالبهايم ... وذلك في صحيح سنن النسائي للألباني برقم 4440 ، وفي السلسلة الصحيحة برقم 2431 عن عبد الله بن جعفر قال : مر رسول الله ﷺ على أناس وهم يرمون كبشا بالنبل فكره ذلك ، وقال : " لا تمثلوا بالبهايم " .

2- أوصي ﷺ بتقوى الله فيها وحسن معاملتها ... وذلك في سنن أبي داود برقم 2185 عن سهل ابن الحنظلية ﷺ قال : مر رسول الله ﷺ ببغير قد لحق ظهره ببطنه فقال : " اتقوا الله في هذه البهايم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة " . صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 23.

3- أمر ﷺ بالإحسان للحيوان عند الذبح ... وذلك في صحيح مسلم برقم 3615 عن شداد بن أوس ﷺ قال : ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال : " إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته فليريح ذبيحته " .

4- أخبر ﷺ عن دخول امرأة النار من أجل هرة (قطة) حبستها ... وذلك في صحيح البخاري برقم 2192 عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : " دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض " .

5- أخبر ﷺ عن رجل سقا كلبا عطشا فدخل الجنة وذلك في صحيح البخاري برقم 168 عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أن رجلا رأى كلبا يأكل الثرى من العطش فأخذ الرجل خفه فجعل يغرف له به حتى أرواه فشكر الله له فادخله الجنة .

6- نهى ﷺ عن سب الديك وغيره وذلك في الآتي :

أ- ما رواه أبو داود ، وابنُ حبان في صحيحه ، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب برقم 2797 عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : " لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة " .

ج- سنن أبي داود برقم 3562 قال ﷺ لرجل : " لا تسبَنَّ أحدًا " . قَالَ : فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا وَلَا عَبْدًا وَلَا بَعِيرًا وَلَا شَاةً . تحقيق الألباني : صحيح الترمذي (2877) .

7- كان يغضب ويدعو على من يؤذي حيواناً وذلك في صحيح مسلم برقم 3953 عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ : " لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَّمَهُ " . (وُسِمَ) أي : عَلَّمَ بالكي في وجهه .

ثانياً: إن أمر النبي ﷺ بقتل الكلاب في الحديثين المذكورين؛ ما صدر عن قسوة في قلبه الرحيم ، ولا اضطهاده للحيوان ؛ بدليل ما أسلفناه من أن الله ادخل رجلاً الجنة بسبب كلب سقاه ...

وكذلك مدح القرآن لأناس في تعليمهم للكلاب لا لقتلهم إياها ، وذلك في قوله تعالى : { يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } (المائدة4) .

وقد أخبر النبي أن الكلب الأسود شيطان ؛ يعنى : أنه من الممكن أن تتلبس به الشياطين ، فهذا يجعلنا نوقن أن الأمر بقتلها في هذه الفترة كان أمر غيبي علمه رسول الله بأن هذه الكلاب جملة في المدينة تشكل خطراً على الناس وعلى سلامتهم ؛ لا لقسوة في قلبه الرحيم كما يزعم المعترضون !

أما عن نشاطِ شياطين الجن لم نحط به علماً ، وبالتالي فإننا نستنتج أن الله أطلع نبيّه على أن هذه الكلاب يستشري بها مرض أو صرع يؤذى الناس أو كان بها مرض بالفعل

والدليل على ذلك أن هذا الأمر ليس على إطلاقه، وإنما كان في فترة معينة ونسخه النبي ﷺ بعد ذلك

في الحديث المتأخر الثابت في صحيح مسلم 3617 ، وابن ماجه 3178 وغيرهما عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : " لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا "

والمعنى : أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان آخر ما أمر به بشأن الأرواح عدم اتخاذ أي كائن فيه روح غرضاً يقتله الناس، أو يصوبون له رماحهم وأسلحتهم

إذا : الأمر بقتلها ليس على إطلاقه ، وقد ذهب الكثيرون من العلماء إلى أنه مخصوص بالكلب الأسود ؛ لأنه محل تجسد الشيطان فالحديث الذي معنا يخصه حديث آخر في به كلمة (الأسود) ، جاء ذلك في الآتي :

1- سنن أبي داود برقم 2462 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا فَأَقْتُلُوا مِنْهَا الْأَسْوَدَ الْبَهِيمَ " . صححه الألباني في سنن أبي داود.

2- سنن أبي داود برقم 2463 عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَمَرَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِ الْكِلَابِ حَتَّىٰ إِنْ كَانَتْ الْمَرْأَةُ تَقْدَمُ مِنَ الْبَادِيَةِ يَعْنِي بِالْكَلْبِ فَنَقْتُلُهُ ثُمَّ نَهَانَا عَنْ قَتْلِهَا . وَقَالَ : " عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ " . وروى مسلم نحوه .

وأما النهي النهائي كان في قوله ﷺ : " لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا " .

ثالثاً : إن بعض الحكومات في بعض الدول في عصرنا هذا تقتل الكلاب التي هي في الطرقات ، وكان من فترة قريبة جداً أن الحكومة المصرية كانت تقتل الكلاب في الطرقات ؛ لأنها تؤذي الناس فمنها ما هو به صرع (سعران) ومنها به مرض ولم نجد اعتراضاً من أحدٍ على ذلك؛ بل كان الناس يسعدون بذلك تمام السعادة من أجل أمنهم وسلامتهم...

والشاهد : أن المعارضين اعترضوا على ما لم يحيطوا بعلمه ... قال ﷺ : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابٌ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39) ﴾ (يونس) .

رابعاً: إن الكتاب المقدس نسب إلى الرب في العهد القديم أنه أمر بقتل الحيوانات... وذلك في الآتي :

1- الرب أمر بقتل الحيوانات..... وذلك سفر صموئيل الأول إصحاح 15 عدد 3³ قَالَانْ اذْهَبْ وَاصْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلَا تَعْفُ عَنْهُمْ بَلْ اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلًا وَرَضِيعًا، بَقْرًا وَغَنَمًا، جَمَلًا وَحِمَارًا !

وأُتْسَاعِلُ : ما هو ما ذنب البقر، والغنم ، والجمل ، والحمار حتى يقتلوا ؟!

2- الرب أمر برجم الثور الذي ينطح إنساناً فيقتله وذلك في سفر الخروج إصحاح 21 عدد 28²⁸ «وَإِذَا نَطَحَ ثَوْرٌ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً فَمَاتَ، يَرْجِمُ الثَّوْرُ وَلَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ. وَأَمَّا

صَاحِبُ الثَّوْرِ فَيَكُونُ بَرِيئًا.²⁹ وَلَكِنْ إِنْ كَانَ ثَوْرًا نَطَّاحًا مِنْ قَبْلُ، وَقَدْ أُشْهِدَ عَلَى صَاحِبِهِ وَلَمْ يَضْبِطْهُ، فَقَتَلَ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً، فَالثَّوْرُ يَرْجَمُ وَصَاحِبُهُ أَيْضًا يُقْتَلُ. لا تعليق!

3- الربّ أمر بكسر عنق الحمار الذي لا ذنب له ... وذلك في سفر الخروج إصحاح 13 عدد¹¹ «وَيَكُونُ مَتَى أَدْخَلَكَ الرَّبُّ أَرْضَ الْكَنْعَانِيِّينَ كَمَا حَلَفَ لَكَ وَلِأَبَائِكَ، وَأَعْطَاكَ إِيَّاهَا،¹² أَنْتَ تَقْدِمُ لِلرَّبِّ كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ، وَكُلَّ بَكْرٍ مِنْ نَتَاجِ الْبَهَائِمِ الَّتِي تَكُونُ لَكَ. الذُّكُورُ لِلرَّبِّ.¹³ وَلَكِنْ كُلَّ بَكْرٍ حِمَارٍ تَقْدِيهِ بِشَاةٍ. وَإِنْ لَمْ تَقْدِهِ فَتَكْسِرْ عُنُقَهُ. لا تعليق!

ثم إن العهد الجديد نسب إلى يسوع أنه قتل حيوانات بريئة لا ذنب لها (الخنازير) وذلك لما أخرج (يسوع) الشياطين من الرجل فدخلت في قطيع الخنازير ثم قُتلت جميعاً غرقاً في البحر التي كانت " نحو ألفين خنزير " في حين أن النبي ﷺ لم يأمر بقتله رغم أنه حرم أكله...!

جاءت القصة كاملة في إنجيل مرقس إصحاح 5 عدد¹ وجاءوا إلى عِبْرِ الْبَحْرِ إِلَى كُورَةِ الْجَدْرِيِّينَ.² وَلَمَّا خَرَجَ مِنَ السَّفِينَةِ لِلْوَقْتِ اسْتَقْبَلَهُ مِنَ الْقُبُورِ إِنْسَانٌ بِهِ رُوحٌ نَجِسٌ،³ كَانَ مَسْكَنُهُ فِي الْقُبُورِ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَرْبِطَهُ وَلَا بِسَلْسِلٍ،⁴ لِأَنَّهُ قَدْ رُبِطَ كَثِيرًا بِقِيُودٍ وَسَلْسِلٍ فَقَطَّعَ السَّلْسِلَ وَكَسَرَ الْقِيُودَ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَذَلَّهُ.⁵ وَكَانَ دَائِمًا لَيْلًا وَنَهَارًا فِي الْجِبَالِ وَفِي الْقُبُورِ، يَصِيحُ وَيَجْرَحُ نَفْسَهُ بِالْحِجَارَةِ.⁶ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ مِنْ بَعِيدٍ رَكَضَ وَسَجَدَ لَهُ،⁷ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ: «مَا لِي وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنِ اللَّهِ الْعَلِيِّ؟ اسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ أَنْ لَا تُعَذِّبَنِي!»⁸ لِأَنَّهُ قَالَ لَهُ: «اخْرُجْ مِنَ الْإِنْسَانِ يَا أَيُّهَا الرُّوحُ النَّجِسُ». ⁹ وَسَأَلَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَأَجَابَ قَائِلًا: «اسْمِي لَجْنُونُ، لِأَنَّنَا كَثِيرُونَ». ¹⁰ وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيرًا أَنْ لَا يُرْسِلَهُمْ إِلَى خَارِجِ الْكُورَةِ. ¹¹ وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الْجِبَالِ قَطِيعٌ كَبِيرٌ مِنَ الْخَنَازِيرِ يَرْعَى، ¹² فَطَلَبَ إِلَيْهِ كُلُّ الشَّيَاطِينِ قَائِلِينَ: «أَرْسَلْنَا إِلَى الْخَنَازِيرِ لِنَدْخُلَ فِيهَا». ¹³ فَأَذِنَ لَهُمْ يَسُوعُ لِلْوَقْتِ. فَخَرَجَتِ الْأَرْوَاحُ النَّجِسَةُ وَدَخَلَتْ فِي الْخَنَازِيرِ، فَانْدَفَعَ الْقَطِيعُ مِنْ عَلَى الْجُرْفِ إِلَى الْبَحْرِ. وَكَانَ نَحْوُ أَلْفَيْنِ، فَاخْتَنَقَ فِي الْبَحْرِ!

1- واتساءل : ما هو ذنب هذه الخنازير التي قتلها يسوع التي كانت نحو ألفين، فأختنق في البحر...؟

2- هل اعترض المعترضون على فعل يسوع كما اعترضوا على حديث النبي ﷺ الذي أشكل عليهم فهمه فقامت بتوضيحه - بفضل الله ﷻ - ؟!

رد شبهة: نبي يقول: اغزوا تغنموا النساء !

قالوا: كان رسول الإسلام يحرض أتباعه على القتال من أجل أن يأخذوا النساء ليغنموهن ويتمتعوا بهن، وكان يقول لهم قبل غزوة تبوك : " أغزوا تغنموا بنات بني الأصفر ونساء الروم " .

واستدلوا على قولهم بما جاء في بعض كتب التفسير للآية 49 من سورة التوبة قوله ﷺ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " اُغْزُوا تَبُوكَ تَغْنَمُوا بَنَاتِ الْأَصْفَرِ وَنِسَاءَ الرُّومِ " . فَقَالَ الْجَدُّ : ائْذَنْ لَنَا ، وَلَا تَفْتِنَا بِالنِّسَاءِ ...

الرد على الشبهة

أولاً: إن ادعاءهم بأن رسول الإسلام كان يحرض أتباعه على القتال من أجل أن يأخذوا النساء ليغنموهن ويتمتعوا بهن؛ ادعاء باطل وكذب محض على نبينا ﷺ ؛ فقد كان النبي ﷺ يحرض أصحابه على القتال لعدة أسباب منها :

1- كف أذى الكافرين؛ لقوله ﷺ : ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنَكِيلًا ﴾ (النساء 84)

2- دفاعاً عن الأنفس المظلومة؛ لقوله ﷺ : ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّعُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (13) ﴾ (التوبة).

ولقوله ﷺ : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190) ﴾ (البقرة).

3- نصرة المستضعفين من النساء والولدان ؛ لقوله ﷺ : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ (النساء 75).

4- إعلاء كلمة التوحيد؛ تدلل على ذلك أدلة كثيرة منها :

1- قوله ﷺ : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ ﴾ (الأنفال 39).

2- سنن أبي داود برقم 2156 عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ يُقَاتِلُ لِلذَّكَرِ وَيُقَاتِلُ لِيَحْمَدَ وَيُقَاتِلُ لِيَغْنَمَ وَيُقَاتِلُ لِيُرِيَ مَكَانَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ قَاتَلَ حَتَّى تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ أَعْلَى فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " .

3- سنن أبي داود برقم 4142، وصححه الألباني مشكاة المصابيح برقم 3529 عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ أَوْ دُونَ دَمِهِ أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ " .

4- صحيح مسلم برقم 3440 عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقَتْلُهُ جَاهِلِيَّةٌ " .

وعليه: فكان النبي ﷺ يدعو أصحابه ﷺ إلى معالي الأمور، ويبغضهم عن كل ما هو مذموم من عصبية الجاهلية وغيرها؛ فما كان من خير إلا دل النبي ﷺ عليه ، وما كان من شر إلا ونهى ﷺ عنه

ثانياً: إن ادعاءهم بأنه ﷺ كان يقول لأصحابه ﷺ قبل غزوة تبوك " اغزوا تغنموا بنات الأصفر و نساء الروم " ، وقوله ﷺ : " اُغْزُوا تَبُوكَ تَغْنَمُوا بَنَاتِ الْأَصْفَرِ وَنِسَاءَ الرُّومِ " فَقَالَ الْجَدُّ : ائْذَنْ لَنَا , وَلَا تَفْتِنَا بِالنِّسَاءِ .. ادعاء كاذب أيضاً ومردود على أصحابه ؛ فلا يقبل المسلمون تلك الادعاءات والروايات؛ لأن النبي ﷺ ما قال ذلك أبداً ، فالروايات التي استدلو بها للطعن في النبي ﷺ من خلالها روايات لا تصح حكم عليها بذلك علماء أجلاء منهم الشيخ الألباني قال فيها الآتي :

1- اغزوا تغنموا بنات الأصفر فقال ناس من المنافقين: إنه ليفتنكم بالنساء فأنزل الله - عز وجل- : (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني) الراوي : عبد الله بن عباس - خلاصة الدرجة: إسناده شديد الضعف - المحدث الألباني - المصدر : السلسلة الصحيحة - الصفحة أو الرقم: 1227/6.

2- لما أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غزوة تبوك قال لجد بن قيس هل لك في بنات الأصفر فقال ائذن لي ولا تفتني فأنزل الله - عز وجل- : (ومنهم من يقول

انذن لي ولا تفتني

الراوي: عبد الله بن عباس - خلاصة الدرجة: فيه بشر بن عمارة وهو ضعيف - المحدث: الألباني - المصدر: السلسلة الصحيحة - الصفحة أو الرقم: 1226/6.

إِذَا: الشيخ الألباني ضعف كل الروايات، وحسن رواية واحدة هي " يا جد ! هل لك في جلد بني الأصفر؟ وهذا في السلسلة الصحيحة برقم 2988 " يا جد ، هل لك في جلد بني الأصفر ؟ " .

قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" 6 / 1225: أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (4 / 51 / 1) من طريق محمد بن إسحاق : أخبرني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : فذكره ، قال جد : أو تأذن لي يا رسول الله، فإنني رجل أحب النساء ، و إنني أخشى إن أنا رأيت بنات بني الأصفر أن أفتن ؟ فقال رسول الله ﷺ - و هو معرض عنه - : " قد أذنت لك " . فعند ذلك أنزل الله : * (و منهم من يقول انذن لي و لا تفتني ألا في الفتنة سقطوا) * قلت : و هذا إسناد حسن . اهـ

قلتُ : إن الواضح لي من الرواية الصحيحة أن النبي ﷺ لم يقل له: هلم للقتال من أجل النساء ؛ ولكن لقتال بني الأصفر وهم الروم ؛ فإذا بالجد بن قيس المنافق يحتج بحجة واهية هي: أنه لو ذهب مع النبي ﷺ للقتال قد يرى نساء بني الأصفر فيفتن بهن ، وينتكس على عاقبيه فكانت هذه حجته للهرب من الغزو مع النبي ﷺ ومع ذلك أذن النبي ﷺ له ولغيره ؛ فعاتبه ربه ﷻ قائلاً : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (التوبة43) .

لذلك أقولُ عن هذا المنافق:(هرب من الموت وفي الموت وقع) أي: هرب من القتال بحجة أنه سيفتن بالنساء وفي الموت وقع بتخلفه عن النبي ﷺ فهذه فتنته الحقيقية ... قال ﷺ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة49).

جاء في تفسير الجلالين : { وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِّي } في التخلّف { وَلَا تَفْتَنِي } وهو الجدّ بن قيس قال له النبي ﷺ : " هل لك في جلد بني الأصفر؟ " فقال : إني مغرم بالنساء ، وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهنّ فأفتتن . قال تعالى : { أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا } بالتخلّف ، وقرئ «سقط» { وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ } لا محيص لهم عنها . اهـ

وعليه تبطل الشبهة - بفضل الله ﷻ - .

ثالثاً: إن هناك سؤالاً يطرح نفسه هو: هل من العيب أو الحرمة أن يقاتل النبي وأصحابه ثم يأخذوا السبي بعد انتصارهم ؟

الجواب: لا ؛ لأن الكتاب المقدس هو أكبر دليل على ذلك ففيه الأمر من الله بسبي النساء من الحروب وذلك في عدة مواضع منها :

1- سفر التثنية إصحاح 21 عدد¹⁰ «إِذَا خَرَجْتَ لِمُحَارَبَةِ أَعْدَائِكَ وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلَيْكَ إِلَى يَدِكَ، وَسَبَيْتَ مِنْهُمْ سَبِيًّا،¹¹ وَرَأَيْتَ فِي السَّبْيِ امْرَأَةً جَمِيلَةً الصُّورَةِ، وَالتَّصَقَّتْ بِهَا وَاتَّخَذَتْهَا لَكَ زَوْجَةً،¹² فَحِينَ تَدْخُلُهَا إِلَى بَيْتِكَ تَحْلِقُ رَأْسَهَا وَتَقْلَمُ أَظْفَارَهَا¹³ وَتَنْزِعُ ثِيَابَ سَبْيِهَا عَنْهَا، وَتَقْعُدُ فِي بَيْتِكَ وَتَبْكِي أَبَاهَا وَأُمُّهَا شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَدْخُلُ عَلَيْهَا وَتَنْتَزِجُ بِهَا، فَتَكُونُ لَكَ زَوْجَةً.¹⁴ وَإِنْ لَمْ تُسَرَّ بِهَا فَأَطْلِقْهَا لِنَفْسِهَا. لَا تَبِعْهَا بَيْعًا بِفِضَّةٍ، وَلَا تَسْتَرْقِهَا مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ قَدْ أَذَلَلْتَهَا.

2- سفر التثنية إصحاح 20 عدد 13 وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلَيْكَ فَاصْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. 14 وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْنَمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَانِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ.

4- سفر العدد إصحاح 31 عدد . 17 فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الْأَطْفَالِ. وَكُلُّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلًا بِمُضَاجَعَةٍ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. 18 لَكِنْ جَمِيعُ الْأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ.

وبالنظر إلى كتاب ترجمة الحياة نقراً: " فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الْأَطْفَالِ، وَاقْتُلُوا أَيْضاً كُلَّ امْرَأَةٍ ضَاجَعَتْ رَجُلًا، 18 وَلَكِنْ اسْتَحْيُوا لَكُمْ كُلَّ عَذْرَاءٍ لَمْ تُضَاجَعْ رَجُلًا ".

4- سفر صموئيل الثاني إصحاح 5 عدد 13 وَأَخَذَ دَاوُدُ أَيْضاً سَرَارِيَّ وَنِسَاءً مِنْ أُورُشَلِيمَ بَعْدَ مَجِيئِهِ مِنْ حَبْرُونَ، فَوَلَدَ أَيْضاً لِدَاوُدَ بَنُونَ وَبَنَاتٌ.

رد شبهة : نبي يقول : (لا تبعدوا اليهود و النصارى بالسلام) !

قالوا: لقد دعا رسول الإسلام أتباعه إلى العنصرية حتى في إلقاء السلام !

والدليل على قولنا ما جاء في صحيح مسلم كتاب (السلام) باب (النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم) برقم 4030 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لَا تَبْدَعُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ ".

و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ح و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ ح و حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ

كُلُّهُمْ عَنْ سُهَيْلٍ بِهِذَا الْإِسْنَادِ وَفِي حَدِيثٍ وَكَيْعٍ إِذَا لَقِيتُمُ الْيَهُودَ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ جَعْفَرٍ عَنْ شُعْبَةَ قَالَ: فِي أَهْلِ الْكِتَابِ وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ وَلَمْ يَسْمَعْ أَحَدًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

الرد على الشبهة

أولاً: إن من ادعى أن محمداً ﷺ دعا أتباعه إلى العنصرية فقد جهل؛ دليل جهله ما يلي:

1- أنه ﷺ جاء بقرآنٍ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:13).

2- قوله ﷺ: " لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا أبيض على أسود ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى الناس من آدم وآدم من تراب ". صححه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية برقم 406 .

3- سنن الترمذي برقم 3193 عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاضَمَهَا بِأَبَائِهَا فَالنَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنٌ عَلَى اللَّهِ وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ قَالَ اللَّهُ: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }".

ثانيًا : إن قولهم بأنه دعا أتباعه إلى العنصرية حتى في إلقاء السلام !! قولٌ باطل ومردود عليهم بعدة أدلة ثبتت في الآتي:

1- السلسلة الصحيحة برقم 569 قوله ﷺ : " يا أيها الناس ! أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام " .

2- صحيح سنن ابن ماجة بتحقيق الألباني برقم 3692 عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : " والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على أمر إذا أنتم فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم " .

3- صحيح البخاري برقم 11 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ قَالَ: " تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ " .

نلاحظ : " وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ " .

3- أمر ﷺ بإكرام الضيف وإن كان كافراً ... وذلك في صحيح البخاري برقم 5559 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ " .

4- أمر ﷺ أصحابه ﷺ أن يخالقوا الناس جميعاً بخلق حسن وذلك في سنن الترمذي برقم 1910 عَنْ أَبِي ذَرٍّ ؓ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَ تَمَحُّهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " . قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

5- جاء ﷺ بقرآن من ربه يقول : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة:83). أي: لكل الناس مؤمن وكافر وعليه يرد ادعاؤهم بهذه الأدلة وغيرها.

ثالثاً: إن المعترضين أشكل عليهم فهم حديث رسول الله ﷺ الذي يقول : " لَا تَبَدَّعُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضِيقِهِ " .
الحديث ليس فيه دعوة للعنصرية كما فهموا ؛ ولكن للحديث معن آخر ؛ يتضح من خلال سؤال لهم هو: لو أن هناك رجلاً شتم آبائكم ماذا ستفعلون معه ؟

الجواب: سوف يقول أحدكم: نضربه أو نشتمه، أقل القليل لا نسلم عليه....
فما بالكم بالذي أصابه السب هو رب العالمين ﷺ الذي هو أعظم من آبائكم ،ومن كل موجود ؟!

لهذا نحن لا نبدأكم بالسلام؛ لأنكم في اعتقادنا سببتم رب العالمين ﷺ بقولكم أتخذ الله ولداً، وبهذا الصلاة التي ما صلها المسيح عليه السلام وما عرفها، ألم تسبوا الله بعقيدة التثليث وضرب الإله والبصق في وجهه.... وذلك من إنجيل متى إصحاح 26 عدد 67 حينئذ بصقوا في وجهه ولكموه، وآخرون لطموه 68 قائلين: «تَبَّأَ لَنَا أَيُّهَا الْمَسِيحُ، مَنْ ضَرَبَكَ؟». هذا بالنسبة لمعتقدنا سب لله ﷺ ؛ يدل على الآتي :

1- صحيح البخاري برقم 6830 عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ يَغَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ " .

2- صحيح البخاري برقم 4592 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " قَالَ اللَّهُ كَذَبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّاي

فَقَوْلُهُ لَنْ يَعِينَنِي كَمَا بَدَأَنِي ، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّاي فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفًّاءٌ أَحَدٌ " .

أما عن سب اليهود لرَبِّ العالمين جاء في موضعين :

1- قوله ﷺ حاكياً عنهم : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (المائدة 64).

2- قوله ﷺ عنهم : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (آل عمران 181).

جاء في تفسير الجلالين : { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ } وهم اليهود قالوه لما نزل { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا } وقالوا لو كان غنيا ما استقرضنا . اهـ

واتسأعل : أليس هذا سب لله يُوجب لنا ألا نبدأهم بالسلام ؟

وبالجملة : يقول الله تعالى : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يَوْمَهُمُ } (التوبة 30).

واتسأعل : أليست هذا مسبة لله بالنسبة لمعتقدنا في ربنا ؟

الجواب: بلى ، ومع ذلك لا يضركم لو بدأناكم بتحية ، مثل: نهاركم سعيد ، مساء الخير ، أزيكم ، بنجور ، أهلا وسهلا..... هذا لا يضركم ذلك أبداً ، ثم لا يوجد ما يدعونا لظلمكم وعدائكم...

والعلة أيضاً : أن النهي عن بدء اليهود والنصارى بالسلام كان بعدما اطلع الله نبيّه ، وتبين له من حالهم أنهم لن يرضوا عن المسلمين حتى يكفروا مثلهم ، ومن جهة أخرى هذا من صدق المؤمنين ؛ لأن السلام هو اسم من أسماء الله تعالى ويحل على المؤمنين به ؛ لذا سميت الجنة بدار السلام ، ولذا كان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا خاطبهم يقول : السلام على من اتبع الهدى. أي : أن اتبعتم الحق فسيشملكم

أضف إلى ذلك أن عدم بدئهم بالسلام لا يعنى عدم تحيتهم، والسؤال عن صحتهم.... إذ لهم حقوق علينا.... **يقول تعالى:** { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (الممتحنة8).

ثالثاً: إن قيل : إن هناك حديثاً يوضح مدى العنصرية رواه البخاري في صحيحه برقم 5788 **عن أنس بن مالك** رضي الله عنه **قال:** **قال النبي** ﷺ **:** **" إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم "**.

قلتُ: إن هذا الحديث له سبب خاص؛ اليهود قالوا للنبي: " السلام عليك ". أي: الموت والهلاك لك، فأوصى أصحابه إذا سمعوا من أحدهم ذلك يقولون: " وعليكم " ...

ثبت في الآتي :

1- صحيح البخاري برقم 6414 عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرَّ يهوديٌّ برَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَعَلَيْكَ" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ؟ قَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَلَا نَقْتُلُهُ؟ قَالَ: " لَا إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ " .

3- سنن ابن ماجه برقم 4530 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ الْيَهُودَ إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَحَدَهُمْ فَإِنَّمَا يَقُولُ السَّامُ عَلَيْكُمْ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ " . تحقيق الألباني : صحيح ، الإرواء (5 / 112 - 113 ، 1275) .

لذلك أمر ﷺ أن نرد عليهم إن سلموا بطريقتهم المذكورة بقولنا: " وعليكم " للاحتراز أعني : لو قالوا : السام عليكم ، أو لا سلام عليكم فيكون الرد (وعليكم ، أو عليكم) ، والله ﷻ يقول : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً ﴾ (النساء86) .

جاء في تفسير الطبري : قال أبو جعفر : يعني ﷺ بقوله : " وإذا حييتم بتحية " ، إذا دعي لكم بطول الحياة والبقاء والسلامة . فحيوا بأحسن منها أو ردوها " ، يقول: فادعوا لمن دعا لكم بذلك بأحسن مما دعا لكم "أو ردوها " يقول: أو ردوا التحية. اهـ

قال القرطبي في تفسيره : والتحية السلام . وأصل التحية الدعاء بالحياة. و قال ابن عباس وغيره: المراد بالآية : (وإذا حييتم بتحية) فإذا كانت من مؤمن (فحيوا بأحسن منها) وإن كانت من كافر فردوا على ما قال رسول الله ﷺ أن يقال لهم : (وعليكم) . اهـ

رابعاً : إن قيل: ما معني قول النبي ﷺ : "وَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي الطَّرِيقِ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أُضْيَقِهِ" .

قلتُ: إن هناك أقوالاً جلييلة ذكرها العلماء منها ما يلي:

1- نقل الحافظ ابن حجر في الفتح عن القرطبي ما نصه قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي قَوْلِهِ " وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ " مَعْنَاهُ لَا تَتَنَحَّوْا لَهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ الضَّيِّقِ إِكْرَامًا لَهُمْ وَاحْتِرَامًا ، وَعَلَى هَذَا فَتَكُونُ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُنَاسِبَةً لِلْجُمْلَةِ الْأُولَى فِي الْمَعْنَى ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ وَاسِعٍ فَالْجَنُوهُمْ إِلَى حَرْفِهِ حَتَّى يَضِيقَ عَلَيْهِمْ لِأَنَّ ذَلِكَ أَذَى لَهُمْ وَقَدْ نُهِنَا عَنْ أَذَاهُمْ بِغَيْرِ سَبَبٍ . اهـ

2- قال صاحبُ عون المعبود في شرح سنن أبي داود: (فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِ الطَّرِيقِ) : أَي: الْجَنُوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ بِحَيْثُ لَوْ كَانَ فِي الطَّرِيقِ جِدَارٌ يَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ وَلَا فَيَأْمُرُهُ لِيَعْدَلَ عَنْ وَسْطِ الطَّرِيقِ إِلَى أَحَدِ طَرَفَيْهِ ، قَالَهُ الْقَارِي . وَقَالَ ابْنُ الْمَلَكِ : يَعْنِي لَا تَتْرَكُوا لَهُمْ صَدْرَ الطَّرِيقِ هَذَا فِي صُورَةِ الْإِزْدِحَامِ وَأَمَّا إِذَا خَلَّتِ الطَّرِيقُ فَلَا حَرَجَ . اهـ

3- قال الشيخُ محمد بن عثيمين - رحمه الله - : قوله ﷺ : " لَا تَبْدَعُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ " والمعنى : لَا تَتَوَسَّعُوا لَهُمْ إِذَا قَابَلُوكُمْ حَتَّى يَكُونَ لَهُمْ السَّعَةُ وَيَكُونَ الضَّيِّقُ عَلَيْكُمْ بَلِ اسْتَمْتَرُوا فِي اتِّجَاهِكُمْ وَسِيرِكُمْ ، وَاجْعَلُوا الضَّيِّقَ إِنْ كَانَ هُنَاكَ ضَيْقٌ عَلَى هَؤُلَاءِ ، وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ إِذَا رَأَى الْكَافِرَ (كَالْيَهُودِ الَّذِينَ فِي الْمَدِينَةِ) ذَهَبَ يَرْحِمُهُ إِلَى الْجِدَارِ حَتَّى يَرِصَهُ عَلَى الْجِدَارِ وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ الصَّحَابَةُ ﷺ بَعْدَ فَتُوحِ الْأَمْصَارِ فَالْمَعْنَى أَنْكُمْ كَمَا لَا تَبْدَعُونَهُمْ بِالسَّلَامِ لَا تَفْسَحُوا لَهُمْ فَإِذَا لَقَوْكُمْ فَلَا تَتَفَرَّقُوا حَتَّى يَعْبرُوا بَلِ اسْتَمْتَرُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَاجْعَلُوا الضَّيِّقَ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ فِي الطَّرِيقِ ضَيْقٌ ، وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ تَنْفِيرٌ مِنَ الْإِسْلَامِ ، بَلِ فِيهِ إِظْهَارٌ لِعِزَّةِ الْمُسْلِمِ ، وَأَنَّهُ لَا يَذِلُّ لِأَحَدٍ إِلَّا لِرَبِّهِ ﷻ . اهـ بتصرف يسير (مجموع فتاوى ابن عثيمين 38/3) .

قلتُ : بالمثال يتضح المقال : هناك مسلمٌ يسير على (رصيف مزدحم) فجاء يهودي و نصراني أمامه ، والرصيف مزدحم هل ينزل المسلم من على (الرصيف) ؟

الجواب: لا ينزل المسلم من على (الرصيف) من أجلهما بل ينزلان هما ؛ حتى تكون العزة للمسلم ، ولأنهما كفرا بالله ﷻ لكن إذا كان (الرصيف) غير مزدحم لا يضطرهما إلى أضيقة ؛ لأن هذا من الظلم لهم ، والله ﷻ يقول : { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (الممتحنة 8) .

خامساً: إن هذا الحديث فيه قمة الرحمة لهم حيث إنهم بذلك لا يجدوا عزاً في كفرهم بل يجدوا ذلاً؛ فيلتمسوا العزة في الإسلام فيدخلوا في الإسلام فينقذهم من نار جهنم فينتفعوا به.

تنبيه هام : قال بعض العلماء : إن هذا الحديث قيل لأناسٍ بعينهم (اليهود) كانت هناك حروب معهم فأمر النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أصحابه بعدم بدئهم بالسلام ، فالسلام أمان وهو في طريق حرب ...! وهذا ليس عاماً بل كان في فترة من الفترات ، وهذا ما قاله الدكتور يوسف القرضاوي وغيره، ويحتمل ذلك من خلال بقيه الروايات وأدين به لله تعالى... جاء في سنن ابن ماجة كتاب (الأدب) باب (رد السلام على أهل الذمة) برقم 3689 عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُهَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " إِنِّي رَاكِبٌ غَدًا إِلَى الْيَهُودِ فَلَا تَبْدَءُوهُمْ بِالسَّلَامِ فَإِذَا سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ " . صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة برقم 3699 .

سادساً : إن الكتاب المقدس نسب إلى يسوع المسيح أنه نهى أتباعه عن إلقاء السلام لمن ليسوا من أتباعه و مخالفه ، وكذلك يوحنا الرسول ، وينسب العهد القديم إلى الرب أنه أوصى بذلك كما في الآتي :

1- إنجيل لوقا إصحاح 10 عدد 3 اذهبوا! ها أنا أُرسلُكمُ مثْلَ حُمَلَانٍ بَيْنَ ذُنَابٍ. 4 لَا تَحْمِلُوا كِسَافًا وَلَا مَزُودًا وَلَا أَحْذِيَّةً، وَلَا تَسْلُمُوا عَلَى أَحَدٍ فِي الطَّرِيقِ.

3- رِسَالَةُ يُوْحَنَّا الرَّسُولِ الثَّانِيَةِ إصحاح 1 عدد 10 إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِيكُمْ، وَلَا يَجِيءُ بِهَذَا التَّعْلِيمِ، فَلَا تَقْبَلُوهُ فِي الْبَيْتِ، وَلَا تَقُولُوا لَهُ سَلَامٌ. 11 لِأَنَّ مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ يَشْتَرِكُ فِي أَعْمَالِهِ الشَّرِّيرَةِ.

4- سفر إشعياء إصحاح 48 عدد 22 لَا سَلَامَ، قَالَ الرَّبُّ لِلْأَشْرَارِ.

واتساءل: هل يحق لأحد من المعترضين بعد هذا الطرح أن يطعن في حديث النبي ﷺ :
" لَا تَبْدَعُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ ... " ؟!

ثم ما هو جوابهم على نصوص كتابهم التي ذكرتها.... ؟

هل طعنوا فيها كما طعنوا في الحديث الذي أشكل عليهم فهمه ، فقامت بتوضيحه - بفضل
الله ﷻ - ... ؟!

رد شبهة: نبي يقول: (لا يقتل مسلم بكافر) !

قالوا : رسول الإسلام يدعو إلى العنصرية أتباعه لهم مكانه خاصة عنده عن بقية
الناس حتى في أرواح العباد؛ فلو قتل المسلم الكافر لا شيء عليه!

والدليل على قولنا ما جاء في صحيح البخاري كتاب (الديات) باب (لا يقتل المسلم بالكافر) برقم 6404 حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا مطرف أن عامراً حدثهم عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي: ح حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا ابن عيينة حدثنا مطرف سمعت الشعبي يحدث قال: سمعت أبا جحيفة قال: سألت علياً عليه السلام هل عندكم شيء مما ليس في القرآن وقال ابن عيينة مرة ما ليس عند الناس فقال: والذي فلن الحبة وبراً السمّة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهما يعطى رجل في كتابه وما في الصحيفة قلت: وما في الصحيفة قال: " العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر".

الرد على الشبهة

أولاً: إن الاعتراض على الحديث من المعترضين نلحظه من قوله عليه السلام: " وأن لا يقتل مسلم بكافر".

أبدأ بنقل ما جاء في حاشية السندي على ابن ماجه: قوله: (وأن لا يقتل مسلم بكافر) أي: في مقابلته قيل بعمومه وقيل مخصوص بالحربي المستأمن وأما الدمي فليس كذلك لحديث: " لهم ما لنا وعليهم ما علينا ".

قوله: (ولا ذو عهد في عهده) أي: كافر ذو عهد أي ذو ذمة وأمان قيل ذكره تأكيداً لتحريم دمه إذ قوله ولا يقتل إلى آخره ربما يوهم ضعفاً في أمره والله أعلم. اهـ

قلت: وبهذا قالت الحنفية... فالذي يظهر لي من معاني الحديث وجهان:

الوجه الأول: أن الكافر المقصود في الحديث هو الكافر المحارب فقط... فالكافر يصنف إلى أربعة أصناف:

1- كافر محارب: مخالف لديننا ويعلن حربه علينا ...

2- **كافر معاهد:** له عندنا عهد أمان، وهذا مثله مثل السائح لو دخل أرضنا لا يمس بسوء بناء على عهده مع الحاكم أو المسئول....

4- **كافر مستأمن:** طلب الأمان من أي مسلم فأمنه على نفسه... وهذا من قوله تعالى: "وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (6) " (التوبة) .

3- **كافر ذمي:** هو من أهل الذمة الذين لهم ذمه الله وذمه رسوله له ما لنا وعليه ما علينا...

وعليه: فإن المعنى المراد من الحديث هو: أن المسلم لا يقتل بكافر محارب فقط ، أينما وجد... فقد صح عن عمر بن عبد العزيز: أنه كتب إلى بعض أمرائه في مسلم قتل ذميًا، فأمره أن يدفعه إلى وليه، فإن شاء قتله، وإن شاء عفا عنه ... فدفع إليه فضرب عنقه . (المصنف لعبد الرزاق ج 10 / ص 101) . وسوف نتقدم معنا أدلة أخرى - إن شاء الله - .

الوجه الثاني: بعد الجمع بين الرواية: (وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ) ورواية: (وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ) : يظهر لي أن الكافر الذمي له حكم المسلم فإن حقن دمه مثل حقن دماء المسلم.... فصار شرح الحديث: " لا يقتل مسلم أو ذمي بدلًا من كافر حربي ... " .

يقوي ذلك ما جاء في الآتي :

1- قال الإمام الطحاوي : إن مرادها أن لا يقتل ذو عهد في عهده بدل كافر فصار حاصل الحديث: لا يقتل مسلم بحربي أقول: يتمشى على معنى ما قاله الشافعية أي: (لا

يقتل ذو عهد في عهده) وأما لو تصدى أحد لقتل ذي عهد فيقتص منه فإن المعاهد محقون الدم إجماعاً .

2- كان عمرُ ﷺ يسأل الوافدين عليه من الأقاليم عن حال أهل الذمة، خشية أن يكون أحد من المسلمين قد أفضى إليهم بأذى، فيقولون له: " ما نعلم إلا وفاءً " (تاريخ الطبري ج 4 ص 218).

أي: بمقتضى العهد والعقد الذي بينهم وبين المسلمين، وهذا يقتضي أن كلاً من الطرفين وقى بما عليه.

2- قال عليُّ بن أبي طالب ﷺ يقول: " إنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا، ودماؤهم كدمائنا " (المغني ج 8 / ص 445، البدائع ج 7 / ص 111 نقلاً عن أحكام الذميين والمستأمنين ص 89).

إذاً: يفهم من قوله أن دماء الذمي والمعاهد والمستأمن مثل دمائنا لها حق الحماية والحرمة....

ثانياً: إن هناك أسئلة تطرح نفسها هي:

1- هل معاملة السلطات الأمريكية للأمريكي صاحب الجنسية (المواطن) كالشخص المقيم (الوافد) في الحقوق والواجبات ؟

الجواب: حقوق ابن البلد صاحب الجنسية المواطن تختلف عن حقوق الوافد

وهذا متعارف عليه في كل الأعراف فهل التميز هنا من قبل السلطات هو من قبيل الظلم أو العنصرية أم أنه حق متاح لهذه الدولة ؟
الجواب : حق متاح لها ؛ لأن الموطن الذي تربي ونشأ فيها يختلف حاله عن حال الوافد.

2- هل المسلمون سواء أم ميز الله بعضهم على بعض ؟

الجواب: إنهم ليسوا سواء لعدة أدلة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء 95) .

2- قوله ﷺ : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة 19) .

واتسأل: هل هذا من الظلم أو العنصرية؟

الجواب: لا.

3- هل الصحابة رضي الله عنهم سواء أم فضل الله بعضهم على بعض؟

الجواب: فضل الله بعضهم على بعض فأفضلهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي عليه السلام... قال عليه السلام عن أصحاب النبي: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (الحديد:10) .

4- إن أعطت النصرانية واليهودية حقوقاً لأبنائها ليست لغيرهم هل هذا ظلم للآخرين وعنصرية ؟

الجواب: لا ظلم في ذلك ولا عنصرية؛ كذلك ميز الإسلام المسلم عن غيره : ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (الحشر:20) .

ثالثاً: إن قوله عليه السلام : " لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ " . ليس معناه أن قتل الكافر حلال فإذا كان لا يُقْتَلُ بِالْكَافِرِ فَلَيْسَ لَهُ قَتْلُ كُلِّ كَافِرٍ، بَلْ يَحْرُمُ عَلَيْهِ قَتْلُ الدِّمِيِّ وَالْمُعَاهِدِ وَالْمُسْتَأْمِنِ؛ أما الحربي الذي يحارب فنعم؛ تدلل على أدلة منها:

1- قوله عليه السلام : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنُؤْمِنُ بِمَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُلُونَ﴾ (151) (الأنعام).

2- صحيح البخاري (كتاب الجزية) باب (إِثْمُ مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا بِغَيْرِ جُرْمٍ) برقم 2930 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ عليه السلام قَالَ : " مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تَوْجِدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا " .

3- كنز العمال برقم 10913 عن ابن مسعود قال ﷺ : " من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة " .

4- كنز العمال برقم 10909 عن سليمان بن صرد قال ﷺ : " إذا أمنك الرجل على دمه فلا تقتله " .

ثم إن قوله ﷺ : " لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ " . يشبه قوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن ماجه ، وصححه الألباني في إرواء الغليل عن عمر وابن عباس مرفوعاً قال ﷺ : " لَا يُقْتَلُ وَالِدٌ بَوْلَدِهِ " .

واتسأئل: هل معنى ذلك أباحه قتل الوالد لابنه... ؟

الجواب: لا؛ قال ﷺ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ﴾ (الأنعام151) .

كذلك قوله ﷺ : " لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ " ليس فيه أنه لا يعاقب المسلم على قتله للكافر الذمي ... فقد ذهب بعض العلماء إلى أنه من قتل الكافر غيلة أي : غداراً وخيانة فإنه يقتل وهو مذهب مالك ، والليث بن سعد قال: إن قتله غيلة قتل به، وقتل الغيلة عندهم أن يقتله على ماله كما يصنع قاطع الطريق . وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه أن مسلماً قتل رجلاً من أهل الدمة فرفع إلى عثمان فلم يقتله وغلظ عليه الدية.

وقال مالك والليث: إذا قتل المسلم الذمي غيلة يقتل به وإلا لم يقتل به. (نيل الأوطار ج 7 / ص 154).

وهو الذي فعله أبان بن عثمان حين كان أميراً على المدينة، وقتل رجل مسلم رجلاً من القبط، قتله غيلة، فقتله به، وأبان معدود من فقهاء المدينة .(الجواهر النقي مع السنن الكبرى ج 8/ ص 34).

وذهب الشعبي والنخعي وابن أبي ليلى وعثمان البتي وأبو حنيفة وأصحابه إلى أن المسلم يُقتل بالذمي ، لعموم النصوص الموجبة للقصاص من الكتاب والسنة، ولاستوائها في عصمة الدم المؤبدة، ولما روي أن النبي ﷺ قتل مسلماً بمعاهد. وقال: " أنا أكرم من وقى بدمته " (رواه عبد الرزاق والبيهقي).

روي أن عليّاً أتى برجل من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة، فقامت عليه البيّنة، فأمر بقتله، فجاء أخوه فقال: إني قد عفوت، قال: فلعلهم هددوك وفرقوك، قال: لا، ولكن قتله لا يرد عليّ أخي، وعوّضوا لي ورضيتُ. قال: أنت أعلم؛ من كانت له ذمتنا فدمه كدمننا، وديته كديتنا. (أخرجه الطبراني، والبيهقي في السنن الكبرى ج 8 / ص 34).

ثالثاً: إن الكتاب المقدس نسب إلى موسى ﷺ أنه قتل المصريّ متعمداً؛ لأنه تعارك مع الإسرائيلي... وذلك في سفر الخروج إصحاح 2 عدد¹¹ وحدث في تلك الأيام لمّا كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في أثقالهم، فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته،¹² فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد، فقتل المصريّ وطمره في الرَّمْل.

واتساءل: هل لما قتل موسى ﷺ المصري كما ذكر النص كان المعني (لا يقتل مسلم بكافر) ؟!

ونسب إلى يسوع المسيح نصوصاً وأفعالاً تدل على العنصرية... منها ما يلي:

1-إنجيل متى إصحاح 7 عدد 6 "لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير.

2-إنجيل مرقس إصحاح 7 عدد 27
"وأما يسوع فقال لها دعي البنين أولاً يشبعون لأنه ليس حسناً ان يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب".

وليت المعترضين يخبرونني عن محاكم التفتيش عندما دخل الصليبيون الأندلس وقتلوا من فيها على بكرة أبيها (محاكم التفتيش)، ولم يقتل نصراني بمسلم هل هذه عنصريه أم ماذا ؟

و لما سقطت القدس على أيدي الصليبيين وقُتلَ سبعون ألفاً في يومٍ واحدٍ من المسلمين بغيرِ ذنبٍ لم يكونوا محاربين عنصرية أم ماذا؟

أم هل نسوا ما حدث في أمريكا الصليبية وغيرها منذُ زمنٍ قريبٍ؛ قتل البيض للسود حتى أن البيض دبروا اغتيالَ زعيم تحرير السود مارتين لوثر كينج فُقُتلَ سنة 1968م ؟!

والعنصرية ضد العرب والمسلمين حتى العربي النصراني مضطهد في بلاد الغرب المسيحي.... عنصرية أم ماذا...؟!؟

رد شبهة: نبيّ يقول: أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً!

قالوا: من رحمة نبيكم بكم أنه أوصاكم أن تتصروا بعضكم البعض، وتظلموا الآخرين....
فقد قال نبيكم لرجل: " أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " .

الحديث في صحيح البخاري كتاب (كتاب المظالم والغصب وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾) باب (أَعَنَ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا) برقم 2263 عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ نهى عن ظلم المسلمين لغيرهم ... تدلل على ذلك أدلة منها :

1- قوله ﷺ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (إبراهيم42).

2- قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة8).

3- السلسلة الصحيحة برقم 767 قال ﷺ : " اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً ؛ فإنه ليس دونها حجاب " .

نلاحظ من قوله ﷺ : " وإن كان كافراً " .

3- ضرب الصحابة ﷺ أروع الأمثلة في العدل مع المخالفين لهم ، وهذا ثابت في كتب السيرة والتاريخ ؛ منها ما سبق ذكره في الشبهة الماضية ، ومنها قصة عمر ﷺ والمصري النصراني لما أمره ﷺ أن يضرب بن عمرو بن العاص وأباه ، وقال له أضرب ابن الأكرمين ...

وعليه : يسقط ادعائهم الباطل بأن نبيّنا ﷺ أوصانا أن ننصر بعضنا بعضاً ، ونظلم الآخرين من المخالفين

ثانياً: إن الحديث الذي استدل به المعترضون جاء من عدة طرق في صحيح البخاري وغيره؛ لكنهم لم يدققوا البحث هذا إن أحسنت بهم الظن..... وسوف أذكر تلك الرواية التي تفصل الرواية التي استدلو بها على شبهتهم فمن خلال الجمع بين الروایتين يتضح المعنى ، ففي صحيح البخاري برقم 6438 عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا " فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ ؟ قَالَ : " تَحْجُزْهُ أَوْ تَمْنَعْهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ " .

نلاحظ : أن هذه الرواية تفصل الرواية الأولى التي استدلو بها ، وتوضح معنى النصرة ، وذلك لما سأل أحد الصحابة النبي ﷺ فقال : " يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ قَالَ تَحْجُزْهُ أَوْ تَمْنَعْهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ " .

قُلْتُ: بالمثل يتضح المقال : لو أن هناك رجلاً مسلماً كان يسير في طريقه إلى العمل اسمه (خالد) ووجد مسلماً يتعارك مع نصراني ؛ المسلم يضرب النصراني بعنفٍ وبقسوةٍ ، فتدخل خالد فأخذ المسلم الظالم وعنفه ليدفعه عن ظلمه للنصراني الظاهر بالنسبة له (خالد) ؛ فإن ذلك بالنسبة للمسلم الظالم نصرته له حيث منع عن ظلمه للنصراني المظلوم ؛ فهل هذا ظلم للآخرين أم قمة العدل والرحمة من وصايا نبينا ﷺ؟! **الجواب :** لا شك أن هذا الحديث من أروع الأحاديث التي تدل على العدل والرحمة مع غير المسلمين .

مثال آخر: في طريق ذهاب (أحمد) للمسجد وجد (إسماعيل) وهو أخ مسلم له يدخن ، فقام أحمد ليمنعه عن التدخين بالنصيحة أو الفعل... كان ذلك نصرته لإسماعيل حيث إن إسماعيل ظالم لنفسه بالتدخين؛ فهذا هو معني حديث النبي ﷺ : " اَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا " . وليس كما فهم المعتضون - والله الحمد - .

تنبيه: من الأمثال المشهورة على الألسن عندنا في مصر (أنا وأخويا على بن عمي وأنا وابن عمي على الغريب) .

قُلْتُ: إن هذا المثل يدعو إلى العنصرية البغيضة التي نهى عنها الله ورسوله ﷺ....

ثالثاً : إن النبي نهى عن ظلم المعاهد والذمي وهذا يبطل ادعاءهم بأن النبي ﷺ أمر بظلم الآخرين تدلل على ذلك أدلة منها:

1- سنن أبي داود كتاب (الخراج والإمارة والفيء) باب (في تعشير أهل الدِّمة إذا اختلفوا بالتَّجارات) برقم 2654 حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَهْرِيُّ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ الْمَدِينِيُّ أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ أَخْبَرَهُ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ آبَائِهِمْ دَنِيَّةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا ، أَوْ انْتَقَصَهُ ، أَوْ كَفَّهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بَغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " .

2- صحيح البخاري كتاب (الجزية) باب (إثم من قتل مُعَاهِدًا بغير جرم) برقم 2930 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تَوْجِدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا " .

رابعاً: إن المتأمل في الكتاب المقدس يجد فيه المثل الشائع عندنا في مصر (أنا وأخويا على بن عمي وأنا وابن عمي على الغريب) . وذلك لما قتل موسى ﷺ الرجل البريء (المصري) الذي تعارك مع أخيه (الإسرائيلي) كما يذكر سفر الخروج إصحاح 2 عدد 11¹¹ وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَمَّا كَبِرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَثْقَالِهِمْ، فَرَأَى رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ،¹² فَالتَفَتَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ وَرَأَى أَنَّ لَيْسَ أَحَدًا، فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ .

فإن قيل: إن ذلك في القرآن الكريم !

قُلْتُ : إن القرآن الكريم يقول: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ (القصص 15).

نلاحظ : " فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ " . ومعنى (وَكَزَهُ) أي: دفعه .

وعليه: فلم يكن موسى عليه السلام متعمداً لقتل المصري، والله يقول تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ (الأحزاب 5) .

لكن بالنظر إلى نص الكتاب المقدس نجد أن موسى عليه السلام كان متعمداً لقتل المصري ؛ لأنه كان يلتفت هنا وهناك ليرى هل يراه أحد قبل قتله للمصري ، وذلك بحسب ما نسب نص الكتاب المقدس لموسى عليه السلام ؛ يقول النص : " فَالْتَفَتَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ وَرَأَى أَنَّ لَيْسَ أَحَدٌ، فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمِّ

رد شبهة: نبيُّ يقول: (الله يضع ذنوب المسلمين على اليهود و النصارى)!

قالوا على سبيلِ الاستهزاء: لقد وصلت رحمة نبيكم بنا إلى أنه قال: " يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى " .

فهل هذا هي الرحمة ؟!

الحديث في صحيح مسلم كتاب (التوبة) باب (قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ) برقم 4971 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ عَبَّادِ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ حَدَّثَنَا شَدَّادُ أَبُو طَلْحَةَ الرَّاسِبِيُّ عَنْ غِيلَانَ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى " . فِيمَا أَحْسَبُ أَنَا قَالَ أَبُو رَوْحٍ: لَا أَدْرِي مِمَّنِ الشُّكُّ . قَالَ

أَبُو بَرْدَةَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ: أَبُوكَ حَدَّثَكَ هَذَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قُلْتُ: نَعَمْ

الرد على الشبهة

أولاً: إن الله ﷻ ليس بظلامٍ للعبيد تدلل على ذلك أدلة منها :

- 1- قوله ﷻ: ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۖ ﴾ (آل عمران).
- 2- قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (40) ﴾ (النساء).
- 3- قوله ﷻ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت 46) .
- 4- قوله ﷻ: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ (هود 101) .
- 5- قوله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابُ فَنَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف 49) .

وعليه فإذا كان الله ﷻ ليس بظلامٍ للعبيد ؛ فهذا يدل على عدله ﷻ

وأما الحديث الذي معنا قد يكون في ظاهره إهانة لهم؛ لأن من العذاب أن تطرح عليهم ذنوب غيرهم ، والظاهر أن هذه الذنوب لا تؤثر فيهم؛ لأنهم أصلاً في النار ، وهذا من فضل الله على المؤمنين حيث يشفى صدورهم ، ويظهر نعمه عليهم.... فيكون ذلك من باب تحقيرهم و زيادة الحسرة عليهم ليس إلا.

قلتُ: بالمثل يتضح المقال: هناك طالبٌ يمتحن في مادة معينة ؛ في ورقة الامتحان خمسة أسئلة يختار منها ثلاثة ليجيب عليها ، أجاب الطالب عن الثلاثة أسئلة ، وأجاب على سؤالٍ من الأسئلة الاختيارية ، وكانت النتيجة أنه رسب في الأسئلة الثلاثة بعد تصحيحها ، وإذا بالمصحح يصحح السؤال الإضافي (الاختياري) الذي أختاره الطالب فيجده راسباً فيه ، فإذا به يضيف نتيجته للطالب الراسب ؛ هو أصلاً راسب فأضاف إليه نتيجة السؤال الاختياري فما نجح أيضاً .

فهكذا نعتقد أن اليهود والنصارى في النار إن ماتوا على شركهم؛ قال ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (محمد34). هذا إن حملنا الحديث على ظاهره.

وذهب بعضُ الشراح أن ذلك على شرارِ اليهودِ والنصارى ؛ لأن اليهود والنصارى يحاولون إفساد المسلمين عن طرق الإعلام والجنس والمخدرات.... هذه المنكرات سببت ذنباً للمسلمين، فهذه الذنوب تسقط عن المسلمين بعفو الله ﷻ وبفضله ، وتوضع على الكافرين مثلاً ؛ لكونهم سنوا الشرَ للمسلمين ؛ يقوي ذلك ما يلي :

1- قوله ﷻ : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِنَاهُمْ عَذَابٌ فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ (النحل 88) .

جاء في التفسير الميسر : الذين جحدوا وحدانية الله ونبوتك - أيها الرسول - وكذبوك، ومنعوا غيرهم عن الإيمان بالله ورسوله، زناهم عذاباً على كفرهم وعذاباً على صدّهم الناس عن إتباع الحق؛ وهذا بسبب تعمّدهم الإفساد وإضلال العباد بالكفر والمعصية . اهـ

2- قوله ﷻ : ﴿ وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (13) (العنكبوت).

جاء في التفسير الميسر : وليحملن هؤلاء المشركون أوزار أنفسهم وآثامها ، وأوزار من أضلوا وصدّوا عن سبيل الله مع أوزارهم ، دون أن ينقص من أوزار تابعيهم شيء ، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يخلطونه من الأكاذيب . اهـ

3- صحيح مسلم برقم 1691 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ " .

4- قال الإمام النووي - رحمه الله - في شرحه :
قوله : (يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ) :
فَمَعْنَاهُ : أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ تِلْكَ الذُّنُوبَ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَيُسْقِطُهَا عَنْهُمْ ، وَيَضَعُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِثْلَهَا بِكُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ ، فَيُدْخِلُهُ النَّارَ بِأَعْمَالِهِمْ لَا بِذُنُوبِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا بِدَمْنٍ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ لِقَوْلِهِ ﷺ : ﴿ وَلَا تَزِرْ وَزِرَةَ وَزْرٍ أُخْرَى ﴾ (الأنعام:164).
وقوله : (وَيَضَعُهَا) : مجاز والمراد : يَضَعُ عَلَيْهِمْ مِثْلَهَا بِذُنُوبِهِمْ كَمَا ذَكَرْنَاهُ لَكِنْ لَمَّا أَسْقَطَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الْمُسْلِمِينَ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَأَبْقَى عَلَى الْكُفَّارِ سَيِّئَاتِهِمْ ، صَارُوا فِي مَعْنَى مَنْ حَمَلَ إِثْمَ الْفَرِيقَيْنِ لِكَوْنِهِمْ حَمَلُوا الْإِثْمَ الْبَاقِي ، وَهُوَ إِثْمُهُمْ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ آثَامًا كَانَتْ لِلْكَفَّارِ سَبَبٌ فِيهَا ، بِأَنْ سَنُّوْهَا فَتَسْقُطَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ بِعَفْوِ اللَّهِ ﷻ ، وَيُوضَعُ عَلَى الْكُفَّارِ مِثْلَهَا ، لِكَوْنِهِمْ سَنُّوْهَا ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ كُلِّ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا . وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ . اهـ

ثانياً: إن هذا الحديث (محل الشبهة) ضعيفٌ عند بعض العلماء، فلا تقام به حجة ؛ فقد ضعفه الألباني - رحمه الله - في السلسلة الضعيفة برقم 1316 - (منكر) .

إن قيل: كيف يكون في صحيح مسلم حديث ضعيف ؟

قلتُ: إن صحيح البخاري ومسلم هما أصحا كتابين بعد كتاب الله ﷻ ، وليس معنى ذلك أن كل ما جاء فيهما صحيح كالقرآن الكريم ففيهما مسائل لا يعلمها إلا العالمون المتخصصون في هذا المجال فقط ...

ثالثاً: إن هناك سوّلاً يطرح نفسه على فرض صحة الرواية هو: هل يلقي الله ﷻ ذنوبَ المسلم على اليهودي والنصراني فقط أم على المسلم أيضاً ؟

الجواب : يلقي ﷻ ذنوبَ المسلم على المسلم أيضاً ، وليس اليهودي والنصراني فقط كما زعموا... تدلل على ذلك أدلة منها :

1- صحيح البخاري برقم 2269 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدَرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ".

2- صحيح مسلم برقم 4678 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ : " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ " .

إذا: لا عنصرية، ويهدم زعمهم الباطل....

رابعاً: إن المتأمل في الكتاب المقدس يجده نسب إلى الرب أنه كان يضل الأنبياء والبشر، ويخدعهم في الدنيا قبل الآخرة أي: أنه يضع ذنوباً عليهم

نجد ذلك في عدة مواضع منها :

1- سفر حزقيال إصحاح 14 عدد⁹ فَإِذَا ضَلَّ النَّبِيُّ وَتَكَلَّمَ كَلَامًا، فَأَنَا الرَّبُّ قَدْ أَضَلَلْتُ ذَلِكَ النَّبِيَّ، وَسَامُدُّ يَدِي عَلَيْهِ وَأُبِيدُهُ مِنْ وَسْطِ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. ¹⁰ وَيَحْمِلُونَ إِنْهُمْ. كَأَنْتُمْ السَّائِلِينَ يَكُونُ إِنْهُمْ النَّبِيُّ.!

2- سفر حزقيال إصحاح 20 عدد²⁴ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَصْنَعُوا أَحْكَامِي، بَلْ رَفَضُوا فَرَائِضِي، وَنَجَسُوا سُبُوتِي، وَكَانَتْ عِيُونُهُمْ وَرَاءَ أَصْنَامِ آبَائِهِمْ. ²⁵ وَأَعْطَيْتُهُمْ أَيْضًا فَرَائِضَ غَيْرِ صَالِحَةٍ، وَأَحْكَامًا لَا يَحْيُونَ بِهَا، ²⁶ وَنَجَسْتُهُمْ بِعَطَايَاهُمْ إِذْ أَجَازُوا فِي النَّارِ كُلَّ فَاتِحِ رَحْمٍ، لِأُبِيدَهُمْ، حَتَّى يَعْلَمُوا أَنِّي أَنَا الرَّبُّ.

3- رسالة بولس تسالونيكي الثانية إصحاح 2 عدد¹⁰ وَبِكُلِّ خَدِيعَةِ الْإِثْمِ، فِي الْهَالِكِينَ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا مَحَبَّةَ الْحَقِّ حَتَّى يَخْلُصُوا. ¹¹ وَلِأَجْلِ هَذَا سِيرَسِلُ إِلَيْهِمْ اللَّهُ عَمَلَ الضَّلَالِ، حَتَّى يُصَدِّقُوا الْكَذِبَ، ¹² لِكَيْ يُدَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ لَمْ يُصَدِّقُوا الْحَقَّ، بَلْ سُرُّوا بِالْإِثْمِ.

4- سفر إرمياء إصحاح 16 عدد¹³ فَأَطْرُدُكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ لَمْ تَعْرِفُوهَا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَتَعْبُدُونَ هُنَاكَ إِلَهَةً أُخْرَى نَهَارًا وَلَيْلاً حَيْثُ لَا أُعْطِيكُمْ نِعْمَةً.

4- سفر إشعياء إصحاح 63 عدد¹⁷ لَمَّاذَا أَضَلَلْتَنَا يَا رَبُّ عَنْ طَرِيقِكَ، قَسَيْتَ قُلُوبَنَا عَنْ مَخَافَتِكَ؟ ارْجِعْ مِنْ أَجْلِ عِبِيدِكَ، أَسْبَاطِ مِيرَاتِكَ.

ويجد الكتاب المقدس نسب إلى الرب أنه لا ينتبه للظلم! وذلك في سفر أيوب اصحاح 24 عدد¹² من الوجع أناس يئنون، ونفس الجرحى تستغيث، والله لا ينتبه إلى الظلم.

قلتُ : صدق الله إذ يقول ﷻ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الزمر 67) .

رد شبهة: نبي يقول: اليهودي والنصراني فكأكك من النار
أيها المسلم !

تحدثوا عن العنصرية ثم أردوا الطعن في النبي ﷺ من خلال بعض الأحاديث فقالوا: إنها تدعو للعنصرية حتى في دخول الجنة أو النار، جاء في صحيح مسلم كتاب (التوبة) باب (قبول توبة القاتل وإن كثرت قتلته) برقم 4969 عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : " إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ ﷻ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ: هَذَا فِكَأَكَّكَ مِنَ النَّارِ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الله ﷻ لا يدخل أحداً النار إلا إذا رأى الحق وكابر عنه، وجحدته وإلا لو أسلم واتبع الحق فلن يدخل النار أبداً.... كذلك فإن اليهودي أو النصراني يدخل النار بسبب كفره ، وعناده ، وجحوده لدين الحق ، وهذا أمر ذكره الله ﷻ في عدة مواضع من كتابه المجيد منها :

- 1- قوله ﷺ : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (التوبة 68) .
- 2- قوله ﷺ : ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ (إبراهيم 23).
- 3- قوله ﷺ : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (يس 54)

ثانياً: إن قولهم السابق ذكره باطل مردود عليهم؛ فلا توجد عنصرية في دخول الجنة والنار فيما ورد من أحاديث النبي ﷺ . هم يقولون : إن هذا الحديث فيه عنصرية !

قلتُ: إن قولهم دليل على قلة فهمهم إن أحسنت بهم الظنَ، لأن السنة دلت على ما يلي:

- 1- أن أول من يدخلون النار من المسلمين؛ وقد أخبر ﷺ بذلك فقال: " أول من تسعر بهم النار قارئ للقرآن، ومجاهد، وجواد "؛ لأنهم فعلوا هذه العبادات رياء الناس؛ أعني: فعلوا العبادات رياء وسمعة من أجل أن يُحمدوا بين الناس، فليس عملهم لله

ثبت في سنن الترمذي برقم 2304 عن أبي هريرة قال ﷺ حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَجُلٌ يَفْتَتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ : أَلَمْ أَعْلَمْكَ مَا أُنْزِلْتُ عَلَى رَسُولِي قَالَ : بَلَى يَا رَبِّ قَالَ : فَمَاذَا عَمَلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ قَالَ : كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ : كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ : بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يَقَالَ : إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : أَلَمْ أُوسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدْعُكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ قَالَ : بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ

فَمَآذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فَلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ وَيُوتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فَلَانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتَيْ فَقَالَ: " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَوْلَنِكَ الثَّلَاثَةَ أَوَّلُ خَلْقٍ خَلَقَ اللَّهُ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " .

تحقيق الألباني: صحيح ، التعليق الرغيب (1/ 29 - 30) ، التعليق على بن خزيمة (2482) .

2- أن موسى ﷺ وقومه سيدخل منهم الجنة سواد عظيم جداً... وذلك في صحيح البخاري برقم 5270 عن ابن عباس قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيُّانَ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى رَفَعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ ، قُلْتُ: مَا هَذَا أُمْتِي هَذِهِ قِيلَ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ . قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ . فَإِذَا سَوَادٌ يَمَلَأُ الْأَفْقَ ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأَفْقَ قِيلَ هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ ، وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ ، فَنَحْنُ هُمْ أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وَلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَإِنَّا وَلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ . فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَخَرَجَ فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَلَا يَكْتُونُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » . فَقَالَ عَكَاشَةُ بْنُ مَحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: « نَعَمْ » . فَقَامَ آخِرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا قَالَ: « سَبَقَكَ عَكَاشَةُ » .

3- أن المسلمين أتباع محمد نصف أهل الجنة، وليسوا كل أهلها ... وذلك في صحيح مسلم برقم 324 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ " ؟ قَالَ: فَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ: " أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ " ؟ قَالَ: فَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ: " إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ "

وَسَاخُبِرْكُمْ عَنْ ذَلِكَ مَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْكُفَّارِ إِلَّا كَشَعْرَةٍ بَيضاءَ فِي ثَوْرٍ أَسودَ أَوْ كَشَعْرَةٍ
سوداءَ فِي ثَوْرٍ أَبْيَضَ".

وَأَسْأَلُ : أين العنصرية لأتباع محمد ﷺ في دخولهم الجنة ، وموسى وقومه فيها سواد
عظيم ، وليس كل أهل الجنة من أتباع محمد ﷺ كما ادعى وفهم المعترضون بقولهم :
عنصرية!

ثالثاً : إن بقية الرد على هذه الشبهة تقدم معنا في الرد على شبهة: (الله يضع ذنوب
المسلمين على اليهود و النصارى) فهذه كتلك ، وقد أجبتُ باستفاضة - والله الحمد - ،
ولو رجع المعترضون لشرح هذا الحديث للإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم لوجدوا
الإجابة الشافية الوافية عنده ، قال - رحمه الله - :

قوله ﷺ : (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ:
هَذَا فَكَأَنَّكَ مِنَ النَّارِ) وفي رواية : (لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدَخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ
يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا) وفي رواية (يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ
الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى) . (الْفَكَكَ) بَفَتْحِ الْفَاءِ وَكسرها
الْفَتْحُ أَفْصَحُ وَأَشْهَرُ ، وَهُوَ : الْخَلَاصُ وَالْفِدَاءُ . وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ
أَبِي هُرَيْرَةَ لِكُلِّ أَحَدٍ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ . فَالْمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ خَلْفَهُ
الْكَافِرُ فِي النَّارِ لاسْتِحْقَاقِهِ ذَلِكَ بِكُفْرِهِ . مَعْنَى (فَكَأَنَّكَ مِنَ النَّارِ) أَنَّكَ كُنْتَ مُعْرِضًا
لِدُخُولِ النَّارِ ، وَهَذَا فَكَأَنَّكَ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ لَهَا عَدَدًا يَمْلُؤُهَا ، فَإِذَا دَخَلَهَا الْكُفَّارُ
بِكُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ صَارُوا فِي مَعْنَى الْفَكَكَ لِلْمُسْلِمِينَ . اهـ

رابعاً: إن الكتاب المقدس نسب العنصرية الدينية لأنبياء والرسل والرب.... كما يلي:

1- نسب الكتاب المقدس العنصرية الدينية إلى بولس الرسول ، وذلك بحسب ما ذكرت الأنجيل عنه أنه قال في رسالته إلى أهل غلاطية إصحاح 2 عدد 15¹⁵ نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة!

وفي نفس الرسالة إصحاح 4 عدد 22²² فإنه مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان، واحد من الجارية والآخر من الحرة. 23²³ لكن الذي من الجارية ولد حسب الجسد، وأمّا الذي من الحرة فبالموعد..... 28²⁸ وأمّا نحن أيها الإخوة فنظير إسحاق، أولاد الموعد. 29²⁹ ولكن كما كان حينئذ الذي ولد حسب الجسد يضطهد الذي حسب الروح، هكذا الآن أيضاً. 30³⁰ لكن ماذا يقول الكتاب؟ «اطرد الجارية وابنها، لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة». 31³¹ إذا أيها الإخوة لسنّا أولاد جارية بل أولاد الحرة.

2- نسب الكتاب المقدس العنصرية الدينية إلى يسوع المسيح ، وذلك بحسب ما جاء في إنجيل متى إصحاح 7 عدد 6⁶ لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير، لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم.

3- نسب الكتاب المقدس إلى الرب أفعال العنصرية لصالح بني إسرائيل كما يلي:

أ- أباح لبني إسرائيل أن يقرضوا الآخرين بالربا المحرمة ، ولكن لإخواتهم لا !

جاء ذلك في سفر التثنية إصحاح 23 عدد 19¹⁹ «لا تقرض أخاك برّياً، ربا فضّة، أو ربا طعام، أو ربا شيء مما يقرض برّياً، 20²⁰ للأجنبي تقرض برّياً، ولكن لأخيك لا تقرض برّياً، ليباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها.

ب- أباح لبني إسرائيل أن يسرقوا المصريين عند خروجهم من أرض مصر رغم حرمتها (السرقه)! جاء ذلك في سفر الخروج إصحاح 3 عدد²¹ وَأُعْطِيَ نِعْمَةً لِهَذَا الشَّعْبِ فِي عِيُونِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَمَا تَمْضُونَ أَنْكُمْ لَا تَمْضُونَ فَارِغِينَ. ²² بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتَعَةً فِضَّةً وَأَمْتَعَةً ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلُبُونَ الْمِصْرِيِّينَ».

4- نسب الكتاب المقدس إلى نوح ﷺ أنه أنشئ عهد العنصرية والعبودية !

وذلك في سفر التكوين إصحاح 9 عدد¹⁸ وَكَانَ بَنُو نُوحٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْفُلِّكَ سَامًا وَحَامًا وَيَافَثَ. وَحَامٌ هُوَ أَبُو كَنْعَانَ. ¹⁹ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمُ بَنُو نُوحٍ. وَمِنْ هَؤُلَاءِ تَشَعَّبَتْ كُلُّ الْأَرْضِ. ²⁰ وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلَاحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. ²¹ وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكَرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خَبَائِهِ. ²² فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخُوَيْهِ خَارِجًا. ²³ فَآخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَى إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَ عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. ²⁴ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، ²⁵ فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدُ الْعَبِيدِ يَكُونُ لِإِخْوَتِهِ». ²⁶ وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. ²⁷ لِيَفْتَحَ اللَّهُ لِيَاثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ» !

قُلْتُ: لا تعليق مني على ما سبق ذكره، وللقارئ أن يحكم على تلك النصوص بنفسه فإن الله أعطانا العقل لننتفكر به ... فما أعظم نعمة التدبر والفهم !

لكن السؤال الذي يحيرني كثيرا هو: لماذا لعن نوح ﷺ كنعان الذي ربما لم يولد بعد؟!

ما الجرم الذي فعله كنعان حتى يلعن من نوح ؟

هل ذنبه أن أباه حام أبصر نوحاً عرياناً (مكشوف العورة) فلم يستطع أن يفعل شيئاً فذهب إلى إخوته ليضعوا الرداء على هذا النبي السكير المتعري.....؟!!

ما سبق بزعم تلك النصوص التي تُنسب لبني كرم مثل نوح !

رد شبهة: نبي يقول: " جحد آدم فجحدت ذريته "!

قال المعترضون لبعض المسلمين: تنكرون علينا عقيدتنا في توارث الخطيئة الأصلية (خطيئة آدم) ولا تتكرون كلام نبيكم الذي يؤكد توارث الخطيئة: " فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيته ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته " .

تعلقوا على ذلك بما جاء في سنن الترمذي كتاب (تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ) باب (ومن سورة الأعراف). برقم 3002 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال أي رب من هذا فقال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود. فقال: رب كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة. قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة. فلما قضى عمر آدم جاءه ملك الموت فقال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود؟ قال: " فجحد آدم فجحدت ذريته ، ونسي آدم فنسيته ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته " . قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الله ﷻ لم يكتب على الإنسان أن يحمل خطيئة أخيه أو أبيه.... بل كل إنسان يحاسب على عمله؛ هذا من رحمته ﷻ أنه لا يعذبنا بذنوب غيرنا....

تدل على ذلك أدلة منها:

1- قوله ﷻ: ﴿ أَلَا تَرَىٰ وَازِرَةً وَّرَزَّ أُخْرَىٰ (38) وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ (41) ﴾ (النجم).

2- قوله ﷻ: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) ﴾ (الزلزلة).

4- قوله ﷻ: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (13) أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14) مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وَّرَزَّ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (15) ﴾ (الإسراء).

4- قوله ﷻ: ﴿ لَا تَكُلْ نَفْسٌ إِلَّا وَسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ (232) ﴾ (البقرة).

5- قوله ﷻ: ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (111) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (112) ﴾ (النساء).

6- قوله ﷻ: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (48) ﴾ (البقرة).

6- قوله ﷺ : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (30)﴾ (آل عمران).

7- قوله ﷺ : ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164)﴾ (الأنعام).

وبين نبينا ﷺ أن كلَّ الناس يخطئون لأنهم بشر ، ولكن خيرهم من يتوب إلى الله ﷻ ، وأن الله يحاسبُ على الأعمال التي يعملها الإنسان في حياته الدنيا ؛ ثبت ذلك في الآتي :

1- سنن الترمذي برقم 2423 عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ " صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 2984.

2- صحيح البخاري برقم 3264 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ ، يَا أُمَّ الرَّبِيعِ بْنِ الْعَوَّامِ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ ، لَا أَمْلِكُ لَكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، سَلَانِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا " .

الحديث السابق بيان لقوله ﷺ : ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (3)﴾ (الممتحنة) .

وعليه: يسقط ادعاؤهم بأن الإسلام فيه توارث الخطيئة....

ثانياً: إن الحديث الذي تعلقوا به حديثٌ حسن حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 118.... ولكن معنى الحديث هو الذي أشكل على المعترضين....

نلاحظ شبهتهم من قوله ﷺ: "فَجَدَّ أَدَمُ فَجَدَّتْ ذُرِّيَّتُهُ وَنَسِيَ أَدَمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَخَطِيءَ أَدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ".

في ظنهم أن هذا الحديث يفيد توارث الخطيئة ؛ وهذا باطل لأن الحديث يتحدث عن توارث الطباع، والصفات التي جُبِلَ عليها الإنسان؛ فكلُّ الناس ينسون، ويجحدون، ويخطئون.... لأنهم خلقوا ضعافاً لا عزم عندهم ...

تدلل على ذلك أدلة منها:

- 1- قوله ﷺ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28)﴾ (النساء).
- 2- قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115)﴾ (طه).
- 3- قوله ﷺ: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (42)﴾ (يوسف) .
- 4- قوله ﷺ: ﴿قَالَ لَا تَأْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا (73)﴾ (الكهف) .
- 5- قوله ﷺ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (24)﴾ (الكهف).
- 6- قوله ﷺ عن الصالحين: ﴿رَبَّنَا لَا تَأْخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة) .
- 7- قوله ﷺ كما في سنن ابن ماجه برقم 2033 عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ " .
تحقيق الألباني : صحيح ، المشكاة (6284) ، الإرواء (82) .

إِذَا : الإنسانُ ما سُمِّي إنسانَ إلا لأنه كثير النسيان المتوارث عن طباع آدم-عليه السلام-
: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (115) ﴿طه﴾ .

أثبت ما سبق بيانه هو ما جاء في شرح الحديث الذي معنا كما في تحفة الأحوزي قال صاحبها :

(فَجَدَ آدَمَ) أَي : ذَلِكَ لِأَن كَانَ فِي عَالَمِ الدَّرِّ فَلَمْ يَسْتَحْضِرْهُ حَالَةً مَجِيءِ مَلَكِ الْمَوْتِ لَهُ
(فَجَدَ آدَمَ) : أَي : أَنْكَرَ آدَمَ .
(فَجَدَتِ ذُرِّيَّتُهُ) : لِأَنَّ الْوَلَدَ سِرٌّ أَبِيهِ .

(فَنَسِيَ آدَمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ) : لِأَنَّ الْوَلَدَ مِنْ طِينَةِ أَبِيهِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ آدَمَ نَسِيَ
هَذِهِ الْقَضِيَّةَ فَجَدَ فَيَكُونُ اعْتِدَارًا لَهُ إِذْ يَبْعُدُ مِنْهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ يَنْكَرَ مَعَ التَّنَكُّرِ .
اهـ

ثالثاً: إن الناظر في الكتاب المقدس يجد فيه أنه ليس لأحد أن يحمل ذنب أحد؛ ليس فيه
توارث الخطيئة ، بل إن المسيح ﷺ لم يذكر اسم آدم قط بحسب ما جاء في الأناجيل،
وهذا يفيد بأن المسيح ما تكلم عن خطيئة آدم قط (الخطيئة الأصلية)....

بل مؤسس هذه العقيدة هو بولس الرسول الذي قال في رسالته إلى العبرانيين (22/9) " وَكُلُّ
شَيْءٍ تَقْرِيْبًا يَنْطَهَرُ حَسَبَ النَّامُوسِ بِالدَّمِ، وَيَبْدُونِ سَفْكَ دَمٍ لَا تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ! " .

وفي رسالته إلى غلاطية إصحاح 3 عدد 13¹³ الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ
لَعْنَةً لَأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ».

بل إن المدقق يجد المسيح ﷺ يتضرع بالصلاة والصراخ لله كي يبعد عنه كأس الموت...

وذلك في رسالة العبرانيين إصحاح 5 عدد 7 إذ قَدَّمَ صُرَاخَ شَدِيدٍ وَدُمُوعَ طِلْبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسَمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ .

ويبقى السؤال :

1- هل المسيح ﷺ ملعونٌ (مطرود من رحمة الله ﷻ) بحسب كلام بولس الرسول ؟!

2- هل هناك إله ملعون ؟

3- كيف لإله ملعون أن يبعد ؟!

جاء في سفر التثنية إصحاح 21 عدد²² «وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيئَةٌ حَقَّهَا الْمَوْتُ، قُتِلَ وَعُلِقَتْهُ عَلَى خَشَبَةٍ،²³ فَلَا تَبْتَ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِأَنَّ الْمُعْلَقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللَّهِ...

يبقى السؤال يطرح نفسه : إن الذي يعلق على خشبةٍ معلوم أنه مجرم ملعون... بحسب الكتاب المقدس: فما هو الذنب الذي اقترفه المسيح ؟

قُلْتُ : نحن - المسلمين - برئنا المسيح من الصلب ، ولم نجعله ملعوناً بل كرّمنا هذا النبيّ المكرّم

وأقول للقارئ: إن هناك نصوصاً كثيرةً تتفي تماماً توارث الخطيئة من الكتاب المقدس نفسه وأترك المجال للنصوص كي تتحدث عن نفسها مع بعض التساؤلات ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل....

1- سفر التثنية إصحاح 24 عدد 16 : " لا يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الْأَوْلَادِ وَلَا يُقْتَلُ الْأَوْلَادُ عَنِ الْآبَاءِ . كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيئَتِهِ يُقْتَلُ ."

2- سفر الأمثال إصحاح 18 عدد 20 : " إن الأشرار يكونوا كفارةً للأبرار الشرير فدية الصديق " .

أُتَسأل : هل كان المسيح من الأشرار و البشر العصاة من الأبرار ؟!

3- سفر أخبار الأيام الثاني إصحاح 7 عدد 14 : " فَإِذَا تَوَاضَعَ شَعْبِي الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ وَصَلُّوا وَطَلَبُوا وَجْهِي وَرَجَعُوا عَنْ طُرُقِهِم الرَّدِيئَةِ فَإِنِّي أَسْمَعُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَغْفِرُ خَطِيئَتَهُمْ وَأُبْرِئُ أَرْضَهُمْ " .

أُتَسأل : أليس هذا هو قانون الله الذي يقبله العقل ، ويؤكد على عدل الله ﷻ ؟ فلماذا الصلب والفداء ؟

4- سفر التكوين إصحاح 3 عدد 21 : " وَصَنَعَ الرَّبُّ الْإِلَهَ لِأَدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمَصَةً مِنْ جِلْدٍ وَالْبَسَهُمَا " .

أُتَسأل : الربُّ صنع لهما بنفسه هذه الأقمصَة ! أليس ذلك دليلاً على غفران الله لذنبيهما ؟

ثم إن المفاجئة الكبرى للمعترضين هي أن المسيح يبين للجميع أن العمل الصالح ينجي من المهالك ، ويدخل العبد ملكوت الله ... نجد ذلك في الآتي:

1- إنجيل لوقا إصحاح 18 عدد¹⁸ وسأله رَئِيسُ قَائِلًا: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرِثَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ؟»¹⁹ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ.»²⁰ أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا: لَا تَزْنِ. لَا تَقْتُلْ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرَمَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ.»²¹ فَقَالَ: «هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مِنْذُ حَدَاثَتِي.»²² فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ ذَلِكَ قَالَ لَهُ: «يُعْوزُكَ أَيْضًا شَيْءٌ: بَعْ كُلَّ مَا لَكَ وَوَرِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي.»²³ فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ حَزَنَ، لِأَنَّهُ كَانَ غَنِيًّا جِدًّا.²⁴ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ قَدْ حَزَنَ، قَالَ: «مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي الْأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ!.....»

2- إنجيل متى إصحاح 19 عدد¹⁶ وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيُّ صِلَاحٍ أَعْمَلُ لِنَكُونَنِي لِي الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ؟»¹⁷ فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا.»¹⁸ قَالَ لَهُ: «أَيَّةُ الْوَصَايَا؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ.»¹⁹ أَكْرَمَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَاحْبَبْ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ.»²⁰ قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مِنْذُ حَدَاثَتِي. فَمَاذَا يُعْوزُنِي بَعْدُ؟»²¹ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءِ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي.»²² فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الْكَلِمَةَ مَضَى حَزِينًا، لِأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ....»

نلاحظ من خلال ما سبق : أن المسيح لم يقل للسائل : هل تؤمن بعقيدة الفداء والصلب؟ لا ، بل قال له: تشهد أن الله ﷻ وحده هو الإله الصالح (أي: توحّد الله) ، ثم تأتي بوصايا موسى، و بالأعمال الصالحة.

وأخيراً أذكر القارئ بقوله ﷻ: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39) ﴾ (يونس).

رد شبهة: نبيُّ يحرم الحرير والذهب على الرجال !

تساءلوا: لماذا رسولُ الإسلام يحرم الحرير والذهب على الرجال....؟!؟

واستندوا في ذلك على ثلاثة أحاديث :

1- صحيح البخاري كتاب (اللباس) باب (خواتيم الذهب) برقم 5414 عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - يقول : نهانا النبي ﷺ عن سبع نهانا عن خاتم الذهب أو قال: حلقة الذهب وعن الحرير والإستبرق والديباج والميثره الحمراء والقسي وأنية الفضة وأمرنا بسبع بعبادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ورد السلام وإجابة الداعي وإبرار المقسم ونصر المظلوم.

3- الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم 4394 عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه وأخذ ذهباً فجعله في شماله ثم قال : " إن هذين حرام على ذكور أمتي " .

2- سنن الترمذي كتاب (اللباس عن رسول الله ﷺ) باب (ما جاء في الحرير والذهب) برقم 1642 عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : " حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لئنائهم " . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح.

الرد على الشبهة

أولاً: إن محمداً ﷺ جاء بشريعة تهتم بتمام الكمال للجنسين والفصل بينهما ... تدلل على ذلك أدلة منها:

1- صحيح البخاري برقم 5435 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: " لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ ".

2- صحيح الجامع برقم 5103 قال ﷺ: " لعن الله المخنثين من الرجال و المترجلات من النساء ".

3- أمر ﷺ بإطلاق اللحية لعدم التشبه بالنساء ... وذلك في صحيح مسلم برقم 381 عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ أَمَرَ بِإِحْفَاءِ الشَّوَارِبِ وَإِعْفَاءِ اللَّحْيَةِ .

4- لما مدح القرآن أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم وصفهم بأنهم رجال؛ قال ﷺ: ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب 23) .

وقال ﷺ: ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (النور 37) . ولم يقل ﷺ عنهم: بأنهم ذكور....

5- كان النبي ﷺ يوصي أصحابه ﷺ بالخشونة ويعظهم بأن النعمة لا تدوم ؛ فخرج ﷺ جيلاً لم تعرف البشرية جيلاً مثله، وهو جيل أصحابه ﷺ حتى صاروا أفضل البشر بعد الأنبياء؛ فسادوا العالم بعد تدميرهم إمبراطورتي الفرس والروم ؛ وقد صرح بذلك ﷺ كما

عند البخاري في صحيحه برقم 3378 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : " خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ " .

ثانياً: إنَّ الردَّ على سؤالهم الذي يقول: لماذا حرم النبي صلى الله عليه وسلم الحرير و الذهبَ على الرجال ؟ ردُّ بسيطٌ أقولُ فيه : إنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم لم يُحرِّمهما من تلقاء نفسه؛ وإنما حرَّمهما بوحي من الله صلى الله عليه وسلم ... قال صلى الله عليه وسلم : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: 4) .

المعنى: ما القرآن وما السنة إلا وحي من الله صلى الله عليه وسلم إلى نبيه صلى الله عليه وسلم....

وأما عن حكمة تحريم الحرير والذهب للرجال فهي أن طبيعة الرجل الصلابة والقوة ، والإسلام يريد أن يربي الرجال تربيةً بعيدةً عن مظاهر الضعف، وبعيدةً أيضاً عن مظاهر الترف الذي يحاربه الإسلام ويعدّه مظهراً من مظاهر الظلم الاجتماعي، وذلك حتى يكون الرجلُ المسلمُ قادراً على الكفاح والانتصار في معارك الحياة ، وميادين القتال أيضاً إذا دُعي إلى ذلك لما فيه نصرٌ لدينِ الله.... ولما كان التزين بالذهب وارتداء الحرير يُعدان من مظاهر الترف فقد حرَّمهما الإسلامُ على الرجال؛ ولكنه أباحهما للمرأة مراعاة لمقتضى أنوثتها وما فطرت عليه من طبيعة حبها للزينة.....

وقد ذكر الإمام الذهبي - رحمه الله - في كتابه الكبائر أن لبس الحرير والذهب للرجال من الكبائر.

ثالثاً: إن سؤالا يطرح نفسه هو: هل لو لبس الرجل الحرير أو الذهب حرام مطلقاً في كل الأحوال ؟

قلتُ : إن هناك قاعدة عظيمة تقول : "إن الضرورات تبيح المحظورات "؛ وعليها فيجوز لبس الحرير في حالات معينة ،مثل: من به حكة جلدية، أو جرب ،أو أمراض جلدية أخرى ستستدعي ذلك.. ، وذلك يجوز لباسه للمقاتلين عند لقائهم العدو مما يسهل عدم الإمساك به والإفلات من المقاتل أثناء قتاله... وقد جاءت الأدلة الدامغة على ذلك كما يلي:

1- صحيح البخاري برقم 5391 عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ لِلرَّبِيرِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي لُبْسِ الْحَرِيرِ لِحِكَّةٍ بِهِمَا " .

2- صحيح سنن ابن ماجه للألباني برقم 3592 عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَلِلزَّبِيرِ بِنَشِ الْعَوَامِ فِي قَمِصِ الْحَرِيرِ فِي السَّفَرِ مِنْ حِكَّةٍ كَانَتْ بِهِمَا " .

وأما عن الذهب لو دعت الضرورة للباسه فلا مانع.... مع أن الأبحاث العلمية أثبتت أنه يُضعف الجنس عند الرجل.... فلم ينهانا محمد ﷺ عن شيء إلا وفيه ضرر لنا ﷺ ...

ثبت في صحيح مسلم برقم 3897 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى خَاتِمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ : " يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ " فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ " . قَالَ : " لَا وَاللَّهِ لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " .

نلاحظ: قمة الامتثال من الصحابة رضي الله عنهم لأمر النبي ﷺ ، ومحبتهم له ، وأنهم يوقنون أن في أوامره الخير الكثير

قال النووي - رحمه الله - في شرحه : وَأَمَّا قَوْلُ صَاحِبِ هَذَا الْخَاتَمِ حِينَ قَالُوا لَهُ : خُذْهُ لَا آخِذَهُ ، وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَفِيهِ الْمُبَالَغَةُ فِي امْتِنَالِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ ، وَعَدَمِ التَّرَخُّصِ فِيهِ بِالتَّأْوِيلَاتِ الضَّعِيفَةِ . ثُمَّ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ إِنَّمَا تَرَكَ الْخَاتَمَ عَلَى سَبِيلِ الْإِبَاحَةِ لِمَنْ أَرَادَ أَخْذَهُ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ ، وَحِينَئِذٍ يَجُوزُ أَخْذُهُ لِمَنْ شَاءَ ، فَإِذَا أَخْذَهُ جَازَ تَصَرُّفُهُ فِيهِ . وَلَوْ كَانَ صَاحِبُهُ أَخْذَهُ لَمْ يَحْرَمْ عَلَيْهِ الْأَخْذُ وَالتَّصَرُّفُ فِيهِ بِالْبَيْعِ وَغَيْرِهِ ، وَلَكِنْ تَوَرَّعَ عَنْ أَخْذِهِ وَأَرَادَ الصَّدَقَةَ بِهِ عَلَى مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَنْهَهُ عَنِ التَّصَرُّفِ فِيهِ بِكُلِّ وَجْهِ ، وَإِنَّمَا نَهَاَهُ عَنِ لُبْسِهِ ، وَبَقِيَ مَا سِوَاهُ مِنْ تَصَرُّفِهِ عَلَى الْإِبَاحَةِ . اهـ

رابعاً: إنني أعجب كلَّ العجب من المعترضين هم ينكرون على نبيٍّ مكرم بأنه كان يأمر أتباعه من الرجال بعدم لبس الحرير والذهب للتخشن بدل من (النعومة)....

وعلى هذا اتسأل عدة أسئلة :

- 1- هل انتكست فطرتهم كي يعتبرون كمال الرجولة والتخشن نقصاً ؟!
- 2- هل عندهم في كتابهم المقدس تعاليم مثلما في هذا الحديث حتى يكونوا رجالاً ؟!
- 3- هل سألوا أنفسهم ما هو شعور الفقير الذي هو معهم في العمل أو من جيرانهم لما ينظر إلى أيديهم وهي مكسوة بالخواتم الذهبية.... والسلاسل على الرقبة فهل هذا من الخلق الكريم ؟!

رد شبهة: نبي يأخذ الجزية !

قالوا: رسول الإسلام جاء بآية تدعو لقتال كل أهل الكتاب، ثم أخذ الجزية منا ، ونحن أذلاء صاغرون ... فهل هذه هي أخلاق النبوة؟! وذكروا قول الله ﷻ : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (التوبة 29).

الرد على الشبهة

أولاً: إن الآية الكريمة التي استدل بها المعترضون على شبهتهم أشكل عليهم فهمها ؛ حيث إن الله ﷻ يقول : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (التوبة 29) .

فالآية الكريمة لا تأمر بقتال كل أهل الكتاب ، ولكن لها فهم معين يتضح بفهم حرف واحد منها هو (من) وهذا ملاحظ من قوله ﷻ : " مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ " . أي: ليس كل أهل الكتاب؛ لأن (من) هنا تفيد التبعية.....

وبالتالي يصبح المعنى :قاتلوا فئة معينة من أهل الكتاب ، وهذا واضح من سيرة النبي ﷺ أنه لم يقاتل كل أهل الكتاب؛ لم يقتل وفد نجران حينما جاءوا إليه بل استقبلهم استقبالا حسنا ، وعلى الرغم ما قالوا سمح لهم بالصلاة ولم يقتلهم

ثم إن محمداً ﷺ جاء بقرآن يقول فيه ربه ﷻ يقول : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة 8) .

جاء في التفسير الميسر: لا ينهاكم الله - أيها المؤمنون - عن الذين لم يقاتلوكم من الكفار بسبب الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تكرموهم بالخير، وتعبدوا فيهم بإحسانكم إليهم وبرّكم بهم. إن الله يحب الذين يعدلون في أقوالهم وأفعالهم . أه
وعليه فإن ما سبق يبطل ادعاء المعترضين الأول الذي فيه: أن رسول الإسلام جاء بآية تدعو لقتال كل أهل الكتاب

ثانياً : إن الصحابة رضي الله عنهم حينما قاموا بعرض الإسلام على الدول التي لم تسلم إلى الله ﷻ حتى يأخذوا بأيديهم من نار جهنم إلى جنة الرحمن حال طواغيت الكفر بينهم وبين ما يدعون إليه، وبالتالي كان لازماً عليهم أن يخبروهم بين ثلاثة أمور: الإسلام ، أو الجزية ، أو القتال ؛ فهم يقاتلون الحكومات التي تصدهم عن دعوتهم إلى الله تعالى ، وتبليغ دين الله للناس حتى ينقذهم من الجحيم ، ويكون ذلك سبباً في رضا الربّ الكريم ، وهذا يسمى بجهاد الطلب ، وهو المشار إليه في الآية الكريمة ، وقد أسلفنا الحديث في الرد على شبهة : (أمرت أن أقاتل الناس) فهو كالأية.

وبالتالي لو سمحت الحكومات المتجبرة بأن يدخل الدعاة إلى بلادهم ويدعون الناس لدين الله لتوقفوا عما سبق بيانه ؛ ما حدث قتال.... ولكن هذا لم يحدث ، وأما الدليل على ما سبق ذكره هو في صحيح مسلم برقم 3261 عن بريدة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ : " اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْتَلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خَصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيُّنَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكَفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكَفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى النَّحُولِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلِّهِمُ الْجَزِيَّةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكَفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ

وَقَاتِلْهُمْ وَإِذَا حَاصِرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخَفِّرُوا ذِمَّتَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخَفِّرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ وَإِذَا حَاصِرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا .

وعليه : فهذه هي سنة نبينا ﷺ التي فيها الرحمة بالأعداء وفي دعوتهم وتخيرهم ، وليس الهدف القتل والتشفي والتعطش للدماء كما هو حال الاحتلال الأمس واليوم لبلاد المسلمين ؛ فالتاريخ شاهد على ذلك أمين ...

ثالثاً : إن معنى الجزية في الإسلام يختلف كلياً عما في خيالهم ؛ هي ضريبة مالية تفرض على غير المسلمين الذين اجتمعت فيهم الصفات الآتية :
أولاً : لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر إيماناً صحيحاً يرتضيه ربنا ﷻ .

ثانياً : لا يحرمون ما حرم الله ورسوله ؛ لا يتبعون شرعه في تحريم المحرمات

ثالثاً : لا يدينون بالدين الصحيح ، وهو دين محمد ﷺ دين كل الأنبياء والرسل دين الإسلام

جاء التعريف السابق من قوله ﷺ: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (التوبة:29).

ثم إن الجزية تسقط عن الصبي ، و المرأة ، والمجنون ، والأعمى ، والمريض ، والشيخ الكبير ، والفقير، والمحارب العبد الذي لا يملك مالا

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره (ج 8 / ص 112) : قال علماؤنا - رحمة الله عليهم - : والذي دل عليه القرآن أن الجزية تؤخذ من الرجال المقاتلين ؛ لأنه تعالى قال : " قَاتِلُوا الَّذِينَ " إلى قوله : " حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ " فيقتضي ذلك وجوبها على من يقاتل . ويدل على أنه ليس على العبد وإن كان مقاتلاً ، لأنه لا مال له ، ولأنه تعالى قال : " .

حتى يعطوا " . ولا يقال لمن لا يملك حتى يعطي . وهذا إجماع من العلماء على أن الجزية إنما توضع على جماجم الرجال الأحرار البالغين ، وهم الذين يقاتلون دون النساء والذرية والعبيد والمجانين المغلوبين على عقولهم والشيخ الفاني . أهـ

يوضح ما سبق قوله ﷺ : ﴿ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُفَانِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۖ ﴾ (النساء90).

وعليه فإن الجزية لا تؤخذ إلا من المقاتل فقط ، وإن كان هناك عبدٌ مملوكٌ فقيرٌ لا تؤخذ منه.....

رابعاً : إن قيل : ما هي مقدار الجزية التي يأخذها المسلمون من المقاتلين ؟

قلتُ : دينار واحد في العام يدفع في مقابل إصلاح الطرق ، وتسهيل المواصلات ، وإنشاء الكباري ، وتقديم الخدمات الأخرى ، وكذلك حمايته فهو يشارك في قتال

جاء في تفسير القرطبي - رحمه الله- (ج 8 / ص 112) قال : لم يذكر الله ﷻ في كتابه مقدارا للجزية المأخوذة منهم. وقد اختلف العلماء في مقدار الجزية المأخوذة منهم، فقال عطاء بن أبي رباح: لا توقيت فيها، وإنما هو على ما صولحوا عليه. وكذلك قال يحيى بن آدم وأبو عبيد والطبري، إلا أن الطبري قال: أقله دينار وأكثره لا حد له. واحتجوا بما رواه أهل الصحيح عن عمرو بن عوف: أن رسول الله ﷺ صالح أهل البحرين على الجزية. وقال الشافعي: دينار على الغني والفقير من الأحرار البالغين لا ينقص منه شيء واحتج بما رواه أبو داود وغيره عن معاذ: أن رسول الله ﷺ بعثه إلى اليمن وأمره أن يأخذ من كل حالم دينارا في الجزية.

قال الشافعي : وهو المبين عن الله تعالى مراده. وهو قول أبي ثور. قال الشافعي: وإن صولحوا على أكثر من دينار جاز، وإن زادوا وطابت بذلك أنفسهم قبل منهم. وإن صولحوا على ضيافة ثلاثة أيام جاز، إذا كانت الضيافة معلومة في الخبز والشعير والتبن والادام ، وذكر ما على الوسط من ذلك وما على الموسر وذكر موضع النزول والكن من البرد والحر ... أهـ

وأما بالنسبة لحال المسلم فهو يدفع أموالاً أكثر من هذه بكثير؛ المسلم يدفع الزكاة في كل عام ، ويتصدق ، وكذلك أموال النذر... . وقد أوصى نبينا ﷺ بأهل الذمة خيراً ، وذلك في سنن أبي داود برقم 2654 قَالَ ﷺ : " أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِداً أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئاً بغيرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " . صححه الألباني في سنن أبي داود برقم 3052.

خامساً : إن قولهم الذي يعبر عن فهمهم : " ثم أخذ الجزية منا ونحن أذلاء صاغرون ! " هو فهم معوج للآية الكريمة التي يقول فيها ﷺ : " وهم صاغرون " ؛ **المعنى :** أنهم أذلاء منقادون لحكم الإسلام ، وهذا ما قاله الجلالان في تفسيريهما ، وابن كثير في تفسيره وغيرهم، **وبالتالي** فإننا نحن - المسلمين - أذلاء منقادون لحكم الإسلام يتحكم فينا الشرع فنحكم به ونحكم به ، وعليه سوف يكون لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

أو يكون المعنى هو : أنهم مع استمرارهم لدفع الجزية ، ومعاشرتهم المسلمين قد يسلمون في المستقبل بعد ذلك فيكونوا أخوة لهم فيصبحوا جميعاً منقادون لحكم الإسلام ، وبذلك تزول الشبهة - بفضل الله ﷻ - .

سادساً : إن الإجابة على السؤال الذي طرحه المعترضون وفهمت منه: هل قتال الناس وأخذ الجزية منهم من أخلاق النبوة... ؟

قلتُ : أجيب رغم شعوري بالهمز من طرحهم وأقول : إن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد يحث على ضرورة أخذ الجزية ، وأكد لنا أنها من أخلاق الأنبياء ؛ لأن الرب ﷻ أمر أنبياءه بقتال الناس وأخذ الجزية ، وذلك في عدة مواضع من الكتاب المقدس منها:

أولاً : **العهد الجديد :** فيه نجد أن بولس الرسول أكد على ضرورة أخذها ... وذلك في رسالته إلى أهل رومية إصحاح 13 عدد 7 فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حَقُوقَهُمْ: الْجِزْيَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِزْيَةُ. الْجَبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجَبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالْإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الْإِكْرَامُ.

ونجد أن يسوع أوصي بدفع الجزية للقيصر ، وذلك لما سُئل عنها ... وذلك في الآتي

:

1- إنجيل مرقس إصحاح 12 عدد 13¹³ ثُمَّ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ قَوْمًا مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ وَالْهِيرُودُسِيِّينَ لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ. 14¹⁴ فَلَمَّا جَاءُوا قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَلَا تَبَالِي بِأَحَدٍ، لَأَنَّكَ لَا تَنْتَظِرُ إِلَى وَجْهِ النَّاسِ، بَلْ بِالْحَقِّ تَعْلَمُ طَرِيقَ اللَّهِ. أَيْجُوزُ أَنْ تُعْطِيَ جِزْيَةً لِقَيْصَرَ أَمْ لَا؟ نُعْطِي أَمْ لَا نُعْطِي؟» 15¹⁵ فَعَلِمَ رِيَاءَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي؟ ابْتَئُونِي بِدِينَارٍ لِأَنْظُرَهُ.» 16¹⁶ فَأَتَوْا بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَنْ هَذِهِ الصُّورَةُ وَالْكَتَابَةُ؟» فَقَالُوا لَهُ: «لِقَيْصَرَ.» 17¹⁷ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ.» فَتَعَجَّبُوا مِنْهُ.

3- إنجيل لوقا إصحاح 20 عدد 22²² أَيْجُوزُ لَنَا أَنْ نُعْطِيَ جِزْيَةً لِقَيْصَرَ أَمْ لَا؟» 23²³ فَشَعَرَ بِمَكْرِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي؟» 24²⁴ أَرُونِي دِينَارًا. لِمَنْ الصُّورَةُ وَالْكَتَابَةُ؟» فَأَجَابُوا وَقَالُوا: «لِقَيْصَرَ.» 25²⁵ فَقَالَ لَهُمْ: «أَعْطُوا إِذَا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ.» 26²⁶ فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُمْسِكُوهُ بِكَلِمَةٍ قُدَّامَ الشَّعْبِ، وَتَعَجَّبُوا مِنْ جَوَابِهِ وَسَكَتُوا.

4- إنجيل متى إصحاح 22 عدد 17¹⁷ فَقُلْ لَنَا: مَاذَا نَنْظُرُ؟ أَيْجُوزُ أَنْ تُعْطِيَ جِزْيَةً لِقَيْصَرَ أَمْ لَا؟» 18¹⁸ فَعَلِمَ يَسُوعُ خُبْرَهُمْ وَقَالَ: «لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي يَا مُرَاوُونَ؟» 19¹⁹ أَرُونِي مُعَامَلَةَ الْجِزْيَةِ.» فَقَدَّمُوا لَهُ دِينَارًا. 20²⁰ فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَنْ هَذِهِ الصُّورَةُ وَالْكَتَابَةُ؟» 21²¹ قَالُوا لَهُ: «لِقَيْصَرَ.» فَقَالَ لَهُمْ: «أَعْطُوا إِذَا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ.» 22²² فَلَمَّا سَمِعُوا تَعَجَّبُوا وَتَرَكُوهُ وَمَضُوا.

5- إنجيل متى إصحاح 17 عدد 24²⁴ وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى كَفَرْنَاهُومَ تَقَدَّمَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الدَّرْهَمِينَ إِلَى بَطْرُسَ وَقَالُوا: «أَمَا يُوفِي مُعَلِّمُكَمُ الدَّرْهَمِينَ؟» 25²⁵ قَالَ: «بَلَى.» فَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ سَبَقَهُ يَسُوعُ قَائِلًا: «مَاذَا تَنْظُرُ يَا سَمْعَانُ؟ مِمَّنْ يَأْخُذُ مُلُوكُ الْأَرْضِ الْجَبَايَةَ أَوْ الْجِزْيَةَ، أَمْ مِنْ بَنِيهِمْ أَمْ مِنَ الْأَجَانِبِ؟» قَالَ لَهُ بَطْرُسُ: «مِنْ الْأَجَانِبِ.» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «فَإِذَا الْبَنُونَ أَحْرَارٌ. 27²⁷ وَلَكِنْ لِنَا نَعْتَرِهِمْ، أَذْهَبَ إِلَى الْبَحْرِ وَأَلْقِ

صَنَارَةً، وَالسَّمَكَةَ الَّتِي تَطْلُعُ أَوَّلًا خُذَهَا، وَمَتَى فَتَحْتَ فَاهَا تَجِدُ إِسْتَارًا، فَخُذْهُ وَأَعْطِهِمْ عَنِّي وَعَنْكَ».

ثانيًا : العهد القديم : ما أكثر النصوص التي تتحدث عن القتال والجزية
أذكر منها ما يلي:

1- نبيُّ الله موسى ، وذلك في سفر أخبار الأيام الثاني إصحاح 24 عدد 8 وأمر الملكُ فَعَمَلُوا صُنْدُوقًا وَجَعَلُوهُ فِي بَابِ بَيْتِ الرَّبِّ خَارِجًا،⁹ وَنَادَوْا فِي يَهُودَا وَأُورُشَلِيمَ بَأْنَ يَأْتُوا إِلَى الرَّبِّ بِجِزْيَةِ مُوسَى عَبْدِ الرَّبِّ الْمَفْرُوضَةِ عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي الْبَرِّيَّةِ.¹⁰ فَفَرَحَ كُلُّ الرُّوسَاءِ وَكُلُّ الشَّعْبِ وَأَدْخَلُوا وَأَلْقَوْا فِي الصُّنْدُوقِ حَتَّى امْتَلَأَ.

2- سفر التثنية إصحاح 20 عدد 10 «حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ،¹¹ فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ.¹² وَإِنْ لَمْ تُسَالِمَكَ، بَلْ عَمَلْتَ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا.¹³ وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلَيْكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ.¹⁴ وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْنَمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَيْكَ.¹⁵ هَكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ هُنَا.¹⁶ وَأَمَّا مُدُنُ هَؤُلَاءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَيْكَ نَصِيبًا فَلَا تَسْتَبِقِ مِنْهَا نِسْمَةً مَّا،¹⁷ بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا: الْحَنِيِّينَ وَالْأُمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفَرِزِيِّينَ وَالْحَوِثِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلَيْكَ،¹⁸ لِكَيْ لَا يَعْلَمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَاسِهِمِ الَّتِي عَمِلُوا لِأَلِهَتِهِمْ، فَتُخْطِئُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَهُكُمْ.

هكذا قال الربُّ لموسى عليه السلام واترك القاري يتأمل في تلك النصوص مع ملاحظة هذا النص¹¹ فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ.

2- نبيُّ الله يعقوب (إسرائيل) ، وذلك في سفر القضاة إصحاح 1 عدد 28²⁸ وَكَانَ لَمَّا تَشَدَّدَ إِسْرَائِيلُ أَنَّهُ وَضَعَ الْكَنْعَانِيِّينَ تَحْتَ الْجِزْيَةِ وَلَمْ يَطْرُدْهُمْ طَرْدًا.

3- نبيُّ الله يوسف ، وذلك في سفر القضاة إصحاح 1 عدد 35³⁵ فَعَزَمَ الْأُمُورِيُّونَ عَلَى السَّكَنِ فِي جَبَلِ حَارَسَ فِي أَيْلُونٍ وَفِي شَعْلَيْمَ. وَقَوَّيْتُ يَدَ بَيْتِ يُوسُفَ فَكَانُوا تَحْتَ الْجِزْيَةِ.

4- نبيُّ الله هوشع دفع الجزية ، وذلك في سفر الملوك الثاني إصحاح 17 عدد 3³ وَصَعِدَ عَلَيْهِ شَلْمَنْأَسَرُ مَلِكُ أَشُورَ، فَصَارَ لَهُ هُوشَعُ عَبْدًا وَدَفَعَ لَهُ جِزْيَةً.

5- نبيُّ الله يوشع أخذ الجزية ، وذلك في سفر يشوع إصحاح 16 عدد 10¹⁰ فَلَمْ يَطْرُدُوا الْكَنْعَانِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي جَاَزَرَ. فَسَكَنَ الْكَنْعَانِيُّونَ فِي وَسْطِ أَفْرَايِمَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، وَكَانُوا عِبِيدًا تَحْتَ الْجِزْيَةِ.

نلاحظ : أن بني إسرائيل عندما دخلوا بأمر الرب إلى الأرض المقدسة مع نبيهم يشوع ثم أخذوا الجزية من الكنعانيين.

7- نبيُّ الله داود أخذ الجزية ، وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 8 عدد 1 وقهر أيضاً الموابيين وجعلهم يرقدون على الأرض في صفوف متراسة، وقاسمهم بالحبل . فكان يقتل صفيين وبستقي صفاً . فأصبح الموابيين عبيداً لداود يدفعون له الجزية . (ترجمة كتاب الحياة).

بينما نقرأ في ترجمة البروتستانت ¹ وَبَعْدَ ذَلِكَ ضَرَبَ دَاوُدُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَذَلَّلَهُمْ، وَأَخَذَ دَاوُدُ «زِمَامَ الْقَصَبَةِ» مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. ² وَضَرَبَ الْمُوَابِيَّينَ وَقَاسَهُمْ بِالْحَبْلِ. أَضْجَعَهُمْ عَلَى

الأرض، ففأس بحبلين للقتل وبحبل للاستحياء. وصار الموابيون عبيداً لداود يقدمون هدايا.
لا تعليق!

8- نبي الله سليمان أخذ الجزية ، وذلك في سفر الملوك الأول إصحاح 4 عدد 21 يقول النص : " فكانت هذه الممالك تقدم له الجزية وتخضع له كل أيام حياته ". (ترجمة كتاب الحياة).

و نقرأ في (ترجمة الفانديك) : " كانوا يقدمون الهدايا ويخدمون سليمان كل أيام حياته ".
فبحسب ما جاء في ترجمة الحياة نجد أن سليمان ﷺ كان متسلطاً على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر، وكانت هذه الممالك تقدم له الجزية ، وتخضع له كل أيام حياته....

رد شبهة : حد الردة !

أثيرت شبهات حول حد الردة الذي جاء في أحاديث النبي ﷺ التي جاءت في الآتي :

1- صحيح البخاري كتاب (استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم) باب (حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم) برقم 6411 عن عكرمة قال : أتى عليّ ﷺ بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ: لا تعذبوا بعذاب الله ، ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: " من بدل دينه فاقتلوه " .

-2

2- صحيح البخاري كتاب (الدييات) باب قول الله تعالى : { أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } برقم 6370 عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ﷺ إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الراني والمارق من الدين التارك للجماعة " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الإسلام نظام متكامل تحكمه شريعته الخاصة به ؛ شريعة أرحم الراحمين فإذا أرتد مسلم عن دينه لا شك أنه سيدعو إلى دينه الجديد الذي سيؤدي في النهاية إلى تشتيت المجتمع الإسلامي الذي يقوم أساساً على العقيدة والإيمان

وبالتالي فإن المرتد سوف يقوم بنشر الفتن بداخله بإلقاء الشبهات على أفرادهِ ودعم عدوه ... مما يهدد أمن و استقرار المجتمع....

ثم إن الردة تغير للولاء وتبديل للهوية وتحويل للانتماء؛ فالمرتد ينقل ولاءه وانتماءه من المجتمع الإسلامي إلى مجتمع كافر فهو يخلع نفسه من المجتمع الإسلامي، ويمرق بعدها من دينه كما وصفه النبي ﷺ قائلاً: " **وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ** "

واتساءل: أليست الردة التي قمت بوصفها (خيانة عظمي) ؟

الجواب : بلى .

إذاً يبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو : ما هي عقوبة الخيانة العظمي في كلِّ الأعراف والقوانين ؟ **الجواب:** القتل ، وهذا لا يختلف عليه أحدٌ عاقلٌ قط ؛ لذا صدق النبي ﷺ في قوله : " **مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ** "

قلتُ : **بالمثال يتضح المقال :** لو أن هناك مصرياً ترك جنسيته وعمل لصالح العدو الإسرائيلي ؛ ينقل أخبار مصر له ، وينشر الفتن داخل المجتمع المصري ، ويهدد أمنه واستقراره ، ويساعد العدو الإسرائيلي على غزوه للقضاء على قوميته وشعبه.... إلا يستحق هذا المرتد عن مصر القتل بعقوبة الخيانة العظمي ؟

الجواب: بلى ؛ جاء في قانون العقوبات المصري في المادة 77 : يعاقب بالإعدام كل من ارتكب عمداً فعلاً يؤدي إلى المساس باستقلال البلاد أو وحدتها ، أو سلامة أراضيها ...

وعليه : فإن التهاون في عقوبة المرتد المعلن لردته يعد خطراً على المجتمع كله ، ويفتح عليه باب فتنة لا يعلم عواقبها إلا الله ﷻ ؛ فقد نجد حروب أهلية تأكل الأخضر واليابس ...

ثانياً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه هو : هل يقتل الإمام أو الحاكم المرتد إذا أرتد مباشرة أم يذكره بالله ﷻ ، ويجلس معه ليدفع عنه الشبهات التي وقرت في قلبه بعد أن أصبحت عنده عقيدة ؟

الجواب: لا يقتله إلا بعد الاستتابة ، ودفع الشبهات عنه التي أحاطت به

قال الدكتور علي جمعه في كتاب : (حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين) :

وجمهور الفقهاء قالوا بوجوب استتابة المرتد قبل تنفيذ العقوبة فيه بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية هو إجماع الصحابة ﷺ وبعض الفقهاء حددها بثلاثة أيام وبعضهم بأقل وبعضهم بأكثر ومنهم من قال يُستتاب أبداً ، واستثنوا من ذلك الزنديق ؛ لأنه يظهر خلاف ما يبطن فلا توبة له وكذلك ساب الرسول ﷺ لحرمة رسول الله وكرامته فلا تقبل منه توبة وألف ابن تيمية كتاباً في ذلك أسماه " الصارم المسلول على شاتم الرسول .

والمقصود بهذه الاستتابة إعطاؤه فرصة ليراجع نفسه عسى أن تزول عنه الشبهة وتقوم عليه الحجة ويكلف العلماء بالرد على ما في نفسه من شبهة حتى تقوم عليه الحجة إن كان يطلب الحقيقة بإخلاص وإن كان له هوى أو يعمل لحساب آخرين ، يوليه الله ما تولى . اهـ

قُلْتُ : إن النبي استتاب نيهان أربع مرات، وذلك في سنن البيهقي (ج 8 / ص 197):
عن عبد الله بن عبيد بن عمير أن رسول الله ﷺ استتاب نيهان أربع مرات وكان نيهان
ارتد (قال سفيان) : وقال عمرو بن قيس : عن رجل عن إبراهيم أنه قال: المرتد يستتاب
أبداً كلما رجع (قال ابن وهب) : وقال لي مالك ذلك أنه يستتاب كلما رجع .

وبالتالي : فإن أختار المرتد الردة فهو الظالم لنفسه فما ظلمه الله ﷻ ولكن كان من
الظالمين ، وأما إن تاب إلى الله تاب الله عليه وعفا عنه والله غفور رحيم ، يقبل التوب
ويستر العيب للتائبين ﷻ.

ثم إن الحديث لا يؤخذ على إطلاقه ؛فليس كل من ارتد عن الإسلام يقتل ، فمثلاً : المكره
على الردة لا يقتل ولا أثم عليه كما كان من عمار بن ياسر ؓ في قصته المعروفة ؛
يقول ﷺ : «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ
شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (106) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ
عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (108) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ
الْخَاسِرُونَ (109) (النحل) .

وكذلك المجنون أو المصاب بمرض انفصام الشخصية ، أو بمرض نفسي آخر.... إذا
أرتد عن الإسلام فإنه لا يقتل ولا أثم عليه لعدة أدلة منها :

1- سنن أبي داود برقم 3825 عَنْ عَلِيٍّ ؓ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ
عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ وَعَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ " .
قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم 3513 في صحيح الجامع.

3- بَوَّبُ الْبَخَارِيِّ بِأَبَا بَعْنَانٍ : بَابٌ لَا يُرْجَمُ الْمَجْنُونُ وَالْمَجْنُونَةُ وَقَالَ عَلِيٌّ: لَعُمَرَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْقَلَمَ رُفِعَ عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يُدْرِكَ وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ .

-4

وعليه : فليس كل من بدل دينه يقتل ، فالذي يُقتل هو الذي خرج عن دينه وأعلن عن خروجه للجميع ، وعن هجومه لدينه القديم ... وأما إن أخفى دينه الجديد ولم يعلنه ... فهذا لا يقتل ؛ ثبت ذلك في الآتي :

1- صحيح مسلم برقم 1763 أن النبي ﷺ قال : " إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقُّ بَطُونَهُمْ " .

-2

2- تبويب البيهقي في سننه للحديث " مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَأَقْتُلُوهُ " . قال : باب (قتل من ارتد عن الإسلام إذا ثبت عليه رجلا كان أو امرأة) .

ثالثاً : إن قيل : إن هناك تعارضاً بين الحديثين السابقين (محلاً الشبهة) ، وبين قوله ﷺ : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة 256) .

وقوله ﷺ : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف 29) .

قلتُ: لا يوجد تعارض أبداً فإن هذين الحديثين ليس فيهما أن الإسلام يكره الآخرين على الدخول في الدين ولا يأمر بذلك ؛ فهاتان الآيتان تتحدثان عن عدم إكراه الإنسان على دخوله في الإسلام ، فلا إكراه في الدين ، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر على سبيل الوعيد من ربه...

روى القرطبي في تفسيره (ج3 / ص 280) عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية: أسلمي أيتها العجوز تسلمي، إن الله بعث محمداً بالحق. قالت: أنا عجوز كبيرة والموت إلى قريب ! فقال عمر: اللهم اشهد، وتلا : " لا إكراه في الدين " . أه

إن الحديثان يتحدثان عن شأن المسلم الذي يرتد عن إسلامه ويعلن عن رده ؛ لذا نقول للإنسان الذي يريد أن يدخل في الإسلام : عليك بداسة هذا الدين جيداً ، وأن تدخله عن قناعة تامة ؛ لأنك لو ارتددت عنه بعد دخوله تكون عقوبتك هي (حد الردة) القتل .
فإن قيل : لماذا يقتل إن ارتد بعد دخوله الإسلام ؟

قلتُ : إنه يقتل لسببين :

الأول : حتى لا تكون الأديان العوبة في أيدي أمثال هؤلاء فيقول أحدهم : أنا اليوم مسيحي وغداً مسلم و هكذا.

الثاني : أن من أقوى طرق التصير وتشتيت المسلمين هي أن يصنع أحدهم مسلسلاً يخدع به المسلمين ؛ يدخل في الإسلام ثم يرتد عنه بحجة أنه وجد فيه الأخطاء تلا الأخطاء؛ حتى يتشكك المسلمون في دينهم فيكون هذا سبباً في ردة بعضهم ؛ لكن الله ﷻ أخبرنا عن هذا المسلسل القديم الذي يقومون به اليوم وفي كل يوم قال ﷻ: ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (آل عمران 72) .

جاء في التفسير

الميسر: وقالت جماعة من أهل الكتاب من اليهود: صدقوا بالذي أنزل على الذين آمنوا أول النهار واكفروا آخره؛ لعلهم يتشككون في دينهم، ويرجعون عنه . اهـ

رابعاً : بعد أن أُجِبت - بفضل الله ﷻ - على الشبهة وبيّنتُ عظمة الإسلام في حماية أفرادهِ ورحمته بأنه لا يقتل المرتد إلا بعد الاستتابة والنصح له...

واتسأعل: ليت المعترضين يخبرونني عن الحرية في العقيدة من الكتاب المقدس بخصوص المرتد ألا يوجد فيه حد الردة!؟

الجواب : إن حدة الردة ثابت في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، ولكن بلا استتابة بل القتل مباشرة كما يلي:

أولاً : أبدأ بالعهد الجديد فيه ما يلي :

1- نسب ليسوع المسيح أنه أمر بذبح مخالفه في العقيدة وذلك في إنجيل لوقا إصحاح 19 عدد 27²⁷ أَمَّا أَعدائي، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأَتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَادَّبَهُمْ قُدَّامِي».

-2

قلتُ : إن الواضح من النص أن من لم يتبع دين يسوع يقتل بالذبح
واتسأعل : هل هذا ذبح محبة أم ماذا!؟

قلت : ولكن هذا لم يحدث من يسوع المسيح قط من باب الأنصاف (مجرد كلام).

3- الرسالة إلى العبرانيين إصحاح 10 عدد 28²⁸ مَنْ خَالَفَ نَامُوسَ مُوسَى فَعَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ شُهُودٍ يَمُوتُ بِدُونِ رَأْفَةٍ.

ثانياً : العهد القديم : نجد فيه نصوص كثيرة تتحدث عن حد الردة وقبل أن اذكرها أقول: إن عقيدة المعتضدين تنص على أن الرب يسوع رب العهد الجديد هو نفسه رب العهد القديم ؛ لأنه إله أزلي ؛ جاء حد الردة في الآتي :

1- سفر التثنية إصحاح 13 عدد 6 إلى 10 يقول الرب : ⁶ «وَإِذَا أَغْوَاكَ سِرّاً أَخُوكَ ابْنُ أُمِّكَ، أَوْ ابْنُكَ أَوْ ابْنَتُكَ أَوْ امْرَأَةً حَضَنَكَ، أَوْ صَاحِبَكَ الَّذِي مِثْلَ نَفْسِكَ قَائِلاً: نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ إِلَهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلَا آبَاؤُكَ ⁷ مِنْ إِلَهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَكَ، الْقَرِيبِينَ مِنْكَ أَوِ الْبَعِيدِينَ عَنْكَ، مِنْ أَقْصَاءِ الْأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا، ⁸ فَلَا تَرْضَ مِنْهُ وَلَا تَسْمَعْ لَهُ وَلَا تُشْفِقْ عَيْنَكَ عَلَيْهِ، وَلَا تَرْقُ لَهُ وَلَا تَسْتُرَهُ، ⁹ بَلْ قَتَلًا تَقْتُلُهُ. يَدُكَ تَكُونُ عَلَيْهِ أَوَّلًا لِقَتْلِهِ، ثُمَّ أَيْدِي جَمِيعِ الشَّعْبِ أَخِيراً. ¹⁰ تَرْجُمُهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ....

-2

وبالنظر إلى ترجمة كتاب الحياة نقراً : " وَإِذَا أَضَلَّكَ سِرّاً أَخُوكَ ابْنُ أُمِّكَ، أَوْ ابْنُكَ أَوْ ابْنَتُكَ، أَوْ زَوْجَتُكَ الْمَحْبُوبَةُ، أَوْ صَدِيقُكَ الْحَمِيمُ قَائِلاً: لِنَذْهَبْ وَنَعْبُدُ إِلَهَةً أُخْرَى غَرِيبَةً عَنْكَ وَعَنْ آبَائِكَ ⁷ مِنْ إِلَهَةِ الشُّعُوبِ الْأُخْرَى الْمُحِيطَةِ بِكَ أَوِ الْبَعِيدَةِ عَنْكَ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ إِلَى أَقْصَاها، ⁸ فَلَا تَسْتَجِبْ لَهُ وَلَا تَصْنَعْ إِلَيْهِ، وَلَا يَشْفِقْ قَلْبُكَ عَلَيْهِ، وَلَا تَتَرَفَّفَ بِهِ، وَلَا تَتَسَتَّرَ عَلَيْهِ. بَلْ حَتَمًا تَقْتُلُهُ. كُنْ أَنْتَ أَوَّلَ قَاتِلِيهِ، ثُمَّ يَعْقِبُكَ بَقِيَّةُ الشَّعْبِ. ارْجُمُهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ.....".

3- سفر الخروج إصحاح 32 عدد ²⁶ وَقَفَ مُوسَى فِي بَابِ الْمَحَلَّةِ، وَقَالَ: «مَنْ لِلرَّبِّ فَالِيٌّ». فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمِيعُ بَنِي لَأوِي. ²⁷ فَقَالَ لَهُمْ: «هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَمُرُّوا وَارْجِعُوا مِنْ بَابِ إِلَى بَابِ فِي الْمَحَلَّةِ، وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ». ²⁸ فَفَعَلَ بَنُو لَأوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافٍ رَجُلًا. ²⁹ وَقَالَ

مُوسَى: «أَمَلُوا أَيُّدِيَكُمْ لِلرَّبِّ، حَتَّى كُلَّ وَاحِدٍ بَابْنِهِ وَبِأَخِيهِ، فَيُعْطِيَكُمْ الْيَوْمَ بَرَكَةً».

-4

وبالنظر إلى ترجمة كتاب الحياة نقراً : " فَأَطَاعَ اللاويُّونَ أَمْرَ مُوسَى فَقَتَلَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوَ ثَلَاثَةِ آلَافٍ رَجُلٍ 29عندئذ قال موسى للاويين: «لقد كرستم اليوم أنفسكم لخدمة الرب، وقد كلف ذلك كل واحد منكم قتل ابنه أو أخيه، ولكن لينعم عليكم الرب في هذا اليوم ببركة» "

نلاحظ : أن الرب أمر نبيه موسى ﷺ بقتل عبدة العجل من بني لاوي فقتل منهم 23 ألف رجل

4- سفر التثنية إصحاح 13 عدد 1¹ «إِذَا قَامَ فِي وَسْطِكَ نَبِيٌّ أَوْ حَالِمٌ حُلْمًا، وَأَعْطَاكَ آيَةً أَوْ أُعْجُوبَةً،² وَلَوْ حَدَّثْتَ الْآيَةَ أَوْ الْأُعْجُوبَةَ الَّتِي كَلَّمَكَ عَنْهَا قَائِلًا: لِنَذْهَبْ وَرَاءَ إِلَهِةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا وَنَعْبُدْهَا،³ فَلَا تَسْمَعْ لِكَلَامِ ذَلِكَ النَّبِيِّ أَوْ الْحَالِمِ ذَلِكَ الْحُلْمَ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ يَمْتَحِنُكُمْ لِكَيْ يَعْلَمَ هَلْ تُحِبُّونَ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ.⁴ وَرَاءَ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ تَسِيرُونَ، وَإِيَّاهُ تَتَّقُونَ، وَوَصَايَاهُ تَحْفَظُونَ، وَصَوْتَهُ تَسْمَعُونَ، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُونَ، وَبِهِ تَلْتَصِقُونَ.⁵ وَذَلِكَ النَّبِيُّ أَوْ الْحَالِمُ ذَلِكَ الْحُلْمَ يَقْتُلُ، لِأَنَّهُ تَكَلَّمَ بِالزَّيْغِ مِنْ وَرَاءِ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ، لِكَيْ يَطَوِّحَكُمْ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَمَرَكُمُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ أَنْ تَسْلُكُوا فِيهَا. فَتَنْزِعُونَ الشَّرَّ مِنْ بَيْنِكُمْ.

-5

نلاحظ من النصوص : أن لو دعا نبي إلى عبادة غير الله يقتل وإن كان ذا معجزات عظيمة

5- سفر هوشع إصحاح 13 عدد 16¹⁶ تُجَاوِزِ السَّامِرَةَ لِأَنَّهَا قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلَهِهَا. بِالسَّيْفِ يَسْقُطُونَ. تَحْطُمُ أَطْفَالُهُمْ، وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ..

-6

6- سفر الخروج إصحاح 22 عدد 20²⁰ مَنْ ذَبَحَ لِإِلَهِةٍ غَيْرِ الرَّبِّ وَحْدَهُ، يُهْلِكُ.

7- سفر التثنية إصحاح 17 عدد 2² «إِذَا وَجِدَ فِي وَسْطِكَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً يَفْعَلُ شَرًّا فِي عَيْنِي الرَّبِّ إِلَهُكَ بِتَجَاوُزِ عَهْدِهِ،³ وَيَذْهَبُ وَيَعْبُدُ إِلَهَةً أُخْرَى وَيَسْجُدُ لَهَا، أَوْ لِلشَّمْسِ أَوْ لِلْقَمَرِ أَوْ لِكُلِّ مِنْ جَنْدِ السَّمَاءِ، الشَّيْءَ الَّذِي لَمْ أُوصِ بِهِ،⁴ وَأُخْبِرْتَ وَسَمِعْتَ وَفَحَصْتَ جَيِّدًا وَإِذَا الْأَمْرُ صَحِيحٌ أَكِيدُ. قَدْ عَمِلَ ذَلِكَ الرَّجْسُ فِي إِسْرَائِيلَ،⁵ فَأَخْرَجَ ذَلِكَ الرَّجُلَ أَوْ تِلْكَ الْمَرْأَةَ، الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ الْأَمْرَ الشَّرِيرَ إِلَى أَبْوَابِكَ، الرَّجُلَ أَوْ الْمَرْأَةَ، وَارْجَمَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ.⁶ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ شُهَدَاءٍ يُقْتَلُ الَّذِي يُقْتَلُ. لَا يُقْتَلُ عَلَى فَمِ شَاهِدٍ وَاحِدٍ.⁷ أَيْدِي الشُّهُودِ تَكُونُ عَلَيْهِ أَوَّلًا لِقَتْلِهِ، ثُمَّ أَيْدِي جَمِيعِ الشَّعْبِ أَخِيرًا، فَتَنْزَعُ الشَّرُّ مِنْ وَسْطِكَ.

7- سفر الملوك الأول إصحاح 18 عدد 17 إلى 40 فيه أن إيليا ذبح في وادي قيشون 450 رجلاً من الذين كانوا يدعون نبوة البعل....²² ثُمَّ قَالَ إِيلِيَّا لِلشَّعْبِ: «أَنَا بَقِيْتُ نَبِيًّا لِلرَّبِّ وَحْدِي، وَأَنْبِيَاءُ الْبَعْلِ أَرْبَعُ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ رَجُلًا.....⁴⁰ فَقَالَ لَهُمْ إِيلِيَّا: «أَمْسِكُوا أَنْبِيَاءَ الْبَعْلِ وَلَا يَفْلِتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ». فَأَمْسَكُوهُمْ، فَنَزَلَ بِهِمْ إِيلِيَّا إِلَى نَهْرِ قَيْشُونَ وَذَبَحَهُمْ هُنَاكَ. نلاحظ : أن فعل إِيلِيَّا هو نفس الكلام المنسوب ليسوع المسيح في إنجيل لوقا : " فَأَتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَادَّبَحُوهُمْ قَدَّامِي ".

واتساءل : لو جاءت تلك النصوص في القرآن الكريم ماذا يقول عنها المعترضون !؟

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه بعد هذا الطرح هو: أين الحرية في اختيار العقيدة من الكتاب المقدس !؟

الجواب : لا توجد ، وأقول للمعترضين كما قال يسوع المسيح في إنجيل متى إصحاح 7 عدد 4⁴ كَيْفَ تَقُولُ لِأَخِيكَ: دَعْنِي أَخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ، وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ؟⁵ يَا مُرَائِي، أَخْرِجْ أَوَّلًا الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تَبْصُرُ جَيِّدًا أَنْ تَخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ!

رد شبهة : حد الزنا !

قالوا : لقد حكم محمدٌ رسول الإسلام بإهدار آدمية الإنسان حينما أمر بجلده على مرائي ومسمع من الناس ؟ ووصلت الوحشية إلى قسوتها حيث يُلقى بالإنسان في حفرة ثم تتناوله الأيدي رجماً بالحجارة إلى أن يموت فأين الرحمة التي تتحدثون عنها ؟ كل ذلك لأنه زنا فقط ..؟!

وتعلقوا بما جاء في الآتي :

1- صحيح مسلم كتاب (الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالْدِّيَّاتِ) بَاب (مَا يُبَاحُ بِهِ دَمُ الْمُسْلِمِ) برقم 3175 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثِ الثُّيَبِ الزَّانِي وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ وَالتَّارِكِ لِدِينِهِ الْمَفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ " .

-2

2- قصة ماعز والغامدية حينما رجمهما النبي ﷺ .

3- جلد الزاني الغير محصن ؛ قوله ﷺ : « الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ » (النور2).

الرد على الشبهة

أولاً : إن مما لا شك فيه أن الرجل يحتاج إلى المرأة ، و المرأة تحتاج إلى الرجل جنسياً وعاطفياً

فهذه فطرة أودعها الله في خلقه ؛ لذا جاء الإسلام بالزواج وجعله من السنن التي لا تتبدل... تدلل على ذلك أدلة منها :

1- قوله ﷺ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم21).

-2

3- قوله ﷺ : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور32) .

-4

3- سنن أبي داود برقم 1808 ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 1842 قال ﷺ :
"خَيْرُ النِّكَاحِ أَيْسَرُهُ" . أي : أفضل الزواج الذي لا يتكلف فيه بتكاليف باهظة لا ضرورة لها...
-4

5- صحيح البخاري برقم 4678 عن عبد الله بن مسعود قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ " .
-6

نلاحظ : أنه ﷺ أوصى بالزواج ثم الصوم ، ولم يرخص ﷺ للزنا ولا للعادة السرية...

ثانياً : إن مما لا شك فيه أن الزنا جريمة من أقبح الجرائم التي عرفت البشرية من لدن آدم ﷺ إلى يومنا هذا فلا تجد إنساناً مهما كانت ملته ، أو ديانته، أو حتى لا يدين بدين ؛ يرضي الزنا لأمه ، أو لابنته ، أو لأخته ، أو لعمته ، أو لخالته... لذا صح عن نبينا ﷺ كما في مسند أحمد برقم 21185 ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 370 عن أبي أمامة ؓ قال: إِنَّ فَتًى شَابَا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: انْذَنْ لِي بِالزَّيْنَةِ فَأَقْبَلَ الْقَوْمَ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ قَالُوا: مَهْ مَهْ فَقَالَ: " ادْنُ " فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لَأُمِّكَ " قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمَمَاتِهِمْ " قَالَ : " أَفَتُحِبُّهُ لَأُخْتِكَ " قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأَخَوَاتِهِمْ " قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لَعَمَّتِكَ " قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَعَمَّاتِهِمْ " قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لَخَالَتِكَ " قَالَ : لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَخَالَاتِهِمْ " قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ .

إننا رأينا في وسائل الإعلام أن من المشاهير من يقتل زوجته وأبنائه ظناً منه أن الأبناء ليسوا من صلبه ! فما أكثر هذه الحالات ! لذا سد الإسلام الأبواب التي تؤدي إلى الزنا ، وهذا من باب (سد الذرائع) ؛ قال ﷺ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء32) .

جاء في التفسير الميسر : ولا تقربوا الزنى ودواعيه ؛ كي لا تقعوا فيه، إنه كان فعلاً بالغ القبح، و بئس الطريق طريقه . اهـ

إذاً : الإسلام أمر بالزواج وتيسيره كما تقدم معنا وأوصى بعدة أمور لاجتناب الزنا منها :

1- أمر بغض البصر عن النساء الأجانب والعكس..... قال ﷺ : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ (النور30-31). وأما حديث :

" النظرُ سهم من سهام إبليس من تركها خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه " .(ضعيف) ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم 1065 .ومعناه صحيح.

-2

3- نهى عن تعطر المرأة عند خروجها من بيتها حتى لا تفتن من حولها ، ويكون ذلك مدعاة للزنا ، وذلك واضح من قوله ﷺ : " أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ " . رواه النسائي برقم 5036 .

-4

3- نهى عن الخضوع بالقول من النساء والتبرج ؛ قال ﷺ : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (32) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ (الأحزاب) .

-4

5- نهى عن مصافحة المرأة الأجنبية ، وذلك في الحديث الذي أخرجه الطبراني، والبيهقي ، وهو مُخرَج في السلسلة الصحيحة برقم 226 عن معقل بن يسار ؓ عن رسول الله ﷺ قال : " لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له " .

5- نهى عن دخول الأقارب على النساء كأخ الزوج وغيره في غياب الزوج ، وذلك في صحيح البخاري برقم 4831 عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِيَّاكُمْ وَالْدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ " فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمَوُ ؟ قَالَ : " الْحَمَوُ الْمَوْتُ " .

الْحَمَوُ : هو أخو الزوج يدخل على زوجة أخيه في غيابه ... فما أكثر تلك الجرائم التي نسمع عنها اليوم وأمس بسبب دخول الأخ في بيت أخيه في غيابه - ولا حول ولا قوة إلا بالله - وغير ذلك من الأمور والنواهي التي أوصى بها الإسلام....

ثالثاً : إن عظم العقوبة التي جاء بها الإسلام تتفق تمام الاتفاق مع عظم جريمة الزنا ؛ هذه الجريمة القبيحة التي يستقبحها الناس ولا يرضونها لأقاربهم كما تقدم معنا ؛ حيث جعل الجلد مائة جلده على مرأى ومسمع من الناس ، مع التغريب مدة سنة كاملة للزاني ؛ الذي لم يتزوج - الغير محصن- ؛ لقوله ﷺ : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النور/2).

جاء في التفسير الميسر : الزانية والزاني اللذان لم يسبق لهما الزواج, عقوبة كل منهما مائة جلدة بالسوط, وثبت في السنة مع هذا الجلد التغريب لمدة عام. ولا تحملكم الرأفة بهما على ترك العقوبة أو تخفيفها, إن كنتم مصدقين بالله واليوم الآخر عاملين بأحكام الإسلام, وليحضر العقوبة عدد من المؤمنين ; تشريعاً وزجراً وعظة واعتباراً . اهـ

وعليه : فإن الزاني الغير محصن لو جلدَ أمام الناسِ سوف يخاف الحاضرون من جريمة الزنا ، وكذلك من سمع عن جلده ، وأما بالنسبة للزاني نفسه فلن يرجع مرة أخرى إلي فعلته هذه فذلك خير له أيضاً...

وأما من كان متزوجاً محصناً وعلى الرغم من ذلك يزني فتكون العقوبة أشد هي: أن يلقي به في حفرة ثم تتناوله الأيدي رجمًا بالحجارة إلى أن يموت ؛ لقول نبينا ﷺ : " لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُّسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي... ". وكذلك فعله ﷺ لما رجم ماعز والغامدية كما في صحيح مسلم برقم 3208 ، 3209 .

وعليه: فلو رجم واحدٌ فقط ما رأينا كثرة حالات الزنا المنتشرة بشراهة في أيامنا هذه ؛ ولازدجر من تسول له نفسه على فعلها خشية أن تصيبه العقوبة مثلما أصابت الزاني المحصن .

وأما بالنسبة للزاني المحصن الذي رجم فذلك خير له ؛لأن الحدود تُسقطُ الذنوبَ ، وهذا من فضل الله ﷻ؛ والدليل على ذلك ما ثبت في صحيح مسلم برقم 3209 أن النبي ﷺ قال لعمره رضي الله عنه عن الغامدية التي رُجِمَتْ:

" لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ وَهَلْ وَجَدَتْ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى ؟ "

رابعاً : إن جزيرة العرب كانت مشهورة بالبيوت التي تكثر فيها الرايات الحمراء (بيوت الدعارة) فما أكثر الزنا آنذاك دون النساء الحرة! ولكن لما بعث الله محمداً ﷺ شرع لأُمته حد الزنا...

وعليه فإن هناك سؤالين يطرحا نفسيهما علينا هما :

السؤال الأول : كم جريمة زنا وقعت في عهده ﷺ ، وكم حالة رجم ، وكم حاله جلد للزناة ؟

الجواب : بالنسبة للجلد فهي حالاتٌ قليلةٌ جداً ،وأما بالنسبة للرجم فهي أيضاً حالات قليلة جداً منها : قصة ماعز و الغامديه وهما اللذان أقرّا بنفسيهما على جريمتهما ، وذلك في صحيح مسلم برقم 3208 عَنْ بُرَيْدَةَ أَنَّ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ الْأَسْلَمِيَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَزَنَيْتُ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَطَهِّرَنِي فَرَدَّهُ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَاهُ فَقَالَ :يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: اتَّعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بِأَسَا تُنْكِرُونَ مِنْهُ شَيْئًا فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا وَفِي الْعَقْلِ مِنْ صَالِحِينَ فِيمَا نَرَى فَأَتَاهُ الثَّالِثَةُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا فَسَأَلَ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ وَلَا بِعَقْلِهِ فَلَمَّا كَانَ الرَّابِعَةَ حَفَرَ لَهُ حُفْرَةً ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُرْجِمَ قَالَ: فَجَاءَتِ الْغَامِدِيَّةُ فَقَالَتْ :يَا

رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي وَإِنَّهُ رَدَّهَا فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تُرَدِّنِي لَعَلَّكَ أَنْ تُرَدِّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَا عَزَا فَوَاللَّهِ إِنِّي لِحُبْلَى قَالَ: إِمَّا لَا فَأَذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خُرْقَةٍ قَالَتْ : هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ قَالَ : أَذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطَمِيهِ فَلَمَّا فْطَمْتَهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةً خُبْزٍ فَقَالَتْ : هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ فْطَمْتُهُ وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا فَيَقْبَلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنْضَحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا فَسَمِعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا فَقَالَ : " مَهْلًا يَا خَالِدُ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصُلِّيَ عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ " .

السؤال الثاني : كم حالة جلد و رجم للزناة في زمن الصحابة ﷺ وهم السلف من بعده ﷺ في خلافتهم له ؟

الجواب : إنها حالات قليلة جداً تكاد لا تذكر - والله الحمد - .

إذا : لما جاء الإسلامُ بحدِّ الزنا قلَّت الجرائم وخاف العصاة فتأبوا.....

خامساً : إن من رحمة الإسلام بالعصاة أن العقوبة لا تقع إلا بعد التثبت من الجريمة فلا بد من شهادة أربعة شهود عدول يشهدون بأنهم رأوا من الرجل و المرأة ما يكون بين الرجل وزوجته من اتصال مباشر (المزود بالمكحلة) وهذا من الصعب أن يراهما الأربع شهود في هذا الموضع إلا قليلاً ...

وبالتالي : فإن العقوبة لا تكون إلا بالشهود الأربعة ، أو بالإقرار، أو ببينة واضحة .

ثم إن الإسلام دعا إلى التستر وليس إلى التشفي ، والتعطش للدماء ، وذلك واضح من الحديث الذي رواه أبو داود في سننه برقم 3805 ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 3460 عَنْ يَزِيدَ بْنِ نَعِيمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ مَاعِزًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَقْرَعَ عِنْدَهُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فَأَمَرَ بِرَجْمِهِ وَقَالَ لَهْزَلٍ : " لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْرًا لَكَ " . حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ أَنَّ هَازِلًا أَمَرَ مَاعِزًا أَنْ يَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَيُخْبِرَهُ .

كذلك إذا شك شاهد واحد في شهادته فإن هذا الشك يكون لمصلحة الزاني فالعقوبة تسقط عنه للآتي :

1- الحديث ضعيف في ضعيف الجامع برقم 258 قال ﷺ : " ادروا الحدود بالشبهات "

2-

3- أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه قال : عمرُ بن الخطاب ﷺ : " لئن أعطل الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أقيمها بالشبهات " .

و بهذا عمل القضاة المسلمون سلفاً وخلفاً على درع الحدود بالشبهات

سادساً : إن من الحيوانات (القروذ) من يرفض جريمة الزنا ، ويلهمهم الله ﷻ بالحد (الرجم) ليكون سبباً في شفاء غليلهم ؛ ثبت ذلك في صحيح البخاري كتاب (المناقب) باب (القسامة في الجاهلية) برقم 3560 عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ : " رَأَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قِرْدَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهَا قِرْدَةٌ قَدْ زَنَتْ فَرَجَمُوهَا فَرَجَمْتُهَا مَعَهُمْ " .

تنبيه : اختلف بعض المحققين في صحة هذه الرواية .

سابعاً : إن حكمَ الرِّجْمِ الزَّناةُ ثابتٌ عندَ اليهودِ ؛ قال ﷺ : ﴿ وَكَيْفَ يُحْكَمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة:43).

جاء في تفسير الجلالين : { وَكَيْفَ يُحْكَمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ } بالرجم استفهام تعجب أي : لم يقصدوا بذلك معرفة الحق بل ما هو أهون عليهم { ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ } يُعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم { مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ } التحكيم { وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ } . اهـ

وقال ﷺ : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16) ﴾ (المائدة).

جاء في تفسير الجلالين : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ } اليهود والنصارى { قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا } محمد { يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ } تكتُمون { مِنَ الْكِتَابِ } التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ كَايَةُ الرِّجْمِ وصفته { وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } من ذلك فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا افتضاحكم و { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ } هو النبي ﷺ { وَكِتَابٌ } قرآن { مُبِينٌ } بين ظاهر . اهـ

قلتُ ُ : إن اليهودَ جاءوا إلى النبي ﷺ بحالة أمسكت في زنا يريدون منه ﷺ أن يحكم بينهم بحكم أخف من الرِّجْمِ كالجلد مثلاً ، فقال ﷺ لنبيّه : ﴿ وَكَيْفَ يُحْكَمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : لماذا جاءك هؤلاء اليهود يسألونك عن عقوبة الزاني وحكم الرجم عندهم موجود في توراتهم

شاء الله ﷻ أن تظل مثل هذه النصوص إلى يومنا هذا رغم ما طالها من إخفاء وتحريف.... فالتوراة تسمى الآن عند المعترضين (بالعهد القديم) ففيها ذكر الرب القتل بالرجم كحد للزنا ، ، والحرق أيضا لابنة الكاهن ...

يدلل على ذلك ما يلي :

1- سفر التثنية فيه حد الزنا (الرجم) ، وذلك في الإصحاح 22 عدد 22 «إِذَا وَجَدَ رَجُلٌ مُضْطَجِعًا مَعَ امْرَأَةٍ زَوْجَةَ بَعْلٍ، يُقَتِّلُ الْاِثْنَانِ: الرَّجُلَ الْمُضْطَجِعَ مَعَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ. فَتَنْزِعُ الشَّرُّ مِنْ إِسْرَائِيلَ.»²³ «إِذَا كَانَتْ فَتَاةٌ عَذْرَاءٌ مَخْطُوبَةً لِرَجُلٍ، فَوَجَدَهَا رَجُلٌ فِي الْمَدِينَةِ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا،²⁴ فَأَخْرَجُوهُمَا كِلَيْهِمَا إِلَى بَابِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَارْجَمُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَا. الْفَتَاةُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا لَمْ تَصْرُخْ فِي الْمَدِينَةِ، وَالرَّجُلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَلَّ امْرَأَةً صَاحِبِهِ. فَتَنْزِعُ الشَّرُّ مِنْ وَسْطِكَ.»²⁵ وَلَكِنْ إِنْ وَجَدَ الرَّجُلُ الْفَتَاةَ الْمَخْطُوبَةَ فِي الْحَقْلِ وَأَمْسَكَهَا الرَّجُلُ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا، يَمُوتُ الرَّجُلُ الَّذِي اضْطَجَعَ مَعَهَا وَحْدَهُ.

2- سفر اللاويين فيه حد الزنا (القتل) ، وذلك في الإصحاح 20 عدد 10 «وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ، فَإِذَا زَنَى مَعَ امْرَأَةٍ قَرِيبَةٍ، فَإِنَّهُ يَقْتُلُ الزَّانِيَ وَالزَّانِيَةَ.»¹¹ «وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةِ أَبِيهِ، فَقَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَبِيهِ. إِنَّهُمَا يَقْتُلَانِ كِلَاهُمَا. دَمَهُمَا عَلَيْهِمَا.»¹² «وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ كَنْتِهِ، فَإِنَّهُمَا يَقْتُلَانِ كِلَاهُمَا. قَدْ فَعَلَا فَاخِشَةً. دَمَهُمَا عَلَيْهِمَا.»¹³ «وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرِ اضْطِجَاعِ امْرَأَةٍ، فَقَدْ فَعَلَا كِلَاهُمَا رَجْسًا. إِنَّهُمَا يَقْتُلَانِ. دَمَهُمَا عَلَيْهِمَا.»¹⁴ «وَإِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَأُمًّا فَذَلِكَ رَذِيلَةٌ. بِالنَّارِ يَحْرَقُونَهُ وَإِيَّاهُمَا، لَكِي لَا يَكُونَ رَذِيلَةً بَيْنَكُمْ.»¹⁵ «وَإِذَا جَعَلَ رَجُلٌ مَضْجِعَهُ مَعَ بَهِيمَةٍ، فَإِنَّهُ يَقْتُلُ، وَالْبَهِيمَةُ تَمِيتُونَهَا.»¹⁶ «وَإِذَا اقْتَرَبَتْ امْرَأَةٌ إِلَى بَهِيمَةٍ لِنِزَانِهَا، تَمِيتُ الْمَرْأَةُ وَالْبَهِيمَةُ. إِنَّهُمَا يَقْتُلَانِ. دَمَهُمَا عَلَيْهِمَا.»¹⁷ «وَإِذَا أَخَذَ رَجُلٌ أُخْتَهُ بِنْتَ أَبِيهِ أَوْ بِنْتَ أُمِّهِ، وَرَأَى عَوْرَتَهَا وَرَأَتْ هِيَ عَوْرَتَهُ، فَذَلِكَ عَارٌّ. يَقْطَعَانِ أَمَامَ أَعْيُنِ بَنِي شَعْبِهِمَا. قَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أُخْتِهِ. يَحْمِلُ ذَنْبَهُ.»¹⁸ «وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ طَامَثَ وَكَشَفَ عَوْرَتَهَا، عَرَى يَنْبُوعَهَا وَكَشَفَتْ هِيَ يَنْبُوعَ دَمِهَا، يَقْطَعَانِ كِلَاهُمَا مِنْ شَعْبِهِمَا.»¹⁹ «عَوْرَةُ أُخْتِ أُمِّكَ، أَوْ أُخْتِ أَبِيكَ لَا تَكْشِفُ. إِنَّهُ قَدْ عَرَى قَرِيبَتَهُ. يَحْمِلَانِ ذَنْبَهُمَا.»²⁰ «وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ عَمِّهِ فَقَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ عَمِّهِ.

يَحْمِلَانِ ذَنْبَهُمَا. يَمُوتَانِ عَقِيمَيْنِ.²¹ وَإِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً أَخِيهِ، فَذَلِكَ نَجَاسَةٌ. قَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ. يَكُونَانِ عَقِيمَيْنِ.

3- سفر اللاويين فيه أن الرب أمر موسى بإحراق بنت الكاهن إذا زنت ... وذلك في الإصحاح 21 عدد⁹ وإذا تدنست ابنة كاهن بالزنى فقد دنست أباه. بالنار تحرق. وجاء ذلك أيضاً في سفر التكوين إصحاح 38 عدد²⁴ ولما كان نحو ثلاثة أشهر، أخبر يهوذا وقيل له: «قد زنت ثمار كنتك، وها هي حبلتي أيضاً من الزنا». فقال يهوذا: «أخرجوها فتحرق».

وأمر الرب أيضاً بحرق من زنا بأم زوجته....

3- سفر اللاويين فيه أن نبي الله موسى رجم رجلاً سب الله ... وذلك في الإصحاح 24 عدد²³ فكلم موسى بني إسرائيل أن يخرجوا الذي سب إلى خارج المحلة ويرجموه بالحجارة. ففعل بنو إسرائيل كما أمر الرب موسى.

والأعجب مما سبق أن سفر الخروج ذكر أن الرب يأمر برجم الثور الذي ينطح إنساناً فيميته...! وذلك في الإصحاح 21 عدد²⁸ «وإذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات، يرجم الثور ولا يؤكل لحمه. وأما صاحب الثور فيكون بريئاً.

واتساءل : لما لم ينكر المعترضون على تلك النصوص كما فعلوا مع حديث النبي ﷺ وقالوا ما قالوا...؟! وهل اتهموا موسى ﷺ بالوحشية ؛ لأنه رجم؟!

ثم إن الملاحظ من خلال ما سبق أن النبي ﷺ لم يبلغ ناموس موسى ﷺ في رجم الزناة ، بخلاف اليهود أتباع موسى ﷺ الذين أخفوا حكم الرجم الثابت في توراتهم فقال ﷺ :

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة15).

والأعجب هو ما قاله يسوع بحسب إنجيل متى إصحاح 5 عدد 17 «لَا تَظْنُوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ. ¹⁸ فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نَقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ.

فبالنظر إلى نصوص العهد القديم التي سبق ذكرها نجد فيها بيان رجم وحرق الزناة

....

وبالنظر إلى نصوص العهد الجديد نجد أن يسوع نسخ حد الزنا...! وذلك لما قال في شأن المرأة الزانية التي أمسكت وهي تزني : " مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ ! " جاء ذلك في إنجيل يوحنا إصحاح 8 عدد ⁴ قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، هَذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسَكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفَعْلِ، ⁵ وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنْ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمَ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟» ⁶ قَالُوا هَذَا لِيَجْرِبُوهُ، لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى إِلَى أَسْفَلِ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإصْبَعِهِ عَلَى الْأَرْضِ. ⁷ وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ، انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!». «

قلتُ : إن الواضح من تلك النصوص عدة أمور هي :

1- أن يسوع المسيح ناقض نفسه حينما قال : " لَا تَظْنُوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ " !

2- أن هذه القصة مضافة إلى إنجيل يوحنا ؛ لأنها ليست موجودة في أقدم المخطوطات ، وبهذا قال علماء الكتاب المقدس ، مثل بروث متزيجر وغيره ، ونجد أن بعض النسخ تضع هذه القصة بين قوسين ، وأحياناً يكتب في الهامش ليست موجودة في أقدم النسخ

مثل النسخ الآتية :

New American ، English Standard Version ، Good News Bible
Standard Bible

3- أن الله أعلمه أن المرأة التي أمسكت بالزنا بريئة ، وكانت هذه مؤامرة من الفريسيين....! أو طبقا لشريعة اليهود لابد ممن يقيمون الحد أن يكونوا مؤمنين ، والشهود على الواقعة رجلان أو ثلاثة....

وعلى القول الأخير أتساءل : لماذا يطبق المعترضون حد الزنا إلى يومنا هذا وهذه هي نصوص كتابهم المقدس تدعوهم لتطهير المجتمع من الرزيلة... ؟!

رد شبهة : حد السرقة !

قالوا: ما هذه الوحشية التي جاء بها رسول الإسلام إنه يقطع يد السارق، ويشوه خلقته؛ لأنه سرق !

واستندوا في ذلك إلى الآتي :

1- قوله ﷺ : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة 38) .

2- صحيح البخاري كتاب (الحدود) باب (قول الله ﷻ : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ . وفي كم يقطع و قطع علي من الكف وقال قتادة في امرأة سرقت ففقطعت شمالها ليس إلا ذلك) برقم 6291 حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عمرة عن عائشة قال النبي ﷺ : " تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً " .

3-صحيح مسلم كتاب (الحدود) باب (حد السرقة ونصابها) برقم 3190 عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال : " لا تُقَطَّعُ يَدُ السَّارِقِ إِلَّا فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن من مقاصد الشريعة الإسلامية : حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ العقل ، وحفظ العرض وحفظ المال ...

قال الإمام النووي - رحمه الله - في شرحه :

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاض : صَانَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَمْوَالَ بِإِجَابِ الْقَطْعِ عَلَى السَّارِقِ ، وَلَمْ يُجْعَلْ ذَلِكَ فِي غَيْرِ السَّرْقَةِ كَالِاخْتِلَاسِ وَالِإِنْتِهَابِ وَالْغَصْبِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّرْقَةِ ؛ وَلِأَنَّهُ يُمْكِنُ اسْتِرْجَاعُ هَذَا النَّوعِ بِالِاسْتِدْعَاءِ إِلَى وِلَاةِ الْأُمُورِ ، وَتَسْهَلُ إِقَامَةُ الْبَيِّنَةِ عَلَيْهِ ، بِخِلَافِ السَّرْقَةِ فَإِنَّهُ تَنْدُرُ إِقَامَةُ الْبَيِّنَةِ عَلَيْهَا ، فَعَظُمَ أَمْرُهَا ، وَاشْتَدَّتْ عُقُوبَتُهَا لِيَكُونَ أَبْلَغُ فِي الرَّجْرِ عَنْهَا . اهـ

قلتُ : إن السرقة من أكبر الجرائم التي تنفر منها النفوس والتي تتنافى مع مقاصد الشريعة ، وتتنافى مع الإيمان الصحيح ثبت في صحيح البخاري برقم 6284 عن ابن عباس -رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: " لا يَزْنِي الرَّأْيِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ " .

وعليه : فإن الحدود التي شرعها الله ﷻ تساعد على استقرار الأمن الحقيقي للمجتمع والأسر ، وعلى العكس من ذلك فإننا نجد أن القوانين الوضعية التي منبعها الغرب تساعد على نمو الإجرام وانتشاره ... مثال ذلك: الحبس (السجن) يدخل فيه المجرم صغيراً ويخرج منه مجرمًا كبيراً لتعرفه هنالك على مجرمين أكبر منه خبرة...

إن قيل : إن السارق بعد قطع يده يعيش عالة على المجتمع لا يعمل ...

قلتُ : إن العقوبة لا تنص على قطع كلتا يديه ؛ وإنما قطع يد واحدة فقط من الرسغ، كما أن تحمل شخص واحد المشقة أخف من إيذاء الألوف الأبرياء الذين لا ذنب لهم.
ثانياً: إن هناك سؤالاً يطرح نفسه هو: ما هي مقدار السرقة التي تقطع فيها اليد ؟

الجواب: هو فيما ذكره الإمام النووي - رحمه الله - في شرحه لصحيح مسلم قال :
قَالَ الْقَاضِي عِيَّاض - أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى قَطْعِ السَّارِقِ فِي الْجُمْلَةِ ، وَإِنْ اِخْتَلَفُوا فِي فُرُوعٍ مِنْهُ .

قَوْلُهُ : (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْطَعُ السَّارِقَ فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا) وَفِي رِوَايَةٍ (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تُقْطَعُ يَدُ السَّارِقِ إِلَّا فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا) وَفِي رِوَايَةٍ : (لَا تُقْطَعُ الْيَدُ إِلَّا فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَمَا فَوْقَهُ) وَفِي رِوَايَةٍ : (لَمْ تُقْطَعْ يَدُ السَّارِقِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَمَنِ الْمَجَنِّ) وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ ؓ قَالَ : (قَطَعَ النَّبِيُّ ﷺ سَارِقًا فِي مَجَنِّ قِيمَتِهِ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمٍ) وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ (قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ) . أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى قَطْعِ يَدِ السَّارِقِ كَمَا سَبَقَ ، وَاخْتَلَفُوا فِي اشْتِرَاطِ النَّصَابِ وَقَدَرِهِ ، فَقَالَ أَهْلُ الظَّاهِرِ : لَا يُشْتَرَطُ نَصَابٌ بَلْ وَيُقْطَعُ فِي الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ بَنْتِ الشَّافِعِيِّ مِنْ أَصْحَابِنَا ، وَحَكَاهُ الْقَاضِي عِيَّاضُ عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَالْخَوَارِجِ وَأَهْلِ الظَّاهِرِ ، وَاحْتَجُّوا بِعُمُومِ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ ، وَلَمْ يَخْصُوا الْآيَةَ ، وَقَالَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ : وَلَا تُقْطَعُ إِلَّا فِي نَصَابٍ لِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ . ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي قَدْرِ النَّصَابِ ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ النَّصَابُ رُبْعُ دِينَارٍ ذَهَبًا ، أَوْ مَا قِيمَتُهُ رُبْعُ دِينَارٍ ، سَوَاءً كَانَتْ قِيمَتُهُ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمٍ أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ ، وَلَا يَقْطَعُ فِي أَقَلِّ مِنْهُ ، وَبِهَذَا قَالَ كَثِيرُونَ أَوْ الْأَكْثَرُونَ ، وَهُوَ قَوْلُ عَائِشَةَ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَاللَّيْثُ وَأَبِي ثَوْرٍ وَإِسْحَاقُ وَغَيْرُهُمْ ، وَرَوَى أَيْضًا عَنْ دَاوُدَ ، وَقَالَ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ فِي رِوَايَةٍ : تُقْطَعُ فِي رُبْعِ دِينَارٍ أَوْ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمٍ أَوْ مَا قِيمَتُهُ أَحَدُهُمَا ، وَلَا تُقْطَعُ فِيمَا دُونَ ذَلِكَ ، وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَّارٍ وَابْنُ شَبْرَمَةَ وَابْنُ أَبِي لَيْلَى وَالْحَسَنُ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ : لَا تُقْطَعُ إِلَّا فِي خَمْسَةِ دَرَاهِمٍ ، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَقَالَ أَبُو

حَنِيفَةً وَأَصْحَابَهُ : لَا تَقْطَعُ إِلَّا فِي عَشْرَةِ دَرَاهِمٍ أَوْ مَا قِيَمَتَهُ ذَلِكَ ، وَحَكَى الْقَاضِي عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ أَنَّ النَّصَابَ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ ، وَعَنْ عُثْمَانَ الْبَيْتِيِّ أَنَّهُ دَرَاهِمٌ ، وَعَنْ الْحَسَنِ أَنَّهُ دَرَاهِمَانِ ، وَعَنْ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ أَرْبَعُونَ دَرَاهِمًا أَوْ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرٍ ، وَالصَّحِيحُ مَا قَالَهُ الشَّافِعِيُّ وَمُوافِقُوهُ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَرَّحَ بَبَيَانِ النَّصَابِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مِنْ لَفْظِهِ وَأَنَّهُ رُبْعُ دِينَارٍ ، وَأَمَّا بَاقِي التَّقْدِيرَاتِ فَمَرْدُودَةٌ لَا أَصْلَ لَهَا مَعَ مُخَالَفَتِهَا لِصَرِيحِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ . وَأَمَّا رَوَايَةُ أَنَّهُ ﷺ

(قَطَعَ سَارِقًا فِي مَجَنِّ قِيَمَتِهِ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمٍ) فَمَحْمُولَةٌ عَلَى أَنَّ هَذَا الْقَدْرَ كَانَ رُبْعَ دِينَارٍ فَصَاعِدًا ، وَهِيَ قَضِيَّةٌ عَيْنٌ لَا عُمُومَ لَهَا ، فَلَا يَجُوزُ تَرْكُ صَرِيحِ لَفْظِهِ ﷺ فِي تَحْدِيدِ النَّصَابِ لِهَذِهِ الرِّوَايَةِ الْمُحْتَمَلَةِ ، بَلْ يَجِبُ حَمْلُهَا عَلَى مُوَافَقَةِ لَفْظِهِ ، وَكَذَا الرِّوَايَةُ الْأُخْرَى : (لَمْ يَقْطَعْ يَدَ السَّارِقِ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَمَنِ الْمَجَنِّ) مَحْمُولَةٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ رُبْعَ دِينَارٍ ، وَلَا بُدَّ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ لِيُوَافِقَ صَرِيحَ تَقْدِيرِهِ ﷺ . وَأَمَّا مَا يَحْتَجُّ بِهِ بَعْضُ الْحَنَفِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ رَوَايَةٍ جَاءَتْ : (قَطَعَ فِي مَجَنِّ قِيَمَتِهِ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ) ، وَفِي رَوَايَةٍ : (خَمْسَةَ) ، فَهِيَ رَوَايَةٌ ضَعِيفَةٌ لَا يَعْمَلُ بِهَا لَوْ انْفَرَدَتْ ، فَكَيْفَ وَهِيَ مُخَالَفَةٌ لِصَرِيحِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ فِي التَّقْدِيرِ بِرُبْعِ دِينَارٍ مَعَ أَنَّهُ يُمْكِنُ حَمْلُهَا عَلَى أَنَّهُ كَانَتْ قِيَمَتُهُ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ اتِّفَاقًا لَا أَنَّهُ شَرَطَ ذَلِكَ فِي قَطْعِ السَّارِقِ ، وَلَيْسَ فِي لَفْظِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى تَقْدِيرِ النَّصَابِ بِذَلِكَ . وَأَمَّا رَوَايَةُ (لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ أَوْ الْحَبْلَ فَتُقَطَّعَ يَدُهُ) فَقَالَ جَمَاعَةٌ : الْمُرَادُ بِهَا بَيْضَةُ الْحَدِيدِ وَحَبْلُ السَّفِينَةِ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُسَاوِي أَكْثَرَ مِنْ رُبْعِ دِينَارٍ ، وَأَنْكَرَ الْمُحَقِّقُونَ هَذَا وَضَعْفُوهُ ، فَقَالُوا : بَيْضَةُ الْحَدِيدِ وَحَبْلُ السَّفِينَةِ لُهُمَا قِيَمَةٌ ظَاهِرَةٌ ، وَلَيْسَ هَذَا السِّيَاقُ مَوْضِعَ اسْتِعْمَالِهِمَا ، بَلْ بَلَاغَةُ الْكَلَامِ تَأْبَاهُ ، وَلَئِنَّهُ لَا يَذْمُ فِي الْعَادَةِ مَنْ خَاطَرَ بِيَدِهِ فِي شَيْءٍ لَهُ قَدْرٌ ، وَإِنَّمَا يَذْمُ مَنْ خَاطَرَ بِهَا فِيمَا لَا قَدْرَ لَهُ فَهُوَ مَوْضِعُ تَقْلِيلٍ لَا تَكْثِيرٍ ، وَالصَّوَابُ أَنَّ الْمُرَادَ التَّنْبِيهَ عَلَى عَظِيمِ مَا خَسِرَ ، وَهِيَ يَدُهُ فِي مُقَابَلَةِ حَقِيرٍ مِنَ الْمَالِ وَهُوَ رُبْعُ دِينَارٍ ، فَإِنَّهُ يَشَارِكُ الْبَيْضَةَ وَالْحَبْلَ فِي الْحَقَارَةِ ، أَوْ أَرَادَ جَنْسَ الْبَيْضِ وَجَنْسَ الْحَبْلِ ، أَوْ أَنَّهُ إِذَا سَرَقَ الْبَيْضَةَ فَلَمْ يَقْطَعْ جَرَّهُ ذَلِكَ إِلَى سَرَقَةٍ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهَا فَقُطِعَ ، فَكَانَتْ سَرَقَةُ الْبَيْضَةِ هِيَ سَبَبُ قَطْعِهِ ، أَوْ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ قَدْ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ أَوْ الْحَبْلَ فَيَقْطَعُهُ بَعْضُ الْوَلَاةِ سِيَاسَةً لَا قِطْعًا جَائِزًا شَرْعًا ، وَقِيلَ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ هَذَا عِنْدَ نَزُولِ آيَةِ السَّرَقَةِ مُجْمَلَةً مِنْ غَيْرِ بَيَانِ نَصَابٍ ، فَقَالَهُ عَلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

نلاحظ : أن قطع اليد لا يكون إلا على ما هو ذو قيمة كبيرة.

ثالثاً: إن الدكتور على جمعة أجاب إجابة رائعة في كتاب: حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين (الطبعة الرابعة ص546) قائلاً: ولما كان قطع يد السارق يفضحه ويسمه بسمة السرقة ويطلع الناس على ما كان منه. فقد أقام الإسلام حراسة على من يتهم بالسرقة ، فلا تقطع يده مع وجود شبهة في أنه سرق كما لا تقطع يده في الشيء المسروق إذا كان تافهاً لا يعتد به ، أو كان في غير حرز بل إن السارق في تلك الحالة يعزر بالضرب أو الحبس ، ولا تقطع يده. ومن تلك الضوابط التي وضعتها الشريعة لإقامة حد القطع على السارق:

أولاً: أن يكون المسروق شيئاً ذا قيمة أي أن له اعتباراً اقتصادياً في حياة الناس .
عن عائشة . رضي الله عنها . عن النبي ﷺ أنه قال : [تقطع اليد . أي يد السارق .
بربع دينار فصاعداً] .

ثانياً: أن يكون المسروق محروزاً ، أي محفوظاً في حرز.

ثالثاً: أن ما أخذ للأكل بالفم من التمر فهذا لا قطع فيه ولا تعزيز.

رابعاً: السرقة في أوقات المجاعات لا قطع فيها ولذلك أبطل عمرؓ القطع في عام الرمادة حينما عمت المجاعة .

خامساً: العبد إذا سرق شيئاً ينظر هل سيده يطعمه أم لا ؟ فإن كان لا ، غرم سيده ضعف ثمن المسروق كما فعل سيدنا عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . في غلمان ابن حاطب بن أبي بلتعة حينما سرقوا ناقة رجل من مزينة فقد أمر بقطعهم ولكن حين تبين له أن سيدهم يجيعهم درأ عنهم الحد وغرم سيدهم ضعف ثمن الناقة تأديباً له.

والقاعدة أن الحدود تُدرَّع بالشبهات.

وهكذا ينبغي أن تفهم حدود الإسلام في ظل نظامه المتكامل الذي يتخذ أسباب الوقاية قبل أن يتخذ أسباب العقوبة. فالحدود تمنع من وقوع الجريمة ولذلك نرى على مر

التاريخ الإسلامي وعلى مساحة واسعة من بلاد المسلمين أن حد السرقة لم يطبق إلا في أضيق الحدود وبعدد محدود جداً لا يتجاوز العشرات مع كل هذه الملايين من البشر حيث استقر في وجدان المسلمين أن السرقة جريمة من الجرائم السيئة التي تهدد الأمن الاجتماعي والمجتمع في ذاته بحيث تستحق مثل هذه العقوبة البد

نية التي تشبه عقوبة الإعدام وعلى قدر عظم الذنب والجرم يكون عظم العقاب. وبعض المعاصرين ينطلقون من نموذج معرفي آخر يقدم بدن الإنسان في ذاته بغض النظر عن أفعاله وجرائمه. وقد خفي عليهم كل هدى سليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

اهـ

رابعاً : إن الكتاب المقدس نسب إلى الرب أنه أمر بقطع يد المرأة التي تمسك عضو التذكير لرجل أجنبي أثناء عراكه مع زوجها! جاء ذلك في سفر التثنية إصحاح 25 عدد¹¹ «إِذَا تَخَاصَمَ رَجُلَانِ، رَجُلٌ وَأَخُوهُ، وَتَقَدَّمتْ امْرَأَةٌ أَحَدَهُمَا لِكَيْ تَخْلُصَ رَجُلَهَا مِنْ يَدِ ضَارِيهِ، وَمَدَّتْ يَدَهَا وَأَمْسَكَتْ بِعَوْرَتِهِ،¹² فَاقْطَعْ يَدَهَا، وَلَا تُشْفِقْ عَيْنُكَ .

واتساءل: أليس قطع اليد وحشية ؟! لماذا لم يطعن المعترضون على ذلك النص ؛ كما طعنوا في حديث النبي ﷺ وقالوا ما قالوا ...

ثم إن هناك سؤالاً يفرض نفسه على المعترضين : هو هل حد السرقة في القرآن الكريم والسنة فقط أم أنه ثابت في الكتاب المقدس أيضاً ؟

الجواب : حد السرقة ثابت في الكتاب المقدس للآتي :

1- سفر الخروج إصحاح 22 عدد² إِنَّ وَجِدَ السَّارِقُ وَهُوَ يَنْقُبُ، فَضْرِبَ وَمَاتَ، فَلَيْسَ لَهُ دَمٌ ...

-2

3- سفر التثنية إصحاح 24 عدد⁷ «إِذَا وَجِدَ رَجُلٌ قَدْ سَرَقَ نَفْسًا مِنْ إِخْوَتِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتَرْقَهُ وَبَاعَهُ، يَمُوتُ ذَلِكَ السَّارِقُ، فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكَ.

3- سفر زكريا إصحاح 5 عدد³ فَقَالَ لِي: «هَذِهِ هِيَ اللَّعْنَةُ الْخَارِجَةُ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ. لِأَنَّ كُلَّ سَارِقٍ يُبَادُ مِنْ هُنَا بِحَسَبِهَا، وَكُلُّ حَالِفٍ يُبَادُ مِنْ هُنَاكَ بِحَسَبِهَا. ⁴إِنِّي أَخْرِجُهَا، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، فَتَدْخُلُ بَيْتَ السَّارِقِ وَبَيْتَ الْحَالِفِ بِاسْمِي زُورًا، وَتَبِيتُ فِي وَسْطِ بَيْتِهِ وَتَقْنِيهِ مَعَ خَشْبِهِ وَحِجَارَتِهِ».

قُلْتُ : إن الواضح من خلال ما سبق أن حد السرقة في الكتاب المقدس هو (القتل) ، وليس قطع اليد فهو لا يمنح للإنسان فرصة للتوبة والحياة

وأقول للمعترضين كما قالوا في شبهتهم : أليست هذه وحشية ؟!...

واتساءل : أليست هذه النصوص أمر من الله لموسى عليه السلام ولغيره من الأنبياء فلماذا لا يطبقونها ؟

وأين النص الذي منعهم عن تطبيق هذا الحد ؟

أم هل هذا من النسخ عندهم ؟ فإذا كان كذلك فأين هو الدليل الناسخ؟

ثم إن إنجيل متى نسب إلى يسوع المسيح أنه قال في الإصحاح 18 عدد 8 فَإِنْ أَعْرَثَكَ يَدُكَ أَوْ رِجْلَكَ فاقطعها وألقها عنك. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجًا أَوْ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تَلْقَى

في النَّارِ الْأَبَدِيَّةِ وَلَكَ يَدَانِ أَوْ رِجْلَانِ. 9 وَإِنْ أَعَثَرْتُكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ تُتْلَى فِي جَهَنَّمَ النَّارِ وَلَكَ عَيْنَانِ.

قُلْتُ : إن هذه النصوص واضحة الدلالة على جواز قطع الأيدي ، والأرجل ، بل وقلع الأعين ؛ حينما يكونون معسرةً للإنسان وعائقاً بينه وبين دخول الحياة الأبدية (الجنة) ، فذلك أفضل له من أن يُلقى به في نار جهنم

الباب الثالث

شبهات حول أخلاقه وسلوكه ﷺ

رد شبهة : لماذا نبي الإسلام أشرف الأنبياء والمرسلين ؟!

هكذا يرددون في قنواتهم واجتماعاتهم ، ومحاوراتهم ... وغالباً ما يكون ذلك مصحوباً باستهزاء...

قائلين : لماذا نبي الإسلام أشرف الأنبياء والمرسلين (بأي أماره أشرف المرسلين)؟!

الرد على الشبهة

أولاً: إن كلمة أشرف الأنبياء والمرسلين ؛ تعني أنه ﷺ الأفضل مكانة ، والأعلى درجة عنهم - عليهم السلام- وذلك بما فضله الله ﷻ عليهم ببعض الفضائل التي اجتمعت فيه وحده ﷺ ولم تجتمع في أحد من الأنبياء والمرسلين الذين سبقوه ﷺ ، بيان ذلك يكون من وجهين :

الوجه الأول: أن أمته لها ميزات لم تكن لأي أمة من الأمم السابقة؛ تدلُّ على ذلك أدلة منها :

1- أمته ﷺ أول أمة تدخل الجنة ، وذلك في صحيح البخاري برقم 827 عن أبي هريرة - رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَدِ أَنْهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللَّهُ فَالْنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبِعَ الْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ " .

2- أمته ﷺ نصف أهل الجنة، وذلك في صحيح البخاري رقم 6047 عن عبد الله بن مسعود قال : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُبَّةٍ فَقَالَ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟

قُلْنَا :نَعَمْ . قَالَ : أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثَلَاثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قُلْنَا :نَعَمْ . قَالَ : أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قُلْنَا :نَعَمْ . قَالَ : " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نَصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشَّرِّ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ " .

3- أُمِّهِ ﷺ تشهد للأنبياء الأمم السابقة ، وذلك في صحيح البخاري برقم 4127 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ . فَيَقُولُ : " هَلْ بَلَغْتَ " ؟ فَيَقُولُ : " نَعَمْ " . فَيَقَالُ لِأُمِّهِ : " هَلْ بَلَغَكُمْ " ؟ فَيَقُولُونَ : " مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ " فَيَقُولُ : " مَنْ يَشْهَدُ لَكَ " ؟ فَيَقُولُ : " مُحَمَّدٌ وَأُمُّهُ " ، فَيَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ : { وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ - ذِكْرُهُ - : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } وَالْوَسْطُ الْعَدْلُ .

4- أُمِّهِ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، وذلك من أدلة منها :

الأول : قوله ﷺ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (110) (آل عمران) .

الثاني : صحيح البخاري برقم 2458 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينُهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ " .

الثالث : مسند أحمد برقم 3418 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَأَبْتَعَتْهُ بِرِسَالَتِهِ ثُمَّ نَظَرَ فِي

قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وَزَرَءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ " .

تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن.

6- أمته أحلت لها الغنائم ﷺ وذلك في صحيح البخاري برقم 2892 قال ﷺ : " ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجَزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا " .

6- آمنة لأصحابه ولأمنته ﷺ ، تدلل على ذلك أدلة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (32) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)﴾ (الأنفال).

-2

3- صحيح البخاري برقم 4281 عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ أَبُو جَهْلٍ : " اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ (يَقْصِدُ مُحَمَّدًا ﷺ) فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ " فَنَزَلَتْ : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا لَهُمْ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ { الْآيَةِ .

3- قوله ﷺ : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (59)﴾ (الإسراء) .

جاء في تفسير الجلالين : " وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ " الَّتِي اقْتَرَحَهَا أَهْلُ مَكَّةَ " إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ " لَمَّا أَرْسَلْنَاهَا فَأَهْلَكْنَاهُمْ وَلَوْ أَرْسَلْنَاهَا إِلَى هَوْلَاءِ لَكَذَّبُوا بِهَا وَاسْتَحَقُّوا

الإِهْلَاكَ وَقَدْ حَكَمْنَا بِإِمْهَالِهِمْ لِإِتْمَامِ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ "وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ" آيَةً "مُبْصِرَةً" بَيِّنَةً وَاضِحَةً "فَظَلَمُوا" كَفَرُوا "بِهَا" "بِالْآيَاتِ الْمُعْجَزَاتِ" إِلَّا تَخَوُّفًا لِلْعِبَادِ فَيُؤْمِنُوا. اهـ

7- يدخل من أمته الجنة ﷺ سبعون ألفاً بغير حساب ، ولا سابقة عذاب ، وذلك في صحيح مسلم 320

قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ. قَالُوا: " وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ " ؟ قَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتُمُونَ ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَامَ عُكَّاشَةُ فَقَالَ: " ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ ". قَالَ: " أَنْتَ مِنْهُمْ ". قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: " يَا نَبِيَّ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ ". قَالَ: " سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ " .

الوجه الثاني : صفات لم تجتمع في أحدٍ غيره ﷺ من الأنبياء والمرسلين منها :

1- سيد يوم القيامة ، وأول مُشْفَعٍ ﷺ ، وذلك في صحيح مسلم برقم 4223 عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ " .

-2

3- أول من يقرع باب الجنة ﷺ ، وذلك في صحيح مسلم برقم 292 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: آتِيَ بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتَحَ فَيَقُولُ : الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ.

-4

4- فضّل على الأنبياء بست ﷺ ، وذلك في صحيح مسلم برقم 812 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَسْتُ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا ، وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلَتْ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ ، وَخَتَمَ بِيَ النَّبِيُّونَ " . وتفصيله كما يلي :

1- قوله ﷺ: " أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ " : أي : الكلام القليل الذي يحملُ معانٍ كثيرةً ، مثل قوله ﷺ لمن سألَه عن الإسلام ... فأجابه ﷺ قائلاً: "قل آمنْتُ بالله ثم استقم" ، وبهذا قد فاق ﷺ العربَ بفصاحتهم وبلاغتهم وبيانهم ، رغم أنه لم يكن شاعراً....

2- قوله ﷺ: " نَصِرْتُ بِالرُّعْبِ " : وذلك لما خرج النبي ﷺ إلى عزوة تبوك للقاء الرومان ... فلما رآوه ولوا الأدبار خوفاً ورعباً منه ﷺ ، وذلك بقذف الله في قلوبهم الرعب ؛ فانتنصر ﷺ دون قتال ، ولا إراقة دماء... فقال : " نصرت بالرعب مسيرة شهر " ، وكذا الرجل الذي كاد أن يقتل محمداً ﷺ وهو نائم ، فقال له قبل أن يقتله: من يمنعك مني يا محمد ؟ قال: الله ، فوق السيف من يده....

3- قوله ﷺ: " أُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ " : فقد كان الأنبياءُ الذين سبقوه حينما يغنمون شيئاً كانت تنزل ناراً من السماء تأكلها

4- قوله ﷺ: " وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا ، وَمَسْجِدًا " : فأَي مكان في الأرض هو ظاهر للصلاة له ﷺ إلا ما استثناه النبي ﷺ ، مثل المقبرة والحمام....

5- قوله ﷺ: " وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً " : فكل نبيٍّ يرسلُ إلى قومٍ بأعينهم فقط، كما كان المسيحُ رسولاً إلى بني إسرائيل... أما محمدٌ ﷺ فقد أرسل لكل الخلق ، بما فيهم الجن ... رسالته عامه ﷺ للعالمين تدلل على ذلك أدلةٌ منها:

1- قوله ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107) ﴾ (الأنبياء).

2- قوله ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (28) ﴾ (سبأ).

3- قوله ﷺ: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (92) ﴾ (الأنعام).

6- قوله ﷺ: " وُخْتُمَ بِيَ النَّبِيُّونَ " : فلا نبي يأتي بعده فكان ﷺ آخر المرسلين من ربِّ العالمين ... تدلل على ذلك أدلةٌ منها:

1- قوله ﷺ: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40) ﴾ (الأحزاب).

2- صحيح البخاري 3271 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :
"إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ. قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ."

3- صحيح مسلم برقم 4418 عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : عَلَيَّ :
" أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ."

4- رحمة مهدها لكل الخلائق ﷺ ؛ تدلل على ذلك أدلة منها :

1- قوله ﷺ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107) ﴾ (الأنبياء).

2- قوله ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ 128﴾ (التوبة).

3- صحيح مسلم برقم 4704 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : " ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ". قَالَ ﷺ : " إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً ."

5- العهد والميثاق الذي أخذه الله ﷻ على الأنبياء قبله ﷺ : فقد أخذ الله ﷻ عهدًا على جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم ﷺ إلى المسيح ﷺ أن إذا ظهر النبي العربي محمد ﷺ أن تتركوا ما انتم عليه وتتبعوه وتتصروه تدلل على ذلك أدلة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (82)﴾ (آل عمران).

جاء في التفسير الميسر: واذكر - أيها الرسول- إذ أخذ الله سبحانه العهد المؤكد على جميع الأنبياء: لئن آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول من عندي، مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرته. فهل أقررتם واعترفتم بذلك وأخذتم على ذلك عهدي الموثق ؟ قالوا: أقررنا بذلك، قال: فليشهد بعضكم على بعض ، واشهدوا على أممكم بذلك ، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم . وفي هذا أن الله أخذ الميثاق على كل نبي أن يؤمن بمحمد ﷺ وأخذ الميثاق على أمم الأنبياء بذلك . اهـ

2- قوله ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي ." مسند أحمد برقم 14623.

6- أقسم ﷺ بحياته ﷺ ولم يقسم ﷺ بحياة أحد من أنبيائه ورسله إلا بنبيّه ﷺ ؛ دليل ذلك قوله ﷺ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (72) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (73) (الحجر).

7- نداؤه عليه بصفة النبوة والرسالة ﷺ ، وذلك لم يكن لنبي من قبله... فقد نادى ﷺ عليهم بأسمائهم المجردة إلا نبينا ﷺ... بيان ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن الله نادى على الأنبياء السابقين بأسمائهم المجردة، وذلك في عدة مواضع من كتابه ﷺ منها:

1- قوله ﷺ: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (33) (البقرة).

2- قوله ﷺ : ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46) ﴾ (هود).

قوله ﷺ : ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (76) ﴾ (هود).

3- قوله ﷺ : ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144) ﴾ (الأعراف).

4- قوله ﷺ : ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7) ﴾ قَالَ رَبِّ أَتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8) ﴾ (مريم).

5- قوله ﷺ : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ارْقُطْ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55) ﴾ (آل عمران).

الوجه الثاني: أنه لم ينادى على نبيه محمد ﷺ مجرداً ولكن بصفة النبوة أو الرسالة ، وذلك في عدة مواضع من كتابه ﷺ منها :

1- قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (64) ﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65) ﴾ (الأنفال).

-2

3- قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (70) ﴾ وَإِنْ يَرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (71) ﴾ (الأنفال).

-4

3- قوله ﷺ : «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (1) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (2) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (3)» (الأحزاب).

-4

5- قوله ﷺ : «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (46) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (47)» (الأحزاب).

-6

5- قوله ﷺ : «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكْ وَبَنَاتَكْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (59)» (الأحزاب).

-6

7- قوله ﷺ : «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنِيسَ الْمَصِيرُ (9)» (التحريم).

-8

7- قوله ﷺ : «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41)» (المائدة).

-8

8- قوله ﷺ : «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67)» (المائدة).

9- نهى ﷺ المؤمنين عن مناداته ﷺ باسمه مجرداً ، ورفع الصوت فوقه ﷺ ... وذلك من دليلين :

1- قوله ﷺ : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (63) (النور).

جاء في تفسير الجلالين : " لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا " بِأَنْ تَقُولُوا يَا مُحَمَّدُ بَلْ قُولُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي لِينٍ وَتَوَاضَعٍ وَخَفَضِ صَوْتٍ " قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا " أَيُ : يَخْرُجُونَ مِنَ الْمَسْجِدِ فِي الْخُطْبَةِ مِنْ غِيٍّ اسْتِنْدَانٍ خُفْيَةٍ مُسْتَتَرِينَ بِشَيْءٍ وَقَدْ لِلتَّحْقِيقِ "فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ" أَيُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ " أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ " بَلَاءٌ " أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " فِي الْآخِرَةِ . اهـ

2- قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (3) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (4) ﴿ (الحجرات).

جاء في تفسير الجلالين : " بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ " الْمُبْلَغُ عَنْهُ أَيُ بَغِيرِ إِذْنَهُمَا "وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" لِقَوْلِكُمْ "بِفِعْلِكُمْ نَزَلَتْ فِي مُجَادَلَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي تَأْمِيرِ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ أَوْ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبُدٍ وَنَزَلَ فِيمَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ" إِذَا نَطَقْتُمْ "فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ" إِذَا نَطَقَ "وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ" إِذَا نَاجَيْتُمُوهُ "كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ" بَلْ دُونَ ذَلِكَ إِجْلَالًا لَهُ "أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ" أَيُ خَشْيَةً ذَلِكَ بِالرَّفْعِ وَالْجَهْرِ الْمَذْكُورِينَ وَنَزَلَ فِيمَنْ كَانَ يَخْفِضُ صَوْتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَغَيْرُهُمَا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- "إِنَّ"

الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ "اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى" أَيْ: لِيُظْهِرَ مِنْهُمْ "لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ" الْجَنَّةَ وَنَزَلَ فِي قَوْمٍ جَاءُوا وَقَتَ الظَّهْرِ وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي مَنْزِلِهِ فَنَادَوْهُ

"إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ" حُجَرَاتٍ نَسَاهُ ﷺ جَمَعَ حُجْرَةً وَهِيَ مَا يُحْجَرُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَرْضِ بِحَائِطٍ وَنَحْوِهِ وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَادِي خَلْفَ حُجْرَةٍ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوهُ فِي أَيِّ حُجْرَةٍ مُنَادَاةُ الْأَعْرَابِ بِغُلْظَةٍ وَجَفَاءٍ "أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" فِيمَا فَعَلُوهُ مَحَلَّكَ الرَّفِيعِ وَمَا يُنَاسِبُهُ مِنَ التَّعْظِيمِ . اهـ

10- أعطاه الله ﷺ مفاتيح خزائن الأرض بيده ﷺ وهذا مما سهل على أمته من بعده فتح البلاد، وأخذهم كنوزها ... دليل ذلك ما جاء في الآتي :

-11

1- صحيح البخاري برقم 1258 عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَ ﷺ: "إِنِّي فَرِطُ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا ."

-2

3- مسند أحمد برقم 17946 عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ قَالَ: وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الْخَنْدَقِ لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ قَالَ: فَشَكَّوْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : عَوْفٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَضَعَ ثَوْبَهُ ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَأَخَذَ الْمَعُولَ فَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ وَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ وَأُبْصِرُ قُصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا ثُمَّ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ : " اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا ."

10- أعطاه الله ﷺ معجزة خالدة لم توت لغيره ﷺ وهي القرآن الكريم فكل نبي يموت تموت معه هذه المعجزة إلا معجزة محمد ﷺ الكبرى وهي القرآن الكريم المعجز في لفظه ومعناه ... تدلل على ذلك أدلة منها:

1- قوله ﷺ: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89)﴾ (الإسراء).

-2

2- قوله ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)﴾ (الحجر).

3- أعطاه الله ﷺ والوسيلة ، والشفاعة ، والمقام المحمود ﷺ...

الوسيلة : منزله في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله هو النبي ﷺ ، والمنزلة الزائدة على سائر الخلق ، والشفاعة لغيره... تدلل على ذلك أدلة منها:

1- صحيح مسلم برقم 577 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ".

2- قوله ﷺ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (79)﴾ (الإسراء).

جاء في تفسير الجلالين : "فَتَهَجَّدَ" فَصَلَ "بِه" بِالْقُرْآنِ "تَأْفَلَةَ لَكَ" فَرِيضَةً زَانِدَةً لَكَ دُونَ أَمَّتِكَ أَوْ فَضِيلَةً عَلَى الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ "عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ" يُقِيمَكَ "رَبِّكَ" فِي الْآخِرَةِ "مَقَامًا مَحْمُودًا" يَحْمَدُكَ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ وَهُوَ مَقَامُ الشَّفَاعَةِ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ وَنَزَلَ لَمَّا أَمَرَ بِالْهَجْرَةِ . اهـ

11- أكثر الأنبياء تبعاً ﷺ ، وأول من يقرع باب الجنة ﷺ ... وذلك في صحيح مسلم برقم 290 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ " .

12- شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن بعضه أقر به (أبي طالب) خفف عنه العذاب لحبه وعنايته ، ورعايته للنبي ﷺ ... واختلف الأمر مع نوح وغيره من الأنبياء ... دليل ذلك ما يلي :

1- صحيح البخاري برقم 3594 عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمَّكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضِبُ لَكَ. قَالَ : " هُوَ فِي ضَحَضَاحٍ مِنْ نَارٍ ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ " .

2- صحيح مسلم برقم 310 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ عِنْدَهُ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: " لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحَضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاعُهُ " .

13- أول من ينشق عنه القبر ﷺ ... أنه أول من ينشق عنه القبر من الخلائق في يوم القيامة ؛ ثبت في صحيح مسلم برقم 4223 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ " .

16- أعطاه الله ﷻ الكوثر والحوض ، دليل ذلك ما يلي:

1- الكوثر : نهرٌ في الجنة ليس لأحد إلا له ﷺ قال ﷺ : «إِنَّا أُعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1)»
(الكوثر).

2- صحيح مسلم برقم 607 قال ﷺ : أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ ؟ فَقُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ
قَالَ : فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ- عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ
أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيَخْتَلِجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ : رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي
فَيَقُولُ : مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثْتَ بَعْدَكَ .

3- صحيح البخاري برقم 6526 عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : قَالَتْ أَسْمَاءُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ : " أَنَا عَلَى حَوْضِي أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ فَيُؤْخَذُ بِنَاسٍ مِنْ دُونِي، فَأَقُولُ : " أُمَّتِي".
فَيُقَالُ : " لَا تَدْرِي مَشَوْا عَلَى الْفَهْقَرَى ".
قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ نَفْتَنَ .

3- مسند أحمد برقم 7652 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ أَتَى إِلَى الْمَقْبَرَةِ فَسَلَّمَ
عَلَى أَهْلِ الْمَقْبَرَةِ فَقَالَ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ
لَاحِقُونَ ثُمَّ قَالَ وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا قَالَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَلَسْنَا بِإِخْوَانِكَ
قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانِي الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ فَقَالُوا
يَا رَسُولَ اللَّهِ: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ مِنْ أُمَّتِكَ بَعْدُ قَالَ : أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ
لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَانِي خَيْلٍ بِهِمْ دُهْمٌ أَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهَا قَالُوا : بَلَى قَالَ :
فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ ثُمَّ
قَالَ : أَلَا لِيُذَادَنَّ رَجَالٌ مِنْكُمْ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ
فَيُقَالُ : إِنَّهُمْ بَدَلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سَحَقًا سَحَقًا .

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو: من من الأنبياء أعطي هذا الشرف الذي كان لمحمد ﷺ ولأمته الطيبة...؟

ثانياً : إن محمداً أشرف الأنبياء والمرسلين بحسب - ما جاء في الكتاب المقدس أيضاً- الذي يذكر أن الأنبياء والمرسلين فيه زناة وقتله وسراق ولصوص ، ومنهم من صنع الأصنام وعبدها....

جاءت بعض هذه الصفات على لسان يسوع المسيح ، وذلك في إنجيل يوحنا إصحاح 10 عدد⁷ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ. ⁸ جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَاقٌ وَلُصُوصٌ، وَلَكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ. وذكر الكتاب المقدس بقية هذه الصفات التي لا نقبلها على أنبياء الله وذلك في الآتي :

2- النبي لوط زنا ببنيته (زنا محارم) وذلك في سفر التكوين إصحاح 19 عدد²⁹ وَحَدَّثَ لَمَّا أَخْرَبَ اللَّهُ مَدْنَ الدَّائِرَةِ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَرْسَلَ لُوطاً مِنْ وَسْطِ الانْقِلَابِ. حِينَ قَلَبَ الْمَدْنَ الَّتِي سَكَنَ فِيهَا لُوطٌ. ³⁰ وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ ، لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. ³¹ وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الْأَرْضِ. ³² هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمراً وَنَضْطَجِعْ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». ³³ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمراً فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا. ³⁴ وَحَدَّثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدْ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمراً الْلَّيْلَةَ أَيْضاً فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». ³⁵ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمراً فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضاً، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا، ³⁶ فَحَبَلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. ³⁷ فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتْ

اسْمُهُ «مُؤَابَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُؤَابِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. ³⁸وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتْ ابْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ «بْنَ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ.

3- النَّبِيُّ يَعْقُوبُ سَرَقَ الْبَرَكَةَ مِنْ أَخِيهِ الْأَكْبَرِ عِيسُو.... وَذَلِكَ فِي سَفَرِ التَّكْوِينِ

إِسْحَاقُ 27 عَدَدٌ ⁵وَكَانَتْ رِفْقَةُ سَامِعَةً إِذْ تَكَلَّمَ إِسْحَاقُ مَعَ عِيسُو ابْنِهِ. فَذَهَبَ عِيسُو إِلَى الْبَرِّيَّةِ كَيْ يَصْطَادَ صَيْدًا لِيَأْتِيَ بِهِ. ⁶وَأَمَّا رِفْقَةُ فَكَلَّمَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا قَائِلَةً: «إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَبَاكَ يَكْلِمُ عِيسُو أَخَاكَ قَائِلًا: ⁷أَنْتَنِي بِصَيْدٍ وَاصْنَعْ لِي أَطْعَمَةً لَأَكُلَ وَأُبَارِكَكَ أَمَامَ الرَّبِّ قَبْلَ وَفَاتِي. ⁸فَالآنَ يَا ابْنِي اسْمَعْ لِقَوْلِي فِي مَا أَنَا أَمْرُكَ بِهِ: ⁹أَذْهَبْ إِلَى الْغَنَمِ وَخُذْ لِي مِنْ هُنَاكَ جَدِيَيْنِ جَيِّدَيْنِ مِنَ الْمَعْزَى، فَأَصْنَعَهُمَا أَطْعَمَةً لِأَبِيكَ كَمَا يُحِبُّ، ¹⁰فَتَحْضِرْهَا إِلَى أَبِيكَ لِأَكُلَ حَتَّى يُبَارِكَكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ». ¹¹فَقَالَ يَعْقُوبُ لِرِفْقَةِ أُمِّهِ: «هُوَذَا عِيسُو أَخِي رَجُلٌ أَشْعَرٌ وَأَنَا رَجُلٌ أَمْلَسُ. ¹²رَبِّمًا يَجْسُنِي أَبِي فَأَكُونُ فِي عَيْنَيْهِ كَمَتَهَاوِنٍ، وَأَجْلِبُ عَلَى نَفْسِي لَعْنَةً لَا بَرَكَةَ». ¹³فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «لَعْنَتُكَ عَلَيَّ يَا ابْنِي. اسْمَعْ لِقَوْلِي فَقَطْ وَاذْهَبْ خُذْ لِي». ¹⁴فَذَهَبَ وَآخَذَ وَأَحْضَرَ لَأُمِّهِ، فَصَنَعَتْ أُمُّهُ أَطْعَمَةً كَمَا كَانَ أَبُوهُ يُحِبُّ. ¹⁵وَأَخَذَتْ رِفْقَةُ ثِيَابَ عِيسُو ابْنِهَا الْأَكْبَرِ الْفَاخِرَةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهَا فِي الْبَيْتِ وَالْبَسَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا الْأَصْغَرَ، ¹⁶وَالْبَسَتْ يَدَيْهِ وَمَلَأَتْهُ عَنْقَهُ جُلُودَ جَدِي الْمَعْزَى. ¹⁷وَأَعْطَتْ الْأَطْعَمَةَ وَالْخُبْزَ الَّتِي صَنَعَتْ فِي يَدِ يَعْقُوبَ ابْنِهَا. ¹⁸فَدَخَلَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: «يَا أَبِي». فَقَالَ: «هَئِنَذَا. مَنْ أَنْتَ يَا ابْنِي؟» ¹⁹فَقَالَ يَعْقُوبُ لِأَبِيهِ: «أَنَا عِيسُو بَكَرُكَ. قَدْ فَعَلْتُ كَمَا كَلَّمْتَنِي. قُمْ اجْلِسْ وَكُلْ مِنْ صَيْدِي لَكِي تَبَارِكَنِي نَفْسُكَ». ²⁰فَقَالَ إِسْحَاقُ لِابْنِهِ: «مَا هَذَا الَّذِي أَسْرَعْتَ لِتَجِدَ يَا ابْنِي؟» فَقَالَ: «إِنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ قَدْ يَسَّرَ لِي» ²¹فَقَالَ إِسْحَاقُ لِيَعْقُوبَ: «تَقَدَّمْ لِأَجْسُكَ يَا ابْنِي. أَأَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو أَمْ لَا؟». ²²فَتَقَدَّمَ يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ، فَجَسَّهُ وَقَالَ: «الصَّوْتُ صَوْتُ يَعْقُوبَ، وَلَكِنَّ الْيَدَيْنِ يَدَا عِيسُو». ²³وَلَمْ يَعْرِفْهُ لِأَنَّ يَدَيْهِ كَانَتَا مُشْعِرَتَيْنِ كَيْدِي عِيسُو أَخِيهِ، فَبَارَكَهُ. ²⁴وَقَالَ: «هَلْ أَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو؟» فَقَالَ: «أَنَا هُوَ». ²⁵فَقَالَ: «قَدِّمْ لِي لَأَكُلَ مِنْ صَيْدِ ابْنِي حَتَّى تَبَارِكَكَ نَفْسِي». فَقَدِّمْ لَهُ فَأَكَلَ، وَأَحْضَرَ لَهُ خَمْرًا فَشَرِبَ.

4- النبي داود قتل رجلاً بريئاً (أورياً) بعد أن زنا بزوجته وذلك في سفر صموئيل

الثاني إصحاح 11 عدد¹ وَكَانَ عِنْدَ تَمَامِ السَّنَةِ، فِي وَقْتِ خُرُوجِ الْمُلُوكِ، أَنَّ دَاوُدَ أَرْسَلَ يُوَابَ وَعَبِيدَهُ مَعَهُ وَجَمِيعَ إِسْرَائِيلَ، فَأَخْرَبُوا بَنِي عَمُونَ وَحَاصَرُوا رِبَّةَ. وَأَمَّا دَاوُدُ فَأَقَامَ فِي أُورُشَلِيمَ.² وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةً الْمَنْظَرِ جِداً.³ فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَالَ عَنْ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هَذِهِ بِنْتُ بَنِيَامِ امْرَأَةِ أُورِيَا الْحِثِّيِّ؟». ⁴ فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلًا وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمَئِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا.⁵ وَحَبَلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حَبَلْتُ». ⁶ فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى يُوَابَ يَقُولُ: «أَرْسِلْ إِلَيَّ أُورِيَا الْحِثِّيِّ». فَأَرْسَلَ يُوَابُ أُورِيَا إِلَى دَاوُدَ.⁷ فَاتَى أُورِيَا إِلَيْهِ، فَسَأَلَ دَاوُدَ عَنْ سَلَامَةِ يُوَابَ وَسَلَامَةِ الشَّعْبِ وَنَجَاحِ الْحَرْبِ.⁸ وَقَالَ دَاوُدُ لِأُورِيَا: «انْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ». فَخَرَجَ أُورِيَا مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ حَصَّةٌ مِنَ عِنْدِ الْمَلِكِ.⁹ وَنَامَ أُورِيَا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ جَمِيعِ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ.¹⁰ فَأَخْبَرُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ: «لَمْ يَنْزِلْ أُورِيَا إِلَى بَيْتِهِ». فَقَالَ دَاوُدُ لِأُورِيَا: «أَمَّا جِئْتَ مِنَ السَّفَرِ؟ فَلَمَّاذَا لَمْ تَنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ؟»¹¹ فَقَالَ أُورِيَا لِدَاوُدَ: «إِنَّ الثَّابُوتَ وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكُنُونَ فِي الْخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوَابَ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحَرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لِأَكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجَعَ مَعَ امْرَأَتِي؟ وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ، لَا أَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ». ¹² فَقَالَ دَاوُدُ لِأُورِيَا: «أَقِمْ هُنَا الْيَوْمَ أَيْضًا، وَغَدًا أَطْلُقُكَ». فَأَقَامَ أُورِيَا فِي أُورُشَلِيمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَغَدَهُ.¹³ وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَلَ أَمَامَهُ وَشَرِبَ وَأَسْكِرَهُ. وَخَرَجَ عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَضْطَجَعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَإِلَى بَيْتِهِ لَمْ يَنْزِلْ.¹⁴ وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوبًا إِلَى يُوَابَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُورِيَا.¹⁵ وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: «اجْعَلُوا أُورِيَا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ». ¹⁶ وَكَانَ فِي مُحَاصَرَةِ يُوَابَ الْمَدِينَةَ أَنَّهُ جَعَلَ أُورِيَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّ رِجَالَ الْبَاسِ فِيهِ.¹⁷ فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارَبُوا يُوَابَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عَبِيدِ دَاوُدَ، وَمَاتَ أُورِيَا الْحِثِّيُّ أَيْضًا.

5- النبي موسى قتل رجلاً بريئاً (المصري) متعمداً مع العلم أن الإسرائيلي كان ظالماً... وذلك في سفر الخروج إصحاح 2 عدد¹¹ وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَمَّا كَبَرَ مُوسَى أَنَّهُ حَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَنْفَالِهِمْ، فَرَأَى رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ،¹² فَالْتَقَتْ إِلَى هُنَا وَهَنَّاكَ وَرَأَى أَن لَيْسَ أَحَدٌ، فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ.

4- النبي هارون أنه صنع العجل الذهبي وهو صنم ، وأمر بني إسرائيل بعبادته

وذلك في سفر الخروج 32 عدد¹ وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمْ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لِأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». ² فَقَالَ لَهُمْ هَارُونَ: «انزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَتُونِي بِهَا». ³ فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. ⁴ فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالْإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عَجَلًا مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». ⁵ فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونَ بَنِي مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونَ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ». ⁶ فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرِقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلَامَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلْعِبَادَةِ !

رد شبهة : نبي الإسلام ليس خير خلق الله ، فهو القائل : (لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى) !

أثيرت شبهة حول مكانة النبي ﷺ عند المسلمين مدعيًا أصحابها : أن محمداً ليس خير خلق الله ... فهو القائل : لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى ...

وذلك في صحيح البخاري برقم 2234 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : اسْتَبَّ رَجُلَانِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ قَالَ الْمُسْلِمُ : وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمَرَ الْمُسْلِمَ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمَ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَتْنَى اللَّهَ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن النبي ﷺ هو أفضل الأنبياء والرسل - عليهم السلام - بلا شك وقد اختلف العلماء في هل هو ﷺ خير خلق الله أم لا ؟ فقال بعضهم: الملائكة، وقال الجماهير: إنه ﷺ خير خلق الله على الإطلاق ...

أما الذي نحن بصدده فهو أن النبي ﷺ أفضل الأنبياء والرسل - عليهم السلام - لعدة أدلة منها ما جاء في صحيح مسلم برقم 812 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَسْتُ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهْرًا ، وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلَتْ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ " .

نلاحظ من الحديث قوله : " فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ... " .

فهذا هو الأصل الذي نؤمن به نحن - المسلمين - لا كما فهم المعتضون ...

فإن قيل : هناك تعارض بين آيتين بهذا الشأن :

الأولى : قوله ﷺ : ﴿ لَا نَفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ (285) (البقرة).

الثانية : قوله ﷺ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (253) (البقرة).

قلتُ: لا يوجد تعارض قط إلا في العقول المريضة ... ويزول إشكالهم بأن الآية الأولى تتحدث عن إيمان إجمال أعني : أننا نؤمن بكل الأنبياء ، ولا نفرق بين أحد من رسل الله ﷺ في الإيمان به ...

فإذا قال قائل : إنني أؤمن بكل الأنبياء إلا موسى ﷺ فهو كافر؛ **لقوله ﷺ :** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (150) (النساء).

وأما الآية الثانية فهي تتحدث عن تفضيل الله ﷻ للرسول -عليهم السلام - بعضهم على بعض، فأفضلهم الخمسة أولي العزم من الرسل هم : نوح ، إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد - عليهم السلام -

وأفضل الخمسة الخليلان: إبراهيم ، ومحمد ﷺ.

وأفضل الخليلين : هو محمد ﷺ.

ثانياً : إن قول النبي ﷺ : (لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى) قاله ﷺ لأن هذا يؤدي إلى الانتقاص من شأن نبي الله موسى ﷺ من قبل بعض المسلمين ، وهذا محرمٌ عندنا ، وقد يؤدي ذلك إلى مسبة النبي ﷺ من اليهود ، لأن الحادثة حادثة شجار بين مسلم و يهودي ؛ الحديث يقول : " اسْتَبَّ رَجُلَانِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ " قَالَ الْمُسْلِمُ : " وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ " فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : " وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى

الْعَالَمِينَ" فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.....

فَقَالَ : (لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى) ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ الْفَضْلِ فَقَالَ : " لَا تَفْضَلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ " وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ : " لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ " .

يدلل ما سبق ما جاء في الآتي :

1- قال صاحب عون المعبود : (لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى) : أَي : وَنَحْوَهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبُوءَةِ . وَالْمَعْنَى : طَلَا تَفْضَلُونِي عَلَيْهِ تَفْضِيلًا يُؤَدِّي إِلَى إِيْهَامِ الْمَنْقِصَةِ أَوْ إِلَى تَسَبُّبِ الْخُصُومَةِ . اهـ

2- قال صاحب مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : قوله : " لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى " أَي : لَا تَفْضَلُونِي عَلَيْهِ قَوْلَ قَالِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّوَضُّعِ أَوَّلًا ثُمَّ لِيَرْدَعِ الْأُمَّةَ عَنِ التَّخْيِيرِ بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ ثَانِيًا فَإِنَّ ذَلِكَ يَفْضِي بِهِمْ إِلَى الْعَصْبِيَّةِ فَيَنْتَهَزُ الشَّيْطَانُ مِنْهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ فُرْصَةً يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ فَيَطْرُونَ الْفَاضِلَ فَوْقَ حَقِّهِ وَيَبْخَسُونَ الْمَفْضُولَ حَقَّهُ فَيَقْعُونَ فِي مَهْوَاةِ الْغِيِّ وَلِهَذَا قَالَ لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ أَي : لَا تَقْدَمُوا عَلَى ذَلِكَ بِأَهْوَاكُمْ وَأَرَائِكُمْ بَلْ بِمَا آتَاكُمْ اللَّهُ مِنَ الْبَيَانِ وَعَلَى هَذَا النِّحْوِ قَوْلُهُ وَلَا أَقُولُ أَنَّ أَحَدًا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ ابْنِ مَتَّى أَي لَا أَقُولُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي وَلَا أَفْضَلُ أَحَدًا عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ النَّبُوءَةُ وَالرِّسَالَةُ فَإِنَّ شَأْنَهُمَا لَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافٍ . اهـ

و قد تكثر النهي من النبي ﷺ بهذا الشأن فقال: لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ﷺ... وبهذا أكون قد نسفت الشبهة نسفاً - بفضل الله ﷻ - .

ثالثاً : إن محمداً أفضل من يسوع المسيح نفسه وذلك بحسب ما نُسب لتلميذ يسوع برنابا في إنجيله لما قال يسوع عن محمد: " لا أستحق أن أحل سبور حذائه..." .

رد شبهة : نبيّ كان مجرمًا !

قالوا : هل كان نبيّ الإسلام مجرمًا ... فقد جاءت آية في القرآن الكريم تقول له حينما يناقش الآخرين: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (25)﴾ (سبأ).

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذه الشبهة من الشبهات التي لا قيمة لها فهي نابعة من خيالٍ مريضٍ، وجهلٍ عريضٍ.... وهذا ما سوف أثبتّه - إن شاء الله - كما يلي :

الآية تتعلق بمسألة هامة جداً وهي مجارة الخصم في المناظر كي يجذبه ثم يفحمه بإقامة الحجة والبرهان ... تدلل على ذلك أدلة :

1- فهم الآية من خلال سياقها ، وذلك بالنظر فيما قبلها وما بعدها : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (24) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (25) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (26)﴾ (سبأ).

2- تفسير ابن كثير : قوله : { وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } : هذا من باب اللف والنشر، أي: واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله؛ ولهذا قال: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} .

قال قتادة : قد قال ذلك أصحاب محمد ﷺ للمشركين : والله ما نحن وإياكم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لمهتد .

وقال عكرمة ، وزيد بن أبي مريم : معناه : إنا نحن لعلَى هدى ، وإنكم لفي ضلال مبين .

وقوله: { قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ } : معناه التبري منهم ، أي: لستم منا ولا نحن منكم ، بل ندعوكم إلى الله وإلى توحيدِهِ وإفراد العبادَةِ لَهُ، فَإِنْ أَجَبْتُمْ فَأَنْتُمْ مَنَا وَنَحْنُ مِنْكُمْ، وَإِنْ كَذَبْتُمْ فَنَحْنُ بَرَاءُ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ بَرَاءُ مِنَّا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: { وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ } [يونس41]، وقال: { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } [الكافرون] .

وقوله: { قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا } أي : يوم القيامة، يجمع بين الخلائق في صعيد واحد ، ثم يفتح بيننا بالحق، أي : يحكم بيننا بالعدل، فيجزي كل عامل بعمله ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر. وستعلمون يومئذ لمن العزة والنصرة والسعادة الأبدية، كما قال تعالى: { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنُدُ يَتَفَرَّقُونَ . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ } [الروم 14-16] ؛ ولهذا قال تعالى: { وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ } أي: الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور .

وقوله : { قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ } أي : أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أندادا وصيرتموها له عدلا. { كَلَّا } أي : ليس له نظير ولا نديد، ولا شريك ولا عديل،

ولهذا قال : { بَلْ هُوَ اللَّهُ } أي: الواحد الأحد الذي لا شريك له { الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } أي: ذو العزة التي قد قهر بها كل شيء ، وَغَلَبَتْ كل شيء، الحكيم في أفعاله وأقواله، وشرعه وقدره، تعالى وتقدس . اهـ

إِذَا من خلال ما سبق تبين لنا : أن الآية الكريمة تتعلق بمسألة هامة جداً وهي مجارة الخصم في المناظر كي يجذبه ثم يفحمه بإقامة الحجة والبرهان... ومثل ذلك ما قاله مؤمن آل فرعون عن موسى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (28) (غافر).

وتبين لنا أيضاً أن هذه الشبهة من الشبهات التي لا قيمة لها فهي نابعة من خيال مريض وجهل عريض كما أسلفت...

ثانياً : إن الإجرام الحقيقي الذي يدور في أذهان المعترضين هو ما جاء في كتابهم المقدس الذي نسب ذلك الإجرام للأنبياء ، ولرب سبحانه أدلة على ما سبق جاءت في عدة مواطن من الكتاب المقدس منها:

أولاً : ما نسب للرب من جرائم منها :

1- الرب قام بتعرية النساء وذلك في سفر إشعياء إصحاح 3 عدد¹⁶ وَقَالَ الرَّبُّ: «مَنْ أَجَلِ أَنْ بَنَاتِ صِهْيُونَ يَتَشَامَخْنَ، وَيَمْشِينَ مَمْدُودَاتِ الْأَعْنَاقِ، وَغَامَزَاتِ بَعْيُونِهِنَّ، وَخَاطِرَاتِ فِي مَشْيِهِنَّ، وَيُخَشِخِشْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ،¹⁷ يُصْلِعُ السَّيِّدُ هَامَةَ بَنَاتِ صِهْيُونَ، وَيُعْرِِي الرَّبُّ عَوْرَتَهُنَّ .

2-الربّ سلم زوجات وبنات نبيه داود لقريبه كي يزني بهن أمامه وأمام الناس في عين الشمس ... وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 12 عدد ¹⁰ وَالْآنَ لَا يَفَارِقُ السَّيْفُ بَيْتَكَ إِلَى الْأَبَدِ، لِأَنَّكَ احْتَقَرْتَنِي وَأَخَذْتَ امْرَأَةً أُورِيَّا الْحَثِّيَّ لِتَكُونَ لَكَ امْرَأَةً. ¹¹ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَآنَذَا أَقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ، وَأَخْذُ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأُعْطِيَهُنَّ لِقَرِيبِكَ، فَيَضْطَجِعُ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هَذِهِ الشَّمْسِ. ¹² لِأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ بِالسَّرِّ وَأَنَا أَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ قَدَامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَقَدَامَ الشَّمْسِ». ¹³ فَقَالَ دَاوُدُ لِنَاتَانِ: «قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ». فَقَالَ نَاتَانُ لِدَاوُدَ: «الرَّبُّ أَيْضًا قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيئَتَكَ. لَا تَمُوتُ .

3-الربّ أمر موسى بسرقة المصريين ... وذلك في سفر الخروج إصحاح 3 عدد ¹⁹ وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ لَا يَدَعُكُمْ تَمْضُونَ وَلَا بِيَدٍ قَوِيَّةٍ، ²⁰ فَأَمْدُ يَدَيَّ وَأَضْرِبُ مِصْرَ بِكُلِّ عَجَائِبِي الَّتِي أَصْنَعُ فِيهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يُطْلَقُكُمْ. ²¹ وَأُعْطِي نِعْمَةً لِهَذَا الشَّعْبِ فِي عَيْنِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَمَا تَمْضُونَ أَنْتُمْ لَا تَمْضُونَ فَارِغِينَ. ²² بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتَةً فَضَّةً وَأَمْتَةً ذَهَبًا وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلُبُونَ الْمِصْرِيِّينَ». لا تعليق!

4-الربّ نسب إليه تهمة السرقة ... وذلك في سفر التكوين إصحاح 31 عدد ⁹ فَقَدْ سَلَبَ اللَّهُ مَوَاشِيَ آبَيْكُمَا وَأَعْطَانِي.

و في سفر صفنيا إصحاح 3 عدد ⁸ «لِذَلِكَ فَانْتَظِرُونِي، يَقُولُ الرَّبُّ، إِلَى يَوْمِ أَقُومَ إِلَى السَّلْبِ، لِأَنَّ حُكْمِي هُوَ بِجَمْعِ الْأُمَمِ وَحَشْرِ الْمَمَالِكِ، لِأَصُبَّ عَلَيْهِمْ سَخَطِي، كُلُّ حُمُو غَضَبِي. لِأَنَّهُ بُنِيَ غَيْرَتِي تَوَكَّلَ كُلُّ الْأَرْضِ..

نلاحظ من الأخير : أن الله موصوفٌ بزعم تلك النصوص بأنه سرق، وسلب من الناس المواشي والبهايم ، وأنه يقوم مخصوص من أجل السلب والنهب ... ولكن مع مرور الأيام ، وكما تدين تُدان ، نجد أن أناساً سرقوا الرب! **وذلك في سفر ملاخي** إصحاح 3 عدد 8⁸ **أَيْسَلِبُ الْإِنْسَانُ اللَّهَ؟ فَإِنَّكُمْ سَلَبْتُمُونِي. فَقُلْتُمْ : بِمَ سَلَبْنَاكَ؟ فِي الْعُشُورِ وَالتَّقْدِمَةِ.**

ثانياً : جرائم لبعض الأنبياء و ذراريهم:

أولاً : جرائم جنسية منها:

1- النبي لوط زنا ببنيته **وذلك في سفر التكوين** إصحاح 19 عدد 29²⁹ **وَحَدَّثَ لَمَّا أَخْرَبَ اللَّهُ مَدْنَ الدَّائِرَةِ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَرْسَلَ لُوطًا مِنْ وَسْطِ الانْقِلَابِ. حِينَ قَلَبَ الْمَدْنَ الَّتِي سَكَنَ فِيهَا لُوطٌ.³⁰ وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ.³¹ وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الْأَرْضِ.³² هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعْ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلًا».³³ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا.³⁴ وَحَدَّثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدْ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلًا».³⁵ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا،³⁶ فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا.³⁷ فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُؤَابَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُؤَابِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ.³⁸ وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ.**

2- أبناء داود زنا الأخ أمنون بأخته تamar (لتعلم كيف يغتصب الأخ أخته).....!

وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 13 عدد 1¹ وَجَرَى بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لِأَبْشَالُومَ بْنِ دَاوُدَ أُخْتُ جَمِيلَةٌ اسْمُهَا تَامَارُ، فَأَحَبَّهَا أَمْنُونُ بْنُ دَاوُدَ. 2² وَأُخْصِرَ أَمْنُونُ لِلسَّقَمِ مِنْ أَجْلِ تَامَارَ أُخْتِهِ لِأَنَّهَا كَانَتْ عَذْرَاءً، وَعَسَرَ فِي عَيْنِي أَمْنُونُ أَنْ يَفْعَلَ لَهَا شَيْئًا. 3³ وَكَانَ لِأَمْنُونِ صَاحِبٌ اسْمُهُ يُونَادَابُ بْنُ شِمْعَى أَخِي دَاوُدَ. وَكَانَ يُونَادَابُ رَجُلًا حَكِيمًا جِدًّا. 4⁴ فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا يَا ابْنَ الْمَلِكِ أَنْتَ ضَعِيفٌ هَكَذَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَى صَبَاحٍ؟ أَمَا تَخْبِرُنِي؟» فَقَالَ لَهُ أَمْنُونُ: «إِنِّي أَحَبُّ تَامَارَ أُخْتِ أَبْشَالُومَ أَخِي». 5⁵ فَقَالَ يُونَادَابُ: «اضْطَجِعْ عَلَى سَرِيرِكَ وَتَمَارِضْ. وَإِذَا جَاءَ أَبُوكَ لِيِرَاكَ فَقُلْ لَهُ: دَعُ تَامَارَ أُخْتِي فَتَأْتِي وَتَطْعِمَنِي خُبْزًا، وَتَعْمَلُ أَمَامِي الطَّعَامَ لِأَرَى فَأَكُلُ مِنْ يَدِهَا». 6⁶ فَاضْطَجَعَ أَمْنُونُ وَتَمَارِضَ، فَجَاءَ الْمَلِكُ لِيَرَاهُ. فَقَالَ أَمْنُونُ لِلْمَلِكِ: «دَعُ تَامَارَ أُخْتِي فَتَأْتِي وَتَصْنَعُ أَمَامِي كَعَكَتَيْنِ فَأَكُلُ مِنْ يَدِهَا». 7⁷ فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى تَامَارَ إِلَى الْبَيْتِ قَائِلًا: «أَذْهَبِي إِلَى بَيْتِ أَمْنُونِ أَخِيكِ وَاعْمَلِي لَهُ طَعَامًا». 8⁸ فَذَهَبَتْ تَامَارُ إِلَى بَيْتِ أَمْنُونِ أَخِيهَا وَهُوَ مُضْطَجِعٌ. وَأَخَذَتْ الْعَجِينَ وَعَجَنْتْ وَعَمَلَتْ كَعَكًا أَمَامَهُ وَخَبَزَتْ الْكَعْكَ، 9⁹ وَأَخَذَتْ الْمَقْلَةَ وَسَكَبَتْ أَمَامَهُ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ. وَقَالَ أَمْنُونُ: «أَخْرِجُوا كُلَّ إِنْسَانٍ عَنِّي». فَخَرَجَ كُلُّ إِنْسَانٍ عَنْهُ. 10¹⁰ ثُمَّ قَالَ أَمْنُونُ لِتَامَارَ: «إِيتِي بِالطَّعَامِ إِلَى الْمَخْدَعِ فَأَكُلُ مِنْ يَدِكَ». فَأَخَذَتْ تَامَارُ الْكَعْكَ الَّذِي عَمَلَتْهُ وَأَتَتْ بِهِ أَمْنُونُ أَخَاهَا إِلَى الْمَخْدَعِ. 11¹¹ وَقَدَّمَتْ لَهُ لِيَأْكُلَ، فَأَمْسَكَهَا وَقَالَ لَهَا: «تَعَالِي اضْطَجِعِي مَعِي يَا أُخْتِي». 12¹² فَقَالَتْ لَهُ: «لَا يَا أَخِي، لَا تَذُلَّنِي لِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ هَكَذَا فِي إِسْرَائِيلَ. لَا تَعْمَلْ هَذِهِ الْقَبَاحَةَ. 1¹ أَمَّا أَنَا فَأَيْنَ أَذْهَبُ بِعَارِي؟ وَمَا أَنْتَ فَتَكُونُ كَوَاحِدٍ مِنَ السُّفَهَاءِ فِي إِسْرَائِيلَ! وَالْآنَ كُلُّ الْمَلِكِ لِأَنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي مِنْكَ». 14¹⁴ فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَسْمَعَ لَصَوْتِهَا، بَلْ تَمَكَّنَ مِنْهَا وَقَهَرَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا. 15¹⁵ ثُمَّ أَبْغَضَهَا أَمْنُونُ بِغُضَّةٍ يَدَةً جِدًّا، حَتَّى إِنَّ الْبُغْضَةَ الَّتِي أَبْغَضَهَا إِيَّاهَا كَانَتْ أَشَدَّ مِنَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَحَبَّهَا إِيَّاهَا. وَقَالَ لَهَا أَمْنُونُ: «قُومِي انْطَلِقِي». 16¹⁶ فَقَالَتْ لَهُ: «لَا سَبَبَ! هَذَا الشَّرُّ بِطَرْدِكَ إِيَّايَ هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْآخِرِ الَّذِي عَمَلْتَهُ بِي». فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَسْمَعَ لَهَا، 17¹⁷ بَلْ دَعَا غُلَامَهُ الَّذِي كَانَ يَخْدُمُهُ وَقَالَ: «اطْرُدْ هَذِهِ عَنِّي خَارِجًا وَأَقْفَلِ الْبَابَ وَرَاءَهَا». 18¹⁸ وَكَانَ عَلَيْهَا ثَوْبٌ مُلَوَّنٌ، لِأَنَّ بَنَاتِ الْمَلِكِ الْعَدَارِي كُنَّ يَلْبَسْنَ جُبَاتٍ مِثْلَ هَذِهِ. فَأَخْرَجَهَا خَادِمُهُ إِلَى الْخَارِجِ وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَرَاءَهَا. 19¹⁹ فَجَعَلَتْ تَامَارُ رَمَادًا عَلَى رَأْسِهَا، وَمَرَّقَتْ الثَّوْبَ الْمُلَوَّنَ

الَّذِي عَلَيْهَا، وَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا وَكَانَتْ تَذْهَبُ صَارِخَةً.²⁰ فَقَالَ لَهَا أَبْشَلُومُ أَخُوهَا: «هَلْ كَانَ أَمْنُونُ أَخُوكَ مَعَكَ؟ فَالَانَ يَا أُخْتِي اسْكُتِي. أَخُوكَ هُوَ. لَا تَضَعِي قَلْبَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ». فَأَقَامَتْ ثَامَارُ مُسْتَوْحِشَةً فِي بَيْتِ أَبْشَلُومَ أَخِيهَا.

3- زنا ابن يعقوب النبي (روبين) بزوجة أبيه (بلهة) وذلك في سفر التكوين إصحاح 35 عدد 21²¹ ثُمَّ رَجَلَ إِسْرَائِيلُ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ وَرَاءَ مَجْدَلٍ عَدْرٍ.²² وَحَدَّثَ إِذْ كَانَ إِسْرَائِيلُ سَاكِنًا فِي تِلْكَ الْأَرْضِ، أَنَّ رَاوِبِينَ ذَهَبَ وَاضْطَجَعَ مَعَ بِلْهَةَ سُرِّيَّةِ أَبِيهِ، وَسَمِعَ إِسْرَائِيلُ. !

ثانيًا : جرائم سرقة :

1- نسب الكتاب المقدس لبولس الرسول (شاول) بأنه كان يسرق الكنائس ... وذلك في سفر أعمال الرسل إصحاح 8 عدد 3³ وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجْرِ رِجَالًا وَنِسَاءً وَيَسْلِمُهُمْ إِلَى السَّجْنِ.

2- نسب الكتاب المقدس لنبي الله يعقوب أنه سرق البركة من أخيه عيسو وذلك في سفر التكوين إصحاح 27 عدد 5⁵ وَكَانَتْ رِفْقَةُ سَامِعَةً إِذْ تَكَلَّمَ إِسْحَاقُ مَعَ عَيْسُو ابْنِهِ. فَذَهَبَ عَيْسُو إِلَى الْبَرِّيَّةِ كَيْ يَصْطَادَ صَيْدًا لِيَأْتِيَ بِهِ.⁶ وَأَمَّا رِفْقَةُ فَكَلِمَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا قَائِلَةً: «إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَبَاكَ يَكْلُمُ عَيْسُو أَخَاكَ قَائِلًا: ⁷أَنْتِنِي بِصَيْدٍ وَأَصْنَعُ لِي أَطْعَمَةً لَأَكُلَ وَأُبَارِكَكَ أَمَامَ الرَّبِّ قَبْلَ وَفَاتِي.⁸ فَالَانَ يَا ابْنِي اسْمَعْ لِقَوْلِي فِي مَا أَنَا أَمْرُكَ بِهِ: ⁹أَذْهَبْ إِلَى الْغَنَمِ وَخُذْ لِي مِنْ هُنَاكَ جَدِيدَيْنِ جَيِّدَيْنِ مِنَ الْمَعْزَى، فَأَصْنَعُهُمَا أَطْعَمَةً لِأَبِيكَ كَمَا يُحِبُّ، ¹⁰فَتَحْضُرْهَا إِلَى أَبِيكَ لِأَكُلَ حَتَّى يُبَارِكَكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ». ¹¹فَقَالَ يَعْقُوبُ لِرِفْقَةَ أُمِّهِ: «هُوَذَا عَيْسُو أَخِي رَجُلٌ أَشْعَرُ وَأَنَا رَجُلٌ أَمْلَسُ. ¹²رَبِّمًا يَجْسُنِي أَبِي فَأَكُونُ فِي عَيْنَيْهِ كَمَتَّهَائِينَ، وَأَجْلِبُ عَلَى نَفْسِي لَعْنَةً لَا بَرَكَهَةً». ¹³فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «لَعْنَتُكَ

عَلَيَّ يَا ابْنِي. اسْمَعْ لِقَوْلِي فَقَطْ وَاذْهَبْ خُذْ لِي». ¹⁴ فَذَهَبَ وَآخَذَ وَأَحْضَرَ لِأُمِّهِ، فَصَنَعَتْ أُمُّهُ أَطْعَمَةً كَمَا كَانَ أَبُوهُ يُحِبُّ. ¹⁵ وَأَخَذَتْ رَفْقَةً ثِيَابَ عِيسُو ابْنِهَا الْأَكْبَرَ الْفَاخِرَةَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهَا فِي الْبَيْتِ وَالْبَسَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا الْأَصْغَرَ، ¹⁶ وَالْبَسَتْ يَدِيهِ وَمَلَأَتْهُ عُنُقَهُ جُلُودَ جَدِّي الْمَعْزَى. ¹⁷ وَأَعْطَتْ الْأَطْعَمَةَ وَالْخَبْزَ الَّتِي صَنَعَتْ فِي يَدِ يَعْقُوبَ ابْنِهَا. ¹⁸ فَدَخَلَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: «يَا أَبِي». فَقَالَ: «هَآنَذَا. مَنْ أَنْتَ يَا ابْنِي؟» ¹⁹ فَقَالَ يَعْقُوبُ لِأَبِيهِ: «أَنَا عِيسُو بِكَرْكُ. قَدْ فَعَلْتُ كَمَا كَلَّمْتَنِي. قُمْ اجْلِسْ وَكُلْ مِنْ صَيْدِي لَكِي تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ». ²⁰ فَقَالَ إِسْحَاقُ لِابْنِهِ: «مَا هَذَا الَّذِي أَسْرَعْتَ لِتَجِدَ يَا ابْنِي؟» فَقَالَ: «إِنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ قَدْ يَسَّرَ لِي» ²¹ فَقَالَ إِسْحَاقُ لِيَعْقُوبَ: «تَقَدَّمْ لِأَجْسُكَ يَا ابْنِي. أَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو أَمْ لَا؟». ²² فَتَقَدَّمَ يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ، فَجَسَّهُ وَقَالَ: «الصَّوْتُ صَوْتُ يَعْقُوبَ، وَلَكِنَّ الْيَدَيْنِ يَدَا عِيسُو». ²³ وَلَمْ يَعْرِفْهُ لِأَنَّ يَدَيْهِ كَانَتَا مُشْعِرَتَيْنِ كَيْدِي عِيسُو أَخِيهِ، فَبَارَكَهُ. ²⁴ وَقَالَ: «هَلْ أَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو؟» فَقَالَ: «أَنَا هُوَ». ²⁵ فَقَالَ: «قَدَّمَ لِي لِأَكُلَ مِنْ صَيْدِ ابْنِي حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي». فَتَقَدَّمَ لَهُ فَأَكَلَ، وَأَحْضَرَ لَهُ خَمْرًا فَشَرِبَ.

ثالثاً : جرائم قتل الأبرياء:

1- داود قتل رجلاً بريئاً (أوريا) بعد أن زنا بزوجته وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 11 عدد ¹ وَكَانَ عِنْدَ تَمَامِ السَّنَةِ، فِي وَقْتِ خُرُوجِ الْمُلُوكِ، أَنَّ دَاوُدَ أَرْسَلَ يُوَابَ وَعَبِيدَهُ مَعَهُ وَجَمِيعَ إِسْرَائِيلَ، فَأَخْرَبُوا بَنِي عَمُونَ وَحَاصَرُوا رِيَّةَ. وَأَمَّا دَاوُدُ فَأَقَامَ فِي أُورُشَلِيمَ. ² وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتْ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةً الْمَنْظَرِ جِدًّا. ³ فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَالَ عَنْ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هَذِهِ بَثْشَبَعُ بِنْتُ أَلِيْعَامَ امْرَأَةِ أُورِيَا الْحِثِّيِّ؟». ⁴ فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلًا وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْنِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. ⁵ وَحَبَلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى». ⁶ فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى يُوَابَ يَقُولُ: «أَرْسِلْ إِلَيَّ أُورِيَا الْحِثِّيَّ».

فَأَرْسَلَ يُوَابُ أُورِيَّا إِلَى دَاوُدَ. ⁷ فَأَتَى أُورِيَّا إِلَيْهِ، فَسَأَلَ دَاوُدَ عَنْ سَلَامَةِ يُوَابَ وَسَلَامَةِ الشَّعْبِ وَنَجَاحِ الْحَرْبِ. ⁸ وَقَالَ دَاوُدُ لِأُورِيَّا: «انْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ». فَخَرَجَ أُورِيَّا مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ حِصَّةٌ مِنَ عِنْدِ الْمَلِكِ. ⁹ وَنَامَ أُورِيَّا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ جَمِيعِ عِبِيدِ سَيِّدِهِ، وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ. ¹⁰ فَأَخْبَرُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ: «لَمْ يَنْزِلْ أُورِيَّا إِلَى بَيْتِهِ». فَقَالَ دَاوُدُ لِأُورِيَّا: «أَمَا جِئْتَ مِنَ السَّفَرِ؟ فَلِمَ إِذَا لَمْ تَنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ؟» ¹¹ فَقَالَ أُورِيَّا لِدَاوُدَ: «إِنَّ الثَّابُوتَ وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوَابُ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحَرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لِأَكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجِعَ مَعَ امْرَأَتِي؟ وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ، لَا أَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ». ¹² فَقَالَ دَاوُدُ لِأُورِيَّا: «أَقِمْ هُنَا الْيَوْمَ أَيْضًا، وَغَدًا أُطْلِقُكَ». فَأَقَامَ أُورِيَّا فِي أُورُشَلِيمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَغَدَهُ. ¹³ وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَلَ أَمَامَهُ وَشَرِبَ وَأَسْكِرَهُ. وَخَرَجَ عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَضْطَجِعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عِبِيدِ سَيِّدِهِ، وَإِلَى بَيْتِهِ لَمْ يَنْزِلْ. ¹⁴ وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوبًا إِلَى يُوَابَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُورِيَّا. ¹⁵ وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: «اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ». ¹⁶ وَكَانَ فِي مُحَاصَرَةِ يُوَابَ الْمَدِينَةِ أَنَّهُ جَعَلَ أُورِيَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّ رِجَالَ الْبَاسِ فِيهِ. ¹⁷ فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارَبُوا يُوَابَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عِبِيدِ دَاوُدَ، وَمَاتَ أُورِيَّا الْحَثِيءُ أَيْضًا.

2- موسى قتل رجلاً بريئاً (المصري) متعمداً مع العلم أن الإسرائيليين كان ظالماً...
وذلك في سفر الخروج إصحاح 2 عدد ¹¹ وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَمَّا كَبِرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَثْقَالِهِمْ، فَرَأَى رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ، ¹² فَالْتَفَتَ إِلَى هُنَا وَهَنَاقَ وَرَأَى أَنَّ لَيْسَ أَحَدًا، فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ . لا تعليق !

رد شبهة: نبي كان سباباً ولعناً !

أعظم المعترضون الفرية على رسول الله ﷺ ؛ لما وصفوه بأنه كان سباباً ولعناً.....

استندوا في ذلك على حديث جاء في صحيح مسلم كتاب (البرِّ والصَّلة والآداب) باب (مَنْ لَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ سَبَّهُ أَوْ دَعَا عَلَيْهِ وَلَيْسَ هُوَ أَهْلًا لِذَلِكَ كَانَ لَهُ زَكَاةٌ وَأَجْرًا وَرَحْمَةٌ) برقم 4705 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ فَأَغْضَبَاهُ فَلَعَنَهُمَا وَسَبَّهُمَا فَلَمَّا خَرَجَا قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَصَابَ مِنْ الْخَيْرِ شَيْئًا مَا أَصَابَهُ هَذَانِ قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَتْ قُلْتُ : لَعَنتهما وَسَبَبتهما . قَالَ : " أَوْ مَا عَلِمْتَ مَا شَارِطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي " ؟ قُلْتُ : " اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن ادعاءهم أن رسول الله ﷺ كان سباً ولعناً..... ادعاء باطل؛ لان معنى سباب ولعان أي : كثير السب واللعن.... وهذا لم يثبت عنه ﷺ أبداً ، بل ثبت العكس من ذلك كما في مسند أحمد برقم 24247 عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : " لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا ، وَلَا مُتَفَحِّشًا ، وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يُجْزَى بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ " . بينما الحديث الذي معنا ذكر موقفاً نادراً فريداً، ولم ينقل عنه ﷺ أنه كان يسب و يلعن بل كان ﷺ أطيب الناس وأرأف الناس وأرحمهم ... دلت على ذلك أدلة كثيرة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة128).

3- قوله ﷺ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران159).

4- قوله ﷺ : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء215).

5- قوله ﷺ : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة128).

6- صحيح البخاري برقم 5578 عن أنس ﷺ قَالَ: " خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أَفٌّ وَلَا لِمَ صَنَعْتَ وَلَا أَلَا صَنَعْتَ " .

6- صحيح البخاري برقم 5571 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَابًا وَلَا فَحَاشًا وَلَا لَعَانًا كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ مَا لَهُ تَرَبَّ جَبِينُهُ " .

ثم إن قولهم بأنه ﷺ كان سباباً ولعاناً..... ناتج عن خيال مريض، وحقد دفين؛ لأن السباب تعني أنه كان كثير السب وهذا لم يحدث....

وعليه : فإن عنوان الشبهة باطل من أساسه ؛ لأن ما بُني على باطل فهو باطل....

ثانياً : إن اللوم في هذا الموقف لا يقع على محمد ﷺ بل يقع على الرجلين اللذين أغضباه ﷺ ، وذلك من قوله ﷺ : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ... ﴾ (الأحزاب53)

ثم إن النبي ﷺ شارب ربه ، والمُشارطة فيها من بيان المكانة الرفيعة ، ولا يتصور قيامها في حالة الخطأ المتعمد منه ﷺ بل لكون بشر... أن يجعل الربُّ ذلك كفارةً لمن سبه النبيُّ الكريم ...

ثالثاً : إن المعترضين يعترضون على موقف واحد من سيرة رسول الله ﷺ التي نقلت إلينا كاملة شاملة ، و لا يعترضون على كم المواقف التي ثبتت في أناجيلهم عن يسوع ، كم سب ولعن المؤمنين وغيرهم ..

أولاً : سب المؤمنين في التالي :

يسوع سب المؤمنين من اليهود (الحواريين) كما يلي :

- 1 - سب بطرس كبير الحواريين قائلاً : " يا شيطان " (متى 16 / 23) .
- 2 - سب آخرين من تلاميذه قائلاً : " أيها الغبيان والبطيئنا القلوب في الإيمان " (لوقا 24 / 25) .

3- سب الفريسيين ، وذلك في إنجيل لوقا إصحاح 11 عدد ⁴⁰ يَا أَغْيَاءُ، أَلَيْسَ الَّذِي صَنَعَ الْخَارِجَ صَنَعَ الدَّاخلَ أَيْضًا؟ ⁴¹ بَلْ أَعْطَوْا مَا عِنْدَكُمْ صَدَقَةً، فَهُوَ ذَا كُلِّ شَيْءٍ يَكُونُ نَقِيًّا لَكُمْ.

ثانياً : سب المؤمنين من غير اليهود كما يلي:

- 1- سب المرأة الكنعانية المؤمنة ، وصفها بأنها كلبه ؛ لأنها ليست من بني إسرائيل ؛ جاءت القصة كاملة في إنجيل متي إصحاح 15 عدد ²¹ ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَأَنْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَاءَ. ²² وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ الثُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: «ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! ابْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدًّا». ²³ فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا، لِأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!» ²⁴ فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». ²⁵ فَاتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: «يَا

سَيِّدُ، أَعْنِي!»²⁶ فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكَلابِ». فَقَالَتْ: «نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! وَالْكَلابُ أَيْضًا تَأْكُلُ مِنَ الْفَتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةٍ أَرَبَابِهَا!».²⁸ حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةً، عَظِيمٌ إِيمَانُكَ! لِيَكُنْ لَكَ كَمَا تَرِيدِينَ». فَشَفِيتِ ابْنَتَهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ.

2- وصف سائر الأميين بالكلاب و الخنازير وذلك في إنجيل متى إصحاح 7 عدد⁶ لَا تُعْطُوا الْقُدْسَ لِلْكَلابِ ، وَلَا تَطْرَحُوا دُرَّكُمْ قُدَّامَ الْخَنَازِيرِ، لِئَلَّا تَدُوسَهَا بِأَرْجُلِهَا وَتَلْتَفِتَ فْتَمَرِّقَكُمْ . اهـ . بتصرف نقلاً عن أخي الحبيب ساري في مقال له.

رابعاً: كان على المعترضين أن يفقهوا أولاً- قبل عرضهم لها- أن الغضب نوعان: غضب مذموم وغضب محمود.

الأول : الغضب المذموم: هو غضب للدنيا ، ويتسبب فيه الشيطان - لعنه الله- ؛ ثبت في صحيح البخاري برقم 5650 عن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ ، وَاحِدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدْ احْمَرَّ وَجْهُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ " . فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ.

والشاهد من الحديث قوله ﷺ: " إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ " . دل ذلك على أن هذا الغضب تسبب فيه الشيطان ، فهو غضب لدنيا ...

الثاني : الغضب المحمود : هو غضب الله ﷻ إذا انتهكت محارمه ... فنبيُّنا ﷺ كان يغضب إذا انتهكت محارم الله يدلل على ذلك ما يلي :

1- صحيح مسلم برقم 4296 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : " مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يَنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ ﷻ " .

2- صحيح مسلم برقم 4708 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " اللَّهُمَّ إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ وَإِنِّي قَدْ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلَفَنِيهَ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتَهُ أَوْ سَبَبْتَهُ أَوْ جَلَدْتَهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً وَقَرِيبَةً تَقْرِبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " .

وهناك فرقٌ بين الغضب المحمود والحزن ؛ فالحزن صفة نقص ؛ لأن الذي يحزن لا يستطيع أن يدفع الأذية عن نفسه لجبنٍ بداخله ...

وعليه: فإن الغضب في تلك المواقف صفة كمال ، وأن الحزن في تلك المواقف صفة نقص كما نسب الكتاب المقدس لرب العالمين الحزن والأسف ؛ لأنه خلق الإنسان ؛ هذا الإنسان الذي فعل الشر ، فيغرق الأرض كلها إلا نوح ﷺ ومن معه ، وذلك في سفر التكوين إصحاح 6 عدد⁵ ورأى الربُّ أنَّ شرَّ الإنسانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شَرٌّ كُلَّ يَوْمٍ. ⁶ فَحَزَنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمَلَ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. ⁷ فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ الْإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الْإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمِ وَدَبَابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لِأَنِّي حَزَنْتُ أَنِّي عَمَلْتُهُمْ». ⁸ وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنِي الرَّبِّ.

رابعاً : إن هذا الحديث ذكر أن نبيّنا سب ولعن شخصين غضباً لله مرة واحدة ، ولأنه بشر ﷺ
.....

قال الشافعي - رحمه الله - : " من استغضب ولم يغضب فهو حمار " ، و نجد أن الكتاب المقدس نسب لنبيّ الله موسى ﷺ أنه في حالة غضبه كسر اللوحين اللذين خطهما الله بيده ؛ فيهما التعاليم والقداسة ...! وذلك في سفر الخروج إصحاح 32 عدد 15¹⁵ فأنصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده: لَوْحَانِ مَكْتُوبَانِ عَلَى جَانِبَيْهِمَا. مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا كَانَا مَكْتُوبَيْنِ. ¹⁶ وَاللَّوْحَانِ هُمَا صَنَعَهُ اللهُ، وَالْكِتَابَةُ كِتَابَةُ اللهِ مَنْقُوشَةٌ عَلَى اللَّوْحَيْنِ. ¹⁷ وَسَمِعَ يَشُوعُ صَوْتَ الشَّعْبِ فِي هَتَافِهِ فَقَالَ لِمُوسَى: «صَوْتُ قِتَالٍ فِي الْمَحَلَّةِ». ¹⁸ فَقَالَ: «لَيْسَ صَوْتُ صِيَاحِ النُّصْرَةِ وَلَا صَوْتُ صِيَاحِ الْكُسْرَةِ، بَلْ صَوْتُ غِنَاءٍ أَنَا سَامِعٌ». ¹⁹ وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ الْعَجَلَ وَالرَّقْصَ، فَحَمِيَ غَضَبُ مُوسَى، وَطَرَحَ اللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَرَهُمَا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ !؟

واتساءل : لماذا لم يطعن المعترضون على تلك النصوص !؟

ثم إننا لا نعلم ما قاله النبي ﷺ للرجلين اللذين أغضباه بينما ينسب الكتاب المقدس إلى شاول أنه في حالة غضبه سب ابنه سباً خرج به عن الألفاظ الحسنة ...

وذلك في سفر صموئيل الأول إصحاح 20 عدد 30³⁰ فَحَمِيَ غَضَبُ شَاوُلَ عَلَى يُونَاثَانَ وَقَالَ لَهُ : «يَا ابْنَ الْمُنْعَوِجَةِ الْمُتَمَرِّدَةِ، أَمَا عَلِمْتُ أَنَّكَ قَدْ اخْتَرْتَ ابْنَ يَسَى لِحَزِيكَ وَخِزِي عَوْرَةَ أُمِّكَ !؟

خامساً : إن هذا الحديث فيه أن النبي ﷺ لعن الرجلين وهذا لا إشكال فيه ؛ لأن لعن من يستحق اللعن لا شبهة فيه قط كما سيتقدم معنا - إن شاء الله ﷻ - الرد شافياً وافياً في شبهة : (نبي يلعن اليهود والنصارى) !

رد شبهة : نبي يسبُ الأنبياءَ قائلاً: إنهم ماتوا بالقمل !

قالوا: لقد سب رسول الإسلام الأنبياءَ واصفاً إياهم بأنهم ماتوا من القمل ! يتهم الأنبياءَ بسوء النظافة ! وتعلقوا بما جاء في مسند أحمد باقي مسند المكثرين مسند أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - برقم 11458 عن أبي سعيد الخدري قال: وضع رجل يده على النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: واللّه ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدة حمّك فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: " إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر إن كان النبي من الأنبياء يبتلى بالقمل حتى يقتله وإن كان النبي من الأنبياء ليبتلى بالفقر حتى يأخذ العباة فيخونها وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء ".

صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 2047.

الرد على الشبهة

أولاً: إن من سنن الله التي لا تتبدل الابتلاء؛ يبتلى الله الأنبياء والصالحين ليزيد بالابتلاء أجراً ، ويعظم شأنهم ، ويمحو به ذنوبهم ، تدل على ذلك أدلة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (3) (العنكبوت) .

2- مسند أحمد برقم 1400 عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت يا رسول الله : أيُّ الناس أشدَّ بلاءً ؟ قال: " الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل من الناس يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابةٌ زيد في بلائه وإن كان في دينه رقةٌ

خُفِّفَ عَنْهُ وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ .
صححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم 1562.

تبيين مما سبق : أن الأنبياء هم أشد الناس ابتلاء على مر القرون ، ومن هذه الابتلاءات التي أخبر عنها النبي ﷺ كما في الحديث الذي معنا أن منهم " مَنْ يُبْتَلَى بِالْقَمَلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ " . كما أن منهم من أصيب بالحمى كنبينا ﷺ ، وذلك في الحديث ذاته، ومنهم من سُجِنَ كيوسف عليه السلام ، ومنهم من ألقاه قومه في النار كإبراهيم عليه السلام ، ومنهم من مكث السنوات الطويلة على فراش المرض كأيوب عليه السلام ، ومنهم

وبين نبينا ﷺ في آخر الحديث قائلاً : " وَإِنْ كَانُوا لَيَفْرَحُونَ بِالْبَلَاءِ كَمَا تَفْرَحُونَ بِالرَّخَاءِ " .
دل ذلك على أن الله يضاعف للأنبياء البلاء كما يضاعف لهم الأجر فيفرحون بذلك .

ثم إن قول النبي ﷺ : " مِنْ الْأَنْبِيَاءِ يُبْتَلَى بِالْقَمَلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ " . يفهم منه أمران :

1- أن هذا ليس على سبيل السب لبعض الأنبياء لا كما فهم المعترضون ، ولكن هذا على سبيل الأخبار عن حال بعضهم - عليهم السلام -

2- أن هذا ليس من سوء النظافة كما فهموا ؛ وإنما هذا من الابتلاء ، والابتلاء في حق الأنبياء والمؤمنين رفع مكانة ومغفرة للذنوب، وفي حق الكافرين عقاب لهم في الدنيا قبل الآخرة ... يدل على ذلك ما يلي:

1- قوله ﷺ: ﴿ وَلَيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران 141) .
جاء في تفسير الجلالين : { وَلَيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا } يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم { وَيَمْحَقَ } يهلك { الْكَافِرِينَ } . اهـ

2- قوله ﷺ: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3) ﴾ (العنكبوت).
جاء في التفسير الميسر : { وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3) }

ولقد فتنا الذين من قبلهم من الأمم واختبرناهم، ممن أرسلنا إليهم رسلنا، فليعلمن الله علماً ظاهراً للخلق صدق الصادقين في إيمانهم، وكذب الكاذبين؛ ليميز كل فريق من الآخر . اهـ

3- مسند أحمد برقم 1473 عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ :قَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ :الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأُمَثُلُ فَأَلْأُمَثُلُ ،حَتَّى يَبْتَلِيَ الْعَبْدَ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ ذَاكَ فَإِنْ كَانَ صُلْبَ الدِّينِ ابْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ ذَاكَ وَقَالَ مَرَّةً أَشَدُّ بَلَاءً ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ ذَاكَ ، وَقَالَ مَرَّةً عَلَى حَسَبِ دِينِهِ قَالَ فَمَا تَبْرَحُ الْبَلَايَا عَنْ الْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ فِي الْأَرْضِ يَعْني وَمَا إِنْ عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ .

قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم 992 في صحيح الجامع.

ثم إننا نجد أن الفراعنة وهم أسياد العالم قديماً؛ زعم كبيرهم (فرعون) بسبب ملكه ، وجبروته ، ومكانته ، وهيبته أنه هو الله... !

يقول ﷺ عنه: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (القصص 38).

والنتيجة لما تجبر هو وقومه في الأرض بغير الحق ابتلاهم الله بالقمل والضفادع ليُعجل لهم العذاب في الدنيا قبل الآخرة ؛ يقول ﷺ : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف 133).

ثانياً : إن إنجيل يوحنا نسب إلى يسوع المسيح أنه سب الأنبياء الذين سبقوه جميعاً ؛
واصفاً إياهم بأنهم : "سُرَّاقٌ و لُصُوصٌ" وذلك في الإصحاح 10 عدد 7 فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ
أَيْضاً: «الْحَقُّ الْحَقُّ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ. 8 جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَّاقٌ
وَلُصُوصٌ، وَلَكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ !

وعليه أتساءل :

1- أليس هذا سب من يسوع للأنبياء السابقين له بحسب النص حينما يقول عنهم : " سُرَّاقٌ
وَلُصُوصٌ "؟!

2- هل قال النبي ﷺ مرةً واحدةً مثل هذا الذي نسب إلى يسوع ؟

3- ما هو موقف المعترضين لو أن محمداً قال : " إن جميع الأنبياء أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَّاقٌ
وَلُصُوصٌ " ؟!

ثم إن الأعجب من ذلك أن الكتاب المقدس نسب إلى الرب أنه أمر الناس بسب الأنبياء
، وذلك في عدة مواضع منها:

1- سفر صموئيل الثاني إصحاح 16 عدد 10 فَقَالَ الْمَلِكُ: «مَا لِي وَلَكُمْ يَا بَنِي صَرْوِيَّةَ!
دَعُوهُ يَسُبَّ لِأَنَّ الرَّبَّ قَالَ لَهُ: سُبَّ دَاوُدَ. وَمَنْ يَقُولُ: لِمَاذَا تَفْعَلُ هَكَذَا؟» 11 وَقَالَ دَاوُدُ
لَأَبِيشَايَ وَلِجَمِيعِ عِبِيدِهِ: «هُوَذَا ابْنِي الَّذِي خَرَجَ مِنْ أَحْشَائِي يَطْلُبُ نَفْسِي، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ
الآنَ بَنِيَامِينِي؟ دَعُوهُ يَسُبَّ لِأَنَّ الرَّبَّ قَالَ لَهُ. لا تعليق!

2- سفر هوشع إصحاح 4 عدد⁵ فَنَتَعَثِّرُ فِي النَّهَارِ وَبَتَعَثِّرُ أَيْضًا النَّبِيُّ مَعَكَ فِي اللَّيْلِ، وَأَنَا أُخْرِبُ أُمَّكَ. مما يدل على أنه كلام الربّ العدد الأول ففيه¹ اسْمَعُوا قَوْلَ الرَّبِّ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ: «إِنَّ لِلرَّبِّ مُحَاكَمَةً مَعَ سُكَّانِ الْأَرْضِ، لِأَنَّهُ لَا أَمَانَةَ وَلَا إِحْسَانَ وَلَا مَعْرِفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ.

3- إنجيل لوقا إصحاح 12 عدد²⁰ فَقَالَ لَهُ اللَّهُ: يَا غَبِي! هَذِهِ اللَّيْلَةُ تَطْلُبُ نَفْسَكَ مِنْكَ، فَهَذِهِ الَّتِي أَعَدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟ لا تعليق!

رد شبهة : نبي يقول : (مَنْ تَعَزَّى بِعِزِّ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْضُوهُ وَلَا تَكْنُوا) !

قالوا مراراً : رسول الإسلام يأمر أصحابه أن يقولوا لمن تعزي بعزاء الجاهلة كلاماً غير لائق...

واستدلوا على ذلك بما جاء في مسند أحمد برقم 20285 حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ عَتِيٍّ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا تَعَزَّى عِنْدَ أَبِي بَعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ افْتَخَرَ بِأَبِيهِ فَأَعْضَهُ بِأَبِيهِ وَلَمْ يَكُنْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَمَا إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي فِي أَنْفُسِكُمْ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ إِلَّا ذَلِكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " مَنْ تَعَزَّى بِعِزِّ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْضُوهُ وَلَا تَكْنُوا ".

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ عَنْ عَوْفٍ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ عَتِيٍّ عَنْ أَبِي عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ عَنْ يُونُسَ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ عَتِيٍّ أَنَّ رَجُلًا تَعَزَّى بِعِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ أَبِي : " كُنَّا نُوَمِّرُ إِذَا الرَّجُلُ تَعَزَّى بِعِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُوهُ بِهِنِ أَبِيهِ وَلَا تَكْنُوا " .

تعليق شعيب الأرناؤوط : حديث حسن .

الرد على الشبهة

أولاً : إن محمداً ﷺ أعظم الخلق خلقاً وخلقا ، وكان يأمر أصحابه بمعالي الأخلاق ، وكان يقرب إليه أحسنهم أخلاقا ؛ يدل على ذلك ما يلي :

- 1- أن الله ﷻ زكاه في خلقه قائلًا : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم4).
- 2- أنه ﷺ كان قرآنا يمشي على الأرض ؛ ثبت ذلك في مسند أحمد برقم 24139 عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ : أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَتْ : " كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ " .
- 3- أنه لم يكن فاحشاً وَلَا مُتَفَحِّشاً ... ثبت ذلك في مسند أحمد برقم 24247 عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : " لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا ، وَلَا مُتَفَحِّشًا ، وَلَا صَحَابًا فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يُجْزَى بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ " .
- 4- أنه ﷺ كان يدعو أصحابه لحسن الخلق ، ويقرب منه أحسنهم خلقا ... ثبت ذلك في الآتي :

أ- مسند أحمد برقم 6526 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : " لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ : مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا " .

ب- سنن أبي داود برقم 3562 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَصَحَ لِرَجُلٍ قَائِلًا لَهُ : " لَا تَسْبِنَنَّ أَحَدًا " . قَالَ : فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا وَلَا عَبْدًا وَلَا بَعِيرًا وَلَا شَاةً . قَالَ : " وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ وَأَنْ "

تُكَلِّمُ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ فَإِنْ أَبَيْتَ فَالْيَ الْكَعْبَيْنِ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ وَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيْرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ فَإِنَّمَا وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ .

ج- صحيح الجامع رقم : 1176 قال ﷺ : " أقریکم مني مجلساً يومَ القيامةِ أحسنکم خلقاً".

قال الألباني : (حسن)

د- الحاكم في المستدرک برقم 29 عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : " ليس المؤمنُ بالطعان و لا اللعان و لا الفاحش و لا البذيء " .

قال الشيخُ الألباني: (صحيح) 5381 في صحيح الجامع .

ثانياً : إن التعزى بعزاء الجاهلية هو التفاخر بالقبيلة ، والنسب ، و الحسب ، والتعصب لهم ، والقتال من أجلها مع إخوانهم ... ولا شك أن ذلك من أعظم الآثام ؛لأنها تؤدي إلى تفكيك وحدة المجتمع الإسلامي

ثبت ذلك في صحيح مسلم برقم 1550 قال ﷺ : " أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرَكُونَهُنَّ الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ ، وَالنِّيَاحَةُ ، وَقَالَ: " النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تَقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ " .

وعليه فإن صاحب هذا الجرم يتلقى جزاءَ جرمه ، والجزاء من جنس العمل وهو: " مَنْ تَعَزَّى بِعِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ وَلَا تَكُونُوا " .

ثالثاً : إن الأمر بإيذاء من تعزى بعزاء أهل الجاهلية بهذه الكلمات كالأمر بقتل القاتل ، ورجم أو جلد الزاني ، و كقطع يد السارق فالعقاب دائماً يكون عن جرمٍ وليس

ابتداءً... يقول ﷺ: «وَأِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126)» (البقرة).

إذاً: من يعترض على عقوبة إيذاء من تعزى بعزاء الجاهلية بتلك الكلمات ، فالواجب عليه أن يعترض أيضاً على الحدود ، والتعزيرات التي وردت في كتابه المقدس كالأمر بقتل القاتل ، وقطع يد المرأة التي تمسك بالعضو الذكري للرجل تعارك مع زوجها.... أو عقوبة السجن والتغريم ... التي تنص عليها القوانين الوضعية..

رابعاً: إن إيذاء من تعزى بعزاء أهل الجاهلية ليس بهذه الكلمات فقط، وليست - تلك الكلمات - واجبة؛ بل إن وجدت عقوبة أخرى كالحبس ، أو التغريم ... - وهذه أشد - فلا مانع حتى لا يكون ذلك سبباً في تفكك وحدة المجتمع الإسلامي، ومصدراً من مصادر الفتن ، الكبر لأصحابها ...

دليل ذلك ما يلي :

1- قوله ﷺ : «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103)» (آل عمران).

2- صحيح البخاري برقم 3257 عن جابر - رضي الله عنه - يقول : غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَابٌ فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ. وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لِلْمُهَاجِرِينَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ فَأُخْبِرْ بِكَسَعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " دَعَوْهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ ". وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْزَةَ: أَقْدَ تَدَاعَوْا

عَلَيْنَا لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ لِعَبْدِ اللَّهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ "

إذا تبين لنا من الحديث : أن النبي ﷺ لم يؤذ بالقول من تعزى بعزاء أهل الجاهلية و لم يأمر بذلك ، وهذا دليل على عدم وجوب إيذاء من تعزى بعزاء الجاهلية ؛لأنه لم يؤذ ﷺ من تعزى بعزاء أهل الجاهلية.... بسبب الفتن، ولكنه استخدم لين القول، والكلام الطيب لجمع لجام الفتنة...
فالأمر بإيذاء من تعزى بعزاء أهل الجاهلية هو للزجر، و ليس لحقيقة السب نفسه ، وذلك بعد لين القول ، والكلام الطيب...

فإن لم يتوقف قلنا له : أَعْضُوهُ بِهِنِ أَبِيكَ ، وليس ذلك إلا في حال الضرورة ، والضرورة تقدر بقدرها...

خامساً : قد يقال : ما م عنى فَأَعْضُوهُ بِهِنِ أَبِيهِ وَلَا تَكُنُوا ؟

قلتُ : معنى أَعْضُوهُ ليس المراد أنه يعضُ بأسنانه ذكر أبيه.....

فلغة العرب تقول: عض الرجل يعضه عضياً: أي : لزمه و لصق به ، و ليس المقصود عض بالأسنان ... يدعم ذلك الحديث يتحدث زمن الفتن ففيه يقول ﷺ : " **ولو أن تعض بأصل شجره** " أي: تلزم شجرة تعيش عندها وتعتزل الفتن ، وليس المقصود أن الإنسان سيعض الشجرة بأسنانه بطبيعة الحال ...

ومعنى (ألزم هن أبيك): هو أن الإنسان لا يكون في هن أبيه - ذكر أبيه- إلا قطرة
حقيرة من المنى

وعليه فإذا كنت أيها المفتخر بنسبك ،وبقبيلتك... بأنك من قبيلة كذا و كذا , فها نحن
نذكرك بأصلك الحقيقي , فأنت لست سوى قطرة من منى من هن أبيك - ذكر أبيك-
و من المعروف أن الإنسان يستحي من عورته و يداريها , فإذا تكلمت عن أصلك أيها
المتكبر , فسندذكرك بأصلك الذي خرجت منه والذي تحرص على ستره ... والذي يعرف
عقوبة المتعزي بعزاء الجاهلية لن يفرح بحسبه ونسبه مرة أخرى حتى ينضبط فكره ويستقيم
...

سادساً : إن الكتاب المقدس ذكر لنا كلمات كثيرة غير لائقة وذلك في عدة مواضع
منها ما يلي :

1- نسب الكتاب المقدس إلى إشعياء النبي أنه سب قومه... وذلك في سفر
إشعياء إصحاح 57 عدد 3«أَمَّا أَنْتُمْ فَتَقَدَّمُوا إِلَى هُنَا يَا بَنِي السَّاحِرَةِ، نَسْلَ
الْفَاسِقِ وَالزَّانِيَةِ !

3- نسب الكتاب المقدس إلى شاول أنه سب ابنه سباً قبيحاً بألفاظ غير لائقة ...
وذلك في سفر صموئيل الأول إصحاح 20 عدد 30فَحَمِي غَضِبُ شَاوُلَ عَلَى
يُونَاثَانَ وَقَالَ لَهُ: «يَا ابْنَ الْمُتَعَوِّجَةِ الْمُتَمَرِّدَةِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ قَدْ اخْتَرْتَ ابْنَ يَسَى
لِخَزِيكَ وَخَزِي عَوْرَةِ أُمِّكَ ؟!

4- ذكر الكتاب المقدس وصف مفاتن المرأة بما فيه التديان... سفر نشيد الإنشاد
إصحاح 4 عدد 5 تَدْيَاكِ كَخَشْفَتِي ظَبْيَةً، تَوَّامِينَ يَرْعِيَانِ بَيْنَ السُّوسَنِ. وفي

إصحاح 7 عدد 1¹ مَا أَجْمَلَ رَجُلَيْكَ بِاللَّعْلَيْنِ يَا بِنْتَ الْكَرِيمِ! دَوَائِرُ فَخْذَيْكَ مِثْلُ الْحَلِيِّ، صَنَعَةُ يَدَيْ صَنَاعٍ. 2² سُرْتُكَ كَأْسٌ مَدُورَةٌ، لَا يَعُوزُهَا شَرَابٌ مَمْرُوجٌ. بَطْنُكَ صَبْرَةٌ حَنْطَةٌ مُسَيَّجَةٌ بِالسَّوْسَنِ. 3³ ثَدْيَاكَ كَخَشْفَتَيْنِ، تَوَامِي ظَبْيَةٍ. 4⁴ عُنُقُكَ كَبُرْجٍ مِنْ عَاجٍ. عَيْنَاكَ كَالْبَرْكِ فِي حَشْبُونٍ عِنْدَ بَابِ بَثْ رَيْمٍ. أَنْفُكَ كَبُرْجٍ لِبْنَانٍ النَّاطِرُ تَجَاهَ دِمَشْقٍ. 5⁵ رَأْسُكَ عَلَيْكَ مِثْلُ الْكَرْمِ، وَشَعْرُ رَأْسِكَ كَأَرْجَوَانٍ. مَلِكٌ قَدْ أُسِرَ بِالْخُصْلِ. 6⁶ مَا أَجْمَلَكَ وَمَا أَحْلَاكَ أَتَيْتَهَا الْحَبِيبَةَ بِاللَّدَاتِ! 7⁷ قَامَتُكَ هَذِهِ شَبِيهَةٌ بِالنَّخْلَةِ، وَثَدْيَاكَ بِالْعَنَاقِيدِ. 8⁸ قُلْتُ: «إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى النَّخْلَةِ وَأَمْسِكُ بِعُذُوقِهَا». وَتَكُونُ ثَدْيَاكَ كَعَنَاقِيدِ الْكَرْمِ، وَرَائِحَةُ أَنْفِكَ كَالثُّفَاحِ، 9⁹ وَكَكَ كَأَجُودِ الْخَمْرِ. لِحَبِيبِي السَّائِغَةُ الْمُرْقِفَةُ السَّائِغَةُ عَلَى شِفَاهِ النَّائِمِينَ.

4- ذكر الكتاب المقدس هذا النص الغريب العجيب سفر الأمثال إصحاح 30 عدد 15¹⁵ لِلْعُلُوقَةِ بِنْتَانِ: «هَاتِ، هَاتِ!». ثَلَاثَةٌ لَا تَشْبَعُ، أَرْبَعَةٌ لَا تَقُولُ: «كَفَا». وبحسب الترجمة اليسوعية: " للعلقة بنتان تقولان : "هات هات "، ثلاث لا تشبع ، وأربع لا تقول : " كفى " !

5- سفر حزقيال في الإصحاح الثالث والعشرون بأكمله عبارة غير لائقة ... ولكنني أكتفي هنا بالإعداد التالية :

17¹⁷ فَأَتَاهَا بَنُو بَابِلَ فِي مَضْجَعِ الْحَبِّ وَنَجَسُوهَا بِزِنَاهُمْ، فَتَنَجَّسَتْ بِهِمْ، وَجَفَّتْهُمْ نَفْسُهَا. 18¹⁸ وَكَشَفَتْ زِنَاهَا وَكَشَفَتْ عَوْرَتَهَا، فَجَفَّتْهَا نَفْسِي، كَمَا جَفَّتْ نَفْسِي أُخْتَهَا. 19¹⁹ وَأَكْثَرَتْ زِنَاهَا بِذِكْرِهَا أَيَّامَ صِبَاهَا الَّتِي فِيهَا زَنَتْ بِأَرْضِ مِصْرَ. 20²⁰ وَعَشَقْتُ مَعشُوقِيهِمُ الَّذِينَ لَحْمُهُمْ كَلْحَمِ الْحَمِيرِ وَمَنْيُهُمْ كَمَنْيِ الْخَيْلِ. 21²¹ وَافْتَقَدْتُ رَذِيلَةَ صَبَاكِ بِزَغْرَةِ الْمِصْرِيِّينَ تَرَانِيكَ لِأَجْلِ ثَدْيِ صَبَاكِ. 22²² «لِأَجْلِ ذَلِكَ يَا أُهْلِييَّةُ، هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَازِنَا أَهِيْجُ عَلَيْكَ عَشَاقَكَ الَّذِينَ جَفَّتْهُمْ نَفْسُكَ، وَآتَى بِهِمْ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ: 23²³ بَنِي بَابِلَ وَكُلُّ الْكَلْدَانِيِّينَ، فَقُودٌ وَشُوعٌ وَقُوعٌ، وَمَعَهُمْ كُلُّ بَنِي أَشُورَ، شَبَّانُ شَهْوَةٍ، وَلَاةٌ وَشَحْنٌ كُلُّهُمْ رُؤَسَاءُ مَرْكَبَاتٍ وَشُهَرَاءُ.

والأعجب قول الأب متى المسكين عنه :اللغة القبيحة الفاحشة في أحط معناها وصورها
[ثم يقول] فيها كل وساخة الزنا وفحشاء الإنسان

! جاء ذلك في كتابة (النبوة والأنبياء في العهد القديم (صد 226:227) قائلاً : وسوف
يصدم القارئ المتحفظ باستخدام اللغة القبيحة الفاحشة في أحط معناها و صورها في
مخاطبة أهل إسرائيل أربعة وعشرون إصحاحاً يفتح بهم حزقيال نبوته عليهم فيها كل
وساخة الزنا ، وفحشاء الإنسان ... اهـ

وأتساءل : لماذا توجد هذه الألفاظ في كتاب من عند الله في (الكتاب مقدس) ؟!
وما هو رد المعترضين على تلك النصوص ؟

رد شبهة : نبي يقول لبعض أصحابه : " ثكلتك أمك " !

قالوا : هل من أخلاق الأنبياء أن يسبوا أصحابهم كما سب نبيكم معاذاً ؛ قال له : "
ثكلتك أمك " ؟!

والدليل على قولنا هو ما ثبت في سنن ابن ماجة كتاب (الفتن) باب (كف اللسان في
الفتنة) برقم 3963 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْعَدَنِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ عَنْ مَعْمَرٍ
عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي الْجُودِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي
سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يَدْخُلُنِي
الْجَنَّةُ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتُ عَظِيمًا وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَيَّ مِنْ يَسَرِّهِ اللَّهُ عَلَيْهِ
تَعَبُدُ اللَّهَ لَا تَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ ثُمَّ
قَالَ : أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ الصَّوْمِ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ
الْمَاءُ وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ قَرَأَ : { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ حَتَّىٰ بَلَغَ

جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكَ ذَلِكَ كُلِّهِ قُلْتُ: بَلَى فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: تَكْفُفُ عَلَيْكَ هَذَا قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ قَالَ: " تَكَلَّتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكِبُّ النَّاسُ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذا الحديث جاء من عدة طرقٍ صحيحةٍ الإسناد منها:

- 1- الحديث محل شبهة المعترضين تحقيق الألباني : صحيح ، الإرواء (413)
(، التعليق الرغيب (4 / 5 - 6) ، تخريج الإيمان لابن أبي شيبه (1 - 2) .

2- سنن أبي داود في سننه برقم 281 ، وصححه الألباني - رحمه الله - في سنن أبي داود برقم 332 عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اجْتَمَعَتْ غَنِيمَةٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ ابْدُ فِيهَا فَبَدَوْتُ إِلَى الرَّبْدَةِ فَكَانَتْ تُصِيبُنِي الْجَنَابَةُ فَأَمَكْتُ الْخَمْسَ وَالسَّتْ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَسَكْتُ فَقَالَ: تَكَلَّتْكَ أُمُّكَ أَبَا ذَرٍّ لِأُمِّكَ الْوَيْلُ فَدَعَا لِي بِجَارِيَةٍ سَوْدَاءَ فَجَاءَتْ بِعُسٍّ فِيهِ مَاءٌ فَسَتَرْتَنِي بِثَوْبٍ وَاسْتَتَرْتُ بِالرَّاحِلَةِ وَاغْتَسَلْتُ فَكَأَنِّي أَلْقَيْتُ عَنِّي جَبَلًا فَقَالَ: الصَّعِيدُ الطَّيِّبُ وَضُوءُ الْمُسْلِمِ وَلَوْ إِلَى عَشْرِ سِنِينَ فَإِذَا وَجَدْتَ الْمَاءَ فَأَمْسَهُ جِلْدَكَ فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ وَقَالَ مُسَدِّدٌ غَنِيمَةٌ مِنَ الصَّدَقَةِ . قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَحَدِيثُ عَمْرِو أُمِّمٌ .

نلاحظ : أن النبي ﷺ قال تكلتك أمك لمعاذ ، ولأبي ذر أيضاً ، وليس لمعاذ وحده كما ذكر المعترضون ؛ هذا من باب الأمانة العلمية....

ثانياً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه هو: هل قول النبي ﷺ : " تَكَلَّتْكَ أُمُّكَ " سب منه ﷺ لأصحابه ﷺ كما فهم المعترضون... ؟

الجواب : ليس في ذلك سب قط ؛ لأن تلك الكلمات كانت تجري على السنة العرب ولا يراد بها الدعاء أو السب

وبالمثال يتضح المقال : الدارج عندنا في مصر أنك إذا رأيت شخصاً يتصرف تصرفاً غريباً وهو صاحبك ، أو صديقك ، أو أخوك تقول له : (يخرب بيتك) ! أنت لا تقصد أن تدعو عليه بخراب بيته ، ولا تقصد أن تسبه ؛ لكنها عبارة شائعة عند المصريين .

ويدلل على ما سبق قول العلماء - رحمهم الله - في شرح الحديث كما يلي :

1- قال صاحب عون المعبود في شرح سنن أبي داود : قوله : (تَكَلَّتْكَ أُمُّكَ أبا ذر) : الثكل فقدان المرأة ولدها أي فقدتك أمك ، وأمثال هذه الكلمة تجري على ألسنتهم ولا يراد بها الدعاء ، وكذا قوله ﷺ : لَأُمُّكَ الْوَيْلُ لِمَ يَرِدُ بِهِ الدُّعَاءُ ، وَالْوَيْلُ الْحُزْنُ وَالْهَلَاكُ وَالْمَشَقَّةُ . اهـ

2- قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم : هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية ، كقوله : تربت يمينك ، عقري حلقي وفي هذا الحديث (لا كبرت سنك) وفي حديث معاوية (لا أشبع الله بطنك) ونحو ذلك لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء... ولم يكن ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا لعاناً ولا منتقماً لنفسه ، وقد سبق في هذا الحديث أنهم قالوا : ادع على دوس ، فقال : " اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا " ، وقال : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

إِذَا مِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ أَتَضَحُّ لَنَا : أنه كان يجب على المعترضين قبل حُكْمِهِمْ على الحديث أن يفهموا مدلول اللفظ أولاً ، وذلك بالرجوع إلى مقصوده اللغوي في بيئته الأصلية التي قيل فيها .

إن قيل : إن قول : (يخرب بيتك) عرف فاسد وكان ينبغي على نبيكم أن يغير كلمة (تكلتك أمك) فهي عرف فاسد؟!!

قُلْتُ : إن هذه الكلمات (تكلتك أمك) وغيرها ليست بعرف بل هي لغة العرب ، ثم إن كلَّ إنسان سوف يفقد أمه ، وأمه ستفقد عن طريق الموت في الدنيا ، وهذا واقع لا محالة .

ثالثاً : إن كاتب إنجيل متى نسب إلى يسوع المسيح أنه سب صاحبه كبير الحواريين بطرس : " يا شيطان " !

واتساءل : أليس هذا سباً من يسوع لأصحابه بحسب ما نسب إليه...؟! جاء ذلك في الإصحاح 16 عدد 23 فالتفت وقال لبطرس: «اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْتَرَّةٌ لِي، لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ».

ونسبت الأناجيل إلى بولس الرسول أنه أهان التلاميذ في عدة نصوص منها:

1- سب التلاميذ واصفا إياهم بأنهم أخوة كذبة ... وذلك في رسالته الثانية إلى أهل كرنثوس (إصحاح 11 عدد 1/15) ونقرأ ذلك بوضوح في نفس الإصحاح عدد 26 بأسفارٍ مراراً كثيرة، بأخطارٍ سيُول، بأخطارٍ لُصوصٍ، بأخطارٍ من جنسي، بأخطارٍ من الأمم ، بأخطارٍ في المدينة، بأخطارٍ في البرية، بأخطارٍ في البحر، بأخطارٍ من إخوة كذبة.

2- أتهم التلاميذ بالرياء ، وذلك في رسالته إلى أهل غلاطية إصحاح 2 عدد 11 ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة ، لأنه كان ملوماً .¹² لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه، خائفاً من الذين هم من الختان.¹³ ورأى معه باقي اليهود أيضاً، حتى إن برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم!

الأعجب أنه سب الغلاطيين في دعوتهم لهم ، واصفا إياهم بأنهم أغبياء...

وذلك في رسالته إلى أهل غلاطية إصحاح 3 عدد 1 أيها الغلاطيون الأغبياء، من رقاكم حتى لا تدعونا للحق؟ أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً! ²أريد أن أتعلّم منكم هذا فقط: أباعمال الثاموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان؟ ³أهكذا أنتم أغبياء! أبعدما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد؟ ⁴أهذا المقدار احتملتُم عبثاً؟ إن كان عبثاً! ⁵فالذي يمنحكم الروح ، ويعمل قوأت فيكم، أباعمال الثاموس أم بخبر الإيمان؟

3- الأعجب مما سبق كله أن الكتاب نسب لبولس أنه سب نفسه واصفا أياها بالغباء..... وذلك في رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس إصحاح 12 عدد 11 قد صرّيت غيباً وأنا أفتخر. أنتم الزمتموني! لأنه كان ينبغي أن أمدح منكم ، إذ لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل ، وإن كنت لست شيئاً.

ونسب الكتاب المقدس إلى إشعياء النبي أنه سب قومه... وذلك في سفر إشعياء
إصحاح 57 عدد 3 «أَمَّا أَنْتُمْ فَتَقَدَّمُوا إِلَيَّ هُنَا يَا بَنِي السَّاحِرَةِ، نَسْلَ الْفَاسِقِ وَالزَّانِيَةِ !

ونسب الكتاب المقدس إلى شاول أنه سب ابنه سباً قبيحاً بألفاظ غير لائقة ... وذلك
في سفر صموئيل الأول إصحاح 20 عدد 30 فَحَمِي غَضَبُ شَاوُلَ عَلَى يُونَاثَانَ وَقَالَ لَهُ:
«يَا ابْنَ الْمُتَعَوِّجَةِ الْمُتَمَرِّدَةِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ قَدْ اخْتَرْتَ ابْنَ يَسَى لِحَزْرِيكَ وَخِزْيَ عَوْرَةِ أُمِّكَ !؟

وهذا سفر حزقيال في الإصحاح الثالث والعشرون بأكمله عبارة غير لائقة ...
ولكنني أكتفي هنا بالإعداد التالية:

¹⁷فَاتَّاهَا بَنُو بَابِلَ فِي مَضْجَعِ الْحُبِّ وَنَجَسُوهَا بِزِنَاهُمْ، فَتَنَجَّسَتْ بِهِمْ، وَجَفَّتْهُمْ نَفْسُهَا.
¹⁸وَكَشَفَتْ زِنَاهَا وَكَشَفَتْ عَوْرَتَهَا، فَجَفَّتْهَا نَفْسِي، كَمَا جَفَّتْ نَفْسِي أُخْتَهَا. ¹⁹وَأَكْثَرَتْ زِنَاهَا
بِذِكْرِهَا أَيَّامَ صَبَاهَا الَّتِي فِيهَا زَنَتْ بِأَرْضِ مِصْرَ. ²⁰وَعَشَقَتْ مَعشُوقِيهِمُ الَّذِينَ لَحَمُهُمْ كُلَّ حَمِ
الْحَمِيرِ وَمِنْهُمْ كَمَنِّي الْخَيْلُ. ²¹وَأَفْتَقَدْتُ رَذِيلَةَ صَبَاكِ بِزَغْرَةِ الْمِصْرِيِّينَ تَرَانِيكَ لِأَجْلِ ثَدْيِي
صَبَاكِ. ²²«لِأَجْلِ ذَلِكَ يَا أُهْلِيَّةُ، هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَآنَذَا أَهْيِجْ عَلَيْكَ عَشَّاقَكَ الَّذِينَ
جَفَّتْهُمْ نَفْسُكَ، وَآتِي بِهِمْ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ: ²³بَنِي بَابِلَ وَكُلُّ الْكَلْدَانِيِّينَ، فَقُودَ وَشُوعَ وَقُوعَ،
وَمَعَهُمْ كُلُّ بَنِي أَشُورَ، شَبَّانَ شَهْوَةٍ، وَلَاةَ وَشَحْنِ كُلِّهِمْ رُؤُوسَ مَرْكَبَاتٍ وَشَهْرَاءَ.

والأعجب هو قول الأب متى المسكين عنه : اللغة القبيحة الفاحشة في أحط معناها
وصورها [ثم يقول] فيها كل وساخة الزنا وفحشاء الإنسان....! جاء ذلك في كتابة (النبوة
والأنبياء في العهد القديم (ص 226:227) قائلاً : وسوف يصدّم القارئ المتحفظ
باستخدام اللغة القبيحة الفاحشة في أحط معناها و صورها في مخاطبة أهل إسرائيل
أربعة وعشرون إصحاحاً يفتتح بهم حزقيال نبوته عليهم فيها كل وساخة الزنا ، وفحشاء
الإنسان... اهـ

وَأَسْأَلُ : لماذا توجد هذه الألفاظ في كتاب من عند الله في (الكتاب مقدس) ؟!

وما هو رد المعترضين على تلك النصوص ؟

رد شبهة : نبي يسب من أصحابه (حمزة) !

أثيرت شبهة يعتقد أصحابها أن من خلالها طعن في رسول الله ﷺ ، قائلين: كيف لنبي يسمح بأنه يسب من قبل أصحابه ، أهذا هو التوفير الذي علمهم إياه مستدلين على ذلك بفعل حمزة ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه كتاب (الأشربة) باب (تحريم الخمر وبيان أنها تكون من عصير الغنبل ومن التمر والبسر والزبيب وغيرها مما يسكر) برقم 3660 عن علي بن أبي طالب قال: أصبت شارباً مع رسول الله ﷺ في مغنم يوم بدر، وأعطاني رسول الله ﷺ شارباً أخرى فأنختهما يوماً عند باب رجل من الأنصار وأنا أريد أن أحمل عليهما إنخراً لأبيعه ومعي صائغ من بني قينقاع فاستعين به على وليمة فاطمة وحمزة بن عبد المطلب يشرب في ذلك البيت معه فينة تغنيه فقالت ألا يا حمز للشرف النواء

فثار إليهما حمزة بالسيف فجب أسنمتهما وبقر خواصرهما ثم أخذ من أكبادهما. قلت: لابن شهاب ومن السنام قال: قد جب أسنمتهما فذهب بها قال ابن شهاب: قال علي: فنظرت إلى منظر أظعنني فأتيت نبي الله ﷺ وعنده زيد بن حارثة فأخبرته الخبر فخرج ومعه زيد وانطلقت معه فدخل على حمزة فتغيظ عليه فرفع حمزة بصره فقال: هل أنتم إلا عبيد لآبائي؟ فرجع رسول الله ﷺ يفهم حتى خرج عنهم .

الرد على الشبهة

أولاً : إن محمداً ﷺ علم أصحابه التأسي به ﷺ بمعاملته الحسنة ، وبطيبة قلبه معهم حتى أن أحدهم يقول : " فداك أبي وأمي يا رسول الله " ، وآخرون يضحون

بأرواحهم ودمائهم فدائه ﷺ كما كان من يومٍ أحدٍ وغيره..... ولم يُنقل لنا أن صحابياً ليس منافقاً أساء الأدب مع رسول الله ﷺ إلا حمزة ؓ وهذا ما سيأتي بيانه - إن شاء الله- ففيه عذرٌ قوي لحمزة يخرج من دائرة الإثم ...

ثانياً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه هو: لما قال حمزة ؓ للنبي ﷺ هل أنتم إلا عبيد أبي ؟ أي : جعله ﷺ عبداً لكافر !

الجواب على ذلك يتضح من وجهين فيهما عذر وقوي لحمزة ؓ :

الوجه الأول : أن حمزة ؓ سكر حتى زال عقله فعذره النبي ﷺ في ذلك ، ورجع عنه كما تذكر الرواية ، وكان ذلك قبل تحريم الخمر ؛ تدلل على ذلك روايات أخرى ، وأقوال علماء كما يلي :

1- صحيح البخاري كتاب (المساقاة) باب (بيع الحطب والكالا) برقم 2202 عن علي بن أبي طالب ؓ أنه قال: أصبت شارباً مع رسول الله ﷺ في مغنم يوم بدر قال وأعطاني رسول الله ﷺ شارباً أخرى فأنختهما يوماً عند باب رجل من الأنصار وأنا أريد أن أحمل عليهما إذخرا لأبيعه ومعي صائغ من بني قينقاع فاستعين به علي وليمة فاطمة وحمزة بن عبد المطلب يشرب في ذلك البيت معه قينة فقالت ألا يا حمز للشرف التواء فتار إليهما حمزة بالسيف فجب أسنمتهما وبقر خواصرهما ثم أخذ من أكبادهما قلت لابن شهاب: ومن السنام ؟ قال: قد جب أسنمتهما فذهب بها. قال ابن شهاب: قال علي ؓ: فنظرت إلى منظر أفظعني فأتيت نبي الله ﷺ زيد بن حارثة فأخبرته الخبر فخرج ومعه زيد فانطلقت معه فدخل علي حمزة فتغيظ عليه فرفع حمزة بصره وقال هل أنتم إلا عبيد لأبائي فرجع رسول الله ﷺ يفقهراً حتى خرج عنهم وذلك قبل تحريم الخمر.

2- مسند أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة (ومن مسند علي بن أبي طالب ؓ) (برقم 1139 عن علي بن أبي طالب ؓ قال: قال علي أصبب شارقاً مع رسول الله ﷺ في المنعم يوم بدر وأعطاني رسول الله ﷺ شارقاً أخرى فأنختهما يوماً عند باب رجل من الأنصار وأنا أريد أن أحمل عليهما إذخراً لأبيعه ومعي صائغ من بني قينقاع لأستعين به علي وليمة فاطمة وحمزة بن عبد المطلب يشرب في ذلك البيت فتأر إليهما حمزة بالسيف فجب أسنمتهم وبقر خواصرهما ثم أخذ من أكبادهما قلت لابن شهاب ومن السنم قال جب أسنمتهم فذهب بها قال فنظرت إلى منظر أظفني فأتيت نبي الله ﷺ وعنده زيد بن حارثة فأخبرته الخبر فخرج ومعه زيد فأنطلق معه فدخل على حمزة فتغيظ عليه فرفع حمزة بصره فقال هل أنتم إلا عبيد لأبي فرجع رسول الله ﷺ يقهقر حتى خرج عنهم وذلك قبل تحريم الخمر.

3- شرح رياض الصالحين لابن عثيمين باب (تحريم سب المسلم بغير حق) قال - رحمه الله- : قال حمزة بن عبد المطلب ؓ لابن أخيه النبي ﷺ حين رآه النبي ﷺ سكران فتكلم معه فقال له حمزة وهو سكران : " هل أنتم إلا عبيد أبي؟! " وهذه كلمة بشعة لكنه سكران ، والسكران لا يؤاخذ بما يقول وهذا قبل أن ينزل تحريم الخمر . اهـ

5- المختصر على شرح بلوغ المرام كتاب (الطهارة) باب (المياه): حمزة بن عبد المطلب ؓ عم رسول الله ﷺ حين أتاها النبي ﷺ وهو سكران قبل أن تحرم الخمر فقال له حمزة هل أنتم إلا عبيد أبي قال ذلك وهو سكران . اهـ

4- فيض القدير شرح الجامع الصغير - المناوي ج 3 : قال ابن العربي : وهذا قول إدّ وحديث إلى الكفر ممتد، وعذره المصطفى ﷺ فيه لزوال عقله بما كان مباحا حينئذ ولو كان زواله بمحرم ما عذره . اهـ

بيان ما سبق على أن حمزة ؓ كان معذوراً بمقتضى الشرع لأدلة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (5)﴾ (الأحزاب).

3- سنن ابن ماجه برقم 2033 عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنْ اللَّهُ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالسَّيِّئَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ ".

4- سنن أبي داود برقم 3823 قَالَ ﷺ : " رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَفِيقَ ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ ".

ويكفي أنه ﷺ في حال اليقظة ، وحضور عقله قدم أعز ما يملك روحه وجسده وماله للنبي ﷺ كما هو معلوم في يوم أحد.

الوجه الثاني : أن حمزة ؓ كان حديث عهد بإسلام فلا نهمل هذا الجانب أيضاً، فقد يكون قوله هذا هو ما اعتاد عليه في الجاهلية أمداً طويلاً في سكره...

ثالثاً : إن الكتاب المقدس ذكر لنا في عهديه القديم والجديد أن هناك أناساً - أصحاب نبيهم وزوجاتهم - سبوا أنبياءهم ، ولم نسمع اعتراضاً واحداً على ذلك من المعترضين ، ولا طعناً منهم في ذلك نجد ما ذكرت في الآتي :

أولاً: العهد القديم : يذكر أمثلة كثيرة منها:

1- زوجة داود سبت داود واصفة إياه بالسفيه ، وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 6 عدد 20 ورجع داود ليبارك بيته. فخرجت ميكال بنت شاول لاستقبال داود، وقالت: «مَا كَانَ أَكْرَمَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ الْيَوْمَ، حَيْثُ تَكْشَفُ الْيَوْمَ فِي أَعْيُنِ إِمَاءِ عبيدهِ كَمَا يَتَكَشَّفُ أَحَدُ السُّفَهَاءِ». لا تعليق !

2- داود النبي سبه ابنه بأمر من الرب وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 16 عدد 10 فقال الملك: «مَا لِي وَلَكُمْ يَا بَنِي صَرْوِيَّةَ! دَعُوهُ يَسُبُّ لَأَنَّ الرَّبَّ قَالَ لَهُ: سُبِّ دَاوُدَ. وَمَنْ يَقُولُ: لِمَاذَا تَفْعَلُ هَكَذَا؟»¹¹ وقال داود لأبيشاي ولجميع عبيده: «هُوَذَا ابْنِي الَّذِي خَرَجَ مِنْ أَحْشَائِي يَطْلُبُ نَفْسِي، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الْآنَ بَنِيَامِينِي؟ دَعُوهُ يَسُبُّ لَأَنَّ الرَّبَّ قَالَ لَهُ. ¹²لَعَلَّ الرَّبَّ يَنْظُرُ إِلَى مَذَلَّتِي وَيُكَافِنِي الرَّبُّ خَيْرًا عِوَضَ مَسَبَّتِهِ بِهِذَا الْيَوْمَ». ¹³وَإِذْ كَانَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ يَسِيرُونَ فِي الطَّرِيقِ، كَانَ شَمْعِي يَسِيرُ فِي جَانِبِ الْجَبَلِ مُقَابِلَهُ وَيَسُبُّ وَهُوَ سَائِرٌ وَيَرْشُقُ بِالْحِجَارَةِ مُقَابِلَهُ وَيَذِرِي الثَّرَابَ. ¹⁴وَجَاءَ الْمَلِكُ وَكُلُّ الشَّعْبِ الَّذِينَ مَعَهُ وَقَدْ أَعْيَوْا فَاسْتَرَاخُوا هُنَاكَ. لا تعليق!

3- الحمار ردَّ حماقة النبي ، وذلك في العهدين :

1- العهد القديم : في سفر العدد إصحاح 22 عدد 27 قَلَمَّا أَبْصَرَتِ الْآتَانُ مَلَكَ الرَّبِّ، رَبَضَتْ تَحْتَ بَلْعَامَ. فَحَمِي غَضَبُ بَلْعَامَ وَضَرَبَ الْآتَانَ بِالْقَضِيبِ. 28 فَفَتَحَ الرَّبُّ فَمَ الْآتَانِ، فَقَالَتْ لِبَلْعَامَ: «مَاذَا صَنَعْتُ بِكَ حَتَّى ضَرَبْتَنِي الْآنَ ثَلَاثَ دَفْعَاتٍ؟». 29 فَقَالَ بَلْعَامُ لِلْآتَانِ: «لَأَنَّكَ أَزْدَرَيْتَ بِي. لَوْ كَانَ فِي يَدِي سَيْفٌ لَكُنْتُ الْآنَ قَدْ

فَتَلْتُمُوكَ». 30 فَقَالَتِ الْاِثْنَانُ لِبَلْعَامَ: «أَلَسْتُ أَنَا أَتَانِكَ الَّتِي رَكِبْتَ عَلَيْهَا مِنْذُ وَجُودِكَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ؟ هَلْ تَعُودُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ هَكَذَا؟» فَقَالَ: «لَا».

* الْاِثْنَانُ: اُنْتَى الحمار.

2- العهد الجديد : في رسالة بطرس الثانية إصحاح 2 عدد 15 قَدْ تَرَكُوا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، فَضَلُّوا، تَابَعِينَ طَرِيقَ بَلْعَامَ بْنِ بَصُورَ الَّذِي أَحَبَّ أَجْرَةَ الْإِثْمِ. 16 وَلَكِنَّهُ حَصَلَ عَلَى تَوْبِيخٍ تَعْدِيهِ، إِذْ مَنَعَ حِمَاةَ النَّبِيِّ حِمَارٌ أَعْجَمُ نَاطِقًا بِصَوْتِ إِنْسَانٍ. لا تعليق!

ثانيًا : العهد الجديد ذكر لنا الآتي :

1- بولس سب يسوع المسيح واصفًا إياه بأنه ملعون

وذلك في رسالة بولس إلى غلاطية إصحاح 3 عدد 13 الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ». لا تعليق !

2- بطرس سب ولعن يسوع المسيح وذلك في انجيل متي إصحاح 26 عدد 73 وبعد قَلِيلَ جَاءَ الْقِيَامُ وَقَالُوا لِبَطْرُسَ: «حَقًّا أَنْتَ أَيْضًا مِنْهُمْ، فَإِنَّ لَعْنَتَكَ تَظْهَرُكَ!» 74 فَاِبْتَدَأَ حِينَئِذٍ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: «إِنِّي لَا أَعْرِفُ الرَّجُلَ!» وَلِلْوَقْتِ صَاحَ الدَّيْكَ. لا تعليق !

رد شبهة : نبي يقول : " اهْجُ الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَعَكَ " .

قالوا: إن رسول الإسلام أمر بالسب، وجبريل كان يسب معه هل هذه هي أخلاق نبي الإسلام، وجبريل الملاك....

تعلقوا بما جاء في الآتي :

- 1- مسند أحمد برقم 17898 عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ: " اهْجُ الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَكَ ".
تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

- 2- صحيح البخاري برقم 3814 عَنْ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَسَّانَ: " اهْجُهُمْ أَوْ هَاجِهِمْ وَجَبْرِيلُ مَعَكَ ".
وَزَادَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ عَنْ الشَّيْبَانِيِّ عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ قُرَيْظَةَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ: " اهْجُ الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّ جَبْرِيلَ مَعَكَ ".

الرد على الشبهة

أولاً : إن الإسلام لا يدعو إلى السباب ولا إلى الهجاء المستفحش....
أدلة ذلك فيما يلي :

- 1 - قوله ﷺ : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام 108).

- 3- سنن الترمذي ، وصحه الألباني قال ﷺ : " لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا بِاللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ " .

4- مسند أحمد برقم 6526 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : " لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ: مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا " .

4- سنن أبي داود برقم 3562 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَصَحَ لِرَجُلٍ قَائِلًا لَهُ : " لَا تَسُبَّنْ أَحَدًا " . قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا وَلَا عَبْدًا وَلَا بَعِيرًا وَلَا شَاةً. قَالَ: " وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ وَأَنْ تَكَلَّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَارْفَعِ إِزَارَكَ إِلَى نَصْفِ السَّاقِ فَإِنْ أَبَيْتَ فَالْيَ الْكَعْبَيْنِ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ وَإِنْ أَمْرٌ شَتَمَكَ وَعَيْرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ فَإِنَّمَا وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ " .

5- صحيح الجامع برقم : 1176 قَالَ ﷺ : " أَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا " . قَالَ الْأَلْبَانِي : (حسن) .

6- الحاكم في المستدرک برقم 29 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ وَلَا اللَّعَانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبِذِيِّ " .

قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 5381 في صحيح الجامع .

ثانيًا : إن الهجاء ليس هو السب الفاحش البذيء ، وإنما هو ضد المدح بمعنى ذكر تعدد المعايير للشخص المهجو ... دليل ذلك ما يلي :

1- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري : قوله ﷺ : " أهجهم " أمر من الهجو وهو خلاف المدح يقال هجوته هجوا وهجاء وتهجاء قوله أوهجهم شك من الراوي وهو أمر من المهاجاة من باب المفاعلة الدال على الاشتراك في الهجو والضمير المنصوب فيه

يرجع إلى المشركين بدلالة القرينة والواو في جبريل للحال وقد مر الكلام فيه هناك.
اهـ

2- فيض القدير : قال الزمخشري : لما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت أيديهم وإن كان عملاً كان يمكن فيه المباشرة باليد وقدم اللسان لأن إيذائه أكثر وأسهل ولأنه أشد نكايه ، قال المصطفى ﷺ لحسان ﷺ: أهج المشركين فإنه أشد عليهم من رشق النبل قال الشاعر : جراحات السنان لها التئام * * ولا يلتام ما جرح اللسان . اهـ

2- (مجموع الفتاوى 219/28) لشيخ الإسلام ابن تيمية قال : في البخاري عن البراء بن عازب ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان يوم قريظة : " اهجهم أو هاجهم وجبريل معك " (البخاري 4123) ومعنى (اهجهم) فعل أمر من هجا يهجو هجوا وهو الذم ومعنى (هاجهم) : من المهاجاة أي : جازهم بهجوهم . اهـ

ثالثاً : إن طلب الهجاء من النبي ﷺ لحسان ﷺ لم يكن ابتداءً ، وإنما هو ناتج عما وقع من الأذى ...

وهذا من باب الجزاء من جنس العمل ، وقوله ﷺ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126)﴾ (النحل).

دليل ما سبق هو ما جاء في الآتي:

1- مسند أبي يعلى الموصلي (2/285) : عن عمار قال : هجانا المشركون ، فقال لنا رسول الله ﷺ : " اهجوهم كما هجوكم " .

3- فتح الباري لابن حجر : وفي الحديث جَوَازُ سَبِّ الْمُشْرِكِ جَوَابًا عَنْ سَبِّهِ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يُعَارِضُ ذَلِكَ مُطْلَقَ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الْمُشْرِكِينَ لِئَلَّا يَسُبُّوا الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْبِدْأَةِ بِهِ ، لَا عَلَى مَنْ أَجَابَ مُنْتَصِرًا . وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الثَّانِي " يَنْفَجِرُ " بِفَاءٍ وَمُهْمَلَةٍ أَيْ يُخَاصِمُ بِالْمُدَافَعَةِ ، وَالْمُنَافِحِ الْمُدَافِعِ ، تَقُولُ نَافَحَتْ عَنْ فُلَانٍ أَيْ دَافَعَتْ عَنْهُ . أَهـ

-4

إن قيل : كان من الواجب على رسول الإسلام أن لا يرد الإساءة بالإساءة ، فأين المحبة التي هي في الإسلام...؟

قلتُ : إن المسامحة والمحبة لا تكون مع كل خلق الله ، مثلاً: الشيطان من خلق الله هل من الواجب علي أن أحبه وأسامحه رغم وساوسه وشروبه...؟ هذا هو .

ثم إن من البشر لا يرجع إلى الصواب إلا بالترهيب ، والهجر ، والزجر ، الهجاء... ولا ينفع معهم لين القول والتعامل الحسن...

رابعاً : فهم المعترضون أن جبريل كان يسب ويهجو مع حسان لما قال ﷺ لحسان : " اهْجُ الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَعَكَ " .

قلتُ : إن المعنى هو أهجو يا حسان المشركين كما هجونا ، وهذا العمل مبارك من جبريل ، أذن لنا بذلك ، وهو معنا يعرضنا ويناصرنا....

جاء في فتح الباري للابن رجب: النبي ﷺ قال لحسان : " اهْجُهُمْ - أو هاجمهم - وجبريل معك " . وإنما خص النبي ﷺ جبريل وهو روح القدس بنصرة من نصره ونافح عنه ؛ لأن جبريل صاحب وحي الله إلى رسله ، وَهُوَ يَتَوَلَّى نصر رسله وإهلاك أعدائهم المكذبين لهم ، كما تولى إهلاك قوم لوط وفرعون في البحر . اهـ

فمن نصر رسول الله وذب عنه أعداءه وناجح عنه كان جبريل معه ومؤيدا له كما قال
ﷺ لنبيه ﷺ: { مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ } (التحریم 4)

خامساً : إن الكتاب المقدس ممتلئ بالسب الفاحش ... ولكنني أكتفي هنا بما نسبته
الأنجيل لیسوع المسيح من سب فاحش.....

بيان ذلك فيما يلي:

1- يسوع سب المرأة الكنعانية واصفا إياها بالكلبة ... وذلك عندما جاءت المرأة
الكنعانية إليه تسترحمه كي يشفى ابنتها أجاب عليها قائلاً : " لا يجوز أن يأخذ خبز
البنين وي طرح للكلاب " ثم ظلت تسترحمه..... وذلك في إنجيل متي إصحاح 15
عدد 21²¹ ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَانْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَا. 22²² وَإِذَا امْرَأَةً
كَنْعَانِيَّةً خَارِجَةً مِنْ تِلْكَ الثُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: «ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ!
إِبْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدًّا». 23²³ فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا،
لَأَنْهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!» 24²⁴ فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةَةِ». 25²⁵
فَاتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: «يَا سَيِّدُ، أَعْظِي!» 26²⁶ فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ
الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكَالِبِ». 27²⁷ فَقَالَتْ: «نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! وَالْكَالِبُ أَيْضًا تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّتِي
يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا!». 28²⁸ حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةً، عَظِيمُ إِيْمَانِكَ!
لِيَكُنْ لَكَ كَمَا تَرِيدِينَ». فَشُفِيَتْ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ.

نلاحظ : أن كل من ليس يهودياً فهو من الكلاب بحسب كلام يسوع في الأنجيل ...

وأُتساعِلُ : كيف يصدر تعبير قاس كهذا من إله المحبة (يسوع) بحسب معتقد المعترضين ؟!

2- يسوع سب معلمي الشريعة قائلاً لهم: " يا أولاد الأفاعي " (متى 3 / 7).

3-

4- يسوع سب معلمي الشريعة في موضعٍ آخرٍ قائلاً لهم : " أيها الجهال العميان " (متى 23 / 17).

5-

5- يسوع سب معلمي الشريعة في موضعٍ آخرٍ قائلاً لهم : " يا أغبياءُ، أليس الذي صنَعَ الخَارِجَ صنَعَ الدَّاخِلَ أَيضاً؟ " (لوقا 11/40).

6- يسوع سب صاحبه كبير الحواريين بطرس : " يا شيطان " !

وذلك في إنجيل متى إصحاح 16 عدد 23 فالتفت وقال لبطرس: «أذهب عني يا شيطان! أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس». لا تعليق!

رد شبهة : نبيُّ يقول: (أنكتها) ؟!

من الشبهات التي أثاروها للطعن في نبوة النبي ﷺ ... أنهم قالوا: محمد رسول الإسلام يتلفظ بألفاظٍ خارجةٍ عن الأدب والذوق ولا تليق بالنبوة ...!

فإن قلنا لهم : وما هي تلك الكلمات حتى تكشف جهلكم ؟

سوف يأتون بحديث ماعز ويقولون : نحن لا نتكلم إلا بدليل فقد قال نبيكم لماعز: " أنكتها
!؟ "

وذلك حينما جاء إليه ماعز ليعترف على نفسه بجريمة الزنا ، فهل هذه هي أخلاق
الأنبياء الصادقين !؟...

الرد على الشبهة

أولاً: إن محمداً ﷺ أعظم الناس خلقاً وخلقاً ؛ يدل على ذلك ما يلي:

1- أن الله ﷻ زكاه في خلقه قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم4).

2- أنه ﷺ كان قرآناً يمشي على الأرض ؛ ثبت ذلك في مسند أحمد برقم 24139
عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
؟ فَقَالَتْ: " كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ " .

-3

4- أنه لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ... ثبت ذلك في مسند أحمد برقم 24247 عَنْ
عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: " لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاخِشاً ، وَلَا مُتَفَحِّشاً ، وَلَا صَخَّاباً فِي
الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يُجْزَى بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ " .

-5

أنه ﷺ كان يدعو أصحابه لحسن الخلق ، ويقرب منه أحسنهم خلقاً ...

ثبت ذلك في الآتي :

أ- مسند أحمد برقم 6526 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : " لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ: مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا " .

ب- سنن أبي داود برقم 3562 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَصَحَ لِرَجُلٍ قَائِلًا لَهُ : " لَا تَسُبَّنْ أَحَدًا " . قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا وَلَا عَبْدًا وَلَا بَعِيرًا وَلَا شَاةً. قَالَ : " وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ وَأَنْ تَكَلَّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَارْفَعِ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ فَإِنْ أَبَيْتَ فَأَلِى الْكَعْبَيْنِ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ وَإِنْ أَمَرُوا شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تَعْيِرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ فَإِنَّمَا وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ " .

ح- صحيح الجامع برقم : 1176 قال ﷺ : " أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلقاً " . قال الألباني : (حسن) .

د- الحاكم في المستدرک برقم 29 عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : " ليس المؤمنُ بالطعان و لا اللعان و لا الفاحش و لا البذيء " . قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم 5381 في صحيح الجامع .

وسوف أثبت ذلك أكثر وأكثر من خلال الحديث نفسه (محل الشبهة) ، وأثبت أن أخلاقه ﷺ أفضل من أخلاق يسوع المسيح المنسوبة له في الأناجيل - إن شاء الله ﷻ - .

ثانياً : إن الأحاديث التي جاءت فيها كلمة (أنكتها) أحاديث صحيحة ، ولا ننكرها فهذه هي بعض الروايات للقصة ، وللکلمة (محل الشبهة) كما يلي :

1- صحيح البخاري كتاب (الحدود) باب (هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو غمرت) برقم 6324 عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما أتى ماعز بن مالك النبي ﷺ قال له: لعلك قبلت أو غمرت أو نظرت؟ قال: لا يا رسول الله قال: " أنكتها لا يكني " قال: فعند ذلك أمر برجمه .

-2

2- سنن أبي داود برقم 3843 عن أبي هريرة يقول: جاء الأسلمي نبي الله ﷺ فشهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراماً أربع مرات كل ذلك يعرض عنه النبي ﷺ فأقبل في الخامسة فقال: أنكتها؟ قال: نعم قال: حتى غاب ذلك منك في ذلك منها؟ قال: نعم. قال: كما يغيب المروء في المكحلة والرشاء في البئر؟ قال: نعم. قال: فهل تدري ما الرنا؟ قال: نعم، أتيت منها حراماً ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً. قال: فما تريد بهذا القول؟ قال: أريد أن تطهرني فأمر به فرجم فسمع ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب فسكت عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار سائل برجله فقال: أين فلان وفلان فقالا: نحن ذان يا رسول الله قال: انزلا فكلأ من جيفة هذا الحمار فقالا: يا نبي الله من يأكل من هذا؟ قال: فما نلتما من عرض أخيكما أنفاً أشد من أكل منه والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينقسم فيها.

حدثنا الحسن بن علي حدثنا أبو عاصم حدثنا ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير عن ابن عم أبي هريرة عن أبي هريرة بنحوه زادوا واختلوا علي فقال بعضهم: ربط إلى شجرة وقال بعضهم: وقف .

3- مسند أحمد 2307 عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما أتاه ماعز بن مالك قال: لعلك قبلت أو غمرت أو نظرت؟ قال: لا. قال رسول الله ﷺ: " أنكتها لا يكني " قال: نعم. قال: فعند ذلك أمر برجمه. تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

3- سنن الدار قطني 3491 عن أبي هريرة يقول: جاء الأسلمي نبي الله ﷺ فشهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراماً أربع مرات كل ذلك يعرض عنه فأقبل في الخامسة فقال كلمة "أنكتها". قال: نعم. قال: "حتى غاب في ذلك منها كما يغيب المروء في المكحلة والرشاء في البئر". قال: نعم. قال: "هل تدري ما الزنا؟" قال: نعم أتيت منها حراماً ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً. قال: "فما تريد بهذا القول؟" قال: أريد أن تطهرني فأمر به النبي ﷺ فرجم فسمع النبي ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب فسكت النبي ﷺ ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: "أين فلان وفلان؟". قالوا: نحن ذا يا رسول الله. فقال: "انزلا فكلأ من جيفة هذا الحمار سهماً". فقالوا: يا نبي الله غفر الله لك من يأكل من هذا قال: «فما نلتما من عرض أخيكما أنفاً أشد من أكل الميتة والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغس فيها». الرشاء: حبل الدلو، المروء: العود من الزجاج أو المعدن يكتحل به.

-4

5- شرح السنة للإمام البغوي كتاب الحدود (ج 5 / ص 262) : عن ابن عباس ، قال : لما أتى ماعز بن مالك النبي ﷺ ، فقال له : لعنك قبلت ، أو غمزت ، أو نظرت ، قال : لا يا رسول الله ، قال : " أنكتها لا يكني " ، قال : " فعند ذلك أمر برجمه " . هذا حديث صحيح .

6- السنن الصغرى للبيهقي برقم 2566 وروينا في حديث أبي هريرة أن الأسلمي ، جاء إلى النبي ﷺ ، فشهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراماً أربع مرات كل ذلك يعرض عنه ، فأقبل في الخامسة ، فقال : " أنكتها ؟ " قال : " نعم " . قال : " حتى غاب ذلك منك في ذلك منها ؟ " قال : " نعم " قال : " كما يغيب المروء في المكحلة ، والرشاء في البئر ؟ " قال : نعم . قال : " هل تدري ما الزنا ؟ " قال : " نعم " ، أتيت منها حراماً ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً . قال : " فما تريد بهذا القول ؟ " قال : أريد أن تطهرني ، فأمر به ، فرجم .

وَأُتْسَاعِلُ : هل كلمة (أنكتها) كلمة قبيحة وقذرة كما يزعم المعترضون ؟

الجواب : لا؛ لأن هذه الكلمة لها أصل في اللغة العربية ، كلمة فصيحة معروفة في كتب اللغة ، فقد جاء ذكرها على سبيل المثال لا الحصر في الآتي :

1- كتاب تهذيب اللغة : باب (كفى) فَكُنْ أَنْوَكَ النَّوَكِي إِذَا مَا لَقِيَهُمْ (نيك)
قال الليث : النَّيْكَ : معروف ، والفاعل : نائك ، والمفعول به: مَنِكَ وَمَنْيُوكَ ، والأنثى: مَنْيُوكَةُ . اهـ

2- كتاب العين الجزء الخامس : النيك : معروف ، والفاعل ، نائك ، والمفعول به: منيك ومنيوك ، والأنثى: منيوكة.
نكي : نكيت في العدو أنكي نكاية ، [إذا هزمته وغلبته].
ولغة أخرى: نكأت أنكو نكاً . اهـ

3- كتاب لسان العرب : باب (نيك) النَّيْكَ معروف والفاعل نائك والمفعول به مَنِكَ وَمَنْيُوكَ والأنثى مَنْيُوكَةُ وقد ناكها ينيكها نيكاً والنَّيَّاك الكثير النَّيْكَ شدد للكثرة وفي المثل قال من يَنِكَ الْعَيْرَ يَنِكَ نِيَاكاً وَتَنَايِكَ الْقَوْمُ غلبهم النَّعَاسُ وَتَنَايَكَتِ الْأَجْفَانُ انطبق بعضها على بعض الأزهري في ترجمة نكح ناك المطر الأرض وناك النعاس عينه إذا غلب عليها. اهـ

4- كتاب الْمُعْرَبِ فِي تَرْتِيبِ الْمُعْرَبِ باب (النون): (النَّيْكَ) مِنْ أَلْفَاظِ التَّصْرِيحِ فِي بَابِ النَّكَاحِ (وَمَنْهُ) حَدِيثُ [مَا عَزَّ أَنْكَتْهَا قَالَ: نَعَمْ] (وَقَوْلُهُمْ) حَتَّى ذَكَرَ الْكَافِ وَالنُّونِ كِنَايَةً عَنْهُ حَسَنَةً إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْهُ فِيمَا عِنْدِي مِنْ كُتُبِ الْأَحَادِيثِ . اهـ

إِذَا : اللفظ كنايةً عن الجماع ، وهو لفظٌ مستترٌ عند العرب ، والدليل على ذلك أنه لم يرد في القرآن الكريم مرة واحدة ، ولم يرد في سنة النبي ﷺ إلا في تلك الواقعة فقط ، وبالتالي فإن اللفظ كناية عن الجماع والوطء ، ولكن لما انتهك من قبل السوقِ والعامةِ ، وأصبح قبيحاً بين العوامِ والجهلة ؛ أصبح من الصعب علينا أن نتلفظ به في هذه الأيام ...

يدلل على ما سبق أيضاً أن مشركي العرب أنفسهم وغيرهم الذين كانوا يترصون بالنبي ﷺ الدوائر ، لم ينكروا عليه هذه اللفظة أبداً ، ولا الصحابة رضي الله عنهم الذين قيل أمامهم هذا الحديث لم ينكر واحدٌ منهم هذه اللفظة ، ولم يتساءل لماذا قالها النبي ﷺ إذا كانت قبيحة ؟!

إِذَا: الكلمة لها أصلٌ عند العرب ، وليس فيها قبح ، أو قذارة ؛ ولكن مع مرور الأيام انتهكت من قبل السوقِ والعامة كما هو الحال الآن...

مثال لذلك : كلمة (ماتم) معناها عند العرب قديماً هو: اجتماع مجموعة من الناس في مكانٍ معينٍ لحزنٍ أو فرحٍ. لكن مع تغير الأعرافِ والأزمنة صار معناها: هو اجتماع مجموعة من الناس في مكانٍ معينٍ لحزنٍ فقط ...

ثالثاً : إن النبي ﷺ كان قاضياً فلا بد للقاضي أن يثبت قبل حكمه ، لاسيما إذا كانت القضية تتعلق بحياة إنسانٍ قد تزهر روحه ؛ لذا قال النبي ﷺ له : " لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ أَوْ غَمَزْتَ أَوْ نَظَرْتَ ؟ " قَالَ : " لَا " . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَنْكَتَهَا لَا يُكْنَى " قَالَ : " نَعَمْ " . فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِهِ .

نلاحظ من رواية أبي داود أن ماعزاً شهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراماً أربع مراتٍ كل ذلك يُعرض عنه النبي ﷺ فأقبل في الخامسة فقال : " أَنْكَتَهَا " ؟ قَالَ : " نَعَمْ " .

وعليه : لا يجوز التصريح باسم العورة إلا إذا كانت هناك ضرورة اقتضتها المصلحة،
 مثل :الحدود التي لا يصح فيها الكناية والتلميح أو التعريض فكم من كلمة فُهمت خطأ
 كانت سبباً في قتل أبرياء لا ذنب لهم ؛ كما كان من خالد بن الوليد لما قتل ناساً في
 معركة قالوا له : " صباناً " ! فهمها هو أنهم أرادوا أن يقولوا: (كفرنا)؛ ولكن المعنى
 كان على العكس من ذلك لَمْ يُحَسِّنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: " صَبَاناً صَبَاناً " ،
 فقال ﷺ بعد علمه بما حدث : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ ". رواه
 البخاري في صحيحه برقم 3994 .

وقد عاتب الله ﷻ نبيه داود ﷺ لما جاءه رجلان ليتحاكما إليه، فتسرع ﷻ في الحكم ؛
 سمع للأول فحكم له قبل أن يستمع للآخر؛ قال ﷻ: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي
 الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (26) (ص).

يدعم ما سبق ما قاله العلماء في الآتي :

1- قال ابن حجر في الفتح في شرحه : وَقَوْلُهُ " فِي خَدْرَهَا " بِكَسْرِ الْمُعْجَمَةِ أَيَّ
 فِي سِتْرَهَا، وَهُوَ مِنْ بَابِ التَّثْمِيمِ ، لِأَنَّ الْعَذْرَاءَ فِي الْخُلُوةِ يَشْتَدُّ حَيَاؤُهَا أَكْثَرَ مِمَّا
 تَكُونُ خَارِجَةً عَنْهُ ، لَكُونَ الْخُلُوةُ مَظْنَةً وَقُوعَ الْفِعْلِ بِهَا ، فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ
 تَقْيِيدَهُ بِمَا إِذَا دُخِلَ عَلَيْهَا فِي خَدْرَهَا لَا حَيْثُ تَكُونُ مُنْفَرِدَةً فِيهِ ، وَمَحَلُّ وُجُودِ
 الْحَيَاءِ مِنْهُ ﷻ فِي غَيْرِ حُدُودِ اللَّهِ ، وَلِهَذَا قَالَ لِلَّذِي اعْتَرَفَ بِالزَّنا أَنْكَتَهَا لَا يُكْنِي
 كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي الْحُدُودِ اهـ

2- قال ابن بطال في شرحه للبخاري وللحديث : قال المهلب وغيره : في هذا الحديث
 دليل على جواز تلقين المقر في الحدود ما يدرأ بها عنه ألا ترى أن النبي ﷺ قال لماعز

: " لعلك غمزت أو قبلت " ليدراً عنه الحد إذ لفظ الزنا يقع على نظر وجميع الجوارح، فلما أتى ماعز بلفظ مشترك لم يحده النبي ﷺ حتى وقف على صحيح ما أتاه بغير إشكال؛ لأن من سننه ﷺ درء الحدود بالشبهات، فلما أفصح وبين أمر برجمه. قال غيره: وهذا يدل أن الحدود لا تقام إلا بالإفصاح دون الكنايات، ألا ترى لو أن الشهود شهدوا على رجل بالزنا، ولم يقولوا رأيانه أولج فيها كان حكمهم حكم من قذف لا حكم من شهد، رفقا من الله بعباده وستراً عليهم ليتوبوا.

قال المهلب : وقد استعمل التلقين بعد النبي ﷺ أصحابه الراشدون اهـ

2- قال الشيخُ ابن عثيمين في شرحه لرياض الصالحين : يسأل الإنسان عن دينه ولا يستحي ولهذا لما جاء ماعز بن مالك -رضي الله عنه- إلى النبي ﷺ جاء يقر بالزنا يقول إنه زنى فأعرض عنه النبي ﷺ ثم جاء ثانية وقال إنه زنى فأعرض عنه ثم جاء الثالثة وقال إنه زنى فأعرض عنه النبي ﷺ يريد أن يتوب فيتوب الله عليه فلما جاء الرابعة ناقشة النبي ﷺ قال: أبك جنون قال لا يا رسول الله قال أتدري ما الزنا ؟ قال: نعم الزنا أن يأتي الرجل من المرأة حراما ما يأتي الرجل من زوجته حلالا فقال له: أنكتها لا يكني بل صرح هنا مع أن هذا مما يستحي منه لكن الحق لا يستحي منه قال له: أنكتها ؟ قال: نعم قال حتى غاب ذاك منك في ذلك منها كما يغيب المروء في المكحلة والرشاء في البئر ؟ قال نعم فهذا شيء يستحي منه لكن في باب الحق لا تستحي جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ تسأله فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت ؟ قال: نعم إذا هي رأت الماء هذا السؤال ربما يخجل منه الرجل أن يسأله ولا سيما في المجلس لكن أم سليم لم يمنعها الحياء من أن تعرف دينها وتتفقه فيه وعلى هذا فالحياء الذي يمنع من السؤال عما يجب السؤال عنه حياء مذموم ولا ينبغي أن نسميه حياء بل نقول : إن هذا خور وجبن وهو من الشيطان فاسأل عن دينك ولا تستح أما الأشياء التي لا

تتعلق بالأمور الواجبة فالحياء خير من عدم الحياء إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت.... اهـ

ومن المعلوم أن الإسلام دين المحاسن والأخلاق الحميدة ... وهذه من الأمور المقررة في الشرعية الإسلامية . وفقد نهى الإسلام عن كل ما يؤدي الآخريين من قولٍ أو فعلٍ.... فقد نهى عن السخرية ، ونهى عن التنازير بالألقاب ، ونهى عن الغيبة والنميمة....

قال ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الحجرات:11).

وكان النبي ﷺ لا يذكر أسماء الناس الذين يخطئون بالأفعال أو الأقوال ، فعندما يخطئون كان يقول : " ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا " . فعلى سبيل المثال : ما جاء في صحيح مسلم برقم 2487 عَنْ أَنَسٍ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَكُلُ اللَّحْمَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَتَتْنِي عَلَيْهِ فَقَالَ : " مَا بِالْأَقْوَامِ قَالُوا كَذَا وَكَذَا لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي " .

وكان أشدَّ حياء من العذراء في خدرها ... ثبت ذلك في الآتي:

1- صحيح البخاري برقم 3298 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خَدْرِهَا " .

2- تقدم معنا ما ثبت في مسند أحمد برقم 6526 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ: " مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا ". وغيره من الأحاديث...

رابعاً : بعد أن قمتُ بتوضيح الكلمة وبيّنتُ أصلها في اللغة العربية، وبيّنتُ لماذا قالها النبي ﷺ ، وأن الحديث يدلُّ على عدله ورحمته ﷺ ، وليعلم الأمة من بعده التحقق ، والتثبت من الأخبار، وعدم التسرع في الحكم ، و البعد عن التلميح والتعريض بحسب الضرورة خصوصاً في مسائل الحدود التي تتعلق بأرواح العباد

فالحديث بيانٌ عملي لما جاء في كتاب الله كما يلي :

1- قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النساء 58) .

2- قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (152) ﴾ (الأنعام) .

2- قوله ﷺ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (الإسراء 33) .

3- قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6) ﴾ (الحشر) .

وقد تثبت النبي ﷺ من أمرٍ ماعزٍ ، وذلك لما جاءه فسأل ﷺ أبه جنون أم به سكر ... وذلك رواية مسلم برقم 3207 أنه ﷺ سأل عن حاله قائلاً : أبه جنون ؟ فأخبر أنه ليس

بِمَجْنُونٍ . فَقَالَ : أَشْرَبَ خَمْرًا ؟ فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ . فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ : أَزْنَيْتَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . فَأَمَرَ بِهِ فُرْجِمَ . وتذكر الروايات أن النبي ﷺ قال له : "
لَعَلَّكَ قَبْلْتَ أَوْ غَمَزْتَ أَوْ نَظَرْتَ " ؟ قَالَ : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : " أَنْكَتَهَا لَا يَكْنِي " قَالَ :
فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِهِ .

و قد تثبت النبي ﷺ أيضًا من المرأة التي زنت بقولها عن نفسها : إني حبلى من الزنا !
وذلك في صحيح مسلم برقم 3207 جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأَزْدِ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ
طَهَّرْنِي فَقَالَ : وَيْحَكَ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتَوْبِي إِلَيْهِ فَقَالَتْ : أَرَأَيْكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا
رَدَدْتَ مَاعِزَ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَتْ : إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزَّنى فَقَالَ : أَنْتِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ .
فَقَالَ لَهَا : " حَتَّى تَضْعِيَ مَا فِي بَطْنِكَ " . قَالَ : فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ . قَالَ :
فَأَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ : قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّةُ فَقَالَ : " إِذَا لَا نَرَجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا " .

واتساءل : ماذا لو أقام النبي ﷺ حدَّ الرجم على معاذٍ دون بينة واضحة ، وتبين له بعد
ذلك أنه بريء ؟ ماذا سيقول المعارضون على ذلك ؟

الجواب : إنهم لا يبحثون بإنصاف، فهام أولئك يحاولون الطعن في نبي مكرم بأساليب
ليست شريفة ؛ خالية عن المنهج العلم الصحيح ...

وبعد هذا الطرح وقبل أن أنتقل إلى الكتاب المقدس أقول: إن المسيح ﷺ من أعظم
الناس خلقا وخلقا ، من أولي العزم من الرسل ... إننا لم ولن نطعن فيه كما طعنوا في
نبيِّنا ﷺ بقولهم :

إنني أعتقد تمام الاعتقاد أن المسيح ﷺ معصومٌ من الأخطاء الكبيرة كغيره من الأنبياء، ولكن الأناجيل نسبت إليه أنه صاحب أخلاق سيئة .. فهذا أمر مدهش وعجيب أن يسوع المسيح ﷺ كان يشتم ويسب... بزعم الأناجيل ، ولكن الأدهش من ذلك أن بولس الرسول قد أعلن في رسالته الأولى إلى كورنثوس إصحاح 6 عدد 10¹⁰ وَلَا سَارِقُونَ وَلَا طَمَاعُونَ وَلَا سَكِينُونَ وَلَا شَتَامُونَ وَلَا خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللَّهِ.

نلاحظ من كلامه : أن الشاتمين لا يرثون ملكوت الله !

فبحسب كلام بولس الرسول.

نلاحظ : أن يسوع لن يدخل الملكوت (الجنة) ! للاثي:

1- يسوع شتم المرأة الكنعانية ، وجعلها من زمرة الكلاب ، وذلك عندما جاءت المرأة الكنعانية إليه تسترحمه بأن يشفى ابنتها رد عليها قائلاً: " لا يجوز أن يأخذ خبز البنين ويرمى للكلاب !" وبعدها ظلت تسترحمه.....

2-

جاءت القصة كاملة في إنجيل متي إصحاح 15 عدد 21²¹ ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَانْصَرَفَ إِلَى نَوَاجِي صُورَ وَصَيْدَاءَ. 22²² وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: «ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! ابْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدًّا». 23²³ فَلَمْ يَجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا، لِأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!» 24²⁴ فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». 25²⁵ فَأَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: «يَا سَيِّدُ، أَعْنِي!» 26²⁶ فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُوْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكَلابِ». 27²⁷ فَقَالَتْ: «نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! وَالْكَلابُ أَيْضًا تَأْكُلُ مِنَ الْفَتَاتِ الَّتِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا!» 28²⁸ حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، عَظِيمُ إِيْمَانِكَ! لَيْكُنْ لَكَ كَمَا تُرِيدِينَ». فَشَفِيَتْ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ.

نلاحظ : أن كل من ليس يهودياً فهو من الكلاب بحسب كلام يسوع في الأناجيل...

واتساءل : كيف يصدر تعبير قاس كهذا من إله المحبة (يسوع) بحسب معتقد المعترضين ؟!

3- يسوع ينقض وصيته للتلاميذ بمحبة الأعداء والإحسان إليهم ...

4-

قام بشتهم معلمي الشريعة قائلاً لهم : " يا أولاد الأفاعي " (متى 3 / 7) .

وشتهم في موضع آخر قائلاً لهم : " أيها الجهال العميان " (متى 23 / 17) .

وشتهم في موضع آخر قائلاً لهم : " يا أغبياء ، أليس الذي صنع الخارج صنع الداخل أيضاً ؟ " (لوقا 11/40)

نلاحظ : أنه شتمهم في حين أن بولس نفسه اعتذر حين سب أحدهم قائلاً: " ما كنت أعرف ، أيها الإخوة ، أنه رئيس الكهنة . فالكُتُبُ المقدَّسة تقول : " لا تلعن رئيس شعبك " (أعمال الرسل 23 / 5) .

والملاحظ من النصوص : إما أن بولس الرسول جاهل بنسخ إلهه (يسوع) لرأيه ، وإما أن إلهه (يسوع) خالف حكمه !

3 - أخلاقه تجاه أمه نجد أنه قام بإهانتها وسط الحضور بقوله لها : " مالي ولك يا امرأة " . (يوحنا 2 / 4) . بينما يقول المسيح ﷺ عن حاله مع أمه في القرآن الكريم : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (مريم32).

وأكتفي بهذا القليل المنسوب إلى يسوع في الأنجيل ، وأكرر أن المسيح ﷺ بريء من ذلك كله .

وأما عن الألفاظ الغير لائقة... الواردة في الكتاب المقدس ما أكثرها....

وأكتفي بذكر نصين فيهما من ذكر العورة ...

الاول : في سفر صموئيل الأول إصحاح 20 عدد 30 فَحَمِي غَضِبُ شَاوُلَ عَلَى يُونَاثَانَ وَقَالَ لَهُ: «يَا ابْنَ الْمُتَعَوِّجَةِ الْمُتَمَرِّدَةِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ قَدْ اخْتَرْتَ ابْنَ يَسَى لِحَزِيكَ وَخِزِي عَوْرَةَ أُمِّكَ ؟!

الثاني : في سفر الأمثال إصحاح 30 عدد 15 ¹⁵لِلْعُلُوقَةِ بِنْتَانِ: «هَاتِ، هَاتِ!» .
ثَلَاثَةٌ لَا تَشْبَعُ، أَرْبَعَةٌ لَا تَقُولُ: «كَفَا» .

وبحسب الترجمة اليسوعية : " للعلة بنتان تقولان: "هات هات" ، ثلاث لا تشبع ، وأربع لا تقول : " كفا " !

قلتُ : ما هو تفسيرهم للفظ العلة وهي تقال الآن على سبيل السب المستفحش لامرأة ليست عفيفة

رد شبهة: نبي يلعن اليهود والنصارى !

سألوا سؤالاً يقول : هل اللعن من أخلاق الأنبياء ؟ ثم قالوا : نبيكم لعن اليهود والنصارى كان ينبغي عليه أن يقول: سامح الله اليهود والنصارى بدل من اللعن ... !

تعلقوا بما جاء في صحيح البخاري كتاب (الجنائز) باب (مَا يُكْرَهُ مِنْ اتِّخَاذِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ) برقم 1244 عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ : " لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا " . قَالَتْ : وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّخَذَ مَسْجِدًا .

الرد على الشبهة

أولاً: أبدأ بالإجابة على الشق الأول من سؤالهم الذي يقول : هل اللعن من أخلاق الأنبياء ؟

الجواب : نعم ؛ اللعن من أخلاق الأنبياء ... وقبل أن أذكر الأدلة على ذلك أسأل سؤالاً هو : ما معنى اللعن ؟

الجواب : هو الدعاء بالطرد من رحمة الله ، فالنبي يدعو به على أفعال الكافرين والظالمين ، وهذا في حد ذاته لا إشكال فيه لعدة أدلة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (المائدة78) .

جاء في تفسير السعدي: قال ﷺ: { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ } أي: طردوا وأبعدوا عن رحمة الله { عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ } أي : بشهادتهما وإقرارهما، بأن الحجة قد قامت عليهم ، وعاندوها. { ذَلِكَ } الكفر واللعن { بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } أي : بعصيانهم لله، وظلمهم لعباد الله ، صار سبباً لكفرهم وبعدهم عن رحمة الله ، فإن للذنوب والظلم عقوبات . اهـ

نلاحظ: أن اللعن وقع من داود ، وعيسى بن مريم كما جاء في الآية الكريمة .

2- قوله ﷺ : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف44) .

جاء في التفسير الميسر : ونادى أصحاب الجنة - بعد دخولهم فيها- أهل النار قائلين لهم: إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا على السنة رسله حقاً من إثابة أهل طاعته, فهل وجدتم ما وعدكم ربكم على السنة رسله حقاً من عقاب أهل معصيته؟ فأجابهم أهل النار قائلين: نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً. فأذن مؤذن بين أهل الجنة وأهل النار : أن لعنة الله على الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله , وكفروا بالله ورسله . اهـ

نلاحظ من خلال الآية الكريمة : أن الدعاء باللعن وقع من ملاك من ملائكة الله ﷻ .

3- قوله ﷺ : ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادْرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف 38) .

جاء في التفسير الميسر: قال الله ﷻ لهؤلاء المشركين المفترين- : ادخلوا النار في جملة جماعات من أمثالكم في الكفر, قد سلفت من قبلكم من الجن والإنس , كلما دخلت النار جماعة من أهل ملة لعنت لغيرتها التي ضلت بالإقتداء بها , حتى إذا تلاحق في النار الأولون من أهل الملل الكافرة والآخرين منهم جميعاً, قال الآخرون المتبعون في الدنيا لقادتهم : ربنا هؤلاء هم الذين أضلونا عن الحق, فآتاهم عذاباً مضاعفاً من النار , قال الله تعالى : لكل ضعف, أي: لكل منكم ومنهم عذاب مضاعف من النار, ولكن لا تدركون أيها الأتباع ما لكل فريق منكم من العذاب والآلام . اهـ

وعليه: فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو : هل اللعن مذموماً مطلقاً ؟

الجواب بسؤال هو: هل لعن من يستحق اللعن من المذموم ؟

الجواب : لا ، وعليه تبطل الشبهة - بفضل الله ﷻ - ؛ لأن الأنبياء لعنوا المخالفين الظالمين كما تقدم معنا ، وكما سيتقدم معنا - إن شاء الله ﷻ - من الكتاب المقدس .

ثانياً : إن قولهم بأن النبي ﷺ كان ينبغي عليه أن يقول : سامح الله اليهود والنصارى بدل من لعن الله اليهود والنصارى يدل على جهل بين لا مرية فيه ؛ لأن الله ﷻ نهى النبي ﷺ وأصحابه ﷺ أن يستغفروا للمشركين من بعد أن تبين لهم أنهم من أصحاب الجحيم

قال ﷺ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (التوبة 113) .

جاء في التفسير الميسر: ما كان ينبغي للنبي محمد ﷺ والذين آمنوا أن يدعوا بالمغفرة للمشركين ، ولو كانوا ذوي قرابة لهم من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعباداة الأوثان ، وتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم لموتهم على الشرك، والله لا يغفر للمشركين ، كما قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ } وكما قال سبحانه : { إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ } . اهـ

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : هل دعا النبي ﷺ باللعن على اليهود والنصارى فقط ، أم دعا كذلك باللعن على فئات من المسلمين ؟

الجواب: دعا باللعن على فئات من المسلمين فعلى سبيل المثال لا الحصر جاء ذلك في الآتي :

1- صحيح البخاري برقم 6285 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتَقْطَعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتَقْطَعُ يَدُهُ". قَالَ الْأَعْمَشُ: كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ بَيْضُ الْحَدِيدِ وَالْحَبْلُ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْهَا مَا يَسْوَى دَرَاهِمَ.

2- صحيح البخاري برقم 5487 عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ؓ قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْوَأَشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَمَصَّاتِ وَالْمُنْفَلَجَاتِ لِلْحَسَنِ الْمُغِيرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ مَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ .

3- سنن الترمذي برقم 1216 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ : " لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْخَمْرِ عَشْرَةً : عَاصِرَهَا ، وَمُعْتَصِرَهَا ، وَشَارِبَهَا ، وَحَامِلَهَا ، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ ، وَسَاقِيَهَا ، وَبَائِعَهَا ، وَآكِلَ ثَمَنِهَا ، وَالْمُشْتَرِيَ لَهَا ، وَالْمُشْتَرَاةَ لَهُ " .

تحقيق الألباني : صحيح ، المشكاة (2777) ، الإرواء (1529) ، الروض النضير (546).

إِذَا مِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ أَتَضَح : أن لعن من يستحق اللعن ليس بالمدموم ، ولم يلعن النبي ﷺ أفعال اليهود والنصارى فقط ؛ بل لعن أفعال مسلمين أيضاً تستوجب اللعن كما تقدم معنا ، وليس في الحديث أدنى عنصرية كما يشعر من أقوال المعترضين...

ثالثاً : إن هذا الحديث الذي تعلق به المعترضون على شبهتهم يقول فيه النبي ﷺ : " لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا " . ولم يقل فيه النبي ﷺ : " اللعنة على اليهودي و النصراني " ؛ بل قال ﷺ في رواية أخرى : " لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ

وَالنَّصَارَى " . أي: لعنة ملازمة لهم ؛ هي مقترنة بفعلهم الذي يوضحه الحديث نفسه هو: " اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا " .

قال ابن حجر في الفتح : وَكَأَنَّهُ ﷺ عَلِمَ أَنَّهُ مُرْتَحِلٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ فَخَافَ أَنْ يُعْظَمَ قَبْرُهُ كَمَا فَعَلَ مَنْ مَضَى فَلَعَنَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى إِشَارَةً إِلَى ذَمِّ مَنْ يَفْعَلُ فِعْلَهُمْ . اهـ
وعليه فإن اللعن من النبي ﷺ ليس لكل اليهود والنصارى كما فهم المعترضون ؛ وإنما لأناسٍ بعينهم بسبب فعلهم المذكور في الحديث : " اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا " وتحذيره ﷺ للمسلمين من فعلهم....

تنبيه هام : ما لعن النبي ﷺ على التخصيص إلا لمن تيقن له ﷺ بأنه مستحق للعن ، والثابت أنه كان يلعن على التعميم كان يلعن الأفعال لا الأشخاص إلا نادراً . كذلك لا يجوز لعن الكفار من الأحياء ؛ لان اللعن دعاءٌ عليهم بالطرد من رحمة الله ، فنحن لا ندري بماذا يختتم لهم ؟! قد يتوبون إلى الله ويستغفرونه ، ويختتم لهم بخير . أما لعن الأموات منهم الذين بين لنا ربنا ﷻ ونبينا ﷺ عنهم بأنهم من أهل النار كفرعون ، وهامان ، وأبي لهب ، وأبي جهل.... فهذا جائز ، وأما غيرهم فلا ندعوا عليهم باللعن لعلمهم تابوا قبل موتهم أو ختم لهم بخير ، والنبي ﷺ ما كان لعاناً أي : يكثر من اللعن...

ثبت في صحيح البخاري برقم 5571 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّابًا وَلَا فَحَّاشًا وَلَا لَعَّانًا كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ " .

- وللأسف- نجد من المسلمين من يلعن نفسه وهو لا يدري كيف ذلك ؟!
يقول أحدهم لابنه الصغير : (الله يلعن أبوك) ! وهذا لا يجوز .

والخلاصة : لا يجوز للمسلم أن يلعن إنساناً بعينه إلا من لعنه الله ورسوله ﷺ ؛ لأن هذا الفعل ليس من هدي النبي ﷺ .

رابعاً : إن قيل : إن يسوع المسيح قال : " باركوا لاعنيكم " والنص كاملاً في إنجيل متى إصحاح 5 عدد⁴⁴ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ.

قلتُ : إن النص برمته يقول : " أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ " . والشيطان عدو للإنسان ، فهل ينبغي أن أحب الشيطان لأنه عدوي ؟!

وأما قوله : " بَارِكُوا لَاعِنِيكُمْ " . أقول للمعترضين : إن النبي لعن اليهود والنصارى الذين أنتم منهم بحسب فهمكم للحديث: " لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى.... " ويسوع يقول: " باركوا لاعنيكم " فهل تستطيعون أن تقولوا : اللهم بارك على محمد رسول الإسلام ؟!

الجواب : لن تستطيعوا ، وبالتالي فإن تلك الفقرة لا تصلح أن يعمل بها !

وأما عن بقية النص الذي يقول : " وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ " . فمعناه جميل يوافق ما جاء في شرعنا فهو مثل هذه النصوص:

1- قوله ﷺ : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (الشورى40).

2- قوله ﷺ : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة 109) .

3- قوله ﷺ : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة 83) .

4- الحديث الصحيح الثابت في سنن الترمذي برقم 1910 عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " اِتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ". تحقيق الألباني : حسن ، المشكاة (5083) ، الروض النضير (855) .

5- الحديث الصحيح الثابت في سنن أبي داود برقم 3562 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ : " وَإِنْ أَمْرٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ فَإِنَّمَا وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ " .
تحقيق الألباني : صحيح ، السلسلة الصحيح برقم 1109 .

خامساً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه هو نفس سؤالهم الذي يقول : هل اللعن من أخلاق الأنبياء ؟

الجواب : إن الكتاب المقدس ذكر أن الإله (يسوع) نفسه ملعون ، وذلك بحسب معتقد المعتريين أنفسهم ، وبحسب ما قاله بولس الرسول في رسالته إلى أهل غلاطية إصحاح 3 عدد 13¹³ الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لَأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ».

وبحسب قول الرب في سفر التثنية الإصحاح 21 عدد 22²² «وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيئَةٌ حَقُّهَا الْمَوْتُ، فَقُتِلَ وَعُلِقَتْهُ عَلَى خَشَبَةٍ،²³ فَلَا تَبِتْ جُنَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِأَنَّ الْمَعْلُوقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللَّهِ. فَلَا تَنْجِسْ أَرْضَكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ نَصِيبًا.

ثم إن الكتاب المقدس ذكر لعن الأنبياء لمخالفيتهم في عدة مواضع منها :

1- نوح لعن حفيده كنعان ، وذلك في سفر التكوين إصحاح 9 عدد²⁴ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ،²⁵ فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدُ الْعَبِيدِ يَكُونُ لِإِخْوَتِهِ».

2- يشوع دعا باللعن ، وذلك في سفر يشوع إصحاح 6 عدد²⁶ وَحَلَفَ يَشُوعُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَائِلًا: «مَلْعُونٌ قُدَّامَ الرَّبِّ الرَّجُلُ الَّذِي يَقُومُ وَيَبْنِي هَذِهِ الْمَدِينَةَ أَرِيحَا. بِبُكْرِهِ يُؤَسِّسُهَا وَبِصَغِيرِهِ يَنْصِبُ أَبْوَابَهَا». ²⁷ وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يَشُوعَ، وَكَانَ خَبْرُهُ فِي جَمِيعِ الْأَرْضِ.

2- شاول دعا باللعن ، وذلك في سفر صموئيل الأول إصحاح 14 عدد²⁴ وَضَنَّكَ رَجَالُ إِسْرَائِيلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِأَنَّ شَاوُلَ حَلَفَ الشَّعْبَ قَائِلًا: «مَلْعُونٌ الرَّجُلُ الَّذِي يَأْكُلُ خُبْزًا إِلَى الْمَسَاءِ حَتَّى أَنْتَقِمَ مِنْ أَعْدَائِي». فَلَمْ يَذُقْ جَمِيعُ الشَّعْبِ خُبْزًا.

3- سليمان بن داود ، في سفر الأمثال إصحاح 3 عدد³³ لَعْنَةُ الرَّبِّ فِي بَيْتِ الشَّرِيرِ، لَكِنَّهُ يُبَارِكُ مَسْكَنَ الصَّادِقِينَ.

4- إيليش لعن صبية وتسبب في قتلهم ، وذلك في سفر الملوك الثاني إصحاح 2 عدد²³ ثُمَّ صَعِدَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى بَيْتِ إِيْلَ. وَفِيمَا هُوَ صَاعِدٌ فِي الطَّرِيقِ إِذَا بِصِبْيَانِ صَغَارٍ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَسَخَرُوا مِنْهُ وَقَالُوا لَهُ: «اصْعِدْ يَا أَقْرَعُ! اصْعِدْ يَا أَقْرَعُ!». ²⁴ فَالْتَفَتَ إِلَى وَرَائِهِ وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ، فَخَرَجَتْ دُبَّتَانِ مِنَ الْوَعْرِ وَافْتَرَسَتَا مِنْهُمُ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَلَدًا. ²⁵ وَذَهَبَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى جَبَلِ الْكَرْمَلِ، وَمِنْ هُنَاكَ رَجَعَ إِلَى السَّامِرَةِ.

5- بطرس الرسول كل فاسق هو ابن اللعنة ، وذلك في رسالته الثانية إصحاح 2 عدد¹⁴ لَهُمْ عَيُونٌ مَمْلُوءَةٌ فِسْقًا، لَا تَكْفُ عَنِ الْخَطِيئَةِ، خَادِعُونَ النَّفُوسَ غَيْرَ النَّابِتَةِ. لَهُمْ

قَلْبٌ مُتَدَرِّبٌ فِي الطَّمَعِ. أَوْلَادُ اللَّعْنَةِ. ¹⁵قَدْ تَرَكُوا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، فَضَلُّوا، تَابِعِينَ طَرِيقَ بَلْعَامَ بْنِ بَصُورَ الَّذِي أَحَبَّ أُجْرَةَ الْإِثْمِ.

ثم إن الكتاب المقدس ذكر أن الله يلعن من يستحق اللعن ؛ وذلك في عدة نصوص منها :

1- أن من خالف الوصية ملعون ، وذلك في سفر التثنية إصحاح 11 عدد ²⁸وَاللَّعْنَةُ إِذَا لَمْ تَسْمَعُوا لَوْصَايَا الرَّبِّ إِلَهُكُمْ، وَزَعْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِتَذْهَبُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا.

2- ما أوصى به الله موسى ﷺ في سفر التثنية الإصحاح 27 عدد ¹⁵مَلْعُونٌ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَصْنَعُ تِمْنَالًا مَنَحُوتًا أَوْ مَسْبُوكًا، رَجَسًا لَدَى الرَّبِّ عَمَلَ يَدَيْ نَحَاتٍ، وَيَضَعُهُ فِي الْخَفَاءِ. وَيَجِيبُ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَيَقُولُونَ: آمِينَ. ¹⁶مَلْعُونٌ مَنْ يَسْتَخْفُ بِأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ. ¹⁷مَلْعُونٌ مَنْ يَنْقُلُ تَحْمَ صَاحِبِهِ. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ. ¹⁸مَلْعُونٌ مَنْ يَضِلُّ الْأَعْمَى عَنِ الطَّرِيقِ. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ. ¹⁹مَلْعُونٌ مَنْ يَعُوجُّ حَقَّ الْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ. ²⁰مَلْعُونٌ مَنْ يَضْطَجِعُ مَعَ امْرَأَةِ أَبِيهِ، لِأَنَّهُ يَكْشِفُ ذَيْلَ أَبِيهِ. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ. ²¹مَلْعُونٌ مَنْ يَضْطَجِعُ مَعَ بَهِيمَةٍ مَّا. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ. ²²مَلْعُونٌ مَنْ يَضْطَجِعُ مَعَ أُخْتِهِ بِنْتِ أَبِيهِ أَوْ بِنْتِ أُمِّهِ. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ. ²³مَلْعُونٌ مَنْ يَضْطَجِعُ مَعَ حِمَاتِهِ. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ. ²⁴مَلْعُونٌ مَنْ يَقْتُلُ قَرِيبَهُ فِي الْخَفَاءِ. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ. ²⁵مَلْعُونٌ مَنْ يَأْخُذُ رَشْوَةً لِكَيْ يَقْتُلَ نَفْسَ دَمٍ بَرِيءٍ. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ. ²⁶مَلْعُونٌ مَنْ لَا يُقِيمُ كَلِمَاتِ هَذَا النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهَا. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ.

3- أن الربَّ لعن قابيين ؛ لأنه قتل أخاه هابيل ، وذلك في سفر التكوين إصحاح 4 عدد¹⁰ فقال: «مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمٍ أَخِيكَ صَارِحٌ إِلَيَّ مِنَ الْأَرْضِ». ¹¹فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي فَتَحْتَ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ.

4- سفر إرمياء إصحاح 11 عدد ¹الْكَلَامُ الَّذِي صَارَ إِلَى إِرْمِيَا مِنْ قَبْلِ الرَّبِّ قَائِلًا: ²«اسْمَعُوا كَلَامَ هَذَا الْعَهْدِ، وَكَلِّمُوا رِجَالَ يَهُوذَا وَسُكَّانَ أُورُشَلِيمَ. ³فَقُولُوا لَهُمْ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: مَلْعُونُ الْإِنْسَانُ الَّذِي لَا يَسْمَعُ كَلَامَ هَذَا الْعَهْدِ،

3- سفر إرمياء إصحاح 17 عدد 5«هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: مَلْعُونُ الرَّجُلُ الَّذِي يَتَّكِلُ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَيَجْعَلُ الْبَشَرَ ذِرَاعَهُ، وَعَنِ الرَّبِّ يَحِيدُ قَلْبُهُ.

4- سفر إرمياء إصحاح 48 عدد ¹⁰مَلْعُونٌ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلَ الرَّبِّ بِرِخَاءٍ، وَمَلْعُونٌ مَنْ يَمْنَعُ سَيْفَهُ عَنِ الدَّمِّ.

7- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية إصحاح 3 عدد ⁹إِذَا الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْإِيمَانِ يَتَبَارَكُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤْمِنِ. ¹⁰لَأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ».

رد شبهة: نبي يخرج عريانا يجر ثوبه !

قالوا لأحد المسلمين: ماذا تقول في نبي يتعري، هل يصلح أن يكون نبياً من عند الله؟!!

أجاب المسلم : لا يجوز لنبي أن يكشف عن عورته أمام الناس ، هذا ينافي الخلق الكريم للشخص العادي ، استحالة أن يقع ذلك من نبي من عند الله

أجابوا قائلين له : رسول الإسلام محمد كان عرياناً يجر ثوبه ، والدليل على ذلك الحديث الثابت في سنن الترمذي كتاب (الاستئذان والآداب عن رسول الله ﷺ) (باب (ما جاء في المعانقة والقبلة) برقم 2656 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادِ الْمَدَنِيِّ حَدَّثَنَا أَبِي يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَقَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الرُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْمَدِينَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي فَاتَاهُ فَفَرَعَ الْبَابَ فَقَامَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُرْيَانًا يَجُرُّ ثَوْبَهُ ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ عُرْيَانًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ . قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذا الحديث الذي استدل به المعترضون على شبهتهم لا يصح ، فقد رواه الترمذي في سننه ولم تثبت صحته ؛ ضعفه الألباني - رحمه الله - في سنن الترمذي برقم 2732 ، و المشكاة برقم 4682، ومقدمة رياض الصالحين برقم 5 ، ونقد الكتاني ص (16) .

وبالتالي : سقط الاستدلال به ، وسقطت الشبهة بعد بيان ضعف الحديث .

وعلى فرض صحته جدلاً أتساءل : هل هناك شخصٌ يعتمد العري يجر ثوبه معه ليستقبل زائريه ؟!

الجواب : إذا كان يجر ثوبه معه فهو بذلك يريد أن يرتديه بأقصى سرعة ، وإلا ما يجر ثوبه معه ...

ثانياً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه بعد بيان ضعف الحديث هو: هل لو تعرى النبي ﷺ - وحاشاه ذلك - هل هذا يقدر في نبوته بحسب حال بعض الأنبياء الثابت في الكتاب المقدس ؟

الجواب : لا يقدر ذلك في نبوته قط ؛ لأن الكتاب المقدس نسب ليسوع المسيح أنه تعرى في موضعين:

الأول : إنجيل يوحنا إصحاح 13 عدد 4⁴ قَامَ عَنِ الْعِشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِغْسَافًا وَانْتَرَبَ بِهَا،⁵ ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَلٍ، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلَامِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِغْسَافَةِ الَّتِي كَانَتْ مُتَرَبِّبَةً بِهَا.⁶ فَجَاءَ إِلَى سَمْعَانَ بَطْرُسَ. فَقَالَ لَهُ ذَاكَ: «يَا سَيِّدُ، أَنْتَ تَغْسِلُ رِجْلِي!»

قلتُ : من خلال قراءة النص لي سؤالان للمعترضين :

الأول : لماذا تعرى يسوع أمام التلاميذ وما الهدف من ذلك ؟!

الثاني : هل تعري يسوع أم التلاميذ هل فيه أسوة حسنة حيث يقوم المعلم ليخلع ملابسه ويظل عرياناً لمسح أرجل تلاميذه ؟ !
ونحن نبرئ المسيح ﷺ مما نسب إليه كهذا النص .

الثاني : إنجيل متى إصحاح 27 عدد 27 ²⁷ فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكُتَيْبَةِ، ²⁸ فَعَرَّوْهُ وَالْبِسُوهُ رِدَاءً قِرْمِيزًا.

وَأَسْأَلُ : أليس يسوع المسيح إلهاً قوياً بحسب معتقد المعترضين ؟ لماذا سمح لليهود بتعريضه ، ولم يستطع أن يداري عورته! كيف ذلك وهو الإله القوي ؟! هذا مجرد تساؤل لا سخرية علم الله .

ونسب إنجيل يوحنا إلى بطرس الرسول أنه كان عارياً على شاطئ البحر!! يروي لنا يوحنا قصة ظهور يسوع لتلاميذه عند بحيرة طبرية في الإصحاح 21 عدد ¹ بَعْدَ هَذَا أَظْهَرَ أَيْضًا يَسُوعُ نَفْسَهُ لِلتَّلَامِيذِ عَلَى بَحْرِ طَبْرِيَّةَ. ظَهَرَ هَكَذَا: ² كَانَ سَمْعَانُ بُطْرُسُ، وَتُومَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوَّامُ، وَنَتْنَايِيلُ الَّذِي مِنْ قَانَا الْجَلِيلِ، وَأَبْنَا زَيْدِي، وَاثْنَانِ آخَرَانِ مِنْ تَلَامِيذِهِ مَعَ بَعْضِهِمْ. ³ قَالَ لَهُمْ سَمْعَانُ بُطْرُسُ: «أَنَا أَذْهَبُ لِاتَّصِيدَ». قَالُوا لَهُ: «نَذْهَبُ نَحْنُ أَيْضًا مَعَكَ». فَخَرَجُوا وَدَخَلُوا السَّفِينَةَ لِلْوَقْتِ. وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَمْ يُمْسِكُوا شَيْئًا. ⁴ وَلَمَّا كَانَ الصُّبْحُ، وَقَفَ يَسُوعُ عَلَى الشَّاطِئِ. وَلَكِنَّ التَّلَامِيذَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَسُوعُ. ⁵ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: « يَا غُلَمَانُ أَلَعَلَّ عِنْدَكُمْ إِدَامًا؟ ». أَجَابُوهُ: « لَا! » ⁶ فَقَالَ لَهُمْ: « أَلْقُوا الشَّبَكَةَ إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ الْأَيْمَنِ فَتَجِدُوا ». فَالْقُوا، وَلَمْ يَعُودُوا يَقْدِرُونَ أَنْ يَجْذِبُوهَا مِنْ كَثَرَةِ السَّمَكِ. ⁷ فَقَالَ ذَلِكَ التَّلَامِيذُ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ لِبُطْرُسَ: «هُوَ الرَّبُّ!». فَلَمَّا سَمِعَ سَمْعَانُ بُطْرُسُ أَنَّهُ الرَّبُّ، انْتَرَعَ بَنُوْبِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ عُرْيَانًا، وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ.

نلاحظ أن بطرس الرسول عندما سمع أن المسيح قد حضر أُنْزَرَ بَنُوْبِهِ "لأنه كان عُرْيَانًا، وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ " (يوحنا 21 / 7).

وَأْتَسْأَلُ : كيف يكون بطرس كبير الحواريين عرباناً على شاطئ البحر؟! ولماذا يخلج من التعري عندما سمع بحضور المسيح فقط؟! هل التعري جائز في غياب المسيح وغير جائز في حضوره؟! كيف كان بطرس الرسول الملقب بصخرة الكنيسة عربياً على الشاطئ أمام التلاميذ ومن كان موجوداً آنذاك؟!!

ونسب الكتاب المقدس إلى بعض أنبياء العهد القديم أنهم تعرفوا أمام الناس !
نجد ذلك في عدة مواضع منها:

1- سفر التكوين إصحاح 9 عدد 20²⁰ وَأَبْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلَاغًا وَغَرَسَ كَرْمًا. 21²¹ وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. 22²² فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخُوهُ خَارِجًا...

-2

3- سفر صموئيل الثاني إصحاح 6 عدد 20 وَرَجَعَ دَاوُدُ لِيَبَارِكَ بَيْتَهُ. فَخَرَجَتْ مِيكَالُ بِنْتُ شَاوُلَ لَاسْتِقْبَالِ دَاوُدَ، وَقَالَتْ: «مَا كَانَ أَكْرَمَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ الْيَوْمَ، حَيْثُ تَكْشَفُ الْيَوْمَ فِي أَعْيُنِ إِمَاءِ عِبِيدِهِ كَمَا يَتَكَشَّفُ أَحَدُ السُّفَهَاءِ».

-4

2- سفر إشعياء إصحاح 20 عدد 1 فِي سَنَةِ مَجِيءِ تَرْتَانَ إِلَى أَشْدُودَ، حِينَ أَرْسَلَهُ سَرْجُونُ مَلِكِ أَشُّورَ فَحَارَبَ أَشْدُودَ وَأَخَذَهَا، 2 فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تَكَلَّمَ الرَّبُّ عَنْ يَدِ إِشْعِيَاءَ بْنِ أَمُوصَ قَائِلًا: «إِذْهَبْ وَحُلِّ الْمَسِيحُ عَنْ حَقْوَيْكَ وَاخْلَعْ حِذَاءَكَ عَنْ رِجْلَيْكَ». فَفَعَلَ هَكَذَا وَمَشَى مُعَرَّى وَحَافِيًا. 3 فَقَالَ الرَّبُّ: « ا مَشَى عَبْدِي إِشْعِيَاءُ مُعَرَّى وَحَافِيًا ثَلَاثَ سِنِينَ، آيَةً وَأَعْجُوبَةً عَلَى مِصْرَ وَعَلَى كُوشَ، 4 هَكَذَا يَسُوقُ مَلِكُ أَشُّورَ سَبْيَ مِصْرَ وَجَلَاءَ كُوشَ، الْفَتَيَانَ وَالشُّيُوخَ، عُرَاةَ وَحَفَاةَ وَمَكْشُوفِي الْأَسْتَاهِ خَزِيًا لِمِصْرَ. 5 فَيَرْتَاعُونَ وَيَخْجَلُونَ مِنْ أَجْلِ كُوشَ رَجَائِهِمْ، وَمِنْ أَجْلِ مِصْرَ فَخْرِهِمْ.

-3

و نسب الكتاب المقدس لرب العالمين أنه ينوح ، ويولول ، و يمشى حافياً عرياناً ، ويعول كبنات آوى (الذئاب)، وينتحب كالنعام ، وذلك في سفر ميخا إصحاح 1 عدد 8 لهذا أنوح وأولول وأمشي حافياً عرياناً ، وأعول كبنات آوى، وأنتحب كالنعام.

قلتُ : إن ما سبق فيه طعن لأنبياء الله المكرمين ، وطعن لرب العالمين ، ونحن نبرأ إلى الله من ذلك كله ، ولكني أتساءل: ما هو رد المعترضين على تلك النصوص ؟!....!

رد شبهة : نبي الإسلام تعرى عند بناء الكعبة !

قالوا : إن نبي الإسلام تعرى عند بناء الكعبة ... فهل هذه من أخلاق النبوة ؟

تعلقوا على ذلك بما جاء في الصحيحين واللفظ للبخاري كتاب (الصَّلَاة) باب (كَرَاهِيَةِ التَّعَرِّي فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا) برقم 351 عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ : " يَا ابْنَ أَخِي لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ فَجَعَلْتَ عَلَى مَنْكَبِكَ دُونَ الْحِجَارَةِ " . قَالَ : " فَحَلَّهُ فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكَبِهِ ، فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَمَا رَأَيْ بَعْدَ ذَلِكَ عُرْيَانًا ﷺ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذه الشبهة يرد عليها بعدة نقاط من خلالها انسفُ هذه الشبهة نسفاً بإذن الله ﷻ كما يلي :

أولاً: إن النبي ﷺ كان طفلاً صغيراً لم يبلغ الحلم بعد ، وبالطبع كانت هذه الواقعة قبل أن يكون نبياً...

يدلل على ذلك ما جاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج 6 / ص 189) في شرحه لهذا الحديث قال صاحبها : قوله : كان ينقل معهم أي : مع قريش قوله للكعبة أي لبناء الكعبة وقال الزهري لما بنت قريش الكعبة لم يبلغ النبي ﷺ الحلم . وقال ابن بطلال وابن التين كان عمره خمس عشرة سنة ، وقال هشام بين بناء الكعبة والمبعث خمس سنين وقيل : إن بناء الكعبة كان في سنة ست وثلاثين من مولده وذكر البيهقي بناء الكعبة قبل تزوجه خديجة - رضي الله تعالى عنها - والمشهور أن بناء قريش الكعبة بعد تزوج خديجة بعشر سنين فيكون عمره إذ ذاك خمسة وثلاثين سنة وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق وقال موسى بن عقبة: كان بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة وهكذا قاله مجاهد وغيره وفي (سيرة ابن إسحاق) أنه كان يحدث عما كان الله يحفظه في صغره أنه قال: لقد رأيتني في غلمان قريش بنقل الحجارة لبعض ما تلعب به الغلمان كلنا قد تعرى وأخذ إزاره وجعل على.

إذاً كان النبي ﷺ طفلاً صغيراً ، وكان ذلك قبل النبوة....

ثانياً : إن الحديث لم يذكر أن النبي ﷺ رآه الناس وهو عريان إلا عمه فقط ﷺ ولم يتتبع عورته.... وكان ذلك لضرورة هي وضع الإزار على منكبيه لتقويته على حمل الأحجار، وعدم إصابته ... تدلل على ذلك عدة روايات جاءت في الآتي :

1- كتاب الآحاد والمثاني المجلد الأول باب (ذكر أهل بدر وفضائلهم وعددهم) برقم 354 حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ عَمْرٍو وَكَانَ ثَقَّةً مِنَ الصَّالِحِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيُّ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي قَيْسٍ ، عَنْ سَمَاكَ ، عَنْ عَكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ أَبِيهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ : كُنَّا نَنْقُلُ الْحِجَارَةَ إِلَى النَّبِيِّ حِينَ بَنَتْ قَرِيشُ النَّبِيَّ ، وَأَفْرَدَتْ قَرِيشُ رَجُلَيْنِ رَجُلَيْنِ يَنْقُلُونَ ، وَالنِّسَاءُ يَنْقُلْنَ الشَّيْءَ وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ أَخِي وَكُنَّا نَنْقُلُ عَلَى رِقَابِنَا وَأُزْرُنَا تَحْتَ الْحِجَارَةِ ، فَإِذَا غَشَيْنَا النَّاسُ اتَّزَرْنَا ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ ، قَدَامِي لَيْسَ عَلَيْهِ يَغْنِي إِزَارُ قَالَ : فَخَرَّ فَأَنْبَطَحَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَجِئْتُ أَسْعَى وَأَلْقَيْتُ حَجْرِي وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَفْتُ ، فَقُلْتُ : وَمَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : فَقَامَ فَأَخَذَ إِزَارَهُ ، وَقَالَ : نُهَيْتُ أَنْ أَمْشِيَ عُرْيَانًا قَالَ : فَكُنْتُ أَكْتُمُهَا النَّاسَ مَخَافَةَ أَنْ يَقُولُوا : مَجْنُونٌ . أَهـ

-2

3- فتح الباري لابن حجر كتاب (الحج) باب (فضل مكة وبنيانها) قال : وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ أَيْضًا ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي " الدَّلَائِلِ " مِنْ طَرِيقِ عَمْرٍو بْنِ أَبِي قَيْسٍ ، وَالطَّبْرِيُّ فِي التَّهْذِيبِ مِنْ طَرِيقِ هَارُونَ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي " الْمَعْرِفَةِ " مِنْ طَرِيقِ قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ ، وَفِي " الدَّلَائِلِ " مِنْ طَرِيقِ شُعَيْبِ بْنِ خَالِدٍ كُلُّهُمْ عَنْ سَمَاكَ بْنِ حَرْبٍ عَنْ عَكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ حَدَّثَنِي أَبِي الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ : " لَمَّا بَنَتْ قَرِيشُ الْكَعْبَةَ انْفَرَدَتْ رَجُلَيْنِ رَجُلَيْنِ يَنْقُلُونَ الْحِجَارَةَ ، فَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ أَخِي ، جَعَلْنَا نَأْخُذُ أَزْرُنَا فَنَضَعُهَا عَلَى مَنَاكِبِنَا وَنَجْعَلُ عَلَيْهَا الْحِجَارَةَ ، فَإِذَا دَنَوْنَا مِنَ النَّاسِ لَبَسْنَا أَزْرُنَا ، فَبَيْنَمَا هُوَ أَمَامِي إِذْ صُرِعَ فَسَعَيْتُ وَهُوَ شَاخِصٌ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ : فَقُلْتُ لِابْنِ أَخِي : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : " نُهَيْتُ أَنْ أَمْشِيَ عُرْيَانًا " . قَالَ : فَكَتَمْتُهُ حَتَّى أَظْهَرَ اللَّهُ نُبُوَّتَهُ " تَابَعَهُ الْحَكَمُ بْنُ أَبَانَ عَنْ عَكْرَمَةَ أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ أَيْضًا ، وَرَوَى ذَلِكَ أَيْضًا عَنْ طَرِيقِ النَّضْرِ أَبِي عَمْرٍو عَنْ عَكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ لَيْسَ فِيهِ الْعَبَّاسُ وَقَالَ فِي آخِرِهِ " فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ رَأَى مِنَ النُّبُوَّةِ " . أَهـ

-4

4- عمدة القارئ لشرح البخاري كتاب (الحج) باب (فضل مكة وبنيانها) : وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي (الدَّلَائِلِ) مِنْ حَدِيثِ سَمَاكَ بْنِ حَرْبٍ عَنْ عَكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

حدثني العباس بن عبد المطلب قال لما بنت قريش الكعبة انفردنا رجلين رجلين ينقلون الحجارة وكنت أنا وابن أخي فجعلنا نأخذ أزرنا فنضعها على مناكبنا ونجعل عليها الحجارة فإذا دنونا من الناس لبسنا أزرنا فبينما هو أمامي إذ صرع فسعيت وهو شاخص ببصره إلى السماء قال : فقلت : يا ابن أخي ما شأنك؟ قال : نهيت أن أمشي عريانا. قال: فكتمته حتى أظهر الله نبوته ورواه أبو نعيم من طريق النضر أبي عمر عن عكرمة عن ابن عباس وليس فيه العباس وقال في آخره فكان أول شيء رأى من النبوة وقال صاحب (التلويح) وكان ابن عباس أراد بقوله أول شيء رأى رسول الله ﷺ من النبوة أن قيل له استتر وهو غلام هذه القصة . اهـ

-5

إذا : القصة ليس فيها أن الناس رأوه عريانا ﷺ وهو طفل صغير ، وفيها علامة من علامات النبوة له وهو صغير ﷺ ...

ثانياً : إن الكتاب المقدس ذكر لنا أن الرب تعرى بحسب الكتاب المقدس ، فضلاً عن الأنبياء والرسل ، وذلك من نقطتين:

النقطة الأولى : تعري الرب :

أولاً : إن الكتاب المقدس نسب ليسوع المسيح - الإله - أنه تعرى في موضعين:

الموضع الأول : إنجيل يوحنا إصحاح 13 عدد 4⁴ قَامَ عَنِ الْعِشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِثْلَةً

وَأَثَرَزَ بِهَا،⁵ ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مَغْسَلٍ، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلَامِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَتْ مُتْرَكَةً بِهَا.⁶ فَجَاءَ إِلَى سَمْعَانَ بُطْرُسَ. فَقَالَ لَهُ ذَاكَ: «يَا سَيِّدُ، أَنْتَ تَغْسِلُ رِجْلِي!»

قلتُ : من خلال قراءة النص لي سؤالان للمعتريين :

الأول : لماذا تعري يسوع أمام التلاميذ وما الهدف من ذلك ؟!

الثاني : هل تعري يسوع أم التلاميذ هل فيه أسوة حسنة حيث يقوم المعلم ليخلع ملابسه ويظل عرياناً لمسح أرجل تلاميذه ؟

ونحن نبرئ المسيح ﷺ مما نسب إليه كهذا النص وغيره .

الموضع الثاني : إنجيل متى إصحاح 27 عدد²⁷ فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ

وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكُتَيْبَةِ ،²⁸ فَعَرَّوْهُ وَالْبَسُوهُ رِدَاءً قَرْمِزِيًّا.

وأتساءل : أليس يسوع المسيح إلهاً قوياً بحسب معتقد المنصرين ؟ لماذا سمح لليهود بتعريته ،إلباسه لبس الزانيات... ولم يستطع أن يداري عورته ! كيف ذلك وهو الإله القوي؟! هذا مجرد تساؤل لا سخرية علم الله .

إن قيل: إن لباس القرمزي ليس لباساً للرؤاني ...

قلتُ : بل لباس للنساء الرؤاني يدل على ذلك ما جاء في رؤيا يوحنا الإصحاح 17 عدد³ فَمَضَى بِي بِالرُّوحِ إِلَى بَرِّيَّةٍ، فَرَأَيْتُ امْرَأَةً جَالِسَةً عَلَى وَحْشٍ قَرْمِزِيٍّ مَمْلُوءٍ أَسْمَاءَ

تَجْدِيفٌ، لَهُ سَبْعَةُ رُؤُوسٍ وَعَشْرَةُ قُرُونٍ. ⁴ وَالْمَرْأَةُ كَانَتْ مُتَسَرِّلَةً بِأَرْجَوَانٍ وَقَرْمِزٍ، وَمَتَحَلِّيَةً
بِذَهَبٍ وَحِجَارَةٍ كَرِيمَةٍ وَلَوْلُؤٍ، وَمَعَهَا كَأْسٌ مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِهَا مَمْلُوءَةٌ رَجَاسَاتٍ وَنَجَاسَاتٍ
زِنَاهَا، ⁵ وَعَلَى جَبْهَتِهَا اسْمٌ مَكْتُوبٌ: «سِرٌّ». بَابِلُ الْعَظِيمَةِ أُمُّ الرُّوَانِي وَرَجَاسَاتِ الْأَرْضِ».

ثَانِيًا : قَالَ الرَّبُّ عَنْ نَفْسِهِ فِي سَفَرِ مِيخَا الْإِسْحَاحِ 1 عَدَد 8 لِهَذَا أَنُوحُ وَأُولُولُ وَمَشِي
حَافِيًا عُرْيَانًا، وَأُعُولُ كَبَنَاتِ آوَى، وَأَنْتَحِبُ كَالنَّعَامِ. لَا تَعْلِقُ !

النقطة الثانية : وهى تعري أنبياء الكتاب المقدس كما يلي :

1 - سفر التكوين إصحاح 9 عدد ²⁰ وَأَبْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلَاحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. ²¹ وَشَرِبَ مِنَ
الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. ²² فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخُوَيْهِ
خَارِجًا...

3- سفر صموئيل الثاني إصحاح 6 عدد 20 وَرَجَعَ دَاوُدُ لِيُبَارِكَ بَيْتَهُ. فَخَرَجَتْ مِيكَالُ
بِنْتُ شَاوُلَ لِاسْتِقْبَالِ دَاوُدَ، وَقَالَتْ: «مَا كَانَ أَكْرَمَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ الْيَوْمَ، حَيْثُ تَكْشَفُ
الْيَوْمَ فِي أَعْيُنِ إِمَاءِ عِبِيدِهِ كَمَا يَتَكَشَّفُ أَحَدُ السُّفَهَاءِ».

-4

4- سفر إشعياء إصحاح 20 عدد 1 فِي سَنَةِ مَجِيءِ تَرْتَانَ إِلَى أَشْدُودَ، حِينَ أَرْسَلَهُ
سَرَجُونُ مَلِكِ أَشُّورَ فَحَارَبَ أَشْدُودَ وَأَخَذَهَا، ² فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تَكَلَّمَ الرَّبُّ عَنْ يَدِ إِشْعِيَاءَ
بْنِ أَمُوصَ قَائِلًا: «اذْهَبْ وَحُلِّ الْمَسِيحَ عَنْ حَقُوكَ وَأَخْلَعْ حِذَاكَ عَنْ رِجْلَيْكَ». ³
فَفَعَلَ هَكَذَا وَمَشَى مُعَرَّى وَحَافِيًا. ³ فَقَالَ الرَّبُّ: «لَمَّا مَشَى عَبْدِي إِشْعِيَاءُ مُعَرَّى
وَحَافِيًا ثَلَاثَ سِنِينَ، آيَةٌ وَأَعْجُوبَةٌ عَلَى مِصْرَ وَعَلَى كُوشَ، ⁴ هَكَذَا يَسُوقُ مَلِكُ
أَشُّورَ سَبْيَ مِصْرَ وَجَلَاءَ كُوشَ، الْفِتْيَانُ وَالشُّيُوخَ، عُرَاةً وَخُفَاةً وَمَكْشُوفِي الْأَسْتَاهِ

خَزِيًّا لِمِصْرَ. 5فَيَرْتَاْعُونَ وَيَخْجَلُونَ مِنْ أَجْلِ كُوشَ رَجَائِهِمْ، وَمِنْ أَجْلِ مِصْرَ
فَخَرَّهِمْ.

-5

4- بطرس الرسول كان عارياً على شاطئ البحر! يروي لنا يوحنا قصة ظهور يسوع لتلاميذه عند بحيرة طبرية في الإصحاح 21 عدد 1^{بعد هذا أظهر أيضاً يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية. ظهر هكذا: 2}كَانَ سِمْعَانُ بَطْرُسُ، وَتُومَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوَّامُ، وَنَتْنَايِيلُ الَّذِي مِنْ قَانَا الْجَلِيلِ، وَأَبْنَا زَبْدِي، وَاثْنَانِ آخَرَانِ مِنْ تَلَامِيذِهِ مَعَ بَعْضِهِمْ 3قَالَ لَهُمْ سِمْعَانُ بَطْرُسُ: «أَنَا أَذْهَبُ لِاتَّصِيدَ». قَالُوا لَهُ: «نَذْهَبُ نَحْنُ أَيْضًا مَعَكَ». فَخَرَجُوا وَدَخَلُوا السَّفِينَةَ لِلْوَقْتِ. وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَمْ يُمْسِكُوا شَيْئًا. 4وَلَمَّا كَانَ الصُّبْحُ، وَقَفَ يَسُوعُ عَلَى الشَّاطِئِ. وَلَكِنَّ التَّلَامِيذَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَسُوعُ. 5فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «يَا غِلْمَانُ أَلَعَلَّ عِنْدَكُمْ إِدَامًا؟». أَجَابُوهُ: «لَا!» 6فَقَالَ لَهُمْ: «أَلْقُوا الشَّبَكَةَ إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ الْيُمْنِ فَتَجِدُوا». فَأَلْقُوا، وَلَمْ يَعُودُوا يَقْدِرُونَ أَنْ يَجْذِبُوهَا مِنْ كَثَرَةِ السَّمَكِ. 7فَقَالَ ذَلِكَ التَّلَامِيذُ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ لِبَطْرُسَ: «هُوَ الرَّبُّ!» 8فَلَمَّا سَمِعَ سِمْعَانُ بَطْرُسُ أَنَّهُ الرَّبُّ، انْتَرَزَ بِثَوْبِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ عُرْيَانًا، وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ.

نلاحظ : أن بطرس الرسول عندما سمع أن المسيح قد حضر أُنْزَرَ بِثَوْبِهِ " لِأَنَّهُ كَانَ عُرْيَانًا، وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ " (يوحنا 21 / 7).

وأتساءل : كيف يكون بطرس كبير الحواريين عرياناً على شاطئ البحر؟! ولماذا ينجل من التعري عندما سمع بحضور المسيح فقط؟! هل التعري جائز في غياب المسيح وغير جائز في حضوره؟! كيف كان بطرس الرسول الملقب بصخرة الكنيسة عارياً على الشاطئ أمام التلاميذ ومن كان موجوداً آنذاك؟!

رد شبهة: نبي يكشف عن فخذيه !

قالوا: كان رسول الإسلام في بيت عائشة كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، ودخل عنده أبو بكر ولم يسوي ثيابه ، وكذلك عمر ، ولما جاء عثمان سوي ثيابه ؛ أليس الفخذ عورة...؟!

واستدلوا على ذلك بما جاء في صحيح مسلم كتاب (فضائل الصحابة) باب (من فضائل عثمان رضي الله عنه) برقم 4414 عن عائشة قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخْذَيْهِ أَوْ سَاقِيهِ فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ قَالَ مُحَمَّدٌ : وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشْ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهْ ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشْ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهْ ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسَتْ وَسَوَّيْتُ ثِيَابَكَ فَقَالَ : " أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ " .

الرد على الشبهة

أولاً: أبدء من حيث انتهوا لأرد على سؤالهم الذي يقول : " أليس الفخذ عورة ؟ " !

الجواب : بلى ، إن الفخذ عورة عند جماهير علماء المسلمين ؛ لعدة أدلة منها:

1- سنن أبي داود برقم 3498 ، وصححه الألباني في المشكاة (3114) عَنْ زُرْعَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَرَّهَدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ جَرَّهَدٌ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ قَالَ: جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَنَا وَفَخَذِي مُنْكَشِفَةً فَقَالَ : " أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْفَخْذَ عَوْرَةٌ " .

3- سنن الترمذي برقم 2722 ، وصححه الألباني في سنن الترمذي برقم 2798 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " الْفَخْذُ عَوْرَةٌ " .

-4

3- المعجم الكبير للطبراني برقم 27 قال ﷺ : " مَا بَيْنَ السَّرَّةِ وَالرُّكْبَةِ عَوْرَةٌ " . حسنه الألباني في الإرواء (247 ، 271) .

إِذَا مِنْ خِلَالِ مَا تَقْدِمُ أَتَضَحُّ لَنَا : أَنْ الْفَخْذُ عَوْرَةٌ ؛ لِعُمُومِ مَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ وَغَيْرِهَا ، وَبَدَلَ الْأَخِيرِ عَلَى أَنَّ الرُّكْبَةَ وَالسَّرَّةَ لَيْسَتَا بِعَوْرَةٍ عِنْدَ الرَّجُلِ ؛ لِأَنَّ نَصَّ الْحَدِيثِ يَقُولُ : " مَا بَيْنَ السَّرَّةِ وَالرُّكْبَةِ عَوْرَةٌ " .

ثَانِيًا : إِنْ النَّازِرَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي اسْتَدَلَّ بِهِ الْمُعْتَرِضُونَ عَلَى شِبْهِتِهِمْ يَجِدُ أَنَّهُ لَا يَخْدُمُ مَصَالِحَهُمْ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ يَقُولُ فِيهِ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِهِ ، كَاشِفًا عَنْ فَخْذِهِ أَوْ سَاقِيهِ ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَذِنَ لَهُ ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ...

نلاحظ : أَنَّ هُنَاكَ شَكًّا فِي الرِّوَايَةِ مِنَ الرَّائِي عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَذَلِكَ قَوْلُهَا : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخْذِهِ أَوْ سَاقِيهِ " . أَوْ شَكٌّ مِمَّنْ رَوَى عَنْهَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - .

إِذَا : لَيْسَ يَقِينًا أَنَّهُ ﷺ كَانَ كَاشِفًا عَنْ فَخْذِهِ ، وَبِالتَّالِي لَا يَجُوزُ بِنَاءُ حُكْمٍ عَلَى حَدِيثٍ فِيهِ دَلَالَةٌ ظَنِّيَّةٌ وَلَيْسَتْ قَطْعِيَّةً ، وَهَذَا مَا رَجَحَهُ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي شَرْحِهِ لِصَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ .

ثالثاً : في أثناء بحثي في الأحاديث المتعلقة بالشبهة وجدت حديثاً في مسند أحمد برقم 23194 حَدَّثَنَا مَرْوَانُ قَالَ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَيَّارٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ تَذْكُرُ عَنْ عَائِشَةَ -أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ جَالِسًا كَاشِفًا عَنْ فَخْذِهِ فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَأَرَخَى عَلَيْهِ ثِيَابَهُ فَلَمَّا قَامُوا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: " اسْتَأْذَنَ عَلَيْكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَأَذِنْتَ لَهُمَا وَأَنْتَ عَلَى حَالِكَ فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ أَرَخَيْتَ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ ". فَقَالَ : " يَا عَائِشَةُ أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ وَاللَّهِ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَحْيِي مِنْهُ " .

ووجدت أن الحديث فيه ضعف للآتي :

1- قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : ضعف إسناده ، قال - رحمه الله - : هذا إسناده ضعيف لجهالة حال عبد الله بن سيار . اهـ

2- جاء في كتاب (من له رواية في مسند أحمد) (569) عبيد الله بن سيار عن عائشة وعنه مروان مجهول . اهـ

قلتُ : بهذا تنتهي الشبهة ، ولكني وجدت أن الشيخ الألباني - رحمه الله - صحح هذه الرواية في السلسلة الصحيحة برقم 2719 " كان كاشفاً عن فخذه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على ذلك الحال " .

ويعلق - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة برقم 1687 قائلاً : واعلم أنه قد صح عن النبي ﷺ أنه قال : " الفخذ عورة " وهو مخرج في إرواء الغليل 66. وهنا يبدو للباحث وجوه من التوفيق .

الأول: أن يكون حديث الترجمة قبل حديث: " الفخذ عورة " .

الثاني: أن يحمل الكشف على أنه من خصوصياته ﷺ فلا يعارض الحديث الآخر ويؤيده قاعدة: القول مقدم على العمل . و الحاضر مقدم على المبيح . والله اعلم . اهـ

قلتُ : إن التوفيق بالنسبة للحديث المختلف في صحته يكون على وجهين :

الوجه الأول : إن قلنا بضعفه كما قال بعض المحققين ، فلا شبهة عندنا فيه: فكان النبي ﷺ كاشفاً عن ساقه دون فخذه لحديث عائشة في صحيح مسلم الذي سبق بيانه .

الوجه الثاني : إن قلنا بصحته كما قال الألباني فلا شبهة عندنا أيضاً ؛ لأن النبي ﷺ كان كاشفاً عن فخذه قبل أن يعلم من ربه عن طريق الوحي أن الفخذ عورة فعلم بعدها بذلك ، فكان ينهى الناس عن كشف الفخذ ويعلمهم أنه عورة كما جاء في حديث جرهد وغيره ، وأما ما قاله الشيخ الألباني - رحمه الله - بأن كشف الفخذ من خصوصياته ﷺ فلا دليل عليه، وعليه تتسف الشبهة نسفاً - بفضل الله ﷻ - .

رابعاً: إن قيل : لماذا سوى النبي ﷺ ثيابه ، وغطى ساقه أو فخذه لما دخل عثمان رضي الله عنه ؟

قلتُ: لأن عثمان رجل حيي؛ أعنى : أنه كان شديد الحياء ؛ لذا قال ﷺ : " أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ " .

وفي رواية لمسلم أنه ﷺ قال في جواب عائشة : " إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيٌّ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ أَذْنَتْ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ لَا يَبْلُغُ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ " .

قال النووي - رحمه الله - : فِيهِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِعُثْمَانَ وَجَلَالَتِهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ ، وَأَنَّ الْحَيَاءَ صِفَةً جَمِيلَةً مِنْ صِفَاتِ الْمَلَائِكَةِ . اهـ

خامساً : إن إنجيل يوحنا نسب إلى يسوع أنه لم يكن كاشفاً عن ساقيه ، ولا فخذيه فقط ، ولكن كان كاشفاً عن جسده بأكمله متعمداً لذلك أمام التلاميذ وذلك في الإصحاح 13 عدد 4 قَامَ عَنِ الْعِشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مَنَشَفَةً وَأَثَرَرَ بِهَا،⁵ ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَلٍ، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلَامِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمَنَشَفَةِ الَّتِي كَانَتْ مُتَرَّرًا بِهَا.

قلتُ : إننا نُبْرِئُ الْمَسِيحَ ﷺ مما نُسَبُ إِلَيْهِ ، ولا نصدق أن المسيح ﷺ تعرَى أمام التلاميذ بهذه الصورة ، ولم نستهزئ كما استهزئ المعترضون في سؤالهم فنقول مثلاً:

1- لماذا تعرَى يسوع أمام التلاميذ وما الهدف من ذلك ؟ هل ليغسل أرجل التلاميذ فقط ؟ وما الهدف من غسل أرجل التلاميذ وهو متعري ؟!

2- هل تعرية الجسد بأكمله عندكم عورة أم لا ؟ مع العلم أن يسوع كان عارياً أمام التلاميذ ؟!

رد شبهة : نبيُّ يتبرز أمام الناس ، و يأمرهم أن يأتوه بثلاثة أحجار !

كعادة أخلاقهم المعهودة قالوا على سبيل الهمز والاستهزاء عن نبيِّنا ﷺ : إنه يتبرز أمام الناس ، ويأمرهم أن يأتوه بثلاثة أحجار...!

وتعلقوا بما جاء في الآتي :

1- صحيح البخاري كتاب (الوضوء) باب (لا يستنجى بروث) برقم 152 عن عبد الله قال : أَتَى النَّبِيُّ ﷺ الْغَائِطَ فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ فَوَجَدْتُ حَجَرَيْنِ وَالتَّمَسْتُ الثَّالِثَ فَلَمْ أَجِدْهُ فَأَخَذْتُ رَوْثَةً فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَأَخَذَ الْحَجَرَيْنِ وَالْقَى الرَّوْثَةَ وَقَالَ: " هَذَا رِجْسٌ " .

2- صحيح البخاري كتاب (الوضوء) باب (الاستنجاء بالحجارة) برقم 151 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : " اتَّبَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَخَرَجَ لِحَاجَتِهِ فَكَانَ لَا يَلْتَفِتُ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقَالَ: " ابْغِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضُ بِهَا أَوْ نَحْوَهُ وَلَا تَأْتِنِي بَعْظُمٌ وَلَا رَوْثٌ فَاتَّيْتُهِ بِأَحْجَارٍ بِطَرَفِ ثِيَابِي فَوَضَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ فَلَمَّا قَضَى اتَّبَعَهُ بِهِنَّ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن النبي ﷺ نهى عن أن ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، و كره الكلام أثناء قضاء الحاجة ، وأمر بأخذ السترة عندها ، و كان ﷺ حياً
تدل على ذلك أدلة منها :

1- صحيح مسلم برقم 512 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ﷺ : " لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَلَا تَفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ " . ومعنى يفضي : يصل والمراد لا يضطجعان متجردين تحت ثوب واحد

3- سنن أبي داود برقم 3497 عَنْ عَطَاءٍ عَنْ يَعْلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَّازِ بِلَا إِزَارٍ فَصَعَدَ الْمَنْبَرَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَيٌّ سِتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ " .

3- دلائل النبوة البيهقي برقم 2256 عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : سَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفِيحَ فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بَغْصَنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ : انْقَادِي عَلَيَّ يَا ذَنْ لِلَّهِ فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدُهُ حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى فَأَخَذَ بَغْصَنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ : انْقَادِي عَلَيَّ يَا ذَنْ لِلَّهِ فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا

بَيْنَهُمَا لَأَمَ بَيْنَهُمَا يَغْنِي جَمْعُهُمَا فَقَالَ: التَّئِمَّا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَالتَّأَمَّتَا قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أَحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُرْبِي فَيَبْتَدِعَ.....

نلاحظ من الرواية الأخيرة أنه ﷺ كان يستتر ، ويبحث عن التستر حتى سخر الله له الشجر ليظله ﷺ في أثناء قضاء حاجة ، وهذا من معجزاته ﷺ ، حيث يتحرك الشجر نحوه ﷺ ليظله ثم يرجع إلى مكانه مرة أخرى ؛ لأنه ﷺ حيي يحب الحياء والتستر....

وعليه : فإن القول بأن النبي ﷺ قضى حاجته أمام الناس قول باطل ؛ لأن الحديث يقول : " أَتَى النَّبِيُّ ﷺ الْغَائِطَ فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ فَوَجَدْتُ حَجَرَيْنِ وَالتَّمَسْتُ الثَّلَاثَ فَلَمْ أَجِدْهُ فَأَخَذْتُ رَوْثَةً فَآتَيْتُهُ بِهَا فَأَخَذَ الْحَجَرَيْنِ وَأَلْقَى الرَّوْثَةَ ، وَقَالَ : " هَذَا رِكْسٌ " .

نلاحظ : أن الحديث ليس فيه أن النبي ﷺ أمر الصحابي أن يأتيه بالحجارة وهو في قلب الفعل أو الحدث ، وإنما لما أتى المكان الذي أراد الخلاء به ؛ طلب الحجارة من الصحابي

وهذا ما نلاحظه من الرواية الثانية من حديث أبي هريرة ، وعلى هذا تنتهي الشبهة - بفضل الله ﷻ - .

ثانياً : إن اعتراضهم على الاستجاء بالأحجار لا قيمة له ؛ لأنهم يتكلمون عن وسائل للتطهر عمرها قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة ؛ لم يكن هناك حمام (بدش) ، ولا مناديل معطرة (ورقية)....

هم يتكلمون عن أرض يشح فيها الماء لطبيعتها الصحراوية ، ويتكلمون عن شيء لا يمكن أن يفعل إلا في مكان بعيد للتواري عن أعين الناس ؛ ولهذا سمي (خلاء) .

وأتساءل : هل يستطيعون أن يخبروني ما هي أفضل وسيلة للتخلص بها من أثر الأذى الذي يبقى بعد قضاء الحاجة في ظل الظروف التي قمت بتوضيحها ؟

الجواب : الحجر هو أفضل ما يسهل إيجاده ويزيل الأذى عن الجلد، وتعدد الأحجار لضمان تحصيل التطهر على النحو الأكمل ، ولو توافر الماء فهو بالإجماع أفضل من الأحجار؛ **لقوله ﷺ عن الماء :** ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ (الفرقان 48) . يعني مطهراً.

وأما عن عدد ثلاثة أحجار هو أقل شيء لضمان الطهارة ، وأن وجد أقل من ذلك فهذه ضرورة وليست الثلاثة أحجار حكمها على الوجوب.

و نجد أن الله ﷻ نزل آية مدح بها الصحابة رضي الله عنهم أهل مسجد قباء ، والسبب أنهم كانوا إذا قضاوا حاجتهم يستنجون بالحجر ثم بالماء ، فانزل ﷻ فيهم : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (التوبة 108) .

ثم إن الشريعة بمجملها حرصت على طهارة البدن والثياب ، وطهارة القلب أيضاً ؛ فنحن نعبد رباً من أسمائه (الجميل) أي: الذي يحب الجمال ؛ ثبت في صحيح مسلم برقم 131 عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ " . قَالَ رَجُلٌ : " إِنْ الرَّجُلُ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً " . قَالَ : " إِنْ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ " .

فأما عن طهارة البدن والثياب : فدليله الحديث السابق ، والآية السابقة ، **وقوله ﷻ :** ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (31) ﴿ (الأعراف).

جاء في التفسير الميسر : يا بني آدم كونوا عند أداء كل صلاة على حالة من الزينة المشروعة من ثياب ساترة لعوراتكم ونظافة وطهارة ونحو ذلك، وكلوا واشربوا من طيبات

ما رزقكم الله، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في ذلك. إن الله لا يحب المتجاوزين
المسرفين في الطعام والشراب وغير ذلك . اهـ

ثم إن الصلاة لا تجوز في ثوب عليه نجاسة، أو مع وجود النجاسة على البدن، فنحن نعبد
رباً يحب المتطهرين يقول ﷺ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة 222).
وأما عن طهارة القلب : يقول ﷺ: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا
وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ (الأعراف).

وثبت في صحيح مسلم برقم 4651 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ
لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ".

ثالثاً: إن هناك سؤالاً يفرض نفسه على المعترضين هو : لو يخبرونا عن يسوع
المسيح لما كان يتبرز في مكان ليس فيه ماء ، هل كان يستنجى بأحجار أم كان يقوم بعد
قضاء حاجة مباشرة دون مسح الأذى والنجاسة ؟!

ثم ماذا يقولون عن أقوال يسوع التي جاءت في إنجيل مرقس إصحاح 7 عدد 15¹⁵ لَيْسَ
شَيْءٌ مِنْ خَارِجِ الْإِنْسَانِ إِذَا دَخَلَ فِيهِ يَقْدِرُ أَنْ يَنْجَسَهُ، لَكِنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ هِيَ
الَّتِي تُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ. 16¹⁶ إِنْ كَانَ لِأَحَدٍ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ، فَلْيَسْمَعْ.

نلاحظ : أن يسوع قصد أن كل ما يمس الإنسان من الخارج لا ينجسه ؛ وإنما كلامه
وأخلاقه هي التي تنجسه! قال ذلك لما سأله الشيوخ لماذا لا يغسل التلاميذ أيديهم قبل
الطعام ؟!

وبالتالي : لو أن هناك رجلاً بال عليه كلبٌ أو تبرز عليه فإنه لا ينجس بحسب النص المنسوب إلى يسوع ويصل هكذا...!

وليت المعترضون الذين حكموا على نبيِّنا ﷺ ظلماً وبهتاناً بأنه يقضي حاجةَ أمام الناس يخبروننا عن داودَ النبيِّ الذي تعرَّى أمامَ الناسِ بإرادتهِ ؛ رقصَ عارياً تماماً كالسفهاءِ كما وصفه الكتابُ المقدس ... هل عبوا عليه ؟! هل أسقطوا نبوته ؟!

نجد ذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 6 عدد 20 **وَرَجَعَ دَاوُدُ لِيُبَارِكَ بَيْتَهُ. فَخَرَجَتْ مِيكَالُ بِنْتُ شَاوُلَ لَاسْتِقْبَالِ دَاوُدَ، وَقَالَتْ: «مَا كَانَ أَكْرَمَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ الْيَوْمَ، حَيْثُ تَكْشَفُ الْيَوْمَ فِي أَعْيُنِ إِمَاءِ عِبِيدِهِ كَمَا يَتَكَشَّفُ أَحَدُ السُّفَهَاءِ».**

قُلْتُ : إننا نبرأ إلى الله من ذلك كله ، ولكن ما هو جوابهم على تلك النصوص ؟!

رد شبهة : نبيُّ يعري ابنته أمام العبيد (فاطمة) !

قالوا : هل الإسلام يدعو إلى تعرية النساء والتبرج ؟ وهل من أخلاق الأنبياء أن يعري النبيُّ بناته أمام العبيد ؟! لقد كان رسولُ الإسلام سبباً في تعرية ابنته فاطمة أمام العبيد ... !

والدليل على قولنا الحديث الثابت في سنن أبي داود كتاب (اللباس) باب (في العبد ينظر إلى شعر مولاته) برقم 3582 **عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى فَاطِمَةَ بَعْدَ كَانَ قَدْ وَهَبَهُ لَهَا قَالَ وَعَلَى فَاطِمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ثَوْبٌ إِذَا قَتَعَتْ بِهِ رَأْسَهَا لَمْ يَبْلُغْ رِجْلَيْهَا وَإِذَا غَطَّتْ بِهِ رِجْلَيْهَا لَمْ يَبْلُغْ رَأْسَهَا فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مَا تَلَقَّى قَالَ : " إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ إِنَّمَا هُوَ أَبُوكَ وَغَلَامُكَ "**.

تحقيق الألباني : صحيح ، الإرواء (1799) .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الإسلام جعل المرأة كالجوهرة التي ينبغي أن تُصان في أَمْنٍ مكانٍ ؛ حتى لا تكون عرضة أمام الجميع فيشتتها البعض ويطمع فيها آخرون ... وتكون بعدها عرضة للضياع.....

وبالتالي فإن المرأة عندنا كالجوهرة النفيسة حث الإسلام على المحافظة عليها، فأمرها بالتستر في بيت زوجها، وعدم الخروج من بيتها بغير حاجة، وأمرها بالحجاب ، وعدم التبرج....

تدل على ذلك أدلة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (الأحزاب 33) .

جاء في التفسير الميسر : والزَّمنَ بيوتكن ، ولا تخرجن منها إلا لحاجة ، ولا تظهرن محاسنكن ، كما كان يفعل نساء الجاهلية الأولى في الأزمنة السابقة على الإسلام، وهو خطاب للنساء المؤمنات في كل عصر. وأدين - يا نساء النبي- الصلاة كاملة في أوقاتها، وأعطين الزكاة كما شرع الله، وأطعن الله ورسوله في أمرهما ونهيهما، إنما أوصاكن الله بهذا؛ ليزككن، ويبعد عنكن الأذى والسوء والشر يا أهل بيت النبي -ومنهم زوجاته وذريته ﷺ ويطهر نفوسكم غاية الطهارة . اهـ

بل وأمر الله ﷺ زوجات النبي ﷺ وبناته ونساء المؤمنين بالحجاب ، وذلك أن يرخين على رؤوسهن ووجوههن من أرديتهن وملاحفهن ؛ لستر وجوههن ، وصدورهن ، ورؤوسهن ، ذلك أقرب أن يميزن بالستر والصيانة فلا يُتعرَّض لهن بمكروه أو أذى.

1- قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب59).

2- قوله ﷺ لنساء النبي ﷺ حتى يكن أسوة لغيرهن : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (الأحزاب32). أمرهن أن يقلن قولاً معروفاً ؛ أي: يرضي الله ﷻ ولا يتكلمن مع من ليس من محارمهن إلا لضرورة، وكل ذلك درء للفتنة، وللمفاسد حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض...

4- من كثرة حرصه ﷺ عليهن أنه سماهن (بالقوارير) فقال لأنجشة : " يا أنجشة رويدا سوقك بالقوارير ". تعليق شعيب الأرنبوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير أبي كامل شيخ المصنف.

5- بين ﷺ أن الرجل الذي لا يحافظ على نسائه ، ولا يغار عليهن هو ديوث والجنة عليه حرام ... وذلك في صحيح الجامع برقم 5363 قال ﷺ : " ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر و العاق و الديوث الذي يقر في أهله الخبث " .

6- بين النبي ﷺ أن خلق الإسلام الحياء ... وذلك في الآتي :

1- قال ﷺ : " لِكُلِّ دِينٍ خُلُقٌ وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ " . رواه مالك في موطئه برقم 1406.

وقال ﷺ : " إن اللهَ تعالى حيّ ستر يحب الحياءَ والسترَ " . صححه الألباني في المشكاة برقم (447) .

6- صحيح البخاري برقم 3298 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خَدْرِهَا " .
7-

فالحياء هو خلق رسول الله ﷺ ، وخلق زوجاته ، وبناته ، وهذا أمر معروف لدى الجميع حتى من أعدائه في زمانه ومن المنصفين في زماننا هذا ...

وعليه : يسقط الشق الأول من شبهتهم التي في سؤالهم : هل الإسلام يدعو إلى تعرية النساء والتبرج ؟!

ثانياً : أما عما جاء في الشق الثاني من سؤالهم الذي يقول : هل من أخلاق الأنبياء أن يعري النبي بناته أمام العبيد ...؟

قلتُ : أجيب رغم شعوري بالهمز - حاشاهم وحاشاه ذلك ﷺ - فالحديث الذي استدلوا به للطعن في أخلاق النبي ﷺ هو صحيح في سنن أبي داود للألباني برقم 4106 ؛ لكنه لا يخدم مصالحهم للطعن في أخلاقه ﷺ بل هو العكس من ذلك كما سيتقدم معنا - إن شاء الله ﷻ - .
قوله ﷺ : " إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ إِنَّمَا هُوَ أَبُوكَ وَغُلَامُكَ " .

قلتُ : إن فهم هذا الحديث فهماً صحيحاً يتضح من خلال عرض تلك الأسئلة :

1- ما المقصود من قوله ﷺ : " إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ إِنَّمَا هُوَ أَبُوكَ وَغُلَامُكَ " ؟

2- وما المقصود من قوله ﷺ : " غلامك " ؟ وماذا تعني كلمة (غلام) ؟

2- ولماذا قال ﷺ ذلك ؟

أبدأ من آخر الأسئلة :

لماذا قال ﷺ ذلك ؟

الجواب : قال ذلك ﷺ ؛ لأن فاطمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كانت امرأة حبيبة تحب الحياءَ فهي بنت النبي الحبيِّ ﷺ الذي صح عنه في مسند أحمد برقم 25268 عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : "إِذَا كَانَ لِإِحْدَاكُنَّ مَكَاتِبٌ فَكَانَ عِنْدَهُ مَا يُؤَدِّي فَلْتَحْتَجِبِي مِنْهُ " .

الشاهد : أنها كانت ترتدي ثوباً قصيراً في بيتها فشعرت فاطمة بالحزن وتَحَمَّلَ الْمَشَقَّةَ فِي النَّسْتَرِ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مَا تَلَقَّى : أَي : مَا تَلَقَّاهُ فَاطِمَةُ مِنْ هَذَا التَّحْيِيرِ وَالْخَجَلِ وَتَحَمَّلَ الْمَشَقَّةَ فِي النَّسْتَرِ مِنْ جَرِّ الثُّوبِ مِنْ رِجْلِهَا إِلَى رَأْسِهَا وَمِنْ رَأْسِهَا إِلَى رِجْلِهَا حَيَاءً أَوْ تَنَزُّهًا قَالَ إِنَّهُ الضَّمِيرُ لِلشَّانِ إِنَّمَا هُوَ أَي : مَنْ اسْتَحْيَيْتَ مِنْهُ أَبُوكَ وَغُلَامُكَ .

وأما المقصود من قوله ﷺ : " إِنَّمَا هُوَ أَبُوكَ وَغُلَامُكَ " .

نلاحظ : أن لا إشكال في لفظة (أبوك) ؛ لأنه من محارمها هو محمد ﷺ .

أما عن قوله ﷺ : " وغلامك " فقد ظن المعتضون أنه العبد البالغ وهذا من جهلهم ... قال الشيخ أبو حامد ، أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني شيخ الشافعية ببغداد: هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ كَانَ صَغِيرًا لِإِطْلَاقِ لَفْظِ الْغُلَامِ وَلِأَنَّهَا وَقِيعَةٌ حَالٌ . اهـ (عون المعبود في شرح سنن أبي داود) .

وعليه: فإن معنى (غلامك) أي: أنه الطفل الذي لم يبلغ الحلم، ويقوم بخدمتك، وهذا ما أفاده أبو حامد - رحمه الله - وغيره.

إِذَا : لا شبهة عندنا في ذلك ، فالحديث يدل على عظمة أخلاق بنت رسول الله ﷺ أنها تحب الحياء والتستر، فهكذا كانت المرأة المسلمة ولا زالت رمز العفة والحياء والتستر، هكذا عرفها التاريخ بعهوده المختلفة... حتى إنك لا تجد للفظ (العرض) مرادفاً في اللغات الأجنبية التي تدين بالمسيحية وغيرها ، وقد قلّ الحياء في زماننا ، وما عند المعترضين حياء ، ولا عند نسائهم ؛ فما أكثر العري في كنائسهم التي هي من المفترض محل عبادة لله ﷻ ! وقد بين النبي ﷺ أن الحياء من الإيمان؛ ففي صحيح مسلم برقم 52 عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَعْظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ : " الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ " .

والخلاصة : أن فاطمة لما كانت في تحير من أمرها وخجل ، وَتَحَمَّلَ الْمَشَقَّةَ فِي التَّسْتُرِ من غلام صغير لم يبلغ الحلم جاءها الخيرُ بفتوى من النبي ﷺ بأنه من الأطفال الصغار الذين ليس لهم علم بأمور عورات النساء، ولم توجد فيهم الشهوة بعد ، وهو من قوله ﷺ : " لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ إِنَّمَا هُوَ أَبُوكَ وَغُلَامُكَ " حتى يشرع لأمته ﷺ ، وصدق النبي ﷺ لما قال : " الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ " .

ثالثاً : إن الكتاب المقدس نسب إلى الرب أنه يسلم زوجات وبنات أنبيائه للناس لا ليعريهم أمام أعدائهم؛ بل ليزنوا بهم أمام أنبيائه ! هكذا فعل الرب مع داود بزعم نصوص سفر صموئيل الثاني إصحاح 12 عدد ¹⁰ وَالْآنَ لَا يَفَارِقُ السَّيْفُ بَيْتَكَ إِلَى الْأَبَدِ، لِأَنَّكَ احْتَقَرْتَنِي وَأَخَذْتَ امْرَأَةً أُورِيًّا الْحَيَّةَ لَتَكُونَ لَكَ امْرَأَةً. ¹¹ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَإِنذًا أُقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ، وَأَخَذُ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأُعْطِيَهُنَّ لِقَرِيبِكَ، فَيَضْطَجِعُ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هَذِهِ الشَّمْسِ. ¹² لِأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ بِالسَّرِّ وَأَنَا أَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ قَدَّامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَقَدَّامَ الشَّمْسِ. ¹³ فَقَالَ دَاوُدُ لِنَاتَانُ: «قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ». فَقَالَ نَاتَانُ لِدَاوُدَ: «الرَّبُّ أَيْضًا قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيئَتَكَ. لَا تَمُوتُ. لَا تَعْلِقُ !

ونسب الكتاب المقدس إلى الربّ بأنه عرى النساء ... وذلك في سفر إشعياء إصحاح 3 عدد¹⁶ وَقَالَ الرَّبُّ: «مَنْ أَجَلِ أَنْ بَنَاتِ صِهْيُونَ يَنْشَامَخْنَ، وَيَمْشِينَ مَمْدُودَاتِ الْأَعْنَاقِ، وَغَامَزَاتِ بَعْيُونِهِنَّ، وَخَاطِرَاتِ فِي مَشْيِهِنَّ، وَيُخَشِخِشْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ،¹⁷ يُصْلِعُ السَّيِّدُ هَامَةَ بَنَاتِ صِهْيُونَ، وَيُعَرِّي الرَّبُّ عَوْرَتَهُنَّ . لا تعليق !

رد شبهة : نبيّ يقول لزوجته اكشفي عن فخذيك !

قالوا : هل هذا كلام لائق يخرج من نبيّ من عند الله لامرأة ثم تحدّث به عنه ؟!

ثم ذكروا حديثاً رواه أبو داود في كتاب (الطّهارة) باب (في الرجل يُصِيبُ مِنْهَا مَا دُونَ الْجِمَاعِ) برقم 236 حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ عُمَرَ بْنِ غَانِمٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَعْنِي ابْنَ زِيَادٍ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غُرَابٍ قَالَ: إِنَّ عَمَّةَ لَهُ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا سَأَلَتْ عَائِشَةَ قَالَتْ : " إِحْدَانَا تَحِيضٌ وَلَيْسَ لَهَا وَلِزَوْجِهَا إِلَّا فِرَاشٌ وَاحِدٌ " قَالَتْ : " أَخْبِرْكِ بِمَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ فَمَضَى إِلَى مَسْجِدِهِ . "

قَالَ أَبُو دَاوُدَ : تَعْنِي مَسْجِدَ بَيْتِهِ فَلَمْ يَنْصَرِفْ حَتَّى غَلَبَتْهُ عَيْنِي وَأَوْجَعَهُ الْبَرْدُ فَقَالَ: ادْنِي مِنِّي فَقُلْتُ : إِنِّي حَائِضٌ فَقَالَ: وَإِنْ اكْشَفِي عَنْ فَخْذِيكَ فَكَشَفْتُ فَخْذِي فَوَضَعَ خَدَّهُ وَصَدْرَهُ عَلَى فَخْذِي وَحَنَيْتُ عَلَيْهِ حَتَّى دَفَى وَنَامَ .

الرد على الشبهة

أولاً: إن سؤالهم باطل وشبهتهم باطلة ؛ لأن ما بُني على باطل فهو باطل ؛ هذا الحديث منكر لا نعترف به ، هم يأتون بالأحاديث المنكرة ثم يبنوا عليها قلاعاً ، وحصونا

ليحاربونا من خلالها لكنها أوهن من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ؛ فلو كلفوا أنفسهم بالبحث عن تخريج الحديث قبل سؤالهم وقبل إلقاء للشبهة ما طرحوها !

قلتُ : صدق ابن المبارك - رحمه الله - لما قال : " لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء " .

ضعف هذا الحديث العلماء كما يلي :

1- الألباني في ضعيف (سنن أبي داود) برقم 270 .

2- صاحب كتاب عون المعبود في شرح سنن أبي داود في هذا الحديث قال : قَالَ الْمُنْذِرِيُّ : عُمَارَةُ بْنُ غُرَابٍ وَالرَّأَوِيُّ عَنْهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زِيَادٍ بْنُ أَنْعَمِ الْأَفْرِيقِيُّ وَالرَّأَوِيُّ عَنْ الْأَفْرِيقِيِّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ غَانِمٍ وَكُلُّهُمْ لَا يَحْتَجُّ بِحَدِيثِهِ . انْتَهَى .

وعليه تبطل شبهتهم الواهية - بفضل الله - .

ثانياً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه بعد بيان ضعف الحديث هو كسؤالهم : هل هذا كلام لائق يقال في كتاب من عند الله (الكتاب المقدس) لامرأة كما يلي :

1- سفر حزقيال إصحاح 16 عدد ²³وَكَانَ بَعْدَ كُلِّ شَرِّكَ . وَيْلٌ، وَيْلٌ لَكَ! يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، ²⁴أَنْتَ بَنَيْتَ لِنَفْسِكَ قُبَّةً وَصَنَعْتَ لِنَفْسِكَ مُرْتَفَعَةً فِي كُلِّ شَارِعٍ. ²⁵فِي رَأْسِ كُلِّ طَرِيقٍ بَنَيْتَ مُرْتَفَعَتَكَ وَرَجَسْتَ جَمَالَكَ، وَفَرَجْتَ رِجْلَيْكَ لِكُلِّ عَابِرٍ وَأَكْثَرْتَ زِنَاكَ. ²⁶وَزَنَيْتَ مَعَ جِيرَانِكَ بَنِي مِصْرَ الْغِلَاطِ اللَّحْمِ، وَزِدْتَ فِي زِنَاكَ لِإِغَاظَتِي. ²⁷«فَهَا أَنْذَا قَدْ مَدَدْتُ يَدِي عَلَيْكَ، وَمَنَعْتُ عَنْكَ فَرِيضَتَكَ، وَأَسْلَمْتُكَ لِمِرَامٍ مُبْغِضَاتِكَ،

بَنَاتِ الْفَلَسْطِينِيِّينَ، اللَّوَاتِي يَخْجَلْنَ مِنْ طَرِيقِكَ الرَّذِيلَةِ.²⁸ وَزَنَيْتَ مَعَ بَنِي أَشُورَ، إِذْ كُنْتَ لَمْ تَتَّشَبِعِي فِزْنَيْتَ بِهِمْ، وَلَمْ تَتَّشَبِعِي أَيْضًا.²⁹ وَكَثُرَتْ زِنَاكَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ إِلَى أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ، وَبِهَذَا أَيْضًا لَمْ تَتَّشَبِعِي.³⁰ مَا أَمْرُضَ قَلْبُكَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِذْ فَعَلْتَ كُلَّ هَذَا فِعْلَ امْرَأَةٍ زَانِيَةٍ سَلِيطَةٍ،³¹ بَيْنَانِكَ قُبْنَتِكَ فِي رَأْسِ كُلِّ طَرِيقٍ، وَصُنْعُكَ مُرْتَفَعَتُكَ فِي كُلِّ شَارِعٍ. وَلَمْ تَكُونِي كَزَانِيَةٍ، بَلْ مُحْتَقَرَةٌ الْأَجْرَةِ.³² أَيْتُهَا الرُّوْجَةُ الْفَاسِقَةُ، تَأْخُذُ أَجْنَبِيِّينَ مَكَانَ زَوْجِهَا.

نلاحظ : أن الربَّ يضربُ مثلاً أنه الزوج وأورشليم هي الزوجة ، وأنها أخذت زوجاً أجنبياً حينما عبدت آلهةً أخرى ، فهل هذا مثل يضربه رب العالمين لنا وبهذه الألفاظ ؟!

2- قصة أهولة وأهولبية في سفر حزقيال إصحاح 23 عدد 1-44 أكتفي بذكر الأعداد الآتية :

حزقيال إصحاح 23 عدد 1: ¹وَكَانَ إِلَيَّ كَلَامُ الرَّبِّ قَائِلًا: ²«يَا ابْنَ آدَمَ، كَانَ امْرَأَتَانِ ابْنَتَا أُمٍّ وَاحِدَةٍ،³ وَزَنَتَا بِمِصْرَ. فِي صِبَاهُمَا زَنَتَا. هُنَاكَ دَغَدَغَتِ نُدْيُهُمَا، وَهُنَاكَ تَزَغَزَغَتِ تَرَائِبُ عُدْرَتِهِمَا.⁴ وَأَسْمُهُمَا: أَهُولَةُ الْكَبِيرَةِ، وَأَهُولِبَةُ أُخْتِهَا. وَكَانَتَا لِي، وَلِدَتَا بَنَيْنِ وَبَنَاتٍ. وَأَسْمَاهُمَا: السَّامِرَةُ «أَهُولَةُ»، وَأُورُشَلِيمُ «أَهُولِبَةُ». ⁵وَزَنَتِ أَهُولَةُ مِنْ تَحْتِي وَعَشَقْتُ مُحِبِّيَهَا، أَشُورَ الْأَبْطَالَ ⁶الْأَلْبَسِينَ الْأَسْمَانُجُونِيَّ وَلَاةَ وَشَحْنَا، كُلُّهُمْ شُبَّانُ شَهْوَةٍ، فُرْسَانُ رَاكِبُونَ الْخَيْلِ. ⁷فَدَفَعْتُ لَهُمْ عَقْرَهَا لِمُخْتَارِي بَنِي أَشُورَ كُلِّهِمْ، وَتَنَجَّسَتْ بِكُلِّ مَنْ عَشَقْتُهُمْ بِكُلِّ أَصْنَامِهِمْ. ⁸وَلَمْ تَتْرُكْ زِنَاهَا مِنْ مِصْرَ أَيْضًا، لِأَنَّهُمْ ضَاغَعُوهَا فِي صِبَاهَا، وَزَغَزَغُوا تَرَائِبَ عُدْرَتِهَا وَسَكَبُوا عَلَيْهَا زِنَاهُمْ. ⁹لِذَلِكَ سَلَّمْتُهَا لِيَدِ عِشَاقِهَا، لِيَدِ بَنِي أَشُورَ الَّذِينَ عَشَقْتُهُمْ. ¹⁰هُمْ كَشَفُوا عَوْرَتَهَا. أَخَذُوا بَنِيهَا وَبَنَاتِهَا، وَذَبَحُوهَا بِالسَّيْفِ، فَصَارَتْ عِبْرَةً لِلنِّسَاءِ. وَأَجْرُوا عَلَيْهَا حُكْمًا.

¹¹«فَلَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا أَهُولِبَةُ ذَلِكَ أَفْسَدَتْ فِي عِشْقِهَا أَكْثَرَ مِنْهَا، وَفِي زِنَاهَا أَكْثَرَ مِنْ زِنَا أُخْتِهَا. ¹²عَشَقَتْ بَنِي أَشُورَ الْوَلَاةَ وَالشَّحْنَ الْأَبْطَالَ الْأَلْبَسِينَ أَفْخَرَ لِبَاسٍ، فُرْسَانًا رَاكِبِينَ

الْخَيْلَ كُلَّهُمْ شُبَّانُ شَهْوَةٍ. ¹³فَرَأَيْتُ أَنَّهَا قَدْ تَتَجَسَّسَتْ، وَلِكَلَّتِيهِمَا طَرِيقٌ وَاحِدَةً. ¹⁴وَزَادَتْ زِنَاهَا. وَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى رِجَالٍ مُصَوِّرِينَ عَلَى الْحَائِطِ، صُورَ الْكَلْدَانِيِّينَ مُصَوَّرَةً بِمُغَرَّةٍ، ¹⁵مُنْطَقِينَ بِمَنَاطِقَ عَلَى أَحْقَانِهِمْ، عَمَائِمُهُمْ مَسْدُولَةٌ عَلَى رُؤُوسِهِمْ. كُلُّهُمْ فِي الْمَنْظَرِ رُؤَسَاءُ مَرْكَبَاتٍ شَبَّهَ بَنِي بَابِلَ الْكَلْدَانِيِّينَ أَرْضَ مِيلَادِهِمْ، ¹⁶عَشَقْتَهُمْ عِنْدَ لَمَحِ عَيْنَيْهَا إِيَّاهُمْ، وَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِمْ رُسُلًا إِلَى أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ. ¹⁷فَأَتَاَهَا بَنُو بَابِلَ فِي مَضْجَعِ الْحُبِّ وَنَجَسُوهَا بِزِنَاهُمْ، فَتَتَجَسَّسَتْ بِهِمْ، وَجَفَّتْهُمْ نَفْسُهَا. ¹⁸وَكَشَفَتْ زِنَاهَا وَكَشَفَتْ عَوْرَتَهَا، فَجَفَّتْهَا نَفْسِي، كَمَا جَفَّتْ نَفْسِي أُخْتُهَا. ¹⁹وَأَكْثَرْتُ زِنَاهَا بِذِكْرِهَا أَيَّامَ صِبَاهَا الَّتِي فِيهَا زَنْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ.

²⁰وَعَشَقْتُ مَعْشُوقِيهِمُ الَّذِينَ لَحَمُهُمْ كُلِّهِمُ الْحَمِيرِ وَمِنْهُمْ كَمَنِي الْخَيْلُ. حَزَقِيَال ²¹وَأَفْتَقَدْتُ رَذِيلَةَ صِبَاكِ بَزْغَزَغَةِ الْمِصْرِيِّينَ تَرَائِيكَ لِأَجْلِ ثَدْيِ صِبَاكِ.

²²«لَأَجْلِ ذَلِكَ يَا أَهْولِيَّةُ، هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَآنَذَا أُهَيِّجُ عَلَيْكَ عُشَّاقَكَ الَّذِينَ جَفَّتْهُمْ نَفْسُكَ، وَآتَى بِهِمْ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ: ²³بَنِي بَابِلَ وَكُلَّ الْكَلْدَانِيِّينَ، فَقُودٌ وَشَوْعٌ وَقُوعٌ، وَمَعَهُمْ كُلُّ بَنِي أَشُورَ، شُبَّانُ شَهْوَةٍ، وَلَاَةٌ وَشِحْنٌ كُلُّهُمْ رُؤَسَاءُ مَرْكَبَاتٍ وَشَهْرَاءُ. كُلُّهُمْ رَاكِبُونَ الْخَيْلِ.

رداً على من يقولون إنهما مدينتين !

سفر حزقيال إصحاح 23 عدد 24 فدخلوا عليها كما يدخل على امرأة زانية . هكذا دخلوا على أهولة وعلى أهولبية المرأتين الزانيتين.

وَأَسْأَلُ : هل يقبل المعترضون أن يقرءوا هذه القصة لأمهاتهم ، أو بناتهم ، أو إخوتهم ، أو زوجاتهم...؟؟! و صدق الله إذ يقول : ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ .

وبين الكتاب المقدس لقارئه أن المرأة ما هي إلا مدفئة للرجل ! وذلك لأن نبي الله داود كان في آخر حياته لا يدفأ بوسائل التدفئة ، ولكنه تدفأ أخيراً في أحضان امرأة جميلة...

بيان ما سبق في سفر الملوك الأول الإصحاح الأول عدد ¹ وشاخ الملك داود. تقدم في الأيام. وكانوا يدثرونه بالتياب فلم يدفأ. ² فقال له عبيده: «ليفثسوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء، فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ولتضجع في حضنك فيدفا سيدنا الملك». ³ ففثسوا على فتاة جميلة في جميع تخوم إسرائيل، فوجدوا أبيشح الشونمية، فجاءوا بها إلى الملك. ⁴ وكانت الفتاة جميلة جداً، فكانت حاضنة الملك. وكانت تخدمه، ولكن الملك لم يعرفها. لا تعليق !

رد شبهة : نبي يستقبل زائريه وهو لابس مرط زوجته !

أورد المعارضون شبهة فضحوا بها أنفسهم ؛ لأنها تدل على جهلهم المعروف....
قالوا : رسول الإسلام يستقبل زائريه وهو لابس مرط عائشة (فستان أو ثوب) عائشة

الحديث في صحيح مسلم كتاب (فضائل الصحابة) باب (من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه) برقم 4415 عن عائشة قالت: استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة: اجمعي عليك ثيابك فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت فقالت عائشة: يا رسول الله مالي لم أرك فرغت لأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - كما فرغت لعثمان قال رسول الله ﷺ: " إن عثمان رجل حيي وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلي في حاجته ".

قالوا أيضاً : لماذا قال النبي لعائشة عندما جاء عثمان : اجمعي عليك ثيابك ؟ هل كانت متبرجة في وجود أبي بكر ، وعمر ؟!

الرد على الشبهة

أولاً : كان على المعترضين قبل طرحهم الشبهة يعرفونها أولاً معنى كلمة (المِرْطُ) من كتب اللغة لا من تفسيرات خاليجهم المريض

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو : هل لمِرْطُ هو (الفستان) الذي ترتديه المرأة؟
الجواب : المِرْطُ بكسر الميم ليس فستاناً ولا ثوباً ؛ وإنما هو كساء من صوف يضعه الرجل عليه ، كما تضعه المرأة ، ويلتحف فيه الرجل والمرأة سواء ، وليس كما أدعى المعترضون ؛ نجد ذلك في عدة مواضع من كتب اللغة والشروح منها :

1- معجم القاموس المحيط : المِرْطُ : بالكسر كساء من صُوفٍ أَوْخَزَ [ج] مُروط وبالفتح نَتَفُ الشَّعْرِ .

2- قال الإمام النووي في شرحه للحديث :

قوله : (لَابِسَ مِرْطَ عَائِشَةَ) هُوَ بِكَسْرِ الْمِيمِ ، وَهُوَ كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ كَتَّانٍ أَوْ غَيْرِهِ . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَأَبُو زَيْدٍ : هُوَ الْإِزَارُ .

3- سنن الترمذي برقم 2738 عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : " خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ " . قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ .

جاء في شرح الحديث لصاحب تحفة الأحوذى قال : قَوْلُهُ : (وَعَلَيْهِ مِرْطٌ) بِكَسْرِ الْمِيمِ وَإِسْكَانِ الرَّاءِ . هُوَ كِسَاءٌ يَكُونُ تَارَةً مِنْ صُوفٍ ، وَتَارَةً مِنْ شَعْرِ أَوْ كَتَّانٍ أَوْ خَزٍّ . قَالَ الْخَطَّابِيُّ : هُوَ كِسَاءٌ يُؤْتَرُّ بِهِ .

إذا الواضح من خلال ما سبق هو : أنه لم يقل واحد من علماء الأمة كما قال المعترضون ، وإنما المرط هو رداء يرتديه الرجل والمرأة على السواء .

مثال لذلك : في زماننا هذا يلبس الرجل في البرد الشديد (الجاكت) ، وكذلك المرأة ، فهل معني ذلك أن المرأة لبست لباس الرجل ؟ هذا هو .

كذلك البنطال يرتديه الرجل ، وقد ترتديه المرأة في بيتها أو تحت خمارها عند خروجها...

ثانياً : إن سؤالهم الثاني الذي نلمح فيه السخرية ينمُّ على حقدٍ دفين لماذا قال النبي ﷺ لعائشة عندما جاء عثمانُ اجمعِي عليك ثيابك ؟ هل كانت متبرجة في وجود أبي بكر وعمر ؟!

قلتُ : إن قولهم كانت متبرجة في وجود أبي بكر ﷺ لا إشكال فيه لأنه أبوها ، أما متبرجة في وجود عمر ﷺ فهذه إشكالية كبيرة ، لو حدث ذلك كما فهم المعترضون وهو لم يحدث قط ؛ لأن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كانت في ناحية البيت ومتحجبة بالحجاب الشرعي ، والنبي ﷺ مضطجع وعليه مرط أي عليه لحاف هو في الأصل تتلحف به عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ، ولكنه وضعه عليه وهو مضطجع ، دخل أبو بكر ودخل عمرُ والنبي ﷺ على هذا الحال ، وعائشة على حجابها ، ثم لما دخل عثمانُ المعروف بشدة الحياءِ فخشي ﷺ أن عثمانَ قد يشعر أنه قد أخرج النبي ﷺ فيمتنع من قول حاجته ، فأمر النبي ﷺ عائشة أن لا تكتفي بالحجاب ولكن تجمع عليها ثيابها أكثر حتى يبدو له أن أهل البيت في حال استقبال تام للناس ، وأما هو ﷺ فجلس وتهيأ له ، حتى لا يمنعه حياء عثمان من سؤال حاجته ﷺ ، وبالتالي هذا فهمنا من الحديث برمته لا كما فهمه المعترضون بعقولهم المريضة....

ثالثاً : إن هناك سؤالاً يفرض نفسه هو : هل لو لبس النبي ﷺ لباس امرأة - وحاشاه ذلك ﷺ - هل هذا يقدح في نبوته بحسب حال بعض الأنبياء في الكتاب المقدس ؟
الجواب : لا يقدح ذلك في نبوته قط ؛ لأن موسى ﷺ وصفه الكتاب المقدس بأنه كان يلبس برقعاً على وجهه وكما هو معلوم أنه لباس للنساء

وأُتساعِل : هل أسقط المعترضون نبوته ، وطعنوا فيه ﷺ كما فعلوا مع نبيِّنا ﷺ ؟!
نجد ذلك في سفر الخروج إصحاح 34 عدد 33³³ وَلَمَّا فَرَّغَ مُوسَى مِنَ الْكَلَامِ مَعَهُمْ، جَعَلَ عَلَى وَجْهِهِ بَرُقْعًا. 34³⁴ وَكَانَ مُوسَى عِنْدَ دُخُولِهِ أَمَامَ الرَّبِّ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ يَنْزِعُ الْبَرُقْعَ حَتَّى يَخْرُجَ،

ثُمَّ يَخْرُجُ وَيَكْلُمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا يُوصَى. ³⁵فَإِذَا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ وَجْهَ مُوسَى أَنَّ جِلْدَهُ يَلْمَعُ
كَانَ مُوسَى يَرُدُّ الْبَرْقَعَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى يَدْخُلَ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ.

لا تعليق !

رد شبهة : نبي يكتحل كالنساء !

قالوا : لقد كان رسول الإسلام يضع كحلاً في عينيه يسمى (بالإثمد) أليس من خوارق
المروءة أن يضع الرجل كحلاً في عينيه فضلاً من أن يكون نبياً ؟!

استندوا في ذلك إلى جاء في حديثين :

1- مسند أحمد مسند بني هاشم باقي المسند السابق بداية مسند عبد الله بن العباس
برقم 3147 عن ابن عباس قال: كانت لرسول الله ﷺ مكحلة يكتحل بها عند النوم ثلاثاً في
كل عين .

تحقيق الألباني : ضعيف ، الإرواء (76) ، مختصر الشرائع المحمدية (42) .

2- مسند أحمد مسند بني هاشم باقي المسند السابق بداية مسند عبد الله بن العباس
برقم 3149 عن ابن عباس أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَكْتَحِلُ بِالْإِثْمِدِ كُلَّ
لَيْلَةٍ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ وَكَانَ يَكْتَحِلُ فِي كُلِّ عَيْنٍ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ.

تحقيق الألباني : (ضعيف جداً) في الإرواء برقم 76 .

الرد على الشبهة

أولاً : إن المعارضين جهال بالشريعة الإسلامية لماذا ؟ لأن الشريعة الإسلامية جاءت
بتمام الكمال للجنسين والفصل بينهما تدلل على ذلك أدلة منها :

1- صحيح البخاري برقم 5435 عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : " لَعَنَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ " .

2- صحيح الجامع برقم 5103 قال ﷺ : " لعن الله المختلثين من الرجال و المترجلات
من النساء " .

3- أمر ﷺ بإطلاق اللحية لعدم التشبه بالنساء ... ثبت ذلك فيما يلي :

أ- صحيح مسلم برقم 381 عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ أَمَرَ بِإِحْفَاءِ الشَّوَارِبِ وَإِعْفَاءِ اللَّحْيَةِ .

ب- صحيح مسلم برقم 384 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ قَصُّ الشَّارِبِ وَإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ وَالسَّوَاكُ وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ وَقَصُّ الْأَظْفَارِ وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ وَنَتْفُ الْإِبْطِ وَحَلْقُ الْعَانَةِ وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ ". قَالَ زَكَرِيَّا : قَالَ مُصْعَبٌ : " وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمُضْمَضَةُ " .

4- نهى النبي ﷺ عن لبس الحرير والذهب للرجال ، وأحلاهما للنساء يتنعمن بهما نظراً لطبيعتهن وذلك في الآتي :

أ- صحيح البخاري برقم 5201 عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: كَانَ حُذِيفَةُ بِالْمَدَائِنِ فَاسْتَسْقَى فَأَتَاهُ دِهْقَانٌ بِقَدَحِ فِضَّةٍ فَرَمَاهُ بِهِ فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَرِمِهِ إِلَّا أَنِّي نَهَيْتُهُ فَلَمْ يَنْتَهُ وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا عَنْ الْحَرِيرِ وَالذِّبَاجِ وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَقَالَ : " هُنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ " .

ب- صحيح البخاري برقم 5414 عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ : " نَهَانَا النَّبِيُّ ﷺ عَنْ سَبْعِ نَهَانَا عَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ أَوْ قَالَ: حَلَقَةِ الذَّهَبِ وَعَنْ الْحَرِيرِ وَالْإِسْتَبْرَقِ وَالذِّبَاجِ وَالْمِثْرَةِ الْحُمْرَاءِ وَالْقَسِيِّ وَأَنِيَةِ الْفِضَّةِ وَأَمَرَنَا بِسَبْعِ بَعِيدَةِ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعِ الْجَنَانِزِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ وَرَدِّ السَّلَامِ وَإِجَابَةِ الدَّاعِي وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ " .

ج - سنن النسائي برقم 5170 عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَحَلَّ لِلنَّاتِ أُمَّتِي الْحَرِيرَ وَالذَّهَبَ وَحَرَّمَهُ عَلَى ذُكُورِهِمَا " .

5- لما مدح القرآن المؤمنين وصفهم بأنهم رجال ، ولم يصفهم بأنهم ذكور ... قال ﷺ : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب:23).

ثانياً : إن الكحل المذكور في الحديث هو (كحل الإثمد) فهو ليس ككحل النساء المعروف ، وإنما كحل للرجال يقوى النظر ، ويحفظ الجفن ، ولا يزيد هيئة الرجل إلا جمالاً ورجولة فهذا الكحل فيه شفاء للعين ويقوي البصر ؛ جاء ذلك في صحيح مختصر الشمائل للألباني - رحمه الله - برقم 42 عن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : " اكتحلوا بالإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر . "

وبالنظر إلى كتب التحقيق للشيخ الألباني - رحمه الله - وجدته قد حكم على كل أحاديث الكحل بأنها ضعيفة إلا فقرة الاكتحال بالإثمد فصحيحة هكذا كان يقول - رحمه الله - .
إذاً : الكحل الذي كان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يكتحل به كحلاً للرجال يسمى (الإثمد) فهو يجلو البصر، وينبت الشعر ؛ ولكن لما طال الأمد و تغيرت الأعراف ، وجهل الناس الكثير من الأمور خلطوا بين كحل النساء وكحل الإثمد

ثم إن الأفعال التي تتنافى مع المروءة تختلف زماناً و مكاناً و شرعاً ؛ فقديمًا كان ارتداء البنطلون للرجال من الأفعال التي تتنافى مع المروءة ، بل و كان أولي الأمر من الفراعنة يكتحلون كحلاً شديداً فيه تكلف و زيادة مذمومة ، ومع ذلك كان في عهدهم يتزين به ملوكهم ، علماً بأن المجتمع الفرعوني كان مجتمعاً ذكورياً جداً ؛ حتى أن الملكة حتشبسوت لما تقلدت الحكم اضطرت أن ترتدي لحية صناعية ليقبل الشعب مكانتها .

وألخص ما سبق : بأن كحل الإثمد لا يقارب حتى تكلف كحل الأقدمين ، ولكنه كحل خاص بالرجال ويزيد الرجل جمالاً يناسب رجولته ويقوى النظر ، وهناك أبحاث علمية عن فوائده الكثيرة ؛ كذلك نرى من مشاهير العلماء من يضعون كحل الإثمد على أعينهم ، ويظهرون في أحسن مظهر في وسائل الإعلام ولم نجد واحداً طعن في رجولتهم لأنه لا يشبه كحل النساء ، مثل : الشيخ الدكتور عمر بن عبد العزيز قرشي - حفظه الله - وغيره .

وأما أنا وغيري لا أعمل بعملهم ، بل كما كان من الإمام مالك - رحمه الله - كان لا يضع الكحل ؛ لأن الناس لا يعرفونه (أنه سنة) مع تغير الأعراف .

ثالثاً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه كسؤالهم هو : أليست من الأمور التي تطعن في الرجولة أن يرتدي الرجل لباس امرأة ؟

الجواب : بلى ، والكتاب المقدس ينسب لموسى عليه السلام أنه كان يلبس برقاً على وجهه وهو لباس للنساء كما هو معروف فهل طعن المعتضون في نصوص كتابهم ، وفي نبي الله موسى عليه السلام ؟!

نجد ذلك في سفر الخروج إصحاح 34 عدد 33³³ وَلَمَّا فَرَغَ مُوسَى مِنَ الْكَلَامِ مَعَهُمْ، جَعَلَ عَلَى وَجْهِهِ بَرَقًا. 34³⁴ وَكَانَ مُوسَى عِنْدَ دُخُولِهِ أَمَامَ الرَّبِّ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ يَنْزِعَ الْبَرَقَ حَتَّى يَخْرُجَ، ثُمَّ يَخْرُجَ وَيَكَلَّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا يَوْصَى. 35³⁵ فَإِذَا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ وَجْهَ مُوسَى أَنَّ جِلْدَهُ يَلْمَعُ كَانَ مُوسَى يَرُدُّ الْبَرَقَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى يَدْخُلَ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ.

قلت : ونحن نبرئ موسى عليه السلام مما نسب إليه كهذا النص وغيره

رد شبهة : نبي يحيى شعره الطويل الذي يبلغ كتفيه !

قالوا : كان رسول الإسلام يحيى شعره الطويل الذي يبلغ كتفيه ، أليس هذا تشبهاً بالنساء ؟ ... !

وتعلقوا بما جاء في مسند أحمد مسند الشاميين حديث أبي رزمة التيمي و يقال التيمي رحمه الله برقم 16847 حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُخَرَّمِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو سَفْيَانَ الْحَمِيرِيُّ سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ حَمْزَةَ عَنْ غِيلَانَ بْنِ جَامِعٍ عَنْ إِيَادِ بْنِ لَقِيطٍ عَنْ أَبِي رِزْمَةَ قَالَ : " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْضِبُ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ وَكَانَ شَعْرُهُ يَبْلُغُ كَتْفَيْهِ أَوْ مَنْكِبَيْهِ " .

تعليق شعيب الأرناؤوط : صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف الضحاك بن حمزة.

الرد على الشبهة

أولاً : سبق أن أسلفنا الرد على (شبهة يكتحل بالنساء) ، وأحيل القارئ إلى الرجوع إليها في أولاً فقط ، فيه رداً على شبهتهم التي تقول : أليس هذا تشبهاً بالنساء ؟!

ثانيًا : إن الثابت من سنة النبي ﷺ أنه لم يصبغ رأسه قط ؛ لم يَخْضِبْ بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ .
ومعنى الكتم : نبت فيه حمرة يخلط بالوسمة و يختضب به للسواد .

بل إن الثابت عكس ادعائهم ، وعكس دليلهم ... وذلك لعدة أدلة منها:

1- سنن أبي داود برقم 3676 عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ عَنْ خِضَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَخْضِبْ وَلَكِنْ قَدْ خَضَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - . صححه الألباني في صحيح مختصر الشمائل (30) .

2- صحيح مسلم برقم 4318 عَنْ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَضَبَ فَقَالَ: " لَمْ يَبْلُغِ الْخِضَابَ كَانَ فِي لِحْيَتِهِ شَعْرَاتٌ بَيْضٌ " . قَالَ: قُلْتُ لَهُ : أَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَخْضِبُ ؟ قَالَ: فَقَالَ: " تَعَمُّ بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ " .

3- صحيح مسلم برقم 4320 سَأَلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ خِضَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: " لَوْ شِئْتُ أَنْ أَعِدَّ شَمَطَاتٍ كُنَّ فِي رَأْسِهِ فَعَلْتُ " . وَقَالَ : " لَمْ يَخْضِبْ وَقَدْ اخْتَضَبَ أَبُو بَكْرٍ بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ وَاخْتَضَبَ عُمَرُ بِالْحِنَاءِ بَحْتًا " .

4- صحيح الجامع برقم 3721 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " شَيْبَتَنِي هُوْدٌ وَ أَخَوَاتُهَا قَبْلَ الْمَشْيَبِ "

وفي روايةٍ قَالَ ﷺ : " شَيْبَتَنِي هُوْدٌ وَ { الواقعة } وَ { المرسلات } وَ { عم يتساءلون } وَ { إذا الشمس كورت } " . انظر حديث رقم 3723 في صحيح الجامع .

ابيضت سبع عشرة شعرة من رأسه ولحيته ، ولم يصبغ شعرة قط ﷺ ...

وعليه : فإن الحديث الذي استدلوا به لا يصح ، وهو ضعيف سنداً ؛ ضعف إسناده الشيخ شعيب الأرنؤوط . ولكن ثبت حديثٌ يشبهه في صحيح البخاري برقم 5447 عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ فَأَخْرَجَتْ إِلَيْنَا شَعْرًا مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ مَخْضُوبًا .

قد يقال : إن هناك تعارضاً بين الأحاديث في هذا الأمر ؟

قلتُ : لا يوجد تعارض ؛ لأنه ﷺ لم يصبغ شعره قط ، ويتضح معنى الأخير من خلال ما ذكره ابن حجر في الفتح عن الإسماعيلي :

قَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ : لَيْسَ فِيهِ بَيَانٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ الَّذِي خَضَبَ ، بَلْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَحْمَرُ بَعْدَهُ لَمَّا خَالَطَهُ مِنْ طِيبٍ فِيهِ صُفْرَةٌ فَغَلَبَتْ بِهِ الصُّفْرَةُ ، قَالَ فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ وَإِلَّا فَحَدِيثُ أَنَسٍ " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُخَضَّبْ " أَصَحُّ ، كَذَا قَالَ ، وَالَّذِي أَبْدَاهُ احْتِمَالًا قَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَاهُ مَوْصُولًا إِلَى أَنَسٍ فِي " بَابِ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ " وَأَنَّهُ جَزَمَ بِأَنَّهُ إِنَّمَا أَحْمَرٌ مِنَ الطَّيِّبِ . قُلْتُ : وَكَثُرَ مِنَ الشُّعُورِ الَّتِي تَفْصِلُ عَنِ الْجَسَدِ إِذَا طَالَ الْعَهْدُ يَتَوَلَّى سَوَادَهَا إِلَى الْحُمْرَةِ ، وَمَا جَنَحَ إِلَيْهِ مِنَ التَّرْجِيحِ خِلَافَ مَا جَمَعَ بِهِ الطَّبْرِيُّ ، وَحَاصِلُهُ أَنَّ مَنْ جَزَمَ أَنَّهُ خَضَبَ - كَمَا فِي ظَاهِرِ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ ، وَكَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ الْمَاضِي قَرِيبًا أَنَّهُ ﷺ خَضَبَ بِالصُّفْرَةِ - حَكَى مَا شَاهَدَهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . وَمَنْ نَفَى ذَلِكَ كَأَنَسٍ فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْأَكْثَرِ الْأَغْلَبِ مِنْ حَالِهِ ، وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ " مَا كَانَ فِي رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَلِحْيَتِهِ مِنَ الشَّيْبِ إِلَّا شَعْرَاتٌ كَانَتْ إِذَا دَهَنَ وَارَاهُنَّ الدُّهْنَ ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الَّذِينَ أَثْبَتُوا الْخِضَابَ شَاهِدُوا الشَّعْرَ الْأَبْيَضَ ، ثُمَّ لَمَّا وَارَاهُ الدُّهْنَ ظَنُّوا أَنَّهُ خَضَبَهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . أَهْ

الثابت عنه ﷺ أنه أمر بالصَّبغِ فيما عدا السَّوَادَ ، وَلَمْ يَصْبِغْ هُوَ ﷺ ؛ فِيهِ صَحِيحٌ مُسْلِمٌ بِرَقْمٍ 3925 عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَ: أَتَى بِأَبِي قُحَافَةَ يَوْمَ فُتِحَ مَكَّةُ وَرَأْسُهُ وَلِحْيَتُهُ كَالْتَّغَامَةِ بَيَاضًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " غَيِّرُوا هَذَا بِشَيْءٍ وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ " .

وعلة أمره ﷺ بالصَّبغِ تتضح من عدة أوجه منها :

أولاً : إن هذا أحسن للمظهر كما تقدم معنا من حديث أبي قحافة (والد أبي بكر ﷺ وعن أبيه) ، وَيَخْتَلَفُ بِاخْتِلَافِ نِظَافَةِ الشَّيْبِ ، فَمَنْ كَانَتْ شَيْبَتُهُ تَكُونُ نَقِيَّةً أَحْسَنَ مِنْهَا مَصْبُوغَةً فَالْتَّرُكُ أَوْلَى ، وَمَنْ كَانَتْ شَيْبَتُهُ تُسْتَبْشَعُ فَالْصَّبْغُ أَوْلَى ، وَقَدْ صَحَّ عَنْ نَبِينَا أَنَّهُ ﷺ قَالَ : " مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " . رواه الترمذي في سننه برقم 1558، وصححه الألباني في الصحيحة (1244) ، والمشكاة (4459 / التحقيق الثاني) .

ثانياً : إن الصبغ فيه مخالفة لغير المسلمين ؛ حتى يُعرفوا عن غيرهم ، وهذا واضح من قوله ﷺ : " إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ " . رواه البخاري في صحيحه برقم 3203.

ثالثاً : إن الصبغ فيه إظهار لقوة المسلم أمام العدو في حالة الحروب ؛ لأن الشيخ الكبير حينما يصبغ شعره الأبيض ، ويذهب للقتال يظهر في صورة رجلاً ليس بشيخ كبير ، مما يؤدي إلى إرهاب العدو ، وقد أجاز بعض الفقهاء الصبغ بالسواد في حالة الحروب لإرهاب العدو

ثالثاً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه هو : هل كان يسوع متشبهاً بالنساء ؛ لأن شعره كان طويلاً ، حيث إننا نرى صورته معلقة في كنائسهم ، و متاجرهم ، وبيوتهم - على حد زعمهم - ؟!

الجواب : لقد كان المسيح ﷺ يطيل شعره كما وصفه نبينا ﷺ ولم يطعن فيه طاعن إلا جهلة الناس ، فصفة طول شعره ﷺ ليست موجودة في الكتاب المقدس ؛ وإنما ذلك من المشهور على ألسنتهم وصورهم وتمائيلهم في متاجرهم وكنائسهم ... ومنهم (المعترضين) من يلبس الذهب والحريز ، مثل النساء وهذا ما نراه في بلادنا من أفعالهم المخنثة ، وفي غير بلادنا يلبسون الحلقان على أذانهم ، وبعد ذلك يعترضون ويطعنون في سيد الرجال وأعظمهم محمد ﷺ .

ثم إن الأعجب من ذلك أن بولس الرسول قد طعن في المسيح ضمناً ؛ لأنه عاب على إطالة الشعر ... ويبدو أن بولس كان أصلع الشعر وهذا أمر معلوم عنه ...

وذلك في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح 11 عدد¹⁴ أم لَيْسَتْ الطَّبِيعَةُ نَفْسُهَا تُعَلِّمُكُمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِنْ كَانَ يَرْخِي شَعْرَهُ فَهُوَ عَيْبٌ لَهُ؟

تنبيه هام : هذه الشبهة من الشبهات لا تأتي من داخل النص ؛ وإنما هي من تفسيراتهم الحاقدة أو استنتاجاتهم التي خرجت من أعماق أنفس تكاد تميز من الغيظ حقداً على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وبغضاً له.

رد شبهة : نبى يبول كالنساء !

كعادة أخلاقهم في طرحهم للشبه ... قالوا عن نبينا ﷺ : " يبول كما تبول النساء " !
وتعلقوا بما جاء في سنن النسائي كتاب (الطهارة) باب (البول في البيت جالساً)
برقم 29 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : " مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَالَ قَائِمًا فَلَا تُصَدِّقُوهُ مَا
كَانَ يُبُولُ إِلَّا جَالِسًا " . صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 201 .

الرد على الشبهة

أولاً : إن طعن الكافرين وأصحاب عادات الجاهلية لا يقدح فيه - عليه الصلاة والسلام -
؛ لأنهم هم الضالون الذين أرسل إليهم ليعلمهم ، ويحكم على تصرفاتهم بما أراه الله ، لا
العكس كما جاء من المعترضين أصحاب الشبهة وعليه يسقط قولهم الذي فيه
الهمز ... يبول وهو قاعد....

ثانياً : إن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثبت عنه أنه بال قاعداً و بال واقفاً ؛ فلا
محل للطعن فيه بقولهم: يبول وهو قاعد فقد ثبت في صحيح البخاري برقم 217
عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : " أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سُبَّاطَةُ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا ثُمَّ دَعَا
بِمَاءٍ فَجَنَّتُهُ بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ " .

إن قيل : إن هناك تناقضاً بين الحديث الأول وهذا الحديث ؟

قلتُ : لا يوجد أدنى تناقض ؛ فقد فعل - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الاثنين .

إن قيل : إن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : " مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَالَ قَائِمًا فَلَا تُصَدِّقُوهُ " . فهل حذيفة كاذب ؛ لأنه روى أن النبي - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بال قائماً ؟

قلتُ : إن عائشة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - حكمت على ما رأيته أو ما سمعته من رسولِ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في بيتها فقط ، ويدل على ذلك أن النسائي - رحمه الله- ذكر حديثها في بابِ (**الْبَوْلُ فِي الْبَيْتِ جَالِسًا**) ، ولكن ما كان عليها أن تقول لفظة : " فَلَا تُصَدِّقُوهُ " لأنها لا تعلم كل جوانب حياة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أفعال وأقوال ، ومن المعلوم عند الأصوليين أن المثبت مقدم على المنفي ؛ فثبت أنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بال قائماً .

وعليه فنرد على عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قولها : " فَلَا تُصَدِّقُوهُ " بل نصدقه في ذلك ؛ لأن الخبر صحيح الإسناد.

ثالثاً : إن الحكمة من تبول الرجل جالساً لغرض الاحتراز من الرزاز فهو أمر يتعلق بالطهارة ؛ التي لا يعرفها المعترضون

رابعاً : إن قولهم عن نبينا ﷺ : يبول كما تبول النساء ! هذا من الأذى و الغمز في نبي الله ﷺ من السنن الجارية على الأنبياء من قبله ؛ قال ﷺ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ (الفرقان31). فمثلاً : نبي الله موسى عليه السلام آذاه قومه فبرأه الله مما قالوا ، قال ﷺ عنه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (الأحزاب 69).

وفي صحيح البخاري برقم 3990 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَمَّا قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قِسْمَةَ حُنَيْنٍ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: مَا أَرَادَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ثُمَّ قَالَ : " رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى مُوسَى ، لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ".

خامساً : إن رجولة و فحولة وقوة رسولِ الله الذُكُرية أمر لا يجادل فيه عاقلٌ ، ولكن حقدهم عماهم فأسقطهم في التناقض فتارة يقولون : إنه رجل يشتهي النساء فأكثر من الزواج ، وتارة يطعنون في رجولته بمثل هذا الغمز ... !

سادساً : إن هناك سؤالا يفرض نفسه على المعترضين هو : أليس يسوع إلهاً بحسب إيمانكم ؟

الجواب : بلي ؛ يبقى السؤال : هل كان الربُّ يسوع يتبول قاعداً أو واقفاً ؟!

و هل له مثل ما للرجال من أعضاء و شهوة....؟!

هل هناك ربُّ يبول سواء كان قاعداً أو واقفاً ؟ أفلا يعقلون ؟!

قال ﷺ : " أَفَلَا يَتَوَبُّونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَكُمْ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75) " (المائدة).

رد شبهة : انظروا إليه يبول كما تبول المرأة !

قالوا : رسول الإسلام يبول كالمرأة تماماً... وذلك في سنن ابن ماجه كتاب (الطهارة وسننها) باب (التشديد في البول) برقم 340 عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنَةَ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفِي يَدِهِ الدَّرَقَةُ فَوَضَعَهَا ثُمَّ جَلَسَ فَبَالَ إِلَيْهَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ انْظُرُوا إِلَيْهِ يَبُولُ كَمَا تَبُولُ الْمَرْأَةُ فَسَمِعَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : " وَيْحَكَ أَمَا عَلِمْتَ مَا أَصَابَ صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَوْلُ قَرَضُوهُ بِالْمَقَارِيزِ فَفَنَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَعُدَّ فِي قَبْرِهِ".

قال أبو الحسن بن سلمة : حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى أَنَّ بَنَاءَ الْأَعْمَشِ فَذَكَرَ نَحْوَهُ

قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم 2558 في صحيح الجامع .

الرد على الشبهة

أولاً : إن طعن الكافرين وأصحاب عادت الجاهلية لا يقدر فيه - عليه الصلاة والسلام - ؛ لأنهم هم الضالون الذين أرسل إليهم ليعلمهم ، ويحكم على تصرفاتهم بما أراه الله ، لا العكس كما جاء من المعترضين

إن كل ما في الحديث أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بال جالساً ، فندesh بعض الصحابة لذلك ؛ لأن العرب يبولون قياماً فكان هذا أمر غريب عليهم فقال بعضهم لبعض بتسرع دون تفكر: " انظروا إليه يبول كما تبول المرأة " .

وكان الهدف منه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تعليمهم أن ذلك أدعى للتستر أكثر ، والتحرز من رشاش البول مع العلم انه كان يبول قائماً وجالساً، ولو كان الأمر فيه سبب للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما كان يقول : ويحك ، لأن (ويحك) كلمة تقال لمن ينكر عليه فعله مع ترفق وترحم في حال الشفقة ، ثم قص عليهم القصة التي في الحديث ... دليل ذلك ما جاء في كتب الشروح كما يلي :

1- فتح الباري لابن حجر: قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ : دَلَالَةُ الْحَدِيثِ عَلَى الْقُعُودِ بِطَرِيقِ الْأُولَى ؛ لِأَنَّهُ إِذَا جَازَ قَائِمًا فَقَاعِدًا أَجُوزُ . قُلْتُ : وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنَةَ الَّذِي أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَغَيْرُهُمَا فَإِنَّ فِيهِ : " بَالُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَالِسًا فَقُلْنَا : " انظروا إليه يبول كما تبول المرأة " ، وَحَكَى ابْنُ مَاجَةَ عَنْ بَعْضِ مَشَايخِهِ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ مِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ الْبَوْلُ قَائِمًا أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ فِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنَةَ " قَعَدَ يَبُولُ كَمَا تَبُولُ الْمَرْأَةُ " وَقَالَ فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ " فَقَامَ كَمَا يَقُومُ أَحَدُكُمْ " وَدَلَّ حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَذْكُورُ عَلَى أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَخَالِفُهُمْ فِي ذَلِكَ فَيَقْعُدُ لِكَوْنِهِ أَسْتَرَ وَأَبْعَدَ مِنْ مِمَاسَةِ الْبَوْلِ وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ صَحَّحَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ عَائِشَةَ قَالَتْ : " مَا بَالُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَائِمًا مُنْذُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ " . رَوَاهُ أَبُو عَوَانَةَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ . أَهـ

2- عمدة القاري شرح صحيح البخاري : وقال عاصم عن أبي وائل عن أبي موسى جسد أحدهم قوله انظروا إليه يبول كما تبول المرأة وهذا القول منهما من غير قصد أو وقع بطريق التعجب أو بطريق الاستفسار عن هذا الفعل فلذلك قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بقوله ألم تعلموا الخ ولم يقولوا هذا القول بطريق الاستهزاء والاستخفاف لأن الصحابة براء من هذا الكلام وأراد بصاحب بني اسرائيل موسى - عليه الصلاة والسلام - فان قلت كيف يترتب قوله فعذب على قوله فنهاهم قلت فيه حذف تقديره فنهاهم عن إصابة البول ولم ينتهوا فعذب الله تعالى و الفاء في فعذب فاء السببية نحو قوله تعالى

فوكزه موسى ففضى عليه (القصص 15) قوله قرضه بالقاف أي قطعه وفي رواية الأصيلي قرضه بالمقراض وهذه الرواية ترد قول من يقول المراد بالقرض الغسل بالماء قوله ليته أمسك قول حذيفة أي ليت أبا موسى أمسك نفسه عن هذا التشديد أو لسانه عن هذا القول أو كليهما عن كليهما ومقصوده أن هذا التشديد خلاف السنة فإن النبي - عليه الصلاة والسلام- بال قائما ولا شك في كون القائم معرضا للرشاش ولم يلتفت - عليه الصلاة والسلام- إلى هذا الاحتمال ولم يتكلف البول في القارورة وقال ابن بطل وهو حجة لمن رخص في يسير البول لأن المعهود ممن بال قائما أن يتطاير إليه مثل رؤوس الأبر وفيه يسر وسماحة على هذه الأمة حيث لم يوجب القرض كما أوجب على بني إسرائيل واختلفوا في مقدار رؤوس الأبر من البول فقال مالك يغسلها استحبابا وتنزها والشافعي يغسلها وجوبا وأبو حنيفة سهل فيهما كما في يسير كل النجاسات وقال الثوري كانوا يرخصون في القليل من البول . أهـ

3- شرح سنن النسائي: (كَمَا تَبُولُ الْمَرْأَةُ) أَي : فِي اللَّتَسْتُرِ وَعَلَيْهِ حَمَلُهُ النَّوَوِي فَقَالَ إِنَّهُمْ كَرِهُوا ذَلِكَ وَزَعَمُوا أَنَّ شَهَامَةَ الرَّجَالِ لَا تَقْتَضِي التَّسْتُرَ عَلَى هَذَا الْحَالِ وَقِيلَ أَوْ فِي الْمَجْلُوسِ أَوْ فِيهِمَا وَكَانَ شَأْنُ الْعَرَبِ الْبَوْلَ قَائِمًا وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الرَّوَايَاتِ مَا يُفِيدُ تَعَجُّبَهُمْ مِنَ الْقُعُودِ نَعَمْ ذَكَرَ مَا أَصَابَ صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْسَبَ بِالسَّتْرِ ... أهـ

4- حاشية السندي على ابن ماجة : قَوْلُهُ : (قَعَدَ يَبُولُ كَمَا تَبُولُ الْمَرْأَةُ) : أَي : فَشَبَّهُوا الْبَوْلَ قَاعِدًا بِبَوْلِ الْمَرْأَةِ فَعُلِمَ مِنْهُ أَنَّ عَادَةَ الرَّجَالِ كَانَتْ تَبُولُ وَقِي نَفْسِ الْمَرْجِعِ كَمَا تَبُولُ الْمَرْأَةُ أَي : فِي التَّسْتُرِ وَعَلَيْهِ حَمَلُ النَّوَوِي فَقَالَ : إِنَّهُمْ كَرِهُوا ذَلِكَ وَزَعَمُوا أَنَّ شَهَامَةَ الرَّجُلِ لَا تَقْتَضِي التَّسْتُرَ عَلَى هَذَا الْحَالِ ، وَقِيلَ فِي الْجُلُوسِ أَوْ فِيهِمَا وَكَانَ شَأْنُ الْعَرَبِ الْبَوْلَ قَائِمًا وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الرَّوَايَاتِ مَا يُفِيدُ تَعَجُّبَهُمْ مِنَ الْقُعُودِ قِيَامًا . أهـ

ثَانِيًا : إِنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ بَالٌ قَاعِدًا وَبَالٌ وَاقِفًا فَلَا مَحَلَّ لِلطَّعْنِ فِيهِ بِقَوْلِهِمْ : يَبُولُ وَهُوَ جَالِسٌ كَالنِّسَاءِ فَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ بِرَقْمِ

217 عَنْ حُذِيفَةَ قَالَ : " أَتَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سُبَّاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَجَنَّتُهُ بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ " .

ثالثاً : إن هناك تساؤلات تفرض نفسها على المعترضين هي : أليس يسوع إلهاً بحسب إيمانكم؟

الجواب : بلي ؛ يبقى السؤال : هل كان الربُّ يسوع يتبول قاعداً أم واقفاً ؟!

و هل له مثل ما للرجال من أعضاء و شهوة؟!

وهل هناك ربُّ يبول سواء كان قاعداً أم واقفاً ؟ أفلا يعقلون ؟!

" أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ (75) " (المائدة) .

رابعاً : إن الكتاب المقدس نسب لموسى ﷺ أنه كان يلبس برقعاً على وجهه وهو لباس للنساء كما هو معروف فهل طعن المعترضون في نصوص كتابهم ، وفي نبيِّ الله موسى ﷺ كما فعلوا مع نبيِّنا ﷺ كرهاً وعدواً بغير علم؟

جاء ذلك في سفر الخروج إصحاح 34 عدد 33³³ وَلَمَّا فَرَغَ مُوسَى مِنْ الْكَلَامِ مَعَهُمْ، جَعَلَ عَلَى وَجْهِهِ بَرَقْعًا. 34³⁴ وَكَانَ مُوسَى عِنْدَ دُخُولِهِ أَمَامَ الرَّبِّ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ يَنْزِعَ الْبَرَقْعَ حَتَّى يَخْرُجَ، ثُمَّ يَخْرُجَ وَيَكَلِّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا يُوَصِّي. 35³⁵ فَإِذَا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ وَجْهَ مُوسَى أَنَّ جِلْدَهُ يَلْمَعُ كَانَ مُوسَى يَرُدُّ الْبَرَقْعَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى يَدْخُلَ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ. لا تعليق.

ثم إن ربهم يسوع - القادر على كل شيء- تعرى من قبل اليهود وألبسوه لباساً يرتديه الزواني (القرمزي) وذلك في إنجيل متى إصحاح 27 عدد 27²⁷ فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِيِّ يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكُتَيْبَةِ، 28²⁸ فَعَرَّوْهُ وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيًّا.

يدلل على قولي السابق ما جاء في رؤيا يوحنا الإصحاح 17 عدد 3³ فَمَضَى بِي بِالرُّوحِ إِلَى بَرِّيَّةٍ، فَرَأَيْتُ امْرَأَةً جَالِسَةً عَلَى وَحْشٍ قِرْمِزِيٍّ مَمْلُوءٍ أَسْمَاءَ تَجْدِيفٍ، لَهُ سَبْعَةُ رُؤُوسٍ

وَعَشْرَةُ قُرُونٍ. ⁴وَالْمَرْأَةُ كَانَتْ مُتَسَرِّلَةً بِأَرْجَوَانٍ وَقَرْمِزٍ، وَمُتَحَلِّيًا بِذَهَبٍ وَحَجَارَةٍ كَرِيمَةٍ وَلَوْلُؤٍ، وَمَعَهَا كَأْسٌ مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِهَا مَمْلُوءَةٌ رَجَاسَاتٍ وَنَجَاسَاتٍ زِنَاهَا، ⁵وَعَلَى جَبْهَتِهَا اسْمٌ مَكْتُوبٌ: «سِرٌّ. بَابِلُ الْعُظِيمَةِ أُمُّ الرُّوَانِيِّ وَرَجَاسَاتِ الْأَرْضِ». لَا تَعْلِقُ !

رد شبهة : قصة زاهر والنبي !

تحدثوا عن الشذوذ الجنسي ليطعنوا في أخلاق رسول الله ﷺ ، فاستدلوا على ذلك بقصة جاءت في السيرة الحلبية تقول : خرج محمد ﷺ في يوم إلى السوق فوجد زاهرا وكان يحبه فاحتضنه من الخلف فقال له زاهر: أطلقتني من أنت ؟ فقال له محمد ﷺ : أنا من يشتري العبيد ورفض أن يطلقه فلما عرف زاهر أنه محمد صار يمكن ظهره من صدر محمد الشريف !

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذه القصة لم أجدها بهذه الصورة إلا في مواقعهم التنصيرية فقط ؛ هم اقتطعوا جزءاً من القصة وتعاموا عن بقيتها ليطعنوا بها في نبينا ﷺ ... هذا وإن دل يدل على الكذب والتدليس

ولنقرأ القصة أولاً كما جاءت في السيرة الحلبية برمتها : باب يذكر فيه صفته الباطنة وإن شاركه فيها غيره كان سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب ولا مزاح : أي كثير المزاح، فلا ينافي ما روي: كان يمازح أصحابه قال : وقد جاء « إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً » لكن جاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها-: كان رسول الله ﷺ مزاحاً. وكان يقول : إن الله ﷻ لا يؤاخذ المزاح الصادق في مزاحه وجاء عن بعض الصحابة رضي الله عنهم : ما رأيت أحداً أكثر مزاحاً من رسول الله ﷺ .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : كانت في النبي ﷺ دعابة . وعن بعض السلف : كان للنبي ﷺ مهابة ، فكان يبسط الناس بالدعابة. قال لعمته صفية لا تدخل الجنة عجوز

فبكت ، فقال لها وهو يضحك: الله ﷻ يقول : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴾ (35) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿36﴾ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴿37﴾ (الواقعة).

وهن العجائز الرمص : أي والعروب المتحبة لزوجها التي تقول وتفعل ما تهيج به شهوته إياها، وأتراباً : كأنهن ولدن في يوم واحد لأنهن يكن بنات ثلاث وثلاثين سنة. وجاءه رجل وطلب أن يحمله على بعير فقال له : إني حاملك على ولد الناقة ، فقال: يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة ؟ قال رسول الله ﷺ : وهل تلد الإبل إلا النوق؟. وقد أتى أزيهر، وفي لفظ زاهر وكان يهدي للنبي الهدية من البادية ، فكان كلما قدم من البادية يأتي معه بطرف وهدية لرسول الله ﷺ ، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج . وكان يقول : زاهر باديتنا ونحن حاضروه. وفي لفظ : لكل حاضر بادية ، وبادية آل محمد زاهر، وكان يحبه جاءه يوماً وهو يبيع متاعه في السوق وكان رجلاً دميماً ، فاحتضنه من خلفه، فقال أرسلني، من هذا ؟ فلما عرف أنه رسول الله ﷺ صار يمكن ظهره من صدره الشريف ﷺ ، وجعل رسول الله ﷺ يقول : من يشتري العبد ؟ فقال : يا رسول الله تجدني كاسداً ، فقال رسول الله ﷺ : ولكن عند الله لست بكاسد أو قال: أنت عند الله غال . أهـ

قلتُ : إن الواضح لنا أن هذه القصة لم ترد في السيرة الحلبية كما نقلها المعترضون إلينا ، فهم اقتطعوا منها ما شاءوا... ثم إن القصة لا تصح ؛ لعدم وجود إسناد لها هنا.

ثانياً : إن هذه القصة جاءت في مسند أحمد بإسناد صحيح ،ولكن بصورة أخرى تختلف عن السياق الذي أتى به المعترضون من السيرة الحلبية الحديث في مسند أحمد برقم 12187 عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا كَانَ يَهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ فَيَجْهِّزُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتِنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لَا يَبْصُرُهُ فَقَالَ الرَّجُلُ : أَرْسَلَنِي مِنْ هَذَا فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ عَرَفَهُ ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ ؟ فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا وَاللَّهِ تَجَدَّنِي كَاسِدًا " . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتُ بِكَاسِدٍ " ، أَوْ قَالَ: " لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ " . تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

قلتُ : إن هذه القصة تُظهر لنا مدى عظمة ورحمة محمد ﷺ بأصحابه ، وتظهر مدى حُبهم له ﷺ ، وليس فيها ما زعموا ... بل فيها عدة فوائد منها:

أولاً : تفيد تواضع النبي ﷺ مع صحابته ، ومزاحه معهم

ثانياً : إن زاهراً كان صحابياً فقيراً بمقاييس الناس دميماً فأراد النبي أن يقربه و يسليه، ويبين للناس أن الله لا ينظر إلى صورة الإنسان سواء أكانت حسنة أم قبيحة ؛ فكل خلق الله حسن، فالمقياس الحقيقي هو التقوى ؛ يدلل على ذلك الآتي :

1- الحديث نفسه: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا وَاللَّهِ تَجَدُّنِي كَاسِدًا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتُ بِكَاسِدٍ "، أَوْ قَالَ: " لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ".

2- قوله ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (13) (الحجرات) .

3- صحيح مسلم برقم 4651 قال ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ".

4 - شعب الإيمان للبيهقي برقم 5430 أنه ﷺ قال : " ليؤتين يوم القيامة بالعظيم الطويل الأكل الشروب ، فلا يزن عند الله - عز وجل - جناح بعوضة اقرعوا إن شئتم : (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) ". ضعيف الترغيب والترهيب برقم 1295

5- بين ﷺ أن ساق ابن مسعود النحيفة (قليلة الوزن) هي في الميزان أثقل عند الله من جبل أحد وذلك في مسند أحمد برقم 3792 أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَجْتَنِي سَوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ فَضَحَكَ الْقَوْمُ مِنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟ قَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ : مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ . فَقَالَ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ ". صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 2750.

أما عن اتهامهم لرسول الله بأنه فعل فعلاً يُعبر عن شذوذ - قبحهم الله - جوابه فيما يلي :

أولاً : إن هذا من بنات أفكارهم المريضة و سوء ظنهم بالله و رسوله وتفكيرهم باستمرار على نحو شاذ حاقط يفتقر للمنطقية كثيراً بسبب غلبة الحقد و الغل على الفكر .

ثانياً : إن الشريعة جاءت بدم الشذوذ واعتباراته من الموبقات ومن الخبائث و تواترت آيات القرآن الكريم والسنة الشريفة في بيان أن ذلك فعل خبيث يصل بصاحبه إن استحلّه إلى الكفر ، وأن الله خسف الأرض بفاعليه ؛ فلا يعقل أن تكون الرسالة تتناول الشذوذ بهذا النحو وتعلم الأمة أنه فعل خبيث قبيح منكوس ثم يصدر عن المشرع عكسه لكان مطعناً فيه لا سمياً أن متربصين كثيرين من اليهود والمشركين والمنافقين بل ويتتبع أثره و سنته وكل خطواته أحباءه وصحابته المؤمنين .

ثالثاً : إن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كل ما فعله هو احتضان الصحابي الفقير من خلفه على نحو نراه و نعتاده إلى يومنا هذا بين الأصدقاء والإخلاء دون أدنى تفكر في الخبث الذي ذهب إليه عقول المنصرين .

رابعاً : إن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فعل ذلك في السوق أمام الناس والصحابة نقلوا الواقعة ورأوها , فلو كان الفعل من الشذوذ و الأمور الجنسية لما فعله عاقل أمام الناس في الأسواق وهو مذموم بالفطرة والشرع بينهم .

خامساً : إن الحديث حوى معانٍ إيمانية و تذكير بالله ؛ وذلك لما قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : من يشتري هذا العبد ؟ قال زاهر : يا رسول الله إذا تجدني كاسداً فقال له : " ولكنك عند الله غال " .

ثالثاً : إن الكتاب المقدس نسب لبعض أنبياء الله أفعالا في ظاهرها الشذوذ الجنسي ...
كما يلي :

1- يسوع المسيح وذلك في إنجيل يوحنا الاصحاح 13 عدد²³ وَكَانَ مُتَّكِنًا فِي حِضْنِ يَسُوعَ وَاحِدٍ مِنْ تَلَامِيذِهِ، كَانَ يَسُوعُ يَحِبُّهُ.

قلتُ : ما هو تفسير المعترضين لهذا النص ؟

إنهم طعنوا في نبينا ﷺ ظلماً وبهتاناً بكلامٍ غير لائقٍ ؛ أما نحن فنبرئ المسيح ﷺ من أي وصفٍ غير لائقٍ نسب إليه كهذا النص....

2- داود النبي أنه قال كلاماً في ظاهره الشذوذ الجنسي ، وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 1 عدد 26²⁶ قَدْ تَضَايَقْتُ عَلَيْكَ يَا أَخِي يُونَاثَانَ. كُنْتُ حُلُوءًا لِي جِدًّا. مَحَبَّتُكَ لِي أَعْجَبُ مِنْ مَحَبَّةِ النِّسَاءِ.

ترجمة أخري للنص 26²⁶ لَشَدَّ مَا تَضَايَقْتُ عَلَيْكَ يَا أَخِي يُونَاثَانَ. كُنْتُ عَزِيزًا جِدًّا عَلَيَّ، وَمَحَبَّتُكَ لِي كَانَتْ مَحَبَّةً عَجِيبَةً ، أُرْوَعُ مِنْ مَحَبَّةِ النِّسَاءِ.

قلتُ : إن الملاحظ أن النبي داود ﷺ كان يحب يُونَاثَانَ بن شاول محبة أورع من محبة النساء ، وحزن عليه حزناً شديداً لما قتل فقال هذه الكلمات ونحن - المسلمون - نبرئ داود ﷺ مما نسب إليه كهذا النص وغيره ...

ولكن يبقى السؤال: ما هو رد المعترضين على تلك النصوص....؟!

رد شبهة : فَدَخَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَمِيصِهِ فَجَعَلَ يَقْبَلُ وَيَلْتَزِمُ ... !

من الشبهات التي أثاروها حول أخلاق رسول الله ﷺ أنهم قالوا : إن رجلاً دخل بين النبي داخل قميصه..... فهل هذه أخلاق الأنبياء ...؟

تعلقوا على ذلك بما جاء في سنن أبي داود برقم 1421 حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا كَهْمَسٌ عَنْ سَيَّارِ بْنِ مَنْظُورٍ رَجُلٍ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا بُهَيْسَةُ عَنْ أَبِيهَا قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ أَبِي النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَمِيصِهِ فَجَعَلَ يَقْبَلُ وَيَلْتَزِمُ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الشَّيْءُ الَّذِي لَا يَحِلُّ مِنْهُ ؟ قَالَ : الْمَاءُ. قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا الشَّيْءُ الَّذِي لَا يَحِلُّ مِنْهُ ؟ قَالَ: الْمَلْحُ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الشَّيْءُ الَّذِي لَا يَحِلُّ مِنْهُ ؟ قَالَ : " أَنْ تَفْعَلَ الْخَيْرَ خَيْرٌ لَكَ "

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذا الحديث لا يصح عندنا نحن - المسلمين - فقد ضعفه أهل العلم ، منهم الشيخُ الألباني - رحمه الله- في ضعيف سنن أبي داود برقم 1669 قال : ضعيف ، المشكاة (1915)، و سيأتي برقم (752 / 3476) .

وعليه : فإن الحديث لا نعترف به ، ومن خلال التضعيف تسقط هذه الشبهة التي هي أوهن من بيتِ العنكبوتِ لو كان يعلمون.

ثانياً : إن الاعتراض المذكور ليس في الحديث كما تقدم معنا لضعفه المغنى عن أي تأويل ، ولكن الاعتراض الحقيقي هو ما جاء في الآتي :

1- يسوع المسيح وذلك في إنجيل يوحنا الاصحاح 13 عدد²³ وَكَانَ مُتَّكِنًا فِي حِضْنِ يَسُوعَ وَاحِدٍ مِنْ تَلَامِيذِهِ ، كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ.

قلتُ : ما هو تفسير المعترضين لهذا النص ؟

إنهم طعنوا في نبينا ﷺ ظلمًا وبهتانًا بكلامٍ غير لائقٍ ؛ أما نحن فنبرئُ المسيحَ ﷺ من أي وصفٍ غير لائقٍ نُسبَ إليه كهذا النص

2- معجزة إيلشع لما أحيى الصبي ، وذلك لما اضطجع فوق الصبي ، ووضع فمه على فمه..... جاء ذلك في سفر الملوك الثاني إصحاح 4 عدد 32 وَدَخَلَ إِلِيشَعُ الْبَيْتَ وَإِذَا بِالصَّبِيِّ مَيِّتٍ وَمُضْطَجِعٍ عَلَى سَرِيرِهِ. 33 فَدَخَلَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ عَلَى نَفْسَيْهِمَا كِلَيْهِمَا، وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ. 34 ثُمَّ صَعِدَ وَاضْطَجَعَ فَوْقَ الصَّبِيِّ وَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى فَمِهِ، وَعَيْنَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَبَيْدَيْهِ عَلَى يَدَيْهِ، وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ فَسُخِنَ جَسَدُ الْوَلَدِ. 35 ثُمَّ عَادَ وَتَمَشَّى فِي الْبَيْتِ تَارَةً إِلَى هُنَا وَتَارَةً إِلَى هُنَاكَ، وَصَعِدَ وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ فَعَطَسَ الصَّبِيُّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ فَتَحَ الصَّبِيُّ عَيْنَيْهِ !!

قلتُ : نحن - المسلمين - لم نسئ الظنَ بنبيِّ الله إيلشع ﷺ ، ولم نقل مثل المعترضين:

لماذا وضع فمه على فمه ...؟ هل هذا شذوذ؟! ألا توجد طريقة لإحياء الصبي أفضل هذه ...؟

3- داود النبي أنه قال كلاماً في ظاهره الشذوذ الجنسي ، وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 1 عدد 26²⁶ قَدْ تَضَايَقْتُ عَلَيْكَ يَا أَخِي يُونَاثَانَ. كُنْتُ حُلُواً لِي جِداً. مَحَبَّتُكَ لِي أَعْجَبُ مِنْ مَحَبَّةِ النِّسَاءِ.

ترجمة أخرى للنص 26 لَشَدَّ مَا تَضَايَقْتُ عَلَيْكَ يَا أَخِي يُونَاثَانَ. كُنْتُ عَزِيْزاً جِداً عَلَيَّ، وَمَحَبَّتُكَ لِي كَانَتْ مَحَبَّةً عَجِيبَةً، أُرْوَعُ مِنْ مَحَبَّةِ النِّسَاءِ.

قلتُ : إن الملاحظ أن النبي داود عليه السلام كان يحب يوناثان بن شاول محبة أورع من محبة النساء ، وحزن عليه حزناً شديداً لما قتل فقال هذه الكلمات ونحن - المسلمين - نبرئ داود عليه السلام مما نسب إليه كهذا النص وغيره ...

ولكن يبقى السؤال: ما هو رد المعترضين على تلك النصوص....؟!

رد شبهة : نبي هتك عرضه !

أثاروا شبهةً حول نبينا ﷺ قالوا : إن نبي الإسلام هتك عرضه ... ما هذا النبي أيها المسلمون...؟!

تعلقوا على ذلك بما جاء في بعض كتب السيرة منها: الروض الأنف ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (3341) (خُرُوجُ الرَّسُولِ فِي رَمَضَانَ)

قَالَ [ص 153] ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ شِهَابِ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِسَفَرِهِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا رُهْمٍ كُلْثُومَ بْنَ حُصَيْنٍ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ خَلْفِ الْغِفَارِيِّ وَخَرَجَ لِعَشْرِ مَضِينَ مِنْ رَمَضَانَ فَصَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْكَدِيدِ بَيْنَ عُسْفَانَ وَآمَجٍ أَفْطَرَ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ مَضَى حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَسَبَّعَتْ سُلَيْمٌ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ أَلْفَتْ سُلَيْمٌ وَأَلْفَتْ مُزِينَةٌ . وَفِي كُلِّ الْقَبَائِلِ عَدَدٌ وَإِسْلَامٌ وَأَوْعَبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، فَلَمْ يَتَخَلَفْ عَنْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ ، وَقَدْ عُمِيتِ الْأَخْبَارُ عَنْ قُرَيْشٍ ،

فَلَمْ يَأْتِهِمْ خَبْرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا يَدْرُونَ مَا هُوَ فَاعْلَ وَخَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ۖ وَحَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ ، وَبَدِيلُ بْنُ وَرْقَاءٍ يَتَحَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ وَيَنْظُرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبْرًا أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ وَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْضَ الطَّرِيقِ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : لَقِيَهُ بِالْجُحْفَةِ مُهَاجِرًا بَعِيَالَهُ وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُقِيمًا بِمَكَّةَ عَلَى سَفَايَتِهِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ رَاضٍ فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ شِهَابٍ الزَّهْرِيُّ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ كَانَ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنُ الْمُغِيرَةِ قَدْ لَقِيََا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيْضًا بَنِيكَ الْعُقَابِ ، فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، فَالْتَمَسَا الدَّخُولَ عَلَيْهِ فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ فِيهِمَا ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ [ص 154] قَالَ لَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا ، أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَهَتَكَ عِرْضِي ، وَأَمَّا ابْنُ عَمَّتِي وَصِهْرِي فَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي بِمَكَّةَ مَا قَالَ . قَالَ فَلَمَّا خَرَجَ الْخَبْرُ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ وَمَعَ أَبِي سَفْيَانَ بَنِي لَهُ . فَقَالَ وَاللَّهِ لَيَأْذَنَنَّ لِي أَوْ لَأَخْذَنَّ بِيَدِي بَنِي هَذَا ، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ فِي الْأَرْضِ حَتَّى نَمُوتَ عَطْشًا وَجُوعًا ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَّ لَهُمَا ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمَا ، فَدَخَلَا عَلَيْهِ فَأَسْلَمَا وَأَنْشَدَ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ قَوْلَهُ فِي إِسْلَامِهِ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ مَضَى مِنْهُ

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذه الشبهة تدل على جهل مثيرها ؛ لأن هتك العرض الذي جاء في الحديث ليس معناه الاغتصاب كما يشير المعترضون ؛ وإنما المعنى هو السب والشتم ... فأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان يهجو النبي ﷺ ويؤذيه بلسانه ، وذلك قبل إسلامه ﷺ وهذا هو المراد من قوله ﷺ أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَهَتَكَ عِرْضِي أَي : بالسب والأذى ...

تدلل على ذلك كتب التاريخ ، وكتب اللغة ، والأحاديث الصحيحة كما يلي :

أولاً : من كتب التاريخ :

1- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (ج 7 / ص 179) : أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي بن عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة أرضعتها حليلة السعدية قال بن المبارك وإبراهيم بن المنذر وغيرهما اسمه المغيرة وقيل اسمه كنيته والمغيرة أخوه وكان ممن يشبه رسول الله ﷺ ومضي له ذكر مع عبد الله بن أبي

أمية وأخرجه الحاكم أبو أحمد من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ أبو سفيان بن الحارث سيد فتيان أهل الجنة قال حلقه الحلاق بمنى وفي رأسه ثولول فقطعه فمات قال فيرون أنه مات شهيدا هذا مرسل رجاله ثقات وكان أبو سفيان ممن يؤذي النبي ﷺ ويهجوهم ويؤذي المسلمين وإلى ذلك أشار حسان بن ثابت في قصيدته المشهورة ... هجوت محمدا فأجبت عنه ... وعند الله في ذلك الجزاء ويقال إن عليا علمه لما جاء ليسلم أن يأتي النبي ﷺ من قبل وجهه فيقول تالله لقد آثرك الله علينا الآية ففعل فأجابه لا تثريب عليكم الآية فأنشده أبو سفيان ... لعمرك إني يوم أحمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمد . أه

2- أسد الغابة لابن الأثير (ج 3/ ص 187) : أبو سفيان بن الحارث القرشي.

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم النبي ﷺ . وكان أخا النبي ﷺ من الرضاعة. أرضعتها حليلة بنت أبي، السعدية. وأمه غزية بنت قيس بن طريف، من ولد فهر بن مالك. قال قوم - هم إبراهيم بن المنذر، وهشام بن الكلبي، والزبير بن بكار : اسمه المغيرة. وقال آخرون: اسمه كنيته، والمغيرة أخوه .

يقال: إن الذين كانوا يشبهون رسول الله جعفر بن أبي طالب، والحسن بن علي ، بن العباس ، وأبو سفيان بن الحارث. وكان أبو سفيان من الشعراء المطبوعين، وكان سبق له هجاء في رسول الله ﷺ وإياه عارض حسان بن ثابت بقوله: الوافر
ألا أبلغ أبا سفيان عني ... مغللة فقد برح الخفاء

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء ثم أسلم فحسن إسلامه .

أخبرنا أبو جعفر بإسناده عن يونس ، عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ عام الفتح - وذكره - وكان أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ. بثنية العقاب - بين مكة والمدينة - فالتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فيهما، وقالت: يا رسول الله، ابن عمك وابن عمك وصهرك! فقال: " لا حاجة لي بهما " أما

ابن عمي فَهَتَكَ عرضي ، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال . فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان ابن له ، فقال : والله لَيَأْذَنَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ لَأَخْذَنَ بِيَدِ ابْنِي هَذَا ، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ فِي الْأَرْضِ حَتَّى نَمُوتَ عَطْشًا وَجُوعًا . فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ لهما ، فدخلَا عليه ، فَأَنشَدَهُ أَبُو سَفْيَانَ قَوْلَهُ فِي إِسْلَامِهِ ، وَاعْتَذَارَهُ مِمَّا كَانَ مُضَى ، فَقَالَ : الطَّوِيلُ

لعمرك إني بيم أحمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكا لمظلم الحيران أظلم ليله ... فهذا أواني حين أهدى فأهتدي
هداني هاد غير نفسي ودلني ... على الله من طردت كل مطرد
أصد وأناى جاهداً عن محمد ... وأدعى وإن لم أنتسب من محمد أه

ثانياً : من كتب اللغة والشروح :

1- قال ابن منظور في لسان العرب : والنَّهْكَ المبالغة في كل شيء والنَّاهِكُ والنَّهْيُكَ المبالغ في جميع الأشياء الأصمعي النَّهْكَ أَنْ تَبَالِغَ فِي الْعَمَلِ فَإِنْ شَتَمْتَ وَبَالَغْتَ فِي شَتَمِ الْعَرَضِ قِيلَ انْتَهَكَ عَرَضَهُ . أه

2- القاموس المحيط : العَرَضُ : ما يُمَدُّ وَيُذَمُّ مِنَ الْإِنْسَانِ فِي نَفْسِهِ أَوْ مِنْ يُلْزِمُهُ أَمْرُهُ كَالزَّوْجَةِ وَالْبَنْتِ؛ صَانَ الشَّخْصَ عَرَضَهُ/ حَافِظٌ عَلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ/ هُوَ نَقِيُّ الْعَرَضِ، أَيِ بَرِيءٌ مِنْ أَنْ يَشْتَمَ أَوْ يُعَابَ.-: الحَسْبُ.-: الرَّائِحَةُ أَيْ كَانَتْ.-: السَّحَابُ الْعَظِيمُ.-: الوادي فيه الشجر ج أعراض . أه

3- قال ابن حجر في الفتح : قَوْلُهُ : (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ إِنْ) : هُوَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ ، أَيِ : سَفَكَ دِمَائَكُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَكُمْ وَتَلَبَّ أَعْرَاضَكُمْ . وَالْعَرَضُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ مَوْضِعُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ مِنَ الْإِنْسَانِ ، سَوَاءٌ كَانَ فِي نَفْسِهِ أَوْ سَلَفِهِ . أه

ثالثاً : من كتب أحاديث :

1- صحيح البخاري برقم 65 عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخَطَامِهِ أَوْ بِزِمَامِهِ قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ فَسَكَنَّا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سَوَى اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ قُلْنَا بَلَى قَالَ فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا فَسَكَنَّا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ فَقَالَ: أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ؟ قُلْنَا بَلَى. قَالَ: " فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يَبْلُغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ".

2- سنن أبي داود برقم 4243 عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَجَلَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيْعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ أَبِي ضَمُضٍ قَالُوا: وَمَنْ أَبُو ضَمُضٍ قَالَ رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَعْنَاهُ قَالَ: عَرِضِي لِمَنْ شِئْتَنِي.

تحقيق الألباني : (حديث عبد الرحمن بن عجلان) ضعيف مرسل ، (حديث أنس بن مالك) ضعيف ، الإرواء (2366) .

8- مسند أحمد برقم 12861 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي ﷻ مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَطْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ يَخْمُسُونَ وُجُوهُهُمْ وَصُدُورُهُمْ فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ قَالَ: " هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحُومَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ " . السلسلة الصحيحة للألباني صحيح برقم 533.

ثانياً : إن الكتاب المقدس ذكر لنا هتك العرض الحقيقي الذي يدور في أذهان المنصرين (الاغتصاب) لبعض الأنبياء وأقاربهم ... فقد ذكر الكتاب المقدس ما يلي:

1- الرب أخبر داود أن قريبه سيزني بأهله في عين الشمس أمام بني إسرائيل ... وذلك في سفر صموئيل الثاني اصحاح 12 عدد ¹فَأَرْسَلَ الرَّبُّ نَاتَانَ إِلَى دَاوُدَ. فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ، وَاحِدٌ مِنْهُمَا غَنِيٌّ وَالْآخَرُ فَقِيرٌ. ²وَكَانَ لِلْغَنِيِّ غَنَمٌ وَبَقَرٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا. ³وَأَمَّا الْفَقِيرُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ إِلَّا نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ صَغِيرَةٌ قَدْ اقْتَنَاهَا وَرَبَّاهَا وَكَبُرَتْ مَعَهُ وَمَعَ بَنِيهِ جَمِيعًا. تَأْكُلُ مِنْ لُقْمَتِهِ وَتَشْرَبُ مِنْ كَأْسِهِ وَتَتَنَامُ فِي حِضْنِهِ، وَكَانَتْ لَهُ كَابَنَةٌ. ⁴فَجَاءَ ضَيْفٌ إِلَى الرَّجُلِ الْغَنِيِّ، فَعَفَا أَنْ

يَأْخُذُ مِنْ غَنَمِهِ وَمِنْ بَقَرِهِ لِيَهَيَّئَ لِلضَّيْفِ الَّذِي جَاءَ إِلَيْهِ، فَأَخَذَ نَعْجَةَ الرَّجُلِ الْفَقِيرِ وَهَيَّأَ لِلرَّجُلِ الَّذِي جَاءَ إِلَيْهِ». فَحَمِي غَضَبُ دَاوُدَ عَلَى الرَّجُلِ جِدًّا، وَقَالَ لِنَاثَانَ: «حَيُّ هُوَ الرَّبُّ، إِنَّهُ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الْفَاعِلَ ذَلِكَ،⁶ وَيُرْدُ النَّعْجَةَ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ لِأَنَّهُ فَعَلَ هَذَا الْأَمْرَ وَلِأَنَّهُ لَمْ يَشْفُقْ». فَقَالَ نَاثَانُ لِدَاوُدَ: «أَنْتَ هُوَ الرَّجُلُ! هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: أَنَا مَسَحْتُكَ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ وَأَنْقَذْتُكَ مِنْ يَدِ شَاوُلَ،⁸ وَأَعْطَيْتُكَ بَيْتَ سَيِّدِكَ وَنِسَاءَ سَيِّدِكَ فِي حَضْنِكَ، وَأَعْطَيْتُكَ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا. وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ قَلِيلًا، كُنْتُ أُرِيدُ لَكَ كَذَا وَكَذَا.⁹ لِمَاذَا احْتَقَرْتَ كَلَامَ الرَّبِّ لِتَعْمَلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيْهِ؟ قَدْ قَتَلْتَ أُورِيَّا الْحَنِّيَّ بِالسَّيْفِ، وَأَخَذْتَ امْرَأَتَهُ لَكَ امْرَأَةً، وَإِيَّاهُ قَتَلْتَ بِسَيْفِ بَنِي عَمُونَ.¹⁰ وَالْآنَ لَا يَفَارِقُ السَّيْفُ بَيْتَكَ إِلَى الْأَبَدِ، لِأَنَّكَ احْتَقَرْتَنِي وَأَخَذْتَ امْرَأَةً أُورِيَّا الْحَنِّيَّ لِتَكُونَ لَكَ امْرَأَةً.¹¹ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَآنَذَا أُقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ، وَآخُذْ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأَعْطِيهِنَّ لِقَرِيبِكَ، فَيَضْطَجِعَ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هَذِهِ الشَّمْسِ.¹² لِأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ بِالسَّرِّ وَأَنَا أَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ قُدَّامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَقُدَّامَ الشَّمْسِ». فَقَالَ دَاوُدُ لِنَاثَانَ: «قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ». فَقَالَ نَاثَانُ لِدَاوُدَ: «الرَّبُّ أَيْضًا قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيئَتَكَ. لَا تَمُوتُ.¹⁴ غَيْرَ أَنَّهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ بِهَذَا الْأَمْرِ أَعْدَاءَ الرَّبِّ يَشْمَتُونَ، فَالابْنُ الْمَوْلُودُ لَكَ يَمُوتُ». ¹⁵ وَذَهَبَ نَاثَانُ إِلَى بَيْتِهِ.

-2

نلاحظ هذه الفقرات ¹⁰ وَالْآنَ لَا يَفَارِقُ السَّيْفُ بَيْتَكَ إِلَى الْأَبَدِ، لِأَنَّكَ احْتَقَرْتَنِي وَأَخَذْتَ امْرَأَةً أُورِيَّا الْحَنِّيَّ لِتَكُونَ لَكَ امْرَأَةً.¹¹ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَآنَذَا أُقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ، وَآخُذْ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأَعْطِيهِنَّ لِقَرِيبِكَ، فَيَضْطَجِعَ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هَذِهِ الشَّمْسِ.¹² لِأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ بِالسَّرِّ وَأَنَا أَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ قُدَّامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَقُدَّامَ الشَّمْسِ».

3- زنا ابن يعقوب النبي (روبين) بزوجة أبيه (بلهة) وذلك في سفر التكوين
إصحاح 35 عدد ²¹ ثُمَّ رَحَلَ إِسْرَائِيلُ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ وَرَاءَ مَجْدَلٍ عَدْرِ.²² وَحَدَّثَ إِذْ

كَانَ إِسْرَائِيلُ سَاكِنًا فِي تِلْكَ الْأَرْضِ، أَنَّ رَأُوبِينَ ذَهَبَ وَاضْطَجَعَ مَعَ بِلْهَةَ سُرِّيَّةِ أَبِيهِ، وَسَمِعَ إِسْرَائِيلُ.

4- بنات لوط قمن بسكر أبيهم كي يجمعهن وذلك في سفر التكوين

إصحاح 19 عدد 29²⁹ وَحَدَّثَ لَمَّا أَخْرَبَ اللَّهُ مَدْنَ الدَّائِرَةِ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَرْسَلَ لُوطًا مِنْ وَسْطِ الْإِنْقِلَابِ. حِينَ قَلَبَ الْمَدْنَ الَّتِي سَكَنَ فِيهَا لُوطٌ.³⁰ وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ.³¹ وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الْأَرْضِ.»³² هَلَمْ نَسْقِ أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجَعَ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلًا.»³³ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا.³⁴ وَحَدَّثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدْ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلًا.»³⁵ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا،³⁶ فَحَبِلَتْ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا.³⁷ فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ «مُؤَابَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُؤَابِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ.³⁸ وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتْ ابْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ «بِنْ عَمِي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ. لا تعليق !

رد شبهة : نبي في بيته مخنث !

قالوا على سبيل الاستهزاء: كان في بيت رسولكم مخنث...! ماذا كان يفعل هذا المخنث في بيته ؟

أليس هذا من الشذوذ ؟!

تعلقوا على ذلك بما جاء في صحيح البخاري كتاب (اللباس) باب (إخراج المتشبهين بالنساء) برقم 5436 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ

وَالْمُتَرَجَّلَاتُ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَالَ : " أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ ". قَالَ: " فَأَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَانًا وَأَخْرَجَ عُمَرُ فَلَانًا " .

الرد على الشبهة

أولاً: كان على المعترضين أن يفرقوا أولاً بين المخنث و الخنثى لو كانوا يفقهون !

المخنث: هو الذي لا يشتهي النساء، ويتشبه بهن في مشيته أو في كلامه وحركاته، ولا يشترط أنه يؤتى من الخلف...

والخنثى: هو ما يطلق عليه في زماننا - الجنس الثالث- تشترك فيه أعضاء الذكورة والأنوثة معاً ...

ولا شك أن الحديث يتكلم عن الصنف الأول .

ثانياً: إن بعض كلامهم صحيح ؛ فقد كان في بيت النبي ﷺ مخنثٌ يخدم بيته ؛ هو أنجشة ، وبقية افتراء وكذب ينم على فكرٍ مريضٍ وسوء ظنٍ برسولِ الله ﷺ ...

قال ابن حجر في الفتح : كَانَ أَنْجَشَةُ حَبَشِيًّا يُكْنَى أَبَا مَارِيَةَ. وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثٍ وَائِلَةٍ أَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ نَفَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمَخْنَثِينَ . اهـ

وقال أيضاً في تعليقه على هذا الحديث : وَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَتَمَّامُ الرَّازِيُّ فِي فَوَائِدِهِ مِنْ حَدِيثٍ وَاثِلَةٍ مِثْلَ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا بِتَمَامِهِ وَقَالَ فِيهِ : " وَأَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْجَشَةَ ، وَأَخْرَجَ عُمَرُ فَلَانًا " وَأَنْجَشَةُ هُوَ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ الَّذِي كَانَ يَحْدُو بِالنِّسَاءِ . اهـ

ثالثاً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه من خلاله أنسف به الشبهة نسفاً - إن شاء الله - هو : لماذا أمر النبي ﷺ بطرد المخنثين وطرد أنجشة ؟

الجواب : أن النبي ﷺ لم يكن يعلم أن أنجشة من المخنثين ، ولما علم أنه منهم طرده ﷺ من بيته ، وأمر أصحابه ﷺ بطرد كل مخنث من بيوتهم ، ولو كان أنجشة يعمل عمل قوم لوط (يؤتى) لاختلاف الحكم ؛ فلم يكن للنبي ﷺ أن ينفية بل يقتله ، فهذا حد من يعمل عمل قوم لوط (القتل) ...

تدلل على ذلك عدة أحاديث منها:

1- سنن أبي داود برقم 4280 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى بِمُخْنَثٍ قَدْ خَضَبَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ بِالْحَنَاءِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " مَا بَالُ هَذَا ؟ فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ يَتَشَبَّهُ بِالنِّسَاءِ ، فَأَمَرَ بِهِ فَنَفِيَ إِلَى النَّقِيعِ ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَلَا نَقْتُلُهُ ؟ فَقَالَ : " إِنِّي نَهَيْتُ عَنْ قَتْلِ الْمُصَلِّينَ " .

قَالَ أَبُو أُسَامَةَ :وَالنَّقِيعُ نَاحِيَّةٌ عَنِ الْمَدِينَةِ وَلَيْسَ بِالنَّقِيعِ .

تحقيق الألباني: صحيح، المشكاة (4481 / التحقيق الثاني) .

2- سنن أبي داود برقم 3869 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلِ قَوْمٍ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ " .

تحقيق الألباني : حسن صحيح ، المشكاة (3575) ، الإرواء (2348) ، التعليق الرغيب (3 / 199) .

3- سنن ابن ماجه برقم 2552 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي الَّذِي يَعْمَلُ عَمَلِ قَوْمٍ لُوطٍ قَالَ : " ارْجُمُوا الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلَ ارْجُمُوهُمَا جَمِيعًا " .

تحقيق الألباني : حسن بما قبله (2561) ، الإرواء (6 / 17) .

5- تهذيب الآثار للطبري برقم 2908 عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: " من وقع على الرجل فاقتلوه " . يعني: عمل قوم لوط.

وعليه: تتسف فريتهم نسفاً، فكم فيها من همزٍ ولمزٍ حول أخلاقِ نبيِّنا ﷺ ، التي مدحه الله ﷻ بها قائلاً : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم 4) .

وصدق الله ﷻ لما قال: ﴿لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186)﴾ (آل عمران).

رابعاً : إنني أجدُ شكوكاً مطروحةً من الكتاب المقدس لقارئه نجد أن شاول الملك طرد ابنه يوناثان وسبه سباً قبيحاً لأن يوناثان كان يحب ابنَ يسى (داود) ... وذلك في سفر صموئيل الأول إصحاح 20 عدد 30 فحَمِي غَضَبُ شَاوُلَ عَلَى يُونَاثَانَ وَقَالَ لَهُ: «يَا ابْنَ الْمُنْعَوَجَةِ الْمُتَمَرِّدَةِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ قَدْ اخْتَرْتَ ابْنَ يَسَّى لِخَزِيكَ وَخِزِي عَوْرَةَ أُمِّكَ؟!

وَأَتَسَاءَلُ : ما معنى قول شاول لأبنه يوناثان: أَنَّكَ قَدْ اخْتَرْتَ ابْنَ يَسَّى لِخَزِيكَ وَخِزِي عَوْرَةَ أُمِّكَ؟!

قُلْتُ : إن الذي جعلني أزدادُ شكاً على شكي هو ما قاله داود النبي لما مات يُوناثان ...
وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 1 عدد 26 قَدْ تَضَايَقْتُ عَلَيْكَ يَا أَخِي يُونَاثَانَ . كُنْتُ
حُلُواً لِي جِداً . مَحَبَّتُكَ لِي أَعْجَبُ مِنْ مَحَبَّةِ النِّسَاءِ .

ترجمة أخرى للنص 26 لَشَدَّ مَا تَضَايَقْتُ عَلَيْكَ يَا أَخِي يُونَاثَانَ . كُنْتُ عَزِيْزاً جِداً عَلَيَّ ،
وَمَحَبَّتُكَ لِي كَانَتْ مَحَبَّةً عَجِيبَةً ، أُرْوَعُ مِنْ مَحَبَّةِ النِّسَاءِ .

ويبقى السؤال : أليس سب وطرْد شاول لابنه يُوناثان هذه المحبة الشاذة التي كانت أروع
من محبة النساء ... لما قال له : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ قَدْ اخْتَرْتَ ابْنَ يَسَى لِحَزِيكَ وَخِزِي عَوْرَةَ
أُمِّكَ ؟!.....

أما نحن - المسلمون - نبرئ داود عليه السلام مما نُسب إليه كهذا النص وغيره ...

رد شبهة : نبي الإسلام يمص لسان الحسن وشفتيه !

ادَّعُوا أَنْ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ يَمُصُ لِسَانَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، قَائِلِينَ : أَلَيْسَ هَذَا مِنَ الشَّدُوذِ
!؟

وتعلقوا بما جاء في مسند أحمد مسند الشاميين حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه برقم
16245 حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا حَرِيْزٌ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَوْفٍ الْجُرَشِيِّ
عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمُصُ لِسَانَهُ أَوْ قَالَ : شَفَتَهُ يَعْنِي الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ
- صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - وَإِنَّهُ لَنْ يُعَذَّبَ لِسَانٌ أَوْ شَفَتَانِ مَصَّهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي فقد روى له أبو داود والنسائي وهو ثقة.

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذا الحديث أشكل فهمه على المعترضين، فهم يجهلون تماماً أن الحسن بن علي كان طفلاً صغيراً

وهو حفيد النبي ﷺ بل قد يكون عندما قبله النبي ﷺ ذلك التقبيل كان رضيعاً آنذاك ، ولا إشكال في تقبيل أب لابنه الرضيع على تلك الصفة الواردة في الحديث كما هو معروف عند العقلاء !

وعليه : فالحديث فيه منقبة من مناقبه ﷺ ؛ لما فيه من تقبيله لابنه الحسن، ومداعبته إياه فهو ﷺ يرحمه ويلطفه ، فالعقل ذو الفطرة السليمة لا يمكن أن يفهم من الحديث سوى هذا الفهم بخلاف فهم المعترضون !

ثانياً : كتب أحد مشرفي موقع ملتقى أهل السنة أبو خالد السلمي قائلاً : هذا الحديث استغله بعض المنصرين الحاقدين للطعن في جناب المصطفى ﷺ ، وانطلى مكرهم على بعض المفتونين ، فدخل الريب قلوبهم. وما أتى هؤلاء إلا من قبل انتكاس فطرتهم ، فهؤلاء الإفرنج الأنجاس ، لا مانع عندهم أن يعانق رجل امرأة أجنبية عنه في قارعة الطريق ويقبلها في فمها وحيث يشاء ، ويمرون بجوارهما لا يحركون ساكناً ولا يرون أي غضاضة في ذلك ، بينما لو قبل مسلم ابنه أو ابنته قبلة رحمة ومداعبة نظروا إليه نظر

ريبة، بل وصل الأمر إلى الاتصال بالشرطة ومحاكمة رجل مسلم هنا في أمريكا كان يقبل ابنته الرضيعة كما يلعب المسلم طفله ملاعبة رحمة وعطف في الطريق ، فاتهموه بالشذوذ الجنسي ، وفرقوا بينه وبين ابنته وأخذوا ابنته منه وجعلوا أسرة نصرانية تكفلها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله اهـ. بتصرف يسير.

ثالثاً : إن قيل : إن هناك إشكالاً في قول معاوية ؓ في آخر الحديث " وَإِنَّهُ لَنْ يُعَذَّبَ لِسَانٌ أَوْ شَفَتَانِ مَصَّهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " والإشكالية تكمن في أن هذا الأمر وحده لا يكفي للنجاة من عذاب الله ، ولهذا ختم الله ﷻ سورة التحريم بذكر امرأة نوح ، وامرأة لوط فكون كل منهما زوجة نبي لم يغن عنهما شيئاً ، وكانتا من أهل النار يذكر بذلك زوجات النبي ﷺ - رضي الله عنهن - ؛ قال ﷻ : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾ (التحريم10).

قلتُ : يزول الإشكال بأن ما ذكره معاوية ؓ من عدم تعذيب من كان كذلك ؛ إنما يكون مع توافر شروط أخرى علمها النبي ﷺ ولم نعلمها ، ومما يدل على ذلك أن النبي ﷺ دعا للحسن وهو طفل، وذلك في صحيح البخاري برقم 5544 عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْخُذُنِي فَيَقْعِدُنِي عَلَى فَخْذِهِ وَيَقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخْذِهِ الْآخَرَى ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ثُمَّ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحُمُهُمَا".

رابعاً : إن هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي تتحدث عن تحنيك الطفل بالتمر كما في الروايات الأخرى ... كانت من أسباب إسلام أخت لنا هي طيبة كتبت مقالا بعنوان: رحلة دكتورة رولا من النصرانية إلى الإسلام :

أولاً : أنا أوّمن بمبدأ أن لكل سؤال جواباً ولكل داء دواء من هذا المنطلق بدأت بالبحث عن ما جاء به الرسول فلقد انتابني شعور غريب أن هذا الرسول محمد رجل صادق فأصبح عندي حب استطلاع أكثر وأكثر ففتحت صفحه الإعجاز العلمي بطب الأطفال وقرأت عن الرضاعة بأن الرسول أوصى بالرضاعة لمدة سنتين كاملين وفعلاً الرضاعة كلما كانت مدتها أطول كلما كان عند الرضيع جهاز المناعة أحسن هذا من ناحية علميه أقرته أبحاث طبية بريطانية.

ثانياً: لفت نظري تصرف من تصرفات الرسول وهو تحنيك المولود بالتمر. فالتمر يحتوي على السكر "الجلوكوز" بكميات وافرة وخاصة بعد إصابته بالريق الذي يحتوي على إنزيمات خاصة تحول السكر الثنائي سكروز إلى سكر أحادي، كما أن الريق ييسر إذابة هذه السكريات، وبالتالي يمكن للطفل المولود أن يستفيد منها، وبما أن معظم أوكل المواليد يحتاجون للسكر "الجلوكوز" بعد ولادتهم مباشرة فإن إعطاء الطفل التمر المذاب يقي الطفل من مضاعفات نقص السكر الخطيرة .

أنا أتوجه الآن لأي مسيحي ويجاوب كيف لرسول أمي أن يملك معلومات طبية لها آلاف السنين واليوم نلاحظ قد دأبت مستشفيات الولادة والأطفال على إعطاء المولودين محلول الجلوكوز ليرضعه المولود بعد ولادته مباشرة. ثم بعد ذلك تبدأ أمه بإرضاعه(0)أنا اقتنعت بهذا الدين لذلك أعلن إسلامي : اشهد أن لا اله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله وأن عيسى عبد الله ورسوله . أه بتصرف يسير .

خامساً : إن الكتاب المقدس ذكر لنا معجزة إيليش لما أحيى الصبي ؛ نجده اضطلع فوق الصبي ، ووضع فمه على فمه..... جاء ذلك في سفر الملوك الثاني إصحاح 4 عدد 32 ودخل إيليش البيت وإذا بالصبي ميت ومضطجع على سريريه. 33 فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما، وصلى إلى الرب. 34 ثم صعد واضطلع فوق الصبي ووضع فمه على فمه، وعينه على عينيه، ويديه على يديه، وتمدد عليه فسخن جسد الولد. 35 ثم عاد وتمشى في البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هناك، وصعد وتمدد عليه فعطس الصبي سبع مرات، ثم فتح الصبي عينيه.

قلت : نحن - المسلمين- لم نسي الظن بنبي الله إيشع عليه السلام ، ولم نقل مثل المعترضين: لماذا وضع فمه على فمه...؟! هل هذا شذوذ؟! ألا توجد طريقة لإحياء الصبي أفضل هذه...؟

رد شبهة : نبي يشتهي طفلة فوق الفطيم !

قالوا : وصل الأمر برسول المسلمين أنه أشتهى طفلة فوق الفطيم ، وأراد أن يتزوجها ! فهل هذا الفعل من أخلاق النبوة ؟!

الحديث في مسند أحمد باقي مسند الأنصار حديث أم الفضل بن عباس 25636 حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عِكْرِمَةَ - مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ عَبَّاسٍ وَهِيَ فَوْقَ الْفَطِيمِ قَالَتْ فَقَالَ: "لَنْ بَلَغَتْ بَنِيَّةُ الْعَبَّاسِ هَذِهِ وَأَنَا حَيٌّ لَا تَزَوِّجُهَا".

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذه الرواية ضعيفة الإسناد كما قال المحققون فيما يلي:

1- قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على هذا الحديث في مسند أحمد: إسناده ضعيف ؛ حسين بن عبد الله وهو ابن عبيد الله بن عباس - ضعيف .

2- قال الشيخ حسين سليم أسد في تخريجه لمسند أبي يعلى حديث برقم 7075 إسناده ضعيف جداً .

ثانياً : إنني افترض صحة الرواية وأقول : إن القارئ للحديث قراءة متأنية لن يجد فيه ما افتراه المعترضون على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ! ولن يجد أنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اشتهى رضيعاً كما زعموا ! بدليل أنه تكلم عن زواج بها حال البلوغ يعني: بعد (عشرة أو خمس عشرة سنة) مثلاً.

وإنما قال ذلك تكرمة للعباس ، وعليه فإن هذا الافتراء ليست من الحديث الذي بين أيدينا ؛ وإنما هو من بنات أفكارهم العفنة التي تريد الطعن في هذا الرسول المكرم ؛ فالنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تزوج بنت الصديق ، وبنت الفاروق ليقربهم منه أكثر ، والعباس كان له مكانة من رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأراد النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يقربه منه أكثر بتلك الكلمات لا أكثر.

فقال النبي ﷺ : " لَنْ بَلَغَتْ بُنَيَّةُ الْعَبَّاسِ هَذِهِ وَأَنَا حَيٌّ لَأَتَزَوَّجَهَا " .

إذا : لم يشتهيها وهي فوق الفطيم كما قالوا ، ولكن لو بلغت وأصبحت امرأة كاملة النضج والرسول ﷺ حي لتزوجها ، وبالتالي لا يوجد أدنى شبهة في ذلك؛ بل هذا دليل علي حب النبي ﷺ للعباس ؛ حتى يعلمه مكانته عنده ، وفيه أيضاً دليل على أن النبي لم يتزوج من عائشة وهي طفلة كما زعموا فحاشاه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يتزوج من طفلة؛ فالرواية التي معنا تتحدث عن حال بلوغ بنت العباس ، هذا على فرض صحتها ، فالرواية لا تصح البتة كما تقدم معنا.

ثالثاً: إن الكتاب المقدس نسب لنبيّ الله موسى - عليه السلام - أنه أمر أتباعه أن يقتلوا كل ذكرٍ من الأطفال، وكل امرأةٍ عرفت رجلاً وضاجعته....إلا الأطفال من النساء ... وذلك بعد أن يأخذوا السبيّ؛ جاء ذلك في سفر العدد إصحاح 31 عدد 17¹⁷ فالآن اقتلوا كلَّ ذكرٍ من الأطفال. وكلَّ امرأةٍ عرفت رجلاً بمُضاجعةٍ ذكرٍ اقتلوا. 18¹⁸ لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مُضاجعةَ ذكرٍ أبقوهنَّ لكم حيّاتٍ.

قلتُ: إن هناك أسئلة تفرض نفسها علينا بعد قراءة هذا النص: 18:31 لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مُضاجعةَ ذكرٍ أبقوهنَّ لكم ! هي :

1- لماذا أبقي موسى - عليه السلام - لهم جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مُضاجعةَ ذكرٍ حيّاتٍ لهم بعد سبيهن.... ؟!

2- ماذا يفعل جيش من الرجال بأطفال من البنات اللواتي وقعن في السبي ؟!

3- أسألهم كسؤالهم : هل هذا الفعل من أخلاق النبوة....؟!

4- هلّا طعنوا في ذلك النص كما طعنوا في حديثٍ أشكل عليهم فهمه ، ولا نؤمن بما جاء فيه.....؟!

رد شبهة : نبيّ يضطجع في قبر ميتة !

أثيرت شبهةٌ حول النبيّ ﷺ ليطعنوا بها في أخلاقه ﷺ من خلالها ؛ قالوا : لقد مارس نبيُّكم الجنس مع امرأةٍ ميتةٍ وهي فاطمة بنت أسد !

استدلوا على ذلك برواية عند الطبراني في معجمه الكبير باب (الفاء) فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب برقم 20324 حدثنا أحمد بن حماد بن زغبة، حدثنا روح بن صلاح، حدثنا سفيان الثوري، عن عاصم الأحول، عن أنس بن مالك، قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب، دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها، فقال : رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، وتشبعيني وتعرين، وتكسيني، وتمنعين نفسك طيباً، وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة، ثم أمر أن تغسل ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكب رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه، فآلبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد، وأبا أيوب الأنصاري، وعمر بن الخطاب، وغلاماً أسود يحفرون فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ : فاضطجع فيه، ثم قال : الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين وكبر عليها أربعاً، وأدخلوها اللحد هو والعباس، وأبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنهم - .

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذا الحديث الذي استدل به المعترضون على افتراءهم لا يصح ؛ وهذا يظهر لنا مدى حقدهم وكراهيتهم لنبينا - صلى الله عليه وسلم - ولنا أيضاً بالقاء الشبهات دون تثبت.... فهذا الحديث ضعفه المحققون من كل طرقه، وأكتفي بتحقيق الألباني -رحمه الله-

نقلًا عن السلسلة الضعيفة برقم 23 قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (1 / 79) :
ضعيف . رواه الطبراني في " الكبير " (24 / 351 . 352) و " الأوسط " (1 / 152 .
الرياض) ، و من طريقه أبو نعيم في " حلية الأولياء " (3 / 121) : حدثنا 153
أحمد بن حماد بن زغبة قال روح بن صلاح قال : حدثنا سفيان الثوري عن عاصم

الأحول و من طريقه أبو نعيم في " حلية الأولياء " (3 / 121) عن أنس بن مالك قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي - رضي الله عنهما - ... دعا أسامه بن زيد و أبا أيوب الأنصاري و عمر بن الخطاب و غلاما أسود يحفرون ... فلما فرغ ، دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاضطجع فيه فقال ... فذكره ، و قال الطبراني : تفرد به روح بن صلاح

وعليه: بطلت تلك الفرية التي تدل على جهلهم ، وسوء ظنهم بالله و رسوله وتفكيرهم باستمرار على نحو شاذ حاقق يفتقر للمنطقية كثيرا ؛ بسبب غلبة الحق والغل على الفكر ...

ثانياً : إن هذا الحديث رُغم ضعفه فيه دليل جيد على خلق عظيم من أخلاق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، خلق الوفاء الذي تواتر النقل عنه - صلى الله عليه وسلم - بهذا الخلق الحميد الفريد ، ويتضح ذلك من خلال ذكرنا متن هذا الحديث من أصح طريق جاء منه الحديث وهو عند الطبراني في معجمه الكبير وهو من طريق روح بن صلاح عن سفيان الثوري عن عاصم الأحول عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال : لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدَ بْنِ هَاشِمٍ أُمُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهَا ، فَقَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أُمِّي ، كُنْتُ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي ، وَتُشَبِّعُنِي وَتَعَرِّينِي ، وَتُكْسِنُنِي ، وَتَمْنَعُنِي نَفْسَكَ طَيِّبًا ، وَتُطْعِمُنِي تَرِيدِينَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تَغْسَلَ ثَلَاثًا ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَاءُ الَّذِي فِيهِ الْكَافُورُ سَكَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ ، ثُمَّ خَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَمِيصَهُ ، فَالْبَسَهَا إِيَّاهُ وَكَفَّنَهَا بِبِرْدٍ فَوْقَهُ ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وَأَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ ، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وَغُلَامًا أَسْوَدَ يَحْفَرُونَ فَحَفَرُوا قَبْرَهَا ، فَلَمَّا بَلَغُوا اللَّحْدَ حَفَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ ، وَأَخْرَجَ تَرَابَهُ بِيَدِهِ ، فَلَمَّا فَرَّغَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : فَاضْطَجَعَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، اغْفِرْ لَأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتُ أَسَدَ ، وَلَقِّنْهَا حُجَّتَهَا ، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مَدْخُلَهَا ، بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي ، فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا ، وَأَدْخَلُوهَا اللَّحْدَ هُوَ وَالْعَبَّاسُ ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ .

نجد أن في هذا الحديث خلق الوفاء متجسداً في شخص رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حيث يقول في أول الحديث: " يَا أُمِّي، كُنْتُ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي، وَتُشَبِّعُنِي وَتَعَرِّينِ، وَتُكْسِنُنِي، وَتَمْنَعُنِ نَفْسَكَ طَيِّبًا، وَتُطْعِمُنِي تَرِيدِينَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالْدارَ الْآخِرَةَ "؛ فرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعترف بجميل هذه المرأة الفاضلة- رضي الله عنها - حيث إنها كانت تُجِيع نفسها وتطعمه ، وتعري نفسها وتكسوه ، وتمنع عن نفسها ملذات الحياة وطيبها وتوفره لخير خلق الله محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فعلم الله أن العين تكاد تدمع من خلق هذه السيدة الفاضلة ،ومن وفاء هذا الوفي محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . ثم أثنى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عليها خيراً فبين أنها لم تفعل ذلك طمعا في شيء من الدنيا أو ليقال عنها إنها حنونة أو نحو ذلك ؛ وإنما بين المعصوم- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنها فعلت ذلك تبتغي به وجه الله والدار الآخرة، فانظر- أيها القارئ -إلى وفاء رسول الله محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأراد أن يصنع لها شيئا قد يكون مكافئا لصنيعها... وهذا الشيء هو ما أسيء فهمه من المعترضين- قبحهم الله- !

فعل كما في هذا الحديث الصريح " فَحَفَرُوا قَبْرَهَا، فَلَمَّا بَلَغُوا اللَّحْدَ حَفَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ، وَأَخْرَجَ تُرَابَهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : فَاضْطَجَعَ فِيهِ " ألا لعنة الله على الظالمين !

إن كل ما في الأمر أنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إنما أضجع في القبر ، وإضجاعه في القبر هذا إنما هو بركة لأمه فاطمة بنت أسد ؛ فإن النار لا تشتعل في قبر أضجع فيه خير الأنام محمد - عليه الصلاة والسلام - . وليس في الحديث أي مطعن بفضل الله ، فقد كان فعله هذا أمام مرأى ومسمع من الناس ؛ الذين حزنوا لحزنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، هذا بفرض صحة الرواية التي لا تصح البتة...

رابعاً : إنني أتساءل عدة أسئلة من خلالها تنسف الشبهة نسفاً- إن شاء الله - هي:

1- أين نجد في هذا الحديث الضعيف أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جامعها وهي ميتة ، أو مارس معها الجنس وهي ميتة؟!

الجواب : لا يوجد هذا في تلك الروايات، ولا في غيرها بل هو موجود في عقولهم المريضة فقط ! بل نجده - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يدخل قبرها ، ويضع فيه ويدعو لها ليخفف عنها عذاب القبر، ويدعو لها بالرحمة والمغفرة....

2- هل الذي يزني بامرأة يتضرع إلى الله تعالى بالدعاء ؛ وهو يزني يقول: " اللَّهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، اغْفِرْ لَأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدَ، وَلَقَتْنَهَا حُجَّتَهَا، وَوَسَّعَ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا، بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي، فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ " ؟!

3- لو كان الأمر كما زعموا هل سيفعل ذلك - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أمام الناس والصحابة بما فيهم ابنها عليّ ويسكتون عنه ؟!

4- من من علماء المسلمين قال بقول المعتزتين؟!

وبالنظر إلى بقية الروايات أيضاً يتضح صدق ما ذكرته - بفضل الله تعالى - فيما يلي:

1- جاء عند الطبراني في الأوسط برقم 195 حدثنا أحمد بن حماد بن زغبة قال : حدثنا روح بن صلاح قال : حدثنا سفيان الثوري ، عن عاصم الأحول ، عن أنس بن مالك قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي ، دخل عليها رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فجلس عند رأسها ، فقال : " رحمك الله يا أُمِّي ، كنت أُمِّي بعد أُمِّي ، تجوعين وتشبعيني ، وتعرين وتكسونني ، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني ، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة " . ثم أمر أن تغسل ثلاثاً وثلاثاً ، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور ، سكبها عليها

رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بيده ، ثم خلع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قميصه فألبسها إياه ، وكفنت فوقه ، ثم دعا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أسامة بن زيد ، وأبا أيوب الأنصاري ، وعمر بن الخطاب ، وغلاما أسود يحفروا ، فحفروا قبرها ، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بيده ، وأخرج ترابه بيده . فلما فرغ ، دخل رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فاضطجع فيه ، وقال : " الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقتها حجتها ، ووسع عليها مدخلها ، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ، فإنك أرحم الراحمين " . ثم كبر عليها أربعاً ، ثم أدخلوها القبر ، هو والعباس ، وأبو بكر الصديق - رضي الله عنهم - لم يرو هذا الحديث عن عاصم الأحول إلا سفيان الثوري ، تفرد به : روح بن صلاح .

نلاحظ: أنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دخل القبر ، فاضطجع فيه ، وقال : « الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقتها حجتها ، ووسع عليها مدخلها ، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ، فإنك أرحم الراحمين » سبحانه الله ! والله إنه الوفاء والرحمة.

2- جاء في معرفة الصحابة لأبي نعيم برقم 7139 حدثنا أبو بكر بن خالد ، حدثنا محمد بن غالب ، حدثنا الحسن بن بشر ، حدثنا سعدان بن الوليد ، بياع السابري ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : لما ماتت فاطمة أم علي رضي الله عنه نزع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قميصه فألبسها إياه ، فلما سوى عليها التراب قال أصحاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : رأيناك صنعت شيئاً ما رأيناك صنعت بأحد ، قال : « إني ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة ، واضطجعت في قبرها ليخفف عنها عذاب القبر » رواه

روح بن صلاح ، عن سفيان الثوري ، عن عاصم الأحول ، عن أنس مثله حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أحمد بن حماد بن زغبة ، حدثنا روح بن صلاح به .

نلاحظ: أنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: " إني ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة ، واضطجعت في قبرها ليخفف عنها عذاب القبر " ويدعو في قبرها لها بالرحمة والنعم كما جاء في الرواية السابقة ..

وصدق الله إذ يقول عن نبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " (الأنبياء 107).

ويقول سبحانه عن نبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } (التوبة 128) .

خامساً: إن في عصرنا هذا أناساً وجدناهم إذا ماتت أمهاتهم يدخلون القبر ، ويضعون فيه ، ولا يريدون الخروج منه ، والناس يتوسلون إليهم أن يخرجوا ولكن هيهات ، ألم يحدث ذلك عند المقابر؟ الجواب: بلى حدث، ويبقى السؤال الذي يفرض نفسه هو هل هذا يسمى بممارسة الجنس مع الميتة ، أم يسمى بقمة الوفاء والحب للميتة ؟! هذا هو . لكن المعارضين يريدون أن يشوهوا صورة كل ما هو جميل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

سادساً: إن المعارضين يغفلون عما جاء في الكتاب المقدس من زنا المحارم لبعض أنبياء الله، ويغفلون عن نصوص الاضطجاع الحقيقي الذي هو راسخ في أذهانهم، وذلك في عدة مواضع من الكتاب المقدس منها:

1- لوط سكر، وزنا مع بنتيه (زنا محارم) ، وذلك في سفر التكوين إصحاح 19 عدد³⁰ وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ.³¹ وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الْأَرْضِ». ³² هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعْ مَعَهُ، فَنَحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلًا». ³³ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا. ³⁴ وَحَدَّثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدْ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسَقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنَحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلًا». ³⁵ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا، ³⁶ فَحَبِلَتْ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا.

3- سفر التكوين إصحاح 26 عدد¹⁰ فَقَالَ أَبِيمَالِكُ: «مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِنَا؟ لَوْلَا قَلِيلٌ لَاضْطَجَعَ أَحَدُ الشَّعْبِ مَعَ امْرَأَتِكَ فَحَبِلَتْ عَلَيْنَا ذَنْبًا».

4- سفر التكوين إصحاح 34 عدد² فَرَأَاهَا شَكِيمُ ابْنُ حَمُورَالْحَوِيِّ رَئِيسِ الْأَرْضِ، وَأَخَذَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَأَذَلَّهَا.

5- سفر التكوين إصحاح 35 عدد²² وَحَدَّثَ إِذْ كَانَ إِسْرَائِيلُ سَاكِنًا فِي تِلْكَ الْأَرْضِ، أَنَّ رَأُوبِينَ ذَهَبَ وَاضْطَجَعَ مَعَ بِلْهَةَ سُرِّيَّةِ أَبِيهِ، وَسَمِعَ إِسْرَائِيلُ.

5- سفر صموئيل الثاني إصحاح 12 عدد¹⁰ وَالْآنَ لَا يَفَارِقُ السَّيْفُ بَيْنَكَ إِلَى الْأَبَدِ، لِأَنَّكَ احْتَقَرْتَنِي وَأَخَذْتَ امْرَأَةً أَوْرِيًّا الْحَيِّيَّ لَتَكُونَ لَكَ امْرَأَةً. ¹¹ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَآنَذَا أُقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْنِكَ، وَأَخَذُ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأُعْطِيهِنَّ لِقَرِيبِكَ، فَيَضْطَجِعُ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هَذِهِ الشَّمْسِ. ¹² لِأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ بِالسَّرِّ وَأَنَا أَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ قُدَّامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَقُدَّامَ الشَّمْسِ» تلك النصوص عن نبي الله داود !

قلتُ : إن النصوص التي ذكرتها نبيراً إلى الله تعالى منها ؛ فلا نؤمن بها ، وليتهم يجيبوننا عنها فهم يؤمنون بها ؟!

رد شبهة : قصة الفتاة الفزارية مع رسول الإسلام .

قال أحدهم في إحدى الفضائيات : إن رسول الإسلام محمد أخذ الفتاة الفزارية لنفسه كي يتمتع بها ... من سلمة بالتهديد قائلاً له : لله أبوك ، ومعناها : أني سأقتل أبوك وسوف يكون في ذمة الله إن لم تعطني هذه الفتاة...

ثم قال : جاء ذلك في البداية والنهاية لابن كثير (ج 4 / ص 251) : سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة قال الإمام أحمد: حدثنا بهز ثنا عكرمة بن عمار، ثنا أياس بن سلمة، حدثني أبي قال : خرجنا مع أبي بكر بن أبي قحافة وأمره رسول الله ﷺ علينا فغزونا بني فزارة، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشئنا الغارة فقتلنا على الماء من مر قبلنا، قال سلمة : ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه من الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو في آثارهم فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فرميت بسهم فوقهم بينهم وبين الجبل، قال: فجئت بهم

أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتيته على الماء وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع من آدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب، قال فنفلني أبو بكر بنتها، قال فما كشفت لها ثوباً حتى قدمت المدينة ثم بت فلم اكشف لها ثوباً، قال فلقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال لي " يا سلمة هب لي المرأة " قال : فقلت : والله يا رسول الله لقد أعجبني وما كشفت لها ثوباً، قال : فسكت رسول الله ﷺ وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال : " يا سلمة هب لي المرأة " قال: فقلت: يا رسول الله والله لقد أعجبني وما كشفت لها ثوباً، قال: فسكت رسول الله ﷺ وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني

رسول الله ﷺ في السوق فقال : " يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك " قال : قلت : يا رسول الله ما كشفت لها ثوبا وهي لك يا رسول الله.

الرد على الشبهة

أولاً: إن المعارض أخفى تنمة القصة المذكورة في البداية والنهاية ففيها الآتي: فقال " يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك " . قال: قلت : يا رسول الله ، والله ما كشفت لها ثوبا وهي لك يا رسول الله ، قال بعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله ﷺ بتلك المرأة ، وقد رواه مسلم والبيهقي من حديث عكرمة بن عمار به.

إذا : النبي ﷺ لم يأخذها لنفسه كما ادعى المعارض المدلس ، وإنما أخذها لتحرير أسرى من المسلمين كانوا في مكة ... يدل على ذلك ما جاء في صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب التَّنْفِيلِ وَفِدَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَسَارِيِّ برقم 3299 عن سلمة قال: غَزَوْنَا فِزَارَةَ وَعَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ أَمْرُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا فَلَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ سَاعَةً أَمَرَنَا أَبُو بَكْرٍ فَعَرَسَنَا ثُمَّ شَنَّ الْغَارَةَ فَوَرَدَ الْمَاءَ فَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ عَلَيْهِ وَسَبَى وَأَنْظَرُ إِلَى عُنُقِ مَنْ النَّاسِ فِيهِمْ الدَّرَارِيُّ فَخَشِيتُ أَنْ يَسْبِقُونِي إِلَى الْجَبَلِ فَرَمَيْتُ بِسَهْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَبَلِ فَلَمَّا رَأَوْا السَّهْمَ وَقَفُوا فَجَنَّتْ بِهِمْ أَسْوَقُهُمْ وَفِيهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ عَلَيْهَا قَشْعٌ مِنْ أَدَمٍ قَالَ الْقَشْعُ النَّطْعُ مَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا مِنْ أَحْسَنِ الْعَرَبِ فَسَقَتَهُمْ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِمْ أَبَا بَكْرٍ فَنَقَلَنِي أَبُو بَكْرٍ ابْنَتَهَا فَقَدَمْنَا الْمَدِينَةَ وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا فَلَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي السُّوقِ فَقَالَ: يَا سَلْمَةُ هَبْ لِي الْمَرْأَةَ . فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْجَبْتَنِي وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا ثُمَّ لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْغَدِ فِي السُّوقِ فَقَالَ لِي يَا سَلْمَةُ هَبْ لِي الْمَرْأَةَ لِلَّهِ أَبُوكَ فَقُلْتُ هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَوَاللَّهِ مَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا فَبِعْتُ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَفَدَى بِهَا نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا أُسْرُوا بِمَكَّةَ .

نلاحظ من الحديث ما يلي :

1- إن الإمام النووي ذكر الحديث المتعلق بالفتاة الفزارية تحت باب : (التَّغْيِيلُ وَفِدَاءُ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَسَارَى).

2- رواية مسلم بها: " فَبَعَثَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَفَدَى بِهَا نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا أُسْرُوا بِمَكَّةَ ".

ثانياً: إن معنى لله أبوك : ليس معناها أنني أقتل أبوك وسوف يكون في ذمة الله.... لكنها كلمة مدح وثناء ...

دليل ذلك ما جاء في كتب اللغة، وكتب شروح الحديث منها:

2- لسان العرب لابن منظور (ج 15/ ص 417) : وفي الحديث لله أبوك قال ابن الأثير إذا أُضِيفَ الشيء إلى عظيم شريف اكتسب عظمةً وشرفاً كما قيل بيتُ الله وناقتهُ الله فإذا وُجدَ من الولد ما يحسن موقعه ويحمد قيل لله أبوك في معرض المدح والتعجب أي أبوك لله خالصاً حيث أنجب بك وأتى بمثلك . اهـ

3- المعجم الوسيط (ج 1/ ص 7) : و يقال لله أبوك في معرض المدح و التعجب و بأبي أنت أفديك بأبي و يقال لا أب له في مواضع التعجب و الحث و الزجر .

اهـ

3- قال النووي في شرحه لمسلم (ج1/ ص 268) : قَوْلُهُ : (لَلَّهِ أَبُوكَ) : كَلِمَةٌ مَدْحٌ تَعْتَادُ الْعَرَبُ التَّنَاءُ بِهَا فَإِنَّ الْإِضَافَةَ إِلَى الْعَظِيمِ تَشْرِيفٌ ، وَلِهَذَا يُقَالُ بَيْتُ اللَّهِ . قَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ : فَإِذَا وَجِدَ مِنَ الْوَلَدِ مَا يُحَمَدُ قِيلَ لَهُ لَلَّهِ أَبُوكَ حَيْثُ أَتَى بِمِثْلِكَ . اهـ وعليه فإن ما سبق يبين للقارئ مدى كذب وتدليس المعترض على البسطاء....

رد شبهة : نبي يزني مع أمتة (مارية القبطية) !

من الشبهات التافهة التي نسمعها من بعضهم ، ونقروها في مقالاتهم أن نبينا ﷺ زنا مع مارية القبطية...! واستدلوا على ذلك بما جاء في الآتي :

1- تفسير قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (التحریم 1) .

جاء في تفسير الجلالين ما نصه : { يا أيها النبي لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ } من أمتك مارية القبطية لما واقعها في بيت حفصة ، وكانت غائبة فجاءت وشق عليه كون ذلك في بيتها وعلى فراشها حيث قلت : هي حرام علي { تَبْتَغِي } بتحريمها { مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ } أي: رضاهن { وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } غفر لك هذا التحريم . اهـ

2- سنن البيهقي كتاب (الخلع و الطلاق) باب (من قال لأمتة أنت علي حرام) أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرٍ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ قَتَادَةَ أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ النَّضْرِيُّ الْهَرَوِيُّ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ نَجْدَةَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ أَخْبَرَنَا عُبَيْدَةُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَجُوبِيرٍ عَنِ الضَّحَّاكِ : أَنَّ حَفْصَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَارَتْ أَبَاهَا ذَاتَ

يَوْمٍ وَكَانَ يَوْمَهَا فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَرَهَا فِي الْمَنْزِلِ فَأَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ مَارِيَةَ الْقُبْطِيَّةِ فَأَصَابَ مِنْهَا فِي بَيْتِ حَفْصَةَ فَجَاءَتْ حَفْصَةُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَفْعَلُ هَذَا فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي قَالَ : « فَإِنَّهَا عَلَى حَرَامٍ لَا تَخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا ». فَأَنْطَلَقَتْ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا بِذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي كِتَابِهِ : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) إِلَى قَوْلِهِ : (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) فَأَمَرَ أَنْ يُكْفَرَ عَنْ يَمِينِهِ وَيُرَاجَعَ أُمُّهُ. وَبِمَعْنَاهُ ذَكَرَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ مُرْسَلًا.

الرد على الشبهة

أولاً: إن الأدلة التي استدلو بها علي شبهتهم السخيفة لا تصح أصلاً عند أهل التحقيق ، وذلك للاتي :

1- أبدأ بالحديث الذي استدلو به عند البيهقي ففيه أن البيهقي نفسه حكم علي حديث مثله قائلاً : وَبِمَعْنَاهُ ذَكَرَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ مُرْسَلًا. أي: ضعيف ؛ لأن الحديث المرسل من أقسام الحديث الضعيف في الغالب ، ولم يحكم علي هذا الحديث ، ولما طالعتُ بقية الروايات وجدتُها مرسله أي : منقطعة السند من الأعلى ، وبالتالي لا يُقام عليها حجة

-2

3- جاء في شرحِ صحيحِ مسلمٍ للنووي في شرح حديث رقم 2694 قال القاضي عياض : كَمَا أَنَّ الصَّحِيحَ فِي سَبَبِ نَزُولِ الْآيَةِ أَنَّهَا فِي قِصَّةِ الْعَسَلِ لَا فِي قِصَّةِ مَارِيَةِ الْمَرْوِيِّ فِي غَيْرِ الصَّحِيحِينَ وَلَمْ تَأْتِ قِصَّةُ مَارِيَةَ مِنْ طَرِيقِ صَحِيحٍ. اهـ

نلاحظ : قوله - رحمه الله - : " لَمْ تَأْتِ قِصَّةُ مَارِيَةَ مِنْ طَرِيقِ صَحِيحٍ " .

وأما عن أسباب نزول الآية الكريمة فلها سببان:

الأول : ضعيف ؛ وهو الذي تقدم معنا : حديث البيهقي ، وما جاء في بعض كتب التفسير، مثل : الجلالين ، وابن كثير ، وأسباب النزول للواحدي النسيابوري.... من وطء النبي ﷺ لمارية في بيت حفصة...

والثاني : صحيح ؛ وهو في قصة العسل المغاير، في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما ، ففي صحيح البخاري برقم 4862 عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنْ أَيْتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقَلَ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَايِرَ أَكَلْتَ مَغَايِرَ؟ فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ. فَقَالَ: لَا بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ لَهُ فَنَزَلَتْ: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَتُوبَ إِلَى اللَّهِ } لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ: { وَإِذْ أَسْرَى النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ } لِقَوْلِهِ: " بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا " .

وبالتالي يبقى هناك سؤال يفرض نفسه علينا هو : أماننا سببين للنزول في موضعين:

الأول : في سنن البيهقي ، وحُكْمُ عليه بالضعف كما تقدم

الثاني : في صحيح البخاري ومسلم .

أيها نقبله ؟

الجواب : نقبل ما جاء في صحيح البخاري ومسلم.

وعليه تنتهي الشبهة مع اعتقادي الجازم أنه قد يكون للآية الواحدة في كتاب الله أكثر من سبب للنزول .

ثانياً : إن عنوان الشبهة باطلٌ من أساسه، لماذا ؟ لأنني لو افترضت جدلاً صحة رواية وطء النبي لمارية في بيت حفصة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - هذا لاشيء فيه ؛ لأن الله ﷻ أحلها له ، وهي أم ولده إبراهيم ، والله يقول في كتابه المجيد عن المؤمنين : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ (المؤمنون) .

جاء في تفسير الجلالين : { إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ } أي: من زوجاتهم { أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ } أي: السراري { فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ } في إتيانهم . اهـ

فمارية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - من السراري (ملك اليمن) التي أحلها الله لنبيه ﷺ .
وعليه فإن عنوان الشبهة باطل من أساسه كما تقدم معنا .

وَأُتْسَاعِلُ : من قال من المشركين أو من المنافقين في زمانه ﷺ بأنه ﷺ زنا بمارية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ؟!

الجواب : لم يقل بذلك أحدٌ قط إلا المعترضون فقط ، وبالتالي فهذه شبهة نابعة من خيالٍ مريضٍ

ثالثاً : إن هناك سؤالاً يفرض نفسه علي المعترضين هو: هل لو زنا النبي ﷺ - وحاشاه ذلك - هل هذا مطعن في نبوته بالنسبة لمعايير النبوة في الكتاب المقدس ؟!
الجواب : لا، بحسب معايير النبوة في الكتاب المقدس ؛ لأن بعض الأنبياء فيه متصفون بالزنا فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد فيه الآتي :

1- النبي داود زنا بزوجة أوريا ألحي وقتله غدرًا وحيلة ؛ وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 11 عدد 1-27.

2- النبي لوط زنا ببنااته والقصة واردة كاملة في سفر التكوين إصحاح 19 عدد 30-38 .

قلتُ : إننا لا نصدق ذلك أبدًا ؛ فهم أنبياء مكرمون أسوة للناس اصطفاهم الله من خلقه ... وهذه الإساءات أضيفت لهم زورا وبهتاناً.....

رد شبهة : نبي تهب له النساء أنفسهن له !

قالوا : لقد ذكر القرطبي في تفسيره أن من خصائص الرسول أنه إذا وقع بصره على امرأة وجب على زوجها طلاقها ، وأن يتزوجها النبي ، وكذلك المرأة كانت تهب نفسها للرسول أليس هذا زنا ؟!

تعلقوا بقول الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ

مَنْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ (الأحزاب 50) .

الرد على الشبهة

أولاً: إن جهلَ المعترضين البينَّ سولَ لهم أن المرأة إذا وهبت نفسها للنبيِّ أن ذلك زنا !....

فكان عليهم أن يسألوا بتأدب فيقولون مثلاً : ما معنى أن تهب المرأة نفسها للرسول ﷺ؟
هكذا يكون السؤال حتى أقوم بتعليمهم ، وأوضح لهم ما خفي عنهم، وعلى كلِّ ليس بعد الكفرِ ذنب....

قلتُ : هو زواج من غير مهر؛ يتزوج النبيُّ ﷺ المرأة التي تريد الزواجَ منه زواجاً كاملاً بكلِّ شروطه : إيجاب وقبول ، وشاهدان ، وإشهار ، وموافقة الوالي ؛ فيما عدا المهر فقط ، وهذا ما أجمع عليه المفسرون ولم يقل أحدٌ قط إنه زنا ، إلا المعترضون من هذا القرن

تدلُّ ما على ما سبق كتبُ التفاسير منها:

1- التفسير الميسر : يا أيها النبي إنا أبحنا لك أزواجك اللاتي أعطيتهن مهورهن , وأبحنا لك ما مَلَكَتْ يمينك من الإماء , مما أنعم الله به عليك , وأبحنا لك الزواج من بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك , وأبحنا لك امرأة مؤمنة مَنَحَتْ نفسها لك من غير مهر , إن كنت تريد الزواج منها خالصة لك , وليس لغيرك أن يتزوج امرأة بالهبة . قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين في أزواجهم وإمائهم ألا يتزوجوا إلا أربع نسوة , وما شاؤوا من

الإماء، واشترط الولي والمهر والشهود عليهم، ولكننا رخصنا لك في ذلك ،
ووسّعنا عليك ما لم يُوسّع على غيرك؛ لنلا يضيق صدرك في نكاح من نكحت
من هؤلاء الأصناف. وكان الله غفوراً لذنوب عباده المؤمنين، رحيماً بالتوسعة
عليهم . اهـ

2- تفسير الجلالين : { وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها
{ يطلب نكاحها بغير صداق { خالصة لك من دون المؤمنين } النكاح بلفظ الهبة من
غير صداق. اهـ

ثانياً : إن الملاحظ من الآية الكريمة التي تقول : ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي
إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ . أن (إن) جاءت مرتين.

إن أداة شرطية تفيد بُعد حدوث الفعل : ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ﴾ أي : لو
أرادت أن تتزوج من النبي ﷺ بغير مهر ﴿ إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من
دون المؤمنين ﴾ .

بمعني : لو أحب النبي ﷺ ذلك ، وذلك لم يحدث قط أنه وافق وتزوج بزواج الهبة كما
قال ابن عباس - رضي الله عنهما - و بعض المحققين من أهل العلم كما ستقدم معنا -
إن شاء الله ﷻ .

إن قيل : إن هناك حديثين ينفيان ما ذكرت:

الأول : صحيح البخاري برقم 4414 عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: كُنْتُ أَغَارُ
عَلَى اللَّاتِي وَهَبَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَقُولُ: أَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا ؟ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ

تَعَالَى : { تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ } قُلْتُ: مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ.

الثاني : صحيح البخاري برقم 4721 عن هشام عن أبيه قال: كَانَتْ خَوْلَةٌ بِنْتُ حَكِيمٍ مِنَ اللَّائِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَمَا تَسْتَحْيِ الْمَرْأَةَ أَنْ تَهَبَ نَفْسَهَا لِلرَّجُلِ فَلَمَّا نَزَلَتْ: { تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ } قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : " مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ " .

قُلْتُ : إن ظاهر الحديثين أن الواهبات كثر ، وأن منهم خَوْلَةٌ بِنْتُ حَكِيمٍ ؛ فليس معنى أنهن وهبن أنفسهن للنبي ﷺ أن النبي ﷺ قبل منهن وتزوجهن زواج الهبة بل كان يرفض ﷺ ؛ تدلل على ذلك أدلة منها :

1- تفسير القرطبي : عن ابن عباس أنه قال: لم تكن عند رسول الله ﷺ امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين . فأما الهبة فلم يكن عنده منهن أحد . اهـ

2- قال ابن حجر في الفتح : حَدِيثُ سَمَاكِ عَنْ عُرْمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : " لَمْ يَكُنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ امْرَأَةٌ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ " أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ بِوَاحِدَةٍ مِمَّنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا لَهُ لِأَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى إِرَادَتِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا) . اهـ

قُلْتُ : يدل على ما سبق ؛ ما ثبت في صحيح البخاري برقم 4641 عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنَّهَا قَدْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ فَقَالَ : ﷺ " مَا لِي فِي النِّسَاءِ مِنْ حَاجَةٍ " . فَقَالَ رَجُلٌ زَوْجُهَا : قَالَ :أَعْطَاهَا ثَوْبًا . قَالَ : لَا أَجِدُ . قَالَ :أَعْطَاهَا وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ فَأَعْتَلَّ لَهُ . فَقَالَ : مَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : كَذَا وَكَذَا . قَالَ : "فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ " .

نلاحظ : أن محمداً ﷺ كان يرفض زواج الهبة ، ويُزوج الواهبةَ لغيره كما يذكر الحديث....

ثالثاً : إن الإجابة على الشق الأول من سؤالهم الذي يقول: لقد ذكر القرطبي في تفسيره قائلاً : إذا وقع بصره على امرأةٍ وجب على زوجها طلاقها، وحل له نكاحها. قال ابن العربي: هكذا قال إمام الحرمين ، وقد مضى ما للعلماء في قصة زيد من هذا المعنى. اهـ

قلتُ : إن هذا كلام باطل لا دليل عليه ، وهذا لم يحدث في حياة النبي ﷺ قط ، وأما عن قصة زيد بن حارثة التي فيها (سبحان مقلب القلوب)... فهي منكرة عند أهل التحقيق ، ولا يعترف بها المسلمون ، وأقول: القرطبي وابن العربي وغيرهما أحباء إلى قلوبنا ؛ ولكن الحق أحب إلينا منهما - رحمهما الله -.

وأما ما يفهم من قول القرطبي : " وقد مضى ما للعلماء في قصة زيد من هذا المعنى " هو : أنه لا يوافق على هذه الخصية ؛ لأن العلماء تكلموا في ضعفها ، ولأن المتأمل في تفسير الآية له يجده يرفض الروايات التي فيها (سبحان مقلب القلوب) .

بل توجد أدلة تنفي هذه الخصية عن رسول الله ﷺ منها :

1- قوله ﷺ : " لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (52) " (الأحزاب).

2- مسند أحمد برقم 17337 عن كبشة الأنماري قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ وَقَدْ اغْتَسَلَ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ : قَدْ كَانَ شَيْءٌ ؟ قَالَ : " أَجَلٌ

مَرَّتْ بِي فُلَانَةٌ فَوَقَعَ فِي قَلْبِي شَهْوَةٌ النِّسَاءِ فَأَتَيْتُ بَعْضَ أَزْوَاجِي فَأَصْبَتُهَا فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا
فَإِنَّهُ مِنْ أَمَائِلِ أَعْمَالِكُمْ إِيْتَانُ الْحَلَالِ". صححه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم 235.

رابعاً: إن المتأمل في الأناجيل يجدها نسبت لیسوع المسيح أن امرأة زانية وهبت نفسها
له لتدهن جسده بالطيب ! فهل تزوجها بعد ذلك...؟ جاء بيان ما سبق في الآتي :

1- إنجيل متى إصحاح 26 عدد¹² فَإِنَّهَا إِذْ سَكَبَتْ هَذَا الطَّيِّبَ عَلَى جَسَدِي إِنَّمَا فَعَلْتُ
ذَلِكَ لِأَجْلِ تَكْفِينِي.!

قلتُ: إنني لم أطعن في نصوص كتابهم كما فعلوا، فأقول مثلاً : هل سكبت الطيب
على جسده بأكمله أو على جزء منه ...؟

2- إنجيل مرقس إصحاح 14 عدد⁸ عَمَلْتُ مَا عِنْدَهَا. قَدْ سَبَقْتُ وَدَهَنْتُ بِالطَّيِّبِ جَسَدِي
لِلتَّكْفِينِ.

وأتساءل : كيف يسمح لها يسوع بذلك ... ؟ ولماذا هذه المرأة بالذات (مريم المجدلية)؟ أم
أنه تزوجها بعد ذلك لما وهبت نفسها له هكذا... كما جاء ذلك في شفرة دفنشي ؛ ومما
يدل على ذلك كلام يسوع نفسه لها لاحقاً في إنجيل يوحنا إصحاح 20 عدد¹⁷ قَالَ لَهَا
يَسُوعُ: «لَا تَلْمِزِينِي لِأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي. وَلَكِنْ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ : إِنِّي
أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهُكُمْ». !

قلتُ : أما عن زواج المسيح ﷺ فلا إشكالية فيه ؛ لأننا لا نعلم عن كل حياته بتفصيل
لا في القرآن الكريم ، ولا في السنة المطهرة ، ولا في الأناجيل ؛ بل لفطرة السليمة تقول
بالزواج ، وأما كونه يسمح لامرأة أن تسكب الطيب على جسده ، وتدهن به جسده ففيه

الإشكالية ! فليت المعترضين يقومون بحلها ، ونحن لا نصدق ما نسب إلى المسيح ﷺ ،
مثل تلك النصوص.....

رد شبهة : رسول الإسلام يبذل الزوجات !

قالوا : كانوا في الجاهلية يبذلون الزوجات وهو نوع من أنواع الأنكحة المحرمة... ولكن
كان رسول الإسلام يبذل الزوجات بغية الاستمتاع... إلى أن جاء النهي في آخر حياته
بعدم تبديل الزوجات...

أدلتهم على ما سبق في الآتي :

1- صحيح البخاري كتاب (النكاح) باب (مَنْ قَالَ لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ لِقَوْلِ اللَّهِ
تَعَالَى: {فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ}) برقم 4732 عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ
ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ النَّكَاحَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ
الْيَوْمَ يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلَيْتَهُ أَوْ ابْنَتَهُ فَيُصَدِّقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا وَنِكَاحٌ آخَرُ
كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لَامْرَأَتِهِ إِذَا طَهَرَتْ مِنْ طَمَثِهَا أَرْسَلِي إِلَى فُلَانٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ
وَيَعْتَزِّلُهَا زَوْجَهَا وَلَا يَمْسُهَا أَبَدًا حَتَّى يَتَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ
مِنْهُ فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبَّ وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ
الْوَلَدِ فَكَانَ هَذَا النَّكَاحُ نِكَاحَ الْإِسْتِبْضَاعِ وَنِكَاحٌ آخَرُ يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ الْعَشْرَةِ
فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ
تَضَعَ حَمْلَهَا أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا
تَقُولُ لَهُمْ قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلَانُ تَسْمِي مِنْ
أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ فَيُلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ وَنِكَاحُ الرَّابِعِ يَجْتَمِعُ

النَّاسُ الْكَثِيرُ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ لَا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا وَهِنَّ الْبَغَايَا كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا وَدَعُوا لَهُمْ الْقَافَةَ ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ فَالْتَأَطَ بِهِ وَدَعِيَ ابْنَهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالْحَقِّ هَدَمَ نِكَاحَ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ الْيَوْمِ.

-2

3- قوله ﷺ : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾ (52) (الأحزاب).

-4

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذا محض افتراء وليس شبهة ... وعلى كل فهو أوهن من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ؛ لأربعة أوجه :

الوجه الأول : أن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بينت في الحديث أن هذا النكاح (الاستبضاع) كان في الجاهلية أي : قبل بعثة النبي ﷺ وذلك من قولها : أَنَّ النِّكَاحَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمِ يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلَيْتَهُ أَوْ ابْنَتُهُ فَيُصَدِّقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا.

الوجه الثاني : أن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بينت في الحديث أن النبي ﷺ لما بعث هدم هذه الانكحة وهي زوجته من أعلم الناس بحاله ﷺ وذلك لما قالت: فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالْحَقِّ هَدَمَ نِكَاحَ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ الْيَوْمِ.

الوجه الثالث : أن الآية الكريمة لا تتحدث عن تبديل الزوجات بأخريات ولكن المقصود هو التطلق ثم التزوج بغيرهن ... هكذا فهم علماء المسلمين ، ولم يقل أحد مثلما قال المعتضون ... دلت على ذلك كتب التفسير منها :

1- تفسير الجلالين : " لَا تَحَلَّ بِالتَّاءِ وَبِالْيَاءِ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ بَعْدِ النَّسْعِ الَّتِي اخْتَرْنَاكَ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِتَرْكِ إِحْدَى التَّائِينَ فِي الْأَصْلِ "بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ" بِأَنْ تُطْلَقَهُنَّ أَوْ بَعْضَهُنَّ وَتَنْكِحَ بَدَلَ مَنْ طَلَّقْتَ "وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ" مِنَ الْإِمَاءِ فَتَحَلَّ لَكَ وَقَدْ مَلَكَ ﷺ بَعْدَهُنَّ مَارِيَةً وَوَلَدَتْ لَهُ إِبْرَاهِيمَ وَمَاتَ فِي حَيَاتِهِ "وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا" حَفِظًا . اهـ

2- التفسير الميسر : لا يباح لك النساء من بعد نسائك اللاتي في عصمتك، واللاتي أبحناهنَّ لك (وهنَّ المذكورات في الآية السابقة رقم [50] من هذه السورة)، ومن كانت في عصمتك من النساء المذكورات لا يحل لك أن تطلقها مستقبلاً وتأتي بغيرها بدلاً منها، ولو أعجبك جمالها، وأما الزيادة على زوجاتك من غير تطلق إحداهن فلا حرج عليك، وأما ما ملكت يمينك من الإماء، فحلل لك منهن من شئت. وكان الله على كل شيء رقيباً، لا يغيب عنه علم شيء . اهـ

3- تفسير ابن كثير : ذكر غير واحد من العلماء -كابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، وابن جرير، وغيرهم -أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ورضاً عنهن، على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة، لما خيرهن رسول الله ﷺ كما تقدم في الآية. فلما اخترن رسول الله ﷺ، كان جزاؤهن أن الله قصره عليهن، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن، ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء والسراري فلا حرج عليه فيهن. ثم إنه تعالى رفع عنه الحجر في ذلك

ونسخ حكم هذه الآية ، وأباح له التزوج ، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوّج لتكون المنة للرسول ﷺ عليهن.

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : " ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء " .

ورواه أيضا من حديث ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن عائشة . ورواه الترمذي والنسائي في سننهما . وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شعبة ، حدثني عمر بن أبي بكر ، حدثني المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي ، عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله ، عن عبد الله بن وهب بن زمعة ، عن أم سلمة أنها قالت: لم يمت رسول الله ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء ، إلا ذات محرم، وذلك قول الله - عز وجل-: { تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ } . فجعلت هذه ناسخة للتي بعدها في التلاوة، كمايتي عدة الوفاة في البقرة، الأولى ناسخة للتي بعدها، والله أعلم . اهـ

4- تفسير الطبري: القول في تأويل قوله تعالى : { لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا } (52)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى : (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) فقال بعضهم : معنى ذلك : لا يحل لك النساء من بعد نساءك اللاتي خيرتهن، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ...) الآية إلى(رَقِيبًا) قال : نهى رسول الله ﷺ أن يتزوج بعد نسائه الأول شيئا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (لا يحلُّ لك النساءُ من بعدُ ...) إلى قوله : (إلا ما ملكتَ يمينك) قال : لما خيرهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره عليهن ؛ فقال : (لا يحلُّ لك النساءُ من بعدُ ولا أن تبدلَ بهنَّ من أزواجٍ) وهن التسع التي اخترن الله ورسوله . وقال آخرون : إنما معنى ذلك : لا يحلُّ لك النساء بعد التي أحللنا لك بقولنا (يا أيُّها النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ...) إلى قوله (اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا) وكأن قائلِي هذه المقالة وجهوا الكلام إلى أن معناه : لا يحلُّ لك من النساء إلا التي أحللناها لك .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبي موسى ، عن زياد ، قال لأبي بن كعب : هل كان للنبي ﷺ لو مات أزواجه أن يتزوج ؟ قال : " ما كان يحرم عليه ذلك " فقرأت عليه هذه الآية : (يا أيُّها النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ) قال : فقال : أحل له ضرباً من النساء ، وحرم عليه ما سواهن ، أحل له كل امرأة أتى أجرها ، وما ملكت يمينه مما أفاء الله عليه ، وبنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته ، وكل امرأة وهبت نفسها له إن أراد أن يستنكحها خالصة له من دون المؤمنين ... اهـ

الوجه الرابع : أن المراد بالتبديل هو التغير ويختلف المعنى بحسب السياق فالآية التي معنا فيها كلمة التبديل بمعنى التطبيق وهذا من السياق ، وهناك آية كريمة تذكر أن التبديل هو التغير والابتداع في الدين ... وذلك من قوله ﷺ : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23)﴾ (الأحزاب).

فمعنى الآية هو : أن الله يثني على بعض المؤمنين واصفا إياهم بأنهم رجال ؛ لأنهم لم يغيروا ولا لم يبتدعوا في دين الله ﷻ بل ثبتوا على عهدهم مع الله ﷻ ومع رسول الله ﷺ ...

فعلى ما سبق تبين لنا : أن النبي ﷺ ما بدل الزوجات بأخريات مثلما ادعى المعترضون....

ثانياً : إن الكتاب المقدس أخبرنا أن لابان خال يعقوب خدعه وبذل ليئة براحيل وذلك لأن السكر تمكن منه فاكشف في النهار أن لابان خدعه وبذل الزوجات وبعدها طالب يعقوبُ تبديل الزوجان أن يأخذ راحيل...وعلى ذلك فهذا هو نبي من أنبياء الكتاب المقدس- بحسب الكتاب المقدس- بدل الزوجات فلو فعل النبي ﷺ ذلك - وحاشاه ﷺ - ما قبح ذلك في نبوته لأن يعقوب بدل الزوجات.... **وذلك في سفر التكوين الإصحاح 29** عدد¹⁵ **ثُمَّ قَالَ لَابَانُ لِيَعْقُوبَ: «الْأَتَيْتُكَ أَخِي تَخْدُمُنِي مَجَانًا؟ أَخْبِرْنِي مَا أُجْرَتُكَ».**¹⁶ **وَكَانَ لِلَابَانِ ابْنَتَانِ، اسْمُ الْكُبْرَى لَيْئَةُ وَاسْمُ الصَّغْرَى رَاحِيلُ.**¹⁷ **وَكَانَتْ عَيْنَا لَيْئَةَ ضَعِيفَتَيْنِ، وَأَمَّا رَاحِيلُ فَكَانَتْ حَسَنَةً الصُّورَةِ وَحَسَنَةً الْمَنْظَرِ.**¹⁸ **وَأَحَبَّ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ، فَقَالَ: «أَخْدُمُكَ سَبْعَ سِنِينَ بِرَاحِيلِ ابْنَتِكَ الصَّغْرَى».**¹⁹ **فَقَالَ لَابَانُ: «أَنْ أُعْطِيَكَ إِنِّيَا هَا أَحْسَنُ مِنْ أَنْ أُعْطِيَهَا لِرَجُلٍ آخَرَ. أَقِمْ عِنْدِي».**²⁰ **فَخَدَّمَ يَعْقُوبُ بِرَاحِيلَ سَبْعَ سِنِينَ، وَكَانَتْ فِي عَيْنَيْهِ كَأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ بِسَبَبِ مَحَبَّتِهِ لَهَا.**

²¹ **ثُمَّ قَالَ يَعْقُوبُ لِلَابَانِ: «أَعْطِنِي امْرَأَتِي لِأَنَّ أَيَّامِي قَدْ كَمَلَتْ، فَأَدْخُلْ عَلَيْهَا».**²² **فَجَمَعَ لَابَانُ جَمِيعَ أَهْلِ الْمَكَانِ وَصَنَعَ وَلِيمَةً.**²³ **وَكَانَ فِي الْمَسَاءِ أَنَّهُ أَخَذَ لَيْئَةَ ابْنَتَهُ وَأَتَى بِهَا إِلَيْهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا.**²⁴ **وَأَعْطَى لَابَانُ زَلْفَةَ جَارِيَتِهِ لِلَيْئَةَ ابْنَتِهِ جَارِيَةً.**²⁵ **وَفِي الصَّبَاحِ إِذَا هِيَ لَيْئَةُ، فَقَالَ لِلَابَانِ: «مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ أَلَيْسَ بِرَاحِيلَ خَدَمْتُ عِنْدَكَ؟ فَلِمَاذَا خَدَعْتَنِي؟».**²⁶ **فَقَالَ لَابَانُ: «لَا يَفْعَلُ هَكَذَا فِي مَكَانِنَا أَنْ تُعْطَى الصَّغِيرَةُ قَبْلَ الْبِكْرِ.**²⁷ **أَكْمَلُ أُسْبُوعَ هَذِهِ، فَنُعْطِيكَ تِلْكَ أَيْضًا، بِالْخِدْمَةِ الَّتِي تَخْدُمُنِي أَيْضًا سَبْعَ سِنِينَ أُخَرِ».**²⁸ **فَفَعَلَ يَعْقُوبُ هَكَذَا. فَأَكْمَلَ أُسْبُوعَ هَذِهِ، فَأَعْطَاهُ رَاحِيلَ ابْنَتَهُ زَوْجَةً لَهُ.**²⁹ **وَأَعْطَى لَابَانُ رَاحِيلَ ابْنَتَهُ بِلَهَةِ جَارِيَتِهِ جَارِيَةً لَهَا.**³⁰ **فَدَخَلَ عَلَى رَاحِيلَ أَيْضًا، وَأَحَبَّ أَيْضًا رَاحِيلَ أَكْثَرَ مِنْ لَيْئَةَ. وَعَادَ فَخَدَّمَ عِنْدَهُ سَبْعَ سِنِينَ أُخَرِ. لَا تَعْلِقُ !**

رد شبهة : قصة خولة بنت الحكيم - خالة النبي - التي وهبت نفسها له !

قالوا : هل الإسلام يبيح الزواج من الخالة ؟! وجدنا أن خولة بنت حكيم خالة النبي وهبت نفسها له ليتزوجها !....!

واعتمدوا في ذلك على ما جاء في الآتي :

1- مسند أحمد من مسند القبائل حديث خولة بنت حكيم - رضي الله عنها - برقم 26050 حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة وحجاج قال : حدثني شعبة قال : سمعت عطاء الخراساني يحدث عن سعيد بن المسيب أن خولة بنت حكيم السلمية وهي إحدى خالات النبي ﷺ سألت النبي ﷺ عن المرأة تحتلم، فقال رسول الله ﷺ : " لتغتسل "

تعليق شعيب الأرناؤوط : حديث حسن .

2- صحيح البخاري برقم 4721 حدثنا محمد بن سلام حدثنا ابن فضيل حدثنا هشام عن أبيه قال: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فقالت عائشة : أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل فلما نزلت : { ترجئ من تشاء منهن } قلت يا رسول الله : " ما أرى ربك إلا يسارع في هواك " .

الرد على الشبهة

أولاً: اختلف أهل العلم هل هما اثنتان أم واحدة ، فذهب الإمام الطبراني - رحمه الله- إلى التفريق بينهما كما في المعجم الكبير ، والأقرب أنها واحدة فقط وهي امرأة عثمان بن مظعون ، وهي من خالات النبي ﷺ ، وليس القصد بأنها أخت لوالدته؛ وإنما هي من أخواله لأبيه نسباً.

قال ابن سعد في الطبقات الكبرى : خوله بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالح بن ثعلبة بن ذكوان بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم وأمها ضعيفة بنت العاص بن أمية بن عبد شمس وكان مرة بن هلال قدم مكة فحالف عبد مناف بن قصي نفسه وتزوج عبد مناف ابنته بنت مرة فهي أم هاشم وعبد شمس والمطلب بني عبد مناف أخبرنا هشام بن محمد عن أبيه قال كانت خوله بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فأرجأها وكانت تخدم النبي ﷺ وتزوجها عثمان بن مظعون فمات عنها. أخبرنا محمد بن عمر حدثنا بن أبي الزناد وأبو الخصيب عن هشام بن عروة عن أبيه وحدثنا أسامة بن زيد عن الزهري عن عروة قال خوله بنت حكيم ممن وهبت نفسها للنبي ﷺ أخبرنا وكيع بن الجراح عن سفيان عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن خولة بنت حكيم أنها سألت رسول الله ﷺ عن المرأة ترى في المنام ما يرى الرجل فذكر الحديث.

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: قوله : وَيَبْنُو زُهْرَةَ أَخْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ **أَي لَأَنَّ أُمَّه**
آمَنَةً مِنْهُمْ ، وَأَقَارِبَ الْأُمِّ أَخْوَال . اهـ

فهي خالة النبي ﷺ من القرابة ، وليست أخت لأمه. فنسب خوله معلوم ونسب آمنة بنت وهب معلوم أيضاً ، كل ذلك مسطر في كتب السيرة والتاريخ ؛ قال ابن حبان في الثقات: وأم رسول الله ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ولم يكن لها أخ فيكون خالاً للنبي ﷺ إلا عبد يغوث بن وهب، ولكن بني زهرة يقولون إنهم أخوال رسول الله ﷺ ؛ لأن آمنة أم رسول الله ﷺ كانت منهم ، وأم آمنة بنت وهب اسمها مرة بنت عبد العزى وأمها أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي وأمها برة بنت عوف هؤلاء جدات رسول الله ﷺ من قبل أم أمه. وأما خوله بنت حكيم فأمها ضعيفة بنت العاص بن أمية بن عبد شمس ، وهي

خالة سعيد بن المسيب فأمه نسيبة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي أخت خوله وهو الذي روى عنها ذلك الحديث، فصرح بعض رواة بتلك الخؤولة كما في رواية الدارمي فحصل وهم من أحد الرواة فقال : "إحدى خالات النبي ﷺ" فأدرج تلك العبارة خطأ . وعلى فرض صحتها وأن الراوي قصد معناها فتحمل الرواية على أنه قصد الخؤولة البعيدة، فخوله من أخواله ﷺ لأبيه نسبا وحينئذ فلا إشكال.

ثانياً : إن الله ﷻ حرم الزواج من الخالة ؛ قال ﷻ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء 23) .

أُتسأَل : هل يُعقل أن تأتي خالة الرسول ﷺ لتُهب نفسها له مع علمها بتحريم ذلك في كتاب الله ؟ و هل كان الرسول ﷺ يخالف حكم الله ؟!....!

وماذا كان رد فعل الصحابة ﷺ أو المنافقين أو المشركين في ذلك الموقف أن وقع ذلك بالفعل؟!!

الجواب : ليست خالته أخت أمه ، ولم تخالف القرآن ، ولم يخالف النبي ﷺ حكم الله ، ولم يرد إلينا أن واحداً من الصحابة ﷺ أو المنافقين أو المشركين أعترض وقال : خالف محمد ﷺ صريح القرآن ... وبالتالي لا شبهة عندنا - بفضل الله ﷻ - .

ثالثاً : إن هناك سؤالاً يفرض نفسه على المعترضين هو: هل لو تزوج النبي ﷺ من خالته (زواج محارم) - وحاشاه ذلك - هل هذا يقدر في نبوته بحسب حال بعض الأنبياء في الكتاب المقدس ؟

الجواب : لا ؛ لأن الكتاب المقدس نسب لبعض أنبياء الله ﷺ ، وأبنائهم أنهم زناوا زنا محارم ، لا زواج محارم وذلك في الآتي :

1- لوط زنا ببنتاه وذلك في سفر التكوين إصحاح 19 عدد 29²⁹ وَحَدَّثَ لَمَّا أُخْرِبَ اللَّهُ مَدْنَ الدَّائِرَةِ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَرْسَلَ لُوطًا مِنْ وَسْطِ الانْقِلَابِ. حِينَ قَلَبَ الْمَدْنَ الَّتِي سَكَنَ فِيهَا لُوطٌ.³⁰ وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ.³¹ وَقَالَتِ الْبُكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الْأَرْضِ». ³² هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعْ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلًا». ³³ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبُكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا. ³⁴ وَحَدَّثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبُكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدْ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلًا». ³⁵ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا، ³⁶ فَحَبَلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. ³⁷ فَوَلَدَتِ الْبُكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُؤَابَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُؤَابِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. ³⁸ وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ.

-2

3- أبناء داود زنا الأخ أمنون بأخته تamar (لتعلم كيف يغتصب الأخ أخته)!.....! وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 13 عدد 1¹ وَجَرَى بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لِأَبْشَالُومَ بْنِ دَاوُدَ أُخْتُ جَمِيلَةٌ اسْمُهَا تَامَارُ، فَأَحْبَبَهَا أَمْنُونُ بْنُ دَاوُدَ. ² وَأُحْصِرَ أَمْنُونُ لِلْسُّقْمِ مِنْ أَجْلِ تَامَارَ أُخْتِهِ لِأَنَّهَا كَانَتْ عَذْرَاءَ، وَعَسَرَ فِي عَيْنِي أَمْنُونُ أَنْ يَفْعَلَ لَهَا شَيْئًا. ³ وَكَانَ لِأَمْنُونِ صَاحِبٌ اسْمُهُ يُونَادَابُ بْنُ شِمْعَى أَخِي دَاوُدَ. وَكَانَ يُونَادَابُ رَجُلًا حَكِيمًا جِدًّا. ⁴ فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا يَا ابْنَ الْمَلِكِ أَنْتَ ضَعِيفٌ هَكَذَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَى صَبَاحٍ؟ أَمَا تَخْبِرُنِي؟»

فَقَالَ لَهُ أَمْنُونُ: «إِنِّي أَحِبُّ ثَامَارَ أُخْتِ أَبِشَالُومَ أَخِي». ⁵فَقَالَ يُونَادَابُ: «اضْطَجِعْ عَلَى سَرِيرِكَ وَتَمَارِضْ. وَإِذَا جَاءَ أَبُوكَ لِيِرَاكَ فَقُلْ لَهُ: دَعْ ثَامَارَ أُخْتِي فَتَأْتِي وَتُطْعِمَنِي خُبْزًا، وَتَعْمَلْ أَمَامِي الطَّعَامَ لِأَرَى فَاكُلَ مِنْ يَدِهَا». ⁶فَاضْطَجَعَ أَمْنُونُ وَتَمَارِضَ، فَجَاءَ الْمَلِكُ لِيَرَاهُ. فَقَالَ أَمْنُونُ لِلْمَلِكِ: «دَعْ ثَامَارَ أُخْتِي فَتَأْتِي وَتَصْنَعْ أَمَامِي كَعَكَتَيْنِ فَاكُلْ مِنْ يَدِهَا». ⁷فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى ثَامَارَ إِلَى الْبَيْتِ قَائِلًا: «أَذْهَبِي إِلَى بَيْتِ أَمْنُونِ أَخِيكَ وَاعْمَلِي لَهُ طَعَامًا». ⁸فَذَهَبَتْ ثَامَارُ إِلَى بَيْتِ أَمْنُونِ أَخِيهَا وَهُوَ مُضْطَجِعٌ. وَأَخَذَتْ الْعَجِينَ وَعَجَنْتْ وَعَمَلَتْ كَعَكًا أَمَامَهُ وَخَبَزَتْ الْكَعْكَ، ⁹وَأَخَذَتْ الْمَقْلَةَ وَسَكَبَتْ أَمَامَهُ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ. وَقَالَ أَمْنُونُ: «أَخْرِجُوا كُلَّ إِنْسَانٍ عَنِّي». فَخَرَجَ كُلُّ إِنْسَانٍ عَنْهُ. ¹⁰ثُمَّ قَالَ أَمْنُونُ لثَامَارَ: «إِنِّي بِالطَّعَامِ إِلَى الْمَخْدَعِ فَاكُلْ مِنْ يَدِكَ». فَأَخَذَتْ ثَامَارُ الْكَعْكَ الَّذِي عَمَلَتْهُ وَأَتَتْ بِهِ أَمْنُونُ أَخَاهَا إِلَى الْمَخْدَعِ. ¹¹وَقَدَّمَتْ لَهُ لِيَأْكُلَ، فَأَمْسَكَهَا وَقَالَ لَهَا: «تَعَالِي اضْطَجِعِي مَعِي يَا أُخْتِي». ¹²فَقَالَتْ لَهُ: «لَا يَا أَخِي، لَا تَذَلْنِي لِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ هَكَذَا فِي إِسْرَائِيلَ. لَا تَعْمَلْ هَذِهِ الْقَبَاحَةَ. ¹³أَمَّا أَنَا فَأَيْنَ أَذْهَبُ بِعَارِي؟ وَأَمَّا أَنْتَ فَتَكُونُ كَوَاحِدٍ مِنَ السُّفَهَاءِ فِي إِسْرَائِيلَ! وَالْآنَ كُلُّ الْمَلِكِ لِأَنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي مِنْكَ». ¹⁴فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَسْمَعَ لَصُوتِهَا، بَلْ تَمَكَّنَ مِنْهَا وَقَهَرَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا. ¹⁵ثُمَّ أَبْغَضَهَا أَمْنُونُ بِغُضَّةٍ ذَةً جِدًّا، حَتَّى إِنَّ الْبُغْضَةَ الَّتِي أَبْغَضَهَا إِيَّاهَا كَانَتْ أَشَدَّ مِنَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَحَبَّهَا إِيَّاهَا. وَقَالَ لَهَا أَمْنُونُ: «قُومِي انْطَلِقِي». ¹⁶فَقَالَتْ لَهُ: «لَا سَبَبَ! هَذَا الشَّرُّ بِطَرْدِكَ إِيَّايَ هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْآخِرِ الَّذِي عَمَلْتَهُ بِي». فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَسْمَعَ لَهَا، ¹⁷بَلْ دَعَا غُلَامَهُ الَّذِي كَانَ يَخْدُمُهُ وَقَالَ: «اطْرُدْ هَذِهِ عَنِّي خَارِجًا وَأَقْفَلِ الْبَابَ وَرَاءَهَا». ¹⁸وَكَانَ عَلَيْهَا ثَوْبٌ مُلَوَّنٌ، لِأَنَّ بَنَاتَ الْمَلِكِ الْعَذَارَى كُنَّ يَلْبَسْنَ جُبَاتٍ مِثْلَ هَذِهِ. فَأَخْرَجَهَا خَادِمُهُ إِلَى الْخَارِجِ وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَرَاءَهَا. ¹⁹فَجَعَلَتْ ثَامَارُ رِمَادًا عَلَى رَأْسِهَا، وَمَرَّقَتْ الثَّوْبَ الْمُلَوَّنَ الَّذِي عَلَيْهَا، وَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا وَكَانَتْ تَذْهَبُ صَارِخَةً. ²⁰فَقَالَ لَهَا أَبِشَالُومُ أَخُوهَا: «هَلْ كَانَ أَمْنُونُ أَخُوكَ مَعَكَ؟ فَالْآنَ يَا أُخْتِي اسْكُتِي. أَخُوكَ هُوَ. لَا تَضْعِي قَلْبَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ». فَأَقَامَتْ ثَامَارُ مُسْتَوْحِشَةً فِي بَيْتِ أَبِشَالُومَ أَخِيهَا.

وذلك في سفر التكوين إصحاح 35 عدد 21²¹ ثُمَّ رَحَلَ إِسْرَائِيلُ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ وَرَاءَ مَجْدَلٍ عَدْرٍ. 22²² وَحَدَّثَ إِذْ كَانَ إِسْرَائِيلُ سَاكِنًا فِي تِلْكَ الْأَرْضِ، أَنَّ رَأُوبِينَ ذَهَبَ وَاضْطَجَعَ مَعَ بِلْهَةَ سُرِّيَّةِ أَبِيهِ، وَسَمِعَ إِسْرَائِيلُ. لَا تَعْلِيْق !

رد شبهة : نبي يبيت عند النساء دون محرم لهن !

ادعوا بجهلهم المعروف أن النبي ﷺ كان يدخل على النساء دون محرم ، ويبيت عندهن !
استندوا في ذلك إلى ما جاء في صحيح البخاري كتاب (الاستئذان) باب (من زار قوماً فقال عندهم) برقم 5810 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ إِلَى قُبَاءٍ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ وَكَانَتْ تَحْتَ عِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ فَدَخَلَ يَوْمًا فَأَطْعَمْتُهُ فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا يَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الْأَسْرِ أَوْ قَالَ: مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرِ شَكَّ إِسْحَاقُ قُلْتُ: ادْعُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ فَدَعَا ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ فَقُلْتُ: مَا يَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الْأَسْرِ أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرِ فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ قَالَ: " أَنْتَ مِنَ الْأَوَّلِينَ ". فَكَبَّتِ الْبَحْرَ زَمَانَ مُعَاوِيَةَ فَصْرَعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ .

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذا الحديث غاب فهمه الصحيح على المعترضين ؛ فقد ثبت الحديث في صحيح البخاري في كتاب (الاستئذان) , باب (من زار قوماً فقال عندهم)

والقوم : تطلق في الغالب على الجماعة , وكأن البخاري - رحمه الله - يريد أن يبين معنى ما يرويه من الحديث في زيارة واحد (هو الرسول ﷺ) لجماعة (هم أهل البيت الذي فيه أم حرام) .

ونلاحظ : " من زار قوماً فقال عندهم " ولم يقل : فقال عندها !
وعليه تسقط شبهتهم - بفضل الله ﷻ - .

ثانياً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه هو : من هي أم حرام التي كان النبي ﷺ يبيت عندها في بيتها ؟

الجواب : بالجمع بين أقوال العلماء هي أمه بالرضاعة أو خالته .
قال الإمام النووي عنها في باب (فضل الغزو في سبيل الله) :
اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ مُحَرَّمًا لَهُ ﷺ وَاخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّةِ ذَلِكَ فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرُهُ: كَانَتْ إِحْدَى خَالَاتِهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ كَانَتْ خَالَةً لِأَبِيهِ أَوْ لِحَدِّهِ؛لأنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ كَانَتْ أُمُّهُ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ .

وقال أيضاً في باب (من فضائل أم سليم وأم حرام) :
قَوْلُهُ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَدْخُلُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِ إِلَّا أُمُّ سُلَيْمٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنِّي أَرْحَمُهَا قَتْلَ أَخُوها مَعِيَ) قَدْ قَدَّمْنَا فِي كِتَابِ الْجِهَادِ عِنْدَ ذِكْرِ أُمِّ حَرَامٍ أُخْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ أَنَّهُمَا كَانَتَا خَالَتَيْنِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ

مَحْرَمِينَ إِمَّا مِنْ الرِّضَاعِ ، وَإِمَّا مِنَ النَّسَبِ ، فَتَحَلُّ لَهُ الْخُلُوةُ بِهِمَا ، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمَا خَاصَّةً ، لَا يَدْخُلُ عَلَى غَيْرِهِمَا مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَزْوَاجُهُ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : فَفِيهِ جَوَازُ دُخُولِ الْمَحْرَمِ عَلَى مَحْرَمِهِ ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَنْعِ دُخُولِ الرَّجُلِ إِلَى الْأَجْنَبِيَّةِ . وَإِنْ كَانَ صَالِحًا ، وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الْمَشْهُورَةُ فِي تَحْرِيمِ الْخُلُوةِ بِالْأَجْنَبِيَّةِ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : أَرَادَ امْتِنَاعُ الْأُمَّةِ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى الْأَجْنَبِيَّاتِ . فِيهِ بَيَانٌ مَا كَانَ عَلَيْهِ ﷺ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالتَّوَضُّعِ وَمَلَاطِفَةِ الضُّعْفَاءِ ، وَفِيهِ صَحَّةُ الْإِسْتِثْنَاءِ مِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ ، وَقَدْ رَتَّبَ عَلَيْهِ أَصْحَابُنَا مَسَائِلَ فِي الطَّلَاقِ وَالْإِقْرَارِ وَمِثْلِهِ فِي الْقُرْآنِ ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴾ (32) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ ﴾ (34) . (الزريات). اهـ

وبالنظر إلى ترجمتها الكاملة في : (" حلية الأولياء " و " أسد الغابة " و " الرياض المستطابة " و " الإصابة " و " طبقات ابن سعد) هي : أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر ابن غنم بن عدي بن النجار . الأنصارية النجارية المدنية .

ألخص ما سبق : بأن أم حرام هي من بني النجار أخوال رسول الله ﷺ ؛ لأن آمنة بنت وهب من بني النجار ، فهي من محارم النبي ﷺ من رضاع و قرابة ، وليس كما ادّعا المعترضون .

ثالثاً : إن قيل : لماذا كان يبيت النبي ﷺ عند أم حرام وأم سليم ؟!

قلتُ : إن الجواب على ذلك يتضح من خلال ما جاء في صحيح البخاري برقم 2632 عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ بَيْتًا بِالْمَدِينَةِ غَيْرَ بَيْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِ فَقِيلَ لَهُ : فَقَالَ : " إِنِّي أَرْحَمُهَا قَتَلَ أَخُوهَا مَعِيَ " .

وعليه : فقد كان النبي ﷺ يكن لها ولأختها أم سليم - رضي الله عنها - كل تقدير، وحب ، و بر ، ووفاء

وأتساءل : هل زيارة الأقارب والاطمئنان على حالهم والمبيت عندهم عيب ؟! هم ينكرون علينا أن الرسول ﷺ يكرم خالاته ويصل رحمه ويواسيهم لاستشهاد أخوهم في سبيل الله....

إنها المروءة و الرجولة، إنه البر و الرحمة من نبي الرحمة ﷺ ، وإنها أخلاق انعدمت عند هؤلاء الحاقدين ، حتى صار المعروف عندهم منكراً ، و الإحسان عندهم ظلماً فظاهر الأمر كما قال الله ﷻ في شأن حبيبه ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم 4) .

رابعاً : إن هذا الحديث فيه معجزة من معجزاته ﷺ ، وفيه دلالة على صدق نبوته ﷺ ، وأنه رسول من عند الله ﷻ ؛ لأن الله ﷻ أطلع نبيه ﷺ عن بعض الغيبات منها ما كان في هذا الحديث ؛ فقد رأى النبي ﷺ في منامه أنها (أم حرام) ستموت شهيدة بعد عبور البحر رغم أنه لم يركب البحر قط ﷺ ، وذلك حينما استيقظ ضحك وأخبرها... وبعدما مات النبي ﷺ وحدث ما أخبر به ﷺ في زمان معاوية ؓ ؛ جاء ذلك في بقية الرواية " فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ زَمَانَ مُعَاوِيَةَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ .

وفي رواية أخرى للبخاري : استيقظ وهو يضحك فقالت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : " نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا قَالَ فِي الْأُولَى . فقالت يا رسول الله : " ادع الله أن يجعلني منهم " . قال : " أنت من الأولين " ، فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان فصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ " .

وعليه : فإن هذا الحديث لا يخدم المعترضين بحالٍ من الأحوال ، بل يدعوهم إلى معرفة هذا الرسول الكريم ﷺ ، وليتفكروا كيف علم ﷺ أن أم حرام ستموت بعد موته بزمان بعيد ؛ بعد خروجها من البحر كما أخبر ﷺ بذلك ؟

وعليه فإن هذا الحديث يدل على أن محمداً ﷺ صاحب معجزات ، ونبوءات ، وأنه نبي صادق من عند الله ﷻ

خامساً : إن الأناجيل أخبرتنا بأن يسوع المسيح أهان أمه مرتين :

الأولى : في وسط حضور العرس قائلاً لها : " يَا امْرَأَةُ " !

وذلك في إنجيل يوحنا الإصحاح 2 عدد 4⁴ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «مَا لِي وَلَكَ يَا امْرَأَةُ؟ لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ»

ونجده يقول للمرأة الزانية نفس الكلمة (يَا امْرَأَةُ) ، وذلك في إنجيل يوحنا إصحاح 8 عدد 10¹⁰ فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى الْمَرْأَةِ، قَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، أَأَيْنَ هُمْ أَوْلَئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكَ؟ أَمَّا دَانَكَ أَحَدٌ؟» !!

وأتساءل : هل تساوت أم يسوع في مخاطبته لها مع المرأة الزانية ؟.....!

هل هذا هو البر والإحسان الذي يرتضيه المعترضون على حديث النبي ﷺ ؟.....!

الثانية : أهان أمه ، وأخوته أمام الجموع.....

وذلك في إنجيل لوقا في الإصحاح 8 عدد 19¹⁹ وَجَاءَ إِلَيْهِ أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ، وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَصَلُوا إِلَيْهِ لِسَبَبِ الْجَمْعِ. 20²⁰ فَأَخْبَرُوهُ قَائِلِينَ: «أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ وَاقْفُونَ خَارِجًا، يُرِيدُونَ أَنْ يَرَوْكَ». 21²¹ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أُمِّي وَإِخْوَتِي هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ وَيَعْمَلُونَ بِهَا» !!

سادساً : ليت المعترضين يخبرونا لو أن رجلاً دخل في بيت زانية ، وبات عندها هل هذا من الخلق الكريم؟

أقول: جاء ذلك في الكتاب المقدس ؛ رجل ليس بنبي شاب إسرائيلي يسمي (شمشون) دخل في بيت زانية ، وبات عندها إلى نصف الليل ، ولم ينزل رب العالمين عقوبة أو عتاباً أو بياناً لخطئه...!! وبعد ذلك يعيرون علينا أن رسول الله ﷺ يبيت عند خالته كما أننا نفعل ذلك جميعاً ...! نقرأ ذلك في سفر القضاة 16 عدد ¹ ثُمَّ ذَهَبَ شَمْشُونُ إِلَى غَرَّةٍ، وَرَأَى هُنَاكَ امْرَأَةً زَانِيَةً فَدَخَلَ إِلَيْهَا. ² فَقِيلَ لِلْعَرَبِيِّينَ: «قَدْ أَتَى شَمْشُونُ إِلَى هُنَا». فَأَحَاطُوا بِهِ وَكَمَنُوا لَهُ اللَّيْلَ كُلَّهُ عِنْدَ بَابِ الْمَدِينَةِ. فَهَدَّأُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ قَائِلِينَ: «عِنْدَ ضَوْءِ الصَّبَاحِ نَقْتُلُهُ». ³ فَاضْطَجَعَ شَمْشُونُ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَامَ فِي نِصْفِ اللَّيْلِ وَأَخَذَ مِصْرَاعِي بَابِ الْمَدِينَةِ وَالْقَائِمَتَيْنِ وَقْلَعَهُمَا مَعَ الْعَارِضَةِ، وَوَضَعَهَا عَلَى كَتِفَيْهِ وَصَعِدَ بِهَا إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ الَّذِي مُقَابِلَ حَبْرُونَ.

وَأَسْأَلُ : ماذا كان يفعل شمشون إلى منتصف الليل عند المرأة الزانية.... ؟!

هل أضجع عندها ليقيم صلاة الليل ، ويتعبد لله أم ماذا ؟... !

وما الهدف من ذكر هذه القصة في كتاب من المفترض أنه من عند الله (الكتاب المقدس) ؟...!

رد شبهة : نبي الإسلام جاء بجنة بها زنا ... !

جنة المسلمين فيها زنا ، وزواج ، وليس فيها نعيم روحي ...

هكذا أدعى المعترضون قائلين هذه هي الجنة التي أتى بذكرها نبي الإسلام فيها زنا ، زواج ، وليس فيها نعيم روحي بخلاف المسيحية التي فيها نعيم روحي فقط ولا يوجد فيها زواج....

الرد على الشبهة

أولاً: إن من يدعي أن في الجنة زنا لابد أن يأتي بالدليل أولاً ، وإلا فما هذا إلا محض افتراء

وأما الزواج في الجنة فهو من نعيم أهل الجنة، وكذلك نعم أخرى حسية لهم جزءاً بما صبروا في حياتهم الدنيا...

تدل على ذلك أدلة منها :

1- قوله ﷺ: ﴿ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (54) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمَنِينَ (55) لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (56) فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (57) ﴾ (الدخان).

2- قوله ﷺ: ﴿ مُتَكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (20) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (21) وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (22) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيمٌ (23) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (24) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (25) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26) فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ (27) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (28) ﴾ (الطور).

3- قوله ﷺ: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ (55) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ (56) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ (57) ﴾ (يس).

ثانياً : إن ادعاءهم بأن الجنة التي أتى بها محمد ﷺ للمسلمين حسية فقط ، وليس فيها نعيم روحي بخلاف المسيحية التي فيها نعيم روحي فقط ولا يوجد فيها زواج
أدعاء باطل من عدة أوجه :

الوجه الأول : إن النعيم والعذاب يقع على الروح والجسد ، وليس الجسد فقط ...

الوجه الثاني : إن أعظم نعيم أهل الجنة روحي ؛ وهو رؤية الرب ﷻ تدل على ذلك دلائل منها :

1- قوله ﷻ : ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (34) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35)﴾ (ق) .

1- التفسير الميسر : لهؤلاء المؤمنين في الجنة ما يريدون، ولدينا على ما أعطيناهم زيادة نعيم، أعظمه النظر إلى وجه الله الكريم . اهـ

2- تفسير ابن كثير : وقوله : { وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ } كقوله ﷻ : { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } [يونس:26] . وقد تقدم في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومي: أنها النظر إلى وجه الله الكريم. وقد روى البزار وابن أبي حاتم، من حديث شريك القاضي، عن عثمان بن عمير أبي اليقظان، عن أنس بن مالك في قوله ﷻ : { وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ } قال: يظهر لهم الرب، عز وجل، في كل جمعة . اهـ

3- قوله ﷻ : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس 26) .

1- التفسير الميسر : للمؤمنين الذين أحسنوا عبادة الله فأطاعوه فيما أمر ونهى، الجنة، وزيادة عليها، وهي النظر إلى وجه الله تعالى في الجنة، والمغفرة والرضوان، ولا يغشى وجوههم غبار ولا ذلة، كما يلحق أهل النار. هؤلاء المتصفون بهذه الصفات هم أصحاب الجنة ماكتون فيها أبداً. اهـ

2- تفسير ابن كثير : وقوله : { وَزِيَادَةٌ } هي : تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، وزيادة على ذلك أيضا ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القُصُور والْحُور والرضا عنهم ، وما أخفاه لهم من قرة أعين ، وأفضل من ذلك وأعلاه النظرُ إلى وجهه الكريم ، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه ، لا يستحقونها بعملهم ، بل بفضلِهِ وَرَحْمَتِهِ ﷻ . اهـ

-3

الوجه الثالث : هو ردّاً على قولهم : المسيحية التي فيها نعيم رُوحى فقط ولا يوجد فيها زواج.... فهو قول وتصور خاطئ يرد عليهم كلام يسوع المسيح وليس آخر ؛ جاء ذلك في ثلاث مواضع من إنجيل متى هما :

الأول : يسوع يشرب من نتاج الكرمة (الخمر) في الملكوت ... وذلك في إنجيل 26إصحاح 29 وأقول لكم : إنني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي.

الثاني : إصحاح 16 عدد 19 وَأَعْطَيْكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرَبِّطُهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطاً فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ». .

الثالث : إصحاح 18 عدد 18 ¹⁸ **الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرَبِّطُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاءِ.**

نلاحظ من خلال ما سبق هذه العبارة : وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاءِ.

والمعنى : أن أي شيء حلال ليس بمحرم في الدنيا يكون حلالاً في جنة الرب ﷻ ، ولا شك أن الزواج حلال في الدنيا ،والفاكهة ...

فعلى ما سبق تبين لنا : سقوط الادعاءات الباطلة وذلك – بفضل الله ﷻ –

رد شبهة : نبي يتزوج النساء في الجنة منهن مريم ابنة عمران !

قالوا: وصل الأمر برسول الإسلام إلى أنه يريد أن يتزوج بالنساء اللواتي لم يراهن (الأموات)

رسول الإسلام يتزوج من مريم ابنة عمران في الجنة !

الدليل على ذلك هو ما جاء في تفسير ابن كثير للآية الخامسة من سورة التحريم آية 5: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكَ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ۝﴾ .

وتحديداً في قوله ﷺ : ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ۝﴾؟؟

الرد على الشبهة

أولاً: إن الأحاديث التي ذكرها ابن كثير في تفسيره ، والتي استشهد بها المعترضون على اعتراضهم لا تصح كما قال ابن كثير نفسه في تفسيره ، وكذلك المحقق له الشيخ سامي بن محمد سلامة في الهامش.

قال ابن كثير - رحمه الله - : وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة " مريم - عليها السلام- " من طريق سويد بن سعيد (2) حدثنا محمد بن صالح بن عمر، عن الضحاك ومجاهد، عن ابن عمر قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ بموت خديجة فقال: إن الله يقرئها السلام، ويبشرها ببيت في الجنة من قصب، بعيد من الذهب (3) لا نصب فيه ولا صخب، من لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم (4) .

ومن حديث أبي بكر الهزلي، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ دخل على خديجة، وهي في الموت فقال: "يا خديجة ، إذا لقيت ضرائك فأقرنيهن مني السلام". فقالت: يا رسول الله، وهل تزوجت قبلي؟ قال: "لا"، ولكن الله زوجني مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون ، وكلثم أخت موسى". ضعيف أيضاً (5) .

وقال أبو يعلى : حدثنا إبراهيم بن عرعة، حدثنا عبد النور بن عبد الله، حدثنا يونس (6) بن شعيب، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ : "أُعْلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ زَوْجَنِي فِي الْجَنَّةِ مَرِيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، وَكَلْثَمَ أُخْتِ مُوسَى، وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ". فقلت: هنيئاً لك يا رسول الله (7) . وهذا أيضاً ضعيف وروي مرسل عن ابن أبي داود . اهـ

- (1) لم أفع عليه في المطبوع من المعجم الكبير للطبراني.
- (2) في أ: " بن سعد".
- (3) في أ: " من اللهو".
- (4) تاريخ دمشق (ص383) " تراجم النساء " ط. المجمع العلمي بدمشق.
- (5) تاريخ دمشق (ص 384) "تراجم النساء" ط. المجمع العلمي بدمشق.
- (6) في م، أ، هـ: " يوسف" والمثبت من المعجم الكبير للطبراني.
- (7) ورواه الطبراني في المعجم الكبير (309/8) و العقيلي في الضعفاء (459/4)

من طريق عبد النور بن عبد الله به، وعبد النور كذاب، قال العقيلي : " وليس بمحفوظ " .

قلتُ : إن الملاحظ بعد الاضطلاع على ما ذكره ابن كثير؛ نجد أنه حكم على تلك الروايات بالضعف ، وبعدم صحتها

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : هل قرأ المعترضون لفظ (ضعيف جداً) ؟

أم أنهم تعاملوا عنه ؟ أم أنهم لا يعرفون الحديث الصحيح من الضعيف ، ويلقون بالشبهات جهلاً ؟!

هذا وإن دل؛ إنما يدل على أمرين : الأول : التدليس والكذب ، والثاني : الجهل .

ثانياً : إنني لم أكتفي بتضعيف ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره الذي استشهدوا هم به على اعتراضهم وأقول : ضعف هذه الأحاديث الشيخ الألباني في الأتي :

1- ضعيف الجامع الصغير للشيخ الألباني - رحمه الله- برقم 3534 قال ﷺ : " إن الله ﷻ زوجني في الجنة مريم بنت عمران و امرأة فرعون و أخت موسى " .

2- ضعيف الجامع برقم 3160 قال ﷺ : " أما شعرت أن الله ﷻ قد زوجني في الجنة مريم بنت عمران و كلثم أخت موسى و امرأة فرعون ؟ " .

وأما الحديث الصحيح ففيه أن النبي ﷺ لم يُخبر بأنه سيكون زوجاً لمريم ولغيرها من الأموات السابقين له في الجنة وهو في السلسلة الصحيحة برقم 1424 قال ﷺ : " سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران : فاطمة و خديجة وآسية امرأة فرعون " .

ثالثاً : إنني أفترض جدلاً صحة الحديث ، وما قالوه.....

أتساءل سؤاليين :

الأول : ما هو الحرام في ذلك ؟! وما هو العيب في ذلك ؟!

هل أخبر النبي ﷺ في الرواية الضعيفة أنه سيزني بها في الجنة أم يتزوجها ؟!

الجواب : أخبر أنه سيتزوجها !

الثاني : هل الزواج حرام في أي شرعية من لدن آدم ﷺ إلى قيام الساعة ، وإن كان في الجنة ؟!

الجواب : لا .

ولو قمتُ بتأويل هذا الحديث الضعيف أقول : هذا جزاء لمريم العذراء الطاهرة المطهرة التي حافظت على عرضها في الدنيا ؛ يزوجها الله ﷻ بأفضل إنسان عرفته البشرية هو محمد ﷺ ليكون الجزاء من جنس العمل ؛ فكما عفت نفسها في الدنيا يعفها الله ﷻ في الآخرة وينعمها في جنته ، ثم يرزقها بمحمد ﷺ خير إنسان زوجاً لها ؛ ما المانع من ذلك ! هذا أن صح الحديث أصلاً ، والحديث لا يصح ولا نعتف به كما سبق بيانه .

رد شبهة : نبي الإسلام يتزوج أكثر من المسلمين ... !

هناك شبهة مثارة دوماً، يقول أصحابها: أنتم أيها المسلمون تتزوجون من أربعة فقط، بينما رسول الإسلام تزوج اثنا عشرة زوجة هل هذا تناقض ، أم أنه هذا للمتعة له فقط دون بقية المسلمين ؟!....

الرد على الشبهة

أولاً: إن للنبي ﷺ خصائص له دون غيره لمكانته عند ربه ﷻ.... كما كانت هذه الخصائص لمن قبله من الأنبياء فمن هذه الخصائص لا يحتملها الكثيرون من المسلمين

يقول القرطبي في تفسيره (ج 14 / ص 212):

فأما ما فرض عليه ﷺ فتسعة :

الأول - التهجد بالليل، يقال: إن قيام الليل كان واجباً عليه إلى أن مات، لقوله ﷺ: " يا أيها المزمّل. قم الليل " [المزمّل 1 - 2] الآية.
والمنصوص أنه كان، واجباً عليه ثم نسخ بقوله ﷺ: " ومن الليل فتهجد به نافلة لك " [الإسراء: 79] وسيأتي.

الثاني - الضحى.

الثالث - الأضحى.

الرابع - الوتر، وهو يدخل في قسم التهجد.

الخامس - السواك.

السادس - قضاء دين من مات معسراً.

السابع - مشاورة ذوي الأحلام في غير الشرائع.

الثامن - تخير النساء.

التاسع - إذا عمل عملاً أثبتته.

زاد غيره : وكان يجب عليه إذا رأى منكراً أنكره وأظهره، لأن إقراره لغيره على ذلك يدل على جوازه، ذكره صاحب البيان

وأما ما حرم عليه ﷺ فجملته عشرة :

الأول - تحريم الزكاة عليه وعلى آله.

الثاني - صدقة التطوع عليه، وفي آله تفصيل باختلاف.

الثالث - خائنة الأعين، وهو أن يظهر خلاف ما يضر، أو ينخدع عما يجب.

وقد ذم بعض الكفار عند إذنه ثم ألان له القول

عند دخوله.

الرابع - حرم الله عليه إذا لبس لامته أن يخلعها عنه أو يحكم الله بينه وبين محاربه.

الخامس - الأكل متكئا.

السادس - أكل الأطعمة الكريهة الرائحة.

السابع - التبديل بأزواجه، وسيأتي.

الثامن - نكاح امرأة تكره صحبتها.

التاسع - نكاح الحرة الكتابية.

العاشر - نكاح الأمة.

وحرم الله عليه أشياء لم يحرمها على غيره تنزيها له وتطهيرا.

فحرم الله عليه الكتابة وقول الشعر وتعليمه، تأكيداً لحجته وبياناً لمعجزته قال الله ﷻ: "

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك " [العنكبوت 48].

وذكر النقاش أن النبي ﷺ ما مات حتى كتب ، والأول هو المشهور.

وحرم عليه أن يمد عينيه إلى ما متع به الناس، قال الله ﷻ: " لا تمدن عينيك إلى ما

متعنا به أزواجاً منهم " [الحجر 88] الآية.

وأما ما أحل له ﷺ فجملته ستة عشر :

الأول - صفي المغنم.

الثاني - الاستبداد بخمس الخمس أو الخمس.

الثالث - الوصال.

الرابع - الزيادة على أربع نسوة.

الخامس - النكاح بلفظ الهبة.

السادس - النكاح بغير ولي.

السابع - النكاح بغير صداق.

الثامن - نكاحه في حالة الإحرام.

التاسع - سقوط القسم بين الأزواج عنه، وسيأتي.

العاشر - إذا وقع بصره على امرأة وجب على زوجها طلاقها، وحل له نكاحها.

قال ابن العربي: هكذا قال إمام الحرمين، وقد مضى ما للعلماء في قصة زيد من هذا المعنى.

الحادي عشر - أنه أعتق صفيه وجعل عتقها صداقها.

الثاني عشر - دخوله مكة بغير إحرام، وفي حقنا فيه اختلاف.

الثالث عشر - القتال بمكة.

الرابع عشر - أنه لا يورث.

وإنما ذكر هذا في قسم التحليل لأن الرجل إذا قارب الموت بالمرض زال عنه أكثر ملكه،

ولم يبق له إلا الثلث خالصا، وبقي ملك رسول الله ﷺ على ما تقرر بيانه

في آية المواريث ، وسورة " مريم " بيانه أيضا.

الخامس عشر - بقاء زوجيته من بعد الموت.

السادس عشر - إذا طلق امرأة تبقى حرمة عليها فلا تنكح.

وهذه الأقسام الثلاثة تقدم معظمها مفصلا في مواضعها.

وسياتي إن شاء الله تعالى.

[وأبيح له ﷺ أخذ الطعام والشراب من الجائع والعطشان، وإن كان من هو معه يخاف

على نفسه الهلاك، لقوله تعالى: " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم " [الأحزاب 6].

وعلى كل أحد من المسلمين أن يقي النبي ﷺ بنفسه.

وأبيح له أن يحمي لنفسه.

وأكرمه الله بتحليل الغنائم.

وجعلت الأرض له ولامته مسجدا وطهورا.

وكان من الأنبياء [من] لا تصح صلاتهم إلا في المساجد.

ونصر بالرعب، فكان يخافه العدو من مسيرة شهر.

وبعث إلى كافة الخلق، وقد كان من قبله من الأنبياء يبعث الواحد إلى بعض الناس دون

بعض.

وجعلت معجزاته كمعجزات الأنبياء قبله وزيادة.

وكانت معجزة موسى ﷺ العصا وانفجار الماء من الصخرة.
وقد أنشق القمر للنبي ﷺ وخرج الماء من بين أصابعه ﷺ.
وكانت معجزة عيسى ﷺ إحياء الموتى وإبراء ألامه والأبرص.
وقد سبح الحصى في يد النبي ﷺ وحن الجذع إليه، وهذا أبلغ.
وفضله الله عليهم بأن جعل القرآن معجزة له، وجعل معجزته فيه باقية إلى يوم القيامة،
ولهذا جعلت نبوته مؤبدة لا تنسخ إلى يوم القيامة [.

كان ما سبق رداً على قولهم : ورسول الإسلام تزوج اثنا عشرة زوجة..هل هذا تناقض...؟!.

ثانياً : أما عن قولهم أن كثرة النساء للنبي ﷺ أكثر من المسلمين للمتعة... فهو باطل لوجهين :

الأول : أن زوجات النبي ﷺ كلهن نيبات إلا عائشة ، ومنهن من لا يرجى منها النكاح... فلو كان الأمر للمتعة لتزوج الأبقار الجميلات...

الثاني : إن المسلم قد يتزوج أكثر من النبي ﷺ بكثير جداً ؛لأن النبي ﷺ لا يحل له أن يطلق ويتزوج ولو أعجبه امرأة ،أما المسلم فيطلق ويتزوج بقدر الله أكثر من خمسين...

يدلل على ذلك الآتي:

1- قوله ﷺ : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾ (52) (الأحزاب).

إِذَا : لا يحل له ﷺ أن يطلق ويتزوج غيرهن...

2- قوله ﷺ : «الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (229)» (البقرة).

3- قوله ﷺ : « فَإِذَا بَلَغَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2)» (الطلاق).

إِذَا : يحل للمسلم أن يتزوج أربعة، ويطلق منهن أو يطلقهن، ويتزوج غيرهن بقدر الله ﷻ، أما النبي ﷺ فلا يحل له أن يطلق ويتزوج....

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو : أيهما من يتزوج أكثر المسلم المتبع أم النبي ﷺ ؟... الجواب : هذا هو.

وعليه فكان ما سبق رداً على قولهم: أنتم أيها المسلمون تتزوجون من أربعة فقط، ورسول الإسلام تزوج اثنا عشرة زوجه فهذا للمتعة له فقط دون بقية المسلمين ؟!...

رد شبهة : نبي يقول : حُبَّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءَ !

زعموا أن محمداً كان يحب النساءَ حباً جماً حتى كانت تشغل فكره... ثم سألوا قائلين: هل هذا من خلق الأنبياءِ؟!

لقد صرح بذلك لما قال : " حُب إلي من دنياكم : النساء ، والطيب ، وجُعِلت قرّة عيني في الصلاة ". انظر صحيح الجامع حديث رقم 3124.

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذا الحديث صحيحٌ ، ولكن ليس المعنى كما فهموا .
وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً **** وآفته من الفهم السقيم .
أنهم يبحثون عن تصيد الأخطاء لهذا النبي الكريم؛ فلو جاءهم ملكٌ من السماء برسالةٍ من عند الله ﷻ وأرادوا أن يطعنوا في رسالته وأفعاله لفعلوا...

قوله : ﷺ : " حُب إلي من دنياكم " ؛ أي : أن الله هو الذي حُب للنبي ﷺ ...

نلاحظ قوله ﷺ : " من دنياكم " ولم يقل ﷺ من الدنيا ؛ لأنه ﷺ لم يكن يريد الدنيا بل يريد الله والدار الآخرة وذلك في السلسلة الصحيحة برقم 439 عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال : يا نبي الله ! لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا ؟ فقال : " ما لي وللدنيا ؟ ! ما مثلي ومثل الدنيا ؛ إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها " .

إذا : محمد ﷺ لم يكن يبحث عن دنيا يصيبها

قوله ﷺ : " حُبُّ إِيٍّ مِنْ دُنْيَاكُمْ الطَّيِّب " ؛ أَي: الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ الْجَمِيلَةُ ، وَقَوْلُهُ ﷺ : " وَالنِّسَاء " ؛ هُنَّ الزَّوْجَاتُ اللَّوَاتِي أَحْلَهُنَّ اللَّهُ لَهُ.

قوله ﷺ : " وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ " ؛ أَي: أَجْمَلُ مَا رَأَيْتُهُ عَيْنِي مِنْ دُنْيَاكُمْ ؛ أَجْمَلُ مِنَ الطَّيِّبِ ، وَأَجْمَلُ مِنَ النِّسَاءِ (الزَّوْجَاتِ الصَّالِحَاتِ). الصَّلَاةُ : وَهِيَ الْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ﷻ ...

يَقْوِي ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الْآتِي :

1- صحيح مسلم برقم 5045 عن المغيرة ﷺ قال: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه فقيل له: لم تصنع هذا وقد عُفِرَ لَكَ مَا تَقْدُمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ ؟ قَالَ : " أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا " .

2- سنن أبي داود برقم 1124 عَنْ حُذِيفَةَ قَالَ : " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى " .

تحقيق الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : 4703 في صحيح الجامع

3- مسند أحمد برقم 24023 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : افْتَقَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَتَحَسَّسْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ فَإِذَا هُوَ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ يَقُولُ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ فَقُلْتُ : " يَا أَبَايَ أَنْتَ وَأُمِّي ، إِنَّكَ لَفِي شَأْنٍ ، وَإِنِّي لَفِي شَأْنٍ آخَرَ " .

تعليق شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح.

وعليه : فَإِنَّ الْبَشَرِيَّةَ لَمْ تَعْرِفْ رَجُلًا حَقَّقَ الْعِبَادِيَّةَ لِلَّهِ ﷻ ، مِثْلَ : مُحَمَّدٍ ﷺ

وبالتالي فإن ادعاءهم الذي يقول: بأنه ﷺ كان يحب النساء أكثر من أي شيء؛ ادعاء باطل ، والدليل الحديث نفسه الذي استشهدوا هم به على شبهتهم ؛ ففيه يقول النبي ﷺ : " وجعلت قرّة عيني في الصلاة " ؛ أي : أنها أجمل ما تقر به عينه ﷺ.....

ثم إن سيرته واضحة لقارئها... ففيها بيان لعبادته ، وزهده في الحياة ؛ فكان يجوع لشبع من حوله ، ويمر عليه الشهر والشهران ولا يوقد في بيته نار ، ويأمر بالتصدق قبل موته بستة دنانير كانت في بيته ، ويموت ودرعه مرهونة عند يهودي.....

ثانياً: إن قيل: إن المقصد من سؤالنا هو في قوله ﷺ : " حُب إلي من دنياكم النساء " فقط دون بقية الحديث؟

قلتُ: استشعرت ذلك، وبيّنتُ أنهن النساء اللواتي أحلهن الله له ﷺ ؛ أي : الزوجات ، والدليل على ذلك أنه ﷺ لم تمس يده يد امرأة لا تحل له قط ؛ ثبت ذلك في الآتي:

1- صحيح البخاري برقم 6674 عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبَايِعُ النِّسَاءَ بِالْكَلَامِ بِهَذِهِ الْآيَةِ: { لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا } قَالَتْ : " وَمَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ إِلَّا امْرَأَةً يَمْلِكُهَا " .

2- صحيح الجامع برقم 2513 قال ﷺ في بيعة العقبة: " إني لا أصافح النساء " .

3- لم يصح عنه ﷺ أبداً أنه اشتغل زوجةً واحدٍ من أصحابه ﷺ أو من أعدائه.....
ومن المعاني الجميلة من قوله ﷺ: " حُب إلي من دنياكم النساء " ؛ أي: أن الله هو الذي حُب للنبي ﷺ النساء بإعطائهن حقوقهن ؛ حيث كانت المرأة في الجاهلية تباع وتشتري ، والبنات كانت تؤاد وهي حية، ويأخذ الوالدان صداقها (المهر) فحُب الله ﷺ

للنبي ﷺ النساء بإعطائهن حقوقهن ، ورفع مكانتهن فهي ليست نجسة كما هو حالها في الكتاب المقدس ، وذلك في سفر الأويين (إصحاح 15 عدد 25/28) .

بل قال النبي ﷺ : " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ " . صحيح البخاري رقم 276.

ثم إن قوله ﷺ : " حُبُّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ " فقط دون بقية الحديث يدل على أنه كان رجلاً كاملاً الرجولة فهي صفة كمال لا صفة نقص في حقه ﷺ فهل هناك ما يمنع من الكتاب المقدس ، أو من أي كتاب على وجه الأرض أن النبي يحب النساء (الزوجات) ويعطيهن حقوقهن ؟!

ثم إن اتهامهم لرسول الله ﷺ بولعه للنساء ، وتعلق قلبه بهن... نابع عن حقدٍ وكرهٍ عماهم عن تصور الحقيقة فأسقطهم في التناقض فتارةً يقولون : إنه رجل يشتهي النساء فأكثر من الزواج ، وتارةً يطعنون في رجولته بالغمز للطعن في أخلاقه

ثالثاً: إن محمداً ﷺ كان يحب زوجاته، ولم تمس يده يد امرأة لا تحل له
وأُتساعِلُ : هل لابد للنبي ﷺ أن يزني كما هو حال بعض الأنبياء في الكتاب المقدس ، مثل : النبي داود ، والنبي لوط .. حتى يعترف المعترضون بنبوته ﷺ ؟!

وأما عن حب النساء المتبادر على أذهانهم فإنني أكتفي بما نسب الكتاب المقدس لسليمان الموصوف فيه بأنه كان يحب النساء حباً جماً ؛ حتى كفر بالله بسببهن وتقرب لألهتهن (العشروت) ...

وذلك في سفر الملوك الأول إصحاح 11 عدد¹ وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بَنَاتِ فِرْعَوْنَ: مُوَابِيَّاتٍ وَعَمُونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ² مِنْ الْأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمْ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «لَا تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لِأَنَّهُمْ يَمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ». فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهِؤُلَاءِ بِالْمَحَبَّةِ.³ وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلَاثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَّارِيِّ، فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ.⁴ وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلًا مَعَ الرَّبِّ إِلَهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ.⁵ فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتَوْرَثَ إِلَهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَمَلَكُومَ رِجْسِ الْعَمُونِيِّينَ.⁶ وَعَمَلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ، وَلَمْ يَتَّبِعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَدَاوُدَ أَبِيهِ.⁷ حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مَرْتَفَعَةً لِكَمْوُشَ رِجْسِ الْمُوَابِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تَجَاهَ أُورُشَلِيمَ، وَلِمَوْلَاكَ رِجْسِ بَنِي عَمُونَ.⁸ وَهَكَذَا فَعَلَ لِكَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوَقِدْنَ وَيَذْبَحْنَ لِآلِهَتِهِنَّ

رد شبهة : نبي يتمتع بالنساء !

زعم أحدهم في إحدى الفضائيات قائلاً : إن رسول الله استمتع بالنسوان ... وذلك في الآتي :

1- صحيح ابن حبان برقم 3937 أخبرنا عبد الله بن محمد بن سلم قال : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم قال : حدثنا عمر بن عبد الواحد عن الأوزاعي قال : حدثني أسيد بن عبد الرحمن قال : حدثني خالد بن دريك : أن مطرفاً عاد عمران بن حصين فقال له : إني محدثك حديثاً فإن برئت من وجعي فلا تحدث به ولو مضيت لشأني فحدث به إن بدا لك : إنا استمتعنا مع رسول الله ﷺ ثم لم ينهنا عنه حتى مات ﷺ رأى رجل رأيته .

قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح.

2- تقريب الأسانيد (ج 1 / ص 82) : وفي رواية له في حديث عمران : { تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَمَتَّعْنَا مَعَهُ }.

الرد على الشبهة

أولاً : إن المقصود بالتمتع في الحديثين ليس التمتع بالنساء كما زعم هذا المعترض الجاهل الجهول المجهال ... وإنما المقصود هو التمتع بالعمرة والحج للآتي :

أبدأ بالحديث الأول الذي رواه ابن حبان ففيه ما يلي :

1- أن الحديث جاء في باب (ما جاء في حج النبي ﷺ واعتباره).

2- الملاحظ أن الراوي للحديث هو خالد بن دريك ، ففي نفس الصفحة التي تليها نجد الآتي : ذكر وصف الاستمتاع الذي ذكره خالد بن دريك في هذا الخبر 3938 أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى قال : حدثنا موسى بن محمد بن حيان قال : حدثنا أبو غسان يحيى بن كثير قال : أخبرنا شعبة عن حميد بن هلال عن مطرف بن عبد الله قال : قال لي عمران بن حصين : ألا أحدثك حديثاً لعل الله أن ينفعك به إن رسول الله ﷺ جمع بين الحج والعمرة ولم يمهله عنه ولم ينزل فيه ولم يحرمه وكان يسلم علي فلما اكتويت ذهب أو رفع عني فلما تركته رجع إلي .
قال شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح.

إذاً : الذي وصف الاستمتاع في الحديث خالد بن دريك، وهو الاستمتاع بين الحج والعمرة ، وليس التمتع بالنسوان

الحديث الثاني : فيه ما يلي :

1- الحديث جاء في باب (إفراد الحج والتمتع والقرن).

2- الروايات التي قبله والتي بعده تفصله ، وتبين معناه ؛فهذا كل ما جاء في الباب عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ { أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَفْرَدَ الْحَجَّ } لَفْظُ مُسْلِمٍ وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا { أَهْلَ بِالْحَجِّ } وَلِلْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ { قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ صَبَحَ رَابِعَةً مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مُهْلِينَ بِالْحَجِّ لَا يَخْلُطُهُ شَيْءٌ فَلَمَّا قَدَمْنَا أَمَرْنَا فَجَعَلْنَاهَا عُمْرَةً } وَقَالَ مُسْلِمٌ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ { أَقْبَلْنَا مُهْلِينَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحَجٍّ مُفْرَدٍ } وَقَالَ ابْنُ مَاجَةَ بِإِسْنَادٍ الصَّحِيحِ { أَفْرَدَ الْحَجَّ } وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ { أَهْلَ بِالْحَجِّ مُفْرَدًا } وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ { تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ } وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ { هَذِهِ عُمْرَةٌ اسْتَمْتَعْنَا بِهَا } وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ وَعُمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ { تَمَتَّعْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ } وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ فِي حَدِيثِ عُمَرَ { تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَمَتَّعْنَا مَعَهُ } وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ { جَمَعَ بَيْنَ حَجٍّ وَعُمْرَةٍ } وَفِي رِوَايَةٍ لِلدَّارِقُطَنِيِّ { قَرَنَ } وَلِمُسْلِمٍ مِنْ { جَمَعَ بَيْنَهُمَا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ } وَلِإِبْرَاهِيمَ دَاوُدَ وَالتَّسَائِيَّ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ { إِنِّي سَقْتُ الْهَدْيَ وَفَرَنْتُ } وَلِلتَّسَائِيَّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ مِثْلُهُ وَلِإِبْرَاهِيمَ مِنْ حَدِيثِ سُرَّاقَةَ { قَرَنَ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ } وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي طَلْحَةَ { جَمَعَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ } وَلِلدَّارِقُطَنِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي قَتَادَةَ مِثْلُهُ وَلِلْبَرَاءِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى مِثْلُهُ.

إِذَا مِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ تَبَيَّنَ لَنَا : أَنَّ الْمَعْتَرِضَ أَقْتَطَعَ رِوَايَةً مِنْ مَوْضِعِهَا وَتَرَكَ مَا قَبْلَهَا
وما بعدها وهذا تدليس وكذب على مشاهديه ، لينال من رسول الله ﷺ

ثَانِيًا : إِنَّ هَذَا التَّمَتُّعَ جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ

إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (196) ﴿البقرة﴾.

نلاحظ من الآية: ﴿ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ لا تعليق!

ثالثاً : إن التمتع بالنسوان جاء في الكتاب المقدس وليس عندنا ، وذلك لما أمر الربُّ نبيه هوشع أول ما كلمه بأن يأخذ امرأة زنا ليطمئن بها ، وكذلك سليمان الذي رأى امرأة تستحم فأعجبته وزنا بها، وكذلك لوط ، وزوجة يعقوب... وذلك بحسب ما نسب الكتاب للرب ، ولنبيه هوشع ، ولسليمان ، ولوط ، وزوجة يعقوب جاء ذلك في الآتي :

1- النبي هوشع زنا بأمر الرب ...

2-

وذلك في سفر هوشع إصحاح 1 عدد 2¹ أَوَّلَ مَا كَلَّمَ الرَّبُّ هُوشَعَ، قَالَ الرَّبُّ لِهُوشَعَ: «اذْهَبْ خُذْ لِنَفْسِكَ امْرَأَةً زَنَى وَأَوْلَادَ زَنَى، لِأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ زَنَتْ زِنَى تَارِكَةً الرَّبَّ». 3 فَذَهَبَ وَأَخَذَ جُومَرَ بِنْتَ دِبْلَايِمَ، فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا !

النبي داود زنا بزوجة أوريا الحثي ، وقتله غدرًا وحيلة ، وذلك لما رآها وهي تستحم فأعجبته ...

سفر صموئيل الثاني إصحاح 11 عدد 1¹ وَكَانَ عِنْدَ تَمَامِ السَّنَةِ، فِي وَقْتِ خُرُوجِ الْمُلُوكِ، أَنَّ دَاوُدَ أَرْسَلَ يُوَابَ وَعَبِيدَهُ مَعَهُ وَجَمِيعَ إِسْرَائِيلَ، فَأَخْبَرُوا بَنِي عَمُّونَ وَحَاصَرُوا رِيَّةَ. وَأَمَّا دَاوُدُ فَأَقَامَ فِي أُورُشَلِيمَ. 2 وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةً الْمَنْظَرِ جِدًّا. 3 فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَّالَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هَذِهِ بِشَبْعَ بِنْتِ أَلِيْعَامِ امْرَأَةِ أُورِيَا الْحِثِّيِّ؟». 4 فَأَرْسَلَ

دَاوُدُ رُسُلًا وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمَثِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا.⁵ وَحَبَلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى». ⁶فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى يُوَابَ يَقُولُ: «أَرْسِلْ إِلَيَّ أَوْريَّا الْحِثِّيَّ». فَأَرْسَلَ يُوَابُ أَوْريَّا إِلَى دَاوُدَ. ⁷فَأَتَى أَوْريَّا إِلَيْهِ، فَسَأَلَ دَاوُدَ عَنْ سَلَامَةِ يُوَابَ وَسَلَامَةِ الشَّعْبِ وَنَجَاحِ الْحَرْبِ. ⁸وَقَالَ دَاوُدُ لَأَوْريَّا: «انْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ». فَخَرَجَ أَوْريَّا مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ حِصَّةٌ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ. ⁹وَنَامَ أَوْريَّا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ جَمِيعِ عِبِيدِ سَيِّدِهِ، وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ. ¹⁰فَأَخْبَرُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ: «لَمْ يَنْزِلْ أَوْريَّا إِلَى بَيْتِهِ». فَقَالَ دَاوُدُ لَأَوْريَّا: «أَمَا جِئْتَ مِنَ السَّعْرِ؟ فَلِمَ أَذًا لَمْ تَنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ؟» ¹¹فَقَالَ أَوْريَّا لِدَاوُدَ: «إِنَّ التَّابُوتَ وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوَابُ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لِأَكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجَعَ مَعَ امْرَأَتِي؟ وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ، لَا أَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ». ¹²فَقَالَ دَاوُدُ لَأَوْريَّا: «أَقِمْ هُنَا الْيَوْمَ أَيْضًا، وَغَدًا أُطْلِقُكَ». فَأَقَامَ أَوْريَّا فِي أُورُشَلِيمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَغَدَهُ. ¹³وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَلَ أَمَامَهُ وَشَرِبَ وَأَسْكِرَهُ. وَخَرَجَ عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَضْطَجَعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَإِلَى بَيْتِهِ لَمْ يَنْزِلْ. ¹⁴وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوبًا إِلَى يُوَابَ وَأَرْسَلَهُ بِيدِ أَوْريَّا. ¹⁵وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: «اجْعَلُوا أَوْريَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ». ¹⁶وَكَانَ فِي مُحَاصِرَةِ يُوَابَ الْمَدِينَةَ أَنَّهُ جَعَلَ أَوْريَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّ رِجَالَ الْبَأْسِ فِيهِ. ¹⁷فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارِبُوا يُوَابَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عِبِيدِ دَاوُدَ، وَمَاتَ أَوْريَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا. ¹⁸فَأَرْسَلَ يُوَابُ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِجَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ. ¹⁹وَأَوْصَى الرَّسُولَ قَائِلًا: «عِنْدَمَا تَفْرُغَ مِنَ الْكَلَامِ مَعَ الْمَلِكِ عَنْ جَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ، ²⁰فَإِنْ اشْتَغَلَ غَضَبُ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَكَ: لِمَ أَذًا دَنَوْتُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ لِلْقِتَالِ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ يَرْمُونَ مِنْ عَلَى ²¹مَنْ قَتَلَ أَبِيمَالِكَ بْنِ يَرْبُوشَتَ؟ أَلَمْ تَرْمِهِ امْرَأَةٌ بِقِطْعَةٍ رَحَى مِنْ عَلَى السُّورِ فَمَاتَ فِي تَابَاصٍ؟ لِمَ أَذًا دَنَوْتُمْ مِنَ السُّورِ؟ فَقُلْ: قَدْ مَاتَ عَبْدُكَ أَوْريَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا».

3- النبي لوط زنا ببناته

وذلك في سفر التكوين إصحاح 19 عدد ²⁹وَحَدَّثَ لَمَّا أَخْرَبَ اللَّهُ مَدْنَ الدَّائِرَةِ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَرْسَلَ لُوطًا مِنْ وَسْطِ الْإِنْقِلَابِ. حِينَ قَلَبَ الْمَدْنَ الَّتِي سَكَنَ فِيهَا لُوطٌ. ³⁰وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي

الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ.³¹ وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الْأَرْضِ.³² هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلًا».³³ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا.³⁴ وَحَدَّثَتْ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدْ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلًا».³⁵ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا،³⁶ فَحَبَلَتْ ابْنَتًا لُوطَ مِنْ أَبِيهِمَا.³⁷ فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ «مُؤَابَّ»، وَهُوَ أَبُو الْمُؤَابِّيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ.³⁸ وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتْ ابْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ «بَنَ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ.

4- زنا ابن يعقوب النبي (روبين) بزوجة أبيه (بلهة)

وذلك في سفر التكوين إصحاح 35 عدد 21²¹ ثُمَّ رَحَلَ إِسْرَائِيلُ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ وَرَاءَ مَجْدَلٍ عَدْرٍ.²² وَحَدَّثَ إِذْ كَانَ إِسْرَائِيلُ سَاكِنًا فِي تِلْكَ الْأَرْضِ، أَنَّ رُؤْبِينَ ذَهَبَ وَاضْطَجَعَ مَعَ بِلْهَةَ سُرِّيَّةِ أَبِيهِ، وَسَمِعَ إِسْرَائِيلُ. ! لا تعليق .

رد شبهة : نبي ليس له عمل إلا التزوج بالنساء !

قال كبيرهم في فضائيته باستهزاء ، وذلك قبل شلحه منها... قال : اللهم لا حسد!

محمد نبي الإسلام ليس له عمل إلا التزوج بالنساء ، وذلك بالدليل والبرهان جاء في كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس (ج1/ص 635) قال عمرُ بنُ غفرة لما قالت ناس: ما لمحمد شغل إلا التزوج فحسدوه على ذلك فأنزل الله ﷻ: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54)﴾ (النساء) .

كان لسليمان ﷺ ألف امرأة منها سبعمائة حرة وكان لداود مائة امرأة.

ثم قال معقباً ساخراً على ما سبق : " اللهم لا حسد " !

الرد على الشبهة

أولاً: إن الدعي مدلس وكاذب... لأنني لما طالعت الرواية وجدتُها تقول: قال عمر بن غفرة لما قالت اليهود : " ما لمحمد شغل إلا التزوج فحسدوه".

الملاحظ : أن اليهود هم الذين قالوا ذلك ، وليسوا أناساً مؤمنين كما ادعى الكاذب المدلس...فكلمة ناس تطلق على المؤمن والكافر والمنافق...

ثانياً : إن الروايات التي تتعلق بالأمر جاءت من طريق عمر بن عبد الله المدني مولى غفرة ، ففي الطبقات الكبرى لابن سعد (ج 8/ ص 202) : عن عمر مولى غفرة قال : قالت يهود : لما رأت رسول الله يتزوج النساء انظروا إلى هذا الذي لا يشبع من الطعام ولا والله ما له همة إلا النساء وحسدوه لكثرة نسائه وعابوه بذلك وقالوا لو كان نبيا ما رغب في النساء وكان أشدهم في ذلك حيي بن أخطب فأكذبهم الله وأخبرهم بفضل الله وسعته على نبيه فقال: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله يعني بالناس رسول الله ﷺ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ما آتى الله سليمان بن داود ﷺ كانت له ألف امرأة سبع مائة مهيرة وثلاث مائة سرية وكانت لداود مائة امرأة منهن اوريا أم سليمان بن داود النبي تزوجها بعد الفتنة فهذا أكثر مما لمحمد ﷺ أخبرنا محمد بن عمر حدثني إبراهيم بن يزيد المكي عن سليمان الأحول وهشام بن حجر عن طاوس قال : وحدثني بن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي

هريرة عن رسول الله ﷺ قال: قال سليمان بن داود: لأطوفن على سبعين امرأة يعني في ليلة كل واحدة . اهـ

ثم إن عمر بن عبد الله المدني مولى غفرة ليس بثقة عند المحققين

بيان ذلك من الآتي :

1- قال صاحب تهذيب التهذيب (ج 7 / ص 415) : قال البرقي في الطبقات في باب من احتملت روايته من الثقات في الأخبار والقصص خاصة ولم يكن ممن يتقن الرواية عن أهل الفقه عمر مولى غفرة كان صاحب مراسلات ورقائق. قال أبو بكر البزار لم يكن به بأس وأحاديثه عن ابن عباس مرسلة وقال الدوري عن ابن معين لم يكن به بأس وقال الساجي تركه مالك وقال ابن أبي حاتم عن أبيه لم يلق أنسا وحديثه عن ابن عباس مرسل وقال العجلي يكتب حديثه وليس بالقوي . اهـ

2- قال صاحب تقريب التهذيب (ج 1/ ص 721) : عمر بن عبد الله المدني مولى غفرة بضم المعجمة وسكون الفاء ضعيف وكان كثير الإرسال من الخامسة مات سنة خمس أو ست وأربعين . اهـ

3- قال صاحب الوافي بالوفيات (ج 7 / ص 156) : عمر بن عبد الله المدني، مولى غفرة المدني. أدرك ابن عباس، وحدث عنه. قال الشيخ شمس الدين: فما أدري سماعاً أم لا. وله رواية عن أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب ، وأبي الأسود الدؤلي، ومحمد بن كعب.

قال أحمد بن حنبل: ليس له بأس، لكن أكثر حديثه مراسيل . وقال معين وغيره: ضعيف. توفي سنة خمس وأربعين ومائة، وروى له أبو داود والترمذي . اهـ

ثالثاً : إنني أفترض صحة الرواية التي فيها ما قاله اليهود وهم خصم ؛ أظهروا عداؤهم للنبي

يبقى سؤالاً يطرح نفسه هو : هل شهادة اليهود أعداء الأنبياء يُعتد بها ، وهم الذي يحاربونهم ويلقون عليهم التهم الترهات....؟!
فكيف للمعترض أن يستشهد علينا بخصم لنا يدعي الأكاذيب والافتراءات ، وليس مؤمناً بربه يسوع....

أقول : إن اليهود قد قالوا عن المسيح ﷺ انه بن زنا ، وذلك في إنجيل يوحنا إصحاح 8 عدد⁴¹ أنتم تعملون أعمال أبيكم». فقالوا له: «إِنَّا لَمْ نُولَدْ مِنْ زِنَا. لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ».

وأخيراً يبقى سؤال هام : هل نحاسب يسوع المسيح بقول اليهود أنه ابن زنا والعياذ بالله ؟ هذا هو.

رابعاً : إن التفسير الصحيح لقوله ﷻ : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54) ﴾ (النساء).

جاء في عدة تفاسير أكتفي بما جاء في التفسير الميسر: بل أيحسدون محمداً ﷺ على ما أعطاه الله من نعمة النبوة والرسالة، ويحسدون أصحابه على نعمة التوفيق إلى الإيمان، والتصديق بالرسالة، وإتباع الرسول، والتمكين في الأرض، ويتمنون زوال هذا الفضل عنهم؟ فقد أعطينا ذرية إبراهيم ﷺ -من قبل- الكتب، التي أنزلها الله عليهم وما أوحى إليهم مما لم يكن كتاباً مقروءاً، وأعطيناهم مع ذلك ملكاً واسعاً . اهـ

رد شبهة : نبيّ يقول : كل فرج مكتوب عليه اسم ناكحة !

من الشبهات التي فرحوا بها كثيراً لينالوا من عرض رسول الله ... وليتھكموا سخريّة من خير الأنام ..

أنهم قالوا : إن رسول الإسلام قال حديثاً غريباً ،وبه ألفاظ ليست حسنة ... قوله : " مكتوب على كل فرج ناكحه " ومنهم من تناول على زوجات النبي ﷺ في تساؤلاتهم ..

الرد على الشبهة

أولاً : إنني بحثت في كلّ كتب الأحاديث فلم أجد حديثاً فيه أن النبي ﷺ قال : " مكتوب على كل فرج ناكحه " إلا إنني وجدته في مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية -رحمه الله- (ج2 / ص63) قال : روي إنه مكتوب على كل فرج ناكحة فليس صحيحاً أيضاً ، وليس هو من جنس كلام النبي ﷺ لكن لا ريب أن الله تعالى كتب كل ما يفعل العباد قبل أن يفعلوه فذلك عنده وقد ثبت أن الله يأمر الملك فيكتب على العبد كل ما يفعله قبل أن ينفخ فيه الروح اهـ

إذاً من خلال ما سبق تبين لنا أن الحديث لا أصل له للآتي :

1- لم يوجد في كتب الأحاديث أبداً.

2- حكم ابن تيمية عليه بأنه ليس صحيحاً ، وليس من جنس كلام النبي ﷺ .

وعليه : فكأننا لم نسمع شيئاً من المعترضين ؛ لأن ما بني على باطل فهو باطل...

ثانياً : إن المدقق في الكتاب المقدس يجد فيه أكثر مما ادعاه المعترضون على نبينا ﷺ زوراً وبهتاناً ... بقوله : قال ﷺ حديثاً غريباً ، وبه ألفاظ ليست حسنة... فنجد هذه الألفاظ التي ليست حسنة في كتابهم هم ...

فعلى سبيل المثال لا الحصر جاء فيه الآتي :

1- سفر نشيد الإنشاد أكتفي بذكر الأعداد الآتية من الإصحاح 7 عدد¹ مَا أَجْمَلَ رَجُلِكَ بِاللَّعْلِينَ يَا بِنْتَ الْكَرِيمِ! دَوَائِرُ فَخْذِكَ مِثْلُ الْحَلِيِّ، صَنَعَةُ يَدَيْ صَنَاعٍ.² سُرْتُكَ كَأَسْ مُدَوَّرَةٍ، لَا يَعْوِزُهَا شَرَابٌ مَمْرُوجٌ. بَطْنُكَ صَبْرَةٌ حِنْطَةٌ مُسَيِّجَةٌ بِالسَّوْسَنِ.³ ثَدْيَاكَ كَخَشَفَتَيْنِ، تَوَامِي ظَبْيَةٍ.

⁴عُنُقُكَ كَبُرْجٍ مِنْ عَاجٍ. عَيْنَاكَ كَالْبَرْكِ فِي حَشْبُونٍ عِنْدَ بَابِ بَيْتِ رَبِّيمَ. أَنْفُكَ كَبُرْجٍ لِبْنَانٍ النَّاطِرِ تَجَاهَ دِمَشْقٍ.⁵ رَأْسُكَ عَلَيْكَ مِثْلُ الْكُرْمَلِ، وَشَعْرُ رَأْسِكَ أَرْجَوَانٌ. مَلِكٌ قَدْ أُسِرَ بِالْخُصْلِ.⁶ مَا أَجْمَلَكَ وَمَا أَحْلَاكَ أَيْتَاهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّدَاتِ! ⁷قَامَتْكَ هَذِهِ شَبِيبَةً بِالنَّخْلَةِ، وَثَدْيَاكَ بِالْعَنَاقِيدِ.⁸ قُلْتُ: «إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى النَّخْلَةِ وَأُمْسِكُ بِعُذُوقِهَا». وَتَكُونُ ثَدْيَاكَ كَعَنَاقِيدِ الْكَرْمِ، وَرَائِحَةُ أَنْفِكَ كَالثَّقَاحِ،⁹ وَحَنَكُكَ كَأَجُودِ الْخَمْرِ...

2- سفر حزقيال في الإصحاح الثالث والعشرون بأكمله عبارات غير حسنة.... ولكني أكتفي هنا بالإعداد التالية:

¹⁷فَاتَاهَا بَنُو بَابِلَ فِي مَضْجَعِ الْحُبِّ وَنَجَسُوهَا بِزِنَاهُمْ، فَتَنَجَّسَتْ بِهِمْ، وَجَفَّتْهُمْ نَفْسُهَا.

¹⁸وَكَشَفَتْ زِنَاهَا وَكَشَفَتْ عَوْرَتَهَا، فَجَفَّتْهَا نَفْسِي، كَمَا جَفَّتْ نَفْسِي

أُخْتَهَا. ¹⁹وَأَكْثَرَتْ زِنَاهَا بِذِكْرِهَا أَيَّامَ صِبَاهَا الَّتِي فِيهَا زَنَتْ بِأَرْضِ مِصْرَ. ²⁰وَعَشَقَتْ مَعْشُوقِيهِمُ الَّذِينَ لَحَمَهُمْ كَلْحَمِ الْحَمِيرِ وَمَنْيُهُمْ كَمَنْيِ الْخَيْلِ. ²¹وَأَفْتَقَدْتُ

رَذِيلَةَ صَبَاكَ بِزَغَزَغَةِ الْمَصْرِيِّينَ تَرَائِيكَ لِأَجْلِ نَدْيِ صَبَاكَ.²² «لَأَجْلِ ذَلِكَ يَا أُهُولِيَّةُ، هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَازِدًا أَهَيِّجُ عَلَيْكَ عَشَّاقَكَ الَّذِينَ جَفَّتْهُمْ نَفْسُكَ، وَآتَى بِهِمْ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ: ²³بَنِي بَابِلَ وَكُلَّ الْكَلْدَانِيِّينَ، فَقُودَ وَشُوعَ وَقُوعَ، وَمَعَهُمْ كُلُّ بَنِي أَشُّورَ، شُبَّانُ شَهْوَةٍ، وَلَاةٌ وَشَحَنٌ كُلُّهُمْ رُؤَسَاءُ مَرْكَبَاتٍ وَشَهْرَاءُ.

العجيب هو ما قاله الأب متى المسكين عنه: اللغة القبيحة الفاحشة في أخط معناها وصورها [ثم يقول] فيها كل وساخة الزنا وفحشاء الإنسان....!

جاء ذلك في كتابة (النبوة والأنبياء في العهد القديم (ص 226:227) قائلاً : وسوف يصدّم القارئ المتحفظ باستخدام اللغة القبيحة الفاحشة في أخط معناها و صورتها في مخاطبة أهل إسرائيل أربعة وعشرون إصحاحاً يفتح بهم حزقيال نبوته عليهم فيها كل وساخة الزنا ، وفحشاء الإنسان ... اهـ

3- سفر صموئيل الأول إصحاح 20 عدد 30 فَحَمِي غَضِبُ شَاوُلَ عَلَى يُونَاثَانَ وَقَالَ لَهُ: «يَا ابْنَ الْمُنْعَوِجَةِ الْمُتَمَرِّدَةِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ قَدْ اخْتَرْتَ ابْنَ يَسَى لِحَزْرِيكَ وَخِزْيِ عَوْرَةِ أُمِّكَ ؟

4- سفر الأمثال إصحاح 30 عدد¹⁵ لِلْعُلُوقَةِ بِنْتَانِ: «هَاتِ، هَاتِ!». ثَلَاثَةٌ لَا تَشْبَعُ، أَرْبَعَةٌ لَا تَقُولُ: «كَفَا».

وبحسب الترجمة اليسوعية : " للعلقة بنتان تقولان : "هات هات" ، ثلاث لا تشبع ، وأربع لا تقول: "كفا" !

إذاً من خلال ما سبق يتبين لنا : أن المعترضين يتعلقون بحديث مكذوب على النبي ، ولا يعترضون على نصوص كتابهم الكثيفة ...

رد شبهة: نبيٌ يقول لامرأةٍ : (إنكم أحب الناس إليّ) !

قالوا: رسولُ الإسلام (يعاكس) إحدى نساء الأنصار، قال لها بعد أن خلا بها : " إِنَّكُمْ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " .

واستدلوا على ذلك بما جاء في الصحيحين:

1- صحيح البخاري كتاب (الْأَيْمَانِ وَالنُّدُورِ) بَاب (كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ ﷺ) برقم 6154 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ مَعَهَا أَوْلَادٌ لَهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " .

2- صحيح مسلم كتاب (فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ) بَاب (مِنْ فَضَائِلِ الْأَنْصَارِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ -) برقم 4564 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : جَاءَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَخَلَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن قوله ﷺ : إنكم (يعني به الأنصار عموماً) ولو قال ﷺ : " إنكن " (يعني به نساء الأنصار عموماً) ، ولو بخصوص هذه المرأة لقال ﷺ : " إنكِ ! "

ونجد كذلك في رواية البخاري: أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ مَعَهَا أَوْلَادٌ لَهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ " .

إذاً : الواضح من الرواية أنه ﷺ قال ذلك لهم جميعاً ، وليس للمرأة بمفردها كما يزعم المعتضون .

ثانياً: إن الملاحظ من الحديث أيضاً : " فَخَلَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " . نرى أن الراوي هو أنس بن مالك ﷺ يقول: إن النبي ﷺ خلا بها ، ثم في نهاية الحديث قال : إن النبي ﷺ قال لها : "إنكم أحب الناس إليّ " .

وَأْتَسَاءَلُ : إذا كانت هذه خلوة بين النبي ﷺ وبين المرأة كيف سمع أنس ما قاله الرسول ﷺ للمرأة ؟!

فالخلوة : هي ما بين اثنين أو أكثر ، فمن أين سمع الراوي أنس ﷺ ما دار بين النبي ﷺ والمرأة ؟ أم أن أنس ﷺ كان يتجسس ؟! أم أن هذا من علم الغيب عنده ﷺ ؟! هذا هو .

ثم إن هذه المرأة والأولاد لم يكونوا أصحاب شهرة أعني: لم يكلمها النبي ﷺ إلا مرة واحدة فقط ، دل على ذلك ما قاله ابن حجر في الفتح : قوله : " أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ لَمْ أَقِفْ عَلَى اسْمِهَا وَلَا عَلَى أَسْمَاءِ أَوْلَادِهَا . اهـ

وقال - رحمه الله - : قوله : " فَخَلَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " . أي: في بعض الطرق ، قَالَ الْمُهَلَّبُ : لَمْ يَرِدْ أَنَسٌ أَنَّهُ خَلَا بِهَا بِحَيْثُ غَابَ عَنْ أَبْصَارِ مَنْ كَانَ مَعَهُ ، وَإِنَّمَا خَلَا بِهَا

بَحِيْثٌ لَا يَسْمَعُ مَنْ حَضَرَ شَكْوَاهَا وَلَا مَا دَارَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْكَلَامِ ، وَلِهَذَا سَمِعَ أَنَسُ آخِرَ الْكَلَامِ فَنَقَلَهُ وَلَمْ يَنْقُلْ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا لِأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهُ اهـ. وَوَقَعَ عِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ طَرِيقِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ " أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ، فَقَالَ : يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السَّكَّكِ شِئْتُ حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ " وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ نَحْوَ هَذَا السِّيَاقِ مِنْ طَرِيقِ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ لَكِنْ لَيْسَ فِيهِ أَنَّهُ كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ . اهـ

ثَالِثًا : إن الخلوة الحقيقية بمفهومها المتبادر إلى أذهان المعترضين الذي يؤدي إلى الزنا ؛ ثابتٌ ذلك في الكتاب المقدس فهو نسب إلى يهوذا جد يسوع المسيح أنه خلا (بثامار) زوجة ابنه في الطريق ولم يعرفها كان يظن أنها زانية (عكسها) ثم لنقرأ سوياً ماذا فعل يهوذا مع زوجة ابنه لما رآها في الطريق ، وذلك في سفر التكوين إصحاح 38 عدد 13 فَأُخْبِرَتْ ثَامَارُ وَقِيلَ لَهَا: «هُوَذَا حَمُوكَ صَاعِدٌ إِلَى تِمْنَةَ لِيَجْزِيَ غَنَمَهُ». 14 فَخَلَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرْمُلِهَا، وَتَعَطَّتْ بِبُرْقِعٍ وَتَلَقَّفَتْ، وَجَلَسَتْ فِي مَدْخَلِ عَيْنَايِمَ الَّتِي عَلَى طَرِيقِ تِمْنَةَ، لِأَنَّهَا رَأَتْ أَنَّ شَيْلَةَ قَدْ كَبُرَ وَهِيَ لَمْ تُعْطَ لَهُ زَوْجَةً. 15 فَنَظَرَهَا يَهُوذَا وَحَسِبَهَا زَانِيَةً، لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ غَطَّتْ وَجْهَهَا. 16 فَمَالَ إِلَيْهَا عَلَى الطَّرِيقِ وَقَالَ: «هَاتِي أَدْخُلِي عَلَيَّ». لِأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا كَتَنَتْهُ. فَقَالَتْ: «مَاذَا تُعْطِينِي لِكَيْ تَدْخُلَ عَلَيَّ؟» 17 فَقَالَ: «إِنِّي أُرْسِلُ جَدِي مِعْزَى مِنَ الْغَنَمِ». فَقَالَتْ: «هَلْ تُعْطِينِي رَهْنًا حَتَّى تُرْسِلَهُ؟». 18 فَقَالَ: «مَا الرِّهْنُ الَّذِي أُعْطِيكَ؟» فَقَالَتْ: «خَاتَمُكَ وَعَصَابَتُكَ وَعَصَاكَ الَّتِي فِي يَدِكَ». فَأَعْطَاهَا وَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَحَبِلَتْ مِنْهُ. 19 ثُمَّ قَامَتْ وَمَضَتْ وَخَلَعَتْ عَنْهَا بُرْقِعَهَا وَلَبِسَتْ ثِيَابَ تَرْمُلِهَا.....!

وَأُتْسَاعِلُ : ما رأي المعترضين في تلك النصوص ؛ خلوة في الطريق ، وزنا محارم ، وحمل ... ؟

ولماذا يُذكر هذا في كتاب من عند الله (الكتاب المقدس) هل لتتعلم كيف ننزي زنا المحارم....؟!

رد شبهة : نبي يتزوج بغير ولي بخلاف ما جاء في الشرع ... !

قالوا: إن نبي الإسلام تزوج إحدى زوجاته (زينب) من غير ولي لها...وذلك في صحيح البخاري برقم 6870 عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول: " اتق الله وأمسك عليك زوجك " قال أنس: " لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتّم هذه " قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: " زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات " .

وعن ثابت: {وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس} نزلت في شأن زينب وزيد بن حارثة.

الرد على الشبهة

أولاً: إن كون النبي ﷺ يتزوج من غير ولي فهذا لا إشكال فيه لعدة أدلة منها:

1- قوله ﷺ: " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم (6) " (الأحزاب) .

2- قوله ﷺ: " لا نكاح إلا بولي والسلطان ولي من لا ولي له " (سعيد بن منصور ، وأحمد ، وابن ماجه ، والبيهقي ، وابن عساكر عن عائشة . أحمد ، والطبراني عن ابن عباس)

حديث عائشة : أخرجه أحمد (260/6 ، رقم 26278) ، وابن ماجه (605/1 ، رقم 1880) ، والبيهقي (106/7 ، رقم 13386) ، وابن عساكر (299/52) . وأخرجه أيضاً : ابن أبي شيبة (455/3 ، رقم 15933) ، وأبو يعلى (191/8 ، رقم 4749) .

2- قوله ﷺ : " لا نكاح إلا بولي فإن لم يكن ولي فاشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له " (البيهقي عن عائشة) أخرجه البيهقي (106/7 ، رقم 13385) .

4- تفسير زاد المسير لابن الجوزي وذكر أهل العلم أن من خصائص رسول الله ﷺ أنه أجيز له التزويج بغير مهر ليخلص قصد زوجاته لله دون العوض وليخفف عنه وأجيز له التزويج بغير ولي لأنه مقطوع بكفائه وكذلك هو مستغن في نكاحه عن الشهود وكانت زينب تفاخر نساء النبي ﷺ وتقول زوجكن أهلوكن وزجني الله عز و جل ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما . اهـ .

إذا : من خصائص النبي ﷺ وحده انه يتزوج بلى ولي ؛ لأنه ولي هذه الأمة ، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم....

ثانياً : إن قيل : إن بعض العلماء قال : المرأة الأيم تزوج نفسها وبه قال أبو حنيفة وغيره ... مستدلين بما جاء عند الترمذي برقم 1026 عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال الأيم: أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا وَالْبَكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا .

بين معناه الإمام الترمذي قائلًا : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ شُعْبَةُ وَالثَّوْرِيُّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَقَدْ احْتَجَّ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِجَازَةِ النِّكَاحِ بِغَيْرِ وَلِيٍّ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَلَيْسَ فِي هَذَا

الْحَدِيثُ مَا احْتَجُّوا بِهِ لِأَنَّهُ قَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ وَهَكَذَا أَفْتَى بِهِ ابْنُ عَبَّاسٍ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ وَإِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ الْأَيْمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْوَلِيَّ لَا يُزَوِّجُهَا إِلَّا بِرِضَاهَا وَأَمْرُهَا فَإِنْ زَوَّجَهَا فَالنِّكَاحُ مَفْسُوخٌ عَلَى حَدِيثِ خَنْسَاءَ بِنْتِ خَدَامٍ حَيْثُ زَوَّجَهَا أَبُوهَا وَهِيَ ثَيِّبٌ فَكَرِهَتْ ذَلِكَ فَردَّ النَّبِيُّ ﷺ نِكَاحَهُ.

ثم إن هناك أدلة كثيرة على بطلان هذا الزواج منها :

1- قوله ﷺ : " لا نكاح إلا بولي والزانية التي تنكح نفسها بغير ولي " . (الديلمى عن أبى هريرة)

أخرجه أيضاً : الشافعى (291/1).

2- قوله ﷺ : " لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل " . (البيهقى ، والخطيب عن عائشة . النقاش فى القضاة عن أنس ، وعن ابن عمر . الطبرانى ، والبيهقى عن عمران بن حصين)

حديث عائشة : أخرجه البيهقى (125/7 ، رقم 13497) ، والخطيب (157/12) .
حديث عمران : أخرجه الطبرانى (142/18 ، رقم 299) ، والبيهقى (125/7 ، رقم 13498).

3- قوله ﷺ : " لا نكاح إلا بولي والسلطان ولي من لا ولي له (سعيد بن منصور ، وأحمد ، وابن ماجه ، والبيهقى ، وابن عساكر عن عائشة . أحمد ، والطبرانى عن ابن عباس)

حديث عائشة : أخرجه أحمد (260/6 ، رقم 26278) ، وابن ماجه (605/1 ، رقم 1880)، والبيهقي (106/7 ، رقم 13386) ، وابن عساكر (299/52) . وأخرجه أيضاً : ابن أبي شيبه (455/3 ، رقم 15933) ، وأبو يعلى (191/8 ، رقم 4749) .

إِذَا مِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ تَبَيَّنَ لَنَا : أن المرأة لم تزوج نفسها ولم تتزوج إلا بولي وغير ذلك يعد باطلاً ، ولا شك أن ولي امة المسلمين هو محمد ﷺ ...

رد شبهة : نبي الإسلام جاء بأية تدعو لزواج الأطفال !

قالوا : إن نبي الإسلام جاء بأية تدعو لزواج الصغيرة، وذلك لأنه تزوج من طفلة بريئة...
(عائشة) فجاء بهذه الآية لتشرع لغيره ذلك ولا يكن بدعا؛ دليلهم على قولهم مايلي:

1- قوله ﷺ : ﴿ وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مَنْ نَسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) ﴾ (الطلاق).

قالوا : لا حظ يا مسلم : ﴿ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ ﴾ أي : طفلة.

2- أقوال بعض المفسرين منها :

1- تفسير الجلالين : "وَاللَّائِي" بهمزة وياء وبلا ياء في الموضعين "يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ" بمعنى الحيض "مَنْ نَسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ" شككتكم في عدتهن "فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ" وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ "لِصِغَرِهِنَّ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ" وَالْمَسْأَلَتَانِ فِي غَيْرِ الْمُتَوَقَّى عَنْهُنَّ

أَزْوَاجَهُنَّ أَمَّا هُنَّ فَعَدَّتْهُنَّ مَا فِي آيَةِ "يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا" وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْقِضَاءُ عِدَّتِهِنَّ مُطْلَقَاتٍ أَوْ مُتَوَقِّى عَنْهُنَّ أَزْوَاجَهُنَّ "أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا" فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . اهـ

2- التفسير الميسر: والنساء المطلقات اللاتي انقطع عنهن دم الحيض؛ لكبر سنهن، إن شككتن فلم تدروا ما الحكم فيهن ؟ فعَدَّتْهُنَّ ثلاثة أشهر، والصغيرات اللاتي لم يحضن، فعَدَّتْهُنَّ ثلاثة أشهر كذلك. وذوات الحمل من النساء عدتهن أن يضعن حملهن. ومن يخف الله، فينفذ أحكامه، يجعل له من أمره يسراً في الدنيا والآخرة . اهـ

3- تفسير ابن كثير: يقول تعالى مبيناً لعدة الآيسة -وهي التي قد انقطع عنها الحيض لكبرها-: أنها ثلاثة أشهر، عوضاً عن الثلاثة قروء في حق من تحيض، كما دلت على ذلك آية "البقرة" وكذا الصغار اللاتي لم يبلغن سن الحيض أن عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر؛ ولهذا قال: { وَاللَّاتِي لَمْ يَحِضْنَ } . اهـ

4- تفسير الألوسي : { وَاللَّاتِي لَمْ يَحِضْنَ } مبتدأ خبره محذوف أي واللاتي لم يحضن كذلك أو عدتهن ثلاثة أشهر ، والجملة معطوفة على ما قبلها ، وجوز عطف هذا الموصول على الموصول السابق وجعل الخبر لهما من غير تقدير ، والمراد باللاتي لم يحضن الصغار اللاتي لم يبلغن سن الحيض . اهـ

الرد على الشبهة

أولاً: إنني نسفت الشبهة نسفاً (زواج النبي من عائشة) في هذا الكتاب في الباب الخامس ، وأتيتُ بحديث فيه أن الجارية إذا بلغت التسع سنين في امرأة وليست طفلة....

الحديث في سنن الترمذي برقم 1027 قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : " إِذَا بَلَغَتْ الْجَارِيَةُ تِسْعَ سِنِينَ فَهِيَ امْرَأَةٌ ". صححه الألباني في الإرواء برقم 185 .

ثانياً : إن الآية التي معنا لا تخدم المعترضين بحالٍ من الأحوال لعدةٍ أوجهٍ هي :

أولاً : أن محمداً لم يأت بالآية ، وإنما نزلت عليه من ربه وما وهو إلا مبلغ عن ربه ، قال ﷺ : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (89) (النحل).

ثانياً: لا يوجد في الآية أنه يجوز وطأ الطفلة أبداً...

ثالثاً: إن الآية التي معنا لا تتحدث عن أطفال كما فهم المعترضون بفهمهم المريض ، وإنما تتحدث عن نساء صغيرات لوجهين :

الوجه الأول : أن الآية نفسها تقول: ﴿ وَاللَّائِي يَئْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾.

نلاحظ : كلمة نسائكم التي من كلمة نساء ، ومفرد كلمة نساء امرأة ؛ إذن الآية لا تتحدث طفلة ولكن عن امرأة ..

الوجه الثاني : أن المفسرين لم يقولوا طفلة أبداً، وإنما قالوا الصغيرات ، وهناك فرق كبير بينهما...

وعليه: فإن ما سبق يدل على أن الآية تتحدث عن امرأة صغيرة قد يكون عمرها 20 سنة هذه امرأة صغيرة ، بلغت هذا السن ولم تحض إما لأسباب مرضية أو جغرافية

فما سبق دليل على كذب وتدليس المعترضين؛ لأنهم قالوا طفله، وهناك فرق كبير بين امرأة صغيرة وطفلة...

ثالثاً: إن القرآن الكريم أعظم من يفسر على وجه واحد ، ولذلك فإن للآية الكريمة عدة تفاسير سبق بيان بعضها ، ولا مانع من ذكرها مرة أخرى ؛ الآية تقول : ﴿ وَاللَّائِي يَنْسِنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) ﴾ (الطلاق).

التفسير الأول : مفرد كلمة نساء امرأة والطفلة ليست من النساء ؛إذا الآية لا تتحدث طفلة ولكن عن امرأة ، فقد تكون هناك امرأة تجاوزت الثلاثين سنة ولم تحض لأسباب مرضية أو جغرافية.....

ويبقى السؤال : هناك نساء بلغن العشرين سنة أو الثلاثين ولم يحضن؟ هل هن أطفال؟!

التفسير الثاني : وهو ما ذكره كثير من المفسرين على أن المقصود صغيرة لا طفلة؛ قد يحمل على العقد دون الوطء للصغيرة ، ويكون الوطء بعد البلوغ...

أو يحمل على امرأة صغيرة قد يكون عمرها 20 سنة هذه امرأة صغيرة ،بلغت هذا السن ولم تحض إما لأسباب مرضية أو جغرافية.....

فان قيل : هل هذا الكاتب (أكرم) يفسر من نفسه .

قلتُ : لم أفسر من نفسي هناك عدة تفاسير تقول بذلك أكتفي بتفسير البغوي فهو يقول : { وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ } يعني الصغار اللائي لم يحضن فعدتهن أيضا ثلاثة أشهر. أما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغها سن الآيسات: فذهب أكثر أهل العلم إلى أن عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعد بثلاثة أقرأ أو تبلغ سن الآيسات فتعد بثلاثة أشهر. اهـ

رابعاً : إن وطأ الأطفال ليس في القرآن الكريم ، ولا في السنة المطهرة ؛ وإنما هو في كتابهم المقدس فهو نسب لنبيّ الله موسى - عليه السلام - أنه أمر أتباعه أن يقتلوا كل ذكرٍ من الأطفال ، و كل امرأةٍ عرفت رجلاً وضاجعته....إلا الأطفال من النساء ... وذلك بعد أن أخذوا السبي ؛ جاء ذلك في سفر العدد إصحاح 31 عدد 17¹⁷ فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الْأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلًا بِمُضَاجَعَةٍ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. 18¹⁸ لَكِنْ جَمِيعُ الْأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ.

قلتُ : إن هناك أسئلة تفرض نفسها بعد قراءة هذا النص : 18:31 لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم ! هي :

1- لماذا أبقي موسى - عليه السلام - لهم جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر حياتٍ لهم بعد سبيهن؟!

2- ماذا يفعل جيش من الرجال بأطفال من البنات اللواتي وقعن في السبي ؟

رد شبهة : نبيّ يحلل الرذيلة (سحاق النساء) !

هكذا قالوا واستشهدوا على قولهم ؛ بما جاء في سنن الترمذي كتاب (الأدب عن رسول الله ﷺ) باب (في كراهية مباشرة الرجال الرجال والمرأة المرأة) برقم 2716 حَدَّثَنَا هَنَادٌ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ حَتَّى تَصِفَهَا لِرِجَالِهَا كَأَنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا " .
قال أبو عيسى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
تحقيق الألباني : صحيح ، صحيح أبي داود (1866) .

الرد على الشبهة

أولاً : إن محمداً جاء بشريعة فيها العفة والطهارة فيها الزواج ، وهذه من صور رحمة الله بعباده تدلل على ذلك أدلة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم21).

2- قوله ﷺ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء32) .
حرم علينا ﷺ كل ما يقرب إلى الزنا من نظرة ، أو خلوة ، أو مصافحة ، أو مخالطة غير مشروعة ، أو خضوع بالقول من النساء ، أو التبرج ...

2- حرم على الرجال اللواط ، وحرم على النساء السحاق ، وبين أن هذه الأفعال تخالف الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، ثم بين أن مرتكب هذه الجرائم البشعة هو مرتكب كبيرة من الكبائر التي توجب أشد العقاب ؛ فالمتأمل في كتاب الله المجيد يجد أنه ﷺ أهلك قوم لوط الذين كانوا يفعلون تلك الأفعال المشينة ...

3- توضح ذلك عدة أدلة منها :

أ- قوله ﷺ: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ ﴾ (82) مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ (83) (هود) .

ب- قوله ﷺ : " وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ " أي: من يفعل فعلهم من هذه الأمة وغيرها قد يصيبه من العذاب ، مثلما أصاب قوم لوط

خ- أخبر ﷺ عن نبيه لوط عليه السلام قائلًا : ﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ (الأنبياء 74) .

نلاحظ : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ﴾ .

د- لعن نبينا ﷺ من عمل عمل قوم لوط ؛ ثبت ذلك في مسند أحمد برقم 2677 ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 3462 عن ابن عباس - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال : " لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ تَخُومَ الْأَرْضِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ كَمَهُ الْأَعْمَى عَنِ السَّبِيلِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ سَبَّ وَالِدَهُ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ " .

خ- أمر النبي ﷺ بقتل من يعمل عمل قوم لوط ؛ ثبت ذلك في سنن أبي داود برقم 3869 ، والترمذي برقم 1376 ، وفي صحيح الجامع برقم 6589 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ " .

ذ- كان ﷺ يخاف على أمته من أن يعملوا عمل قوم لوط ... وذلك في سنن ابن ماجه برقم 2553 عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ " . حسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم 2563 .

4- كذلك أجمع المسلمون سلفاً وخلفاً على أن اللواط من الكبائر التي حرمها الله ﷻ ؛ لقوله: ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ 165 وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ (الشعراء 166) . وغير ذلك من الأدلة . وعليه يسقط قولهم : نبي يحلل الرذيلة يقصدون بها ؛ السحاق بين النساء !

ثانياً : إن الحديث الذي معنا حديثٌ عظيمٌ يدعو إلى معالي الأمور ، والأخلاقِ الكريمة ، وليس كما فهم وزعم المعترضون ؛ فهموا أن هذا الحديث يدعو للرذيلة ؛ يدعو للسحاق بين النساء ، ولكن هذا الحديث لا يخدمهم بحالٍ من الأحوال بل سيكون وبالاً عليهم كما سيتقدم معنا - إن شاء الله ﷻ - .

قلتُ : إن فهم هذا الحديث فهماً صحيحاً يكون على ثلاثة أوجه :

الأول: أن قوله ﷺ: " لَا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ حَتَّى تَصِفَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا " . هو مثل قوله ﷺ: في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه برقم 512 ، والترمذي في سننه برقم 2717 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَلَا تَفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ " .

ومعنى يفضي : يصل والمراد لا يضطجعان متجردين تحت ثوب واحد .

الثاني : أن الترمذي - رحمه الله- ذكر الحديثين في باب واحد هو : **بَاب (فِي كَرَاهِيَةِ مُبَاشَرَةِ الرَّجَالِ الرَّجَالَ وَالْمَرْأَةِ الْمَرْأَةَ)** .

الثالث : أن شرحَ هذا الحديث لم يأت فيه ما أدعى المعارضون ... بل فيه ما يدعو للعفة والطهر

يدلك على ذلك ما جاء في الآتي :

1- تحفة الأحوزي في شرح سنن الترمذي : قوله ﷺ : (لَا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ) : قيل : لَا نَافِيَةَ بِمَعْنَى النَّاهِيَةِ ، وَقِيلَ : نَاهِيَةٌ وَالْمُبَاشَرَةُ بِمَعْنَى الْمُخَالَطَةِ وَالْمَلَامَسَةِ ، وَأَصْلُهُ مِنْ لَمَسِ الْبَشَرَةِ الْبَشَرَةَ ، وَالْبَشَرَةُ ظَاهِرَةٌ جِلْدُ الْإِنْسَانِ ، أَيْ لَا تَمَسُّ بَشَرَةَ امْرَأَةٍ بِبَشَرَةِ أُخْرَى

(حَتَّى تَصِفَهَا) : أَيْ : تَصِفُ نِعْمَةً بَدَنَهَا وَلَيُونَةَ جَسَدِهَا .

(وَكَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا) : فَيَتَعَلَّقُ قَلْبُهُ بِهَا وَيَقَعُ بِذَلِكَ فِتْنَةً ، وَالْمَنْهَى فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ الْوَصْفُ الْمَذْكُورُ . قَالَ الْقَابِسِيُّ : هَذَا أَصْلٌ لِمَالِكٍ فِي سَدِّ الدَّرَائِعِ ، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ فِي هَذَا النَّهْيِ خَشْيَةٌ أَنْ يُعْجِبَ الزَّوْجَ الْوَصْفُ الْمَذْكُورُ فَيُفْضِيَ ذَلِكَ إِلَى تَطْلِيقِ الْوَاصِفَةِ ، أَوْ

الافتتان بالموصوفة ، ووقع في رواية النسائي من طريق مسروق عن ابن مسعود بلفظ : (لا تبأشر المرأة المرأة ولا الرجل الرجل) .
قوله : (هذا حديث حسن صحيح) : وأخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي
اهـ .

2- فتح الباري لابن حجر العسقلاني: قوله (لا تبأشر المرأة المرأة) : زاد النسائي في روايته " في الثوب الواحد " .
قوله : (فتنتها لزوجها كأنه ينظر إليها) : قال القاسبي : هذا أصل لمالك في سدّ الذرائع ، فإن الحكمة في هذا النهي خشية أن يعجب الزوج الوصف المذكور فيفضي ذلك إلى تطليق الوأصفة أو الافتتان بالموصوفة . اهـ

وبالتالي : فإن هذا الحديث يدعو للعفة وللخلق الكريم ؛ حيث لا يجوز للمرأة أن تصف امرأة لزوجها ، أو تلمس بشرتها وتصفها له ، فقد نهى نبينا ﷺ عن ذلك حتى لا يتعلق قلب الزوج بهذه المرأة الموصوفة فيتخيلها ، وقد يبحث عن علاقة معها بعد ذلك... فما أجمل هذا الحديث الذي يعالج مشاكل جمة في زماننا هذا ! حديث يدعو للعفة وسدّ الذرائع عن مقدمات الزنا....

ثالثاً: إن الناظر في الكتاب المقدس يجده نسب لرب العالمين أنه أول ما كلم به نبيه هوشع أمره بالزنا ! كنت أمل أن يأمره بالتوحيد أو مكارم الأخلاق لكن لا....

جاء ذلك في سفر هوشع إصحاح 1 عدد 2^{أول ما كلم الرب هوشع، قال الرب لهوشع: «اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى، لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب»³. فذهب وأخذ جומר بنت ديبلايم، فحبلت وولدت له ابناً !}

رابعاً : إن زنا المحارم من الرزيلة الخارجة عن الذوق الراقي لدى الناس في كل العصور
..... وهذا هو الكتاب المقدس ذكر لنا الآتي :

1- لوط زنا ببنتيه وذلك في سفر التكوين إصحاح 19 عدد ²⁹ وَحَدَّثَ لَمَّا أَخْرَبَ اللهُ مُدْنَ الدَّائِرَةَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَرْسَلَ لُوطًا مِنْ وَسْطِ الانْقِلَابِ. حِينَ قَلَبَ الْمُدْنَ الَّتِي سَكَنَ فِيهَا لُوطٌ. ³⁰ وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. ³¹ وَقَالَتِ الْبُكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الْأَرْضِ». ³² هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعْ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلًا». ³³ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبُكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا. ³⁴ وَحَدَّثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبُكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدْ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلًا». ³⁵ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا، ³⁶ فَحَبَلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. ³⁷ فَوَلَدَتِ الْبُكْرُ ابْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ «مُؤَابَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُؤَابِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. ³⁸ وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتْ ابْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ «بِنْ عَمِي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُونِ إِلَى الْيَوْمِ.

-2

3- أبناء داود زنا الأخ أمنون بأخته تamar (لتعلم كيف يغتصب الأخ أخته)!.....
وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 13 عدد ¹ وَجَرَى بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لِأَبْشَالُومَ بْنِ دَاوُدَ أُخْتُ جَمِيلَةٌ اسْمُهَا تَامَارُ، فَأَحَبَّهَا أَمْنُونُ بْنُ دَاوُدَ. ² وَأُحْصِرَ أَمْنُونُ لِلْسُّقْمِ مِنْ أَجْلِ تَامَارَ أُخْتِهِ لِأَنَّهَا كَانَتْ عَذْرَاءً، وَعَسَرَ فِي عَيْنِي أَمْنُونُ أَنْ يَفْعَلَ لَهَا شَيْئًا. ³ وَكَانَ لِأَمْنُونِ صَاحِبٌ اسْمُهُ يُونَادَابُ بْنُ شَمْعَى أَخِي دَاوُدَ. وَكَانَ يُونَادَابُ رَجُلًا حَكِيمًا جِدًّا. ⁴ فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا يَا ابْنَ الْمَلِكِ أَنْتَ ضَعِيفٌ هَكَذَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَى صَبَاحٍ؟ أَمَا تَخْبِرْنِي؟» فَقَالَ لَهُ أَمْنُونُ: «إِنِّي أُحِبُّ تَامَارَ أُخْتَ أَبْشَالُومَ أَخِي». ⁵ فَقَالَ يُونَادَابُ: «اضْطَجِعْ عَلَى سَرِيرِكَ وَتَمَارُضْ. وَإِذَا جَاءَ أَبُوكَ لِيَرَاكَ فَقُلْ لَهُ: دَعْ تَامَارَ أُخْتِي فَتَأْتِي وَتُطْعِمَنِي

خُبْزًا، وَتَعْمَلُ أَمَامِي الطَّعَامَ لِأَرَى فَاكُلَ مِنْ يَدِهَا». ⁶فَاضْطَجَعَ أَمْنُونُ وَتَمَارَضَ، فَجَاءَ الْمَلِكُ لِيَرَاهُ. فَقَالَ أَمْنُونُ لِلْمَلِكِ: «دَعْ ثَامَارَ أُخْتِي فَتَأْتِي وَتَصْنَعُ أَمَامِي كَعَكَتَيْنِ فَاكُلَ مِنْ يَدِهَا». ⁷فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى ثَامَارَ إِلَى الْبَيْتِ قَائِلًا: «أَذْهَبِي إِلَى بَيْتِ أَمْنُونِ أَخِيكَ وَاعْمَلِي لَهُ طَعَامًا». ⁸فَذَهَبَتْ ثَامَارُ إِلَى بَيْتِ أَمْنُونِ أَخِيهَا وَهُوَ مُضْطَجِعٌ. وَأَخَذَتْ الْعَجِينِ وَعَجَنْتْ وَعَمَلَتْ كَعَكًا أَمَامَهُ وَخَبَزَتْ الْكَعْكَ، ⁹وَأَخَذَتْ الْمَقْلَةَ وَسَكَبَتْ أَمَامَهُ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ. وَقَالَ أَمْنُونُ: «أَخْرِجُوا كُلَّ إِنْسَانٍ عَنِّي». فَخَرَجَ كُلُّ إِنْسَانٍ عَنْهُ. ¹⁰ثُمَّ قَالَ أَمْنُونُ لثَامَارَ: «إِنِّي بِالطَّعَامِ إِلَى الْمَخْدَعِ فَاكُلِ مِنْ يَدِكَ». فَأَخَذَتْ ثَامَارُ الْكَعْكَ الَّذِي عَمَلَتْهُ وَأَتَتْ بِهِ أَمْنُونُ أَخَاهَا إِلَى الْمَخْدَعِ. ¹¹وَقَدَّمَتْ لَهُ لِيَأْكُلَ، فَأَمْسَكَهَا وَقَالَ لَهَا: «تَعَالِي اضْطَجِعِي مَعِي يَا أُخْتِي». ¹²فَقَالَتْ لَهُ: «لَا يَا أَخِي، لَا تُذَلِّتِي لِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ هَكَذَا فِي إِسْرَائِيلَ. لَا تَعْمَلُ هَذِهِ الْقَبَاحَةَ. ¹³أَمَّا أَنَا فَأَيْنَ أَذْهَبُ بِعَارِي؟ وَأَمَّا أَنْتَ فَتَكُونُ كَوَاحِدٍ مِنَ السُّفْهَاءِ فِي إِسْرَائِيلَ! وَالْآنَ كَلَّمَ الْمَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي مِنْكَ». ¹⁴فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَسْمَعَ لَصَوْتِهَا، بَلْ تَمَكَّنَ مِنْهَا وَقَهَرَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا. ¹⁵ثُمَّ أَبْغَضَهَا أَمْنُونُ بِغُضَّةٍ يَدَهُ جِدًّا، حَتَّى إِنَّ الْبُغْضَةَ الَّتِي أَبْغَضَهَا إِيَّاهَا كَانَتْ أَشَدَّ مِنَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَحَبَّهَا إِيَّاهَا. وَقَالَ لَهَا أَمْنُونُ: «قُومِي انْطَلِقِي». ¹⁶فَقَالَتْ لَهُ: «لَا سَبَبَ! هَذَا الشَّرُّ يَطْرُدُكَ إِيَّايَ هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْآخِرِ الَّذِي عَمَلْتَهُ بِي». فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَسْمَعَ لَهَا، ¹⁷بَلْ دَعَا غُلَامَهُ الَّذِي كَانَ يَخْدُمُهُ وَقَالَ: «اطْرُدْ هَذِهِ عَنِّي خَارِجًا وَأَقْفِلِ الْبَابَ وَرَاءَهَا». ¹⁸وَكَانَ عَلَيْهَا ثَوْبٌ مُلَوَّنٌ، لِأَنَّ بَنَاتَ الْمَلِكِ الْعِدَارِي كُنَّ يَلْبَسْنَ جُبَاتٍ مِثْلَ هَذِهِ. فَأَخْرَجَهَا خَادِمُهُ إِلَى الْخَارِجِ وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَرَاءَهَا. ¹⁹فَجَعَلَتْ ثَامَارُ رِمَادًا عَلَى رَأْسِهَا، وَمَرَّقَتْ الثَّوْبَ الْمُلَوَّنَ الَّذِي عَلَيْهَا، وَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا وَكَانَتْ تَذْهَبُ صَارِخَةً. ²⁰فَقَالَ لَهَا أَبْشَالُومُ أَخُوهَا: «هَلْ كَانَ أَمْنُونُ أَخُوكَ مَعَكَ؟ فَالْآنَ يَا أُخْتِي اسْكُتِي. أَخُوكَ هُوَ. لَا تَضْعِي قَلْبَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ». فَأَقَامَتْ ثَامَارُ مُسْتَوْحِشَةً فِي بَيْتِ أَبْشَالُومَ أَخِيهَا.

4- زنا ابن يعقوب النبي (روبين) بزوجة أبيه (بلهة) وذلك في سفر التكوين
إصحاح 35 عدد ²¹ثُمَّ رَحَلَ إِسْرَائِيلُ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ وَرَاءَ مَجْدَلٍ عَدْرٍ. ²²وَحَدَّثَ إِذْ كَانَ

إِسْرَائِيلُ سَاكِنًا فِي تِلْكَ الْأَرْضِ، أَنَّ رَأُوبِينَ ذَهَبَ وَاضْطَجَعَ مَعَ بِلْهَةَ سُرِّيَّةِ أَبِيهِ، وَسَمِعَ
إِسْرَائِيلُ. !

قلتُ : إن الوقتَ قد آن أن يتضح للقارئ أيهما الذي يدعو للزنية الحديث الذي معنا ، أم
هذه النصوص المنسوبة للرب ، ولهوشع النبي ، ولوط النبي ، وأبناء بعض الأنبياء....!!؟

خامساً: إن هناك سؤالاً يطرح نفسه هو : أليس جماع المرأة في دبرها من الشذوذ الجنسي ؟

الجواب : بلي من الشذوذ الجنسي ...

المعروف أن المرأة التي تدين بدين المعترضين لا يمكن لها أن تعترض على جماع
زوجها لها في دبرها أو وهي حائض ولا يمكن أن تطلب الطلاق لهذا السبب أبداً ، لأن
ما يجمعه الله لا يفرقه الإنسان ولا طلاق إلا لعدة الزنا
ويبقى السؤال : أين في الكتاب المقدس تحريم جماع المرأة في دبرها ... ؟

رد شبهة : نبي الإسلام يحدد مدة للمتعة أو الزواج ... !

أثيرة شبهة حول حديث من الأحاديث المتعلقة بنكاح المتعة التي كانت حالاً في زمن
معين فقالوا : قال رسول الإسلام : " أَيُّمَا رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ تَوَافَقَا فَعِشْرَةَ مَا بَيْنَهُمَا ثَلَاثُ
لَيَالٍ فَإِنْ أَحَبَّا أَنْ يَتَزَايِدَا أَوْ يَتَتَارَكَا تَتَارَكَا " لا تعليق !

ثم قالوا دليلنا في صحيح البخاري كتاب (النكاح) باب (نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة آخرًا) برقم 4725 عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع قالا: كنا في جيش فأتانا رسول رسول الله ﷺ فقال: قال القابسي: هذا أصل لمالك في سد الدرائع، فإن الحكمة في هذا النهي خشية أن يعجب الزوج الوصف المذكور فيفضي ذلك إلى تطبيق الواصفة أو الافتتان بالموصوفة. إنه قد أدن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا".

وقال ابن أبي ذئب: حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن رسول الله ﷺ أيما رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال فإن أحبا أن يتزايدا أو يتتاركا تتاركا فما أدري أشيء كان لنا خاصة أم للناس عامة قال أبو عبد الله: وبينه علي عن النبي ﷺ أنه منسوخ.

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذا الحديث كان في فترة معينة لظروف معينة وانتهت؛ فالحديث يتحدث عن زواج المتعة الذي كان حلالاً في وقت معين ثم حرم في يوم خيبر؛ يدل على ذلك ما يلي:

1- صحيح مسلم كتاب (النكاح) باب (نكاح المتعة وبيان أنه أبيع ثم نسخ ثم أبيع ثم نسخ واستقر تحريره إلى يوم القيامة) برقم 2511 عن علي أن النبي ﷺ نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر وعن لحوم الحمر الأهلية.

2- الحديث الذي معنا فيه الآتي:

1- قال أبو عبد الله - يعني البخاري - وقد بينه علي عن النبي ﷺ أنه منسوخ.

2- ذكر البخاري الحديث في باب نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة آخرًا.

3- قال ابن حجر في شرحه في الفتح:

قوله: (وقال ابن أبي ذئب إلخ): وصله الطبراني والإسماعيلي وأبو نعيم من طرق عن ابن أبي ذئب.

قوله : (أَيَّمَا رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ تَوَافَقَا فَعَشْرَةٌ مَا بَيْنَهُمَا ثَلَاثَ لَيَالٍ) : وَقَعَ فِي رَوَايَةِ الْمُسْتَمْلِي " بَعَشْرَةٌ " بِالْمُوحَدَةِ الْمَكْسُورَةِ بَدَلَ الْفَاءِ الْمَفْتُوحَةِ ، وَبِالْفَاءِ أَصَحُّ ، وَهِيَ رَوَايَةُ الْإِسْمَاعِيلِيِّ وَغَيْرِهِ . وَالْمَعْنَى أَنَّ إِطْلَاقَ الْأَجَلِ مَحْمُولٌ عَلَى التَّقْيِيدِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهِنَّ .

قوله : (فَإِنْ أَحَبَّا) : أَيُّ : بَعْدَ انْقِضَاءِ الثَّلَاثِ .

(أَنْ يَتَزَايَدَا) : أَيُّ : فِي الْمُدَّةِ ؛ يَعْنِي تَزَايَدًا . وَوَقَعَ فِي رَوَايَةِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ التَّصْرِيحُ بِذَلِكَ ، وَكَذَا فِي قَوْلِهِ أَنَّ يَتَتَارَكَا أَيُّ يَتَفَارَقَا تَتَارَكًا . وَفِي رَوَايَةِ أَبِي نُعَيْمٍ " أَنَّ يَتَنَاقِضَا تَنَاقِضًا " وَالْمُرَادُ بِهِ التَّفَارُقُ .

قوله : (فَمَا أُدْرِي أَشَيْءٌ كَانَ لَنَا خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً) : وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ التَّصْرِيحُ بِالِاخْتِصَاصِ أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْهُ قَالَ " إِنَّمَا أَحَلَّتْ لَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَعَةَ النِّسَاءِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ نَهَى عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " .

قوله : (وَقَدْ بَيَّنَّهُ عَلِيُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ) : يُرِيدُ بِذَلِكَ تَصْرِيحَ عَلِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِالنَّهْيِ عَنْهَا بَعْدَ الْإِذْنِ فِيهَا ، وَقَدْ بَسَطْنَاهُ فِي الْحَدِّ الْأَوَّلِ . وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ : " نَسَخَ رَمَضَانَ كُلَّ صَوْمٍ ، وَنَسَخَ الْمُتَعَةَ الطَّلَاقِ وَالْعِدَّةَ وَالْمِيرَاثَ " وَقَدْ اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي نِكَاحِ الْمُتَعَةِ ، قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ : جَاءَ عَنِ الْأَوَائِلِ الرُّخْصَةُ فِيهَا ، وَلَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ أَحَدًا يُجِيزُهَا إِلَّا بَعْضُ الرَّافِضَةِ ، وَلَا مَعْنَى لِقَوْلِ يَخَالِفُ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ . وَقَالَ عِيَّاضٌ : ثُمَّ وَقَعَ الْإِجْمَاعُ مِنْ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ عَلَيَّ تَحْرِيمِهَا إِلَّا الرُّوَافِضَ . وَأَمَّا ابْنُ عَبَّاسٍ فَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ أَبَاحَهَا ، وَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ . قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ : رَوَى أَهْلُ مَكَّةَ وَالْيَمَنُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ إِبَاحَةَ الْمُتَعَةِ ، وَرَوَى عَنْهُ الرَّجُوعُ بِأَسَانِيدٍ ضَعِيفَةٍ وَإِجَازَةِ الْمُتَعَةِ عَنْهُ أَصَحُّ ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّيْعَةِ . قَالَ : وَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنَّهُ مَتَى وَقَعَ الْآنَ أَبْطَلَ سَوَاءً كَانَ قَبْلَ الدُّخُولِ أَمْ بَعْدَهُ ، إِلَّا قَوْلَ زُفَرٍ إِنَّهُ جَعَلَهَا كَالشَّرُوطِ الْفَاسِدَةِ ، وَيُرَدُّ قَوْلُهُ ﷺ " فَمَنْ كَانَ عَنْدهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُخْلِ سَبِيلَهَا " . قُلْتُ : وَهُوَ فِي حَدِيثِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ عِنْدَ مُسْلِمٍ . وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : تَحْرِيمُ الْمُتَعَةِ كَالْإِجْمَاعِ إِلَّا عَنْ بَعْضِ الشَّيْعَةِ ، وَلَا يَصِحُّ عَلَى قَاعِدَتِهِمْ فِي الرَّجُوعِ فِي الْمُخْتَلَفَاتِ إِلَى عَلِيٍّ وَآلِ بَيْتِهِ فَقَدْ صَحَّ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهَا نُسِخَتْ . وَنَقَلَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ سَأَلَ عَنِ الْمُتَعَةِ فَقَالَ " هِيَ الرِّزْنَا بَعِينُهُ " قَالَ الْخَطَّابِيُّ : وَيَحْكِي عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ جَوَازَهَا هـ . وَقَدْ نَقَلَ أَبُو عَوَانَةَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ أَنَّهُ رَجَعَ عَنْهَا بَعْدَ أَنْ رَوَى بِالْبَصْرَةِ فِي إِبَاحَتِهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ حَدِيثًا . وَقَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ : مَا حَكَاهُ بَعْضُ الْحَنْفِيَّةِ عَنْ مَالِكٍ

مِنْ الْجَوَازِ خَطَأً ، فَقَدْ بَالِغَ الْمَالِكِيَّةِ فِي مَنَعِ النِّكَاحِ الْمُؤَقَّتِ حَتَّى أَبْطَلُوا تَوْقِيتَ الْحَلِّ
 بِسَبَبِهِ فَقَالُوا : لَوْ عَلِقَ عَلَى وَقْتٍ لَا يَدُ مِنْ مَجْبِيهِ وَقَعَ الطَّلَاقُ الْآنَ لِأَنَّهُ تَوْقِيتٌ لِلْحَلِّ
 فَيَكُونُ فِي مَعْنَى نِكَاحِ الْمُتْعَةِ . قَالَ عِيَّاضُ : وَاجْمَعُوا عَلَى أَنَّ شَرْطَ الْبُطْلَانِ النَّصْرِيحُ
 بِالشَّرْطِ ، فَلَوْ نَوَى عِنْدَ الْعَقْدِ أَنْ يُفَارِقَ بَعْدَ مُدَّةٍ صَحَّ نِكَاحُهُ ، إِلَّا الْأَوْزَاعِيَّ فَأَبْطَلَهُ .
 وَاخْتَلَفُوا هَلْ يَحْدُ نَاكِحُ الْمُتْعَةِ أَوْ يُعَزَّرُ ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ مَأْخُذُهُمَا أَنَّ الْإِتِّفَاقَ بَعْدَ الْخِلَافِ
 هَلْ يَرْفَعُ الْخِلَافَ الْمُتَقَدِّمَ . وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : الرُّوَايَاتُ كُلُّهَا مُتَّفَقَةٌ عَلَى أَنَّ زَمَانَ إِبَاحَةِ
 الْمُتْعَةِ لَمْ يَطُلْ وَأَنَّهُ حَرَمٌ ، ثُمَّ أَجْمَعَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ عَلَى تَحْرِيمِهَا إِلَّا مَنْ لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ
 مِنَ الرُّوَافِضِ . وَجَزَمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ بِتَفَرُّدِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِإِبَاحَتِهَا فِيهِ مِنَ الْمَسْأَلَةِ
 الْمَشْهُورَةِ وَهِيَ نُدْرَةُ الْمُخَالَفِ ، وَلَكِنْ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : أَصْحَابُ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ أَهْلِ
 مَكَّةَ وَالْيَمَنِ عَلَى إِبَاحَتِهَا ، ثُمَّ اتَّفَقَ فُقَهَاءُ الْأَمْصَارِ عَلَى تَحْرِيمِهَا ، وَقَالَ ابْنُ حَزَمٍ : ثَبَتَ
 عَلَى إِبَاحَتِهَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ابْنُ مَسْعُودٍ وَمُعَاوِيَةُ وَأَبُو سَعِيدٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَسَلَمَةُ
 وَمَعْبُدُ ابْنَا أُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ وَجَابِرُ وَعَمْرُو بْنُ حَرْبٍ وَرَوَاهُ جَابِرٌ عَنْ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ مُدَّةَ
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ إِلَى قُرْبِ آخِرِ خِلَافَةِ عُمَرَ ، قَالَ : وَمِنَ التَّابِعِينَ طَاوُسُ
 وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعَطَاءٌ وَسَائِرُ فُقَهَاءِ مَكَّةَ . قُلْتُ : وَفِي جَمِيعِ مَا أَطْلَقَهُ نَظَرٌ ، أَمَّا ابْنُ
 مَسْعُودٍ فَمُسْتَنَدُهُ فِيهِ الْحَدِيثُ الْمَاضِي فِي أَوَائِلِ النِّكَاحِ ، وَقَدْ بَيَّنْتُ فِيهِ مَا نَفَلَهُ
 الْإِسْمَاعِيلِيُّ مِنَ الزِّيَادَةِ فِيهِ الْمُصَرَّحَةَ عَنْهُ بِالتَّحْرِيمِ ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَبُو عَوَانَةَ مِنْ طَرِيقِ
 أَبِي مُعَاوِيَةَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ وَفِي آخِرِهِ " فَفَعَلْنَا ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ " . وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ
 فَأَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ مِنْ طَرِيقِ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَى بْنِ أُمِّيَّةٍ " أَخْبَرَنِي يَعْلى أَنَّ مُعَاوِيَةَ
 اسْتَمْتَعَ بِامْرَأَةٍ بِالطَّائِفِ " وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، لَكِنْ فِي رِوَايَةِ أَبِي الرَّبِيعِ عَنْ جَابِرٍ عِنْدَ عَبْدِ
 الرَّزَّاقِ أَيْضًا أَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَدِيمًا وَلَفْظُهُ " اسْتَمْتَعَ مُعَاوِيَةُ مُقَدِّمَهُ الطَّائِفِ بِمَوْلَاةٍ لِبَنِي
 الْحَضَرَمِيِّ يُقَالُ لَهَا مُعَانَةٌ ، قَالَ جَابِرٌ : ثُمَّ عَاشَتْ مُعَانَةٌ إِلَى خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ فَكَانَ يَرْسُلُ
 إِلَيْهَا بِجَائِزَةٍ كُلِّ عَامٍ " وَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ مُتَّبِعًا لِعُمَرَ مُقْتَدِيًا بِهِ فَلَا يَشْكُ أَنَّهُ عَمِلَ بِقَوْلِهِ بَعْدَ
 النَّهْيِ ، وَمَنْ ثُمَّ قَالَ الطَّحَاوِيُّ : خُطِبَ عُمَرُ فَنَهَى عَنِ الْمُتْعَةِ ، وَنَقَلَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
 فَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ ذَلِكَ مُنْكَرٌ ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى مُتَابَعَتِهِمْ لَهُ عَلَى مَا نَهَى عَنْهُ . وَأَمَّا أَبُو
 سَعِيدٍ فَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ أَنَّ عَطَاءً قَالَ " أَخْبَرَنِي مَنْ شَتَّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ
 قَالَ : لَقَدْ كَانَ أَحَدُنَا يَسْتَمْتَعُ بِمَلَأَةِ الْفَدَحِ سَوِيْقًا " وَهَذَا - مَعَ كَوْنِهِ ضَعِيفًا لِلْجَهْلِ بِأَحَدِ
 رُوَاتِهِ - لَيْسَ فِيهِ النَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ كَانَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ . وَأَمَّا ابْنُ عَبَّاسٍ فَتَقَدَّمَ النُّقْلُ عَنْهُ
 وَالْإِخْتِلَافُ هَلْ رَجَعَ أَوْ لَا . وَأَمَّا سَلَمَةُ وَمَعْبُدُ فَقَصَصْتُهُمَا وَاحِدَةً اخْتَلَفَ فِيهَا هَلْ وَقَعَتْ لِهَذَا

أَوْ لِهَذَا ، فَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ طَاوُسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ " لَمْ يَرَعْ عُمَرُ إِلَّا أُمَّ أَرَاكَةَ قَدْ خَرَجَتْ حُبْلَى ، فَسَأَلَهَا عُمَرُ فَقَالَتْ: اسْتَمْتَعَ بِي سَلَمَةُ بْنُ أُمَيَّةٍ " وَأَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ طَاوُسٍ فَسَمَّاهُ مَعْبَدُ بْنُ أُمَيَّةٍ . وَأَمَّا جَابِرٌ فَمُسْتَنَدَهُ قَوْلُهُ " فَعَلَّانَاهَا " وَقَدْ بَيَّنَّتْهُ قَبْلَ ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي نُصْرَةَ عَنْ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ " فَنَهَانَا عُمَرُ فَلَمْ نَفْعَلْهُ بَعْدَ " فَإِنْ كَانَ قَوْلُهُ فَعَلَّانَا يَعْمُ جَمِيعُ الصَّحَابَةِ فَقَوْلُهُ ثُمَّ لَمْ نَعُدْ يَعْمُ جَمِيعُ الصَّحَابَةِ فَيَكُونُ إِجْمَاعًا ، وَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ مُسْتَنَدَهُ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةَ الَّتِي بَيَّنَّاهَا . وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ وَكَذَا قَوْلُهُ رَوَاهُ جَابِرٌ عَنْ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ فَعَجِيبٌ ، وَإِنَّمَا قَالَ جَابِرٌ " فَعَلَّانَاهَا " وَذَلِكَ لَا يَقْتَضِي تَعْمِيمَ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ بَلْ يَصْدُقُ عَلَى فَعْلٍ نَفْسِهِ وَحْدَهُ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ عَنْ التَّابِعِينَ فَهُوَ عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْهُمْ بِأَسَانِيدٍ صَحِيحَةٍ ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ " فَعَلَّانَاهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ نَهَانَا عُمَرُ فَلَمْ نَعُدْ لَهَا " فَهَذَا يَرِدُ عِنْدَهُ جَابِرًا فَيَمُنْ ثَبَتَ عَلَى تَحْلِيلِهَا ، وَقَدْ اعْتَرَفَ ابْنُ حَزْمٍ مَعَ ذَلِكَ بِتَحْرِيمِهَا لِثُبُوتِ قَوْلِهِ ﷺ : " إِنَّهَا حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " قَالَ فَأَمَّا بِهَذَا الْقَوْلِ نَسْخَ التَّحْرِيمِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

ثانيًا : إن قيل : هل الله يحل الحرام في زمن ما ثم يحله...؟

قلتُ : إن زواج المتعة لم يكن حراماً آنذاك كان قد أحله الله فلم يكن حراماً من الأساس ، وإنما حرمة بعد ذلك ، وهذا من قبيل النسخ والمنسوخ المذكور في الكتاب المقدس .

رد شبهة : نبي يقول : أزني و أسرق و أدخل الجنة !

قالوا: لقد بين رسول الإسلام أن المسلم لو سرق أو زنا دخل الجنة، ولم يدخل النار أبداً ، ثم تسألوا قائلين : أليست هذه دعوة للفساد في الأرض.... ؟!

وتعلقوا بما جاء في الصحيحين :

1- صحيح البخاري كتاب (الجنائز) باب (ما جاء في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله ..) برقم 1161 عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أتاني آت من ربي فأخبرني " أو قال : " بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة " قلت : " وإن زنى وإن سرق " ؟ قال : " وإن زنى وإن سرق " .

-2

3- صحيح مسلم كتاب (الإيمان) باب (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار) برقم 137 عن المعرور بن سويد قال : سمعت أبا ذر يحدث عن النبي ﷺ أنه قال : أتاني جبريل - عليه السلام - فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت : " وإن زنى وإن سرق " ؟ قال : " وإن زنى وإن سرق " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن الإمام النووي - رحمه الله - ذكر في شرح باب (الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً) لحديث رقم 38 ناقلاً عن القاضي عياض ما نصه : فحكى عن جماعة من السلف رحمهم الله منهم ابن المسيب أن هذا كان قبل نزول الفرائض والأمر والنهي ، وقال بعضهم هي مجملة تحتاج إلى شرح ، ومعناه : من قال الكلمة وأدى حقها وفريضةها . وهذا قول الحسن البصري . وقيل : إن ذلك لمن قالها عند الندم والتوبة . ومات على ذلك وهذا قول البخاري . اهـ

قلتُ : إن قولَ البخاري- رحمه الله - أصوب إذا كان من بابِ الرجاء ؛ لقوله ﷺ في الحديثِ القدسي في صحيح البخاري برقم 6951 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : قَالَ اللَّهُ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي .

والمعنى : إن ظن العبدُ خيراً فله ، وإن ظن شراً فله مع تقديم التوبة والندم إلى الله ﷻ ؛ حتى يغفرَ ﷻ الذنب ، ويستترَ ﷻ العيب ، ويقبلَ ﷻ التوب ؛ يقول ﷻ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر 53).

ثانياً : إن جريمتي الزنا والسرقه من كبائر الذنوب ؛ لأنهما استوجبتا حداً ، ونعتقد أن مرتكب الكبيرة لا يخلد في النار بخلاف اعتقاد المعتزلة والخوارج فهم يكفرون مرتكب الكبيرة ، بل نقول عن مرتكب الكبيرة أنه في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ، وإن عُذِبَ دون أن يخلد في النار فآخر مصيره الجنة ؛ لأن الله ﷻ يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً ﴾ (النساء 48). كما أن الحدود تسقط الذنوب فإن زنى الزاني ، أو سرق السارق ، وأقيم عليهما الحد سقطت ذنوبهما بشأن تلك الجريمة أو الكبيرة فقط ، وبعد ذلك إن غلبت حسناتهم سيئاتهم أدخلهما الله ﷻ الجنة إن شاء ، فالزاني والسارق أو مرتكب الكبيرة عموماً لا يكفر إلا إذا استحل فعلته أو استحل ما حرم الله عموماً طالما أنه من أهل القبلة ؛ ومن عقيدتنا أيضاً أننا لا نحكم على معينٍ بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا بنص من كتاب الله أو من سنة نبينا ﷺ ، ولا نعترف بكلام المرجئة حول هذا الحديث....

ثالثاً : إن هناك أحاديثَ تبين لنا أن الزاني والسارق و غيرهما أنهم ناقصو إيمان ..

ففي صحيح مسلم كتاب (الإيمان) باب (بَيَانِ نُقْصَانِ الْإِيمَانِ بِالْمَعَاصِي وَنَفْيِهِ عَنِ الْمُتَلَبِّسِ بِالْمَعْصِيَةِ عَلَى إِرَادَةِ نَفْيِ كَمَالِهِ) برقم 86 عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لَا يَزْنِي الرَّأْيِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ " .

قوله ﷺ : " لَا يَزْنِي الرَّأْيِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ " ليس المعنى نفي الإيمان عنه بالكلية ؛ ولكنه نقص إيمان ، وهذا بخلاف الفاعل لتلك الكبائر مستحلاً لها ؛ يسقط الإيمان عنه بالكلية....

ونلاحظ : أن الإمام النووي - رحمه الله - ذكر هذا الحديث في صحيح مسلم في باب (بَيَانِ نُقْصَانِ الْإِيمَانِ بِالْمَعَاصِي وَنَفْيِهِ عَنِ الْمُتَلَبِّسِ بِالْمَعْصِيَةِ عَلَى إِرَادَةِ نَفْيِ كَمَالِهِ) .

وألخص ما سبق : ليس معنى الحديث (محل الشبهة) أن الذي يسرق أو يزني لا يقام عليه حد في الدنيا أو أنه مرتكب كبيرة أو أنه لا يُعَذَّبُ في النار يوم القيامة ؛ ولكن المعنى إن عُدَّ مرتكب الكبيرة في جهنم فلا يخلد فيها أبداً بل يكون مصيره الأبدي الجنة ؛ لأنه مات موحداً بالله لم يشرك به شيئاً ، تدلل على ذلك أدلة منها:

1- قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (النساء 48) .

2- قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء 116) .

4- قوله ﷺ : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة 72) .

وإن تاب المسلم قبل موته ، وقدم جانب الرجاء على الخوف قد يتوب الله ﷻ عليه ، ويعفو عنه ؛ بل ويبدل سيئاته حسنات ، و إن سرق وإن زنى.... **نقول الله ﷻ :** ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) ﴾ (الفرقان) .

رابعاً : ليت المعترضين على هذا الحديث يخبروننا عن مصير الذي يزني أو يسرق من العهد الجديد ؟

قلتُ : إن النصراني إن زنا ، أو سرق ، أو قتل دخل الملكوت (الجنة) ؛ لأنه آمن بيسوع رباً مُخلصاً؛ حمل خطاياه على الصليب فلا يضره إن زنى ، أو سرق

ونجد من خلال قراءة الأناجيل أن يسوع لم يعاقب الزناة بل كان يحبهم، ويقربهم منه...

يتضح ذلك من الآتي :

1- إنجيل لوقا الإصحاح 7 عدد³⁴ جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب، فتقولون: هوذا إنسانٌ أكل وشرب خمر، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ.³⁵ وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ جَمِيعِ بَنِيهَا».

2- إنجيل يوحنا الإصحاح 8 عدد 1¹ أَمَا يَسُوعُ فَمَضَى إِلَى جَبَلِ الرِّيتُونِ.

2² ثُمَّ حَضَرَ أَيْضًا إِلَى الْهَيْكَلِ فِي الصُّبْحِ، وَجَاءَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الشَّعْبِ فَجَلَسَ يُعَلِّمُهُمْ. 3 وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكِتَابَةَ وَالْقَرِيبِيُّونَ امْرَأَةً أُمْسِكَتْ فِي زِنَا. وَلَمَّا أَقَامُوهَا فِي الْوَسْطِ 4 قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، هَذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسِكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفَعْلِ، 5 وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنْ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمَ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟» 6 قَالُوا هَذَا لِنَجَرِّبُوهُ، لَكِي يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَأَنَحَنَى إِلَى أَسْفَلٍ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإِصْبَعِهِ عَلَى الْأَرْضِ. 7 وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ، انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!». .

نلاحظ من الأخير : أن يسوع لغى ناموس موسى الكتبة ، ولم يعاقب المرأة الزانية التي أُمسكت في حالة زنا ... وبالتالي فإن الزاني والزانية طبقاً لشرعية يسوع الكتاب المقدس لا حد عليهما ، وهما من أهل الملكوت ... إن آمنوا به رباً مُخلصاً !

وعليه: فإنني أسأل نفس سؤالهم الذي يقول: أليست هذه دعوة للفساد في الأرض ؟!

خامساً : إن إنجيل متى أخبرنا على لسان يسوع أن الرُّؤاني يسبقون الناس إلى الملكوت - الجنة- ... وذلك في الإصحاح 21 عدد 31 قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّ الْعَشَّارِينَ وَالرُّؤَانِيَّيْنَ يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ.

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل المعنى اسرق و ازني ، وادخل الجنة...؟!

ولا ننسى أن الآثام ترفع عن النصراني بمجرد الإيمان بصلب يسوع فقط حتى وأن زنا أو سرق فبدون سفك دم لا تحدث مغفرة كما زعم بولس ، ولأنه صار لعنة من اجل من آمن به بصلبه كما زعم بولس أيضاً.... **لا تعليق !**

رد شبهة: نبي يأكل من فخذ حمار !

هكذا قالوا، وتعجبوا من أن النبي ﷺ أكل من فخذ حمار ! وتعلقوا بما جاء في صحيح البخاري كتاب (الجهاد والسير) باب (اسم الفرس و الحمار) برقم 2642 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَتَخَلَّفَ أَبُو قَتَادَةَ مَعَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَهُمْ مُحْرِمُونَ وَهُوَ غَيْرُ مُحْرِمٍ فَرَأَوْا حِمَارًا وَحَشِيًّا قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ فَلَمَّا رَأَوْهُ تَرَكَوهُ حَتَّى رَأَاهُ أَبُو قَتَادَةَ فَرَكِبَ فَرَسًا لَهُ يُقَالُ لَهُ الْجَرَادَةُ فَسَأَلَهُمْ أَنْ يُنَازِلُوهُ سَوْطَهُ فَأَبَوْا فَتَنَازَلَهُ فَحَمَلَ فَعَقَرَهُ، ثُمَّ أَكَلَ فَأَكَلُوا فَنَدِمُوا فَلَمَّا أَدْرَكُوهُ قَالَ: هَلْ مَعَكُمْ مِنْهُ شَيْءٌ قَالَ: مَعَنَا رِجْلُهُ فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَأَكَلَهَا.

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذا الحديث لا شبهة فيه البتة ؛ فلقد أكل النبي ﷺ من الحمر الوحشية، ولم يأكل من الحمر الأهلية ، ونهى عن أكلها ؛ ثبت ذلك في صحيح البخاري برقم 3895 عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ.

يبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو : هل حرم الله على نبيه ﷺ أكل الحمر الوحشية ؟

الجواب : لا ؛ إذا لا شبهة في ذلك...

ثم إن المحرمات من الأطعمة ليس منها أكل الحمر الوحشية للدليل السابق والأدلة الآتية :

1- قوله ﷺ : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة 173) .

2- قوله ﷺ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فُسْقُ الْيَوْمِ يَسُ الذِّينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المائدة 3) .

إذاً : الأصل في الأشياء الحل إلى أن يأتي نصٌ بالتحريم، وأتساءل : أين هو النص الذي جاء بتحريم أكل لحوم الحمر الوحشية ؟

الجواب : لا يوجد نصٌ واحدٌ قط في أي كتابٍ على وجه الأرض يحرم أكل الحمر الوحشية ؛ بل إن الثابت عكس ذلك ؛ فقد بين الله ﷻ لنبيينا ﷺ أن أكل الحمر الوحشية حلال في أدلة منها :

1- الحديث الذي معنا؛ قَالَ : هَلْ مَعَكُمْ مِنْهُ شَيْءٌ قَالَ : مَعَنَا رِجْلُهُ فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَأَكَلَهَا.

3- صحيح البخاري برقم 5067 َ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِبَعْضِ طَرِيقِ مَكَّةَ تَخَلَّفَ مَعَ أَصْحَابٍ لَهُ مُحْرِمِينَ وَهُوَ غَيْرُ مُحْرِمٍ فَرَأَى حِمَارًا وَحْشِيًّا فَاسْتَوَى عَلَى فَرَسِهِ ثُمَّ سَأَلَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَنَاولُوهُ سَوْطًا فَأَبَوْا فَسَأَلَهُمْ رُمَحَهُ فَأَبَوْا فَأَخَذَهُ ثُمَّ شَدَّ عَلَى الْحِمَارِ فَقَتَلَهُ فَأَكَلَ مِنْهُ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبَى بَعْضُهُمْ فَلَمَّا أَدْرَكُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : " إِنَّمَا هِيَ طُعْمَةٌ أَطْعَمَكُمُوهَا اللَّهُ " .

الشاهد من الحديث قوله ﷺ : " إِنَّمَا هِيَ طُعْمَةٌ أَطْعَمَكُمُوهَا اللَّهُ " .

نلاحظ : لم يأتِ وحيٌّ يبيِّن حرمة أكلها ؛ بل قال النبي ﷺ : " إِنَّمَا هِيَ طُعْمَةٌ أَطْعَمَكُمُوهَا اللَّهُ " .

5- نقل ابن حجر في الفتح عن الإمام الطحاوي قائلًا : وَقَالَ الطَّحَاوِيُّ : وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى حِلِّ الْحِمَارِ الْوَحْشِيِّ . اهـ

ثانيًا : إن هناك سؤالًا يطرح نفسه هو : هل ثبت علميًا أن لحم الحمر الوحشية فيها ضرر على صحة الإنسان حتى يعترض المعتضون ؟

الجواب : لا ؛ بل الثابت علميًا أن لحم الحمر الوحشية مفيد جدًا.....

قال جالينوس في كتاب أغذيته : لحوم حمير الوحش غليظة وإذا كان الحمار منها سميناً فتي السن فهو قريب من لحم الإبل. وقال الرازي في دفع مضار الأغذية : هي غليظة جداً وهي تنفع إذا طبخت بماء وملح وأكثر فيها الدار صيني والزنجبيل، و تحتسى أمرارها

وأكل السمين من لحومها ينفع من وجع التشبك في المفاصل والرياح الغليظة، وكذا إذا طبخت بدهن الجوز والزيت ومن اضطر إلى إدمان أكلها فليتعاهد ما يخرج السوداء ويتعاهد الترطيب والتدبير لبدنه إن لم يكن بلغمياً ، ومتى حدث عن أكل لحوم الوحش تمدد في المعدة وبطء خروج الثفل فينبغي أن يبادر بالجوارشنات المسهلة كالشهياريات والتمري ودواء الجزر ونحوهما من الجوارشنات المركبة من التريز والسقمونيا والأفاوية. ابن ماسويه : شحم حمار الوحش نافع من الكلف إذا طلي عليه، وإذا غلي بدهن القسط كان نافعاً من وجع الظهر والكلى العارض من البلغم والريح الغليظة. غيره : مرارة الحمار الوحشي تنفع من داء الثعلب والدوالي لطوخاً. ونجد أن ومن الأطباق المفضلة لدى الزعيم الكوري الشمالي كيم جونج . أيل هو لحم الحمير المشوي . اهـ

ثم إن لحوم الحمر الوحشية ليست متوافرة لدى أغلب الناس ، وإن توافرت فإن ثمنها غالٍ جداً ؛ فليس كل إنسان في استطاعته أن يأكل منها إلا أغنى أغنيائهم فقط ...

ثالثاً: إن المعترضين يعترضون على نبينا ﷺ أنه أكل من حيوان أحله الله له، ولا يعترضون على ما جاء في الكتاب المقدس من أكل رأس الحمار، و ذبل الحمام ، وأكل امرأة لابنها بعدما سلقته !

جاء ذلك في سفر الملوك الثاني إصحاح 6 عدد ²⁴وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ بَنَهَدَّ مَلِكَ أَرَامَ جَمَعَ كُلَّ جَيْشِهِ وَصَعَدَ فَحَاصَرَ السَّامِرَةَ. ²⁵وَكَانَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي السَّامِرَةِ. وَهُمْ حَاصِرُوهَا حَتَّى صَارَ رَأْسُ الْحَمَارِ بِثَمَانِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، وَرُبْعُ الْقَابِ مِنْ زَيْلِ الْحَمَامِ بِخَمْسٍ مِنَ الْفِضَّةِ. ²⁶وَبَيْنَمَا كَانَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ جَائِزًا عَلَى السُّورِ صَرَخَتْ امْرَأَةٌ إِلَيْهِ: «خَلِّصْ يَا سَيِّدِي الْمَلِكَ». ²⁷فَقَالَ: «لَا! يُخَلِّصُكَ الرَّبُّ. مِنْ أَيْنَ أَخَلِّصُكَ؟ أَمِنْ الْبَيْدَرِ أَوْ مِنَ الْمَعْصَرَةِ؟» ²⁸ثُمَّ قَالَ لَهَا الْمَلِكُ: «مَا لَكَ؟» فَقَالَتْ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ قَدْ قَالَتْ لِي: هَاتِي ابْنَكَ فَنَأْكُلُهُ الْيَوْمَ ثُمَّ، نَأْكُلَ

ابْنِي غَدًا. ²⁹فَسَلَقْنَا ابْنِي وَأَكَلْنَاهُ. ثُمَّ قُلْتُ لَهَا فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ: هَاتِي ابْنَكَ فَأَكُلْهُ فَخَبَّاتِ ابْنَهَا!»!



وعليه فهذا هو الفارق بين الإسلام الذي حرم أكل الحمر الأهلية ، وأباح لحم الحمر الوحشية ، والعلم لم يثبت أضراراً لأكل لحومها ، وهاهو الكتاب المقدس الذي يذكر لنا ذبح الأطفال ، وأكل لحومهم ، وكذا أكل لحم الحمير الأهلية النجسة ، وأكل ذبل الحمام وأهدي تلك الصورة للمعترضين فهي توضح جزء من النص الذي ذكرته .

رد شبهة : نبي يتوضأ بماء مختلط بلحم الكلاب والنتن (بئر بضاعة) !

قالوا : لقد أباح رسولكم أن تتوضئوا بماء مختلط بلحم الكلاب ، والنتن ، والقاذورات وهذه نجاسات ... يا له من شيء مقزز !

تعلقوا بحديث جاء في سنن أبي داود كتاب (الطهارة) باب (ما جاء في بئر بضاعة) برقم 60 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَمُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَنْبَارِيُّ قَالُوا : حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَنْتَوَضُّأُ مِنْ بَيْرِ بَضَاعَةَ وَهِيَ بَيْرٌ يَطْرَحُ فِيهَا الْحَيْضُ وَلَحْمُ الْكِلَابِ وَالنَّتْنُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " الْمَاءُ طَهُورٌ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ " .

قَالَ أَبُو دَاوُدَ : وَقَالَ بَعْضُهُمْ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَافِعٍ .

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذا الحديث الذي تعلقوا به على شبهتهم حديثٌ صحيحٌ ، صححه الألباني - رحمه الله - في المشكاة (478) ، و صحيح أبي داود (59) .

وجاء في عون المعبود قَالَ الْمُنْذِرِيُّ : وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ ، وَتَكَلَّمَ فِيهِ بَعْضُهُمْ . وَحُكِيَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ قَالَ : حَدِيثُ بَنَرٍ بُضَاعَةٌ صَحِيحٌ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ ، وَجَوَّدَ أَبُو أُسَامَةَ هَذَا الْحَدِيثَ لَمْ يَرَوْهُ حَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ فِي بَنَرٍ بُضَاعَةٌ أَحْسَنَ مِمَّا رَوَى أَبُو أُسَامَةَ . وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ . اهـ

لكن ادعائهم باطل ، وشبهتهم باطلة ؛ لأنهم يجهلون معرفة هذا البئر المسمى (بِنَرٍ بُضَاعَةٌ) للآتي :

1- جاء في عون المعبود لشرح سنن أبي داود : يَعْنِي أَنَّ النَّاسَ يُلْقُونَ الْحَيْضَ وَلُحُومَ الْكِلَابِ وَالنَّتْنِ فِي الصَّحَارِي خَلْفَ بُيُوتِهِمْ فَيَجْرِي عَلَيْهَا الْمَطَرُ وَيُلْقِيهَا الْمَاءُ إِلَى تِلْكَ الْبَنَرِ ، لِأَنَّهَا فِي مَرِّ الْمَاءِ ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ النَّاسَ يُلْقُونَهَا فِيهَا لِأَنَّ هَذَا مِمَّا لَا يَجُوزُهُ كَافِرٌ فَكَيْفَ يَجُوزُهُ الصَّحَابَةُ ﷺ كَذَا قَالُوا (لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ) : لِكَثْرَتِهِ ، فَإِنَّ بَنَرَ بُضَاعَةٌ كَانَ بَنَرًا كَثِيرَ الْمَاءِ يَكُونُ مَأْوَاهَا أَضْعَافُ قُلْتَيْنِ لَا يَتَغَيَّرُ بِوُقُوعِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . وَالْمَاءُ الْكَثِيرُ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ مَا لَمْ يَتَغَيَّرَ . اهـ

نلاحظ أنه يقول : إن البئر كان كثير الماء ؛ أي : كان الماء متجدداً .

2- قال الطحاوي في عون المعبود : بَأَنَّ بئرَ بُضَاعَةَ كَانَتْ طَرِيقًا إِلَى الْبَسَاتِينِ فَهُوَ كَالنَّهْرِ .

نلاحظ : كلمة (كالنهر) فهذه أدلة على أن مياهه متجددة ، وكثيرة كمياه النهر ، وليست مياه راكدة تلقي فيها الأوساخ ، وبذلك كان الماء طهوراً ؛ لذلك أمر الرسول ﷺ الصحابة أن يتوضؤوا منه ؛ فلو كان ماء البئر ساكناً متغيراً لما أمر الرسول ﷺ الصحابة أن يتوضؤوا منه !

3- قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْخَطَّابِيُّ فِي شَرْحِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ : قَدْ يَتَوَهَّمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ أَنَّ هَذَا كَانَ مِنْهُمْ عَادَةً ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَ هَذَا الْفِعْلَ قَصْدًا وَتَعَمُّدًا ، وَهَذَا مِمَّا لَا يَجُوزُ أَنْ يُظَنَّ بِذِمِّيٍّ بَلْ بَوَثْنِيٍّ فَضْلًا عَنْ مُسْلِمٍ ، فَلَمْ يَزَلْ مِنْ عَادَةِ النَّاسِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ ، تَنْزِيهِ الْمِيَاهِ وَصَوْنُهَا عَنِ النَّجَاسَاتِ ، فَكَيْفَ يُظَنَّ بِأَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، وَهُمْ أَعْلَى طَبَقَاتِ أَهْلِ الدِّينِ وَأَفْضَلُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَاءِ بِبِلَادِهِمْ أَعَزُّ وَالْحَاجَةُ إِلَيْهِ أَمْسُ ، أَنْ يَكُونَ هَذَا صُنْعُهُمْ بِالْمَاءِ ، وَقَدْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ تَغَوَّطَ فِي مَوَارِدِ الْمَاءِ وَمَشَارِعِهِ ، فَكَيْفَ مَنْ اتَّخَذَ عِيُونَ الْمَاءِ وَمَنَابِعَهُ رَصْدًا لِلْأَنْجَاسِ وَمَطْرَحًا لِلْأَقْدَارِ ، وَلَا يَجُوزُ فِيهِمْ مِثْلُ هَذَا الظَّنِّ وَلَا يَلِيقُ بِهِمْ ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ هَذَا الْبِئْرَ مَوْضِعَهَا فِي حُدُورِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَنَّ السُّيُولَ كَانَتْ تَكْشَحُ هَذِهِ الْأَقْدَارَ مِنَ الطُّرُقِ وَالْأَفْنِيَةِ وَتَحْمِلُهَا وَتُلْقِيهَا فِيهَا ، وَكَانَ لِكَثْرَتِهِ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ وَلَا تُغَيِّرُهُ ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَأْنِهَا لِيَعْلَمُوا حُكْمَهَا فِي النَّجَاسَةِ وَالطَّهَارَةِ . اهـ

-4

وعليه : تسقط شبهتهم - بفضل الله ﷻ - .

ثانيًا : إن الكتاب المقدس ذكر لنا (فطيرة حزقيال) التي تصنع على الخُرء الذي يخرج من الإنسان ، ويأكل بعدها أكلة شهية (بالهناء والشفاء) !

وَأْتَسْأَلُ : هل هذه الفطيرة بهذا الصنع نجاسات وقاذورات؟! لنقرأ ما قاله الربُ لَنبِيِّه حزقيال في سفرِ حزقيال إصحاح 4 عدد 12 ¹² وَتَأْكُلُ كَعَكًا مِنْ الشَّعِيرِ. عَلَى الْخُرءِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْإِنْسَانِ تَحْبِزُهُ أَمَامَ عِيُونِهِمْ. ¹³ وَقَالَ الرَّبُّ: «هَكَذَا يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ خُبْزَهُمُ النَّجِسَ بَيْنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ أُطْرِدُهُمْ إِلَيْهِمْ». ¹⁴ فَقُلْتُ: «آه، يَا سَيِّدُ الرَّبِّ، هَا نَفْسِي لَمْ تَتَنَجَّسْ. وَمِنْ صِبَايَ إِلَى الْآنَ لَمْ أَكُلْ مَيْتَةً أَوْ فَرِيسَةً، وَلَا دَخَلَ فَمِي لَحْمٌ نَجِسٌ». ¹⁵ فَقَالَ لِي: «انْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ لَكَ خِثِّي الْبَقَرِ بَدَلَ خُرءِ الْإِنْسَانِ، فَتَصْنَعُ خُبْزَكَ عَلَيْهِ».

قُلْتُ : يا له من أمرٍ مقذذٍ لقد عزفت نفسي عن كلِّ الفطائر بسببِ تلك النصوص

كَذَلِكَ نَلَاظُ : (الناسخ والمنسوخ) في الكتاب المقدس فتلك النصوص دليلٌ من الأدلة على وجوده ؛ حيث إن الربَّ يقول لحزقيال النبيّ : " انْظُرْ قَدْ جَعَلْتُ لَكَ خِثِّي الْبَقَرِ بَدَلَ خُرءِ الْإِنْسَانِ، فَتَصْنَعُ خُبْزَكَ عَلَيْهِ " !

ويبقى السؤال : هل الرب رجع في كلامه أم أنه حكم ناسخ للحكم الأول...؟

وذكر الكتاب المقدس أن الربَّ عاقب بإلقاءِ روث الحيوانات على الوجوه !

وذلك في سفر ملاخي إصحاح 2 عدد 1 ¹ « وَالْآنَ إِلَيْكُمْ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ أَيُّهَا الْكَهَنَةُ: ² إِنْ كُنْتُمْ لَا تَسْمَعُونَ وَلَا تَجْعَلُونَ فِي الْقَلْبِ لَتُعْطُوا مَجْدًا لاسْمِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. فَإِنِّي أُرْسِلُ عَلَيْكُمْ اللَّعْنُ ، وَالْعَنَ بَرَكَاتِكُمْ، بَلْ قَدْ لَعَنْتُهَا، لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ جَاعِلِينَ فِي الْقَلْبِ. ³ هَآنَذَا أَنْتَهُرُ لَكُمْ الزَّرْعَ، وَأَمْدُ الْفَرْثِ عَلَى وُجُوهِكُمْ، فَرِثَ أَعْيَادِكُمْ، فَتَنْزَعُونَ مَعَهُ.

وَأْتَسْأَلُ : أليس روث الحيوانات من النجاسات والقاذورات ؟!

وهل الربُّ يعاقب بالنجاسات والقاذورات ؟!

وذكر الكتاب المقدس شرب بول الإنسان ، وأكل خراء الإنسان ، وهي من النجسات والقاذورات وذلك في الآتي :

1- سفر الملوك الثاني إصحاح 18 عدد 27²⁷ فَقَالَ لَهُمْ رِشَاقَى: «هَلْ إِلَى سَيِّدِكَ وَإِلَيْكَ أُرْسَلَنِي سَيِّدِي لِكَيْ أَتَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ؟ أَلَيْسَ إِلَى الرِّجَالِ الْجَالِسِينَ عَلَى السُّورِ لِيَأْكُلُوا عَذْرَتَهُمْ وَيَشْرَبُوا بَوْلَهُمْ مَعَكُمْ؟» .

2- سفر إشعياء إصحاح 36 عدد 12¹² فَقَالَ رِشَاقَى : «هَلْ إِلَى سَيِّدِكَ وَإِلَيْكَ أُرْسَلَنِي سَيِّدِي لِكَيْ أَتَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ؟ أَلَيْسَ إِلَى الرِّجَالِ الْجَالِسِينَ عَلَى السُّورِ، لِيَأْكُلُوا عَذْرَتَهُمْ وَيَشْرَبُوا بَوْلَهُمْ مَعَكُمْ؟». لا تعليق !

رد شبهة : نبي ياكل فأرة ميتة !

كتب أحدهم مستهزئاً فرحاً لكونه وجد شيئاً كان تائهاً عنه ، ففي ظنه أن به طعون قوية تطعن في خير الأنام رسول الله ﷺ....

كتب قائلاً : يا دي المصيبة أنا مش مصدق عيني رسول يأكل فنران ميتة يا دي الوكسة السوداء ... أما رسول !

وجدت الروايات عند البخاري - رحمه الله - في صحيحه كتاب (الدَّبَائِحِ وَالصَّيِّدِ) باب : (إِذَا وَقَعَتِ الْفَأْرَةُ فِي السَّمَنِ الْجَامِدِ أَوْ الدَّائِبِ) برقم 5112 عَنْ مَيْمُونَةَ أَنَّ فَاَرَةً وَقَعَتْ فِي سَمْنٍ فَمَاتَتْ فَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهَا فَقَالَ : " أَلْقُوهَا وَمَا حَوْلَهَا وَكُلُّوه " .

وبرقم 5113 حَدَّثَنَا عَبْدَانُ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ عَنْ يُونُسَ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ الدَّابَّةِ تَمُوتُ فِي الزَّيْتِ وَالسَّمَنِ وَهُوَ جَامِدٌ أَوْ غَيْرُ جَامِدٍ الْفَأْرَةُ أَوْ غَيْرَهَا قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِفَأْرَةٍ مَاتَتْ فِي سَمْنٍ فَأَمَرَ بِمَا قُرْبَ مِنْهَا فطُرِحَ ثُمَّ أُكِلَ.

وبرقم 5114 عَنْ مَيْمُونَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - قَالَتْ : " سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ فَاَرَةٍ سَقَطَتْ فِي سَمْنٍ " فَقَالَ : " أَلْقُوهَا وَمَا حَوْلَهَا وَكُلُّوه " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذه الشبهة أوهن من بيت العنكبوت ... فمن نظر في تلك الروايات يجد كذب المدعي من وجهين:

الوجه الأول : أن النبي ﷺ لم يأكل من فأرة ميتة كما ذكر المدعي ... فهذا ليس مذكوراً في الروايات...

وعليه فعنوان الشبهة باطل من أساسه - بفضل الله - .

الوجه الثاني : الناظر في الروايات يرى أن ليس فيها أدنى ترخيص له ﷺ بالأكل من الفأرة الميتة...

ولكن سُئِلَ ﷺ عن حكم شرعي وهو : حينما يسقط شيء نجس في السمن الجامد ونحوه هل يلقي بالسمن ولا ينتفع به أم ماذا ؟

فأجاب النبي ﷺ قائلاً: " أَلْقُوهَا وَمَا حَوْلَهَا وَكُلُّوه ". أي : ألقوا الفأرة وما حولها واستخدموا باقي السمن في الأكل ؛ لا أن الضرر لن يحدث بعد عزل الفأرة وما حولها....

ويدعم ذلك بقية الروايات الأخرى في صحيح البخاري كتاب (الوضوء) باب (مَا يَقَعُ مِنَ النَّجَاسَاتِ فِي السَّمَنِ وَالْمَاءِ) برقم 229 عَنْ مَيْمُونَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ عَنْ فَأْرَةٍ سَقَطَتْ فِي سَمْنٍ فَقَالَ : " خَذُوهَا وَمَا حَوْلَهَا فَاطْرَحُوهُ "

وبرقم 228 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَيْمُونَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ عَنْ فَأْرَةٍ سَقَطَتْ فِي سَمْنٍ فَقَالَ : " أَلْقُوهَا وَمَا حَوْلَهَا فَاطْرَحُوهُ وَكُلُّوا سَمَنَكُمْ "

وفي زيادة عند النسائي من رواية عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ عَنْ مَالِكٍ : " فِي سَمْنٍ جَامِدٍ "

نلاحظ قوله ﷺ : " أَلْقُوهَا وَمَا حَوْلَهَا فَاطْرَحُوهُ وَكُلُّوا سَمَنَكُمْ " لم يقل : " وكلوا الفأرة " بل قال : " وَكُلُّوا سَمَنَكُمْ "

ونلاحظ أيضاً من تبويب البخاري ما يقوي ما سبق بيانه : باب (مَا يَقَعُ مِنَ النَّجَاسَاتِ فِي السَّمَنِ وَالْمَاءِ) .

ثانياً : إن هناك سوّلاً يطرح نفسه هو : هل المسيحية – التي يدين بها المعتزض – تمنع أكل الفئران الميتة النجسة كما نمتنع عن أكلها نحن – المسلمين – ؟

الجواب : ليس هناك في المسيحية ما يمنع أكل الفئران ؛ لأن يسوع قال في إنجيل مرقس إصحاح 7 عدد¹⁵ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَارِجِ الْإِنْسَانِ إِذَا دَخَلَ فِيهِ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ، لَكِنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ هِيَ الَّتِي تَنَجِّسُ الْإِنْسَانَ.

إذا معنى النص : لو أن المعترض أكل فأرة ميتة منتنة ليست نجسة ، بل الذي يخرج من الإنسان ، مثل الأفعال السيئة من أقوال وغيرها هي النجاسة فقط لا تعليق!

رد شبهة : نبيّ يلحق أصابعه بعد الأكل!

من وجهة نظرهم الضعيف أن طريقة أكل النبي ﷺ فيها مخالفة للذوق العام ! فقد اعترضوا أشد الاعتراض على فعل نبيّنا ﷺ بقولهم : إنه يلحق أصابعه بعد الأكل ... ! وتعلقوا بما جاء في صحيح مسلم كتاب (الأشربة) باب (استحباب لعق الأصابع) برقم 3793 عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدَكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيَمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ وَلَا يَمْسَحَ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذا الحديث ليس فيه إلزام لأحد بلعق الأصابع بعد الأكل، وهذا الأمر على سبيل الاستحباب فقط؛ فإننا نجد أن الإمام النووي - رحمه الله - ذكر هذا الحديث عند مسلم في صحيحه في باب (استحباب لعق الأصابع) .

فإذا كان هناك إنسان لا يريد أن يلحق أصابعه من الطعام الذي هو عليها قبل غسلها فليس بآثم وإنما كان من هدي النبي ﷺ أنه يلحق أصابعه، ويقول : " فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ " ؛ يقول ﷺ ذلك لمعرفته بقدر النعمة ، وعدم الاستهزاء بها مهما قلّت ثم يغسل يده ﷺ .

وأما عن قوله ﷺ : " إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ " .

المعنى : أن الإنسان لا يترك النعمة التي ساقها الله إليه على الأرض إذا وقعت منه بل يأخذها وينظفها إلا إذا وقعت في نجاسة ، ولا يتركها لعدو الله الشيطان فإن كرهت نفسه ذلك يطعم بها الحيوان، ولا يتركها له فنحن أمرنا بكرهه وبمحاربتة ، وحينما قال النبي ﷺ : " وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ " .

فنحن نسلم ونصدق بأن الشيطان يأكل بشماله ، ويأكل ما يقع على الأرض من طعام الإنسان بكيفية يعلمها الله ﷻ ؛ لأن هذا أمر غيبي لا يمكن لأحد أن يعترض عليه

قال النووي في شرحه : فيه استحباب لعق القُصعة وغيرها ، واستحباب أكل اللُقمة الساقطة بعد مسح أذى يصيبها ، هذا إذا لم تقع على موضع نجس ، فإن وقعت على موضع نجس تنجست ، ولا بد من غسلها إن أمكن ، فإن تعدر أطعمها حيواناً ولا يتركها للشيطان ، ومنها إثبات الشياطين ، وأنهم يأكلون ، وقد تقدم قريباً إيضاح هذا ، ومنها جواز مسح اليد بالمنديل ، لكن السنة أن يكون بعد لعقها . اهـ

ثانياً : بعد أن قمت بالرد على اعتراضهم أود أن أبين هدي النبي ﷺ في طعامه كما علمنا قبل الأكل وبعده على الترتيب التالي :

1- غسل اليدين قبل الطعام وبعده : السلسلة الصحيحة للألباني برقم 390 عن عائشة رضي الله عنها - " كان ﷺ إذا أراد أن ينام و هو جنب توضأ ، وإذا أراد أن يأكل غسل يديه " .

2- التسمية في أوله والحمد في آخره : صحيح سنن أبي داود للألباني برقم 3767 عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : قال رسول الله ﷺ : " إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل : " باسم الله أوله وآخره " . وفي مسند أحمد برقم 10846 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ .

3- ألا يعيب طعاماً قدم إليه : صحيح البخاري برقم 4989 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ إِلَّا اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ " .

-4

4- أن يأكل بيمينه ومما يليه :

صحيح البخاري برقم 4957 عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَا غُلَامُ سَمَّ اللَّهُ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زِلْتَ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ " .

5- ألا يأكل متكئاً : صحيح البخاري برقم 4979 عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا أَكُلُ مُتَكِنًا " . وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ 3807 عَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُقْعِيًا يَأْكُلُ تَمْرًا . وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الضَّرَرِ الصَّحِيحِ ، وظواهر الكبر....

6- يستحب التحدث على الطعام : صحيح مسلم برقم 3824 عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ أَهْلَهُ الْأُدْمَ فَقَالُوا : مَا عِنْدَنَا إِلَّا خَلٌّ فَدَعَا بِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ وَيَقُولُ : نِعَمَ الْأُدْمُ الْخَلُّ نِعَمَ الْأُدْمُ الْخَلُّ . وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَتَحَدَّثُ إِلَى أَصْحَابِهِ ﷺ وَهُوَ يَأْكُلُ عَلَى الْمَائِدَةِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَنَاسِبَةٍ .

-6

7- يستحب أن يدعو لمضيفه إذا فرغ من الطعام : سنن أبي داود برقم 3356 عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ فَأَكَلَ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ وَأَكَلَ طَعَامُكُمْ الْأَبْرَارُ وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ " .

8- الآيبدأ بالطعام ويوجد من هو أكبر منه : صحيح مسلم برقم 3761 عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِينَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَضَعُ يَدَهُ " .

9- الآيستهرتر بالنعمة : صحيح مسلم برقم 3795 عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ قَالَ : وَقَالَ : إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةٌ أَحَدَكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَدَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ وَأَمَرْنَا أَنْ نَسَلُتِ الْقُصْعَةَ قَالَ : " فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ " .

ثالثًا : إن المسلمين يعتقدون أن النظافة من الإيمان ، ويعتقدون بضرورة غسل الأيدي قبل الطعام وبعده ؛ لكن من خلال القراءة في إنجيل لوقا نجد أن يسوع شتم الذي استضافه ليتغذى عنده في بيته ! وذلك لما ذهب (يسوع) ليأكل عند رجل فريسي ، ولم يغسل يسوع يديه قبل الأكل فسأله الفريسي لماذا لم تغسل يدك.... لنقرأ سوياً لماذا لم يغسل يديه وماذا حدث ؟! في الإصحاح 11 عدد 37 ³⁷ وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ سَأَلَهُ فَرِيسِيٌّ أَنْ يَتَغَدَّى عِنْدَهُ، فَدَخَلَ وَاتَّكَأَ. ³⁸ وَأَمَّا الْفَرِيسِيُّ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ تَعَجَّبَ أَنَّهُ لَمْ يَغْتَسِلْ أَوَّلًا قَبْلَ الْغَدَاءِ. ³⁹ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «أَنْتُمْ الْآنَ أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّونَ تَتَّقُونَ خَارِجَ الْكَاسِ وَالْقُصْعَةِ، وَأَمَّا بَاطِنُكُمْ فَمَمْلُوءٌ اخْتِطَافًا وَخُبْنًا. ⁴⁰ يَا أَغْيَاءُ، أَلَيْسَ الَّذِي صَنَعَ الْخَارِجَ صَنَعَ الدَّاخلِ أَيْضًا؟ ⁴¹ بَلْ أُعْطُوا مَا عِنْدَكُمْ صَدَقَةً، فَهُذَا كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَقِيًّا لَكُمْ. ⁴² وَلَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّونَ! لِأَنَّكُمْ تَعْشَرُونَ التَّنْعِ وَالسَّدَابَ وَكُلَّ بَقْلٍ، وَتَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللَّهِ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هَذِهِ وَلَا تَتْرَكُوا تِلْكَ. ⁴³ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّونَ! لِأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْمَجْلِسَ الْأَوَّلَ فِي الْمَجَامِعِ، وَالتَّحِيَّاتِ فِي الْأَسْوَاقِ. ⁴⁴ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ! لِأَنَّكُمْ مِثْلُ

الْقُبُورِ الْمُخْتَفِيَةِ، وَالَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَيْهَا لَا يَعْلَمُونَ!». ⁴⁵ فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ التَّامُوسِيِّينَ وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، حِينَ تَقُولُ هَذَا تَشْتُمُنَا نَحْنُ أَيْضًا!». ⁴⁶ فَقَالَ: «وَوَيْلٌ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا التَّامُوسِيُّونَ! لِأَنَّكُمْ تَحْمِلُونَ النَّاسَ أَحْمَالًا عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَأَنْتُمْ لَا تَمْسُونَ الْأَحْمَالَ بِإِحْدَى أَصَابِعِكُمْ.!!

قُلْتُ : - سبحان الله- ينكرون على نبيِّنا ﷺ أنه كان يلحق أصابعه بعد الأكل ثم يغسلها ، ولا ينكرون على ما نسب إلى يسوع المسيح في إنجيل لوقا بأنه لا يغسل يده قبل الأكل؟!

ولا ينكرون على ما نسب إليه بأنه شتم الذي استضافه للغداء ؛ في حين أن نبيِّنا ﷺ كان يدعو لمن استضافه ، ويغير المنكر بالتّي هي أحسن ونحن ننزه المسيح ﷺ عما نسب إليه مثل تلك النصوص.

ولكن الأعجب أن التلاميذ بحسب ما نسب إليهم إنجيل مرقس أنهم سلكوا مسلك يسوع بعدم غسل الأيدي قبل الأكل ...

وأتساءل : هل غسل الأيدي نجاسة؟! هل هذا ما يرتضيه المعترضون...؟! !

جاء ذلك في الإصحاح 7 عدد ¹ واجتمع إليه الفريسيون وقوم من الكتبة قادمين من أورشليم. ² ولما رأوا بعضاً من تلاميذه يأكلون خبزاً بأيدي دنسة، أي غير مغسولة، لاموا. ³ لأنّ الفريسيين وكلّ اليهود إن لم يغسلوا أيديهم باعتناء، لا يأكلون، متمسكين بتقليد الشيوخ. ⁴ ومن السوق إن لم يغتسلوا لا يأكلون. وأشياء أخرى كثيرة تسلموها للنمسك بها، من غسل كؤوس وأباريق وأنية نحاس وأسرة. ⁵ ثم سألهم الفريسيون والكتبة: «لمأذا لا يسلك تلاميذك حسب تقليد الشيوخ، بل يأكلون خبزاً بأيدي غير مغسولة؟»... لا تعليق !

رد شبهة : نبي يسرق من صلاة من قبله !

هكذا ادعوا أن نبينا ﷺ أخذ من صلاتهم التي تقول : أبانا الذي في السماوات تقدس اسمك
لتكن مشيئتك

ثم قالوا : إننا وجدنا حديثاً قاله رسول الإسلام يشبه صلاتنا ؛ الحديث في سنن أبي داود
كتاب (الطب) باب (كيف الرقي) برقم 3394 حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ مَوْهَبِ الرَّمْلِيِّ
حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ زِيَادَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ
أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " مَنْ اشْتَكَى مِنْكُمْ شَيْئًا أَوْ اشْتَكَاهُ أَخٌ لَهُ
فَلْيَقُلْ رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَمَا رَحِمْتَكَ فِي
السَّمَاءِ فَاجْعَلْ رَحِمَتَكَ فِي الْأَرْضِ اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ أَنْزِلْ رَحْمَةً
مِنْ رَحِمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ فَيَبْرَأَ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الحديث (محل الشبهة) منكر، لا يصح الاستدلال به ، حكم عليه بذلك علماء
أجلاء كما يلي :

1- الألباني - رحمه الله- قال فيه (الحديث) : منكر في المشكاة (1555) ضعيف
الجامع الصغير (5422) وفي الترغيب والترهيب برقم 2013 قال : (ضعيف جداً) ،
وكذلك في سنن أبي داود برقم 3892 .

2- جاء في كتاب عون الموعود في شرح سنن أبي داود ما نصه : قَالَ الْمُنْذِرِيُّ :
وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَأَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَلَمْ يَذْكُرْ
فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ وَفِي إِسْنَادِهِ زِيَادُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ . قَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ: هُوَ مُنْكَرُ
الْحَدِيثِ . وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ: مُنْكَرُ الْحَدِيثِ جِدًّا يَرْوِي الْمَنَاقِيرَ عَنِ الْمَشَاهِيرِ فَاسْتَحَقَّ

التَّركَ . وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ : لَا أَعْرِفُ لَهُ إِلَّا مَقْدَارَ حَدِيثَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ . وَرَوَى عَنْهُ اللَّيْثُ وَابْنُ لَهِيْعَةَ وَمَقْدَارٌ مَا لَهُ لَا يُتَابَعُ عَلَيْهِ وَقَالَ أَيْضًا : أَظُنُّهُ مَدَنِيًّا انْتَهَى .

ثانيًا : إن هذا الحديثَ بفرضِ صحته ليس فيه شبه بصلاتهم ، ولا بعقيدتهم ؛ فالنبيُّ ﷺ يقول فيه : " رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ " . وهذه عقيدتنا فنحن نعتقد أن الله في السماء ، وليس في كلِّ مكانٍ كما هم يعتقدون... تدلل على ذلك أدلة منها :

1- قوله ﷺ : ﴿ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ (الملك 16) .

2- قوله ﷺ : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ (الأعلى 1) .

3- قوله ﷺ : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (فاطر 10) .

4- قوله ﷺ : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (50) (النحل)

5- قوله ﷺ : " اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ " رواه الترمذي برقم 1847 وقال : حديث حسن صحيح . تحقيق الألباني : صحيح ، الصحيحة (925) والأحاديث في ذلك الباب كثيرة ...

قلتُ : إن الله معنا بعلمه ، وبقدرته ، وباطلاعه على خلقه ، وهو في السماء ؛ أما المنصرون فيعتقدون أن الله : آب ، وابن ، وروح قدوس ، ويعتقدون أن الرب يسوع كان يمشي بين الناس ، ويأكل الطعام ، ويقضي حاجته هذا بخلاف الأب الذي في السماء ، وبالتالي فإن صلاتهم متناقضة مع اعتقادهم بعقيدة التثليث؛ حيث إن الواجب عليهم أن يصلوا لآب وحده (الرب) الذي هو في السماء؛ دون الابن، ودون الروح القدس .

ذكرت الأناجيل أن يسوع المسيح الذي هو من المفترض أنه إله بحسب إيمانهم ؛ كان يصلي لله ﷻ ، وعلم التلاميذ كيفية الصلاة ، لما سألته أحد تلاميذه قائلاً له : يارب ؛ أي: يا معلم علمنا أن نصلي وذلك في إنجيل لوقا إصحاح 11 عدد¹ وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ، لَمَّا فَرَغَ، قَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ: «يَارَبُّ، عَلَّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا عَلَّمَ يُوْحَنَّا أَيْضًا تَلَامِيذَهُ». ² فَقَالَ لَهُمْ : « مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِنَكُنْ مَشِيئَتَكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ. ³ خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا كُلَّ يَوْمٍ ، ⁴وَاعْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا لِأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضًا نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا، وَلَا تَدْخُلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِّيرِ».

وجاء ذلك أيضاً في إنجيل متى إصحاح 6 عدد⁶ وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مَخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عِلَانِيَةً.

إنني لأعجب كل العجب أين هي السرقة ؟!

أين هو هذا التشابه ؟!

وهل لو كتب إنسان بيتاً من الشعرٍ مستحيل على آخر أن يلهم مثله، أو ببعض كلماته ؟! هذا إن كان هناك تشابه بالفعل، والحديث لا يصح أصلاً ، ولا نعترف به كما تقدم معنا !

ثالثاً: إن المتأمل في الكتاب المقدس يجده نسب لرسله ، ولأنبيائه ، و للرب تهمة السرقة وذلك في الآتي :

1- نسب إلى بولس الرسول (شاول) بأنه كان يسرق الكنائس ... وذلك في سفر أعمال الرسل إصحاح 8 عدد 3³ وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجْرُ رِجَالًا وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السَّجْنِ.

3- نسب لنبي الله يعقوب أنه سرق البركة من أخيه عيسوا.... وذلك في سفر التكوين إصحاح 27 عدد 5⁵ وَكَانَتْ رِفْقَةُ سَامِعَةً إِذْ تَكَلَّمَ إِسْحَاقُ مَعَ عَيْسُو ابْنِهِ. فَذَهَبَ عَيْسُو إِلَى الْبَرِّيَّةِ كَيْ يَصْطَادَ صَيْدًا لِيَأْتِيَ بِهِ. 6⁶ وَأَمَّا رِفْقَةُ فَكَلِمَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا قَائِلَةً: «إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَبَاكَ يَكْلُمُ عَيْسُو أَخَاكَ قَائِلًا: 7⁷ ائْتِنِي بِصَيْدٍ وَأَصْنَعْ لِي أَطْعَمَةً لَأَكُلَ وَأُبَارِكَكَ أَمَامَ الرَّبِّ قَبْلَ وَفَاتِي. 8⁸ فَالآن يَا ابْنِي اسْمَعْ لِقَوْلِي فِي مَا أَنَا أَمْرُكَ بِهِ: 9⁹ اذْهَبْ إِلَى الْغَنَمِ وَخُذْ لِي مِنْ هُنَاكَ جَدِيَيْنِ جَيِّدَيْنِ مِنَ الْمَعْزَى، فَأَصْنَعُهُمَا أَطْعَمَةً لَأَبِيكَ كَمَا يُحِبُّ، 10¹⁰ فَتُحْضِرْهَا إِلَى أَبِيكَ لِيَأْكُلَ حَتَّى يُبَارِكَكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ». 11¹¹ فَقَالَ يَعْقُوبُ لِرِفْقَةَ أُمِّهِ: «هَذَا عَيْسُو أَخِي رَجُلٌ أَشْعَرٌ وَأَنَا رَجُلٌ أَمْلَسُ. 12¹² رُبَّمَا يَجْسُنِي أَبِي فَأَكُونُ فِي عَيْنَيْهِ كَمَتَهَاوِنٍ، وَأَجْلِبُ عَلَى نَفْسِي لَعْنَةً لَا بَرَكَهَ». 13¹³ فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «لَعْنَتُكَ عَلَيَّ يَا ابْنِي. اسْمَعْ لِقَوْلِي فَقَطْ وَادْهَبْ خُذْ لِي». 14¹⁴ فَذَهَبَ وَأَخَذَ وَأَحْضَرَ لَأُمِّهِ، فَصَنَعَتْ أُمُّهُ أَطْعَمَةً كَمَا كَانَ أَبُوهُ يُحِبُّ. 15¹⁵ وَأَخَذَتْ رِفْقَةُ ثِيَابَ عَيْسُو ابْنِهَا الْأَكْبَرَ الْفَاخِرَةَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهَا فِي الْبَيْتِ وَأَلْبَسَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا الْأَصْغَرَ، 16¹⁶ وَأَلْبَسَتْ يَدَيْهِ وَمَلَأَتْ عَنْقَهُ جُلُودَ جَدِي الْمَعْزَى. 17¹⁷ وَأَعْطَتْ الْأَطْعَمَةَ وَالْخُبْزَ الَّتِي صَنَعَتْ فِي يَدِ يَعْقُوبَ ابْنِهَا. 18¹⁸ فَدَخَلَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: «يَا أَبِي». فَقَالَ: «هَآنَذَا. مَنْ أَنْتَ يَا ابْنِي؟» 19¹⁹ فَقَالَ يَعْقُوبُ لِأَبِيهِ: «أَنَا عَيْسُو بَكَرُكَ. قَدْ فَعَلْتُ كَمَا كَلَّمْتَنِي. قُمْ اجْلِسْ وَكُلْ مِنْ صَيْدِي لِكَيْ تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ». 20²⁰ فَقَالَ إِسْحَاقُ لِابْنِهِ: «مَا هَذَا الَّذِي أَسْرَعْتَ لِتَجِدَ يَا ابْنِي؟» فَقَالَ: «إِنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ قَدْ يَسَّرَ لِي» 21²¹ فَقَالَ إِسْحَاقُ لِيَعْقُوبَ: «تَقَدَّمْ لِأَجْسُكَ يَا ابْنِي. أَأَنْتَ هُوَ ابْنِي عَيْسُو أَمْ لَا؟» 22²² فَتَقَدَّمَ يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ، فَجَسَّهُ وَقَالَ: «الصَّوْتُ صَوْتُ يَعْقُوبَ، وَلَكِنَّ الْيَدَيْنِ يَدَا عَيْسُو». 23²³ وَلَمْ يَعْرِفْهُ لِأَنَّ يَدَيْهِ كَانَتَا مُشْعِرَتَيْنِ كَيْدِي عَيْسُو أَخِيهِ، فَبَارَكَهُ. 24²⁴ وَقَالَ: «هَلْ أَنْتَ هُوَ ابْنِي عَيْسُو؟» فَقَالَ: «أَنَا هُوَ». 25²⁵ فَقَالَ: «قَدَّمْ لِي لَأَكُلَ مِنْ صَيْدِ ابْنِي حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي». فَقَدَّمْ لَهُ فَأَكَلَ، وَأَحْضَرَ لَهُ خَمْرًا فَشَرِبَ. لَا تَعْلِقْ!

4- نسب إلى الرب أنه أمر موسى بسرقة المصريين ... وذلك في سفر الخروج إصحاح 3 عدد¹⁹ وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ لَا يَدْعُكُمْ تَمْضُونَ وَلَا بِيَدٍ قُوَّةٍ،²⁰ فَأَمْدُ يَدَيَّ وَأَضْرِبُ مِصْرَ بِكُلِّ عَجَائِبِي الَّتِي أَصْنَعُ فِيهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يُطْلَقُكُمْ.²¹ وَأَعْطِي نِعْمَةً لِهَذَا الشَّعْبِ فِي عِيُونِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَئِذٍ تَمْضُونَ أَنْتُمْ لَا تَمْضُونَ فَارِغِينَ.²² بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةٍ بَيْتِهَا أَمْتَعَةً فَضَّةً وَأَمْتَعَةً ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلُبُونَ الْمِصْرِيِّينَ». لا تعليق!

4- نسب إلى الله ﷻ في العهد القديم تهمة السرقة ... وذلك في سفر التكوين إصحاح 31 عدد⁹ فَقَدْ سَلَبَ اللَّهُ مَوَاشِيَ أَبِيكَمَا وَأَعْطَانِي.

و في سفر صفنيا إصحاح 3 عدد⁸ «لَذَلِكَ فَانْتَظِرُونِي، يَقُولُ الرَّبُّ، إِلَى يَوْمِ أَقُومَ إِلَى السَّلْبِ، لِأَنَّ حُكْمِي هُوَ بِجَمْعِ الْأُمَمِ وَحَشْرِ الْمَمَالِكِ، لِأَصَبَّ عَلَيْهِمْ سَخَطِي، كُلُّ حُمُو غَضَبِي. لِأَنَّهُ بِنَارٍ غَيْرَتِي تُوْكَلُّ كُلُّ الْأَرْضِ..

نلاحظ من الأخير : أن الله موصوف بزعم تلك النصوص بأنه يسرق، ويسلب من الناس المواشي والبهائم، وأنه يقوم مخصوص من أجل السلب والنهب ... ولكن مع مرور الأيام ، وكما تدين تدان، نجد أن أناساً سرقوا الرب! وذلك في سفر ملاخي إصحاح 3 عدد⁸ أَيْسَلُبُ الْإِنْسَانُ اللَّهَ؟ فَإِنَّكُمْ سَلَبْتُمُونِي. فَقُلْتُمْ: بِمَ سَلَبْنَاكَ؟ فِي الْعُشُورِ وَالنَّقْدَمَةِ.

قلتُ : صدق الله ﷻ إذ يقول : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج 74).

رد شبهة : نبي دعاء بدعاء من قبله - المسيح - !

قالوا : إن رسول الإسلام قال مثلما قال المسيح : " أبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ! " ... أليست ، هل هذه هي أخلاق النبوة ، سرقة الأقوال!؟

وتعلقوا على ذلك بما جاء في الآتي :

1- صحيح البخاري برقم 3218 قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مسعودٍ كَانِي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدَمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " .

3- إنجيل لوقا إصحاح 23 عدد³⁴ فَقَالَ يَسُوعُ : «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ». وَإِذِ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ اقْتَرَعُوا عَلَيْهَا.

الرد على الشبهة

أولاً: إن كلامهم يدل على سوء أخلاقهم مع أنبياء الله ، واتهامهم بتهم كهذه من حقدهم ، وكرههم لخير الأنام محمد -عليه السلام- ...

ثانياً: إن هذا الحديث لا يتحدث عن محمد ﷺ نفسه..... يدل على ذلك الآتي :

1- قال ابن حجر في الفتح في شرحه (الحديث) : لَمْ أَقِفْ عَلَى اسْمِ هَذَا النَّبِيِّ صَرِيحاً ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هُوَ نُوحٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هُوَ نُوحٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ- ، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي " الْمُبْتَدَأ " وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِ الشُّعْرَاءِ مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ قَالَ " حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتُهُمْ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ قَوْمَ نُوحٍ كَانُوا يَبْطِشُونَ بِهِ فَيَخْنُقُونَهُ حَتَّى يَغْشَى عَلَيْهِ فَإِذَا أَفَاقَ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " . قُلْتُ : وَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَكَانَ ذَلِكَ كَانَ فِي ابْتِدَاءِ الْأَمْرِ ، ثُمَّ لَمَّا يَبْسُ مِنْهُمْ قَالَ (رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) وَقَدْ ذَكَرَ مُسْلِمٌ بَعْدَ تَخْرِيجِ هَذَا

الْحَدِيثُ حَدِيثٌ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي قِصَّةِ أُحُدٍ " كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ دَمَوْا وَجْهَهُ نَبِيَّهُمْ " فَأَنْزَلَ اللَّهُ (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ الْحَاكِي وَالْمَحْكِيُّ مَا سَيَّأَتِي . وَأَمَّا النَّوَوِيُّ فَقَالَ : هَذَا النَّبِيُّ الَّذِي جَرَى لَهُ مَا حَكَاهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَقَدْ جَرَى لِنَبِيِّنَا نَحْوَ ذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ .

2- قال النووي في شرحه لمسلم في شرحه (الحديث) : فِيهِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحِلْمِ وَالْتِصَبِ ، وَالْعَفْوِ وَالشَّفَقَةِ عَلَى قَوْمِهِمْ ، وَدُعَائِهِمْ لَهُمْ بِالْهُدَايَةِ وَالْغُفْرَانِ ، وَعَذْرِهِمْ فِي جَنَائِتِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، وَهَذَا النَّبِيُّ الْمُشَارُ إِلَيْهِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَقَدْ جَرَى لِنَبِيِّنَا ﷺ مِثْلَ هَذَا يَوْمَ أُحُدٍ .

إِذَا مِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ أَتَضَحُّ لَنَا : أَنَّ كَثِيرِينَ قَالُوا هَذَا الدَّعَاءُ لَمَّا آذَوْا مِنْ قَوْمِهِمْ وَمِنْهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ ، فَلَيْسَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَحْدَهُ مِنْ دَعَا بِذَلِكَ لَنْ هَذَا مِنْ رَحْمَتِهِمْ جَمِيعًا بِقَوْمِهِمْ ... وَذَلِكَ مَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي عِدَّةٍ مَوْضِعٍ مِنْهَا :

1- مسند أحمد برقم 3851 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ بِالْجِعْرَانَةِ قَالَ : فَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ بَعَثَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَى قَوْمِهِ فَكَذَّبُوهُ وَشَجَّوهُ فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ جَبِينِهِ ، وَيَقُولُ : " رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : " فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ جَبْهَتَهُ يَحْكِي الرَّجُلَ " . تعليق شعيب الأرنؤوط : صحيح وهذا إسناد حسن .

2- مسند أحمد برقم 4103 عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: تَكَلَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَلِمَةً فِيهَا مَوْجِدَةٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تُفَرِّقْ نَفْسِي أَنْ أَخْبَرْتُ بِهَا النَّبِيَّ ﷺ فَلَوَدِدْتُ أَنِّي افْتَدَيْتُ مِنْهَا بِكُلِّ أَهْلٍ وَمَالٍ فَقَالَ: قَدْ آذَوْا مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَبِرَ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ نَبِيًّا ﷺ كَذَبَهُ قَوْمُهُ وَشَجَّوهُ حِينَ جَاءَهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فَقَالَ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " . تعليق شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره وهذا إسناد حسن .

3- قال ﷺ : " اللهم اغفر للأحنف بن قيس ". (الحاكم عن الحسن عن الأحنف بن قيس)

أخرجه الحاكم (712/3 ، رقم 6573) . وأخرجه أيضاً : أحمد (372/5 ، رقم 23209) .

3- قال ﷺ : " اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار " (البخاري ، والترمذي عن أنس . الطيالسي ، وأحمد ، ومسلم عن زيد بن أرقم . الطبراني عن خزيمة بن ثابت . ابن أبي شيبة عن أبي سعيد).

5- قال ﷺ : " اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار ولنساء الأنصار ولنساء أبناء الأنصار ولنساء أبناء أبناء الأنصار ". (أحمد ، وابن أبي شيبة ، والطبراني عن زيد بن أرقم)

أخرجه أحمد (370/4 ، رقم 19318) ، وابن أبي شيبة (399/6 ، رقم 32362) والطبراني (205/5 ، رقم 5104) وأخرجه أيضاً : ابن حبان (270/16 ، رقم 7281) .

6- قال ﷺ : " اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج ". (الحاكم ، والبيهقي عن أبي هريرة)

أخرجه الحاكم (609/1 ، رقم 1612) وقال : صحيح على شرط مسلم . والبيهقي (261/5 ، رقم 10161) . وأخرجه أيضاً : ابن خزيمة (132/4 ، رقم 2516) ، والطبراني في الأوسط (266/8 ، رقم 8594) ، وفي الصغير (236/2 ، رقم 1089) .

7- قال ﷺ : " اللهم اغفر للصحابه ولمن رأى من رأني ". (الطبراني عن سهل بن سعد) أخرجه الطبراني (166/6 ، رقم 5874) قال الهيثمي (20/10) : رجاله رجال الصحيح غير عبد الجبار بن أبي حازم إن كان هو أبو يحيى المدني هو فليح بن سليمان قال ابن

حبان : أظنه فليح بن سليمان ذكر ذلك في ترجمة عبد الجبار بن أبي حازم قال : وقد ذكر عبد الجبار في الثقات . وذكره ابن حبان في الثقات (7/135 ، ترجمة 9345 عبد الجبار بن أبي حازم) .

8- قال ﷺ : " اللهم اغفر للنجاشي قالها ثلاثاً " . (البزار عن جعفر بن أبي طالب) أخرجه البزار (4/159 ، رقم 1328) وأخرجه أيضاً : الطبراني (2/110 رقم 1478) قال الهيثمي (6/30 ، 9/419) : فيه أسد بن عمرو ومجالد بن سعيد ، وثقهما غير واحد ، وضعفهما جماعة ، وبقيّة رجاله ثقات .

إذا : كان النبي ﷺ يدعو بالمغفرة لقوم المحاربين ، والموالين له ، ولأناسٍ بعينهم ولا أجد سرقة من أحد كما زعموا....

وأتساءل سؤاليين :

1- هل لو كتب إنسانُ بيتاً من الشعرٍ مستحيل على آخر أن يلهم مثله، أو ببعض كلماته؟! فما بالك بالدعاء الذي يدعوا به ملايين البشر...؟ هذا هو

3- ما المانع أن النبي ﷺ أخبره جبريل أن المسيح قال هذا النص - إن كان لم يحرف أصلاً- ودعا به محمد ﷺ هل في الدعاء لله سرقة ، أم أنه تأسي بأخيه عيسى وغيره... ؟

الجواب : إن النبي ﷺ كان متأسيا بمن كان قبله من الأنبياء كما أمره الله فيما يلي :

1- قوله ﷺ : " أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (90) " (الأنعام).

إِذَا : هذا أمرٌ من الله ﷻ له بالتأسي بهم ، والسير على دريهم...

3- صحيح البخاري برقم 2917 قال : "رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرِ مَنْ هَذَا فَصَبَرَ".

-4

4- الحديث الذي معنا : يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدَمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ "

-5 .

5- صحيح البخاري برقم 3186 عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ وَالْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عَلَاتٍ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ".

ثالثًا : إن الكتاب المقدس ذكر لنا أن استَفَانُوسَ دعا بنفس الدعاء الذي قاله يسوع المسيح عند موته - بزعم الأناجيل -

وذلك في سفر أعمال الرسل إصحاح 7 عدد⁵⁸ وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَرَجَمُوهُ. وَالشُّهُودُ خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ عِنْدَ رِجْلَيْ شَابٍّ يُقَالُ لَهُ شَاوُلُ. ⁵⁹فَكَانُوا يَرْجُمُونَ اسْتَفَانُوسَ وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ: «أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ اقْبَلْ رُوحِي». ⁶⁰ثُمَّ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «يَارَبُّ، لَا تَقِمَ لَهُمْ هَذِهِ الْخَطِيئَةُ». وَإِذْ قَالَ هَذَا رَقَدَ.

وفي الترجمة اليسوعية، والأخبار السارة ، والحياة جاء النص كما يلي : ثم ركع وصرخ بصوت عال : « يارب ، لا تحسب عليهم هذه الخطيئة! » وإذ قال هذا رقد.

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه : هل سرق استفانوس هذا الدعاء من يسوع أم تأسي به كما تأسى نبينا ﷺ بالأنبياء الذين قبله... ؟

رابعاً : إن المتأمل في الكتاب المقدس يجده نسب إلى بولس الرسول (شاول) بأنه كان يسرق الكنائس ! وذلك في سفر أعمال الرسل إصحاح 8 عدد 3 وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساءً ويسلمهم إلى السجن.

ونسب ليسوع أنه كان يأخذ أقولا من العهد القديم وينسبها لنفسه ، مثل : ليس بالخبز وحده يحيى الانسان بل بكلمة الله (تثنية 3/8).

ونسب لنبي الله يعقوب أنه سرق البركة من أخيه عيسوا بالحيلة والمكر

وذلك في سفر التكوين إصحاح 27 عدد 5 وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه. فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيداً ليأتي به. 6 وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة: «إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً: 7 أنتني بصيدٍ وأصنع لي أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتي. 8 فالآن يا ابني اسمع لقولي في ما أنا أمرُك به: 9 اذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيدين من المعزى، فأصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب، 10 فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته». 11 فقال يعقوب لرفقة أمه: «هوذا عيسو أخي رجلٌ أشعر وأنا رجلٌ أملس. 12 ربّما يجسني أبي فأكون في عينيه كمتهاون، وأجلب على نفسي لعنة لا بركة». 13 فقالت له أمه: «لعنتك علي يا ابني. اسمع لقولي فقط وأذهب خذ لي». 14 فذهب وأخذ وأحضر لأمه، فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب. 15 وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر، 16 وألبست يديه وملاسه عنقه جلود جديي المعزى. 17 وأعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها. 18 فدخل إلى أبيه وقال: «يا أبي». فقال: «هأنذا. من أنت يا ابني؟» 19 فقال يعقوب لأبيه: «أنا عيسو بكرك. قد فعلت كما كلمتني. قم اجلس

وَكُلُّ مَنْ صَيَّدِي لِكِي تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ». ²⁰ فَقَالَ إِسْحَاقُ لِابْنِهِ: «مَا هَذَا الَّذِي أَسْرَعْتَ لِتَجِدَ يَا ابْنِي؟» فَقَالَ: «إِنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ قَدْ يَسَّرَ لِي» ²¹ فَقَالَ إِسْحَاقُ لِيَعْقُوبَ: «تَقَدَّمْ لِأَجْسِكَ يَا ابْنِي. أَنْتَ هُوَ ابْنِي عَيْسُو أَمْ لَا؟» ²² فَتَقَدَّمَ يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ، فَجَسَّهُ وَقَالَ: «الصَّوْتُ صَوْتُ يَعْقُوبَ، وَلَكِنَّ الْيَدَيْنِ يَدَا عَيْسُو». ²³ وَلَمْ يَعْرِفْهُ لِأَنَّ يَدَيْهِ كَانَتَا مُشْعِرَتَيْنِ كَيْدِي عَيْسُو أَخِيهِ، فَبَارَكَهُ. ²⁴ وَقَالَ: «هَلْ أَنْتَ هُوَ ابْنِي عَيْسُو؟» فَقَالَ: «أَنَا هُوَ». ²⁵ فَقَالَ: «قَدَّمْ لِي لِأَكُلَ مِنْ صَيْدِ ابْنِي حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي». فَتَقَدَّمَ لَهُ فَأَكَلَ، وَأَحْضَرَ لَهُ خَمْرًا فَشَرِبَ. لَا تَعْلِقُ !

ونسب الكتاب المقدس لى الرب أنه أمر موسى بسرقة المصريين ... وذلك في سفر الخروج إصحاح 3 عدد ¹⁹ وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ لَا يَدْعُكُمْ تَمْضُونَ وَلَا بِيَدِ قُوَّةٍ ، ²⁰ فَأَمْدُ يَدَيَّ وَأَضْرِبُ مِصْرَ بِكُلِّ عَجَائِبِي الَّتِي أَصْنَعُ فِيهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يُطْلَقُكُمْ. ²¹ وَأُعْطِي نِعْمَةً لِهَذَا الشَّعْبِ فِي عِيُونِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَمَا تَمْضُونَ أَنْتُمْ لَا تَمْضُونَ فَارِغِينَ. ²² بَلْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتَعَةً فَضَّةً وَأَمْتَعَةً ذَهَبًا وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلُبُونَ الْمِصْرِيِّينَ». لَا تَعْلِقُ !

ونسب الكتاب المقدس إلى بولس أنه ينشر دين يسوع بالكذب وذلك من خلال رسالته الى اهل روميا إصحاح 3 عدد 7 فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده فلماذا أدان بعد كخاطي ؟

ونسب الكتاب المقدس إلى الله ﷻ في العهد القديم تهمة السرقة ! وذلك في الآتي :

- 1- سفر التكوين إصحاح 31 عدد ⁹ فَقَدْ سَلَبَ اللَّهُ مَوَاشِيَ أَبِيكَمَا وَأَعْطَانِي.
- 2- سفر صفنيا إصحاح 3 عدد ⁸ «لِذَلِكَ فَاَنْتَظِرُونِي، يَقُولُ الرَّبُّ، إِلَى يَوْمٍ أَقُومُ إِلَى السَّلْبِ ، لِأَنَّ حُكْمِي هُوَ بِجَمْعِ الْأُمَمِ وَحَشْرِ الْمَمَالِكِ، لِأَصْبَ عَلَيْهِمْ سَخَطِي، كُلُّ حُمُو غَضَبِي. لِأَنَّهُ بِنَارٍ غَيْرَتِي تُؤْكَلُ كُلُّ الْأَرْضِ

نلاحظ من الأخير : أن الله موصوفٌ بزعم تلك النصوص بأنه يسرق، ويسلب من الناس المواشي والبهائم ، وأنه يقوم مخصص من أجل السلب والنهب... ولكن مع مرور الأيام وكما تدين تدان ، نجد أن أناساً سرقوا الرب! وذلك في سفر ملاخي إصحاح 3 عدد ⁸ أَيْسَلُبُ الْإِنْسَانُ اللَّهَ ؟ فَإِنَّكُمْ سَلَبْتُمُونِي. فَقُلْتُمْ : بِمَ سَلَبْنَاكَ؟ فِي الْعُشُورِ وَالنَّقْدِمَةِ.

قُلْتُ : صدق الله ﷻ إذ يقول : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج 74).

رد شبهة : نبيُّ يحل الكذب !

تسألوا قائلين: هل الإسلام يأمر بالكذب ؟ إن قلتم : لا ، نقول : إن رسول الإسلام أباح الكذب ، والدليل على قولنا هو ما جاء في سنن الترمذي كتاب (البرِّ والصَّلةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) بَاب (مَا جَاءَ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ) برقم 1862 عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا يَحِلُّ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيَرْضِيَهَا وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ وَالْكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الرد على سؤالهم الأول الذي يقول : هل الإسلام يأمر بالكذب ؟ رداً بسيطاً؛ لأنهم يجهلون أن الإسلام العظيم يأمر أتباعه بحسن الخلق ، ومن حسن الخلق أن يكون المسلم صادقاً وليس كاذباً..... تدلل على ذلك أدلة منها:

1- إن الله ﷻ أمر المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين وذلك من قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (التوبة 119).

3- إن الله ﷻ ذكر أن من صفات المؤمنين الصدق ... وذلك في الآتي :

أ- قوله ﷻ : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (آل عمران 17).

ب-

ت- قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب 35).

ث-

4- إن الله ﷻ ذم الكذب في كتابه ، وبين أنه من الكبائر، وأن فاعله معاقب من ربه ... وذلك من قوله ﷻ : ﴿ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (آل عمران 61) .

5-

وقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر 28).

4- إن النبي ﷺ قد بين أن الصدق يهدي إلى كل معاني الخير ، وأن الكذب يهدي إلى كل شر ... وذلك في الصحيحين : في صحيح البخاري برقم 5629 كتاب (الأدب) باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } وَمَا يَنْهَى عَنِ الْكُذْبِ .

5-

وفي صحيح مسلم كتاب (البرّ والصّلة والآداب) باب (قُبْحُ الْكَذِبِ وَحُسْنُ الصَّدْقِ وَفَضْلُهُ) برقم 4719 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صَدِيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَابًا " .

6- إن النبي ﷺ أن الصمت فيه النجاة عن إطلاق اللسان إلا في الخير وذلك في الآتي :

-7

أ- مسند أحمد برقم 6193 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ صَمَتَ نَجَا " . قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 6367 في صحيح الجامع .

ب-

ب- صحيح البخاري برقم 5559 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ " .

6- إن النبي ﷺ بين أن الكذب من علامات المنافقين ثبت ذلك في الصحيحين ، واللفظ للبخاري برقم 32 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ " .

وغير ذلك من الأدلة في هذا الشأن ...

وعليه : فإن الإسلام ذم الكذب ونهى عنه وبين أنه من الكبائر، وأمر أهله بالصدق، وأن يكون مع الصادقين.....

ثانيًا : إن قولهم : بأن رسول الله ﷺ أباح الكذب يردُّ عليهم ما أسلفناه - بفضل الله ﷻ -
وأما عن استدلالهم بحديث النبي ﷺ : " لَا يَحِلُّ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ
لِيَرْضِيَهَا وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ وَالْكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ " . استدلال لا يخدم مصالحهم بحالٍ
من الأحوال كما سيتقدم معنا - إن شاء الله ﷻ - فيما يلي :

قوله ﷺ : " لَا يَحِلُّ الْكَذِبُ " أي : أن الكذب حرامٌ ؛ هذا هو الأصل المتفق عليه ، ولكن
أجازه النبي ﷺ في ثلاثٍ ذكرها قائلًا : " يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيَرْضِيَهَا وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ
وَالْكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ " .

الملاحظ من الحديث : أن الكذب في الأمور الثلاثة المذكورة ليس على إطلاقه بل عند
الضرورة ، والضرورة تقدر بقدرها ، والأولى عدم الكذب ؛ لقوله ﷺ في أول الحديث : " لَا
يَحِلُّ الْكَذِبُ " .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا أباح النبي ﷺ الكذب في تلك الأمور الثلاث ؟

الجواب : جاء في المنتقى - شرح الموطأ الجزء الرابع صفحة 455 في شرح حديث رقم
1570: كَذَبَ الرَّجُلُ لَامْرَأَتِهِ لِيَرْضِيَهَا وَرَجُلٌ كَذَبَ لِيُصْلِحَ وَقَالَ عَيْسَى بْنُ دِينَارٍ فِي
الْمُزْنِيَّةِ: لَا بَأْسَ أَنْ يَكْذِبَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ فِي كُلِّ مَا يَسْتَجِيزُ بِهِ هَوَاهَا وَطَوَاعِيَّتُهَا إِذَا لَمْ
يُذْهَبْ بِكَذِبِهِ شَيْئًا مِنْ مَالِهَا مِثْلَ أَنْ يَزِينَ لَهَا مَا يُعْطِيهَا وَنَحْوَ هَذَا ، وَإِنْ كَذَبَ وَقَوْلُهُ وَلَا
خِلَافَ أَنَّهُ مَنْ رَأَى رَجُلًا مُسْلِمًا يَقْتُلُ ظُلْمًا وَيَعْرِفُ أَنَّهُ يُنْجِيهِ بِالْكَذِبِ مَنْ أَنْ يَكُونَ فِي
مَوْضِعٍ فَيَقُولُ : لَيْسَ هُوَ فِيهِ وَغَيْرَ ذَلِكَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ الْكَذِبُ فَكَيْفَ لَا يَجُوزُ لَهُ وَقَالَ
قَوْمٌ لَا يَجُوزُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى مَعْنَى التَّوْرَةِ وَالْأَلْغَازِ لَا عَلَى مَعْنَى تَعَمُّدِ الْكَذِبِ
وَقَصْدِهِ ، وَقَدْ تَأَوَّلُوا مَا حَكَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِهِ الْأَلْغَازِ وَرَوَى عَنْ
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ فِي الْمَعَارِضِ مَنْدُوحَةً عَنْ الْكَذِبِ وَرَوَى ابْنُ شَهَابٍ عَنْ
حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أُمِّهِ أَمْ كُلْثُومٍ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي
يَمْشِي يَصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُهُ . اهـ

قلتُ : يتبقى لنا الكذب في الحرب ؛ لم يذكره الشارح - رحمه الله - .

بالمثال يتضح المقال : لو أن هناك قائدَ جيش مسلم ظهر على إحدى الفضائيات، وصرح عن أماكن جيشه ، وخططه العسكرية وإمكانياته ، وذلك في حالة حرب، قال ذلك لما سأله سائل بحجة أن المسلم لا يكذب فكانت النتيجة أن دُمر جيش المسلمين وقُتل الأبرياء !.....

وأتساءل : ماذا نقول جميعاً عن هذا القائد العسكري؟ نقول بلا شك: إنه (متخلف عقلياً) لماذا؟ لأن الحرب قائمة على الخداع؛ لذا بوب البخاري باباً في صحيحه بعنوان باب (الكذب في الحرب) وهذا كلام يعرفه العسكريون، ومن يعمل في المخابرات حفاظاً على الوطن ، ولا يرفض هذا الكلام عاقلٌ قط.....

يبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو : هل أمر النبي ﷺ بالكذب في غير هذه الأمور الثلاثة ؟

الجواب : لا ؛ إذا أباحها النبي للضرورة كما أسلفنا، وليس الأمر على إطلاقه، وليس في ذلك شبهة والله الحمد .

ثالثاً : إنني أسألُ المعترضين سؤالاً هو: هل لو كذب النبي ﷺ أو أمر بالكذب - حاشاه ذلك - فهل هذا مطعن في نبوته نظراً لمعايير النبوة في الكتاب المقدس؟!

قلتُ : لا ؛ لأن الكتاب المقدس نسب لبعض أنبياء الله الكذب ! ومنهم من أمر به ! ونبرأ إلى الله ﷻ أن يكونوا كذلك فعلى سبيل المثال لا الحصر فقد نسب الكتاب المقدس لأنبيائه ورسله ما يلي :

1- نبي الله يعقوب كذب على أبيه (إسحاق) ؛ كي يأخذ منه البركة بالكذب والخداع ... وذلك في سفر التكوين إصحاح 27 عدد¹⁸ فدخل إلى أبيه وقال: «يا أبي». فقال: «هأنذا. من أنت يا ابني؟» فقال يعقوب لأبيه: «أنا عيسو بكرك. قد فعلت كما كلمتني. قم اجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك». فقال إسحاق لابنه: «ما هذا الذي أسرعت لتجد يا ابني؟» فقال: «إن الرب إلهك قد يسر لي» فقال إسحاق ليعقوب: «تقدم لأجسك يا ابني. أنت هو ابني عيسو أم لا؟». فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه، فجسه وقال: «الصوت صوت يعقوب، ولكن اليدين يدا عيسو». ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه، فباركه. ²⁴ وقال: «هل أنت هو ابني عيسو؟» فقال: «أنا هو».

2- نبي الله إبراهيم كذب ، وأمر زوجته بالكذب وذلك في سفر التكوين إصحاح 12 عدد¹⁰ وحدث جوع في الأرض، فأنحدر أبرام إلى مصر ليتعرب هناك، لأن الجوع في الأرض كان شديداً. ¹¹ وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته: «إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر. ¹² فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته. فيقتلونني ويستبقونك. ¹³ قللي إنك أختي، ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك». ¹⁴ فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً. ¹⁵ ورأها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون، ¹⁶ فصنع إلى أبرام خيراً بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال. ¹⁷ فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام. ¹⁸ فدعا فرعون أبرام وقال: «ما هذا الذي صنعت بي؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ ¹⁹ لماذا قلت: هي أختي، حتى أخذتها لي لتكون زوجتي؟ والآن هوذا امرأتك! خذها واذهب!». ²⁰

-3

3- نبي الله إسحاق كذب ، وأمر زوجته بالكذب وذلك في سفر التكوين إصحاح 26 عدد⁷ وسأله أهل المكان عن امرأته، فقال: «هي أختي». لأنه خاف أن يقول: «امرأتي» لعل أهل المكان: «يقتلونني من أجل رفقة» لأنها كانت حسنة المنظر. ⁸ وحدث

إِذْ طَلَّتْ لَهُ الْآيَّامُ هُنَاكَ أَنَّ أَبِيْمَالِكَ مَلِكَ الْفَلَسْطِينِيِّينَ أَشْرَفَ مِنَ الْكُوَّةِ وَنَظَرَ، وَإِذَا إِسْحَاقُ يُبْلَعُ رِفْقَةً امْرَأَتَهُ. ⁹ قَدَعَا أَبِيْمَالِكَ إِسْحَاقَ وَقَالَ: «إِنَّمَا هِيَ امْرَأَتُكَ! فَكَيْفَ قُلْتَ: هِيَ أُخْتِي؟» فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: «لَأَنِّي قُلْتُ: لَعَلِّي أَمُوتُ بِسَبَبِهَا». ¹⁰ فَقَالَ أَبِيْمَالِكَ: «مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِنَا؟ لَوْلَا قَلِيلٌ لَاضْطَجَعَ أَحَدُ الشَّعْبِ مَعَ امْرَأَتِكَ فَجَلَبْتَ عَلَيْنَا ذَنْبًا». ¹¹ فَأَوْصَى أَبِيْمَالِكَ جَمِيعَ الشَّعْبِ قَائِلًا: «الَّذِي يَمَسُّ هَذَا الرَّجُلَ أَوْ امْرَأَتَهُ مَوْتًا يَمُوتُ».

4- يسوع المسيح كذب على إخوته ؛ حينما طلبوا منه الصعود للعيد فقال: إني لست

بصاعد ثم صعد بعدها في الخفاء وذلك في إنجيل يوحنا إصحاح 7 عدد

⁸ اصعدوا أنتم إلى هذا العيد. أنا لستُ أَسْأَلُ أَنْصَعِدَ بَعْدُ إِلَى هَذَا الْعِيدِ، لَأَنَّ وَقْتِي لَمْ يُكْمَلْ بَعْدُ». ⁹ قَالَ لَهُمْ هَذَا وَمَكَثَ فِي الْجَلِيلِ. ¹⁰ وَلَمَّا كَانَ إِخْوَتُهُ قَدْ صَعِدُوا، حِينَئِذٍ صَعِدَ هُوَ أَيْضًا إِلَى الْعِيدِ، لَا ظَاهِرًا بَلْ كَأَنَّهُ فِي الْخَفَاءِ. !!

5-

5- بولس الرسول وصف نفسه في رسالته إلى أهل رومية بأنه كاذب ، وذلك في

إصحاح 3 عدد ⁷ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ صِدْقُ اللَّهِ قَدْ أَزْدَادَ بِكَذِبِي لِمَجْدِهِ، فَلِمَ أَذَانُ أَنَا بَعْدُ كَخَاطِي؟ !!

رابعاً : سبق أن بينت - بفضل الله- إن الكذب في هذه الحالات الثلاث دافعها الضرورة، والضرورة تقدر بقدرها ، وهذا يحمي للإسلام ؛لأن هناك أناساً لا يستطيعون المواجهة لضعف بهم فكانت هذه الثلاث كذبات رخصة لهم ولكن بالنظر إلى إنجيل متى نجده نسب ليسوع أنه أكد لمن حوله عن عدم وجود رخصة... فمن يكذب عليه أو ينكره؛ ينكره هوأيضاً أمام ربّه الذي في السماء..... وذلك الا صحاح 10 عدد ³³ وَلَكِنْ مَنْ يُنْكِرُنِي قُدَّامَ النَّاسِ أُنْكِرْهُ أَنَا أَيْضًا قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.

وَأَسْأَلُ : أين هي الرحمة من إله الرحمة... وأين التماس الأعذار للأنفس الضعيفة التي

من المفترض انه خلقها ويعلم أن ذلك حمل فوق طاقتها ؟!....!!

وهذا ما حدث مع بطرس كبير الحواريين فهل سينكره يسوع أمام ربّه الذي في السماوات ؛ لأنه كان خائفاً من أن يمسك به اليهود ويعذبوه....فكذب على ربّه (يسوع) وأنكره....

وأُتساعِل : هل بطرس كبير الحواريين الذي سب ولعن يسوع خوفاً من اليهود سينكره يسوع أمام ربّه الذي في السماوات لأن بطرس كان خائفاً من التعذيب رغم إيمانه بيسوع....!؟

دليل ما سبق هو ما جاء في إنجيل متى إصحاح 26 عدد⁷³ وَبَعْدَ قَلِيلٍ جَاءَ الْقِيَامُ وَقَالُوا لِبَطْرُسَ: «حَقًّا أَنْتَ أَيْضًا مِنْهُمْ، فَإِنَّ لَعْنَتَكَ تُظْهِرُكَ!»⁷⁴ فَابْتَدَأَ حِينَئِذٍ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: «إِنِّي لَا أَعْرِفُ الرَّجُلَ!» وَلِلْوَقْتِ صَاحَ الدَّيْكَ. لا تعليق !

رد شبهة : نبيّ في مسجده خمرة !

من الشبهات التافهة التي يذكرها المعتضون أنهم قالوا : كان لمحمد رسول الإسلام زجاجة خمرة في المسجد ، وكان يأمر عائشة أن تحضرها له ...

فلما سألتهم عن دليلهم قالوا : هو رواه مسلم في صحيحه كتاب (الحيض) باب (جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سورها و الإتكاء) برقم 450 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَاولِينِي الْخُمْرَةَ مِنَ الْمَسْجِدِ . قَالَتْ : فَقُلْتُ : " إِنِّي حَائِضٌ " . فَقَالَ : " إِنَّ حَيْضَتَكَ لَيْسَتْ فِي يَدِكَ " .

الرد على الشبه

أولاً: إن هذه الشبهة تدل على جهل أصحابها باللغة العربية الذي فاق الحدود لماذا؟! لأن الخمرة التي في الحديث هي (الخُمْرة) بضم الخاء هي مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه في سجوده من حصير أو نسيج ونحوه ، وتسمى في زماننا (مصلية) وسميت خمرة بضم الخاء ؛ لأن خيوطها مستورة بسعفها.

وبالتالي : فهي ليست الخمرة المعروفة التي تسكر ...

وعليه يرد ادعائهم الباطل ، وزعمهم الكاذب ، فلم يكن في مسجد النبي زجاجة خمرة....

ثانياً : إن الأحاديث الواردة في هذا الباب كثيرة ، أذكر بعضها لتوضيح الأمر أكثر فأكثر كما يلي :

1- صحيح البخاري باب (الصَّلَاةُ عَلَى الْخُمْرَةِ) برقم 368 عَنْ مِمْوَنَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي عَلَى الْخُمْرَةِ " .

وَأُتْسَاعِلُ : هل كان النبي ﷺ يضع رأسه في سجوده على زجاجة خمر...؟!!

كيف يقرءون ويفهمون الأحاديث لا أعلم؟!!

2- في سنن أبي داود برقم 4567 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: جَاءَتْ فَأَرَةً فَأَخَذَتْ تَجُرُّ الْفَتِيلَةَ فَجَاءَتْ بِهَا فَأَلْقَتْهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْخُمْرَةِ

الَّتِي كَانَ قَاعِدًا عَلَيْهَا فَأَحْرَقَتْ مِنْهَا مِثْلَ مَوْضِعِ الدَّرْهِمِ فَقَالَ: إِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِنُوا
سُرُجَكُمْ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدُلُّ مِثْلَ هَذِهِ عَلَى هَذَا فَتَحْرِقُكُمْ .

-3-

وَأْتَسَاءَلُ : هل زجاجة الخمر يحترق منها مثل موضع الدرهم ؟!

3- مسند أحمد برقم 11562 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُ
عَلَى أُمِّ سَلِيمٍ فَتَبْسُطُ لَهُ نَظْعًا فَيَقِيلُ عَلَيْهِ فَتَأْخُذُ مِنْ عَرَقِهِ فَتَجْعَلُهُ فِي طَبِيهَا وَتَبْسُطُ لَهُ
الْخُمْرَةَ فَيُصَلِّي عَلَيْهَا " . تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .
إِذَا : الأحاديث توضح لهم مفهوم (الْخُمْرَةُ) بضم الخاء لمن يعرف القراءة منهم ، ولمن
كان منهم باحثاً عن معرفة الحق وصدق معنى ما نسب للمسيح ﷺ لما قال : "
تعرفون الحق والحق يحرككم " . (إنجيل يوحنا 8 / 32).

ثالثاً : إن هذا الحديث فيه دلالة على حسن خلق النبي ﷺ مع الزوجة ؛ حتى يعلم أُمته
أن المرأة ليست نجسة كما يصفها الكتاب المقدس قَالَ ﷺ : « إِنَّ حَيْضَتَكَ لَيْسَتْ فِي
يَدِكَ » .

وفيه أن محمداً ﷺ هو أعبد الناس لرب الناس ، حقق العبودية الكاملة لله ﷻ فنجد في
الحديث يطلب من عائشة الْخُمْرَةَ ليصلي ويضع جبهته وأنفه عليها ذلاً لله ﷻ ؛ فكان يكثر
ﷺ من السجود لربه ﷻ

وَأْتَسَاءَلُ بَعْدَ هَذَا الطَّرْحِ : هل هذا الحديث فيه مذمة للنبي أم مناقب ؟! هذا هو .

رابعاً : إن الكتاب المقدس ذكر لنا مدى مكانة الخمر التي تسكر، وتذهب العقل..... فيما يلي :

1- سفر الأمثال إصحاح 31 عدد 6⁶ أعطوا مسكراً لهالك، وخمراً لمُرِّي النفس. 7⁷ يشرب وينسى فقره، ولا يذكر تعبهُ بعد.

-2

وأُتساعِل : أليست هذه دعوى واضحة إلى السكر ؟!

3- سفر نشيد الإنشاد فيه الآتي :

أ- إصحاح 1 عدد 1¹ نشيد الأنشاد الذي لسليمان: 2² ليقبلني بقبلات فمه، لأنَّ حبَّكَ أطيب من الخمر. 3³ لرائحة أدهانك الطيبة. اسمك دهنٌ مهراقٌ، لذلك أحببتك العذاري. 4⁴ أجذبني وراءك فنجري. أدخلني الملك إلى حباله. نبتهج ونفرح بك. نذكرُ حبَّكَ أكثر من الخمر. بالحقَّ يحبُّونك.

ب- إصحاح 4 عدد 10¹⁰ ما أحسن حبَّكَ يا أُختي العروس! كم محبَّتكَ أطيب من الخمر! وكم رائحة أدهانك أطيب من كلِّ الأطياب!

قلت : إن الملاحظ من هذه النصوص أن كاتب هذا السفر هو سليمان ،فهو يذكر لنا أن الخمر طيبة ، ولكن حب حبيبته أطيب من الخمر له.... وأنه يحب الخمر، ويذكرها كثيراً ، لكنه يذكر حبيبته أكثر من ذكره لها

فالنص يقول : " نذكرُ حبَّكَ أكثر من الخمر". لا تعليق !

3- إنجيل يوحنا إصحاح 2 عدد 1 وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل، وكانت أم يسوع هناك. ² ودعي أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس. ³ ولما فرغت الخمر، قالت أم يسوع له: «ليس لهم خمر». ⁴ قال لها يسوع: «ما لي ولك يا امرأة؟ لم تأت ساعتي بعد». ⁵ قالت أمه للخدام: «مهما قال لكم فافعلوه». ⁶ وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك، حسب تطهير اليهود، يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة. ⁷ قال لهم يسوع: «املأوا الأجران ماء». فملأوها إلى فوق. ⁸ ثم قال لهم: «استقوا الآن وقدموا إلى رئيس الممك». ⁹ فلما ذاق رئيس الممك الماء المتحول خمرًا، ولم يكن يعلم من أين هي، لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا، دعا رئيس الممك العريس ¹⁰ وقال له: «كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً، ومتى سكرُوا فحينئذ الدون. أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن!». ¹¹ هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل، وأظهر مجده، فأمن به تلاميذه.

نلاحظ : أن أول معجزة للرب يسوع بحسب معتقدهم هي أنه حول الماء إلى خمر ، وذلك بحسب ما نسبت إليه الأناجيل ! فهل الخمر حرام ، وقد صنعها يسوع في العرس ... ؟!

4- نسبت الأناجيل إلى بولس الرسول هذا النص في رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس إصحاح 5 عدد 23 لا تكن في ما بعد شراب ماء، بل استعمل خمرًا قليلًا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة.

وأتساءل : أليست هذه نصيحة غالية من بولس الرسول تدعو المعترضين لشربها ... ؟!

إذا : على المعرضين أن يشربوا الخمر من أجل معدتهم وأسقامهم، ولكني أنصحهم ألا يشربوها عندما يقرءوا أحاديث النبي ﷺ ؛ على الأقل حتى يفهموا ما يقرءوا إن كانوا يعرفون القراءة ... !

خامساً : إن الأمر المثير للدهشة هو أن الكتاب المقدس نسب للرب نفسه أنه كان سكيراً شرباً خمر وذلك في الآتي :

1- سفر المزامير إصحاح 78 عدد⁶⁵ فَاسْتَيْقَظَ الرَّبُّ كَنَائِمٌ، كَجَبَّارٍ مُعِطٍ مِنَ الْخَمْرِ.

قلتُ: إن النص فيه تشبه لا يلق برب العالمين !....!

2- إنجيل لوقا نسب ليسوع المسيح هذا النص... في إصحاح 7 عدد³⁴ جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَتَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشَرِيبٌ خَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ.

وأُتساعل : هل كان الرب يسوع بحسب اعتقادهم شرباً خمر....؟! لا تعليق !

رد شبهة : نبي يأمر بشرب بوله !

قالوا على سبيل الاستهزاء : (يا بركة بول النبي) ... أتباعه كانوا يشربون من بوله ، مثل : أم أيمن ، وتعلقوا بما جاء عند الطبراني في معجمه الكبير برقم 20746 حَدَّثَنَا النَّخَعِيُّ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ نُبَيْحِ الْعَنْزِيِّ، عَنْ أُمِّ أَيْمَنَ، قَالَتْ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى فَخَّارَةٍ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ، فَبَالَ فِيهَا فَقُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ، وَأَنَا عَطْشَانَةٌ فَشَرِبْتُ مَا فِيهَا، وَأَنَا لَا أَشْعُرُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ ، قَالَ : " يَا أُمُّ أَيْمَنَ، قَوْمِي فَأَهْرِيقِي مَا فِي تِلْكَ الْفَخَّارَةِ " . قُلْتُ: " قَدْ وَاللَّهِ شَرِبْتُ مَا فِيهَا " . قَالَتْ : " فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ " ، ثُمَّ قَالَ : " أَمَا إِنَّكَ لَا تَتَجَعِّينَ بَطْنَكَ أَبَدًا " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الروايات التي جاءت فيها شُرْب بولِ النبي ﷺ منكراً لا تصح عند أهل الحديث ، وأهل التحقيق فقد ضعف هذه الرواية علماء أجلاء منهم ما يلي :

1- الدكتور عبد المهدي عبد القادر .

2- الدكتور الخشوعي ألخشوعي محمد.

3- الدكتور مازن السرساوي .

4- الشيخ أبي إسحاق الحويني .

وغيرهم ، وهذا كله موثق عندي بمقالتهم وأصواتهم

ثم إن ابن حجر - رحمه الله - بيّن ذلك في تلخيص الحبير 44/1 أن له علتان:

الأولى : من رواته أبو مالك و هو ضعيف و الثانية أن نبيح لم يلحق أم أيمن فيكون حديثاً منقطعاً و المنقطع ضعيف و قال أن لديه طرقاً أخرى.

أورد منها طريقاً عن ابن جريج مرسلًا و المرسل ضعيف .

و أورد أيضاً طريقاً آخر عن ابن جريج عن حكيمة عن أمها أميمة بنت رقيقة . و حكيمة لا تعرف عند ابن حجر أي مجهولة و بن جريج ليس من شيوخه حكيمة و قد عنعن فيكون منقطعاً بينه و بين حكيمة . فلا يصح أي طريق لهذه القصة . أما قول ابن حبان أنها ثقة فهو معروف بالتساهل في التوثيق و مع ذلك فقد جعلها ابن حجر فيمن لا تعرف وأيضاً فلو صح أنها ثقة فابن جريج ليس من شيوخه حكيمة و المتن منكر أيضاً ... اهـ

وعليه: فما جاء في الشبهة لا نصدقه، ولا نعترف بحدوثه، فهي مردودة على أصحابها - بفضل الله ﷻ - .

ثانيًا : إنني - أفترض جدلاً- أن هذه القصة صحيحة ... أنسف شبهتهم نسفاً - إن شاء الله ﷻ - بعدة أسئلة :

الأول : هل أمر النبي ﷺ أم أيمن أن تشرب من القدر الذي فيه البول ؟!

الثاني : هل شربت أم أيمن من القدر الذي فيه البول بعلم من النبي ﷺ ؟!

الجواب : لا بحسب الرواية ؛ لأنه ﷺ كان نائماً ؛ فالرواية تقول : " فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ ، قَالَ : يَا أُمَّ أَيْمَنَ ، قَوْمِي فَأَهْرِيقِي مَا فِي تِلْكَ الْفَخَّارَةِ " .

إذاً : ما هو ذنب النبي ﷺ في تلك الواقعة ؟!

الثالث : هل كانت أم أيمن تعلم أن في القدر بول بحسب الرواية ؟

الجواب : لا ، إذاً: ما ذنبها هي أيضاً ؟! هي مرفوع عنها الإثم ؛ لما ثبت عند ابن ماجه في سننه برقم 2033 عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنْ لَئِنْ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ " . صححه الألباني في المشكاة (6284) ، الإرواء (82) .

وعليه : تنسف الشبهة نسفاً - بفضل الله ﷻ - ، مع اعتقادي الجازم بعدم صحة الرواية.

ثالثاً : إن الكتاب المقدس يذكر لنا شرب بول الإنسان ، وأكل الخراء التي يخرج من الإنسان ! وذلك في سفر الملوك الثاني إصحاح 18 عدد 27²⁷ فَقَالَ لَهُمْ رِشَاقَى: «هَلْ إِلَى سَيِّدِكَ وَإِلَيْكَ أُرْسَلَنِي سَيِّدِي لِكَيْ أَتَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ؟ أَلَيْسَ إِلَى الرَّجَالِ الْجَالِسِينَ عَلَى السُّورِ لِيَأْكُلُوا عَذْرَتَهُمْ وَيَشْرَبُوا بَوْلَهُمْ مَعَكُمْ؟»

وفي سفر إشعياء إصحاح 36 عدد 12¹² فَقَالَ رِشَاقَى: «هَلْ إِلَى سَيِّدِكَ وَإِلَيْكَ أُرْسَلَنِي سَيِّدِي لِكَيْ أَتَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ؟ أَلَيْسَ إِلَى الرَّجَالِ الْجَالِسِينَ عَلَى السُّورِ، لِيَأْكُلُوا عَذْرَتَهُمْ وَيَشْرَبُوا بَوْلَهُمْ مَعَكُمْ؟».

قُلْتُ : ينكرون علينا ويستهنئون بحديث لم يصح عندنا إسناده ، ولا نعترف به ، وتلك هي نصوص الكتاب المقدس فهلا اعترضوا ، وسخروا ، وأنكروا

وذكر (الكتاب المقدس) (فطيرة حزقيال) التي تصنع على الخراء الذي يخرج من الإنسان، وذلك بأمر من الرب لنييه حزقيال ؛ ففي سفر حزقيال إصحاح 4 عدد 12¹² وَتَأْكُلْ كَعَكًا مِنَ الشَّعِيرِ. عَلَى الْخُرءِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْإِنْسَانِ تَخْبِزُهُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ». 13¹³ وَقَالَ الرَّبُّ: «هَكَذَا يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ خُبْزَهُمُ النَّجَسَ بَيْنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ أَطْرَدَهُمُ إِلَيْهِمْ» !

رد شبهة : نبي يأمر بشرب ما بقي من وضوئه !

قالوا : أليس شرب المرء من وضوء الآخر شيئاً مقذراً؟! هكذا أمر نبيكم صبيّاً !

واستندوا في ذلك إلى ما جاء في صحيح البخاري كتاب (الدعوات) باب (الدعاء للصبيان بالبركة) برقم 5875 حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا حَاتِمٌ عَنْ الْجَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : سَمِعْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ يَقُولُ : ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعَ فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زُرِّ الْحَجَلَةِ .

الرد على الشبهة

أولاً: إن من المعجزات التي أكرم الله بها نبيه محمداً ﷺ حصول الشفاء على يديه للكثيرين من أصحابه ﷺ ببركته ودعائه مما كان له كبير الأثر في تثبيت نفوسهم ، وزيادة إيمانهم ثبت ذلك في عدة مواقف منها :

1- ما حدث مع الصحابي الجليل علي بن أبي طالب ﷺ يوم خيبر، حين قال النبي ﷺ : " لأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ " ، فبات الناس في تلك الليلة يتساءلون عن صاحب الراية ، وفي الصباح انطلقوا إلى رسول الله ﷺ لمعرفة الفائز بهذا الفضل ، فإذا بالنبي ﷺ يسأل عن علي بن أبي طالب ﷺ ، فذكروا له أنه مصاب بالزَّمَد ، فأرسل ﷺ في طلبه ، ولما حضر عنده بصق في عينيه ودعا له، فشفاه الله ببركة النبي ﷺ ، واستلم الراية ، ثم قاتل حتى فتح الله على يديه.

الحديث بتمامه في الصحيحين : في البخاري برقم 3888 ، وفي مسلم برقم 4423 .

3- ما رواه البيهقي في دلائل النبوة باب (ما ذكر في المغازي من وقوع عين قتادة بن النعمان على وجنته ورد رسول الله ﷺ عينه إلى مكانها وعودها إلى حالها) برقم 1110 عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله ﷺ رمى يوم أحد عن قوسه حتى اندقت سيتها ، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده ، وأصيب

يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته ، فردها رسول الله ﷺ ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما .

-4-

4- ما حدث مع الصحابي عبد الله بن عتيك ؓ ؛ حينما أرسله النبي ﷺ لقتل أبي رافع اليهودي ، فانكسرت ساقه أثناء تلك المهمة ، فطلب منه النبي ﷺ أن يبسط قدمه ، فمسح عليها ، فجبر الكسر الذي أصابه واستطاع أن يمشي عليها من لحظته ؛ القصة برمتها رواها البخاري في صحيحه برقم 3733 .

5- ما حدث جابر بن عبد الله ؓ لما مرض مرضاً شديداً ألزمه الفراش ؛ حتى لم يعد يميز من حوله ، فزاره النبي ﷺ بصحبة أبي بكر الصديق ؓ ، ودعا ﷺ بماء فتوضأ منه ثم رش عليه ، فأفاق من مرضه الحديث الذي رواه البخاري برقم 4211 عَنْ جَابِرٍ ؓ قَالَكَ عَادَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ فِي بَنِي سَلَمَةَ مَاشِيَيْنِ فَوَجَدَنِي النَّبِيُّ ﷺ لَا أَعْقِلُ شَيْئًا فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ ثُمَّ رَشَّ عَلَيَّ فَأَفَقْتُ فَقُلْتُ : مَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي مَالِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَنَزَلَتْ : { يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ } .

والى جانب علاج الأمراض الحسية ، كان للنبي ﷺ عظيم الأثر في علاج الأمراض المعنوية أيضاً ، فمن ذلك قصة الشاب الذي أتى النبي ﷺ يستأذنه في الزنا ، فوضع النبي ﷺ يده على صدره وقال : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " . فأزال الله من قلبه طغيان الشهوة ، فلم يعد يلتفت بعد ذلك إلى النساء ، قال أبو أمامة - راوي الحديث - : " فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ " . رواه أحمد في مسنده برقم 21185 . تحقيق الألباني : صحيح ، ابن ماجه (3377) ، المشكاة (3644)

والحديث الذي معنا (محل الشبهة) كغيره من الأحاديث التي تثبت معجزاته ﷺ ؛ حيث إن السائب بن يزيد رضي الله عنه كان يشكو من وجع ، فمسح النبي ﷺ على رأسه ودعا له بالبركة ، ثم توضأ فشرب السائب من وضوئه ، فزال عنه الألم ، ولم يأمره النبي ﷺ بذلك كما ادعى المعتضون.... ويذكر المؤرخون أن السائب بن يزيد طال عمره حتى زاد عن التسعين عاماً ، وهو محتفظ بصحته ، ولم تظهر عليه آثار الشيخوخة ، وذلك ببركة دعاء النبي ﷺ له

ثانياً : إن هذا الحديث لا يخدم مصالح معارضييه بحال من الأحوال ؛ حيث فيه دلالة واضحة على صدق نبوة نبينا ﷺ بروية ختم النبوة بين كتفي رسول الله ﷺ فالرواية تقول : " نَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زَرِّ الْحَجَلَةِ " . وقد ذكر البخاري - رحمه الله - هذا الحديث في موضع آخر في باب (خاتم النبوة) .

ثالثاً : إن الأنجيل ذكرت أن يسوع بصق على الأرض ، وصنع من بصقته ، أو تفلته طيناً ، ثم وضعها على عين الأعمى ليُبصر.... ! جاء ذلك في إنجيل يوحنا إصحاح 9 عدد⁶ قَالَ هَذَا وَتَقَلَ عَلَى الْأَرْضِ وَصَنَعَ مِنَ الثُّلِّ طِينًا وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنِي الْأَعْمَى .⁷ وَقَالَ لَهُ : " اذْهَبْ اغْتَسِلْ فِي بَرْكَةِ سِلْوَامَ " الَّذِي تَفْسِيرُهُ : مُرْسَلٌ ، فَمَضَى وَاغْتَسَلَ وَآتَى بَصِيرًا .

قلتُ : إن الله ﷻ أمره بذلك فلا أستطيع أن أطعن في فعلته هذه ، ففعلته تشبه ما جاء في الحديث الذي معنا ، ولكنني لم أتساءل بطريقتهم فأقول مثلاً : أليس ما فعله يسوع مع الأعمى لشفائه شيئاً مقدداً ؟!

هل عجز يسوع عن استخدام الماء وجعل فيها البركة بدلاً من استخدام البصق في الأرض وجعل منها طيناً.....؟!!

وذكر إنجيل مرقس أن يسوع بصق في عين الأعمى ليشفيه وذلك في الإصحاح 8 عدد 22 وجاء إلى بيت صيدا، فقدموا إليه أعمى وطلبوا إليه أن يلمسه،²³ فأخذ بيد الأعمى وأخرجه إلى خارج القرية، ونقل في عينيه، ووضع يديه عليه وسأله: هل أبصر شيئا؟ .

قلتُ : إنني لم أسأل بطريقتهم وأقول مثلاً: أليس هذا شيء مقزاً أن يتفل يسوع في عين الأعمى ليشفيه ؛لأن فعله قريب من فعل نبينا ﷺ مع عين قتادة التي أصيبت يوم أحد...؟!

وذكرت بقية النصوص ما يلي : ولما سأله : هل أبصر شيئا؟²⁴ فنتطلع وقال: "أبصرُ الناس كاشجارٍ يمشون".

نلاحظ : أن الأعمى لم ير الصورة واضحة بل رأى الناس كاشجار ، فيبد أن البصقة لم تكن كافية لشفائه...²⁵ ثم وضع يديه أيضاً على عينيه، وجعله يتطلع. فعاد صحيحاً وأبصر كل إنسان جلياً.²⁶ فأرسله إلى بيته قائلاً: "لا تدخل القرية، ولا تقل لأحد في القرية!"

رد شبهة : نبي يؤلف قلوب الناس بالمال !

من افتراءاتهم على نبينا ﷺ أنهم قالوا : إن إعطاء رسول الإسلام المؤلفة قلوبهم من مال الزكاة رشوة تستقبحها الضمائر النزيهة أيعجز محمد رسول الإسلام عن إثبات دينه بالمعجزات الربانية ، والخوارق فيلجأ إلى أرخص الوسائل وأسهلها ، وهي شراء الولاءات بالمال ؟!

وتعلقوا بقوله ﷺ : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة 60) .

قال المفسرون في المؤلفات قلوبهم : هم الذين تؤلفون قلوبهم بها ممن يرجى إسلامه أو قوة إيمانه أو نفعه للمسلمين ، أو تدفعون بها شرَّ أحد عن المسلمين

الرد على الشبهة

أولاً : إن الرد على فريتهم الأولى التي تقول : المؤلفات قلوبهم (تأخذ فلوس وتبقى مسلم) رداً بسيطاً - إن شاء الله ﷻ - أوضحه من خلال عدة أسئلة كما يلي :

السؤال الأول : هل هؤلاء (المؤلفات قلوبهم) اشترطوا على النبي ﷺ أن يدخلوا الإسلام بشرط أن يأخذوا أموالاً...؟

الجواب : لا ؛ بل أعطاهم النبي ﷺ من الزكاة بعد دخولهم في دين الله ﷻ ؛ إذا هم مسلمون أصلاً، ولم يشتر ﷺ المسلمين بالمال كما ادعى أصحاب الفرية جهلاً

السؤال الثاني : لماذا أعطى النبي ﷺ هؤلاء المؤلفات قلوبهم من مال المسلمين ؟

الجواب على وجهين :

الوجه الأول: هؤلاء المؤلفّة قلوبهم منهم من ترك تجارته وأهله ، وخسر أمواله ليخلق بالنبي ﷺ ، ومنهم من هو مدان للمشركين وغيرهم ؛ أعطاهم النبي ﷺ أموالاً من الزكاة ليعوضهم عما مضى ، تأليفاً لقلوبهم

الوجه الثاني : أن المؤلفّة قلوبهم هم مسلمون دخلوا الإسلام مترددين أو عن اقتناع المهم أنهم دخلوا الإسلام ؛ لكن علم فيهم حب المال ، وهذه فطرة جُبلت النفس البشرية عليها فيقوم ولي الأمر بتأليف قلوبهم به حتى يجذبهم أكثر للإسلام ، فيدفعهم ذلك للاقتراب منه أكثر، و تدبر معانيه عن حب له ، فيزداد إيمانهم بذلك ...

وأوضح ما أسلفت بمثال معروف هو: أن المدرس في المدرسة عندما يسعى لتحبيب التلاميذ في موضوع الدرس؛ يقوم بتوزيع حلوى عليهم مثلاً ،فبهذه الطريقة يحب التلاميذ الدرس ، ويكون استعدادهم لفهمه والانتباه أزيد مع مادة المدرس أكثر مع ازدياد حبهم للمدرس أيضاً.

السؤال الثالث : كان عدد أصحاب النبي ﷺ في حجة الوداع مائة وأربعة وعشرين ألفاً ، هل ألف النبي ﷺ قلوبهم جميعاً بالمال ، مثل: أبي بكر وعمر ؟!...

الجواب: لا ؛ بل ألف الله ﷻ بينه وبين أصحابه ﷺ بقدره ﷻ وبترتيبه ؛ كان ﷺ يؤلف قلوب المسلمين بكلام الله ﷻ ، وبالوعظ والإرشاد وبرحمته لهم؛حتى ملك قلوب الذين عرفوه ﷺ ؛ يقول ﷻ : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: 63) .

ثانياً : بالنسبة لفريتهم الثانية التي تقول: إن إعطاء رسول الإسلام المؤلفّة قلوبهم من مال الزكاة رشوة تستقبحها الضمائر النزيهة ! كما بينت أنها فرية؛لأن مما لاشك أن الإنسان جُبِلَ على حب المال فهو يحب المال حباً جماً ؛ قال ﷻ : ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّ جَمًّا ﴾ (الفجر: 20) . فبهذه الطريقة يفتح المرء قلبه للإسلام ويتدبره بجدية و همة، فيقوى

إيمانه وتعلقه بالدين فيتدبر ويتفكر..... و قد جُبل الإنسانُ على أن يصغي بقلبه وجوارحه لمن يعطيه، ويكرمه؛ فأعطاءه من مال الزكاة فرصة عظيمة حتى يصغي المسلم للإسلام؛ فيهديه الله ﷻ إلى طريقه المستقيم، وفي الأمثال: (إنك إن أكرمت الكريم ملكته) .

وَأْتَسْأَلُ: هل لو قامت الحكومات بمساعدة المجرمين الذين خرجوا من السجون؛ ليكون مواطنين صالحين ؛ قدمت الحكومات لهم أموالاً أو أكشاكاً للبيع ؛ ليساعدوهم على العمل الحلال بدلاً من السرقة والإجرام ، فهل هذا العمل الذي فيه إصلاح اجتماعي رشوة؟!
الجواب : لا ؛ بل هو عمل ممدوح لا ينكره عاقل قط .

كذلك إن إعطاء مرتبات شهرية، ومكافآت للأطباء ، والمرضات الذين يعملون في مجال إنساني بالدرجة الأولى هل يعتبر إفساداً لسمو رسالة الطب أم رعاية المريض؟! هذا هو.

قُلْتُ : إن هذا ما حدث مع صفوان بن أمية ؛ فقد ثبت عند الترمذي في سننه برقم 602 عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ؓ قَالَ : " أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ فَمَا زَالَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ " .

ثم إن قولهم : " رشوة " حجة على المعترضين لا لهم، فالراشي يبحث عن مصلحة شخصية أعلى من قيمة الرشوة ، وتجده لسان حاله يقول: هي تدفع لهم حتى يخدموا مصالحهم !

وَأْتَسْأَلُ : ما هي مصلحة رسول الله ﷺ في دفع أموال الزكاة ؟
الجواب : ليس له مصلحة شخصية قط ؛ وإنما يفعل ذلك لتأليف قلوب الناس ليعينهم على عبادة الله ﷻ ، وبالتالي فهذا حجة عليهم لا لهم

ثم إن النبي ﷺ دعا باللعن على الراشي والمرتشي ؛ ثبت ذلك في صحيح الجامع للألباني - رحمه الله - برقم 9245 عن ابن عمرو - رضي الله عنهما - قال ﷺ : " لعنة الله على الراشي والمرتشي " .

وأتساءل : أيعقل أن الراشي يدعو على نفسه باللعن ؟ هذا هو .

ثالثاً : أما عن قولهم : أيعجز محمدٌ عن إثبات دينه بالمعجزات الربانية ، والخوارق فيلجأ إلى أرخص الوسائل وأسهلها ، وهي شراء الولاءات ؟ قول فاسد ؛ لأننا بينا آنفاً أن الفعل ليس رشوة وأرخص الوسائل ... فدفعنا فريتهم بفضل الله ﷻ ؛ وأما حديثهم عن معجزات ، وخوارق لرسول الله ﷺ ، فقد جاءهم ﷺ بالمعجزات ، والخوارق الكثيرة المتواترة ، وكفي بالقرآن معجزة أمامهم ، وأمام أمثالهم ؛ يقول ﷺ عن القرآن الكريم : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (48) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ (49) وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (50) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (51) ﴿ (العنكبوت) .

والأخص ما سبق : بأن ما استدلوا به للطعن في النبي الكريم ﷺ فيه دليلٌ علي صدق نبوته ﷺ ، فلو كان باحثاً عن مالٍ لما أعطي المؤلفه قلوبهم من مال المسلمين ليؤلف قلوبهم ، ولكان حاربهم وأجبرهم بالسيف علي الدخول في الدين لو أراد ، ولكنه ﷺ أعطى المال لهم ولو أراد له نفسه لكان له خالصاً ، فهل هذا حال متقولٍ أو باحثٍ عن ثروة ؟! فلو كان مدعياً للنبوّة - وحاشاه ذلك ﷺ - لحاربهم أو اجتنبهم ، واحتفظ بالمال لنفسه ، وليفعل به ما يشاء ، ولكن هذا لم يحدث قط .

رابعاً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه هو : كيف يقومون بتنصير المسلمين في جنوب إفريقيا ، والسودان ، ومصر.... وغيرهم من دول العالم ؟

الجواب : إن منظماتهم التنصيرية تستخدم هذه الوسيلة كسبيل وحيد لإقناع الناس بالنصرانية بعد فشلهم في ميادين الحجة والإقناع فمنظماتهم تقوم بتقديم العلاج ، وإطعام الفقراء ؛ حتى يدخلوا في النصرانية ، وتعد من يدخل منهم في النصرانية بالمال ، والمتع الحسية الدنيوية . فإن كان هذا مقبولاً في الإسلام الذي يدعو الناس للحياة الأبدية السعيدة ولإعمار الأرض ، وإحياء القلوب ، فلما الاعتراض على فعل تأليف القلوب ؟! قال ﷺ : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام:122) .

وأثساءل : ألم يقوموا بإعداد المسلم المتنصر للسفر إلى الخارج ، والزواج ، وفرص العمل اللامعة ، والمال الوفير إلى آخر المتع الدنيوية الحسية ... حتى يؤلفوا قلبه لتثبيت معتقده الجديد ، فيكون ذلك سبباً في دخوله إلى الهلكوت ؟! مالهم كيف يحكمون !

خامساً : إن الكتاب المقدس ذكر أن الرب أمر موسى بدفع أموال الزكاة للغريب كي يؤلف قلبه ؛ جاء ذلك في سفر التثنية إصحاح 26 عدد¹¹ وتقرح بجميع الخير الذي أعطاه الرب إلهك لك ولبيبتك ، أنت والآلوي والغريب الذي في وسطك .¹² «متى فرغت من تعشير كل عشور محصولك ، في السنة الثالثة ، سنة العشور ، وأعطيت الآلوي والغريب واليتيم والأرملة فأكلوا في أبوابك وشيعوا ،¹³ تقول أمام الرب إلهك : قد نزعنا المقدس من البيت ، وأيضاً أعطيته للآلوي والغريب واليتيم والأرملة ، حسب كل وصيتك التي أوصيتني بها . لم أتجاوز وصاياك ولا نسيتها .»

ونذكر لنا ذلك أيضاً بوضوح أكثر في سفر التثنية إصحاح 24 عدد 19 «إِذَا حَصَدْتَ حَصِيدَكَ فِي حَقْلِكَ وَنَسِيتَ حُزْمَةً فِي الْحَقْلِ، فَلَا تَرْجِعْ لِتَأْخُذَهَا، لِلْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ تَكُونُ، لَكَ يُبَارِكُكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ فِي كُلِّ عَمَلٍ يَدِيكَ. ²⁰ وَإِذَا خَبَطْتَ زَيْتُونَكَ فَلَا تَرَاوِعِ الْأَغْصَانَ وَرَاءَكَ، لِلْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ يَكُونُ. ²¹ إِذَا قَطَفْتَ كَرْمَكَ فَلَا تُعْلَهُ وَرَاءَكَ. لِلْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ يَكُونُ.

وَأَتَسَاعَلُ : أليست تلك النصوص تشبه قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة 60) . ؟!

رد شبهة : نبي يبيع الجنة بالمال !

قالوا عنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إنه يبيع الجنة (ادفع فلوس وادخل الجنة) !
وتعلقوا بما جاء في تفسير ابن كثير لقول الله ﷻ : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة 245).
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ مِنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ . قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ الْأَنْصَارِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ قَالَ : أَرِنِي يَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : فَنَاولَهُ يَدَهُ . قَالَ : فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ - حَائِطِي قَالَ : وَحَائِطُ لَهُ فِيهِ سِتْمَانَةُ نَخْلَةٍ وَأَمَّ الدَّحْدَاحُ فِيهِ وَعِيَالَهَا قَالَ : فَجَاءَ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَنَادَاهَا يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ قَالَتْ : لَبَّيْكَ قَالَ : " أَخْرِجِي فَقَدْ أَقْرَضْتَهُ رَبِّي ﷻ " . اهـ

الرد على الشبهة

أولاً: إن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليس هو من أمر بهذا حتى يقولوا: إنه يبيع الجنة بالفلوس.... هذا رأيهم هم ؛ إنما الذي أمر المؤمنين أن ينفقوا أموالهم ، ويبذلوها في سبيله مقابل الجنة هو مالكمهم ؛ الذي له ملكوت السماوات والأرض رب العالمين، فهو الذي خلقهم ورزقهم مما ينفقون، وجعلهم مستخلفين في الأرض ، فمن حقه أن يختبر إيمانهم في البذل والعطاء ؛ حتى ينالوا الخيرات وذلك مصداقاً لقوله تعالى : " لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92) (آل عمران) .

ثانياً : إن الثابت أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم يطلب هذا المال لنفسه ؛ وإنما طلبه من الناس لهم ، فإن الأموال كانت تؤخذ من الأغنياء لتعطى للفقراء والمساكين (تكافل اجتماعي) ولتجهيز الجيوش لتقاتل بجانب المستضعفين ؛ تؤخذ من الأغنياء لترد إلى الفقراء يدل على ذلك ما يلي :

1- صحيح البخاري برقم 1308 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ : " ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَذَلِكَ فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَذَلِكَ فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُوْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ " .

2- صحيح الأدب المفرد للألباني برقم 61 عن عبد الله بن المساور قال : سمعت ابن عباس يخبر ابن الزبير يقول : سمعتُ النبي ﷺ يقول : " ليس المؤمن الذي يشبع ، وجارُهُ جائع " .

3- سنن النسائي عن أنس عن النبي ﷺ قال : "جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم " . تحقيق الألباني : صحيح ، المشكاة (3821) ، صحيح أبي داود (1262) .

ثالثاً: إن من خصائص النبي ﷺ أن الصدقة حرامٌ عليه هو وأهله ، فكيف يقول المعترضون : محمدٌ رسول الإسلام يبيع الجنة (ادفع فلوس وادخل الجنة) بدعوى أنه يأخذ فلوس الصدقة ... ؟!

تدل على ذلك أدلة منها :

1- صحيح البخاري برقم 2843 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْفَارِسِيَّةِ : " كَخِ كَخِ أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ؟ " .

2- صحيح البخاري برقم 1396 عن أبي هريرة ؓ قال : أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " كَخِ كَخِ لِيَطْرَحَهَا " ثُمَّ قَالَ : " أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ؟ " .

3- السلسلة الصحيحة برقم 1613 قال ﷺ : " إن الصدقة لا تحل لنا ، و إن موالي القوم من أنفسهم " .

4- قصة سلمان الفارسي عليه السلام الطويلة المشهورة في كتب السيرة تبين أن من علامات نبوته ﷺ أنه ﷺ لا يقبل الصدقة ، ويقبل الهدية ؛ الخبر بتمامه رواه أحمد في المسند ، وقال المحققون : إسناده حسن.

رابعاً: إن الأناجيل نسبت إلى يسوع أنه أمر أتباعه أن يبدلوا أموالهم وأنفسهم في سبيله... وذلك في إنجيل متى إصحاح 19 عدد 21 قَالَ لَهُ يَسُوعُ : «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَادْهَبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي». ²² فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الْكَلِمَةَ مَضَى حَزِينًا، لِأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ. !
قُلْتُ : إنني لم أقل كما قالوا : إن معنى النص هو أن يسوع يبيع الجنة (ادفع فلوس و ادخل الجنة).... !

والأعجب أن الأناجيل نسبت إلى الرب أنه قتل رجلاً وزوجته أمانة به، وباعوا أرضهم ، وأعطوا ثمنها للتلاميذ ، ولكنهم احتفظوا لأنفسهم شيئاً من المال البسيط الذي هو أصلاً مالهم ملكهم ... جاء ذلك في قصة (حنانيا و سفيرة) الواردة في سفر أعمال الرسل الإصحاح الخامس عدد ¹ وَرَجُلٌ اسْمُهُ حَنَانِيَّا، وَامْرَأَتُهُ سَفِيرَةُ ، بَاعَ مُلْكًا ² وَاخْتَلَسَ مِنَ الثَّمَنِ، وَامْرَأَتُهُ لَهَا خَبْرٌ ذَلِكَ، وَأَتَى بِجُزْءٍ وَوَضَعَهُ عِنْدَ رِجْلِ الرَّسُلِ.

نلاحظ : أنهما اختلسا جزءاً من مالهما الذي قدماه طواعيةً للرسل ...

ولنكمل ³ فَقَالَ بَطْرُسُ : «يَا حَنَانِيَّا، لِمَاذَا مَلَأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَخْتَلَسَ مِنْ ثَمَنِ الْحَقْلِ؟ ⁴ أَلَيْسَ وَهُوَ بَاقٍ كَانَ يَبْقَى لَكَ ؟ وَلِمَا بَيْعَ، أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ؟ فَمَا بِالْكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هَذَا الْأَمْرَ؟ أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللَّهِ». ⁵ فَلَمَّا سَمِعَ حَنَانِيَّا هَذَا الْكَلَامَ وَقَعَ وَمَاتَ. وَصَارَ خَوْفٌ عَظِيمٌ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِذَلِكَ.

نلاحظ : أن الربَّ أنتقم منه (حنانيا) فمات ؛ لأنه لم يقدم ماله كله! ولنكمل⁶ فنَهَضَ الْأَحْدَاثُ وَلَقَّوْهُ وَحَمَلُوهُ خَارِجًا وَدَفَنُوهُ.

نلاحظ : أنهم دفنوه دون أن يسلموا الجنة إلى أهله ؛ أليس هذا إجرام و(بلطجة)....!؟

ولنكمل : ⁷ ثُمَّ حَدَّثَ بَعْدَ مُدَّةٍ نَحْوِ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ، أَنَّ امْرَأَتَهُ دَخَلَتْ، وَلَيْسَ لَهَا خَبْرٌ مَا جَرَى. ⁸ فَأَجَابَهَا بَطْرُسُ: «قُولِي لِي: أَبْهَذَا الْمِقْدَارِ بَعْتُمَا الْحَقْلَ؟» فَقَالَتْ: «نَعَمْ، بِهَذَا الْمِقْدَارِ». ⁹ فَقَالَ لَهَا بَطْرُسُ: «مَا بِالْكُمَا اتَّفَقْتُمَا عَلَى تَجَرِبَةِ رُوحِ الرَّبِّ؟ هُوَذَا أَرْجُلُ الَّذِينَ دَفَنُوا رِجْلَكَ عَلَى الْبَابِ، وَسَيَحْمِلُونَكِ خَارِجًا». ¹⁰ فَوَقَعَتْ فِي الْحَالِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَمَاتَتْ. فَدَخَلَ الشَّبَابُ وَوَجَدُوهَا مَيِّتَةً، فَحَمَلُوهَا خَارِجًا وَدَفَنُوهَا بِجَانِبِ رِجْلِهَا. ¹¹ فَصَارَ خَوْفٌ عَظِيمٌ عَلَى جَمِيعِ الْكَنِيسَةِ وَعَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِذَلِكَ.

قلتُ : إن الشاهد من القصة أن الزوج وزوجته باعا الحقل طواعية، وتصدقا بمالهما إلى التلاميذ، ولكنهما اختلسا جزءا من المال حتى يعيشا به، فكانت النتيجة أن الربَّ أنتقم من الزوجين فأماتهما ؛لأنهما لم يتصدقا بكل أموالهما ، فأصبحا عبرة لمن يعتبر! والأكثر عجباً من ذلك هو أن أصحاب الشبهة ينكرون علينا بقولهم:! وهذه هي نصوص أناجيلهم.....!

يقول الله ﷻ لنبيه ﷺ عن الصدقة : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة 103)

نلاحظ من قوله ﷻ : " مِنْ أَمْوَالِهِمْ " . أن (من) في الآية تقيد التبويض، والمعنى : خذ جزءا بسيطا من أموالهم ، وليس كل أموالهم ، وهذا بخلاف ما كان من القصة التي ذكرناها (حنانيا و سفيرة) ... ويدلل على ذلك ما جاء في مسند أحمد برقم 1442 عن سعد بن أبي وقاص قال: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ فَمَرَضْتُ مَرَضًا أَشْفَيْتُ عَلَى الْمَوْتِ فَعَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي مَالًا كَثِيرًا، وَلَيْسَ يَرِثُنِي إِلَّا

ابنة لي ، أفأوصي بثلاثي مالي ؟ قال : لا . قلت : بشطر مالي ؟ قال : لا قلت : فثلاث مالي ؟ قال : " الثلاث والثلاث كثير ؛ إنك يا سعد أن تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس إنك يا سعد لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله تعالى إلا أجرت عليها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك ... " .

تعليق شعيب الارنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

رد شبهة لا ترد يد لامس

وردت شبهة تافهة من بعض المنصرين تقول : إن امرأة كانت زانية لا ترد من يريد يلمسها من أي عضو من أعضائها وهي بذلك تزني فذهب زوجها إلى النبي فأجابه رسول الإسلام: بأن يطلقها ، فإذا بزوجه يقول : لا أستطيع أن أطلق ، فكان جواب رسول الإسلام: امسكها ؛ أي : أبقها معك

تعلقوا على ذلك بما جاء في سنن النسائي برقم 3465 - أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال حدثنا النضر بن شميل قال حدثنا حماد بن سلمة قال أنبأنا هارون بن رباب عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن بن عباس أن رجلا قال : يا رسول الله إن تحتي امرأة لا ترد يد لامس قال : طلقها . قال : إني لا أصبر عنها ! قال : " فأمسكها " . قال أبو عبد الرحمن هذا خطأ والصواب مُرْسَلٌ

الرد على الشبهة

أولاً : إن الأصل في اختيار المرأة الذي أوجبه الشرع على الرجل أن تكون دينة خلوقة... دلت على ذلك أدلة كثيرة منها :

1- قوله ﷺ: الزني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين (3) (النور).

2- قوله ﷺ: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرعون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم (26) (النور).

3- صحيح مسلم برقم 2668 عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ: "قال الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة".

4- صحيح البخاري برقم 4700 عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك".

وقد تواترت الأدلة على أن الزوج لا يعاشر إلا ذات خلق ودين.... وأن أحكام الإسلام تخالف تماماً ما جاء في تفسيرهم للحديث محل الاعتراض ... فلو كانت المرأة زانية لُرجمت أو أمر ﷺ الرجل بالبينة أو الحد على ظهره -80 جلدة قذف محصنة- وهذا لم يحدث...

ثانياً : إن الحديث الذي معنا - محل الاعتراض - ليس صحيحاً وليس مقبولاً عن كثير من المحققين ... فعلى سبيل المثال أكتفي بالرويات التي جاءت في الآتي مع ذكر تخريجها :

1- جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إن عندي امرأة هي من أحب الناس إلي وهي لا تمنع يد لامس ، قال : طلقها ، قال : لا صبر لي عنها ، قال : ﷺ استمتع بها .

الراوي: هارون المحدث: الإمام أحمد - المصدر: تفسير القرآن - الصفحة أو الرقم:

10/6

خلاصة حكم المحدث: منكر؟.

2 - أن رجلا سأله قال إن امرأتي لا تمنع يد لامس .

الراوي: - المحدث: الإمام أحمد - المصدر: مسائل أحمد رواية عبد الله - الصفحة و

الرقم: 1337/3

خلاصة حكم المحدث: ليس هذا الحديث يثبت عن النبي ﷺ ليس لها إسناد جيد.

3 - أتى رجل النبي ﷺ فقال : إن امرأتي لا تدفع يد لامس قال : طلقها قال : إني أحبها

قال : ﷺ فاستمتع بها

الراوي: جابر المحدث: الإمام أحمد - المصدر: موضوعات ابن الجوزي - الصفحة و

الرقم: 69/3

خلاصة حكم المحدث: لا يثبت ليس له أصل.

4 - إن عندي امرأة أحب الناس إلي وهي لا تمنع يد لامس ، قال : طلقها ، قال : لا

أصبر عنها ، قال : ﷺ استمتع بها.

الراوي: - المحدث: الإمام أحمد - المصدر: خلاصة البدر المنير - الصفحة و الرقم:

233/2

خلاصة حكم المحدث: ليس له أصل ، فيها ضعف.

5- الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (150/3) :

مَسْأَلَةٌ: فِي حَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي لَا تَرُدُّ كَفًّا لَأَمْسٍ. فَهَلْ هُوَ مَا تَرُدُّ نَفْسَهَا عَنْ أَحَدٍ؟ أَوْ مَا تَرُدُّ يَدَهَا فِي الْعَطَاءِ عَنْ أَحَدٍ؟ وَهَلْ هُوَ الصَّحِيحُ أَمْ لَا؟
الْجَوَابُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هَذَا الْحَدِيثُ قَدْ ضَعَّفَهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

6- الرواية نفسها التي استدلل بها المعترضون على اعتراضهم نقول :

قال أبو عبد الرحمن هذا : خطأ والصواب مرسل.

قلتُ : والمرسل هو من أقسام الأحاديث الضعيفة...

ثالثاً: إنني افترض جدلاً صحة الرواية التي تصح عندي لما تقدم معنا...

يبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو : ما هو التأويل الصحيح لهذا الحديث ؟

الجواب : ذكرت عدة تأويلات مقبولة شرعاً وعقلاً وليست كالتى قيلت من المعترضين ؛ فمن العلماء من قال : " لا ترد يد لامس " ؛ أي لا ترد أحداً يطلب منها ما لا فتعطيها من مال زوجها.... فشكا الزوجُ النبي ﷺ ذلك فأجابه بما جاء في الحديث...

القول الثاني : قاله الإمام السندي في حاشيته : " وقيل المراد أنها تتلذذ بمن يلمسها فلا ترد يده ولم يرد الفاحشة العظمى وإلا لكان بذلك قاذفاً وقيل الأقرب أن الزوج علم منها أن أحداً لو أراد منها السوء لما كانت هي تردده لا أنه تحقق وقوع ذلك منها بل ظهر له ذلك بقرائن فأرشده الشارع إلى مفارقتها احتياطاً فلما علم أنه لا يقدر على فراقها لمحبهته لها وأنه لا يصبر على ذلك رخص له في إثباتها لأن محبته لها محققة ووقوع الفاحشة منها متوهم " اهـ

نلاحظ: " فلا ترد يده ولم يرد الفاحشة العظمى". وعلى كلا الوجهين أفهم الحديث فهماً صحيحاً -إن شاء الله - على فرض صحته ...

وأترك المجال للقارئ كي يقرأ أقوال العلماء الحديث كما يلي:

1- الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (150/3) :
مَسْأَلَةٌ: فِي حَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي لَا تَرُدُّ كَفَّ لَامِسٍ. فَهَلْ هُوَ مَا تَرُدُّ نَفْسَهَا عَنْ أَحَدٍ؟ أَوْ مَا تَرُدُّ يَدَهَا فِي الْعَطَاءِ عَنْ أَحَدٍ؟ وَهَلْ هُوَ الصَّحِيحُ أَمْ لَا؟
الْجَوَابُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هَذَا الْحَدِيثُ قَدْ ضَعَّفَهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.
وَقَدْ تَأَوَّلَهُ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى أَنَّهَا لَا تَرُدُّ طَالِبَ مَالٍ، لَكِنَّ ظَاهِرَ الْحَدِيثِ وَسِيَاقَهُ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ اعْتَقَدَ ثُبُوتَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يُمَسِّكَهَا مَعَ كَوْنِهَا لَا تَمْنَعُ الرِّجَالَ، وَهَذَا مِمَّا أَنْكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}.....
وقال أيضاً شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى (180/3) :
وَقَدْ احْتَجُّوا بِالْحَدِيثِ الَّذِي فِيهِ: {إِنَّ امْرَأَتِي لَا تَرُدُّ يَدَ لَامِسٍ. فَقَالَ طَلَّقَهَا. فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا. قَالَ: فَاسْتَمْتَعَ بِهَا}. الْحَدِيثُ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَقَدْ ضَعَّفَهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، فَلَا تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ فِي مُعَارَضَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَوْ صَحَّ لَمْ يَكُنْ صَرِيحاً، فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُؤَوِّلُ "الْلامِسَ" بِطَالِبِ الْمَالِ، لَكِنَّهُ ضَعِيفٌ. اهـ

2- قَالَ صَاحِبُ عَوْنِ الْمَعْبُودِ فِي شَرْحِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ:
(لَا تَمْنَعُ يَدَ لَامِسٍ)

: أَي لَا تَمْنَعْ نَفْسَهَا عَمَّنْ يَقْصِدُهَا بِفَاحِشَةٍ ، أَوْ لَا تَمْنَعْ أَحَدًا طَلَبَ مِنْهَا شَيْئًا مِنْ مَالِ زَوْجِهَا

(قَالَ)

: أَي النَّبِيِّ ﷺ .

(غَرَّبَهَا)

: بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ أَمْرٌ مِنَ النَّعْرِيبِ . قَالَ فِي النَّهَايَةِ : أَي أَبْعَدَهَا يُرِيدُ الطَّلَاقَ . وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ بِلَفْظِ طَلَّقَهَا

(قَالَ)

: أَي الرَّجُلِ

(أَخَافَ أَنْ تَتَّبِعَهَا نَفْسِي)

: أَي تَتَوَقَّعُ إِلَيْهَا نَفْسِي

(قَالَ فَاسْتَمْتَعَ بِهَا)

: وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ فَأَمْسَكَهَا ، خَافَ النَّبِيُّ ﷺ إِنْ أُوجِبَ عَلَيْهِ طَلَاقُهَا أَنْ تَتَوَقَّعَ نَفْسُهُ إِلَيْهَا فَيَقَعَ فِي الْحَرَامِ . قَالَ الْحَافِظُ فِي التَّلْخِصِ : اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ " لَا تَرُدَّ يَدَ لَامِسٍ " فَقِيلَ مَعْنَاهُ الْفُجُورُ وَأَنَّهَا لَا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ يَطْلُبُ مِنْهَا الْفَاحِشَةَ ، وَبِهَذَا قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَالْخَلَّالُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَالْخَطَّابِيُّ وَالْغَزَالِيُّ وَالنَّوَوِيُّ وَهُوَ مُقْتَضَى اسْتِدْلَالِ الرَّافِعِيِّ بِهِ هُنَا .

وَقِيلَ مَعْنَاهُ التَّبْذِيرُ وَأَنَّهَا لَا تَمْنَعُ أَحَدًا طَلَبَ مِنْهَا شَيْئًا مِنْ مَالِ زَوْجِهَا ، وَبِهَذَا قَالَ أَحْمَدُ وَالْأَصْمَعِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرٍ وَنَقَلَهُ عَنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ وَابْنِ الْجَوَازِيِّ وَأَنْكَرَ عَلَى مَنْ ذَهَبَ إِلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ . وَقَالَ بَعْضُ حُدَاقِ الْمُتَأَخِّرِينَ قَوْلُهُ ﷺ لَهُ " أَمْسَكَهَا " مَعْنَاهُ أَمْسَكَهَا عَنْ الزَّوْنِ أَوْ عَنْ التَّبْذِيرِ ، إِمَّا بِمُرَاقَبَتِهَا أَوْ بِالِاحْتِفَازِ عَلَى الْمَالِ أَوْ بِكَثْرَةِ جِمَاعِهَا . وَرَجَّحَ الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ الْأَوَّلَ بِأَنَّ السَّخَاءَ مَذْدُوبٌ إِلَيْهِ فَلَا يَكُونُ مُوجِبًا لِقَوْلِهِ طَلَّقَهَا ، وَلِأَنَّ التَّبْذِيرَ إِنْ كَانَ مِنْ مَالِهَا فَلَهَا التَّصَرُّفُ فِيهِ وَإِنْ كَانَ مِنْ مَالِهِ فَعَلَيْهِ حِفْظُهُ وَلَا يُوجِبُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرُ بِطَلَاقِهَا . قِيلَ وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ لَا تَرُدَّ يَدَ لَامِسٍ أَنَّهَا لَا تَمْتَنِعُ

مَمَّنْ يَمْدُ يَدَهُ لِيَتَلَذَّذَ بِلَمْسِهَا وَلَوْ كَانَ كَثَى بِهِ عَنِ الْجَمَاعِ لَعُدَّ قَاذِفًا أَوْ أَنَّ زَوْجَهَا فَهَمَ مِنْ حَالِهَا أَنَّهَا لَا تَمْتَنِعُ مَمَّنْ أَرَادَ مِنْهَا الْفَاحِشَةَ لَا أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ مِنْهَا انْتَهَى كَلَامُ الْحَافِظِ .
وَقَالَ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَمِيرِ فِي سُبُلِ السَّلَامِ بَعْدَمَا ذَكَرَ الْوَجْهَيْنِ فِي قَوْلِهِ لَا تَمْنَعُ يَدَ لَامِسٍ : الْوَجْهُ الْأَوَّلُ فِي غَايَةِ مَنْ الْبُعْدُ بَلْ لَا يَصِحُّ لِلْأَيَّةِ ، وَلِأَنَّهُ ﷺ لَا يَأْمُرُ الرَّجُلَ أَنْ يَكُونَ دِيوثًا ، فَحَمَلَهُ عَلَى هَذَا لَا يَصِحُّ . وَالثَّانِي بَعِيدٌ لِأَنَّ التَّبْذِيرَ إِنْ كَانَ بِمَالِهَا فَمَنْعَهَا مُمَكِّنٌ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ مَالِ الزَّوْجِ فَكَذَلِكَ وَلَا يُوجِبُ أَمْرَهُ بِطُلَاقِهَا عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُتَعَارَفْ فِي اللُّغَةِ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ لَا يَرُدُّ يَدَ لَامِسٍ كِنَايَةً عَنِ الْجُودِ ، فَالْأَقْرَبُ الْمُرَادُ أَنَّهَا سَهْلَةُ الْأَخْلَاقِ لَيْسَ فِيهَا نُفُورٌ وَحِشْمَةٌ عَنِ الْأَجَانِبِ لَا أَنَّهَا تَأْتِي الْفَاحِشَةَ . وَكَثِيرٌ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ مَعَ الْبُعْدِ مِنَ الْفَاحِشَةِ . وَلَوْ أَرَادَ أَنَّهَا لَا تَمْنَعُ نَفْسَهَا عَنِ الْوَقَاعِ مِنَ الْأَجَانِبِ لَكَانَ قَاذِفًا لَهَا انْتَهَى .

قُلْتُ : الْإِرَادَةُ بِقَوْلِهِ لَا تَمْنَعُ يَدَ لَامِسٍ أَنَّهَا سَهْلَةُ الْأَخْلَاقِ لَيْسَ فِيهَا نُفُورٌ وَحِشْمَةٌ عَنِ الْأَجَانِبِ غَيْرُ ظَاهِرٍ ، وَالظَّاهِرُ عِنْدِي مَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ بِقَوْلِهِ قِيلَ وَالظَّاهِرُ إِلَخْ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

قَالَ الْمُنْذِرِيُّ : وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَرِجَالُ إِسْنَادِهِ مُحْتَجٌّ بِهِمْ فِي الصَّحِيحِينَ عَلَى الْإِتِّفَاقِ وَالْإِنْفِرَادِ . وَذَكَرَ الدَّارِقُطْنِيُّ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ وَاقِدٍ تَفَرَّدَ بِهِ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ وَأَنَّ الْفَضْلَ بْنَ مُوسَى السَّيْنَانِيَّ تَفَرَّدَ بِهِ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ . وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَوَّبَ عَلَيْهِ فِي سُنَنِهِ تَزْوِيجَ الزَّانِيَةِ وَقَالَ هَذَا الْحَدِيثُ لَيْسَ بِثَابِتٍ وَذَكَرَ أَنَّ الْمُرْسَلَ فِيهِ أَوْلَى بِالصَّوَابِ . وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ لَا تَمْنَعُ يَدَ لَامِسٍ تُعْطِي مِنْ مَالِهِ . قُلْتُ فَإِنَّ أَبَا عُبَيْدٍ يَقُولُ مِنَ الْفُجُورِ فَقَالَ لَيْسَ هُوَ عِنْدَنَا إِلَّا أَنَّهَا تُعْطِي مِنْ مَالِهِ وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُ بِإِمْسَاكِهِ وَهِيَ تَفْجُرُ . وَسُئِلَ عَنْهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فَقَالَ مِنَ الْفُجُورِ . وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : مَعْنَاهُ الرِّيبَةُ وَأَنَّهَا مُطَاوَعَةٌ لِمَنْ أَرَادَهَا لَا تَرُدُّ يَدَهُ انْتَهَى . اهـ

رَابِعًا : إِنْ الْمَتَأَمَّلُ فِي الْأَنْاجِيلِ يَجِدُهَا نَسَبَتْ لِيَسُوعَ أَنَّهُ رَخَصَ لِنَفْسِهِ أَنْ الزَّانِيَةَ تَلْمَسَ جَسَدَهُ كُلَّهُ وَتَدَهْنَهُ بِالزَّيْتِ وَذَلِكَ فِي الْآتِي :

1-إنجيل متى إصحاح26عدد¹²فَإِنَّهَا إِذْ سَكَبَتْ هَذَا الطَّيِّبَ عَلَى جَسَدِي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَجْلِ تَكْفِينِي.!

2- إنجيل مرقس إصحاح14 عدد ⁸عَمِلْتُ مَا عِنْدَهَا. قَدْ سَبَقْتُ وَدَهَنْتُ بِالطَّيِّبِ جَسَدِي لِلتَّكْفِينِ.

وَأُتَسَاءَلُ :

1- هل سكبت الطيب على جسده بأكمله أو على جزء منه أو في أي موضع بالضبط ؟...

2- كيف يسمح لها يسوع المسيح بذلك ... ؟! لا تعليق !

رد شبهة : نبيٌّ يأمر امرأة برضاعة الكبير !

كثر الحديثُ على أفواهِ المعترضين حول حديثِ رضاعةِ الكبير؛ ليطعنوا به في أخلاقِ النبيِّ ﷺ ...

قالوا على سبيلِ السخريةِ لمن يحاورهم : اسمح لي أن أَرْضِعَ من أمك ...!

واستندوا في ذلك إلى ما جاء في الآتي :

1- صحيح مسلم كتاب (الرُّضَاع) باب (رضاعة الكبير) برقم 2637 عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ سَالِمًا مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ كَانَ مَعَ أَبِي حُذَيْفَةَ وَأَهْلِهِ فِي بَيْتِهِمْ فَأَتَتْ تَعْنِي ابْنَةَ سُهَيْلِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ سَالِمًا قَدْ بَلَغَ مَا يَبْلُغُ الرِّجَالُ وَعَقَلَ مَا عَقَلُوا وَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْنَا

وَأَنِّي أَظُنُّ أَنَّ فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: "أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ وَيَذْهَبَ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ فَرَجَعَتْ". فَقَالَتْ: "إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُهُ فَذَهَبَ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ".

-2

2- صحيح مسلم برقم 2640 فَقَالَتْ: "إِنَّهُ ذُو لَحِيَةٍ"، فَقَالَ: "أَرْضِعِيهِ يَذْهَبَ مَا فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ".

الرد على الشبهة

أولاً: إن من المعلوم المقطوع به أن الأصل في الرضاعة رضاعة الصغير..
لعدة أدلة منها:

1- قوله ﷺ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۖ﴾ (البقرة 233).

-2

3- قوله ﷺ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان 14).

-4

3- صحيح مسلم باب (إِنَّمَا الرُّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ) برقم 2642 عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال ﷺ: "إِنَّمَا الرُّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ"؛ أي: أن الرضاعة الواجبة هي ما كانت في فترة صغر الطفل أقل من عامين..

3- مسند أحمد برقم 3905 عَنْ أَبِي مُوسَى الْهَلَالِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا كَانَ فِي سَفَرٍ فَوَلَدَتْ امْرَأَتُهُ فَاحْتَبَسَ لَبْنُهَا فَجَعَلَ يَمُصُّهُ وَيَمُجُّهُ فَدَخَلَ حَلَقُهُ فَأَتَى أَبَا مُوسَى فَقَالَ:

حُرِّمَتْ عَلَيْكَ . قَالَ : فَأَتَى ابْنُ مَسْعُودٍ فَسَأَلَهُ فَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا يُحْرَمُ مِنَ الرِّضَاعِ إِلَّا مَا أَنْبَتَ اللَّحْمُ وَأَنْشَرَ الْعَظْمُ " .

تعليق شعيب الأرناؤوط : صحيح بشواهد، وهذا إسناد ضعيف للإنقطاع بين والد أبي موسى الهلالي وعبد الله بن مسعود.

4- سنن الترمذي برقم 1072 عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا يُحْرَمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءُ فِي الثَّدْيِ وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ " . قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

4- سنن الدار قطني برقم 4412 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا رِضَاعَ إِلَّا مَا كَانَ فِي الْحَوْلَيْنِ " .

5- سنن الدارقطني برقم 4413 عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ : " لَا رِضَاعَ إِلَّا فِي الْحَوْلَيْنِ فِي الصَّغَرِ " .

6- موطأ مالك برقم 1110 عَنْ مَالِكٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُقْبَةَ أَنَّهُ سَأَلَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ عَنْ الرِّضَاعَةِ فَقَالَ سَعِيدٌ : كُلُّ مَا كَانَ فِي الْحَوْلَيْنِ وَإِنْ كَانَتْ قَطْرَةً وَاحِدَةً فَهُوَ يُحْرَمُ وَمَا كَانَ بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ فَإِنَّمَا هُوَ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ .

نلاحظ من خلال ما سبق : أن الأصل في الرضاعة التي تحرم : هي ما دون العامين كي يكون اللبن سبباً في بناء لحمه وتكوين عظمه وذلك من كتاب الله ، ومن سنة نبينا ﷺ ، وهذا ما أجمع عليه أهل العلم سلفاً وخلفاً ، ولا خلاف في ذلك .

ثانيًا : إن هناك أسئلةً تطرح نفسها لفهم الحديث فهمًا صحيحًا ، فمن خلالها تُسَف الشبهة نسفًا - إن شاء الله ﷻ - :

السؤال الأول : هل في هذا الحديث أمرٌ من النبي ﷺ بأن أي امرأةٍ ترضع أي رجلٍ ؟ أم أنه ﷺ قال ذلك لسهولة فقط ؟

الجواب : أمر بذلك سهولة فقط ؛ لقوله ﷺ : " أَرْضِعِيه تَحْرُمِي عَلَيْهِ وَيَذْهَبَ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ " .

السؤال الثاني : هل رخص النبي ﷺ لامرأةٍ أخرى غير سهلة بنت سهيل أن ترضع كبيراً ؟
الجواب : لا ؛ لم يرد إلا في هذا الموضع فقط ، ولا يوجد في أي كتابٍ من كتب السنة سواء أكان في حديثٍ صحيح ، أو ضعيف ، أو موضوع ؟!

وبالتالي : فإن هذه الحالة (رضاعة الكبير) حالة خاصة لسهولة بنت سهيل في زمنٍ معينٍ وانتهت
وعليه : لا يُحتج بها على المسلمين اليوم ، وهذا مذهب جماهير العلماء
يؤيد ما ذكرتُ ما يلي :

1- قال الحافظ ابنُ عبد البر : " عدم تحديث أبي مليكة بهذا الحديث لمدة سنة يدل على أنه حديث ترك قديماً ولم يعمل به ، ولا تلقاه الجمهور بالقبول على عمومته ، بل تلقوه على أنه مخصوص " . (شرح الزر قاني على الموطأ) .

2- قال الحافظ الدرامي عقب ذكره الحديث في سننه قال : " هذا لسالم خاصة " .

3- يعقبُ النسائي في سننه بعد ذكر حديث عائشة بقوله : " قَالَ رَبِيعَةُ : فَكَانَتْ رُخْصَةً لِسَالِمٍ ."

-4

ونقرأ الحديث كاملاً برقم 3269 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ امْرَأَةَ أَبِي حُذَيْفَةَ أَنْ تُرْضِعَ سَالِمًا مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ حَتَّى تَذْهَبَ غَيْرُهُ أَبِي حُذَيْفَةَ فَأَرْضَعَتْهُ وَهُوَ رَجُلٌ . قَالَ رَبِيعَةُ فَكَانَتْ رُخْصَةً لِسَالِمٍ . تحقيق الألباني : صحيح الإسناد .

5- مذهب جماهير الصحابة رضي الله عنهم ، مثل : عمر بن الخطاب ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وابن عمر.....

5- مذهب زوجات النبي ﷺ عدا عائشة - رضي الله عنها - ؛ ثبت ذلك في الآتي:

1- صحيح مسلم برقم 2641 عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ -زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ- كَانَتْ تَقُولُ : " أَبَى سَائِرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَدْخُلْنَ عَلَيْهِنَّ أَحَدًا بِنْتُكَ الرِّضَاعَةَ " وَقُلْنَ لِعَائِشَةَ : " وَاللَّهِ مَا نَرَى هَذَا إِلَّا رُخْصَةً أَرْخَصَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِسَالِمٍ خَاصَّةً فَمَا هُوَ بِدَاخِلٍ عَلَيْنَا أَحَدٌ بِهَذِهِ الرِّضَاعَةِ وَلَا رَأَيْنَا " .

2- سنن النسائي برقم 3272 عَنْ عُرْوَةَ قَالَ : أَبَى سَائِرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِنَّ بِنْتُكَ الرِّضْعَةِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُرِيدُ رِضَاعَةَ الْكَبِيرِ ، وَقُلْنَ لِعَائِشَةَ: وَاللَّهِ مَا نَرَى الَّذِي أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَهْلَةَ بِنْتُ سُهَيْلٍ إِلَّا رُخْصَةً فِي رِضَاعَةِ سَالِمٍ وَحْدَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهِ لَا يَدْخُلُ عَلَيْنَا أَحَدٌ بِهَذِهِ الرِّضْعَةِ وَلَا يَرَانَا . تحقيق الألباني : صحيح .

إن قيل : إن عائشة - رضي الله عنها - كانت ترضع من يدخل عندها !

قلتُ : إن هذا يدل على قمة التخلف العقلي لماذا ؟ لأن عائشة - رضي الله عنها - لم تتجب أصلاً كي ترضع ، وقد سمعت أحدهم يتكلم بهذا!

إن قيل : إن عائشة - رضي الله عنها - كانت تأمر إختها بإرضاع من يدخل عندها ، وذلك في صحيح مسلم برقم 2639 عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لِعَائِشَةَ: إِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْغُلَامُ الْأَيْفَعُ الَّذِي مَا أَحَبُّ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ .قَالَ: فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَمَا لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُسْوَةٌ ؟ قَالَتْ: إِنَّ امْرَأَةَ أَبِي حُذَيْفَةَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّ سَالِمًا يَدْخُلُ عَلَيَّ وَهُوَ رَجُلٌ وَفِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْهُ شَيْءٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَرْضِعِيهِ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْكَ ... وأيضاً في موطأ مالك وغيره .

قلتُ : إن هذا اجتهداً من عائشة - رضي الله عنها - ، وقد أخطأت في ذلك فخالفت بقية زوجات النبي ﷺ وجماهير الصحابة ﷺ ؛ فنحن لا نعتقد بعصمة الصحابة ﷺ من الخطأ ، ولكن نعتقد بأنهم عدول في تبليغهم عن رسول الله ﷺ ، ونعتقد أن العصمة دُفنت بموت النبي ﷺ

ولقد ذهب البعض من العلماء بقولهم ، مثل قول عائشة - رضي الله عنها - كابن حزم وغيره إلى أن حديث سهلة بنت سهيل مخصوص بمن حاله كحال سالم مولى أبي حذيفة. فلو وجد أحد تبني شخصاً حتى كان هذا الابن مثل ابنه في دخوله على أهله وبساطتهم معه، واضطرت امرأته لأن ترضعه ليبقى على ما هو عليه من الدخول - لو وجد هذا - لقلنا بجوازه ؛ لكن هذا في الوقت الحاضر ممتنع ؛لأن الشرع أبطل التبني حيث إنه يهدم الأنساب والأحساب ، قال الله ﷻ : ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا

آبَاءُهُمْ فَأَخَوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ (الأحزاب).

وقد صح عن نبينا ﷺ في صحيح البخاري برقم 4831 عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِيَّاكُمْ وَالْدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ " فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : " يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمَوَ " قَالَ : " الْحَمَوُ الْمَوْتُ " .

فلو كان إرضاع الكبير مؤثراً ؛ لقال ﷺ : الحمو : " أن ترضع المرأة أخيه حتى يدخل على امرأة من محارمه " فلم يرشد النبي ﷺ إلى ذلك ، ومنع دخول أخ الزوج على الزوجة في غيابها ، فهذا هو المقصود من الحديث .

وذهب البعض أيضاً إلى جواز الترخيص في إرضاع الكبير ، وترتيب أحكام الرضاعة عليه في التحليل و التحريم عند وجود المشقة في الاحتجاب عنه ، وعدم الاستغناء عن دخوله على النساء ، كما في قصة سالم مولى أبي حذيفة - رضي الله عنهما - ، وهذا القول منسوب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ، وهو قول بعيد عن الصواب ، لأن المشقة غير منضبطة ، أما لو كانت ضرورة ، فللضرورة شأن آخر ، والضرورات تقدر بقدرها ، كما أن الله ﷻ أمر النساء بالحجاب لعدم ظهورهن على الأجانب ...

والظاهر أن لتخصيص الرخصة بسالم ﷺ دون غيره هو الراجح من عرض الأدلة؛ حيث اختيار معظم أمهات المؤمنين له ، وذهاب معظم الصحابة ﷺ و جمهور العلماء إلى القول به ، وهذا هو المفهوم من ظاهر النصوص المعارضة لحديث سهلة بنت سهيل ، ولو كان الأمر على إطلاقه لشاع بين الصحابة الكرام ﷺ ذلك ثم من تبعهم من السلف ، و تعددت بذلك الأخبار والروايات

ثالثاً : إن قيل : كيف أرضعت سهلة - رضي الله عنها - سالماً ﷺ لما قال لها النبي ﷺ : " أرضعيه " هل أرضعته بالتقام الثدي مباشرة وهو رجل ذو لحية ، أم حلبت في أناء ثم أرضعته دون أن يمس ثديها ؟!

قلتُ : إن الجواب على السائل يتضح من خلال ذكر أقوال العلماء في هذا الشأن كما يلي :

1- نقل الإمام النووي في شرحه لمسلم عن القاضي عياض قائلًا : قَالَ الْقَاضِي : لَعَلَّهَا حَلَبَتْهُ ثُمَّ شَرِبَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمَسَّ ثَدْيَهَا وَلَا التَّقَّتْ بِشَرَاتِهَا ، وَبِهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْقَاضِي حَسَنٌ ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ عَفِيَ عَنْ مَسِّهِ لِلْحَاجَةِ كَمَا خُصَّ بِالرَّضَاعَةِ مَعَ الْكِبَرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

2- قال الإمام ابن عبد البر في شرح الزرقاني : صفة رضاع الكبير أن يحلب له اللبن ويسقاه فأما أن تلقمه المرأة ثديها فلا ينبغي عند أحد من العلماء، وهذا ما رجحه القاضي والنووي . اهـ

2- قال ابن سعد في طبقاته (ج 8 / ص 271) : أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا محمد بن عبد الله بن أخي الزهري عن أبيه قال: كان يحلب في مسعط أو إناء قدر رضة فيشربه سالم كل يوم، خمسة أيام. وكان بعد يدخل عليها وهو حاسر. رخصة من رسول الله ﷺ لسهلة بنت سهيل . اهـ

-3

4- قال ابن قتيبة - العالم النحوي - في توجيهه لحديث سهلة: فأراد رسول الله ﷺ بمحلها عنده، و ما أحب من ائتلافهما، و نفي الوحشة عنهما أن يزيل عن أبي حذيفة هذه الكراهة ، و يطيب نفسه بدخوله فقال لها " أرضعيه " . و لم يرد : ضعي ثديك في فيه، كما يفعل بالأطفال. و لكن أراد: احلبي له من لبنك شيئاً، ثم ادفعيه إليه ليشربه. ليس يجوز غير هذا، لأنه لا يحل لسالم أن ينظر إلى ثديها، إلى أن يقع الرضاع ، فكيف يبيع له ما لا يحل له وما لا يؤمن معه من الشهوة ؟ (تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة).

ثم إن الحديث ليس فيه أن الإرضاع كان بملامسة الثدي ؛ ففي سياق الحديث تقول سهلة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : " وَفِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْهُ شَيْءٌ " أي : حرج .

وأُتسأَلُ : كيف يرضى أبو حذيفة بالرضاع المباشر إذا كان يغار ويتحرج من وجود سالم في بيته فهل يرضى بذلك الرضاع ؟! هذا هو .

ثم إن النبي ﷺ نهى عن مصافحة النساء ؛ ففي السلسلة الصحيحة برقم 226 قال ﷺ : " لأن يطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له " . رواه الطبراني ، و البيهقي ، و رجال الطبراني ثقات رجال الصحيح .
وقد حمل بعض أهل العلم المس المذكور في الحديث على المصافحة .

وبالتالي : فهل يعقل أن النبي ﷺ يحرم مصافحة الرجل للمرأة ، ثم يحل للرجل أن يمس ثدي امرأة ويرضع منه ؟!

وقد قال الله ﷻ : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (النور 30).

وهل يعقل أن الله يأمر ﷻ بغض البصر ، ورسوله يأمر بمس الثدي مع النظر فيه ؟! هذا هو .

ثم إن هناك سؤالا يطرح نفسه هو : إننا في مصر نسمع زوجة تقول لزوجها : أنا ذاهبة عند أُمِّي لا تنسي أن ترضع الطفل ، فيقوم الزوج في غياب زوجته بإرضاع الطفل عن

طريق (الببرونة) أو (البزاة) وذلك لما وضعت الأم لبنها فيها ؟ فهل يثبت رضاع الأم لابنها في تلك الحالة أم لا ؟!

الجواب : يثبت الرضاع عند جمهور العلماء ...

وبالتالي : إذا كان شرب اللبن دون مس الثدي يثبت حكم الرضاع للصغير، فلأولى به للكبير....

رابعاً : إن هناك سؤالا يطرح نفسه هو : كيف يُنسب الابن لأمه ، ويصبح ابناً شرعياً لها ؟

الجواب : يُنسب الابن لأمه بالحمل والرضاعة.

وأتساءل : إذا كانت سهلة لم تحمل بسالم فما هو السبيل الذي من خلاله يكون سالم ابناً لها غير الرضاعة ؟

الجواب : لم يكن هناك سبيل شرعي سوي الرضاعة ؛ لأنها لم تحمل به ، و ذلك كان أرضاء لأبي حذيفة من نبينا ﷺ ، وهي حالة خاصة ؛ رخصة وانتهت

ولا ننسى أن سالمًا ﷺ من الذين أمر النبي ﷺ أن يأخذ الناس عنهم القرآن الكريم ، فهو صاحب خلق كريم ﷺ ؛ ثبت ذلك صحيح مسلم برقم 4504 **عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ ﷺ: " خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ فَبَدَأَ بِهِ وَمَعَاذَ بْنِ جَبَلٍ وَأَبِي بَنِ كَعْبٍ وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ "**.

خامساً : إن المتأمل في إنجيل لوقا يجده ذكر أن يسوع المسيح رضع من ثديي أمه ، وهو بحسب عقيدة المعتريين إله...! وعليه فإنني أسأل المعتريين أسئلة هي :

1- لو يخبروننا عن رضاعة الإله الكبير ؛ رضاعة (الرب يسوع) ، هل هناك إله يرضع
!؟...

3- هل رضع الرب يسوع باللاهوت أم بالانسوت ؟! مع العلم أن العقيدة الأرثوذكسية تقول : إن اللاهوت لم يفارق الانسوت لحظة واحدة !

4- هل يستحق هذا الإله أن يُعبد ؟ إله يرضع ... ؟!

-5

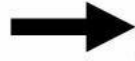
5- هل كانت أم الرب يسوع (مريم) تعلم أنها ترضع الإله الذي خلقها وأوجدها وهي التي حملت به وأرضعته... ؟!

-6

دليل ما سبق جاء في إنجيل لوقا إصحاح 11 عدد ²⁷ وفيما هو يتكلم بهذا، رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له : «طوبى للبطن الذي حملك والتدبين اللذين رضعتهما». ²⁸ أما هو فقال : «بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه».

نلاحظ : قول المرأة : " والتدبين اللذين رضعتهما " .

ونلاحظ : أن يسوع لم ينكر على قولها بل قال : " بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه " .



(أيقونة للعرءاء والدة الإله، يرجع تاريخها إلى القرن السادس أو السابع الميلادي، وجدت في دير باويط بصعيد مصر)

ثم إن المتأمل في الكتاب المقدس يجده نسب إلى الربّ بأنه أمر بالتغزل بثدي المرأة ...
! وذلك في سفر الأمثال إصحاح 5 عدد ¹⁸ لِيَكُنْ يَنْبُوعُكَ مُبَارَكًا، وَأَفْرَحَ بِامْرَأَةِ شَبَابِكَ،
¹⁹الطَّبِيبَةُ الْمَحْبُوبَةُ وَالْوَعْلَةُ الرَّهِيَّةُ. لِيُرُوكَ ثَدْيَاهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَبِمَحَبَّتِهَا اسْكُرْ دَائِمًا.

وذكر الكتاب المقدس هذا الموقف المحير سفر نشيد الإنشاد إصحاح 8 عدد 8 لَنَا
أُخْتُ صَغِيرَةٌ لَيْسَ لَهَا ثَدْيَانُ ، فَمَاذَا نَصْنَعُ لِأُخْتِنَا فِي يَوْمِ خِطْبَتِهَا ؟!

قلتُ : يبدو أنهم لا يعرفون (حقن السليكون) التي تكبر ثدي المرأة ؛ لم تكن في زمانهم
...- سبحان الله - هل هذا كلام يُذكر في كتاب من عند الله كتاب مقدس؟!

وذكر الكتاب المقدس وصف مفاتن المرأة بما فيه الشديان ... سفر نشيد الإنشاد إصحاح 4 عدد 5 تَدْيَاكَ كَحَشَفَتِي طَبِيَّةً، تَوَّامِينَ يَرْعِيَانِ بَيْنَ السَّوْسَنِ. وفي إصحاح 7 عدد 1 مَا أَجْمَلَ رِجْلَيْكَ بِالنَّعْلَيْنِ يَا بِنْتَ الْكَرِيمِ! دَوَائِرُ فَخْذَيْكَ مِثْلُ الْحَلِيِّ، صَنْعَةُ يَدَيْ صَنَاعٍ. 2 سُرَّتُكَ كَأْسٌ مَدُورَةٌ، لَا يُعْوزُهَا شَرَابٌ مَمْرُوجٌ. بَطْنُكَ صَبْرَةٌ حَنْطَةٌ مُسَيِّجَةٌ بِالسَّوْسَنِ. 3 تَدْيَاكَ كَحَشَفَتَيْنِ، تَوَّامِي طَبِيَّةً. 4 عُنُقُكَ كَبُرْجٌ مِنْ عَاجٍ. عَيْنَاكَ كَالْبَرْكِ فِي حَشْبُونٍ عِنْدَ بَابِ بَيْتِ رَبِّيمٍ. أَنْفُكَ كَبُرْجٌ لِبْنَانٍ النَّاطِرِ تَجَاهَ دِمَشْقٍ. 5 رَأْسُكَ عَلَيْكَ مِثْلُ الْكُرْمَلِ، وَشَعْرُ رَأْسِكَ كَأَرْجَوَانٍ. مَلِكٌ قَدْ أُسِرَ بِالْخُصْلِ. 6 مَا أَجْمَلَكَ وَمَا أَحْلَاكَ أَيَّتُهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّدَاتِ! 7 قَامَتْكَ هَذِهِ شَبِيهَةٌ بِالنَّخْلَةِ، وَتَدْيَاكَ بِالْعَنَاقِيدِ. 8 قُلْتُ: «إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى النَّخْلَةِ وَأُمْسِكُ بِعُذُوقِهَا». وَتَكُونُ تَدْيَاكَ كَعَنَاقِيدِ الْكَرْمِ، وَرَائِحَةُ أَنْفِكَ كَالنَّقَّاحِ، 9 وَكَكَ كَأَجُودِ الْخَمْرِ. لِحَبِيبِي السَّائِغَةُ الْمُرْقِرَةُ السَّائِغَةُ عَلَى شِفَاهِ النَّائِمِينَ.

ويذكر (الكتاب المقدس) هذا النص الغريب العجيب سفر الأمثال إصحاح 30 عدد 15 لِلْعُلُوقَةِ بِنْتَانِ: «هَاتِ، هَاتِ!». ثَلَاثَةٌ لَا تَشْبَعُ، أَرْبَعَةٌ لَا تَقُولُ: «كَفَا». وبحسب الترجمة اليسوعية : " للعلقة بنتان تقولان: "هات هات" ، ثلاث لا تشبع ، وأربع لا تقول : " كفا " !

قُلْتُ : أكتفي بهذا القدر؛ لأن ذكرني لنصوص أكثر من تلك النصوص قد تمنع كتابي من النشر!

رد شبهة : لماذا يأخذ المنصرون الافتراءات من الشيعة ؟

سأل أحد الإخوة سؤالاً في غاية الأهمية يقول :

لماذا يأخذ المنصرون الشبهات والافتراءات من الشيعة - الرافضة- للطعن في أحاديث ومعتقد أهل السنة.....؟

الرد على السؤال

أولاً : إن الشيعة الرافضة من أشد الناس عداءً لأهل السنة ؛ فهم يكفروننا ، ويعتقدون أن معتقدا باطل في كل ما يشمل الإسلام العظيم ؛ ولهذا كان لزماً على أهل السنة يكشفوا عورا عقيدتهم ، ويقولون بملء ألفي أن الشيعة الإمامية الجعفرية الاثني عشرية الرافضة... أعداء أمة محمد ص وأن علماءهم كفار بالله تعالى ومثلهم إلا لم يتوبوا هو النار...

رأيتُ لازماً علي أن أبين للقارئ لماذا حكم أهل السنة عليهم بذلك ، ولماذا يستغل المنصرون كرههم لنا وافتراءاتهم علينا في بحث بسيط أقسمه - إن شاء الله- كما يلي:

المبحث الأول: بالنسبة للتسمية :

هم يسمون الشيعة الإمامية ، والجعفرية ، والاثني عشرية ، و الرافضة.

1- الشيعة الإمامية : فهم يعتقدون أن أبا بكر وعمر وعثمان اغتصبوا الخلافة من علي ظلماً عدواً ، لذلك يكفرون أبا بكر وعمر ... وأن الإمام الحقيقي هو علي ، وأن الإمامة والولاية ركن من أركان هذا الدين، ومن لم يؤمن بالإمامة فهو كافر... جاء في كتاب الكافي للكليني ج2/ص18: (عن عجلان أبي صالح قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : " أوقفني على حدود الإيمان ، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، وصلاة الخمس ، وأداء الزكاة ، وصوم شهر رمضان ، وحج البيت ، وولاية ولينا وعداوة عدونا ، والدخول مع الصادقين " .

ثم إنهم يعتقدون العصمة للأئمة والرجعة ،ويعتقدون أن الأئمة الاثني عشر أفضل من الانبياء...

قلتُ : لو كان الأمر كذلك فلماذا لم يجاهد علي عليه السلام الخلفاء الثلاث في أخذ حقه ، أو يبين للناس أنه مظلوم اغتصبت منه الإمامة.... أو طعن في أبي بكر وعمر وعثمان...؟ بل الثابت أنه كان يثني على أبي بكر وعمر... وكان يقول كما في نهج البلاغة : " خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر عمر".

2- **الشيعية الجعفرية :** نسبة للإمام السادس جعفر عليه السلام وهو من آل البيت الكرام فهم يأخذون عنه معظم روايتهم الخالية من الإسناد المتصل في الغالب ،فدائماً يقولون : حدثنا أبو عبد الله ! أي : جعفر الصادق ؟

قلتُ : إن جعفرنا يختلف تماماً عن جعفرهم الذي في كتبهم فهو أهل صدق وحق عدل...

3- **الشيعية الاثني عشرية :** وسموا بذلك نسبة للإمام الثاني عشر محمد العسكري الذي دخل في سرداب في سمراء في العراق وكان عمره 11 عام ، ولم يخرج إلى الآن ظا نين أنه هو المهدي المنتظر فيقفون عند السرداب يدعون دعاء صنمي قریش (اللعن على أبي بكر وعمر وبناتهما).....ويتمنون خروجه في كل يوم حتى ينصرهم على أعدائهم ؛ فهم يقول : عجل فرجهم والعن عدوهم...

4- **الشيعية الرافضة :** سموا بذلك لأسباب عدة : قال بعضهم :لأنهم رفضوا الإسلام ، وقال بعضهم : لأنهم رفضوا إمامة الشيخين أبا بكر وعمر ، وقال بعضهم : لأنهم رفضوا الإمام زيد بن علي (صاحب فرقة الزيدية) ، وذلك لما طلبوا منه أن يسب أبا بكر وعمر فرض ، فتركوه وحده في أرض المعركة مع جند يسر معه ... فأخذ يقول: رفضتموني رفضتموني حتى قتل - رحمه الله- في أرض العراق.

وكل ما سبق صحيح ، لذلك كان لفظ الرافضة مستقبح جداً عند المصريين منذ زمن ليس بالبعيد ؛ فكان احدهم إذا أراد أن يسب آخر يقول له : (يا بن الرافضي) أي : يا بن الرافضي الخبيث...

تنبيه هام : ذكرت أن الإمام زيد بن علي طُلب منه أن يسب أبا بكر وعمر ورفض... وأنه صاحب فكر الشيعة الزيدية

الشيعة الزيدية هم اقرب المذاهب إلى أهل السنة كما قال ابن حزم وغيره ، الفارق الجوهرى أنهم يقولون تجوز إمامة الفاضل على المفضول ؛ فعلى فاضل وأبو بكر وعمر مفضولين ... ويعيش أغلبهم في أرض اليمن الحبيبية إلا أن المد الصفوي الإيراني الرافضي قد تسلل إلى أرض اليمن عن طريق الحوثيين - مزقهم الله-.

المبحث الثاني : معتقد الشيعة الرافضة وخطرهم :

أولاً : تحريف القرآن :

يعتقد الشيعة الرافضة أن القرآن الكريم محرفٌ وأن المصحف الحقيقي هو مصحف فاطمة يزيد عن المصحف الذي بين أيدينا... ويؤكدون أنه مع الإمام الثاني عشر محمد العسكري المهدي عندهم... وضربوا عرض الحائط بقوله ﷺ : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " (الحجر 9) .
أكتفي بذكر أقوال علمائهم كما يلي :

1- نعمة الله الجزائري واعترافه بالتحريف :

قال الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية 357/2 ، 358 :

" إن تسليم تواترها { القراءات السبع } عن الوحي الإلهي وكون الكل قد نزل به الروح الأمين يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحتها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة وإعراباً ، مع أن أصحابنا رضوان الله

عليهم قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق
والشيخ الطبرسي وحكموا بأن ما بين دفتي المصحف هو القرآن المنزل لا غير ولم يقع
فيه تحريف ولا تبديل.

والظاهر أن هذا القول (أي: إنكار التحريف) إنما صدر منهم لأجل مصالح كثيرة منها
سد باب الطعن عليها بأنه إذا جاز هذا في القرآن فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه مع
جواز لحوق التحريف لها ليس عن عقيدة بل لأجل مصالح أخرى.... "

ثم ذكر نعمة الله الجزائري أن الصحابة امتدت أيدهم إلى القرآن وحرفته وحذفت منه
الآيات التي تدل على فضل الأئمة فيقول 97/1: " ولا تعجب من كثرة الأخبار
الموضوعة (يقصد الأحاديث التي تروى مناقب وفضائل الصحابة رضوان الله عليهم)
فإنهم بعد النبي ﷺ قد غيروا وبدلوا في الدين ما هو أعظم من هذا كتغييرهم القرآن
وتحريف كلماته وحذف ما فيه من مدائح آل الرسول والأئمة الطاهرين وفضائح
المنافقين وإظهار مساوئهم كما سيأتي بيانه في نور القرآن " .

ثم ذكر أن القرآن الحقيقي كان مع علي ورفضه الصحابة فصار إلى المهدي عندهم....
يقول 360,361,362/2 :

" قد استفاض في الأخبار أن القرآن كما أنزل لم يؤلفه إلا أمير المؤمنين ﷺ بوصية
من النبي ﷺ ، فبقي بعد موته ستة أشهر مشغلا بجمعه ، فلما جمعه كما أنزل أتى به
إلى المتخلفين بعد رسول الله ﷺ فقال لهم : هذا كتاب الله كما أنزل فقال له عمر بن
الخطاب : لا حاجة بنا إليك ولا إلى قرآنك ، عندنا قرآن كتبه عثمان ، فقال لهم علي :
لن تروه بعد اليوم ولا يراه أحد حتى يظهر ولدي المهدي ﷺ . وفي ذلك القرآن (يقصد
القرآن الذي عند المهدي) زيادات كثيرة وهو خال من التحريف ، وذلك أن عثمان قد كان
من كتاب الوحي لمصلحة رآها ﷺ وهي أن لا يكذبه فيأمر القرآن بأن يقولوا إنه مفترى
أو إنه لم ينزل به الروح الأمين كما قاله أسلافهم ، بل قالوه أيضا وكذلك جعل معاوية
من الكتاب قبل موته بستة أشهر لمثل هذه المصلحة أيضا وعثمان وأضرابه ما كانوا
يحضرون إلا في المسجد مع جماعة الناس فما يكتبون إلا ما نزل به جبرائيل ﷺ .

أما الذي كان يأتي به داخل بيته ﷺ فلم يكن يكتبه إلا أمير المؤمنين ﷺ لأن له المحرمية دخولا وخروجا فكان ينفرد بكتابة مثل هذا وهذا القرآن الموجود الآن في أيدي الناس هو خط عثمان ، وسموه الإمام وأحرقوا ما سواه أو أخفوه ، وبعثوا به زمن تخلفه إلى الأقطار والأمصار ومن ثم ترى قواعد خطه تخالف قواعد العربية ((. وقد أرسل عمر بن الخطاب زمن تخلفه إلى علي ﷺ بأن يبعث له القرآن الأصلي الذي هو ألفه وكان ﷺ يعلم أنه طلبه لأجل أن يحرقه كقرآن ابن مسعود أو يخفيه عنده حتى يقول الناس : إن القرآن هو هذا الكتاب الذي كتبه عثمان لا غير فلم يبعث به إليه وهو الآن موجود عند مولانا المهدي ﷺ مع الكتب السماوية ومواريث الأنبياء " . أه

2- الفيض الكاشاني (المتوفى 1091 هـ) :

كتابه : تفسير الصافي 49/1 منشورات الاعلمي . بيروت ، ومنشورات الصدر - طهران . بعد أن ذكر الروايات التي استدلت بها على تحريف القرآن قال : "والمستفاد من هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله ، ومنه ما هو مغير محرف ، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم علي عليه السلام ، في كثير من المواضع ، ومنها لفظة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم غير مرة ، ومنها أسماء المنافقين في مواضعها ، ومنها غير ذلك ، وأنه ليس أيضا على الترتيب المرضي عند الله ، وعند رسول صلى الله عليه وآله وسلم". أه وجاء أيضا في تفسيره 52/1 منشورات الاعلمي . بيروت ، ومنشورات الصدر - طهران . "وأما اعتقاد مشايخنا - رضي الله عنهم - في ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن ، لأنه كان روى

روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي ، ولم يتعرض لقدح فيها ، مع أنه ذكر في أول الكتاب أنه كان يثق بما رواه فيه، وكذلك أستاذة علي بن إبراهيم القمي ؑ فإن تفسيره مملوء منه ، وله غلو فيه ، وكذلك الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي ؑ فإنه أيضا نسج على منوالهما في كتاب الإحتجاج" . أه

3- أبو منصور أحمد بن منصور الطبرسي (المتوفي سنة 620هـ) :
جاء في كتابه الإحتجاج للطبرسي منشورات الأعلمي - بيروت - ص 155 ج1.
عن أبي ذر الغفاري ؓ أنه قال: "لما توفي رسول الله ﷺ جمع علي عليه السلام القرآن ، وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ ، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم ، فوثب عمر وقال : يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه ، فأخذه عليه السلام وانصرف، ثم أحضروا زيد بن ثابت . وكان قارئاً للقرآن . فقال له عمر : إن عليا جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار ، وقد رأينا أن نؤلف القرآن ، ونسقط منه ما كان فضيحة وهتكا للمهاجرين والأنصار . فأجابته زيد إلى ذلك.. فلما استخلف عمر سأل عليا أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم" .

ثم ذكر الطبرسي أن الله ﷻ عندما ذكر قصص الجرائم في القرآن صرح بأسماء مرتكبيها ، لكن الصحابة حذفوا هذه الأسماء ، فبقيت القصص مكناة. المصدر السابق 249/1 يقول : "إن الكناية عن أسماء أصحاب الجرائم العظيمة من المنافقين في القرآن ، ليست منفعله تعالى ، وإنما من فعل المغيرين والمبدلين الذين جعلوا القرآن عضيّن ، واعتاضوا الدنيا من الدين" . أه

4- محمد باقر المجلسي :

بواب باباً في كتابه بحار الأنوار بعنوان: باب (التحريف في الآيات التي هي خلاف ما أنزل الله) بحار الأنوار ج 89 ص 66 كتاب (القرآن).

5- الشيخ محمد بن محمد النعمان الملقب بالمفيد.

المفيد هو من مؤسسي مذهب الرافضة . فقد نقل إجماع القدماء على التحريف ومخالفتهم لسائر الفرق الإسلامية في هذه العقيدة....

وذلك في: (أوائل المقالات ص 48 . 49 دار الكتاب الإسلامي . بيروت).

"واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، وإن كان بينهم في معنى الرجعة اختلاف، واتفقوا على إطلاق لفظ البداء في وصف الله تعالى ، وإن كان ذلك من جهة السمع دون القياس ، واتفقوا أن أئمة (يقصد الصحابة) الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن ، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأجمعت المعتزلة، والخوارج ، والزيدية والمرجئة ، وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية في جميع ما عددناه وقال أيضا : إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وسلم باختلاف القرآن وما أحدثه الظالمين فيه من الحذف والنقصان " .

وقال أيضاً : (ذكرها آية الله العظمي على الفاني الأصفهاني في كتابه آراء حول القرآن ص 133، دار الهادي - بيروت) حين سئل في كتابه " المسائل السروية "(المسائل السروية ص 78-81 منشورات المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد) :

ما قولك في القرآن. أهو ما بين الدفتين الذي في أيدي الناس أم هل ضاع مما أنزل الله على نبيه ﷺ منه شيء أم لا ؟ وهل هو ما جمعه أمير المؤمنين (عليه السلام) أما ما جمعه عثمان على ما يذكره المخالفون.

وأجاب : إن الذي بين الدفتين من القرآن جميعه كلام الله تعالى وتنزيله وليس فيه شيء من كلام البشر وهو جمهور المنزل والباقي مما أنزله الله تعالى قرآنا عند المستحفظ للشرعية المستودع للأحكام لم يضع منه شيء وإن كان الذي جمع ما بين

الدفتين الآن لم يجعله في جملة ما جمع لأسباب دعتة إلى ذلك منها : قصوره عن معرفة بعضه. ومنها : ما شك فيه ومنها ما عمد بنفسه ومنها : ما تعمد إخراجها. وقد جمع أمير المؤمنين عليه السلام القرآن المنزل من أوله إلى آخره وألفه بحسب ما وجب من تأليفه فقدم المكي على المدني والمنسوخ على الناسخ ووضع كل شيء منه في حقه ولذلك قال جعفر بن محمد الصادق : أما والله لو قرأ القرآن كما أنزل لألفيتمونا فيه مسمين كما سمي من كان قبلنا ، إلى أن قال : غير أن الخبر قد صح عن أئمتنا عليهم السلام أنهم قد أمروا بقراءة ما بين الدفتين وأن لا نتعداه بلا زيادة ولا نقصان منه إلى أن يقوم القائم عليه السلام فيقرئ الناس القرآن على ما أنزل الله تعالى وجمعه أمير المؤمنين عليه السلام ونهونا عن قراءة ما وردت به الأخبار من أحرف تزيد على الثابت في المصحف لأنها لم تأت على التواتر وإنما جاء بالآحاد (الشيعة لا يستطيعون أن يثبتوا التواتر إلا بنقل أهل السنة فيكون القرآن كله عندهم آحاد)، وقد يغلط الواحد فيما ينقله ولأنه متى قرأ الإنسان بما يخالف ما بين الدفتين غرر بنفسه مع أهل الخلاف وأغرى به الجبارين وعرض نفسه للهلاك فمنعونا عليهم السلام من قراءة القرآن بخلاف ما يثبت بين الدفتين. اهـ

6- العلامة الحجة السيد عدنان البحراني :

كتابه : (مشارك الشموس الدرية منشورات المكتبة العدنانية - البحرين ص 126).

بعد أن ذكر الروايات التي تفيد التحريف قال : " الأخبار التي لا تحصى كثيرة وقد تجاوزت حد التواتر ولا في نقلها كثير فائدة بعد شيوع القول بالتحريف والتغيير بين الفريقين (يقصد أن أهل السنة يقولون بالتحريف أيضا وهذا كذب وراجع آراء علماء أهل السنة بالقرآن في هذا الكتاب) وكونه من المسلمات عند الصحابة والتابعين بل وإجماع الفرقة " . تهـ

7- العلامة المحدث الشهير يوسف البحراني :

كتابه: الدرر النجفية للعلامة المحدث يوسف البحراني مؤسسة آل البيت لإحياء التراث
ص 298.

بعد أن ذكر الأخبار الدالة على تحريف القرآن قال :

" لا يخفى ما في هذه الأخبار من الدلالة الصريحة والمقالة الفصيحة على ما اخترناه
ووضوح ما قلناه ولو تطرق الطعن إلى هذه الأخبار على كثرتها وانتشارها لأمكن الطعن
إلى أخبار الشريعة كلها كما لا يخفى إذ الأصول واحدة وكذا الطرق والرواة والمشايخ
والنقلة ولعمري أن القول بعدم التغيير والتبديل لا يخرج من حسن الظن بأئمة الجور)
يقصد الصحابة رضوان الله عليهم) وأنهم لم يخونوا في الأمانة الكبرى (يقصد القرآن
الكريم) مع ظهور خيانتهم في الأمانة الأخرى (يقصد إمامه على عليه السلام) التي هي أشد
ضررا على الدين " . اهـ

8- النوري الطبرسي (المتوفى 1320هـ)

كتابه : (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)

وقد قسم كتابه هذا إلى ثلاث مقدمات وبابين .

المقدمة الأولى : عنوان لها بقوله : (في ذكر الأخبار التي وردت في جمع القرآن وسبب
جمعه ، وكونه في معرض النقص ، بالنظر إلى كيفية الجمع ، وأن تأليفه يخالف تأليف
المؤمنين)

المقدمة الثانية : جعل عنوانها (في بيان أقسام التغيير الممكن حصوله في القرآن
والممتنع دخوله فيه) .

المقدمة الثالثة : جعلها في ذكر أقوال علمائهم في تغيير القرآن وعدمه (فصل الخطاب :
ص 1).

أكتفي هنا بنقل المقدمة الثالثة فقط (فصل الخطاب : ص 25-26) : "المقدمة الثالثة (في ذكر أقوال علمائنا - رضوان الله عليهم أجمعين - في تغيير القرآن وعدمه) فاعلم أن لهم في ذلك أقوالا مشهورها اثنان :

الأول : وقوع التغيير والنقصان فيه وهو مذهب الشيخ الجليل علي بن إبراهيم القمي - شيخ الكليني - في تفسيره. صرح بذلك في أوله وملاً كتابه من أخباره مع التزامه في أوله بألا يذكر فيه إلا مشايخه وثقاته.

ومذهب تلميذه ثقة الإسلام الكليني - رحمه الله - على ما نسبته إليه جماعة ، لنقله الأخبار الكثيرة والصريحة في هذا المعنى.

وبهذا يعلم مذهب الثقة الجليل محمد بن الحسن الصفار في كتاب بصائر الدرجات... وهذا المذهب صريح الثقة محمد بن إبراهيم النعماني تلميذ الكليني صاحب كتاب (الغيبة) المشهور ، وفي (التفسير الصغير) الذي اقتصر فيه على ذكر أنواع الآيات وأقسامها ، وهو منزلة الشرح لمقدمة تفسير علي بن إبراهيم.

وصريح الثقة الجليل سعد بن عبد الله القمي في كتاب (ناسخ القرآن ومنسوخة) كما في المجلد التاسع عشر من البحار ، فإنه عقد بابا ترجمته (باب التحريف في الآيات التي هي خلاف ما أنزل الله عز وجل مما رواه مشائخنا - رحمة الله عليهم - من العلماء من آل محمد عليهم السلام) ثم ساق مرسلا أخبارا كثيرة تأتي في الدليل الثاني عشر فلاحظ.

وصرح السيد علي بن أحمد الكوفي في كتاب (بدع المحدثات) ، وقد نقلنا سابقا ما ذكره فيه في هذا المعنى..

وهو ظاهر أجلة المفسرين وأئمتهم الشيخ الجليل محمد بن مسعود العياشي ، والشيخ فرات بن إبراهيم الكوفي ، والثقة النقد محمد بن العباس الماهيار ، فقد ملئوا تفاسيرهم بالأخبار الصريحة في هذا المعنى.

وممن صرح بهذا القول ونصره الشيخ الأعظم : محمد بن محمد النعمان المفيد : ومنهم شيخ المتكلمين ومتقدم النوبختيين أبو سهل إسماعيل بن علي بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت صاحب الكتب الكثيرة التي منها (كتاب التنبيه في الإمامة) قد

ينقل عنه صاحب الصراط المستقيم. وابن أخته الشيخ المتكلم ، الفيلسوف ، أبو محمد، حسن بن موسى ، صاحب التصانيف الجيدة، منها : كتاب (الفرق والديانات). والشيخ الجليل أبو إسحاق إبراهيم بن نوبخت صاحب كتاب (الياقوت) الذي شرحه العلامة ووصفه في أوله بقوله (شيخنا الأقدم وإمامنا الأعظم). ومنهم إسحاق الكاتب الذي شاهد الحجة - عجل الله فرجه.. ورئيس هذه الطائفة الشيخ الذي قيل ربما بعصمته ، أبو القاسم حسين بن روح بن أبي بحر النوبختي ، السفير الثالث بين الشيعة والحجة صلوات الله عليه. وممن يظهر منه القول بالتحريف : العالم الفاضل المتكلم حاجب بن الليث ابن السراج كذا وصفه في (رياض العلماء) وممن ذهب إلى هذا القول الشيخ الجليل الأقدم فضل بن شاذان في مواضع من كتاب (الإيضاح). وممن ذهب إليه من القدماء الشيخ الجليل محمد بن الحسن الشيباني صاحب تفسير (نهج البيان عن كشف معاني القرآن) . اهـ

9- محمد بن يعقوب الكليني :

ذكر روايات تدل على التحريف وذلك في كتابه (أصول الكافي : ج2 كتاب فضل القرآن ص 597.

1- عن جابر قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : " ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل الاكذاب وما جمعه وحفظه كما أنزل الله تعالى إلا علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده - عليهم السلام - ". (أصول الكافي كتاب الحجة ج 1 ص 284).

2 - عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن ظاهره وباطنه غير الأوصياء (المصدر السابق : ص 285)

3 - قرأ رجل عند أبي عبد الله { فقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون } سورة التوبة : آية 105 فقال ليست هكذا هي إنما هي والمؤمنون فنحن المؤمنون (أصول الكافي : كتاب الحجة ج1 ص 492).

4 - عن ابن بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن عندنا لمصحف فاطمة "ع" وما يدريك ما مصحف فاطمة "ع" ؟ قال : قلت : وما مصحف فاطمة "ع" ؟ قال : مصحف فاطمة فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد : قال : قلت هذا والله العلم . (أصول الكافي : كتاب الحجة ج1 ص 295).

5 - عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى صلى الله عليه وآله سبعة عشر ألف آية.

10 - محمد بن مسعود المعروف بـ (العياشي) :

كتابه : (تفسير العياشي ج 1 / ص 25 منشورات الاعلمي - بيروت ط 91) ..

(1) روى العياشي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : " لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين (أي مذكور أسماء الأئمة بالقرآن) . "

(2) وروي أيضاً عن أبي جعفر " أنه قال لو لا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ، ما خفي حقنا على ذي حجي ، ولو قد قام قائمنا فنطق صدقه القرآن .

أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار .

كتابه : (بصائر الدرجات) ص 213 - منشورات الاعلمي - طهران .

(1) روى الصفار عن أبي جعفر الصادق أنه قال : " ما من أحد من الناس يقول إنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب ، وما جمعه وما حفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والائمة من بعده .

(2) روى الصفار عن محمد بن الحسين عن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن المنخل عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : ما يستطيع أحد أن يدعي أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء . اهـ

11- العالم الشيعي المقدس الأردبيلي :

كتابه : (حديقة الشيعة : للأردبيلي ص 118 - 119 ط إيران فارسي .

نقلا عن كتاب (الشيعة والسنة) للشيخ إحسان الهي ظهير. ص 114).
قال : "إن عثمان قتل عبد الله بن مسعود بعد أن أجبره على ترك المصحف الذي كان عنده وأكرهه على قراءة ذلك المصحف الذي ألفه ورتبه زيد بن ثابت بأمره وقال البعض إن عثمان أمر مروان بن الحكم ، وزيد بن سمرة. الكاتبين له أن ينقلا من مصحف عبد الله مايرضيهما ويحذف ما ليس بمرضي عندهم ويغسلا الباقي " . اهـ

12- الحاج كريم الكرمانى الملقب " بمرشد الأنام "
(" إرشاد العوام " ص 221 ج3فارسي إيران نقلا عن كتاب الشيعة وألسنه للشيخ إحسان الهي ظهيرص115).

قال : " إن الإمام المهدي بعد ظهوره يتلو القرآن ، فيقول أيها المسلمون هذا والله هو القرآن الحقيقي الذي أنزله الله على محمد والذي حرف وبدل " . اهـ

13- المجتهد الهندي السيد دلدار علي الملقب " بآية الله في العالمين "
(" استقصاء الأفحام " ص 11ج1. ط إيران نقلاً عن كتاب الشيعة والسنة : ص 115).

قال : " وبمقتضى تلك الأخبار أن التحريف في الجملة في هذا القرآن الذي بين أيدينا بحسب زيادة الحروف ونقصانه بل بحسب بعض الألفاظ وبحسب الترتيب في بعض المواقع قد وقع بحيث مما لا شك مع تسليم تلك الأخبار " . أهـ

14- ملا محمد تقي الكاشاني :
" هداية الطالبين " ص 368 ط إيران 1282 فارسي نقلا عن كتاب الشيعة والسنة للشيخ إحسان ص 94).

قال : " إن عثمان أمر زيد بن ثابت الذي كان من أصدقائه هو وعدوا لعلي ، أن يجمع القرآن ويحذف منه مناقب آل البيت ودم أعدائهم ، والقرآن الموجود حالياً في أيدي الناس والمعروف بمصحف عثمان هو نفس القرآن الذي جمعه بأمر عثمان " . أه

15- أبو الحسن العاملي :

المقدمة الثانية الفصل الرابع لتفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار وطبعت كمقدمه لتفسير البرهان للبحراني.

قال : " وعندي في وضوح صحة هذا القول " تحريف القرآن وتغييره " بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار ، بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع وانه من أكبر مقاصد غصب الخلافة " . اه

16- العلامة الحجة السيد عدنان البحراني :

مشارك الشموس الدرية ص 126 منشورات المكتبة العدنانية - البحرين.
قال : " وكونه (أي : القول بالتحريف) من ضروريات مذهبهم (أي الشيعة) . اه

17- تفسير القمي لشيخهم علي القمي.

قال في مقدمة تفسيره عن القرآن (ج 1/36 ط دار السرور - بيروت)
" أما ما هو حرف مكان حرف فقوله تعالى : ((لنلا يكون للناس على * الله حجة إلا الذين ظلموا منهم)) (البقرة : 150) يعنى ولا للذين ظلموا منهم وقوله : ((يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم)) (النمل : 10) يعنى ولا من ظلم وقوله : ((ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ)) (النساء: 91) يعنى ولا خطأ وقوله : ((ولا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم)) (التوبة: 110) يعنى حتى تنقطع قلوبهم " .

وقال أيضاً في تفسيره (ج 1/36 ط دار السرور - بيروت) :

" وأما ما هو على خلاف ما أنزل الله فهو قوله : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) (آل عمران : 110) فقال أبو عبد الله عليه السلام لقاريء هذه الآية : ((خير أمة)) يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين بن علي -عليهم السلام- ؟ فقل له : وكيف نزلت يا ابن رسول الله؟ فقال : إنما نزلت : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس)) ألا ترى مدح الله لهم في آخر الآية ((تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) ومثله آية قرئت على أبي عبد الله عليه السلام : (الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماما)) (الفرقان : 74) فقال أبو عبد الله عليه السلام : لقد سألوا الله عظيما أن يجعلهم للمتقين إماما. فقل له : يا ابن رسول الله كيف نزلت ؟ فقال : إنما نزلت : ((الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعل لنا من المتقين إماما)) وقوله : ((له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله)) (الرعد : 10) فقال أبو عبد الله : كيف يحفظ الشيء من أمر الله وكيف يكون المعقب من بين يديه فقل له : وكيف ذلك يا ابن رسول الله ؟ فقال : إنما نزلت ((له معقبات من خلفه وورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله)) ومثله كثير .

وقال أيضاً في تفسيره (ج 1/37 ط دار السرور . بيروت) :

"وأما ما هو محرف فهو قوله : ((لكن الله يشهد بما أنزل إليك في علي أنزله بعلمه والملائكة يشهدون)) (النساء : 166) وقوله (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك في علي فإن لم تفعل فما بلغت رسالته)) (المائدة : 67) وقوله : ((إن الذين كفروا وظلموا آل محمد حقهم لم يكن الله ليغفر لهم)) (النساء : 168) وقوله : ((وسيعلم الذين ظلموا آل محمد حقهم أي منقلب ينقلبون)) (الشعراء 227) وقوله : ((ولو ترى الذين ظلموا آل محمد حقهم في غمرات الموت)) (الأنعام : 93) .

18- ذكرنا ميرزا النوري الطبرسي في كتبه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب) جمع فيه أقوال علمائهم الدالة على التحريف وأدلتهم على ذلك ومن الأدلة ما جاء في ص 180 وهي سورة مؤلفة تثبت ولاية علي رضي الله عنه وسموها ((سورة الولاية)) هذا نصها :

" يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبي و الولي اللذين بعثنا هما يهديانكم إلى الصراط المستقيم . نبي و ولي بعضهما من بعض و أنا العليم الخبير . إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم . و الذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذبون . إن لهم في جهنم مقاماً عظيماً إذا نودي لهم يوم القيامة أين الظالمون المكذبون للمرسلين . ما خلفتهم المرسلين إلا عني و ما كان الله ليظهرهم إلى أجل قريب و سبح بحمد ربك و عليّ من الشاهدين "

(سورة النورين) أيضاً:

" يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم . نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم . إن الذي يوفون ورسوله في آيات لهم جنات نعيم . والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم و ما عاهدهم الرسول عليه يقذفون في الجحيم . ظلموا أنفسهم وعصوا الوصي الرسول أولئك يسقون من حميم . إن الله الذي نور السماوات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين أولئك في خلقه . يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . قد مكر الذين من قبلهم برسولهم فأخذهم بمكرهم إن أخذي شديد أليم . إن الله قد أهلك عاداً وثمود بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون . وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين . ليكون لكم آيته وإن أكثركم فاسقون . إن الله يجمعهم في يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون إن الجحيم مأواهم وإن الله عليم حكيم . يا أيها الرسول بلغ إنذارى فسوف يعلمون . قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضون . مثل الذين يوفون بعهدك إني جزيتهم جنات النعيم . إن الله لذو مغفرة وأجر

عظيم وإن عليا من المتقين . وإنا لنوفيه حقه يوم الدين . وما نحن عن ظلمه بغافلين .
وكرمناه على أهلك أجمعين . فإنه وذريته لصابرون وإن عدوهم إمام المجرمين . قل
للذين كفروا بعدما آمنوا أطلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله
رسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلمكم تهتدون . يا أيها
الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفاه مؤمنا ومن يتولاه من بعدك يظهر
. فأعرض عنهم إنهم معرضون . إنا لهم محضرون . في يوم لا يغني عنهم شيئا ولا
هم يرحمون . إن لهم في جهنم مقاما عنه لا يعدلون . فسبح باسم ربك وكان من
الساجدين . ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر جميل . فجعلنا
منهم القردة والخنازير ولعناهم إلى يوم يبعثون . فاصبر فسوف يبصرون . ولقد آتينا بك
الحكم كالذين من قبلك من المرسلين . وجعلنا لك منهم وصيا لعلمهم يرجعون . ومن
يتولى عن أمري فإني مرجعة فليتمتعوا بكفرهم قليلا فلا تسأل عن الناكثين . يا أيها
الرسول قد جعلنا لكم في أعناق الذين آمنوا عهدا فخذوكم من الشاكرين . إن عليا
قانتا بالليل ساجدا يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه . قل هل يستوي الذين ظلموا وهم
بغضابي يعلمون . سيجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون . إنا بشرناك
بذريته الصالحين . وإنهم لأمرنا لا يخلفون فعليهم مني صلوات ورحمة أحياء وأمواتا
ويوم يبعثون . وعلى الذين يبيعون عليهم من بعدك غضبي إنهم قوم سوء خاسرين .
وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم في الفرقان آمنون والحمد لله رب العالمين .

ثانياً : تكفيرهم للصحابي الكرام :

هم يعتقدون أن الصحابة جميعاً كفروا بعد موت النبي إلا سبعة على أقصى تقدير ،
اعترف بذلك علماؤهم كما جاء في الآتي :

1- جاء في كتاب روضة الكافي ج 8 ص 246 للكليني ما نصه: روي عن أبي جعفر قال: " كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة المقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري " .

-2

2- جاء في كتاب بحار الأنوار للمجلسي ج 28 / ص 199 باب (كفر المخالفين والنصاب وما يناسب ذلك) .

عن أبي علي الخراساني عن مولى لعلي بن الحسين قال : "كنت معه في بعض خلواته فقلت : إن لي عليك حقاً ألا تخبرني عن هذين الرجلين : عن أبي بكر وعمر؟ فقال : كافران ، كافر من أحبهما " .

وجاء أيضاً في نفس الكتاب ج 8 / ص 301 باب (النار) .

عن أبي بصير قال : "يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب ، بابها الأول للظالم وهو زريق ، وبابها الثاني لخبث والثالث للثالث ، والرابع لمعاوية والخامس لعبد الملك والسادس لعسكر بن هوسر ، والباب السابع لأبي سلامة ، فهم أبواب لمن أتبعهم" .
ومعنى الزريق هو كناية عن أبي بكر ، والخبث هو عمر .

3- روى الكليني في الكافي ص 246 عن محمد بن علي الذي هو الباقر أنه قال: "كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة" .

وفيه أيضاً ج 2 ص 244 عن محمد بن علي عليه السلام أنه قال: " المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا ثلاثة" .

4- في كتاب (الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم) قال مؤلفه أبو محمد العاملي عن عثمان رضي الله عنه في ج 3 / ص 30 .
(أنه أتى بالمرأة لتحد فقاربها ثم أمر برجمها)
قال الكلبي في كتاب المثالب : كان عثمان ممن يلعب به ويتخنث وكان يضرب بالدف.

...

ثم أورد أيضاً في نفس الجزء اتهامها بالزنا ص 165 لحبيبة رسول الله عائشة -رضي الله عنها-

قالوا : " برأها الله في قوله : " أولئك مبرئون مما يقولون " قلنا : ذلك تنزيه لنبيينا عن الزنا لا لها كما أجمع المفسرون... إلى أن قال في نفس الصفحة ... وقد أخبر الله عن امرأتي نوح ولو طأنهما لم يغنيا عنهما من الله شيئاً وكان ذلك تعريضاً من الله لعائشة وحفصة " .

5- أما محمد القمي فما أورده في كتابه (الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين) ص 615 : قال: "مما يدل على إمامة أئمتنا الأثني عشر أن عائشة كافرة مستحقة للنار ... " .

6-

وقد رأيت في اليوتوب عالم كبير من علمائهم يقول : "إن فرج النبي سيدخل النار لأنه جامع عائشة بنت أبي بكر ... " !.

وقد لعن وكفر الرافض المصري حسن شحاته العشرة المبشرين بالجنة ،حينما قال يدخلوا الجنة؟ هي زريبة؟! ...وكذا عائشة رضي الله عنها...

وهاهم اليوم وأمس يثنون بالخير على قاتل عمر رضي الله عنه المجوسي الحقير أبو لؤلؤة ،فقد بنوا له مزرعاً في (كاشان) في إيران ، ويزوره الشيعة الإمامية الأثني عشرية في هذه المناسبة كل

عام ويحتفلون عنده ، ويعرف في إيران باسم (بابا شجاع الدين أبو لؤلؤة فيروز) مع العلم أن هذا المجوسي هو قاتل عمر بن الخطاب ؓ وقد قتل هذا المجوسي في المدينة) ومن كثرة الحقد الذي يكنه الشيعة الروافض للصحابه رضوان الله عليهم قاموا ببناء هذا المزار .

ثالثاً - عبادة القبور والاستغاثة بالأموات :

- 1- ذكر المجلسي في (بحار الأنوار - جزء 98/ ص 85):
رواية تبين فضل زيارة قبر الحسين رضي الله عنه في يوم عرفة وأن فاعلها يكتب له ألف حجة!! وألف عمرة!! وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل!! ... وخمسة الآلف كذا و سبعة الآلف وسبعمئة كذا وكذا
حتى فسر إدعاءه بأن الله ينظر لزوار قبر الحسين قبل نظره لأهل عرفة ، لأن أهل عرفة فيهم أولاد زنا!! أم زوار القبر فلا ...
- 2- ذكر المجلسي في (بحار الأنوار - ج 100/ ص 135):
أنه يستحسن مع البعد استقبال القبر في الصلاة و استدبار الكعبة !

ثم إنهم يسجدون ويتمسحون في قبر أبي لؤلؤة ، وكذلك الخميني ... ويسألونهم عن بعض الغيبيات....
فسؤال أهل القبور عندهم يستوي فيه عالمهم والجاهل ، الحاكم والمحكوم الذي يعلم كل ما في الكون المعصوم ليس بحافظ دعائهم ؟!
قال ﷺ : **إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14)(فاطر).**

رابعاً : زواج المتعة وعشق الجنس من العبادة :

1- جاء في كتاب المقنع باب (المتعة) : عن النبي ﷺ لحقني جبريل فقال : " يا محمد

إن الله يقول : إني قد غفرت للمتمتعين من أمتك من النساء " .

2- جاء في كتاب تحرير الوسيلة ما نصه:

المسألة 17 في نهاية إجابته قال : "وليس السؤال والفحص عن حالها شرطاً في

الصحة " (أي : كونها متزوجة وأغير وقصد صحة زواج المتعة !

المسألة 18 قال : يجوز التمتع بالزانية إلى أن قال: "وإن فعل فليمتعها من الفجور".!

2- كتاب من لا يحضره الفقيه 3/366: وقيل لأبي عبد الله عليه السلام : هل للتمتع ثواب ؟

قال: "إن كان يريد بذلك وجه الله تعالى وخلافاً على من أنكرها لم يكلمها كلمة

إلا كتب الله له بها حسنة ، ولم يمد يده إليها إلا كتب الله له حسنة فإذا دنا

منها غفر الله له بذلك ذنباً، فإذا اغتسل غفر الله له بقدر ما مر من الماء على

شعره".

-3

4- ذكر الكليني في كتابه الكافي في الجزء السادس (ج 5 / ص 466)

عن محمد بن يعقوب ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن بعض أصحابه ، عن

إسحاق بن عمار ، قال : " قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام : عن رجل تزوج امرأة متعة

ثم وثب عليها أهلها فزوجوها بغير إذنهما علانية ، والمرأة امرأة صدق ، كيف الحيلة ؟

قال : لا تمكن زوجها من نفسها حتى ينقضي شرطها وعدتها ، قلت : إن شرطها سنة

ولا يصبر لها زوجها ولا أهلها سنة ؟ فقال : فليتيق الله زوجها الأول ، وليتصدق عليها

بالأيام فإنها قد ابتليت والدار دار هدنة ، المؤمنون في تقية ، قلت : فإنه تصدق عليها

بأيامها وانقضت عدتها ، كيف تصنع ؟ قال : إذا خلا الرجل بها فلتقل هي : يا هذا ، إن

أهلي وثبوا علي فزوجوني منك بغير أمري ولم يستأمروني واني الآن قد رضيت فاستأنف

أنت الآن فتزوجني تزويجا صحيحا فيما بيني وبينك " .

5- سئل العلم العلامة خامنئي كما جاء في كتابه : (أجوبة الاستفتاءات للآامنئي)
الجزء الثاني المعاملات ص71.

س194 : هل يجوز تلقيح زوجة الرجل الذي لا ينبغي بنطفة رجل أجنبي عن طريق
وضع النطفة في رحمها ؟

أجاب الآامنئي : لا مانع شرعاً من تلقيح المرأة بنطفة رجل أجنبي في نفسه ، ولكن
يجب الاجتناب عن المقدمات المحرمة من قبيل النظر واللمس الحرام وغيرهما ، وعلى
أي حال فإذا تولد طفل عن هذه الطريقة ، فلا يلحق بالزوج بل يلحق بصاحب النطفة
وبالمرأة صاحبة الرحم والبويضة ، ولكن ينبغي في هذه الموارد مراعاة الاحتياط في
مسائل الإرث ونشر الحرمة .

6- ظهرت فتوى من زمن قريب للسيستاني بجواز الجماع من الدبر مع الكراهة..
وذلك لما سئل هذا السؤال :

ماحكم إتيان الزوجة في دبرها ؟

أجاب: " لا يجوز على الاحوط من دون رضاها ويكره برضاها كراهة شديدة " .
تاريخ الفتوى : 12 شوال 1424 هـ .

7- جاء في كتاب الله ثم للتاريخ للمهدي حسين الموسوي - رحمه الله- الذي قتله

الرافضة بعد أن صار من أهل السنة وفضح معتقدهم ؛ ذكر أن الآميني كان
يفأخذ طفلة صغيرة طوال الليل وكانت تصرخ ، وكان أبوها فرحاً بهذا....

جاء ذلك في كتابه السابقة ذكره ما نصه :

(لما كان الإمام الآميني مقيماً في العراق كنا نتردد إليه ، ونطلب منه العلم حتى صارت
علاقتنا معه وثيقة جداً ، وقد اتفق مرة أن وُجِّهَتْ إليه دعوة من مدينة ؟؟ وهي مدينة
تقع غرب الموصل على مسيرة ساعة ونصف تقريباً بالسيارة ، فطلبني للسفر معه ،

فسافرت معه ، فاستقبلونا وأكرمونا غاية الكرم مدة بقائنا عند إحدى العوائل الشيعية المقيمة هناك ، وقد قطعوا عهداً بنشر التشيع في تلك الأرجاء ، وما زالوا يحتفظون بصورة تذكارية لنا تم تصويرها في دارهم .

ولما انتهت مدة السفر رجعنا ، وفي طريق عودتنا ومرورنا في بغداد أراد الإمام أن نرتاح من عناء السفر ، فأمر بالتوجه إلى منطقة العطيفية ، حيث يسكن هناك رجل إيراني الأصل يقال له سيد صاحب ، كانت بينه وبين الإمام معرفة قوية . فرح سيد صاحب بمجيئنا ، وكان وصولنا إليه عند الظهر ، فصنع لنا غداء فاخراً ، واتصل ببعض أقرابه فحضرنا ، وازدحم منزله احتفاءً بنا ، وطلب سيد صاحب إلينا المبيت عنده تلك الليلة ، فوافق الإمام ، ثم لما كان العشاء أتونا بالعشاء ، وكان الحاضرون يُقْبَلُونَ يد الإمام ، ويسألونه ، ويجيب عن أسألتهم ، ولما حان وقت النوم وكان الحاضرون قد انصرفوا إلا أهل الدار ، أبصر الإمام الخميني صبياً بعمر أربع سنوات أو خمس ولكنها جميلة جداً ، فطلب الإمام من أبيها سيد صاحب إحضارها للتمتع بها ، فوافق أبوها بفرح بالغ ، فبات الإمام الخميني والصبية في حضنه ، ونحن نسمع بكاءها وصريخها !!

المهم إنه أمضى تلك الليلة ، فلما أصبح الصباح ، وجلسنا لتناول الإفطار ، نظر إليّ فوجد علامات الإنكار واضحة في وجهي ، إذ كيف يَتَمَتَّعُ بهذه الطفلة الصغيرة وفي الدار شابات بالغات راشدات كان بإمكانه التمتع بإحداهن ، فلم يفعل ؟! فقال لي : سيد حسين ما تقول في التمتع بالطفلة ؟ قلت له : سيد القول قولك ، والصواب فعلك وأنت إمام مجتهد ، ولا يمكن لمثلي أن يرى أو يقول إلا ما تراه أنت أو تقوله ، ومعلوم أنني لا يمكنني الاعتراض وقتذاك . فقال : سيد حسين ، إن التمتع بها جائز ، ولكن بالمداعبة ، والتقبيل والتفخيذ . أما الجماع فإنها لا تقوى عليه .

وكان الإمام الخميني يرى جواز التمتع حتى بالرضيعة ، فقال : (لا بأس بالتمتع بالرضيعة ضمّاً وتفخيذاً - أي يضع ذكره بين فخذيهما - وتقبيلاً) انظر كتابه تحرير الوسيلة 2/ 241 مسألة رقم 12 . اهـ

خامساً : التقية وهي تعمد الكذب في الدين :

جاء في كتاب أصول الكافي 2 : 219 / 12 ، باب التقية
عن معمر بن خلاد ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : قال أبو جعفر عليه السلام : ((التقية من ديني ودين آبائي ، ولا إيمان لمن لا تقية له)) .

سادساً : الغلو الشديد في الأئمة الإثني عشر :

جاء هذا الغلو الشديد في عدة مراجع أكتفي بما جاء في كتاب الأنوار النعمانية ج 1 / ص 34 عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أنه قال : " والله لقد كنت مع إبراهيم في النار وأنا الذي جعلتها بردا وسلما وكنت مع نوح في السفينة وأنجيتيه من الغرق وكنت مع موسى فعلمته التوراة وكنت مع عيسى فأنطقته في المهد وعلمته الإنجيل وكنت مع يوسف في الجب فأنجيتيه من كيد اخوته وكنت مع سليمان على البساط وسخرت له الريح " .

1- روى الكليني في الكافي ج 1 / ص 239 عن جعفر بن محمد أنه قال : " عندنا علم ما كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة " .

2- روي الكليني في الكافي ج 1 / ص 470 عن أبي بصير أنه سئل جعفر بن محمد رأي الصادق ، أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرأ العمى والأبرص ؟ قال : " نعم " .

سابعاً : استحلال سفك دماء أهل السنة :

وهذا ما وجدناه واضحاً في العراق و أفغانستان هم يعتقدون أن أهل السنة نواصب أي : ناصبوا العداء إلى آل بيت النبي الكريم فهذه هي مراجعهم تشهد عليهم بذلك كما يلي:

1- الأنوار النعمانية ج 2 / ص 308 عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله - عليه السلام - : " ما تقول في قتل الناصب؟ قال: حلال الدم، ولكني اتقي عليك فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في ماء لكي لا يشهد به عليك فافعل ، قلت : فما ترى في ماله ؟ قال توه ما قدرت عليه" . اهـ

2- ذكر الطوسي في تهذيب الأحكام ج 4 / ص 122 عن ابن عبد الله جعفر أنه قال : "خذ مال الناصب حيث وجدته وادفع إلينا الخمس" . اهـ

3- قال الخميني في تحرير الوسيلة ج 1 ص 352 "والأقوى إلحاق الناصب بأهل الحرب في إباحة ما اغتنما منه وتعلق الخمس به" . اهـ

4- روى الكليني في الروضة من الكافي ص 198 عن جعفر بن محمد أنه قال : قال أبي ، أي محمد الباقر : "أما ترضون أن تصلوا ويصلوا فيقبل منكم ولا يقبل منهم، أما ترضون أن تزكوا ويزكوا فيقبل منكم ولا يقبل منهم، أما ترضون ان تحجوا ويحجوا فيقبل الله جل ذكره منكم ولا يقبل منهم والله ما تقبل الصلاة إلا منكم ولا الزكاة إلا منكم ولا الحج إلا منكم فاتقوا الله عزوجل فإنكم في هدنة" . اهـ

5- ذكر المجلسي في بحار الأنوار ج 48 / ص 376 . عن عبد الله جعفر بن محمد أنه سئل عن المنتظر إذا خرج فما يكون من أهل الذمة عنده ؟ (اليهود والنصارى) قال : " يسألهم كما سألهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويؤدون الجزية عن يد وهم

صاغرون قلت : فمن نصب لكم عداوة ؟ فقال : لا يا أبا محمد ما لمن خالفنا في دولتنا من نصيب إن الله قد أحل لنا دماءهم عند قيام قائمنا ، فالיום محرم علينا وعليكم ذلك فلا يغرنك أحد ، إذا قام قائمنا انتقم الله ولسوله ولنا أجمعين " . اهـ

8- ذكر المجلسي في بحار الأنوار ج 52 / ص 349 عن جعفر بن محمد أنه قال : ما بقيا بيننا وبين العرب إلا الذبح وأوماً بيده إلى حلقه . اهـ

قلتُ : كان ما سبق قطرة من بحر كبير ؛ لهذا ذهب المنصرون إلى هؤلاء طالبيين المساعدة لمحاربة المسلمين أهل السنة وذلك من القديم وليس الأمر حديثاً....

ثالثاً : إن ما سبق ذكره من كره طائفة الشيعة الرافضة لأهل السنة ليس ند المسلمين وحدهم ، وجد ذلك عند النصارى منذ مهدها إلى يومنا هذا.... وذلك بسبب الطبعتين والمشينتين والطبيعة والمشينة والتثليث وفهمه ، والفداء والصلب ، والوهية المسيح ، ونسخ الكتاب المقدس

كانت الصراعات والحرب بين طوائف النصارى بداية من المجامع النصرانية حتى في دخل المجامع كان قتل بعض الآباء الكهنة مثل مجمع أفسوس..... واليوم قتال عنيف بين البروتستنت والكاثوليك في إيرلندا الشمالية ، وتكفير الطوائف بعضها لبعض ، وحكم البابا شنودا على البروتستنت أنهم لن يدخلوا الملكوت... وعداء الكنيسة المصرية لشهود يهوا وهم ستة ملايين في العالم لا يعتقدون بالوهية المسيح.....

وأما نسخ الكتاب المقدس فكل طائفة تتهم الأخرى بالتحريف فمثلاً: نسخة الفانديك البروتستانت 66 سفر؛ بينما نسخة الكاثوليك 73 ، و أما نسخة الأرثوذكس الاثيوبيين 81

سفر؛ بينما نسخة الأرثوذكس الشرقيين في أوربا الشرقية 87 سفر ... وكل من الجانبين
يعتقد أن هذا كتاب الله المقدس ...!

الباب الرابع

شبهات حول معجزاته ﷺ

رد شبهة : نبي ليس له معجزات !

من الشبهات التي أثاروها ليطعنوا بها في نبوة نبينا ﷺ أنهم قالوا : إن القرآن ينفي تماماً أن يكون للنبي ﷺ معجزات ، وفي إثبات ذلك تعلقوا ببعض الآيات القرآنية التي ذكروها ، وأولوها دون أن يفهموها ؛ تعلقوا في ذلك بالاتي :

- 1- قوله ﷻ : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ (الإسراء59).
- 2- قوله ﷻ : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ (العنكبوت50) .
- 3- قوله ﷻ : ﴿ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ (الأنبياء5) .
- 3- قوله ﷻ : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً ﴾ 90 ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴾ 91 ﴿ أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَافًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾ 92 ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (الإسراء) .

وأمثال تلك الآيات التي طلب فيها الكفار آيةً معينة؛ فلم يجبهم النبي ﷺ إليها .

الرد على الشبهة

أولاً: إن القول بأن القرآن ينفي تماماً أن يكون لنبيينا محمد ﷺ معجزات أكذوبة كبيرة ، وجعل واضح ؛ لأننا لو نظرنا إلى كتاب الله ﷻ لوجدنا فيه عكس ادعائهم تماماً ؛ لوجدنا أن القرآن يثبت أن لرسول الله ﷺ المعجزات الواضحة ، تدلل على ذلك عدة أدلة منها :

1- قوله ﷺ : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ 50 أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (العنكبوت 51) .

جاء في تفسير الجلالين : { وَقَالُوا } أي : كفار مكة { لَوْلَا } هلا { أُنزِلَ عَلَيْهِ } أي : محمد { آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ } وفي قراءة «آيات» كناية صالحة ، وعصا موسى ، ومائدة عيسى { قُلْ } لهم { إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ } ينزلها كيف يشاء { وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ } مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية . { أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ } فيما طلبوا { أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ } القرآن { يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ } فهو آية مستمرة لا انقضاء لها بخلاف ما ذكر من الآيات { إِنَّ فِي ذَلِكَ } الكتاب { لَرَحْمَةً وَذِكْرَى } عظة { لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } . اهـ

نلاحظ من الآية والتفسير : أن معجزة محمد ﷺ هي القرآن الكريم ؛ المعجزة الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

2- قوله ﷺ : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿2﴾ (القمر).

جاء في تفسير الجلالين : { اقتربت الساعة } قربت القيامة { وانشق القمر } انفلق فلقتين على أبي قبيس وفعيقتان آية له ﷺ وقد سئلها فقال: (اشهدوا) رواه الشيخان . { وَإِنْ يَرَوْا } أي: كفار قريش { آيَةً } معجزة له ﷺ { يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا } هذا { سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ } قوي من المرة : القوة أو دائم . اهـ

3- قوله ﷺ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء1) .

جاء في تفسير الجلالين : { سُبْحَانَ } أي: تنزيه { الذي أسرى بعبدِهِ } محمد ﷺ { لَيْلًا } { نصب على الظرف ، والإسراء : سير الليل ، وفائدة ذكره الإشارة بتنكيره إلى تقليل مدته { مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } أي: مكة { إلى المسجد الأقصى } بيت المقدس لبُعده منه { الذي باركنا حَوْلَهُ } بالثمار والأنهار { لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا } عجائب قدرتنا { إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } أي: العالم بأقوال النبي ﷺ وأفعاله ، فأنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء وعروجه إلى السماء ورؤية عجائب الملكوت ومناجاته له تعالى . اهـ

4- قوله ﷺ : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ ﴾ (الرعد 38) ، (غافر 78) .

أي : ما من رسولٍ أرسله الله ﷻ إلا وله معجزة ، وهذه المعجزة تكون بإذنه ﷻ ، ويشهد القرآن المجيدُ على أن محمداً ﷺ رسول من عند الله ﷻ ؛ إِذَا له معجزات ﷻ وذلك في عدة مواضع منها :

1- قوله ﷺ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران 144) .

2- قوله ﷺ: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب 40) .

3- قوله ﷺ: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح 29) .

ألخص ما سبق وأقول : إن القرآن ينص صراحةً على أن للنبي ﷺ معجزات ، مثل : القرآن الكريم ذاته ، وانشقاق القمر ، والإسراء والمعراج ، وينص كذلك أن الرسل تأتي بالمعجزات ومنهم محمد ﷺ... وعليه: ثبت عكس ادعائهم ، وظهر جهلهم - بفضل الله ﷻ - .

ثانياً : إن استدلالهم ببعض الآيات التي تعلقوا بها ، وهي أن المشركين سألوا رسول الله ﷺ آيات (معجزات) فكان لا يجيبهم ؛ لأنه لا يستطيع فعل ذلك استدلال باطل ؛ لأن المشركين في تلك الآيات سألوا النبي ﷺ المعجزات على سبيل التعجيز له ، والسخرية منه أحياناً ، فتراهم يطلبون أمثال هذه المعجزات مع إعراضهم عن المعجزات الأخرى له ﷺ فكلما رأوا معجزة يقولون : " سحر مستمر " أو " ساحر مبين "....

فحتى لو نزلت هذه الآيات ، فسوف يعيدون القول في الطلب ، ولن يؤمنوا به ﷺ ، فحينها يهلكهم الله ﷻ كما أهلك الذين من قبلهم ، وعليه فعدم حصول تلك المعجزات رحمة لهم حتى لا يهلكوا ؛ لأن الله ﷻ علم بعلمه القديم أنهم لن يؤمنوا بها ، هذا واضح من قوله ﷻ

: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾ 90 ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴾ 91 ﴿ أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثْلَ الْكَافِرِينَ ﴾ 92 ﴿ أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ بِآيَاتٍ كَذِبٍ ﴾ 93 ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (الإسراء) .

جاء في تفسير الشنقيطي - رحمه الله - : بين - جلّ وعلا- في هذه الآيات الكريمة شدة عناد الكفار وتعنتهم ، وكثرة اقتراحاتهم لأجل التعنت لا لطلب الحق . فذكر أنهم قالوا له ﷺ: إنهم لن يؤمنوا له - أي: لن يصدقوه - حتى يفجر لهم من الأرض ينبوعاً . وهو يفعل من نبع : أي : ماء غزير . ومنه قوله تعالى : { فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ } [الزمر 21] { أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ } أي : بستان من نخيل وعنب . فيجر خلالها ، أي وسطها أنهاراً من الماء ، أو يسقط السماء عليهم كسفاً : أي قطعاً كما زعم . أي : في قوله تعالى : { إِنْ نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ } [سبأ 9] الآية . أو يأتيهم بالله والملائكة قبيلاً : أي معاينة . قال قتادة وابن جريج « كقوله : { لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ نُفَصِّلُ لَكَ آيَاتِنَا } [الفرقان 21] . وقال بعض العلماء : قبيلاً : أي : كقبيلة . من قبله بكذا : إذا كفله به . والقبيل والكفيل والزعيم بمعنى واحد . وقال الزمخشري قبيلاً : بما تقول ، شاهداً بصحته . وكون القبيل في هذه الآية بمعنى الكفل مروى عن ابن عباس والضحاك . وقال مقاتل : { قبيلاً } شهيداً . وقال مجاهد : هو جمع قبيلة . أي: تأتي بأصناف الملائكة . وعلى هذا القول فهو حال من الملائكة ، أو يكون له بيت من زخرف : أي : من ذهب : ومنه قوله « في الزخرف » : { وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ } [الزخرف 33] إلى قوله { وَزُخْرَفًا } [الزخرف 35] أي: ذهباً . أو يرقى في السماء : أي يصعد فيه ، وإنهم لن يؤمنوا لرقيه : أي: من أجل صعوده ، حتى ينزل عليهم كتاباً يقرؤونه . وهذا التعنت والعناد العظيم الذي ذكره جلّ وعلا عن الكفار هنا بينه في

مواضع آخر . وبين أنهم لو فعل الله ما اقترحوا ما آمنوا . لأن من سبق عليه الشقاء لا يؤمن . كقوله تعالى : { وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ } [الأنعام 7] ، وقوله : { وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } [الأنعام 111] ، وقوله : { وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ } [الحجر 14-15] ، وقوله : { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } [الأنعام 109] ، وقوله : { إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } [يونس 9-97] ، والآيات بمثل هذا كثيرة .

وقوله في هذه الآية { كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ } أي: كتاباً من الله إلى كل رجل منا . ويوضح هذا قوله تعالى « في المدثر » : { بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشِئَةً } [المدثر 52] كما يشير إليه قوله تعالى : { وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ } [الأنعام 124] الآية . وقوله في هذه الآية الكريمة : { قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا } أي: تنزيهاً لربي جل وعلى عن كل ما لا يليق بهن ويدخل فيه تنزيهه عن العجز عن فعل ما اقترحتهم . فهم قادر على كل شيء ، لا يعجزه شيء ، وأنا بشر أتبع ما يوحيه إلي ربي .

وبين هذا المعنى في مواضع أخرى كقوله : { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } [الكهف 110] ، وقوله : { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ } [فصلت 6] الآية . وكقوله تعالى عن جميع الرسل : { قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } [إبراهيم 11] إلى غير ذلك من الآيات . اهـ

وأما عن قوله ﷺ : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ (الإسراء 59)

يُفَصِّلُ مع قوله ﷺ عن المشركين : ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ (الأنبياء 5).

وذلك من خلال ما جاء في تفسير الشنقيطي - رحمه الله - : قوله ﷺ : { فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ } .

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الكفار اقترحوا على نبينا أن يأتيهم بآية كآيات الرسل قبله . نحو ناقة صالح ، وعصى موسى ، وريح سليمان ، وإحياء عيسى للأموات وإبرائه الأكمه والأبرص ، ونحو ذلك . وإيضاح وجه التشبيه في قوله: { كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ } هو أنه في معنى : كما أتى الأولون بالآيات؛ لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات . فقولك أرسل محمد ﷺ بالمعجزة . وقد بين ﷺ أن الآيات التي اقترحوها لو جاءتهم ما آمنوا وأنها لو جاءتهم وتمادوا على كفرهم أهلكهم الله بعذاب مستأصل . كما أهلك قوم صالح لما عقروا الناقة . كقوله تعالى: { وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا } [الإسراء 59] الآية ، وكقوله تعالى : { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } [الأنعام 109] . وأشار إلى ذلك هنا في قوله : { مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ } [الأنبياء 6] يعني أن الأمم الذين اقترحوا الآيات من قبلهم وجاءتهم رسلهم بما اقترحوا ، لم يؤمنوا بل تمادوا فأهلكهم الله وأنتم أشد منهم عُتُوًّا وَعِنَادًا . فلو جاءكم ما اقترحتم ، ما آمنتم ، فهلكتم كما هلكوا . وقال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ } [يونس 96-97] إلى غير ذلك من الآيات . وبين أنهم جاءتهم آية هي أعظم الآيات ، فيستحق من لم يكتف بها التقريع والتوبيخ ، وذلك في قوله: { وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ } [العنكبوت 50-51] الآية . وقد ذكرنا أن هذا المعنى يشير إليه قوله : { وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِنَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصَّحَفِ الْأُولَى } [طه 133] . اهـ

نلاحظ : أن المشركين طلبوا معجزات مستحيلة شرعاً كقولهم : ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ (البقرة 118) .

وَقَدْ أَجَابَهُمُ اللَّهُ ﷻ عَلَى طَلِبِهِمْ لِهَذِهِ الْآيَاتِ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام 109) .

وبقوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام 37).

ثم تكررت أسألتهم في هذا الشأن (طلب المعجزة) **كما في قوله ﷺ** : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ 50 ﴿ وبعدها كان الجواب من رب العالمين مباشرة لهم لما قال ﷺ **لنبيّه ﷺ** : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ 51 ﴾ (العنكبوت) . أولم تكفهم معجزة القرآن الكريم واضحة لهم ؟!

وأجابهم ﷺ أيضاً بقوله: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (133) ﴾ (طه). أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ معجزة القرآن تكفيهم؟!

يقول الشنقيطي - رحمه الله - في تفسيره : وهي هذا القرآن العظيم ، لأنه آية هي أعظم الآيات وأدلها على الإعجاز ؛ وإنما عبر عن هذا القرآن العظيم بأنه بينة ما في الصحف الأولى ؛ لأن القرآن برهان قاطع على صحة جميع الكتب المنزلة من الله تعالى ، فهو بينة واضحة على صدقها وصحتها : كما قال تعالى: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ } [المائدة 48] ، وقال تعالى : { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } [النمل 76] ، وقال تعالى : { قُلْ فَاتَوْا بِالْتَوْرَةِ فَاتْلَوْهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [آل عمران 93] إلى غير ذلك

من الآيات. وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية على هذا التفسير الذي هو الأظهر أوضحه - جل وعلا- في سورة « العنكبوت » في قوله تعالى : { وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [العنكبوت : 50-51] .
فقله في « العنكبوت » : { أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ } هو معنى قوله في « طه » : { أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصَّحْفِ الْأُولَى } [طه 133] كما أوضحنا ، والعلم عند الله تعالى ، ويزيد ذلك إيضاحاً الحديث المتفق عليه : « ما من نبي من الأنبياء إلا أوتي ما آمن البشر على مثله ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » . اهـ

ثالثاً: إن معجزات النبي جاءت متواترة ، وكثيرة لا تكاد تحصى ، وكذلك نبوءاته ﷺ وقد كتبت المجلدات الضخمة عن معجزات النبي ﷺ ، مثل: دلائل النبوة للبيهقي ، ولأبي نعيم ، ومعجزات الرسول لابن كثير ، ومعظمها بسند متصل ، وقبل أن أذكر بعض هذه المعجزات ؛ أقول : إن المعجزات في الكتاب المقدس ليس لها سند واحد متصل ، وكلها من أخبار الآحاد التي لا تثبت حدوثها ، ولم نجد دليلاً واحداً يثبت قطعاً أن تلك المعجزات قد حدثت بالفعل ؛ ربما هم يؤمنون بحدوث تلك المعجزات فقط ؛ لأنها وردت في الأنجيل ، أو الكتب السابقة ، وحينها نسأل أسئلة لا يجاب عليها ، منها ما يلي :

- 1- أين سند هذه الكتب ؟
- 2- كيف نتق أن كل ما في هذه الكتب صحيح ؟
- 3- من الذي نقل لنا هذه الكتب ؟
- 4- كيف نثبت مثلاً أن متى الحواري هو كاتب إنجيل متى بالفعل، بينما نجد أن ما في إنجيل متى ينفي كون الحواري متى هو كاتبه...؟ وهل لوقا من حوارى المسيح ؟.....

5- ما هو الاسم الثلاثي لأي واحدٍ من كتبةِ الأناجيل.....؟!؟

والآن أذكرُ بعضَ من معجزاتِ النبي ﷺ التي فاقت ألف معجزة، وأكثرها متواترة معنوياً ومتصلة السند منها :

- 1- القرآن الكريم أول معجزاته ﷺ .
 - 2- آتاه الله جوامعَ الكلم ، وذلك في صحيح مسلم .
 - 3- نطقُ الجماداتِ بين يديه ، وشهادتها له بالرسالة ، وذلك في صحيح البخاري ، ومسلم .
 - 4- انشفاق القمر له ، وذلك في القرآن الكريم ، وصحيح البخاري ، ومسلم .
 - 5- شفى عدداً كبيراً من المرضى بدعائه أو بلمسه ، مثل : عبد الله بن عتيك ، قتادة بن النعمان
 - 6- شاة عجوز لم تلد حلبت اللبن حين مسّ ضرعها بيده الشريفة ، وذلك في مسند أحمد .
 - 7- الماء نبع من بين أصابعه ، وذلك في صحيح البخاري ، ومسلم .
 - 8- الجذعُ حنّ لفراقه ، ونطقُ أمام أصحابه ﷺ ، وذلك في صحيح البخاري ومسلم... .
 - 9- وثبت أكثر من ذلك في كتبِ السنةِ الصحيحةِ ، وكتبِ السيرة ، والكتب التي أشرتُ إليها
- ومن النبوءاتِ والأخبارِ الصحيحةِ الإسناد التي حدثت بعده ﷺ كثيرة جداً أذكر منها ما يلي:

1- أخبر ﷺ الصحابة ﷺ بفتح بيت المقدس ، واليمن ، والشام ، والعراق ، ومصر ، والقسطنطينية ... وقد وقع ما أخبر به ﷺ.

2- أخبر ﷺ أن الأمن يسود حتى يصير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ، وقد وقع ما أخبر به ﷺ .

3- أخبر ﷺ أن خيبر تفتح على يد عليّ ﷺ في غد يومه ، وقد فتحت على يد عليّ ﷺ كما أخبر ﷺ .

4 - أخبر ﷺ أن المسلمين يقسمون كنوز ملك فارس وملك الروم ، وقد فتح المسلمون تلك البلاد ، وقسموا كنوز وملوكها كما أخبر ﷺ ، فأخذ سراقه بن مالك ﷺ وغيره ما وعدهم به النبي ﷺ .

5- أخبر ﷺ أن عمار ﷺ تقتله الفئة الباغية ؛ فقتله أصحاب معاوية ﷺ فوقع كما أخبر النبي ﷺ.

6- أخبر ﷺ أن فاطمة بنت النبي ﷺ أول أهله لحوقاً به بعد موته ، فماتت - رضي الله عنها - بعد ستة أشهر من وفاته ﷺ ؛ فكانت أول آل بيت النبي ﷺ وفاة بعده ﷺ .

7- أخبر ﷺ أن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - سيد يصلح الله على يده بين فئتين من المسلمين يقتتلان ، وقد حدث ما أخبر به ﷺ

وأخبر عن أنباء الماضي (الأمم السابقة) ... حكى ﷺ عن آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، ويعقوب ومريم أم المسيح ، والمسيح ، و موسى ، وأهل مدين ، والمؤتفكات ، وقوم تبع ، وأصحاب الرس ، وثمود ، وعاد ، وفرعون ، وقوم لوط ... رغم أنه ﷺ كان أمياً لم يكن يعرف القراءة والكتابة ﷺ ، ولم يخرج من بين شعاب مكة ، ولم يركب البحر قط ؛ وما حكاه ﷺ عنهم لا يتوافق مع حكايات أهل الكتاب إلا قليلاً ؛ حتى لا يقال: إن محمداً ﷺ أخذ منهم ... ومن شاء فليقرأ ويقارن ؛ يدل على ذلك قوله ﷺ : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (49) (هود) .

وأخيراً أقول : ما جاء نبيُّ بمعجزةٍ إلا جاء محمدٌ ﷺ بمثلها ، أو بأفضل منها ، فعلى سبيل المثال:

سليمانُ عليه السلام ركبَ الريحَ ، ومحمدٌ ﷺ ركبَ البراقَ وصعدَ إلى السماوات ؛ المسيحُ عليه السلام أحيَا الموتى ، ومحمدٌ ﷺ كذلك ، وذلك في قصة الشاة التي ذُبحت ، وسلُخت ، وقطعت ، وطبخت ، ثم تكلمت بعد ذلك ؛ راجع المعجم الكبير للطبراني برقم 1189. المسيحُ عليه السلام شفى مرضى ، ومحمدٌ ﷺ كذلك ...

ثم إن كلَّ نبيٍّ يموتُ تموت معه تلك المعجزة التي جاء بها إلا معجزة محمدٍ ﷺ هي الباقية (القرآن الكريم) ، بها ينفرد ﷺ عن أي معجزةٍ فعلها أي نبيٍّ أو رسولٍ غيره ؛ إنها المعجزة الخالدة الباقية حتى بعد وفاته ﷺ...

رابعاً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه هو: أنني أفترض جدلاً أن القرآن الكريم لم يثبت للنبيِّ ﷺ أي معجزات ، وأنه ﷺ لم يأت بمعجزةٍ واحدةٍ ، فهل هذا يقدر في نبوته ﷺ نظراً لمعايير النبوة في الكتاب المقدس ؟!

الجواب : إن لم يأت محمدٌ ﷺ بمعجزةٍ واحدةٍ فهذا لا يقدر في نبوته ؛ لأن يوحنا المعمدان (يحيى) قال عنه إنجيل متى : " يوحنا عند الجميع نبي " (متى 26/21) . وفي موضعٍ آخر " أفضل من نبي " (متى 9/11) ، ورغم ذلك لم يأت بمعجزةٍ واحدةٍ ؛ جاء ذلك في إنجيل يوحنا اصحاح 10 عدد 41 فَأَتَى إِلَيْهِ كَثِيرُونَ وَقَالُوا: «إِنَّ يُوْحَنَّا لَمْ يَفْعَلْ آيَةً وَاحِدَةً، وَلَكِنْ كُلُّ مَا قَالَهُ يُوْحَنَّا عَنْ هَذَا كَانَ حَقًّا». 42 فَأَمَّنَ كَثِيرُونَ بِهِ هُنَاكَ.

وَبَيَّنْتَ الْأَنَاجِيلُ أَنَّ الْمَعْجَزَةَ لَيْسَتْ شَرْطًا لِلنَّبُوَّةِ ، فَقَدْ يَفْعَلُهَا أَنْبِيَاءُ كَذِبَةٍ كَمَا قَالَ يَسُوعُ فِي
إِنْجِيلِ مَتَّى إِصْحَاحِ 24 عَدَدٍ 24²⁴ لِأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذِبَةٍ وَأَنْبِيَاءُ كَذِبَةٍ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً
وَعَجَائِبَ، حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمَكْنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا. ²⁵ هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ .

يَتَبَرَأُ مِنْهُمْ (الْأَنْبِيَاءُ الْكَذِبَةِ) يَسُوعُ الْمَسِيحُ يَوْمَ الدِّينُونَةِ (الْحِسَابِ) ، وَذَلِكَ فِي إِنْجِيلِ مَتَّى
إِصْحَاحِ 7 عَدَدٍ 22²² كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنْبَأْنَا،
وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ ²³ فَحِينَئِذٍ أَصْرَحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ
قَطُّ! أَذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الْإِثْمِ!

وَأَتَسَاءَلُ : أَلَمْ يُسَأَلْ يَسُوعُ نَفْسَهُ مِنَ الْيَهُودِ أَمْثَالُ تِلْكَ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي سَأَلَهَا الْمَشْرُكُونَ لِلنَّبِيِّ
ﷺ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ؟

الْجَوَابُ : بَلَى ، وَكَانَ يَسُوعُ لَمْ يَكُنْ يَجِيبُهُمْ إِلَيْهَا ؛ نَجِدُ ذَلِكَ فِي إِنْجِيلِ مَرْقَسِ إِصْحَاحِ
8 عَدَدٍ 11¹¹ فَخَرَجَ الْفَرِّسِيُّونَ وَابْتَدَأُوا يُحَاوِرُونَهُ طَالِبِينَ مِنْهُ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ، لِكَيْ يُجَرِّبُوهُ.
¹² فَتَنَّهُدَ بِرُوحِهِ وَقَالَ: «لِمَاذَا يَطْلُبُ هَذَا الْجِيلُ آيَةً؟ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَنْ يُعْطَى هَذَا الْجِيلُ
آيَةً!» ¹³ ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَدَخَلَ أَيْضًا السَّفِينَةَ وَمَضَى إِلَى الْعَبْرِ.

وَلَمَّا سَأَلَهُ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّسِيُّونَ عَنْ مَعْجَزَةٍ قَالَ لَهُمْ : " جِيلٌ شَرِيرٌ وَفَاسِقٌ !"
جَاءَ ذَلِكَ فِي إِنْجِيلِ مَتَّى إِصْحَاحِ 12 عَدَدٍ 38³⁸ حِينَئِذٍ أَجَابَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّسِيِّينَ
قَائِلِينَ : «يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً». ³⁹ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «جِيلٌ شَرِيرٌ وَفَاسِقٌ
يَطْلُبُ آيَةً، وَلَا تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلَّا آيَةُ يُونَانَ النَّبِيِّ.

وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ إِنْجِيلِ مَتَّى إِصْحَاحِ 16 عَدَدٍ 1¹ وَجَاءَ إِلَيْهِ الْفَرِّسِيُّونَ وَالصَّدُوقِيُّونَ
لِيَجَرِّبُوهُ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ. ² فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «إِذَا كَانَ الْمَسَاءُ قُلْتُمْ: صَحُوْ

لَأَنَّ السَّمَاءَ مُحَمَّرَةٌ. 3 وَفِي الصَّبَاحِ: الْيَوْمَ شَتَاءٌ لِأَنَّ السَّمَاءَ مُحَمَّرَةً بِعُبُوسَةٍ. يَا مُرَاوُونَ! تَعْرِفُونَ أَنْ تُمَيِّزُوا وَجْهَ السَّمَاءِ، وَأَمَّا عَلَامَاتُ الْأَزْمِنَةِ فَلَا تَسْتَطِيعُونَ! 4 جِيلٌ شَرِيرٌ فَاسِقٌ يَلْتَمِسُ آيَةً، وَلَا تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلَّا آيَةُ يُونَانَ النَّبِيِّ». ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَمَضَى.

كذلك لما جرب الشيطان يسوع قائلاً له : " إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب : إنه يوصي ملائكته بك... قال له يسوع : مكتوب أيضاً لا تجرب إلهك " (متى 4/6-7) .

نلاحظ : أن يسوع لم يصنع تلك المعجزة التي طلبها الشيطان منه !
ثم إن الأعجب من شبهتهم هذه إن الأناجيل نفسها ذكرت أن المسيح ﷺ صنع المعجزات - بإذن الله - وليس من تلقاء نفسه ؛ نجد ذلك في الآتي :

1- يسوع لا يقدر أن يفعل من نفسه شيئاً بل بإذن الله يقدر ؛ جاء ذلك في إنجيل يوحنا إصحاح 5 عدد 30³⁰ أَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدِينُونَنِي عَادِلَةً، لِأَنِّي لَا أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الْآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي.

2-

نلاحظ : أن يسوع المسيح ﷺ لا يستطيع أن يفعل من نفسه شيئاً ؛ بل بإذن الله يفعل كما أخبر القرآن الكريم : ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ﴾ (الرعد 38).

وصرح بذلك في موضع آخر من إنجيل متى إصحاح 11 عدد 27²⁷ كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الْابْنَ إِلَّا الْآبُ، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبَ إِلَّا الْابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الْابْنَ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ.

3- يسوع أحيا الميت (لعازر) بإذن الله ؛ جاء في إنجيل يوحنا إصحاح 11 عدد 41⁴¹ قَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيِّتُ مَوْضُوعًا ، وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ ، وَقَالَ: «أَيُّهَا الْآبُ، أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي».

نلاحظ من النصوص : أنه ﷺ كان يدعو الله ليحييه (لعازر) ، ويرفع بصره إلى السماء ليشكر الله على سماعه لدعائه ، وعلى تأييده بالمعجزات ؛ ليشهد الجمع الواقف على أنه رسول من عنده ﷺ مرسل ..

هكذا فهم الناس في زمانه ، فلم يقولوا : إنه إله كما يزعم المعترضون اليوم والأمس ؛ جاء في إنجيل يوحنا إصحاح 6 عدد 14¹⁴ فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الْآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: «إِنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الْآتِي إِلَى الْعَالَمِ!» .

4- يقول بطرس الرسول : " أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هَذِهِ الْأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرَّهَنَ لَكُمْ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ". (أعمال 2 / 22). وهذا ما أكدته النصوص الإنجيلية ، ونقلته عن المسيح ، فعندما فعل المسيح بعض المعجزات كان يؤكد أنها من عند الله ﷻ ، ولم ينسبها إلى نفسه ؛ قال: " أنا بروح الله أخرج الشياطين . (متى 12/28) ، وقال : " كنت بإصبع الله أخرج الشياطين " (لوقا 11/20).

ثم إن الأعجب مما سبق هو ما ذكره كاتب إنجيل مرقس في الإصحاح 6 عدد 5⁵ وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصْنَعَ هُنَاكَ وَلَا قُوَّةً وَاحِدَةً ، غَيْرَ أَنَّهُ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى مَرْضَى قَلِيلِينَ فَشَفَاهُمْ.

حتى أن البعض شكك في نبوته بسبب قلة معجزاته ؛ جاء ذلك في إنجيل يوحنا إصحاح 7 عدد 31³¹ فَأَمَّنَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنَ الْجَمْعِ، وَقَالُوا: «أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مَتَى جَاءَ يَعْمَلُ آيَاتٍ أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الَّتِي عَمَلَهَا هَذَا؟».

قلتُ : إنَّ الثَّابِتَ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ ﷺ كَانَ مُؤَيِّدًا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ بِالْمُعْجَزَاتِ ، وَهَذَا مَعْتَقِدُنَا أَنَّهُ ﷺ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ مُعْجَزَةً مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ بَلْ بِإِذْنِ اللَّهِ كَمَا كَانَ مِنْ نَبِيِّنَا ﷺ .

رد شبهة : نبيُّ تَخْلُو الكُتُب المقدسة عن البشارة به !

زعموا أنَّ مُحَمَّدًا ﷺ ليس برسولٍ ، وبنوا هذا الزعم على أنَّ الكُتُبَ السابقة : التَّوْرَةَ ومُلْحَقَاتِهَا وَالْأَنْجِيلَ خَلَتْ مِنَ الْبَشَارَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَقَالُوا عَنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ... ﴾ (الأعراف 157) .

ليس مكتوباً عندنا أين هو مكتوب عندنا ؟!

ثم سألوا قائلين : ومن يشهد له من علماء اليهود والمسيحيين بنبوته ؟!

الرد على الشبهة

أولاً: إنَّ البَشَارَاتِ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْكُتُبِ الْمَقْدَسَةِ ثَابِتَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ؛ فَقَدْ أَكَّدَتْ نصوصُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَجُودَ الْبَشَارَةِ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي كَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ فِي التَّوْرَةِ، وَالْإِنْجِيلِ ؛ بِالرُّغْمِ مِمَّا تَعَرَّضَتْ لَهُ هَذِهِ الْكُتُبُ مِنْ زِيَادَةٍ وَنَقْصَانٍ وَتَبْدِيلٍ ؛ أَعْنِي

تحريف , إلا أنه لا يزال بها بعض من دلائل نبوة رسول الله ﷺ . وهذا ما سوف أثبتته -
إن شاء الله ﷻ - أقوم بذكر بعض هذه البشارات به ﷺ , رداً على قولهم : ليس مكتوباً
عندنا أين هو مكتوب عندنا ؟! وذلك من كتبهم التي يؤمنون بها علماً بأننا نجد أن الله ﷻ
بين أن الإخبار به ﷻ في كتب أهل الكتاب من أعظم أدلة صدقه , وصحة نبوته ﷺ...

يقول الله ﷻ : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَإِنْجِيلٍ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبَائِثَ... ﴾ (الأعراف 157) .

جاء في التفسير الميسر : هذه الرحمة سأكتبها للذين يخافون الله ويجتنبون معاصيه,
ويتبعون الرسول النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب, وهو محمد ﷺ , الذي يجدون صفته
وأمره مكتوبين عندهم في التوراة والإنجيل . اهـ

أولاً : البشارات من العهد القديم أذكر منها ما يلي :

البشارة الأولى :

جاءت في سفر إشعياء إصحاح 29 عدد 12 أو يُدْفَعُ الْكِتَابُ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَيَقَالُ
لَهُ : « أَقْرَأْ هَذَا » فَيَقُولُ : « لَا أَعْرِفُ الْكِتَابَةَ » .
النص في التراجم الإنجليزية " يقال له : اقرأ ، فيقول : لا أعرف القراءة " أو " لم أتعلم
القراءة " , وهذا هو الأقرب للصحة فمن غير المعقول أن تطلب من أحد القراءة فيقول لك "

أنا لا أعرف الكتابة " , ولكن الطبيعي أن يقول : " أنا لا أعرف القراءة " أو " أنا لست متعلماً " !.

فالصحيح هو ما جاء في ترجمة كتاب الحياة: " إشعياء 29 : 12 وَعِنْدَمَا يُنْأَوِلُونَهُ لِمَنْ يَجْهَلُ الْقِرَاءَةَ قَائِلِينَ : اقْرَأْ هَذَا، يُجِيبُ: لَا أَسْتَطِيعُ الْقِرَاءَةَ " .

وهذا ما ثبت في صحيح البخاري باب (بدء الوحي) برقم 3.

رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ . وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزَعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لَذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ . قَالَ: " مَا أَنَا بِقَارِئٍ " قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ . قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ . فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ . فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ . فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ ، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادَهُ.....

البشارة الثانية :

هي قول الرب ﷻ لموسى ﷻ في سفر التثنية إصحاح 18 عدد 13 أَقِيمْ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلْ كَلَامِي فِي فَمِهِ، فَيَكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أَوْصِيَهُ بِهِ. 19 وَيَكُونُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لِكَلَامِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أَطَالِبُهُ. 20 وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلَامًا لَمْ أَوْصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمْ بِهِ، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ إِلَهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذَلِكَ النَّبِيُّ .

من المعلوم أن أبناء إبراهيم ﷻ هما : إسماعيل وإسحاق , وقد جاء كل الأنبياء من ذرية إسحاق بداية من ابنه يعقوب (إسرائيل) , نهاية بالمسيح ﷻ ولم تأت نبوة واحدة من نسل إسماعيل - عليهم جميعا الصلاة السلام - .

فالعرب أولاد إسماعيل ؛ أخوة اليهود أولاد إسحاق، فحينما قال الله ﷻ لموسى: " أقيم لهم نبياً من إخوانهم "

أي : (ليس منهم)، فالمقصود من نسل إسماعيل ﷻ ، نلاحظ ذلك من خلال الرجوع إلى سفر التكوين إصحاح 25 عدد 17 وهذه سنو حياة إسماعيل: مئة وسبع وثلاثون سنة، وأسلم روحه ومات وأنضم إلى قومه. 18 وسكنوا من حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو أشور. أمام جميع إخوانه نزل.

نلاحظ : " أمام جميع إخوانه نزل "

العجيب أن المعارضين يزعمون أن المقصود بهذه النبوة هو المسيح ﷻ ! ولا شك أن هذا غير مقبول بحال من الأحوال كما سيتقدم معنا - إن شاء الله - .
النص يقول : " مثلك "

وأساءل : هل تنطبق هذه النبوة على المسيح ﷻ أم على محمد ﷺ ؟
الجواب : إن المثلية بين موسى و محمد - عليهما السلام - جلية جداً ؛ فموسى ﷻ يشبه محمداً ﷺ، ولا يشبه المسيح ﷻ أبداً وذلك من خلال النظر إلى عقيدة المعارضين ، وجزء كبير من عقيدتنا ؛ بيان ذلك في الآتي:

1- موسى ﷻ ولد من أب و أم . محمد ﷺ ولد من أب و أم .

بينما المسيح ﷻ ولد من أم بلا أب !

2- موسى ﷻ كان بشراً رسولاً.

محمد ﷺ كان بشراً رسولاً.

وهذا بخلاف حال المسيح ﷻ ، فإن المعارضين يؤمنون أنه هو الله نفسه !

3- موسى ﷻ تزوج ، و كانت له ذرية.

محمد ﷺ تزوج ، وكانت له ذرية.

بينما المسيح ﷺ بحسب اعتقاد المعتضيين لم يتزوج ، ولم تكن له ذرية .

4- موسى ﷺ أتاه الله كتاباً كاملاً موحى به منه ﷺ ؛ يحوى قصص الأنبياء، وأخبار الأمم السابقة و القادمة ، والوصايا ، والشرائع مثل : الطهارة والصلاة والصيام والمناسك والذبائح والحدود والزواج و الطلاق والميراث والجهاد...

محمد ﷺ أتاه الله كتاباً كاملاً موحى به منه ﷺ ؛ يحوى قصص الأنبياء ، وأخبار الأمم السابقة ، و القادمة ، والوصايا ، والشرائع مثل : الطهارة والصلاة والصيام والمناسك والذبائح والحدود والزواج والطلاق والميراث والجهاد...

بينما المسيح ﷺ لم تكن له شريعة ؛ بل جاء ببعض الوصايا مكملاً ، وتابعاً لشريعة موسى ﷺ والمقصود بالإنجيل: البشارة ، وهي بالنبى ﷺ جاء في إنجيل متى إصحاح 5 عدد¹⁷ «لَا تَتَنُحُّوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأُكَمِّلَ.

5- موسى ﷺ جاء بشريعة جديدة كاملة لقومه.

محمد ﷺ جاء بشريعة جديدة كاملة للعالمين .

بينما المسيح ﷺ قال : " مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأُكَمِّلَ " .

6- موسى ﷺ هاجر بقومه من أذى الكافرين؛ من مصر إلى حدود القدس.

محمد ﷺ هاجر بقومه من أذى الكافرين ؛ من مكة إلى المدينة.

بينما المسيح ﷺ لم يهاجر ، ولم يكن له أتباع كافين لنصرته هو نفسه ، وذلك بحسب نصوص الأناجيل التي منها: " فتركه الجميع وهربوا " . (مرقس 14/50).

7- موسى ﷺ حمل السيف ، وكان نبياً مجاهداً.

محمد ﷺ حمل السيف ، وكان نبياً مجاهداً.

بينما المسيح ﷺ جاء ليصلب بزعم المعتضيين .

8- موسى ﷺ دخل أتباعه الأرض بعد أن جاهدوا .

محمد ﷺ دخل الأرض بعد أن جاهد وفتحها هو أتباعه.

بينما المسيح ﷺ لم يجاهد ولم يفتح أرض.

9- موسى عليه السلام جاهد في سبيل الله ، وأقام دولةً حكمها بالشرعية ، وكان يملكُ على أتباعه.

محمد عليه السلام جاهد في سبيل الله ، و أقام دولةً حكمها بالشرعية ، وكان يملك على أتباعه. بينما المسيح عليه السلام لم يجاهد ، ولم يقيم دولة ، ولم يملك على قومِه بل قتلَه قومُه شر قتلة ؛ على الصليب ، وذلك بزعم معتقد المنصرين.

10- موسى عليه السلام هزم أعداءه وقهرهم .

محمد عليه السلام هزم أعداءه وقهرهم.

بينما المسيح عليه السلام هزمه أعداؤه وقتلوه مصلوباً كما يزعم المعترضون.

11- موسى عليه السلام ناصره أتباعه ، وجاهدوا معه، وضحوا بأنفسهم ؛ إلا المنافقين منهم.

محمد عليه السلام ناصره أتباعه ، وجاهدوا معه وضحوا بأنفسهم ؛ إلا المنافقين منهم.

بينما المسيح عليه السلام خذله أتباعه ؛ باعوه وسلموه ؛ أنكره بطرس ثلاث مرات (لوقا 16/22). وباعة يهوذا لليهود بثلاثين من الفضة (متى 26 / 15) . وذلك بزعم نصوص الأناجيل .

12- موسى عليه السلام حفظه الله ﷻ حتى أتم رسالته ثم توفاه مكرماً .

محمد عليه السلام حفظه الله ﷻ حتى أتم رسالته ثم توفاه مكرماً .

بينما المسيح عليه السلام قتل شر قتلة مصلوباً ملعوناً ! وذلك بزعم معتقد المعترضين ، والكتاب المقدس (غلاطية 3 / 13).

13- موسى عليه السلام مات ودُفن في الأرض .

محمد عليه السلام مات ودفن في الأرض .

بينما المسيح عليه السلام هو حيٌّ إلى الآن باتفاق الجميع إلا بعض المسلمين .

ثم إن آيات القرآن جاءت تحكى عن هذه المثلية التي بين موسى و محمد - عليهما السلام- تدلل على ذلك عدة أدلة منها :

1- قوله ﷺ : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ ﴾ (المزمل 15).

2- قوله ﷺ حاكياً عن الجن لما سمعوا القرآن الكريم : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴾ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (30) (الأحقاف) .

نلاحظ من قول الجن أنهم سمعوا كتاباً أنزل من بعد موسى عليه السلام ، ولم يقولوا أنزل من بعد عيسى عليه السلام علماً بأن الإنجيل بعد التوراة ، ولكن أشاروا إلى موسى عليه السلام نظراً لما وجدوه من المثلية والشمولية لمحتوى القرآن من القصص والعقائد والشرائع وبين توراة موسى .

2- قوله ﷺ : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّنَ الْأَحْزَابِ فَالْنَارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (17) (هود) .

-3

جاء في تفسير الجلالين : { أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ } بيان { مِّن رَّبِّهِ } وهو النبي ﷺ أو المؤمنون وهي القرآن { وَيَتْلُوهُ } يتبعه { شَاهِدٌ } له بصدقه { مِنْهُ } أي: من الله وهو جبريل { وَمِنْ قَبْلِهِ } أي: القرآن { كِتَابُ مُوسَى } التوراة شاهد له أيضاً { إِمَامًا وَرَحْمَةً } ؟ حال ، كمن ليس كذلك؟ لا { أُولَٰئِكَ } أي: من كان على بينة { يُؤْمِنُونَ بِهِ } أي: بالقرآن فلهم الجنة { وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّنَ الْأَحْزَابِ } جميع الكفار { فَالْنَارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ } شك { مِنْهُ } من القرآن { إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ } أي: أهل مكة { لَا يُؤْمِنُونَ } . اهـ

4- قوله ﷺ : ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ (12) (الأحقاف) .

جاء في تفسير الجلالين : { وَمِنْ قَبْلِهِ } أي: القرآن { كِتَابُ مُوسَى } أي: التوراة { إِمَامًا وَرَحْمَةً } للمؤمنين به حالان { وهذا } أي: القرآن { كِتَابٌ مُصَدِّقٌ } للكتب قبله { لِّسَانًا عَرَبِيًّا } حال من الضمير في مصدق { لِّئُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا } مشركي مكة { و } هو { بُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ } المؤمنين . اهـ

5- آيات القرآن تنزلت بقصص الأنبياء ؛ لتثبت فؤاده ﷺ لاسيما قصة موسى ﷺ وذلك لأن موسى ﷺ كان أقرب الأنبياء شبيهاً برسول الله ﷺ فقد كان أكثر الأنبياء ذكراً في القرآن الكريم ؛ جاء ذكره ﷺ فيه 136 مرة ؛ ليتأسى به رسول الله ﷺ ويتعلم من سيرته في مجاهدة الكافرين ، و سياسة قومه ، وهذا من حكمة منزل القرآن الحكيم العليم ﷺ ؛ جاء ذلك في عدة مواضع منها:

- 1- قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (69) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) ﴾ (الأحزاب).
- 3- قوله ﷺ : ﴿ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ﴾ (البقرة 108).
- 4-

ثم إن أول ما قاله ورقة بن نوفل حين أخبره رسول الله ﷺ بخبر الوحي قال : " هذا الناموس الذي أنزل على موسى ﷺ " . صحيح مسلم رقم 231 .

و ما وقع من بعض المسلمين الجدد مع رسول الله ﷺ في طريقهم إلى غزوة حنين ، قالوا : " يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط " ؛ كان للكفار سدره يعكفون حولها، ويعلقون بها أسلحتهم يدعونها ذات أنواط يتباركون بها ، فقال ﷺ : " الله أكبر، قُلتُم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم

آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون، لتركن سنن من كان قبلكم ". رواه أحمد في مسنده برقم 20892.

و كذلك لما تكلم بعض المنافقين في رسول الله ﷺ واتهموه في عدله ، تغير وجهه حزناً و غضباً ، و قال " رحم الله موسى أودي بأكثر من هذا فصبر ". رواه أحمد في مسنده برقم 3934.

ولما خرج النبي ﷺ لغزوة تبوك ، واستخلف على المدينة علي ﷺ ، عاب المنافقون علياً ﷺ بقولهم: خلفه مع النساء والصبيان استتقلا منه لعلي ، فلما أخبره علي ﷺ بذلك ، قال له ﷺ : " ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي ". صحيح البخاري رقم 4064 .

وكذلك لما استشار النبي ﷺ أصحابه ﷺ في أمر مقاتلة المشركين يوم بدر ؛ رد المقداد بن الأسود رداً جميلاً بين فيه أن أصحابه ليسوا كالمنافقين من قوم موسى ﷺ نظراً لتشابه المثلية في الموقف ، وذلك في صحيح البخاري برقم 3658 عن ابن مسعود قال : شَهِدْتُ مِنَ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ مَشْهُدًا لِأَنَّهُ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدَّ بِهِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ﴾ وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهَهُ وَسَرَّهُ يَعْنِي قَوْلَهُ.

وحين قُتِلَ أَبِي جَهْلٍ فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَاتَ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ". رواه أحمد في مسنده برقم 4025، وذلك تشبهاً بفِرْعَوْنَ مِصْرَ الَّذِي حَارَبَ مُوسَى ﷺ.

وعندما أُعْرِجَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَشُرِعَتِ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً ؛ كَانَ الَّذِي يَرُدُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَبِّهِ ﷻ هُوَ مُوسَى ﷺ فَظَلَّ يَتَرَدَّدُ ﷺ بَيْنَ اللَّهِ ﷻ وَبَيْنَهُ ﷻ لِتَصِلَ الصَّلَوَاتُ

بفضلِ الله ﷻ إلى خمسٍ في العددِ و خمسين في الأجر؛ و إنما أختص بموسى ﷺ بذلك دون غيره ؛ لأنه أشبه الناسِ حالاً برسولِ الله ﷺ في الإتيانِ بالشرِعةِ ، و تجربة حكم قومه بها ؛ لذا قال هو نفسه ﷺ في أثناء ذلك : " يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا، فضعفوا ، فتركوه " .

الخلاصة : أن المثلية بين رسولِ الله محمد ﷺ وموسى ﷺ لا تقبل المزايدة و المماراة في إثباتها.

ثم يقول النص : " وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ فَيَكَلِّمُهُمْ كُلُّ مَا أَوْصِيهِ بِهِ " وهذه إشارة إلى نزول القرآن مقروء على لسان رسولِ الله النبي الأُمي الكريم ﷺ ، ودلالة على الوحي اللفظي الذي لا يؤمن به إلا المسلمون...
قال ﷺ : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) ﴾ (النجم).

وقال ﷺ : ﴿ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنْ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) ﴾ (القيامة) .

وأما بالنسبة للمعترضين فلا يوجد في كتبهم إلا كلام بالمعنى ، وحكايات متضاربة بين الأنجيل الأربع في نفس الوقائع عن أقوال المسيح ﷺ...

ثم يقول النص : " وَيَكُونُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لِكَلَامِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ " . و هذه إشارة إلى قهره لأعدائه ، ووقوع الخزي عليهم ، كما كان من نبيِّنا ﷺ ؛ هزم قومه ، ومن عارضه حتى فتح الله ﷻ له ... تدل على ذلك أدلة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (التوبة 29).

2- قوله ﷺ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح 29).

4- قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ ﴾ (محمد 32).

5- قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ (المجادلة 20).

6- قال ﷺ : " وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري " . رواه أحمد في مسنده برقم 4869.

7- مكن الله لنبيه ﷺ وللصحابه الكرام ؓ حتى غيروا معالم الأرض بأيديهم ، ولم يتوفوا حتى أشهدهم الله نصره ، و فتحه ، ورأوا الناس يدخلون في دين الله أفواجا بفضلته ﷺ

...

و أخيراً يقول النص : " وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي ، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلَامًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ ، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى ، فَيَمُوتُ ذَلِكَ النَّبِيُّ " .

من المعلوم أن رسول الله ﷺ قد حفظه ربه ﷻ ، ولم يتوفه إلا بعدما أكمل رسالته غير منقوصة ؛ قال ﷺ : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة 3).

و جاء في شعب الإيمان للبيهقي برقم 9989 عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: " إنه ليس شيء يقربكم من الجنة ، ويباعدكم من النار إلا قد أمرتكم به ، وليس شيء يقربكم من النار ، ويباعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه ، وأن الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله ، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته " .

البشارة الثالثة :

جاء في سفر التثنية إصحاح 33 عدد¹ وهذه هي البركة التي بارك بها موسى، رجلُ الله، بني إسرائيل قبل موته، ²فَقَالَ: «جاء الربُّ من سيناء، وأشرقَ لهم من سعير، وتلألاً من جبلِ فاران، وأتى من ربواتِ القدس، وعن يمينه نارُ شريعةٍ لهم.

قال ابن القيم معلقاً على النصِّ تعليقاً جميلاً في كتابه : (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) قائلاً : في فصل الوجه الثاني قال في التوراة في السفر الخامس اقبل الله من سيناء وتجلى من ساعير وظهر من جبال فاران ومعه ربوات الاظهار عن يمينه وهذه متضمنة للنبوات الثلاثة نبوة موسى ونبوة عيسى ونبوة محمد ﷺ فمجيئه من سيناء وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ونبأه عليه إخبار عن نبوته وتجليه من ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس وساعير قرية معروفة هناك إلى اليوم وهذه بشارة بنبوة المسيح وفاران هي مكة وشبهه سبحانه نبوة موسى بمجيء الصبح ونبوة المسيح بعدها بإشراقه وضيائه ونبوة خاتم الأنبياء باستعلات الشمس وظهور ضوؤها في الآفاق ووقع الأمر كما أخبر به سواء فإن الله سبحانه صدع نبوة موسى ليل الكفر فاضاء فجره بنبوته وزاد الضياء والإشراق بنبوة المسيح وكمل الضياء واستعلن وطبق الأرض بنبوة محمد - صلوات الله وسلامه عليهم - وذكر هذه النبوات الثلاثة التي

اشتملت عليها هذه البشارة نظير ذكرها في أول سورة التين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين فذكر أمكنة هؤلاء الأنبياء وأرضهم التي خرجوا منها ﴿التين والزيتون﴾ والمراد بهما منبتها وأرضهما وهي الأرض المقدسة التي هي مظهر المسيح وطور سينين الجبل الذي كلم الله ﷺ فهو مظهر نبوته ﴿وهذا البلد الأمين﴾ مكة حرم الله وآمنه التي هي مظهر نبوة محمد -صلوات الله وسلامه عليهم- فهذه الثلاثة نظير تلك الثلاثة سواء قالت اليهود فاران هي أرض الشام وليست أرض الحجاز وليس هذا ببدع من بهتهم وتحريفهم وعندهم في التوراة أن إسماعيل لما فارق أباه سكن في برية فاران هكذا نطقت التوراة ولفظها وأقام إسماعيل في برية فاران وأنكحته أمه امرأة من جرهم ولا يشك علماء أهل الكتاب أن فاران مسكن لآل إسماعيل فقد تضمنت التوراة نبوة تنزل بأرض فاران وتضمنت نبوة تنزل على عظيم من ولد إسماعيل وتضمنت انتشار أمته وأتباعه حتى يملؤا السهل والجبل كما سنذكره -إن شاء الله تعالى- ولم يبق بعد هذا شبهة أصلاً أن هذه هي نبوة محمد ﷺ التي نزلت بفاران على أشرف ولد إسماعيل حتى ملأت الأرض ضياء ونورا وملاً أتباعه السهل والجبل ولا يكثر على الشعب الذي نطقت التوراة بأنهم عادموا الرأي والفتانة ينقسموا إلى جاهل بذلك وجاحد مكابر معاند ولفظ التوراة فيهم أنهم لشعب عادم الرأي وليس فيهم فتانة ويقال لهؤلاء المكابرين أي نبوة خرجت من الشام فاستعلت استعلاء ضياء الشمس وظهرت فوق ظهور النبوتين قبلها وهل هذا إلا بمنزلة مكابرة من يرى الشمس قد طلعت من الشرق فيغالط ويكابر ويقول بل طلعت من المغرب . اهـ

ثانياً : البشارات من العهد الجديد أذكر منها ما يلي :

1- محمد ﷺ هو المعزي الذي أخبر عنه المسيح ﷺ في الآتي :

1- إنجيل يوحنا 16 عدد⁵ «وَأَمَّا الْآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي: أَيْنَ تَمْضِي؟⁶ لَكِنْ لِأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هَذَا قَدْ مَلَأَ الْحُزْنَ قُلُوبَكُمْ.⁷ لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ

الْحَقُّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمُ الْمَعْرِي، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أَرْسَلُهُ إِلَيْكُمْ.⁸ وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يَبْغِتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دِينُونَةٍ.

-2

3- إنجيل يوحنا 14 عدد 15 «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ،¹⁶ وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فَيُعْطِيَكُمْ مَعْرِيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ،¹⁷ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآكُثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ.¹⁸ لَا أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي أَتِي إِلَيْكُمْ.....²⁶ وَأَمَّا الْمَعْرِي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سِيرَسَلُهُ الْآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يَعْلَمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ.

-4

2- إنجيل يوحنا 15 عدد 26 «وَمَتَى جَاءَ الْمَعْرِي الَّذِي سَأَرْسَلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبَتِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي.

-3

4- إنجيل يوحنا 16 عدد 12 «إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لَأَقُولَ لَكُمْ، وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الْآنَ.¹³ وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ.

-4

1- محمد ﷺ شهد للمسيح ﷺ ، وهذه بشارته له ﷺ ؛ جاء ذلك في الآتي :

-2

1- إنجيل يوحنا إصحاح 5 عدد 31 «إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقًّا.³² الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرُ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ الَّتِي يَشْهَدُهَا لِي هِيَ حَقٌّ .

محمد ﷺ هو الوحيد الذي شهد للمسيح ﷺ فقد أنكره اليهود ، واتهموه بأنه ولد زنا والعياذ بالله ، هذا واضح من إنجيل يوحنا إصحاح 8 عدد 41 أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ آبَائِكُمْ». فَقَالُوا لَهُ: «إِنَّا لَمْ نُولَدْ مِنْ زِنَا. لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ».

جاء الرسول ﷺ بقرآن يبرئ المسيح عيسى ﷺ وأمه من تلك التهمة ، وشهد لهما شهادة حق أنه نبي الله وعبد ورسوله ، وأن أمه صديقة ...

إن قيل : إن يسوع قال في نص آخر شهادتي حق .. ، وذلك في إنجيل يوحنا الإصحاح 8 عدد 14 أجاب يسوع وقال لهم: «وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق، لأنني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب. وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتي ولا إلى أين أذهب».

قلتُ : إن هذا من باب التناقض فالواجب عليهم بيانه !

3- إنجيل يوحنا في الإصحاح 16 عدد 13 وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية .

-4-

قلتُ : إن الملاحظ من النص أن المسيح ﷺ أخبرهم أن هناك من سيأتي بعده ليرشدكم إلى الحق ؛ فهو لا يتكلم من نفسه ، بل كما يسمع يتكلم ، ويخبر بأمر آتية ، وهذا لا ينطبق إلى على رسول الله ﷺ فهو المُخبر عن ربه ما يسمعه ، ولا يخبر بغير ما يسمع ؛ يقول ﷺ عن نبيه ﷺ : ﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيِي يُوحَى (4) عِلْمُهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ﴾ (النجم) .

ويقول ﷺ لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110) ﴾ (الكهف) .
وقد أخبر ﷺ بأمر آتية ، وحدثت كما تنبأ ﷺ ، وهي ثابتة في كتاب دلائل النبوة للبيهقي وغيره ، وأذكر منها ما يلي :

1- أخبر ﷺ الصحابة رضي الله عنهم بفتح بيت المقدس ، واليمن ، والشام ، والعراق ، ومصر ، والقسطنطينية... وقد وقع ما أخبر به ﷺ .

2- أخبر ﷺ أن الأمن يسود حتى يصير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ، وقد وقع ما أخبر به ﷺ .

3- أخبر ﷺ أن خير تفتح على يد عليٍّ ﷺ في غد يومه ، وقد فتحت على يد عليٍّ ﷺ كما أخبر ﷺ .

4 - أخبر ﷺ أن المسلمين يقسمون كنوز ملك فارس وملك الروم ، وقد فتح المسلمون تلك البلاد ، وقسموا كنوز وملوكها كما أخبر ﷺ ، فأخذ سراقه بن مالك ﷺ وغيره ما وعدهم به النبي ﷺ .

5- أخبر ﷺ أن عمار ﷺ تقتله الفئة الباغية ؛ فقتله أصحاب معاوية ﷺ فوق كما أخبر النبي ﷺ .

6- أخبر ﷺ أن فاطمة بنت النبي ﷺ أول أهله لحوقاً به بعد موته ، فماتت - رضي الله عنها - بعد ستة أشهر من وفاته ﷺ ؛ فكانت أول آل بيت النبي ﷺ وفاة بعده ﷺ .

7- أخبر ﷺ أن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - سيد يصلح الله على يده بين فئتين من المسلمين يقتتلان ، وقد حدث ما أخبر به ﷺ

3- محمد ﷺ هو الصادق الأمين .

جاء في رؤيا يوحنا إصحاح 19 عدد 11¹¹ ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضٌ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِينًا وَصَادِقًا، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيَحَارِبُ.

قُلْتُ : إن هذا النص فيه إشارة إلى الإسراء والمعراج لنبيِّنا ﷺ ؛ حيث فتحت السماء له ، وكان يركب البراق (فرس أبيض) ، وهو الصادق الأمين المعروف بذلك عند مشركي وكفار قريش ؛ فكانوا يسمون الرسول ﷺ قبل البعثة بالصادق الأمين ، ولا شك أنه يحكم بالعدل بين الناس ؛ فقد جاء ﷺ بقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58) ﴾ (النساء) .

وقال ﷺ لذي الخُوَيْصِرَةِ : " وَلَيْكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ".
رواه مسلمٌ في صحيحه برقم 1765 .

وكان ﷺ يحارب في سبيل تحقيق العدل الذي يحبه الله ، مثل : نصرته المستضعفين ، والدفاع عن دينه والبشارات كثيرة في الكتاب المقدس .

تنبيه هام : نذكر المعترضين بحقيقة هامة في غاية الخطورة ، هي أن الكتاب المقدس لا ينفي خروج نبي بعد المسيح ﷺ بل الثابت خلاف ذلك تماماً ، فقد وردت نصوص الإنجيل لتؤكد إمكانية خروج نبي بعد المسيح ﷺ منها :

1- قول المسيح ﷺ في إنجيل متى إصحاح 7 عدد 15 «اَحْتَرِزُوا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكَذِبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمَلَانِ، وَلَكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلِ ذُنَابٍ خَاطِفَةٍ!»¹⁶ مِنْ ثَمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ عِنَبًا، أَوْ مِنَ الْحَسَكِ تِينًا؟¹⁷ هَكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَارًا رَدِيَّةً،¹⁸ لَا تَقْدِرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، وَلَا شَجَرَةٌ رَدِيَّةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا جَيِّدَةً.¹⁹ كُلُّ شَجَرَةٍ لَا تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقَطَّعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ.²⁰ فَإِذَا مِنْ ثَمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ.

-2

3- قول كاتب رسالة يوحنا الأولى إصحاح 4 عدد 1 أَيْهَا الْأَحِبَّاءُ، لَا تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الْأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنْ اللَّهِ؟ لِأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذِبَةٍ كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ.² بِهَذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ اللَّهِ: كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنْ اللَّهِ.

-4

فالمدقق في هذه النصوص يجد الأقوال المنسوبة للمسيح وليوحنا لا تنفي خروج نبي صادق ؛ بل على العكس من ذلك تحذر من الأنبياء الكذبة، ثم تضع معايير للتمييز بين

النبي الصادق و الكاذب ، فلو أن كل نبي يأتي بعد المسيح يكون كذاباً لما قال من ثمارهم تعرفونهم ثم يسهب في بيان أن النبي الصادق تكون له ثمرة طيبة- وما أوضح هذا الأثر الباهر الذي تركه رسول الله ﷺ !

والشاهد : أن المسيح ﷺ لم يقل صراحة كل رسول يأتي بعدى سيكون كاذباً ؛ هذا بخلاف ما قاله رسول الله ﷺ **لعلي** : " إنه لا نبي بعدى " رواه البخاري في صحيحه برقم 4064.

ثم نلاحظ أيضاً : أن يوحنا أمر باختبار الأرواح أي : الأنبياء لمعرفة الصادق من الكاذب ، وأنه جعل مقياس النبي الصادق هو الذي يؤمن ببسوع المسيح ، وعليه **فمحمد** ﷺ يؤمن ببسوع المسيح رسولا نبياً بل ويؤمن أنه من أولي العزم من الرسل ﷺ ؛ قال ﷺ : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَتَى يُؤْفَكُونَ ﴾ (المائدة 75).

4- محمد ﷺ في إنجيل برنابا :

ذكر إنجيل برنابا اسم محمد ﷺ واضحاً ؛ لكنّ المعترضين لا يعترفون به فهو من أناجيل (الأبوكريفا) كما يدعون ، والتي قد قاربت نحو خمسين إنجيل؛ يدعون أنها أناجيل ليست صحيحة ، وأذكر تلك النصوص التي جاءت فيها البشارة به ﷺ من باب الأمانة العلمية ، وعموم الفائدة ... فاعتقادنا في هذا الإنجيل كغيره فيه الحق ، وفيه غير ذلك لكن هذا الإنجيل قريب الى قلبي ، وله أثر عظيم في حياتي

جاء فيه الآتي :

من الفصل الثاني والأربعون وهي سورة البشرى .

قالوا: إذا لم تكن مسياً و لا إيليا فلماذا تبشر بتعليم جديد و تجعل نفسك أعظم شأنًا من مسياً ؟

أجاب يسوع : إن الآيات التي يفعلها الله على يدي تظهر أنني أتكلّم بما يريد الله ، ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه ؛ لأنني لست أهلاً أن أحل رباطات سيور حذاء رسول الله. أي : الذي تسمّونه مسياً. الذي خلق قبلي وسيأتي بعدى ، وسيأتي بكلام الحق ، ولا يكون لدينه نهاية.

من الفصل السابع عشر و هي سورة الإخلاص .

قال فيليبس (أحد التلاميذ) لعيسى عليه السلام : ماذا تقول يا سيد حقاً لقد كتب في إشعياء أن الله أبونا فكيف لا يكون له بنون؟

أجاب يسوع أنه في الأنبياء مكتوب أمثال كثيرة لا يجب أن تأخذها بالحرف بل بالمعنى. لأن كل الأنبياء البالغين مئة و أربعة و أربعين ألفاً الذين أرسلهم الله إلى العالم قد تكلموا بالمعميات بظلام. و لكن سيأتي بعد بهاء كل الأنبياء والأطهار. فيشرق نوراً على ظلمات سائر ما قال الأنبياء ؛ لأنه رسول الله ، ولما قال هذا تنهّد يسوع و قال : ترأف بإسرائيل أيها الرب الإله ، وانظر بشفقة على إبراهيم و على ذريته لكي يخدموك بإخلاص قلب. فأجاب التلاميذ : ليكن كذلك الرب الإله.

من الفصل السادس و الثلاثين وهي سورة ترك الصلوات.

قال يسوع: و لكن الإنسان و قد جاء الأنبياء كلّهم إلا رسول الله ، الذي سيأتي بعدى لأن الله يريد ذلك حتى أهياً طريقه، يعيش بإهمال بدون خوف كأنه لا يوجد إله. مع أن له أمثلة لا عداد لها على عدل الله. فعن مثل هؤلاء قال داود النبي: قال الجاهل في قلبه ليس إله لذلك كانوا فاسدين وأمسوا رجسا دون أن يكون فيهم واحد يفعل صلاحاً.

من الفصل الثالث والأربعون و هي سورة خلق رسول الله.

حينئذ قال أندراوس : لقد حدثتنا بأشياء كثيرة عن مسياً، فتكرم بالتصريح لنا بكل شيء. فأجاب يسوع : كل من يعمل فإنما يعمل لغاية يجد فيها غنى. لذلك لأقول لكم : إن الله لمّا كان بالحقيقة كاملاً. لم يكن بحاجة إلى غنى ؛ لأن الغنى عنده نفسه. و هكذا لمّا أراد الله أن يعمل. خلق نفساً رسولاً قبل كل شيء. الذي لأجله قصد إلى خلق الكل. لكي

تجد الخلائق فرحا وبركة بالله. ويسرّ رسوله بكل خلائقه التي قدّر أن تكون عبيدا. و لماذا وهل كان هذا هكذا إلا لأن الله أراد ذلك ؟

الحق أقول لكم : إن كل نبي متى جاء فإنه إنما يحمل علامة رحمة الله لأمة واحدة فقط ، ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسل إليهم. و لكن رسول الله متى جاء. يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم، فيحمل خلاصا و رحمة للأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه، وسيأتي بقوة على الظالمين. و يبید عبادة الأصنام بحيث يخزي الشيطان؛ لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلا: {أنظر فإني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض و كما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطیما هكذا سيفعل نسلك}.

أجاب يعقوب: يا معلّم قل لنا مع من صنع هذا العهد ؟ فإن اليهود يقولون بإسحاق و الإسماعيليون يقولون بإسماعيل.

أجاب يسوع : ابن من كان داود و من أي ذرية؟

أجاب يعقوب : من إسحاق لأن إسحاق كان أبو يعقوب و يعقوب كان أبو يهوذا الذي من ذريته داود.

فأجاب يسوع : لا تغشوا أنفسكم ؛لأن داود يدعو في الروح ربّا قائلا هكذا: {قال الله لربي اجلس عن يميني حتى أجعل أعدائك موطنا لقدميك. يرسل الرب قضيبك الذي سيكون ذا سلطان في وسط أعدائك}. فإذا كان رسول الله الذي تسمونه مسيّا ابن داود فكيف يسميه ربا ؟ صدقوني لأنني أقول لكم الحق: إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق. الفصل الرابع والأربعون من سورة محمد رسول الله .

حينئذ قال التلاميذ : يا معلّم هكذا كتب في كتاب موسى أن العهد صنع بإسحاق.

أجاب يسوع متأوها : هذا هو المكتوب. و لكن موسى لم يكتبه و لا يسوع. بل أحبارنا الذين لا يخافون الله. الحق أقول لكم إنكم إذا عملتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون كذب كتبنا و فقهاؤنا. لأن الملاك قال: {يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله. ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله ؟. حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله}. أجاب إبراهيم : ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله.

فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً: {خذ ابنك برك إسماعيل و اصعد الجبل لتقدمه ذبيحة}. فكيف يكون إسحاق البكر وهو لما ولد وكان إسماعيل ابن سبع سنين؟ فقال حينئذ التلاميذ : إن خداع الفقهاء لجليّ. لذلك قل لنا أنت الحق لأننا نعلم أنك مرسل من الله.

فأجاب حينئذ يسوع : الحق أقول لكم إن الشيطان يحاول دائماً إبطال شريعة الله. فلذلك قد نجس هو وأتباعه والمراءون و صانعوا الشر كل شيء اليوم. الأولون بالتعليم الكاذب والآخرون بمعيشة الخلاعة. حتى لا يكاد يوجد الحق تقريباً. ويل للمرائين لأن مدح هذا العالم سينقلب عليهم إدانة و عذاباً في الجحيم. لذلك أقول لكم : إن رسول الله بهاء يسر كل ما صنع الله تقريباً؛ لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة، روح الحكمة و القوة ، روح الخوف والمحبة ، روح التبصر والاعتدال. مزدان بروح المحبة والرحمة ، روح العدل والتقوى ، روح اللطف و الصبر التي أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه. ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم. صدقوني إني رأيته و قدمت له الاحترام كما رآه كل نبي ؛ لأن الله يعطيهم روحه نبوة. و لما رأيته امتلأت عزاء قائلاً: {يا محمد ليكن الله وليجعلني أهلاً أن أحل سير حذائك}. لأنني إذا قلت هذا صرت نبياً عظيماً و قدوس الله. ثم قال يسوع : {إنه سر الله}.

من الفصل التاسع و الثلاثون و هي سورة آدم .

فلما انتصب آدم على قدميه. رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصّها: { لا إله إلا الله و محمد رسول الله }. ففتح آدم حينئذ فاه وقال: أشكرك أيها الرب إلهي لأنك تفضلت فخلقتني ، و لكن أضرع إليك أن تنبئني ما معنى هذه الكلمات { محمد رسول الله }؟ فأجاب الله : مرحباً بك يا عبادي يا آدم . واني أقول لك إنك أول إنسان خلقت. وهذا الذي رأيته هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة . و سيكون رسولي الذي لأجله خلقت كل الأشياء. الذي متى جاء سيعطي نورا للعالم. الذي كانت نفسه موضوعة في بهاء سماوي ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئاً. فتضرع آدم إلى الله قائلاً: يا رب هبني هذه الكتابة على أظفار أصابع يدي. فمنح الله الإنسان الأول تلك

الكتابة على إبهاميه. على ظفر إبهام اليد اليمنى ما نصّه { لا إله إلا الله } و على ظفر إبهام اليد اليسرى ما نصّه : { محمد رسول الله }. فقَبِلَ الإنسان الأول بحنان أبوي هذه الكلمات و مسح عينيه و قال : بورك اليوم الذي سوف تأتي فيه للعالم.

من الفصل الحادي والأربعون و هي سورة الجزاء.

حينئذ قال الله : انصرف أيها اللعين من حضرتي. فانصرف الشيطان. ثم قال الله لآدم و حواء اللذين كانا ينتحبان : أخرجنا من الجنة. و جاهدنا أبدانكما ولا يضعف رجائكما. لأنني سوف أرسل ابنكما على كيفية يمكن بها لذريّتكما أن ترفع سلطة الشيطان عن الجنس البشرى. لأنني سأعطي رسولي كل شيء. فاحتجب الله . وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس. فلما التفت آدم رأى مكتوبا فوق الباب { لا إله إلا الله محمد رسول الله }. فبكى عند ذلك وقال : أيها الابن عسى الله أن يريد أن تأتي سريعا و تخلصنا من هذا الشقاء.

من الفصل الخامس والثلاثين وهي سورة الملائكة .

سأل التلاميذ : يا معلم قل لنا كيف سقط الشيطان بكبريائه ؛ لأننا كنا نعلم أنه سقط بسبب العصيان ، ولأنه كان دائما يفتن الإنسان ليفعل شرا؟
أجاب يسوع : لما خلق الله كتلة من التراب. وتركها خمسا وعشرين ألف سنة بدون أن يفعل شيئا آخر. علم الشيطان الذي كان بمثابة كاهن و رئيس الملائكة لما كان عليه من الإدراك العظيم أن الله سيأخذ من تلك الكتلة مئة وأربعة وأربعين ألفا موسوميين بسملة النبوة ورسول الله. الذي خلق الله روحه قبل كل شيء آخر بستين ألف سنة. و لذلك غضب الشيطان فأغرى الملائكة قائلا: انظروا ، سيريد الله يوما ما أن نسجد لهذا التراب. فتبصروا أننا روح وأنه لا يليق بنا أن نفعل ذلك.

من الفصل الثاني والخمسون وهي سورة القيامة .

الحق أقول لكم : إن يوم دينونة الله سيكون رهيبا بحيث أن المنبذون يفضلون عشر جحيمات على أن يذهبوا ليسمعوا كلام الله يكلمهم بغضب شديد. الذين ستشهد عليهم كل المخلوقات. الحق أقول لكم ليس المنبذون هم الذين يخشون فقط بل القديسون و أصفياء الله كذلك. حتى إن إبراهيم لا يثق ببره، ولا يكون لأيوب ثقة في صبره. وماذا أقول؟ بل إن رسول الله سيخاف ؛ لأن الله سيجرد رسوله من الذاكرة إظهارا لجلاله. حتى لا يذكر كيف أن الله أعطاه كل شيء. الحق أقول لكم متكلما من القلب إنني أقشعر لأن العالم سيدعوني إلها. و على أن أقدم لأجل هذا حسابا. لعمر الله الذي نفسي واقفة في حضرته إنني رجل فان كسائر الناس. على أني وإن أقامني الله نبيا على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء وإصلاح الخطاة خادم الله. وأنتم شهداء على هذا. إنني أنكر على هؤلاء الأشرار الذين بعد انصرافي من العالم سيبتلون حتى إنجيلي بعمل الشيطان. و لكني سأعود قبيل النهاية ، وسيأتي معي أخنوخ و إيليا. ونشهد على الأشرار الذين ستكون آخرتهم ملعونة. و بعد أن تكلم يسوع هكذا أذرف الدموع . فبكى تلاميذه بصوت عالٍ ورفعوا أصواتهم قائلين: اصفح أيها الرب الإله وارحم خادمك البريء. فأجاب يسوع : آمين. آمين.

ثانياً: للإجابة على الشق الثاني من السؤال الذي يقول : من شهد من علماء اليهود والمسيحيين بنبوته ﷺ؟! يكون جوابه في هذه الأدلة :

1- قوله ﷺ : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (الرعد43) .

3- قوله ﷺ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأحقاف10) .

4- قوله ﷺ : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (آل عمران 199) .

4- قوله ﷺ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (83) (المائدة) .

5- قوله ﷺ : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ (53) أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (54) (القصص) .

5- قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ (108) (الإسراء) .

وأذكر بعضَ النماذجِ ممن أَعترفَ بنبوةِ نبيِّنا ﷺ في حياته من علماءِ اليهودِ والنصارى منها :

- 1) جهر اليهود بخروج نجم النبي ﷺ يوم ولد ، وهذا جاء في كتب السيرة
- 2) تفرس بحيرا الراهب به ﷺ ، وإخباره بأنه رسول للعالمين ، وهذا أيضاً جاء في كتب السيرة.

(3) اعتراف هرقل بنوة رسول الله ﷺ ، وذلك في حديث أبي سفيان الطويل فيه : قال هرقلُ ملك الروم : " إن يكن ما تقول حقاً إنه لنبيّ ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أكن أظنه منكم ، ولو أعلم أنني أخلص إليه لأحببت لقائه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه ما تحت قدمي ". صحيح البخاري برقم 4188 .

(4) مجيء سلمان الفارسي إلى جزيرة العرب بعد أن بحث عن الحق ، وعلم من أحبار اليهود ، ورهبان النصارى أن نبي آخر الزمان يخرج في أرض العرب ، وعلم صفته و مخرجه ، و ضحى بوطنه وماله ، بل وسقط في الرق في سبيل شهادة النبي ﷺ إلى أن اعتقه رسول الله ﷺ بأن جمع له مالا لعنته ﷺ ؛ الخبر بتمامه رواه أحمد في المسند ، وقال المحققون : إسناده حسن

(5) إيمان النجاشي (ملك الحبشة) بالنبي ﷺ ، وإسلامه لله ﷻ ، ثم حمايته للمؤمنين المهاجرين في أرضه ، وذلك لما علم من خبر النبي ﷺ ، وشهد له النبي ﷺ بالإيمان حتى آخر حياته ؛ ثبت ذلك في صحيح البخاري كتاب (المناقب) باب (موت النجاشي) برقم 3588 عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ : "مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ " .

(6) إسلام وفد القساوسة الذين أرسلهم النجاشي إلى رسول الله ﷺ ، ونزلت بشأنهم آيات تثبت إيمانهم ؛ قال ﷺ : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (المائدة 83) .

جاء في التفسير الميسر: ومما يدل على قرب مودتهم للمسلمين أن فريقاً منهم (وهم وفد الحبشة لما سمعوا القرآن) فاضت أعينهم من الدمع فأيقنوا أنه حق منزل من عند الله تعالى، وصدقوا بالله واتبعوا رسوله، وتضرعوا إلى الله أن يكرمهم بشرف الشهادة مع أمة محمد ﷺ على الأمم يوم القيامة . أهـ

(7) إسلام عدي بن حاتم الطائي الذي كان نصرانياً عالماً ؛ الخبر بتمامه جاء في سنن الترمذي كتاب (تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ) (باب (ومن سورة فاتحة الكتاب) برقم 2878 عن عدي بن حاتم قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد فقال القوم: هذا عدي بن حاتم وجئت بغير أمان ولا كتاب فلما دفعت إليه أخذ بيدي وقد كان قال قبل ذلك: إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي قال: فقام فلقيته امرأة وصبي معها فقالا: إن لنا إليك حاجة فقام معهما حتى قضى حاجتهما ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره فألقت له الوليدة وسادة فجلس عليها وجلست بين يديه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما يفرك أن تقول: لا إله إلا الله فهل تعلم من إله سوى الله قال: قلت: لا قال: ثم تكلم ساعة ثم قال: إنما تفر أن تقول الله أكبر وتعلم أن شيئاً أكبر من الله قال: قلت: لا تحقيق الألباني : (قول عدي بن حاتم : أتيت ... الحديث (حسن).

وما ثبت في سنن البيهقي الكبرى برقم 20847 عن مُصَنَّبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ : فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ. قَالَ : " أَجَلٌ وَلَكِنْ يُحْلُونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَسْتَحِلُّونَهُ وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَيُحَرِّمُونَهُ فَبِئْسَ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ " .

(8) إيمان عبد الله بن سلام حبرٌ من أحبار اليهود ؛ جاء خبر إسلامه في الآتي :

1- قوله ﷺ عنه : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) ﴾ (الأحقاف) .

جاء في تفسير الجلالين : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ } أخبروني ماذا حالكم { إِنْ كَانَ } أي : القرآن { مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ } جملة حالية { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ } هو عبد الله بن سلام { عَلَى مِثْلِهِ } أي : عليه أنه من عند الله { فَأَمَنْ } الشاهد { وَاسْتَكْبَرْتُمْ } تكبرتم

عن الإيمان . وجواب الشرط بما عطف عليه أستم ظالمين ؟ دل عليه { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } . اهـ

3- صحيح البخاري برقم 3621 عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ : أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يَعْرِفُ وَنَبِيُّ اللَّهِ ﷺ شَابٌّ لَا يَعْرِفُ قَالَ : فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ : يَا أَبَا بَكْرٍ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ فَيَقُولُ : هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ قَالَ : فَيَحْسِبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ لَحَقَهُمْ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : هَذَا فَارِسٌ قَدْ لَحِقَ بَنَا فَالْتَفَتَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ فَصْرَعَهُ الْفَرَسُ ثُمَّ قَامَتْ تَحْمَمٌ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مُرْنِي بِمَا شِئْتَ قَالَ : فَقَفْ مَكَانَكَ لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بَنَا قَالَ : فَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ آخِرَ النَّهَارِ مَسْلَحَةً لَهُ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَانِبَ الْحَرَّةِ ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَاءُوا إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِمَا وَقَالُوا ارْكَبَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ فَرَكِبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَحَقُّوا دُونَهُمَا بِالسَّلَاحِ فَقِيلَ فِي الْمَدِينَةِ جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَاشْرَفُوا يَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلَ يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ جَانِبَ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ فَإِنَّهُ لِيُحَدِّثُ أَهْلَهُ إِذْ سَمِعَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَهُوَ فِي نَخْلٍ لِأَهْلِهِ يَخْتَرِفُ لَهُمْ فَعَجَلَ أَنْ يَضَعَ الَّذِي يَخْتَرِفُ لَهُمْ فِيهَا فَجَاءَ وَهِيَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ أَيُّ : بَيُوتُ أَهْلُنَا أَقْرَبُ فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ : أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي قَالَ : فَانْطَلِقْ فَهَيْئًا لَنَا مَقِيلًا قَالَ قَوْمًا : عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ وَقَدْ عَلِمْتَ يَهُودَ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَأَبْنُ سَيِّدِهِمْ وَأَعْلَمُهُمْ وَأَبْنُ أَعْلَمِهِمْ فَادْعُهُمْ فَاسْأَلُهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَيَلَّكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَقًّا وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ فَاسْلَمُوا قَالُوا :

مَا نَعْلَمُهُ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ قَالَ: فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالُوا : ذَلِكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ قَالَ: يَا ابْنَ سَلَامٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ فَخَرَجَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اتَّقُوا اللَّهَ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَإِنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ فَقَالُوا: كَذَبْتَ فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

(9) خبر صفيّة - رضي الله عنها - وذلك في سيرة بن هشام الجزء الأول (شهادة عن صفيّة):

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ قَالَ: حَدَّثْتُ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَبِيٍّ بْنِ أَخْطَبٍ أَنَّهَا قَالَتْ : كُنْتُ أَحَبُّ وَلَدٍ [ص 519] أَبِي إِلَيْهِ وَإِلَى عَمِّي أَبِي يَاسِرٍ لَمْ أَلْقَهُمَا قَطُّ مَعَ وَلَدٍ لَهُمَا إِلَّا أَخْذَانِي دُونَهُ . قَالَتْ: فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، وَنَزَلَ قُبَاءَ ، فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، غَدَا عَلَيْهِ أَبِي ، حَبِيٌّ بْنُ أَخْطَبٍ ، وَعَمِّي أَبُو يَاسِرٍ بْنُ أَخْطَبٍ ، مُغْلَسِينَ . قَالَتْ: فَلَمْ يَرْجِعَا حَتَّى كَانَا مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ . قَالَتْ: فَاتَيْنَا كَالَيْنِ كَسَلَانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْشِيَانِ الْهُوَيْنَى . قَالَتْ: فَهَشَشْتُ إِلَيْهِمَا كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ فَوَاللَّهِ مَا التَفَتَا إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا ، مَعَ مَا بِهِمَا مِنَ النِّعَمِ . قَالَتْ: وَسَمِعْتُ عَمِّي أَبَا يَاسِرٍ وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي حَبِيٍّ بْنِ أَخْطَبٍ : أَهْوَ هُوَ ؟ قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ قَالَ: أَتَعْرِفُهُ وَتُنَبِّئُهُ ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ : فَمَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ ؟ قَالَ: عِدَاوَتُهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيَتْ . اهـ

نلاحظ : أنهم جحدوه ﷺ حسداً وتكبراً على اصطفاء الله له ، وهذا مصداق قوله ﷺ : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 89). وقوله ﷺ: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ كِتَابٌ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 146) .

رد شبهة : نبي يعلمه بشر !

يقول المعترضون : إن الرسول ﷺ أخذ وتعلم القرآن من بشر ، فمرة ينسبون القرآن إلى راهب يدعى بحيرا ، ومرة إلى غلام أعجمي في مكة ، ومرة إلى ناسك مكي هو ورقة بن نوفل .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الذي علم محمداً ﷺ هو الله ﷻ وليس بشر ؛ بل هو ﷺ من علم البشر ، فالذي دفع هذه الشبهة القديمة عن نبيه ﷺ هو الله ﷻ ، وذلك في عدة مواضع منها:

1- قوله ﷻ : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113) ﴾ (النساء) .

جاء في تفسير الجلالين : { وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ { القرآن { والحكمة { ما فيه من الأحكام { وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ { من الأحكام والغيب { وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ { بذلك وغيره { عَظِيمًا } . اهـ

2- قوله ﷻ : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33) وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبِرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ (34) ﴾ (الأنعام) .

جاء في تفسير الميسر : { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33) } إنا نعلم إنه ليُدْخِلُ الحزن إلى قلبك تكذيب قومك لك في الظاهر ، فاصبر واطمئن ؛ فإنهم لا يكذبونك في قرارة أنفسهم ، بل يعتقدون صدقك ،

ولكنهم لظلمهم وعدوانهم يجحدون البراهين الواضحة على صدقك، فيكذبونك فيما جئت به.

{ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ (34) { فصبروا على ذلك ومضوا في دعوتهم وجهادهم حتى أتاهم نصر الله. ولا مبدل لكلمات الله، وهي ما أنزل على نبيه محمد ﷺ من وعده إياه بالنصر على من عاداه. ولقد جاءك -أيها الرسول- من خبر من كان قبلك من الرسل، وما تحقق لهم من نصر الله، وما جرى على مكذبيهم من نقمة الله منهم وغضبه عليهم ، فلك فيمن تقدم من الرسل أسوة وقدوة. وفي هذا تسلية للرسول ﷺ . اهـ

3- قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رُبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (24) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ (25) ﴾ (النحل). جاء في التفسير الميسر : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رُبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (24) } وإذا سئل هؤلاء المشركون عما نزل على النبي محمد ﷺ قالوا كذبا وزورا: ما أتى إلا بقصص السابقين وأباطيلهم. { لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ (25) } ستكون عاقبتهم أن يحملوا آثامهم كاملة يوم القيامة -لا يُغفر لهم منها شيء - ويحملوا من آثام الذين كذبوا عليهم؛ ليعدهوم عن الإسلام من غير نقصٍ من آثامهم. ألا قبح ما يحملونه من آثام . اهـ

4- قوله ﷺ : ﴿ وَقَالُوا أَاسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5) قُلْ أُنْزِلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (6) ﴾ (الفرقان) . جاء في التفسير الميسر : { وَقَالُوا أَاسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5) } وقالوا عن القرآن: هو أحاديث الأولين المسطرة في كتبهم، استنسخها محمد ، فهي تُقرأ عليه صباحاً ومساءً.

{ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (6) } قل - أيها الرسول - لهؤلاء الكفار: إن الذي أنزل القرآن هو الله الذي أحاط علمه بما في السماوات والأرض، إنه كان غفوراً لمن تاب من الذنوب والمعاصي، رحيماً بهم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة . اهـ

4- قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (67) لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاءُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (68) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (69) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (70) ﴾ (النمل).

6- قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (103) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (105) ﴾ (النحل).

جاء في تفسير الجلالين : { وَلَقَدْ } للتحقيق { نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ } القرآن { بَشَرٌ } وهو قين نصراني كان النبي ﷺ يدخل عليه . قال تعالى { لِسَانٌ } لغة { الذي يُلْحِدُونَ } يميلون { إِلَيْهِ } أنه يعلمه { أعجمي } وهذا { القرآن } لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ { ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه أعجمي . } إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ { القرآن ، بقولهم : هذا من قول البشر { وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ } والتأكيد بالتكرار والآية : رُدُّ لِقَوْلِهِمْ : إنما أنت مفتر . اهـ

7- قوله ﷻ: ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166) ﴾ (النساء).

جاء في التفسير الميسر : إن يكفر بك اليهود وغيرهم -أيها الرسول- فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه القرآن العظيم، أنزله بعلمه، وكذلك الملائكة يشهدون بصدق ما أوحى إليك، وشهادة الله وحدها كافية . اهـ

8- قوله ﷺ: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (48) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49) ﴾ (العنكبوت).

جاء في التفسير الميسر : { وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (48) } من معجزاتك البينة -أيها الرسول- أنك لم تقرأ كتاباً ولم تكتب حروفاً بيمينك قبل نزول القرآن عليك، وهم يعرفون ذلك، ولو كنت قارئاً أو كاتباً من قبل أن يوحى إليك لشك في ذلك المبطلون، وقالوا: تعلمه من الكتب السابقة أو استنسخه منها. { بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49) } بل القرآن آيات بينات واضحة في الدلالة على الحق يحفظه العلماء، وما يكذب بآياتنا ويردها إلا الظالمون المعاندون الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه . اهـ

ثانياً : جاء في موقع الإسلام أم المسيحية رد طيب يقول صاحبه :

أولاً : بالنسبة للراهب النصراني بحيرة فيكفينا الرد بالقول بأن النبي ﷺ لم يقابله إلا مرة واحدة في حياته وكان عمره ﷺ اثنتا عشرة سنة مع عمه أبي طالب عندما صحبه في تجارة له إلى بصري في بلاد الشام وكان ذلك في فترة قصيرة جداً يستحيل معها أن يأخذ منه ما نسب إليه من علم ومن الثابت يقينا أنه لم يأخذ منه شيئاً من العلوم فضلاً عن أن بحيرا عاجز في عقله وعلمه عن الإحاطة بأقل القليل من العلوم التي جاء بها القرآن وكل ما هنالك وتؤيده الروايات أن الراهب بحيرا تنبأ للرسول ﷺ بالشأن العظيم وهي النبوة التي شاهد أمراتها فيه ﷺ حيث قال بحيرا لأبي طالب: " إن هذا الغلام سيكون له

شأن عظيم وحذره من يهود " وهذه القصة حجة للرسول ﷺ في نبوته ، وليست حجة عليه وهي حجة كذلك على من استدل بها لإثبات أن الرسول ﷺ قد أخذ القرآن من بحيرا. ثانياً : أما بالنسبة للغلام الأعجمي فقد اختلف في تعيينه، قال الإمام الشنقيطي في أضواء البيان عند تفسير قوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (النحل103) .

وقد اختلف العلماء في تعيين هذا البشر الذي زعموا أنه يعلم النبي ﷺ ، وقد صرح القرآن بأنه أعجمي اللسان . ف قيل : هو غلام الفاكهة بن المغيرة ، واسمه جبر ، وكان نصرانياً فاسلم . وقيل : اسمه يعيش عبد لبني الحضرمي ، وكان يقرأ الكتب الأعجمية . وقيل : غلام لبني عامر بن لؤي . وقيل : هما غلامان اسم احدهما يسار ، واسم الآخر جبر ، وكانا صيقلين يعملان السيوف ، وكانا يقرآن كتاباً لهم . وقيل : كانا يقرآن التوراة والإنجيل ، إلى غير ذلك من الأقوال.

ويكفي الرد بالقول بأنه كان أعجمياً وغير ملم بالعربية فكيف يقبل ادعاؤهم أن الرسول ﷺ قد أخذ القرآن منه وقد رد الله ﷻ على قولهم هذا بقوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (النحل103) .

ثالثاً: أما بالنسبة للناسك المكي ورقة بن نوفل فيكفي الرد بأن نقول إن الرسول ﷺ لم تكن له العلاقة الوثيقة بذلك الناسك ولم يقابله إلا بعد نزول الوحي عليه حيث صحبتته خديجة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - إليه فشهد له ورقة ولم يعلمه حيث قال: "هذا الناموس الذي كان ينزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً، إذ يخرجك قومك، فقال ﷺ : أو مخرجي هم ؟ ، فقال : نعم ، لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً " .

ومن الثابت أيضاً أن ورقة لا يملك العلم والمعرفة التي جاء بها القرآن الكريم وكما ورد في الرواية : " ثم لم ينشب ورقة أن توفي " . ونستطيع أن نرد بأن نقول أنه يوجد في

القرآن آيات نزلت لحوادث حدثت لا يمكن أن تكون من وحي بحيرا أو الغلام الأعجمي أو ورقة ومنها:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران 123) .

فكيف يعقل أن يتنبأ بحيرا قبل قرابة أربعين سنة بغزوة بدر ، وكذلك كيف أوحى ورقة للنبي بهذه الآية وهو في قبره والأمر ينطبق على قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (النور 11). وغيرها من الآيات، كيف استطاع ورقة ، أو بحيرا ، أو الغلام الأعجمي أن يتنبأ بظهور الروم على الفرس : ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ (2) ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ (3) ﴿ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (4) ﴿ (سورة الروم). أو أن يتنبأ بأن المسلمين سيدخلون مكة فاتحين : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح 27) . وغيره الكثير وكله يدل على أن القرآن من عند الله ﷻ . اهـ بتصرف يسير.

رد شبهة : هل كان نبي الإسلام كان يعرف القراءة والكتابة ؟!

أرادوا الطعن في صدق رسالته ﷺ وبما جاء به من عند ربِّه ﷻ لهدم المعجزات جاءت في كتاب الله المجيد ، فقالوا: إن محمداً كان يعرف القراءة والكتابة ، ولم يكن أمياً كما يزعم المسلمون ...!

واستندوا في ذلك بعدة روايات منها :

1- صحيح البخاري كتاب (المغازي) باب (مَرَضُ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ ..) برقم 4079
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ : لَمَّا حَضَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضَلُّوا بَعْدَهُ " فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ قَدْ غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَاخْتَصَمُوا
فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : قَرَّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضَلُّوا بَعْدَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَمَّا
أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالْاِخْتِلَافَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " قُومُوا " . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَكَانَ يَقُولُ ابْنُ
عَبَّاسٍ : إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ
الْكِتَابَ لِاخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ .

2- صحيح مسلم كتاب (الجهاد والسير) باب (صَلَاحُ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ) برقم 3336
عَنْ الْبَرَاءِ قَالَ : لَمَّا أَحْصَرَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ الْبَيْتِ صَالِحَهُ أَهْلَ مَكَّةَ عَلَى أَنْ
يَدْخُلَهَا فَيُقِيمَ بِهَا ثَلَاثًا وَلَا يَدْخُلَهَا إِلَّا بِجُلْبَانِ السِّلَاحِ السَّيْفِ وَقِرَابِهِ وَلَا يَخْرُجَ بِأَحَدٍ
مَعَهُ مِنْ أَهْلِهَا وَلَا يَمْنَعُ أَحَدًا يَمْكُثُ بِهَا مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ قَالَ لَعَلِّي : " أَكْتُبُ الشَّرْطَ
بَيْنَنَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ " . فَقَالَ لَهُ
الْمُشْرِكُونَ : لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ تَابِعْنَاكَ ، وَلَكِنْ أَكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَأَمَرَ
عَلِيًّا أَنْ يَمْحَاها فَقَالَ عَلِيٌّ : لَا وَاللَّهِ لَا أَمْحَاهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَرْنِي مَكَانَهَا " .
فَأَرَاهُ مَكَانَهَا فَمَحَاهَا وَكَتَبَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَلَمَّا أَنْ كَانَ يَوْمُ الثَّلَاثِ
قَالُوا لَعَلِّي : هَذَا آخِرُ يَوْمٍ مِنْ شَرْطِ صَاحِبِكَ فَأَمْرُهُ فَلْيَخْرُجْ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ : نَعَمْ
فَخَرَجَ وَ قَالَ ابْنُ جَنَابٍ فِي رِوَايَتِهِ مَكَانَ تَابِعْنَاكَ بَايَعْنَاكَ .

3- سنن ابن ماجه عن أنس قال: رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبا ﷺ:
الصدقة بعشر أمثالها و القرض بثمانية عشر فقلت يا جبريل : ما بال القرض أفضل من
الصدقة ؟ قال : لأن السائل يسأل و عنده و المستقرض لا يستقرض إلا من حاجة .

الرد على الشبهة

أولاً : إن القرآن الكريم أخبرنا أن محمداً ﷺ هو النبي الأمي المخبر عنه في التوراة والإنجيل ، وليس النبي الذي كان أمياً ... تدلل على ذلك عدة أدلة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)﴾ (الأعراف).

3- قوله ﷺ : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158)﴾ (الأعراف).

4- قوله ﷺ : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146)﴾ (البقرة).

وصف ﷺ نبيه ﷺ بالأمية التي يعرفه بها اليهود والنصارى كما يعرفون أبنائهم ، وقد تقدم معنا ذلك في البشارات به ﷺ باستفاضة - والله الحمد - .

ثانياً : إن الله ﷻ أخبرنا في كتابه المجيد أن أمية النبي ﷺ كانت سبباً كافياً لدحض شبه المشككين الذين اتهموه ﷺ بأنه أخذ القرآن من الكتب السابقة كالطوراة وملحقاتها والأنجيل ؛ قال ﷻ : ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ

الْمُبْطَلُونَ (48) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49) ﴿العنكبوت﴾.

جاء في التفسير الميسر: { وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطَلُونَ (48) } من معجزاتك البينة -أيها الرسول- أنك لم تقرأ كتاباً ولم تكتب حروفاً بيمينك قبل نزول القرآن عليك، وهم يعرفون ذلك، ولو كنت قارئاً أو كاتباً من قبل أن يوحى إليك لشك في ذلك المبطلون ، وقالوا : تعلمه من الكتب السابقة أو استنسخه منها.

{ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49) } بل القرآن آيات بينات واضحة في الدلالة على الحق يحفظه العلماء، وما يكذب بآياتنا ويردها إلا الظالمون المعاندون الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه . اهـ

ثالثاً : إن أمية النبي ﷺ وإن كانت دليلاً على إعجاز القرآن إلا أن الإعجاز قائم في كل الأحوال سواء أكان الرسول ﷺ أمياً أم لا ؛ فالقرآن لم يتحد فئة معينة من البشر ؛ وإنما تحدى كل البشر أن يأتوا بسورة من مثله ، وقد شهد له أعني عتاة العرب في زمن النبي ﷺ ، وكانوا أفصح الناس ، وأبلغهم بياناً على مر العصور ، كما شهد له أهل اللغة والبيان في سائر العصور بل إن الإنسان كلما ازداد علمه كلما ازداد شعوره بالعجز أمام معجزة القرآن الكريم....

رابعاً : إن النبي ﷺ كان يحرك لسانه بالقرآن ، ويرهق نفسه في ترديده ؛ حيث كان يسابق الملك (جبريل) قبل أن يقضى إليه وحيه ؛ خشية أن ينسى منه شيئاً ، فيطمأنه الله ﷻ ويخبره أن حفظه موكل إليه ﷻ ، وأنه سيجمعه في صدره وسيعلمه كيف يقرأه ، فلو كان النبي ﷺ يعرف الكتابة لكتب ما يوحى إليه وقت وحيه أو بعده مباشرة كي لا ينسى

بدلاً من إرهاق نفسه ﷺ حرصاً على حفظ وحماية كل حرف من كتاب الله ؛ قال ﷺ : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قُرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) ﴾ (القيامة) .

وقال ﷺ : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ (طه 114) .

وعليه فلو كان النبي ﷺ يعلم الكتابة لكان الأولى به ﷺ أن يكتب القرآن الكريم ؛ ولكن كان له كتبة من كبار صحابته ﷺ يكتبون الوحي بعد حفظه

خامساً : بعد أثبات أمية نبيينا ﷺ - بفضل الله ﷻ - جاء الدور على توضيح الروايات التي أتوا بها كما يلي :

أولاً: بالنسبة للرواية الأولى : قال النووي في باب (تَرْكُ الْوَصِيَّةِ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يُوصَى فِيهِ) : في هذا الحديث عدة فوائد.... وَمِنْهَا : جَوَازُ اسْتِعْمَالِ الْمَجَازِ لِقَوْلِهِ ﷺ : (أَكْتُبْ لَكُمْ) أَيُ : أَمْرٌ بِالْكِتَابَةِ . اهـ

ثانياً : الرواية الثانية : قوله ﷺ : (أَرْنِي مَكَانَهَا فَأَرَاهُ مَكَانَهَا فَمَحَاهَا وَكَتَبَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ (الإشكال نشأ عن التوهم الحاصل من ظاهر النص ، وكأن النبي ﷺ أخذ الكتاب من علي بن أبي طالب ﷺ ثم كتب بنفسه ، وليس الأمر كذلك ، ولكي يتضح فهم الرواية التي معنا فهما صحيحاً نجمع بقية الروايات كما يلي :

1- صحيح مسلم كتاب (الجهاد و السير) باب (صلح الحديبية في الحديبية) برقم 3337 عَنْ أَنَسٍ أَنَّ قُرَيْشًا صَالَحُوا النَّبِيَّ ﷺ فِيهِمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ : " اَكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " قَالَ سُهَيْلٌ : أَمَّا بِاسْمِ اللَّهِ فَمَا نَدْرِي مَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَلَكِنْ اَكْتُبْ مَا نَعْرِفُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ فَقَالَ : " اَكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ " قَالُوا : لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَاتَّبَعْنَاكَ وَلَكِنْ اَكْتُبْ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " اَكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ " فَاشْتَرَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكُمْ وَمَنْ جَاءَكُمْ مِنَّا رَدَدْتُمُوهُ عَلَيْنَا فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ انْكُتُبْ هَذَا ؟! قَالَ : نَعَمْ إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرْجًا وَمَخْرَجًا.

2- صحيح مسلم كتاب (الجهاد و السير) باب (صلح الحديبية في الحديبية) 3335 عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ : كَتَبَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الصُّلْحَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ فَكَتَبَ هَذَا مَا كَاتَبَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : لَا تَكْتُبْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ نَقَاتِلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ : " اَمْحُهِ " فَقَالَ : مَا أَنَا بِالَّذِي أَمْحَاهُ فَمَحَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ قَالَ : وَكَانَ فِيْمَا اشْتَرَطُوا أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ فَيَقِيمُوا بِهَا ثَلَاثًا وَلَا يَدْخُلُهَا بِسِلَاحٍ إِلَّا جُلْبَانَ السِّلَاحِ قُلْتُ لِأَبِي إِسْحَقَ : وَمَا جُلْبَانُ السِّلَاحِ ؟ قَالَ : الْقِرَابُ وَمَا فِيهِ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ : سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ يَقُولُ : لَمَّا صَالَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ كَتَبَ عَلِيٌّ كِتَابًا بَيْنَهُمْ قَالَ : فَكَتَبَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ ذَكَرَ بِنَحْوِ حَدِيثِ مُعَاذٍ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِي الْحَدِيثِ هَذَا مَا كَاتَبَ عَلَيْهِ

5- صحيح مسلم كتاب (الجهاد و السير) باب (صلح الحديبية في الحديبية) 3336 عَنْ الْبَرَاءِ قَالَ : لَمَّا أُحْصِرَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ الْبَيْتِ صَالَحَهُ أَهْلُ مَكَّةَ عَلَى أَنْ يَدْخُلَهَا

فَيُقِيمُ بِهَا ثَلَاثًا وَلَا يَدْخُلُهَا إِلَّا بِجُلْبَانِ السَّلَاحِ السَّيْفِ وَقَرَابِهِ وَلَا يَخْرُجُ بِأَحَدٍ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهَا وَلَا يَمْنَعُ أَحَدًا يَمْكُتُ بِهَا مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ قَالَ لِعَلِيٍّ : " اكَتَبَ الشَّرْطُ بَيْنَنَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ " فَقَالَ لَهُ الْمُشْرِكُونَ : لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ تَابِعْنَاكَ وَلَكِنْ اكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَأَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يَمْحَاهَا فَقَالَ عَلِيٌّ : لَا وَاللَّهِ لَا أَمْحَاهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَرِنِي مَكَانَهَا " فَأَرَاهُ مَكَانَهَا فَمَحَاهَا وَكَتَبَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَلَمَّا أَنْ كَانَ يَوْمُ الثَّلَاثِ قَالُوا لِعَلِيٍّ : هَذَا آخِرُ يَوْمٍ مِنْ شَرْطِ صَاحِبِكَ فَأَمْرُهُ فَلْيَخْرُجْ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ : نَعَمْ فَخَرَجَ . وَ قَالَ ابْنُ جَنَابٍ فِي رِوَايَتِهِ مَكَانَ تَابِعْنَاكَ بَايَعْنَاكَ .

نلاحظ من خلال الجمع بين الروايات : أن النبي ﷺ أمر عليًّا أن يمحو جملة (محمد رسول الله) فأبى عليٌّ ﷺ و لم تطاوعه نفسه ، فأخذ النبي ﷺ الكتابَ وسأل عليٌّ ﷺ أن يريه مكانها، وهذا يدل أن النبي ﷺ لم يكن يعرف الكتابة يقيناً ، وإنما سأل عن مكانها ليحوها فقط لما رفض عليٌّ ﷺ أن يفعل ذلك ،

ثم أمر النبي ﷺ عليًّا ﷺ أن يكتب بدل من (من محمد رسول الله) فقال : " اكتب من محمد بن عبد الله..... " وليس المعنى أنه ﷺ كتب ﷺ هو بنفسه .

وألخص ما سبق : كلمة (وَكَتَبَ) مَعْنَاهَا : أنه ﷺ أَمَرَ بِالْكِتَابَةِ ، كَمَا يُقَالُ : رَجَمَ مَاعِزًا أَي : أَمَرَ بِرَجْمِهِ ؛ فالرجم وقع من أصحابه ﷺ وليس المعنى أنه ﷺ رَجَمَ بِنَفْسِهِ .

وَأْتَسَاءَلُ : ما المانع أن يكون النبي ﷺ كتب اسمه بنفسه كما هو ظاهر من الروايات التي معنا ؛ فإننا نعرف أميين كُثُرٌ لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ، ولكن يعرفون كتابة أسمائهم جيداً !

أما الرواية الثالثة التي آتى بها المعترضون لا تصح ؛ ضعفها الشيخ الألباني في
ضعيف الجامع برقم 6828 رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبا : الصدقة
بعشر أمثالها و القرض بثمانية عشر فقلت يا جبريل : ما بال القرض أفضل من الصدقة
؟ قال : لأن السائل يسأل و عنده و المستقرض لا يستقرض إلا من حاجة. (هـ) عن
أنس .
قال الشيخ الألباني : (ضعيف جدا) انظر حديث رقم : 3083 في ضعيف الجامع .

سادساً : ذهب أبو الوليد الباجي - رحمه الله من علماء المغرب- وغيره إلى أن النبي ﷺ
قرأ وكتب في آخر حياته ، واستشهد على ذلك بعدة أدلة منها:

1- قول الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ
(48) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49)
(العنكبوت) .

5- الأدلة التي أستشهد بها المعترضون وغيرها .

-6

وأتساءل : ما المانع أن يكون النبي ﷺ قرأ وكتب في آخر حياته (قبل موته) ؛ فالقرآن
المعجز نزل أغلبه عليه وهو ﷺ أمي لم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة ؛ فهذا لا يقدر أبداً
في الإعجاز الذي يحاول المعترضون إسقاطه

ونلاحظ أن الله ﷻ يقول لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ
إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (48)﴾ (العنكبوت). أي: كنت أمياً لا تعرف القراءة ولا الكتابة قبل
نزول القرآن عليك ﷺ

هذا لو سلمنا أنه ﷺ كتب بنفسه كما جاء في الرواية " أَكْتُبُ لَكُمْ " .

قلتُ : كتب وقرأ في آخر حياته ، ومما يدل على ذلك أن الرواية الأولى التي فيها قوله ﷺ : " انْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ ... " كان ذلك في مرضه الأخير ﷺ ؛ أي: قبل وفاته مباشرة ، وقد ذكر البخاري - رحمه الله - هذا الحديث في باب مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ ، وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ .. هذا إن سلمنا بفهمهم أنه ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة .

سابعاً : كان على المعترضين أن لا يطرحوا تلك الشبهة بل يؤمنوا بمحمد ﷺ ؛ لأنه مكتوباً عندهم أنه الأمي الذي لا يعرف القراءة ، وكنت أتوقع أن يعرفوه كما يعرفون أبناءهم كما أخبر القرآن الكريم ! كنت آمل أن يؤمنوا به ، وأن يعرفوه حق المعرفة كما عرفه الأخبار والرهبان الذين من قبلهم فأمنوا به ﷺ ، ولكن أنه العناد والتكبر عن معرفة الحق ... وعلى كلٍّ هو ﷺ المذكور في سفر إشعياء إصحاح 29 عدد 12 أَوْ يُدْفَعُ الْكِتَابُ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَيَقَالُ لَهُ : « اقرأ هذا » فيقول : « لَا أَعْرِفُ الْكِتَابَةَ » (. والنص في التراجم الإنجليزية يقال له : اقرأ فيقول : " لا أعرف القراءة " أو " لم أتعلم القراءة " وهذا الأقرب للصحة فمن غير المعقول أن تطلب من أحد القراءة فيقول لك : " أنا لا أعرف الكتابة " ، ولكن المفترض أن يقول : " أنا لا أعرف القراءة " أو " أنا لست متعلماً " !

يتضح النص أكثر من خلال ١٢ ترجمة كتاب الحياة ؛ ففيه ما نصه : إشعياء 29 :
12وَعِنْدَمَا يُنَاقِلُونَهُ لِمَنْ يَجْهَلُ الْقِرَاءَةَ قَائِلِينَ: اقْرَأْ هَذَا، يُجِيبُ: لَا أَسْتَطِيعُ الْقِرَاءَةَ.

وهذا هو الثابت في صحيح البخاري: باب (بدء الوحي) برقم 3

عَنْ عَائِشَةَ - أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - ، أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بَغَارَ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ . وَهُوَ التَّعَبُّدُ . اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَنْزَوْدُ لَذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَنْزَوْدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ قَالَ: " مَا أَنَا بِقَارِئٍ " . قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ ، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجِفُ فُؤَادُهُ....

وَأُتِسَاعِلُ : أليس هو محمد ﷺ ؟ أفلا يبصرون !؟

رد شبهات حول قصة الإسراء والمعراج !

أثيرت شبهة حول معجزة الإسراء والمعراج؛ ليشككوا في حدوثها ...

قالوا : أيستطيع محمدٌ أن يذهبَ إلى بيتِ المقدسِ ، ويصعدَ إلى السماءِ في وقتٍ بسيطٍ من الليلِ ... ؟!

وهل كان المعراجُ بالجسدِ والروحِ معاً ؟!

تعلقوا بما جاء في قوله ﷺ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء:1).

الرد على الشبهة

أولاً: إن سؤالهم الأول الذي يقول : أيستطيع محمدٌ ﷺ أن يذهبَ إلى بيتِ المقدسِ ، ويصعدَ إلى السماءِ في وقتٍ بسيطٍ من الليلِ ... سؤالٌ باطلٌ ؛ لأنَّ محمداً ﷺ لا يستطيع أن يفعل ذلك من تلقاء نفسه بل بإذن الله ﷻ يفعل ؛ لأننا لا نعتقد أنه إله ؛ وإنما هو بشر رسولٌ ؛ جاء ذلك في عدة أدلة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (الرعد:38) .

-2

3- قوله ﷺ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ (عمران:144).

7- قوله ﷺ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ ؛ أي: أن الله ربَّ العالمين هو الذي أسرى به ﷺ ، ولم يقل لنا ﷺ: إن محمداً ﷺ هو الذي قام بهذه المعجزة بذاته ، كما أن الله ﷻ لا يخضع لقوانين الكون ؛ لأنه ﷻ خالق الكون ، ومسيره بحكمته ، وليس كمثل شيء ﷻ

ثم إن هذا الأمر كان مستنكراً منذ زمن بعيد ؛ لكن الآن نجد الإنسان يصعدُ إلى السماء بالروح والجسد ؛ وذلك عن طريق الطائرات وأحياناً إلى الكواكب بالمركبات الفضائية...

وعليه : فلا مجال لإنكار هذه المعجزة لنبيِّنا ﷺ لاسيما ونحن في ذلك الزمان....

ثانياً : إن العروجَ إلى السماء كان بالجسد والروح معاً ؛ فلو كان بالروح فقط ما أنكره المشركون قديماً ، ولا المعترضون حديثاً ... ولا إشكال في ذلك عقلاً ونقلاً ؛ لأن الكتاب المقدس نسب لبعض الأنبياء والرسل الصعودَ إلى السماء بالروح والجسد .

ونقل ما ذكره العلامة : رحمتُ الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) مع بعض الإضافات على ما كتب - رحمه الله - قال :

أما عقلاً : فلأن خالق العالم قادر على أن يسري بمحمد ﷺ بهذه السرعة وغاية ما في الأمر أن المعجزة تمت خلاف العادة ، والمعجزات كلها تكون كذلك .

أما نقلاً : فلأن صعود الأجسام إلى السماء بقدرة الله ليس ممتنع عند أهل الكتاب للآتي :

أ - أخنوخ عليه السلام (إدريس) وقد قال القسيس وليم إسمت في كتابه (طريق الأولياء) أنه رُفِعَ إلى السماء بجسده حياً وقصة أخنوخ جاءت في (سفر التكوين 24/5) "وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه " .

ب - إيليا عليه السلام صعد إلى السماء وقصته وارده في (سفر الملوك الثاني 10/2 - 12)
أكتفي بذكر العدد 11 وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار فصلت
بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء وقال آدم كلارك في تفسيره : " لا شك أن
إيليا رفع إلى السماء حياً " .

ت - عيسى عليه السلام صعد إلى السماء كما قال كاتب إنجيل مرقس 16/19 " ثم إن الرب
بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله " . ولا شك بين كل طوائف النصارى
أنه ارتفع بجسده كما هو .

ث - بولس ادعى أنه صعد إلى السماء ، جاء ذلك في الرسالة الثانية إلى أهل
كرونتوس 2/12-4 : " 2 أعرف إنساناً في المسيح قبل أربع عشرة سنة أفي الجسد لست
أعلم أم خارج الجسد لست أعلم الله يعلم. اختطف هذا إلى السماء الثالثة. (3) وأعرف هذا
الإنسان أفي الجسد أم خارج الجسد لست أعلم . الله يعلم . (4) إنه اختطف إلى الفردوس
وسمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها " .

ج - يوحنا صعد إلى السماء كما فهم من كلامه ، وذلك في سفر الرؤيا 1/4-2 : " (1)
بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح في السماء والصوت الأول الذي سمعته كبوق يتكلم معي
قائلاً اصعد إلى هنا فأريك ما لا بد أن يصير بعد هذا. (2) وللوقت صرت في الروح وإذا
عرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس " .

نلاحظ : أن الأمور مسلمة عند أهل الكتاب فلا مجال لهم أن يعترضوا على عروج النبي
ﷺ بالروح والجسد معنا . ثم ذكر - رحمه الله - قائلاً : ونقل بعض الأحناف أن قسيساً في
بلدة من بلاد الهند كان يقول في بعض المجامع تشويشاً لجهال المسلمين : كيف تعتقدون
في الإسراء المعراج وهو أمر مستبعد ؟ فأجابه مجوسي من مجوس الهند : إن الإسراء
والمعراج ليس بأشد استبعاداً من كون العذراء تحمل من غير زوج! فبهت القسيس. أهـ
بتصرف.

كان ما سبق ردًا على سؤالهم الثاني الذي يقول : هل كان المعراج بالجسد والروح معاً ؟

ثالثاً : إن المعجزات في الكتاب المقدس ليس لها سند واحد متصل , وكلها من أخبار الآحاد التي لا تثبت بها , ولا يوجد دليل واحد يثبت يقيناً أن تلك المعجزات قد حدثت , لكنهم يؤمنون بحدوث تلك المعجزات فقط لأنها وردت في الكتاب المقدس الذي لا سند له , ولا يعرف من كتبه ...

وعليه أتساءل : أين سند الكتاب المقدس , وكيف نتق أن كل ما فيه صحيح ؟ و من الذي نقل لنا هذا الكتاب بعهديه القديم والجديد ؟! وكيف نثبت مثلاً أن متى الحواري هو كاتب إنجيل متى بالفعل بينما نجد أن ما في إنجيل متى ينفي تماماً أن يكون الحواري متى هو كاتبه! وما هو الاسم الثلاثي لمتى كاتب الإنجيل؟

الجواب : لا سند عندهم ؛ بل هي مجرد أخبار يتناقلها الكتبة عن بعض الناس الذين لا نعرف عنهم شيئاً ولا عن أمانتهم....

نقرأ مثلاً ما جاء في إنجيل لوقا في الإصحاح 1 عدد 1¹ إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصّة في الأمور المتيقنة عندنا، 2² كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداماً للكلمة، 3³ رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس، 4⁴ لتعرف صحة الكلام الذي علمت به لا تعليق !

أما عن هذه المعجزة (قصة الإسراء والمعراج) سندها متواتر؛ نجدها كاملةً في قراءة التفاسير تحت قوله ﷺ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء:1).

ونجدها صحيحة الإسناد في عدة مواضع منها : صحيح البخاري ، و مسلم ، و الترمذي ، وسيرة بن هشام ، ودلائل النبوة للبيهقي ، والشفاء للقاضي عياض ، والبداية والنهاية ، والسيرة النبوية للذهبي ، وغيرهم الكثير، وكثير من المراجع الأخرى القصة وصلت إلينا بالتواتر الذي يفتقده المعترضون لإثبات صحة الكتاب المقدس الذي يؤمنون به !

رد شبهة : بناء المسجد الأقصى بعد مئة عام !

سألوا سؤالاً هو في ظنهم أنه يبطل معجزة الإسراء والمعراج ، قائلين : كيف أُسرى برسول الإسلام إلى المسجد الأقصى ، وقد بُني بعده بنحو مئة عام ؟!

الرد على الشبهة

أولاً: إن الواضح لي أن المعترضين لا يعرفون معنى كلمة (المسجد) ، وعلى كل أقول :

إن المسجد هو كل مكان يسجد فيه لله ﷻ ؛ جاء السجود كعبادة في كل الديانات ؛ تدل على ذلك عدة أدلة منها :

1- قوله ﷻ : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (آل عمران 43).

2- قوله ﷻ عن بني إسرائيل : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة 58).

3- قوله ﷻ عن أهل الكهف : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾ (الكهف 21).

4- قال ﷻ عن الأنبياء : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (مريم 58).

-5

وعليه : فإن المسجد هو مكان يسجد فيه لله ﷻ ؛ هذا السجود كان معروفاً في معظم الأزمنة الماضية .

ثانياً : إن الواضح مما سبق أن كلمة المسجد لم تأت ابتداءً مع الإسلام لقوله ﷻ : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾ (الكهف 21).

إنما شاع استعمال الكلمة (المسجد) عند المسلمين كمكان للعبادة، وأنه بيت الله حتى أصبح اسم علم

وعليه : فكل مكان الآن يُسجد فيه لله يكون مسجداً ، فعندما حدثت حادثة الإسراء لم يكن بهذا المكان بناء يُعرفُ بالمسجد الأقصى ؛ وإنما كان المكان الموجود بين أسوار الحرم الشريف بالقدس مكاناً مخصصاً لعبادة الله ﷻ ولم يكن مسجداً بالمعنى المفهوم حالياً ؛ وإنما سمي بالمسجد ؛ لأنه مكان عبادة كان يُسجد فيه لله ﷻ وقد ظل مكان الهيكل فضاءً خالياً من أي بناء طيلة عهد الرومان النصارى، ولما حدث الإسراء والمعراج بالنبى ﷺ كان المكان ما زال خالياً من أي بناء ، إلا أنه محاط بسور فيه أبواب ، وداخله ساحات واسعة هي المقصودة بالمسجد الأقصى ، وهذا ما جاء من قوله ﷺ : ﴿ سَبَّحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء:1).

ومما يدل أكثر على أن المسجد الأقصى كان موجوداً قبل بعثة النبي ﷺ ؛ الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه برقم 808 عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَيُّ مَسْجِدٍ وَضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ ؟ قَالَ : " الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ " . قُلْتُ : " ثُمَّ أَيُّ " ؟ قَالَ : " الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى " قُلْتُ : كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ : " أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ " .

ومما يدل على صدق ما أسلفناه أكثر وأكثر هو أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دخل فلسطين فاتحاً نظف مكان المسجد الأقصى من القمامة ، وبنى بناءً ، وصلى فيه هو وأصحابه رضي الله عنهم كان ذلك بعد وفاة النبي بسنوات قليلة ، وليست أكثر من مئة عام ، وتطور بناؤه بعد ذلك ... كما يتضح لنا من الآية الكريمة إشارة خفية إلى أنه (المسجد الأقصى) سيكون مسجداً بأكمل حقيقة المساجد المعهودة عند المسلمين ، وهذا كافٍ لأبطال الشبهة - بفضل الله ﷻ -

وَالْخَصَّ مَا سَبَقَ بأن اسم المسجد هو كل مكان يُسجد فيه لله ﷻ حتى أصبح عند المسلمين اسم علم لمكان عبادتهم في عرفهم اليوم ، كما أن كلمة محراب معناها: كل مكان للعبادة يُحارب فيه الشيطان ؛ هذا قديماً و قبل بعثة النبي ﷺ

ثالثاً : بعد أن قمتُ بتعريف المسجد ، وذكرتُ أن السجود لله ﷻ كان سائداً في معظم الأزمنة حتى أن الأناجيل وصفت لنا يسوع المسيح وهو يسجد في صلاته فهذا دأب كل الأنبياء مع العلم أنه (المسيح) بحسب عقيدة المعتضيين إله !

جاء ذلك في إنجيل لوقا إصحاح 22 عدد 41 ⁴¹وَأَنْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمِيَّةٍ حَجَرٍ وَجَبَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى ⁴²قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لَيْتَكَ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ».

وَأْتَسَاءَلُ : لمن كان يسجد له يسوع ، ويصلي له وهو الإله بحسب معتقدهم ؟!

هل كان الإله يصلي لنفسه ؟ ويسجد لنفسه ؟!

أم أنه كان عبداً من عباد الله يسجد لربه ؛ لأنه في حاجة إليه كبقية البشر ؟!

ونجد في النص التالي: " ⁴³وَوَظَّهَرَ لَهُ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يَقْوِيهِ " .

وَأْتَسَاءَلُ : هل الربُّ ضعيف يحتاج إلى تقوية ؟ أم أنه رسولٌ مكرمٌ لما دعا ربه ﷻ بعث الله له ملاكاً ليقويه ؟!

ثم إن كاتب انجيل متى ذكر قول يسوع المسيح في الإصحاح 6 عدد 6 ⁶وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مَخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلَانِيَةً. لاحظ من النص : "وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ" .

نلاحظ: أنه لم يأمر بالصلاة له ، ولا للروح القدس ، إنه لم يأمر بالصلاة التي يصلي بها المعتضون اليوم ؛ التي فيها التثليث : باسم الأب ، والابن ، والروح القدس ... " وَصَلَ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ " .

أي : الذي لم يره أحد ؛ جاء ذلك في موضعين :

الأول : إنجيل يوحنا إصحاح 1 عدد¹⁸ اللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. الْابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الْآبِ هُوَ خَبَّرَ.

الثاني : إنجيل يوحنا إصحاح 5 عدد³⁷ وَالْآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلَا أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ.

رد شبهات حول معجزة انشقاق القمر !

حاولوا الطعن في معجزة النبي ﷺ فقالوا : من يشهد لمحمد رسول الإسلام على معجزة انشقاق القمر غير القرآن والأحاديث ؟!

الرد على الشبهة

أولاً : إن المسلمين يَكْفِيهِمْ أن يأتي خبر انشقاق القمر في القرآن الكريم ، أو السنة المطهرة فهذه مسألة إيمانية ؛ لأنهم لم يروا بأنفسهم ذلك المشهد ، ولكن الله ﷻ أخبر به في كتابه المجيد قائلاً : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ 1 ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ 2 ﴿ (القمر) .

جاء في التفسير الميسر : دنت القيامة ، وانفلق القمر فلقتين ، حين سأل كفار "مكة" النبي ﷺ أن يريهم آية ، فدعا الله ، فأراهم تلك الآية . وإن ير المشركون دليلاً وبرهاناً على صدق الرسول محمد ﷺ ، يُعرضوا عن الإيمان به وتصديقه مكذابين منكرين ، ويقولوا بعد ظهور الدليل: هذا سحر باطل ذاهب مضمحل لا دوام له . أهـ

إذا : هذا يكفي بالنسبة للمسلم - والله الحمد - .

ثانياً : إن الرد على سؤالهم الذي يقول : من يشهد لمحمد ﷺ على معجزة انشقاق القمر غير القرآن والأحاديث ؟! يكون على عدة أوجه :

الأول : أتساءل : هل كان النبي ﷺ يقرأ القرآن أمام أصحابه ﷺ فقط ، أم أمام المشركين أيضاً ؟

الجواب : قرأ أمام المشركين أيضاً .

إذا : يبقى سؤال الذي يطرح نفسه هو: هل قال واحد من المشركين لما سمع الآية الكريمة : إن انشقاق القمر لم يحدث ؟!

الجواب : لم يقل أحدٌ بذلك قط ، بل قالوا لما رأوا انشقاق القمر : " هذا سحرٌ مُستمرٌ " .

إذاً : المشركون أنفسهم في زمانِ النبي ﷺ شهدوا له ﷺ بهذه المعجزة ، وبوقوعها ؛ لكنهم يؤولونها بأنها سحرٌ مستمرٌ ، ولم ينفوا الحادثة ؛ ثبت في صحيح البخاري 3365 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً ، فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ .

والخص القول: بالنسبة لمعجزة انشقاق القمر أتساءل : هل كان النبي ﷺ يقرأ القرآن في مكانٍ سريٍّ لا يسمعه أحدٌ ، أم كان يقرأ على مسامع الكفار في صلاة الجمعة والعيدين ... ؟

الجواب : كان يقرأ على مسامع الكفار في صلاة الجمعة والعيدين... ومع ذلك لم يذكر التاريخُ أي اعتراض من أحدٍ على آية انشقاق القمر!

الثاني : شهدت لمحمد ﷺ على معجزة انشقاق القمر غير القرآن الكريم ، والأحاديث ، وكالة ناسا الفضائية ، وهذا الحدث مصورٌ فيه بقايا آثار انشقاق القمر ، فموقع ناسا يثبت انشقاق القمر كما جاء الخبرُ في القرآن الكريم ، وأدعو المعترضين لزيارته ليشاهدوا بأنفسهم في الموقع التالي :

<http://apod.nasa.gov/apod/ap021029.html>

وأنبه بأن موقع ناسا الأمريكي لم ولن يقل: إن القمر انشق كما جاء في القرآن الكريم ؛ وإنما ذكر لنا حقيقة حدثت مثل تشققات.... حتى لا يقل أحدٌ : إن وكالة ناسا قالت : إن القمر انشق كما قال القرآن ..وهذه من معجزات نبي الإسلام ... هذا لم يحدث ولن يحدث

الثالث : شهدت لمحمد ﷺ على معجزة انشقاق القمر غير القرآن الكريم ، والأحاديث ؛ بعض المعابد الهندية البوذية مكتوب عليها (بُني في ليلة انشقاق القمر) ، وفي المقالة الحادية عشرة من تاريخ فرشته الهندي تصريح بحدوث هذه الحادثة ، وأن أهل مليبار شاهدوا ذلك وأرخوا بعض الأبنية بتاريخها.

إن هناك ملكاً يدعي جاكرواني فرماس والرواية كما جاءت في أحد المخطوطات الهندية القديمة "شاهد ملك ما جبار" "مالابار" بالهند (جاكرواني فرماس) انشقاق القمر ؛ الذي وقع لمحمد ﷺ ، وعلم عند استفساره عن انشقاق القمر بأن هناك نبوة عن مجيء رسول من جزيرة العرب، وحينها عين ابنه خليفة له ، وانطلق لملاقاته. وقد أعتنق الإسلام على يد النبي ﷺ ، وعندما عاد إلى وطنه - بناءً على توجيهات النبي ﷺ وتوفي في ميناء ظفار"

المخطوطة الهندية موجودة في مكتبة مكتب دائرة الهند بلندن التي تحمل رقم المرجع : عربي 2807 ، 152 إلى 173 وقد اقتبسها حميد الله في كتابه محمد رسول الله وقد ورد في السنة أن هناك ملك هندي جاء وأشهر إسلامه عند النبي ﷺ ثم عاد لموطنه؛ ففي مستدرك الحاكم: "عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: ثم أهدى ملك الهند إلى رسول الله ﷺ جرة فيها زنجبيل، فأطعم أصحابه قطعة قطعة، وأطعمني منها قطعة. قال الحاكم ولم أحفظ في أكل رسول الله ﷺ الزنجبيل سواه. مستدرك الحاكم ك/ الأظعمة ج4 ص150. وقد حفظت المراجع الإسلامية قصة هذا الصحابي الذي قدم من الهند، فذكره الإمام ابن حجر العسقلاني في الإصابة ، وفي لسان الميزان وقال: إن اسمه (سَرَبَانَك) وهذا هو الاسم الذي عرف به عند العرب هذه رواية وهي تبدو محكمه إلى حد بعيد . اهـ منقول من مقال.

ثالثاً : إن الأناجيل ذكرت أن الأرض كلها أظلمت لما كان يسوعُ على الصليب ...
وأسألهم نفسَ سؤالهم من يشهد ليسوع غير الأناجيل أن الأرض كلها أظلمت ثلاث
ساعات من السادسة إلى التاسعة لما كان يسوعُ على الصليب ؛ المفترض أنه حدث عظيم
لا بد أن يكون الجميع بما فيهم اليهود قد رأوه ؟!

الجواب: لا أحد ذكر أن الأرض كلها أظلمت ثلاث ساعات لما كان يسوعُ على الصليب
بزعم معتقدتهم سوى الأناجيل فقط؛ جاء ما سبق في الآتي :

1- إنجيل متى إصحاح 27 عدد 45 ⁴⁵ وَمِنْ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ إِلَى
السَّاعَةِ الثَّاسِعَةِ. ⁴⁶ وَنَحْوَ السَّاعَةِ الثَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِلِيلِي، إِلِيلِي،
لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيُّ: إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟

2- إنجيل مرقس إصحاح 15 عدد 33 ³³ وَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ السَّادِسَةُ، كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى
الْأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ الثَّاسِعَةِ. ³⁴ وَفِي السَّاعَةِ الثَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ
قَائِلاً: «إِلُوي، إِلُوي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟

6- إنجيل لوقا إصحاح 13 عدد 44 ⁴⁴ وَكَانَ نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ، فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى
الْأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ الثَّاسِعَةِ. ⁴⁵ وَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ، وَانْشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ مِنْ
وَسْطِهِ. ⁴⁶ وَنَادَى يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ: «يَا أَبْنَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي».
وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ.

ثم إن الأعجب من ذلك : أن المعترضين يعترضون على معجزة انشقاق القمر ، والكتاب
المقدس شهد لمعجزة مثلها ؛ هي لما أوقف الربُّ القمرَ ، ودامت الشمسُ ليوشع يوم كامل
حتى انتصر على أعدائه ! نجد ذلك في سفر يوشع إصحاح 10 عدد 12 ¹² حِينَئِذٍ كَلَّمَ يَسُوعُ
الرَّبُّ، يَوْمَ أَسْلَمَ الرَّبُّ الْأُمُورَ أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ أَمَامَ عِيُونِ إِسْرَائِيلَ: «يَا شَمْسُ

دُومِي عَلَى جَبْعُونَ، وَيَا قَمْرُ عَلَى وَادِي أَيْلُونَ». ¹³ فَدَامَتِ الشَّمْسُ وَوَقَفَ الْقَمَرُ حَتَّى أَنْتَقِمَ
الشَّعْبُ مِنْ أَعْدَائِهِ. أَلَيْسَ هَذَا مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ يَاشَرَ؟ فَوَقَفَتِ الشَّمْسُ فِي كِبِدِ السَّمَاءِ وَلَمْ
تَعَجَلْ لِلْغُرُوبِ نَحْوَ يَوْمٍ كَامِلٍ. ¹⁴ وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ سَمِعَ فِيهِ الرَّبُّ
صَوْتَ إِنْسَانٍ، لِأَنَّ الرَّبَّ حَارَبَ عَنْ إِسْرَائِيلَ.

ملاحظات هامة ملخصها في الآتي :

1- بالنسبة لمعجزة انشقاق القمر لم يشاهدها كل الناس في كل البلاد ؛ لأن الليل لا
يسود في كل البلاد في وقت واحد مثال : الليل عندنا في مصر الآن ، وفي أمريكا عندهم
نهار الآن وهكذا ؛ أعنى : عندنا القمر الآن وفي الوقت ذاته عندهم الشمس ساطعة

2- إن النص المذكور في الأناجيل يقول: " كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا ".
إذا : المفترض أن كل الناس في كل أنحاء الأرض رأوا هذه الظلمة فيشهدوا للأناجيل
وهذا لم يحدث !

ثم إنني أتساءل : لما مات يسوع الإله على الصليب بحسب زعمهم، و
بعضهم (الأرثوذكس) يعتقد أن اللاهوت لم يفارق الناسوت لحظة واحدة ، من كان يدبر أمر
السموات والأرض في تلك الفترة بعد موت الإله ؟!

6- إن معجزة يوشع بن نون شهد لها نبينا ﷺ ؛ ثبت ذلك في السلسلة الصحيحة للألباني
- رحمه الله - برقم 2226 عن أبي هريرة ؓ قال ﷺ : " مَا حُبِسَتِ الشَّمْسُ عَلَى بَشَرٍ
قَطُّ إِلَّا عَلَى يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ لِيَالِي سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ " .

نبي يرمى التراب على المشركين فعميوا ، هل هذه معجزة...؟!

قرأت شبهة قديمة طرحها أحد المنصرين ، قال مستهزئاً : هل لما رمى رسول الإسلام التراب في وجه المشركين ، وقال شأهت الوجوه ، وعميوا جميعاً معجزة أيها المسلمون !؟.....

وجدتُ اعتراضه تحت تفسير قوله ﷺ : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (17) (الأنفال).

1- تفسير الألوسي : { فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ } الخطاب للمؤمنين ، والفاء قيل واقعة في جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر إمداده تعالى وأمر بالتثبيت وغير ذلك ، كأنه قيل : إذا كان الأمر كذلك فلم تقتلوه أنتم بقوتكم وقدرتكم { ولكن الله قتلهم } بنصركم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم . وجوز أن يكون التقدير إذا علمتم ذلك فلم تقتلوه على معنى فاعلموا أو فاخبركم أنكم لم تقتلوه ، وقيل : التقدير إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوه لما روى أنهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين أقبلوا يتفاخرون يقولون : قتلنا وأسرت وفعلنا وتركنا فنزلت . وقال أبو حيان : ليست هذه الفاء جواب شرط محذوف كما زعموا وإنما هي للربط بين الجمل لأنه قال ﷺ : { فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان } [الأنفال 12] وكان امتثال ما أمر به سبباً للقتل فقل فلم تقتلوه أي لستم مستبدين بالقتل لأن الأقدار عليه والخلق له إنما هو الله تعالى ، قال السفاقي : وهذا أولى من دعوى الحذف . وقال ابن هشام : إن الجواب المنفي لا تدخل عليه الفاء

ومن هنا مع كون الكلام على نفي الفاعل دون الفعل كما قيل ذهب الزمخشري إلى اسمية الجملة حيث قدر المبتدأ أي فأنتم لم تقتلوه ، وجعل بعضهم المذكور علة الجزاء أقيمت مقامه وقال : إن الأصل إن افتخرتم بقتلهم فلا تفتخروا به لأنكم لم تقتلوه

ونظائره كثيرة ، ولعل كلام أبي حيان كما قال السفاقي أولى ، والخطاب في قوله سبحانه : { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى } خطاب لنبيه عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين وهو إشارة إلى رميه ﷺ بالحصى . يوم بدر وما كان منه . فقد روى أنه عليه السلام قال: لما طلعت قريش من العتقل : هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام فقال له : خذ قبضة من تراب فارمهم بها ، فلما التقى الجمعان قال لعلي كرم الله تعالى وجهه : أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها وجوههم فقال : شأهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وجاء من عدة طرق ذكرها الحافظ ابن حجر أن هذا الرمي كان يوم بدر ، وزعم الطيبي أنه لم يكن إلا يوم حنين وأن أئمة الحديث لم يذكر أحد منهم أنه كان يوم بدر وهو كما قال الحافظ السيوطي ناشيء من قلة الإطلاع فإنه عليه الرحمة لم يبلغ درجة الحفاظ ومنتهى نظره الكتب الست ومسند أحمد ومسند الدارمي وإلا فقد ذكر المحدثون أن الرمي قد وقع في اليومين فنفى وقوعه في يوم بدر مما لا ينبغي ، وذكر ما في حنين في هذه القصة من غير قرينة بعيد جداً ، وما ذكره في تقريب ذلك ليس بشيء كما لا يخفى على من راجعه وأنصف . اهـ

7- تفسير البيضاوي: { فلم تقتلوهم } بقوتكم { ولكن الله قتلهم } بنصركم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم روي [أنه لما طلعت قريش من العتقل قال عليه الصلاة والسلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام وقال له : خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها وفي وجوههم وقال (شأهت الوجوه) فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلته وأسرت فنزلت ، وإلقاء جواب شرط محذوف تقديره : إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم { وما رميت } يا محمد رميا توصله إلى أعينهم ولم تقدر عليه { إذ رميت } أن إذ أتيت بصورة الرمي { ولكن الله رمى } أتى بما

هو غاية الرمي فأوصلها إلى أعينهم جميعاً حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرها وقد عرفت أن اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كما له والمقصود منه وقيل :معناه ما رميت بالرعب إذ رميت بالحصباء ولكن الله ﷻ رمى بالرعب في قلوبهم اهـ

الرد على الشبهة

أولاً : ليس من حق المعارض الاستهزاء ؛لأن الجهل بأمر المعجزة ظاهراً عليه ...
وعلى كل فإن المعجزة هي : أمر خارق للعادة ينعم الله ﷻ بها على النبي والرسول ، تأييداً له وتصديقاً لبعثته من رب العالمين ...

الملاحظ من التفاسير : أن النبي ﷺ أخذ قبضةً من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفاً من الحصباء فرمى بها وجوههم وقال: "شاهت الوجوه " فلم يبق مشرك إلا وشغل بعينه فانهزموا وإذا بالمؤمنين يقتلونهم ويأسرونهم...

وعليه : فإن ما سبق هو أمر خارق للعادة ينطبق تماماً على تعريف المعجزة الذي أسلفته ، وبهذا ثبت جهل ادعاء المعارض

ثم إن معجزات النبي ﷺ فاقت ألف معجزة , وأكثرها متواترة معنوياً ومتصلة السند منها :

- 1- القرآن الكريم أول معجزاته ﷺ .
- 2- آتاه الله جوامع الكلم ، وذلك في صحيح مسلم.
- 3- نطق الجمادات بين يديه ، وشهادتها له بالرسالة ، وذلك في صحيح البخاري ومسلم .
- 4- انشقاق القمر له ، وذلك في القرآن الكريم ، وصحيح البخاري ومسلم.

5- شفى عدداً كبيراً من المرضى بدعائه أو بلمسه ، مثل : عبد الله بن عتيك ، قتادة بن النعمان

6- شاة عجوز لم تلد حلبت اللبن حين مسّ ضرعها بيده الشريفة ، وذلك في مسند أحمد .

7- الماء نبع من بين أصابعه ، وذلك في صحيح البخاري ومسلم .

8- الجذعُ حنّ لفراقه ، ونطق أمام أصحابه ﷺ ، وذلك في صحيح البخاري ومسلم...

9-

وثبت أكثر من ذلك بكثير في كتب السنة الصحيحة ، وكتب السيرة ، والكتب التي أشرتُ إليها

ثانياً : إن المعارض غاب عن نظره أمرٌ هامٌ جداً ، وهو أن الذي أمر محمداً ﷺ أن يأخذ قبضة من التراب هو جبريل ، وجبريل ملك من عند الله ﷻ...

إذاً : محمد ﷺ رسول من عند الله يوحى إليه من طريق ملك هو جبريل ... وبذلك يكون قد انقلب السحر على الساحر - بفضل الله ﷻ -

ثالثاً : العجيب أن يسوع لما طلب منه الفريسيون معجزة ، كان الجواب هو السب قائلًا لهم : جيل شرير وفاسق... جاء ذلك في إنجيل متى إصحاح 16 عدد 4 جيل شرير فاسق يلتبس آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي ثم تركهم ومضى.

قالوا : نبي الإسلام أخطأ في تحديد موعد الساعة !

أثاروا شبهةً حول زمنِ القيامةِ مدعين أن محمداً أخطأ في تحديد يومِ القيامةِ، فقد قال :
القيامة بعد مائة سنة ، وقد مرت المائة سنة ، ولم تقم القيامة ... مستندين في ذلك إلى
حديث جاء في صحيح مسلم برقم 4608 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ تَبُوكَ
سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا تَأْتِي مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنفُوسَةٌ
الْيَوْمَ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن من المعلوم المقطوع به أن نبيِّنا محمداً ﷺ لا يعلمُ وقتَ الساعةِ أبداً ؛ فهي من
الأمور التي حجب ﷻ علمها عنه وعن سائر خلقه ؛ فلا يعلمها ملكٌ مقربٌ ، ولا نبيٌّ
مرسل..... يدلل على ذلك ما يلي :

- 1- قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ (طه 15)
- 2- قوله ﷺ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا
لَوْفَتَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ
إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف 187) .
- 3- قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي
نَفْسٌ مَازَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (34) ﴾ (لقمان) .

4- قوله ﷺ : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَيْءٍ (47) ﴾ (فصلت).

5- قوله ﷺ : ﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (85) ﴾ (الزخرف).

6- صحيح البخاريّ برقم 48 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الْحَدِيثِ الشَّهِيرِ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَجَبْرِيلَ ... قَالَ جَبْرِيلُ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتْ الْأُمَّةُ رَبِّهَا وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ ﷺ : { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ } الْآيَةَ ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ رُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا فَقَالَ هَذَا جَبْرِيلُ جَاءَ يَعْلَمُ النَّاسَ دِينَهُمْ " .

إِذَا : مُحَمَّدٌ ﷺ يَبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مِيعَادَ السَّاعَةِ أَبَدًا بَلْ هِيَ مِمَّا اسْتَأْثَرَ بِهِ اللَّهُ ﷻ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ ، وَبَيَّنَّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ أَطْلَعَهُ ﷺ عَلَى بَعْضِ عِلَامَاتِ قُرْبِهَا ...

فَأُخْبِرَ ﷺ عَنْ بَعْضِ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ الْحَيَاةَ سَتَسْتَمِرُّ قُرُونًا بَعْدَهُ ﷺ ، مِثْلَ : فَتْحِ بِلَادِ الشَّامِ وَالْيَمَنِ ، وَصُورِ ، وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَرُومِيَّةِ ، وَأَنَّ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ثُمَّ تَصِيرُ مَلَكًا عَاضًا ثُمَّ تَصِيرُ مَلَكًا جَبْرِيًّا ثُمَّ تَعُودُ دَوْلَةُ الْخِلَافَةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، وَإِخْبَارِهِ عَنْ تَكَالُفِ الْأُمَمِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ ، حَدُوثِ الْفِتَنِ ، وَالتَّغْيِيرَاتِ كَتَقَارُبِ الزَّمَانِ ، وَكَثْرَةِ الْهَرَجِ (الْقَتْلِ) ، وَالزَّلَازِلِ ، وَانْتِشَارِ الْفُسَادِ ، وَالظُّلْمِ ، وَنَقْضِ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةَ عُرْوَةٍ ، وَعُودَةِ الدِّينِ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ ، وَأَخْذِ الْأُمَّةِ بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلُهَا شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ الْأَخْبَارُ كُلُّهَا صَحِيحَةُ السَّنَدِ .

وَأُخْبِرَ ﷺ عَنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الْكُبْرَى كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ بِرَقْمِ 5162 عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ قَالَ : أَطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ : مَا تَذَكَّرُونَ ؟ قَالُوا نَذَكَّرُ السَّاعَةَ : قَالَ : " إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالْجَالَ وَالْذَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنَزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خُسُوفٍ بِالْمَشْرِقِ وَخُسُوفٍ بِالْمَغْرِبِ وَخُسُوفٍ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ " .

وعليه فلا يقول عاقلٌ : إن واحداً من الصحابة ﷺ اعتقد بحدوثِ هذا كله قبل أن يموتَ الغلام الذي أشار إليه النبي ﷺ في الحديث (محل الشبهة).... !
فما فهم هذا الفهم السقيم واحدٌ من أصحابِ النبي ﷺ ، ولا التابعين ، ولا من تبعهم من أهل العلم بخلاف حال المعترضين.... .
بل أخبر النبي ﷺ صراحةً في الحديث إن القرون ستتوالى على الأمة
تدل على ذلك أدلة منها :

1- صحيح البخاري برقم 2457 عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - قال :
قال النبي ﷺ : " خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ". قال عمران : لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة. قال النبي ﷺ : " إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمِنُونَ وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ " .

-2

3- صحيح مسلم برقم 208 عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : " بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ " .

-4

3- سنن ابن ماجه برقم 4026 عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : " سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ يَصْدَقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيَكْذِبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ " قيل: وما الرُّوَيْبِضَةُ ؟ قال: " الرَّجُلُ التَّافَهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ " .

تحقيق الألباني : صحيح ، الصحيحة (1887) .

و بهذا أكون قد نسفتُ الشبهة من جذورها نفساً - بفضل الله ﷻ - ...

ثانيًا : إن فهم الحديث فهما صحيحًا يكون من خلال الجمع بين الروايات الأخرى ، فيصبح المعنى لا يبقى أحدٌ ممن كان موجوداً على ظهر الأرض حين تكلم النبي ﷺ في تلك الليلة على رأس المائة سنة، وأما من ولد بعد تلك الليلة التي تحدث فيها النبي فلا يسري عليه هذا الحديث ... دليل ذلك الآتي :

1- الحديث نفسه فيه كلمة " اليوم " الحديث يقول : " لَا تَأْتِي مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنفُوسَةٌ الْيَوْمَ " .

إذا : من يولد بعد ذلك اليوم فلا ينطبق عليه الأحاديث، فالأجيال تتابع ...

2- النبي ﷺ أخبر أن الأمم تتابع قرونًا عدة ، مثل : قوله ﷺ : لتفتحن القسطنطينية ، وقد فتحت بعد مئات السنين....

3- كتب الشروح تدلل على ما سبق منها :

1- شرح النووي لمسلم : قوله ﷺ : (أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ ، فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ قَالَ ابْنُ عُمَرَ : وَإِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَنْخَرِمَ ذَلِكَ الْقَرْنُ) وفي رواية جابر (أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِشَهْرٍ يَقُولُ : مَا مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ الْيَوْمَ يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ وَهِيَ حَيَّةٌ يَوْمئِذٍ) وفي رواية أَبِي سَعِيدٍ مِثْلَهُ ، لَكِنْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ : ذَلِكَ لَمَّا رَجَعَ مِنْ تَبُوكَ . هَذِهِ الْأَحَادِيثُ قَدْ فَسَّرَ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَفِيهَا عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ النَّبُوءَةِ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ كَانَتْ اللَّيْلَةُ عَلَى الْأَرْضِ لَا تَعِيشُ بَعْدَهَا أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ ، سِوَاءِ قَلَّ أَمْرُهَا قَبْلَ ذَلِكَ أَمْ لَا ، وَلَيْسَ فِيهِ نَفْيٌ عِشِّ أَحَدٍ يُوْجَدُ بَعْدَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَوْقَ مِائَةِ سَنَةٍ .

قَوْلُهُ : (فَوَهَلَ النَّاسَ) : بَفَتْحِ الْهَاءِ أَيْ غَلَطُوا يُقَالُ : وَهَلَ بَفَتْحِ الْهَاءِ يَهْلُ بِكَسْرِهَا وَهَلًا كَضَرْبٍ يَضْرِبُ ضَرْبًا أَيْ غَلَطَ ، وَذَهَبَ وَهْمُهُ إِلَى خِلَافِ الصَّوَابِ . وَأَمَّا (وَهَلَتْ) بِكَسْرِهَا أَهْلٌ بَفَتْحِهَا وَهَلًا كَحَذَرْتُ أَحْذَرُ حَذَرًا فَمَعْنَاهُ فَرَعْتُ ، وَالْوَهْلُ بِالْفَتْحِ الْفَزَعُ .
قَوْلُهُ : (يَنْخَرِمُ ذَلِكَ الْقَرْنُ) : أَيْ يَنْقَطِعُ وَيَنْقُضِي .

وَمَعْنَى (نَفْسٌ مَنفُوسَةٌ) : أَيْ : مَوْلُودَةٌ ، وَفِيهِ احْتِرَازٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ . اهـ

2- عون المعبود لشرح سنن أبي داود : وَبَيَّنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرَادَ بِذَلِكَ انْخِرَامَ الْقَرْنِ عِنْدَ انْقِضَاءِ مِائَةِ سَنَةٍ ، مِنْ مَقَالَتِهِ تِلْكَ وَهُوَ الْقَرْنُ الَّذِي كَانَ هُوَ فِيهِ بِأَنْ تَنْقُضِي أَهَالِيَهُ وَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ بَعْدَ مِائَةِ سَنَةٍ ، وَلَيْسَ مُرَادُهُ أَنْ يَنْقَرِضَ الْعَالَمُ بِالْكُلِّيَّةِ ، وَكَذَلِكَ وَقَعَ بِالِاسْتِقْرَاءِ فَكَانَ آخِرُ مَنْ ضَبَطَ عُمُرَهُ مِمَّنْ كَانَ مَوْجُودًا حِينَئِذٍ أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّهُ كَانَ آخِرَ الصَّحَابَةِ مَوْتًا ، وَغَايَةَ مَا قِيلَ فِيهِ أَنَّهُ بَقِيَ إِلَى سَنَةِ عَشْرٍ وَمِائَةٍ ، وَهِيَ رَأْسُ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ مَقَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّ أَعْمَارَ أُمَّتِهِ لَيْسَتْ تَطُولُ كَأَعْمَارِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ لِيَجْتَهِدُوا فِي الْعَمَلِ أَنْتَهَى

(يُرِيدُ) : أَيْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ مِائَةِ سَنَةٍ

(أَنْ يَنْخَرِمَ) : أَيْ : يَنْقَطِعُ

(ذَلِكَ الْقَرْنُ) : الَّذِي هُوَ فِيهِ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِمَّنْ كَانَ مَوْجُودًا حَالَ تِلْكَ الْمَقَالَةِ .

قَالَ فِي النَّهَايَةِ : الْقَرْنُ أَهْلُ زَمَنٍ ، وَانْخِرَامُهُ ذَهَابُهُ وَانْقِضَاؤُهُ أَنْتَهَى . وَقَالَ الْعَلَامَةُ الْعَيْنِيُّ : وَالْقَرْنُ بَفَتْحِ الْقَافِ كُلُّ طَبَقَةٍ مُفْتَرَيْنِ فِي وَقْتٍ وَمِنْهُ قِيلَ لِأَهْلِ كُلِّ مَدَّةٍ أَوْ طَبَقَةٍ بُعِثَ فِيهَا نَبِيٌّ قَرْنٌ . قَلَّتِ السُّنُونَ أَوْ كَثُرَتْ أَنْتَهَى . وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ : " تَسْأَلُونَ عَنِ السَّاعَةِ ، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَأُقْسَمُ بِاللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ " هَذِهِ رَوَايَةُ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْهُ . وَفِي رَوَايَةِ أَبِي نَضْرَةَ عَنْهُ قَالَ ذَلِكَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ " مَا مِنْ نَفْسٍ " وَزَادَ فِي آخِرِهِ " وَهِيَ حَيَّةٌ يَوْمئِذٍ " وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ نَحْوَ رَوَايَةِ أَبِي الزُّبَيْرِ . وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " لَا تَأْتِي مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنفُوسَةٌ الْيَوْمَ " .

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ يَأْتُونَ النَّبِيَّ ﷺ فَيَسْأَلُونَهُ عَنْ السَّاعَةِ فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ فَيَقُولُ: إِنَّ يَعْشَ هَذَا لَا يَدْرِكُهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ أَيْ قِيَامَتُكُمْ وَهِيَ السَّاعَةُ الصَّغْرَى وَالْمُرَادُ مَوْتُ جَمِيعِهِمْ
قَالَ الْفَاضِي عِيَّاضُ : أَرَادَ بِالسَّاعَةِ انْقِرَاضَ الْقَرْنِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عِدَادِهِمْ ؛ وَلِذَلِكَ أَضَافَ إِلَيْهِمْ .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَرَادَ مَوْتُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَاللَّهِ أَعْلَمُ .
قَالَ الْمُنْذِرِيُّ : وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ ١٠١هـ .

3- تحفة الأحوذى : قَوْلُهُ : (مَا عَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنفُوسَةٌ) : أَيْ :مَوْلُودَةٌ.

(يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ) : قَالَ النَّوَوِيُّ : الْمُرَادُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ كَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى الْأَرْضِ لَا يَعْشُ بَعْدَهَا أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ سِوَاءَ قَلِّ عُمُرِهِ قَبْلَ ذَلِكَ أَمْ لَا ، وَلَيْسَ فِيهِ نَفْيُ عَيْشٍ أَحَدٍ يُوجَدُ بَعْدَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَوْقَ مِائَةِ سَنَةٍ ، وَمَعْنَى نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ أَيْ :مَوْلُودَةٍ وَفِيهِ احْتِرَازٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ . قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ فِي بَابِ السَّمْرِ فِي الْفَقْهِ وَالْخَيْرِ بَعْدَ الْعِشَاءِ : قَالَ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ : احْتِجَّ الْبُخَارِيُّ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى مَوْتِ الْخَضِرِ وَالْجُمْهُورُ عَلَى خِلَافِهِ ، وَاجَابُوا عَنْهُ بِأَنَّ الْخَضِرَ كَانَ حَيِّنْذٌ مِنْ سَاكِنِي الْبَحْرِ فَلَمْ يَدْخُلْ فِي الْحَدِيثِ . قَالُوا وَمَعْنَى الْحَدِيثِ لَا يَبْقَى مِمَّنْ تَرَوْنَهُ أَوْ تَعْرِفُونَهُ فَهُوَ عَامٌّ أُرِيدَ بِهِ الْخُصُوصُ وَقِيلَ احْتِرَازٌ بِالْأَرْضِ عَنِ الْمَلَائِكَةِ ... ١٠١هـ

ثالثاً : أتعجبُ أن يصدر من المعترضين مثل هذا الاعتراض الوهمي ؛ لأن الأنجيل أكدت لنا أن القيامة ستكون في القرن الأول ، وأن يسوع سيعود ويحاسب البشر في القرن الأول قبل انقضاء جيله ، وكان كل تلاميذه ، والمكرزين بالأنجيل يعتقدون بذلك و ينادون به جاء ذلك في الآتي :

1- إنجيل متى إصحاح 24 عدد 29 «وَلَلْوَقْتُ بَعْدَ ضَيْقٍ تِلْكَ الْأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لَا يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعَّزَعُ.»³⁰ وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلَامَةُ ابْنِ الْإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَتَوَحُّ جَمِيعُ قِبَائِلِ الْأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ.³¹ فَيُرْسِلُ مَلَائِكَتَهُ بِبُوقٍ عَظِيمِ الصَّوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الْأَرْبَعِ الرِّيَّاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا.³² فَمَنْ شَجَرَةُ التَّيْنِ تَعْلَمُوا الْمَثَلُ: مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصًا وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا، تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ.³³ هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى رَأَيْتُمْ هَذَا كُلَّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الْأَبْوَابِ.³⁴ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَمْضِي هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ !

2- إنجيل متى إصحاح 16 عدد 27 فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ.²⁸ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْمًا لَا يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ !

وَأْتَسَاءَلُ : هل حدث ما أخبر به يسوع ؟ أم أن هذه نبوءة كاذبة بحسب تلك النصوص...

!؟

رابعاً : إن الأمر المثير للدهشة والعجب هو عنوان الشبهة : (نبيُّ اخطأ في تحديد موعد الساعة!) وقد نسفتها بالأدلة مع إثبات أن علم الساعة مردها لله فقط ولكن الأعجب من ذلك هو أن المعترضين يعتقدون أن يسوع المسيح إله ، ولكن هذا الإله لا يعلم وقت الساعة ، ولا يعلم موسم التين

جاء ذلك في الآتي :

1- يسوع المسيح الإله لا يعلم متى الساعة جاء ذلك فيما يلي :

أ- إنجيل متى إصحاح 24 عدد 36 «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلَّا أَبِي وَحْدَهُ.

ب-

ت- إنجيل مرقس إصحاح 13 عدد «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْابْنُ، إِلَّا الْآبُ.

2- يسوع دمر شجرة التين تدميراً ... لأنه لا يعلم موسم التين ... جاء ذلك فيما يلي:

أ- إنجيل مرقس إصحاح 11 عدد 11 «فَدَخَلَ يَسُوعُ أُورُشَلِيمَ وَالْهَيْكَلَ، وَلَمَّا نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ إِذْ كَانَ الْوَقْتُ قَدْ أَمْسَى، خَرَجَ إِلَى بَيْتٍ عَنِيًّا مَعَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ. 12 وَفِي الْغَدِ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ بَيْتٍ عَنِيًّا جَاعَ، 13 فَنَظَرَ شَجَرَةَ تَيْنٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ، وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئًا إِلَّا وَرَقًا، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتُ الثَّيْنِ. 14 فَاجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «لَا يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْكَ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الْأَبَدِ!». وَكَانَ تَلَامِيذُهُ يَسْمَعُونَ.

ب- إنجيل متى إصحاح 21 عدد 19 «فَنَظَرَ شَجَرَةَ تَيْنٍ عَلَى الطَّرِيقِ، وَجَاءَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا وَرَقًا فَقَطَّ. فَقَالَ لَهَا: «لَا يَكُنْ مِنْكَ ثَمَرٌ بَعْدُ إِلَى الْأَبَدِ!». فَيَبَسَتْ الثَّيْنَةُ فِي الْحَالِ !

ت-

قُلْتُ : إذا كان يسوع المسيح إلهاً ولا يعلم متى الساعة ،ولا موسم التين

وَأَسْأَلُ:

1- هل يستحق هذا الإله لقب إله ؟!

2- هل هناك إله لا يعلم الغيب؟!

3- هل يستحق هذا الإله أن يعبد ... أم أن يسوع المسيح نبي من عند الله لا يعلم متى

الساعة كَنَبِيَّنَا ﷺ ؟!...

الباب الخامس

شبهاتٌ حول أحاديثٍ تتعلقُ
بالمراةِ و زوجاته ﷺ

رد شبهة: نبي يقول: المرأة شؤم !

ادعوا أن نبينا ﷺ حكم على المرأة بأنها شؤم!

وتعلقوا على ذلك بما جاء في الصحيحين :

5- صحيح البخاري كتاب (النكاح) باب (ما يتقى من شؤم المرأة) برقم 4704 عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: ذَكَرُوا الشُّؤْمَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ ".

6- صحيح مسلم كتاب (السلام) باب (الطَّيْرَةُ وَالْفَأَلُ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الشُّؤْمِ) برقم 4130 عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي الْفَرَسِ وَالْمَسْكَنِ وَالْمَرْأَةِ ".

الرد على الشبهة

أولاً: إن المسلمين يعتقدون أن هذا الكون لا يتحرك فيه متحرك ولا يسكن فيه ساكن من الذرة إلى المجرة إلا بأمر من الله ﷻ وبقضائه ؛ يقول ﷻ : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة 51) .

ولقد نهى نبينا ﷺ عن الطيرة (التشاؤم) ؛ لأنها تنافي العقيدة الصحيحة من وجهين:

الأول : أن المتشائم أعتقد بأشياء لا تنفع ولا تضر على الحقيقة .

الثاني : أن التشاؤم يقطع حسن التوكل على الله ﷻ ، واليقين به .

تدل على ما سبق أدلة منها :

1- صحيح البخاري برقم 5313 عن أبي هريرة ؓ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " لَا طِيرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأَلُ " قَالُوا : وَمَا الْفَأَلُ ؟ قَالَ : " الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ " .

7- صحيح البخاري برقم 5315 عَنْ أَنَسٍ ؓ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " لَا عَدَوَى وَلَا طِيرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأَلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ " .

8- مسند أحمد برقم 6748 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ مِنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ قَالَ: " أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمُ اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ " .

وفي سنن أبي داود برقم 3418 عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ أَحْمَدُ الْقُرَشِيُّ: قَالَ: ذُكِرَتْ الطَّيْرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "أَحْسَنُهَا الْفَالُ وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ".
إِذَا : بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الَّذِي يَرُدُّهُ التَّشَاوُمُ عَنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ ﷻ شَرَكًا أَصْغَرَ يَسْتَوْجِبُ الْكَفَّارَةَ...

10- سنن أبي داود برقم 3411 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ؓ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "الطَّيْرَةُ شَرِكُ الطَّيْرَةِ شَرِكٌ ثَلَاثًا وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَذْهَبُهُ بِالتَّوَكُّلِ". والأحاديث في هذا الشأن كثيرة ...

ثَانِيًا : بعد أن بَيَّنَّتْ بِفَضْلِ اللَّهِ ﷻ أَنَّ التَّشَاوُمَ لَا يَجُوزُ فِي حَقِّ الْمُسْلِمِ ، وَهُوَ شَرِكٌ ، وَذَنْبٌ كَبِيرٌ ...

جاء الدور لأَبِيْنَ مَعْنَى حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي مَعْنَاهُ - بِفَضْلِ اللَّهِ ﷻ -
قَوْلُهُ ﷺ : « إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ ».

قُلْتُ : إِنْ هَذَا الْحَدِيثُ يُفْهَمُ فَهْمًا صَحِيحًا مِنْ وَجْهَيْنِ :

الوجه الأول : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ حَالِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ أَنَّهُمْ قَالُوا: " الشُّؤْمُ فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ " ؛ فَلَمْ يَسْمَعْ الرَّاوي الْحَدِيثَ مِنْ أَوَّلِهِ ؛ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ قَالُوا...
وهذا ما صرحت به عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فِي مَوْضِعَيْنِ :

1- مشكل الآثار (ج 2 / ص 276) للإمام الطحاوي : عَنْ أَبِي الزَّبِيرِ سَمِعَ جَابِرًا يَحْدُثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ سَوَاءً وَقَدْ رَوَى عَنْ عَائِشَةَ إِنكَارَهَا لِذَلِكَ وَإِخْبَارَهَا أَنَّ

رسول الله ﷺ إنما قال ذلك إخباراً منه عن أهل الجاهلية أنهم كانوا يقولونه غير أنها ذكرته عنه ﷺ بالطيرة لا بالشؤم والمعنى فيهما واحد وإذا كان ذلك كذلك كان ما روي عنها مما حفظته عن رسول الله ﷺ من إضافته ذلك الكلام إلى أهل الجاهلية أولى مما روي عن غيرها فيه عنه ﷺ لحفظها عنه في ذلك ما قصر غيرها عن حفظه عنه فيه فكانت بذلك أولى من غيرها لا سيما وقد روي عن رسول الله ﷺ في نفي الطيرة والشؤم كما قد حدثنا أبو أمية ثنا محمد بن سابق ثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: " لا غول ولا طيرة ولا شؤم " .

-2

3- مسند أحمد برقم 24841 عَنْ أَبِي حَسَّانَ قَالَ : دَخَلَ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ عَلَى عَائِشَةَ فَأَخْبَرَاهَا أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " الطَّيْرَةُ مِنَ الدَّارِ وَالْمَرْأَةُ وَالْفَرْسُ " . فَغَضِبَتْ فَطَارَتْ شِقَّةً مِنْهَا فِي السَّمَاءِ وَشِقَّةً فِي الْأَرْضِ ، وَقَالَتْ : وَالَّذِي أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى مُحَمَّدٍ مَا قَالَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَطُّ إِنَّمَا قَالَ : « كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَتَطَيَّرُونَ مِنْ ذَلِكَ » . صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 993 .

-4

الوجه الثاني : أن قوله ﷺ : " إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرْسِ " .

ملاحظ منه أن (إِنْ) الشرطية بمعنى (لو) تفيد بعد وقوع الفعل بعدها ؛ يتضح ذلك من قول الله ﷻ لَنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (يونس 94) .

المعنى : لو كنت يا رسول الله في شك ... وكان جواب النبي ﷺ : " لا أشك ولا أسأل " .

جاء في تفسير الجلالين : { فَإِنْ كُنْتَ } يا محمد { فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ } من القصص فرضاً { فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ } التوراة { مِنْ قَبْلِكَ } فإنه ثابت عندهم

يخبروك بصدقه قال ﷺ : " لا أشك ولا أسأل " { لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } الشاكِّين فيه . اهـ

وعليه : فهذا الحديث مبني على النفي ، ومعناه: لو كان هناك شؤمٌ في شيءٍ فإن هذا الشؤم يكون في الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : لماذا هؤلاء الثلاثة ؟

الجواب : قاله النووي في شرحه لصحيح مسلم : وَقَالَ آخَرُونَ : شَوْمُ الدَّارِ ضيقُها ، وَسَوْءُ جِيرَانِها ، وَأَذَاهُمْ . وَشَوْمُ الْمَرْأَةِ عَدَمُ وَلَدِتيها ، وَسَلَاطَةُ لِسَانِها ، وَتَعَرُّضُها لِلرَّيْبِ . وَشَوْمُ الْفَرَسِ : أَنْ لَا يُغْزَى عَلَيْها ، وَقِيلَ : حِرَانُها وَغَلَاءُ ثَمَنِها . اهـ

قلتُ : إن الأولى عندي من الوجهين الثاني ؛ لأن الحديث روي من عدة طرقٍ من أقوالِ الصحابةِ رضي الله عنهم ما قالته عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - ، وهو - والله - مشاهد في زماننا هذا ، ويشعر به الجميع؛ فإن البيت الذي به تاجر مخدرات أو راقصة لا راحة فيه بسبب شؤم المعصية ، وإن المرأة سليطة اللسان تجلب الهموم على زوجها فتجعله متشائماً أحياناً....

ثالثاً: إن المتأمل في الكتاب المقدس يجده قد وصف لنا المرأة بأنها مصدر الشؤم ؛ فهي أصل كل خطيئة ؛ نجد ذلك في العهد القديم والجديد :

أولاً : العهد الجديد :

جاء في رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس إصحاح 2 عدد 14¹⁴ وَأَدَمُ لَمْ يُغْوَ، لَكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعْدِي. 15¹⁵ وَلَكِنَّهَا سَتَخْلُصُ بِوِلَادَةِ الْأَوْلَادِ، إِنْ ثَبَتْنَ فِي الْإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْقَدَاسَةِ مَعَ التَّعَلُّلِ.

نلاحظ : أن آدم لم يخطئ ، وأن حواء هي صاحبة الخطيئة الأصلية مصدر الإغواء والشؤم للعالمين...

ونلاحظ أيضاً : أن الحكمة من وراء آلام الولادة عند المرأة سببها يرجع لهذا النص ، وما جاء في سفر التكوين إصحاح 3 عدد 16¹⁶ وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أَكْثَرَ أَتَعَابَ حَبْلُكَ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا. وَإِلَى رَجُلِكَ يَكُونُ اشْتِيَاقُكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ».

قلتُ : إن هذا النص يبين لنا أن عقاب الله لحواء على ثلاثة أصناف هي : الولادة بالوجع ، واشتياقها للرجل ، وسيادة الرجل عليها ، وذلك لأن حواء أكلت من الشجرة المحرمة ، وخضعت لإغواء الحية ، فغوت آدم بعدها ، فغضب الله عليها.. .

وعليه فإن هناك عدة تساؤلات تطرح نفسها هي :

1- هل الولادة عقاب ؟ وهل ألم الولادة عقاب ؟ إن جميع إناث الحيوانات تلد وتتألم أثناء الولادة ، مثلاً: هل ولادة البقرة عقاب لها أم أن هذا من وظائفها الطبيعية ، وفطرتها التي فطرها الله عليها ؟ !

2- هل اشتياق المرأة للرجل عقاب لها ؟! كيف ؟ والرجل يشفق للمرأة أيضاً، فهل هذا عقاب له أيضاً؟! **الجواب :** أن الاشتياق فطرة فطر الله ﷻ الناس عليها حتى تتكون الأسرة ، وتحصل المودة ، والرحمة ، ويحفظ النسل، وليس عقاباً كما يذكر سفر

التكوين يقول الله ﷻ : «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21)» (الروم) .

3- هل النص يتفق مع ما جاء به يسوع لِفعله (الصلب لرفع الإثم عن البشرية) كما يعتقد المعارضون ...

4- هم يقولون: إن الله صالحنا بموت يسوع على الصليب وعليه أتساءل عدة أسئلة:

1- لماذا تظل المرأة تلد بالأوجاع ، لدرجة أن البعض منهن يستخدمن المخدر من شدة الألم (البنج) ، في حين أن يسوع بزعمهم رفع الإثم عن الجميع بما فيهم المرأة ؟!

2- لماذا عقاب الاشتياق ما زال موجوداً منها ؟

3- لماذا ما زال عقاب الربِّ للحيّة مستمراً أن تمشي على بطنها (تكوين 3 / 14)؟!

فأين هو عدل الله ﷻ بحسب معتقدهم ؟؟ !

وألخص ما ذكرتُ بسؤال كسؤالهم هو: أل هذه الدرجة تكون المرأة ممتحنة ، وشؤم بحسب معتقدهم ، ونصوص كتابهم ؟!

رد شبهة: نبيّ يقول: المرأة كالحمار والكلب الأسود !

هكذا زعموا ، وفهموا أن رسول الله ﷺ أخبر أن المرأة كالحمار ، والكلب الأسود ...

واستدلوا على ذلك بدليلين:

1- صحيح مسلم كتاب (الصَّلَاة) بَاب (قَدَرِ مَا يَسْتُرُ الْمُصَلِّي) برقم 790 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ وَيَقِي ذَلِكَ مِثْلُ مُؤَخَّرَةِ الرَّجُلِ " .

2- مسند أحمد مُسْنَدُ الْأَنْصَارِ ﷺ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ ﷺ برقم 20360 حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ هَلَالٍ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَقْطَعُ صَلَاةَ الرَّجُلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَخْرِ الرَّجُلِ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ " قُلْتُ : مَا بَالُ الْأَسْوَدِ مِنَ الْأَحْمَرِ ؟ قَالَ ابْنُ أَخِي : " سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ : " الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ " .

-3

تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن الصامت فمن رجال مسلم .

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذا الحديث ليس فيه أن المرأة كالحمار ، والكلب الأسود ، وهذا التشبيه ليس في الحديث أصلاً ، هذا وإن دل فإنه يدل على كراهيتهم لهذا النبي الكريم ، وتصيد الأخطاء له ﷺ من خيالهم المريض....

إن عائشة - رضي الله عنها - ردت على هذا الفهم الخاطئ ، حينما أنكرت على السائل بقولها : " شَبَّهْتُمُونَا بِالْحُمْرِ وَالْكَلابِ....!"

وذلك ما جاء في صحيح البخاري باب (مَنْ قَالَ لَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ شَيْءٌ) برقم 484 عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ذَكَرَ عِنْدَهَا مَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ فَقَالَتْ : شَبَّهْتُمُونَا بِالْحُمْرِ وَالْكَلابِ وَاللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي وَإِنِّي عَلَى السَّرِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُبْلَةِ مُضْطَجِعَةً فَتَبَدُّو لِيَ الْحَاجَةُ فَأَكْرَهُ أَنْ أَجْلِسَ فَأُوذِيَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَنْسَلُ مِنْ عِنْدِ رَجُلَيْهِ .

إذا : ليس في الحديث تشبيه المرأة بالحمار ، أو الكلب الأسود ... بل إن ما جاء في الحديث ذكر حكم شرعي مفاده أن المرأة حينما تمر بين يدي المصلي تقطع صلاته ، وكذلك الحمار والكلب الأسود ، كما أن قطع الصلاة المذكور ليس قطع بطلان ، ولكن قطع نقصان ؛ أي: نقص خشوع ، ونقص أجر ؛ بسبب مرور شيء من الثلاثة أمام المصلي ، ثم بين الحديث نفسه سبب قطع الكلب الأسود للصلاة فقال: " إنه شيطان " . وبيّنت الأحاديث الأخرى سبب قطع المرأة للصلاة؛ وهو افتتان المصلي بها ، واشتغاله بها عند مرورها من أمامه فقد تكون متعطرة أو متزينة وليس السبب أن المرأة مساوية للكلب ، والحمار كما فهم المعتزضون بعقولهم المريضة .

وأما عن فهم الحديث الأخير الذي أتيت به وهو حديث عائشة - رضي الله عنها - : " شَبَّهْتُمُونَا بِالْحُمْرِ وَالْكَلابِ وَاللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي وَإِنِّي عَلَى السَّرِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُبْلَةِ مُضْطَجِعَةً ... " .

الحديث يبين أن النبي ﷺ كان يصلي ، والمرأة أمامه ؛ إما لأنها زوجته فلا يخاف الافتتان بها ، وإما لأنها كانت في ظلام كما يفهم من بعض الروايات ، وإما لأن النبي ﷺ

أَمَلِكُ النَّاسِ لَشَهْوَتِهِ ، وَعَلَى كُلِّ الْإِحْتِمَالَاتِ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى وَعَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَمَامَهُ لِعَدَمِ افْتِتَانِهِ بِهَا ، وَبِالتَّالِيِ فَهِيَ لَيْسَتْ كَالْحِمَارِ ، أَوْ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ .

ثُمَّ إِنَّ الْعَمَلَ بِالْحَدِيثِ الَّذِي مَعْنَاهُ وَهُوَ قَطْعُ الصَّلَاةِ بِمَرُورِ الْمَرْأَةِ لَيْسَتْ قَضِيَّةٌ اتِّفَاقٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ، بَلْ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ كَبِيرٌ ، فَقَدْ قَالَ كَثِيرُونَ بِأَنَّ الْحَدِيثَ الْأَوَّلَ مَنْسُوخٌ بِحَدِيثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ، وَهَذَا الْقَوْلُ الْأَخِيرُ هُوَ الَّذِي أَخَذَ بِهِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ .

ثَانِيًا : إِنَّ هُنَاكَ أَحَادِيثَ عِدَّةٍ أُخْرَى تَنْتَبِهُ أَنَّ الرَّجُلَ أَيْضًا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ ؛ فَهَلْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ كَالْحِمَارِ ، وَالْكَلْبِ الْأَسْوَدِ ؟! هَذَا رَدٌّ عَلَى قَوْلِهِمْ : إِنَّ الْمَرْأَةَ تَقْطَعُ الصَّلَاةَ كَالْحِمَارِ ، وَالْكَلْبِ الْأَسْوَدِ !

أَكْتَفِي بِذِكْرِ حَدِيثَيْنِ اثْنَيْنِ فَقَطْ :

الأول : صحيح البخاري برقم 3033 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " إِذَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدِكُمْ شَيْءٌ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَمْنَعْهُ فَإِنْ أَبَى فَلْيَمْنَعْهُ فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ " .

الثاني : صحيح مسلم باب (مَنْعُ الْمَارِّ بَيْنَ يَدَيْ الْمُصَلِّي) برقم 782 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَدْعُ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلْيَدْرَاهُ مَا اسْتَطَاعَ فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ " .

ثالثاً : إن القارئ للكتاب المقدس يجد فيه أن الإنسان مشبه بالجحش ، والإنسان كلمة تطلق على الذكر والأنثى ؛ فلا يوجد في اللغة العربية لفظة (إنسانة) قط ...

جاء في سفر أيوب إصحاح 11 عدد¹² أَمَّا الرَّجُلُ فَفَارِغٌ عَدِيمُ الْفَهْمِ ، وَكَجَحَشِ الْفَرَّا يُولَدُ الْإِنْسَانُ.

نلاحظ : " وَكَجَحَشِ الْفَرَّا يُولَدُ الْإِنْسَانُ " .

وبالتالي فإن المعترضين ولدوا هكذا ، وهكذا فهمهم !.....

ويجد أيضاً أن الإنسان مشبه بالبهيمة ... وهذا ما قاله كاتب سفر الجامعة في الإصحاح 3 عدد¹⁸ قُلْتُ فِي قَلْبِي : «مَنْ جِهَةٌ أُمُورِ بَنِي الْبَشَرِ ، إِنَّ اللَّهَ يَمْتَحِنُهُمْ لِيَرِيَهُمْ أَنَّهُ كَمَا الْبَهِيمَةِ هَكَذَا هُمْ» .¹⁹ لِأَنَّ مَا يَحْدُثُ لِبَنِي الْبَشَرِ يَحْدُثُ لِلْبَهِيمَةِ ، وَحَادِثَةٌ وَاحِدَةٌ لَهُمْ . مَوْتُ هَذَا كَمَوْتُ ذَاكَ ، وَنَسَمَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْكُلِّ . فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مَزِيَّةٌ عَلَى الْبَهِيمَةِ ، لِأَنَّ كُلَّيْهِمَا بَاطِلٌ .²⁰ يَذْهَبُ كِلَاهُمَا إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ . كَانَ كِلَاهُمَا مِنَ التُّرَابِ ، وَإِلَى التُّرَابِ يَعُودُ كِلَاهُمَا .

نلاحظ من النص : أن الإنسان ليس له مزية على البهيمة ؛ فالإنسان كالبهيمة في الكتاب المقدس .. !

قلت في نفسي : سبحان ربي إذ يقول : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء70) .

ويجد أن المرأة في الكتاب المقدس يطلق عليها عجلة ، وذلك لما أطلق شمسون على زوجته لقب عجلة

جاء ذلك في سفر القضاة إصحاح 14 عدد ¹⁸ فَقَالَ لَهُ رِجَالُ الْمَدِينَةِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ: «أَيُّ شَيْءٍ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَمَا أَجْفَى مِنَ الْأَسَدِ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «لَوْ لَمْ تَحْرُثُوا عَلَى عِجَلَتِي، لَمَا وَجَدْتُمْ أَحْبَبَتِي».

ويجد أيضاً في الكتاب المقدس أن المرأة كالكلب الأجرب يبتعد الناس عن لمسِه ؛ لأنه ينجسهم ...

وذلك في سفر اللاويين إصحاح 15 عدد ²⁵ «وَإِذَا كَانَتْ امْرَأَةٌ يَسِيلُ سَيْلُ دَمِهَا أَيَّامًا كَثِيرَةً فِي غَيْرِ وَقْتِ طَمَئِنِّهَا، أَوْ إِذَا سَالَ بَعْدَ طَمَئِنِّهَا، فَتَكُونُ كُلُّ أَيَّامٍ سَيَّالًا نَجَاسَتِهَا كَمَا فِي أَيَّامِ طَمَئِنِّهَا. إِنَّهَا نَجِسَةٌ. ²⁶ كُلُّ فِرَاشٍ تَضَطَّعَ عَلَيْهِ كُلُّ أَيَّامٍ سَيْلِهَا يَكُونُ لَهَا كَفَرَّاشِ طَمَئِنِّهَا. وَكُلُّ الْأَمْتَعَةِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجِسَةً كَنَجَاسَةِ طَمَئِنِّهَا. ²⁷ وَكُلُّ مَنْ مَسَّهُنَّ يَكُونُ نَجِسًا، فَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ.

قلتُ : هكذا يعامل الكلب الأجرب كما هو الحال مع المرأة في الكتاب المقدس ... !

رد شبهة: نبي يقول : (خلقت من ضلع اعوج) !

قالوا: نبي الإسلام أهان المرأة لما قال عنها خلقت من ضلع اعوج.... وذلك في صحيح البخاري برقم 3084 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرَتْهُ وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ".

الرد على الشبهة

أولاً : إن الحديث بدأ بثناء النبي ﷺ على المرأة والوصية على حفظها وتقوى الله فيها ... وذلك من قوله ﷺ : " استوصوا بالنساء خيراً " ، وقد ذكر هذا الحديث في صحيح مسلم في باب (الوصية بالنساء) .

ثانياً : إن معنى خلقت من ضلع أعوج ليس سباً بل فيه بيان لأصل خلقتها فهي من ضلع آدم ... دليل ذلك :

- 1- الحديث نفسه .
- 2- بوب البخاري الحديث تحت باب (خلق آدم - صلوات الله عليه وذريته) .
- 4- الكتاب المقدس ، وسوف أذكر النصوص لاحقاً - إن شاء الله - .

قوله : " وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبته تقيمه كسرتة وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً " .

قلتُ : إن هذا مثلاً مضروباً لبيان ، وتأکید الأمر على الرفق بها فقد تحدث منها أخطاء كثيرة ... فعليه - الزوج - باللين لأنه لو أراد أن يعدل الضلع كسرة ، وكسره طلاقها ، دليل ذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة قال ﷺ : " وإن ذهبته تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها " .

ويبقى على الزوج عاتق هو أن لا يبالغ في تقويمها ، وأن يتغافل عن بعض هفواتها ولا يدقق كثيراً على تصرفاتها ... كي تدوم العشرة بينهما...

يدعم ذلك ما قاله ابن حجر في الفتح :

قَوْلُهُ : (خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ) : بِكَسْرِ الْمُعْجَمَةِ وَفَتْحِ اللَّامِ وَيَجُوزُ تَسْكِينُهَا ، قِيلَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ حَوَاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعِ آدَمَ الْأَيْسَرِ وَقِيلَ مِنْ ضُلْعِهِ الْقَصِيرِ ، أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَزَادَ " الْيُسْرَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَجُعِلَ مَكَانُهُ لَحْمٌ " وَمَعْنَى خُلِقَتْ أَيُّ : أَخْرَجَتْ كَمَا تَخْرُجُ النَّخْلَةُ مِنَ النَّوَاةِ ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ مَبْلَغِ ضَلَعٍ فَهِيَ كَالضَّلْعِ ، زَادَ فِي رِوَايَةِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ " لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ "

قَوْلُهُ : (وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضَّلْعِ أَعْلَاهُ)

قِيلَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ أَعْوَجَ مَا فِي الْمَرْأَةِ لِسَانُهَا ، وَفِي اسْتِعْمَالِ أَعْوَجَ اسْتِعْمَالٌ لِأَفْعَلٍ فِي الْعُيُوبِ وَهُوَ شَاذٌّ ، وَفَائِدَةُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ أَنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ أَعْوَجَ فَلَا يَنْكَرُ اعْوَجَاجُهَا ، أَوْ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهَا لَا تَقْبَلُ التَّقْوِيمَ كَمَا أَنَّ الضَّلْعَ لَا يَقْبَلُهُ قَوْلُهُ : (فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرَتْهُ)

قِيلَ : هُوَ ضَرْبٌ مِثْلُ الطَّلَاقِ أَيُّ : إِنْ أَرَدْتَ مِنْهَا أَنْ تَتْرَكَ اعْوَجَاجَهَا أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى فِرَاقِهَا ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ فِي رِوَايَةِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ " وَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهَا كَسَرَتْهَا ، وَكَسَرَهَا طَلَّاقُهَا " وَيُسْتَفَادُ مِنْ حَدِيثِ الْبَابِ أَنَّ الضَّلْعَ مُذَكَّرٌ خِلَافًا لِمَنْ جَزَمَ بِأَنَّهُ مُؤَنَّثٌ وَاحْتِجَّ بِرِوَايَةِ مُسْلِمٍ وَلَا حُجَّةَ فِيهِ لِأَنَّ الثَّانِيَّ فِي رِوَايَتِهِ لِلْمَرْأَةِ ، وَقِيلَ إِنَّ الضَّلْعَ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ وَعَلَى هَذَا فَالْإِظْهَارُ صَحِيحَانِ . أَهـ

ثانياً : إن حقيقة خلق المرأة من ضلع ذكرها الكتاب المقدس ، وذلك في سفر التكوين إصحاح 2 عدد ¹⁸ وَقَالَ الرَّبُّ إِلَهُهُ : «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعُ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ».....²¹ فَأَوْقَعَ الرَّبُّ إِلَهُهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلَاعِهِ وَمَلَأَ

مَكَانَهَا لَحْمًا. ²²وَبَنَى الرَّبُّ الْإِلَهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. ²³فَقَالَ آدَمُ: «هَذِهِ الْآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لِأَنَّهَا مِنْ امْرِئٍ أُخَذَتْ». ²⁴لِذَلِكَ يَتْرَكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. ²⁵وَكَانَا كِلَاهُمَا عَرِيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لَا يَخْجَلَانِ.

ويبقى السؤال : لماذا يعترض المعترضون على النبي الكريم ﷺ وهذه حقيقة ذكرت في كتابهم المقدس ...؟!

رد شبهة : نبي يأمر المرأة أن تسجد لزوجها !

من جملة اعتراضاتهم على كلام نبينا ﷺ الذي في اعتقادهم أنه يهضم حق المرأة ؛ قوله : ﷺ " لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا " .

قالوا : هل وصل عدم احترامها إلى درجة السجود للزوج ... ؟!

الحديث رواه ابن ماجة في سننه برقم 1842 ، ورواه الترمذي كتاب (الرِّضَاعِ) بَاب (مَا جَاءَ فِي حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الْمَرْأَةِ) برقم 1079 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا " .

قال الألباني: حسن صحيح ، ابن ماجة (185).

الرد على الشبهة

أولاً : إن قولهم واعتقادهم بأن هذا الحديث يهضم حق المرأة هذا من الجهل البين ؛ لأن الحديث ليس فيه أي هضم لحقوقها ؛ بل فيه دعوة للمرأة للوفاء بزوجها ، وتذكيرها بحقوقه عليها ، فكم تعب وعانى من أجل إرضائها سواء في النفقة ، ورعايتها لها ولأبنائها.....

فهل تذكر المرأة بحقوق زوجها عليها فيه هضم لحقوقها؟! هذا هو .

قال صاحب تحفة الأحوذى (محمد عبد الرحمن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا):

قوله : (لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِرَوْجِهَا) أي : لكثرة حقوقه عليها وعجزها عن القيام بشكرها . وفي هذا غاية المبالغة لوجوب إطاعة المرأة في حق زوجها فإن السجدة لا تحل لغير الله

ثم نقل عن الشوكاني فقال : قال الشوكاني في الثيل بعد ذكر أحاديث في معنى حديث أبي هريرة هذا ما لفظه : فهذه أحاديث في أنه لو صلح السجود لبشر لأمرت به الزوجة لزوجها يشهد بعضها لبعض ويقوي بعضها بعضاً . اهـ بتصرف

ثانياً: للإجابة على الشيء الثاني من سؤالي الذي يقول : هل وصل احتقارها (المرأة) إلى درجة السجود للزوج...؟!!

قلتُ: إن الحديث ليس فيه أمر أو جواز بأن تسجد المرأة لزوجها ؛ الحديث يقول : " لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِرَوْجِهَا " .

وأُتسأَلُ : أين في الحديث أن النبي ﷺ أمر للزوجة بالسجود للزوج؟!!

الجواب : ليس فيه ذلك ؛ بل في شرعنا لا يجوز السجود إلا لله ﷻ

إن الحديث فيه مبالغة من النبي ﷺ في إطاعة المرأة لزوجها ؛ فالحديث يدل على عظم حق الزوج على زوجته ، وعلى لزوم طاعته ...

ثم إن حرف (لو) المذكور في الحديث هو حرف امتناع لامتناع ، ومما يقوي ما سبق بيانه : أن الترمذي - رحمه الله - لما خرَّج الحديث ذكره في باب (مَا جَاءَ فِي حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الْمَرْأَةِ) ، وذكره ابنُ ماجَّة - رحمه الله - في باب (حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى الْمَرْأَةِ) ولم يذكر الحديث تحت باب (وجوب سجود المرأة للزوج) أو (استحباب سجود المرأة للزوج) ، فلم يفهما من الحديث كما فهم المعترضون !

ثالثاً: إن هذا الحديث يدل على أن الله ﷻ أعطى لنبيِّنا ﷺ حق التشريع من عنده ؛ تكريماً وتعظيماً له ﷺ ؛ حيث إن صيغة الحديث تدل على أن النبي ﷺ له الحق أن يأمر هو بنفسه ، لكنه لم يأمر أحداً بالسجود لبشر .

إن قيل : إن السجود يجوز لبعض البشر في شرع المسلمين كما جاء في القرآن عن سجود الملائكة لآدم : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة 34) .

وسجود إخوة يوسف ، وأبيه ، وأمه ليوسف ﷺ : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجْدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ (يوسف 100) .

قلتُ : إن فهم هذه الآيات فهماً صحيحاً يكون من وجهين :

الأول : أن السجود المذكور ليس سجود عبادة ؛ بل هو سجود تكريم ، وتعظيم ، وتشريف .

وقال بعضُ المفسرين كالجلالين : " سجود انحناء لا وضع جبهة " . اهـ

الثاني : أن هذا السجود في شرع من كان قبلنا ؛ يسجد بعضهم لبعضٍ تكريماً وتشريفاً... أما في شرعنا فلا يجوز ، ومن المعلوم أن شرع من كان قبلنا إذا خالف شرعنا فهو ليس بحجة لنا، وبالتالي فهذا ليس حجة علينا ، والأدلة على تحريمه في شرعنا كثيرة ؛ منها قول الله ﷻ : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37) ﴾ (فصلت).

والحديث الذي معنا ؛ قوله ﷺ : " لَوْ كُنْتُ أَمِراً أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا " . وغير ذلك من الأدلة.

رابعاً : إن المعترضين يعترضون على حديث النبي ﷺ الذي أسلفنا بيانه ؛ ولا يعترضون على كلام بولس في رسالته إلى أهل أفسس إصحاح 5 عدد ²² أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ ، ²³ لِأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا رَأْسُ الْكَنِيسَةِ ، وَهُوَ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ . ؟!

وَأْتَسَاءِلُ : أليس معنى كلام بولس للنساء " أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ " . هو نفسه كلام النبي ﷺ : " لَوْ كُنْتُ أَمِراً أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا " ؟ !

وأما عن قولهم بأن نبينا ﷺ حط من مكانة المرأة ، ولم يحترمها ، ونراهم يرددون ذلك مراراً وتكراراً ؛ في حين أن كاتب سفر الجامعة يقول عن النساء : ليس فيهن امرأة واحدة صالحة... !

جاء ذلك في سفر الجامعة إصحاح 7 عدد ²⁷ أَنْظُرْ. هَذَا وَجَدْتُهُ، قَالَ الْجَامِعَةُ: وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً لِأَجَدِ النَّتِيجَةَ ²⁸ الَّتِي لَمْ تَزَلْ نَفْسِي تَطْلُبُهَا فَلَمْ أَجِدْهَا. رَجُلًا وَاحِدًا بَيْنَ أَلْفٍ وَجَدْتُ، أَمَّا امْرَأَةٌ فَبَيْنَ كُلِّ أُولَئِكَ لَمْ أَجِدْ !

نلاحظ : أن كاتب سفر الجامعة بحسب اعتقاد بعضهم هو نبي الله سليمان يقول: إنه يجد من بين كل ألف رجل رجلاً صالحاً يعني: من بين ألفين رجل رجلين ، وهكذا ؛ لكنه لم يجد امرأةً صالحةً واحدةً قط . فهل هكذا تكون المرأة (غير صالحة)...هل هذا هو التوقير والاحترام لها الذي يرتضيه المعترضون؟!

خامساً : إن المتأمل في بعض نصوص الكتاب المقدس يجد ما أسلفنا بيانه أن السجود لا يكون إلا لله ، هذا واضح من كلام يسوع في إنجيل متى إصحاح 4 عدد ¹⁰ حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذهب يَا شَيْطَانُ! لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ».

ويجد أيضاً فيه العكس من ذلك كما يلي :

1- **سليمان سجد لامرأة ، وذلك في سفر الملوك الأول إصحاح 2 عدد ¹⁹ فَدَخَلَتْ** بَنَشْبَعُ إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ لِتُكَلِّمَهُ عَنْ أَدُونِيَّا. فَقَامَ الْمَلِكُ لِلِقَائِهَا وَسَجَدَ لَهَا وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَوَضَعَ كُرْسِيًّا لَأُمِّ الْمَلِكِ فَجَلَسَتْ عَنْ يَمِينِهِ.

2- **لوط سجد لملاكين وقال لهما : عبدكما ، وذلك في سفر التكوين إصحاح 19** عدد ¹ فَجَاءَ الْمَلَائِكَانِ إِلَى سُدُومَ مَسَاءً، وَكَانَ لُوطٌ جَالِسًا فِي بَابِ سُدُومَ. فَلَمَّا رَأَاهُمَا لُوطٌ قَامَ لاسْتِقْبَالَهُمَا، وَسَجَدَ بِوَجْهِهِ إِلَى الْأَرْضِ. ² وَقَالَ: «يَا سَيِّدَيَّ، مِيلًا إِلَى بَيْتِ عَبْدِكُمَا وَبَيْتًا وَاغْسِلَا أَرْجُلَكُمَا، ثُمَّ تَبَغَّرَانِ وَتَذَهَبَانِ فِي طَرِيقِكُمَا». فَقَالَا: «لَا، بَلْ فِي السَّاحَةِ نَبِيتٌ».

3- إبراهيم سجد للشعب ، وذلك في سفر التكوين اصحاح 23 عدد 7 فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض، لبني حث.

4- يوسف سجد ليعسو ، وذلك في سفر التكوين اصحاح 33 عدد 7 ثم اقتربت ليئة أيضا وأولادها وسجدوا. وبعد ذلك اقترب يوسف وراحيل وسجدا.

5- يوحنا سجد للملاك ، وذلك في سفر رؤيا يوحنا اصحاح 22 عدد 8 وأنا يوحنا الذي كان ينظر ويسمع هذا. وحين سمعت ونظرت، خررت لأسجد أمام رجلي الملاك الذي كان يريني هذا .

وَأَسْأَلُ : هذا من التناقض في الكتاب المقدس ؟ أم أن السجود المذكور هو سجود احترام ، وتقدير ، وتكريم ، ومنه سجود خوف كما كان من سجود يوسف ليعسو؛ لأن أباه يعقوب سرق البركة من عيسو ، وذلك كله بحسب ما نسب الكتاب المقدس لهم؟!

رد شبهة : نبي يقول : المرأة تلغنها الملائكة ؛ لأنها ترفض دعوة زوجها للفرش !

المرأة تلغنها الملائكة بحسب حديث رسول الإسلام ؛ لأنها ترفض دعوة زوجها للفرش ، وما ذا لودعت المرأة الرجل للفرش فأبى هل تلغنه الملائكة حتى يصبح ؟!

أم أن هذا ظلم للمرأة....؟! هكذا قالوا ، وتعلقوا على ذلك بما جاء في الصحيحين :

1- صحيح البخاري كتاب (النِّكَاح) بَاب (إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا) برقم
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ
أَنْ تَجِيءَ لَعْنَتَهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَصْبِحَ " .

2- صحيح مسلم كتاب (النِّكَاح) بَاب (تَحْرِيمُ امْتِنَاعِهَا مِنْ فِرَاشِ زَوْجِهَا) 2596 عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ
غَضَبَانَ عَلَيْهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَصْبِحَ " .

الرد على الشبهة

أولاً: أبدأ من حيث انتهوا لأرد على سؤالهم الذي يقول : ما ذا لو دعت المرأة الرجل
للفراش فأبى هل تلعنه الملائكة حتى يصبح؟!!

قلتُ : نعم ، تلعنه الملائكة حتى يصبح ، يدل على ذلك الآتي :
1- قوله ﷺ : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة 228) .

جاء في تفسير الجلالين : { وَلَهُنَّ } على الأزواج { مِثْلُ الَّذِي } لهم { عَلَيْهِنَّ } من
الحقوق { بالمعروف } شرعاً من حسن العشرة وترك لإضرار ونحو ذلك. اهـ

2- سنن الترمذي برقم 105، وسنن أبي داود برقم 204 ، وصححه الألباني في
الصحيحة برقم 2863 قَالَ ﷺ : " إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ " .

المعنى : لو أتى حكم شرعي على الرجال فذلك الحكم يشمل النساء أيضاً

3- الثابت في كتب السيرة أن النبي ﷺ كان يتزين لزوجاته ويتهياً لهن ، وكان يتسوك قبل دخول بيته ... كما كانت الزوجات متزين له ، وكان ذلك شأن أصحابه ﷺ أيضاً كما تذكر كتب التراجم

وعليه : فإن المرأة إذا دعت زوجها للفرش فأبى باتت تلعنه الملائكة حتى يصبح ، فليس في الحديث ظلم للمرأة كما اعترض المعترضون.

ثانياً: إن هناك سؤالاً يفرض نفسه هو: هل إذا دعا الرجل امرأته للفرش فأبى لوجود عذر عندها هل تلعنها الملائكة حتى تصبح ؟

الجواب: لا؛ لأن الله ﷻ يقول : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة 286).

وصح عن نبينا ﷺ كما في سنن ابن ماجه برقم 2033 عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ ". تحقيق الألباني : صحيح ، المشكاة (6284) ، الإرواء (82) .

وعليه : إذا كانت المرأة مريضة، أو مجهدة نفسياً ، أو جسدياً أو تؤدي فريضة عليها لا يحق للزوج أن يدعوها للفرش .

قال الشوكاني في نيل الأوطار : قوله : " فبات غضبان عليها " المعصية منها تتحقق بسبب الغضب منه، بخلاف ما إذا لم يغضب من ذلك ، فلا تكون المعصية متحققة ، إما لأنه عذرها ، وإما لأنه ترك حقه من ذلك . اهـ

ثم من خلال النظر في الكتاب المقدس نجد ذلك واضحاً من كلام بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح 7 عدد 4 ليس للمرأة تسلط على جسدها، بل للرجل. وكذلك الرجل أيضاً ليس له تسلط على جسده، بل للمرأة. 5 لا يسلب أحدكم الآخر، إلا أن يكون على موافقة، إلى حين، لكي تتفرغوا للصوم والصلاة، ثم تجتمعوا أيضاً معاً لكي لا يجربكم الشيطان لسبب عدم نزاهتكم.

ثالثاً : إن قيل : لماذا خاطب النبي ﷺ المرأة بهذا الأمر ، ولم يخاطب الرجل ، وذلك من قوله ﷺ : " إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ " ؟

قلتُ : إن الجواب على ذلك يتضح من عدة أوجه منها :

1- أن الغالب الشائع في دنيا الناس أن الرجل هو الذي يطلب المرأة للفراش ... لذا قال ﷺ : " إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ " .

2- أن الرجل يشقى في عمله فيرجع إلى بيته مجهداً جسدياً ، وأحياناً نفسياً بسبب مشاكل في العمل ... وذلك في أوقات كثيرة فمن الظلم أن تدعو المرأة الرجل للفراش ، وهو على تلك الحالة.

3- أن الأصل للمرأة أن تكون في بيتها لا تخرج إلا لضرورة ، والرجل يذهب إلى عمله ففي أثناء ذهابه إلى عمله قد يرى أحياناً فتناً في الطرقات من النساء ، وكذلك في عمله أيضاً ، فيرجع إلى بيته ليفضي لزوجته بدلاً من أن يقع في الحرام ...

ثبت في مسند أحمد برقم 17337 عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ وَقَدْ اغْتَسَلَ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَانَ شَيْءٌ قَالَ : " أَجَلَ مَرَّتَ بِي فَلَانَةُ فَوَقَعَ فِي قَلْبِي شَهْوَةُ النِّسَاءِ فَأَتَيْتُ بَعْضَ أَزْوَاجِي فَأَصَبْتُهَا فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا فَإِنَّهُ مِنْ أَمَائِلِ أَعْمَالِكُمْ إِيَّانَ الْحَلَالِ " . صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 235.

رابعاً : ليت المعترضين يقرؤون جيداً ما قاله بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح 11 عدد⁸ لَأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنَ الْمَرْأَةِ، بَلِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ. ⁹وَلِأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَخْلُقْ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ، بَلِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَجْلِ الرَّجُلِ. ¹⁰لِهَذَا يَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ أَنْ يَكُونَ لَهَا سُلْطَانٌ عَلَى رَأْسِهَا، مِنْ أَجْلِ الْمَلَائِكَةِ. لا تعليق !

رد شبهة : نبي الإسلام يقول المرأة فتنة أي : شر !

قالوا : لماذا وصف نبي الإسلام المرأة بأنها فتنة أي: شر؟ هل هذا هو تكريم المرأة أيها المسلمون؟!

واستندوا في قولهم بما جاء في صحيح البخاري برقم 4706 عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضُرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الفتنة لها عدة معان في اللغة منها : الاختبار، والاختبار يكون بالخير والشر، وليس الشر فقط ... يدل على ذلك الآتي :

1- قوله ﷺ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (35) (الأنبياء).

2- قوله ﷺ : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (15) (التغابن).

إذاً من خلال ما سبق تبين لنا : أن الآية الأولى لما ذكرت الفتنة جاءت بمعنى الاختبار، ووجدناها أطلقت على الخير والشر ، وليس الشر وحده كما زعم المعترضون ، وهذا يدل على جهلهم ...

والآية الثانية ذكرت أن الأموال والأولاد فتنة ، وليست الزوجة وحدها فهل جميعهم شر؟ هذا هو

ثانيًا : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه هو : لماذا قال النبي ﷺ : " مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضُرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ " .

الجواب على ذلك ؛ لأن المرأة تملك أسلحة السحر والإغراء لجذب الرجل إلى الوقوع في الرزيلة ، وذلك إذا كانت فاجرة ... حتى قال أحد المعتدين على بلاد الإسلام كأس وغانية تدمر هذه الأمة ...

أما إن كانت صالحة فلا ينطبق عليها أبدا هذا الحديث عليها ، وذلك لما جاء في صحيح مسلم برقم 2668 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ " .

يدلل على ما سبق الآتي :

1- قال ابن بطل في شرحه للبخاري (ج 13 / ص 183) وفي حديث أسامة أن فتنة النساء أعظم الفتن مخافة على العباد ؛ لأنه ﷺ عم جميع الفتن بقوله : « مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضُرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ » ، ويشهد لصحة هذا الحديث قول الله تعالى : { زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ } [آل عمران 14] الآية ، فقدم النساء على جميع الشهوات ، وقد روى عن بعض أمهات المؤمنين أنها قالت : من شقائنا قدما على جميع الشهوات .

فالمحنة بالنساء أعظم المحن على قدر الفتنة بهن ، وقد أخبر الله مع ذلك أن منهن لنا عدواً ، فينبغي للمؤمن الاعتصام بالله ، والرغبة إليه في النجاة من فتنتهن ، والسلامة من شرهن ، وقد روى في الحديث أنه لما خلق الله المرأة فرح الشيطان فرحاً عظيماً ، وقال : هذه حبالى التي لا يكاد يخطئني من نصبتها له .

2- قال الشيخ ابن عثيمين في شرحه لرياض الصالحين (ج 1 / ص 16) :

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: " ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء وإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ". ولهذا كان أعداؤنا أعداء الإسلام بل أعداء الله ورسوله من اليهود والنصارى والمشركين والشيوعيين وأشباههم وأذئابهم وأتباعهم كل هؤلاء يحرصون غاية الحرص على أن يفتنوا المسلمين بالنساء يدعون إلى التبرج يدعون إلى اختلاط المرأة بالرجل يدعون إلى التفسخ في الأخلاق يدعون إلى ذلك بألسنتهم وأقلامهم وأعمالهم والعياذ بالله .

لأنهم يعلمون أن الفتنة العظيمة التي ينسى بها الإنسان ربه ودينه إنما تكون في النساء .

النساء اللاتي يفتن أصحاب العقول كما قال النبي ﷺ ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن هل تريد شيئا أبين من هذا .

أذهب للب الرجل الحازم فما بالك بالمهين الذي ليس عنده حزم ولا عزم ولا دين ولا رجولة يكون أشد وأشد والعياذ بالله . لكن الرجل الحازم تذهب النساء عقله نسأل الله العافية وهذا هو الواقع لذلك قال الله عقب الأمر بغض البصر بقوله: { وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون } . اهـ

رد شبهة : نبي جاء بآية تأمر بضرب المرأة !

قالوا: رسول الإسلام جاء بآية تقول : أضربوا نساءكم ... ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا (34)﴾ (النساء).

الرد على الشبهة

أولاً: إن هذا حكم الله ﷻ وليس لمحمد ﷺ نصيب في هذا الأمر إلا البلاغ والبيان، فمن العيب والجرم أن نجعل من البريء متهماً....

ثانياً : إن الإسلام أمر بمعاملة المرأة معاملة حسنة ، والإحسان إليها تدلل على ذلك عدة أدلة منها :

1- قوله ﷻ : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21)﴾ (الروم).

-2

3- قوله ﷻ : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (19)﴾ (النساء).

-4

3 - سنن أبي داود برقم 1834 عَنْ إِبَاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ذُبَابٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ ". فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : ذُنِرَ النِّسَاءُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ فَرُخِّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ فَأُطَافَ بِآلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ فَقَالَ ﷺ : " لَقَدْ طَافَ بِآلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أَوْلَنُكَ بِخِيَارِكُمْ " .

5- سنن أبي داود برقم 1628 قال ﷺ : " ا تَقَوُّوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ

أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ فَضَلْتُمْ فَاصْطَرِبُوا مِنْهُ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ ، وَكِسْوَتُهُنَّ
."

5- سنن ابن ماجه برقم 1967 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ
لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي ."

ثالثاً : إن الآية الكريمة تتحدث عن صنفين من النساء هما :

الصنف الأول : مؤمنات صَالِحَات قَانِتَات حَافِظَات لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ.

الصنف الثاني : صنف من النساء ناشز لا تطيع زوجها....

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو : لماذا تجاهل المعترضون الصنف الأول ، وركزوا
على الصنف الثاني وأوهموا المسلمين أن كل النساء يضرين ، ولا فرق بين امرأة صالحة
وامرأة ناشز ...

إن كل ما هنالك أن الله ﷻ يعلم طبيعة خلقه فليس الطباع والأخلاق واحدة عند كل
البشر...

قال ﷻ : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14) ﴾ (الملك).

فهنا يعلمنا ربنا ﷻ كيف يتعامل الرجل مع المرأة الناشز الغير صالحة ... وذلك من
خلال عدة مراحل :

المرحلة الأولى : " فَعِظُوهُنَّ " أي : خَوِّفُوهُنَّ اللَّهَ.

المرحلة الثانية : " وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ " اعْتَزِلُوا إِلَى فِرَاشٍ آخَرَ إِنْ أَظْهَرْنَ الشُّسُوزَ.

المرحلة الثالثة : " وَاضْرِبُوهُنَّ " ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ إِنْ لَمْ يَرْجِعْنَ بِالْهَجْرَانِ.

فَإِنْ تَابَتِ الْمَرْأَةُ النَّاشِزُ بِالْمَوْعِظَةِ، أَوْ الْهَجْرِ فِي الْمَضَاجِعِ فَلَا يَجُوزُ ضَرْبُهَا....
لِقَوْلِهِ ﷺ : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ (34)
(النساء).

جاء في تفسير الجلالين : "فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ" فِيمَا يُرَادُ مِنْهُنَّ "فَلَا تَبْغُوا" تَطَلَّبُوا "عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا" طَرِيقًا إِلَى ضَرْبِهِنَّ ظُلْمًا "إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا" فَاحْذَرُوهُ أَنْ يُعَاقِبَكُمْ إِنْ ظَلَمْتُمُوهُنَّ . اهـ
إِذَا مِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ تَبَيَّنَ لَنَا : أَنَّهُ لَا يَجُوزُ ضَرْبُ الْمَرْأَةِ إِلَّا النَّاشِزُ، وَيَكُونُ الضَّرْبُ غَيْرَ مُبْرِحٍ بَعْدَ التَّذْكِيرِ بِاللَّهِ ، وَحَقِّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ، ثُمَّ هَجْرُهَا....
ثُمَّ إِنْ الْمَقْصُودُ التَّأْدِيبُ لَا الْإِذَاءَ ... لَمَّا جَاءَ فِي الْآتِي :

- 1- تفسير الجلالين : "فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ" فِيمَا يُرَادُ مِنْهُنَّ "فَلَا تَبْغُوا" تَطَلَّبُوا "عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا" طَرِيقًا إِلَى ضَرْبِهِنَّ ظُلْمًا "إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا" فَاحْذَرُوهُ أَنْ يُعَاقِبَكُمْ إِنْ ظَلَمْتُمُوهُنَّ . اهـ
- 2- سنن ابن ماجه برقم 1967 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي " .

تحقيق الألباني : صحيح ، الصحيحة (285) ، التعليق الرغيب (3 / 72) .

ثالثاً : إن قيل : إن ابن جرير الطبري قال في تفسيره لقوله : ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾
أي : "شدهن وثاقا في بيوتهن" !

قلتُ : إن هذا قول عالم لا دليل صحيح عليه ، ولكل عام هفوة كما أن لكل جواد كبوة ،
وقد استترك العلماء هذه الهفوة عليه كما ذكر القرطبي في تفسيره (ج 5 / ص 172)
قائلاً : وقيل : أي شدهن وثاقا في بيوتهن ، من قولهم : هجر البعير أي : ربطه
بالحجار ، وهو حبل يشد به البعير ، وهو اختيار الطبري وقدح في سائر الأقوال . وفي
كلامه في هذا الموضع نظر .

وقد رد عليه القاضي أبو بكر بن العربي في أحكامه فقال : يا لها من هفوة من عالم بالقرآن
والسنة ! . اهـ

رابعاً : إنني سمعتُ أحدهم يقول : إن القرآن أمر الرجل بعض زوجته قبل هجرها ،
ضربها فقلت : أين الدليل ؟ قال : الآية تقول : ﴿فَعُضُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ
وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنَّا طَعَنَكُم فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ (34) (النساء).

قلتُ له : فعضوهن ؛ أي : بأسنانه ؟! قال : نعم ، ألا تحسن القراءة...

وهنا تذكرتُ قوله ﷺ : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (63) (الفرقان).

رد شبهة : نبي جاء بآية تقول المرأة سفيهة !

قال لي أحدهم يوماً : إن المرأة في الإسلام سفیهة لا كرامة لها ... وهذا ما جاء في سورة النساء : ﴿ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (5) .

وقال ابن كثير تعليقاً عليها : نهى تعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياماً ، أي : تقوم بها معاشهم من التجارات وغيرها . ومن هاهنا يؤخذ الحجر على السفهاء ، وهم أقسام : فتارة يكون الحجر للصغر ؛ فإن الصغير مسلوب العبارة . وتارة يكون الحجر للجنون ، وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين ، وتارة يكون الحجر للفلس ، وهو ما إذا أحاطت الديون برجل وضاق ماله عن وفائها ، فإذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه حجر عليه .

وقد قال الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : { وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ } قال : هم بنوك والنساء ، وكذا قال ابن مسعود ، والحكم بن عتيبة والحسن ، والضحاك : هم النساء والصبيان .

وقال سعيد بن جبیر : هم اليتامى . وقال مجاهد وعكرمة وقتادة : هم النساء .
وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة بن خالد ، حدثنا عثمان بن أبي العائكة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : " وإن النساء السفهاء إلا التي أطاعت قيمها " .
ورواه ابن مردويه مطولاً .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن مسلم بن إبراهيم ، حدثنا حرب بن سريج عن معاوية بن قرة عن أبي هريرة { وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ } قال : الخدم ، وهم شياطين الإنس وهم الخدم .

وقوله : { وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا } قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس يقول تعالى لا تعتمد إلى مالك وما خولك الله ، وجعله معيشة ، فتعطيهم امرأتك أو بنيك ، ثم تنظر إلى ما في أيديهم ، ولكن أمسك مالك وأصلحه ، وكن أنت الذي تنفق عليهم منكسوتهم ومؤنتهم ورزقهم . وقال ابن جرير : حدثنا ابن المثنى : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى قال : ثلاثة

يدعون الله فلا يستجيب لهم: رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل أعطى ماله سفيها، وقد قال: { وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ } ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه. وقال مجاهد: { وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا } يعني في البر والصلة. وهذه الآية الكريمة انتظمت الإحسان إلى العائلة، ومن تحت الحجر بالفعل، من الإنفاق في الكساي والإنفاق والكلام الطيب، وتحسين الأخلاق. اهـ

الرد على الشبهة

أولاً: إن الآية الكريمة ليس في ظاهرها أبداً لفظ النساء السفيات كما ادعى المعارض فالآية الكريمة تحدثت عن السفهاء أي: المبذرين من الرجال والنساء والأطفال وهؤلاء أصناف من الناس وليس كلهم كذلك ...

ثانياً: على فرض أن أي مفسر قال: إن المقصود بالسفهاء النساء فهذا كلام مردود لا قبله لأن كلام المفسر ليس وحياً من الله بل هو بشر يصيب ويخطئ ...

ثالثاً: إن الحديث الذي ذكره ابن كثير المشار إليه (ضعيف) وهو: قال رسول الله ﷺ: " وإن النساء السفهاء إلا التي أطاعت قِيَمَها ".

ورواه ابن مردويه مطولاً وهذا حديث ضعيف لا يصح رفعه إلى نبينا ﷺ فقد ذكره السيوطي في الدر (433/2) وفي إسناده عثمان بن أبي العاتكة وقد ضعف في روايته عن علي بن يزيد الألهماني .

وعلى فرض صحته : ليس فيه ما يصف النساء بصورة عامة وإنما ذكر صنفاً منهن واستثنى الأخريات من ذلك الوصف ؛ وهن اللواتي لا يطعن أزواجهن فسماهم سفهاء ... هذا على فرض صحته وهو لا يصح .

رابعاً : إن التفاسير قالت بخلاف قول المعترض حتى تفسير ابن كثير نفسه كما هو واضح للقارئ ، وهذه هي باقية من التفاسير لبيان ضعف فهم المعترضين كما يلي :

1- تفسير الجلالين : "وَلَا تَوْتُوا" أَيَّهَا الْأَوْلِيَاءَ "السُّفَهَاءَ" الْمُبْدِرِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ "أَمْوَالَكُمْ" أَي : أَمْوَالَكُمْ الَّتِي فِي أَيْدِيكُمْ "الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا" مَصْدَرٌ قَامَ أَي تَقُومُ بِمَعَاشِكُمْ وَصَلَحَ أَوْلَادُكُمْ فَيَضَعُوهَا فِي غَيْرِ وَجْهٍهَا وَفِي قِرَاءَةِ قِيَمًا جَمَعَ قِيَمَةً مَا تَقُومُ بِهِ الْأَمْتَعَةُ "وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا" أَي : أَطْعَمُوهُمْ مِنْهَا "وَآكُسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا" عِدُّهُمْ عِدَّةً جَمِيلَةً بِإِعْطَائِهِمْ أَمْوَالَهُمْ إِذَا رَشَدُوا . اهـ

2- التفسير الميسر : وَلَا تَوْتُوا - أَيَّهَا الْأَوْلِيَاءَ- من يُبْدِرُ من الرجال والنساء والصبيان أموالهم التي تحت أيديكم فيضعوها في غير وجهها، فهذه الأموال هي التي عليها قيام حياة الناس ، وأنفقوا عليهم منها وآكسوهم، وقولوا لهم قولاً معروفاً من الكلام الطيب والخلق الحسن. اهـ

3- تفسير سيد طنطاوي : والسفهاء جمع سفيه . والسفه - كما يقول الراغب - : خفة في البدن ، ومنه قيل : زمام سفيه أي: كثير الاضطراب ، وثوب سفيه ردى النسج ، واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل ، ويكون في الأمور الدنيوية والأخروية ، قال - تعالى - في السفه الدنيوي : { وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ } وقال في السفه الأخروي

{ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا } والمراد من السفهاء هنا : ضعفاء العقول والأفكار الذين لا يحسنون التصرف . اهـ

4- تفسير الزمخشري : { السفهاء } المبذرون أموالهم الذين ينفقونها فيما لا يبتغي ولا يدي لهم بإصلاحها وتثميرها والتصرف فيها . والخطاب للأولياء : وأضاف الأموال إليهم لأنها من جنس ما يقيم به الناس معاشهم ، كما قال : { وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ } [النساء 79] ، { فَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ } [النساء 25] الدليل على أنه خطاب للأولياء في أموال اليتامى قوله : { وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ } ، { جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا } أي تقومون بها وتنتعشون ، ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها في أنفسها قيامكم وانتعاشكم . اهـ

رد شبهة : نبيّ يقول : صوت المرأة عورة !

أسمع كثيراً من بعض المنصرّين إذا سمعوا امرأة تتكلم في الدين يعترضون قائلين لها : إن رسول الإسلام قال : إن صوت المرأة عورة وهكذا تكررت مثل تلك التراهاات ...

الرد على الشبهة

أولاً: أنني لم أجد حديثاً واحداً فيه أن النبي ﷺ قال : " صوت المرأة عورة " ، وهذا يدل على مدى سوء خيالهم المريض ، وتدليسهم ، وسوء ظنهم برسول الله ﷺ

ثانياً : إن أمهات المؤمنين كن يعلمن الناس بما فيهم الرجال ، ولم نسمع واحداً من الصحابة ، أو من التابعين ، أو من العلماء قال : إن صوت المرأة عورة كما يزعم المعتضون.....

التاريخ يثبت لنا أن هناك نساء ملئن الأرض علماً ، مثل عائشة - رضي الله عنهما - التي تحتل المرتبة الثانية في أكثر من روى حديث النبي ﷺ ، جاء بشأنها ثناء جميل من السلف الصالح كما يلي :

1- قال الإمام الزهري : " لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين ، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل " .

2- قال عطاء بن أبي رباح: " كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأياً في العامة " .

3- قال أبو موسى الأشعري : " ما أشكل علينا أمرٌ فسألنا عنه عائشة ، إلا وجدنا عندها فيه علماً " .

5- قال مسروق : " رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض " .

6- قال عروة بن الزبير: " ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا طب ولا بشعر من عائشة " .

7- قال أبو الزناد : " ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً " .

-8

والشاهد : أنها كانت شاعرة ، حافظة ، ذكية ، فطنة ، نقلت عن رسول الله ﷺ أكثر من ألفي حديث ...

وكذلك بعض زوجاته ﷺ والسيدة نفيسة التي كانت تقطن مصر ؛ كانت تفتي وتعلم العلوم حتى قالوا عنها : " نفيسة العلم " ثم إن المرأة كانت تسأل النبي ﷺ وتبايع النبي ﷺ بالقول... ولم نسمع من أحد قال بقول المعترضين

ثم إن القرآن الكريم حكى لنا قصة دارت بين امرأتين ابنتي صاحب مدين مع نبي الله موسى- عليه السلام - فلو كان صوتهما عورة لرفض نبي الله موسى الحديث معهما...

قال تعالى : " وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ " (القصص 23، 25).

ثالثاً : إن الإسلام العظيم جاء بسد الذرائع (منع الفتن) التي قد تؤدي إلى إهلاك المجتمع الإسلامي فأمر سبحانه المرأة أن لا تخضع بالقول أي : لا تتمايل مع الرجال كأن تجمل من صوتها... حتى لا تكون سبباً في فتنة عظيمة أقربها الزنا..... قال ﷺ : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَقْيَسُ فَلَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (32) ﴾ (الأحزاب).

جاء في التفسير الميسر : يا نساء النبي -محمد- لستنَّ في الفضل والمنزلة كغيركنَّ من النساء، إن عملتن بطاعة الله وابتعدتن عن معاصيه ، فلا تتحدثن مع الأجانب

بصوت لَيِّن يُطْمَع الذي في قلبه فجور ومرض في الشهوة الحرام، وهذا أدب واجب على كل امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ، وَقُلْنَ قَوْلًا بَعِيدًا عن الريبة، لا تنكره الشريعة . اهـ

هذا الفهم فهمه علماء الأمة سلفاً وخلفاً، ولا أعلم معارضاً لذلك إلا سفهاء...

يدلل عليه ما يلي :

1- قال صاحب كتاب شرح بلوغ المرام كتاب الحج (ج 1/12) : صوت المرأة ليس بعورة فإن هذه المرأة قد حادثت النبي ﷺ ، وقد جاءت أحاديث كثيرة جداً فيها محادثة النسوة للنبي ﷺ وللصحابية وهذا أمر مشهور في السنة يخلص الإنسان ببضع مئات من الأحاديث فيها ذكر النساء وأنهن يتكلمن بحضرة الرجال. ولكن إنما نهيت عن الخضوع بالقول (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض) والأصل جواز محادثة الرجال للنساء إذا دعت الحاجة، وقد روى أحمد (395/34) من حديث أم عطية: (أنه أخذ عليهن في البيعة وألا يحادثن من الرجال إلا من كان محرماً) ولكن هذا الحديث لا يصح لأن في إسناده غسان بن الربيع والحديث جاء من مرسل الحسن أيضاً ولا يصح . اهـ

2- قال الشيخ خالد عبد الله مصلح في موقع طريق الإسلام : الذي يدل عليه ظاهر الكتاب والسنة أن صوت المرأة ليس بعورة وعليه جمهور العلماء فهو الأصح عند الحنفية والمعتد عند المالكية وهو المذهب عند الشافعية والحنابلة.

وهذا كله فيما إذا لم يكن شبهة وشهوة في حديثها أما سماعها تلذذاً بصوتها فهذا لا ريب في تحريمه فإن النبي قال : "والأذنان زناهما الاستماع" رواه مسلم (2657) من حديث أبي هريرة

- رضي الله عنه - . اهـ

رابعاً : إن الأمر المثير للدهشة والعجب هو أن محل الشبهة في كتابهم المقدس ، حيث نسب لبولس أنه منع المرأة من أن تتكلم في الكنائس قط

والسؤال: لماذا أمرهن بذلك ، هل لأن صوتهن عورة ؟! أم أن صوتهن يجلب الشياطين إلى الكنيسة...؟

جاء ذلك في الرسالة الأولى إلى كورنثوس إصحاح 14 عدد³⁴ لَتَصْمُتْ نِسَاؤُكُمْ فِي الْكَنَائِسِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مَأْذُونًا لَهُنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ، بَلْ يَخْضَعْنَ كَمَا يَقُولُ النَّامُوسُ أَيْضًا.³⁵ وَلَكِنْ إِنْ كُنَّ يُرَدْنَ أَنْ يَتَعَلَّمْنَ شَيْئًا، فَلْيَسْأَلْنَ رِجَالَهُنَّ فِي الْبَيْتِ، لِأَنَّهُ قَبِيحٌ بِالنِّسَاءِ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ فِي كَنِيسَةٍ.³⁶ أَمْ مِنْكُمْ خَرَجَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ؟ أَمْ إِلَيْكُمْ وَحْدَكُمْ انْتَهَتْ؟ لا تعليق !

ثم إن الأعجب مما سبق هو ما نسبته الكتاب لبولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس إصحاح 2 عدد¹¹ لَتَتَعَلَّمِ الْمَرْأَةُ بِسُكُوتٍ فِي كُلِّ خُضُوعٍ.¹² وَلَكِنْ لَسْتُ آذِنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَعْلَمَ وَلَا تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونُ فِي سُكُوتٍ.

قلتُ : إن الإسلام لم يفرق بين الرجل والمرأة في التعلم والتكلم كما تقدم معنا ... ولكن بحسب كلام بولس نجد أن المرأة لا ينبغي لها أن تتعلم ، ولا تتكلم ... لا تعليق !

رد شبهة : نبي يقول : إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ !

أثيرت شبهتان مفادهما أن النبي ﷺ أخبر أن المرأة تُقْبَلُ في صورة شيطان ، قالوا : هل المرأة شيطان ؟

وتعلقوا على ذلك بما جاء في مسند أحمد برقم 14010 عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَاتَى زَيْنَبَ وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيَّةً فَقَضَى مِنْهَا حَاجَتَهُ ، وَقَالَ : " إِنَّ الْمَرْأَةَ تَقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَاكَ يَرُدُّ مِمَّا فِي نَفْسِهِ " .
قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : صحيحٌ لغيره وهذا إسناد رجاله رجال الصحيح.

الرد على الشبهة

أولاً: إن الذي يظهر لي من الشبهة التي وردت في الحديث هي : أنهم يعتقدون أن النبي ﷺ شبه المرأة المكرمة بالشیطان ، وهذا ليس تكريماً للمرأة بل إهانة لها
يُردُّ على ذلك من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن النبي ﷺ كان يوصي بالنساء خيراً ، وكان يبين للجميع أنهم شقائق الرجال ، ولا فرق بين ذكر وأنثى إلا بما قدر الله وهذا ينفي ادعاءهم الباطل ...

تدل على ذلك أدلة منها :

1- سنن الترمذي كتاب (الرِّضَاعِ) بَاب (مَا جَاءَ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا) برقم 1083 عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَحْوَصِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ وَعَظَ فَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ قِصَّةً فَقَالَ : " أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ " .

تحقيق الألباني : (حسن) انظر حديث رقم 7880 في صحيح الجامع .

2- سنن ابن ماجه كتاب (النكاح) باب (حُسنُ مُعاشرةِ النساءِ) برقم 1967 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي ".
تحقيق الألباني : صحيح ، الصحيحة (285) .

11- سنن أبي داود برقم 204 قال ﷺ : " إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ ".
تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 1983 في صحيح الجامع .

الوجه الثاني : أن كل ما في الحديث هو تشبيه في الإغواء ؛ فكما أن هناك امرأة تخرج من بيتها متعطرة متزينة تفتن الرجال بريحها وبزيها وبمشيتها.... يؤدي هذا إلى فتنة عظيمة ومعصية كبيرة ، وكذلك الحال مع الشيطان فإنه يُوقع الفتن بين الناس بالوساوس والشبهات ... يؤدي هذا إلى فتنة عظيمة ومعصية كبيرة وليس المعنى أن المرأة شبيهة بالشيطان بل التشبيه هنا في الفعل الناتج عنها وهو الإغواء.... وليس التشبيه في المرأة فلم يُرد ﷺ الصورة التي هي الخلقة ؛ فحينما تفعل ماسبق استدرجها الشيطان فزين لها سوء عملها....

وعليه : فإن المرأة إذا خرجت من بيتها غير متعطرة، ولا متبرجة... لا تتدرج تحت هذا الحديث ، ولا تخضع لهذا التشبيه يدل على ذلك ما جاء في الآتي :

1- قال صاحبُ كتاب كشف المشكل من حديث الصحيحين : قوله ﷺ : " في صورة شيطان " أي : إن الشيطان يزين أمرها ويحث عليها وإنما يقوى ميل الناظر إليها على قدر قوة شبقه فإذا جامع أهله قل المحرك وحصل البذل . اهـ

2- قال النووي في شرحه لمسلم : قوله ﷺ : " إِنَّ الْمَرْأَةَ تَقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ " قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَعْنَاهُ : الْإِشَارَةُ إِلَى الْهَوَى وَالِدُّعَاءِ إِلَى الْفِتْنَةِ بِهَا لَمَّا جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي نَفُوسِ الرِّجَالِ مِنَ الْمِيلِ إِلَى النِّسَاءِ ، وَالْإِلْتِذَاذِ بِنَظَرِهِنَّ ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِنَّ ، فَهِيَ شَبِيهَةٌ بِالشَّيْطَانِ فِي دُعَائِهِ إِلَى الشَّرِّ بِوَسْوَاسَتِهِ وَتَزْيِينِهِ لَهُ . وَيُسْتَنْبَطُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ يَنْبَغِي لَهَا أَلَّا تَخْرُجَ بَيْنَ الرِّجَالِ إِلَّا لِحَاجَةٍ ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ الْغَضُّ عَنْ ثِيَابِهَا ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْهَا مُطْلَقًا . اهـ

3- قال صاحب تحفة الاحوذى : قوله ﷺ : " أَقْبَلْتُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ " شَبَّهَهَا بِالشَّيْطَانِ فِي صِفَةِ الْوَسْوَاسَةِ وَالِدُّعَاءِ إِلَى الشَّرِّ . اهـ

4- قال صاحب فيض القدير (الجزء 2) : قوله ﷺ : " إِنَّ الْمَرْأَةَ تَقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ " أي: في صفته شبه المرأة الجميلة بالشیطان في صفة الوسوسة والإضلال يعني أن رؤيتها تثير الشهوة وتقيم الهمة فنسبتها للشیطان لكون الشهوة من جسده وأسبابه والعقل من جند الملائكة والكل جند الله والعقل حزب الله (ألا إن حزب الله هم المفلحون) [المجادلة 22] فالمراد أنها تشبه الشيطان في دعائه إلى الشر ووسوسته وتزيينه قال الطيبي جعل صورة الشيطان ظرفا لإقبالها مبالغة على سبيل التجريد؛ لأن إقبالها داع للإنسان إلى استراق النظر إليها كالشيطان الداعي للشر (وتدبر في صورة شيطان) لأن الطرف رائد القلب فيتعلق بها عند الإدبار أيضا بتأمل الخصر والردف وما هنالك خص إقبالها وإدبارها مع كون رؤيتها من جميع جهاتها داعية إلى الفساد لأن الإضلال فيهما أكثر وقدم الإقبال لكونه أشد فسادا لحصول المواجهة به (فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته) أي استحسناها لأن غاية رؤية المتعجب منه استحسانه (فليأت أهله) أي فليجتمع حليلته (فإن ذلك) أي جماعها (يرد ما في نفسه) بمثناة تحتية أي: يعكسه ويغلبه ويقهره . اهـ

6- قال السيوطي في شرحه لمسلم: قوله ﷺ: "إن المرأة تقبل في صورة شيطان" معناه الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها لما جعل الله ﷻ في نفوس الرجال من الميل إلى النساء والالتذاذ بنظرهن فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه فإن ذلك يرد ما في نفسه . اهـ

7- قال صاحب التفسير لشرح الجامع الصغير للمناوي : قوله ﷺ: "إن المرأة تقبل في صورة شيطان" أي: في صفته يعني أن رؤية وجهها ومقدم بدنّها يثير الشهوة التي هي من جند الشيطان وحزبه (وتدبر في صورة شيطان) أي رؤية خصرها وأكتافها وأردافها وعجزها كذلك . اهـ

الوجه الثالث : أن العجب كل العجب هو في كتابهم المقدس الذي أدعى أن رسولا ينادى عليه بلفظ شيطان ، وذلك لأن المعترضين يعتقدون أن يسوع إله وأن بطرس رسول ... فنجد أن الإله - يسوع- يخاطب بطرس الرسول قائلا له : " اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ " ؛ جاء ذلك في إنجيل متى الإصحاح 16 عدد 23 فالتفت وقال لبطرس: «اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْتَرِئٌ لِي، لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ». لا تعليق !

ثانياً : إن الكتاب المقدس ذكر لنا أن المرأة شرٌ ، ولا شك أن الشر من الشيطان ...

جاء ذلك في سفر زكريا إصحاح 5 عدد⁵ ثُمَّ خَرَجَ الْمَلَكُ الَّذِي كَلَّمَنِي وَقَالَ لِي: «ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مَا هَذَا الْخَارِجُ». ⁶ فَقُلْتُ: «مَا هُوَ؟» فَقَالَ: «هَذِهِ هِيَ الْإِيفَةُ الْخَارِجَةُ». وَقَالَ: «هَذِهِ عَيْنُهُمْ فِي كُلِّ الْأَرْضِ». ⁷ وَإِذَا بَوْزَنَةٌ رَصَاصٍ رُفِعَتْ. وَكَانَتْ امْرَأَةٌ جَالِسَةً فِي وَسْطِ

الإِيفَةُ. ⁸فَقَالَ: «هَذِهِ هِيَ الشَّرُّ». فَطَرَحَهَا إِلَى وَسْطِ الإِيفَةِ، وَطَرَحَ ثِقْلَ الرِّصَاصِ عَلَى فَمِهَا. لَا تَعْلِقُ !

رد شبهة نبي ينظر إلى النساء ثم يجامع أهله ...

قالوا : وجدنا في حديث أنه لما رأى امرأة أعجبتَه ترك أصحابه وذهب ليجامع إحدى نسائه ، فهل هذه أخلاق الأنبياء ، ومن من الأنبياء فعل مثل هذه...؟!

وتعلقوا على ذلك بما جاء في مسند أحمد برقم 17337 عن أبي كبشة الأنماري قال :
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ وَقَدْ اغْتَسَلَ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ : قَدْ
كَانَ شَيْءٌ ؟ قَالَ : " أَجَلَ مَرَّتَ بِي فُلَانَةٌ فَوَقَعَ فِي قَلْبِي شَهْوَةُ النِّسَاءِ فَاتَّيْتُ بَعْضَ
أَزْوَاجِي فَأَصْبَتُهَا فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا فَإِنَّهُ مِنْ أَمَائِلِ أَعْمَالِكُمْ إِيَّانُ الْحَلَالِ " .
قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : صحيحٌ لغيره وهذا إسناد حسن .

وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 235 .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الحديث فيه إفادة نفسية للنفس البشرية ، ودعوة للأخلاق الحميدة لو كان يعقلون

....

الحديث يقول : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ وَقَدْ اغْتَسَلَ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: قَدْ كَانَ شَيْءٌ ؟ قَالَ: " أَجَلَ مَرَّتَ بِي فَلَانَةُ فَوَقَعَ فِي قَلْبِي شَهْوَةُ النِّسَاءِ فَأَتَيْتُ بَعْضَ أَزْوَاجِي فَأَصَبْتُهَا فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا فَإِنَّهُ مِنْ أَمَثَلِ أَعْمَالِكُمْ إِيْتَانُ الْحَلَالِ "

قال فيه العلماء ما يلي :

1- قال النووي - رحمه الله - في شرحه للحديث الأول: وَمَعْنَى الْحَدِيثِ : أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِمَنْ رَأَى امْرَأَةً فَتَحَرَّكَتْ شَهْوَتُهُ أَنْ يَأْتِيَ امْرَأَتَهُ أَوْ جَارِيَتَهُ إِنْ كَانَتْ لَهُ ، فَلْيُوَاقِعْهَا لِيُدْفَعَ شَهْوَتُهُ ، وَتَسْكُنَ نَفْسُهُ ، وَيَجْمَعَ قَلْبُهُ عَلَى مَا هُوَ بِصَدَدِهِ قَالَ الْعُلَمَاءُ : إِنَّمَا فَعَلَ هَذَا بَيَانًا لَهُمْ ، وَإِرْشَادًا لِمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ ، فَعَلِمَهُمْ بِفَعْلِهِ وَقَوْلِهِ . وَفِيهِ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِطَلَبِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ إِلَى الْوَقَاعِ فِي النَّهَارِ وَغَيْرِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ مُشْتَغَلَةً بِمَا يُمَكِّنُ تَرْكَهُ ، لِأَنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَتْ عَلَى الرَّجُلِ شَهْوَةُ يَتَضَرَّرُ بِالتَّأْخِيرِ فِي بَدَنِهِ أَوْ فِي قَلْبِهِ وَبَصَرِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ بتصرف

-2

3- قال صاحب التفسير لشرح الجامع الصغير للمناوي : (فإذا رأى أحدكم امرأة) أجنبية (فأعجبته) أي : استحسناها (فليأت أهله) أي فليجامع حليلته (فان ذلك) أي: جماعها (يرد ما في نفسه) أي: يعكسه ويكسر شهوته ويفتر همته وينسيه التلذذ بتصور هيكلك تلك المرأة في ذهنه والأمر للندب . اهـ

إن قيل : هل من المروءة أن يترك نبيكم أصحابه ويذهب ليجامع زوجته لما رأى امرأة مرت أمامه وأعجبته... وكيف يقول لأصحابه أنه جامع زوجته ، وهو القائل : " إِنَّ مِنْ

أَشَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا " ؟ !

قلتُ : إن الذي يفعل الخطأ لا يقول أنا أفعل الخطأ ، والذي في نيته خبث إن رأى امرأة يظل ينظر إليها و يفكر فيها ولا يحكى ما حدث ، وهذا يدل على صفاء قلبه بخلاف ما يتصيد المعترضون ، وقد وقع ذلك بقدر الله حتى تتأسى الأمة بخير الأنام محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو إتيان الحلال ، ودفع مكائد الشيطان....

ثانياً : تبقى سؤالهم الذي يقول : هل هذه أخلاق الأنبياء ، ومن من الأنبياء فعل مثل هذا...؟!

قلتُ للسائل : كما قال يسوع المسيح في إنجيل متى إصحاح 7 عدد³ لَمَّاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلَا تَقْطُنْ لَهَا؟⁴ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لِأَخِيكَ: دَعْنِي أَخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ ، وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ؟⁵ يَا مَرَأِي ، أَخْرِجْ أَوَّلًا الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ ، وَحِينَئِذٍ تَبْصُرَ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ!

إن محمداً ﷺ أتى زوجته ، وعلم أمته كيف يدفعوا سهام الشيطان ، أما الكتاب المقدس ذكر لنا أن النبي داود ﷺ زنا بزوجة أوريا الحثي ، وقتله غدراً وحيلة ، وذلك لما رآها وهي تستحم فأعجبته !

جاء ذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 11 عدد1 وَكَانَ عِنْدَ تَمَامِ السَّنَةِ، فِي وَقْتِ خُرُوجِ الْمُلُوكِ، أَنَّ دَاوُدَ أَرْسَلَ يُوَابَ وَعَبِيدَهُ مَعَهُ وَجَمِيعَ إِسْرَائِيلَ، فَأَخْرَبُوا بَنِي عَمُونَ وَحَاصَرُوا رِبَّةَ. وَأَمَّا دَاوُدُ فَأَقَامَ فِي أُورُشَلِيمَ.² وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ

وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةً الْمُنْظَرِ جِدًّا. ³فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَّالَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هَذِهِ بِنْتُ بَشَبَعَ بِنْتِ أَلِيعَازَ امْرَأَةِ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ؟». ⁴فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلًا وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمَئِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. ⁵وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حَبَلِي». ⁶فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى يُوَابَ يَقُولُ: «أَرْسِلْ إِلَيَّ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ». فَأَرْسَلَ يُوَابُ أُورِيَّا إِلَى دَاوُدَ. ⁷فَأَتَى أُورِيَّا إِلَيْهِ، فَسَّالَ دَاوُدَ عَنْ سَلَامَةِ يُوَابَ وَسَلَامَةِ الشَّعْبِ وَنَجَاحِ الْحَرْبِ. ⁸وَقَالَ دَاوُدُ لِأُورِيَّا: «انْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ». فَخَرَجَ أُورِيَّا مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ حَصَّةٌ مِنَ عِنْدِ الْمَلِكِ. ⁹وَنَامَ أُورِيَّا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ جَمِيعِ عِبِيدِ سَيِّدِهِ، وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ. ¹⁰فَأَخْبَرُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ: «لَمْ يَنْزِلْ أُورِيَّا إِلَى بَيْتِهِ». فَقَالَ دَاوُدُ لِأُورِيَّا: «أَمَا جِئْتَ مِنَ السَّفَرِ؟ فَلِمَ لَمْ تَنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ؟» ¹¹فَقَالَ أُورِيَّا لِدَاوُدَ: «إِنَّ الثَّابُوتَ وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوَابَ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحَرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لِأَكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجَعَ مَعَ امْرَأَتِي؟ وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةَ نَفْسِكَ، لَا أَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ». ¹²فَقَالَ دَاوُدُ لِأُورِيَّا: «أَقِمْ هُنَا الْيَوْمَ أَيْضًا، وَغَدًا أَطْلُقُكَ». فَأَقَامَ أُورِيَّا فِي أُورُشَلِيمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَغَدَهُ. ¹³وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَلَ أَمَامَهُ وَشَرِبَ وَأَسْكِرَهُ. وَخَرَجَ عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَضْطَجَعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عِبِيدِ سَيِّدِهِ، وَإِلَى بَيْتِهِ لَمْ يَنْزِلْ. ¹⁴وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوبًا إِلَى يُوَابَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُورِيَّا. ¹⁵وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: «اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ». ¹⁶وَكَانَ فِي مُحَاصِرَةِ يُوَابَ الْمَدِينَةَ أَنَّهُ جَعَلَ أُورِيَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّ رِجَالَ الْبَاسِ فِيهِ. ¹⁷فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارِبُوا يُوَابَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عِبِيدِ دَاوُدَ، وَمَاتَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا. ¹⁸فَأَرْسَلَ يُوَابَ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِجَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ. ¹⁹وَأَوْصَى الرَّسُولُ قَائِلًا: «عِنْدَمَا تَفْرُغُ الْكَلَامَ مَعَ الْمَلِكِ عَنْ جَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ، ²⁰فَإِنْ اشْتَعَلَ غَضَبُ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَكَ: لِمَذَا دَنَوْتُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ لِلْقِتَالِ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ يَرْمُونَ مِنْ عَلَى ²¹مَنْ قَتَلَ أَبِيمَالِكَ بْنَ يَرْئُوشَتَ؟ أَلَمْ تَرْمِهِ امْرَأَةً بِقِطْعَةٍ رَحَى مِنْ عَلَى السُّورِ فَمَاتَ فِي تَابَاصٍ؟ لِمَذَا دَنَوْتُمْ مِنَ السُّورِ؟ فَقُلْ: قَدْ مَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا».

قلتُ : أن هذه النصوص تعلمنا أن نبيَّ الله داود عليه السلام القدوة لنا ؛ يعلمنا كيف نزنّي بامرأة جميلة حينما نراها وهي تستحم ، وكيف نقل زوجها بعد ذلك غدرًا
وأتساءل : هل هم الأنبياء الأسوة الذين يؤمن بهم المعترض ؟! إن كانوا كذلك فأنا أكفر بهم !

ثم إن جدَّ الربِّ يسوع بحسب إيمانهم لما رأى امرأة على قارعة الطريق وأعجته زنا بها ، ولم يكن يعلم أنها كنته وذلك في سفر التكوين الإصحاح 38 عدد¹² ولَمَّا طَالَ الزَّمَانُ مَاتَتْ ابْنَةُ شُوعِ امْرَأَةِ يَهُوذَا. ثُمَّ تَعَزَّى يَهُوذَا فَصَعِدَ إِلَى جَرَّازٍ غَنَمِهِ إِلَى تَمْنَةَ، هُوَ وَحِيرَةٌ صَاحِبُهُ الْعَدْلَامِيُّ.¹³ فَأُخْبِرَتْ ثَامَارُ وَقِيلَ لَهَا: «هُذَا حَمُوكُ صَاعِدٌ إِلَى تَمْنَةَ لِيَجْزِيَ غَنَمَهُ». فَخَلَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرْمُلِهَا، وَتَغَطَّتْ بِبُرْقِعٍ وَتَلَقَّعَتْ، وَجَلَسَتْ فِي مَدْخَلِ عَيْنَايِمَ الَّتِي عَلَى طَرِيقِ تَمْنَةَ، لِأَنَّهَا رَأَتْ أَنَّ شَيْلَةَ قَدْ كَبُرَ وَهِيَ لَمْ تُعْطَ لَهُ زَوْجَةً.¹⁵ فَنَظَرَهَا يَهُوذَا وَحَسِبَهَا زَانِيَةً، لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ غَطَّتْ وَجْهَهَا.¹⁶ فَمَالَ إِلَيْهَا عَلَى الطَّرِيقِ وَقَالَ: «هَاتِي أَدْخُلِي عَلَيَّ». لِأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا كُنْتَهُ. فَقَالَتْ: «مَاذَا تُعْطِينِي لِكِي تَدْخُلَ عَلَيَّ؟»¹⁷ فَقَالَ: «إِنِّي أُرْسِلُ جَدِي مَعَزَى مِنَ الْغَنَمِ». فَقَالَتْ: «هَلْ تُعْطِينِي رَهْنًا حَتَّى تُرْسِلَهُ؟». ¹⁸ فَقَالَ: «مَا الرَّهْنُ الَّذِي أُعْطِيكَ؟» فَقَالَتْ: «خَاتَمُكَ وَعَصَابَتُكَ وَعَصَاكَ الَّتِي فِي يَدِكَ». فَأَعْطَاهَا وَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَحَبِلَتْ مِنْهُ.¹⁹ ثُمَّ قَامَتْ وَمَضَتْ وَخَلَعَتْ عَنْهَا بُرْقِعَهَا وَلَبِسَتْ ثِيَابَ تَرْمُلِهَا.

²⁰ فَأُرْسِلَ يَهُوذَا جَدِي الْمَعَزَى بِيَدِ صَاحِبِهِ الْعَدْلَامِيِّ لِيَأْخُذَ الرَّهْنَ مِنْ يَدِ الْمَرْأَةِ، فَلَمْ يَجِدْهَا.
²¹ فَسَأَلَ أَهْلَ مَكَانِهَا قَائِلًا: «أَيْنَ الزَّانِيَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي عَيْنَايِمَ عَلَى الطَّرِيقِ؟» فَقَالُوا: «لَمْ تَكُنْ هَهُنَا زَانِيَةً». ²² فَرَجَعَ إِلَى يَهُوذَا وَقَالَ: «لَمْ أَجِدْهَا. وَأَهْلُ الْمَكَانِ أَيْضًا قَالُوا: لَمْ تَكُنْ هَهُنَا زَانِيَةً». ²³ فَقَالَ يَهُوذَا: «لِنَأْخُذْ لِنَفْسِهَا، لِنَأْخُذْ نَصِيرَ إِهَانَةٍ. إِنِّي قَدْ أُرْسَلْتُ هَذَا الْجَدِي وَأَنْتِ لَمْ تَجِدْهَا». ²⁴ وَلَمَّا كَانَ نَحْوُ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، أُخْبِرَ يَهُوذَا وَقِيلَ لَهُ: «قَدْ زَنَيْتِ ثَامَارُ كُنْتُكَ، وَهِيَ هِيَ حُبْلَى أَيْضًا مِنَ الرِّثَا». فَقَالَ يَهُوذَا: «أَخْرِجُوهَا فَتُحْرَقَ». ²⁵ أَمَّا هِيَ فَلَمَّا أُخْرِجَتْ أُرْسِلَتْ إِلَى حَمِيهَا قَائِلَةً: «مَنْ الرَّجُلُ الَّذِي هَذِهِ لَهُ أَنَا حُبْلَى!» وَقَالَتْ: «حَقَّقْ لِمَنْ الْخَاتِمُ

وَالْعَصَابَةُ وَالْعَصَا هَذِهِ». ²⁶ فَتَحَقَّقَهَا يَهُودًا وَقَالَ: «هِيَ أَبْرُ مَنِّي، لِأَنِّي لَمْ أُعْطِهَا لِشَيْلَةَ ابْنِي». فَلَمْ يَعدْ يَعْرِفُهَا أَيْضًا. لَا تَعْلِقُ !

رد شبهة : نبي يقول عن النساء : (ناقصات عقل ودين)!

قالوا : شتم رسول الإسلام النساء لما قال عنهن بأنهن ناقصات عقل ودين

ثم قالوا ساخرين : هل هذه هي مكانة المرأة في الإسلام ناقصة عقل ودين ؟!

تعلقوا على ذلك بحديث في الصحيحين :

1- صحيح البخاري كتاب (الْحَيْضُ وَقَوْلُ اللَّهِ ﷻ :) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ إِلَى قَوْلِهِ «وَيَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» بَاب (تَرْكُ الْحَائِضِ الصَّوْمِ) برقم 293 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فَطَرَ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ : " يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرَيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ . فَقُلْنَ : وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " تَكْثُرُنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرُنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ " قُلْنَ : وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : " أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلُ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ " ؟ قُلْنَ : بَلَى . قَالَ : " فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا " . أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ " ؟ قُلْنَ : بَلَى . قَالَ : " فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا " .

-2

3- صحيح مسلم كتاب (الْإِيمَانِ) بَاب (بَيَانِ نُقْصَانِ الْإِيمَانِ بِنَقْصِ الطَّاعَاتِ وَبَيَانِ إِطْلَاقِ لَفْظِ الْكُفْرِ عَلَى غَيْرِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ كَكُفْرِ النِّعْمَةِ وَالْحُقُوقِ) برقم 114 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الْإِسْتِغْفَارَ فَإِنِّي أُرَيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ " . فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ جَزَلَةٌ وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ

اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ قَالَ: " تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَغْلَبَ لَدِي لُبٍّ مِنْكُمْ! " قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالْدِّينِ ؟ قَالَ : " أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدُلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَتَمَكُّثُ اللَّيَالِي مَا تُصَلِّي وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ " .

-4

الرد على الشبهة

أولاً: إن نصوص القرآن الكريم والسنة تبين أن الله ﷻ كرم بني آدم ذكوراً وإناثاً ، و تبين المساواة بين الرجل والمرأة بما قدر الله ... تدلل على ذلك أدلة منها:

1- قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (70) (الإسراء) .

2- قوله ﷻ: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (228) (البقرة) .

3- أن الله ﷻ نزل سورة كاملة اسمها (سورة النساء) ولم ينزل سورة باسم (سورة الرجال) ، ونزل سورة باسم امرأة سورة (مريم)

5- قوله ﷻ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (71) وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم (72) (التوبة) .

6- قوله ﷻ: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقَاتَلُوا

لَا كُفْرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلَتْهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (195) ﴿ (آل عمران).

-7

6- قَوْلُهُ ﷺ : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (124) ﴾ (النساء).

7- قَوْلُهُ ﷺ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) ﴾ (النحل).

8- قَوْلُهُ ﷺ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) ﴾ (الإسراء).

9- قول النبي ﷺ في سنن الترمذي برقم 105، وسنن أبي داود برقم 204 قال ﷺ : " إِمَّا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ "

قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم : 2333 في صحيح الجامع.

ومعنى الأخير: لو أتى حكم شرعي على الرجال فذلك الحكم يشمل النساء أيضاً....

وعليه: يسقط قولهم الذي فيه سخرية حول مكانة المرأة في الإسلام وبأنها ناقصة عقل ودين....!

ثانيًا: سمعتُ من بعضِ الدعاة - غفر اللهُ لهم - يفسرون هذا الحديثَ قائلين: كان النبيُّ ﷺ يمزحُ معهن ، وليس ما قاله عن قصدٍ ، ولكن كان على سبيلِ المزاح ؛ لأن ذلك اليوم كان يوم عيد!

قلتُ: هذا كلامٌ باطلٌ مردودٌ ، ليس عليه دليلٌ إلا أن الحديثَ قيل في يومِ عيدٍ ، وكلماته مناسبة ليومِ العيد ، لكن النبيُّ ﷺ لا يمزح إلا في صدقٍ ، هذا إن كان قد قال ذلك مزاحًا - وحاشاهُ ﷺ - أن يمزح مع النساءِ.

ثالثًا: إن ادعاءهم بأنه ﷺ شتم النساءَ هذا من جهلهم المعروف ، ووقاحتهم مع أنبياءِ الله - عليهم السلام - وأما عن قوله ﷺ للنساء: " مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لُبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ " .

هذا أوضحه النبيُّ ﷺ بنفسه في آخرِ الحديثِ حتى لا يساء فهم كلامه من جهلة الناس كما هو حال بعضهم اليوم ، وذلك لما سئل أجاب ﷺ قائلاً : أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ ؟ قُلْنَ : بَلَى . قَالَ : فَذَلِكَ مِنْ نَقْصَانِ عَقْلِهَا . أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تَصِلْ وَلَمْ تَصُمْ ؟ قُلْنَ : بَلَى . قَالَ : " فَذَلِكَ مِنْ نَقْصَانِ دِينِهَا " .

اليوم كان يوم عيد فهذا الخطاب مناسب له... ثم إن صيغة الحديث ليست تقريرية بل تعجبية ... لقوله : " وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لَدِي لُبٌّ مِنْكُنَّ " !

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : هل اعترض أحدٌ على ما قاله النبيُّ ﷺ ؟

سؤال آخر : هل اعترضت واحدةٌ منهن بعد جوابه ﷺ ؟

الجواب : لم يبدي أحدٌ اعتراضاً ، ولم يقل أحدٌ : إنه ﷺ شتم النساء ... ولم تقل امرأةٌ منهن : إن نبيَّ الله ﷺ شتمنا كما يزعم المعتضون بل الثابت من الحديث أن النساء اللواتي قيل فيهن الحديث أبدين الموافقة التامة على كلامه ﷺ وهو ملاحظ من قولهن : قُلْنَ : بلى...

إن كلَّ ما في الحديث أن اليوم كان في يوم عيد فيه خاطب النبي ﷺ النساء ناصحاً لهن أن يتقين الله في حق الزوج ثم قال كلمات مناسبة لهن في يومهن هذا كلمات حقيقية عن طبيعتهن ...

فنقصان العقل خُصص بالشهادة في الدين فقط (الإشهاد) كما أوضحت الآية الكريمة : ﴿أَنْ تَصِلَ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ والمقصود نقص نسبي يمس الذاكرة بل ويمس نوع معين منها وهذا سيأتي في موضعه - إن شاء الله - .

ونقصان الدين هو قلة العبادة قياساً بينها وبين الرجل ، فهي تحيض كلَّ شهرٍ فتُمنع من الصلاة والصيام ... ويأتيها دم النفاس بعد الولادة ...

قال الإمام النووي - رحمه الله- في شرحه : " وَأَمَّا وَصْفُهُ ﷺ النَّسَاءَ بِنُقْصَانِ الدِّينِ لِتَرْكِهِنَّ الصَّلَاةَ وَالصَّوْمَ فِي زَمَنِ الْحَيْضِ فَقَدْ يُسْتَشْكَلُ مَعْنَاهُ وَلَيْسَ بِمُشْكَلٍ ، بَلْ هُوَ ظَاهِرٌ فَإِنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ مُشْتَرِكَةٌ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فِي مَوَاضِعَ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَيْضًا فِي مَوَاضِعَ أَنَّ الطَّاعَاتِ تُسَمَّى إِيمَانًا وَدِينًا ، وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا عَلِمْنَا أَنَّ مَنْ كَثُرَتْ عِبَادَتُهُ زَادَ إِيْمَانَهُ وَدِينَهُ ، وَمَنْ نَقَصَتْ عِبَادَتُهُ نَقَصَ دِينَهُ . ثُمَّ نَقَصُ الدِّينِ قَدْ يَكُونُ عَلَى وَجْهِ يَأْتُمُّ بِهِ كَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ أَوْ الصَّوْمَ أَوْ غَيْرَهُمَا مِنَ الْعِبَادَاتِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ بِلَا عُدْرِ ، وَقَدْ يَكُونُ عَلَى وَجْهِ لَا إِثْمَ فِيهِ كَمَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ أَوْ الْغَزْوَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ

مِمَّا لَا يَجِبُ عَلَيْهِ بَلَا عُدْرٍ ، وَقَدْ يَكُونُ عَلَى وَجْهِهُ هُوَ مُكَلَّفٌ بِهِ كَتَرَكِ الْحَائِضِ الصَّلَاةَ
وَالصَّوْمَ " . اهـ

قلتُ : هكذا فهم علماء الإسلام بخلاف ما فهم المعترضون

رابعاً : قال الدكتور سمير بوراس استشاري جراحة الكلى والمسالك البولية، وأستاذ مساعد في كلية الطب ، نقلا عن موقع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة : جل علماء علوم الأعصاب والبيولوجيا يتفقون اليوم بأن الرجل أكثر عاطفة من المرأة، بينما المرأة تعبر عن شعورها وعاطفتها أكثر من الرجل فقط كما يقول أحد اكبر الأساتذة في هذا المجال Ginger Serge وقد سألته شخصيا لتوضيح المسألة فقال: إن المرأة حساسة (sensible) أكثر من الرجل لأن حواسها أكثر تطورا: الشم ,السمع.... ولكن الرجل أكثر عاطفة (émotif) : السعادة, الحزن, الغضب ... ولكنه تعلم إخفائها حتى لا يظهر بمظهر الضعيف .اهـ بتصرف

قلتُ : إن كون الإحساس أغلب واطهر على المرأة من الرجل ،هذا لا يقلل من مكانتها وقدرها بل هو منقبة لها نظراً لطبيعتها التي خلقها الله عليها ... وأوضح ذلك بمثال يعرفه الناس : قادة القوات المسلحة عندنا في مصر لاشك أنهم أصحاب مكانة مرموقة ومحترمة عند الجميع ، وعلى الرغم من ذلك لا يحق لهم أن يتقدموا لانتخابات مجلس الشعب وغيره ، فهل هذا ينتقص من مكانتهم وقدرهم ؟! هذا هو .

خامساً : إن الكتاب المقدس يبين لقارئه أن الرجل ناقص عقل فهو عديم الفهم ، وأن الإنسان يولد كالجحش ... فإذا كان الرجل ناقص عقل فإن المرأة لا عقل لها...!

جاء ذلك في الآتي :

1- سفر أيوب إصحاح 11 عدد¹² أَمَّا الرَّجُلُ فَفَارِغٌ عَدِيمُ الْفَهْمِ، وَكَجَحَشٍ الْفَرَا يُولَدُ الْإِنْسَانُ. !

2- سفر الجامعة في الإصحاح 3 عدد¹⁸ قُلْتُ فِي قَلْبِي : «مِنْ جِهَةِ أُمُورِ بَنِي الْبَشَرِ، إِنَّ اللَّهَ يَمْتَحِنُهُمْ لِيَرِيَهُمْ أَنَّهُ كَمَا الْبَهِيمَةِ هَكَذَا هُمْ». ¹⁹لَأَنَّ مَا يَحْدُثُ لِبَنِي الْبَشَرِ يَحْدُثُ لِلْبَهِيمَةِ، وَحَادِثَةٌ وَاحِدَةٌ لَهُمْ. مَوْتُ هَذَا كَمَوْتِ ذَلِكَ، وَنَسَمَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْكُلِّ. فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مَزِيَّةٌ عَلَى الْبَهِيمَةِ، لِأَنَّ كِلَيْهِمَا بَاطِلٌ. ²⁰يَذْهَبُ كِلَاهُمَا إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ. كَانَ كِلَاهُمَا مِنْ الثَّرَابِ ، وَإِلَى الثَّرَابِ يَعُودُ كِلَاهُمَا.

نلاحظ من النص : أن الإنسان ليس له مزية على البهيمة ، فالإنسان كالبهيمة بحسب نص الكتاب المقدس لا عقل له ،ومما هو معلوم أن الإنسان تطلق على الذكر والأنثى ،ولا يوجد في اللغة العربية لفظ إنسانه...

ثم إن الكتاب المقدس ذكر أن الرجل رأس المرأة كما يلي :

1- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح 11 عدد³ وَلَكِنْ أُريدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُلٍ هُوَ الْمَسِيحُ ، وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ ، وَرَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللَّهُ .

2- رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ أَفَسَسَ إِصْحَاح 5 عدد²³ لِأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ
كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا رَأْسُ الْكَنِيسَةِ ، وَهُوَ مُخَلَّصُ الْجَسَدِ .

قُلْتُ : إذا كان الرجلُ رأسَ المرأةِ بحسب تلك النصوص فإن المرأة لا رأس لها ، فالرجل
رأسها أي : عقلها وعليه فالمرأة لا عقل لها !

وأما عن نقصان دينها فسفر الآويين الإصحاح 15 عدد¹⁹ إلى آخر الإصحاح يحدثنا عن
نجاتها التي تعوق عبادتها مما يؤدي إلى نقصان دينها

وهذه شهادة من آباء الكنيسة المعاصرين صوتية ، فمن فهم أدينهم.....
<http://www.youtube.com/watch?v=G8kf53ObJFo> الأب
بولس جورج يعترف أن المرأة أقل عقلاً من الرجل ، وأكثر عاطفة منه

رد شبهة: نبي يقول: (شهادة المرأة نصف شهادة الرجل) !

قالوا: لقد انتقص رسول الإسلام من شأن المرأة حتى أنه جعل شهادتها نصف شهادة
الرجل ، وتعلقوا على كلامهم بما جاء في الآتي :

1- صحيح البخاري كتاب (الحيض وقول الله ﷻ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ
أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾) بَاب (تَرْكِ الْحَائِضِ
الصَّوْمِ) برقم 293 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ

إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ : " يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ". فَقُلْنَ : وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : " تَكْثُرُنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرُنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ " قُلْنَ : وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلُ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ ؟ قُلْنَ : بَلَى..... الحديث.

3- قول الله ﷻ : ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ (البقرة 282).

الرد على الشبهة

أولاً: سبق أن قمنا بالرد على شبهة (ناقصات عقل ودين) ففيها جزء من الحديث الذي معنا ، والآن ندفع الشبهة التي معنا - بحول الله ومده - ، أقول: إن الآية تتحدث عن الإشهاد في الدين ، ولا تتحدث البتة عن الشهادة أمام القاضي ... أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى.

قال ﷻ : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك 14).

ثانياً : إن هناك أحوالاً تكون شهادتها بمفردها قاطعة في بعض القضايا أمام القاضي ، مثل شهادة الرجل كما هو الحال شهادة اللعان ؛ فقد بين القرآن أن المرأة مساوية للرجل في هذه الشهادة التي تكون بين الزوجين ؛ حينما يقذف الزوج زوجته وليس معه شهود على قوله، تشهد المرأة لنفسها ؛ يقول ﷻ : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (6) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ

اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (7) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (8) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (9) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (10) ﴿النور﴾.

وأحياناً تقدم شهادتها على شهادة الرجل كما هو الحال في القضايا التي تتعلق بالمرأة ، مثل :الرضا ع والولادة... اكتفي بدليل واحد ، فيه أن النبي ﷺ قبل شهادة المرأة الواحدة في الرضاع شهدت لنفسها ، ولم يقبل ﷺ شهادة الرجل ؛ ثبت ذلك في صحيح البخاري كتاب (النكاح) باب (شهادة المُرْضعة) برقم 4714 عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً فَجَاءَتْنَا امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتْ: أَرْضَعْتُكُمَا فَاتَّيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ : تَزَوَّجْتُ فَلَانَةَ بِنْتَ فَلَانَ فَجَاءَتْنَا امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتْ لِي : إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُكُمَا وَهِيَ كَاذِبَةٌ فَأَعْرَضَ عَنِّي فَاتَّيْتُهُ مِنْ قَبْلِ وَجْهِهِ قُلْتُ : إِنَّهَا كَاذِبَةٌ قَالَ : " كَيْفَ بِهَا وَقَدْ زَعَمْتَ أَنَّهَا قَدْ أَرْضَعْتُكُمَا دَعَهَا عَنْكَ " . وَأَشَارَ إِسْمَاعِيلُ بِإصْبَعِيهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى يَحْكِي أَيُّوبَ .

ثالثاً: أجاب الدكتور محمد عمارة في كتاب حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المستشرقين (ص560 الطبعة الرابعة) بما يلي :

أما الشبهة الثانية والزائفة التي تثار حول موقف الإسلام من شهادة المرأة.. التي يقول مثيروها: إن الإسلام قد جعل المرأة نصف إنسان ، وذلك عندما جعل شهادتها نصف شهادة الرجل ، مستدلين على ذلك بآية سورة البقرة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا بِيْخْسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا

تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (282) ﴿﴾.

ومصدر الشبهة التي حسب مثيروها أن الإسلام قد انتقص من أهلية المرأة ، بجعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾ هو الخلط بين " الشهادة " وبين " الإشهاد " الذي نتحدث عنه هذه الآية الكريمة.. فالشهادة التي يعتمد عليها القضاء في اكتشاف العدل المؤسس على البينة ، واستخلاصه من ثنايا دعاوى الخصوم ، لا تتخذ من الذكورة أو الأنوثة معياراً لصدقها أو كذبها ، ومن ثم قبولها أو رفضها.. وإنما معيارها تحقق اطمئنان القاضي لصدق الشهادة بصرف النظر عن جنس الشاهد ، ذكراً كان أو أنثى ، وبصرف النظر عن عدد الشهود.. فالقاضي إذا اطمأن ضميره إلى ظهور البينة أن يعتمد شهادة رجلين ، أو امرأتين ، أو رجل وامرأة ، أو رجل وامرأتين ، أو امرأة ورجلين ، أو رجل واحد أو امرأة واحدة.. ولا أثر للذكورة أو الأنوثة في الشهادة التي يحكم القضاء بناءً على ما تقدمه له من البينات..

أما آية سورة البقرة ، والتي قالت : ﴿ وَاسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ فإنها تتحدث عن أمر آخر غير " الشهادة " أمام القضاء .. نتحدث عن " الإشهاد " الذي يقوم به صاحب الدين للاستيثاق من الحفاظ على دينه ، وليس عن " الشهادة " التي يعتمد عليها القاضي في حكمه بين المتنازعين.. فهي - الآية - موجهة لصاحب الحق الدين وليس إلى القاضي الحاكم في النزاع.. بل إن هذه الآية لا تتوجه إلى كل صاحب حق دين ولا تشترط ما اشترطت من مستويات الإشهاد وعدد الشهود في كل حالات الدين.. وإنما توجهت بالنصح والإرشاد فقط النصح والإرشاد إلى دائن خاص ، وفي حالات خاصة من الديون ، لها ملابسات خاصة نصت عليها الآية.. فهو دين إلى أجل مسمى.. ولا بد من كتابته.. ولا بد من عدالة الكاتب. ويحرم امتناع الكاتب عن الكتابة.. ولا بد من إملاء الذي عليه الحق.. وإن لم يستطع فليملل وليه بالعدل.. والإشهاد لا بد أن يكون من رجلين من المؤمنين.. أو رجل وامرأتين من المؤمنين.. وأن يكون الشهود ممن ترضى عنهم الجماعة .. ولا يصح امتناع الشهود عن الشهادة..

وليست هذه الشروط بمطلوبة في التجارة الحاضرة .. ولا في المبيعات .. ثم إن الآية ترى في هذا المستوى من الإشهاد الوضع الأقسط و الأقوم.. وذلك لا ينفي المستوى الأدنى من القسط.. ولقد فقه هذه الحقيقة حقيقة أن هذه الآية إنما تتحدث عن " الإشهاد" في دين خاص ، وليس عن الشهادة.. وإنها نصيحة وإرشاد لصاحب الدين ذي المواصفات والملابس الخاصة وليست تشريعاً موجهاً إلى القاضي الحاكم في المنازعات.. فقه ذلك العلماء المجتهدون..

فطرق الإشهاد ، في آية سورة البقرة التي تجعل شهادة المرأتين تعدل شهادة رجل واحد هي نصيحة وإرشاد لصاحب الدين ذي الطبيعة الخاصة - ... وليست التشريع الموجه إلى الحاكم القاضي والجامع لطرق الشهادات والبيانات.. وهى أيضاً خاصة بدين له مواصفاته وملابساته ، وليست التشريع العام في البيانات التي تظهر العدل فيحكم به القضاة..

بل لقد ذكر ابن تيمية في حديثه عن الإشهاد الذي تحدثت عنه آية سورة البقرة أن نسيان المرأة ، ومن ثم حاجتها إلى أخرى تذكرها ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ ليس طبعاً ولا جبلة في كل النساء ، وليس حتماً في كل أنواع الشهادات.. وإنما هو أمر له علاقة بالخبرة والمران ، أي: أنه مما يلحقه التطور والتغيير.. وحكى ذلك عنه ابن القيم فقال: " قال شيخنا ابن تيمية ، - رحمه الله تعالى - : قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ فيه دليل على أن استشهاد امرأتين مكان رجل واحد إنما هو لإذكار إحداهما للأخرى، إذا ضلت ، وهذا إنما يكون فيما فيه الضلال في العادة ، وهو النسيان وعدم الضبط.. فما كان من الشهادات لا يخاف فيه الضلال في العادة لم تكن فيه على نصف الرجل.. " فحتى في الإشهاد ، يجوز لصاحب الدين أن يحفظ دينه وفق نصيحة وإرشاد آية سورة البقرة بإشهاد رجل وامرأة ، أو امرأتين ، وذلك عند توافر الخبرة للمرأة في موضوع الإشهاد.. فهي في هذا الإشهاد ليست شهادتها دائماً على النصف من شهادة الرجل..

وعلل ابن تيمية حكمة كون شهادة المرأتين في هذه الحالة تعدلان شهادة الرجل الواحد ، بأن المرأة ليست مما يتحمل عادة مجالس وأنواع هذه المعاملات .. لكن إذا تطورت

خبراتها وممارساتها وعاداتها ، كانت شهادتها حتى في الإشهاد على حفظ الحقوق والديون مساوية لشهادة الرجل اهـ بتصرف

رابعاً : إن الناظر في الكتاب المقدس يجد أن المرأة التي تلد ذكراً تكون نجسة مدة أسبوع ! وإذا ولدت أنثى تكون نجسة مدة أسبوعين ...

وبالتالي فإن الملاحظ أن نجاسة الأنثى ضعف نجاسة الذكر منذ ولادتها ، كما أن المرأة التي حملت وتضع أنثى نجاستها ضعف المرأة التي تحمل وتضع الذكر، و في مدة الطمث أيضاً ! وبمعنى آخر نجاسة الذكر المولود نصف نجاسة الأنثى المولدة !

وأتساءل : هل هذا يرضي المرأة التي تعتقد بعقيدة المعترضين ؟!

نجد ما ذكرت في سفر الأويين إصحاح 12 عدد 1¹ وكلم الرب موسى قائلاً : 2«كلم بني إسرائيل قائلاً: إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً، تكون نجسة سبعة أيام. كما في أيام طمث علتها تكون نجسة. 3وفي اليوم الثامن يخنن لحم غرلته. 4ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوماً في دم تطهيرها. كل شيء مقدس لا تمس، وإلى المقدس لا تجئ حتى تكمل أيام تطهيرها. 5وإن ولدت أنثى، تكون نجسة أسبوعين كما في طمثها. ثم تقيم ستة وستين يوماً في دم تطهيرها. لا تعليق !

رد شبهة :هل عورة الأمة من السرة إلى الركبة بخلاف الحرة ؟

أثيرت شبهة جديدة حول النبي الكريم من معتد أثيم يقول: إن عورة المرأة الجارية (الأمة) تختلف تماماً عن عورة المرأة الحرة ؛ فعورة الأمة هي ما دون السرة وفوق الركبة ،

وبالتالي فإن المرأة الأمة وإن كانت مسلمة يجوز لها أن تمشي في الطرقات كاشفة عن زراعيها وساقبيها وشعرها.....

تعلق بذلك على ما جاء في السنن الكبرى للبيهقي (ج2 / ص226) (باب عورة الأمة) (اخبونا) أبو على الروذباري أنا محمد بن بكر ثنا أبو داود ثنا محمد بن عبد الله بن ميمون ثنا الوليد ثنا الاوزاعي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده أن النبي ﷺ قال: إذا زوج أحدكم عبده أمتة أو أجيره فلا ينظرن إلى عورتها كذا قال أبي عورتها * (واخبونا) أبو على أنبا محمد بن بكر ثنا أبو داود ثنا زهير بن حرب ثنا وكيع ثنا داود بن سوار المزني عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: إذا زوج أحدكم خادمه عبده أو أجيره فلا ينظرن إلى ما دون السرة وفوق الركبة .

الرد على الشبهة

أولاً : إن الإسلام العظيم جاء ليقضي على العنصرية البغيضة ،فلا فرق لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود ولا العبد على الحر إلا بالتقوى ؛ جاء ذلك في الآتي:

1- قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات13).

2-

3- قوله ﷺ : " لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا أبيض على أسود ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى الناس من آدم وآدم من تراب " . صححه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية برقم 406 .

3- سنن الترمذي برقم 3193 عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ

وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا فَالنَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيَّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنَ عَلَى اللَّهِ
وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ قَالَ اللَّهُ : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } .

ثانياً : إن الروايات التي استدلت بها المعترض على اعتراضه لا تصح ألبه ، ولا تقام بها
حجة على المسلمين لضعفها البين ؛ فقد ضعفها الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة و
الموضوعة " (2 / 372) قال ﷺ : " إذا أنكح أحدكم عبده أو أجيده ، فلا ينظرن إلى
شيء من عورته ، فإن أسفل من سرته إلى ركبتيه من عورته " .

قال : ضعيف مضطرب . يرويه سوار بن داود أبو حمزة عن عمرو بن شعيب عن أبيه
عن جده

، فرواه هكذا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي و عبد الله بن بكر السهمي - المعنى
واحد - قالوا : حدثنا سوار به . أخرجه الإمام أحمد (رقم 6756) عنهما معا هكذا
، و أخرجه الدارقطني (85) و عنه البيهقي (2 / 228 - 229) و الخطيب في "
تاريخ بغداد " (2 / 278) و كذا العقيلي في " الضعفاء (173 - 174) عن
السهمي

وحده . و تابعهما وكيع عن سوار لكنه قلب اسمه فقال : " داود بن سوار " بلفظ : "
إذا زوج أحدكم خادمه عبده أو أجيده ، فلا ينظر إلى ما دون السرة و فوق الركبة "
. أخرجه أبو داود (1 / 185 - 186 - عون) و قال : وهم وكيع في اسمه ، و
روى عن

أبو داود الطيالسي هذا الحديث فقال : حدثنا أبو حمزة سوار الصيرفي . و خالفهم
النضر بن شميل فقال : أنبأنا أبو حمزة الصيرفي و هو سوار بن داود به بلفظ : "
إذا زوج أحدكم عبده : أمته أو أجيده ، فلا تنظر الأمة إلى شيء من عورته ، فإن

ما تحت السرة إلى الركبة من العورة " . أخرجه الدارقطني و عنه البيهقي . فهذه الرواية على خلاف الروايات السابقة فإنها صريحة في أن المنهي عنه النظر إنما هي الأمة ، و أن ضمير " عورته " راجع إلى " أحدكم " و المقصود به السيد ، و هذه الرواية أرجح عندي لسببين : الأول : أنها أوضح في المعنى من الأولى لأنها لا تحتل إلا معنى واحدا ، بخلاف الأولى ، فإنها تحتل معنيين : أحدهما يتفق مع معنى هذه ، و الآخر يختلف عنه تمام الاختلاف ، و هو الظاهر من المعنيين ، و هو أن المنهي عن النظر إنما هو السيد ، و أن ضمير " عورته " راجع إلى العبد أو الأجير أي الأمة ، و لهذا استدل بعض العلماء بهذه الرواية على أن عورة الأمة كعورة الرجل ما بين السرة و الركبة ، قال : " و يريد به (يعني بقوله : عبده أو أجيره) الأمة ، فإن العبد و الأجير لا يختلف حاله بالتزويج و عدمه " <1> لكن المعنى الأول أرجح بدليل هذه الرواية التي لا تقبل غيره و يؤيده السبب الآتي و هو : الآخر : أن الليث بن أبي سليم قد تابع سوارا في روايته عن عمرو به ، و لفظه : " إذا زوج أحدكم أمته أو عبده أو أجيره ، فلا تنظر إلى عورته ، و العورة ما بين السرة و الركبة " . أخرجه البيهقي (2 / 229) عن الخليل بن مرة عن الليث . و هذا السند إلى عمرو ، و إن كان ضعيفا ، فإنه لا بأس به في الشواهد و المتابعات ، و هذا صريح في المعنى الأول لا يحتمل غيره أيضا ، لكن روي الحديث بلفظ آخر ، لا يحتمل إلا المعنى الآخر ، و هو من طريق الوليد : حدثنا الأوزاعي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا بلفظ : " إذا زوج أحدكم عبده أو أمته (أو أجيره) فلا ينظرن إلى عورتها " . كذا قال " عورتها " . أخرجه البيهقي (2 / 226) ، و الوليد هو ابن مسلم و هو يدلّس تدليس التسوية ، و قد عنعن بين الأوزاعي و عمرو ، ثم هو لو صح ، فليس فيه تعيين العورة من الأمة ، و لذلك قال البيهقي بعد أن أتبع هذه الرواية برواية وكيع المتقدمة : " و هذه الرواية إذا

قرنت برواية الأوزاعي دلنا على أن المراد بالحديث نهى السيد عن النظر إلى عورتها إذا زوجها ، و أن عورة الأمة ما بين السرة و الركبة ، و سائر طرق هذا الحديث يدل ، و بعضها ينص على أن المراد به نهى الأمة عن النظر إلى عورة السيد ، بعد ما زوجت ، أو نهى الخادم من العبد و الأجير عن النظر إلى عورة السيد بعدما بلغا النكاح ، فيكون الخبر واردا في بيان مقدار العورة من الرجل ، لا في بيان مقدارها من الأمة " . و جملة القول أن الحديث اضطرب فيه سوار ، فلا يطمئن القلب إلى ترجيح رواية من روايته و إن كنا نميل إلى الرواية التي وافقه عليها الليث بن أبي سليم و إن كان ضعيف ، فإن اتفاق ضعيفين على لفظ من لفظين ، أولى بالترجيح من اللفظ الآخر الذي تفرد به أحدهما ، هذا لو اتفق الرواة عنه فيه ، فكيف و قد اختلفوا ، و البيهقي ، و إن مال إلى أن الحديث ورد في عورة الرجل لا الأمة ، فقد جزم بضعفه للاختلاف الذي ذكرنا ، فقال : " فأما حديث عمرو بن شعيب فقد اختلف في متنه ، فلا ينبغي أن يعتمد عليه في عورة الأمة و إن كان يصلح الاستدلال به و سائر ما يأتي عليه معه في عورة الرجل ، و بالله التوفيق " . و إذا عرفت ذلك ، فمن الغرائب أن تتبنى بعض المذاهب هذا الحديث فتقول : بأن الأمة عورتها عورة الرجل ! و يرتب على ذلك جواز النظر إليها بل هذا ما صرح به بعضهم ، فقالوا : فيجوز للأجنبي النظر إلى شعر الأمة و ذراعها و ساقها و صدرها و ثديها " ! ذكره الجصاص في " أحكام القرآن " (3 / 390) ، و لا يخفى ما في ذلك من فتح باب الفساد ، مع مخالفة عمومات النصوص التي توجب على النساء إطلاقا

التستر ، و على الرجال غض البصر انظر كتابنا " حجاب المرأة المسلمة " (22 - 25) . اهـ

ثالثاً : إن القرآن الكريم وكذا أحاديث النبي الأمين ﷺ بسند صحيح لم يذكر أن عورة الأمة من السرة إلى الركبة بخلاف عورة الحرة ؛ بل صح عنه ﷺ أنه قال ﷺ : " إن المرأة عورة " ، وذلك عند الترمذي .

أيضاً جاء القرآن بالأمر بالحجاب مجملاً لنساء المؤمنين جميعاً ولا فرق بين حرة وأمة ، أمر القرآن الرجل بغض البصر عن كل النساء ولم يخصص منهن صنفاً ...
فهم بهذا علماء المسلمون كما يلي :

1- قال الإمام الألباني رحمه الله في كتاب " إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل " :

هذا القول - مع أنه لا دليل عليه من كتاب أو سنة - مخالف لعموم قوله تعالى : (ونساء المؤمنين) (الأحزاب : 59) فإنه من حيث العموم كقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا) الآية [النساء : 43] ولهذا قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره : (البحر المحيط) (7 / 250) : (والظاهر أن قوله : (ونساء المؤمنين) يشمل الحرائر والإماء والفتنة بالإماء أكثر لكثرة تصرفهن بخلاف الحرائر فيحتاج إخراجهن من عموم النساء إلى دليل واضح) . وسبقه إلى ذلك الحافظ ابن القطان في (أحكام النظر) (ق 24 / 2) وغيره . اهـ

2- قال ابن حزم - رحمه الله - : (وأما الفرق بين الحرة والأمة فدين الله تعالى واحد والخلقة والطبيعة واحدة فكل ذلك في الحرائر والإماء سواء حتى يأتي نص في الفرق بينهما في شيء فيوقف عنده) ثم قال : (وقد ذهب بعض من وهل في قول الله تعالى

: (يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) إلى أنه إنما أمر الله تعالى بذلك لأن الفساق كانوا يتعرضون للنساء للفسق فأمر الحرائر بأن يلبسن الجلابيب ليعرف الفساق أنهن حرائر فلا يتعرضوهن) ونحن نبأ من هذا التفسير الفاسد الذي هو إما زلة عالم أو وهلة فاضل عاقل أو افتراء كاذب فاسق لأن فيه أن الله تعالى أطلق الفساق على أعراض إماء المسلمين وهذه مصيبة الأبد وما اختلف اثنان من أهل الإسلام في أن تحريم الزنا بالحرّة كتحريمه بالأمة وأن الحد على الزاني بالحرّة كالحّد على الزاني بالأمة ولا فرق , وأن تعرض الحرّة في التحريم كتعرض الأمة ولا فرق ولهذا وشبهه وجب أن لا يقبل قول أحد بعد رسول الله ﷺ إلا بأن يسنده إليه ﷺ) .

أخيراً عورةُ النساءِ واحدة (والفارق بين الأمة و الحرّة هو في كشف الوجه فقط) :
جلبابُ المرأة و (تغطيةُ الوجه) , ما بين الحرّة والأمة :

جاء في حديث أنس أن (أن النبي ﷺ لما اصطفى لنفسه من سبي خيبر صفية بنت حيي قال الصحابة : ما ندري أتزوجها أم اتخذها أم ولد ؟ فقالوا : إن يحجبها فهي امرأته وإن لم يحجبها فهي أم ولد . فلما أراد أن يركب حجبها حتى قعدت على عجز البعير فعرفوا أنه تزوجها) وفي رواية : وسترها رسول الله ﷺ وحملها وراءه وجعل رداءه على ظهرها ووجهها ثم شده من تحت رجلها وتحمل بها وجعلها بمنزلة نسائه) , فالبعض قد فهم منه نفي الجلباب عن الأمة ... وليس فيه نفي الجلباب وإنما فيه نفي (حجاب الوجه) ولا يلزم منه نفي الجلباب مطلقاً إلا احتمالاً ويحتمل أن يكون المنفي الجلباب الذي يتضمن حجب الوجه أيضاً كما هو صريح قوله في الحديث نفسه : (وجعل رداءه على ظهرها ووجهها) ويقوي هذا الاحتمال أيضاً ما سيأتي بيانه فهذه الخصوصية هي التي كان بها يعرف الصحابة حرائره ﷺ من إماءه وهي المراد من قولهم المتقدم سلّبا وإيجابا : (إن يحجبها فهي امرأته وإن لم يحجبها فهي أم ولد) , فيتضح من هذا أن معنى قولهم : (وإن لم يحجبها) أي : في وجهها فلا ينفي حجب سائر البدن من الأمة وفيه الرأس فضلا عن الصدر والعنق فاتفق الحديث مع الآية والحمد لله . اهـ

2- قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره { ونساء المؤمنين } يشمل الحرائر والإماء ، والفتنة بالإماء أكثر لكثرة تصرفهن ، بخلاف الحرائر ، فيحتاج إخراجهن من عموم النساء إلى دليل واضح . . { ذلك أدنى أن يُعرفن } لتسترهن بالعفة فلا يتعرض لهن ، ولا يليقين بما يكرهن ، لأن المرأة إذا كانت في غاية التستر والانضمام لم يقدم عليها بخلاف المتبرجة فإنها مضموع فيها .. اهـ

رابعاً : إن قيل : إن عمر رضي الله عنه كان يوبخ الأمة التي تغطي وجهها ...

قلتُ : إن فعل عمر رضي الله عنه صحيح ؛ لأن الفرق بين الأمة والحرّة هو تغطية الوجه فقط ، وهذا لا يعد عنصرية ، بل هي حقيقة تاريخية ... كذلك من الحرائر من كن يكشف عن وجوههن وليس في ذلك أثم لأن كشف الوجه واليدين عند المرأة الحرّة لا إشكال فيه عند الكثيرين من أهل العلم

خامساً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه علينا هو : هل حجاب المرأة الحرّة يختلف عن الأمة في الكتاب المقدس ؟

الجواب : لا يوجد أمر بالحجاب أصلاً بل ذكر الكتاب المقدس أن جد الرب يسوع بحسب اعتقادهم وجد امرأة منتقبة على قارعة الطريق وزنا بها ، ويبدو أن النقاب كان لباساً للزانيات بحسب هذه الواقعة ؛ كذلك جاء في سفر نشيد الإنشاد أن سليمان لما كان يغازل المرأة كان يقول: " ما أجمل عينيك من تحت نقابك " . ولا يعرف هل كانت أمة أم حرّة.... وجاء العهد الجديد فذكر بولس أن المرأة تغطي شعرها في الكنيسة فقط ولا تتكلم ...

نفهم مما سبق : أن الكتاب المقدس بعهديه ليس فيه أمر بالحجاب للحرّة أو الأمة ،
وبذلك فهد يدعو للتعري والرذيلة في المجتمع....

وأما عن معاملة الأمة في الكتاب مقدس فهي تخلوا تماماً من الرحمة ، يبدأ الرجل الذي
سبى امرأة بلحق شعرها....

جاء ذلك في سفر التثنية إصحاح 21 عدد 10¹⁰ «إِذَا خَرَجْتَ لِمُحَارَبَةٍ أَعْدَائِكَ وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ
إِلَيْكَ إِلَى يَدِكَ، وَسَبَيْتَ مِنْهُمْ سَبِيًّا،¹¹ وَرَأَيْتَ فِي السَّبْيِ امْرَأَةً جَمِيلَةً الصُّورَةِ، وَالتَّصَقَّتْ بِهَا
وَاتَّخَذَتْهَا لَكَ زَوْجَةً،¹² فَحِينَ تَدْخُلُهَا إِلَى بَيْتِكَ تَحْلِقُ رَأْسَهَا وَتَقْلَمُ أَظْفَارَهَا¹³ وَتَنْزَعُ ثِيَابَ
سَبْيِهَا عَنْهَا، وَتَقْعُدُ فِي بَيْتِكَ وَتَبْكِي أَبَاهَا وَأُمَّهَا شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَدْخُلُ عَلَيْهَا
وَتَنْتَرِجُ بِهَا، فَتَكُونُ لَكَ زَوْجَةً.¹⁴ وَإِنْ لَمْ تُسَرَّ بِهَا فَأَطْلِقْهَا لِنَفْسِهَا. لَا تَبِعْهَا بَيْعًا بِفِضَّةٍ، وَلَا
تَسْتَرْقِهَا مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ قَدْ أَذَلَلْتَهَا. لا تعليق !

رد شبهة : نبيّ يعدد الزوجات !

من الشبهات التي أثاروها شبهة تعدد الزوجات للنبي ﷺ ، فقالوا : ما هذا النبيّ الذي جمع
بين زوجاتٍ كثر، اثنتي عشرة زوجة يستشهدون بكثرة نساء النبي ﷺ لإثبات ولع
رسول الله ﷺ بالدنيا - وحاشاه ذلك ﷺ -

الرد على الشبهة

أولاً : إن تعدد زوجاته وكثرة نسائه ﷺ ليست بشبهة قط ؛ لأنه حال أشبه به ﷺ كثير من
الأنبياء السابقين ، قال ﷺ : «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمُ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴿٣٨﴾»
(الرعد 38).

جاء في تفسير الجلالين : ونزل لما عيروه بكثرة النساء { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً } أولاداً وأنت مثلهم . أهـ

وبالتالي : هذا حال أغلب الأنبياء والرسل يعددون الزوجات كما سيتقدم معنا - إن شاء الله ﷻ - من الكتاب المقدس.

إن قيل : لماذا عدد النبي ﷺ الزوجات هل من أجل ولعه بهن ، وحبه للعالم كما نلمح من سؤال المعترضين ؟

قلتُ : إن تعدد الزوجات للنبي ﷺ كانت لحكمة أبعد وأعمق مما يصوره المعترضون ، فزواجه لم يكن لغرض دنيوي فحسب ، و لو كان دافع الزواج لحاجة الجسد وإشباع الشهوات فقط ؛ لكان ذلك في شبابه أولى ، فقد تزوج رسول الله ﷺ من خديجة و عمره خمس و عشرون سنة ، و هي تكبره بخمس عشرة سنة ، و بقيت معه وحدها إلى أن توفيت ، وكان يذكر فضائلها ، ولم ينسأها مع مرور الأيام ، فهذا يدل على قمة وفائه ﷺ لها ؛ ثبت ذلك في مسند أحمد برقم 23719 عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءِ قَالَتْ: فَغَرْتُ يَوْمًا فَقُلْتُ مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشَّدَقِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ ﷻ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا قَالَ : " مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ ﷻ خَيْرًا مِنْهَا قَدْ آمَنْتَ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَوَأَسْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ وَرَزَقَنِي اللَّهُ ﷻ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادُ النِّسَاءِ " .

تعليق شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح وهذا سند حسن في المتابعات.

ثم بعد وفاتها بثلاث سنين تزوج من سودة بنت زمعة ثم عائشة بنت الصديق ثم بقية أزواجه ، وقد تزوج من عائشة و سودة ، وعمره ثلاث وخمسون سنة ؛ و قد كانت جميع أزواجه ثيبات عدا عائشة فكانت البكر الوحيدة في نسائه ، وكانت أصغرهن - رضي الله عنهن جميعا - .

ونلاحظ من خلال قراءة كتب السيرة : أن فيهن من لا يرغب بزواجه ؛ لكبر سنها كسودة ، وفيهن من قاربت الأربعين مثل أم سلمة ...

وعليه : فلو كان المراد من الزواج البحث والالتفاف وراء الشهوة ، أو السير مع الهوى ، أو مجرد الاستمتاع بالنساء ، وحب الدنيا كما ادعى المعترضون ؛ لتزوج ﷺ في سن الشباب لا في سن الشيخوخة ، ولتزوج الأبنكار الشابات الفاتئات لا الأرامل المسنات... مع العلم بأنه أعرف الناس بطرق الاستمتاع بالزوجة

جاء ذلك في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه برقم 2745 أنه ﷺ سأل جابر بن عبد الله : " هَلْ تَزَوَّجْتَ بَكْرًا أَمْ ثَيِّبًا " ؟ فقال : تَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا . فقال : " هَلَّا تَزَوَّجْتَ بَكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ " .

فالرسول ﷺ أشار عليه بتزوج البكر ؛ حيث إنه ﷺ يعرف طريق الاستمتاع ، وسبيل الشهوة.... فهل يُعقل أن يتزوج الأرامل ويترك الأبنكار ، ويتزوج في سن الشيخوخة ، ويترك سن الصبا إذا كان غرضه الاستمتاع والشهوة؟ !

ثانيًا : إن قيل : ما الحكمة من تعدده للزوجات ؟

قلتُ: ذكر أهل العلم أسبابًا كثيرة لتعدد ﷺ للزوجات ، والحكمة منه ؛ فقد جاء في كتاب شبّهات النصارى حول الإسلام للدكتور منقذ السقار - حفظه الله - قال :

و قد أوضح علماء الإسلام حكمة تعدد زوجات النبي ﷺ والتي يجملها أنه بتعدد نسائه :

1- يكثّر مشاهدة أحواله الباطنة ، فيزداد ظهور صدقه وينتفي ما يرميه به المشركون من سحر و سواه. كما أن إطلاع هؤلاء على أحواله الباطنة و كمالاته تظهر قيمته إذا علمنا أن منهن أم حبيبة و صفية ، و كلاهما يومئذ ابنتا عدويه ، فلو لم يكن أكمل الخلق إيماناً و أحسنهم أخلاقاً لنفرتا منه ، و قد تحقّق خلافه في حياتهما - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - .

2- لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرتهم له ، و تتألف قلوبهم بذلك إلى الإسلام ، كما يكثّر بذلك عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على عدوه ، و يدرك هذا من عرف أهمية المصاهرة عند العرب ، و قد كان زواجه بجويرية بنت الحارث المصطلقية سبباً في إسلام قومها.

3- و من حكم تعدد نسائه أن يكثر نقلة أحوال النساء إليه كما أن يتعلم نساؤه منه و من أحواله ما يبلغه إلى سائر النساء من أحكام خاصة بالنساء و يستحى من سؤاله عنها.

4- ضرورة التشريع كما سيأتي تفصيله في قصة زواج زينب ، و أيضاً ليقندي به رجال أمته في العدل بين النساء على كثرتهم و عدم الانشغال بهن عن أمر آخر ته ، كما يقتدى به ﷺ في إعالة من لا معيل لها على كثرة أعبائه وواجباته عليه ﷺ .

و قد أنصف نظمي لوقا في كتابه " محمد في حياته الخاصة " حين قال : " هؤلاء زوجاته اللواتي بنى بهن، و جمع بينهن لم تكن واحدة منهن هدف اشتهاه كما يزعمون، و ما من واحدة منهن إلا كان زواجه بها أدخل في باب الرحمة و إقالة العثار و المواساة الكريمة ، أو لكسب مودة القبائل و تأليف قلوبها بالمصاهرة ، و هي- بعد- حديثة عهد بالدين الجديد ، هي ضريبة واجبة إذن أو ضريبة مكانة و زعامة.. و ما كان من الهين على رسول قائد جيش و حاكم دولة محاربة أن يزيد أعباءه بما يكون في بيت كثير النساء من خلافات على صفائر الأمور... ولكنه الواجب : واجب الدعوة أو واجب النخوة ... واجب أقدم البعض على استغلاله استغلالاً منكراً ، فرأينا من يعضلها أن تجد زوجاً لا ترعى الحشمة وتذهب للرسول ﷺ تعرض عليه نفسها متطاوله إلى شرف أمومة المؤمنين...و يسكت محرراً لا يريد أن يجرح كرامة تلك المرأة المجترئة عسى أن تنصرف عنه و هو يعلم قبوله الزواج من مثلها سيفتح عليه باباً لا قبل له به ، و لولا أن أحد أصحابه جعل نفسه فداء للرسول في ذلك الزواج بالهبة ، لأودي في حياته بإحدى خطتين : إما التورط في القبول أو المجاهرة بالرفض الصريح.... أه

ملحوظة هامة : هناك فرق بين كلمتي تزوج و زُوج ، فمحمد ﷺ لم يتزوج إلا مرة واحدة ؛ لما تزوج من خديجة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - و زُوج من بقية زوجاته ؛ أي: أن الله هو الذي زوجهن إياه ﷺ.

ثالثاً : إن قيل: لماذا لم يلتزم النبي ﷺ بأربع زوجات فقط كشأن بقية المسلمين كما أمر القرآن الكريم ؟

قلتُ : لأن هذا الأمر خاص بالنبي ﷺ وحدة دون غيره من المسلمين، فإذا طلق النبي ﷺ زوجاته وتمسك بأربع منهن فقط لا يستطيع غيره من المسلمين أن يتزوج بأي واحدةٍ منهن ؛ أما أي امرأة مسلمة أخرى من غير أمهات المؤمنين فلها إن طلقها زوجها وقضت عدتها أن تتزوج برجلٍ غيره ، وبالتالي فإن طلق النبي ﷺ بعضهن وأبقى أربعة منهن فقد ظلم المطلقات ! **يقول ﷺ:** ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ (53) (الأحزاب).

ثم إن لكل مسلمٍ له أن يتزوج ويطلق بقدرِ الله ﷻ أما النبي فلا يحق له أن يطلق بعض زوجاته ويتزوج بأخريات

يقول ﷺ: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدِّلَ بَهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾ (52) (الأحزاب).

رابعاً : أسلفتُ أن الله ﷻ قال : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ (الرعد38) . وجاء في تفسير الجلالين : ونزل لما عيروه بكثرة النساء { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً } أولاداً وأنت مثلهم . أهـ

قلتُ : إن هذا ثابت في الكتاب المقدس الذي يؤمن به المعتضون ، فهو يحكي عن تعدد نساء الأنبياء وملوك كما يلي :

1- ثلاث زوجات لإبراهيم عليه السلام بخلاف عدد السراري هن:

1- سارة زوجته وأخته لأبيه (سفر التكوين 20 / 12).

2- هاجر (سفر التكوين 16 / 15).

و كان عمر إبراهيم عندما تزوج هاجر 85 سنة ، أنجب إسماعيل وعمره 86 سنة راجع (سفر التكوين 16 / 16). وكان عمر هاجر عندما تزوجها إبراهيم حوالي 25 إلى 30 سنة

فقد أُعْطِيتْ لسارة من ضمن هدايا فرعون له وتزوجها بعد هذا الموعد بعشر سنوات هي مدة إقامته في أرض كنعان. فمتوسط عمرها عندما أُهْدِيتْ لسارة بين 15 - 20 سنة.

وبذلك يكون الفرق في العمر بين إبراهيم وهاجر بين 55 و 60 سنة.

وذلك رداً على من طعن في فارق العمر بين النبي ﷺ وعائشة - رضي الله عنها- حين تزجها ﷺ.

3- قطورة ، وذلك في سفر التكوين إصحاح 25 عدد ¹وَعَادَ إِبْرَاهِيمُ فَأَخَذَ زَوْجَةً اسْمُهَا قَطُورَةُ.

4- ذكر سفر التكوين أن لإبراهيم سراري غير الزوجات الثلاث ، وذلك في الإصحاح 25 عدد ⁶وَأَمَّا بَنُو السَّرَارِيِّ اللَّوَاتِي كَانَتْ لِبَرَاهِيمَ فَأَعْطَاهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَطَايَا، وَصَرَفَهُمْ عَنْ إِسْحَاقَ ابْنِهِ شَرْقًا إِلَى أَرْضِ الْمَشْرِقِ، وَهُوَ بَعْدُ حَيٌّ.

2- أربع زوجات ليعقوب ﷺ هن: ليئة ، راحيل ، زلفة ، بلهة وبذلك يكون يعقوب ﷺ قد جمع أربع زوجات في وقت واحد .

3- زوجتان لموسى ﷺ هن:

1- صفورة (سفر الخروج 2 / 11-22)

2- امرأة كوشية وهو في سن التسعين (سفر العدد 12 / 1-15) .

وذكر سفر التثنية أمر الرب لموسى ﷺ بإباحة الطلاق والتعدد ، وذلك في الإصحاح 24 عدد 1 «إِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَتَزَوَّجَ بِهَا، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ لِأَنَّهُ وَجَدَ فِيهَا عَيْبَ شَيْءٍ، وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَدَفَعَهُ إِلَى يَدِهَا وَأَطْلَقَهَا مِنْ بَيْتِهِ،² وَمَتَى خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهِ ذَهَبَتْ وَصَارَتْ لِرَجُلٍ آخَرَ،³ فَإِنْ أَبْغَضَهَا الرَّجُلُ الْآخِرُ وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَدَفَعَهُ إِلَى يَدِهَا وَأَطْلَقَهَا مِنْ بَيْتِهِ، أَوْ إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ الْآخِرُ الَّذِي اتَّخَذَهَا لَهُ زَوْجَةً،⁴ لَا يَقْدِرُ زَوْجُهَا الْأَوَّلُ الَّذِي طَلَقَهَا أَنْ يَعُودَ يَأْخُذُهَا لِتَصِيرَ لَهُ زَوْجَةً بَعْدَ أَنْ تَتَجَسَّسَتْ. لِأَنَّ ذَلِكَ رَجَسٌ لَدَى الرَّبِّ. فَلَا تَجْلِبُ خَطِيئَةً عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ نَصِيبًا.⁵» إِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً جَدِيدَةً، فَلَا يَخْرُجُ فِي الْجَنْدِ، وَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ أَمْرٌ مَّا، حُرًّا يَكُونُ فِي بَيْتِهِ سَنَةً وَاحِدَةً، وَيَسُرُّ امْرَأَتَهُ الَّتِي أَخَذَهَا.

4- زوجاتُ كُثر للنبيِّ جدعون بخلاف عدد السراري ، وذلك في سفر القضاة إصحاح 8 عدد³⁰ وَكَانَ لِجِدْعُونَ سَبْعُونَ وَلَدًا خَارِجُونَ مِنْ صُلْبِهِ، لِأَنَّهُ كَانَتْ لَهُ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ.³¹ وَسُرِّيَّتُهُ الَّتِي فِي شَكِيمَ وَلَدَتْ لَهُ هِيَ أَيْضًا ابْنًا فَسَمَاهُ أَبِيمَالِكَ.

5- زوجتين للنبيِّ هوشع عليه السلام هن:

1- جُومَر بنت دِبلَايِمَ ، وذلك في سفر هوشع إصحاح 1 عدد² أَوَّلَ مَا كَلَّمَ الرَّبُّ هُوشَعَ، قَالَ الرَّبُّ لِهُوشَعَ: «أَذْهَبْ خُذْ لِنَفْسِكَ امْرَأَةً زَنَى وَأَوْلَادَ زَنَى، لِأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ زَنَتْ زِنَى تَارِكَةً الرَّبَّ». فَذَهَبَ وَأَخَذَ جُومَرَ بِنْتَ دِبلَايِمَ، فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا.

2- الثانية يقول عنها سفر هوشع إصحاح 3 عدد¹ وَقَالَ الرَّبُّ لِي: «أَذْهَبْ أَيْضًا أَحْبِبْ امْرَأَةً حَبِيْبَةً صَاحِبَ زَانِيَةٍ، كَمَحَبَّةِ الرَّبِّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ مُلْتَفِتُونَ إِلَى آلِهَةٍ أُخْرَى وَمُحِبُّونَ لَأَقْرَاصِ الرَّيْبِ». فَاشْتَرَيْتُهَا لِنَفْسِي بِخَمْسَةِ عَشَرَ شَاقِلَ فِضَّةٍ وَبِحُومَرٍ وَلِتِلْكَ شَعِيرٍ....

6- زوجاتُ كُثر سراري كثر للنبيِّ داود عليه السلام هن:

1- ميكال ابنة شاول (سفر صموئيل الأول 18 / 20- 27) .

2- أبيجال أرملة نابال (سفر صموئيل الأول 25 / 42) .

3- أخينوعم اليزرعيلية (سفر صموئيل الأول 25 / 43) .

4- معكة ابنت تلماي ملك جشور (سفر صموئيل الثاني 3 / 2- 5) .

5- حجيث (سفر صموئيل الثاني 3 / 2- 5) .

6- أبيبثال (سفر صموئيل الثاني 3 / 2- 5) .

7- عجلة (سفر صموئيل الثاني 3 / 2- 5) .

8- بنتشبع أرملة أوريا الحثي (سفر صموئيل الثاني 11 / 27) .

9- أبيتشج الشونمية (سفر الملوك الأول 1 / 1- 4) .

وجدير بالذكر أن زوجة نبي الله داود أبيتشج الشونمية كانت في عُمر يتراوح بين الخامسة عشر والثامنة عشر وكان داود قد شاخ أي يتراوح عمره بين 65 و 70 سنة ؛ أي: أن

العمر بينه وبين آخر زوجة له كان بين 45 و 50 سنة. وذلك رداً على من طعن في فارق العمر بين النبي ﷺ وعائشة - رضي الله عنها - .

10- ذكر كاتب سفر صموئيل الثاني سراري كثر وأولاد كثر للنبي داود ﷺ ، وذلك في الإصحاح الخامس عدد¹³ وَأَخَذَ دَاوُدُ أَيْضاً سَرَارِيَّ وَنِسَاءً مِنْ أُورُشَلِيمَ بَعْدَ مَجِيئِهِ مِنْ حَبْرُونَ، فَوُلِدَ أَيْضاً لِدَاوُدَ بَنُونَ وَبَنَاتٌ. ¹⁴ وَهَذِهِ أَسْمَاءُ الَّذِينَ وَلَدُوا لَهُ فِي أُورُشَلِيمَ: شَمُوعُ وَشُوبَابُ وَنَاتَانُ وَسُلَيْمَانُ، ¹⁵ وَبِيحَارُ وَالْيَشُوعُ وَنَافَجُ وَيَافِيعُ، ¹⁶ وَالْيَشْمَعُ وَالْيَدَاعُ وَالْيِفْلُطُ.

7- ألف امرأة ؛ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلَاثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَّارِيِّ لِلنَّبِيِّ سُلَيْمَانَ ﷺ (عند البعض ملك وليس بنبي) :

ذكر ذلك سفر الملوك الأول إصحاح 11 عدد ¹ وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بَنَاتِ فِرْعَوْنَ: مُوَابِيَّاتٍ وَعَمُونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحَثِّيَّاتٍ ² مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمْ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «لَا تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لِأَنَّهُمْ يَمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ». فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهِؤُلَاءِ بِالْمَحَبَّةِ. ³ وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلَاثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَّارِيِّ، فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ.

8- ثماني عشر امرأة ، وستين سارية للنبي رجبام (عند البعض ملك وليس بنبي) ، وذلك في سفر أخبار الأيام الثاني إصحاح 11 عدد ²¹ وَأَحَبَّ رَجَبَامُ مَعَكَةَ بَنَتْ أَبْشَالُومَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ نِسَائِهِ وَسَرَّارِيهِ ، لِأَنَّهُ اتَّخَذَ ثَمَانِي عَشْرَةَ امْرَأَةً وَسِتِّينَ سَرِيَّةً، وَوُلِدَ ثَمَانِيَةَ وَعِشْرِينَ ابْنًا وَسِتِّينَ ابْنَةً.

و بعد هذا الطرح أتساءل : كيف يحق للمعترضين أن يسقطوا حق النبوة عن نبينا ﷺ بسبب كثرة زوجاته ، وهم لم يسقطوها لأنبياء الكتاب المقدس كما بينت - بفضل الله ﷻ - ؟! مع العلم أن الكتاب المقدس لم يذكر لنا حال بعض الأنبياء بتفصيل دقيق ؛ أعني إننا لا نعلم كم تزوج بعض الأنبياء من النساء ؛ لأن الكتاب المقدس لم يتحدث عن هذا الجانب أحياناً... !

رد شبهة : خديجة سقت أباهَا خمرًا لتتزوج من نبي الإسلام..!

قالوا : إن زوجة نبي الإسلام سقت أباهَا خمرًا للتزوج من نبيّ الإسلام حيث كان أبوها معترض على الزواج من ذلك الفتى الفقير.... كيف يسمح نبيّ صاحب خلق بفعل هذا الأمر المحرم.....!؟

وهل هذا من الخلق الكريم ؟

وتعلقوا على ذلك بما جاء في تاريخ الرسل والملوك للإمام للطبري - رحمه الله - (ج 1 / ص 4 38) : قال الواقدي : ويقولون أيضاً إن خديجة أرسلت إلى النبي ﷺ تدعوه إلى نفسها - تعني التزويج - وكانت امرأة ذات شرف، وكان كل قريش حريصاً على نكاحها - قد بذلوا الأموال لو طمعوا بذلك، فدعت أباهَا فسسقتة خمرًا حتى ثمل، ونحرت بقرة وخلقتة بخلوق ، ألبيسته حلةً حبرةً، ثم أرسلت إلى رسول الله ﷺ في عمومته، فدخلوا عليه، فزوجه، فلما صحا قال : ما هذا العقير ؟ وما هذا العبير ؟ وما هذا الحبير ؟ قالت: زوجتني محمد بن عبد الله، قال: ما فعلت أنى أفعل هذا وقد خطبك أكابر قريش، فلم أفعل !

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذه الشبهة أوهن من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون؛ لأنها تدلّ على كذب، وتدليس المعترضين حيث إنهم اقتطعوا جزءاً من الصفحات وتركوا الباقي ... فقد جاء بعد نقلهم مباشرة الآتي : قال الواقدي : وهذا غلطٌ ، والثبت عندنا المحفوظ من حديث محمد ابن عبد الله بن مسلم ، عن أبيه ، عن محمد بن جبيرة بن مطعم . ومن حديث ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . ومن حديث ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ وأن أباهَا مات قبل الفجار .

نلاحظ أن الراوي نفسه قال : " وهذا غلطٌ ... لأن عمها عمرو بن أسد زوجها رسول الله ﷺ ، وأن أباهَا مات قبل الفجار " .

ومن المعلوم أن حربَ الفجار كانت حرباً قديمة ، وظلت إلى أن كان النبي ﷺ صبيّاً أقل من عشرين سنة ، وهذا كاف لأبطال المتن ، وإبطال الشبهة - بفضل الله - .

ثانياً : إن القصة ساقطة أيضاً من ناحية الإسناد ، فمن الملاحظ أن مدارها جاءت من طريق الواقدي وقد حكم علماء الحديث عليه برفض رواياته كما يلي: قال عنه البخاري : الواقدي مدني سكن بغداد متروك الحديث تركه أحمد وابن نمير وابن المبارك وإسماعيل بن زكريا (تهذيب الكمال مجلد 26 ص 185-186) وفي نفس الصفحة قال أحمد : هو كذاب ، وقال يحيى: ضعيف وفي موضع آخر ليس بشيء ، وقال أبو داود : أخبرني من سمع من علي بن المديني يقول : روى الواقدي : ثلاثين ألف حديث غريب ، وقال أبو بكر بن خيثمة : سمعت يحيى بن معين يقول : لا يكتب حديث الواقدي ليس بشيء ، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت عنه علي بن المديني فقال : متروك الحديث ، وقال أحمد بن حنبل: كان الواقدي يقلب الأحاديث يلقي حديث ابن أخي الزهري على معمر ذا قال إسحاق بن راهويه كما وصف وأشد ؛ لأنه عندي ممن يضع الحديث الجرح والتعديل 8/ الترجمة 92، وقال علي بن المديني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: الواقدي يركب الأسانيد تاريخ بغداد 13/3-16، وقال الإمام مسلم: متروك الحديث ، وقال النسائي : ليس بثقة قال (النسائي) في " الضعفاء والمتروكين : " المعروفون بالكذب على رسول الله أربعة الواقدي بالمدينة ومقاتل بخراسان ومحمد بن سعيد بالشام ، وقال الحاكم : ذاهب الحديث ، وقال الذهبي : مجمع على تركه وذكر هذا في معني الضعفاء 2/ الترجمة 5861 .

ثم إن الملاحظ بعد قول الواقدي: قال الواقدي: ويقولون أيضاً: إن خديجة أرسلت إلى النبي ﷺ تدعوه إلى نفسها - تعني التزويج - ...

نلاحظ : أنها صيغة تمريض - ويقولون أيضاً- وهي مثل قيل ، و زعم ، ويقال....

ويبقى السؤال : من هم الذين يقولون...؟!

ثالثاً : إن المدقق في الكتاب المقدس يجد فيه أن ابنتي لوط سقيا لوطاً الخمر (أباهما)

ليزني معهما بعدما يغيب عقله من الخمر وذلك في سفر التكوين إصحاح 19

عدد³⁰ وَصَعَدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي

صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ.³¹ وَقَالَتِ الْبُكَرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي

الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةَ كُلِّ الْأَرْضِ. ³² هَلُمَّ نَسْقِي آبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ آبِينَا نَسْلًا». ³³ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا. ³⁴ وَحَدَّثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدْ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ آبِينَا نَسْلًا». ³⁵ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا، ³⁶ فَحَبَلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا.

يبقى سؤال يطرح نفسه هو : هل تتفق هذه القصة مع العقل السليم ، ومع الطب الحديث ؛ رجل يزني ببنتيه في يومين ولم يشعر بالواقعة لانه كان في حالة سكر....؟ ثم ظهرت أعراض الحمل عليهما و لم يشعر ، ووضعن ولم يشعر... ؟!

رد شبهة : نبيٌ تكشف له زوجته - خديجة - الوحي بطريقة عجيبة..!

قالوا: رسول الإسلام لا يفرق بين الشيطان والملاك ، ويطلب من زوجته أن تكشف الوحي له فتكتشفه بطريقة غريبة هكذا ادعوا ، وتعلقوا بما جاء في سيرة بن هشام [امتحان خديجة برهان الوحي] من طريقين :

الطريق الأول :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ مَوْلَى آلِ الزَّبِيرِ : أَنَّهُ حَدَّثَ [ص 239] عَنْ خَدِيجَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَيُّ ابْنِ عَمٍّ أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكِ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ إِذَا جَاءَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَتْ : فَإِذَا جَاءَكَ فَأُخْبِرَنِي بِهِ . فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَخَدِيجَةَ : يَا خَدِيجَةُ هَذَا جَبْرِيلُ قَدْ جَاءَنِي ، قَالَتْ : قُمْ يَا ابْنِ عَمٍّ فَاجْلِسْ عَلَيَّ فَخُذْنِي الْيُسْرَى ؛ قَالَ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ عَلَيْهَا ، قَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ قَالَتْ : فَتَحَوَّلَ فَاجْلِسْ عَلَيَّ فَخُذْنِي الْيُمْنَى ؛ قَالَتْ : فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ عَلَيَّ فَخَذَهَا الْيُمْنَى ، فَقَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟

قَالَ : نَعَمْ قَالَتْ : فَتَحَوَّلَ فَاجْلِسْ فِي حَجْرِي ، قَالَتْ : فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ فِي حَجْرِهَا . قَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ قَالَ : فَتَحَسَّرَتْ وَأَلْقَتْ خَمَارَهَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي حَجْرِهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَتْ : يَا ابْنَ عَمِّ اثْبُتْ وَأَبْشِرْ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَلَكٌ وَمَا هَذَا بِشَيْطَانٍ .

الطريق الثاني : في نفس الصفحة قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ حَدَّثْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنٍ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ قَدْ سَمِعْتُ أُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتَ حُسَيْنٍ تَحْدُثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ خَدِيجَةَ إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُهَا تَقُولُ أَدْخَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِرْعِهَا ، فَذَهَبَ عِنْدَ ذَلِكَ جَبْرِيلُ فَقَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ هَذَا لَمَلَكٌ وَمَا هُوَ بِشَيْطَانٍ " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذين الروایتين ضعيفتان سنداً ؛ يتضح ذلك من تخريج الطريقين اللذين جاءت منهما الروایتان :

الطريق الأول :

الرواية فيها انقطاع ؛ لأن إسماعيل بن أبي حكيم لم يسمع من خديجة - رضي الله عنها - وقال : إِنَّهُ حَدَّثَ عَنْ خَدِيجَةَ (بضم الحاء وكسر الدال) ولم يذكر من حدثه عنها ، وهذا كافٍ لإبطال هذه الطريق .

الطريق الثاني :

الرواية عن فاطمة بنت حسين عن خديجة ، وفاطمة هي بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ ، وهي تابعة ولدت بعد وفاة خديجة بنحو ثلاث وأربعين سنة ، ففاطمة على هذا لم تسمع من خديجة ، فيصبح الحديث من المراسيل وهذا أيضاً كافٍ لتضعيف هذا الطريق ، وحتى الحسين ﷺ لم يرى خديجة ؛ لأنها توفيت - رضي الله عنها - قبل الهجرة بثلاث سنين ، والحسين ولد في شعبان سنة أربع من الهجرة أي : بعد وفاتها بسبع سنين ، فإذا كان أبوها لم يسمع من خديجة ، فكيف بابنته فاطمة ؟ - رضي الله عنهن جميعاً -

ثانياً : أقول على فرض صحة هاتين الروايتين : ليس فيهما أن النبي ﷺ لم يعرف الوحي الذي نزل عليه ، وليس فيهما أنه طلب من خديجة - رضي الله عنها - أن تتأكد له من الوحي كما ادعى المعارضون ؛ وإنما شبهتهم هذه ترجع إلي أفكار في عقولهم المريضة والتي ليست في الروايتين أصلاً ، وهذا يرجع عندهم إلى التعصب الأعمى الذي يقودهم إلى اختلاق الأكاذيب ، أو أنهم لا يفقهون ما يقرأون ...

بالتالي فإن كل ما في الروايتين أن خديجة - رضي الله عنها - هي التي طلبت التأكد من النبي ﷺ مع ما أسلفناه من بيان ضعف سنديهما.

ثالثاً : إن الخبر الصحيح في قصة الوحي ، وإخبار النبي ﷺ به لخديجة - رضي الله عنها - ثابت في الصحيحين ، واللفظ للبخاري كتاب (التفسير) برقم 4572 عن عائشة - زوج النبي ﷺ - قالت : كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُببَ إليه الخلاء فكان يلحق بغار حراء فيتحنث فيه - قال والتحنث التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بمنزلها ، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ . فقال رسول الله ﷺ « ما أنا بقارئ » . قال « فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني . فقال : اقرأ . قلت : " ما أنا بقارئ " . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني . فقال : اقرأ . قلت : " ما أنا بقارئ " . فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني . فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم) . الآية إلى قوله : (علم الإنسان ما لم يعلم) فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال : « زملوني زملوني » . فرملوه حتى ذهب عنه الروع قال لخديجة : « أي خديجة ما لي ، لقد خشيت على نفسي » . فأخبرها الخبر . قالت : خديجة كلا أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً ، فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة أخي أبيها ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية ،

وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ خَدِجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ . قَالَ وَرَقَّةُ : يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى . فَقَالَ وَرَقَّةُ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى ، لِيَتَنَبَّأَ فِيهَا جَذَعًا ، لِيَتَنَبَّأَ أَكُونَ حَيًّا . ذَكَرَ حَرْفًا . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوْمَخِرْجِي هُمْ » . قَالَ وَرَقَّةُ : نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا أُوذِيَ ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ حَيًّا أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا . ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَّةُ أَنْ تُوَفَّى ، وَفَتَرَ الْوَحْيَ ، فَتَرَةً حَتَّى حَزَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو : لماذا لم يأتوا بكل ما هو صحيح ويأتوت بكل ما هو ليس صحيحا ؟ هل هذه منهجية البحث العلمي ؟!.....!

رد شبهة : زواج النبي ﷺ من عائشة - رضي الله عنها - !

حاولوا تشويه صورة النبي ﷺ من خلال زواجه من عائشة - رضي الله عنها - ، فكتب بعض من لا خلاق لهم في بعض مقالاتهم : (قصة زواج الطفلة عائشة) استندوا في ذلك على الآتي :

1- صحيح البخاري كتاب (المناقب) باب (تزويج النبي ﷺ عائشة و قدومها المدينة) برقم 3605 عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ : تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ فَقَدَمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ فَوَعَدْتُ فَتَمَرَّقَ شَعْرِي فَوَفَى جُمَيْمَةً فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أَرْجُوحةٍ وَمَعِيَ صَوَاحِبٌ لِي فَصَرَخْتُ بِي فَأَتَيْتُهَا لَا أَدْرِي مَا تَرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ وَإِنِّي لَأَنْهَجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفْسِي ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي ثُمَّ ادْخَلَتْنِي الدَّارَ فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ فَقُلْنَ : عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ فَأَصْلَحَنَ مِنْ شَأْنِي فَلَمْ يَرْعُنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَحَى فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ .

2- صحيح البخاري كتاب (النكاح) باب (إِنْكَاحِ الرَّجُلِ وَلَدَهُ الصَّغَارَ) برقم 4738
عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ وَأُدْخِلَتْ
عَلَيْهِ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ وَمَكَّتَتْ عِنْدَهُ تِسْعًا.

الرد على الشبهة

أولاً : إنّ عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كانت مخطوبة لجبير بن مطعم بن عدي قبل
زواجها من النبي ﷺ ، فهي كانت ناضجة من حيث الأنوثة ، مكتملة في سن الزواج
بالنسبة لزمانها ، وهذا ثابت في عدة مراجع من كتب التاريخ والسيرة ؛ أكتفي بما جاء في
الآتي :

1- كتاب الوافي بالوفيات (ج4/ ص 4) : جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد
مناف القرشي، كنيته أبو أمية وقيل أبو عدي، أسلم قبل الفتح ونزل المدينة ومات بها
سنة أربع وخمسين وقيل سبع وقيل تسع. روى عنه ابنه نافع ومحمد وسليمان بن صرد
وغيرهم وكان من أنسب قريش لقريش ومن علمائهم، وأبوه الذي قام في نقض الصحيفة
وأجار رسول الله ﷺ حتى طاف بالبيت. ومات مشركاً أعني : أبا جبير.

وكان جبير يقول : إنما أخذت النسب من أبي بكر - رضي الله عنه - وكان جبير قدم
المدينة مشركاً في فداء أسارى بدرٍ ثم أسلم وروى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي
والنسائي وابن ماجه. أه

12- سيرة بن هشام (ج 1 / ص 11) : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ
عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ عَنْ شَيْخٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- حِينَ أَتَى بِسَيْفِ النَّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، دَعَا جُبَيْرَ بْنَ مُطْعَمٍ بْنَ
عَدِيِّ بْنِ نَوْفَلٍ بْنَ عَبْدِ مَنْفٍ بْنِ قُصَيٍّ - وَكَانَ جُبَيْرٌ مِنْ أَنْسَبِ قُرَيْشٍ لِقُرَيْشٍ وَلِلْعَرَبِ
قَاطِبَةً ، وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّمَا أَخَذْتُ النَّسَبَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَكَانَ
أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَنْسَبَ الْعَرَبِ - فَسَلَّحَهُ إِيَّاهُ ثُمَّ قَالَ مِمَّنْ كَانَ يَا جُبَيْرُ النَّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذَرِ
؟ فَقَالَ كَانَ مِنْ أَشْلَاءِ قُنُصِ بْنِ مَعَدٍّ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَأَمَّا سَائِرُ الْعَرَبِ فَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ
كَانَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ مِنْ وَلَدِ رَبِيعَةَ بْنِ نَصْرٍ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ . أه

ثانيًا : إنَّ زواج الرسول ﷺ من عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كان باقتراح من خولة بنت حكيم عليه ﷺ ؛ لتوكيد الصلة مع أحبِّ الناس إليه أبي بكر الصديق ، ولترابطهما أيضًا برباط المصاهرة الوثيق . فإذا أراد أبو بكر أن يدخل بيت النَّبِيِّ ﷺ في غيابه فلا حرج ؛ يدخل بيت ابنته ، وبيت صاحبه النبي ﷺ .

ثالثًا : إنَّ المشركين من قريش ، واليهود ، وغيرهم الذين كانوا يترصون بالرسول ﷺ الدوائر لتقليب الناس عليه ﷺ قالوا عنه: مجنون ، وساحر ، وكاهن.... لم يقل واحدٌ منهم : إنَّ محمدًا ﷺ تزوج طفلة صغيرة كما يقول المعتضون اليوم ؛ فهذه الشبهة عمرها (خمسين سنة تقريبًا) أثارها المستشرقون وغيرهم منذُ هذه الفترة فقط . وكان من زمنٍ قريبٍ تتزوج المرأة وهي صغيرة، مثل: جداتنا ، وأمهاتنا، ولا ينكر أحدٌ على تلك الزيجة ؛ فليس من العدل أن نقارن بين قصة زواج عمرها أكثر من 1429 سنة مع اختلاف الإقليم ، والبيئة المناخية المعروفة بشدة الحرارة التي تؤدي إلى بلوغ مبكر، وبين بنت القرن الواحد العشرين التي تعيش في المناطق الباردة ، وتبلغ بعد العشرين سنة أحيانًا ، ويدل على ذلك دليان :

الأول : أن البخاري - رحمه الله - بوب بابًا في صحيحه بعنوان باب (مَنْ بَنَى بِامْرَأَةٍ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ)

نلاحظ من تبويب البخاري : كلمة (بِامْرَأَةٍ) ولم يقل : طفلة .

الثاني : سنن الترمذي برقم 1027 قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : " إِذَا بَلَغَتِ الْجَارِيَةُ تِسْعَ سِنِينَ فَهِيَ امْرَأَةٌ " . صححه الألباني في الإرواء برقم 185 .
وعليه : فإن هذا ردُّ على من يقول: إنَّ النبيَّ تزوج طفلةً

رابعًا : إنَّ عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - لم تكن أول صبيَّة تُزَفِّ في تلك البيئة إلى رجلٍ في سنِّ أبيها، ولم تكن كذلك أخراهن ؛ فلقد تزوّج عبد المطلب الشيخ الكبير من هالة بنت عمِّ آمنه في اليوم الذي تزوّج فيه عبد الله أصغر أبنائه من صبيَّة هي في سنِّ هالة وهي

آمنة بنت وهب. وتزوج عمر بن الخطاب ؓ من بنت علي بن أبي طالب ؓ وهو في سنّ جدّها، كما أنّ عمر بن الخطاب ؓ يعرض ابنته الشابة حفصة على أبي بكر الصديق ؓ وبينهما من فارق السنّ مثل الذي بين الرسول ﷺ وعائشة - رضي الله عنها - وهذا ثابت في كتب التاريخ والسيرة.

خامساً : إن هناك سؤالاً ينبغي أن يطرح هو: هل رفض الأبوان الزواج ، وقالوا: إن عائشة - رضي الله عنها - طفلة صغيرة لا تصلح للزواج ؟!

الجواب : لم يحدث ذلك ؛ بل رحب أبو بكر ؓ ، وفرح بذلك ، وكذلك أمها أم رومان - رضي الله عنها - .

سادساً : يستهزئ المعترضون كثيراً حينما يذكرون الحديث ، ويذكرون هذه العبارة " فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أَرْجُوحَةٍ وَمَعِيَ صَوَّاحِبٌ لِي " هم يقولون : كانت على الأرجوحة (طفلة صغيرة تلعب)!

قلتُ : إن أحدَ الشباب أخبرني أن في زماننا هذا في بعض الأغاني المصورة (الفيديو كليب) هناك مغنيات يغنين وهن على الأرجوحة وتجاوز عمرهن الثلاثين عاماً

كذلك أقول للمعترضين : أذهبوا إلى الملاهي ، مثل : (دريم بارك) وسوف ترون النساء اللواتي يركبن الأرجوحة منهم من تجاوز الأربعين ...

سابعاً : إن قيل : لماذا تزوج النبي ﷺ من عائشة - رضي الله عنها - في هذه السن ؟ ما الحكمة من ذلك ؟

قلتُ : إن النبي ﷺ لم يتزوج بكرةً غيرها ؛ كلهن فوق الخمسين بل بعضهن كن أكبر منه سناً ، فلم يكن يبحث عن الشهوة ﷺ وكما تقدم معنا أن خولة بنت حكيم هي التي خطبتها للنبي ﷺ .

أما عن الحكمة من زواجه ﷺ من عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ظهرت لي حكم كثيرة منها :

- 1- توثيق العلاقة مع أبي بكر ﷺ صاحبه وصديقه.
 - 2- أن النبي ﷺ يموت، وتموت زوجاته ﷺ وتبقى عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تحدث عن النبي ﷺ ، وتعلم الناس وتفتى في دين الله ، فقد راوية عن رسول الله ﷺ أكثر من ألفين حديث ، وتحتل المرتبة الثانية في أكثر من روى حديث النبي ﷺ ... قال عنها علماء السلف ما يلي :
 - 1- قال الإمام الزهري : " لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين ، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل " .
 - 2- قال عطاء بن أبي رباح : " كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأياً في العامة " .
 - 3- قال أبو موسى الأشعري : " ما أشكل علينا أمرٌ فسألنا عنه عائشة ، إلا وجدنا عندها فيه علماً " .
 - 4- قال مسروق : " رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض " .
 - 5- قال عروة بن الزبير : " ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا طب ولا بشعر من عائشة " .
 - 6- قال أبو الزناد : " ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً " .
- والشاهد أنها كانت شاعرة ، ذات حافظه عالية جداً ، ذكية ، فطنة ، تتقل عن رسول الله ﷺ أكثر من ألفي حديث ؛ وهذا الدين يحتاج إلى شباب لنشره بين الناس وعليه : فتلك السن أفرغ بالاً للعطاء ، وأشد استعداداً لتلقي العلم ثم تبليغه

ثامناً : إن هناك سؤالاً يفرض نفسه هو : هل كانت عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - سعيدة في زواجها من النبي ﷺ ؟ الجواب : إن زواج النبي ﷺ من عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أنجح زواج عرفته البشرية ، فهو قرّة عينها ، ونور قلبها ، وهي منهم المقربة ، وحبيبته ،

ومواقف غيرتها عليه تدل على شدة الحب له ، وكذلك تعلمها منه ، واختيارها إياه لما نزلت آية التخيير لنسائه ؛ **وهي قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيعاً (28) وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً (الأحزاب 29) } .** وقد اخترن الله ورسوله ، وما أعد الله لهن في الدار الآخرة ؛ من بينهن عائشة - رضي الله عنها - فظلت تحبه ، و تحدث عنه ، وتخدم دينه حتى فاضت روحها الطيبة إلى الله .

تاسعاً : إن الموسوعة الكاثوليكية أثبتت أن مريم أم الرب يسوع بحسب إيمان المعترضين كانت مخطوبة ليوسف النجار ، وكان عمرها 12 سنة وكانت حاملاً بيسوع آنذاك ، وكان عمر يوسف النجار 89 سنة أي أنه يكبرها بنحو 77 سنة.. وهذا الكلام موثق في الموسوعة الكاثوليكية ... يستطيع القارئ أن يرجع لهذين الموقعين ليتأكد بنفسه.

(1) <http://www.newadvent.org/cathen/08504a.htm>

" a respectable man to espouse Mary, then twelve to fourteen years of age, Joseph, who was at the time ninety years old "

(2) <http://www.cin.org/users/james/files/key2mary.htm>

" Virgin Mary Delivers Jesus P.b.u.h @ the age of 12 "

وأتساءل : هل كانت مريم أم الرب يسوع بحسب إيمانهم طفلة أم امرأة لما كانت حبلى بيسوع ومخطوبة ليوسف النجار في ذلك السن الصغير ... ؟!

ثم إن الناظر في الكتاب المقدس والتاريخ المسيحي يجد الآتي :

أولاً : من الكتاب المقدس أنقل ما ذكره القس منيس عبد النور في كتابه (شبهات وهمية) حول سفر الملوك الثاني ورد في 2ملوك 16/2 ((كان آحاز ابن عشرين سنة حين ملك، وملك 16 سنة في أورشليم))

.وورد في 2ملوك 18/2 ((وفي السنة الثالثة لهوشع بن أيلة ملك إسرائيل، ملك حزقيا بن آحاز ملك يهوذا. كان ابن 25 سنة حين ملك، وملك 29 سنة في أورشليم

كان الرد: قال المعارض الغير مؤمن: ورد في 2ملوك 16/ 2 كان آحاز ابن 20 سن حين مَلَك ، وملك 16 سنة في أورشلیم وورد في 2ملوك 18/ 1 - 2 وفي السنة الثالثة لهوشع بن أيلة ملك إسرائيل، مَلَك حزقيا بن آحاز ملك يهوذا، كان ابن 25 سنة حين ملك، وملك 29 سنة في أورشلیم ، فيكون عمر آحاز 36 سنة ، فإذا ملك ابنه وعمره نحو 25 سنة يكون أبوه قد ولده وعمره نحو 11 سنة، وهذا غير معقول

وللرد نقول بنعمة الله : (1) لا مانع من أن يكون بينه وبين أبيه 11 سنة، قال أبو محمد: كان بين عبد الله وبين أبيه عمرو بن العاص 12 سنة في السن ، وأعاد ابن قتيبة هذا الكلام ثانية في كتاب المعارف (ص 198) فيكون مثل الفرق بين حزقيا وبين آحاز ابنه، فإن الإثنتي عشرة سنة هجرية تساوي 11 سنة شمسية، وحدث اسحق بن ابن راهوية عن صالح قال: كانت لنا جارية بنت 21 سنة وهي جدة (انظر كتاب المعارف لابن قتيبة ص 97. أه

نلاحظ : أن القس منيس عبد النور لم يكتفِ بالاعتراف بأن الرجل أنجب و هو عمره أحدا عشر سنة ؛ ويعنى ذلك أنه تزوج على الأقل عن عمر تسع سنين أو عشر ، و المحتمل أن امرأته كان عمرها ست سنين ، ولم يكتفِ بذلك بل أفادنا إلى مراجع إسلامية.

ثانياً : من التاريخ المسيحي في كتاب قصة الحضارة -> عصر الإيمان -> المسيحية في عنفوانها ->

الأخلاق والآداب في العالم المسيحي -> الزواج الفصل الثالث

الزواج للمؤرخ الشهير: ول ديورانت

كان الشاب في عصر الإيمان قصير الأجل، وكان الزواج يحدث فيه مبكراً، وكان في وسع الطفل وهو في السابعة من عمره أن يوافق على خطبته وكان هذا التعاقد يتم في بعض الأحيان ليسهل به انتقال الملكية أو حمايتها. ولقد تزوجت جراس صليبي Grace de Saleby في الرابعة من عمرها بشريف عظيم يستطيع حماية ضيعتها الغنية، ثم مات هذا الشريف ميتة سريعة فتزوجت وهي في السادسة من عمرها بشريف آخر، وزوجت وهي في الثالثة عشرة بشريف ثالث. وكان يستطيع حل هذا الرباط في أي وقت من الأوقات قبل سن البلوغ، وكان يفترض أن تكون هذه السن هي الثانية عشرة للبنات،

والرابعة عشرة للولد. وكانت الكنيسة ترى أن رضا الوالدين أو الأوصياء غير ضروري للزواج الصحيح إذا بلغ الزوجان سن الرشد، وتحرم زواج البنات قبل سن الخامسة عشرة، ولكنها كانت تسمح بكثير من الاستثناءات، لأن حقوق الملكية في هذه المسألة كانت تغطي على نزوات الحب، ولم يكن الزواج إلا حادثاً من حوادث أعمال المالقة. وكان العريس يقدم لوالدي الفتاة هدايا أو مالاً، ويعطيها "هدية الصباح" ويضمن لها حق بائلة في مزرعته. وكان هذا الحق في إنجلترا هو أن يكون للأرملة استحقاق مدى الحياة في ثلث ما يتركه الرجل من الأرض. وكانت أسرة الزوجة تقدم الهدايا للزوج، وتخصص لها بائلة تتكون من الثياب، والأثاث الثمينة، والآنية والأثاث، والأملك في بعض الأحيان. وكانت الخطبة عبارة عن تبادل عهود أو موافق، وكان العرس نفسه ميثاقاً واسمه . أه

نلاحظ : أن ما سبق ذكره كان بعد النبي ﷺ بعشر قرون ، و في قلب أوربا التي كانت تحكم في تلك الفترة من قبل الكنيسة .

وأخيراً : أقول لكاتب المقالة كما قال أبو الأسود الدؤالي :

" لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله *** عار عليك إذا فعلت عظيم "

وأقول له أيضاً كما نسب ليسوع المسيح في إنجيل متى إصاح 7 عدد³ لَمَّا ذَا تَنْتَظِرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلَا تَقْطُنْ لَهَا؟⁴ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لِأَخِيكَ: دَعْنِي أَخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ، وَهِيَ الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ؟⁵ يَا مُرَائِي، أَخْرِجْ أَوَّلًا الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تَبْصُرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ!

رد شبهة : فتوى مفاخذه عائشة بعد العقد عليها..!

من الافتراءات التي سمعتها من أحدهم تقال على رسول الله ﷺ

قولهم : إن نبي الإسلام كان يفاخذ زوجته عائشة وهي صغيرة في سن السادسة ... ثم ذكروا هذه الفتوى :

فتوى رقم <31409> تاريخ 1421\5\7هـ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده---وبعد:
فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء على ما ورد الى سماحة المفتي العام
من المستفتي ابو عبدالله محمد الشمري والمحال الى اللجنة من الامانة العامة لهيئة
كبار العلماء برقم 1809 وتاريخ 1421\5\3هـ وقد سأل المستفتي سؤالا هذانصه :
انتشرت في الونة الاخيرة ,وبشكل كبير وخاصة في الاعراس عادة مفاخدة الاولاد
الصغار , ماحكم ذلك مع العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد فاخت سيدتنا
عائشة رضي الله عنها .

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء اجابت بمايلي:ليس من هدي المسلمين على مر القرون
ان يلجأن الى استعمال هذه الوسائل الغير شرعية والتي وفدت الى بلادنا من الافلام
الخلاعية التي يرسلها الكفار واعداء الاسلام ,اما من جهة مفاخدة رسول الله صلى الله
عليه وسلم لخطيبته عائشة فقد كانت في سن السادسة من عمرها ولا يستطيع ان
يجامعها لصغر سنها لذلك كان صلى الله عليه وسلم يضع اربه بين فخذيه ويدلكه دلكا
خفيفا ,كما ان رسول الله يملك اربه على عكس المؤمنين

بناء على ذلك فلا يجوز التعامل بالمفاخدة لا في الاعراس ولا في المنازل ولا في
المدارس , خطرها الفاحش ولعن الله الكفار ,الذين اتوا بهذه العادات الى بلادنا,
اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء

عضو:بكر بن عبد الله ابو زيد

عضو:صالح بن فوزان الفوزان

الرئيس عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذه الفتوى محض افتراء على رسول الله ﷺ ولا تنسب لهؤلاء العلماء الكرام
من وجهين:

الوجه الأول من ناحية الأسلوب : الأسلوب الإملائي الذي كتبت به الفتوى ، فالذي كتبها لا يعرف الفرق بين همزات الوصل والقطع ، وكذلك الأخطاء النحوية المنتشرة ... منها قوله " الوسائل الغير شرعية " .. والصحيح : " الوسائل غير الشرعية " .. لأن أَل التعريف لا تدخل على (غير) إذا أضيفت ، وإنما تدخل على الذي أضيفت إليه

الوجه الثاني من ناحية الثبوت : فقد قام الدكتور محمود القاعود بسؤال اللجنة وذكر رداً شافياً كما يلي :

هذه حقيقة فتوى المفاخضة المزعومة :

منذُ مدة طويلة والنصارى يطنطنون بفتوى كاذبة مزعومة يقولون فيها إن كبار العلماء بالملكة العربية السعودية قالوا : إن الرسول - صلى الله عليه وسلم- كان يُمارس التقخيذ مع السيدة عائشة قبل الدخول بها ، وأخذوا من هذه الفتوى المزعومة وسيلة للطعن في المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وتشويه صورته والاستهزاء به ، في الجانب المقابل أخذ بعض الإخوة الكرام في إيضاح كذب هذه الفتوى الضالة وتبيين عوارها مثل قول الكذبة " سيدتنا عائشة !! " ومعروف أن جميع المسلمين يقولون " السيدة عائشة " . وكذلك إثباتهم لفعل المفاخضة ثم الإفتاء بتحريمه! مما يوضح أن تلك الفتوى الكاذبة المكذوبة لا يمكن أن تصدر عن مسلم موحد فضلاً عن عالم كبير .

وإليك نص الفتوى المكذوبة :

فتوى رقم (31409) تاريخ 7 \ 5 \ 1421هـ

"الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... وبعد :

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء على ما ورد الى سماحة المفتي العام من المستفتي ابو عبدالله محمد الشمري والمحال الى اللجنة من الامانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم 1809 وتاريخ 3\5\1421 هـ وقد سأل المستفتي سؤالا هذا نصه :

انتشرت في الآونة الاخيرة ، وبشكل كبير وخاصة في الأعراس عادة مفاخضة الأولاد الصغار، ماحكم ذلك مع العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد فاحذ سيدتنا عائشة رضي الله عنها وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بما يلي : ليس من هدي المسلمين على مر القرون أن يلجأ إلى استعمال هذه الوسائل الغير شرعية والتي وفدت

إلى بلادنا من الافلام الخلاعية التي يرسلها الكفار وأعداء الإسلام ،أما من جهة مفاخدة رسول الله صلى الله عليه وسلم لخطيئته عائشة فقد كانت في سن السادسة من عمرها ولا يستطيع ان يجامعها لصغر سنها لذلك كان صلى الله عليه وسلم يضع إربه بين فخذيها ويدلكه دلكا خفيفا , كما أن رسول الله يملك إربه على عكس المؤمنين

بناء على ذلك فلا يجوز التعامل بالمفاخدة لا في الأعراس ولا في المنازل ولا في المدارس ,لخطرها الفاحش ولعن الله الكفار , الذين أتوا بهذه العادات الى بلادنا ,

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء

عضو: بكر بن عبد الله ابو زيد

عضو: صالح بن فوزان الفوزان

الرئيس : عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ "

هذا هو نص الفتوى الكاذبة ، وبدورنا فقد أرسلنا للشيخ الجليل صالح الفوزان لنستفسر منه عن حقيقة تلك الفتوى ، فجاء رد الشيخ :

سعادة الأستاذ/ محمود القاعود

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ،

فنحمد الله رب العالمين ونصلي ونسلم على خاتم الرسل والأنبياء
رداً على رسالتكم التي تستفسرون فيها عن صحة فتوى منسوبة إلينا تتحدث عن فعلٍ منسوبٍ للرسول ﷺ كان يقوم به مع السيدة عائشة -رضي الله عنها- قبل الدخول بها
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

صالح بن فوزان بن عبد الله .

هذا هو نص رسالة الشيخ الكبير صالح الفوزان

واعتقد أنه آن الأوان أن يستحي السفلة ، وأن يخلجوا ويكفوا عن مهاتراتهم السخيفة .
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين. أه بتصرف يسير نقلا عن منتدى حراس العقيدة.

ثانيًا : إن هناك أسولين يطرحا نفسيهما هما :

السؤال الأول : أين الدليل من الأحاديث أو من السيرة المطهرة على ما جاء في هذه الفتوى الكاذبة ؟

الجواب : لا يوجد أبداً إلا في خيالهم المريض فقط ...

بل الثابت عكس ذلك ما جاء في كتب السنة والسيرة...فقد جاء في صحيح البخاري برقم 4739 عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ قَالَ هِشَامٌ وَأُنْبِئْتُ أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَهُ تِسْعَ سِنِينَ .

السؤال الثاني : هل المسلم العربي مثل أبي بكر يسمح بذلك مع ابنته ؟

الجواب : لا ، لأن الخلوة مع المرأة الاجنبية محرمة شرعا.....

رد شبهة : نبي يقول عن زوجته-عائشة- حميراء أي : حمارة !

من الشبهات التي لا وزن لها ، والتي تدل على جهل مثيريها أنهم قالوا : ن رسول الإسلام قال عن زوجته عائشة لأصحابه : إنها حمارة صغير... وأوصاهم أن يأخذوا العلم منها ... فقال : " خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء يعني عائشة "

الرد على الشبهة

أولاً : كما قلتُ إن الشبهة لا وزن لها ، ولا قيمة لها ؛لأنها تدل على جهل أصحابها بالإسناد وباللغة وتدل على الكذب والتدليس وسوء الخلق مع أنبياء الله..... كل ذلك لأن الحديث موضوع لا يصح بأي حالٍ من الأحوال ، ولأن كلمة الحميراء لا تعني حمارة صغيرة كما زعموا للاتي :

أولاً : إن الحديث لا يصح فهو موضوعٌ على نبيِّنا ﷺ يدل على ذلك ما يلي:

1- قال الشيخُ الألباني - رحمه الله - في إرواء الغليل : موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ ... حديث موضوع انظر " المنار المنيف " للعلامة ابن القيم. أه

2- قال ابنُ القيم - رحمه الله - : وكل حديث فيه " يا حميراء " أو ذكر الحميراء فهو كذب مختلق مثل : يا حميراء لا تأكلي الطين فإنه يورث كذا وكذا، وحديث : (خذوا شطر دينكم عن الحميراء) المنار المنيف /60 ونقله العجلوني في كشف الخفاء 450/1. أه

3- قال الذهبي - رحمه الله - : " وقد قيل : إن كل حديث فيه يا حميراء لم يصح ". سير أعلام النبلاء 167/2 . أه

4- قال ابنُ كثير - رحمه الله - : وأما الحديث الثاني وهو : (خذوا شطر دينكم عن الحميراء) فهو حديث غريب جدا بل هو منكر سألت عنه شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي وقال : لم أقف له على سند إلى الآن . وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي : هو من الأحاديث الواهية التي لا يعرف لها إسناد (تحفة الطالب /170 . أه

5- الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : لا أعرف له إسنادا ولا رأيته في شيء من كتب الحديث إلا في النهاية لابن الأثير ذكره في مادة ح م ر ولم يذكر من خرجته ورأيته في الفردوس بغير لفظه وذكره عن أنس بغير إسناد بلفظ خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء " كشف الخفاء 450/1 . أه

وقال - رحمه الله - : " وفي رواية النسائي من طريق أبي سلمة عنها دخل الحبشة يلعبون فقال لي النبي ﷺ : (يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم) فقلت : نعم . إسناده صحيح ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا . فتح الباري 444/2 . أه

6- قال المزي - رحمه الله - : " وكل حديث فيه يا حميراء فهو موضوع إلا حديثا عند النسائي " . المصنوع /212. أه

7- قال صاحب تحفة الأحوذى - رحمه الله - (ج 9 / ص 326) وَأَمَّا حَدِيثُ : " خُذُوا شَطْرَ دِينِكُمْ عَنْ الْحُمَيْرَاءِ " يَعْنِي عَائِشَةَ ، فَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ : لَا أَعْرِفُ لَهُ إِسْنَادًا ، وَلَا رَوَايَةً فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ إِلَّا فِي النَّهْيَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ

مَنْ خَرَجَهُ ، وَذَكَرَ الْحَافِظُ عَمَادُ الدِّينِ بْنِ كَثِيرٍ : أَنَّهُ سَأَلَ الْمَرْيَّ وَالْذَهَبِيَّ عَنْهُ فَلَمْ يَعْرِفَاهُ ، وَقَالَ السَّخَاوِيُّ : ذَكَرَهُ فِي الْفَرْدَوْسِ بِغَيْرِ إِسْنَادٍ ، وَبَغَيْرِ هَذَا اللَّفْظِ وَلَفْظُهُ " خُذُوا ثَلَاثَ دِينَكُم مِّنْ بَيْتِ الْحُمَيْرَاءِ " ، وَبَيَّضَ لَهُ صَاحِبُ مَسْنَدِ الْفَرْدَوْسِ ، وَلَمْ يُخْرِجْ لَهُ إِسْنَادًا . وَقَالَ السُّيُوطِيُّ : لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ كَذَا فِي الْمَرْقَاةِ . أَهـ

ثانيًا : إن معنى كلمة حميراء ليست سبًا أو كلمة قبيحة ؛ وإنما معناها البيضاء التي تميل إلى حمرة هكذا فهم علماء المسلمين بخلاف فهم المعترضين.... فالحميراء تصغير حمراء بمعنى بيضاء اللون مشرب بياضها بحمرة ، والعرب تسمي الرجل الأبيض: أحمر والمرأة حمراء ، وإما تصغير حمار فهو على وزن فعال وفعال تصغر على فعيل وعليه فإن حمار تصغر على حمير هذا إن كان المراد بها مذكر أما إن أريد بها مؤنث فتصغر على حُميرة.... يدلل على ذلك ما جاء في الآتي :

1- آداب الزفاف للشيخ الألباني قال: عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (دعاني رسول الله ﷺ والحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد في يوم عيد فقال لي : يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم ؟ فقلت : نعم .

(1) تصغير الحمراء يريد البياض كذا في " النهاية "

(2) هذه الزيادة رواها النسائي في " عشرة النساء " وقال الحافظ في " الفتح " :

" إسناده صحيح ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا " أهـ

2- لسان العرب (ج 4 ص 211) : اسم يطلق على المرأة شديدة البياض ، وذلك لأن بياضها يختلط بحمرة خفيفة في وجهها. أهـ

3- النهاية في غريب الأثر (ج 1 ص 438) : الحميراء: البيضاء. أهـ

4- تاج العروس (ج 11 ص 73) : حميراء تصغير حمراء أي: البيضاء. أهـ

ويبقى سؤال يطرح نفسه لمن له عقل هو : هل لقب ألحماره ينطبق على من يُطلب منه العلم !؟

ثالثا : إن المرأة في الكتاب المقدس مشبهة بالحيوانات ؛ مشبهة بالحمار ، والبهيمة ، والعجلة ، الكلب الأجرى... يدل على ذلك ما جاء في الآتي:

1- سفر أيوب إصحاح 11 عدد¹² أَمَّا الرَّجُلُ فَفَارِغٌ عَدِيمُ الْفَهْمِ، وَكَجَحْشِ الْفَرَا يُولَدُ الْإِنْسَانُ.

والإنسان كلمة تطلق على الذكر والأنثى ؛ فلا يوجد في اللغة العربية لفظة (إنسانة) قط ، والإنسان مشبهة بالجحش وهو الحمار الصغير ؛ إذن المرأة بحسب الكتاب المقدس حميرة حمارة صغيره ...!

2- سفر الجامعة في الإصحاح 3 عدد¹⁸ قُلْتُ فِي قَلْبِي: «مَنْ جِهَةٌ أُمُورِ بَنِي الْبَشَرِ، إِنَّ اللَّهَ يَمْتَحِنُهُمْ لِيَرِيَهُمْ أَنَّهُ كَمَا الْبَهِيمَةُ هَكَذَا هُمْ». ¹⁹لَأَنَّ مَا يَحْدُثُ لِبَنِي الْبَشَرِ يَحْدُثُ لِلْبَهِيمَةِ، وَحَادِثَةٌ وَاحِدَةٌ لَهُمْ. مَوْتُ هَذَا كَمَوْتُ ذَاكَ، وَنَسَمَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْكَلِّ. فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مَزِيَّةٌ عَلَى الْبَهِيمَةِ، لِأَنَّ كِلَيْهِمَا بَاطِلٌ. ²⁰يَذْهَبُ كِلَاهُمَا إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ. كَانَ كِلَاهُمَا مِنَ التُّرَابِ، وَإِلَى التُّرَابِ يَعُودُ كِلَاهُمَا.

نلاحظ من النص : أن الإنسان ليس له مزية على البهيمة ؛ فالإنسان كالبهيمة في الكتاب المقدس ؛ إذا : المرأة بهيمة بحسب الكتاب المقدس!

3- سفر القضاة إصحاح 14 عدد¹⁸ فَقَالَ لَهُ رِجَالُ الْمَدِينَةِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ: «أَيُّ شَيْءٍ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَمَا أَجْفَى مِنَ الْأَسَدِ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «لَوْ لَمْ تَحْرِثُوا عَلَى عَجَلَتِي، لَمَا وَجَدْتُمْ أَحْبَبَّتِي».

الملاحظ : أن المرأة في الكتاب المقدس يطلق عليها عجلة.... !

4- سفر الاوويين إصحاح 15 عدد²⁵ «وَإِذَا كَانَتْ امْرَأَةٌ يَسِيلُ سَيْلُ دَمِهَا أَيَّامًا كَثِيرَةً فِي غَيْرِ وَقْتِ طَمْثِهَا، أَوْ إِذَا سَالَ بَعْدَ طَمْثِهَا، فَتَكُونُ كُلُّ أَيَّامٍ سَيَّالًا نَجَاسَتِهَا كَمَا فِي أَيَّامِ طَمْثِهَا. إِنَّهَا نَجِسَةٌ. ²⁶كُلُّ فِرَاشٍ تَضْطَجِعُ عَلَيْهِ كُلُّ أَيَّامٍ سَيْلِهَا يَكُونُ لَهَا كَفِرَاشِ طَمْثِهَا. وَكُلُّ الْأُمْتَعَةِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجِسَةً كَنَجَاسَةِ طَمْثِهَا. ²⁷وَكُلُّ مَنْ مَسَّهَا يَكُونُ نَجِسًا، فَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ.

قلتُ : هكذا يعامل الكلب الأجيرب كالمرأة تماماً في الكتاب المقدس ... !
ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو : ما هو رد المعترضين على هذه النصوص التي يؤمنون بها....؟!

رد شبهة : نبي يأمر زوجته (عائشة) أن تسب زوجته الأخرى (زينب) !
قالوا: نبي الإسلام أمر زوجته عائشة أن تسب زوجته الأخرى زينب فهل هذه هي مكارم الأخلاق التي بعث بها نبيكم

اعتمدوا على ذلك بما جاء في سنن أبي داود برقم 4252 حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ الْمَعْنَى وَاحِدٌ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ قَالَ : كُنْتُ أَسْأَلُ عَنْ الْإِنْتِصَارِ { وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ }

فَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ عَنْ أُمِّ مُحَمَّدٍ امْرَأَةِ أَبِيهِ قَالَ ابْنُ عَوْنٍ : وَزَعَمُوا أَنَّهَا كَانَتْ تَدْخُلُ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ : قَالَتْ - أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ - " دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَنَا زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَجَعَلَ يَصْنَعُ شَيْئًا بِيَدِهِ فَقُلْتُ بِيَدِهِ حَتَّى فَطَنْتُهُ لَهَا فَأَمْسَكَ ، وَأَقْبَلَتْ زَيْنَبُ تَقَحُّمٌ لِعَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- فَنَهَاها فَأَبَتْ أَنْ تَنْتَهِيَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ : " سُبِّيْهَا فَسَبَّتْهَا فغَلَبَتْهَا " فَانْطَلَقَتْ زَيْنَبُ إِلَى عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فَقَالَتْ : إِنَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- وَقَعَتْ بِكُمْ وَفَعَلَتْ . فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ فَقَالَ لَهَا : إِنَّهَا حَبَّةُ أَبِيكَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ فَانْصَرَفَتْ . فَقَالَتْ لَهُمْ : أَنِّي قُلْتُ لَهُ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ لِي : كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : وَجَاءَ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَكَلَّمَهُ فِي ذَلِكَ .

الرد على الشبهة

أولاً : إن محمداً ﷺ أعظم الخلق خلقاً وخلقا ، فلا يصح في حقه ما نسب إليه المعترضون يدلل على ذلك ما يلي :

1- أن الله ﷻ زكاه في خلقه قائلا : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم4).

2- أنه ﷺ كان قرآناً يمشي على الأرض ... وذلك في مسند أحمد برقم 24139 عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ :سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ : أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَتْ :كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ .

3- لم يقل لخدمته يوماً كلمة أف قط وذلك صحيح البخاري برقم 5578 عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أَفٌ وَلَا لِمَ صَنَعْتَ وَلَا أَلَا صَنَعْتَ .

4- أنه لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ... وذلك في مسند أحمد برقم 24247 عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا ، وَلَا مُتَفَحِّشًا ، وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يُجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ .

5- أنه ﷺ كان يدعو أصحابه لحسن الخلق ، ويقرب منه أحسنهم خلقاً ... وذلك في عده أحاديث منها:

أ- مسند أحمد برقم 6526 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ: مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا .

ب- سنن أبي داود برقم 3562 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَصَحَ لِرَجُلٍ قَائِلًا لَهُ : " لَا تَسُبَّنْ أَحَدًا " . قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا وَلَا عَبْدًا وَلَا بَعِيرًا وَلَا شَاةً . قَالَ: " وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ وَأَنْ تَكَلَّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ وَإِنْ أَمَرُوا شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ فَإِنَّمَا وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ " .

ج- صحيح الجامع برقم : 1176 قَالَ ﷺ : " أَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا " . تخريج السيوطي (ابن النجار) عن علي . قال الألباني : (حسن)

د- الحاكم في المستدرک برقم 29 عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال : " ليس المؤمن بالطعان و لا اللعان و لا الفاحش و لا البذيء "

قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم 5381 في صحيح الجامع.

وعليه : فإن ما يسبق يثبت للمعترضين ما غاب عن عقولهم المريضة وسوء ظنهم.....هذا بخلاف حال الانبياء في كتابهم المقدس

ثانياً : إن هذا الحديث لم يأت إلا في سنن أبي داود، فمدار الرواية من كتب الأحاديث هو من هذا الطريق فقط الذي رواه أبو داود ... وهذا يدل على أنه ليس مشهوراً...فهم يأتون بغرائب الأحاديث لينالوا منه ﷺ هذا وإن دل يدل على غيظ شديد ،وبغض عريض.... يقول ﷺ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ (الفرقان31).

ثالثاً : إن هذا الحديث جاء في سنن أبي داود ، وإسناده لا يصح ؛ حكم عليه بذلك الشيخ الألباني - رحمه الله- في صحيح و ضعيف أبي داود(ج 10 / ص 398) برقم 4898قائلاً : " ضعيف الإسناد ".

فعلى ما سبق : تبين لنا أن الحديث لا تقام به حجة ، ولانصدق ما جاء به ، وهذا كاف لأبطال الشبهة.....

رابعاً : إن الكتاب المقدس ذكر لنا ما هو أخطر من أن نبياً يأمر زوجته أن تسب أخرى فالكتاب المقدس ذكر لنا أن الرب أمر الناس بسب أنبيائه وكذلك يسوع كان يسب التلاميذ وذلك في الآتي :

1- ابن داود سب أباه داود سباً قبيحاً وذلك في سفر صموئيل الثاني الإصحاح 16 عدد⁹ فَقَالَ أَبِيشَايُ ابْنُ صَرْوِيَةَ؟ لِلْمَلِكِ : «لِمَاذَا يَسُبُّ هَذَا الْكَلْبُ الْمَيْتُ سَيِّدِي الْمَلِكَ؟ دَعْنِي أَعْبُرُ فَأَقْطَعَ رَأْسَهُ». ¹⁰ فَقَالَ الْمَلِكُ: «مَا لِي وَلَكُمْ يَا بَنِي صَرْوِيَةَ! دَعُوهُ يَسُبُّ لِأَنَّ الرَّبَّ قَالَ لَهُ: سُبِّ دَاوُدَ. وَمَنْ يَقُولُ: لِمَاذَا تَفْعَلُ هَكَذَا؟» ¹¹ وَقَالَ دَاوُدُ لِأَبِيشَايَ وَلِجَمِيعِ عِبِيدِهِ: «هُؤُودَا ابْنِي الَّذِي خَرَجَ مِنْ أَحْشَائِي يَطْلُبُ نَفْسِي، فَكُم بِالْحَرِيِّ الْآنَ

بَنِيَامِينِي؟ دَعُوهُ يَسُبُّ لِأَنَّ الرَّبَّ قَالَ لَهُ. ¹²لَعَلَّ الرَّبَّ يَنْظُرُ إِلَى مَذَلَّتِي وَيُكَافِنُنِي الرَّبُّ خَيْرًا عِوَضَ مَسِيَّتِهِ بِهَذَا الْيَوْمِ».

2- سفر هوشع إصحاح 4 عدد ⁵فَتَتَعَثَّرُ فِي النَّهَارِ وَتَتَعَثَّرُ أَيْضًا النَّبِيُّ مَعَكَ فِي اللَّيْلِ، وَأَنَا أَخْرَبُ أُمَّكَ. ومما يدل على أنه كلام الرب العدد الأول ففيه ¹اسْمَعُوا قَوْلَ الرَّبِّ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ: «إِنَّ لِلرَّبِّ مُحَاكَمَةً مَعَ سُكَّانِ الْأَرْضِ، لِأَنَّهُ لَا أَمَانَةَ وَلَا إِحْسَانَ وَلَا مَعْرِفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ».

3- إنجيل لوقا إصحاح 12 عدد ²⁰فَقَالَ لَهُ اللَّهُ : يَا غَيْبِي! هَذِهِ اللَّيْلَةُ تَطْلُبُ نَفْسُكَ مِنْكَ، فَهَذِهِ الَّتِي أَعَدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟

4- يسوع سب المؤمنين كما يلي :

1 - سب بطرس كبير الحواريين قائلاً : " يا شيطان " (متى 16 / 23).

2 - سب آخرين من تلاميذه قائلاً : " أيها الغبيان والبطيلان القلوب في الإيمان " (لوقا 24 / 25) .

رد شبهة : زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش - رضي الله عنها

ادعوا أن محمداً ﷺ تزوج زوجة ابنه بالتبني ، وذلك لما رآها وأعجبته ، فقال: سبحان مقلب القلوب ، فأمر زيد بتطليقها وتزوجها هو فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ وَإِذْ نَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (37) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿38﴾ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿39﴾ (الأحزاب) .

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذه الآيات من الآيات التي تدل على أن القرآن الكريم كلام من عند الله ﷻ حقاً وبقينا بخلاف ما يقوله المعتضون : إن القرآن من تأليف رسول الإسلام لوجهين :

الوجه الأول : لو كتب محمد ﷺ القرآن الكريم بيده ما كان يكتب مثل هذه الآيات ؛ لأن فيها عتاب له من الله ﷻ له بل كان يظهر ﷺ في أحسن مظهر ، ولا يعاتب نفسه مرة واحدة كما جاء في هذه الآيات وغيرها

الوجه الثاني : إن هذه الآيات من الآيات التي تدل على أن النبي ﷺ ما أخفى آية واحدة من كتاب الله ﷻ بل أدى الرسالة على أتم وجه والدليل على ذلك ما يلي :

1- صحيح مسلم برقم 259 قالت عائشة: " لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ : { وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ } .

2- تفسير الطبري (ج 20 / ص 274) : عن عائشة قالت : لو كتم رسول الله ﷺ شيئاً مما أوحى إليه من كتاب الله لكتم : (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) .

ثانياً : إن هذه الشبهة أوهن من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ؛ لأن الروايات التي يستدلون بها للطعن في النبي ﷺ من خلالها لا تصح

حكم عليها بهذا علماء أجلاء كما يلي :

1- قال ابن كثير في تفسيره بعد أن ذكر الروايات الصحيحة : ذكر ابن أبي حاتم والطبري ها هنا آثاراً عن بعض السلف - رضي الله عنهم - أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردّها . يريد بذلك أمثال : " فوقعت في قلبه " و " سبحان مقلب القلوب " . فهذه كلها آثار لم تثبت صحتها . أهـ

2- قال القرطبي بعد أن ذكر التفسير الصحيح لما كان يخفيه ﷺ ، وما الذي كان يخشاه من الناس: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي

أبي بكر بن العربي وغيرهم. فأما ما روي أن النبي ﷺ هو زينب امرأة زيد وربما أطلق بعض المُجَان لفظ عشق فهذا إنما صدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخف بحرمة . أه

3- قال ابنُ العربي في كتابه أحكام القرآن بعد أن ذكر ملخص هذه الروايات ، و بين عصمة النبي ﷺ : هذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد . أه

4- قال ابنُ حجرٍ في الفتح بعد أن ذكر الروايات الصحيحة : و وردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري و نقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها. أه

5- قال الشيخُ محمد رشيد رضا : وللقصاص في هذه القصة كلام لا ينبغي أن يجعل في حيز القبول، و يجب صيانة النبي ﷺ عن هذه الترهات التي نُسبت إليه زوراً و بهتاناً. محمد رسول الله ﷺ . أه

ثالثاً : لو كان رسولُ الله ﷺ يريد زينبَ زوجةً له ؛ لأخذها قبل أن يزوجه زيد ، فقد كانت من عائلته ، وتكبر أمامه على مدار الأيام ، حتى صارت شابة ، وبعدها قام ليخطبها لزيد ﷺ وبهذا تبطل الشبهة !

جاء في تفسير الطبري (ج 20 / ص 271) ، وتفسير ابن كثير (ج 6 / ص 421) الآتي : { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (36) } . قال العوفي ، عن ابن عباس: قوله: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ } الآية، وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ : "بل فانكحيه". قالت: يا رسول الله، أوامر في نفسي. فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله ﷺ : { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا } الآية ، قالت : قد رضيته لي منكحاً يا رسول الله؟ قال: "نعم". قالت: إذا لا أعصي رسول الله ﷺ ، قد أنكحته نفسي . أه

إن قيل : لماذا ذكرت هذا الأخبار في كتب التفسير بالرغم من أنها ضعيفة ؟!

قلتُ : إن هذا من باب الثراء العلمي ؛ إنهم - رحمهم الله - يجمعون كل ما قيل عن الآية ، وبعد ذلك يحققون ، وأحياناً يحذرون المسلمين من مثل هذه الروايات الباطلة كما تقدم معنا في الرد على شبهة الغرائق، ومثل : ما قاله ابن كثير في الآيات التي معنا : ذكر ابن أبي حاتم والطبري ها هنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نورد لها أهـ. يريد بذلك أمثال : " فوقعت في قلبه " و " سبحان مقلب القلوب ". فهذه كلها آثار لم تثبت صحتها ، وهذا ما ذهب إليه المحققون من المفسرين كالزهري ، والقاضي بكر بن العلاء القشيري ، و القاضي أبي بكر بن العربي ، والقاضي عياض في الشفاء.

رابعاً : إن قيل : ما هو التفسير الصحيح للآيات ، وما هي قصه زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش.... ؟

قلتُ : إن الجواب على ذلك يكون في التفصيل التالي:

1- زواج زيد بن حارثة رضي الله عنه من زينب - رضي الله عنها - :

زينب بنت جحش هي إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تزوج بها الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة الخامسة من الهجرة ، وهي بنت أمية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت زوجة لزيد بن حارثة قبل أن تصبح زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . أما زيد بن حارثة رضي الله عنه زوج زينب قبل الرسول صلى الله عليه وسلم فكان يُدعى قبل الإسلام بزيد بن محمد لكنه لم يكن من أولاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل كان غلاماً اشتريته خديجة بعد زواجها من النبي صلى الله عليه وسلم ثم أهدته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه صلى الله عليه وسلم في سبيل الله ، ثم تبناه صلى الله عليه وسلم تبنياً اعتبارياً على عادة العرب لرفع مكانته الاجتماعية بعدما عامله والده و قومه بالهجران و الطرد ، وهكذا فقد منحه الرسول صلى الله عليه وسلم احتراماً كبيراً وشرفاً عظيماً ورفع من شأنه بين الناس حتى صار يُدعى بين الناس زيد بن محمد. و عندما أحس النبي صلى الله عليه وسلم بحاجة زيد إلى الزواج أمره بخطبة بنت عمته زينب بنت جحش ، لكن زينب رفضت ذلك تبعاً للتقاليد السائدة في تلك الأيام و لاستتكااف الحرة من الزواج من العبد المعتق ، خاصة

وإن زينب كانت من عائلة ذات حسب ونسب و شأن ، فنزلت الآية الكريمة التالية ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ (الأحزاب36)، فأخبرت زينب النبي ﷺ بقبولها بهذا الزواج ، وهكذا فقد تم الزواج برضا زينب ، نزولاً عند رغبة رسول الله ﷺ وخضوعاً لحكم الله .

2 - طلاق زينب : بعد ذلك تأثرت العلاقة الزوجية بين الزوجين . زينب و زيد رضي الله عنهما - و آل أمرهما إلى الطلاق والانفصال رغم المحاولات الحثيثة التي قام بها النبي ﷺ لمنع وقوع الطلاق ، و لم تؤثر نصائح النبي ﷺ في زيد ، ولم يفلح في تغيير قرار زيد وقوع الطلاق.

3- زواج النبي ﷺ من زينب :

وبعد أن مضى على طلاق زينب فترة قرر النبي ﷺ أن يتزوج ابنة عمته زينب تعويضاً لما حصل لها بأمر من الله ﷻ ، غير أن النبي ﷺ كان يخشى العادات و التقاليد التي تحرم زواج الرجل من زوجة ابنه من التبني لاعتباره ابناً حقيقياً ، فالحق ﷻ قد أعلمه أن زينب ستكون زوجة له قبل طلاقها ، وكان يخفي ذلك في نفسه ، ويقول لزيد : " أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ " ثم عاتبه ربه ﷻ في ذلك قائلاً : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ (الأحزاب37). ثم إن زواج النبي ﷺ من زينب إنما كان بأمر من الله ﷻ ، كما تشهد بذلك تنمة الآية السابقة ؛ يقول ﷻ : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (37) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ (38) (الأحزاب) .

فإن قيل : ما معنى قوله ﷻ : " وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ " .

قلتُ : إن الله ﷻ قد أعلم النبي ﷺ أن زينب سوف تطلق من زيد ، وسوف تكون زوجة له ، وكان النبي ﷺ يخفى ذلك خشية أن يقول الناس: تزوج من زوجة ابنه . لذلك عاتبه ربه ﷻ قائلاً له : " وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ " .

وليس المعنى كما جاء في الروايات المكذوبة : أنه لما رأى زينب قال : " سبحان مقلب القلوب فعلقت في نفسه وكان يخفى ذلك" فكانت - رضي الله عنها - تقول لزوجات النبي ﷺ : زوجكن أهلكن ، وزوجني ربي من فوق سبع سماوات.

الحكمة التي تظهر لي في أمر زواج النبي ﷺ من زينب حكم عدة منها ما يلي :

1- تعديل ما حصل لابنة عمته و تضررها بالطلاق ؛ حيث إنها رضيت بالزواج من زيد بأمر من الله و رسوله ، فأراد الرسول ﷺ أن يكرمها و يعوضها عن ما حصل لها ، وذلك بأمر من الله تعالى .

2- كسر العادات و التقاليد الخاطئة التي تمنع الزواج من زوجة الابن من التبنّي ، رغم كونه ابناً اعتبارياً لا غير تشريع في صورة عملية ؛ حيث إن الإسلام من خلال القرآن الكريم رفض الاعتراف بالتبني الذي كان سائداً بين العرب في الجاهلية ، فالتبني يهدم الأحساب والأنساب ، فقد كانوا ينسبون زيد بن حارثة إلى رسول الله ﷺ فيقولون زيد بن محمد ، وجاء الرفض القرآني حاسماً من خلال قوله ﷻ : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (4) ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَفْصَحُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ ﴾ (5) (سورة الأحزاب) .

و قوله ﷻ : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ (الأحزاب 40). وكان التوجيه القرآني للرسول ﷺ بالزواج من مطلقة (زيد بن حارثة) لأجل تأكيد تجاهل المشرع الإسلامي للعرف الجاهلي ، لتكون ممارسة الرسول ﷺ رافعة لكل التباس قد يبقى عالقاً في الأذهان ، علماً أن تزويج الرسول ﷺ كان بعد تطليقها من جانب زيد بن حارثة فلم تكن هذه المرأة مرتبطة بأكثر من رجل ...

ثم إن من مهام الأنبياء إزالة العادات الخاطئة ، والسنن الظالمة ، وهذا ما فعله النبي ﷺ كما كان يفعل جميع الأنبياء من قبل في قضايا مشابهة ، فمهمة الأنبياء لا تقبل التعلل ،

والخوف ، والمجاملة ، فهم يحملون على عواتقهم رسالة سماوية حملهم إياها رب العالمين ، وإلى هذه الحقيقة تشير الآية الكريمة : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ (الأحزاب 38) .

خامسا : إنني افترض جدلاً أن الروايات التي ذكرها المعترضون صحيحة ...

أَسْأَلُ : هل هذه الروايات تقدر في نبوته ﷺ بحسب معايير النبوة في الكتاب المقدس ؟

الجواب : لا تقدر في نبوته ﷺ أبداً ؛ لأننا لو قارنا بين فعل النبي محمد ﷺ بحسب تلك الروايات المكذوبة ، لما رأى زينب بنت جحش وأعجبته وبين داود عليه السلام كما ذكر العهد القديم في سفر صموئيل الثاني 11 عدد 1-27 أن النبي داود زنا بزوجة قائده أوريا الحثي ، وقتله غدرًا وحيلة ، وذلك لما رآها وهي تستحم فأعجبته ... لنذكر النصوص تتحدث عن نفسها كما يلي : ¹وَكَانَ عِنْدَ تَمَامِ السَّنَةِ ، فِي وَقْتِ خُرُوجِ الْمُلُوكِ ، أَنَّ دَاوُدَ أَرْسَلَ يُوَابَ وَعَبِيدَهُ مَعَهُ وَجَمِيعَ إِسْرَائِيلَ ، فَأَخْبَرُوا بَنِي عَمُّونَ وَحَاصَرُوا رَبَّةَ . وَأَمَّا دَاوُدُ فَأَقَامَ فِي أُورُشَلِيمَ . ²وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُ . وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةً الْمَنْظَرِ جِدًّا . ³فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَالَ عَنْ الْمَرْأَةِ ، فَقَالَ وَاحِدٌ : «أَلَيْسَتْ هَذِهِ بِشَثْعَ بِنْتِ أَلِيَامَ امْرَأَةِ أُورِيَا الْحَثِيِّ؟» . ⁴فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلًا وَأَخَذَهَا ، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمَئِهَا . ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا . ⁵وَحَبَلَتِ الْمَرْأَةُ ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ : «إِنِّي حَبْلِي» . ⁶فَأَرْسَلَ دَاوُدَ إِلَى يُوَابَ يَقُولُ : «أَرْسِلْ إِلَيَّ أُورِيَا الْحَثِيَّ» . فَأَرْسَلَ يُوَابُ أُورِيَا إِلَى دَاوُدَ . ⁷فَأَتَى أُورِيَا إِلَيْهِ ، فَسَأَلَ دَاوُدَ عَنْ سَلَامَةِ يُوَابَ وَسَلَامَةِ الشَّعْبِ وَنَجَاحِ الْحَرْبِ . ⁸وَقَالَ دَاوُدُ لِأُورِيَا : «انْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ» . فَخَرَجَ أُورِيَا مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ ، وَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ حَصَّةٌ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ . ⁹وَنَامَ أُورِيَا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ جَمِيعِ عَبِيدِ سَيِّدِهِ ، وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ . ¹⁰فَأَخْبَرُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ : «لَمْ يَنْزِلْ أُورِيَا إِلَى بَيْتِهِ» . فَقَالَ دَاوُدُ لِأُورِيَا : «أَمَا جِئْتَ مِنَ السَّقَرِ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تَنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ؟» ¹¹فَقَالَ أُورِيَا لِدَاوُدَ : «إِنَّ النَّابُوتَ وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ ، وَسَيِّدِي يُوَابَ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحَرَاءِ ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لِأَكُلَ وَأَشْرِبَ وَأَضْطَجِعَ مَعَ امْرَأَتِي؟ وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ ، لَا أَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ» . ¹²فَقَالَ دَاوُدُ لِأُورِيَا : «أَقِمْ هُنَا الْيَوْمَ أَيْضًا ، وَغَدًا أَطْلُقُكَ» . فَأَقَامَ أُورِيَا فِي أُورُشَلِيمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَغَدَهُ . ¹³وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَلَ أَمَامَهُ

وَشَرِبَ وَأَسْكَرَهُ. وَخَرَجَ عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَضْطَجَعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَإِلَى بَيْتِهِ لَمْ يَنْزِلْ.¹⁴ وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوبًا إِلَى يُوَابَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُوْرِيَّا.¹⁵ وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: «اجْعَلُوا أُوْرِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيَضْرِبَ وَيَمُوتَ». ¹⁶ وَكَانَ فِي مُحَاصِرَةِ يُوَابَ الْمَدِينَةَ أَنَّهُ جَعَلَ أُوْرِيَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّ رِجَالَ الْبَاسِ فِيهِ. ¹⁷ فَخَرَجَ رِجَالَ الْمَدِينَةِ وَحَارِبُوا يُوَابَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عَبِيدِ دَاوُدَ، وَمَاتَ أُوْرِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا. ¹⁸ فَأَرْسَلَ يُوَابَ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِجَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ. ¹⁹ وَأَوْصَى الرَّسُولُ قَائِلًا: «عِنْدَمَا تَفْرُغُ مِنَ الْكَلَامِ مَعَ الْمَلِكِ عَنْ جَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ، ²⁰ فَإِنْ اشْتَغَلَ غَضَبُ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَكَ: لِمَاذَا دَنَوْتُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ لِلْقِتَالِ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ يَرْمُونَ مِنْ عَلَيَّ ²¹ مَنْ قَتَلَ أَبِيمَالَكَ بْنِ يَرْئُوشَ؟ أَلَمْ تَرْمِهِ امْرَأَةً بِقِطْعَةٍ رَحَى مِنْ عَلَيَّ السُّورِ فَمَاتَ فِي تَابَاصٍ؟ لِمَاذَا دَنَوْتُمْ مِنَ السُّورِ؟ فَقُلْ: قَدْ مَاتَ عَبْدُكَ أُوْرِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا» .

إِذَا : لما رأى النبي ﷺ زينب وأعجبته بحسب الروايات المكذوبة لم يزن بها كما زنى داود بزوجة أوريا الحثي وقتل زوجها غدرا.... وذلك بزعم الكتاب المقدس .

وعليه : فإن الشبهة محلها عند المعترضين ، وليست عندنا فتلك النصوص تعلمنا أن نبي الله داود قدوة لنا ؛ولكنه علمنا كيف نزنى بامرأة جميلة حينما نراها وهي تستحم ، وكيف نقتل زوجها بعد ذلك غدرا.....

وأتساءل : هل هؤلاء هم الأنبياء الأفاضل عند المعترضين ؟ إن كانوا كذلك فأنا أكفر بهم !

رد شبهة : أميمة بنت النعمان قالت لنبي الإسلام : (وَهَلْ تَهَبُ الْمَلِكَةُ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ).
قالوا : إن نبي الإسلام أمر امرأة ليست زوجة له أن تهب نفسها له ، فقالت : " وَهَلْ تَهَبُ الْمَلِكَةُ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ ؟ " . وقالت : " أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ " !
 ثم ظلوا يسبون محمداً ، ويسخرون كثيراً منه

الرد على الشبهة

أولاً : إن أميمة بنت النعمان كانت متزوجة من النبي ﷺ وليس كما فهم المعترضون من خلال خيالهم المريض ... يدلل على ذلك ما جاء في الآتي :

1- صحيح البخاري برقم 4853 عَنْ حَمْزَةَ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:- خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى انْطَلَقْنَا إِلَى حَائِطٍ يُقَالُ لَهُ :الشَّوْطُ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَائِطَيْنِ فَجَلَسْنَا بَيْنَهُمَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اجْلِسُوا هَا هُنَا وَدَخَلَ وَقَدْ أَتَى بِالْجَوْنِيَّةِ فَأَنْزَلَتْ فِي بَيْتٍ فِي نَخْلٍ فِي بَيْتِ أُمَيْمَةَ بِنْتِ الثُّعْمَانِ بْنِ شَرَاهِيلَ وَمَعَهَا دَايَتُهَا حَاضِنَةٌ لَهَا فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ قَالَ هَبِي نَفْسِكَ لِي: قَالَتْ: وَهَلْ تَهَبُ الْمَلَكَةَ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ ؟ قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لِتَسْكُنَ . فَقَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ! فَقَالَ: قَدْ عُدْتُ بِمَعَاذٍ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: يَا أَبَا أُسَيْدٍ اكْسُهَا رَازِقَتَيْنِ وَالْحَقَّ بِأَهْلِهَا.

وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْوَلِيدِ النَّيْسَابُورِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ عَنْ أَبِيهِ وَأَبِي أُسَيْدٍ قَالَا: تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَيْمَةَ بِنْتَ شَرَاهِيلَ فَلَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَكَأَنَّهُا كَرِهَتْ ذَلِكَ فَأَمَرَ أَبَا أُسَيْدٍ أَنْ يُجَهِّزَهَا وَيَكْسُوَهَا ثَوْبَيْنِ رَازِقَتَيْنِ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْوَزِيرِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ حَمْزَةَ عَنْ أَبِيهِ وَعَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ بِهِذَا.

2- قال ابن حجر في الفتح : تزوج رسول الله ﷺ أُمَيْمَةَ بِنْتَ شَرَاهِيلَ...

إِذَا مَعْنَى قَوْلِهِ " هَبِي لِي نَفْسِكَ " : قصد النبي ﷺ تَطْيِيبَ خَاطِرِهَا ، وَاسْتِمَالَةَ قَلْبِهَا ، ومَدْعَبَتَهَا ... ولم يطلب منها أن تتزوج منه كما زعم المعترضون إذ أن النبي ﷺ كان متزوجها بالفعل...

ثَانِيًا : أما عن قول أُمَيْمَةَ بِنْتِ النُّعْمَانِ: " وَهَلْ تَهَبُ الْمَلَكَةَ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ ؟ " فليس هذا سببًا للنبي ﷺ كما يتوهم المعترضون فالسُّوقَةُ ، كلمة معناها : من عوام الناس وليس ملكًا...

قال ابن حجر في الفتح : السُّوقَةُ بِضَمِّ السَّيْنِ الْمُهْمَلَةِ يُقَالُ لِلوَاحِدِ مِنَ الرِّعْيَةِ وَالْجَمْعِ ، قِيلَ لَهُمْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَلِكَ يَسُوقُهُمْ فَيَسَاقُونَ إِلَيْهِ وَيَصْرِفُهُمْ عَلَى مُرَادِهِ ، وَأَمَّا أَهْلُ السُّوقِ فَالوَاحِدُ مِنْهُمْ سَوْقِيٌّ ، قَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ : هَذَا مِنْ بَقِيَّةِ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ ،

وَالسُّوءَةُ عِنْدَهُمْ مَنْ لَيْسَ بِمَلِكٍ كَانُوا مِنْ كَانٍ ، فَكَانَتْهَا اسْتَبْعَدَتْ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْمَلَكَةُ مِنْ لَيْسَ بِمَلِكٍ

وأما قولها : " أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ " !

نلاحظ : أن النبي ﷺ لم يضربها ، ولم يهينها ولكن قال أرحم الناس المتوقف عند ذكر الله : قَدْ عُدْتُ بِمَعَادٍ ، وَفِي أُخْرَى لَهُ " فَقَالَ آمَنْ عَائِذُ اللَّهِ " . وهذا من رحمته ولطفه وسعة أخلاقه ، ثم أمر أن تلحق بأهلها دون أذى....

ثالثا : إن المعارضين يعترضون على موقف حدث في حياة النبي ﷺ وهو أن امرأة أخطأت في حق نبي الله محمد ﷺ... ويبقى سؤالان للمعارضين :

السؤال الأول : ماذا لو أهانها النبي ﷺ بالضرب أو السب....ماذا كنت تقولون عنه ؟!...

السؤال الثاني : ألم يرد في كتابكم المقدس أن زوجة نبي الله داود ﷺ أهانت داود بالسب ، واصفة إياه بالسفيه لماذا لم تطعنوا فيه...؟!

دليل ما ذكرتُ هو ما جاء في سفر صموئيل الثاني إصحاح 6 عدد 20 وَرَجَعَ دَاوُدَ لِيُبَارِكَ بَيْتَهُ. فَخَرَجَتْ مِيكَالُ بِنْتُ شَاوُلَ لِاسْتِقْبَالِ دَاوُدَ، وَقَالَتْ: «مَا كَانَ أَكْرَمَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ الْيَوْمَ، حَيْثُ تَكْشَفُ الْيَوْمَ فِي أَعْيُنِ إِمَاءِ عِيْبِدِهِ كَمَا يَتَكَشَّفُ أَحَدُ السُّفَهَاءِ». لا تعليق !

رد شبهة : نبي الإسلام يتزوج ميمونة وهو محرم !

تساءلوا قائلين : كيف يتزوج رسول الإسلام ميمونة وهو محرم ؟! أليس الزواج في الحج محرماً ؟!

استشهدوا على ذلك بما جاء في الآتي :

1- صحيح البخاري كتاب (الحج) باب (تزويج المحرم) برقم 1706 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ .

2- صحيح مسلم كتاب (النكاح) باب (تحريم زواج المحرم) برقم 2527 عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم.

3- سنن أبي داود كتاب (المناسك) باب (المحرم يتزوج) برقم 1571 حدثنا مسدد حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم

حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أمية عن رجل عن سعيد بن المسيب قال : وهم ابن عباس في تزويج ميمونة وهو محرم.

الرد على الشبهة

جاء في شرح سنن أبي داود برقم 1571 قال صاحب عون المعبود : (تزوج ميمونة وهو محرم) : قال العيني : واحتج بهذا الحديث إبراهيم النخعي والثوري وعطاء بن أبي رباح وحماد بن أبي سليمان وعكرمة ومسروق وأبو حنيفة وصاحباہ وقالوا : لا بأس للمحرم أن ينكح ولكنه لا يدخل بها حتى يحل ، وهو قول ابن عباس وابن مسعود . وقال سعيد بن المسيب وسالم والقاسم وسليمان بن يسار والليث والأوزاعي ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق : لا يجوز للمحرم أن ينكح ولا ينكح غيره فإن فعل ذلك ، فالنكاح باطل ، وهو قول عمر وعلي . انتهى . قلت : لا حجة لهم برواية ابن عباس هذه لأنها مخالفة لرواية أكثر الصحابة ولم يروه كذلك إلا ابن عباس وحده وانفرد به ، قاله القاضي عياض ، ولأن سعيد بن المسيب وغيره وهموه في ذلك وخالفته ميمونة وأبو رافع فرويا أنه نكحها وهو حلال وهو أولى بالقبول لأن ميمونة هي الزوجة وأبو رافع هو السفير بينهما فهما أعرف بالواقعة من ابن عباس لأنه ليس له من التعلق بالقصة ما لهما ولصغره حينئذ عنهما إذ لم يكن في سنهما ولا يقرب منه فإن لم يكن وهما فهو قابل للتأويل بأنه تزوجها في أرض الحرم وهو حلال فأطلق ابن عباس على من في الحرم أنه محرم لكن هو بعيد ، وأجيب عن التفرد بأنه قد صح من رواية عائشة وأبي هريرة نحوه كما قاله الحافظ في الفتح ، وقول سعيد بن المسيب أخرجه أبو داود وسكت عنه هو ثم

الْمُنْذِرِيُّ ، وَفِي إِسْنَادِهِ رَجُلٌ مَجْهُولٌ فَالْقَوْلُ الْمُحَقَّقُ فِي جَوَابِهِ بِأَنَّ رِوَايَةَ صَاحِبِ الْفِصَّةِ وَالسَّفِيرِ فِيهَا أَوْلَى لِأَنَّهُ أَخْبَرَ وَأَعْرَفَ بِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ : وَأَجَابُوا عَنْ حَدِيثِ مَيْمُونَةَ بِأَنَّهُ اُخْتَلَفَ فِي الْوَاقِعَةِ كَيْفَ كَانَتْ وَلَا تَقُومُ بِهَا الْحُجَّةُ وَلِأَنَّهَا تَحْتَمِلُ الْخُصُوصِيَّةَ فَكَانَ الْحَدِيثُ فِي النَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ أَوْلَى بِأَنْ يُؤْخَذَ بِهِ . وَقَالَ عَطَاءٌ وَعِكْرَمَةُ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ يَجُوزُ لِلْمَحْرَمِ أَنْ يَتَزَوَّجَ كَمَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَشْتَرِيَ الْجَارِيَةَ لِلْوَطْءِ ، وَتُعَقَّبَ بِأَنَّهُ قِيَاسٌ فِي مُعَارَضَةِ السُّنَّةِ فَلَا يُعْتَبَرُ بِهِ . وَأَمَّا تَأْوِيلُهُمْ حَدِيثَ عَثْمَانَ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْوَطْءُ ، فَمَتَّعَبٌ بِالتَّصْرِيحِ فِيهِ بِقَوْلِهِ وَلَا يَنْكِحُ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَيَقُولُهُ فِيهِ وَلَا يَخْطُبُ انْتَهَى .

قَالَ الْمُنْذِرِيُّ : وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالتَّسَائِيُّ بِنَحْوِهِ .

(وَهَمَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِخْ) : هَذَا هُوَ أَحَدُ الْأَجْوِبَةِ الَّتِي أَجَابَ بِهَا الْجُمْهُورُ عَنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ . أَهـ

أَلْخَصَ مَا سَبَقَ عَلَى وَجْهَيْنِ :

الوجه الأول : إِنْ الْمَقْصُودُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ : " تَزَوَّجَهَا " أَيِ : خَطَبَهَا ، وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا وَهُوَ مُحْرَمٌ ، بَلْ دَخَلَ بِهَا بَعْدَ التَّحْلِيلِ مِنَ الْإِحْرَامِ . يَتَضَحُّ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْجَمْعِ بَيْنَ الرِّوَايَاتِ ، فِيهِ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ بِرَقْمِ 3926 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : " تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرَمٌ وَبَنَى بِهَا وَهُوَ حَلَالٌ وَمَاتَتْ بِسَرَفٍ " .

الوجه الثاني : إِنْ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - (وَهَمَ) ؛ خَالَفَتْهُ مَيْمُونَةَ وَأَبُو رَافِعٍ فَرَوِيَا أَنَّهُ نَكَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ حَلَالٌ وَهُوَ أَوْلَى بِالْقَبُولِ ؛ لِأَنَّ مَيْمُونَةَ هِيَ الزَّوْجَةُ وَأَبُو رَافِعٍ هُوَ السَّفِيرُ بَيْنَهُمَا فَهُمَا أَعْرَفَ بِالْوَاقِعَةِ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِنَ الشَّعْلِ بِالْقِصَّةِ مَا لَهُمَا ، وَلِصِغَرِهِ حِينَئِذٍ عَنْهُمَا إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي سِنِّهِمَا ، فَلَمْ يَدْرِكْ جِدًّا الْأَمْرَ عَلَى حَقِيقَتِهِ .

يُوضَحُ ذَلِكَ (صَغُرَ سَنَهُ) مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ كِتَابِ تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ (ج 1 / ص 378) قَائِلًا : وَلَدَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَامَ الشَّعْبِ فِي الشَّعْبِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ ، فَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةً ، وَقِيلَ : ابْنُ عَشْرِ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ ، وَقِيلَ : ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةٍ ، وَرَجَّحَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُ . وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ :

مررت في حجة الوداع على أتان بين يدي الصف والنبى ﷺ يصلى بالناس بمنى وأنا غلام قد ناهزت الاحتلام.

ونلاحظ أيضا : أنه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - هو الوحيد من أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ الذي تفرد بهذه الرواية : " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرَمٌ " .

وبالتالي : نقدم قول صاحبة الشأن (مَيْمُونَةَ) وسفير الزواج (أَبِي رَافِعٍ) كما جاء في الاتي :

10- صحيح مسلم برقم 2529 عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ حَدَّثَنِي مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهُوَ حَلَالٌ قَالَ وَكَانَتْ خَالَتِي وَخَالَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ .

11- سنن الترمذي برقم 770 عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَيْمُونَةَ وَهُوَ حَلَالٌ وَبَنَى بِهَا وَهُوَ حَلَالٌ وَكُنْتُ أَنَا الرَّسُولَ فِيمَا بَيْنَهُمَا. صححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم 2695.

قلتُ : إن الراجح عندي الوجه الثاني ، ولو ثبت أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تزوجها وهو محرم لصار ذلك شرعا لنا ، و لكان ذلك معروفاً لدى الجميع ، ويصير مباحاً للمسلم أن يتزوج وهو محرم ، إلا إذا كان ذلك من خصائصه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهذا لا دليل عليه .

رد شبهة : نبيُّ يتزوج من امرأة قبل انقضاء عدتها (صفية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -) !
أثاروا شبهةً للطعن في أخلاقِ نبيِّنا ﷺ مفادها أنهم قالوا عن زواجِ النَّبِيِّ ﷺ من صفية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : إنه ﷺ تزوجها قبل انقضاء عدتها ...!

ثم قالوا : كيف يدخل بها دون عدة بعد سببها من غزوةِ خيبر ..؟! وتعلقوا على ذلك بما جاء في صحيح البخاري كتاب(المغازي) باب (غزوةِ خيبر) برقم 3889 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَدِمْنَا خَيْبَرَ فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ ذَكَرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حِمْيَرَ بْنِ أخطبَ وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا وَكَانَتْ عُرُوسًا فَاصْطَفَاهَا النَّبِيُّ ﷺ لِنَفْسِهِ فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا

سَدَّ الصَّهْبَاءَ حَلَّتْ فَبَيْنَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نَطْعٍ صَغِيرٍ ثُمَّ قَالَ لِي: أَذْنُ مَنْ حَوْلَكَ فَكَانَتْ تِلْكَ وَلَيْمَتُهُ عَلَى صَفِيَّةٍ ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بَعَاءَةً ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ وَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ.

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذه الشبهة تدل على جهلٍ مثيرها ، وعلى عمى في أبصارهم أيضاً ؛ لأن من الواضح لي أنهم لا يعرفون الفرق بين عدة المرأة المسبية ، وبين غيرها فهذا من جهلهم ! فعدة المرأة المسبية : هي أن تستبرئ بحيضة واحدة ؛ تدلل على ذلك عدة أدلة منها:

1- مسند أحمد برقم 11396 ، وفي سنن أبي داود برقم 1843، و صححه الألباني في سنن أبي داود برقم 2157 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَفَعَهُ أَنَّهُ قَالَ فِي سَبَايَا أَوْطَاسَ: " لَا تُوطَأُ حَامِلٌ حَتَّى تَضَعَ وَلَا غَيْرَ ذَاتِ حَمْلٍ حَتَّى تَحِيضَ حَيْضَةً " .

2- مسند أحمد برقم 16383 وفي سنن أبي داود برقم 1844 عَنْ رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَامَ فِينَا خَطِيبًا قَالَ: أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَالَ : " لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْقِيَ مَاءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ يَعْنِي إِتْيَانَ الْحَبَالَى وَلَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَقَعَ عَلَى امْرَأَةٍ مِنَ السَّبْيِ حَتَّى يَسْتَبْرئَهَا وَلَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَبِيعَ مَغْنَمًا حَتَّى يُقَسِّمَ " .

حسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم 2158 .

إذاً تبين مما سبق : أن عدة المسبية الحامل هي أن تضع حملها ، وعدة غير الحامل أن تحيض حيضة واحدة. وأما عن عمى أبصارهم أقول : جاء في الحديث الذي استشهدوا به ما نصه : " فَاصْطَفَاهَا النَّبِيُّ ﷺ لِنَفْسِهِ فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ حَلَّتْ فَبَيْنَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.... " .

نلاحظ : كلمة (حَلَّتْ) أي : طهرت ، وأصبحت حلالاً له ﷺ.

قال ابن حجر في شرحه : قوله : (حَلَّتْ) أي: طَهَّرَتْ مِنَ الْحَيْضِ .

وعليه تسقط شبهتهم - بفضل الله - .

ثانياً : إن ما ثبت في صحيح البخاري بيانه أيضا هو ما ثبت في صحيح مسلم كتاب (النِّكَاحِ) بَاب (فَضِيلَةِ إِعْتَاقِهِ أَمَتَهُ ثُمَّ يَتَزَوَّجُهَا) برقم 2564 عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ رَدَفَ أَبِي طَلْحَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ وَقَدِمِي تَمَسُّ قَدَمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : فَأَتَيْنَاهُمْ حِينَ بَزَغَتِ الشَّمْسُ وَقَدْ أَخْرَجُوا مَوَاشِيَهُمْ وَخَرَجُوا بِفُؤُوسِهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ وَمُرُورِهِمْ فَقَالُوا : مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " خَرِبْتُ خَيْبَرَ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ { فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ } " قَالَ : وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَوَقَعَتْ فِي سَهْمٍ دَحِيَّةٌ جَارِيَةٌ جَمِيلَةٌ فَاشْتَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعَةِ أَرُوسٍ ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَى أُمِّ سَلِيمٍ تَصْنَعُهَا لَهُ وَتَهَيِّئُهَا قَالَ : وَأَحْسَبُهُ قَالَ : وَتَعْتَدُ فِي بَيْتِهَا وَهِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَبِيٍّ قَالَ : وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلِيمَتَهَا التَّمْرَ وَالْأَقِطَ وَالسَّمْنَ فَحَصَّتِ الْأَرْضُ أَفَاحِيصَ وَجِيءَ بِالْأَنْطَاعِ فَوُضِعَتْ فِيهَا وَجِيءَ بِالْأَقِطِ وَالسَّمَنِ فَشَبَعَ النَّاسُ قَالَ : وَقَالَ النَّاسُ : لَا نَدْرِي أَتَزَوَّجُهَا أَمْ اتَّخَذَهَا أُمَّ وَلَدٍ قَالُوا : إِنْ حَبَبَهَا فَهِيَ أَمْرَأَتُهُ وَإِنْ لَمْ يَحَبِّبْهَا فَهِيَ أُمَّ وَلَدٍ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَ حَبَبَهَا فَقَعَدَتْ عَلَى عَجْرِ النَّبْعِ فَعَرَفُوا أَنَّهُ قَدْ تَزَوَّجَهَا فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَفَعْنَا قَالَ : فَعَثَرَتِ النَّاقَةُ الْعَضْبَاءُ وَنَدَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَدَرَتْ فَقَامَ فَسْتَرَهَا وَقَدْ أَشْرَفَتِ النِّسَاءُ فَقُلْنَ أَبْعَدَ اللَّهُ الْيَهُودِيَّةَ قَالَ : قُلْتُ يَا أَبَا حَمْزَةَ : أَوْقَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِي وَاللَّهِ لَقَدْ وَقَعَ .

قال النووي - رحمه الله - في شرحه : قوله : (حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سَلِيمٍ فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُرُوسًا) وفي الرواية التي بعد هذه : (ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَى أُمِّ سَلِيمٍ تَصْنَعُهَا وَتَهَيِّئُهَا قَالَ : وَأَحْسَبُهُ قَالَ : وَتَعْتَدُ فِي بَيْتِهَا) .

أما قوله : (تَعْتَدُ) فَمَعْنَاهُ تَسْتَبْرِئُ فَإِنْ كَانَتْ مَسْبِيَّةً يَجِبُ اسْتِبْرَاؤُهَا وَجَعَلَهَا فِي مَدَّةِ الْاسْتِبْرَاءِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلِيمٍ ، فَلَمَّا انْقَضَى الْاسْتِبْرَاءُ جَهَّزَتْهَا أُمُّ سَلِيمٍ وَهَيَّأَتْهَا أَيَّ زِينَتِهَا وَجَمَلَتْهَا عَلَى عَادَةِ الْعُرُوسِ بِمَا لَيْسَ بِمَنْهِيٍّ عَنْهُ مِنْ وَشْمٍ وَوَصْلٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ . وَقَوْلُهُ : (أَهْدَتْهَا) أَيَّ زَفَّتْهَا يُقَالُ : أَهْدَيْتِ الْعُرُوسَ إِلَى زَوْجِهَا أَيَّ :

زَفَفْتَهَا . وَالْعُرُوسُ يُطْلَقُ عَلَى الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ جَمِيعًا . وَفِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ وَمَعْنَاهُ
اعْتَدْتُ أَيَّ : اسْتَبْرَأْتُ ، ثُمَّ هَيَّأْتُهَا ، ثُمَّ أَهَدْتُهَا . أَهـ

قُلْتُ : لم ترد رواية واحدة صحيحة تقول : إن النبي ﷺ دخل بها (صفية) قبل أن تحل له ، بل الثابت هو ما تقدم معنا كما بينت - بفضل الله ﷻ - .

ثالثًا : كان من الواجب على المعارضين أن يبحثوا أولاً في كتابهم عن أحكام السبي ، وكيف تعامل المرأة المسيبة....؟

جاء في سفر التثنية إصحاح 21 عدد¹⁰ «إِذَا خَرَجْتَ لِمُحَارَبَةٍ أَعْدَانِكَ وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلَيْكَ إِلَى يَدِكَ، وَسَبَيْتَ مِنْهُمْ سَبِيًّا،¹¹ وَرَأَيْتَ فِي السَّبْيِ امْرَأَةً جَمِيلَةً الصُّورَةِ، وَالتَّصَقَّتَ بِهَا وَاتَّخَذَتْهَا لَكَ زَوْجَةً،¹² فَحِينَ تَدْخُلُهَا إِلَى بَيْتِكَ تَحْلِقُ رَأْسَهَا وَتَقْلَمُ أَظْفَارَهَا¹³ وَتَنْزِعُ ثِيَابَ سَبْيِهَا عَنْهَا، وَتَقْعُدُ فِي بَيْتِكَ وَتَبْكِي أَبَاهَا وَأُمُّهَا شَهْرًا مِنَ الرَّمَانِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَدْخُلُ عَلَيْهَا وَتَنْتَزِجُ بِهَا، فَتَكُونُ لَكَ زَوْجَةً.¹⁴ وَإِنْ لَمْ تُسَرَّ بِهَا فَأَطْلُقْهَا لِنَفْسِهَا. لَا تَبِيعُهَا بَيْعًا بَفِضَّةٍ، وَلَا تَسْتَرْقِهَا مِنْ أَجْلِ أُنْثَى قَدْ أَذَلَّتْهَا. لَا

تعليق!

رد شبهة : نبي يطلق امرأة (سودة) لأنها أسنت !

كعادتهم يعترضون دون تفكير أو بحث منصف ... اعترضوا بأن رسول الله ﷺ طلق سودة - رضي الله عنها - لمجرد أنها أسنت (كبرت في السن) ، واستشهدوا على ذلك بما جاء في الآتي :

1- صحيح البخاري كتاب (النكاح) باب (المرأة تهب يومها من زوجها لضررتها وكيف يقسم ذلك) برقم 4811 عن عائشة أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة .

2- سنن أبي داود كتاب (النكاح) باب (في القسم بين النساء) برقم 1823 حدثنا أحمد بن يونس حدثنا عبد الرحمن يعني ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت عائشة : يا ابن أخي كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسئت وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ يا رسول الله يومي لعائشة فقبل ذلك رسول الله ﷺ منها قالت : نقول في ذلك أنزل الله تعالى وفي أشباهها أراه قال : { وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً } .

صحيح سنن أبي داود للشيخ الألباني برقم 1868 .

الرد على الشبهة

أولاً : إن عنوان الشبهة باطل ، فهذا من الكذب على نبينا ﷺ ، وبالتالي ما بُني على باطل فهو باطل ؛ هذه الشبهة من بنات أفكارهم المليئة بالحق على رسول الله ﷺ فهي ليست من الحديثين اللذين استشهدوا بهما على شبهتهم ، وعليه تسقط الشبهة - بفضل الله ﷻ - .

ثانياً : إن زواج النبي ﷺ من سودة - رضي الله عنها - كان من الأساس زواج رافة ورحمة ، لا زواج رغبة ، فقد تزوجها النبي ﷺ وهي في السادسة والستين من عمرها ، وكانت قد أسلمت مع زوجها وهاجرا إلى الحبشة فراراً بدينهما من أذى مشركي قريش ، و مات بعد أن عادا ، وكان أهلها لا يزالون على الشرك ، فإذا عادت إليهم فتنوها في دينها ، فتزوجها رسول الله ﷺ ؛ لحمايتها من الفتنة ، ولكن بعد مدة من الزمن وصلت - رضي الله عنها - إلى درجة من الشيخوخة يصعب معها على رسول الله ﷺ أن يعطيها كامل حقوقها فهم بتطليقها أيضاً رافة بها ؛ كي لا يذرها كالمعلقة ، و كي لا يأتي الجهال في عصرنا ويقولون: إن الرسول ﷺ لم يكن يعدل بين زوجاته ، وكان هذا مجرد هم فقط ؛ أعني شيء يدور في خاطره

فَقَالَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : " فَإِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَلَا حَاجَةَ لِي بِالرِّجَالِ ، وَ لَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُبْعَثَ بَيْنَ نِسَائِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء 128) .

ومما يدل على ما سبق ما ثبت في سنن الترمذي برقم 2966 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: خَشِيتُ سَوْدَةَ أَنْ يُطَلِّقَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَتْ: لَا تُطَلِّقْنِي وَأَمْسِكْنِي، وَاجْعَلْ يَوْمِي لِعَانِشَةٍ فَفَعَلَ فَنَزَلَتْ: { فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ } فَمَا اصْطَلَحَا عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ جَائِزٌ كَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ . تحقيق الألباني : صحيح ، الإرواء (2020) .

وعليه : يبقى السؤال الذي يطرح نفسه بعد هذا العرض هو : أين طلق النبي ﷺ سودة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - لأنها أسنت ؟

الجواب : طلقها في عقولهم المريضة فقط

رد شبهة : نبي الإسلام طلق امرأة لأن بها بياض ... !

هكذا ادعوا ظناً منهم أنه ﷺ طلقها دون رحمة ؛ لأنها ليست جميلة... تعلقوا على ذلك بما جاء في المعجم الكبير للطبراني برقم 5855 حدثنا إسحاق بن داود الصواف التستري ثنا محمد بن سنان القزاز ثنا إسحاق بن إدريس عن عبد الحميد بن سليمان عن أبي حازم عن سهل بن سعد : أن النبي ﷺ تزوج امرأة من أهل البادية فرأى بها بياضاً ففارقها قبل أن يدخل بها.

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذا الحديث لا يصح من ناحية الإسناد لوجود إسحاق بن إدريس ...

ضعفه علماء أجلاء في الآتي :

1- إرواء الغليل للشيخ الألباني قال : إسحاق بن إدريس وهو متهم بالكذب وقد ترجمه الذهبي نفسه في " الميزان " أسوأ ترجمة.

وقال في ظلال الجنة : إسحاق بن إدريس وهو الأسواري البصري وهو متروك كما قال النسائي وكذا ابن معين...

2- كتاب المجروحين (ج 1 / ص 135) : إسحاق بن إدريس الاسواري من أهل البصرة كنيته أبو يعقوب يروى عن همام بن يحيى والكوفيين والبصريين، روى عنه نصر بن علي الجهضمي، وأهل البصرة كان يسرق الحديث، وكان يحيى بن معين يرميه بالكذب .

3- كتاب الجرح والتعديل (ج 2 / ص 213 729) إسحاق بن إدريس الاسواري البصري روى عن هشام وسويد أبي حاتم وإبراهيم بن جعفر روى عنه محمد بن المثنى سمعت أبي وابا زرعة يقولان ذلك (147 م).

قال أبو محمد روى عنه يزيد بن سنان البصري.

سمعت أبي يقول: تركه على ابن المديني.

سألت أبي عنه فقال: ضعيف الحديث ؟.

سئل أبو زرعة عنه فقال: واهي الحديث ضعيف الحديث روى عن سويد بن إبراهيم وأبي معاوية أحاديث منكورة.

ثانياً : جاء هذا الخبر في سنن البيهقي ، برواية مضطربة ... باب (ما يرد به النكاح من العيوب) (أخبرنا) أبو سعد الماليني أنبأ أبو أحمد بن عدى الحافظ أنبأ الحسن بن سفيان ثنا عبد الله بن عمر ثنا أبو بكير يعنى النخعي عن جميل بن زيد الطائي ثنا عبد الله بن عمر قال: تزوج رسول الله ﷺ امرأة من بنى غفار فلما أدخلت رأى بكشحتها وضحا فردها إلى أهلها ، وقال: دلستم على (قال وأخبرنا) أبو أحمد ثنا محمد بن موسى الحلواني ثنا أبو سعيد الأشج عبد الله بن سعيد ثنا أبو بكير النخعي واسم أبي بكير الوليد بن بكير كوفى عن جميل بن زيد عن ابن عمر قال: تزوج رسول الله ﷺ امرأة من بنى غفار - فذكره (وأخبرنا) احمد بن محمد الماليني أنبأ أبو أحمد بن عدى ثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ثنا محمد بن جعفر الوركاني ثنا القاسم بن غصن عن جميل

بن زيد عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ تزوج امرأة من بنى غفار فلما أدخلت عليه رأى بكشحها بياضا فناء عنها وقال أرخى عليك فخلى سبيلها ولم يأخذ منها شيئا - قال أبو أحمد: وجميل بن زيد تفرد بهذا الحديث، واضطرب الرواة عنه لهذا الحديث.

وعلى فرض صحة الحديث ، ليس هناك إشكالا فقد دلس الأهل على النبي ﷺ ، ولم يخبروه بعيوبها- أن بها بياض وهو (البرص) فردها إلى أهلها قبل أن يدخل عليها ، وهذا واضح جداً من الروايات ، وتوبيب البيهقي لما قال : باب (ما يرد به النكاح من العيوب)

وقد بين النبي ﷺ أن خير النساء من إذا نظرت إليها أسرتك... وقال لجابر انظر إليها فإن في عيون الأنصار شيء يقصد (ضيق) ... فالذي يلام بحسب الروايات التي لا تصح هم أهل الزوجة والزوجة ؛ لكذبهم على النبي ﷺ

ثالثاً : إن الإشكال الحقيقي يكمن عند المعترضين فإذا تزوج شخص منهم نصرانية مثله، ووجد بها عيباً خلقياً أو خلقياً لا ينبغي عليه أن يطلقها أبداً ويظل حبساً أسيراً ، مضغوطاً عليه ... وذلك لأن يسوع قال : لا طلاق إلا لعلة الزنى جاء في إنجيل متى إصحاح 5 عدد³² وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلَّا لِعِلَّةِ الزَّنى يَجْعَلُهَا تَزْنِي، وَمَنْ يَتَزَوَّجُ مُطَلَّقةً فَإِنَّهُ يَزْنِي. لا تعليق !

رد شبهة : تزوج نبي الإسلام من العالية بنت ظبيان !

أثيرت شبهة المقصد منها أن النبي ﷺ كان همه النساء ، لا الدعوة لدين الله... يقول أصحابها : إن محمداً كان له زوجات كثر ، لا يعرفونهن أغلب المسلمين منهم العالية بنت ظبيان التي جاء خبرها في التالي :

- 1- تفسير الدرر للباقي وروى معمر عن الزهري، أن العالية بنت ظبيان التي طلق النبي ﷺ تزوجت رجلاً وولدت له، وذلك قبل تحريم أزواج النبي ﷺ على الناس...
- 2- تفسير اللباب لابن أبي عادل: وروى معمر عن الزهري أن العالية بنت ظبيان التي طلق النبي ﷺ تزوجت رجلاً وولدت له وذلك قبل تحريم أزواج النبي ﷺ على الناس .
- 3- تفسير البحر المديد : وقال الزهري : إن العالية بنت ظبيان ، التي طلق النبي ﷺ تزوجت رجلاً وولدت له قبل أن يحرم أزواج النبي ﷺ.
- 4- الدر المنثور للسيوطي : وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في سننه عن ابن شهاب -رضي الله عنه- قال : بلغنا أن العالية بنت ظبيان طلقها النبي ﷺ لا قبل أن يحرم نساؤه على الناس فنكحت ابن عم لها وولدت فيهم
- 5- السنن الكبرى للبيهقي : (أخبرنا) أبو الحسين أنبأ عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب بن سفيان ثنا أصبغ بن فرج أخبرني ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال :بلغنا أن العالية بنت ظبيان التي طلقها تزوجت قبل أن يحرم الله نساءه فنكحت ابن عم لها وولدت فيهم ..
- 6- كنز العمال برقم 37812 عن معمر عن الزهري أن النبي ﷺ طلق العالية بنت ظبيان فتزوجها ابن عم لها وذلك قبل أن يحرم نكاحهن على الناس وولدت له.

الرد على الشبهة

إن هذه الشبهة باطلة لا أساس لها من الصحة، وما بني على باطل في هو باطل ؛ لأن الإسناد لا يصح ، وصدق ابن المبارك - رحمه الله - لما قال : " لولا الإسناد لقال من ما شاء " .

فمن خلال الإسناد الواهي تتسف الشبهة نسفا -بفضل الله- ؛لأن فيها مرسل الزهري وحكم على مراسيل الزهري بعدم القبول كما يلي:

1- سير إعلام النبلاء (ج5/ ص 388) : قال يحيى بن سعيد القطان: مرسل الزهري شر من مرسل غيره، لأنه حافظ، وكل ما قدر أن يسمى سمي، وإنما يترك من لا يحب أن يسميه. أه

2- تذكرة الحفاظ (ج1/ ص111) : قال أبو قدامة السرخسي قال يحيى بن سعيد: مرسل الزهري شر من مرسل غيره لأنه حافظ وكلما قدر أن يسمى سمي، وإنما يترك من لا يستجيز أن يسميه. أه

3- تاريخ دمشق (ج55/ ص 368) : عبد الله الحافظ قال سمعت أبا أحمد محمد بن أحمد بن شعيب التاجر يقول سمعت أبا محمد الحسن بن علي بن مخلد يقول سمعت أبا قدامة عبيد الله بن سعيد يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول مرسل الزهري شر من مرسل غيره لأنه حافظ وكل ما قدر أن يسمى سمي وإنما يترك من لا يحسن أو يستجيز أن يسميه .

وفي نفس المرجع (ج55 / ص 369) : أنبأنا محمد بن أحمد بن يعقوب ثنا جدي قال وسمعت عليا يقول مرسلات الزهري رديئة قال : وسمعت عليا يقول: وقيل له : حديث النذر حديث أبي سلمة فقال : إنما سمعه الزهري من سليمان بن أرقم قال: علي من ثم قلت :إن مرسلات الزهري رديئة . أه
إذا : فمن خلال ما سبق نسفت الشبهة نسفاً - بفضل الله - .

رد شبهة : نبي يباشر نساءه في المحيض !

يرددون هذا الحديث مراراً وتكراراً ظناً منهم أنه يطعن في سلوك رسول الله ﷺ هو في الصحيحين :

1- صحيح البخاري كتاب (الحِيضِ) باب (مُبَاشَرَةِ الْحَائِضِ) برقم 291 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَتْ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبَاشِرَهَا أَمَرَهَا أَنْ تَتَزَرَّ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا ثُمَّ يُبَاشِرُهَا قَالَتْ : وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْلِكُ إِرْبَهُ.

2- صحيح مسلم كتاب (الحيض) باب (مباشرة الحائض فوق الإزار) برقم 441 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا أَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَأْتِرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا ثُمَّ يَبَاشِرُهَا قَالَتْ : وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْلِكُ إِرْبَهُ .

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذا الحديث الذي معنا فيه بيان عملي من رسول الله ﷺ يعلمنا فيه ماهية حدود علاقة الرجل بزوجه وهي حائض ، وبعض من الأحكام التي تتعلق بحيضة المرأة ، فالملاحظ من سنة رسول الله ﷺ في معاملة المرأة الحائض تمثل قمة التكريم لها ، كما تمثل عظمة أخلاقه ﷺ في سلوكه مع أهل بيته ﷺ إذا أصابهن ما كتبه الله ﷻ عليهن (الحيض) الذي كُتب على بناتِ حواء....

فالمرأة في فترة حيضتها ، تكون شبه مريضة أو مريضة يُصبها توعك وآلام يجعلها تشعر في تلك الفترة بالهبوط والضييق ، ونجد أن أغلبية الرجال يشعرون تجاهها في تلك الفترة بالاشمئزاز ، والنفور من الرائحة المرافقة للطمث. وشم هذه الرائحة الشهرية لا يقتصر على منطقة الأعضاء الجنسية، بل تمتد في بعض النساء إلى إفرازات الجلد والنفس وكل هذا، ولا شك مما قد يفسد العلاقة بين الرجل وزوجه في تلك الفترة التي تعتري المرأة ...

وعليه أتساءل : هل يعتزل المسلم زوجته الحائض في تلك الفترة؟ أم يمثل لسنة النبي ﷺ مع أهل بيته في تلك الفترة التي تحيض فيها المرأة ؛ فيكون لذلك أطيب الأثر في العلاقة بينه وبينها ، ويكون له الأجر جزاء امتثاله لسنة رسول الله ﷺ ؟ هذا هو.

ثانياً : إن هذا الحديث بيان عملي لقوله ﷺ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ النَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة 22). الآية الكريمة تتحدث عن وجوب اعتزال الرجل زوجته الحائض، وعدم الاقتراب منها ؛ حتى تطهر من حيضتها....

وأتساءل : فهل الاعتزال وعدم الاقتراب منها المشار إليه في الآية الكريمة ، كما هو مفهوم عند اليهود (أنها نجسة)

الجواب : هذا السؤال ورد على لسان أصحاب رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم برقم 455 عن أنس رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت فسأل أصحاب النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ إلى آخر الآية ، فقال رسول الله ﷺ : " اصنعوا كل شيء إلا التكاثر " فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا : يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا فلا نجامعهن ؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفا أن لم يجد عليهما .

إذا : كانت الإجابة البيان القولی والعملی من رسول الله ﷺ بإباحة كل شيء من الزوجة الحائض إلا الجماع0 فالمراد بالاعتزال في الآية هو:اعتزال الفرج فقط في فترة الحيض ، وما عدا ذلك فهو مباح ، وسنة عن نبينا ﷺ ، مل أن يأكلا ويشربا معا ، ويتضع بجانبها عند النوم ، ويباشرها فيما عدا الفرج فقط ...

يدعم ما سبق بيانه ما جاء في التفسير الميسر لقوله ﷺ: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } (البقرة).

ويسألونك عن الحيض- وهو الدم الذي يسيل من أرحام النساء جبلة في أوقات مخصوصة-، قل لهم -أيها النبي-: هو أذى مستقذر يضر من يقربه، فاجتنبوا جماع النساء مدة الحيض حتى ينقطع الدم، فإذا انقطع الدم، واغتسلن ، فجامعوهن في الموضع الذي أحله الله لكم، وهو القبل لا الدبر. إن الله يحب عباده المكثرين من الاستغفار والتوبة، ويحب عباده المتطهرين الذين يبتعدون عن الفواحش والأفذار . أهـ

ثالثاً : إن الكتاب المقدس يبين لقارئه أن المرأة أثناء فترة حيضتها تكون نجسة ، وكل ما تمسه يكون نجس

قلتُ : كأنها كلب أجرب ... وذلك في سفر الأويين الإصحاح الخامس عشر بأكمله، وأقتطف منه فقط تلك النصوص 19 «وإذا كانت امرأة لها سيل، وكان سيلها دمًا في لحمها، فسبعة أيام تكون في طمئتها. وكل من مسها يكون نجسًا إلى المساء. ²⁰ وكل ما تضطجع عليه في طمئتها يكون نجسًا، وكل ما تجلس عليه يكون نجسًا. ²¹ وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسًا إلى المساء. ²² وكل من مس متاعًا تجلس عليه، يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسًا إلى المساء. ²³ وإن كان على الفراش أو على المتاع الذي هي جالسة عليه عندما يمسه، يكون نجسًا إلى المساء. ²⁴ وإن اضطجع معها رجل فكان طمئتها عليه يكون نجسًا سبعة أيام. وكل فراش يضطجع عليه يكون نجسًا ... لا تعليق !

وبين الكتاب المقدس لقارئه أن المرأة إذا حبّلت بذكر تكون نجسة مدة أسبوع وذلك في سفر الأويين إصحاح 12 عدد ¹ وكلّم الرب موسى قائلاً: ² «كلّم بني إسرائيل قائلاً: إذا حبّلت امرأة وولدت ذكراً، تكون نجسة سبعة أيام. كما في أيام طمئ علتها تكون نجسة. ³ وفي اليوم الثامن يحنّ لحم غرلته. ⁴ ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوماً في دم تطهيرها. كل شيء مقدّس لا تمسّ، وإلى المقدّس لا تجي حتى تكمل أيام تطهيرها. وعليه أتساءل : هل كانت مريم أم الرب يسوع بزعمهم كانت نجسة مدة أسبوع لما حبّلت بيسوع الإله ؟!

وأتساءل بصيغة أخرى : هل كانت مريم أم الرب نجسة عندما أنجبت الرب؟

أم هل كان يسوع سبباً في نجاستها مدة سبعة أيام..... ؟!

جاء في إنجيل لوقا إصحاح 2 عدد ²² ولما تمتّ أيام تطهيرها، حسب شريعة موسى، صعدوا به إلى أورشليم ليقدّموه للرب.

نلاحظ : " ولما تمتّ أيام تطهيرها " تطهيرها من ماذا ؟ هل كانت نجسة ؟!

لا تعليق !

رد شبهة : نبيّ يقبل زوجته ويمصّ لسانها وهو صائم !

قالوا: هل هذا معقول أن يُقبل رسولُ الإسلامِ زوجته وهو صائم ، ويمص لسانها !
اعتمدوا في شبهتهم على ما جاء في سنن أبي داود كتاب (الصَّوْم) باب (الصَّائِمُ يَبْلَعُ الرِّيقَ) برقم 2038 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيْسَى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ دِينَارٍ حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ أَوْسٍ الْعَبْدِيُّ عَنْ مِصْدَعِ أَبِي يَحْيَى عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْبَلُهَا وَهُوَ صَائِمٌ وَيَمصُّ لِسَانَهَا. قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : هَذَا الْإِسْنَادُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ .

الرد على الشبهة

إن الحديث (محل الشبهة) غير صحيح ، فلو كلف المعترضون أنفسهم أن يقرءوا الحديث إلى آخره ما طرحوا الشبهة لأن أبا داود - رحمه الله - لما ذكر الحديث قال في آخره: قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : هَذَا الْإِسْنَادُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ.

وقد ضعفه الألباني - رحمه الله - في ضعيف سنن أبي داود برقم 2386 ، المشكاة (2005) . وعليه كأننا لم نقرأه ، ولم نسمعه ، لأنه لم يصح أن يحتج به علينا .

رد شبهة : نبيُّ يقرأ القرآن في حجر زوجته عائشة وهي حائض !

قالوا : رسولُ الإسلام كان يقرأ القرآن وهو متكئ على حجر عائشة وهي حائض ... يا له من أشكالٍ !....! استدلووا على ذلك بما جاء في الآتي :

1- صحيح البخاري كتاب (الْحَيْض) باب (قِرَاءَةُ الرَّجُلِ فِي حَجْرِ امْرَأَتِهِ وَهِيَ حَائِضٌ) برقم 288 حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ الْفَضْلُ بْنُ دَكَيْنٍ سَمِعَ زُهَيْرًا عَنْ مَنْصُورِ بْنِ صَفِيَّةٍ أَنَّ أُمَّهُ حَدَّثَتْهُ أَنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَكئُ فِي حَجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ يقرأُ الْقُرْآنَ .

2- صحيح البخاري أيضاً كتاب (التَّوْحِيدِ) باب (قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكَرَامِ الْبَرَّةِ وَزَيْنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ) برقم 6994 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يقرأُ الْقُرْآنَ وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ .

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذا الحديث يدل على عظمة ورحمة هذا الدين ، وهذا النبي الكريم ﷺ مع أهله ؛ لأن الإسلام لم يقل : إن المرأة الحائض نجسة ؛ تتجس كل شيء تمسه ، ولم يقل : إن المسلم ينجس عموماً ، بل الثابت أن المسلم طاهر لا ينجس ؛ وبالتالي فهو لا ينجس من حوله... ثبت ذلك في صحيح البخاري برقم 274 عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ لقيه في بعض طريق المدينة وهو جنب فأنخنست منه فذهب فاغتسل ثم جاء فقال : أين كنت يا أبا هريرة ؟ قال : كنت جنباً فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة. فقال : " سبحان الله إن المسلم لا ينجس " .

وعليه : فإن المسلمة الحائض ليست بنجسة ، وهذا كافٍ لإبطال الشبهة - بفضل الله ﷻ

- .

تنبيه هام : إن بعض المسلمين إذا سلم على كافر وهو متوضئ ، أعاد الوضوء اعتقاداً منه أن الكافر نجس ينقض وضوءه لمجرد مصافحته ... ويستدل على فعله بقوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عِيلَةً فَسُوفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة 28) .

قلتُ : إن هذا الفهم مغلوط ، فالنجاسة هنا ليست نجاسة جسد ؛ وإنما هي نجاسة عقيدة ؛ نجاسة معتقد فقط ؛ نجاسة ليس مادية ، وإنما هي في قلبه ؛ فما أعظم هذا الدين الذي كرم بني آدم لما قال ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء 70) . وما أعظم هذا الرسول الذي يتكئ على حجر زوجته الحائض ، ويقرأ القرآن ؛ حتى لا يشعرها بنقص فيها ، ويشعرها بأنها ليست نجسة ، وأن الحيض كتبه الله ﷻ على بنات حواء لا ينقص من قدرها ومكانتها

كما أن في الحديث فائدة ذكرها ابن حجر في فتح الباري قائلاً : قال النووي : وفيه جواز استئذان المريض في صلاته إلى الحائض إذا كانت أثوابها طاهرة ، قاله القرطبي . أهـ

قلتُ : بل ويمكن للمرأة نفسها أن تتعبد بقراءة القرآن دون النطق به ، ويمكنها تقليب صفحاته باستعمال سواك ، أو بارتداء قفاز ، أو ما شابه ذلك ؛ بل وعند ابن حزم وغيره يمكنها الجهر بقراءة القرآن وهي حائض دون أن تمس المصحف.

ثانياً : إن الإشكال الحقيقي يكمن في تصورهم المتطرف لوضع المرأة الحائض ، وجعلها كالقاذورات التي تتجس كل ما تمسه ، وذلك بحسب ما جاء في الكتاب المقدس ، وهذا ليس من شريعة الإسلام الوسطية العادلة الرحيمة ، فالمرأة إن كانت لا يمكنها الصلاة ، أو الصيام وهي حائض ، إلا أنها لا تتجس زوجها إذا مسته ، و لا تتجس أي شيء تمسه ، ولا ينظر إليها في حيضها بهذا الازدراء لكن بالنظر إلى الكتاب المقدس نجد أن المرأة الحائض مذنبه! أكتفي بذكر ما جاء في سفر الأيوين إصحاح 15 عدد عدد 25 «وَإِذَا كَانَتْ امْرَأَةٌ يَسِيلُ سَيْلُ دَمِهَا أَيَّامًا كَثِيرَةً فِي غَيْرِ وَقْتِ طَمَثِهَا، أَوْ إِذَا سَالَ بَعْدَ طَمَثِهَا، فَتَكُونُ كُلَّ أَيَّامٍ سَيَّالِنِ نَجَاسَتِهَا كَمَا فِي أَيَّامِ طَمَثِهَا. إِنَّهَا نَجِسَةٌ. 26 كُلُّ فِرَاشٍ تَضَطَّجَ عَلَيْهِ كُلَّ أَيَّامٍ سَيْلِهَا يَكُونُ لَهَا كَفِرَاشِ طَمَثِهَا. وَكُلُّ الْأَمْتَعَةِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجِسَةً كَنَجَاسَةِ طَمَثِهَا. 27 وَكُلُّ مَنْ مَسَّهَا يَكُونُ نَجِسًا، فَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ....

قلتُ : إن تلك النصوص تبين أن المرأة الحائض نجسة ، وتنجس من حولها ... وبعد ذلك ينكرون علينا أننا لم نقل بنجاستها !

وأما عن اعتراضهم على أن رسول الله ﷺ كان يقرأ القرآن وهو متكئ على حجر عائشة - رضي الله عنها - وهي حائض فقد بينت أن المرأة ليست نجسة في حيضتها ، وأن المؤمن لا ينجس، وأن الحيض أمر كتبه الله على بنات حواء ... لكن الأمر المثير للدهشة هو أنني سمعت زعيمهم القمص الموقوف زكريا بطرس يقول: لا مانع من أن نقرأ الكتاب المقدس في الحمام ؛ لأن الله في كل مكان ؛ في الحمام ، وفي المسران الغليظ يعني : في الخراء !

قلتُ : - سبحان الله - إن أتباعه لم ينكروا عليه أنه يقرأ الكتاب المقدس في الحمام وفيه ما فيه من نجاسة ، وينكرون علينا أن رسول الله ﷺ كان يقرأ القرآن وهو متكئ على حجر زوجته التي ليست نجسة !

رد شبهة : نبي زوجته (عائشة) تقول: وأيكم يملك إربه !

حاولوا الطعن في النبي ﷺ من خلال زوجته الطاهرة العفيفة عائشة - رضي الله عنها - ، فقالوا : كيف عرفت عائشة أن رسول الإسلام كان أكثر الرجال يملك إربه ...؟ فهل كانت على خلق غير مستقيم ؟!

وتعلقوا بما جاء في صحيح البخاري كتاب (الحيض) باب (مباشرة الحائض) برقم 291 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَتْ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبَاشِرَهَا أَمَرَهَا أَنْ تَتَرَّرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا ثُمَّ يُبَاشِرُهَا قَالَتْ : وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْلِكُ إِرْبَهُ .

الرد على الشبهة

أولاً : إن معنى قول عائشة - رضي الله عنها - الذي أُشكل فهمه عند المعترضين لما سُئلت عن مباشرة النبي ﷺ لنسائه في الحيض فأجابت قائلة : " وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْلِكُ إِرْبَهُ ؟ " .

يفهم بجملة واحدة فقط هي : إذا كان أحدكم يملك إربه كما كان النبي ﷺ فليفعل كما فعل النبي ﷺ .

بهذه الجملة تنتهي الشبهة التي هي أوهن من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون - بفضل الله - .

والإرب أي : الحاجة وهي في قول الله ﷻ على لسان موسى ﷺ لما سأله ربه ﷻ عن عصاه : ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ (طه 18) .

مآرب أخرى أي : حاجات أخرى .

ومعنى يملك إربه في الحديث أي : كان النبي ﷺ يضبط نفسه عند المباشرة عن الفرج وَيَتَّقُ مِنْهَا بِاجْتِنَابِهِ ، أضف إلى ذلك أنه علم بالضرورة أن النبي ﷺ أوتي تمام الخلق ،

ومعالي الهمم فمعرفة أنه أملك الناس لشهوته لا تحتاج إلى سؤال أو استفتاء ؛ ثبت في صحيح البخاري برقم 260 قال أنس رضي الله عنه : كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ .

قُلْتُ : إن قول أنس رضي الله عنه في الحديث كان على سبيل المبالغة في القوة لا أكثر .

إِذَا : كان هذا أمراً مفروغاً منه ، ومعلوماً عند الجميع

ثم إننا لم نسمع أن واحداً من الصحابة رضي الله عنهم أو المنافقين أو المشركين أنكر على عائشة - رضي الله عنها - ما قالت ، وفهم كما فهم المعتضون بقولهم - قبحهم الله - .

يُدْعَم ما سبق هو ما قاله ابن حجر في الفتح في قولها : (يَمْلِكُ إِرْبَهُ)

بِكَسْرِ الهمزة وسكون الراء ثم موحدة ، قيل المراد عضوه الذي يستمتع به ، وقيل حاجته ، والحاجة تسمى إرباً بالكسر ثم السكون وأرباً بفتح الهمزة والراء ، وذكر الخطابي في شرحه أنه روي هنا بالوجهين ، وأنكر في موضع آخر كما نقله النووي وغيره عنه رواية الكسر ، وكذا أنكرها النحاس . وقد ثبتت رواية الكسر ، وتوجيهها ظاهر فلا معنى لإنكارها ، والمراد أنه رضي الله عنه كان أملك الناس لأمره ، فلا يخشى عليه ما يخشى على غيره من أن يحوم حول الحمى ، ومع ذلك فكان يباشر فوق الإزار تشريعاً لغيره ممن ليس بمعصوم . وبهذا قال أكثر العلماء ، وهو الجاري على قاعدة المالكية في باب سد الذرائع . وذهب كثير من السلف والثوري وأحمد وإسحاق إلى أن الذي يمتنع في الاستمتاع بالحائض الفرج فقط ، وبه قال محمد بن الحسن من الحنفية ورجحه الطحاوي ، وهو اختيار أصبغ من المالكية ، وأحد القولين أو الوجهين للشافعية واختاره ابن المنذر . وقال النووي : هو الأرجح دليلاً لحديث أنس في مسلم " اصنعوا كل شيء إلا الجماع " وحملوا حديث الباب وشبهه على الاستحباب جمعاً بين الأدلة . وقال ابن دقيق العيد : ليس في حديث الباب ما يقتضي منع ما تحت الإزار ؛ لأنه فعل مجرد . انتهى . ويدل على الجواز أيضاً ما رواه أبو داود بإسناد قوي عن عكرمة عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد من الحائض شيئاً ألقى على فرجها ثوباً ، واستدل الطحاوي على الجواز ن المباشرة تحت الإزار دون الفرج لا توجب حداً ولا عسلاً فأشبهت المباشرة فوق الإزار . وفصل بعض الشافعية فقال : إن كان يضبط نفسه عند المباشرة عن الفرج ويثق منها باجتنابه جاز وإلا فلا ، واستحسنه النووي . ولا يبعد تخريج وجه مفرق بين ابتداء

الْحَيْضَ وَمَا بَعْدَهُ لظَاهِرِ التَّقْيِيدِ بِقَوْلِهَا " فَوْرَ حَيْضَتِهَا " ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَّقِي سَوْرَةَ الدَّمِّ ثَلَاثًا ثُمَّ يَبَاشِرُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَيُجْمَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْمُبَاشَرَةِ عَلَى اخْتِلَافِ هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ . أَهـ

ثانيًا : إن الناظر في الكتاب المقدس يجد فيه أن بعض زوجات الأنبياء زناة ، ويجد كذلك أن بعض أبناء الأنبياء قد زنوا زنا محارم مع زوجات آبائهم الأنبياء

فالناظر فيه يجد الآتي :

1- أن رأوبين بن يعقوب زنا بزوجة أبيه وسريته (بلهة) ، وذلك في سفر التكوين اصحاح 35 عدد 22²² وَحَدَّثَ إِذْ كَانَ إِسْرَائِيلُ سَاكِنًا فِي تِلْكَ الْأَرْضِ، أَنَّ رَأُوبِينَ ذَهَبَ وَاضْطَجَعَ مَعَ بِلْهَةِ سُرِّيَةِ أَبِيهِ، وَسَمِعَ إِسْرَائِيلُ..

وفي نفس السفر خاطبه يعقوب قائلاً له: رأوبين، أَنْتَ بَكْرِي، قُوَّتِي وَأَوَّلُ قُدْرَتِي، فَضْلُ الرِّفْعَةِ وَفَضْلُ الْعِزِّ. فَائِزًا كَالْمَاءِ لَا تَتَفَضَّلُ، لِأَنَّكَ صَعِدْتَ عَلَى مَضْجَعِ أَبِيكَ. حِينَئِذٍ دَسَّسْتَهُ. عَلَى فِرَاشِي صَعَدَ.. (الإصحاح 49 عدد 3-4).

2- أن يهوذا بن يعقوب زنا بزوجة ابنه وسمع يعقوب ما صدر عن ابنه ، وما أقام عليهما الحد غير أنه دعا على الأكبر وقت موته ؛ لأجل هذا الموقف الشنيع ولم يلعن الآخر بل لم يغضب منه ، بل إنه دعا له بالبركة التامة عند الموت وهذا واضح من خلال الرجوع إلى القصة في سفر التكوين 38 عدد 12-30

3- أن أمنون بن داود زنا بأخته ثامار، وما أقام داودُ عليهما الحد بالرغم أن داودَ كان زانياً من قبلهما مستحقاً للحد ، فكيف يقيم الحد عليهما وهو مُستحق الحد ؟! القصة واردة في سفر صموئيل الثاني 13 عدد 1-40.

ثم إن إنجيل يوحنا نسب إلى مريم أم المسيح أنها كانت سيئة السمعة فهي متهمة بالزنا عند اليهود ، وذلك في الإصحاح 8 عدد 41 وفيه قال يسوع لليهود : « أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ آبَائِكُمْ ». فَقَالُوا لَهُ: «إِنَّا لَمْ نُولَدْ مِنْ زِنَا. لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ».

قلتُ : إن ما سبق نحن - المسلمين - نبرأ إلى الله منه ، و لا نصدقهُ ، وننزه أصحابه عن تلكم التهم المختلفة ...

رد شبهة : نبيّ يجمع نساءه في ليلة واحدة ويغسل واحد !

حاولوا الطعن في النبي ﷺ قائلين : إن رسول الإسلام كان يجمع نساءه في ليلة واحدة ويغسل واحد، وهن إحدى عشرة امرأة والدليل على ذلك ما جاء في صحيح البخاري (كِتَابُ الْغُسْلِ...) بَاب (إِذَا جَامَعَ ثُمَّ عَادَ وَمِنْ دَارٍ عَلَى نِسَائِهِ فِي غُسْلٍ وَاحِدٍ) برقم 260 عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ قَالَ : قُلْتُ لِأَنَسَ : أَوَكَانَ يُطِيقُهُ قَالَ : كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ . وَقَالَ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ : إِنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُمْ تِسْعَ نِسْوَةٍ .

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذا الحديث ليس فيه أدنى شبهة بل هو يدل على أنه ﷺ رجل كامل الرجولة ، وأنه نعم الزوج ، ويدل على أنه نبي صادق من عند الله ﷻ ؛ فهذا النبي ﷺ كان يكثر من الصيام ، والقيام ، ويزهد في الدنيا ، ويقلل من الطعام ، ويدعو الناسَ لدين الله ﷻ ، ويجاهد في سبيل الله ، ويحكم بين الناس بما أراه الله وعلى الرغم من ذلك كله أعطاه الله ﷻ القوة ليجمع زوجاته ، ويعطيهم حقوقهن ، مثل : العدل ، والإنفاق ، والحب لهن

وَأُتَسَاءَلُ : أليس ذلك قوة خارقة للعادة ؛ قوة في الجماع مع قلة طعام ، وكثرة الصيام ، وزهد ، وجهاد... ؟ الجواب : بلى .

إِذَا بَيَّعَ السُّؤَالُ الَّذِي يَفْرَضُ نَفْسَهُ هُوَ : هل كمال الرجولة ، مثل إعطاء الزوجات حقوقهن كاملة بالعدل أصبح نقصا ؟! هذا هو .

وعليه فإن المعارضين يقبحون كلّ جميل أتى به محمد ﷺ ، ويزينون كل قبيح وشاذ....

ثانياً : إن هذا الحديث تفرد به معاذ بن هشام عن أبيه، ورواه البخاري أيضاً عن سعيد بن أبي عروبة وغيره عن قتادة ، فقالوا : " تسع نسوة " وهى الرواية الراجحة؛ فَرَوَايَةُ هِشَامٍ تُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ ضَمَّ مَارِيَةَ وَرِيحَانَةَ إِلَيْهِنَّ وَأَطْلَقَ عَلَيْهِنَّ لَفْظَ " نِسَائِهِ " تَغْلِيْبًا .أهـ قاله ابن حجر في الفتح (ج 1 / ص 422) .

وعليه : كان هذا رداً علي قولهم : كان يجامع نساءه في ليلة واحدة ويغسل واحد ، وهن إحدى عشرة امرأة .

ثالثاً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه هو : هل قصر رسول الله ﷺ مع ربه في عبادته ، وأداء رسالته بسبب طوافه على نسائه جميعاً في ساعة واحدة من الليل أو النهار ؟

الجواب : لم يحدث ذلك ؛ بل كان النبي ﷺ يقضى نهاره في الجهاد ، والدعوة ، والحكم بين الناس ، والسعي في توطيد أركان دولته الجديدة.... ويقضى ليله في قيام الليل، وقراءة القرآن، والدعاء ، فكان يقوم الليل حتى تتورم قدماء فتسأله عائشة فيقول : " أفلا أكون عبداً شكوراً " . رواه مسلم برقم 5045 .

وفي موقف آخر رواه مسلم في صحيحه برقم 750 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: افْتَقَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَتَحَسَّسْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ فَإِذَا هُوَ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ يَقُولُ: "سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ". فَقُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنِّي لَفِي شَأْنٍ وَإِنَّكَ لَفِي آخِرٍ .

الملاحظ من الرواية الأخيرة أنها غارت حين افتقدته ، وظنت أنه ذهب إلى بعض نسائه، ولكن إذا بها تجده قائماً بين يدي ربه ﷻ يناجيه...

رابعاً : إن في هذا الحديث (محل الشبهة) أمور تدل على عظمة أخلاق النبي من جهة تغيب عن المعترضين منها :

1- أن الحديث بيان عملي لقوله ﷺ : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء19) .

2- أن الحديث بيانٌ لكمال أخلاقه وعدله ﷺ مع أهل بيته - رضي الله عنهن - ؛ قال ﷺ : " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي " . رواه ابن ماجة في سننه برقم 1967 .

3- أن الحديث يبين كمال رأفته ، وحبه ، وعدله مع أهل بيته ؛ بينت ذلك عائشة - رضي الله عنها - في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه برقم 1823 عن عروة عن أبيه قال : قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا ابْنَ أُخْتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُفْضِلُ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْقَسَمِ مِنْ مَكْنَاهُ عِنْدَنَا وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى الَّتِي هُوَ يَوْمُهَا فَيَبِيتُ عِنْدَهَا .

خامساً : أتساءل : هل كمال الرجولة في هذا الزمان عيبٌ ونقصٌ عند المعترضين ؟ و قد ثبت أن هذا كان من هدي الأنبياء من قبله ؛ لهم زوجات يجامعوهن ولهم منهن ذرية ؛ قال ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بَايَةً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (الرعد38)

وجاء في الصحيحين، واللفظ للبخاري برقم 4841 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ بِمِائَةِ امْرَأَةٍ تَلِدُ كُلُّ امْرَأَةٍ غُلَامًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : قُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمْ يَقُلْ: وَنَسِيَ فَأَطَافَ بِهِنَّ وَلَمْ تَلِدْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً نَصَفَ إِنْسَانٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَحْنَثْ وَكَانَ أَرْجَى لِحَاجَتِهِ " .

إذاً : سليمان بن داود عليه السلام كان يطوف على مائة امرأة يجامعهن في ليلة واحدة فهل ذلك منقصة في حق سليمان عليه السلام أم أنه رجلٌ كامل الرجولة ؟!

فإن قيل: إن هذا لم يحدث مع سليمان عليه السلام ، لم يذكره الكتاب المقدس ؟!

قلتُ : إن الكتاب المقدس فيه ما يؤيد ما جاء في هذا الحديث ؛ لأنه يذكر أن لسليمان عليه السلام ألف امرأة (زوجة) ؛ ثبت ذلك في سفر الملوك الأول إصحاح 11 عدد 3³ وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلَاثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَّارِيِّ، فَأَمَلَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ.

سادساً : إن قيل : ما الحكمة في طوافه على نسائه في الليلة الواحدة ؟

قلتُ : إن القاضي عياض - رحمه الله - ذكر الحكمة من طوافه على نسائه في الليلة الواحدة قائلاً : أَنَّ الْحِكْمَةَ فِي طَوَافِهِ عَلَيْهِنَّ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ كَانَ لِتَحْصِينِهِنَّ ، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ بِهِ عَدَمَ تَشَوُّفِهِنَّ لِلْأَزْوَاجِ ، إِذَ الْإِحْصَانُ لَهُ مَعَانٍ مِنْهَا الْإِسْلَامُ وَالْحُرِّيَّةُ وَالْعَقَّةُ ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ لِإِرَادَةِ الْعَدْلِ بَيْنَهُنَّ فِي ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا ، كَمَا تَقَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي " بَابِ كَثْرَةِ النِّسَاءِ " . وَفِي التَّغْلِيلِ الَّذِي ذَكَرَهُ نَظَرٌ لِأَنَّهُنَّ حَرُمٌ عَلَيْهِنَّ التَّرْوِيجُ بَعْدَهُ وَعَاشَ بَعْضُهُنَّ بَعْدَهُ خَمْسِينَ سَنَةً فَمَا دُونَهَا وَزَادَتْ آخِرُهُنَّ مَوْتًا عَلَى ذَلِكَ . أَهـ راجع فتح الباري (ج15/ص 17) .

ثم إن ابن القرن الواحد والعشرين ومنهم المعترضون إذا بلغ الخمسين سنة من عمره يأخذ المنشطات والعقاقير حتى يعطي زوجته والواحدة حقها كذلك شهدت زوجات النبي ﷺ له بأنه كان أفضل الناس خلقاً وخلقاً ، قالت عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : " كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ " (مسند أحمد برقم 23460) .

وقد مدحته خديجة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عند بدء الوحي لما قالت : "وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ " . صحيح البخاري برقم 3 ، وغيرهن من الزوجات لم يذكرن نقصاً للنبي ﷺ قط بل العكس من ذلك .

سابعاً : إن اعتراضهم حول جماعه ﷺ لزوجاته بغسل واحد ليس فيه إشكالية قط ؛ فليس معنى ذلك أنه ﷺ بعد جماع الواحدة منهن لا يغسل فرجه ثم يتوضأ ...

يدل على ذلك ما ثبت في صحيح مسلم برقم 466 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلُهُ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيَتَوَضَّأْ " .

وليت المعترضين يحدثونا عن الطهارة والغسل بعد جماع الزوجة من الكتاب المقدس !؟

الجواب : لا يوجد اغتسال عندهم بعد الجماع

ثامناً : سألني أحدهم سؤالين :

السؤال الأول : كيف عرف أنس ؓ أن النبي كان يجمع زوجاته في ليلة واحدة وبغسل واحد ؟

قلت : إن هذا الحديث من مراسيل الصحابة ؓ وهو مقبول عند أهل العلم ومعمول به ، أعني: أن أنساً ؓ سمع ذلك من بعض أمهات المؤمنين ؛ سمع من عائشة أو سمع من عروة ، والدليل على ذلك هو ما ثبت في سنن أبي داود برقم 1823 عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا ابْنَ أَخْتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُفَضِّلُ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْقَسَمِ مِنْ مَكْنَاهِ عِنْدَنَا وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى الَّتِي هُوَ يَوْمُهَا فَيَبِيتُ عِنْدَهَا وَلَقَدْ قَالَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ حِينَ أَسْنَتُ وَفَرَّقْتُ أَنْ يُفَارِقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ يَوْمِي لِعَائِشَةَ فَقَبِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا قَالَتْ : نَقُولُ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ وَفِي أَشْبَاهِهَا أَرَاهُ قَالَ : ﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾ .

فإن قيل : إن الحديث يقول : إن عائشة قالت : " يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ " . فهل يتعارض هذا مع حديث أنس ؓ ؟

قلت : لا ؛ حدث هذا وذاك ، وذلك بالجمع بين الروایتين .

السؤال الثاني : كيف عرف أنس ؓ وأصحابه ؓ أن للنبي ﷺ قوة ثلاثين رجلاً فهل أخبرهم الرسول بنفسه ؟

الجواب : لم يخبرهم ﷺ ، بل كان قولهم على سبيل المبالغة في قوته ﷺ لا أكثر؛ يدل على ذلك قول أنس ؓ نفسه: " كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ " . **نلاحظ** " كُنَّا نَتَحَدَّثُ " .

تاسعاً : إن الكتاب المقدس ذكر أن بعض أنبياء الله زناة ، وذلك في عدة مواضع منه.... **وعليه أتساءل :** أيهما أفضل رجل يعطي للنساء حقوقهن الشرعية ، ويكفيهن ، مثل محمد ﷺ ؛ أم أنبياء زناة ، ومنهم من يزني وزناً محارماً بزعم الكتاب المقدس ؟! هذا هو الحديث يقول : كان يطوف على نسائه (زوجاته) أي: أنه لم يمس امرأة لا تحل له ،

وهذا بخلاف حال بعض أنبياء الكتاب المقدس فهو (الكتاب) ينسبُ لهم جريمة الزنا ، وزنا المحارم ، مثل نبي الله داود ، و لوط
.....

ثم إن المعترضين يعترضون على قول أنس عليه السلام : " كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ عليه السلام ".
ولا يعترضون على قوة الشاب اليهودي شمشون الذي أمسك بثلاث مئة ثعلب ، وربطهم من أذيالهم..... !

تسأل أحد الإخوة قائلاً : كيف تركت الثعالب شمشون بأن يقوم بربط كل ذيلين مع بعضهما البعض ؟ وكيف تركوه يشعل النار فيهم ؟ لك أن تتخيل أن كل ثعلبين تركاه يفعل ذلك ، وانتظر الآخرون دورهم !

فلو كل ذيلين مربوطين مع بعضهما لما تحركت الثعالب من مكانها ؛ لأن كل منهما يحاول جذب الآخر إلى الاتجاه المعاكس !

قلتُ : إن هذا لا يعقل فليتهم يحاولون أن يفعلوا ذلك مع كلبين أليفين فقط ثم يخبرونني عن نتيجة ذلك !

جاء ما ذكرتُ في سفر القضاة الإصحاح 15 عدد 4⁴ وَذَهَبَ شَمْشُونُ وَأَمْسَكَ ثَلَاثَ مِئَةِ ابْنِ آوَى، وَأَخَذَ مِشَاعِلَ وَجَعَلَ ذَنْبًا إِلَى ذَنْبٍ، وَوَضَعَ مِشْعَلًا بَيْنَ كُلِّ ذَنْبَيْنِ فِي الْوَسْطِ، ثُمَّ أَضْرَمَ الْمِشَاعِلَ نَارًا وَأَطْلَقَهَا بَيْنَ زُرُوعِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، فَأَحْرَقَ الْأَكْدَاسَ وَالزَّرْعَ وَكُرُومَ الرِّيتُونِ.
!

وفي (ترجمة كتاب الحياة) وَأَنْطَلَقَ شَمْشُونُ وَأَصْطَادَ ثَلَاثَ مِئَةِ ثَعْلَبٍ وَرَبَطَ ذَيْلِي كُلِّ ثَعْلَبَيْنِ مَعًا وَوَضَعَ بَيْنَهُمَا مِشْعَلًا، 5 ثُمَّ أَضْرَمَ الْمِشَاعِلَ بِالنَّارِ وَأَطْلَقَ الثَّعَالِبَ بَيْنَ زُرُوعِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، فَأَحْرَقَتْ حُقُولَ الْقَمْحِ وَأَكْدَاسَ الْحُبُوبِ وَأَشْجَارَ الرِّيتُونِ.

قلتُ : يا لها من قوة رجلٍ بألف رجل !! بل أكثر من قوة ألف رجل ؛ لأننا نجده بعد ذلك ضرب بفك حمار ألف رجل من الفلسطينيين بمفرده فقتلهم جميعا !!

جاء ذلك في نفس السفر إصحاح 15 عدد 15¹⁵ وَوَجَدَ لَحْيَ حِمَارٍ طَرِيًّا، فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهُ وَضَرَبَ بِهِ أَلْفَ رَجُلٍ. 16 فَقَالَ شَمْشُونُ: «بِلَحْيِ حِمَارٍ كَوْمَةٌ كَوْمَتَيْنِ. بِلَحْيِ حِمَارٍ قَتَلْتُ

أَلْفَ رَجُلٍ». ¹⁷ وَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلَامِ رَمَى اللَّحْيَ مِنْ يَدِهِ، وَدَعَا ذَلِكَ الْمَكَانَ «رَمْتَ لَحْيٍ». لَا تَعْلِقُ!

وليتهم يخبروننا عن القصة التي جاءت في سفر أخبار الأيام الأول عن يشبعام وهو أحد أبطال داود : الذي هز رمحه على ثلاث مئة فقتلهم دفعة واحدة! وذلك في الإصحاح 11 عدد¹¹ وهذا هو عددُ الأبطال الذين لداود: يشبعام بن حَكْمُونِي رَئِيسُ الثَّوَالِثِ. هو هَزَّ رُمَحَهُ عَلَى ثَلَاثِ مِئَةِ قَتَلَهُمْ دُفْعَةً وَاحِدَةً.

وليتهم يخبروننا عن القصة الواردة في سفر صموئيل الثاني عن يُشَيْبَ ،وهو أحد أبطال داود أيضاً هَزَّ رُمَحَهُ عَلَى ثَمَانِ مِئَةِ قَتَلَهُمْ دُفْعَةً وَاحِدَةً! وذلك في الإصحاح 23 عدد⁸ هذه أَسْمَاءُ الْأَبْطَالِ الَّذِينَ لِدَاوُدَ: يُشَيْبَ بَشَبَثُ التَّحْكُمُونِيِّ رَئِيسُ الثَّلَاثَةِ. هو هَزَّ رُمَحَهُ عَلَى ثَمَانِ مِئَةِ قَتَلَهُمْ دُفْعَةً وَاحِدَةً. لَا تَعْلِقُ !

رد شبهة : نبي تقول زوجته (عائشة) له : الله يسارع في هواك !

قالوا : إن ربَّ محمدٍ يسارعُ في هواه وامتعته ، فينزل الوحي طبقاً لمزاجه ،ورغباته الجنسية...

استدلوا على قولهم بما جاء في صحيح البخاري كتاب (النِّكَاحِ) بَابِ (هَلْ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَهَبَ نَفْسَهَا لِأَحَدٍ). برقم 4721 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ مِنَ اللَّائِي وَهَبَتْ أَنْفُسَهُنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ عَائِشَةُ : أَمَا تَسْتَحْيِ الْمَرْأَةُ أَنْ تَهَبَ نَفْسَهَا لِلرَّجُلِ فَلَمَّا نَزَلَتْ : { تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ }.

الرد على الشبهة

أولاً : كان على المعترضين أن يقرءوا كتبَ الشروح (شرح الأحاديث) حتى ينتهوا عما هم عليه من إلقاءِ الشبهات كالبيغاوات العجموات دون تفكيرٍ، أو تأملٍ
جاء في كتبِ الشروح الآتي :

1- قال النووي في شرح صحيح مسلم : قولها: (مَا أَرَى رَبِّكَ إِلَّا يَسَارِعَ فِي هَوَاكَ)

مَعْنَاهُ يُخَفِّفُ عَنْكَ وَيُوسِّعُ عَلَيْكَ فِي الْأُمُورِ وَلِهَذَا خَيْرُكَ . أَهـ

2- قال ابن حجر في الفتح - رحمه الله - : قوله: (مَا أَرَى رَبِّكَ إِلَّا يَسَارِعَ فِي هَوَاكَ) في رواية مُحَمَّدُ بْنُ بَشَرٍ " إِنِّي لَأَرَى رَبِّكَ يَسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ " أَي: فِي رِضَاكَ ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : هَذَا قَوْلٌ أَبْرَزَهُ الدَّلَالُ وَالْغَيْرَةُ ، وَهُوَ مِنْ نَوْعِ قَوْلِهَا مَا أَحْمَدُكُمْ وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهُ ، وَإِلَّا فإِضَافَةُ الْهَوَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لَا تُحْمَلُ عَلَى ظَاهِرِهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى وَلَا يَفْعَلُ بِالْهَوَى ، وَلَوْ قَالَتْ إِلَى مَرْضَاتِكَ لَكَانَ أَلْيَقَ ، وَلَكِنَّ الْغَيْرَةَ يُغْتَفَرُ لِأَجْلِهَا إِطْلَاقُ مِثْلِ ذَلِكَ . أَهـ

3- قال الشعراوي- رحمه الله - : المعنى : أن الله يسارع في هواي ، لأنني سارعت في هواه ، طلب مني فأديت ؛ لذلك يلبي لي ما أريد من قبل أن أطلب منه . أَهـ

قُلْتُ : إِنْ الْمَعْنَى الظَّاهِرُ لِي هُوَ لَمَّا سَارَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَرْضَاةِ رَبِّهِ سَارَعَ اللَّهُ فِي رِضَائِهِ ، وَمَرْضَاتِهِ لِيَكُونَ الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ ؛ وَأَمَّا مَا قَالَتْهُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كَانَتْ مِنْ بَابِ الْغَيْرَةِ لَا أَكْثَرَ ؛ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ بِرَقْمٍ 2658 عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ : كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَقُولُ: وَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : { تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ } قَالَ:قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَرَى رَبِّكَ إِلَّا يَسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ.

وقد أسلفتُ ونقلتُ كلامَ الْقُرْطُبِيِّ : هَذَا قَوْلٌ أَبْرَزَهُ الدَّلَالُ وَالْغَيْرَةُ. وَأَمَّا إِضَافَةُ الْهَوَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ مُنَاسِبٍ مِنْهَا كَمَا قَالَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَإِنَّهُ ﷺ مَنْزَهُ عَنِ الْهَوَى؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ (النجم/3) . فَهُوَ ﷺ مِمَّنْ يَنْهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، وَلَوْ قَالَتْ فِي مَرْضَاتِكَ لَكَانَ أَوْلَى وَأُصُوبُ.

وقد يقال : إِنْ الْهَوَى الْمَذْمُومُ هُوَ الْهَوَى الْخَالِي عَنِ الْهَدْيِ ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص/50).

ثانياً : إن الكتاب المقدس ذكر لأنبياء الله ﷺ زوجات ونساء أكثر كما تقدم معنا في الرد على شبهة : (تعدد زوجاته ﷺ) ، وأكتفي بذكر نبوي واحد هو هوشع عليه السلام حيث يقول سفر هوشع في الإصحاح الأول عدد²أول ما كلم الرب هوشع، قال الرب لهوشع: «أذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى، لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب». ³فذهب وأخذ جומר بنت دبلايم، فحبلت وولدت له ابناً.

ثم قال الإصحاح الثالث عدد¹وقال الرب لي: «أذهب أيضاً أحب امرأة حبيبة صاحب وزانية، كمحبة الرب لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى ومحبون لأقراص الربيب». ²فاشتريتها لنفسى بخمسة عشر شاقل فضة وبحומר ولتك شعير....

وعليه فأنتي أتساءل: هل معنى ذلك أن الله يسارع في هواهم (الأنبياء) فينزل الوحي طبقاً لمزاجهم ومتعهم ورغباتهم الجنسية...؟!

ثالثاً : سبق أن بنيت أن قول عائشة : " مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يَسَارِعَ فِي هَوَاكَ " سببه الغيرة التي ما سلمت منه زوجات النبي ﷺ يحكى لنا الكتاب المقدس هذه الغيرة لزوجات بعض الأنبياء ، فعلى سبيل المثال ذكر لنا الكتاب المقدس حقد سارة زوجة إبراهيم على هاجر (حرب الضرائر) حتى إن الغيرة وصلت بسارة زوجة إبراهيم أنها كانت تضرب هاجر ، وتؤذيها حسداً وغيره وذلك في سفر التكوين إصحاح16 عدد⁴فدخل على هاجر فحبلت. ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها. ⁵فقالت ساري لأبرام: «ظلمي عليك! أنا دفعت جاريتي إلى حضنك، فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينيها. يقضي الرب بيني وبينك». ⁶فقال أبرام لساري: «هوذا جاريتك في يدك. افعلي بها ما يحسن في عينيك». فأدلتها ساري، فهربت من وجهها.

نلاحظ: " فأدلتها ساري، فهربت من وجهها " .

ونقرأ في ذات السفر في الإصحاح21 عدد⁹ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح، ¹⁰فقالت لإبراهيم: «اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث

مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ». ¹¹ فَقَبَّحَ الْكَلَامَ جِدًّا فِي عَيْنَيِ إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ. ¹² فَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ: «لَا يَقْبَحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلَامِ وَمِنْ أَجْلِ جَارَيْتِكَ. فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةٌ أَسْمَعُ لِقَوْلِهَا، لِأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ». ¹³ وَابْنُ الْجَارِيَةِ أَيْضًا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لِأَنَّهُ نَسْلُكَ».

نلاحظ : أنها طلبت منه ظلمًا بدافع الغيرة أن يطرد هاجر و ابنها الرضيع، و ادعت أنهما لا يحق لهما أن يرثا مع ابنها إسحاق بعد أن ولدته!

والأعجب من ذلك أن الرب وافقها بما تقول فقط إرضاء لحقدِها وغيبتها... لا تعليق !

رد شبهة: نبي الإسلام زوجته تقول : (لا ورب محمد لا ورب إبراهيم) !

قالوا : إذا كانت أقرب النساء لرسول الإسلام أحيانًا لا تؤمن به ، وقالوا ما نصه : عائشة إذا كانت راضية عن محمد تقول : ورب محمد ، وإذا كانت غضبانة تقول : ورب إبراهيم ، وتعلقوا بما جاء في صحيح مسلم كتاب (فضائل الصحابة) باب (في فضل عائشة - رضي الله تعالى عنها -) برقم 4469 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي ". قَالَتْ : فَقُلْتُ : وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : " أَمَّا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكَ تَقُولِينَ : لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَإِذَا كُنْتُ غَضَبِي قُلْتُ : لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ ". قَالَتْ : قُلْتُ : " أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن هناك سؤالاً يطرح نفسه هو: لماذا كانت عائشة - رضي الله عنها - تقول: " لا ورب محمد " في حين ، وفي حين آخر تقول : " لا ورب إبراهيم " ؟

الجواب : قالت ذلك من باب الغيرة التي جبلت عليها النساء ، وما سلمت منها أزواج النبي ﷺ... ومما يدل على ذلك ما ذكره النووي - رحمه الله - في شرحه للحديث قال: قوله ﷺ لعائشة : (إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي إِلَى قَوْلِهَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ). قَالَ الْقَاضِي : مُغَاضَبَةٌ عَائِشَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ هِيَ مِمَّا سَبَقَ مِنَ الْغَيْرَةِ الَّتِي عَفِيَ عَنْهَا لِلنِّسَاءِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ كَمَا سَبَقَ لِعَدَمِ انْفِكَاحِهِنَّ

مِنْهَا حَتَّى قَالَ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ : يَسْقُطُ عَنْهَا الْحَدُّ إِذَا قَذَفَتْ زَوْجَهَا بِالْفَاحِشَةِ عَلَى جِهَةِ الْغِيَرَةِ . قَالَ : وَاحْتَجَّ بِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " مَا تَدْرِي الْغِيَرَاءُ أَعْلَى الْوَادِي مِنْ أَسْفَلِهِ " ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ عَلَى عَائِشَةَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَرَجِ مَا فِيهِ ، لِأَنَّ الْغَضَبَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهَجْرَهُ كَبِيرَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَلِهَذَا قَالَتْ : لَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ قَلْبَهَا وَحُبُّهَا كَمَا كَانَ ، وَإِنَّمَا الْغِيَرَةُ فِي النِّسَاءِ لِفَرْطِ الْمَحَبَّةِ . أَهْ

ثَانِيًا : إِنْ قِيلَ : هَلْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تَقْصِدُ أَنْ تَهْجُرَ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَتَتَكْرَهُ وَلَا تَتَوَكَّلُ بِهِ ، لَمَّا كَانَتْ تَقُولُ : " لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ " أَمْ أَنَّهَا تَهْجُرُ اسْمَهُ ﷺ فَقَطْ ؟
قُلْتُ : إِنْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَجَابَتْ بِنَفْسِهَا فِي ذَاتِ الْحَدِيثِ حِينَما قَالَتْ : " وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ " .

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْفَتْحِ : قَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ : مُرَادُهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَتْرُكُ التَّسْمِيَةَ اللَّفْظِيَّةَ وَلَا يَتْرُكُ قَلْبُهَا التَّعْلُقَ بِذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ مَوَدَّةً وَمَحَبَّةً . أَهْ . وَفِي اخْتِيَارِ عَائِشَةَ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ دَلَالَةً عَلَى مَزِيدِ فَطْنَتِهَا ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ، فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهَا بَدٌّ مِنْ هَجْرِ الْأِسْمِ الشَّرِيفِ أَبْدَلَتْهُ بِمَنْ هُوَ مِنْهُ بِسَبِيلٍ حَتَّى لَا تَخْرُجَ عَنْ دَائِرَةِ التَّعْلُقِ فِي الْجُمْلَةِ . أَهْ

ثَالِثًا : إِنِّي افْتَرَضْتُ جَدَلًا أَنْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كَفَرَتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْحَقِيقَةِ ؛ كَفَرَتْ كَفْرًا صَرِيحًا - وَحَاشَاهَا ذَلِكَ - هَلْ هَذَا يَقْدَحُ فِي نُبُوَّتِهِ نَظَرًا لِمُعَايِيرِ النُّبُوَّةِ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ ؟

قُلْتُ : إِنْ هَذَا لَا يَقْدَحُ فِي نُبُوَّتِهِ قَطْ ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ الْمَقْدَسَ ذَكَرَ لَنَا زَوْجَاتِ أَنْبِيَاءِ كَفَرْنَ بِاللَّهِ ﷻ ، فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ لَا الْحَصْرَ أَكْتَفِي بِذَكَرِ زَوْجَةِ لُوطٍ عليه السلام الَّتِي ذَكَرَ سَفَرُ التَّكْوِينِ عَنْهَا إِنَّهَا أُهْلِكَتْ مَعَ الْهَالِكِينَ حَيْثُ إِنَّهَا فَعَلَتْ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ ، وَذَلِكَ فِي الْإِصْحَاحِ 19 عِدَدٌ ²³ وَإِذْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَلَى الْأَرْضِ دَخَلَ لُوطٌ إِلَى صُوغَرَ ، ²⁴ فَأَمَطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيئًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ . ²⁵ وَقَلَبَ تِلْكَ

الْمُدُنَ، وَكُلَّ الدَّائِرَةِ، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنِ، وَنَبَاتِ الْأَرْضِ. ²⁶ وَنَظَرَتْ امْرَأَتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ.

رد شبهة : نبي زوجاته يكذب عليه !

اعترض أحدهم قائلاً: كيف لرسول من عند الله أن يكذب عليه زوجاته ... زوجته عائشة كانت تحرض أمهات المؤمنين أن يكذب عليه.....!

وتعلق بما جاء في الصحيحين :

1- صحيح البخاري كتاب (الحيل) باب (ما يُكره من احتيال المرأة مع الزوج والضرائر وما نزل على النبي ﷺ في ذلك) برقم 6457 عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء ويحب العسل وكان إذا صلى العصر أجاز على نسائه فيدنون منهن فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقال لي : أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله ﷺ منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة قلت : إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولي له: يا رسول الله أكلت مغاير فإنه سيقول لا فقولي له : ما هذه الرياح وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الرياح فإنه سيقول سقتني حفصة شربة عسل فقولي له : جرس نحل العرْفُط وسأقول ذلك وقوليه أنت يا صفية فلما دخل على سودة قلت تقول سودة والذي لا إله إلا هو لقد كدت أن أبادره بالذي قلت لي وإته لعل الباب فرقا منك فلما دنا رسول الله ﷺ قلت يا رسول الله : أكلت مغاير قال: " لا ". قلت: فما هذه الرياح ؟ قال : "سقتني حفصة شربة عسل" قلت: جرس نحل العرْفُط فلما دخل علي قلت له: مثل ذلك ودخل على صفية فقالت له: مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت له: يا رسول الله ألا أسقيك منه قال: " لا حاجة لي به ". قالت : تقول سودة: سبحان الله لقد حرمناه قالت: قلت : لها اسكتي.

2- صحيح مسلم كتاب (الطلاق) باب (وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق) برقم 2694 عن عائشة أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش

فَيَشْرِبُ عِنْدَهَا عَسَلًا قَالَتْ : فَتَوَاطَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنَّ آيَتَنَا مَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقُلْ :
 إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرٍ أَكَلْتُ مَغَافِيرَ فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ : " بَلْ
 شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ لَهُ " . فَنَزَلَ : { لِمَ تَحَرَّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ إِلَى
 قَوْلِهِ إِنْ تَتُوبَا } لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ : { وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا } لِقَوْلِهِ بَلْ
 شَرِبْتُ عَسَلًا .

الرد على الشبهة

أولاً : إن عنوان الشبهة باطلٌ من أساسه ؛ لأن هذا لم يحدث أبداً مع اعتقادنا بعدم
 عصمة الصحابة ، وأمّهات المؤمنين من الخطأ ﷺ جميعاً

فإن قيل : إن سياق الحديث يدل على أنهما كذبتا على رسول الله ﷺ !

قلت : إن هذا من الجهل ؛ هم لا يعلمون الفرق بين الكذب والتعريض ، وأكتفي بكلام ابن
 المنير - رحمه الله - قال : إِنَّمَا سَأَغَ لَهُنَّ أَنْ يَقُلْنَ " أَكَلْتُ مَغَافِيرَ " لِأَنَّهُنَّ أَوْرَدْنَهُ عَلَى
 طَرِيقِ الاسْتِفْهَامِ بِدَلِيلِ جَوَابِهِ بِقَوْلِهِ " لَا " وَارْدَنَ بِذَلِكَ التَّعْرِيصَ لَا صَرِيحَ الْكَذِبِ ، فَهَذَا
 وَجْهُ الْاِحْتِيَالِ الَّتِي قَالَتْ عَائِشَةُ " لَنَحْتَالَنَّ لَهُ " وَلَوْ كَانَ كَذِبًا مَحْضًا لَمْ يُسَمَّ حِيلَةً إِذْ لَا
 شُبْهَةَ لِصَاحِبِهِ . أهـ (فتح الباري ج19/ ص438).

ثم إن هذا الحديث ذكره البخاري في كتاب (الحيل) باب (مَا يُكْرَهُ مِنْ اِحْتِيَالِ الْمَرْأَةِ مَعَ
 الزَّوْجِ وَالضَّرَائِرِ وَمَا نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِكَ) ولم يقل البخاري : كتاب (الكذب) !
 وعليه فإن عنوان الشبهة باطلٌ وادعاءهم باطل ، وما بُني على باطلٍ فهو باطل...

ثانياً : إن قيل : لماذا احتالنا على رسول الله ﷺ ؟

قلت : إن الروايات تشير إلى أن الدافع هو الغيرة فهي جزء من طبيعة المرأة ، والتي ما
 سلمت منها زوجات النبي ﷺ

ثالثاً : إن قيل : وما هي المغافير ؟

قلتُ : إن النووي - رحمه الله - ذكر تعريفها في شرحه قائلاً :

قال القاضي : وهو جمع مغفور ، وهو صمغ حلو كالنأطف وله رائحة كريهة ينضج شجر يقال له : العرفط بضم العين المهملة والفاء يكون بالحجاز وقيل إن العرفط نبات له ورقة عريضة تفتش على الأرض له شوكة حناء وثمرة بيضاء كالقطن مثل زر القميص خبيث الرائحة . قال القاضي : وزعم المهلب أن رائحة المغافير والعرفط حسنة ، وهو خلاف ما يقتضيه الحديث وخلاف ما قاله الناس . قال أهل اللغة : العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كالنبذ ، وكان النبي ﷺ يكره أن توجد منه رائحة كريهة . أهـ

رابعاً : إن قيل : إن هناك تناقضاً في الروايات بسؤال يقول : عند من حدثت قصة العسل والمغافير ؟

الجواب : ذكره ابن حجر في الفتح قائلاً : ثم ذكر المصنف حديث عائشة في قصة شرب النبي ﷺ العسل عند بعض نسائه فأورده من وجهين : أحدهما من طريق عبيد بن عمير عن عائشة وفيه أن شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ، والثاني من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وفيه أن شرب العسل كان عند حفصة بنت عمر ، فهذا ما في الصحيحين . وأخرج ابن مردويه من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس أن شرب العسل كان عند سودة ، وأن عائشة وحفصة هما اللتان تواطأتا على وفق ما في رواية عبيد بن عمير وإن اختلفا في صاحبة العسل . وطريق الجمع بين هذا الاختلاف الحمل على التعدد فلا يمتنع تعدد السبب للأمر الواحد ، فإن جنح إلى الترجيح فرواية عبيد بن عمير أثبت لموافقة ابن عباس لها على أن المتظاهرتين حفصة وعائشة على ما تقدم في التفسير وفي الطلاق من جزم عمر بذلك ، فلو كانت حفصة صاحبة العسل لم تقرن في التظاهر بعائشة ، لكن يمكن تعدد القصة في شرب العسل وتحريمه واختصاص النزول بالقصة التي فيها أن عائشة وحفصة هما المتظاهرتان ، ويمكن أن

تَكُونُ الْقِصَّةُ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا شُرْبُ الْعَسَلِ عِنْدَ حَفْصَةَ كَانَتْ سَابِقَةً . وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْحَمْلُ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ الَّتِي فِيهَا أَنْ شُرِبَ الْعَسَلُ كَانَ عِنْدَ حَفْصَةَ تَعْرِضُ لِلْأَيَّةِ وَلَا لَذَكَرَ سَبَبَ النُّزُولِ ، وَالرَّاجِحُ أَيْضًا أَنَّ صَاحِبَةَ الْعَسَلِ زَيْنَبَ لَا سَوْدَةَ لِأَنَّ طَرِيقَ عُبَيْدِ بْنِ عَمِيرٍ أَثْبَتَ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ بكَثِيرٍ ، وَلَا جَائِزَ أَنْ تَتَّحِدَ بِطَرِيقِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ لِأَنَّ فِيهَا أَنَّ سَوْدَةَ كَانَتْ مِمَّنْ وَافَقَ عَائِشَةَ عَلَى قَوْلِهَا " أَجِدُ رِيحَ مَغَافِيرٍ " وَيُرْجِّحُهُ أَيْضًا مَا مَضَى فِي كِتَابِ الْهَبَةِ عَنْ عَائِشَةَ " أَنَّ نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ كُنَّ حَزْبِينَ : أَنَا وَسَوْدَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ فِي حَزْبٍ ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ وَأُمُّ سَلَمَةَ وَالْبَاقِيَاتُ فِي حَزْبٍ " فَهَذَا يُرْجِّحُ أَنَّ زَيْنَبَ هِيَ صَاحِبَةُ الْعَسَلِ وَلِهَذَا غَارَتْ عَائِشَةُ مِنْهَا لَكُونِهَا مِنْ غَيْرِ حَزْبِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَهَذَا أَوَّلَى مِنْ جَزْمِ الدَّائِدِيِّ بِأَنَّ تَسْمِيَةَ الَّتِي شَرِبَتْ الْعَسَلَ حَفْصَةُ غَلَطَ وَإِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ أَوْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ ، وَمِمَّنْ جَنَحَ إِلَى التَّرْجِيحِ عِيَاضُ ، وَمِنْهُ تَلَقَّفَ الْقُرْطُبِيُّ ، وَكَذَا نَقَلَهُ النَّوَوِيُّ عَنْ عِيَاضٍ وَأَقْرَهُ فَقَالَ عِيَاضُ: رَوَايَةُ عُبَيْدِ بْنِ عَمِيرٍ أَوَّلَى لِمُوَافَقَتِهَا ظَاهِرُ كِتَابِ اللَّهِ ، لِأَنَّ فِيهِ : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾ (التَّحْرِيمُ 4). فَهُمَا ثَنَتَانِ لَا أَكْثَرَ ، وَلِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ ، قَالَ فَكَانَ الْأَسْمَاءُ انْقَلَبَتْ عَلَى رَاوِيِ الرِّوَايَةِ الْآخَرَى ، وَتَعَقَّبَ الْكُرْمَانِيُّ مَقَالََةَ عِيَاضٍ فَأَجَادَ فَقَالَ : مَتَى جَوَزْنَا هَذَا ارْتَفَعَ الْوَثُوقُ بِأَكْثَرِ الرِّوَايَاتِ . وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : الرِّوَايَةُ الَّتِي فِيهَا أَنَّ الْمُتَظَاهِرَاتِ عَائِشَةَ وَسَوْدَةَ وَصَفِيَّةَ لَيْسَتْ بِصَحِيحَةٍ لِأَنَّهَا مُخَالِفَةٌ لِلتَّلَاوَةِ لِمَجْبِئِهَا بِلَفْظِ خُطَابِ الْاِثْنَيْنِ وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَجَاءَتْ بِخُطَابِ جَمَاعَةِ الْمُؤَنَّثِ . ثُمَّ نَقَلَ عَنِ الْأَصِيلِيِّ وَغَيْرِهِ أَنَّ رَوَايَةَ عُبَيْدِ بْنِ عَمِيرٍ أَصَحُّ وَأَوَّلَى ، وَمَا الْمَانِعُ أَنْ تَكُونَ قِصَّةُ حَفْصَةَ سَابِقَةً . اهـ

قلتُ : إن الواقعة حدثت مرتين الأولى عند حفصة ، والثانية عند زينب التي فيها أسباب النزول للآية الكريمة ، ولا تعارض بين الروايات - بفضل الله ﷻ - .

خامساً : إن المعارض يعترض على نبوة نبيِّنا ﷺ ؛ لأن زوجاته احتلن عليه ! فهلا اعترض على نبوة إسحاق عليه السلام وأسقط نبوته ؛ لأن زوجة (رقيقة) كذبت عليه ، واحتالت عليه بحيلة عظيمة ذكرها الكتاب المقدس في سفر التكوين إصحاح 27 عدد 5 ⁵ وَكَانَتْ رَفِيقَةُ سَامِعَةً إِذْ تَكَلَّمَ إِسْحَاقُ مَعَ عِيسُو ابْنِهِ . فَذَهَبَ عِيسُو إِلَى الْبَرِّيَّةِ كَيْ يَصْطَادَ صَيْدًا لِيَأْتِيَ بِهِ . ⁶ وَأَمَّا رَفِيقَةُ فَكَلِمَتُ يَعْقُوبَ ابْنِهَا قَائِلَةً : «إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَبَاكَ يُكَلِّمُ عِيسُو

أَخَاكَ قَائِلًا: ⁷اَنْتَنِي بَصِيدٍ وَاصْنَعْ لِي أَطْعَمَةً لَأَكُلَ وَأُبَارِكَكَ أَمَامَ الرَّبِّ قَبْلَ وَفَاتِي. ⁸فَالآنَ يَا ابْنِي اسْمَعْ لِقَوْلِي فِي مَا أَنَا أَمْرُكَ بِهِ: ⁹اَذْهَبْ إِلَى الْغَنَمِ وَخُذْ لِي مِنْ هُنَاكَ جَدِيَيْنِ جَدِيَيْنِ مِنَ الْمَعْرَى، فَأَصْنَعُهُمَا أَطْعَمَةً لِأَبِيكَ كَمَا يُحِبُّ، ¹⁰فَتَحْضِرْهَا إِلَى أَبِيكَ لِأَكُلَ حَتَّى يُبَارِكَكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ». ¹¹فَقَالَ يَعْقُوبُ لِرِفْقَةَ أُمِّهِ: «هُوَذَا عَيْسُو أَخِي رَجُلٌ أَشْعَرٌ وَأَنَا رَجُلٌ أَمْلَسٌ. ¹²رَبِّمَا يَجْسُنِي أَبِي فَأَكُونُ فِي عَيْنَيْهِ كَمُتْهَائُونَ، وَأَجْلِبُ عَلَى نَفْسِي لَعْنَةً لَا بَرَكَهَ». ¹³فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «لَعْنَتُكَ عَلَيَّ يَا ابْنِي. اسْمَعْ لِقَوْلِي فَقَطْ وَادْهَبْ خُذْ لِي». ¹⁴فَذَهَبَ وَأَخَذَ وَأَحْضَرَ لَأُمِّهِ، فَصَنَعَتْ أُمُّهُ أَطْعَمَةً كَمَا كَانَ أَبُوهُ يُحِبُّ. ¹⁵وَأَخَذَتْ رِفْقَةُ ثِيَابَ عَيْسُو ابْنِهَا الْأَكْبَرِ الْفَاخِرَةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهَا فِي الْبَيْتِ وَالْبِسَتْ يَعْقُوبَ ابْنِهَا الْأَصْغَرَ، ¹⁶وَالْبِسَتْ يَدَيْهِ وَمَلَّاسَةً عَنْقَهُ جُلُودَ جَدِيِّ الْمَعْرَى. ¹⁷وَأَعْطَتْ الْأَطْعَمَةَ وَالْخُبْزَ الَّتِي صَنَعَتْ فِي يَدِ يَعْقُوبَ ابْنِهَا. ¹⁸فَدَخَلَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: «يَا أَبِي». فَقَالَ: «هَآنَذَا. مَنْ أَنْتَ يَا ابْنِي؟» ¹⁹فَقَالَ يَعْقُوبُ لِأَبِيهِ: «أَنَا عَيْسُو بِكَرْك. قَدْ فَعَلْتُ كَمَا كَلَّمْتَنِي. قُمْ اجْلِسْ وَكُلْ مِنْ صِيدِي لَكِي تَبَارِكَنِي نَفْسُكَ». ²⁰فَقَالَ إِسْحَاقُ لِابْنِهِ: «مَا هَذَا الَّذِي أَسْرَعْتَ لِتَجِدَ يَا ابْنِي؟» فَقَالَ: «إِنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ قَدْ يَسَّرَ لِي» ²¹فَقَالَ إِسْحَاقُ لِيَعْقُوبَ: «تَقَدَّمْ لِأَجْسُكَ يَا ابْنِي. أَلَأَنْتَ هُوَ ابْنِي عَيْسُو أَمْ لَا؟» ²²فَتَقَدَّمَ يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ، فَجَسَّهُ وَقَالَ: «الصَّوْتُ صَوْتُ يَعْقُوبَ، وَلَكِنَّ الْيَدَيْنِ يَدَا عَيْسُو». ²³وَلَمْ يَعْرِفْهُ لِأَنَّ يَدَيْهِ كَانَتَا مُشْعِرَتَيْنِ كَيْدِي عَيْسُو أَخِيهِ، فَبَارَكَهُ. ²⁴وَقَالَ: «هَلْ أَنْتَ هُوَ ابْنِي عَيْسُو؟» فَقَالَ: «أَنَا هُوَ». ²⁵فَقَالَ: «قَدِّمْ لِي لَأَكُلَ مِنْ صِيدِ ابْنِي حَتَّى تَبَارِكَكَ نَفْسِي». فَقَدَّمَ لَهُ فَأَكَلَ، وَأَحْضَرَ لَهُ خَمْرًا فَشَرِبَ. **لا تعليق !**

الباب السادس

شبهات حول أصول يزعمون أنها خرافات

رد شبهة : هل نبي الإسلام أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ؟!

يتعجبون ، ويستهزئون ، ويقولون : كيف يكون محمدٌ رسول الإسلام أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ،
والقرآن ذكر أن نبيَّ الله إبراهيم كان مسلماً : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ
كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران 67) ، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ
أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة 131) .

فكيف يكون رسول الإسلام أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ أليس هذا تناقضا ؟!

استدلوا على ذلك بدليين :

الأول : قوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (162) ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (163) (الأنعام) .
الثاني : قوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ (11) ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (12) (الزمر) .

الرد على الشبهة

أولاً : كان على المعترضين أن يرجعوا أولاً لكتب التفسير ؛ حتى يتغير حالهم ، فلا نجدهم يتعجبون ، ويستهزئون ، ويقولون : إن هناك تناقضاً ...
وعلى كلِّ فإن ما أشكل عليهم فهمه توضحه كتب التفسير ؛ ففي قوله ﷺ عن نبينا ﷺ :
أنه أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ، أجمع المفسرون على أن النبي ﷺ هو أول المسلمين من أمته ﷺ ،
وأكتفي بذكر بعض ما جاء في كتب التفسير فيما يلي :

1- قوله ﷺ : ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام 163) .
جاء في تفسير الجلالين : { لَا شَرِيكَ لَهُ } في ذلك { وبذلك } أي : التوحيد { أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } من هذه الأمة . اهـ
وجاء في التفسير الميسر : لا شريك له في إلهيته ولا في ربوبيته ولا في صفاته وأسمائه، وبذلك التوحيد الخالص أمرني ربي - جل وعلا- وأنا أول من أقر وانقاد لله من هذه الأمة . اهـ

2- قوله ﷺ : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الزمر 12) .

جاء في تفسير الجلالين : { وَأُمِرْتُ لِأَنْ } أي : بأن { أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ } من هذه الأمة . اهـ .

وجاء في التفسير الميسر : وأمرني بأن أكون أول من أسلم من أمتي . اهـ
وجاء في تفسير ابن كثير : { وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ } قال السدي : يعني من أمتي ﷺ . اهـ

وعلى هذا أجمعت الأمة على أنه ﷺ أول المسلمين من أمته

ثانياً : إن قولهم وحديثهم عن تعارض يدل على جهل بين لأن محمداً ﷺ أول المسلمين من أمته ، يتبع دين إبراهيم ﷺ ، ولو قرأنا الآية الأولى التي استدلو بها ، ونظرنا إلى الآيات التي تسبقها ، لوجدنا أن النبي ﷺ يتبع دين إبراهيم الحنيف ؛ قال ﷺ : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ 161 ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ 162 ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ 163 ﴿ (الأنعام) .

ثالثاً : إن كتاب الله ﷻ فيه أيضاً أن موسى ﷺ كان أول المؤمنين من قومه ؛ قال ﷻ : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف 14) .

جاء في التفسير الميسر : وأنا أول المؤمنين بك من قومي . اهـ

وعليه : لا توجد عندنا شبهة - بفضل الله ﷻ - .

رد شبهة : نبي لا يأتيه الوحي بسبب كلب ميت تحت سريره !

قالوا : هل يعقل أن هناك كلباً قد مات تحت سرير النبي ، وظل الحال زمناً ، فلم ينزل جبريل للنبي بالوحي بسبب ذلك الكلب الميت.... ما هذه الخرافات أيها المسلمون ؟! واستشهدا على ذلك بما جاء في الآتي :

1- تفسير القرطبي (ج20/93) : وروى عن أبي عمران الجوني قال: أبطأ جبريل عليه السلام على النبي ﷺ حتى شق عليه، فجاء وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو، فنكت بين كتفيه، وأنزل عليه: " ما ودعك ربك وما قلى ".

وقالت خولة - وكانت تخدم النبي ﷺ - : إن جروا دخل البيت، فدخل تحت السرير فمات، فمكث نبي الله ﷺ أياماً لا ينزل عليه الوحي.

فقال: " يا خولة ، ما حدث في بيتي ؟ ما لجبريل لا يأتيني " قالت خولة فقلت : لو هيأت البيت وكنسته، فأهويت بالمكنسة تحت السرير، فإذا جرو ميت، فأخذته فألقيته خلف الجدار، فجاء نبي الله ترعد لحياه - وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة - فقال : [يا خولة دثريني] فأنزل الله هذه السورة.

ولما نزل جبريل سأل النبي ﷺ عن التأخر فقال : " أما علمت أنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة " . أه

2- تفسير الألوسي (ج24/ص 4) : وأخرج ابن أبي شيبة في مسنده والطبراني وابن مردويه من حديث خولة وكانت تخدم رسول الله ﷺ أن جروا دخل تحت سرير رسول الله ﷺ فمات ولم نشعر به فمكث رسول الله ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي فقال يا خولة ما حدث في بيت رسول الله ﷺ جبريل لا يأتيني فقلت يا نبي الله ما أتى علينا يوم خير منا اليوم فأخذ برده فلبسه وخرج فقلت في نفسي لو هيأت البيت وكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا بشيء ثقیل فلم أزل به حتى بدا لي الجر وميتاً فأخذته بيدي فألقيته خلف الدار فجاء النبي ﷺ ترعد لحيته وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة فقال يا خولة دثريني فأنزل الله تعالى: { والضحى * والليل } إلى قوله سبحانه : { فترضى } وهذه الرواية تدل على أن الانقطاع كان أربعة أيام وعن ابن جريج أنه كان

اثني عشر يوماً وعن الكلبى خمسة عشر يوماً وقبل بضعة عشر يوماً وعن ابن عباس خمسة وعشرين يوماً وعن السدي ومقاتل أربعين يوماً وأنت تعلم أن مثل ذلك مما يتفاوت العلم بمبدئه ولا يكاد يعلم على التحقيق إلا منه ﷺ والله تعالى أعلم . أهـ

3- تفسير اللباب لابن عادل : وروي أن خولة كانت تخدم النبي ﷺ فقالت : « إن جرواً دخل البيت ، فدخل تحت السرير فمات ، فمكث نبي الله أياماً لا ينزل عليه الوحي ، فقال : « يا خولة ما حدث في بيتي؟ ما لجبريل لا يأتيني؟ » قالت خولة : فقلت : لو هيأت البيت ، وكنسته ، فأهويت بالمكنسة تحت السرير ، فإذا جرو ميت ، فأخذته ، فألقيته خلف الجدار ، فجاء نبي الله ﷺ ترعد لحياء - وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة - فقال : يا خولة دثريني ، فأنزل الله هذه السورة ، ولما نزل جبريل ﷺ سألته النبي ﷺ عن التأخر ، فقال ﷺ : " أما علمت أننا لا ندخل بيتاً فيه كلب ، ولا صورة " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذه الرواية رواية منكورة من جهة العقل والنقل ؛ فأما من جهة العقل فإن العقل يرفض هذا الأمر رفضاً باتاً ؛ لأن الكلب يتعفن بعد موته ، وتظهر له رائحة عفنه يتعرف عليها أهل البيت.....

وأما من جهة النقل فهذه الرواية أو القصة منكورة عند العلماء لا يعترفون بصحتها كما يلي :

1- قال ابن حجر - رحمه الله - في الفتح (ج 14/ ص 122) : وَوَجَدْتُ الْآنَ فِي الطَّبْرَانِيِّ بِإِسْنَادٍ فِيهِ مَنْ لَا يُعْرَفُ أَنَّ سَبَبَ نَزُولِهَا وَجُودَ جَرَوْ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ ﷺ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ فَأَبْطَأَ عَنْهُ جِبْرِيلُ لِذَلِكَ ، وَقِصَّةُ إِبْطَاءِ جِبْرِيلَ بِسَبَبِ كَوْنِ الْكَلْبِ تَحْتَ سَرِيرِهِ مَشْهُورَةٌ ، لَكِنْ كَوْنُهَا سَبَبَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ غَرِيبٌ ، بَلْ شَاذٌ ، مَرْدُودٌ بِمَا فِي الصَّحِيحِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . أهـ

2- قال الشيخ الألباني -رحمه الله- في السلسلة الضعيفة برقم 6136 (منكر) (يا خولة ! ما حدث في بيت رسول الله ؟ جبريل لا يأتيني ! فهل حدث في بيت رسول الله حدث؟ ... يا خولة ! دثريني ! فأنزل الله : {وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (636/249/24) : حدثنا علي ابن عبد العزيز : ثنا أبو نعيم : ثنا حفص بن سعيد القرشي : حدثتني أُمِّي عن أمها - وكانت خادماً رسول الله ﷺ - :

أن جرواً دخل البيت ، ودخل تحت السرير ومات ، فمكث نبي الله ﷺ أياماً لا ينزل عليه الوحي ، فقال : (فذكر الحديث) ، فقلت : والله! ما أتى علينا يوم خيراً من يومنا ، فأخذ برده فلبسه وخرج ، فقلت : لو هيأت البيت وكنسته ، فأهويت بالمكنسة تحت السرير ، فإذا شيء ثقيل ؛ فلم أزل حتى أخرجته ، فإذا بجرو ميت ، فأخذته بيدي فالقيت خلف الجدار ، فجاء نبي الله ﷺ ترعد لحيته - وكان إذا أتاه الوحي أخذته الرعدة - ، فقال : " يا خولة ! دثريني ... " الحديث .

وأخرجه ابن أبي شيبه في مسنده ، ومن طريقه ابن أبي عاصم في آخر "الآحاد والمثاني" ، ومن طريقه ابن الأثير في "أسد الغابة" (6 / 94) : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ... به .

قلت : وهذا إسناد ضعيف ؛ وله علتان ، وهما الجهالة :

الأولى : أم حفص بن سعيد : لم أجد لها ترجمة ، وبها أعله الهيثمي ؛ فقال في المجمع (138/7) : "رواه الطبراني ، وأم حفص لم أعرفها " . اهـ

3- قال الشيخ سليم الهلالي والشيخ محمد آل نصر- رحمهما الله- في كتاب الاستيعاب (523/3) (ضعيف) . اهـ

ثانياً : إن قيل: بما أن القصة لم تصح فما هو سبب انقطاع جبريل عليه السلام بالوحي عن نبيكم مدة من الزمن...؟!

قلتُ : إن الذي ظهر لي أن السبب في ذلك هو لما سأل اليهود النبي ﷺ عن أمور ثلاثة ... وقال ﷺ لهم : سأخبركم غداً ، ولم يقل : " إن شاء الله " فاحتبس الوحي عنه... والله أعلم.

يدعم ذلك أقوال المفسرين كما يلي :

1- تفسير البغوي (ص 569) : وقال المفسرون سألت اليهود، رسول الله ﷺ عن ذي القرنين ،وأصحاب الكهف، وعن الروح ؟ فقال: سأخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي . اهـ

2- تفسير السراج المنير (الضحى / ص 5212) : أن اليهود سألوا النبي ﷺ عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف ؟ فقال ﷺ : سأخبركم غداً ، ولم يقل إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي إلى أن نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: { وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ } (الكهف 23) .

فأخبره بما سئل عنه، وفي هذه القصة نزلت { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ } واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه. فقال ابن جرير: اثنا عشر يوماً. وقال ابن عباس: خمسة عشر يوماً. وقال مقاتل: أربعون يوماً. قالوا: وقال المشركون: إن محمداً ودَّعه ربه وقلاه فأنزل الله تعالى هذه السورة فقال النبي ﷺ :«يا جبريل ما جئت حتى اشتقت إليك؟ فقال جبريل عليه السلام : إني كنت إليك أشدَّ شوقاً ولكني عبد مأمور وأنزل الله تعالى: {وَمَا نَنْتَظِرُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ}» (مريم 64) . اهـ

3- اللباب في علوم القرآن (ج 16 / ص 372) : وقيل : لما سألته اليهود عن الروح ، وذي القرنين وأهل الكهف ، قال النبي ﷺ : " سأخبركم غداً " ولم يقل : إن شاء الله ، فاحتبس عنه الوحي إلى أن نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى : { وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ } [الكهف 23 ، 24] ، فأخبره بما سئل عنه ، وفي هذه القصة نزلت : { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى } . اهـ

وقد حدث له ﷺ إيذاءً شديدٌ في تلك الفترة التي انقطع عنه الوحي من المشركين والمنافقين ، فصبر على ما أصابه ﷺ روى مسلمٌ في صحيحه كتاب (الجهاد والسير) باب (ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين) برقم 3355 عن الأسود بن قيس قال: سمعتُ جندبَ بنَ سُفْيَانَ يَقُولُ: اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَقَمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : " يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ لَمْ أَرَهُ قَرِيبَكَ مِنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ " قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : { وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى } .

رد شبهة : هل الحمار يعفور أول من أسلم بالنبي ؟!

سأل أحدَ المعترضين أحدَ المسلمين قائلاً له : هل تعرف أول من أسلم ، وآمن بالرسول ؟ فقال المسلم : نعم ؛ إن أولَ من أسلمَ من الرجال أبو بكر ، ومن الصبيان عليٌّ ، ومن النساء خديجةٌ رضي الله عنها ، فقال المنصّرُ في سخرية : إجابة خاطئة ، إن أول من أسلم هو الحمارُ يعفور ، وإليك أدلتي كما يلي :

عن أبي منظور قال : لما فتح الله على نبيّه ﷺ خيبراً أصاب من سهمه أربعة أزواج من البغال وأربعة أزواج خفاف ، وعشر أواق ذهب وفضة ، وحمار أسود ومكتل قال : فكلّم النبي ﷺ الحمار ، فكلّمه الحمار ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : يزيد بن شهاب ، أخرج الله من نسل جدي ستين حماراً كلهم لم يركبهم إلا نبي ، لم يبق من نسل جدي غيري ، ولا من الأنبياء غيرك ، وكنت أتوقع أن تركبني ، قد كنت قبلك لرجل يهودي ، وكنت أعتز به عمداً ، وكان يجيع بطني ويضرب ظهري ، فقال النبي ﷺ : سميتك يعفور ، يا يعفور ! قال : لبيك ، قال: تشتهي الإناث قال : لا .

فكان النبي ﷺ يركبه لحاجته فإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل ، فيأتي الباب فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار أوماً إليه أن أجب رسول الله ﷺ فلما قبض النبي ﷺ جاء إلى بئر كان لأبي التيهان فتردى فيها فصارت قبره جزءاً منه على الرسول ﷺ .

راجع : البداية والنهاية لابن كثير (6ج/ ص 150) ، وأسد الغابة (ج 4 / ص 707) ، ولسان الميزان باب من اسمه محمد ، محمد بن مزيد ، و السيرة الحلبية ، غزوة خيبر .

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذه القصة قصة موضوعة على رسول الله ﷺ ، لا يقبلها المسلمون ؛ حكم عليها بالوضع المحققون كما يلي :

1- الشيخ الألباني - رحمه الله - في السلسلة الضعيفة والموضوعة برقم 5405 قال: (موضوع) .

2- جاء في كتاب كشف اللئيم حول الإسلام العظيم تخريج القصة كما يلي :

1- أورد الإمام ابن كثير في تاريخه (6 / 150) هذه القصة وأشار إلى أنها ضعيفة وقد أنكرها غير واحد من الحفاظ الكبار .

2- نص ابن الأثير في أسد الغابة (ج 4 ص 707) إلى أن القصة ضعيفة وليست بصحيحة، وإليك كلامه في نقله عن أبي موسى عقب ذكر القصة : " هذا حديث منكر جداً إسناداً ومتناً لا أحل لأحد أن يرويه عني إلا مع كلامي عليه " .

3- أورد الحافظ الكبير ابن حجر العسقلاني في كتاب لسان الميزان ، باب من اسمه محمد بن مزيد هذه القصة كمثال إلى الكذب الذي يرويه محمد بن مزيد ، وأورد كلام الحافظ ابن حبان وإليك نص الكلام : " محمد بن مزيد أبو جعفر: عن أبي حذيفة النهدي ذكر ابن حبان أنه روى عن أبي حذيفة هذا الخبر الباطل " .

ثم ذكر ابن حجر القصة كاملة فقال : قال ابن حبان : " هذا خبر لا أصل له وإسناده ليس بشيء . وقال ابن الجوزي : لعن الله واضعه " .

4- كلام الإمام السيوطي في اللآلئ المصنوعة الجزء الأول ، (كتاب المناقب) واسم الكتاب كاملاً : (اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) ، وهو خصيصاً لتيبان الأحاديث الموضوعة أي : الكاذبة . بعد أن ساق الإمام السيوطي الحديث قال : موضوع أي : (الحديث) .

ثم ذكر كلام الإمام الحافظ ابن حبان وإليك كلامه : قال ابن حبان : لا أصل له وإسناده ليس بشيء ولا يجوز الاحتجاج بمحمد بن يزيد . فكما رأينا جميعاً لم يكونوا أبداً أمناء في النقل ، ولقد بتروا الكلام من السياق وأخفوا عليكم أقوال العلماء قبل وبعد أن يذكروه وذلك لغاية في أنفسهم . أهـ بتصرف يسير .

قلتُ : إن الواضح من خلال ما تقدم أن القصة ليست صحيحة ؛ وإنما هي موضوعة ... وعليه فجواب المسلم كان صحيحاً لما قال : إن أول من أسلم من الرجال أبو بكر ، ومن الصبيان علي ، ومن النساء خديجة عليها السلام جميعاً ، ولا نعترف بقصة الحمار يعفور التي تحدث عنها المنصر لما سبق بيانه ذلك فلولا الإسناد لقال من شاء ما شاء كما قال ابن المبارك - رحمه الله - .

ثانياً : إن الكتاب المقدس أخبرنا عن حمار تكلم ؛ حمار حاور بلعام النبي جاء ذلك في سفر العدد اصحاح 22 عدد 27²⁷ فَلَمَّا أَبْصَرَتِ الْإِثْنَانُ مَلَاكَ الرَّبِّ، رِيضَتْ تَحْتَ بَلْعَامَ. فَحَمِيَ غَضَبُ بَلْعَامَ وَضَرَبَ الْإِثْنَانِ بِالْقَضِيبِ. ²⁸فَفَتَحَ الرَّبُّ فَمَ الْإِثْنَانِ، فَقَالَتْ لِبَلْعَامَ : «مَاذَا صَنَعْتُ بِكَ حَتَّى ضَرَبْتَنِي الْآنَ ثَلَاثَ دَفْعَاتٍ؟». ²⁹فَقَالَ بَلْعَامُ لِلْإِثْنَانِ : «لَأَنَّكَ أَزْدَرَيْتَ بِي. لَوْ كَانَ فِي يَدَي سَيْفٍ لَكُنْتُ الْآنَ قَدْ قَتَلْتُكَ». ³⁰فَقَالَتْ الْإِثْنَانُ لِبَلْعَامَ : «أَلَسْتُ أَنَا أَتَانُكَ الَّتِي رَكِبْتَ عَلَيْهَا مِنْذُ وُجُودِكَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ؟ هَلْ تَعَوَّدْتُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ هَكَذَا؟» فَقَالَ : «لَا». * الْإِثْنَانُ: أَنْثَى الْحَمَارِ.

قُلْتُ : إن المنصر لما سأل المسلم عن قصة لا نعترف بها استهزأ ، وسخر أما نحن - المسلمين - فلا نسخر من هذه النصوص كما فعل؛ فنحن لسنا مثله ...

ثم إن الأعجب من ذلك هو أن الكتاب المقدس أخبرنا عن حمار رد حماقة نبي وذلك في رسالة بطرس الثانية إصحاح 2 عدد ¹⁵ قَدْ تَرَكُوا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ ، فَضَلُّوا ، تَابِعِينَ طَرِيقَ بَلْعَامَ بْنِ بَصُورَ الَّذِي أَحَبَّ أَجْرَةَ الْإِثْمِ . ¹⁶ وَلَكِنَّهُ حَصَلَ عَلَى تَوْبِيخٍ تَعَذِّيهِ ، إِذْ مَنَعَ حِمَاقَةَ النَّبِيِّ حِمَارٌ أَعْجَمُ نَاطِقًا بِصَوْتِ إِنْسَانٍ .

قُلْتُ : إن كون الحمار يتكلم هذا لا إشكال فيه ؛ لأن الله قادرٌ على ذلك ، فنحن لا نشك في قدرة الله ؛ ولأن السنة دلت على ذنب تكلم ليخبر عن النبي ﷺ ، ودلت عن تكلم بقرة ... وذلك في الآتي:

1- دلائل النبوة للبيهقي برقم 2290 عن أبي سعيد الخدري ، قال : بينما أعرابي في بعض نواحي المدينة في غم له إذ عدا عليها الذئب ، فأخذ شاة من غنمه ، فأدركه الأعرابي فأخذها ، وانطلق الذئب يمشي ، ثم رجع الذئب مستذفرا بذنبه مستقبلا الأعرابي ، ثم قال : ويحك ، ألا تحرج رزقا رزقيته الله ، فطفق الأعرابي بين يديه ، فقال : العجب من ذئب يتكلم قال الذئب : والله إنك لتدع ما هو أعجب من هذا ، قال : وما أعجب من هذا ؟ قال : نبي الله في النخلات يحدث الناس عن أنباء ما قد سبق ، وما يكون بعد ذلك ، فساق الأعرابي غنمه حتى ألجى إلى بعض المدينة ، وسعى إلى النبي ﷺ ، حتى ضرب عليه بابه ، فأذن له فحدثه الأعرابي فصدقه ثم قال : " إذا صليت بالناس الصلاة فاحضرنى " ، فلما صلى رسول الله ﷺ ، قال : " أين صاحب الغنم ؟ " فقام الأعرابي ، فقال له النبي ﷺ : " حدث بما رأيت وبما سمعت " ، فحدث الأعرابي بما سمع وبما رأى ، ثم قال : " والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فتخبره نعله ، أو سوطه ، أو عصاه بما أحدث أهله بعده " . قال عبد الحميد بن بهرام الفزاري ، عن شهر بن حوشب .

2- مسند أحمد برقم 7047 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةٌ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بَوَّجَهُ فَقَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا قَالَتْ إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرَاثَةِ". فَقَالَ النَّاسُ: "سُبْحَانَ اللَّهِ بَقْرَةٌ تَكَلِّمُ". فَقَالَ: "فَإِنِّي أُوْمِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ عَدَا غَدًا وَعُمَرُ" وَمَا هُمَا ثُمَّ "وَبَيْنَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا عَلَيْهَا الذَّنْبُ فَأَخَذَ شَاةً مِنْهَا فَطَلَبَهُ فَأَدْرَكَهُ فَاسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ فَقَالَ: يَا هَذَا اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي فَمِنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ يَوْمٌ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي". قَالَ النَّاسُ: "سُبْحَانَ اللَّهِ ذَنْبٌ يَتَكَلَّمُ"! فَقَالَ: "فَإِنِّي أُوْمِنُ بِذَلِكَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ". وَمَا هُمَا ثُمَّ . تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

لكن الإشكالية الحقيقية في نص رسالة بطرس الثانية وهي : أن الحمار لما نطق ، نطق ليرد حماقة النبي !

وأتساءل : هل الحمار أذكى من النبي ، وأعلم من النبي كما يذكر الكتاب المقدس ؟ وهل بعض أنبياء الله في الكتاب المقدس حمقى لدرجة أن الحمار يرد حماقة أحدهم ؟! هذه هي الإشكالية التي نبرأ إلى الله ﷻ منها

رد شبهة : كيف الله يُصَلِّي علي النبي ؟!

قالوا: كيف يُصَلِّي الله على نبيكم محمد ؟!

وذكروا قول الله ﷻ : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب 56) .

ثم قالوا : هل الله يُصَلِّي كما جاء في السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمؤمن ..باب ذكر الإسراء و المعراج : لما وصلت إلى السماء السابعة قال لي جبريل ﷺ رويداً ؛ أي : قف قليلاً فإن ربك يُصَلِّي قلت: أهو يُصَلِّي وفي لفظ كيف يُصَلِّي ؟ وفي لفظ آخر

قلت: يا جبريل أيصلي ربك ؟ قال: نعم . قلت : وما يقول؟ قال : يقول : سبح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي ، ولا مانع من تكرر وقوع ذلك له ﷺ من جبريل ومن غيره في السماء السابعة وفيما فوقها لكن يبعد تعجبه ﷺ من كونه ﷺ يُصلي في المرة الثانية وما بعدها .

وورد أن بني إسرائيل سألوا موسى هل يصلي ربك فبكى موسى - عليه الصلاة والسلام - لذلك فقال الله : يا موسى ما قالوا لك ؟ فقال : قالوا : الذي سمعت . قال : أخبرهم أني أصلي وأن صلاتي تطفئ غضبي والله أعلم . اهـ

الرد على الشبهة

أولاً : إن المسلمين يعتقدون أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، وعليه فإن تصورهم بأن الله يصلي على النبي ﷺ كما نصلي نحن تصور خاطئ

فإن قيل : كيف يصلي الله على النبي ﷺ كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب 56) ؟
قلتُ : إن صلاة الله على النبي ثناء عليه في الملائكة الأعلى (أمام الملائكة) ، وليست كما يتصور المعارضون يدل على ذلك ما جاء في الآتي :

1- صحيح البخاري في باب قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ قال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء. اهـ

2- شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - : الصلاة في اللغة : الدعاء ؛ قال تعالى : { وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ } ، وأصح ما قيل في صلاة الله على رسوله هو ما ذكره البخاري في (صحيحه) عن أبي العالية قال : (صلاة الله على رسوله : ثناؤه عليه عند الملائكة) . اهـ

4- التفسير الميسر: إن الله يُثني على النَّبِيِّ ﷺ عند الملائكة المقربين ، وملائكته يثنون على النَّبِيِّ ويدعون له، يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله واعملوا بشرعه، صلُّوا على رسول الله، وسلِّموا تسليماً، تحية وتعظيماً له. وصفة الصلاة على النَّبِيِّ ﷺ ثبتت في السنة على أنواع، منها: " اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد " . اهـ

-5

وعليه لو قلنا : إن الله ﷻ يُصَلِّي علي النَّبِيِّ ﷺ بتكبيرٍ إحرامٍ وركوعٍ وسجودٍ..... لكفرنا بالله العظيم ، ولكن المعنى كما أسلفت - بفضل الله ﷻ -

إذا : صلاة الله ﷻ على النَّبِيِّ ﷺ ثناء عليه في الملاء الأعلى ، وصلاة الملائكة علي النَّبِيِّ ﷺ استغفار ودعاء؛ لقوله ﷻ عن الملائكة : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (غافر 7) .

ولقوله ﷻ ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشورى 5).

وأما صلاة العبد للعبد دعاء ؛ لقوله ﷻ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة 103).

جاء في التفسير الميسر : خذ - أيها النبي - من أموال هؤلاء التائبين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم ، وترفعهم عن منازل المنافقين إلى منازل المخلصين ، وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم واستغفر لهم منها، إن دعائك واستغفارك رحمة وطمأنينة لهم . والله سميع لكل دعاء وقول ، عليم بأحوال العباد و نيتهم ، وسيجازي كلَّ عامل بعمله . اهـ

ثانياً : إن قيل : هل النَّبِيُّ ﷺ يحتاج إلى الصلاة عليه ؛ أي : الدعاء له ؟

قُلْتُ : إن أجمل ما قرأت في هذا الشأن هو ما قاله العز بن عبد السلام - رحمه الله -
لما قال : ليست صلاتنا على النبي ﷺ شفاعة منا له ، فإن مثلنا لا يشفع لمثله ، ولكن
الله أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا وأنعم علينا ، فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء ،
فأرشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه ؛ لتكون صلاتنا عليه
مكافأة بإحسانه إلينا ، وأفضاله علينا ، إذ لا إحسان أفضل من إحسانه ﷺ ، وفائدة
الصلاة عليه ترجع إلى الذي يُصَلِّي عليه دلالة ذلك على نزوج العقيدة ، و خلاص
النية ، وإظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام . اهـ

ثالثاً : إن قيل : هل الله يُصَلِّي على النبي ﷺ فقط ؟

قُلْتُ : لا ؛ إن الله ﷻ يُصَلِّي على أناسٍ غيره ﷺ منهم :

1- إبراهيم ﷺ ؛ فنحن نصلي عليه في صلاتنا في التشهد ؛ ثبت في صحيح البخاري
برقم 4423 عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ؓ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ
فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ قَالَ ﷺ : " قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ
عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى
آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ " .

2- زوجات النبي ﷺ وذريته ؛ ثبت في صحيح البخاري باب (هل يُصَلَّى على غير
النبي ﷺ) برقم 5883 عَنْ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ الرُّقَيْيِّ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو حَمِيدٍ السَّاعِدِيُّ
أَنَّهُمْ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ قَالَ ﷺ : " قُولُوا : " اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ
عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ " .

3- الصابرين ؛ قال ﷻ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ وَالْثَمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ ﴿ 156 ﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿ 157 ﴾ (البقرة) .

نلاحظ من قوله ﷺ عن الصابرين : " أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ " . أي : أن الله ﷻ يثني على الصابرين في الملاء الأعلى ، ويرفع قدرهم

يتضح من الآية الكريمة بطلان كلام من قال : إن صلاة الله ﷻ على النبي ﷺ رحمة ؛ لأن الله ﷻ لما تكلم عن الصابرين قال : " أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ " . فالصلاة في الآية غير الرحمة ، وذلك لأن حرف العطف (الواو) يقتضى المغايرة؛ فحينما أقول شربت شايًا ، وبرتقال ، هل الشاي هو البرتقال الجواب: لا.

4- نحن - المسلمین - ؛ قال ﷻ : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب43) . أي : يثني علينا في الملاء الأعلى ، وملائكته تستغفر لنا ؛ ثم إن هذه الآية الكريمة تبين لنا أن رب العالمين يحب أهل الإيمان، ويتولاهم بالسداد والتوفيق ، وتبين أن في الدنيا ظلمات شتى ، فهو يخرجهم من الظلمة ، ويبسط في طريقهم أشعة النور تهديهم إلى الغاية الصحيحة، وترشدهم إلى الطريق المستقيم، وهذا المعنى واضح من قوله ﷻ : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (البقرة 257).

إذا من خلال ما سبق تبين لنا : أن الله ﷻ يُصَلِّي على محمد ﷺ ، وعلى أزواجه ، وعلى إبراهيم ﷺ ، وعلى الصابرين، و يُصَلِّي علينا نحن - المسلمین - . والمعنى: أنه يثني على عباده في الملاء الأعلى أمام الملائكة ؛ ولكن الصلاة التي يستحقها الصابرون على مصابهم، والصلاة التي يستحقها المؤتون للزكاة، والصلاة التي يخرج بها أهل الإيمان من الظلمة إلى النور، ومن الحيرة إلى الهدى، هذه الصلوات كلها دون الصلاة التي خصَّ الله بها نبينا محمد ﷺ ؛ لأن صلاة الله وملائكته على نبيه محمد ﷺ تنويه بالجهد الهائل الذي قام به هذا الإنسان العظيم ﷺ كي يخرج الناس من الظلام إلى النور، وهو الذي بدد الجاهلة، وأذهب الظالم والظلمات ﷺ وجاء بدين الحق ليظهره على الدين كله ، فجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.....

رابعاً : لابد من التفريق بين قولين: **الأول :** الصلاة على النبي . **الثاني:** الصلاة للنبي .

الصلاة على النبي ﷺ تم إيضاحها ، وأما الثانية لو قلنا بها لكفرنا بالله ﷻ فنحن لا نصلي لأحد إلا له ﷻ ، ولا نقول : إن الله ﷻ يُصلي للنبي ، فلا يتصور من عاقل أن يقول بمثل هذا

خامساً : إن الروايات التي استشهد بها المعارضون في الشق الثاني من سؤالهم منكراً ، وموضوعة على نبينا ﷺ لا نعترف بها ، وبالتالي تسقطهم شبهتهم التي تقول : هل الله يُصلي واستدلّاهم بما جاء في السيرة الحلبية للآتي :

أولاً : الشيخ الألباني - رحمه الله - بين أنها موضوعة في السلسلة الضعيفة برقم 1387 لما أسري بالنبي ﷺ إلى السماء السابعة قال له جبريل : رويدك فإن ربك يصلي ! قال : وهو يصلي ؟ قال : نعم . قال : وما يقول ؟ قال : يقول : " سبح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي " . (منكر) و أورده ابن الجوزي في الموضوعات (119/1) . ، وبرقم 1386 - " قلت : يا جبريل أيصلي ربك ؟ قال : نعم ، قلت : ما صلاته ؟ قال : " سبح قدوس ، سبقت رحمتي غضبي ، سبقت رحمتي غضبي " . (موضوع بهذا التمام) . اهـ

ثانياً : إن الصحيح في هذا الأمر هو ما جاء في صحيح مسلم برقم 752 عن عائشة كان رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : " سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ " .

فهذا من كلام النبي ﷺ في صلاته ؛ في ركوعه وسجوده ، وليس ذلك من كلام رب العالمين في صلاته كما تذكر السيرة الحلبية ، وكما يزعم المعارضون فعلى ذلك تبطل الشبهة - بفضل الله ﷻ - .

وأما ما جاء في السيرة الحلبية بعد الخبر الأول ؛ قال صاحبها : وورد أن بني إسرائيل سألوا موسى هل يصلي ربك ؟ فتكابد موسى ﷺ لذلك فقال الله : يا موسى ما قالوا لك ؟ فقال : قالوا : الذي سمعت قال : أخبرهم أني أصلي ، وأن صلاتي تطفئ غضبي . والله أعلم .

قلتُ : إن هذا باطل ومنكر أيضاً ؛ ذكر ذلك الألباني - رحمه الله - في السلسلة الضعيفة برقم 1387 .

وأما الحديث الصحيح هو عند البخاري في صحيحه برقم 2955 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي".

نلاحظ ليس في الحديث الصحيح أن الله يُصَلِّ ، ويقول : إن صلاتي تطفئ غضبي ؛ لا في هذا الحديث ، ولا في غيره من الأحاديث الصحيحة .

سادساً : إن الأناجيل أخبرتنا أن الرب يسوع بحسب إيمانهم كان يُصَلِّي

جاء ذلك في عدة مواضع منها :

1- إنجيل لوقا الإصحاح 22 عدد ⁴¹ وَأَنْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمِيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى .

2- إنجيل مرقس الإصحاح 1 عدد ³⁵ وَفِي الصُّبْحِ بَاكِراً جِدّاً قَامَ وَخَرَجَ وَمَضَى إِلَى مَوْضِعٍ خَلَاءٍ، وَكَانَ يُصَلِّي هُنَاكَ.

3- إنجيل متى إصحاح 26 عدد ³⁹ ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمَكْنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ، وَلَكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ».

4- إنجيل يوحنا إصحاح 4 عدد ²² أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ . لِأَنَّ الْخَلَاصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ. ²³ وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الْآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لِأَنَّ الْآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هَؤُلَاءِ السَّاجِدِينَ لَهُ.

5- إنجيل متى إصحاح 4 عدد ¹⁰ حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: « اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لِأَنَّهُ مَكْتُوبُ : لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ ».

أتساءل :

1- إن البشر يصلون لله ، فلمن كان يُصَلِّي يسوع الذي هو الله بحسب إيمانهم ؟!

2- هل الله يُصَلِّي صلاة المحتاج لغيره...؟

3- هل الله يُصَلِّي لله ﷻ....؟ أم أن يسوع المسيح كان نبياً يصلي لله ، ويأمر بني إسرائيل بذلك...؟!

والأعجب مما سبق هو أن إنجيل متى أخبرنا في الإصحاح 27 عدد⁴⁶ وَنَحْوَ السَّاعَةِ الثَّاسَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِلَيَّ، إِلَيَّ، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيُّ: إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟

وَأَسْأَلُ :

1- هل يسوع الإله كان ينادى على إله آخر ، ويسأله لماذا تركه في أيدي اليهود ليهينوه وليصلبوه.... ؟

2- هل كان يسوع كارهاً الموت ؟ ألم يأت من أجل الصلب... ؟!

3- من الذي مات على الصليب اللاهوت (الإله) أم الناسوت (الإنسان)؟!

فإذا كان الناسوت هو الذي مات على الصليب يكون الفداء غير صالح لماذا؛ لعدة أسباب منها :

1- إن الخطيئة الأصلية غير محدودة ؛ تقتضى أن الله ﷻ ينزل ويتجسد ليصلب ؛ فليس سوى الله قادراً على حمل خطايا البشر على الصليب ؛ فالإنسان لا يمكنه أن يحمل على كتفه خطايا البشر كلها .

2- إن شريعة موسى مكتوب فيها : " ملعون كل من عُلقَ على خشبةٍ " (سفر التثنية 23/21).

فاللعنة نقص ، وطرد من رحمة الله ؛ فكيف يكون هذا الإنسان الذي أصابته اللعنة والنقص كُفناً لحمل خطايا البشر ؟!

3- إن الكتاب المقدس أخبرنا أن الإنسان لا يحمل خطيئة أي إنسان ؛ بل كل إنسان بخطيئته يقتل : " لا يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الْوُلَادِ وَلَا يُقْتَلُ الْوُلَادُ عَنِ الْآبَاءِ . كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيئَتِهِ

يُقْتَلُ". سفر التثنية [24 / 16] فلو كان يسوع مات كإنسان فإن الإنسان لا يحمل خطيئة إنسان آخر !

وإذا كان اللاهوت هو الذي مات على الصليب فهذه إشكالية كبيرة ؛ لأن الله ﷻ لا يموت أبداً ؛ جاء ذلك في عدة نصوص منها :

أ- سفر التثنية (32 / 40) يقول الرب عن نفسه : " حي أنا إلى الأبد " .

ب - رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس 6 / 16 : " الذي وحده له عدم الموت " .

ج - سفر إرمياء إصحاح 10 عدد 10¹⁰ أما الرب الإله فحق . هو إله حي وملك أبدي . من سخطه ترتعد الأرض ، ولا تطيق الأمم غضبه .

د- إن قانون الإيمان الأرثوذكسي ينص على أن اللاهوت لم يفارق الناسوت لحظة واحدة ؛ دل ذلك على أن الله بحسب معتقدهم مات على الصليب ، وهذا يتناقض مع النصوص التي تخبر بأن الله ﷻ لا يموت أبداً!

سابعاً : إن الأناجيل تظهر لقارئها إن يسوع المسيح كان إنساناً نبياً يدعو ربّه لشفاء الآخرين ، وإحيائهم ... تدلل على ذلك أدلة منها :

1- إنجيل يوحنا عن معجزة إحياء الميت (لعازر) ، وذلك في الإصحاح 11 عدد 41⁴¹ فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً ، ورفع يسوع عينيه إلى فوق ، وقال : «أيتها الآب ، أشكرك لأنك سمعت لي ، 42⁴² وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي . ولكن لأجل هذا أجمع الواقف قلت ، ليؤمنوا أنك أرسلتني » .

قلت : إن الواضح من النصوص أن يسوع رفع عينيه إلى السماء ، وشكر الآب (الرب) ؛ لأنه سمع لدعائه ... فهل هناك إله يدعو إلهاً ، ويشكر الإله ؛ لأن الإله استجاب للإله أفلا يعقلون ؟!

2- إنجيل يوحنا إصحاح 9 عدد 17¹⁷ قالوا أيضاً للأعمى : «ماذا تقول أنت عنه من حيث إنه فتح عينيك ؟» فقال : «إنه نبي !» .

إن ما يدعم ما سبق هو قول يسوع نفسه الذي ينفي الإلهية عن نفسه ، وينفي التثليث ، ويقر بأنه رسول من عند الله ﷺ ... وذلك ما ذكره كاتب إنجيل يوحنا في الإصحاح 17 عدد³ وهذه هي الحياة الأبدية: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ إِلَهَ الْحَقِيقِيِّ وَحَدَّكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أُرْسَلْتَهُ.

رد شبهة : لولاك لما خلقت الأفلاك !

سألوا وهم يضحكون قائلين : ما رأيكم في هذا الحديث الذي معناه : أن الله خلق الكون والحياة من أجل رسولكم ؟! وذكروا الحديث القدسي الذي فيه يقول الله ﷻ لنبيه ﷺ : " لولاك لما خلقت الأفلاك " ،

وحديث آخر يقول : " أوحى الله إلى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولاً محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن المعارضين يضحكون على أمر لا نعتقد به ، ولا بما جاء في أسئلتهم.... بل نعتقد أن الله ﷻ خلق الخلق من أجل لا إله إلا الله ، لا من أجل محمد ﷺ ...
ففي كتاب الله المجيد نجد الآتي :

1- أن الله ﷻ خلق السماوات والأرض وما بينهما من أجل لا إله إلا الله ، ومن أجل عبادته ؛ لقوله ﷻ : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ (الحجر 85).

جاء في التفسير الميسر : وما خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ دَالَتَيْنِ عَلَى كَمَالِ خَالِقِهِمَا واقتداره، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له . وإن الساعة التي تقوم فيها القيامة لا تية لا محالة ؛ لتوفى كل نفس بما عملت، فاعف - أيها الرسول- عن المشركين ، واصفح عنهم وتجاوز عما يفعلونه . اهـ
و قوله ﷺ : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ (ص27) .

2- أن الله ﷻ أنزل الكتب من أجل لا إله إلا الله ، ومن أجل توحيده ؛ قال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء136) .

وقال ﷻ لنبيه ﷺ : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ (آل عمران4/3)

3- أن الله ﷻ أرسل الرسل من أجل لا إله إلا الله ، ومن أجل توحيده ؛ قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (النحل36).

وقال ﷻ : " خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " . رواه الترمذي في سننه برقم 3509 .

4- أن الله ﷻ خلق الجن والإنس من أجل لا إله إلا الله ، ومن أجل عبادته ، وتوحيده ؛ قال ﷻ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات56). قال ابن عباس: " إلا ليوحدون " .

5- أن الله حمل الإنسان الأمانة وهي الدين ؛ قول ﷺ : إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (73)(الأحزاب).

وعليه : فإن الله ﷻ لم يخلق الخلق من أجل محمد ﷺ بل من أجل توحيدِهِ وعبادته كما تقدم معنا - بفضل الله ﷻ - .

ثانيًا : بعد أن بيّنتُ - بفضل الله ﷻ - ما نعتقد به في سببِ خلقِ الله ﷻ للخلق ، أقول في الأحاديث التي أضحكتم بأنها لا تصح ، ولا نؤمن بها فليضحكوا ما شاءوا على شيء لا نؤمن به ، ولا نعتقد به ؛ دليل ذلك ما يلي :

الحديث الأول : حديث " لولاك لما خلقت الأفلاك " حديثٌ موضوعٌ : ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص 326). وقال : قال الصغاني : موضوع .

اهـ

الحديث الثاني : حديث " أوحى الله إلى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن " .(حديث لا أصل له)

قال الألباني في السلسلة الضعيفة برقم 280 (لا أصل له) رقم الجزء والصفحة (1 / 448) لا أصل له مرفوعا . و إنما أخرجه الحاكم في المستدرک (2 / 614 - 615) من طريق عمرو بن أوس الأنصاري حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال : فذكره موقوفا وقال : صحيح الإسناد ، و تعقبه الذهبي بقوله : أظنه موضوعا على سعيد . قلت : يعني ابن أبي عروبة ، و المتهم به الراوي

عنه عمرو بن أوس الأنصاري ، قال الذهبي في الميزان : يجهل حاله ، و أتى بخبر منكر ، ثم ساق له هذا الحديث و قال : و أظنه موضوعاً ، و وافقه الحافظ ابن حجر في اللسان فأقره . اهـ

ثالثاً : إن في هذين الحديثين رداً على من يقول : إن المسلمين يصححون الأحاديث التي فيها المناقب لرسول الإسلام فهذين الحديثين رغم أن فيهما مناقب عظيمة للنبي ﷺ و رفع من شأنه العظيم نقول عنهما: إنهما موضوعان على نبينا ﷺ ولا نعترف بهما ، فنحن لا نصحح حديثاً ؛ لأن فيه مناقب للنبي ﷺ ولا نضعف حديثاً ؛ لأن فيه إساءة للنبي ﷺ ... ولكنه علم يفتقده المعترضون ليثبتوا به على الأقل صحة كتابهم المقدس

رابعاً : إن إيمان المعترضين يقوم على قصة الخطيئة الأصلية (خطيئة آدم) ، والفداء والصلب .

جاء في سفر التكوين الإصحاح 3 عدد²³ فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ إِلَهُ مِنْ جَنَّةٍ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ الَّتِي أَخَذَ مِنْهَا. ²⁴فَطَرَدَ الْإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةٍ عَدْنٍ الْكُرُوبِيمَ ، وَلَهَبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ.

قلتُ : إننا لم نتساءل بسخرية كما فعل المعترضون ، فنسأل مثلما سألوا كما يلي:

1- لما طرد الله ﷻ آدم وحواء من الجنة بسبب المعصية حيث أكلتا من الشجرة التي نهاهما الله ﷻ عن الأكل منها ، لماذا لم يتدخل يسوع وقتها ، ويعمل على العفو لينقذ نفسه من القتل على الصليب والإهانة وتنتهي القضية ؟!

2- أين كان يسوع وقت خطيئة آدم أليس هو إله أزلي بزعمهم ؟!

3- لماذا يتجسد الرب من أجل خطيئة آدم فيهان ، ويضرب ، و يُصلب... ؟

4- هل رب السماوات والأرض هو الذي مات على الصليب ؟!

5- هل ذُكرَ يسوعُ لفظ (آدم) على لسانه مرةً واحدةً فقط في العهد الجديد ، مع العلم أنه جاء من أجل الصليب والتكفير عن خطيئة آدم ؟!

قلتُ : إنه لم يذكر اسمه (آدم) قط

إننا لا نطعن في دين الآخرين فالله يفصلُ بيننا يوم القيامة ، يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون ..

ثم إننا لم نسخر من عقيدتهم ونقول مثلاً : إنها لمسرحية من يؤمن بيسوع ينل الخلاص ثم يعمل الموبيقات بعد ذلك ، ولا عقاب عليه ؛ لأن يسوع مسح خطيئته بدمه على الصليب. ولم نقل : إن الشيطان إذا أراد أن يصنع ديناً يعبدّه الناس لصنع دين بولس : يزنون ، ويسرقون ولا ضرر في ذلك ؛ لأن يسوع مسح خطيئتهم على الصليب بدمه ! فلماذا يهاجم المعترضون المسلمين بسخرية ، وليت استدلالهم على اعتراضهم بإدلة صحيحة تقويهم.... ؟!

رد شبهة : نبيُّ خلق من نور !

قالوا : وصل الأمر برسول الإسلام إلى أنه قال لأصحابه : إنه خلق من نور! فهو بذلك ليس كبقية البشر ، ويستدلون على ذلك بحديث يروى عن جابر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء ؟ قال : " يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره... " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن النبي ﷺ بشرٌ من ذريةِ آدمَ ، مخلوق من طينٍ ... تدل على ذلك أدلة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف110).

2- قوله ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ (الفرقان 20).

3- قوله ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (الفرقان 20). كان هذا جواباً علي المشركين، لما قالوا: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (الفرقان 7) .

فمقتضى هذه البشرية للأنبياء أنهم يصيبهم ما يصيب البشر من الأعراض ، فهم ينامون ويقومون ، ويصحون ويمرضون ، ويتعرضون للابتلاء كما يتعرض غيرهم من البشر، بل هم أشد الناس بلاء.

وعليه : فإن من يزعم أن محمداً ﷺ خلق من نور زعمه باطل ؛ فهو بذلك ملك ، وشابه المشركين الذين استبعدوا واستنكروا أن يكون البشر رسولاً ؛ قال الله ﷻ : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (الإسراء 94) .

فرسول الله ﷺ بشر لا ملك ، وقد أمره الله ﷻ أن يصرح بذلك قائلاً له ﷺ : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (الإسراء 93).

ليس في القرآن ، ولا في السنة ، ولا ما أجمع عليه سلف الأمة ما يوجب الخروج عن هذه الحقيقة : أنه بشر من ذرية آدم ، وقد خلق آدم من تراب لا من نور

وعليه فهذا رد على قولهم: وصل الأمر برسول الإسلام أنه قال لأصحابه : إنه خلق من نور! فهو بذلك ليس كبقية البشر....

ثانياً : إن استدلالهم على شبهتهم بحديث جابر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء؟ قال ﷺ: " يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ... " استدلال باطل لا يخدم مصالحهم بحال من الأحوال ؛ لأن الحديث موضوع على نبينا ﷺ لا نعترف به ؛ حكم عليه بذلك علماء أجلاء منهم:

1- الشيخُ الألبانيُّ - رحمه الله - في تعليقه على الحديث الصحيح في السلسلة الصحيحة برقم 458 - " خلقت الملائكة من نور و خلق إبليس من نار السموم و خلق آدم ﷺ مما قد وصف لكم " .

كان تعليقه - رحمه الله - قائلاً :

وفيه إشارة إلى بطلان الحديث المشهور على ألسنة الناس : " أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر". و نحوه من الأحاديث التي تقول بأنه ﷺ خلق من نور ، فإن هذا الحديث دليل واضح على أن الملائكة فقط هم الذين خلقوا من نور ، دون آدم و بنيه ، فتنبه و لا تكن من الغافلين .

و أما ما رواه عبد الله بن أحمد في السنة (ص 151) عن عكرمة قال : " خلقت الملائكة من نور العزة ، و خلق إبليس من نار العزة " .

و عن عبد الله بن عمرو قال : " خلق الله الملائكة من نور الذراعين و الصدر " .

قلت : فهذا كله من الإسرائيليات التي لا يجوز الأخذ بها ، لأنها لم ترد عن الصادق المصدوق ﷺ . اهـ

2- قال الشيخُ أبو الفيض أحمد الغماري في كتابِه هـ : المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير: وهو حديث موضوع، لو ذكره بتمامه لما شك الواقف عليه في وضعه، وبقيته تقع في نحو ورقتين من القطع الكبير مشتملة على ألفاظ ركيكة ومعان منكرة اهـ .

3- قال الشيخُ رشيد رضا في الفتاوى (447/2) :

أنه حديث لا أصل له، وقد سبق إلى ذلك السيوطي ، فقد سئل عن هذا الحديث، كما في الحاوي للفتاوى ج1 ص 323 ، فقال: الحديث المذكور في السؤال ليس له إسناد يعتمد عليه. انتهى . والله أعلم . اهـ

إِذَا : الاستدلال به باطل لا يخدم المعترضين لما أسلفت - بفضل الله ﷻ .

ثالثاً : إن قيل : إن هناك حديثاً آخر أخبر أن النبي ﷺ مخلوق من نور؛ جاء في السلسلة الصحيحة للألباني برقم 1545 قال ﷺ : " أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى - عليهما السلام - ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ".
قلتُ : إن المقصودَ بالنور هنا هو ما قاله ابن رجب الحنبلي وغيره : هو نور الهداية الذي جاء به محمد ﷺ ليمحو به ظلمة الشرك

وبالتالي لا يقول عاقل قط بأن أم النبي ﷺ أمانة بن وهب وضعت نوراً لا جسداً ، فهذا لم يرد إلينا قط ، لا في حديث صحيح ، أو ضعيف ، أو موضوع
وعليه : فإن النبي ﷺ لم يقل ذلك حتى يظهر مكانته بين أصحابِه ﷺ كأنه ليس كبقية البشر كما قال المعتضون بل كان يظهر لهم التواضع وعدم المبالغة فيه..... جاء ذلك في عدة أحاديث منها :

1- صحيح البخاري برقم 3189 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمُنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : " لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنُ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ " .

2- سنن ابن ماجه برقم 3303 ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 1876 عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ فَجَعَلَ تَرَعْدُ فَرَائِصُهُ فَقَالَ لَهُ : " هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ " .
(القديد): اللحم المملوح المجفف في الشمس .

والشاهد أنه ﷺ كان زاهداً متواضعاً مع أصحابه ﷺ ، ومع الناس أجمعين ﷺ
فعلى هذا تبطل الشبهة التي هي أوهن من بيتِ العنكبوت لو كانوا يعلمون.

رابعاً : إنني أتعجب كثيراً أن تُطرح شبهة كهذه من المعترضين ؛ إنهم ينكرون علينا بحديث لا نعترفُ به ، ولا نصدقه رغم المدح الذي فيه لنبيِّنا ﷺ أنه خلق من نور ، ولا ينكرون على أنفسهم أنهم جعلوا إنساناً (يسوع) يتبرز ويبول وينام إلهاً ؟!

رد شبهة : حادثة شق الصدر!

سألوا بتهكم قائلين : ما ذا تقولون عن خرافة حادثة شق صدر نبيِّكم لما كان طفلاً؟!

ثم قالوا مستهزئين: ما الهدف من تلك العملية الجراحية لنبيِّكم ؟!

وجدتُ دليل شبهتهم في مرجعين :

الأول : تفسير ابن كثير لقوله ﷺ : " أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ " (الشرح 1) .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ أَبُو يَحْيَى الْفَرَّازُ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي بَنْ كَعْبٍ حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ مُعَاذٍ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ جَرِيئًا عَلَى أَنْ يَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ لَا يَسْأَلُهُ عَنْهَا غَيْرُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : مَا أَوَّلَ مَا رَأَيْتَ مِنْ أَمْرِ النَّبُوءَةِ ؟ فَاسْتَوَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا وَقَالَ : " لَقَدْ سَأَلْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِنِّي فِي الصَّخْرَاءِ ابْنُ عَشْرٍ سَنِينَ وَأَشْهُرَ وَإِذَا بِكَلَامٍ فَوْقَ رَأْسِي وَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ لِرَجُلٍ أَهْوُ هُوَ ؟ فَاسْتَقْبَلَانِي بِوُجُوهِ لَمْ أَرَهَا قَطُّ وَأَرْوَاحَ لَمْ أَجِدْهَا مِنْ خَلْقٍ قَطُّ وَثِيَابَ لَمْ أَرَهَا عَلَى أَحَدٍ قَطُّ فَأَقْبَلَا إِلَيَّ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَخَذَ لِي وَاحِدٌ مِنْهُمَا بَعْضِي لَا أَجِدُ لِأَحَدِهِمَا مَسًّا فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ اضْجَعُهُ فَأَضْجَعَانِي بِلَا قَصْرِ وَلَا هَصْرٍ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ افْلِقْ صَدْرَهُ فَهَوَى أَحَدُهُمَا إِلَى صَدْرِي فَفَلَقَهُ فِيمَا أَرَى بِلَا دَمٍ وَلَا وَجَعٍ فَقَالَ لَهُ : أَخْرِجِ الْغُلَّ وَالْحَسَدَ فَأَخْرَجَ شَيْئًا كَهَيْئَةِ الْعَلَقَةِ ثُمَّ نَبَذَهَا فَطَرَحَهَا فَقَالَ لَهُ ادْخُلِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ فَإِذَا مِثْلُ الَّذِي أَخْرَجَ شِبْهَ الْفِضَّةِ ثُمَّ هَرَّ إِبْهَامَ رِجْلِي الْيُمْنَى فَقَالَ : اُغْدُ وَاسْلَمْ فَرَجَعْتُ بِهَا أَغْدُو رِقَّةً عَلَى الصَّغِيرِ وَرَحْمَةً لِلْكَبِيرِ

الثاني : صحيح مسلم برقم 236 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عِلْقَةً

فَقَالَ : هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمَ ثُمَّ لَامَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ وَجَاءَ الْغُلَمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظَنَرَهُ فَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ قَالَ أَنَسٌ : وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ.

الرد على الشبهة

أولاً : إن قولهم ما الهدف من تلك العملية الجراحية لنبيينا ﷺ حيث قام جبريلُ ﷺ بإخراج قلبه وغسله في تسطٍ من ذهبٍ....؟ هذا مجرد سخرية تنم عن كرههم لنبيينا ﷺ

فلو جاء هذا الخبر عن نبيٍّ من أنبياء الكتاب المقدس، أو رسولٍ من رسل المسيح ﷺ ، أو قديسٍ ما ؛ ما اعترضوا وسخروا

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : هل الله عاجز عن فعل ذلك ؟

الجواب: لا ؛ إذاً لا شبهة - بفضل الله ﷻ - فهذه مسألة إيمانية ، أعني : لا تناقض عقلاً ؛ لأنها تخص قدرة الله ﷻ ، و إعجازه ...

ثم إن الله ﷻ أراد أن يرى نبيه ﷺ اصطفاؤه له بصورة مادية ، وهي نزع نصيب الشيطان في ما يدرك إمساكه من قلبه الشريف ﷻ فأخرج القلب وتنقيته أمر عظيم رآه رسولُ الله ﷻ ولم ينسأه ، ثم إن هذه إرهابات جعلها الله ﷻ لنبيه ﷻ دليلاً لنبوته ؛ حتى إذا جاءه الوحيُّ كان ﷻ أقدر على تحمله

فمثلاً : حادثة الفيل ؛ حدوثها في عام ميلاده ﷻ تدعم قدسية رسالته ، و قدسية البيت الحرام الذي جاء ليجعله قبلة للعالمين.

وعليه فهذه الحادثة العجيبة (شق الصدر) هي معجزة ربانية ، فيها تجسيد مادي لنصيب الشيطان من رسولِ الله ﷻ فلم يعد له فيه نصيب بعدما أخرجت المضغة الشيطانية من قلبه ﷻ و رآها ، وهذا يقوى إيمانه من جهة ، و تظهر قدرة الله ﷻ من جهةٍ أخرى... .

ثانياً : إن قولهم : (خرافة حادثة شق الصدر) بينت أنه مجرد سخرية على نبي الله محمد ﷺ ، وهي مسألة إيمانية يؤمن بها المسلمون ؛ إننا قادرون على السخرية كما سخروا ، فلم نسخر منهم كما سخروا

فنقول لهم مثلاً : لو تخبروننا عن بعض الخرافات التي يذكرها الكتاب المقدس ، مثل: خرافة خروج أجساد القديسين من القبور ، وانشقاق الهيكل والتاريخ ينفي هذه الخرافة ، وخرافة أن هريودس قتل جميع أطفال بيت لحم وقت ميلاد المسيح، وخرافة ظلام الأرض كلها مدة ثلاث ساعات أثناء وجود يسوع على الصليب، وخرافة البواسير الذهب؛ كل إنسان يصنع تمثال لبواسير أخيه من الذهب فهذه قصة خرافية لا فائدة منها ، فلا أعلم لماذا ذكرت في الكتاب المقدس وأحيلكم لقراءتها جيداً في (سفر صموئيل الأول 6 عدد 4/ 5) وفي (الإصحاح الخامس عدد 6/ 12) .

أكتفي مما سبق بذكر خرافة واحدة فقط بتفصيل هي :

خرافة قصة خروج أجساد القديسين في إنجيل متى إصحاح 27 عدد 50⁵⁰ فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم، وأسلم الروح. ⁵¹ وَإِذَا حُجِبَ الْهَيْكَلُ قَدْ انشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقِ إِلَى أَسْفَلٍ. وَالْأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ، ⁵² وَالْقُبُورُ تَفْتَحُ، وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقَدِّيسِينَ الرَّاقِدِينَ ⁵³ وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ، وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ.

الملاحظ : أن يسوع عندما أسلم الروح كما زعموا ؛ الأرض تزلزلت ، والصخور تشققت ، والقبور تفتحت وقام الكثير من أجساد القديسين الراقدين ، وخرجوا من القبور بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة ، وظهروا لكثيرين ؛ مع العلم أن هذا الحدث لم يرد له ذكر في بقية الأناجيل ، ولا في أي مرجع تاريخي.

الشاهد من عرض ما ذكرته للمعترضين هو: إننا قادرون أيضاً على السخرية ، ولا نريد ذلك ، فهم ينكرون علينا أن جبريل عليه السلام أخرج قلب النبي ﷺ وغسله ، ولا ينكرون أن القديسين الأموات خرجوا بأجسادهم من باطن الأرض بعد تنقنت الصخور!؟

رد شبهة : نبي يحب جبل و الجبل يحبه !

كيف يحب رسول الإسلام جبلاً ؟ أليس الجبل جماداً ؟ والأعجب أن الجبل يحبه!

هكذا قالوا ، وتعلقوا بما جاء في الآتي :

1- صحيح البخاري كتاب (المغازي) باب (أحد يحبنا ونحبه قاله عباس بن سهل عن أبي حميد عن النبي ﷺ) (برقم 3774 عن أنس أن النبي ﷺ قال : " هذا جبل يحبنا ونحبه " .

2- صحيح البخاري كتاب (الجهاد والسير) باب (فضل الخدمة في الغزو) (برقم 2675 عن أنس قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر أخدمه فلما قدم النبي ﷺ راجعاً وبدأ له أحد قال : " هذا جبل يحبنا ونحبه " ثم أشار بيده إلى المدينة قال : " اللهم إني أحرم ما بين لابتيها كتحرير إبراهيم مكة اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن من الواضح لدي أن الإشكالية عندهم في الشق الثاني من سؤالهم الذي يقول : والأعجب أن الجبل يحبه !

قلت : إن النبي ﷺ أحبه الجبل ، و الشجر ، و الحجر ، والحيوان ، و الطعام سبح بين يديه ، و نبع الماء من بين أصابعه..... جاء ذلك في عدة أدلة منها :

1- إن النبي ﷺ أخبر عن حجر كان يسلم عليه قبل النبوة يعرفه في مكة ، وهذا يدخل في الإرهاصات ؛ ففي صحيح مسلم برقم 4222 عن جابر بن سمرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن " .

2- إن الصحابة ﷺ سمعوا بأذنهم تسبيح الطعام بين يديه ﷺ ، وشاهدوا الماء ينبع من بين أصابعه ﷺ ؛ ففي صحيح البخاري برقم 3314 عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : كُنَّا نَعُدُّ الْآيَاتِ بَرَكَةً وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخَوِيفًا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَقَلَّ الْمَاءُ فَقَالَ:

اطْلُبُوا فَضْلَهُ مِنْ مَاءٍ فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ ثُمَّ قَالَ: " حَيَّ عَلَى الطَّهْورِ الْمُبَارَكِ وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ " .

3- إن جزع من النخل حن إليه ﷺ وبكى ، وذلك في صحيح البخاري برقم 3319 عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مَنْبَرًا قَالَ: " إِنْ شِئْتُمْ " . فَجَعَلُوا لَهُ مَنْبَرًا فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دَفَعَ إِلَى الْمَنْبَرِ فَصَاحَتْ النَّخْلَةُ صِيْحَ الصَّبِيِّ ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ تَتْنُ أَنْيْنِ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكِّنُ قَالَ: " كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذَّكَرِ عِنْدَهَا " .

4- إن جملاً شكاً للنبي ﷺ سوء معاملة صاحبه ، وذلك في سنن أبي داود برقم 2186 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: أُرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسْرَ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فَقَالَ: " مِنْ رَبِّ هَذَا الْجَمَلِ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ ؟ " فَجَاءَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: " أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَأَ إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْبِيهِ " . صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم 2549.

إنني لم أر اعتراضاً على ذلك إلا من المشككين اليوم الذين يثيرون الشبهات فقط.....
لو اعترضوا على ما أسلفته أذكرهم بما جاء في الكتاب المقدس ؛ حمارٌ كلم نبيٍّ ليوبخه لغبائه ؛ تكلم ليرد حماقة النبي ، وذلك في رسالة بطرس الثانية إصحاح 2 عدد 16 إِنَّ الْحِمَارَ الْأَبْكَمَ نَطَقَ بِصَوْتٍ بَشَرِيٍّ، فَوَضَعَ حَدًّا لِحِمَاقَةِ ذَلِكَ النَّبِيِّ !

ثانياً : إن قيل : كيف يحبُّ الجبلُ النبيَّ وهو من الجمادات ؟

قلتُ : إن الجمادات وغيرها فهموا كلامَ النَّبِيِّ و أحبوه ؛ لأنهم مسخرون ونحن نؤمن أن الله سخر لسليمان - عليه السلام - الريح ، وكلم - عليه السلام - الهدد ، والجان ، وسمع من نملة حديثها للنمل ...

وسخر لداود - عليه السلام - الجبال يسبحن معه والطير ، والحديد ألانه له - عليه السلام - .
وعليه : فنحن نؤمن أن جبلَ أحدٍ يحبُّ النبيَّ، ولكن لا نفقه كيف يشعر و يحب ؛ لأن الله ﷻ لما أخبرنا أن الجبال ، و الطير، و الحجر ، والشجر ، يسجدون له ، و يسبحونه أخبرنا أننا لا نفقه تسبيحهم ...

قال ﷺ : ﴿ تَسْبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء44).

نلاحظ : من قوله ﷺ : ﴿ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ لم يقل سبحانه: ولكن لا تسمعون تسبيحهم أو تبصرون تسبيحهم ؛ لأن الفقه بمعنى الإدراك و المعرفة فنحن لا ندرك ، أو نعرف كيفية عبودية الكائنات لربها ، وكيف تشعر بأنبياء الله ﷻ كما قال ﷻ عن الأحجار : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (البقرة74) .

وعليه فهذه مسألة إيمانية بحتة ليس من حق أحد الاعتراض عليها....

ثالثا : إن الإجابة على الشق الأول من سؤاليهم الذي يقول : كيف يحبُّ رسول الإسلام جبل؟ أليس الجبل جماداً؟ تكون بردٍ بسيطٍ يتضح من وجهين :

الوجه الأول : يتضح بسؤالٍ هو : متى قال النبي ﷺ هذا الحديث ؟

الجواب : إن النبي ﷺ قاله عند رجوعه من غزوة تبوك ، وإشرافه على المدينة .

قلت في نفسي : أراد النبي ﷺ أن يكسر التشاؤم في صدور أصحابه ﷺ؛ حيث كانت الهزيمة للمسلمين عند ذلك الجبل في غزوة أحد ، وذلك لما خالف الرماة أمره ﷺ ، فبعد مرور السنوات يشير ﷺ لأصحابه ﷺ إلى الجبل ويقول : " هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ " كي لا يتشاءم أصحابه ﷺ منه .

أو قال ذلك لمن يأتي من بعدهم ﷺ ويقرأ عن غزوة أحد فيتشاءم من ذلك الجبل ، فأراد محمد ﷺ أن يبين للبشرية جمعاء أن النصر من عند الله ﷻ وحده ، والهزيمة سببها المخالفة ، ولا تشاؤم في الإسلام ، فما نزل بلاء في أغلب الأحوال إلا بذنب ، وما رفع إلا بتوبة إلى الله ﷻ ، مع ما بيناه من أن الجبل يحب النبي ﷺ على الحقيقة دون أن نفقه كيف ، ولا مانع من ذلك.

الوجه الثاني : أن حب النبي ﷺ للجبل وهو جماد لا إشكال فيه أن يكون على الحقيقة.....

فمثلاً : تجد إنساناً يسعد لما يري (برواز) معلق في بيته على الحائط ، به مناظر جميلة كأشجارٍ وبحارٍ... ويقول : إني أحبه جداً وأسعد برؤيته في حين أنه جماد أو شخصٌ يشاهد القمر يسعد برؤيته ، ويقول : " إني أحب أن أرى القمر حباً جماً وهكذا . "

رابعاً : إن الأناجيل ذكرت أن يسوع خاطب البحر وهو جماد ، وذلك لما كان البحر مضطرباً فأمره أن يسكن فسكن جاء ذلك في إنجيل متى إصحاح 8 عدد 23 ولَمَّا دَخَلَ السَّفِينَةَ تَبِعَهُ تَلَامِيذُهُ. ²⁴وَإِذَا اضْطُرَّابٌ عَظِيمٌ قَدْ حَدَثَ فِي الْبَحْرِ حَتَّى غَطَّتِ الْأَمْوَاجُ السَّفِينَةَ، وَكَانَ هُوَ نَائِماً. ²⁵فَتَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ وَأَيَقَظُوهُ قَائِلِينَ: «يَا سَيِّدُ، نَجِّنَا فَإِنَّا نَهْلِكُ!» ²⁶فَقَالَ لَهُمْ: «مَا بِالْكُمْ خَائِفِينَ يَا قَلِيلِي الْإِيمَانِ؟» ثُمَّ قَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيَّاحَ وَالْبَحْرَ، فَصَارَ هُدُوٌّ عَظِيمٌ. ²⁷فَتَعَجَّبَ النَّاسُ قَائِلِينَ: «أَيُّ إِنْسَانٍ هَذَا؟ فَإِنَّ الرِّيَّاحَ وَالْبَحْرَ جَمِيعًا تُطِيعُهُ!».

وأتساءل عدة أسئلة هي :

1- هل كان البحر يفهم كلام يسوع ، ويطيعه مع العلم أنه جماد ؟!

2- هل أحب يسوع البحر بعد ذلك ، أو كان يحبه ؟!

6- أليست تلك النصوص تشبه كلام النبي ﷺ لما خاطب جبل أحد في موضع آخر من صحيح البخاري برقم 3399 عن أنس بن مالك ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعَدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ : " اثْبُتْ أَحَدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ " . ؟!

رد شبهة : نبي يقول : الله شاب أمرد !

قالوا مستهزئين : لقد قال رسول الإسلام عن ربّه أنه شابُّ أمرد ، واستدلوا على ذلك بعدة رواياتٍ سوف أذكرها لاحقاً - إن شاء الله ﷻ - .

الرد على الشبهة

أولاً : إن الروايات التي يستدلون بها روايات باطلة ، ومكذوبة على النبي ﷺ ؛ فلم يقل النبي ﷺ يوماً أن الله شابُّ أمرد ؛ والشابُّ الأمرد هو الذي لا لحية له ...

الروايات التي تتعلق بهذا الأمر حُكم عليها بالوضع من علماء أجلاء كما يلي :

1- الشيخ العجلوني - رحمه الله - جاء في كتابه كشف الخفاء الجزء الأول برقم 1409 " رأيت ربي يوم النفر على جمل أ ورق عليه جبة صوف أمام الناس". قال القاري: موضوع لا أصل له في الدلائل ، وقال السبكي: حديث " رأيت ربي في صورة شاب أمرد " هو دائر على السنة بعض المتصوفة ، وهو موضوع مفترى على رسول الله ﷺ . اهـ

2- جاء في كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد باب (فيما رآه النبي في المنام) (ج 2 / ص 254) عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول : " رأيت ربي في المنام في صورة شاب موفر في خضر عليه نعلان من ذهب على وجه فراش من ذهب ". رواه الطبراني ، وقال ابن حبان : إنه حديثٌ منكرٌ ، لأن عمارة بن عامر بن حزم الأنصاري لم يسمع من أم طفيل ذكره في ترجمة عمارة في الثقات .

ثانيًا : إن المسلمين يعتقدون بأن ﷺ الله ليس كمثله شيء ؛ قال ﷺ : ﴿ فَاطَرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى 11) .

جاء في التفسير الميسر: ليس يشبهه ﷺ ولا يماثله شيء من مخلوقاته ، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله ؛ لأن أسمائه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، وهو السميع البصير، لا يخفى عليه من أعمال خلقه وأقوالهم شيء ، وسيجازيهم على ذلك . اهـ

فكل ما خطر ببالك فالله أكبر من ذلك ، فنحن نثبت لله ﷻ ما أثبتته هو لنفسه أو رسوله ﷺ ؛ لأنه لا أحد أعلم بالله من الله ﷻ ، ولا أحد أعلم بالله ﷻ من البشر من رسول الله ﷺ وهناك صفات لا نثبتها ولا ننفيها لم يخبرنا بها ربنا ﷻ عن نفسه ولا رسوله ﷺ .

وعليه فلما كان الحديث موضوع وفيه أهانه لرب العالمين فيكون الجواب: أن الله ليس بشاب أمرد ...

بل جاء في الحديث الصحيح في ظلال الجنة لألباني - رحمه الله - برقم 469 عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " رأيت ربي ﷻ في أحسن صورة " .

توضيح الرواية رواية أخرى في صحيح مسلم برقم 262 قال ﷺ : " رأيت نوراً " .

وبالتالي : فمحمد ﷺ لم ير ربه على هيئته الحقيقية ؛ والدليل على ذلك أن أبا ذر قال : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال : " نور أنى أراه " ؟. رواه مسلم برقم 261 ، وبه قالت عائشة - رضي الله عنها - وغيرهما فهذا هو الأصل الذي ينبغي التمسك به

وعليه أتساءل : هل الشاب الأمرد هو أحسن صورة لله ﷻ ، وهل هو نور ؟! هذا هو

ثالثًا : إن المعارضين يستهزئون ، ويضحكون على حديث لا نعترف به ؛ موضوع على نبينا ﷺ ولكنهم لا يستهزئون ولا يعترضون على أن ربهم يسوع بحسب إيمانهم كان في يوم من الأيام رضيع ، ثم طفل ، ثم شاب أمرد ...!

وَأْتَسَاءِلُ : ألم يكن ربُّهم يسوع يوماً رضيعاً ثم طفلاً ثم شاباً أمرداً ؟!....!

الجواب : بلى ؛ **إِنَّ** لماذا السخرية ، ومحل الشبهة عندهم هم ، وليس عندنا ... إنما لا نعترف بالحديث كما تقدم معنا - بفضل الله ﷻ - ولكنهم هم الذين يعترفون بذلك على ربِّهم !

والأعجب من ذلك أنهم لا يستهزئون ، ولا يعترضون على أن ربُّهم موصوفٌ في الكتاب المقدس بأنه ينوح ، و يولول ، و يمشى حافياً عرياناً ، و يعول كبنات آوى ، و ينتحب كالنعام ؛ أي: يضع رأسه في التراب ...

جاء ذلك في (سفر ميخا 1 / 8) قال الربُّ عن نفسه : " لِهَذَا أُنُوحُ وَأُولُولُ وَأَمْشِي حَافِياً عُرْيَاناً، وَأُعُولُ كِبَنَاتِ آوَى، وَأَنْتَحِبُ كَالنَّعَامِ ". **لا تعليق !**

رد شبهة : رسول الإسلام يخبر أن ربه يغار...؟

قالوا : رسول الإسلام أخبر أن الله يغار كما يغار الإنسان على عرضه ، أليست هذه الصفة صفة نقص ...؟

تعلقوا على ذلك بما جاء في السلسلة الصحيحة برقم (3515) (الصحيحة)
قال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ لَا يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ». .

الرد على الشبهة

أولاً : إن ما سبق هو محض افتراء على نبي الله وعلى الذات الإلهية فصفة الغيرة لله ليست كصفة الإنسان البتة ؛ وذلك من الحديث نفسه لما قال : **وغيرة الله : أن يأتي المؤمن ما حرم عليه .**

إذا : المقصود بصفة الغيرة الغضب على المؤمن الذي ينتهك ما حرم الله عليه وهذا يلزم عليه عقوبة ... وصفة الغيرة صفة حقيقية في حق الله ؛ لأن الصفة إذا نسبت إلى الله نسبت إليه على الحقيقة....

فهم بذلك الفهم علماء المسلمين في الآتي :

1- ابن حجر في فتح الباري: قوله " **وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه** " قال عياض : **ويحتمل أن تكون الغيرة في حق الله الإشارة إلى تغير حال فاعل ذلك ، وقيل الغيرة في الأصل الحمية والأنفة ، وهو تفسير يلزم التغير فيرجع إلى الغضب ، وقد نسب سبحانه وتعالى إلى نفسه في كتابه الغضب والرضا . وقال ابن العربي : التغير محال على الله بالدلالة القطعية فيجب تأويله بلأزمه كالوعيد أو إيقاع العقوبة بالفاعل ونحو ذلك . اهـ**

2- تحفة الأحوذى لشرح سنن الترمذي : (**وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه**) **من الفواحش وسائر المنهيات والمحرمات . اهـ**

3- شرح رياض الصالحين لابن عثيمين : **الله تعالى يغار أن يأتي المرء ما حرم الله** قوله محارمه أي : محارم الله الغيرة صفة حقيقية ثابتة لله عز وجل ولكنها ليست كغيرتنا بل هي أعظم وأجل والله سبحانه بحكمته أوجب على العباد أشياء وحرم عليهم أشياء وأحل لهم أشياء فما أوجبه عليهم فهو خير لهم في دينهم ودنياهم وفي حاضرهم ومستقبلهم وما حرمه عليهم فإنه شر لهم في دينهم ودنياهم وحاضرهم ومستقبلهم فإذا حرم الله على عباده أشياء فإنه عز وجل يغار أن يأتي الإنسان محارمه وكيف يأتي الإنسان محارم ربه والله إنما حرمها من أجل مصلحة العبد أما الله فلا يضره أن يعصي الإنسان ربه لكن يغار كيف يعلم الإنسان أن الله سبحانه حكيم ورحيم ولا يحرم على

عباده شيئاً بخلا منه عليهم به ولكن من أجل مصلحتهم ثم يأتي العبد فيتقدم فيعصى الله عز وجل ولا سيما في الزنا فإنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قال ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته لأن الزنا فاحشة والزنا طريق سافل جدا ومن ثم حرم الله على عباده الزنا وجميع وسائل الزنا كما قال الله سبحانه ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا فإذا زنا العبد والعياذ بالله فإن الله يغار غيرة أشد وأعظم من غيرته على ما دونه من المحارم ومن باب أولى وأشد اللواط وهو إتيان الذكر الذكر فإن هذا أعظم وأعظم ولهذا جعله الله تعالى أشد في الفحش من الزنا فقال لوط لقومه: { أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين } قال هنا : { الفاحشة } وفي الزنا قال : { الفاحشة } أي: فاحشة من الفواحش أما اللواط فجعله الفاحشة العظمى نسأل الله العافية وكذلك أيضا السرقة وشرب الخمر وكل المحارم يغار الله منها لكن بعض المحارم تكون أشد غيرة من بعض حسب الجرم والمضار التي تترتب على ذلك وفي هذا الحديث إثبات الغيرة لله تعالى وسبيل أهل السنة والجماعة فيه وفي غيره من أحاديث الصفات وآيات الصفات أنهم يثبتونها لله سبحانه على الوجه اللائق به يقولون : إن الله يغار لكن ليست كغيرة المخلوق وإن الله يفرح ولكن ليس كفرح المخلوق وإن الله له من الصفات الكاملة ما يليق به ولا تشبهه صفات المخلوقين والله الموفق . اهـ

ثانيا : إن الكتاب المقدس يؤمن به المعترضون ذكر أن الله غيور ؛ أي : كثير الغيرة ؛ فغيور على وزن مفعول... جاء ذلك في الآتي :

- 1- سفر الخروج إصحاح 20 عدد 5 لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ. لأنني أنا الرب إلهك إله غيور افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ.
- 2- سفر الخروج إصحاح 34 عدد فانك لا تسجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور إله غيور.
- 3- سفر التثنية إصحاح 4 عدد 28 لأن الرب إلهك هو نار آكلة إله غيور.

4- سفر التثنية إصحاح 5 عدد 9 لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ لأنني أنا الرب إلهك إله غيور

5- سفر التثنية إصحاح 6 عدد 15 لأن الرب إلهكم اله غيور في وسطكم لئلا يحمي غضب الرب إلهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض.

6- سفر يشوع إصحاح 24 عدد 19 فقال يشوع للشعب لا تقدرون أن تعبدوا الرب لأنه إله لا يغفر ذنوبكم وخطاياكم. قدوس وإله غيور .

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو : ما هو تفسيرهم لكلمة غيور في حق الله ؛ هل هي صفة نقص ؟!

رد شبهة : نبيّ يقول عنه ربه أنه ينزل من عرشه كل ليلة إلى الأرض !

قالوا : نبيّ الإسلام يقول عن ربّه أنه ينزل كلّ ليلةٍ من عرشه الذي في السماءِ إلى الأرضِ ليسأل عن حال المؤمنين... كيف ينزلُ من السماءِ إلى الأرضِ أو إلى السماءِ الدنيا ... والمسلمون يعتقدون أن اللهَ في السماءِ ... كيف ذلك يا مسلمون...؟!

وتعلقوا على ذلك بما جاء في الصحيحين واللفظ للبخاري برقم 1077 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذا الحديث من أحاديث الصفات لله ﷻ ونحن - المسلمون - نتعامل معها بحذر شديد ؛ لأنها تتعلق برب العالمين ... تدلل على ذلك أدلة منها :

1- قوله ﷻ : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36)﴾ (الإسراء).

2- قوله ﷻ : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (33)﴾ (الأعراف).

3- قال النووي - رحمه الله - في شرحه لصحيح مسلم : هو من أحاديث الصفات ، وقد سبق في كتاب الإيمان بيان حكمها واضحا ومبسوطا ، وأن من العلماء من يمسك عن تأويلها ، ويقول : نؤمن بأنها حق ، وأن ظاهرها غير مراد ، ولها معنى يليق بها ، وهذا مذهب جمهور السلف ، وهو أحوط وأسلم . والثاني أنها تتأول على حسب ما يليق بتنزيه الله تعالى ، وأنه ليس كمثله شيء . اهـ

إذاً من خلال ما سبق تبين لنا : إن الصفة إذا نسبت إلى الله ﷻ نسبت إليه على الحقيقة ، دون تعطيل ، أو تشبيه ، أو تمثيل ، أو تكيف ، أو تأويل إلا إذا دُعينا لذلك مع إثبات الصفة لله ﷻ

فمن صفات الله ﷻ النزول لقوله ﷻ : " يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ ... " .

ونحن لا نعلم كيفية النزول ، فإن هذه الصفة تمر كما هي ولا نعلم كيف ، ولكن نؤمن بذلك

فالشمس مخلوقة من مخلوقات الله ﷻ تنزل إلى الأرض بإشاعتها، وبضوئها ، وحرارتها وهي في السماء ، والله المثل الأعلى ، فإذا كان ذلك يحدث مع خلقه ، فهل يصعب ذلك على رب العالمين ... ؟!

ثانيًا : إن سؤال المعترضين الذي يقول : نبي الإسلام يقول عن ربه انه ينزل كل ليلة من عرشه الذي في السماء إلى الأرض ليسأل عن حال المؤمنين ... كيف ينزل من السماء إلى الأرض ، والمسلمون يعتقدون أن الله في السماء ... كيف ذلك يا مسلمون...؟ جوابه بسيط جدًا يكون من وجهين:

الوجه الأول: أنهم أصابوا لما قالوا : إن المسلمين يعتقدون أن الله ﷻ في السماء ، وفي بمعنى على أي على السماء فوق العرش ، وليس في كل مكان بذاته دليل ذلك الآتي :

1- قوله ﷻ: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (16) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (17)﴾ (الملك).

2- قوله ﷻ: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (16) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (17) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (18)﴾ (الملك).

3- قوله ﷻ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ (10)﴾ (فاطر).

4- قوله ﷻ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1)﴾ (الأعلى).

5- قوله ﷻ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (50)﴾ (النحل).

6- قوله ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5)﴾ (طه).

7- صحيح مسلم برقم 836 عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَصْلِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرْمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ وَاشْكُلْ أُمْيَاهُ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصِمُّونَنِي لَكِنِّي سَكَتُ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَآبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي قَالَ إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَإِنَّ مِنَّا رَجُلًا يَأْتُونَ الْكُفَّانَ قَالَ: فَلَا تَأْتِهِمْ قَالَ: وَمِنَّا رَجُلٌ يَنْطِيرُونَ قَالَ ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ

فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدُّنَّهُمْ قَالَ ابْنُ الصَّبَاحِ : فَلَا يَصُدُّكُمْ قَالَ: قُلْتُ: وَمِنَّا رَجَالٌ يَخْطُونَ
 قَالَ: كَانَ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخْطُ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ قَالَ : وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَى غَنَمًا
 لِي قَبْلَ أَحَدٍ وَالْجَوَانِيَّةُ فَاطَلَعَتْ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الدِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ
 بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ لَكُنِّي صَكَّتُهَا صَكَّةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَظَّمْ ذَلِكَ عَلَيَّ
 قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: " أَفَلَا أُعْتِقَهَا " ؟ قَالَ : ائْتِنِي بِهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ اللَّهُ قَالَتْ
 فِي السَّمَاءِ قَالَ: " مَنْ أَنَا " ؟ قَالَتْ : " أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ". قَالَ : " أَعْتِقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ " .

8- سنن أبي داود برقم 4290 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ : " الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ
 الرَّحْمَنُ أَرْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ ". تحقيق الألباني : صحيح ، الصحيحة
 (922) .

الوجه الثاني : إن المعترضين يقولون : كيف ينزل إلى السماء الدنيا (الأرض) وهو في
 السماء ، ويترك عرشه خالياً...!

قُلْتُ : إن المثال السابق كاف للرد عليهم وهو: أن الشمس مخلوقة من مخلوقات الله ﷻ
 تنزل إلى الأرض بإشاعتها، وبضوئها ، وحرارتها وهي في السماء ، والله المثل الأعلى ،
 فإذا كان ذلك يحدث مع بعض خلقه ، فهل يصعب ذلك على ربِّ العالمين... ؟! مع
 تأكدي للقارئ أننا لا نعلم الكيفية ..

ثالثاً : إن المعترضين يعتقدون أن الله ﷻ في كلِّ مكان ، حتى أنني سمعتُ القصَّ
 الموقوف زكريا بطرس يقول : الله في المصران الغليظ ، الله في الحمام ... وأتباعه يتبعون
 ما يقول!

في حين إن الكتاب المقدس أخبر أن الله ﷻ في السماء فوق العرش كما نعتقد نحن -
 المسلمين - يدل على ذلك ما جاء في الآتي :

1- سفر الملوك الأول إصحاح 8 عدد 32³² فَاسْمَعْ أَنْتَ فِي السَّمَاءِ وَاعْمَلْ وَاقْضِ بَيْنَ عِبِيدِكَ، إِذْ تَحْكُمُ عَلَى الْمَذْنِبِ فَتَجْعَلُ طَرِيقَهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَتَبَرِّرُ الْبَارَّ إِذْ تُعْطِيهِ حَسَبَ بَرِّهِ.

-2

3- سفر الملوك الأول إصحاح 8 عدد 49⁴⁹ فَاسْمَعْ فِي السَّمَاءِ مَكَانِ سُكْنَاكَ صَلَاتَهُمْ وَتَضَرَّعَهُمْ وَاقْضِ قَضَاءَهُمْ،⁵⁰ وَاغْفِرْ لَشَعْبِكَ مَا أَخْطَأُوا بِهِ إِلَيْكَ، وَجَمِيعَ ذُنُوبِهِمُ الَّتِي أَذْنَبُوا بِهَا إِلَيْكَ، وَأَعْطِهِمْ رَحْمَةً أَمَامَ الَّذِينَ سَبَوْهُمْ فَيَرْحَمُوهُمْ،⁵¹ لِأَنَّهُمْ شَعْبُكَ وَمِيرَاثُكَ الَّذِينَ أَخْرَجْتَ مِنْ مِصْرَ، مِنْ وَسْطِ كُورِ الْحَدِيدِ.

-4

2- سفر أخبار الأيام الأولى إصحاح 29 عدد 10¹⁰ وَبَارَكَ دَاوُدُ الرَّبَّ أَمَامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ، وَقَالَ دَاوُدُ: «مُبَارَكُ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ أَبِينَا مِنَ الْأَزَلِ وَإِلَى الْأَبَدِ. ¹¹ لَكَ يَا رَبُّ الْعِظَمَةُ وَالْجَبَرُوتُ وَالْجَلَالُ وَالْبَهَاءُ وَالْمَجْدُ، لِأَنَّ لَكَ كُلَّ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. لَكَ يَا رَبُّ الْمُلْكُ، وَقَدْ ارْتَفَعَتْ رَأْسًا عَلَى الْجَمِيعِ.

-3

4- سفر أخبار الأيام الثانية إصحاح 6 عدد 21²¹ وَاسْمَعْ تَضَرُّعَاتِ عِبْدِكَ وَشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَاسْمَعْ أَنْتَ مِنْ مَوْضِعِ سُكْنَاكَ مِنَ السَّمَاءِ، وَإِذَا سَمِعْتَ فَاغْفِرْ.

4- سفر أخبار الأيام الثانية إصحاح 20 عدد 6⁶ وَقَالَ: «يَا رَبُّ إِلَهُ آبَائِنَا، أَمَا أَنْتَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ، وَأَنْتَ الْمَتَسَلِّطُ عَلَى جَمِيعِ مَمَالِكِ الْأُمَمِ، وَبِيَدِكَ قُوَّةُ وَجَبَرُوتٍ وَلَيْسَ مَنْ يَقِفُ مَعَكَ؟

-5

6- سفر المزامير إصحاح 11 عدد 4⁴ الرَّبُّ فِي هَيْكَلٍ قُدْسِهِ. الرَّبُّ فِي السَّمَاءِ كُرْسِيُّهُ. عَيْنَاهُ تَنْظُرَانِ. أَجْفَانُهُ تَمْتَحِنُ بَنِي آدَمَ. ⁵ الرَّبُّ يَمْتَحِنُ الصَّدِيقَ، أَمَّا الشَّرِيرُ وَمَحِبُّ الظُّلْمِ فَتَبْغِضُهُ نَفْسُهُ.

-7

8- سفر المزامير اصحاح 100 عدد 3 إن إلهنا في السماء كلما شاء صنع.

-9

9- إنجيل متى إصحاح 6 عدد 9 «فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ. ¹⁰ لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِنَكُنْ مَشِيعَتَكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ. ¹¹ خُزِّنَا كَفَافًا أَعْطَانَا الْيَوْمَ. ¹² وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا. ¹³ وَلَا تَدْخُلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِّيرِ. لِأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْمَجْدَ، إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ.

-10

10- رؤيا يوحنا إصحاح 4 عدد 1 بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح في السماء، والصوت الأول الذي سمعته كبوق يتكلم معي قائلا: «اصعد إلي هنا فأريك ما لا بد أن يصير بعد هذا». ² وللوقت صرت في الروح، وإذا عرش موضوع في السماء، وعلى العرش جالس. ³ وكان الجالس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق، وقوس قزح حول العرش في المنظر شبه الزمرد. ⁴ وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً. ورأيت على العروش أربعة وعشرين شيخاً جالسين متسربين بثياب بيض، وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب. ⁵ ومن العرش يخرج بروق ورعود وأصوات. وأمام العرش سبعة مصابيح نار مقددة، هي سبعة أرواح الله. ⁶ وقدام العرش بحر زجاج شبه البلور. وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات مملوءة عيوناً من قدام ومن وراء: ⁷ والحيوان الأول شبه أسد، والحيوان الثاني شبه عجل، والحيوان الثالث له وجه مثل وجه إنسان، والحيوان الرابع شبه نسر طائر. ⁸ والأربعة الحيوانات لكل واحد منها ستة أجنحة حولها، ومن داخل مملوءة عيوناً، ولا تزال نهاراً وليلاً قائلة: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي». ⁹ وحينما تعطي الحيوانات مجداً وكرامةً وشكراً للجالس على العرش، الحي إلى أبد الأبد، ¹⁰ يختر الأربعة والعشرون شيخاً قدام الجالس على العرش، ويسجدون للحي إلى أبد الأبد، ويطرحون أكاليلهم أمام العرش قائلين: ¹¹ «أَنْتَ مُسْتَحَقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لِأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَانَتْ وَخُلِقَتْ».

-11

-11 رؤيا يوحنا إصحاح 7 عدد¹⁵ من أجل ذلك هم أمام عرش الله ، ويخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله ، والجالس على العرش يحل فوقهم.¹⁶ لن يجوعوا بعد، ولن يعطشوا بعد ، ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر.

-12

وهذا هو النص الحادي عشر؛ نص قاتل لكل شبهة في هذا الأمر، وهو على لسان يسوع المسيح في إنجيل متى إصحاح 23 عدد²² ومن حلف بالسما فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه.

إذاً من خلال ما سبق تبين لنا : أن الله ﷻ في السماء على العرش بحسب نصوص الكتاب المقدس ولكنني وجدت أن الله ﷻ نزل من على عرشه الذي في السماء ليتجلى لموسى ويكلمه وجهاً لوجه على الجبل ... وذلك سفر الخروج إصحاح 33 عدد¹⁷ فقال الرب لموسى: «هذا الأمر أيضاً الذي تكلمت عنه فعله، لأنك وجدت نعمة في عيني، وعرفتُك باسمك». ¹⁸ فقال: «أرني مجدك». ¹⁹ فقال: «أجيز كل جودتي قدامك. وأناادي باسم الرب قدامك. وأترأف على من أترأف، وأرحم من أرحم». ²⁰ وقال: «لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش». ²¹ وقال الرب: «هوذا عندي مكان، فتقف على الصخرة. ²² ويكون متى اجتاز مجدي، أني أضعك في نقرة من الصخرة، وأسترُك بيدي حتى أجتاز. ²³ ثم أرفع يدي فتتظُر ورائي، وأما وجهي فلا يرى».

وعليه فكان ذلك رداً على السؤال الذي طرحه المعترضون : كيف ينزل الرب من السماء إلى الأرض ، والمسلمون يعتقدون أن الله في السماء ... كيف ذلك يا مسلمون...؟
ويبقى السؤال عينه : كيف ينزل الرب من السماء إلى الأرض ، والكتاب المقدس يقول :
إن الله في السماء على عرشه ، وقد نزل من عرشه وكلم موسى وجهاً لوجه ... كيف ذلك أيها المعترضون ، هل ترك عرشه خالياً ، ونزل ليكلم موسى.....!؟

لا تعليق !

رد شبهة: نبي يقول عن ربه إن له جد !

من الشبهات التافهة هي : أنني سمعتُ أحدهم يقول: إن هناك آيةً في القرآن جاء بها رسولُ الإسلام تقول : إن الله له جد ، فمن هو جده ... ؟!
تعلق بقول الله ﷻ : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ (3) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (4) ﴿ (الجن) .

الرد على الشبهة

أولاً : إن الآية التي استند بها المعترض تدلل على جهله ، وسوء فهمه لأن الآية لا تذكر الجد الذي هو أبو الأب ؛ الآية ذكرت جد بفتح الجيم والdal المشددة وهذه تختلف تماماً عن الجد التي هي بكسر الجيم ... ولها معنى آخر... وذلك من كتب التفسير جاء التالي :

- 1- تفسير الجلالين: "وَأَنَّهُ" الضَّمِيرُ لِلشَّانِ فِيهِ وَفِي الْمَوْضِعَيْنِ بَعْدَهُ "تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا" تَنَزَّهَ جَلَالُهُ وَعَظَمَتُهُ عَمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ "مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً" زَوْجَةً . اهـ
- 2- التفسير الميسر: وأنه تعالت عظمة ربنا وجلاله، ما اتخذ زوجة ولا ولداً . اهـ
- 3- تفسير ابن كثير : وقوله: { وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا } قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: { جَدُّ رَبِّنَا } أي: فعله وأمره وقدرته.
وقال الضحاك، عن ابن عباس : جد الله : آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه.
وروي عن مجاهد وعكرمة: جلال ربنا. وقال قتادة: تعالى جلاله وعظمته وأمره. وقال السدي: تعالى أمر ربنا. وعن أبي الدرداء، ومجاهد أيضاً وابن جريج: تعالى ذكره.
وقال سعيد بن جبیر: { تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا } أي : تعالى ربنا. وروي عن مجاهد وعكرمة: جلال ربنا. وقال قتادة: تعالى جلاله وعظمته وأمره.

وقال السدي : تعالى أمر ربنا . وعن أبي الدرداء ، ومجاهد أيضا وابن جريج : تعالى ذكره .

وقال سعيد بن جبیر : { تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا } أي : تعالى ربنا .

فأما ما رواه ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : الجد : أب . ولو علمت الجن أن في الإنس جدا ما قالوا : تعالى جد ربنا .

فهذا إسناد جيد ، ولكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام ؛ ولعله قد سقط شيء ، والله أعلم . اهـ

ثانياً : إن كلمة جَدَّ جاءت في السنة بمعنى آخر ، وليس هناك نص في القرآن ، أوفي السنة فيه أن الله جَدُّ - أبو الأب - وذلك في صحيح البخاري برقم 5855 عَنْ وَرَادٍ مَوْلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ : كَتَبَ الْمُغِيرَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ إِذَا سَلَّمَ : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ " .

وأما تفسيره - الحديث - جاء فيما يلي :

1- تفسير غريب ما في الصحيحين : " ولا ينفع ذا الجد منك الجد " : الجد ها هنا الغنى والحظ في الرزق أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه إنما ينفعه الطاعة والإيمان منه الحديث الآخر في وصف يوم القيامة . وإذا أصحاب الجد محبوسون يعني ذوي الحظ والغنى .

(ولا ينفع ذا الجد منك الجد) أي : لا ينفع ذا الغنى منك غناه وحظه في الدنيا وإنما ينفعه الإيمان بك والعمل بطاعتك . اهـ

2- قال ابن حجر في الفتح : قَوْلُهُ : (وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ) : قَالَ الْخَطَّابِيُّ : الْجَدُّ الْغِنَى وَيُقَالُ الْحَظُّ... أَي لَا يَنْفَعُ ذَا الْغِنَى عِنْدَكَ غِنَاهُ ، إِنَّمَا يَنْفَعُهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ . وَقَالَ ابْنُ التَّيْنِ : الصَّحِيحُ عِنْدِي أَنَّهَا لَيْسَتْ بِمَعْنَى الْبَدَلِ وَلَا عِنْدَ ، بَلْ هُوَ كَمَا تَقُولُ : وَلَا يَنْفَعُكَ مَنِّي شَيْءٌ إِنْ أَنَا أَرَدْتُكَ بِسُوءٍ .

وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْ كَلَامِهِ مَعْنَى ، وَمُقْتَضَاهُ أَنَّهَا بِمَعْنَى عِنْدَ أَوْ فِيهِ حَذَفَ تَقْدِيرُهُ مِنْ قَضَائِي أَوْ سَطَوْتِي أَوْ عَذَابِي . وَاخْتَارَ الشَّيْخُ جَمَالَ الدِّينِ فِي الْمَعْنَى الْأَوَّلِ ، قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ : قَوْلُهُ مِنْكَ يَجِبُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بَيْنَفَعٍ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ يَنْفَعٌ قَدْ ضُمِّنَ مَعْنَى يَمْنَعُ وَمَا قَارِبُهُ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ مِنْكَ بِالْجَدِّ كَمَا يُقَالُ حَظِّي مِنْكَ كَثِيرٌ لِأَنَّ ذَلِكَ نَافِعٌ ا هـ . وَالْجَدُّ مَضْبُوطٌ فِي جَمِيعِ الرُّوَايَاتِ بِفَتْحِ الْجِيمِ وَمَعْنَاهُ الْغِنَى كَمَا نَقَلَهُ الْمُصَنِّفُ عَنِ الْحَسَنِ ، أَوْ الْحَظِّ . ا هـ بِتَصْرِفٍ .

3- قال ابن بطال في شرحه للبخاري: وقوله : " ولا ينفع ذا الجد منك الجد " ، قال ابن السكيت: الجد، بفتح الجيم، الحظ والبخت، أي: من كان له جد في الدنيا لم ينفع ذلك عند الله في الآخرة، وكذلك فسرهُ أبو عبيد وجميع أهل اللغة، وسأذكر قول الطبري في هذه الكلمة في باب القدر في باب لا مانع لما أعطى الله، إن شاء الله. ا هـ

4- قال النووي في شرحه لمسلم : قَوْلُهُ ﷺ : (وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ) : الْمَشْهُورُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّهُ بِفَتْحِ الْجِيمِ ، ، وَمَعْنَاهُ لَا يَنْفَعُ ذَا الْغِنَى وَالْحَظُّ مِنْكَ غِنَاهُ . وَضَبَطَهُ جَمَاعَةٌ بِكَسْرِ الْجِيمِ ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُهُ مَبْسُوطًا فِي بَابِ : مَا يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ . ا هـ

6- قال صاحب عون المعبود في شرح سنن أبي داود : (وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ) : الْمَشْهُورُ فِيهِ فَتْحُ الْجِيمِ هَكَذَا ضَبَطَهُ الْعُلَمَاءُ الْمُتَقَدِّمُونَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ وَهُوَ الصَّحِيحُ ، وَمَعْنَاهُ الْحَظُّ وَالْغِنَى وَالْعِظْمَةُ وَالسُّلْطَانُ ، أَيِ لَا يَنْفَعُ ذَا الْحَظِّ فِي الدُّنْيَا بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ وَالْعِظْمَةِ وَالسُّلْطَانِ مِنْكَ حَظُّهُ أَيِ لَا يُنْجِيهِ حَظُّهُ مِنْكَ وَإِنَّمَا يَنْفَعُهُ وَيُنْجِيهِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ } وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . ا هـ

ثالثاً : إن محل الشبهة هي في الكتاب المقدس ومعتقد المعتبر الذي يؤمن بيسوع المسيح ربنا ، وله أجداد ، وجدت زاني فكتب إنجيل متى ذكر نسب يسوع المسيح عليه السلام على النحو التالي :

في الإصحاح الأول عدد¹ كَتَابُ مِيلَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ :² إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَاقَ . وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ . وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ .³ وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارِحَ مِنْ ثَامَارَ . وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ . وَحَصْرُونَ وَلَدَ أَرَامَ .⁴ وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِينَادَابَ . وَعَمِينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ . وَنَحْشُونَ وَلَدَ سَلْمُونَ .⁵ وَسَلْمُونَ وَلَدَ بُوْعَزَ مِنْ رَاْحَابَ . وَبُوْعَزُ وَلَدَ عُوْبِيدَ مِنْ رَاعُوْثَ . وَعُوْبِيدُ وَلَدَ يَسَّى .⁶ وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكِ . وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سَلِيمَانَ مِنْ التِّي لَأُورِيَّا .⁷ وَسَلِيمَانَ وَلَدَ رَحْبَعَامَ . وَرَحْبَعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا . وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا .⁸ وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ . وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُوْرَامَ . وَيُوْرَامُ وَلَدَ عَزِّيَّا .⁹ وَعَزِّيَّا وَلَدَ يُوْثَامَ . وَيُوْثَامُ وَلَدَ أَحَازَ . وَأَحَازُ وَلَدَ حَزَقِيَّا .¹⁰ وَحَزَقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى . وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ . وَآمُونَ وَلَدَ يُوْشِيَّا .¹¹ وَيُوْشِيَّا وَلَدَ يَكْنِيَا وَإِخْوَتُهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ .¹² وَبَعْدَ سَبْيِ بَابِلَ يَكْنِيَا وَلَدَ شَالْتَيْئِيلَ . وَشَالْتَيْئِيلُ وَلَدَ زَرْبَابِيلَ .¹³ وَزَرْبَابِيلُ وَلَدَ أَبِيهُودَ . وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلْيَاقِيمَ . وَأَلْيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ .¹⁴ وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ . وَصَادُوقُ وَلَدَ أَحِيْمَ . وَأَحِيْمُ وَلَدَ أَلْيُودَ .¹⁵ وَأَلْيُودُ وَلَدَ أَلْيَعَازَرَ . وَأَلْيَعَازَرُ وَلَدَ مَثَانَ . وَمَثَانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ .¹⁶ وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَوْسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وَلَدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ .¹⁷ فَجَمِيعُ الْأَجْيَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا ، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَبْيِ بَابِلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا ، وَمِنْ سَبْيِ بَابِلَ إِلَى الْمَسِيحِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا .

قلتُ : إن الملاحظ أن في نسبه عليه السلام بحسب ما أورده كاتب إنجيل متى ثلاث نسوة زناة جدات للمسيح عليه السلام هن :

(1) ثامار زانية أنجبت فارص {أحد أجداد المسيح } من زناها بحماها يهوذا بن يعقوب أحد أسباط بني إسرائيل { راجع سفر التكوين الإصحاح

(2) رحاب زانية فأرسل يشوع بن نون من شطيم رجلين جاسوسين سراّ قائلا اذهبا انظرا الأرض وأريحا. فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها رحاب واضطجعا هناك (سفر يشوع 1/2)

(3) بتشبع زَوْجَةً أوريا الحثي زانية زنا بها داود (كما يزعمون) وحرّض على قتل زوجها ثم تزوجها وأنجب منها سليمان (أحد أجداد المسيح) { راجع سفر الملوك الأول الإصحاح 11 } .

(4) راعوث الزانية فهي راعوث المؤابية زوجة بوعز وأم عوبيد... القصة كلها في سفر راعوث الإصحاح الثالث قصة الاضطجاع والبقية في الإصحاح الرابع شرائه لها ودخوله عليها وإنجابه منها... وبهذا فاق النسب ثلاثين جيلاً...

ويبقى إشكال: هو النص الذي جاء في سفر التثنية إصحاح 23 عدد 3 " لا يدخل عموني و لا موآبي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم احد في جماعة الرب إلى الأبد " .

وَأُتْسَاعِلُ سَوَّالِينَ :

1- هل قصد كاتب إنجيل متى أن يفهم من يقرأ إنجيله أن يسوع المسيح نسبه غير مُشرفٍ ؟!

2- لماذا ذكر لنا هؤلاء النسوة دون غيرهن من زوجات أجداد المسيح ﷺ .. ؟!

رد شبهة : نبيّ يقول : (خلق الله آدم على صورته) !

قالوا : تتكرون علينا أن الله تجسد في يسوع ، ولا تتكرون كلام نبيكم أن الله خلق آدم على صورته؟

ثم ذكروا ما ثبت في صحيح مسلم كتاب (البرِّ والصَّلة والآداب) باب (النَّهي عن ضرب الوجه) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ وفي حديث ابن حاتم عن النبي ﷺ قال : " إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذا الحديث محل شبهتهم لا يخدم المعترضين بحالٍ من الأحوال ؛لأنه من جهةٍ أخرى تغيب عن عقولهم يدل على رحمته ﷺ ، وعطفه على الناس ، وذلك إذا اقتتلوا مع بعضهم البعض يكون لهم ﷺ ناصحاً أميناً ؛هذا واضح من قوله ﷺ : " إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ " .

قال النووي - رحمه الله - في شرحه لصحيح مسلم : قوله ﷺ : (إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ)

وفي رواية : (إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ) وفي رواية : (لَا يَلْطَمَنَّ الْوَجْهَ) وفي رواية : (إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) ، قال العلماء : هذا تصريح بالنَّهي عن ضرب الوجه ؛ لأنَّه لطيف يجمع المحاسن ، وأعضاؤه نفيسة لطيفة ، وأكثر الإدراك بها ؛ فقد يبطلها ضرب الوجه ، وقد ينقصها ، وقد يشوه الوجه ، والشين فيه فاحش ؛ ولأنَّه بارز ظاهر لا يمكن ستره ، ومتى ضربه لا يسلم من شين غالباً ، ويدخل في النَّهي إذا ضرب زوجته أو ولده أو عبده ضرب تأديب فلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ . اهـ

ثم إن من الأمثال الدارجة بين الناس عندنا في مصر ، مثل يقول : " ضرب الوش مفهوش معلش " . هكذا اعتاد الناس على مر العصور ...

ثانياً : بعد أن بيّنتُ عظمةَ هذا النبيِّ الرحيم ﷺ - بفضل الله ﷻ - في الجزء الأول من الحديث ؛ يتبقى لنا الإشكالية الواضحة عندهم ، وإنكارهم على قوله ﷺ : " فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ " .

قلتُ : وقع ذلك منهم ؛ لأنهم يجهلون معتقدنا ، فإننا نعتقد أن الله ﷻ ليس كمثله شيء ؛ يقول ﷺ عن نفسه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى 11).

إننا لا نشبهه ، ولا نعطل ، ولا نمثل ، ولا ننول إلا إذا دُعينا لذلك والأسلم عدم التأويل .

قال النووي - رحمه الله - في شرحه لصحيح مسلم : هُوَ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ ، وَقَدْ سَبَقَ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ بَيَانُ حُكْمِهَا وَاضِحًا وَمَبْسُوطًا ، وَأَنَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يُمْسِكُ عَنْ تَأْوِيلِهَا ، وَيَقُولُ : نُوْمِنُ بِأَنَّهَا حَقٌّ ، وَأَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ ، وَلَهَا مَعْنَى يَلِيْقُ بِهَا ، وَهَذَا مَذْهَبُ جُمْهُورِ السَّلَفِ ، وَهُوَ أَحْوْطُ وَأَسْلَمُ . وَالثَّانِي أَنَّهَا تُتَأَوَّلُ عَلَى حَسَبِ مَا يَلِيْقُ بِتَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . اهـ

وقال - رحمه الله - في قوله ﷺ : " فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ " .

قَالَتْ طَائِفَةٌ : الضَّمِيرُ فِي (صُورَتِهِ) عَائِدٌ عَلَى الْأَخِ الْمَضْرُوبِ ، وَهَذَا ظَاهِرُ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : يَعُودُ إِلَى آدَمَ ، وَفِيهِ ضَعْفٌ ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : يَعُودُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ إِضَافَةً تَشْرِيفٍ وَاخْتِصَاصَ كَقَوْلِهِ ﷺ : ﴿ نَافَةٌ اللَّهُ ﴾ (الشمس 13) . وَكَمَا يُقَالُ فِي الْكَعْبَةِ : بَيْتُ اللَّهِ وَنَظَائِرُهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

في أثناء بحثي وجدتُ كلاماً رائعاً للشيخ ابن العثيمين - رحمه الله - سئل فضيلته ما معنى قول النبي ﷺ : "إن الله خلق آدم على صورته"؟.

فأجاب بقوله : هذا الحديث أعني قول النبي ﷺ : "إن الله خلق آدم على صورته " . ثابت في الصحيح ، ومن المعلوم أنه لا يراد به ظاهره بإجماع المسلمين والعقلاء ؛ لأن الله ﷻ وسع كرسيه السماوات والأرض ، والسماوات والأرض كلها بالنسبة للكرسي موضع القدمين كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة فما ظنك برب العالمين ؟ لا أحد يحيط به وصفاً ولا تخيلاً ، ومن هذا وصفه لا يمكن أن يكون على صورة آدم ستون ذراعاً لكن يحمل على أحد معنيين :

الأول : أن الله خلق آدم على صورة اختارها، وأضافها إلى نفسه - تعالى - تكريماً وتشريفاً.

الثاني : أن المراد خلق آدم على صورته من حيث الجملة، ومجرد كونه على صورته لا يقتضي المماثلة والدليل قوله ﷺ : " إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أضوء كوكب في السماء " ولا يلزم أن تكون هذه الزمرة مماثلة للقمر؛ لأن القمر أكبر من أهل الجنة بكثير، فإنهم يدخلون الجنة طولهم ستون ذراعاً، فليسوا مثل القمر . اهـ

فهتُ مما سبق : أن قوله ﷺ : " خلق آدم على صورته " . يعنى: صورة من الصور التي خلقها الله وصورها؛ قال ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ (الأعراف 11)، فالمُصور آدم ؛ إذاً آدم على صورة الله ﷻ أعني: أن الله ﷻ هو الذي صورته على هذه الصورة التي أحبها ﷻ ، فهي تعد أحسن الصورة لمخلوقاته ؛ قال : ﷻ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (التين 4) ، فإضافة الله ﷻ للصورة إليه من باب التشريف ؛ اعتنى ﷻ بهذه الصورة ، فمن أجل ذلك وغير ذلك نهى أن يضرب الوجه فتعيبه حساً ، ولا تقبحه كأن تقول : قبح الله وجهك ، ووجه من أشبه وجهك فتعيبه معنى

الخلاصة هي : أن الله ﷻ له وجه ، وله عين ، وله رجل ﷻ ، ويضحك ، ويفرح لكن لا يلزم أن تكون هذه الصفات مماثلة للإنسان ، فهناك شيء من الشبه لكنه ليس على سبيل المماثلة ، كما أن الزمرة الأولى من أهل الجنة فيها شبه من القمر لكن دون مماثلة ، فهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة

ثالثاً : إن قيل : إن هناك رواية أخرى تقول : قال ﷺ : " لا تقبحوا الوجه ؛ فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن " .

قلت : إن هذه الرواية ضعيفة ؛ ضعفها الألباني - رحمه الله - في السلسلة الضعيفة و الموضوعات برقم 1176، وغير واحد من المحققين .

رابعاً : إن المسلمين بالفعل ينكرون على المعترضين أن الله تجسد في يسوع ، وينكرون عليهم أيضاً أن الله يقضي حاجته ويضرب ويهان ويتبرز ويبول وينام
وينكرون عليهم أيضاً أن يكون الرب خروف له سبعة قرون ، ولو على سبيل التشبيه ؛
جاء ذلك في موضعين :

الأول : رؤيا يوحنا إصحاح 5 عدد 6 ونظرتُ فرأيتُ في الوسط بين العرش والكائنات الحية الأربعة والشيوخ خروف قائم كأنه مذبح . وكانت له سبعة قرون ، وسبع أعين تمثل أرواح الله السبعة التي أرسلت إلى الأرض كلها .

الثاني : رؤيا يوحنا إصحاح 17 عدد 14 هؤلاء سيحاربون الخروف ، والخروف يغلبهم ، لأنه رب الأرباب وملك الملوك ، والذين معه مدعوون ومختارون ومؤمنون .

وينكرون عليهم أن يكون الرب مشبه بشخص مخمور يصرخ عالياً من شدة الخمر ، وذلك في مزمور إصحاح 78 عدد 65 فاستيقظ الرب كنائمه ، كجبار معيط من الخمر . ..

وينكرون عليهم أن يكون الرب كالدودة ، وذلك في سفر هوشع (5 / 12) يقول الرب :
" 12 فإنا لأفرايم كالعث ، ولبيت يهوذا كالسوس " .

وينكرون عليهم أن يكون الرب مشبه بالدب ، وذلك في سفر مراثي إرمياء (3 / 10) : " هو لي كدب متربص " .

وينكرون عليهم أن يكون الرب مدخنا يخرج دخاناً من أنفه ، وذلك في سفر صموئيل الثاني إصحاح 22 عدد 8 فارتجت الأرض وارتعشت . أسس السماوات ارتعدت وارتجت ، لأنه غضب . 9 صعد دخان من أنفه ، ونار من فمه أكلت . جمر اشتعلت منه .

خامساً : إن العهد القديم ذكر أن الله ﷻ خلق الإنسان على صورته ؛ جاء ذلك في سفر التكوين إصحاح 1 عدد 26 وقال الله : «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم ، وعلى كل الأرض ، وعلى جميع الدبابات

الَّتِي تَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ». ²⁷ فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ.

قُلْتُ : إن هذه النصوص ما فهمها اليهود مثلما فهمها المعتضون فهم فهموا أن الله شبه الإنسان ، أو أن الله تجسد في إنسان

إن اليهود يعتقدون أنهم (المعتضين) وثنيون ، فلو فهموا فهمهم لقالوا بالوهمية المسيح ، وما أرادوا قتله... هذه النصوص تشبه كلام نبيينا ﷺ ، والمعنى أن الله ﷻ خلق الإنسان على الصورة التي أحبها، وأعطى لها بعض الصفات التي أحبها لنفسه مع عدم المماثلة والتشبيه ؛ فنحن نثبت الصورة لله ، وليست الصورة بمعنى الوجه فقط ، فلا نؤول ، ولا نعطل ، ولا نشبه....

مثال ذلك: الله ﷻ يسمع والإنسان كذلك ؛ لكن سمعُ الله ﷻ ليس كسمع الإنسان ؛ فالله ﷻ يسمع دبيب النملة السوداء فوق الصخرة الصماء في الليلة الظلماء سبحانه ، لا يشغله سمع عن سمع ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

رد شبهة : نبي يقول : (الحجر الأسود يمين الله في الأرض) !

زعموا أن نبينا قال : إن الحجر الأسود هو يمين الله في الأرض يصافح بها عباده.....
تساءلوا قائلين :

1- هل يعقل أن الحجر هو يمين الله في الأرض ؟!...

12- هل يعقل أن إله المسلمين له يد كالبحر يصافح بها...؟!...

تعلقوا على ما سبق بما جاء في المعجم الأوسط للطبراني برقم 563 حدثنا أحمد بن القاسم قال حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي قال حدثنا عبد الله بن المؤمل قال سمعت عطاء بن أبي رباح يحدث عن عبد الله بن عمرو قال :قال رسول الله ﷺ : " يأتي الركن يوم القيامة أعظم من أبي قبيس له لسان وشفتان يشهدان لمن استلمه بالحق وهو يمين الله - عز و جل -التي يصافح بها خلقه ."

الرد على الشبهة

أولاً : إن كلاً الأحاديث التي جاء فيها أن الحجر الأسود هو يمين الله في الأرض لا تصح ؛ إما منكره أو موضوعة ...

حكم عليها بذلك الشيخ الألباني - رحمه الله- كما يلي :

1- ضعيف الترغيب والترهيب برقم 726 - (ضعيف) والطبراني في الأوسط وزاد { يعني حديث ابن عمرو -رضي الله عنها- الذي في الصحيح } يشهد لمن استلمه بالحق وهو يمين الله عز وجل يصافح بها خلقه وابن خزيمة في صحيحه وزاد يتكلم عن استلمه بالنية وهو يمين الله التي يصافح بها خلقه.

2- السلسلة الضعيفة برقم 223 (منكر) " الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها عباده ."

3- السلسلة الضعيفة برقم 2685 (موضوع) "الحجر في الأرض يمين الله ﷻ فمن مسح يده على الحجر فقد بايع الله ﷻ ألا يعصيه ."

4- الجامع الصغير برقم 6517 " الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله أن لا يعصيه ."

(فر) عن أنس (الأزرقى) عن عكرمة موقوفا .

قال الشيخ الألباني : (موضوع) انظر حديث رقم 2771 في ضعيف الجامع.

إِذَا : كان ما سبق دليل عن بطلان سؤالهم الأول الذي يقول: هل يعقل أن الحجر هو يمين الله في الأرض...؟!

ثانياً : إنهم يجهلون معتقداً في الله ﷻ ، فإننا نعتقد أن الله ﷻ ليس كمثله شيء ؛ يقول ﷺ عن نفسه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى 11).
إننا لا نشبهه ، ولا نعطل ، ولا نمثل ، ولا ننوّل إلا لضرورة والأسلم عدم التأويل فهذا مذهب جمهور السلف.

قال النووي - رحمه الله - في شرحه لصحيح مسلم : هو من أحاديث الصفات ، وقد سبق في كتاب الإيمان بيان حكمها واضحاً ومبسوطاً ، وأن من العلماء من يمسك عن تأويلها ، ويقول : نؤمن بأنها حق ، وأن ظاهرها غير مراد ، ولها معنى يليق بها ، وهذا مذهب جمهور السلف ، وهو أحوط وأسلم .

والثاني : أنها تتأوّل على حسب ما يليق بتنزيه الله تعالى ، وأنه ليس كمثله شيء . اهـ

مثال ما سبق : الله ﷻ له وجه ، وله عين ، وله رجل ﷻ ، ويضحك ، ويفرح لكن لا يلزم أن تكون هذه الصفات مماثلة للإنسان ...

إن يد الله ليست مماثلة ليد الإنسان ، فإليد صفة من صفاته ﷻ وكلتا يديه يمين ؛ ثبت في صحيح مسلم برقم 3406 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا".

إِذَا : صفة اليد تمر كما هي دون أن نمثل ،أو نشبه ،أو نعطل، أو نووّل ... وأما الأحاديث الصحيحة التي جاءت بخصوص يمين الله ،أو يد الله هي بخلاف ما أتى بها المعترضون ... منها ما يلي :

1- صحيح البخاري برقم 6869 عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْآخِرَى الْفَيْضُ أَوْ الْقَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ " .

2- صحيح مسلم برقم 4954 عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا " .

2- مسند أحمد برقم 3491 عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي يَهْبِطُ اللَّهُ ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سَوْلُهُ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ " .

تعليق شعيب الأرناؤوط : صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الأحوص فمن رجال مسلم .

إِذَا : كان ما سبق دليل عن بطلان سؤالهم الثاني الذي يقول : هل إله المسلمين له يد كالشجر يصافح بها...؟!

ثالثاً : إن المعارضين لا يعترضون على أن ربهم - يسوع - له يدين ، ويتبرز ، وينام ، ويضرب على قفاه ، وذلك بحسب نصوص الأناجيل ويعترضون علينا بحديث لا نعترف به يقول: إن يمين الله حجر ويصافح الناس ... ولا يعترضون على أن ربهم - يسوع - صخرة (حجر) شرب منها ناس كثير ...

وذلك بحسب ما قاله بولس الرسول في رسالته الأولى إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوسِ إِصْحَاح 10 عدد¹ فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا أَنَّ آبَاءَنَا جَمِيعُهُمْ كَانُوا تَحْتَ السَّحَابَةِ، وَجَمِيعُهُمْ

اجْتَاَزُوا فِي الْبَحْرِ،² وَجَمِيعَهُمْ اعْتَمَدُوا لِمُوسَى فِي السَّحَابَةِ وَفِي الْبَحْرِ،³ وَجَمِيعَهُمْ أَكَلُوا
طَعَامًا وَاحِدًا رُوحِيًّا،⁴ وَجَمِيعَهُمْ شَرَبُوا شَرَابًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ
رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ، وَالصَّخْرَةُ كَانَتْ الْمَسِيحَ. لا تعليق!

رد شبهة : نبي يقول : (ديك رجلاه في الأرض وعنقه مثنية تحت العرش ...)!

قالوا : لقد قال رسول الإسلام شيئاً لا يعقل أبداً... يتحدث عن ديك رجلاه وحدها في
الأرض ، وعنقه في السماء إلى تحت العرش

ثم قالوا : ما هذه الخرافات أيها المسلمون؟!

وتعلقوا على ذلك بما جاء عند الطبراني في الأوسط برقم 7324 حدثنا محمد بن العباس
ثنا الفضل بن سهل الأعرج ثنا إسحاق بن منصور ثنا إسرائيل عن معاوية بن إسحاق
عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :
" إن الله جل ذكره إذن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض وعنقه منثني تحت
العرش وهو يقول : سبحانك ما أعظمك ربنا فرد عليه ما يعلم ذلك من حلف بي كاذبا ".
لم يرو هذا الحديث عن معاوية بن إسحاق إلا إسرائيل تفرد به إسحاق بن منصور.

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذا الحديث لا يصح رفعه للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ففيه اضطراب من ناحية السند مع ومن ناحية المتن كما يلي :

أولاً: من ناحية السند جاء ضعفه في الآتي :

1- كتاب جامع الأحاديث القدسية (ج 1 / ص 19) برقم 337 (إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك رجلاه في أرض وعنقه مثنية تحت العرش وهو يقول: سبحانك ما عظم ربنا قال: فيرد عليه: ما يعلم ذلك من حلف بي كاذباً) أخرجه الحاكم في المستدرک ج4/ص297. (ضعيف) قال ابن الجوزي: موضوع في إسناده على بن اللهبى وهو متروك يروى الموضوعات. قال الألباني في السلسلة الصحيحة ج1/150. قلت : بل في تصحيح إسناده الحديث ومنتنه نظر. وقد ذكر ابن عراق في تنزيه الشريعة ج1ص189 قال: قلتُ في لسان الميزان عن البخاري في حديث الديكة : ليس في هذا المتن حديث يثبت . اهـ

2- قال ابن القيم في المنار المنيف نحو هذا الحديث مع جملة أحاديث مكذوبة ، قال : وبالجملّة فكل أحاديث الديك كذب إلا حديثاً واحداً : " إذا سمعتم صياح الديك فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً " أخرجه البخاري ومسلم .
وقد استدرک عليه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة غفر الله له حديث (لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي بنحوه . اهـ

3- الحديث ذكره الإمام الدارقطني - رحمه الله- في العلل (8/156):

(وسئل عن حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ

((إن الله أذن لي أن أحدث عن ملك قد خرقت رجلاه الأرض السابعة والعرش على منكبه وهو يقول...)) الحديث

فقال: يرويه إسرائيل واختلف عنه فرواه إسحاق بن منصور السلولي عن إسرائيل عن معاوية بن إسحاق عن المقبري عن أبي هريرة وغيره يرويه عن إسرائيل عن إبراهيم أبي إسحاق وهو إبراهيم بن الفضل مديني ضعيف) انتهى.

وقال الدارقطني كما في أطراف الغرائب والأفراد لابن طاهر ج 5 / ص 194

حديث إذن لي أن أحدث ملك رجلاه الحديث غريب من حديث معاوية بن إسحاق بن طلحة عنه تفرد به إسحاق بن منصور عن إسرائيل عنه ولم أره إلا من حديث حمدان بن عمر البزار عنه وغيره يرويه عن إسرائيل عن إبراهيم بن إسحاق وهو إبراهيم بن الفضل عن المقبري .اهـ

ثانياً : من ناحية المتن فقد جاءت روايات متضاربة معه بلفظ : " أن أحدث عن ملك " . وذلك في الآتي :

1- سنن أبي داود برقم 4102 عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: " أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ

2- مسند أبي يعلى برقم 6619 عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : " أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ السَّابِعَةَ وَالْعَرْشَ عَلَى مَنْكَبِهِ وَهُوَ يَقُولُ : سُبْحَانَكَ أَيُّنَ كُنْتُ ؟ وَأَيُّنَ تَكُونُ ؟ " .

قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

ثانيًا : إن المعترضين يعترضون على ملك في صورة ديك ولا يعترضون على ما جاء في كتابهم المقدس من مخلوقات لم نسمع عنها قط،حتى أن الرب نفسه مشبه فيه بالحيوانات الغريبة ... وذلك في الآتي :

1- الرب خروف له سبع قرون ، وسبعة أعين يختلف تمامًا عن الخروف الطبيعي ...
وذلك في موضعين:

الأول : رؤيا يوحنا إصحاح 5 عدد 6 ونظرتُ فرأيتُ في الوسط بين العرش والكائنات الحية الأربعة والشيوخ خروف قائم كأنه مذبح. وكانت له سبعة قرون، وسبع أعين تمثل أرواح الله السبعة التي أرسلت إلى الأرض كلها.

الثاني : رؤيا يوحنا إصحاح 17 عدد 14 هؤلاء سيحاربون الخروف، والخروف يغلبهم، لأنه رب الأرباب وملك الملوك، والذين معه مدعوون ومختارون ومؤمنون».

2- تنين كبير جدًا أين هو....؟ وامرأة غريبة.... وذلك في رؤيا يوحنا إصحاح 12 عدد 1 وظهرت آية عظيمة في السماء: امرأة متسربة بالشمس، والقمر تحت رجليها، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكبا، وهي حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد. 3 وظهرت آية أخرى في السماء: هوذا تنين عظيم أحمر، له سبعة رؤوس وعشرة قرون، وعلى رؤوسه سبعة تيجان. 4 وذنبه يجزئ ثلث نجوم السماء فطرحها إلى الأرض. والنتين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد، حتى يبتلع ولدها متى ولدت. 5 فولدت ابنا ذكرا عتيذا أن يرعى جميع الأمم بعصا من حديد. واختطف ولدها إلى الله وإلى عرشه، 6 والمرأة هربت إلى البرية، حيث لها موضع معد من الله لكي يعولوها هناك ألفا ومئتين وسنتين يوما.

3- طائر له أربعة أرجل ... وذلك في سفر الألويين إصحاح 11 عدد²⁰ وكل ديبب الطير الماشي على أربع. فهو مكروه لكم.²¹ إلا هذا تأكلونه من جميع ديبب الطير الماشي على أربع: ما له كراعان فوق رجليه يثب بهما على الأرض وعدد²³ لكن سائر ديبب الطير الذي له أربع أرجل فهو مكروه لكم.

قلتُ : من المعلوم أن هذا الطائر المذكور لا وجود له ... طائر بأربعة أرجل أين هو ، ونحن في زمن الأقمار الصناعية والستاليت والانترنت....!؟

رد شبهة : نبيٌ يخبر عن عذابِ القبر ...!

قالوا : ليس في كتابنا المقدس شيء يسمى بعذابِ القبر ونعيمه ، فهذه أسطورة اخترعها نبيُ الإسلام... فكم خوفت المسلمين أنفسهم قبل غيرهم ... !
فهل عذابُ القبر ونعيمه حقيقة أم خرافة أيها المسلمون ...!؟

كان اعتمادهم على ما سبق بالأحاديث التي وردت بهذا الشأن منها ما يلي :

1- صحيح البخاري باب (عذابِ القبر من الغيبة والبول) برقم 1289 عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال : إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ ثُمَّ قَالَ : بَلَى أَمَّا أَحَدُهَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ وَأَمَّا آخَرُهَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ قَالَ : ثُمَّ أَخَذَ عَوْداً رَطْباً فَكَسَرَهُ بِاثْنَتَيْنِ ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرِ ثُمَّ قَالَ : " لَعَلَّهُ يَخَفُّ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْبَسَا " .

4- صحيح البخاري باب (التَّعَوُّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) برقم 1288 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو وَيَقُولُ : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ".

4- صحيح البخاري باب (التَّعَوُّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي الْكُسُوفِ) برقم 991 عَنْ عَائِشَةَ - زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - أَنَّ يَهُودِيَّةً جَاءَتْ تَسْأَلُهَا فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَسَأَلَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيْعَذِبُ النَّاسُ فِي قُبُورِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : عَائِذَا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ مَرْكَبًا فَخَسَفَتِ الشَّمْسُ فَرَجَعَ ضَحَى فَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْحَجَرِ ثُمَّ قَامَ يَصْلِي وَقَامَ النَّاسُ وَرَاءَهُ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ فَسَجَدَ ثُمَّ قَامَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ فَسَجَدَ وَانْصَرَفَ فَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

-5

4- صحيح البخاري باب (التَّعَوُّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) برقم 5889 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : دَخَلْتُ عَلَى عَجُوزَانِ مِنْ عَجَزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ فَقَالَتَا لِي : إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يَعْذِبُونَ فِي قُبُورِهِمْ فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أَنْعَمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا فَخَرَجَتَا وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ وَذَكَرْتَ لَهُ فَقَالَ : صَدَقَتَا إِنَّهُمَا يَعْذِبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا فَمَا رَأَيْتَهُ بَعْدَ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

5- صحيح البخاري برقم 1280 عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : إِذَا أَقْعَدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ ٥ :

{ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ } حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهِذَا وَزَادَ { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا } نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ.

5- سنن ابن ماجه برقم 4259 عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: { يُثَبَّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ }. تحقيق الألباني : صحيح ، ابن ماجه (4269).

-6

7- صحيح البخاري برقم 5890 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ".

-8

8- سنن الترمذي برقم 1586 عَنْ الْمَقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنَ الْقَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَيَزُوجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَقَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ".

قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

تحقيق الألباني : صحيح أحكام الجنائز (35 - 36) ، التعليق الرغيب (2 / 194).

9- سنن الترمذي برقم 2815 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ خَبَاءَهُ عَلَى قَبْرِ وَهُوَ لَا يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنِّي ضَرَبْتُ خَبَائِي عَلَى قَبْرِ وَأَنَا لَا أَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الْمُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " هِيَ الْمَانِعَةُ هِيَ الْمُنْجِيَةُ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ".

قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

تحقيق الألباني: ضعيف ، و إنما يصح منه قوله : " هي المانعة " ، الصحيحة (

1140) ، ضعيف الجامع الصغير (6101) ، المشكاة (2154).

10- مسند أحمد برقم 11680 عن أنس بن مالك قال : مرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطِ لِبْنِي النَّجَّارِ فَسَمِعَ صَوْتًا مِنْ قَبْرِ فَقَالَ: مَتَى مَاتَ صَاحِبُ هَذَا الْقَبْرِ ؟ قَالُوا : مَاتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . فَقَالَ : " لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ عَذَابَ الْقَبْرِ " .

تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

الرد على الشبهة

أولاً : إن عذاب القبر ونعيمه ليست أسطورةً ابتدعتها محمدٌ ﷺ ، بل كان هذا الأمر مشهور قبله ﷺ عند اليهود بدليل حديث المرأتان اليهوديتان عنه لعائشة - رضي الله عنها- ... وذلك ما ثبت في صحيح البخاري باب التَّعَوُّدِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ برقم 5889 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : دَخَلْتُ عَلَى عَجُوزَانِ مِنْ عَجَزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ فَقَالَتَا لِي : إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أَنْعَمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا فَخَرَجْنَا وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ : " يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ وَذَكَرْتُ لَهُ " . فَقَالَ : " صَدَقْتَا إِنَّهُمَا يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا فَمَا رَأَيْتَهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّدَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ " .

ثم إن القرآن الكريم أخبر عن عذاب إل فرعون - وهم من الأمم السابقة- أنهم يعرضون على النار غُدُوًّا وَعَشِيًّا قبل القيامة والحساب ... وذلك من قوله ﷻ: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)﴾ (غافر).

ثانياً : إن علماء المسلمين اختلفوا في ماهية العذاب والنعيم ، هل يقع على الروح ، أم الجسد ، أم الروح والجسد ؟

جاء في كتاب الروح لابن القيم (ج 1 / ص 52، 50) : قال شيخ الإسلام الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عود الروح إلى البدن وقت السؤال وسؤال البدن بلا روح قول قاله طائفة من الناس وأنكره الجمهور وقابلهم آخرون فقالوا السؤال للروح بلا بدن وهذا قاله ابن مرة وابن حزم وكلاهما غلط والأحاديث الصحيحة تردده ولو كان ذلك على الروح فقط لم يكن للقبر بالروح اختصاص وهذا يتضح بجواب المسألة

وهي قول السائل هل عذاب القبر على النفس والبدن أو على النفس دون البدن أو على البدن دون النفس وهل يشارك البدن النفس في النعيم والعذاب أم لا

وقد سئل شيخ الإسلام عن هذه المسألة ونحن نذكر لفظ جوابه فقال : بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليها في هذه الحال مجتمعين كما تكون على الروح منفردة عن البدن وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح ؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة ، وأهل الكلام وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث قول من يقول : إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح وإن البدن لا ينعم ولا يعذب وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين ويقولون كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الأبدان لكن يقولون لا يكون ذلك في البرزخ ؛ وإنما يكون عند القيام من القبور لكن هؤلاء ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط ويقولون : إن الأرواح هي المنعمة أو المعذبة في البرزخ فإذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معاً وهذا القول قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وابن مرة فهذا القول ليس من الأقوال الثلاثة الشاذة بل هو مضاف إلى قول من يقول بعذاب القبر ويقر بالقيامة ويثبت معاد الأبدان والأرواح ولكن هؤلاء لهم في عذاب القبر ثلاثة أقوال

أحدها أنه على الروح فقط

الثاني : أنه عليها وعلى البدن بواسطتها .

الثالث : أنه على البدن فقط وقد يضم إلى ذلك القول الثاني : وهو قول من يثبت عذاب القبر ويجعل الروح هي الحياة ويجعل الشاذ قول منكر عذاب الأبدان مطلقاً وقول من ينكر عذاب الروح مطلقاً فإذا جعلت الأقوال الشاذة ثلاثة فالقول الثاني الشاذ قول من يقول إن الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب؛ وإنما الروح هي الحياة وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة كالقاضي أبي بكر وغيره وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن وهذا قول باطل وقد خالف أصحابه أبو المعالي الجريني وغيره بل قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الأمة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة والفلاسفة الإلهيون يقولون بذلك لكن ينكرون معاد الأبدان وهؤلاء يقولون بمعاد الأبدان لكن ينكرون . اهـ

قلتُ : إنني متفقٌ تماماً الاتفاق مع ابنِ حزمٍ - رحمه الله - على أن عذاب القبر ونعيمه يكون على الروح فقط دون الجسد ، فالجسد يبلى بعد أن يأكله الدود وتبقى الروح إلى أن تقام القيامة... وهناك من تتمزق أشلائه في طائفة انفجرت ...

إن العذاب والنعيم على الروح يشبه الشخص النائم الذي يرى في منامه حلماً جميلاً لا يريد أن يستيقظ منه ، وهذا هو نعيم القبر ، وقد يرى حلماً مفزعاً يُعذب منه ويريد أن يستيقظ منه ؛ لأن العذابَ شديداً ، فإن كان في الدنيا من أصحاب الأموال ولا يؤدي الزكاة ، يرى في حلمه ثعباناً اقرباً يقول له: أنا مالك أنا كنزك ...

وهذا ما جاء في صحيح البخاري برقم 4199 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ مَالَهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ يَقُولُ: " أَنَا مَالِكَ أَنَا كَنْزُكَ " . ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : {وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ } إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ٠

حتى ضمة القبر التي ما نجا منها أحدٌ ما هي إلا حلم يحلم الإنسان أن القبر يضيق عليه
ثم بعدها يحلم بحلم سعيد ، أو مفزع إلى أن تُقام الساعة ؛ يُحاسب حينها بالروح والجسد
معا...

أدلتني على ذلك كثيرة منها:

1- قوله ﷺ : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَا
وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52) إِنْ كَانَتْ إِلَّا
صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (53) فَالْيَوْمَ لَا تَظْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا
تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (54) ﴾ (يس)

نلاحظ قوله ﷺ: ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾. أي: من أيقظنا من نومنا...

2- قوله ﷺ عن يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ (24) يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ
(25) ﴾ (النور)

3- قوله ﷺ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ
جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (56) ﴾ (النساء).

فعلى ما سبق أتضح لنا : أن الأمر بسيط وليس فيه تخويف للمسلمين قبل غيرهم كما ادعا المعترضون ... فعلى الإنسان أن يتقى الله ﷻ وليعلم أم الدنيا ساعة فيجعلها طاعة ،والنفس طماعة يعلمها القناعة.. وبذلك ينعم بالنعيم المقيم....

ثالثاً : إن المنصرين لا يعرفون مصيرهم بعد موتهم المباشر أعني : (خروج الروح من الجسد ، والدفن بعدها...) وهذا يدل على عدم كمال شريعتهم.... فكتبهم - العهد القديم والجديد- تخلوا تماماً عن ذكر هذه المرحلة التي قبل القيامة ؛ القبر ...

إنهم يعرفون ملكوت الله - جنته - ، وبحيرة النار والكبريت (جهنم) فقط ... والعجيب أنهم يقولون: إن العذاب في جهنم يقع على الروح والجسد ، ولكن النعيم في الجنة يقع على الروح فقط ... وهذا قول غريب لا دليل عليه من كتابهم المقدس ؛ فهذه هي نصوص كتابهم تشهد على كذبهم وجهلهم :

2- بحيرة النار والكبيرة للأشرار... وذلك في سفر رؤيا يوحنا إصحاح 20 عدد¹⁰ وإبليس الذي كان يضلهم طرح في بحيرة النار والكبريت، حيث الوحش والنبى الكذاب. وسيعذبون نهارة وليلاً إلى أبد الآبدين.

3- العذاب الأخروي يقع على الروح والجسد معاً، وذلك في إنجيل متى إصحاح 5 عدد²⁹ فإن كانت عينك اليمنى تعثر فاقطعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم. ³⁰ وإن كانت يدك اليمنى تعثر فاقطعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم.

3- النعيم الأبدي يقع على الروح والجسد معاً ، وذلك ما جاء في ثلاثة نصوص :
النص الأول : جاء في موضعين من إنجيل متى هما:

الأول : إصحاح 16 عدد ¹⁹ وَأَعْطَيْكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ ، فَكُلْ مَا تَرِيطُهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاوَاتِ».

الثاني : إصحاح 18 عدد ¹⁸ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرِيطُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاءِ.

نلاحظ من خلال ما سبق هذه العبارة : وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاءِ.
والمعنى : أن أي شيء حلال ليس بمحرم في الدنيا ، مثل الجنس الحلال- الزواج- والأكل ... يكون حلالاً في جنة الرب ﷻ ...

النص الثاني : إنجيل متى إصحاح 19 عدد ²⁷ فَأَجَابَ بُطْرُسُ حِينَئِذٍ وَقَالَ لَهُ: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟» ²⁸ فَقَالَ لَهُمُ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي، فِي التَّجْدِيدِ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الْإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الْاثْنَيْ عَشَرَ. ²⁹ وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بَيْوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَوْلَادًا أَوْ خَفُولًا مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ.

النص الثالث : إنجيل متى إصحاح 26 عدد ²⁹ وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مِنَ الْآنَ لَا أَشْرَبُ مِنْ نَتَاجِ الْكَرْمَةِ هَذَا إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرِبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي».

نلاحظ : أن هناك شرب نِتَاجِ الْكَرْمَةِ فِي الْمَلَكُوتِ ، وبالتالي فالنعيم يكون على الروح والجسد....

وهنا يظهر لنا تناقض بين هذا النص وبما جاء على لسان بولس الرسول في رسالته إلى أهل رمية إصحاح 14 عدد¹⁷ لَأَنَّ لَيْسَ مَلَكُوتُ اللَّهِ أَكْلًا وَشُرْبًا، بَلْ هُوَ بَرٌّ وَسَلَامٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ.

قلتُ : إن التناقض واضح جدًا ففي النص الأول: نجد أن يسوع يشرب مع التلاميذ في الملكوت من نتاج الكرمة...

والنص الثاني : فيه قال بولس : لا يوجد أكل ، ولا شرب في الملكوت ...

لا تعليق!

رد شبهة : نبي يقول : (حور لها قبل شهى وله ذكر لا ينتهي) !

كتب أحدهم في مواقعهم ساخرًا من هذا الحديث الذي رواه ابن ماجه في سننه برقم 4328 حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْرَقِيُّ أَبُو مَرْوَانَ الدَّمَشَقِيُّ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ إِلَّا زَوَّجَهُ اللَّهُ ﷻ ثَنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً ثَنَتَيْنِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَسَبْعِينَ مِنْ مِيرَاثِهِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ مَا مِنْهُنَّ وَاحِدَةٌ إِلَّا وَلَهَا قَبْلُ شَهْيٍ وَلَهُ ذَكَرٌ لَا يَنْتَهِي " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذا الحديث لا يصح ، فهو مردود عندنا نحن - المسلمين - ، ولا نعترف بما جاء به ؛ لأنه ضعيف جدًا يدل على ذلك ما جاء في الآتي :

1- تحقيق الألباني : السلسلة الضعيفة (4473) . ضعيف جداً . اهـ

2- جاء في كتاب جامع الأحاديث باب حرف الميم (ج 19 / 114) برقم 20337 ما من أحد يدخله الله الجنة إلا زوجه ثنتين وسبعين زوجة ثنتين من الحور العين وسبعين من ميراثه من أهل النار ما منهن واحدة إلا ولها قبل شهى وله ذكر لا ينثني (ابن ماجة عن أبي أمامة)

أخرجه ابن ماجة (2/1452، رقم 4337) قال البوصيري (4/266) : هذا إسناد فيه مقال . اهـ

نلاحظ كلام البوصيري : هذا إسناد فيه مقال .

9- جاء في كتاب فيض القدير (ج 5 / ص 598) : قال الدميري : انفرد به ابن ماجة أي: وفيه خالد بن يزيد وهاه ابن معين مرة وكذبه أخرى وساق الذهبي من مناكيره هذا الخبر ، وقال ابن حجر : هذا الحديث سنده ضعيف جداً . اهـ

ثم إن الحديث لم يرد له مثل في كتب السنة يقويه ويعضضه وهذا يدل على نكارتة....

ثانياً : إن الحديث مردود من ناحية المتن أيضاً ، وذلك لأن لحوور الاثنتين وسبعين ليست لكل مسلم يدخل الجنة ؛ بل هي للشهيد فقط ، وذلك في مسند أحمد برقم 16553
عَنِ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبَ الْكِنْدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ قَالَ الْحَكَمُ سِتَّ خِصَالٍ: أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ وَيَرَى قَالَ الْحَكَمُ : وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيَحُلِّي حُلَّةَ الْإِيمَانِ وَيُزَوَّجَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَيَجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ قَالَ : الْحَكَمُ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَقَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ ."

كان هذا كافياً لأبطال الشبهة بفضل منه ﷺ.

رد شبهة : ضع كلباً أو تمثالاً ولن تموت...!

من الشبهات التي أضحكتني أن أحدهم كتب قائلاً :

لكي لا تموت أبداً، ضع كلب أو صورة أو تمثال في بيتك ، فلن يستطيع ملاك الموت الدخول إليك...!

فقد جاء عن رسول الإسلام في صحيح البخاري برقم 2986 عن أبي طلحة يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ تَمَازِيلٌ".

الرد على الشبهة

أولاً : لو اجتمعت كلُّ التماثيل ، وكلُّ الكلاب في مكان ما ، لا يمنعوا قدرَ الله ﷻ ... تدلل على ذلك أدلة منها :

- 1- قوله ﷻ : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ (78)﴾ (النساء).
- 2- قوله ﷻ : ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27) ﴾ (الأنبياء). الملائكة عباد الله مقربون مخصصون بالفضائل، وهم في حسن طاعتهم لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم، ولا يعملون عملاً حتى يأذن لهم . اهـ التفسير الميسر .
- 4- قوله ﷻ : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185)﴾ (آل عمران).ك

إِذَا : لا شيء يمنع قدر الله

الموت باب وكل الناس داخله *** يليت شعري بعد الموت ما الدار .
الدار جنة الخلد إن عملت بما *** يرضي الإله وإن قصرت فالنار.

ثانياً : إن الحديث يتحدث عن أمر غيبي ، والواجب علينا التصديق ؛ لأنه جاء عن طريق
الوحي ، فالملائكة لا تدخل بيوتاً فيها تماثيل ، وكلاب...

والمقصود بدخولها أنها تأتي بالرحمة والاستغفار لأهل البيت...

ويستثني من الملائكة أنواع في هذا الأمر الحفظة، وملك الموت ؛ فالله ﷻ يقول في
شان الحفظة : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12) ﴾
(الانفطار) ، وقال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق) .

ويقول ﷻ في شان ملك الموت : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ ﴾ والمشاهد من لدن
محمد إلى يومنا هذا أن ملك الموت يقبض الأرواح في بيوت فيها تماثيل ، وصور ،
وكلاب فبيوت الكفار مليئة بالصور والكلاب ويموتون....

دليل ما سبق بيانه وعليه إضافات هو ما جاء في الشروح الآتية :

1- شرح النووي لمسلم قال : وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ لَا يَدْخُلُونَ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ
صُورَةٌ فَهُمْ مَلَائِكَةٌ يَطُوفُونَ بِالرَّحْمَةِ وَالتَّبَرُّكِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، وَأَمَّا الْحَفَظَةُ فَيَدْخُلُونَ فِي
كُلِّ بَيْتٍ ، وَلَا يُفَارِقُونَ بَنِي آدَمَ فِي كُلِّ حَالٍ ، لِأَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بِإِحْصَاءِ أَعْمَالِهِمْ ،
وَكِتَابَتِهَا . قَالَ الْخَطَّابِيُّ : وَإِنَّمَا لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ صُورَةٌ مِمَّا يَحْرُمُ
اِقْتِنَاؤُهُ مِنَ الْكَلَابِ وَالصُّورِ ، فَأَمَّا مَا لَيْسَ بِحَرَامٍ مِنْ كَلْبِ الصَّيْدِ وَالزَّرْعِ وَالْمَاشِيَةِ
وَالصُّورَةِ الَّتِي تُمْتَنِعُ فِي الْبَسَاطِ وَالْوَسَادَةِ وَغَيْرِهِمَا فَلَا يَمْتَنِعُ دُخُولُ الْمَلَائِكَةِ بِسَبَبِهِ
، وَأَشَارَ الْقَاضِي إِلَى نَحْوِ مَا قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ. اهـ

2- شرح ابن حجر للبخاري: وَأَغْرَبَ ابْنُ حَبَّانٍ فَادَّعَى أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ خَاصٌّ بِالنَّبِيِّ ﷺ، قَالَ . وَهُوَ نَظِيرُ الْحَدِيثِ الْآخَرِ " لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا جَرَسٌ " . قَالَ : فَإِنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى رُفْقَةٍ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، إِذْ مُحَالٌ أَنْ يَخْرُجَ الْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ لِقَصْدِ بَيْتِ اللَّهِ ﷻ عَلَى رَوَاحِلٍ لَا تَصْحَبُهَا الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ وَفَدَ اللَّهُ أَنْتَهَى ... يعلق ابن حجر بأنه تَوِيلٌ بعيد... اهـ

قلتُ : ولكنه محتمل ؛ لأن جبريل منع من دخول البيت ، وعلل بوجود كلب لم يكن ميتا في بيت النبي كما في صحيح مسلم .

ثالثاً : إن قيل : لما حرم الإسلام بناء التماثيل وهي من الفنون الجميلة... ؟

قلتُ : إن الكتاب المقدس ذكر لنا تحريم الرب للتماثيل ، ولعل من أسباب تحريمها أنها تمنع الملائكة من دخول البيت ... وذلك في عدة نصوص منها :

1- سفر الآويين إصحاح 26 عدد 1¹ «لَا تَصْنَعُوا لَكُمْ أَوْثَانًا، وَلَا تُقِيمُوا لَكُمْ تِمْنَالًا مَنُحُوتًا أَوْ نَصَبًا، وَلَا تَجْعَلُوا فِي أَرْضِكُمْ حَجَرًا مَصُورًا لِتَسْجُدُوا لَهُ. لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ.»² سُبُوتِي تَحْفَظُونِ وَمَقْدَسِي تَهَابُونَ. أَنَا الرَّبُّ.

-2

13- سفر التثنية إصحاح 5 عدد 8⁸ لَا تَصْنَعْ لَكَ تِمْنَالًا مَنُحُوتًا صُورَةً مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ. 9⁹ لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَهٌ غَيْرٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الْأَبَاءِ فِي الْأَبْنَاءِ وَفِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنَ الَّذِينَ يَبْغِضُونَنِي. لا تعليق !

رد شبهة : نبي يقول : الجنة فيها خمر ...!

أدعوا قائلين : إن نبي الإسلام أخبر أتباعه أن في الجنة خمر... فكيف تكون النجاسات في مكان طاهر مطهر كالجنة....؟!

استندوا في ادعائهم بما جاء في صحيح مسلم برقم 3736 عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا حُرِمَهَا فِي الْآخِرَةِ " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن خمر الدنيا ليست كخمر الآخرة كما يتبادر ذلك في أذهان المعترضين... تدلل على ذلك عدة أدلة منها :

الدليل الأول : قوله ﷺ : ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانِ مُخَلَّدُونَ (17) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (18) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ (19)﴾ (الواقعة) .

1- تفسير الجلالين : " لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ " بِفَتْحِ الرَّايِ وَكَسْرُهَا مِنْ نَزَفَ الشَّارِبِ وَأَنْزَفَ أَيَّ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْهَا صُدَاعٌ وَلَا ذَهَابٌ عَقْلٌ بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا. اهـ

2- التفسير الميسر: يطوف عليهم لخدمتهم غلمان لا يهرمون ولا يموتون، بأقداح وأباريق وكأس من عين خمر جارية في الجنة، لا تُصَدَّعُ منها رؤوسهم، ولا تذهب بعقولهم . اهـ

3- تفسير ابن كثير : وقوله : { لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ } أي : لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة .

وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال : في الخمر أربع خصال: السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول. فذكر الله خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال.

وقال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير ، وعطية، وقتادة ، والسدي: { لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا } يقول: ليس لهم فيها صداع رأس. وقالوا في قوله: { وَلَا يُنْزَفُونَ } أي : لا تذهب بعقولهم . اهـ

الدليل الثاني : قوله ﷺ : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (45) بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (46) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (47)﴾ (الصافات).

- 1- جاء في تفسير الجلالين : " لَا فِيهَا غَوْلٌ" مَا يَغْتَالُ عُقُولَهُمْ "وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ" بَفَتْحِ الرَّايِ وَكَسْرِهَا مِنْ نَزَفَ الشَّارِبِ وَأَنْزَفَ : أَيِ يَسْكُرُونَ بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا . اهـ
- 3- جاء في التفسير الميسر : يدار عليهم في مجالسهم بكؤوس خمر من أنهار جارية، لا يخافون انقطاعها، بيضاء في لونها، لذیذة في شربها، ليس فيها أذى للجسم ولا للعقل . اهـ

الدليل الثالث : قوله ﷺ : ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (25)﴾ (الطيفيين).

- 1- جاء في تفسير الجلالين : " يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ" خَمْرٌ خَالِصَةٌ مِنَ الدَّنَسِ " مَخْتُومٌ" عَلَى إِنَائِهَا لَا يَفُكُّ خَتْمَهُ غَيْرُهُمْ . اهـ

- 2- جاء في التفسير الميسر : ما أعدَّ لهم من خيرات، ترى في وجوههم بهجة النعيم ، يُسْقَوْنَ من خمر صافية محكم إناؤها، آخره رائحة مسك ، وفي ذلك النعيم المقيم فليتسابق المتسابقون. وهذا الشراب مزاجه وخلطه من عين في الجنة تُعَرَفُ لعلوها بـ " تسنيم "، عين أعدت ؛ ليشرب منها المقربون، ويتلذذوا بها . اهـ

إذاً كان ما سبق دليل على هدم شبهتهم التي تقول : إن نبي الإسلام أخبر أتباعه أن في الجنة خمر فكيف تكون النجاسات في مكان طاهر مطهر كالجنة...؟!

ثانياً : إن قيل : سلمنا بقولك أيها الكتاب ، فلماذا سميت بالخمير ، لماذا لم تسم باسم آخر...؟!

قلتُ : إن هذه التسمية من باب تقريب المعاني التي يعرفها الإنسان لا أكثر، وليس ما في نعيم الدنيا ونعيم الجنة إلا أسماء فقط ، وأما المحتوى يختلف بكثير ... جاء في صحيح البخاري برقم 3005 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَالَ اللَّهُ : " أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَعُوا إِنَّ شِئْنَكُمْ : { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ } ".

ثالثاً : إن الخمر التي يدور في أذهان المعترضين في الجنة هي التي جاءت في كتابهم المقدس على لسان ربهم يسوع - كما يزعمون- ... وذلك في إنجيل متى إصحاح 26 عدد 29²⁹ وَأَقُولُ لَكُمْ : إِنِّي مِنَ الْآنَ لَا أَشْرَبُ مِنْ نَتَاجِ الْكَرْمَةِ هَذَا إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي».

ثم إن هناك نصوصاً أخرى تبين أن الرب يسوع شرب الخمر ،مثل نص: أكل وشرب خمير ، و صنع الخمر في العرس... وبالتالي فهي حلال في الأرض عندهم ، ولا ينبغي أن لا تحرم في السماء... وذلك على لسان يسوع المسيح في موضعين من إنجيل متى هما:

الأول: إصحاح 16 عدد 19¹⁹ وَأَعْطَيْكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرِبُّطُهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاوَاتِ».

الثاني: إصحاح 18 عدد 18¹⁸ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرِيطُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاءِ.

نلاحظ من خلال ما سبق هذه العبارة: " وَكُلُّ مَا تَحُلُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاءِ ".

والمعنى: أن أي شيء حلال ليس بمحرم في الدنيا يكون حلالاً في جنة الرب ﷻ ...
لا تعليق !

رد شبهة : نبي يقول عن جهنم : (إنها سوداء مظلمة)!

قالوا: من الخرافات التي قالها رسول الإسلام أن جهنم سوداء ، وليست حمراء ، واستدلوا على ذلك بما رواه الترمذي في سننه برقم 2516 حَدَّثَنَا عَبَّاسُ الدُّورِيُّ الْبَغْدَادِيُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا شَرِيكٌ عَنْ عَاصِمٍ هُوَ ابْنُ بَهْدَلَةَ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلَمَةٌ ".

حَدَّثَنَا سُؤَيْدٌ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ شَرِيكٍ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ أَوْ رَجُلٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ نَحْوَهُ وَلَمْ يَرْفَعْهُ قَالَ أَبُو عِيسَى : حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي هَذَا مَوْقُوفٌ أَصَحُّ وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا رَفَعَهُ غَيْرَ يَحْيَى بْنِ أَبِي بُكَيْرٍ عَنْ شَرِيكٍ.

الرد على الشبهة

أولاً: إن الحديث (محل الشبهة) ليس من كلام النَّبِيِّ ﷺ فالحديث ضعيف رفعه إلى النَّبِيِّ ﷺ ؛ بين ذلك علماء أجلاء منهم :

1- الإمام الترمذي - رحمه الله - بين ضعفه في آخر الحديث ، ويبدو أنهم تعاملوا عن قراءة ما قاله - رحمه الله - لما قال : حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي هَذَا مَوْقُوفٌ أَصَحُّ وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا رَفَعَهُ غَيْرَ يَحْيَى بْنِ أَبِي بُكَيْرٍ عَنْ شَرِيكِ . اهـ

2- الشيخ الألباني - رحمه الله - ضعفه في السلسلة الضعيفة برقم 1305 . اهـ
وعليه تبطل الشبهة فلا مجال لاستهزاء....

ثانياً : إن هناك أسئلة تطرح نفسها هي: أنني افترضت جدلاً صحة الحديث ، ما المانع من تصديقه ؟!

فهل اطلع المعترضون على جهنم ، وشاهدوا لونها ، وشكلها ...؟
وهل جاء وصفٌ يشمل لون جنهم في الكتاب المقدس ؟

الجواب : لا ؛ بل جاءت نصوص تقول : إنها بحيرة نار وكبريت ، وذلك ما جاء في سفر رؤيا يوحنا إصحاح 20 عدد¹⁰ وَأَبْلِسُ الَّذِي كَانَ يُضِلُّهُمْ طُرِحَ فِي بَحِيرَةِ النَّارِ وَالْكَبْرِيتِ ، حَيْثُ الْوَحْشُ وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ. وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَلَيْلًا إِلَى أَبَدِ الْآبِدِينَ.

إذاً : كان عليهم إلا يعترضوا على أمور غيبية لم يشاهدوها ، ولم ترد في كتبهم مع اعتقادنا الجازم بعدم صحة الحديث أصلاً ...

رد شبهة : نبي الإسلام يقول: والناكح يده ؛ أي متزوج يده ؟!

قرأتُ شبهةً تافهةً وسمعتها أيضاً من أحدهم يقول: ليس معنى النكاح الزواج كما تقولون أيها المسلمون ؛ لأن هناك حديثاً فيه لفظة "الناكح يده" ، فهل معنى ذلك يا مسلمون أن الرجل متزوج يده ...؟!

واستدل على ذلك بما جاء في كنز العامل في سنن الأقوال والأفعال برقم 44363 مسند علي - رضي الله عنه- عن الحارث عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : " سبعة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ، يقال لهم : ادخلوا النار مع الداخلين ، إلا أن تتوبوا ، إلا أن يتوبوا ، إلا أن يتوبوا : الفاعل ، والمفعول به ، والناكح يده ، والناكح حليلة جاره ، والكذاب الأثر ، ومعسر المعسر ، والضارب والديه حتى يستغيثا " . رواه ابن جرير وقال: لا يعرف عن رسول الله ﷺ إلا رواية علي، ولا يعرف له مخرج عن علي إلا من هذا الوجه، غير أن معانيه معاني قد وردت عن رسول الله ﷺ بها أخبار بألفاظ خلاف هذه الألفاظ .

الرد على الشبهة

أولاً : إن النكاح بمعنى الزواج ، وكما قال بعض اللغويين: هو كناية عن الوطء الذي منه الزواج فكلمة النكاح لها معنيان (الزواج) و (الوطء) وأما كلمة النكاح في القرآن الكريم لم تأت إلا بمعنى الزواج .. وعليه فإن النكاح له معنيان بحسب تعريفه اللغوي ، والشرعي :

النكاح في اللغة : يكون بمعنى (عقد التزويج) ، ويكون بمعنى (وطء الزوجة) ، قال أبو علي القالي : " فرقت العرب فرقاً لطيفاً يعرف به موضع العقد من الوطاء فإذا قالوا : نكح فلانة أو بنت فلان أرادوا عقد التزويج ، وإذا قالوا نكح امرأته أو زوجته ، لم يريدوا إلا الجماع والوطء".

والنكاح في الشرع : " تعاقد بين رجل وامرأة يقصد به استمتاع كل منهما بالآخر ، وتكوين أسرة صالحة ومجتمع سليم " .

يدعم ما سبق ما جاء في معجم لسان العرب كما يلي:

نكح : نكح فلان امرأة ، ينكحها نكاحاً ، إذا تزوجها

وقال الأعشى في نكح بمعنى تزوج :-

ولا تقربن من جارة إن سرها عليك حرام فانكحن أو تأبدا

وأنكحه المرأة أي زوجه إياها . وأنكحها : زوجها والاسم النكح والنكح .

وكان الرجل في الجاهلية يأتي إلى الحي خاطباً فيقوم في ناديهم فيقول خطباً (أي :

جئت خاطباً) فيقال له نكح : (أي : أنكحناك إياها) . اهـ

ثانياً : إن الحديث محل الاعتراض لم يثبت عن النبي ﷺ ، ولا نعترف به نحن- المسلمين- ؛ دليل ذلك ما يلي:

1- ما جاء في الحديث نفسه : قال ابن جرير: لا يعرف عن رسول الله ﷺ إلا رواية علي ، ولا يعرف له مخرج عن علي إلا من هذا الوجه ، غير أن معانيه معاني قد وردت عن رسول الله ﷺ بها أخبار بالفاظ خلاف هذه الألفاظ .

2- السلسلة الضعيفة والموضوعة للشيخ الألباني برقم 319 (ضعيف) .

إذاً من خلال ما سبق تبين لنا : مدى تفاهة الشبهة ، وضعفها- بفضل الله تعالى-

رد شبهة : نبيّ يقول : (لا عدوى) !

أثيرت شبهة تقول: رسول الإسلام ألغى الطب ؛ الطب يقرر أن هناك أمراضاً معدية ، ورسول الإسلام يقول: " لا عدوى " ! وبعد ذلك يتناقض في كلامه قائلاً : " و فر من المجذوم كما تفر من الأسد " ! يا له من تناقض ؟!

تعلقوا بما جاء في السلسلة الصحيحة برقم 783 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الحديث صحيح الإسناد عندنا ضعيف الفهم عندهم ؛ فصدق القائل لما قال :
و كم من عائب قولاً صحيحاً ***** و آفته من الفهم السقيم .

إنها ليست بشبهة ، ولكن من واجبي أن أرد على سوء فهمهم ، وعلى كل أوضح ما أشكل عليهم فهمه في الآتي :

قوله ﷺ : " لا عدوى " ؛ أي : أن العدوى لا تقع إلا بإذن الله ﷻ ، وبأمر منه ، وبقضائه ، وليس معنى لا عدوى : أنك تقف بجانب شخص مريض مرض معدي ، ونقول : قال

النبي ﷺ : " لا عدوى " . هذا فهم سقيم للحديث ؛ المعنى : لا عدوى تقع إلا بإذن الله ﷻ بعد الأخذِ بالأسبابِ هذا هو المعنى الصحيح ، والدليل على ذلك ما قاله النبي ﷺ في نهاية الحديث : " و فر من المجذوم كما تفر من الأسد " .

والجذامُ : مرض جلدي معدي خبيث...

وعليه فليس هناك أدنى تناقض كما يزعم المعترضون ؛ يدل على ما سبق دليل جاء في صحيح البخاري برقم 5330 عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لا عدوى " قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : سمعت أبا هريرة عن النبي ﷺ قال : " لا تُوردوا الممرض على المصح " وعن الزهري قال أخبرني سنان بن أبي سنان الدؤلي أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : " لا عدوى " فقام أعرابي فقال : رأيت الإبل تكون في الرمال أمثال الطباء فيأتيها البعير الأجرب فتجرب . قال النبي ﷺ : " فمن أعدى الأول ؟ " .

قلتُ : إن هذا الحديث - محل الاعتراض - بيان لقول الله ﷻ : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة 195) ،
ولقوله ﷻ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (النساء 29) .

ثانياً : إن ادعاءهم بأنه ﷺ ألغى الطب ادعاء باطل وسخيف ؛ لأن النبي ﷺ رد عليهم هو بنفسه في عدة مواضع منها :

1- صحيح مسلم برقم 4084 عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله ﷻ " .

2- سنن أبي داود برقم 3376 عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالْدَّوَاءَ وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فَتَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ " .

تحقيق الألباني : شطره الأول صحيح ، وبقيته ضعيف غاية المرام (66) ، المشكاة (4538) ، ضعيف الجامع الصغير (1569) .

3- صحيح الجامع برقم 2930 عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال : قال ﷺ : " تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد : الهرم " .

4-

وعليه يبطل ادعاؤهم - بفضل الله ﷻ - .

ثالثاً : إن هذا الحديث برمته بيان للعقيدة الصحيحة التي تنافي الشرك ، يتضح ذلك من خلال بقية شرح الحديث بإيجاز على النحو التالي :

قوله ﷺ : " وَلَا طِيرَةً " ؛ أي : لا يوجد تشاءم في الإسلام ، والطيرة جاءت من الطير ؛ لأن العرب في الجاهلية كانوا يتفاعلون و يتشاءمون بالطير ؛ حيث يقومون بإطلاق مجموعة من الطيور فإذا طارت يميناً تفاعلوا ، وإذا طارت شمالاً تشاءموا وهكذا فنهى النبي ﷺ عن التشاؤم .

قوله ﷺ : " وَلَا هَامَةً " ؛ قال العلماء : (الهامة) هي البومة فقد كان العرب يتشاءمون من شكلها وصوتها ، فنهى النبي ﷺ عن التشاؤم منها .

وقوله ﷺ: "وَلَا صَفَرٌ" ؛ كان العربُ يتشاءمون من شهرِ صفرٍ لاسيما في أمرِ الزواج ،
فنهى النبي ﷺ عن التشاؤمِ منه مبيناً لهم أنه شهر كبقية الأشهر فُدر الله فيه الخير
والشر ، فلا ينبغي للإنسان أن يتشاءم منه كما كان من حالِ العربِ قديماً .

رابعاً : إن إنجيل لوقا ذكر أن الذي خالف الطب هو يسوع المسيح ؛ ذكر أنه كان لا
يغسل يده قبل الأكل ، وهذا يؤدي إلى أمراض خطيرة ، ففي يوم من الأيام ذهب يسوع
ليأكل عند رجل فرّيسي ، ولم يغسل يده قبل الأكل ، فسأله الفرّيسي لماذا لم تغسل يدك
قبل الأكل فشمته يسوع جاء ذلك في إنجيل لوقا إصحاح 11 عدد 37 وفيما هو يتكلّم
سأله فرّيسي أن يتغذى عنده ، فدخل وانكأ .³⁸ وأمّا الفرّيسي فلما رأى ذلك تعجّب أنّه لم
يغتسل أولاً قبل الغداء .³⁹ فقال له الربّ : « أنتم الآن أيّها الفرّيسيون تنقون خارج الكأس
والقصعة ، وأمّا باطنكم فمملوء اختطافاً وخبثاً .⁴⁰ يا أغبياء ، أليس الذي صنع الخارج صنع
الداخل أيضاً ؟⁴¹ بل أعطوا ما عندكم صدقةً ، فهوداً كلّ شيء يكون نقياً لكم .⁴² ولكن ويل
لكم أيّها الفرّيسيون ! لأنكم تعشرون النعنع والسذاب وكلّ بقل ، وتتجاوزون عن الحقّ ومحبة
الله . كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك .⁴³ ويل لكم أيّها الفرّيسيون ! لأنكم تحبون
المجلس الأول في المجمع ، والنّحيات في الأسواق .⁴⁴ ويل لكم أيّها الكتبة والفرّيسيون
المراؤون ! لأنكم مثل القبور المختفية ، والذين يمشون عليها لا يعلمون !⁴⁵ فأجاب واحد من
الناموسيين وقال له : « يامعلم ، حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضاً !⁴⁶ . فقال : «ويل لكم أنتم
أيّها الناموسيون ! لأنكم تحمّلون الناس أحمالاً عسرة الحمل وأنتم لا تمسّون الأحمال بإحدى
أصابعكم . لا تعليق !

رد شبهة : حديث الذبابة !

استهزأ المعترضون وغيرهم بكلام النَّبِيِّ ﷺ حول الحديث المشهور باسم (حديث الذبابة) ، وطعنوا فيه طعوناً كثيرة ؛ الحديث في صحيح البخاري كتاب (بدء الخلق) باب (إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء) برقم 3073 عن أبي هريرة : قال النَّبِيُّ ﷺ : " إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذا الحديث ليس فيه إلزام من النَّبِيِّ ﷺ لنا بأن الذباب إذا وقع في شرابنا أو إنائنا أن نغمسه فيه... هناك نفوس لا تحتل ذلك الأمر ، وأنا واحد منهم ؛ أدلتي على ذلك ما يلي :

- 1- قوله ﷺ : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج78).
 - 2- قوله ﷺ : ﴿ لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة 286) .
 - 3- قوله ﷺ : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء28).
 - 4- سنن ابن ماجه برقم 2033 عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ " .
- وعليه إذا وقع الذباب في إناء شخص يشمئز منه ، ولا يمكنه تناول ما فيه ؛ فإن الله ﷻ لا يكلف نفساً إلا وسعها...
- ثم إن هذا الحديث لم يدع أحداً إلى صيد الذباب ووضع عنوة في الإناء ، ولم يشجع على ترك الأنية مكشوفة حتى يسقط الذباب فيها....
- ولم يمنع (الحديث) أحداً من الأطباء والقائمين على منظمات الصحة من التصدي للذباب في موطنه ومحاربه وإبادته ؛ ولكن الحديث يحكي لنا كيف يتعامل الإنسان معه في موقف معين وافق عليه الطب الحديث كما ستقدم معنا - إن شاء الله ﷻ -

قال ابن حجر في الفتح: قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبْرِيُّ : لَمْ يَقْصِدِ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ بَيَانَ النَّجَاسَةِ وَالطَّهَارَةِ ، وَإِنَّمَا قَصَدَ بَيَانَ التَّدَاوِي مِنْ ضَرَرِ الدُّبَابِ ، وَكَذَا لَمْ يَقْصِدِ بِالنَّهْيِ عَنِ الصَّلَاةِ فِي مَعَاطِنِ الْإِبِلِ وَالْإِذْنِ فِي مَرَاحِ الْغَنَمِ طَهَارَةَ وَلَا نَجَاسَةَ وَإِنَّمَا أَشَارَ إِلَى أَنَّ الْخُشُوعَ لَا يُوْجَدُ مَعَ الْإِبِلِ دُونَ الْغَنَمِ . قُلْتُ: وَهُوَ كَلَامٌ صَحِيحٌ . إِذَا الْعَلَّةُ فِي الدُّبَابِ قَاصِرَةٌ وَهِيَ عُمُومُ الْبَلَوَى ، وَهَذِهِ مُسْتَنْبَطَةٌ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً وَفِي الْآخَرِ دَاءً . اهـ

قلتُ : بالمثال يتضح المقال: لو أن هناك شخصاً أراد أن يشرب كوباً من اللبن فسقطت فيه ذبابة ماذا يفعل ؟ **الجواب :** هو بالخيار بين أمرين: إما أن يشرب كوب اللبن بعد غمس الذبابة وإخراجها منه، فلا يضره شيء ، بل يأخذ الأجر على تصديقه لحديث النبي ﷺ ، وإما أن يمتنع عن شربه إن كانت نفسه لا تطيق ذلك ولا إثم عليه.

لكن القضية هي لو أن هناك رجلاً بائعاً للبن يحضره بكميات كبيرة جداً ، وسقطت ذبابة في هذه الكميات الكبيرة ماذا يفعل هذا البائع أو التاجر ؟ هل يخسر هذه الكميات الكبيرة من اللبن ، ويخسر تجارته ؛ يلقى بها أم أنه يغمس الذبابة ثم يخرجها مرة أخرى ؟ **الجواب :** لاشك أنه يغمسها ثم يخرجها مرة أخرى.

ثانياً : إن المعارضين وغيرهم يعترضون على هذا الحديث ، ويشتمنون مما فيه ، ولا يعترضون ويشتمنون من بعض الأدوية المصنوعة من العفن ، مثل : المضادات الحيوية كالبنسلين ، الستربتومايسين يأخذونها إذا مرضوا على الرطب والسعة ؛ لأنها ليست من كلام النبي ، هذا وإن دل يدل على مدى حقدهم وكرههم للرسول الأمين وخاتم النبيين ﷺ

إن كل ما في الحديث أن الذباب يحمل الأمراض في إحدى جناحيه ، وزوال ضرره يكون بغمسه في الإناء الذي وقع فيه ثم إخراجهُ لتفادي الأضرار .

ثالثاً : إن هذا الحديث فيه دلالة من دلائل صدق نبوته ﷺ هو من المعجزات التي أتى بها النبي ﷺ فهؤلاء المعترضون يضحكون على جهلهم ، ولا يعرفون ما قاله العلماء والأطباء قديماً وحديثاً في شأن هذا الحديث ...

أولاً : أذكر ما قاله العلماء القدامى من علماء السلف - رحمهم الله - :

قال ابن حجر في الفتح : قَالَ الْخَطَّابِيُّ : تَكَلَّمَ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ مَنْ لَا خَلَقَ لَهُ فَقَالَ : كَيْفَ يَجْتَمِعُ الشِّفَاءُ وَالْدَّاءُ فِي جَنَاحِي الذُّبَابِ ، وَكَيْفَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ نَفْسُهُ حَتَّى يُقَدِّمَ جَنَاحَ الشِّفَاءِ ، وَمَا أَلْجَأَ إِلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : وَهَذَا سُؤَالُ جَاهِلٍ أَوْ مُتَجَاهِلٍ ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْحَيَوَانِ قَدْ جَمَعَ الصِّفَاتِ الْمُتَضَادَّةَ . وَقَدْ أَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَهَا وَقَهَرَهَا عَلَى الْاجْتِمَاعِ وَجَعَلَ مِنْهَا قُوَى الْحَيَوَانِ ، وَإِنَّ الَّذِي أَلْهَمَ النَّحْلَةَ اتِّخَاذَ الْبَيْتِ الْعَجِيبِ الصَّنْعَةَ لِلتَّعْسِيلِ فِيهِ ، وَأَلْهَمَ النَّمْلَةَ أَنْ تَدْخُرَ قُوَّتَهَا أَوَّانَ حَاجَتِهَا ، وَأَنْ تَكْسِرَ الْحَبَّةَ نَصْفَيْنِ لئَلَّا تَسْتَنْبِتَ ، لِقَادَرِ عَلَى إِلْهَامِ الذُّبَابَةِ أَنْ تُقَدِّمَ جَنَاحًا وَتُؤَخِّرَ آخَرَ . وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : مَا نُقِلَ عَنْ هَذَا الْقَاتِلِ لَيْسَ بِعَجِيبٍ ، فَإِنَّ النَّحْلَةَ تَعْسَلُ مِنْ أَعْلَاهَا وَتَلْقِي السَّمَّ مِنْ أَسْفَلِهَا ، وَالْحَيَّةُ الْقَاتِلُ سَمِّهَا تَدْخُلُ لِحُومِهَا فِي التَّرْيَاقِ الَّذِي يُعَالِجُ بِهِ السَّمَّ ، وَالذُّبَابَةُ تُسْحَقُ مَعَ الْإِثْمِ لَجَلَاءِ الْبَصَرِ . وَذَكَرَ بَعْضُ حُدَاقِ الْأَطْبَاءِ أَنَّ فِي الذُّبَابِ قُوَّةَ سُمِّيَّةٍ يَدُلُّ عَلَيْهَا الْوَرَمُ وَالْحَكَّةُ الْعَارِضَةُ عَنْ لَسَعِهِ ، وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ السِّلَاحِ لَهُ ، فَإِذَا سَقَطَ الذُّبَابُ فِيمَا يُؤْذِيهِ تَلَقَّاهُ بِسِلَاحِهِ ، فَأَمَرَ الشَّارِعَ أَنْ يُقَابِلَ تِلْكَ السُمِّيَّةَ بِمَا أَوْدَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْجَنَاحِ الْآخَرَ مِنَ الشِّفَاءِ فَتَتَقَابَلِ الْمَادَّتَانِ فَيُزُولُ الضَّرَرُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى . وَاسْتُدِلَّ بِقَوْلِهِ : " ثُمَّ لِيَنْزِعَهُ " عَلَى أَنَّهَا تَنْجُسُ بِالمَوْتِ كَمَا هُوَ أَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ لِلشَّافِعِيِّ ، وَالْقَوْلُ الْآخَرُ كَقَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ ، أَنَّهَا لَا تَنْجُسُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

أُتضح مما سبق : أن هذا الحديث إعلان بالغيب عن وجود سم في الذباب ، وهو شيء لم يكشفه العلم الحديث بصفة قاطعة إلا في القرنين الأخيرين (التاسع عشر والعشرين) الميلاديين ، وقبل ذلك كان من الممكن للعلماء أن يكذبوا الحديث النبوي لعدم ثبوت وجود شيء ضار في الذباب ، وبعد اكتشاف الجراثيم يعودون فيصححون الحديث !

ليس من حق أحد أن يرفض هذا الحديث، أو أي حديث نبوي آخر، لمجرد عدم موافقته للعلم الحالي . فالعلم يتطور ويتغير، بل ويتقلب كذلك؛ فمن النظريات العلمية ما تصف شيئاً اليوم بوصفٍ معينٍ بأنه صحيح، ثم تصفه بعد زمن قريب أو بعيد بأنه خطأ....

ثانياً : إن العلم الحديث أثبت صحة حديث النبي ﷺ الذي يرفضه المعترضون ... علماء غير مسلمين ؛علماء أستراليون يستخرجون مضادات حيوية من الذباب ... وصدق رسول الله ﷺ فهذا آخر اكتشاف لجناح الذبابة في موقع أي بي سي

http://www.abc.net.au/science/news/stories/s689400.htm ترجمة -

محمود أبا شيخ

إن ظهر الذباب هو آخر مكان نتوقع أن نجد فيه مضادات حيوية ، ومع ذلك هذا المكان بالتحديد الذي يركز عليه فريق من الباحثين الاستراليين وذلك بناءً علي نظرية حتمية امتلاك الذباب مضادات للجراثيم فعالة للحفاظ علي حياتها في بيئة الروث واللحم أو الفواكه المتعفنة، والفريق من قسم علوم الأحياء بجامعة ماكوري يقوم حالياً بدراسة للتعرف علي خاصية تلك المضادات واختلافها في المراحل المختلفة لنمو الذباب. وقالت السيدة جوان كلارك : إن بحثنا جزء صغير من أبحاث وجهود عالمية للحصول علي مضادات حيوية جديدة ، ونعتقد أننا نبحت حيث لم يبحث فيه أحد من قبل. السيدة جوان كلارك هي التي تولت تقديم الاكتشاف نيابة عن الباحثين في مؤتمر جمعية علم الأحياء المجهرية عقد في ماربون، ويعتبر هذا الموضوع جزء من رسالة الدكتوراه التي تحضرها العلماء قاموا باختبار أربعة أصناف من الذباب : الذبابة المنزلية ، ذبابة اللحم ، ذبابة الفواكة والكنترول .. والنوع الأخير من صنف ذبابة الفاكهة في كوينسلاند وتضع بيضها علي الفواكة الطازجة. احتياج هذه اليرقات للمضادات أقل من الأصناف الأخرى لقلة

ملاقاتها للجراثيم. الذباب تمر بعدة أطوار في دورة حياتها بداية من مرحلة اليرقة ثم مرحلة الشرنقة إلى أن تدخل مرحلة الحشرة الكاملة أو طور البلوغ , وخلال طور الشرنقة الذباب يكون محاطا بغلاف محمي ولا تتغذي . وأضافت السيدة جوان كلارك أنهم توقعوا قلة إنتاج المضادات في هذا الطور. ولكن خلال طور الشرنقة لم تظهر الأصناف الأربعة خصائص المضادات الحيوية سوى صنف كنترول هو التابع لصنف الفواكة في كوينسلاند بينما جميع الأصناف أفرزت مضادات في طور البلوغ ؛ لأنها في هذا الطور تكون في حاجة إلى حماية مضادات الجرثومية لكثرة تحركها وملاقاة الحشرات الأخرى خصائص المضادات وجدت في جميع الأنواع الأربع، وذكرت جوان أن المضادات تظهر أيضا في أحشاء الذبابة كما تظهر خارج الجسم وسبب تركيزنا علي خارج الجسم هو فقط للسهولة عملية الاستخراج ويتم استخلاص المضادات عن طريق وضع الذبابة في الكحول الأيثلي، ثم يتم استخلاص مادة المضاد الخام بتمرير مركب المحلول خلال مرشح (فبلتر). وعند وضع المضاد الحيوي المستخرج من الذباب في محلول ملوث بشتى أنواع البكتيريا مثل أي كولاي , جولدين ستاف (معروف أيضا بستافلوكوكس) وخميرة الكانديدا ومعديات أخرى .. وفي كل الحالات لوحظ فعالية المضاد الحيوي (المستخرج من الذباب)

وأضافت السيدة جوان كلارك قائلة : "إننا حاليا نحاول التعرف علي مكونات المضاد الحيوي لإنتاجه كيميائيا. ولأن المركب ليس مستخرجا من بكتيريا لن يكن سهلا للبكتيريا أن تكون مناعة ضد المضاد الحيوي (المستخرج من الذباب) ونأمل أن يكون لهذه المضادات فعالية علاجية لمدة طويلة . اه بتصرف يسير.

ولمزيد من الأبحاث والمعلومات في هذا الشأن وغيره يستطيع القارئ أن يرجع إلي موقع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة سيجد ما يسره - إن شاء الله - .

رابعاً : إنني سمعتُ تسجيلاً صوتياً موثقاً للأب بيشوي حلمي يقول: لو وقعت ذبابة في كأس الدم بعد التقديس أثناء طقس الأفخارستيا لازم الكاهن يأكلها ! ويبدو أنها ورطة كبيرة ، فبماذا يجيب المعترضون على ذلك ؟؟ مضطرين 😊

رد شبهة : نبيُّ يقول لمریض يشتكي بطنه: اسقِه عَسَلًا !

قالوا على سبيلِ التهكم والاستهزاء : إن رجلاً جاء إلى رسولِ الإسلامِ يخبره أن أخاه يشكو وجعا في بطنه ، فقال له رسولُ الإسلامِ: " اسقِه عَسَلًا " ففعل ولم يشف ، ثم جاء إلى رسولِ الإسلامِ للمرةِ الرابعةِ ولم يشف ، فكان ردُّ رسولِ الإسلامِ " صدَقَ اللهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ " ! فهل هذه من معجزاتِ رسولكم ، أم إنها من الخرافات ؟!

استندوا في ذلك بما جاء في الصحيحين :

1- صحيح البخاري كتاب (الطب) باب (الدواء بالعسل) برقم 5252 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ . فَقَالَ : " اسقِه عَسَلًا " . ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ فَقَالَ: " اسقِه عَسَلًا " . ثُمَّ أَتَاهُ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ: " اسقِه عَسَلًا " . ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: " قَدْ فَعَلْتُ " . فَقَالَ: " صدَقَ اللهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ اسقِه عَسَلًا فَسَقَاهُ فَبَرَأَ " .

2- صحيح مسلم كتاب (السلام) باب (التداوي بسقي العسل) برقم 4107 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَخِي اسْتَطْلَقَ بَطْنَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " اسقِه عَسَلًا " . فَسَقَاهُ ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ إِنِّي سَقَيْتُهُ عَسَلًا فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتَطْلَاقًا فَقَالَ لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ جَاءَ الرَّابِعَةَ فَقَالَ : " اسقِه عَسَلًا " . فَقَالَ : " لَقَدْ سَقَيْتُهُ فَلَمْ

يَزِدُّهُ إِلَّا اسْتَطْلَقًا " . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ فَسَقَاهُ فَبَرًّا " .

-3-

الرد على الشبهة

أولاً : إن المسلمين يعتقدون بأن عسل النحل فيه شفاء للناس ، وذلك مصداقاً لقوله ﷺ متحدثاً عن النحلة : ﴿ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل:69) .
ولقول نبينا ﷺ في الحديث الذي نحن بصدده " اسقِه عَسَلًا فَسَقَاهُ فَبَرًّا " .

إن هذا الحديث يدل على صدق نبوة نبينا ﷺ ، وصدق ما جاء به وهو القرآن الكريم ؛ حيث إننا نجد في نهاية الحديث أن الرجل الذي كان يشكو بطنه شفي لما شرب العسل الذي وصفه النبي ﷺ له دواء ؛ وهذا واضح من الحديث نفسه ففيه " اسقِه عَسَلًا فَسَقَاهُ فَبَرًّا " .

نلاحظ : كلمة " فَبَرًّا " .

وعليه : فإن الحديث لا يخدم المعترضين بحالٍ من الأحوال - والله الحمد- بل يثبت علماء الغرب وأصحاب الأبحاث الطبية إلى يومنا هذا أن في عسل النحل شفاء من أمراض كثيرة جداً كما أخبر القرآن وأخبر النبي ﷺ ، وأحيل الباحثين إلى الرجوع إلى موقع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ففيه ما يفيد من دراسات وأبحاث قيمة في ذلك الشأن .

ثانياً : إن اعتراض المعترضين يكمن في أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ للمرة الرابعة ولم يشف ، فكان رد رسول الله ﷺ " صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ " اعتراض لا قيمة ، بل هو دليل على عدم فقههم ؛ لأن شفاء الرجل من مرضه لا تكفيه جرعة واحدة ، أو

جرعة واحدة ؛ حيث إننا نجد أن رسول الله ﷺ كان متأكداً من شفاء الرجل المبطون ، فقال: " صدق الله وكذب بطن أخيك "

ولكن للشفاء مدة معينة قدرها الله ﷻ فلا يبرأ إلا بعد تكرار العلاج (العسل) لا من أول جرعة ...

أتضح ذلك بعد الجرعة الرابعة ؛ وجدنا الرجل المبطون قد شفي تماماً كما جاء في الروية التي معنا ففيها : ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ فَقَالَ : " صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً فسقاه فبرأ ".

وبالمثال يتضح المقال : لما يمرض إنسان في عصرنا هذا ، ويذهب للطبيب يصف له أحد المضادات الحيوية ، ويحذره الطبيب من إيقاف العلاج إلا بعد انتهاء الجرعة المطلوبة المحددة حتى يتم الشفاء ، ولو نظرنا في نشرة الدواء لوجدنا مكتوباً فيها: لعلاج أمراض الجهاز التناسلي ، الجرعة المحددة لمدة أربعة أيام... ..

وبهذا المعنى ذكره ابن حجر في الفتح عن الإمام الخطابي قال : فَكَأَنَّهُ شَرِبَ مِنْهُ أَوَّلًا مَقْدَارًا لَا يَفِي بِمُقَاوَمَةِ الدَّاءِ ، فَأَمَرَهُ بِمَعَاوَدَةِ سَقْيِهِ ، فَلَمَّا تَكَرَّرَتِ الشَّرَبَاتُ بِحَسَبِ مَادَّةِ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى . وَفِي قَوْلِهِ ﷺ : " وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ " إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ هَذَا الدَّوَاءَ نَافِعٌ ، وَأَنَّ بَقَاءَ الدَّاءِ لَيْسَ لِقُصُورِ الدَّوَاءِ فِي نَفْسِهِ وَلَكِنْ لِكَثْرَةِ الْمَادَّةِ الْفَاسِدَةِ ، فَمِنْ ثَمَّ أَمَرَهُ بِمَعَاوَدَةِ شَرْبِ الْعَسَلِ لِاسْتِفْرَاغِهَا ، فَكَانَ كَذَلِكَ ، وَبَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ . اهـ
أقول عن المعترضين كما قال الله ﷻ : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (يونس39) .

ثالثاً : إن إنجيل مرقس ذكر أن يسوع بصق في عين الأعمى ليشفيه ، ولم تكن البصقة الواحدة كافية لشفائه... وذلك في الإصحاح 8 عدد 22 وجاء إلى بيت صيدا، فقدموا إليه أعمى وطلبوا إليه أن يلمسه، 23 فَأَخَذَ بِيَدِ الْأَعْمَى وَأَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجِ الْقَرْيَةِ، وَثَقَلَ فِي عَيْنَيْهِ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَسَلَّاهُ: هَلْ أَبْصَرَ شَيْئًا؟ .

قلتُ : إننا لن نسأل بطريقتهم ، ونقول مثلاً: أليس هذا شيء مقرر أن ينقل يسوع في عين الأعمى ليشفيه ؟ ألا توجد طريقة أفضل من هذه.... ؟!

وتذكر بقية النصوص ما نصه: و لما سألَهُ : هَلْ أَبْصَرَ شَيْئًا؟ ²⁴فَتَطَّلَعَ وَقَالَ: «أَبْصَرُ النَّاسَ كَأَشْجَارٍ يَمْشُونَ».

نلاحظ : أن الأعمى لم يرى الصورة واضحة بل رأى الناس كأشجار ، فمن الواضح أن البصقة لم تكن كافية لشفائه حتى يبصر تمامًا **ويدها** ²⁵ثم وضع يديه أيضا على عينيه ، وجعله يتطلع. فعادَ صحيحًا وأبصرَ كلَّ إنسانٍ جليًّا. ²⁶فأرسله إلى بيته قائلاً: «لا تدخل القرية، ولا تقل لأحد في القرية»!!

وأتساءل : هلا اعترض المعتضون على تلك النصوص كما اعترضوا على حديث النبي ﷺ...

رابعاً : إن الأناجيل نسبت لبولس رسول النصرانية أنه وصف لمريض أن يشرب الخمر من أجل مرض في معدة ، ويبقى السؤال هل الخمر فيها شفاء للمعدة...؟ جاء ذلك في رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس الإصحاح 5 عدد 23 لا تكن في ما بعد شراب ماء بل استعمل خمرًا قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة.

رد شبهة : نبي يقول : (الحبة السوداء شفاء من كل داء) !

تهكم أحدهم في أحد منتديات الحوار على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) على حديث النبي ﷺ الذي جاء في صحيح البخاري كتاب (الطب) باب (الحبة السوداء) برقم 5256 عن أبي هريرة سمع رسول الله ﷺ يقول : " في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام " . قال ابن شهاب: والسام الموت والحبة السوداء الشونيز.

أخذ هذا المعترض يقول على المسلمين ما لم يقولوه ، وأخذ يعدد الأمراض مستهزأً مستفسراً هل تنفع حبة البركة مع السرطان ، السكر ، الكبد الوبائي ؟!

الرد على الشبهة

أولاً : إن المعترضين يجهلون تماماً أن الأطباء يقولون بفوائد الحبة السوداء وبعناصرها المفيدة التي تقوي جسم الإنسان لاسيما الجهاز المناعي (جهاز المناعة) الذي إذا سلم من الأمراض سلم الجسد كله منها. فمرض الإيدز يقتل صاحبه ؛ لأنه مرض يدمر جهاز المناعة الذي يدمر الجسد بأكمله .

ثم إن هذه الشبهة لم تكن نسمع عنها إلا في أيامنا هذه من بعض المعترضين كهذا المعترض ؛ فالحبة السوداء يستعملها ملايين البشر منذ القدم عرب وعجم ، الأطباء والباحثون، ويصفون لنا نتائجها الفاعلة ، وينصحون بها ؛ بل أن هناك أدوية وفيتامينات في الصيدليات مصنوعة من الحبة السوداء يقبل الأطباء على وصفها ، ويقبل الناس على شرائها...

وعليه : فلا مجال للاستهزاء من أحدٍ للطعن في الحديث؛ فهذا الحديث فيه إعجاز تلقاه الناس منذ أن خرج من فم النبي (علماء وعوام) بكل سعة وترحاب.

ثانياً : إن معنى قوله ﷺ : " فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ " . هو أن (الحبة السوداء) تشفي من كل الأمراض التي تقبل الشفاء بها ، فكلمة (كل) لا تفيد مطلق العموم في كل الأحوال ؛ يتضح ذلك من كلام الدكتور محمد بكر إسماعيل أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالأزهر - حفظه الله - حينما سُئل عن هذا السؤال :

ظهرت في هذه الأيام مقولة تفيد أن الحبة السوداء شفاء من كل داء، ونُسبت هذه المقولة إلى رسول الله ﷺ وقيل : إنها في صحيح البخاري. وزعم كثير من الناس أن هذه الحبة السوداء هي حبة البركة، وأنها تحتوي على أدوية كثيرة تفيد في علاج أمراض كثيرة لا تكاد تنحصر، حتى قيل: إنها علاج لكل مرض إلا السام، وهو الموت. وأنا على حد علمي أفهم أن الحبة السوداء . أو حبة البركة كما يقولون . مفيدة في بعض الأمراض دون بعض ، وهذا ما درسناه في بعض كتب الطب القديم ، فعلى أي وجه يحمل هذا الحديث لو كان صحيحاً ؟ وماذا نقول لهؤلاء الذين يروجون لهذا النوع من الحبوب من أجل أن يحصلوا على أرباح طائلة من وراء ذلك ؟

أجاب الدكتور - حفظه الله -

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد

فنقول للسائل إن قول النبي ﷺ : "شفاء من كل داء " ليس معناه كل الأمراض ؛ لأن كل في اللغة لا تفيد مطلق العموم وإنما معنى هذا أنها شفاء لكل الأمراض التي تقبل الشفاء بها ، ويفصل - حفظه الله - قائلنا: روى البخاري في صحيحه عن خالد بن سعد قال: خرجنا ومعنا غالب بن أبجر، فمرض في الطريق، فقدمنا المدينة وهو مريض، فعاده ابن أبي عتيق فقال لنا : عليكم بهذه الحبيبة السوداء، فخذوا منها خمسا أو سبعا، فاسحقوها، ثم اقطروها في أنفه بقطرات زيت في هذا الجانب وهذا الجانب، فإن عائشة - رضي الله عنها - حدثتني أنها سمعت النبي ﷺ يقول: "إن الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام " . قلت: " وما السام ؟" قال : " الموت " .

وفي رواية أخرى للبخاري عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام " والحبة السوداء يسميها بعض العلماء بالكُمون الأسود أو الكُمون الهندي كما ذكر ابن حجر في شرح هذين الحديثين .

وقد رأيت في المعجم الوسيط أنها حبة البركة، وتسمى بالحبة المباركة، وتسمى في

بعض البلاد بالشُونيز، وزيتها يسمى زيت حبة البركة، وهذا ما أقره مجمع اللغة

ولا ينبغي أن يؤخذ قوله ﷺ : "شفاء من كل داء " على عمومته؛ فإنه من قبيل العام

المخصوص، كما يقول علماء الحديث والأصول والطب . والمعنى : هي شفاء من كل

داء يقبل العلاج بها. فهي كما قال ابن حجر: " إنما تنفع في الأمراض الباردة " وهي أمراض يعرفها الأطباء ويشخصونها .

وهي تستخدم وحدها أحياناً، وتستخدم مخلوطة بالعسل وغيره أحياناً. ولها فوائد كثيرة ذكرها داود الإنطاكي في كتاب " التذكرة " ذكرها في "الشونيز" وهو ما يسمى بالحبّة السوداء .

واعلم يا أخي أن العموم لا يبقى على عمومه دائماً ، بل يخصّص في كثير من الأحكام والأخبار بحسب القرائن والأحوال .واعلم أن الأدوية عند العرب كانت محدودة، وقول الرسول ﷺ : "الحبة السوداء شفاء من كل داء" أي : من أكثر الأدوية المعروفة عندهم . ولفظ " كل " لا يفيد العموم المطلق كما يتوهم كثير من الناس، فقد جاء في القرآن الكريم عن الريح التي أرسلها الله على قوم عاد أنها دمّرت كلّ شيء مع أنها لم تدمر إلا الناس، اقرأ قوله ﷺ في سورة الأحقاف : ﴿ تَدْمَرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾ ومعنى هذا أنها لم تدمر المساكن ولكنها دمّرت الأشخاص ، بدليل قوله في آية أخرى من سورة القمر: ﴿ تَنْزَعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعٍ ﴾ . وقوله ﷺ في سورة الحاقة : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ . وجاء عن بلقيس أنها أوتيت من كلّ شيء، أي : أوتيت من كلّ ما تحتاج إليه، قال ﷺ في سورة النمل : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وأنت تقول لصديقك : الحمد لله أنا عندي كل شيء. فهل تعني أن عندك كل موجود في الوجود؟ أم تعني أنك تملك الكثير ممّا تحتاج إليه وتحمد الله عليه راضياً به ؟ أما قوله ﷺ : "إلا السام" فليس من باب الاستثناء المتصل؛ لأن السام ليس داءً، بل هو قطع للأجل وإنهاء الحياة، ولكنه من باب الاستثناء المنقطع، فهو بمعنى (لكن) كأنه قال: لكن الموت ليس له

شفاءً، بياناً لقوله ﷺ : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ . والاستثناء المتصل هو أن يكون ما بعد حرف الاستثناء من جنس المستثنى منه، مثل قولك: نجح التلميذ إلا تلميذاً . والاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه ، مثل قولك : أقبل الناس إلا جملاً . فالجمل ليس من جنس الناس، وعلى

ذلك يكون المعنى: أقبل الناس، لكنّ جملاً لم يُقبل. وقد ظهرَ لنا من هذا البيان أن الحبة السوداء ليست شفاءً لكل داء على وجه العموم، ولكنه من باب العموم المخصوص بقريّة الواقع المُشاهد في عالم الطبّ، والواقع خير دليل على التخصيص، ولفظ (كلّ) لا يُفيد العموم المُطلق كما عرفنا، ولكنه يُفيد الأكثرية، بخلاف لفظ (جميع) فإنه يُفيد العموم المُطلق غالباً إذا لم يرد ما يُخصّصه؛ ولهذا أكّد الله سُجود الملائكة لآدم بلفظ "أجمعون" بعد لفظ "كلّ" فقال: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (ص73) فلو كان لفظ (كلّ) يُفيد العموم المُطلق بنفسه ما كان هناك داعٍ للمؤكّد الآخر والله أعلم . اهـ

رد شبهة : نبيّ يقول : إن في أبوال الإبل وألبانها شفاء !

سمعنا في الآونة الأخيرة استهزاءً من بعضهم حول حديث النبي ﷺ الذي رواه البخاري في صحيحه في كتاب (الطب) باب (الدّواء بأبوال الإبل) برقم 5254 عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا اجْتَمَعُوا فِي الْمَدِينَةِ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَلْحَقُوا بِرَاعِيهِ يَعْنِي الْإِبِلَ فَيَشْرِبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا فَلَحَقُوا بِرَاعِيهِ فَشَرِبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا حَتَّى صَلَحَتْ أَبْدَانُهُمْ فَقَتَلُوا الرَّاعِيَ وَسَاقُوا الْإِبِلَ فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِمْ فَجِئَ بِهِمْ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ. قَالَ قَتَادَةُ: فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ الْحُدُودُ.

قالوا: إن هذا الكلام يخالف الطب الحديث ؛ نحن الآن في القرن الواحد والعشرين..

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذا الحديث ليس فيه أدنى شبهة ؛ بل فيه دلالة واضحة على صدق نبوة النبي ﷺ ، وهو من معجزاته ﷺ ؛ نصح ﷺ الأعراب بشرب ألبان الإبل وأبوالها ، فوجدنا في الحديث أن الأعراب تم شفاؤهم بالفعل بعد تناول هذه الوصفة ، ولم يبدوا اعتراضاً لها ، فالحديث يقول : " حَتَّى صَلَحَتْ أَبْدَانُهُمْ " وفي رواية في صحيح البخاري برقم 226 " فلما صحوا".

وعليه فإن الحديث لا يخدم مصالحهم بحالٍ من الأحوال؛ وإنما هو حجة لنبوة نبيِّنا ﷺ ومن معجزاته ﷺ...

ثانياً : إن هذا الحديث ليس فيه إلزام للمسلمين أن يشربوا من ألبان الإبل و أبوالها ؛ إن كل ما فيه أن النبي ﷺ نصح الأعراب لما مرضوا بشربها ، ولم يأمر كل المسلمين إذا مرضوا بشربها ؛ كذلك ثبت عن النبي ﷺ أنه أباح أكل الضب ولم يأكله، وذلك في صحيح البخاري برقم 4981 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِضَبٍّ مَشْوِيٍّ فَأَهْوَى إِلَيْهِ لِيَأْكُلَ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ ضَبٌّ فَأَمْسَكَ يَدَهُ فَقَالَ خَالِدٌ : أَحْرَامٌ هُوَ قَالَ : " لَا وَلَكِنَّهُ لَا يَكُونُ بَارِضٍ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ " فَأَكَلَ خَالِدٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ .

ثالثاً : إن الطب الحديث ، والأطباء لا ينفون ،ولا ينكرون ما جاء في هذا الحديث بل هو من دلائل عظمته ﷺ ، لا كما يدعي الجهال اليوم .

جاء في كتاب كشف اللئيم حول الإسلام العظيم : بحث علمي حول تجربة علمية أثبتت إمكانية علاج مرض الاستسقاء بالإفراز البولي للإبل

الخرطوم . علي عثمان

دراسة علمية تجريبية غير مسبقة أجرتها كلية المختبرات الطبية بجامعة الجزيرة بالسودان عن استخدامات قبيلة البطانة في شرق السودان (بول الإبل) في علاج بعض الأمراض حيث أنهم يستخدمونه شراباً لعلاج مرض (الاستسقاء) والحميات والجروح.

وقد كشف البروفسور احمد عبد الله محمدانى تفاصيل تلك الدراسة العلمية التطبيقية المذهلة داخل ندوة جامعة الجزيرة حيث ذكر أن الدراسة استمرت خمسة عشر يوما حيث اختير خمسة وعشرون مريضا مصابين بمرض الاستسقاء المعروف وكانت بطونهم منتفخة بشكل كبير قبل بداية التجربة العلاجية. وبدأت التجربة بإعطاء كل مريض يوميا جرعة محسوبة من (بول الإبل) مخلوطا بلبن الإبل حتى يكون مستساغا وبعد 15 يوما من بداية التجربة أصابنا الذهول من النتيجة إذ انخفضت بطونهم وعادت لوضعها الطبيعي وشفى جميع أفراد العينة من الاستسقاء. وتصادف وجود بروفسور إنجليزي أصابه الذهول أيضا وأشاد بالتجربة العلاجية.

وقال البروفسور أحمد : أجرينا قبل الدراسة تشخيصا لكبد المرضى بالموجات الصوتية فاكتشفنا أن كبد خمسة عشر من خمسة وعشرين مريضا يحتوى (شمعا) وبعضهم كان مصابا بتليف في الكبد بسبب مرض البلهارسيا وجميعهم استجابوا للعلاج بـ (بول الإبل) وبعض أفراد العينة استمروا برغبتهم في شرب جرعات بول الإبل يوميا لمدة شهرين آخرين. وبعد نهاية تلك الفترة أثبت التشخيص شفاءهم من تليف الكبد وسط دهشتنا جميعا.

ويقول البروفسور أحمد عبد الله عميد كلية المختبرات الطبية عن تجربة علاجية أخرى وهذه المرة عن طريق لبن الإبل وهى تجربة قامت بها طالبة ماجستير بجامعة الجزيرة لمعرفة أثر لبن الإبل على معدل السكر في الدم فاختارت عددا من المتبرعين المصابين بمرض السكر لإجراء التجربة العلمية واستغرقت الدراسة سنة كاملة حيث قسمت المتبرعين لفئتين : كانت تقدم للفئة الأولى جرعة من لبن الإبل بمعدل نصف لتر يوميا شراب على (الريق) وحجبه عن الفئة الثانية. وجاءت النتيجة مذهلة بكل المقاييس إذ أن نسبة السكر في الدم انخفضت بدرجة ملحوظة وسط الفئة الأولى ممن شربوا لبن الإبل عكس الفئة الثانية. وهكذا عكست التجربة العلمية لطالبة الماجستير مدى تأثير لبن الإبل في تخفيض أو علاج نسبة السكر في الدم. وأوضح د. أحمد المكونات الموجودة في بول الإبل حيث قال انه يحتوى على كمية كبيرة من البوتاسيوم يمكن أن تملأ جرادل ويحتوى أيضا على زلال بالجرامات و مغنسيوم إذ أن الإبل لا تشرب في فصل الصيف سوى أربع مرات فقط ومرة واحدة في الشتاء وهذا يجعلها تحتفظ بالماء في

جسمها فالصوديوم يجعلها لا تدر البول كثيرا لأنه يرجع الماء إلى الجسم . ومعروف أن مرض الاستسقاء إما نقص في الزلال أو في البوتاسيوم وبول الإبل غنى بالاثنين معا.

وهذا رابط البحث باللغة الإنجليزية على الانترنت يخدم هذا الموضوع :
<http://www.answering-christianity.com/urine.htm> . اهـ

قلتُ : ولمزيد من الإيضاح والأبحاث العلمية يمكن للقارئ أن يرجع إلى موقع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .

رابعاً : إن الكتاب المقدس ذكر أن الرب أمر النبي حزقيال أن يصنع خبزاً على الخُرء الذي يخرج من الإنسان ، وذلك في سفر حزقيال إصحاح 4 عدد¹² وتَأْكُلُ كَعَكًا مِنْ الشَّعِيرِ . عَلَى الْخُرءِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْإِنْسَانِ تَخْبِزُهُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ .¹³ وَقَالَ الرَّبُّ : « هَكَذَا يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ خَبْزَهُمُ النَّجَسِ بَيْنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ أَطْرَدَهُمْ إِلَيْهِمْ » . !

أقول للمعترضين : بالهناء والشفاء هذه الفطيرة الشهية المصنوعة على الخُرء الذي يخرب من الإنسان

وذكر الكتاب المقدس شرب الإنسان من بول الإنسان النجس ، وليس بول الإبل الذي فيه شفاء ، وذلك في سفر الملوك الثاني إصحاح 18 عدد²⁷ فَقَالَ لَهُمْ رِيشَاقَى : « هَلْ إِلَى سَيِّدِكَ وَإِلَيْكَ أَرْسَلَنِي سَيِّدِي لِكَيْ أَتَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ؟ أَلَيْسَ إِلَى الرِّجَالِ الْجَالِسِينَ عَلَى السُّورِ لِيَأْكُلُوا عَذْرَتَهُمْ وَيَشْرَبُوا بَوْلَهُمْ مَعَكُمْ؟ » وفي سفر إشعياء إصحاح 36 عدد¹² فَقَالَ رِيشَاقَى : « هَلْ إِلَى سَيِّدِكَ وَإِلَيْكَ أَرْسَلَنِي سَيِّدِي لِكَيْ أَتَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ؟ أَلَيْسَ إِلَى الرِّجَالِ الْجَالِسِينَ عَلَى السُّورِ، لِيَأْكُلُوا عَذْرَتَهُمْ وَيَشْرَبُوا بَوْلَهُمْ مَعَكُمْ؟ » . !

أخيراً : أقول لكل واحد منهم كما قال يسوع المسيح في إنجيل متى إصحاح 7 عدد³ وَلِمَاذَا تَنْتَظِرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلَا تَفْطَنُ لَهَا؟

4 أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لِأَخِيكَ: دَعْنِي أُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ، وَهِيَ الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ؟ 5 يَأْمُرَانِي،
أُخْرِجْ أَوَّلًا الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تَبْصُرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ !

رد شبهة: نبيُّ يقول: (سبع تمرات عجوة شفاء من السحر والسم) !

بعد أن قمنا بالردِّ على شبهة سحر الرسول ﷺ ظهرت لي شبهة جديدة يقول أصحابها: إننا
وجدنا أحاديث تقول : " مَنْ اصْطَبَحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَمٌّ وَلَا سِحْرٌ "
! فلماذا لم يصطبَح نبيُّكم بها كي لا يصيبه سحر؛ كما هو معلوم أنه سحر ؟ !

تعلقوا على ذلك بما جاء في الصحيحين :

1- صحيح البخاري كتاب (الطب) باب (شرب السم والدواء به وبما يخاف منه
والخبث) برقم 5334 عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ يَقُولُ: " مَنْ اصْطَبَحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَمٌّ وَلَا سِحْرٌ " .

14- صحيح مسلم كتاب (الْأَشْرِيَّة) باب (فَضْلُ تَمْرِ الْمَدِينَةِ) برقم 3814

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: سَمِعْتُ سَعْدًا يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمْ وَلَا سِحْرٌ " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن الرد على سؤالهم الذي يقول : لماذا لم يتصبح محمد ﷺ بسبع تمرات عجوة كي لا يصبه سحر كما هو معلوم أنه سحر ﷺ ؟ يكون على وجهين :

الوجه الأول : إما أن النبي ﷺ ترك أكل العجوة نسياناً أو انشغالاً ؛ فنثبت الخبر عن النبي ﷺ ، ولم يثبت أنه كان لا يترك أكل التمر (العجوة) .

الوجه الثاني : إما أنه ﷺ عَلمَ بأمورها بعد حادثة السحر فأمر بها ﷺ ناصحاً لغيره .

ثانياً: إن قيل: هل لو أكل الإنسان في الصباح سبع تمرات عجوة لم يصبه سحر أو سُم كما قال الرسول ﷺ !؟

قلتُ : نعم ، ولكن ليس أي نوع من أنواع التمر ؛ وإنما هو تمر المدينة فقط ؛ وسببه بركة دعاء النبي له ، وليس في التمر ذاته شفاء من السحر والسم

وذلك لما ثبت في صحيح مسلم برقم 3815 عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِنَّ فِي عَجْوَةِ الْعَالِيَةِ شِفَاءً " .

وفي المعجم الصغير للطبراني برقم 31 قَالَ ﷺ : " مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجَوَةً مِنْ تَمَرِ
الْعَالِيَةِ حِينَ يَصْبِحُ لَمْ يَضُرْهُ سَمٌ وَلَا سِحْرٌ حَتَّى يَمْسِيَ " .

قال ابن حجر في الفتح : وَزَادَ أَبُو ضَمْرَةَ فِي رِوَايَتِهِ التَّقْيِيدَ بِالْمَكَانِ أَيْضًا وَلَفْظُهُ " مَنْ
تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجَوَةً مِنْ تَمَرِ الْعَالِيَةِ " وَالْعَالِيَةُ الْقَرْيَةُ الَّتِي فِي الْجِهَةِ الْعَالِيَةِ مِنْ
الْمَدِينَةِ وَهِيَ جِهَةُ نَجْدٍ . اهـ

ونقل ابن حجر في الفتح عن الخطَّابيّ و القُرْطُبِيّ قَائِلًا : قَالَ الْخَطَّابِيُّ : كَوْنُ الْعَجَوَةِ تَنْفَعُ
مِنَ السُّمِّ وَالسِّحْرِ إِنَّمَا هُوَ بِبِرْكَةِ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِتَمَرِ الْمَدِينَةِ لَا لِخَاصِّيَّةٍ فِي التَّمْرِ .
وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : ظَاهِرُ الْأَحَادِيثِ خُصُوصِيَّةُ عَجَوَةِ الْمَدِينَةِ بِدَفْعِ السُّمِّ وَإِبْطَالِ السِّحْرِ ،
وَالْمُطْلَقُ مِنْهَا مَحْمُولٌ عَلَى الْمُقَيَّدِ . اهـ بتصرف .

قُلْتُ : وَمَا يَقْوِي مَا بَيَّنَّاهُ أَنَّ الْإِمَامَ النَّوَوِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَضَعَ الْحَدِيثَ فِي صَحِيحِ
مُسْلِمٍ تَحْتَ بَابِ (فَضْلِ تَمَرِ الْمَدِينَةِ) .

وعليه: فَإِنَّ الظَّاهِرَ لَنَا أَنَّهَا خُصِيَّةٌ لِتَمَرِ الْمَدِينَةِ دُونَ غَيْرِهِ .

ثَالِثًا : إِنْ قِيلَ : لِمَاذَا سَبْعُ تَمَرَاتٍ عَلَى التَّحْدِيدِ ، لِمَاذَا لَمْ تَكُنْ تِسْعَةً مِثْلًا ؟!

قُلْتُ : إِنَّ الْجَوَابَ السَّدِيدَ قَالَهُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : وَعَدَدُ السَّبْعِ مِنَ الْأُمُورِ
الَّتِي عَلِمَهَا الشَّارِعُ وَلَا نَعْلَمُ نَحْنُ حُكْمَتَهَا ، فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا ، وَاعْتِقَادُ فَضْلِهَا وَالْحُكْمَةُ
فِيهَا ، وَهَذَا كَأَعْدَادِ الصَّلَوَاتِ ، وَنُصَبِ الزُّكَاةِ وَغَيْرِهَا ، فَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ
. اهـ

رد شبهه :نبي يقول : لا تترك العانة فوق أربعين يوماً !

سمعت أحدَ المنصّرين يسخر من أحاديث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- بطريقة غير لائقة كما يلي:

1- قال رسولُ الله - صلى الله عليه وآله وسلم- : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك عانته فوق أربعين يوماً".

2- حديث عمر وعن أبي عبد الله -عليه السلام- قال : " السنة في النورة في كل خمسة عشرة يوماً فمن أتت عليه إحدى وعشرين يوماً فليستدين على الله - عزّ وجلّ- وليتتور ، ومن أتت عليه أربعون يوماً ولم يتتور فليس بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة ".
-3-

ثم قال : لماذا خلقها ثم نحلقها هذا خلق الله لا يتغير ...

الرد على الشبهة

أولاً : إن طعن الكافرين وأصحاب عادت الجاهلية لا يقدر فيه - عليه الصلاة والسلام - ؛ لأنهم هم الضالون الذين أرسل إليهم ليعلمهم ، ويحكم على تصرفاتهم بما أراه الله ، لا العكس كما جاء من المعارض....

وعليه يسقط قولهم الذي فيه الهمز ...

وأما عن قوله : إنها من خلق الله ، فلماذا خلقها وأنبت الشعر ، ولماذا نحلقها...؟

الجواب : إن الله خلقها وأمرنا بحلقها نظافة لنا ، فكما خلق شعر الرأس ويحلق ...

ثانياً : إن الحديثين لم يصحاحا عن نبينا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فالأول لا وجود له في كتب الأحاديث والتفاسير ، وكذلك الثاني لا وجود له فإنه من تأليف الشيعة... وعلى هذا تسقط الشبهة.

ثالثاً : إن الأحاديث الصحيحة التي وردت في هذا الباب تختلف عن هذين الحديثين اللذين لا يصحاحا ألبته ؛ من هذه الأحاديث كما يلي :

1- صحيح البخاري برقم 1436 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: " خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرِ تَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَنَتْفُ الْإِبْطِ وَحَلْقُ الْعَانَةِ وَالْأَخْتَتَانِ " .

-2

3- صحيح مسلم برقم 379 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ أَنَسٌ : " وَقْتُ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ وَنَتْفِ الْإِبْطِ وَحَلْقِ الْعَانَةِ أَنْ لَا نَتْرَكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً " .

-4

3- صحيح مسلم برقم 384 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرِ قَصُّ الشَّارِبِ وَإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ وَالسَّوَاكُ وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ وَقَصُّ الْأَظْفَارِ وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ وَنَتْفُ الْإِبْطِ وَحَلْقُ الْعَانَةِ وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ " قَالَ زَكَرِيَاءُ : قَالَ مُصْعَبٌ : وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمُضْمَضَةُ " . زَادَ قُتَيْبَةُ قَالَ وَكَيْفَ انْتِقَاصُ الْمَاءِ يَعْنِي الِاسْتِنْجَاءَ وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ شَيْبَةَ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ أَبُوهُ وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ .

إذا من خلال ما سبق تبين لنا : أن هذه الأحاديث تدفع المسلم إلى الطهارة الحسية (البدنية) والنظافة ... ثم إن هذه الخصال من سنن الفترة التي كان عليها كل الأنبياء...

فمن يعترض على ذلك فهو إنسان قذر لا يحب النظافة والطهارة ؛لأن منطقة العانة وتحت الإبط حينما يكثر فيهما الشعر والعرق تنتج عنها رائحة كريهة جداً...

كما ثبت علمياً أن خلق العانة بالموس يجدد الدورة الدموية في هذه المنطقة(العانة) مما يساعد الإنسان على الجماع بنشوة فهو يزيد من قوة الانتصاب للرجل والاستمتاع ... والعكس صحيح

أما بالنسبة للمدة- أربعين يوماً- فإنه يجوز حلقتها قبل ذلك وهو أحوط ،ويكره بعد هذه المدة ؛ لأنه إذا زاد الزمان على هذا المقدار كثرت الأوساخ وكل ما قبيح من رائحة

قال صاحب عون المعبود : (وَحَلَقَ الْعَانَةَ):

قَالَ النَّوَوِيُّ : الْمُرَادُ بِالْعَانَةِ الشَّعْرُ الَّذِي فَوْقَ ذَكَرِ الرَّجُلِ وَحَوَالِيهِ وَكَذَا الشَّعْرُ الَّذِي حَوْلِي فَرجِ الْمَرْأَةِ ، وَنُقِلَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ سُرَيْجٍ : أَنَّهُ الشَّعْرُ النَّابِتُ حَوْلَ حَلَقَةِ الدُّبُرِ ، فَتَحَصَّلَ عَنْ مَجْمُوعِ هَذَا اسْتِحْبَابُ حَلْقِ جَمِيعِ مَا عَلَى الْقُبُلِ وَالدُّبُرِ وَحَوْلَهُمَا ، لَكِنْ قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : الْعَانَةُ : الشَّعْرُ النَّابِتُ عَلَى الْفَرْجِ ، وَقِيلَ : هُوَ مَنْبَتُ الشَّعْرِ ، فَكَانَ الَّذِي ذَهَبَ إِلَى اسْتِحْبَابِ حَلْقِ مَا حَوْلَ الدُّبُرِ ذَكَرَهُ بِطَرِيقِ الْقِيَاسِ . اهـ

رابعاً : إنني اسأل المعترض سؤالاً وأرجو الإجابة عليه هو:

أليس يسوع المسيح - الإله بحسب اعتقاده- لهوت وناسوت ؟

الجواب : بلى ، كان لهوتاً وناسوتاً.

يبقى السؤال : هل كان الربُّ يسوعُ يخلقُ عانته وتحت أبطه؛ لأنه إنسان أم كان يترك عانته ... وتترك رائحةً كريهةً...؟

وإما دليل إنسانية اكتفي بنص واحد هو في إنجيل يوحنا إصحاح 8 عدد 40 وَلَكُنْكُمْ الْآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُم بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ. هَذَا لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمُ.
لا تعليق!

رد شبهة : فيسبق عليه الكتاب !

قالوا لأحد الموحدين : لا داعي أن تعبد الله حق العبادَة ؛ لأنه قد يسبق عليك الكتاب فتكون من أهل النار.... استشهدوا على ذلك بما جاء في الصحيحين ، واللفظ لمسلم كتاب (القدر) باب (كَيْفِيَّةُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةُ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ) برقم 4781 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلَاقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا " .

الرد على الشبهة

أولا : إن المسلمين يعتقدون أن الله ليس بظلامٍ للعبيد ؛تدلل على ذلك أدلة منها:

1- قوله ﷻ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت46).

2- قوله ﷻ : ﴿ مَا يُبْدِلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (ق29) .

3- قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء 40).

4- قوله ﷺ : ﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (هود 115).

5- قوله ﷺ : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (غافر 40).

6- قوله ﷺ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل 97).

وعليه: فإن قولهم للأخ الموحّد لا داعي أن تعبد الله حق العبادة ؛ لأنه قد يسبق عليك الكتاب فتكون من أهل النار ... قول كاذب مردودٌ عليهم بالأدلة السابقة وغيرها.

ثانيًا: إن الحديث الذي استشهدوا به على شبهتهم لا يخدم مصالحهم بحالٍ من الأحوال للآتي:

قوله ﷺ : " فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا "

قلتُ : إن هذه رواية مطلقة قيدت برواية أخرى في صحيح مسلم كتاب (القدر) باب (كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) برقم 4792 عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " .

نلاحظ قولَه ﷺ : " فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ " .

وعليه: فالحديث يحمل على المنافق والمرائي الذي يعمل العمل ليس لله ﷻ ، والناس يظنون به الخير وأنه من أهل الصلاح و البر ولكنه يرائي بعمله الناس ...
ومما يدل على ما سبق هو ما ثبت عند الترمذي في سننه برقم 2067 قال ﷺ : " سَدُّوا وَقَارِبُوا فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ وَإِنْ صَاحِبِ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ " .

ونلاحظ أيضًا أن الإمام النووي - رحمه الله - ذكر الحديث الأول الذي استشهد به المعتضون على شبهتهم في كتاب (القدر) باب (كَيْفِيَّةُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةُ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ) ، وذكر الحديث الثاني الذي قيد الحديث الأول في نفس الكتاب والباب ، وكأنه - رحمه الله - يريد أن يقول : إن الرواية الثانية قيدت أو خصصت الرواية الأولى بلفظ " فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ " .

وعليه فلا شبهة - بفضل الله ﷻ - .

ثالثًا : إن الإمام النووي - رحمه الله - ذكر في شرحه معنى آخر للحديث قائلًا : وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَصْرِيحٌ بِإِثْبَاتِ الْقَدَرِ ، وَأَنَّ التَّوْبَةَ تَهْدِمُ الذُّنُوبَ قَبْلَهَا ، وَأَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ حُكِمَ لَهُ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَ الْمَعَاصِي غَيْرَ الْكُفَرِ فِي الْمَشِيئَةِ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

قلتُ : إن هذا تأويلٌ جيد من الإمام النووي - رحمه الله - ؛ حيث إن النصراني أو اليهودي لو أسلم إلى الله ﷻ قبل موته لكان هذا من رحمة الله به؛ حيث كان في قلب هذا الشخص صدق مع الله ﷻ في حياته ، وكان باحثًا عن الحق فختم له بالخير ؛ يقول ﷻ

لنبيّه ﷺ : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُوءُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال 38) .

وعليه: فإن هذا يدل على رحمة الله ﷻ بعباده...

وقد قال النبي ﷺ لعمر بن العاص ﷺ : " الإسلام يجب ما كان قبله " . صحيح الجامع الصغير برقم 4543.

رابعا : إن الرب في الكتاب المقدس قد أرسل بلعام الذي كان نبيا ثم سبق عليه الكتاب فكان شقيا... وكذلك سليمان الذي كفر في آخر حياته ، وكذلك شاول الملك....

رد شبهة : قصة القردة الزانية !

قالوا : إن رسول الإسلام حكي قصة لأصحابه مليئة بالخرافات تقول: إن القرد رجما قردة زانية ...!

القصة في صحيح البخاري كتاب (المناقب) باب (القسامة في الجاهلية) برقم 3560 حَدَّثَنَا نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ : " رَأَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قِرْدَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهَا قِرْدَةٌ قَدْ زَنَتْ فَرَجَمُوهَا فَرَجَمَتْهَا مَعَهُمْ " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذا الأثر ليس من كلام النبي ﷺ كما هو واضح من الرواية ؛ الذي روى هذا الخبر عمرو بن ميمون ، وهو من كبار التابعين ، وليس صحابياً ، وإنما هو ممن أدرك

الجاهلية ، وأسلم في عهد النبي ﷺ ولكنه لم يره ، ولم يرو عنه ، ويطلق على أمثاله في كتب التراجم والرجال : " مخضرم " ؛ جاء ذلك في عدة مراجع منها:

1- ترجم له الحافظ في " التقريب " فقال: " مخضرم مشهور " سير أعلام النبلاء (158/4) - والإصابة (118/3).

2- قال ابن لجوزي - رحمه الله - : " وقد أوهم أبو مسعود بترجمة عمرو بن ميمون أنه من الصحابة الذين انفرد بالإخراج عنهم البخاري ، وليس كذلك فإنه ليس من الصحابة ، ولا له في الصحيح مسند " . كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن لجوزي (175/4) .

3- قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسير سورة البقرة الآية 65 عمرو بن ميمون يعد من كبار التابعين من الكوفيين . اهـ

وبالتالي هذا وإن دل يدل علي عمي البصر والبصيرة أو التدليس؛ فالقصة ليست من كلام النبي ﷺ، ولا من كلام أحد من أصحابه ﷺ ، ولو رواها واحد من أصحابه ﷺ فإننا ننظر إلى الإسناد أولاً ؛ لأن الصحابة عندنا عدول ... وعلى كل الأثر ليس من كلام النبي ﷺ كما قالوا ...

ثانياً : إن هذه القصة ليست صحيحة ذكر تحقيقها الدكتور هشام عزمي على منتدى التوحيد كما يلي :

1- هذا الأثر ليس على شرط الإمام البخاري، فصحيح البخاري سماه: " الجامع المختصر المسند الصحيح من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه " فالخبر ليس مسنداً للرسول فهو ليس على شرط البخاري - رحمه الله - .

فالأحاديثُ الموقوفةُ، وهي الأحاديثُ التي تروى عن الصحابةِ، ولا يتمُّ رفعُها للنبيِّ ﷺ ،
والتي يسميها بعضُ أهلِ العلمِ " الآثار " هي ليست كذلك على شرطِ البخاري - رحمه
الله - .

وكذلك الأحاديثُ المعلقةُ ، وهي الأحاديثُ التي يوردها البخاري ، ويحذفُ أولَ أسانيدِها ،
أو يوردُ قولاً بدون سندٍ كأن يقول : " قال أنسٌ " ، أو يوردهُ بصيغةِ التمریضِ كأن يقول
: " يروى عن أنسٍ " ، وهذه المعلقةُ سواءً رواها بصيغةِ الجزمِ ، أو بصيغةِ التمریضِ ،
فليست هي على شرطِ الإمامِ البخاري ، وقد بلغت معلقةُ البخاري في الصحيح ألفاً
وثلاثمائة وواحداً وأربعين .

2- البخاري - رحمه الله - لما ذكر هذا الأثر الذي ليس على شرطه ، إنما أراد الإشارةَ
إلى فائدةٍ والتأكيدِ على أن عمرو بن ميمونٍ قد أدرك الجاهليةَ ، ولم يبالِ البخاري بظنِ
عمرو الذي ظنه في الجاهليةَ ، بأن القردة قد زنت فرجموها بسببِ الرجم .

3- الخبرُ استنكرهُ الإمامُ ابنُ عبد البر - رحمه الله - قال الحافظُ ابنُ حجر - رحمه
الله - : " وَقَدْ اسْتَنَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ قِصَّةَ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ هَذِهِ وَقَالَ : " فِيهَا إِضَافَةٌ
الرَّزَا إِلَى غَيْرِ مُكَافٍ ، وَإِقَامَةُ الْحَدِّ عَلَى الْبُهَائِمِ وَهَذَا مُنْكَرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ " . [فتح
الباري لابن حجر 197/7 (الطبعة السلفية) .

4- استنكر الخبرَ الإمامُ الألباني رحمه الله فقال: " هذا أثرٌ منكرٌ، إذ كيف يمكنُ لإنسانٍ
أن يعلمَ أن القردة تتزوجُ ، وأن من خلَقهم المحافظةُ على العرضِ ، فمن خان قتلوه ؟ ! ثم
هبَّ أن ذلك أمرٌ واقعٌ بينها، فمن أين علم عمرو بن ميمون أن رجمَ القردة إنما كان
لأنها زنت " . (مختصر صحيح البخاري للألباني (535/2).

قال الشيخُ الألباني - رحمه الله - : " وأنا أظنُّ أن الآفةَ من شيخِ المصنّفِ نعيم بن
حماد ، فإنه ضعيفٌ متهمٌ ، أو من عنعنَةِ هُشيم ، فإنه كان مدلساً " . مختصر صحيح
البخاري للألباني (535/2) .

4- وممن ذهب إلى تضعيفِ الأثرِ محققُ " سير أعلام النبلاء " (159/4) فقد قال في
الحاشيةِ : " ونعيم بن حمادٍ كثيرُ الخطأ ، وهُشيمٌ مدلسٌ وقد عنعن . "

6- فالخبرُ ضعيفٌ في سندهِ نعيمُ بنُ حمادٍ ، من رجالِ معلقاتِ البخاري لا من أسانيدِهِ ، روى عنه البخاري مقروناً بغيره في الأحاديثِ أرقام (393-4339-7139) ، ولم يقرنه بغيره إلا في هذا الحديثِ المقطوعِ الذي ليس على شرطهِ رحمه الله حديث رقم (3849)

ونعيمُ بنُ حمادٍ قال عنه الحافظُ في " التقريب " : " صدوقٌ يخطئ كثيراً " ، وقال النسائي " : ضعيفٌ " ، وذكره ابنُ حبانٍ في " الثقات " وقال : " ربما أخطأ ووهم " . (تهذيب الكمال (476/29).

5- وكذلك الخبرُ ضعيفٌ؛ لأن في سندهِ هُشيمَ بنَ بشيرٍ الواسطي ، وهو كثيرُ التدليس ، وجعله الحافظُ في المرتبةِ الثالثةِ في طبقاتهِ ، وهم ممن لا يُحتجُ بحديثهم إلا بما صرحوا به السماع ، قلتُ : ولم يصرح بالسماعِ في هذا الخبرِ .

8- مال الشيخُ الألباني إلى تقويةِ هذا الأثرِ مختصراً دون وجودِ النكارةِ أن القردةَ قد زنت وأنها رُجمت بسببِ الزنا فقال - رحمه الله - : " لكن ذكر ابنُ عبدِ البر في " الاستيعاب (1205/3) أنه رواه عبادُ بنُ العوام أيضاً ، عن حصين ، كما رواه هشيم مختصراً . قلتُ : القائلُ الألباني وعبادُ هذا ثقةٌ من رجالِ الشيخين ، وتابعه عيسى بنُ حطان ، عن عمرو بنِ ميمون به مطولاً ، أخرجهُ الإسماعيلي ، وعيسى هذا وثقه العجلي وابنُ حبان ، وروايته مفصلةٌ تبعدُ النكارةَ الظاهرةَ من روايةِ نعيمِ المختصرة ، وقد مال الحافظُ إلى تقويتها خلافاً لابنِ عبدِ البر ، والله أعلم " . (مختصر صحيح البخاري للألباني (536-535/2) . اهـ بتصرف

ثالثاً: إنني افترض صحةَ هذا الخبرِ؛ فعلى فرضِ صحته يبين لي مدى جهلهم من أوجه عدة منها:

الأول : أن هذا الأثر ليس من كلام النبي ﷺ ؛ بل هو خبر عن رجل تابعي ، وليس من أصحاب النبي ﷺ رأى بعينه ما رأى فحكاه ، وكان ذلك في الجاهلية (قبل الإسلام) بحسب الرواية التي تقول : **قال عمرو بن ميمون : " رأيت في الجاهلية " فهذا الخبر ليس له علاقة بالإسلام ، ولا برسول الله ﷺ .**

وبالتالي: فلا مجال للطعن به على النبي ﷺ والمسلمين....

الثاني: أن بعض الحيوانات قد تعرف الحلال من الحرام ، **فأنت مثلاً :** إذا قدمت لقطة قصعة فيها لبن سوف تشربها أمامك بكل طمأنينة ؛ لكن إذا جاءت القطة لتشرب اللبن دون علمك فجئت فجأة ووجدتها تشربه سوف تفر القطة هاربة ؛ لأنها تعلم أنها سرقتك فهذا مشاهد ، وعليه فالحيوان قد يعلم الحلال من الحرام فليس هناك ما يمنع من تصديق هذه القصة فلا مجال للقول بأنها خرافة ، إذ لو جاءت في الكتاب المقدس ما قالوا مثلما قالوا...هذا بفرض صحتها !

الثالث: أن هذا الأثر فيه أمر هام هو أن القرد أفضل من الخنزير؛ القرد يغار على عرضه بحسب ما جاء في الرواية ، أما الخنزير فهو رمز للديانة يجمع أنثاه أمام الكل ، وإذا جامع خنزير آخر زوجته أمامه لا يغار على عرضه،وقد رأيت ذلك بنفسي وأنا صغير في الابتدائية في حديقة الحيوان، و المنصرون يأكلون لحمه الذي حرمه الله ﷻ في شريعة موسى وصدقها المسيح عليه السلام ، وفي شريعتنا كذلك ؛ حتى أصبحوا مثله ينكرون المعروف ويأمرون بالمنكر ،فهو أحقر الحيوانات على الإطلاق وأنجسها؛ يأكلون من لحمه ويعترضون على أثر بين العفة عند بعض الحيوانات !

دليلُ تحريمه في الآتي :

1- قول الربِّ لموسى في سفر الأَويين الإصحاح 11 عدد⁷ وَالْخَنْزِيرُ ، لِأَنَّهُ يَشْقُ ظُلْفًا وَيَقْسِمُهُ ظُلْفَيْنِ ، لَكِنَّهُ لَا يَجْتَرُ ، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ .⁸ مِنْ لَحْمِهَا لَا تَأْكُلُوا وَجِثَّتْهَا لَا تَلْمَسُوا . إِنَّهَا نَجِسَةٌ لَكُمْ .

2- قول الربِّ لموسى في سفر التثنية الإصحاح 14 عدد⁸ وَالْخَنْزِيرُ لِأَنَّهُ يَشْقُ الظُّلْفَ لَكِنَّهُ لَا يَجْتَرُ فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ . فَمِنْ لَحْمِهَا لَا تَأْكُلُوا وَجِثَّتْهَا لَا تَلْمَسُوا .

إن قيل: إن القرد المذكورة في الأثر هم أحفاد اليهود الذين مسخوا ؟

قلتُ: إن هذا باطل؛ لأن الممسوخ لا نسل له ؛ ثبت ذلك عن نبينا ﷺ في صحيح مسلم برقم 4815 أنه ﷺ قال : "إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يَهْلِكْ قَوْمًا أَوْ يُعَذِّبْ قَوْمًا فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلًا " .

تنبيه هام : نسمع من بعض الأخوان لنا يقولون على بعض اليهود والنصارى أنهم أحفاد القردة والخنازير ؛ هذه مقولة باطلة ؛ لم يقلها النبي ﷺ ولا واحد من أصحابه ، والصحيح أن يقال : أخوان القردة والخنازير ، والترفع عن القول أولى ...

يدل على ذلك دليان:

الأول: في مسند أحمد برقم 13042 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ الْيَهُودَ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "السَّامُ عَلَيْكُمْ " . فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ عَلَيْكُمْ يَا إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ مَهْ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا

سَمِعْتُ مَا قَالُوا قَالَ : أَوْ مَا سَمِعْتُ مَا رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ يَا عَائِشَةُ لَمْ يَدْخُلِ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَمْ يُنْزَعْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ . قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي الْإِرْوَاءِ (ج 5 / 118) : أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (3 / 241) : حَدَّثَنَا مُؤَمِّلٌ حَدَّثَنَا حَمَادٌ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ بِهِ . قُلْتُ : وَهَذَا إِسْنَادُ رَجَالِهِ ثِقَاتٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ غَيْرِ مُؤَمِّلٍ وَهُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبَصْرِيُّ : صَدُوقٌ سَيِّئُ الْحِفْظِ .

الثاني : فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ بِرَقْمِ 4815 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ : اَللّٰهُمَّ مَتَّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : " إِنَّكَ سَأَلْتَ اللّٰهَ لِأَجَالِ مَضْرُوبَةٍ وَأَثَارِ مَوْطُوعَةٍ وَأَرْزَاقِ مَقْسُومَةٍ لَا يُعَجَّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حُلِّهِ وَلَا يُؤَخَّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حُلِّهِ وَلَوْ سَأَلْتَ اللّٰهَ أَنْ يُعَافِيكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ " . قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ : " يَا رَسُولَ اللّٰهِ الْقِرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ هِيَ مِمَّا مَسِيخٌ ؟ " فَقَالَ ﷺ : " إِنَّ اللّٰهَ ﷻ لَمْ يَهْلِكْ قَوْمًا أَوْ يُعَذِّبْ قَوْمًا فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلًا وَإِنَّ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ " .

نلاحظ من الرواية قوله ﷺ : " إِنَّ اللّٰهَ ﷻ لَمْ يَهْلِكْ قَوْمًا أَوْ يُعَذِّبْ قَوْمًا فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلًا " .

فكيف لبعض المسلمين أن يقولوا عن غيرهم: إنهم أحفاد القردة والخنازير؟!

رابعاً: إن الأمر المثير للدهشة هو أنهم يعترضون على شيء لا علاقة له بالإسلام ،ولا يعترضون على ما جاء في كتابهم المقدس الذي يذكر أن حماراً تكلم ليرد حماقة النبي ...!

جاء ذلك في موضعين:

الأول: سفر العدد اصحاح 22 عدد 27²⁷ فَلَمَّا أَبْصَرَتِ الْأَتَانُ مَلَاكَ الرَّبِّ، رِيضَتْ تَحْتَ بَلْعَامَ. فَحَمِيَ غَضَبُ بَلْعَامَ وَضَرَبَ الْأَتَانَ بِالْقَضِيبِ. ²⁸فَفَتَحَ الرَّبُّ فَمِ الْأَتَانِ، فَقَالَتْ لِبَلْعَامَ: «مَاذَا صَنَعْتَ بِكَ حَتَّى ضَرَبْتَنِي الْآنَ ثَلَاثَ دَفْعَاتٍ؟». ²⁹فَقَالَ بَلْعَامُ لِلأَتَانِ: «لَأَنَّكَ أَزْدَرَيْتَ بِي. لَوْ كَانَ فِي يَدِي سَيْفٌ لَكُنْتُ الْآنَ قَدْ قَتَلْتُكَ». ³⁰فَقَالَتْ الْأَتَانُ لِبَلْعَامَ: «أَلَسْتُ أَنَا أَتَانُكَ الَّتِي رَكِبْتَ عَلَيْهَا مِنْذُ وُجُودِكَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ؟ هَلْ تَعَوَّدْتُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ هَكَذَا؟» فَقَالَ: «لَا».

• الأَتَانُ: أنثى الحمار

الثاني: رسالة بطرس الثانية إصحاح 2 عدد 15¹⁵ قَدْ تَرَكُوا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، فَضَلُّوا، تَابِعِينَ طَرِيقَ بَلْعَامَ بْنِ بَصُورَ الَّذِي أَحَبَّ أَجْرَةَ الْإِثْمِ. ¹⁶وَلَكِنَّهُ حَصَلَ عَلَى تَوْبِيخٍ تَعْدِيهِ، إِذْ مَنَعَ حِمَاةَ النَّبِيِّ حِمَارٌ أَعْجَمُ نَاطِقًا بِصَوْتِ إِنْسَانٍ. لا تعليق !

رد شبهة : رسول الإسلام أخبر أن الأنبياء كانوا رعاة للغنم !

قال أحدهم: هل صدق رسول الإسلام لما قال: إن الأنبياء كانوا رعاة غنم.... فهل صحيح أن كل الأنبياء كانوا يرعون الغنم، وما هو المستند على ذلك...؟

تعلق على ذلك بما جاء في صحيح البخاري كتاب (الإِجَارَةِ) بَاب (رَعَى الْغَنَمِ عَلَى قَرَارِيطٍ) برقم 2102 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ ". فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: " نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ ".

الرد على الشبهة

أولاً : إن اعتراض المعارض هو نتاج جهل عريض... لأنه يجهل كتابه المقدس الذي ذكر أن الأنبياء كانوا يرعون الغنم فهذا هو المستند على ذلك - كما سيتقدم معنا إن شاء الله- .

أما نحن -المسلمين- نصدق كلام النبي ﷺ لأن كلامه وحي من الله....

ثانياً : إن المستند الذي يرضي المعارض هو كتابه المقدس الذي يجهله....

وذلك من وجهين :

الوجه الأول: أن الكتاب المقدس لم يذكر كل حياة كل الأنبياء بتفصيل دقيق، حتى يسوع المسيح نفسه...

الوجه الثاني: ثبت لمعظم الأنبياء في الكتاب المقدس أنهم كانوا يرعون الغنم...

منهم ما يلي :

1- سفر التكوين إصحاح 28 عدد 21 وأقام إبراهيم سبع نعاج من الغنم وحدها.

سفر التكوين إصحاح 14 عدد 26 فكان له مواش من الغنم ومواش من البقر وعبيد -2- كثيرون فحسده الفلسطينيون .

- سفر الخروج إصحاح 3 عدد 1 وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان . 3 فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب..

3- سفر صموئيل الأول إصحاح 16 عدد 11 وقال صموئيل ليسى هل كملوا الغلمان. فقال بقي بعد الصغير وهوذا يرعى الغنم. فقال صموئيل ليسى أرسل وائت به.

6- سفر أخبار الأيام الأولى إصحاح 7 عدد 17 والآن فهكذا تقول لعبدي داود. هكذا قال رب الجنود أنا أخذتك من المريض من وراء الغنم لتكون رئيسا على شعبي إسرائيل.

6- سفر أيوب إصحاح 12 عدد 42 وبارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاه وكان له أربعة عشر ألفا من الغنم وستة آلاف من الإبل وألف فدان من البقر وألف أتان.

إذا من خلال ما سبق من نصوص تبين لنا : أن إبراهيم ، ويعقوب ، وموسى ، ويهوذا - جد الرب يسوع - وداود ، وأيوب... كانوا جميعا يرعون الغنم من كتاب المعترض نفسه

رد شبهة : نبي أخبر أن موسى فقاً عين ملك الموت !

قالوا: وجدنا في بعض الأحاديث أن موسى عليه السلام لطم ملك الموت على عينه فقأها ؛ لأنه لا يريد الموت..... !

اعتمدوا في شبهتهم على ما جاء في صحيح مسلم كتاب (الفضائل) باب (من فضائل موسى عليه السلام) برقم 4374 عن أبي هريرة قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال : أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. قال : فرد الله إليه عينه ، وقال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال : أي رب ثم مه قال : ثم الموت. قال: فالآن فسأل الله أن يدينه من

الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " فَلَوْ كُنْتُ نَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ ".

الرد على الشبهة

أولاً : إن نسب هذه الشبهة نسباً يكون من خلال طرح أسئلة ، ثم أقوم بالإجابة عليها - إن شاء الله ﷻ - :

السؤال الأول : هل ملك الموت كان يظهر للناس علانيةً حتى يفتأ موسى عليه السلام عينه ؟
الجواب : نعم ، كان يظهر علانيةً ، يدل على ذلك ما قاله ابن حجر في الفتح في قوله :
(أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَلَمَّا جَاءَهُ صَغُهُ) أَي : ضَرْبُهُ عَلَى عَيْنِهِ ، وَفِي رِوَايَةٍ هَمَامٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَمُسْلِمٍ " جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَقَالَ : أَجِبْ رَبِّكَ ، فَلَطَمَ مُوسَى عليه السلام عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَقَفَّاهَا " وَفِي رِوَايَةٍ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالطَّبْرِيِّ " كَانَ مَلَكُ الْمَوْتِ يَأْتِي النَّاسَ عَيْنَانَا ، فَاتَى مُوسَى عليه السلام فَلَطَمَهُ فَقَفَّاهَا عَيْنَهُ " . اهـ

قلتُ : وبالنظر إلى القرآن الكريم ، وسفر التكوين نجد أن الملائكة أتت إبراهيم ، ولوطاً - عليهما السلام - في صورة بشر ، كما أن جبريل أتى النبي ﷺ في صورة بشر ، وذلك في حديث جبريل المشهور وغيره ، و كان يأتيه في صورة الصحابي دحية الكلبي عليه السلام ، ومن المعلوم والمقطوع به أن ملك الموت من الملائكة ؛ لقوله ﷻ : ﴿ قُلْ يَتَوَقَّأَكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11) ﴾ (السجدة).

فلا مانع من أنه قد ظهر علانية لموسى عليه السلام أو لغيره ، كما تذكر الروايات والآثار عن استأذن ملك الموت النبي قبل أخذ روحه والحديث معهم مثل سليمان ويعقوب....

السؤال الثاني : لماذا فقاً موسى عليه السلام عين ملك الموت ؟ وهل ملك الموت أعور الآن؟
الجواب: فقاً موسى عليه السلام عين ملك الموت ؛ لأنه رأى آدمياً دخل داره بغير إذنه ، ولم يعلم أنه ملك الموت ففقاً عينه ، وهذا ثابت في شرعنا أيضاً لدليلين:

الأول : صحيح البخاري برقم 6393 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " لَوْ أَنَّ امْرَأً اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَخَذَفْتَهُ بِعَصَاٍ فَفَقَاتَ عَيْنَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُنَاحٌ " .
المراد بالجناح هنا : الحرج.

الثاني : صحيح مسلم برقم 4016 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " مَنْ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَنُوا عَيْنَهُ " .
قال النووي - رحمه الله - في شرحه: قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا نَظَرَ فِي بَيْتِ الرَّجُلِ فَرَمَاهُ بِعَصَاٍ فَفَقَاتَ عَيْنَهُ . وَهَلْ يَجُوزُ رَمِيهِ قَبْلَ إِنْذَارِهِ؟ فِيهِ وَجْهَانِ لِأَصْحَابِنَا : أَصَحُّهُمَا جَوَازُهُ لِظَاهِرِ هَذَا الْحَدِيثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

أما عن الشق الثاني من السؤال الذي يقول : هل ملك الموت أعور الآن ؟
الجواب: لا ، فقد جاء في الحديث : " فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ " .

يبقى السؤال: لماذا رد الله عليه عينه ؟

الجواب : رَدَّ اللَّهُ ﷻ عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ لِيَعْلَمَ مُوسَى أَنَّهُ جَاءَهُ مِنْ عِنْدِهِ ﷻ فَلِهَذَا اسْتَسَلَّمَ حِينَئِذٍ ، ولأسباب أخرى يعلمها الله ﷻ .

السؤال الثالث : هل موسى عليه السلام لم يكن يريد الموت لذا فقاً عين ملك الموت ؟

الجواب: لا ؛ لأن موسى عليه السلام لم يكن يعرف أنه ملك الموت ، وأن الله رد عين ملك الموت ليعلم موسى عليه السلام أنه جاءه من عند الله ، ولهذا نجد في الحديث لما قال الله تعالى للملك : " ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة " . قال : " أي رب ثم مه ؟ " قال : " ثم الموت " . قال : " فالآن " .

نلاحظ : قول موسى عليه السلام : " فالآن " .

السؤال الرابع : هل تعمد موسى عليه السلام فقاً عين ملك الموت ؟

الجواب : لا ؛ قال النووي - رحمه الله - : أن موسى عليه السلام لم يعلم أنه ملك من عند الله ، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه ، فدافعه عنها ، فأدّت المدافعة إلى فقء عينه ، لا أنه قصدها بالفقء ، وتويده رواية (صكه) ، وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين ، واختاره المازري والقاضي عياض ، قالوا : وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه ، فإن قيل : فقد اعترف موسى عليه السلام حين جاءه ثانياً بأنه ملك الموت ، فالجواب أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت ، فاستسلم بخلاف المرة الأولى . والله أعلم . اهـ

السؤال الخامس: هل أقر موسى عليه السلام بأنه ارتكب معصية ، أو خطيئة كما كان من قتل

المصري ؟

الجواب : لا ؛ لأنه لم يفعل ذنباً أصلاً ؛ يدل على ذلك حديث الشفاعة الثابت عند البخاري في صحيحه ففيه نجد الناس يأتون موسى عليه السلام يطلبون الشفاعة فيصرفهم عنه ، ويذكرهم بخطيئة واحدة فقط اقترفها ؛ هي قتل المصري ، ولم يذكر غيرها ؛ الحديث

يقول : " فَيَأْتُونَ مُوسَى ، فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ : " إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أَوْمَرْ بِقَتْلِهَا ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ... " .

وعليه : لو كان فعله ﷺ مع الملك فيه خطيئة ، أو معصية ؛ لذكرها الحديث ؛ بل إن الله ﷻ أثنى عليه ﷺ في كتابه المجيد لمحمد ﷺ قائلًا له : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (51) (مريم) .

ثانيًا: إن المعترضين يتعجبون من أن موسى ﷺ رد ملك الموت ؛ لأنه لم يكن يعرفه .

ولا يتعجبون مما جاء في الكتاب المقدس الذي ينسب لموسى ﷺ انه رد الله ﷻ قائلًا له : " اِرْجِعْ عَنْ حُمُومِ غَضَبِكَ ، وَانْدِمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ " ! .

جاء ذلك في سفر حزقيال إصحاح 32 عدد 11¹¹ فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِهِ ، وَقَالَ : «لَمَآذَا يَا رَبُّ يَحْمِي غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَبِيدٍ شَدِيدَةٍ؟¹² لَمَآذَا يَتَكَلَّمُ الْمِصْرِيُّونَ قَائِلِينَ : أَخْرَجَهُمْ بِخُبْتٍ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَالِ ، وَيَفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ؟ اِرْجِعْ عَنْ حُمُومِ غَضَبِكَ ، وَانْدِمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ . !

ثم يتعجبون من أن موسى ﷺ فقاً عين ملك الموت ؛ لأنه لم يكن يعلم أنه ملك الموت ، ولا يتعجبون من أن نبي الله يعقوب صارع رب العالمين فغلبه مع العلم أن يعقوب ﷺ يعلم تمام العلم أنه يصارع الله بزعم النص ، وذلك في سفر التكوين إصحاح 32 عدد 24²⁴ فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ .²⁵ وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، ضَرَبَ حُقَّ فَخَذَهُ ، فَانْخَلَعَ حُقٌّ فَخَذَ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ .²⁶ وَقَالَ : «أَطْلَقْنِي ، لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ» . فَقَالَ : «لَا أَطْلُقُكَ إِنْ لَمْ تَبَارِكْنِي» .²⁷ فَقَالَ لَهُ : «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ : «يَعْقُوبُ» .²⁸ فَقَالَ : «لَا يَدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدَ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ ، لِأَنَّكَ

جَاهَدْتَ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». ²⁹ وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ.

³⁰ قَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنَبِيلَ» قَائِلًا: «لَأَنْتِي نَظَرْتُ اللَّهَ وَجْهًا لَوَجْهِهِ، وَنَجَّيْتَ نَفْسِي». أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ مَا هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ يَعْقُوبَ يَصَارِعُ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِيهِزِمُهُ وَيَقُولُ لَهُ رَبِّهِ أَطْلُقْنِي لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لَا أَطْلُقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي!»

ثم يتعجبون ويزعمون أن موسى كان لا يريد الموت ، ولا يتعجبون من أن ربهم يسوع بحسب إيمانهم كان يخاف الموت ، ويتضرع إلى الله ﷻ لينجيه منه ، وإني لأعجب والله من معتقدهم بصلبه يزعمون أنه جاء ليصلب في حين إنه هو نفسه لا يريد الصلب ، فجعلوه مصلوباً ملعوناً ؛لأنه ملعون كل من علق على خشبة !

نقرأ في إنجيل مرقس إصحاح 14 عدد ³⁵ ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلًا وَخَرَّ عَلَى الْأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ أَمَكَ. ³⁶ وَقَالَ: «يَا أَبَا الْآبِ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ، فَأَجِزْ عَنِّي هَذِهِ الْكَاسَ. وَلَكِنْ لِيَكُنْ لَا مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ». !

قُلْتُ : إن الواضح من النصوص أن المسيح ﷺ دعا الله ﷻ كي ينجيه من القتل ... **لقوله ﷺ :** " يَا أَبَا الْآبِ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ ، فَأَجِزْ عَنِّي هَذِهِ الْكَاسَ...". أي: نجني يارب من هذه التجربة ؛اليهود يريدون قتلي .

ثم إن نصوص الأناجيل أتخبرت أن يسوع كان يائساً ساخطاً على الصليب يصرخ في ربّه ؛ لأنه تركه ولم ينجيه ، وذلك في إنجيل مرقس إصحاح 15 عدد ³⁴ وَفِي السَّاعَةِ الثَّاسَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِلُوي، إِلُوي، لِمَا شَقَقْتَنِي؟» الَّذِي تَفْسِيرُهُ : إِلَهِي ، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟! لا تعليق !

رد شبهة : نبي الإسلام يقول : خيل سليمان لها أجنحة !

أثيرت شبهة تافهة يقول أصحابها: نبي الإسلام يخبر أن خيل سليمان كانت لها أجنحة...

ما هذه الخرافات أيها المسلمون؟

تعلقوا بذلك على ما جاء سنن أبي داود برقم 4284 عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ فَهَبَتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعِبَ. فَقَالَ : " مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ ؟" قَالَتْ : بَنَاتِي . وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ فَقَالَ : " مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسَطَهُنَّ " ؟ قَالَتْ : " فَرَسٌ " . قَالَ : " وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ " ؟ قَالَتْ : " جَنَاحَانِ " . قَالَ : " فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ " ؟ قَالَتْ : " أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنَحَةٌ ؟" قَالَتْ : فَضَحِكُ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِدَهُ . قَالَ الْأَلْبَانِي : صَحِيح .

الرد على الشبهة

أولاً : إن المعارضين يعترضون على أمر غيبي ، ويقولون خرافة على ما لم يتيقنوا به ... فاستهزأوهم ناتج عن طريق استنتاج عقلي لا أكثر... ويبقى قول الله ﷻ : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39) ﴾ (يونس).

ثم إن المعارضين يؤمن بوجود حيوان يسمى الديناصور وغيره، لأنهم سمعوا عنه ، ولم يروه بأعينهم ... ولكنهم اليوم يعترضون على وجود فرس له أجنحة في زمن سليمان ؛

وذلك لأن المخبر عن هذا الأمر هو محمد ﷺ وهذا يدل على مدى حقدهم وسوء ظنهم في خير الأنام ﷺ ... هذا أن كان النبي ﷺ قد قال هذا المقال، ولكنه ﷺ لم يقل ذلك...

ثانياً : إن ما فهمته من الحديث أن النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه بسبب أن هذه خرافة كانت معروفة في الجاهلية مشتهرة عند الأطفال ، وصغار السن بدليل أن النبي ﷺ قال : " فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ ؟!"

ﷺ يعلم هذا الأمر فهو يتساءل فقالت له : أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلاً لَهَا أَجْنَحَةٌ؟ فكانت الجواب منه أنه ضحك على هذا الكلام قَالَتْ : " فَضَحَكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ " . وبهذا فإن النبي ﷺ لم يقر على ما قالته عائشة وضحك على هذا القول المشهور عند صغار السن...

ثالثاً : إن الكتاب المقدس ذكر لنا حيوانات لا أساس لها من الصحة ، وينكرها الجولوجيون ، والعلم الحديث ، والعقل ... وعلى الرغم من ذلك يؤمنون بهذه الحيوانات التي تعد عند العلماء من الخرافات والتي لم يروها بأعينهم .. منها ما يلي :

1- الرب خروف له سبع قرون وسبعة أعين يختلف عن الخروف العادي ...

وذلك في موضعين :

الأول : رُؤْيَا يُوحَنَّا إِصْحَاح 5 عدد 6 وَنَظَرْتُ فَرَأَيْتُ فِي الْوَسْطِ بَيْنَ الْعَرْشِ وَالْكَائِنَاتِ الْحَيَّةَ الْأَرْبَعَةَ وَالشُّبُوحَ خُرُوفَ قَائِمٍ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ . وَكَانَتْ لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ ، وَسَبْعُ أَعْيُنٍ تَمَثَّلُ أَرْوَاحَ اللَّهِ السَّبْعَةِ الَّتِي أُرْسِلَتْ إِلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا .

الثاني : رُؤْيَا يُوحَنَّا إِصْحَاح 17 عدد 14 هَؤُلَاءِ سَيَحَارِيُونَ الْخُرُوفَ، وَالْخُرُوفُ يَغْلِبُهُمْ، لِأَنَّهُ رَبُّ الْأَرْبَابِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ، وَالَّذِينَ مَعَهُ مَدْعُوْنَ وَمَخْتَارُونَ وَمُؤْمِنُونَ».

2- **تَين كَبِير جَدًّا مَا هُوَ حَجْمُهُ وَأَيْنَ هُوَ وَامْرَأَةٌ غَرِيبَةٌ وَذَلِكَ فِي رُؤْيَا**

يُوحَنَّا إِصْحَاح 12 عدد 1¹ وَظَهَرَتْ آيَةٌ عَظِيمَةٌ فِي السَّمَاءِ: امْرَأَةٌ مُتَسَرِّبَةٌ بِالشَّمْسِ، وَالْقَمَرُ تَحْتَ رِجْلَيْهَا، وَعَلَى رَأْسِهَا إِكْلِيلٌ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ كَوْكَبًا،² وَهِيَ حُبْلَى تَصْرُخُ مُتَمَخِّضَةً وَمُتَوَجِّعَةً لَتَلِدُ. ³ وَظَهَرَتْ آيَةٌ أُخْرَى فِي السَّمَاءِ: هُوَذَا تَتَيْنٌ عَظِيمٌ أَحْمَرٌ، لَهُ سَبْعَةُ رُؤُوسٍ وَعَشْرَةُ قُرُونٍ، وَعَلَى رُؤُوسِهِ سَبْعَةُ تِيَجَانٍ. ⁴ وَذَنَبُهُ يَجْرُ ثَلَاثَ نَجُومِ السَّمَاءِ فَطَرَحَهَا إِلَى الْأَرْضِ. وَالتَّتَيْنُ وَقَفَ أَمَامَ الْمَرْأَةِ الْعَتِيدَةِ أَنْ تَلِدَ، حَتَّى يَبْتَلِعَ وَلَدَهَا مَتَى وَلَدَتْ. ⁵ فَوَلَدَتْ ابْنًا ذَكَرًا عَتِيدًا أَنْ يَرْعَى جَمِيعَ الْأُمَمِ بَعْصًا مِنْ حَدِيدٍ. وَاخْتُطِفَ وَلَدُهَا إِلَى اللَّهِ وَالْأَيُّ عَرْشِهِ،⁶ وَالْمَرْأَةُ هَرَبَتْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، حَيْثُ لَهَا مَوْضِعٌ مُعَدٌّ مِنَ اللَّهِ لِكَيْ يَعُولُوهَا هُنَاكَ أَلْفًا وَمِائَتَيْنِ وَسِتِّينَ يَوْمًا.

3- **طَائِرٌ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَرْجُلٌ ... وَذَلِكَ فِي سَفَرِ الْأَوَّلِينَ إِصْحَاح 11 عدد 20 وَكُلُّ دَبِيبِ الطَّيْرِ الْمَاشِي عَلَى أَرْبَعٍ. فَهُوَ مَكْرُوهٌ لَكُمْ. ²¹ إِلَّا هَذَا تَأْكُلُونَهُ مِنْ جَمِيعِ دَبِيبِ الطَّيْرِ الْمَاشِي عَلَى أَرْبَعٍ: مَا لَهُ كُرَاعَانِ فَوْقَ رِجْلَيْهِ يَنْبُ بِهِمَا عَلَى الْأَرْضِ وَعدد ²³ لَكِنْ سَائِرُ دَبِيبِ الطَّيْرِ الَّذِي لَهُ أَرْبَعُ أَرْجُلٍ فَهُوَ مَكْرُوهٌ لَكُمْ.**

قُلْتُ: مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذَا الطَّائِرَ الْمَذْكُورَ لَا وَجُودَ لَهُ... طَائِرٌ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَرْجُلٌ أَيْنَ هُوَ؟!

4- **الْأَرْبَبُ يَجْتَرُ أَيُّ لَهُ مَعْدَتَانِ وَهَذَا يَنْفَعُهُ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ وَذَلِكَ فِي سَفَرِ التَّثْنِيَةِ إِصْحَاح 14 عدد 7⁷ إِلَّا هَذِهِ فَلَا تَأْكُلُوهَا، مِمَّا يَجْتَرُ وَمِمَّا يَشُقُّ الظِّلْفَ الْمُنْقَسِمَ: الْجَمَلُ وَالْأَرْبَبُ وَالْوَبَرُ، لِأَنَّهُمَا تَجْتَرُ لَكِنَّهُمَا لَا تَشُقُّ ظِلْفًا، فَهِيَ نَجِسَةٌ لَكُمْ .**

رد شبهة : نبيُّ يقول : الشيطان يأخذُ شعرة من دبر المصلي !

تهكم بعضهم على رسول الله ﷺ مدعيًا أن محمدًا أخبر أن الشيطان يأتي على المسلم في صلاته فيأخذُ شعرة من دبره فيمدها فيرى أنه قد أحدث فلا ينصرفنَّ حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا.. وقد ضحكوا كثيرًا ، وسخروا كثيرًا بما يكفي ، وكان دليلهم على ذلك هو ما رواه الإمام أحمد في مسنده باقي مسند المكثرين مسند أبي سعيد الخدري رحمه الله برقم 11476 حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ فَيَأْخُذُ شَعْرَةً مِنْ دُبُرِهِ فَيَمْدُهَا فَيَرَى أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ فَلَا يَنْصَرِفَنَّ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن الحديث الذي كان سبباً في سخريتهم ، ونيلهم من رسول الله ﷺ لا يصح ، ولا نعترف به ، فليضحكوا ما شاءوا على شيء لا نعترف به ، ولا يضرنا بشيء... وهذا كافٍ جداً لأبطال الشبهة

ضعف الحديث الشيخ شعيب الأرنؤوط قائلًا: إسناده ضعيف برقم 11932 .

الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة.

فإن قيل : لماذا ضعف الحديث ؟

قلتُ : لضعف علي بن زيد ، الذي حكم عليه الشيخ شعيب بالضعف في موضع آخر ، وكذلك المحققون كما يلي :

1- سؤالات أبي شيبة : حدثنا محمد بن عثمان قال سألت عليا عن علي بن زيد ابن جدعان فقال: هو ضعيف عندنا.

2- قال أبو الحسن الدارقطني الحافظ في تضعيف هذه الأسانيد علي بن زيد ضعيف.
2- علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي البصري، أصله حجازي، وهو المعروف بعلي بن زيد بن جدعان ينسب أبوه إلى جد جده ، ضعيف من الرابعة مات سنة إحدى وثلاثين ومائة وقيل قبلها، انظر : التقريب (ص401/ رقم4734).

3- علي بن زيد بن جدعان: أحد علماء التابعين، اختلفوا فيه فقوى أمره جماعة كالجريري ومنصور ابن زاذان وحماد بن سلمة وتكلم فيه الأكثرون. قال شعبة : كان رفعا وقال مرة: حدثنا علي قبل أن يختلط. وكان ابن عيينة يضعفه. وقال حماد بن زيد : كان يقلب الأحاديث، وقال الفلاس: كان يحيى القطان يتقى الحديث عن علي بن زيد ومن أخباره أنه كان رافضياً . وأنه كان يتشبع . قال ابن سعد : كان كثير الحديث وفيه ضعف ولا يحتج به . انظر (الميزان 3 / 127 / التاريخ الكبير 6 / 257 / الطبقات الكبرى 7 / 18) .

5- سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عباس بن محمد يقول : سمعت يحيى بن معين يقول : علي بن زيد بن جدعان ليس بشيء . (المجروحين ج 2 / ص 104) .

ثانياً : إن سخريتهم الناتجة عن جهل منهم هذا من الأذى و الغمز في نبي الله ﷺ وهذا

من السنن الجارية على الأنبياء من قبله ﷺ ؛ قال ﷺ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ (الفرقان 31).

فمثلاً : نبى الله موسى ﷺ آذاه قومه فبرأه الله مما قالوا ، قال ﷺ عنه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (الأحزاب 69).

وفي صحيح البخاري برقم 3990 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَمَّا قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قِسْمَةَ حُنَيْنٍ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : " مَا أَرَادَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ ". فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ثُمَّ قَالَ : " رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى مُوسَى ، لَقَدْ أُؤْذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ " .

رد شبهة: نبى يصارع الشيطان فيخنقه، ويجدُ بردَ لسانه بين يديه !

قالوا: من الخرافات التي قالها رسول الإسلام لأصحابه أنه صارع الشيطان فخنقه حتى وجد بردَ لسانه بين يديه، ثم أراد أن يربطه في إحدى أعمدة المسجد، ولكنه تركه من أجل دعوة سليمان !....

تعلقوا على ذلك بحديثين كما يلي :

الأول : مسند أحمد برقم 11354 عن أبي سعيد الخدري أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فَصَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ وَهُوَ خَلْفَهُ فَقَرَأَ فَالتَبَسَتْ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ : " لَوْ رَأَيْتُمُونِي وَإِبْلِيسَ فَأَهْوَيْتُ بِيَدِي فَمَا زِلْتُ أَخْنُقُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لُعَابِهِ بَيْنَ إِبْصَعَيْ هَاتَيْنِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا وَلَوْلَا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مَرْبُوطًا بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ

يَتَلَاَعَبُ بِهِ صِبْيَانُ الْمَدِينَةِ فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُبَّةِ أَحَدٌ فَلْيَفْعَلْ ."

صححه الشيخ الألباني: في السلسلة الصحيحة برقم 3251.

الثاني: صحيح البخاري كتاب (تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) بَابُ قَوْلِهِ: { هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } برقم 4434 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ عَفْرِيثًا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتْ عَلَى الْبَارِحَةِ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا لِيَقْطَعَ عَلَى الصَّلَاةِ فَأَمَكَّنَنِي اللَّهُ مِنْهُ وَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَصْبُحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ رَبِّ { هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي } . قَالَ : رُوحَ فَرَدَّهُ خَاسِنًا .

الرد على الشبهة

أولاً: إن ما فهمته من الشق الأول من سؤالهم هو: هل الشيطان يتجسد حتى يصارعه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؟

قلتُ: نعم، ولا إشكال فيه؛ لأن الشيطان جاء لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - متشكلاً متجسداً، وجاء على صورة رجل عربي لما أُرِدَ المشركون قتل النبي في أول بعثته، وظهر لأبي هريرة متجسداً ، وظهر كذلك ليسوع بحسب ما ذكرت الأنجيل ؛ أخذه وجر به ... وكان متشكلاً أيضاً في صورة الحية لما ظهر لأدم - عليه السلام - كما يذكر علماء الأهوت، فالجن أعطاه الله القدرة على ذلك...

وبالتالي : فإن اعتراضهم هو محض اعتراض على نصوص الوحي التي تؤكد ذلك ، مثل: القرآن الكريم، والسنة، وما جاء في كتابهم المقدس ...

وعليه: فلا إشكالية في ذلك - بفضل الله تعالى - .

وأما ما فهمته من الشق الثاني من سؤاليهم الذي ألمح فيه الاستهزاء هو: حول برد لعاب الشيطان الذي كان على يدي النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ...

قلتُ : إنهم يتعجبون أن يكون للشيطان بردٌ في لعابه وهو مخلوق، ولا يتعجبون أن يكون لربِّ السماوات والأرض - يسوع بحسب إيمانهم - لعاب ، وبرز ، وبول ؟!

ثانيًا: إن المعترضين يعترضون على حديث النبي ﷺ ؛ لأن النبي ﷺ صارع شيطاناً فغلبه ، ولا يعترضون على يعقوب النبي ﷺ الذي نسب إليه الكتاب المقدس أنه صارع ربِّ العالمين ، وانتصر عليه لدرجة أن الربَّ صرخ وقال: أطلقني ...!

جاء ذلك في سفر التكوين الإصحاح 32 عدد ²⁴ فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. ²⁵ وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حَقًّا فَخْذَهُ، فَانْخَلَعَ حَقٌّ فَخَذَ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. ²⁶ وَقَالَ: «أُطْلِقْنِي، لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لَا أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». ²⁷ فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». ²⁸ فَقَالَ: «لَا يَدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَقَدَّرْتَ». ²⁹ وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنْ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ. ³⁰ فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيبِيلَ» قَائِلًا: «لَأَنِّي نَظَرْتُ اللَّهَ وَجْهًا لَوَجْهِهِ، وَنَجَّيْتُ نَفْسِي».

قلتُ : إن محمداً ﷺ انتصر على الشيطان وأمسك به وكاد أن يربطه... ولكن تلك النصوص تقول: إن يعقوب ﷺ انتصر على الله في المصارعة....

ثم إنني لم أسخر منهم كما سخرُوا ، فأقول مثلاً : وهكذا حارب يعقوبُ إلههم، وهزمه بل وأوثقه، وطلب منه رُبُّهم أن يطلقه ؛لأن الفجرَ قد طلع، ولا أعلم ما علاقة طلوع الفجر برغبة رُبِّهم في الانصراف ، فما زل الإله يترجى يعقوبَ كي يطلقه، وفي النهاية باركه عصباً عنه واسماه إسرائيل... ؟

وهنا سؤال: هل كان الربُّ خائفاً من الشمسِ كمصاصي الدماء ؟
أليست هذه الصفات تدل على ضعفِ ربِّهم....؟!

وهل كان الربُّ جاهلاً باسم يعقوب الذي من المفترض أنه خلقه... وذلك في هذا النص:
27 فَقَالَ لَهُ : «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». 28 فَقَالَ: «لَا يَدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبُ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَقَدَّرْتَ».؟! لا تعليق !

ونلاحظ من خلال قراءة النصوص أن الربَّ لما صارَ يعقوبَ كان في صورةِ إنسان
24 فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ".

فالعجبُ العجيبُ أنهم ينكرون علينا أن الشيطانَ تجسّدَ وخنقه النبي ﷺ حتى وجد بردَ لُعابه بين أصابعه ﷺ ، وهذا ربُّهم تجسّدَ في صورة إنسان وضربَ من يعقوبُ....!

رد شبهة: نبيٌّ يقول : إن شيطانه أسلم !

قالوا لأحد المسلمين: هل من الممكن أن يسلم الشيطان ، والقرآن يُخبر أنه من أهل النار : ﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴾ (الإسراء63).

فهل ممكن أن يسلم هذا الشيطان ؟ !

أجاب المسلم قائلًا: لا يسلم أبدًا .

فقالوا له : شيطان الرسول أسلم ! كيف ذلك يا مسلم ؟!

والدليل على صدق كلامنا ما جاء في صحيح مسلم كتاب (صفة القيامة والجنة والنار) باب (تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً) برقم 5035 عن عائشة - زوج النبي ﷺ - أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت : " فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع " فقال : " ما لك يا عائشة أغرت " ؟ فقلت : " وما لي لا يغار مثلي على مثلك " ! فقال رسول الله ﷺ : " أقد جاءك شيطانك " ؟ قالت يا رسول الله : " أو معي شيطان " ؟ قال : " نعم " . قلت : " ومع كل إنسان " ؟ قال : " نعم " . قلت : " ومعك يا رسول الله " ؟ قال : " نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن المسلمين يعتقدون أن إبليس وذريته من شياطين الجن والإنس في النار، وذلك لما قال ﷺ لإبليس : ﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴾ (الإسراء 63) .

فإبليس من أهل النار ، ومن تبعه من الجن والإنس من جنوده دخلوا معه في النار - سلمنا الله منهم - والدليل على أن هناك شياطين من الجن والإنس ؛ قوله ﷺ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (الأنعام112) .

ثانياً : كان على المعترضين أن يفرقوا أولاً بين إبليس ، والشيطان ، وعلى كل أقول : هناك فارق كبير بينهما ؛ يقول ﷺ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ

كَانَ مِنَ الْجِنَّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿ (الكهف50) .

الملاحظ من خلال الآية الكريمة : أن إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربّه ...

فإبليس قال عنه بعض العلماء هو مشتق من الإبلّاس ، وهو اليأس من رحمة الله ، ومنع من الصرف ؛ لأنه لا نظير له من الأسماء ، وهو أبو الشياطين وأصلهم الأول كما أن آدم أبو البشر ...

والشياطين جمع شيطان ، والشيطان هو كل متمرّد من الإنس والجن والحيوان ، ويطلق اصطلاحاً على المتمرّد من عالم الجن ؛ شياطين الإنس والجن توسوس بالباطل ، وتدعو إلى الشر ، وتقعّد عن الخير ...

نعتقد أن الجن مكلفون؛ منهم من يدخلون الجنة ، ومنهم ما يدخلون النار ؛ خلقهم الله ﷻ لعبادته، تدلّ على ذلك عدة أدلة منها:

1- قوله ﷻ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات56) .

2- قوله ﷻ : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (الأنعام130)

3- قوله ﷻ : ﴿ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ (الجن14) .

فالأصل في الشيطان الكفر فإذا أسلم لا يسمى شيطاناً بل هو جنّ مسلم ، وإذا كفر الجن المسلم يسمى شيطاناً ؛ يفهم ذلك من الحديث الذي معنا لما قال النبي ﷺ : " لعائشة أقد جاءك شيطانك ؟ " قالت: يا رسول الله أو معي شيطان ؟ قال : " نعم " . قلتُ : " ومع كل إنسان ؟ " قال : " نعم " . قلتُ : " ومعك يا رسول الله ؟ " قال : " نعم ولكن ربي أعانني عليه حتّى أسلم " .

إِذَا : شَيْطَانُ الرَّسُولِ ﷺ كَانَ جَنِيًّا كَافِرًا فَأَسْلَمَ إِلَى اللَّهِ ﷻ ، وَ أَمَّا إِبْلِيسُ فَلَنْ يَسْلَمَ أَبَدًا
فَهُوَ أَبُو الشَّيَاطِينِ وَزَعِيمُهُمُ الْمَطْرُودُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ؛ لِذَا كَانَ لَزْمًا عَلَيْهِمْ أَنْ يَفْرُقُوا بَيْنَ
إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانِ ؛ حَتَّى لَا يَسَاءَ فَهَمُ الْحَدِيثِ كَمَا كَانَ مِنَ الْمَعْتَرِضِينَ .

ثَالِثًا : جَاءَ فِي شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لِابْنِ أَبِي الْعَزْ ، بِتَعْلِيْقِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ شَاكِرٍ عَلَى
هَذَا الْحَدِيثِ قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - .

1- قَوْلُهُ : " وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ " . أَسْلَمَ بِضَمِّ الْمِيمِ فِي بَعْضِ النُّسخِ
بِضَمِّ الْمِيمِ (أَسْلَمَ) أَي : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَلِمَ مِنْ شُرُورِهِ ، وَمِنْ وَسْوَاسِهِ ... وَهَذَا تَأْوِيلٌ جَيِّدٌ
لِلْحَدِيثِ أَيْضًا .

رد شبهة : نبيّ يقول : (الكلب الأسود شيطان) !

سَأَلُوا سُؤَالَ فِيهِ اسْتِهْزَاءً بِكَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ قَائِلِينَ : هَلِ الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ ؟

تَعْلَقُوا عَلَى ذَلِكَ بِمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ كِتَابُ (الصَّلَاةِ) بَابُ (قَدَرُ مَا يَسْتُرُ الْمُصَلِّي
(بِرَقْمِ 789 عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا
كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّجُلِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّجُلِ فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ
الْحَمَارُ وَالْمَرْأَةُ وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ " . قُلْتُ : " يَا أَبَا ذَرٍّ مَا بَالُ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَحْمَرِ
مَنْ الْكَلْبُ الْأَصْفَرُ ؟ " قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ : " الْكَلْبُ
الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ " .

الرد على الشبهة

أولاً : إن اعتراضهم على قوله ﷺ : " الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ " ، لا قيمة له ؛ لأن هذه مسألة إيمانية غيبة ، ونحن نؤمن بالغيب كما قال ﷺ عن المؤمنين : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (البقرة 3) .

فلا نرد ما صح عن النبي ﷺ في أمر غيبي ...

وأتساءل : هل عند المعترضين دليل من الكتاب المقدس ، أو من أي كتاب على وجه الأرض يناقض ما قاله النبي ﷺ بأن الكلب الأسود شيطان ؟

الجواب : لا يوجد ما يمنع ، بل يوجد في الكتاب المقدس ما يؤيد هذا الحديث ؛ كما سيتقدم معنا - إن شاء الله - .

وعليه : فالأولى لنا أن نقدم المثبت على المنفي ، فهذا الفهم يفهمه العقلاء....

ثانياً : إن حديث النبي ﷺ " الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ " يُفسر على عدة أوجه منها :

1- أنه لما كان الكلب الأسود أشد ضرراً وقبحاً من غيره سُمي شيطانياً من باب التشبيه لا أكثر.

2- قد يقال بأن الأمر على حقيقته ، وأن بعض الشياطين تتصور بصورة الكلاب السوداء ، ولا غرابة في ذلك إذ لا يوجد ما يمنع ذلك.

3- أن كون الكلب الأسود شيطانياً يحتمل أن يكون المعنى أنه على صفته أو مسخ من الشيطان، أي : أن الكلب كان في الأصل شيطانياً فمسخ بتلك الصورة وهي صورة الكلب، وهذا قول بعيد عن الصحة تمام البعد إذ لا دليل عليه....

وألخص ما سبق بكلمات موجزة ذكرها صاحب كتاب عون المعبود :

قوله : " الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ " : قَالَ فِي فَتْحِ الْوُدُودِ : " حَمَلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى ظَاهِرِهِ ، وَقَالَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَصَوَّرُ بِصُورَةِ الْكَلَابِ السُّودِ ، وَقِيلَ : بَلْ هُوَ أَشَدُّ ضَرَرًا مِنْ غَيْرِهِ فَسُمِّيَ شَيْطَانًا أَنْتَهَى " .

ثالثاً: إن الأناجيل ذكرت أن يسوع أخرج الشياطين من رجل فدخلت في قطيع من الخنازير ... وذلك في إنجيل مرقس إصحاح 5 عدد 1¹ وجاءوا إلى عبر البحر إلى كورة الجدرين. 2² ولما خرج من السفينة للوقت استقبله من القبور إنسان به روح نجس، 3³ كان مسكنه في القبور، ولم يقدر أحد أن يربطه ولا بسلاسل، 4⁴ لأنه قد ربط كثيراً بقيود وسلاسل ففقطع السلاسل وكسر القيود، فلم يقدر أحد أن يذله. 5⁵ وكان دائماً ليلاً ونهاراً في الجبال وفي القبور، يصيح ويجرح نفسه بالحجارة. 6⁶ فلما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له، 7⁷ وصرخ بصوت عظيم وقال: «ما لي ولك يا يسوع ابن الله العلي؟ أستحلفك بالله أن لا تعذبني!» 8⁸ لأنه قال له: «اخرج من الإنسان يا أيها الروح النجس». 9⁹ وسأله: «ما اسمك؟» فأجاب قائلاً: «اسمي لجئون، لأننا كثيرون». 10¹⁰ وطلب إليه كثيراً أن لا يرسلهم إلى خارج الكورة. 11¹¹ وكان هناك عند الجبال قطيع كبير من الخنازير يرعى، 12¹² فطلب إليه كل الشياطين قائلين: «أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها». 13¹³ فأذن لهم يسوع للوقت. فخرجت الأرواح النجسة ودخلت في الخنازير، فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحر. وكان نحو ألفين، فاختنق في البحر.

نلاحظ من تلك النصوص : أن يسوع أخرج الشياطين فدخلت في الخنازير....!

إذاً الشياطين دخلت في الخنازير بحسب نصوص الأناجيل ، وبعد ذلك ينكرون علينا أن الشياطين تدخل في الكلب الأسود....!

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هو الفرق بين دخول الشياطين في الخنازير ودخولها في الكلاب السوداء؟

ثم إن معتقد المعتضين في الله خالق السماوات والأرض أنه ظهر وتجسد في مخلوقاته وتجسد ؛ أعنى : ظهر وتسجد في الإنسان يسوع ويستدلون على ذلك بالنص الوارد في رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس إصحاح 3 عدد 16¹⁶ وبالإجماع عظيم هو سر التقوى

: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ ، تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ ، تَرَاءَى لِمَلَائِكَةٍ ، كُرِّزَ بِهِ بَيْنَ الْأُمَمِ ، أُؤْمِنَ بِهِ فِي الْعَالَمِ ، رُفِعَ فِي الْمَجْدِ .

قُلْتُ : رُغِمَ اعتقادنا بأن هذا النصَّ محرفٌ ؛ لأنه غير موجود في أقدم النسخ ، وليس من كلام يسوع نفسه..

وعلى كلِّ أقول : إنهم يتعجبون من أن الشيطان يدخل في الكلب الأسود ، ولا يتعجبون من أن ربَّ السماوات والأرض يدخل في جسد إنسان (يسوع) يأكل ، وينام ، ويقضي حاجاته....

فكيف يمتنع ذلك في بعض مخلوقاته ، مثل الشيطان أن يظهر في كلبٍ أسودٍ ؟ أفلا يعقلون !
ثم إنهم يعترضون على أن الكلب الأسود أطلق عليه لفظ (شيطان) ، ولا يعترضون على أن يسوع قال لبطرس كبير الحواريين (بطرس): " يا شيطان " ، وذلك في إنجيل متى إصحاح 16 عدد ²³فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبَطْرُسَ: «اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْتَرِضٌ لِي، لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ».

وأني والله لفي غايةِ العجبِ والدهشة أن تخرج شبهة كهذه من المعترضين إذ لو خرجت من الملحدين ما تعجبتُ !

يقول ﷺ : ﴿ بَلْ كَذَبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَبَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39) ﴾ (يونس) .

رد شبهة : رسول الإسلام يقول : الشيطان يبيض!

قالوا : إن رسول الإسلام يقول : إن الشيطان يبيض ما هذه الخرافة يا مسلمون...؟
ولما سألتهم عن الدليل ...

قالوا: راجع تفسير القرطبي لسورة الكهف(50) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝﴾.

الرد على الشبهة

أولاً : إن الذي جاء في القرطبي وغيره أن الشيطان يبيض ،أو ينكح نفسه ... لم يرد عن النبي ﷺ قط ، وليس ظاهراً من كتاب الله أبداً ،وما هي إلا أقوال ذكرها أحد السلف لا دليل عليها ... وقد أنكرها بعض العلماء كما سيتقدم معنا -إن شاء الله -

جاء في تفسير القرطبي (ج 10 / 240) ما نصه : واختلف هل لإبليس ذرية من صلبه، فقال الشعبي: سألتني رجل فقال هل لإبليس زوجة ؟ فقلت: إن ذلك عرس لم أشهده، ثم ذكرت قوله : " أفنتخذونه وذريته أولياء " فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة فقلت نعم. وقال مجاهد: إن إبليس أدخل فرجه في فرج نفسه فباض خمس بيضات ، فهذا أصل ذريته. وقيل: إن الله تعالى خلق له في فخذ اليمنى ذكرا وفي اليسرى فرجا، فهو ينكح هذا بهذا، فيخرج له كل يوم عشر بيضات، يخرج من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانة، فهو يخرج وهو يطير، وأعظمهم عند أبيهم منزلة أعظمهم في بنى آدم فتنة، وقال قوم : ليس له أولاد ولا ذرية ، وذريته أعوانه من الشياطين . قال القشيري أبو نصر : والجملة أن الله تعالى أخبر أن لإبليس أتباعا وذرية ، وأنهم

يوسوسون إلى بنى آدم وهم أعداؤهم ، ولا يثبت عندنا كيفية في كيفية التوالد منهم وحدث الذرية عن إبليس، فيتوقف الأمر فيه على نقل صحيح.

قلت : الذي ثبت في هذا الباب من الصحيح ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين عن الإمام أبي بكر البرقاني أنه خرج في كتابه مسندا عن أبي محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ من رواية عاصم عن أبي عثمان عن سلمان قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فبها باض الشيطان وفرخ ". وهذا يدل على أن للشيطان ذرية من صلبه ، والله اعلم . قال ابن عطية : وقول : " وذريته " ظاهر اللفظ يقتضى الموسوسين من الشياطين، الذين يأتون بالمنكر ويحملون على الباطل . وذكر الطبري وغيره أن مجاهدا قال: ذرية إبليس الشياطين، وكان يعدهم: زلنبور صاحب الأسواق ، يضع رأيته في كل سوق بين السماء والأرض، يجعل تلك الرؤية على حانوت أول من يفتح وآخر من يغلق . وثبر صاحب المصائب ، يأمر بضرب الوجوه وشق الجيوب ، والدعاء بالويل والحرب .

والأعور صاحب أبواب الزنى . ومسوط صاحب الأخبار، يأتي بها فيلقوها في أفواه الناس فلا يجدون لها أصلا . وداسم الذي إذا دخل الرجل بيته فلم يسلم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع ما لم يرفع وما لم يحسن موضعه ، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه .

قال الأعمش : وإنني ربما دخلت البيت فلم أذكر الله ولم أسلم ، فرأيت مطهرة فقلت: ارفعوا هذه وخاصمتهم، ثم أذكر فأقول: داسم داسم أعوذ بالله منه زاد الثعلبي وغيره عن مجاهد : والأبيض ، وهو الذي يوسوس للأنبياء. وصخر وهو الذي اختلس خاتم سليمان ﷺ. والولهان وهو صاحب الطهارة يوسوس فيها . والاقيس وهو صاحب الصلاة يوسوس فيها . ومرة وهو صاحب المزامير وبه يكنى . والهفاف يكون بالصحارى يضل الناس ويتيههم. ومنهم الغيلان. وحكى أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفي في كتاب اللؤلئيات عن مجاهد أن الهفاف هو صاحب الشراب، ولقوس صاحب التحريش ، والأعور صاحب أبواب السلطان. قال وقال الداراني : إن لإبليس شيطانا يقال له المتقاضى، يتقاضى ابن آدم فيخبر بعمل كان عمله في السر منذ عشرين سنة، فيحدث

به في العلانية . قال ابن عطية : وهذا وما جانسه مما لم يأت به سند صحيح، وقد طول النقاش في هذا المعنى وجلب حكايات تبعد عن الصحة، ولم يمر بي في هذا صحيح إلا ما في كتاب مسلم من أن للصلاة شيطاناً يسمى خنزب. وذكر الترمذي أن للوضوء شيطاناً يسمى الولهان. قلت : أما ما ذكر من التعيين في الاسم فصحيح، وأما أن له أتباعاً وأعواناً وجنوداً فمقطوع به، وقد ذكرنا الحديث الصحيح في أن له أولاداً من صلبه، كما قال مجاهد وغيره . أهـ

إذاً من خلال ما سبق أتضح ما ذكرته ، وهذا يدل على كذبهم وتدليسهم ...

ثم إن الملاحظ من التفسير ما يلي :

1- لم يرد عن النبي ﷺ حديث واحد يقول بقولهم أبداً بل الحديث الثابت يتكلم عن أمر آخر، فعن سلمان ، قال : قال رسول الله ﷺ : " لَا تَكُنْ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ ، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا . فِيهَا بَاضَ الشَّيْطَانُ وَفَرَّخَ " .

جاء في كتاب غريب ما في الصحيحين (ج 1 / ص 187) : باض الشيطان وفرخ استعارة لما نشره من الشر بينهم والمنافسة منهم وما يوقعهم فيه من مخالفة الأمر والنهي في الشراء والبيع . أهـ

2- صيغ التمريض مثل: قيل ، وقال قوم وقيل : إن الله تعالى خلق له في فخذة اليمنى ذكراً وفي اليسرى فرجاً وقال قوم: ليس له أولاد ولا ذرية ...

3- أقوال بعض السلف مثل مجاهد

4- إن هذه الأقوال كانت عرضة لنكارة بعض العلماء ، مثل ما قاله ابن عطية : وقول: " وذريته " ظاهر اللفظ يقتضى الموسوسين من الشياطين ، الذين يأتون بالمنكر ويحملون على الباطل ... وقال : وهذا وما جانسه مما لم يأت به سند صحيح، وقد طول النقاش في هذا المعنى وجلب حكايات تبعد عن الصحة، ولم يمر بي في هذا صحيح إلا ما في كتاب مسلم من أن للصلاة شيطاناً يسمى خنزب . أهـ

ثانيًا: إن هناك أسئلة تطرح نفسها أسئلة تطرح نفسها هي :

1- هل جاءت شبهتهم من ظاهر كلام الله ؟

2- هل جاءت شبهتهم من كلام رسول الله ؟

3- هل أجمع أهل العلم على ما جاء في تفسير القرطبي وغيره ؟

الجواب : هذا هو ، بيان ما سبق ما جاء في كتاب أضواء البيان لإيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي -رحمه الله- (ج19/ ص197): قال مجاهد : إن كيفية وجود النسل منه أنه أدخل فرجه في فرج نفسه فباض خمس بيضات: قال: فهذا أصل ذريته. وقال بعض أهل العلم : إن الله تعالى خلق له في فخذة اليمنى ذكرًا، وفي اليسرى فرجًا، فهو ينكح هذا بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات ، يخرج من كل بيضة سبعون شيطانًا وشيطانة. ولا يخفى أن هذه الأقوال ونحوها لا معول عليها لعدم اعتضاها بدليل من كتاب أو سنة . فقد دلت الآية الكريمة على أن له ذرية. أما كيفية ولادة تلك الذرية فلم يثبت فيه نقل صحيح، ومثله لا يعرف بالرأي . وقال القرطبي في تفسير هذه الآية : قلت: الذي ثبت في هذا الباب من الصحيح ما ذكره الحميري في الجمع بين الصحيحين عن الإمام أبي بكر البرقاني : أنه خرج في كتابه مسنداً عن أبي محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ، من رواية عاصم ، عن أبي عثمان، عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ : " لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها ، فيها باض الشيطان وفرخ " وهذا يدل على أن للشيطان ذرية من صلبه . اهـ

قلتُ: إن قول بعضهم أن الشيطان ينكح نفسه... يُرد بقول النبي ﷺ الذي جاء في صحيح البخاري برقم 139 عن أنس قال : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: " اَللّٰهُمَّ إِنِّيْ أَعُوْذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ " .

نلاحظ من الحديث: لفظتين هما الخبث والخبائث؛ أي: من ذكور الشياطين، وإناتهما وهذا يدل على أن للشيطان زوجة، يتناسل منها ... ويبقى هذا هو التفسير الصحيح لقوله ﷺ : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ

فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا
(50) ﴿ (الكهف) .

فعلى ما سبق بيانه أكون قد نسفت الشبهة من جذورها نسفاً - بفضل الله ﷻ - .

رد شبهة : نبي الإسلام يقول : (الشيطان له ضراط) !

قالوا ساخرين: هل يخرج الشيطان ريحاً عند سماع الأذان... وتعلقوا بما جاء في صحيح البخاري برقم 139 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ النَّدَاءَ فَإِذَا قُضِيَ النَّدَاءُ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا ثُوبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِبُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ: أَذْكَرَ كَذَا أَذْكَرَ كَذَا لَمَّا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ إِنْ يَدْرِي كَمْ صَلَّى ."

الرد على الشبهة

أولاً : إن اعتراضهم على الشيطان بأن له ضراطاً هو محض اعتراض على قدرة الله ﷻ ، وليس للنبي ﷺ دوراً في هذا الأمر إلا تبلغ ما سمع ﷺ من ربه ﷻ....

ويبقى السؤال : ما المانع من عدم قبول ذلك ؟

الجواب لا مانع؛ لأن الله ﷻ على كل شيء قدير، وقد علمنا أن الشيطان يأكل ، ويشرب ، ويبول ، وليس ذلك كله مثل البشر...

قال ابن حجر في الفتح: قَالَ عِيَّاضُ : يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ لِأَنَّهُ جِسْمٌ مُتَعَدٍّ يَصِحُّ مِنْهُ خُرُوجُ الرِّيحِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا عِبَارَةٌ عَنْ شِدَّةِ نَفَارِهِ ، وَيَقْوِيهِ رَوَايَةُ لِمُسْلِمٍ " لَهُ حُصَاصٌ " بِمَهْمَلَاتٍ مَضْمُومٍ الْأَوَّلِ فَقَدْ فَسَّرَهُ الْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُهُ بِشِدَّةِ الْعَدُوِّ . قَالَ الطَّبِيبِيُّ : شَبَّهَ شُغْلَ الشَّيْطَانِ نَفْسَهُ عَنْ سَمَاعِ الْأَذَانِ بِالصَّوْتِ الَّذِي يَمْلَأُ السَّمْعَ وَيَمْنَعُهُ عَنْ سَمَاعِ غَيْرِهِ ، ثُمَّ سَمَّاهُ ضُرَاطًا تَقْيِيحًا لَهُ

(تَنْبِيْهٌ) : الظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالشَّيْطَانِ إِبْلِيسَ ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ كَلَامُ كَثِيرٍ مِنَ الشَّرَّاحِ كَمَا سَيَأْتِي ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ جِنْسَ الشَّيْطَانِ وَهُوَ كُلُّ مُتَمَرِّدٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، لَكِنَّ الْمُرَادَ هُنَا شَيْطَانُ الْجِنِّ خَاصَّةً . قَوْلُهُ : (حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّائِذِينَ) ظَاهِرُهُ أَنَّهُ يَتَعَمَّدُ إِخْرَاجَ ذَلِكَ إِمَّا لِيَشْتَغَلَ بِسَمَاعِ الصَّوْتِ الَّذِي يُخْرِجُهُ عَنْ سَمَاعِ الْمُؤَدِّنِ ، أَوْ يَصْنَعُ ذَلِكَ اسْتِخْفَافًا كَمَا يَفْعَلُهُ السُّفَهَاءُ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ لَا يَتَعَمَّدَ ذَلِكَ بَلْ يَحْصُلُ لَهُ عِنْدَ سَمَاعِ الْأَذَانِ شِدَّةُ خَوْفٍ يُحْدِثُ لَهُ ذَلِكَ الصَّوْتُ بِسَبَبِهَا ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَتَعَمَّدَ ذَلِكَ لِيُقَابِلَ مَا يَنَاسِبُ الصَّلَاةَ مِنَ الطَّهَارَةِ بِالْحَدَثِ ، وَاسْتَدْلَ بِهِ عَلَى اسْتِحْبَابِ رَفْعِ الصَّوْتِ بِالْأَذَانِ لِأَنَّ قَوْلَهُ " حَتَّى لَا يَسْمَعَ " ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُ يَبْعُدُ إِلَى غَايَةٍ يَنْتَفِي فِيهَا سَمَاعُهُ لِلصَّوْتِ ، وَقَدْ وَقَعَ بَيَانُ الْغَايَةِ فِي رَوَايَةِ لِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ فَقَالَ " حَتَّى يَكُونَ مَكَانَ الرُّوحَاءِ "..... اهـ

ثانيًا : إنني أعجب من تلك الشبهة أن تخرج من المنصرين فمن المفترض أنهم يدينون بدين بخلاف غيرهم.... والذي دفعني للتعجب أوضحه على هيئة أسئلة هي:

السؤال الأول : هل في الكتاب المقدس ما ينفي أن الشيطان له ضُرَاطٌ ؟

الجواب : لا يوجد !

إنهم يتعجبون أن للشيطان ضُرَاطٌ، ولا يتعجبون من أن ربَّ السماوات والأرض - يسوع بحسب إيمانهم - له ضُرَاطٌ ، وذلك لأنه يأكل ، ويشرب ، ويقضي حاجة ، ويخرج ريحا... ولا ننسى أن معتقد الأرثوذكس أن الألهوت لم يفارق الناسوت لحظة واحدة ...

أدلة ما سبق ذكره جاءت في الآتي:

1- لما جاع الرب يسوع أكل سمكاً؛ المتيقن أنه بعد الأكل إخراج ريحاً وغانطاً... وذلك في إنجيل لوقا إصحاح 24 عدد³⁶ وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم، وقال لهم: «سَلَامٌ لَكُمْ!»³⁷ فَجَزِعُوا وَخَافُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا. فَقَالَ³⁸ لَهُمْ: «مَا بِالْكُمْ مُضْطَرِبِينَ، وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ؟³⁹ انْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ! جَسُونِي وَانْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي.»⁴⁰ وَحِينَ قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ. وَبَيْنَمَا هُمْ غَيْرُ مُصَدِّقِينَ مِنَ الْفَرَحِ، وَمَتَعَجِّبُونَ، قَالَ لَهُمْ: «أَعِنْدَكُمْ هَهُنَا طَعَامٌ؟»⁴² فَنَاولُوهُ جُزْءًا مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ، وَشَيْئًا مِنْ شَهْدٍ عَسَلٍ. فَآخَذَ وَأَكَلَ قُدَّامَهُمْ.⁴³

2- لما صام يسوع أربعين يوماً ، جاع أخيراً ، وأكل هل اخرج ريحاً...؟ وذلك في إنجيل متى إصحاح 4 عدد² فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا.

ويبقى سؤاليين :

السؤال الأول : لماذا التعجب على أن الشيطان له ضُراطٌ وهذا هو إلههم له ضُراطٌ وغانطٌ وبول.... ؟

السؤال الثاني: هل هذه صفات جيدة تنسب لرب العالمين (إله يخرج ريحاً..) ، أم إنها صفات إنسان ضعيف ...؟ لا تعليق !

رد شبهة: نبي يقول : الشيطان يبول !

سألوا ساخرين قائلين لقد قال رسولكم: إن الشيطان يبول، كيف ذلك يا مسلم....؟!

تعلقوا بما جاء في الصحيحين :

1- صحيح البخاري كتاب (الجمعة) باب (إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه) برقم 1076 عن عبد الله بن مسعود قال: ذكر عند النبي ﷺ رجل فقيل : ما زال نائماً حتى أصبح ما قام إلى الصلاة فقال: " بال الشيطان في أذنه " .

2- صحيح مسلم كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) باب (ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح) برقم 1293 عن عبد الله قال: ذكر عند رسول الله ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح قال : " ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه أو قال في أذنه " .

الرد على الشبهة

أولاً: إن الذي يتعجب هو أنا وليس هم أن تكون هذه شبهة

وعلى كل أنقل ما ذكره بعض العلماء في شرح هذا الحديث:

1- قال ابن حجر - رحمه الله- في الفتح: قيل : هو مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم كمن وقع البول في أذنه فتقل أذنه وأفسد حسه ، والعرب تكني عن الفساد بالبول . اهـ

2- قال النووي- رحمه الله- في شرحه: قيل: معناه استخف به واحتقره واستغلى عليه ، يقال لمن استخف بإنسان وخدعه: بال في أذنه وأصل ذلك في دابة تفعل ذلك بالأسد إذلالاً له ، وقال الحربي: معناه ظهر عليه ، وسخر منه. اهـ

قلتُ : إن الواضح مما سبق أن هذا كلاماً يعرفه العربُ ، ولا إشكالية فيه أبداً ، فالأمرُ على سبيل المجاز، وأما المعارضون يطرحون الشبهة فقط دون تفكيرٍ ، و دون بحثٍ علميٍّ كما عاهدناهم

ثانياً : إن هناك سؤالاً يطرحُ نفسه هو ما المانع من أن يبول الشيطان على الحقيقة ؟
والسؤالُ بطريقةٍ أخرى هو: هل هناك كتابٌ من عند الله على وجه الأرض يقول بأن الشيطان لا يبول ؟ الجواب: لا؛ إذاً هذه مسألة غيبية ، وبالتالي لا ينبغي أن تكون محل شبهة خصوصاً إذا علمنا أن الشيطان يأكل ، ويشرب ، وينكح ، ويتناسل فما المانع من أن يبول على الحقيقة ؟!

ولكن ما نسلّم به أن بوله ليس كبول الإنسان ، والحيوان ... حتى لا يقول جاهلٌ: إن الذي يستيقظ بعد صلاة الفجر في الصباح لا يجد بول في أذنه لماذا... ؟!
واني أدِينُ لربي في هذه المسألة بقول : ابن حجرٍ والنووي - رحمها الله - والله أعلم .

ثالثاً : إن المعارضين يتعجبون من أن شيطاناً يبول ، ولا يتعجبون من أن ربّ السماوات والأرض يبول ، ويتبرز ... هذا الإله المتجسد في يسوع بحسب إيمانهم !
ثم إنني لم أسخر منهم كما سخروا فأقول مثلاً :
كيف لهم أن يعبدوا إلهاً يبول ؟ هل يستحق الإله الذي يبول أن يُعبد ويُصلى له ؟!
أم أن أصحاب العقول في راحةٍ كما يقول بعضُ الناس ؟!

رد شبهة : نبيُّ يقول : مدة الحمل أربع سنوات ...!

قالوا نبيُّ الإسلام يقول : إن مدة الحمل من سنتين إلى أربع سنين ... وهذا يخالف العلم الحديث الذي يقول : إن مدة الحمل لا تتجاوز العشرة أشهر ...

وذلك من خلال تفسير الآية التي تقول: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8)﴾ (الرعد) .

تحديدًا في تفسير القرطبي الذي سأقوم بعرضه لاحقًا - إن شاء الله -

الرد على الشبهة

أولاً : إن هذه الشبهة أوهن من بيت العنكبوت لو كان يعلمون ... لعدة أوجه :

الوجه الأول : أن ظاهر الآية الكريم ليس فيها أن مدة الحمل تزيد على عشرة أشهر ... فالآية تقول : ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8)﴾ (الرعد).

بل إن القرآن الكريم يخبر أن مدة الحمل والرضاعة تكون في سنتين للاتي :

1- قوله ﷺ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ(233)﴾ (البقرة).

2- قوله ﷺ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14)﴾ (لقمان).

3- قوله ﷺ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ

وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنَّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15) ﴿١٥﴾ (الأحقاف) .

إِذَا : هذا هو القرآن الكريم ينفي أدعاء المعترضين الذي يقول : إن مدة الحمل من سنتين إلى أربع سنين ... وهذا يخالف العلم الحديث الذي يقول : إن مدة الحمل لا تتجاوز العشرة

الوجه الثاني : إن النبي ﷺ لم يذكر أبداً أن مدة الحمل من سنتين إلى أربع سنين بل إن الثابت عكس ذلك كما جاء في الآتي :

1- سنن الترمذي برقم 1072 عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءُ فِي الثَّدْيِ وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ " . قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

2- سنن الدار قطني برقم 4412 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا رِضَاعَ إِلَّا مَا كَانَ فِي الْحَوْلَيْنِ " .

الوجه الثالث : إن النبي ﷺ لم يذكر شيئاً عن هذه المدد المذكورة ، وأما ما جاء في تفسير القرطبي وغيره للآية لم يجمع علماء المسلمين عليها ، وما هي إلا اجتهادات ... جاء في تفسير القرطبي ما يلي :

الرابعة - وهذه الستة الأشهر هي بالأهلة كسائر أشهر الشريعة ، ولذلك قد روي في المذهب عن بعض أصحاب مالك ، وأظنه في كتاب ابن حارث أنه إن نقص عن الأشهر الستة ثلاثة أيام فإن الولد يلحق لعلة نقص الأشهر وزيادتها ، حكاه ابن عطية .

الخامسة - واختلف العلماء في أكثر الحمل، فروى ابن جريج عن جميلة بنت سعد عن عائشة قالت : يكون الحمل أكثر من سنتين قدر ما يتحول ظل المغزل ، ذكره الدارقطني .

وقالت جميلة بنت سعد - أخت عبيد بن سعد ، وعن الليث بن سعد - : إن أكثره ثلاث سنين .

وعن الشافعي أربع سنين ، وروى عن مالك في إحدى روايته ، والمشهور عنه خمس سنين ، وروى عنه لا حد له ، ولو زاد على العشرة الأعوام ، وهي الرواية الثالثة عنه . وعن الزهري ست وسبع .

قال أبو عمر : ومن الصحابة من يجعله إلى سبع ، والشافعي : مدة الغاية منها أربع سنين .

والكوفيون يقولون : سنتان لا غير .

ومحمد بن عبد الحكم يقول : سنة لا أكثر .

وداود يقول : تسعة أشهر ، لا يكون عنده حمل أكثر منها .

قال أبو عمر : وهذه مسألة لا أصل لها إلا الاجتهاد ، والرد إلى ما عرف من أمر النساء وبالله التوفيق .

روى الدارقطني عن الوليد بن مسلم قال : قلت لمالك ابن أنس : إني حدثت عن عائشة أنها قالت : لا تزيد المرأة في حملها على سنتين قدر ظل المغزل ، فقال : سبحان الله ! من يقول هذا ؟ ! هذه جارتنا امرأة محمد بن عجلان ، تحمل وتضع في أربع سنين ، امرأة صدق ، وزوجها رجل صدق ، حملت ثلاثة أبطن في اثنتي عشرة سنة ، تحمل كل بطن أربع سنين .

وذكره عن المبارك ابن مجاهد قال : مشهور عندنا كانت امرأة محمد ابن عجلان تحمل وتضع في أربع سنين ، وكانت تسمى حامله الفيل .

وروى أيضاً قال : بينما مالك بن دينار يوماً جالس إذ جاءه رجل فقال: يا أبا يحيى ! ادع لامرأة حبلى منذ أربع سنين قد أصبحت في كرب شديد ، فغضب مالك وأطبق

المصحف ثم قال : ما يرى هؤلاء القوم إلا أنا أنبياء ! ثم قرأ، ثم دعا، ثم قال : اللهم هذه المرأة إن كان في بطنها ريح فأخرجه عنها الساعة، وإن كان في بطنها جارية فأبدلها [بها] غلاما ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب ، ورفع مالك يده ، ورفع الناس أيديهم ، وجاء الرسول إلى الرجل فقال : أدرك

امراتك، فذهب الرجل ، فما حظ مالك يده حتى طلع الرجل من باب المسجد على رقبتة غلام جعد قطط ، ابن أربع سنين ، قد استوت أسنانه ، ما قطعت سراره .

وروي أيضاً أن رجلا جاء إلى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين ! إني غبت عن امرأتي سنتين فجئت وهي حبلى ، فشاور عمر الناس في رجمها، فقال معاذ بن جبل : يا أمير المؤمنين ! إن كان لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل، فاتركها حتى تضع، فتركها، فوضعت غلاماً قد خرجت ثنيتاه ، فعرف الرجل الشبه فقال : ابني ورب الكعبة ! ، فقال عمر : عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ، لولا معاذ لهلك عمر .

وقال الضحاك : وضعتني أُمي وقد حملت بي في بطنها سنتين ، فولدتني وقد خرجت سني .

ويذكر عن مالك أنه حمل به في بطن أمه سنتين ، وقيل : ثلاث سنين .

ويقال: إن محمد بن عجلان مكث في بطن أمه ثلاث سنين، فماتت به وهو يضطرب اضطراباً شديداً، فشق بطنها وأخرج وقد نبتت أسنانه .

وقال حماد بن سلمة : إنما سمي هرم بن حيان هرماً لأنه بقي في بطن أمه أربع سنين .

وذكر الغزنوي أن الضحاك ولد لسنتين، وقد طلعت سنه فسمي ضحاكاً .

عباد بن العوام : ولدت جارة لنا لأربع سنين غلاماً شعره إلى منكبيه ، فمر به طير فقال : كش . اهـ

قُلْتُ : إن ما سبق باطل ، ويُرد عليه بتفصيل من كتاب أحكام المرأة الحامل (ج 1/ ص 14-17) :

تفاوتت آراء الفقهاء في أكثر مدة الحمل ، التي يمكن أن يستمر معها الحمل إلى أن يولد حياً على أقوال عدة :

القول الأول : إنه قد يستمر إلى أربع سنين. وهو قول الشافعي والحنابلة في ظاهر مذهبهم ورواية عن مالك.

القول الثاني : إن أقصى الحمل سنتان. وهو مذهب الحنفية، والمزني من الشافعية .

القول الثالث : إن أقصى مدة الحمل تسعة أشهر. وهذا رأي ابن حزم والظاهرية .

الأدلة:

استدل القائلون بأن أكثر الحمل أربع سنين بما يلي :

1- أن كل ما احتاج إلى تقدير حد إذا لم يتقدر بشرع ولا لغة. كان مقداره بالعرف الوجود ، كالحيض والنفاس وقد وجد مراراً حمل وضع لأربع سنين .

وروي المبارك بن مجاهد قال مشهور عندنا ، كانت امرأة محمد بن عجلان تحمل ، وتضع في أربع سنين، فكانت تسمى حاملة الفيل .

وأما الأحناف والمزني فاستدلوا بما يلي :

قول عائشة : " لا يبقى الولد في رحم أمه أكثر من سنتين، ولو بفركة مغزل". وذلك لا يعرف إلا توقيفاً إذ ليس للعقل فيه مجال، فكانها روته عن النبي .

دليل ابن حزم :

يقول ابن حزم: "ولا يجوز أن يكون حمل أكثر من تسعة أشهر ، ولا أقل من ستة أشهر، لقول الله تعالى : ? وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ? [الأحقاف من الآية 15] وقال تعالى : وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ? [البقرة من الآية 233] فمن ادعى أن حملاً وفسالاً يكون في أكثر من ثلاثين شهراً فقد قال الباطل والمحال ورد كلام الله عز وجل جهاراً .

المناقشة :

أما استدلال الحنفية بقول عائشة ، فأجاب عنه ابن حزم بأن في إسناده عن عائشة ، جميلة بنت سعد ، مجهولة لا يدري من هي، فبطل هذا القول.

رأي الطب :

يؤكد الدكتور محمد علي البار أن الحمل قد يتأخر على الرغم من ضبط الحساب إلى شهر كامل. وغلا لمات الجنين في بطن أمه ... ويعتبر الطب ما زاد عن ذلك نتيجة خطأ في الحساب.

كما يؤكد الدكتور أحمد ترعاني . اختصاصي النسائية والتوليد . أن الحمل قد يصل إلى عشرة شهور ، ولا يزيد على ذلك ؛ لأن المشيمة التي تغذي الجنين تصاب بالشيخوخة بعد الشهر التاسع ، وتقل كمية الأوكسجين والغذاء المارين من المشيمة إلى الجنين فيموت الجنين .

كما يؤكد الدكتور محي الدين كحالة - اختصاصي النسائية والتوليد - حقيقة أن الحمل عشرة أشهر في أقصى مدة يستمر إليها، بل إن الأطباء يولّدون المرأة الحامل بالطرق الاصطناعية بعد تجاوز الحمل أسبوعين عن التسعة أشهر ، للوصول الجنين إلى مرحلة الخطر .

كما أن المرأة قد تنقطع عنها الدورة الشهرية لأسباب عديدة ، منها ما هو فسيولوجي أو صحي ، من ذلك اضطراب الحالة النفسية عند بعض المصابات بأعصاب القلق ونحوه. ومن ذلك أيضاً الحمل الكاذب ، فإن المرأة تحس بجميع أعراض الحمل ، ولكن يتبين بالكشف الطبي أنه حمل كاذب ، فتعاني المرأة من انقطاع الحيض ، كما تحس المرأة، وكأن هناك حركة جنين في بطنها ، وهي في الحقيقة ليست إلا حركة الأمعاء داخل المبيض .

وقد يحدث لإحدى هؤلاء الواهمات بالحمل الكاذب الذي تتصور أنه بقي في بطنها سنيماً. قد يحدث أن تحمل فعلاً ، فتضع طفلاً في فترة حملها ، ولكنها نتيجة وهمها وإيهامها من حولها من قبل ، تتصور أنها قد حملته لمدة ثلاث أو أربع سنوات .

الراجع :

بعد استعراض آراء الفقهاء ، ووضوح أن مستندها الواقع ، والذي قد تبين من خلال كلام الأطباء المحدثين أن غير دقيق ، بل هو وهم ناتج عن أسباب عديدة فسيولوجية أو صحية، كالرضاع أو الحمل الكاذب، يتبين أن أقصى مدة يمكن أن يستمر إليها الحمل هي عشرة أشهر. وهذا قريب من كلام ابن حزم ومن قال برأيه من فقهاءنا السابقين.

قال الدكتور محمد علي البار: "وينبغي أن ينبه من يدرسون في كتب الفقه على استحالة حدوثي هذا الحمل الطويل الممتد سنيناً، وأنه نتيجة لوهم الأم الراغبة في الإنجاب في أغلب الحالات، أو من اختراع القصص وأساطيرهم والمشكلة أن المرأة قد تلد بعد وفاة زوجها ، أو بعد طلاقها منه بعدة سنوات ، فيحكم لها الفقهاء بأن الولد للفرش ، وينسبون الولد لزوجها المتوفي عنها بعد سنوات ، أو الذي طلقها قبل عدة سنوات".

قال الدكتور عمر الأشقر: " وقد بالغ القانون في الاحتياط مستنداً إلى بعض الآراء الفقهية بجانب الرأي العلمي ، فجعل أقصى مدة الحمل سنة".

ويرى الباحث أن تحلف المرأة الحامل اليمين في حالة إثبات النسب للزوج المتوفي أو المطلق ، إذا تجاوزت مدة الحمل عشرة أشهر إلى السنة ؛ لأن ذلك من الحالات النادرة ، والتي يشك الطب في وقوعها ما لم يكن متابعاً للحمل من بدايته ، ولذلك يجب الاحتياط في إثبات النسب للمتوفي أو المطلق بيمين الزوجة ، والله أعلم . اهـ

إذاً من خلال ما سبق أتضح لنا : أن بعض هذه الأخبار غير صحيحة ، وقد يحدث خطأ في التقرير ... حيث لم يكن في زمانهم أجهزة طبية ، ولا محاليل ... وقد يكون هناك حمل كاذب ، وتحسب المرأة من مدة الحمل الكاذب فيظهر الحساب سنتين أو أربع وان المدة الحقيقية للحمل هي : ما أجمع عليه المسلمون أن أقل مدة هي ستة أشهر ، والراجع أن أقصى مدة عشرة أشهر، وإلا مات الجنين في بطن أمه...

ثانياً : إن قيل : أيها الكاتب - أكرم حسن - هل أنت أعلم من الشافعي ، و مالك ...
الذين قالوا : إن مدة الحمل أربع سنين وخمس سنين...

قلتُ : إن ما ذكرته هو ما درسته من قواعد أصول الفقه المتفق عليها : القرآن ، السنة ،
الإجماع ...

وقد تبين لي من خلالها أنها أقوال باطلة ... - وحاشا لله - أن أتطاول على من مالئ كل
منهم الأرض علماً ، ولكن الأمر دين ، وهؤلاء العلماء معذورون فقد بنوا اجتهاداتهم على
أخبار لا تصح من ناحية الإسناد كما بين وابن حزم ، والشوكاني وغيرهما ، واغلبها لا
سند لها فهي من صيغ التمريض قيل ، وري ... كما هو ملاحظ، وكذلك من ناحية
الحساب الذي يأخذ منه الراوي إن صحت ...

ثم إن العلم الطبي لم يكن متطوراً في زمانهم ؛ فلم يكن هناك سونار أو تحاليل ...
فيعذرون لذلك ...

وقد مات الشافعي - رحمه الله- بمرض البواسير الذي عانى منه كثيراً في حين أن
علاجه سهل جداً في زماننا هذا ، وذلك بإجراء عملية جراحية بسيطة لا تستغرق ساعة
واحدة

لماذا أمر رسول الإسلام بإطلاق اللحية للرجال؟

كثرت الثثرة والاستهزاء من المعترضين حول أمر النبي ص للمسلمين بإطلاق اللحية لكل رجل فيهم... وقالوا عنها: إنها هذه رجعية وعدم نظافة .. ومنهم من قال: "موس برقع جنيه تحلق دقنك وترجع نظيف"....!

تعلقوا على استهزائهم بما جاء في الآتي :

1- صحيح البخاري برقم 381 عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ نَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ أَمَرَ بِإِحْفَاءِ الشَّوَارِبِ وَإِعْفَاءِ اللَّحْيَةِ.

2- صحيح مسلم برقم 384 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ قَصُّ الشَّارِبِ وَإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ وَالسَّوَاكُ وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ وَقَصُّ الْأَظْفَارِ وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ وَتَتْفُ الْإِبْطِ وَحَلْقُ الْعَانَةِ وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ". قَالَ زَكَرِيَّا: قَالَ مُصَنَّبٌ: وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمُضْمَضَةُ.

3- مسند أحمد برقم 902 عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا قَصِيرَ وَلَا طَوِيلَ عَظِيمِ الرَّأْسِ رَجُلُهُ عَظِيمِ اللَّحْيَةِ مُشْرِبًا حُمْرَةً طَوِيلَ الْمَسْرِ عَظِيمِ الْكَرَادِيْسِ شَتْنِ الْكَفَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ إِذَا مَشَى تَكَفَّ كَأَنَّمَا يَهْبِطُ فِي صَبَبٍ لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ".
تعليق شعيب الأرناؤوط : حسن لغيره.

الرد على الشبهة

أولاً: إن اللحية من زينة الرجل؛ مهما كان دينه ومعتقده، فلا علاقة لها بدين أو معتقد... فسبحان من زين الرجال باللحية وزين النساء بصفائر شعرها....
فالفارق بين وجه الرجل والمرأة هو اللحية والشارب...
وكان الأنبياء جميعاً مطلقون للحاهم كما جاء وصفهم في الكتب المقدسة ، ولم يرسل الله رسولاَ إلا كان مطلقاً اللحية ولما بعث الله محمداً ﷺ كان أهل مكة وغيرهم يطلقون

لحاهم ،لأنها سمة من سمات الرجولة... حتى أبو جهل وأبو لهب وغيرهم كانوا يطلقون
لحاهم ... لكن النبي الكريم ﷺ أمر بخف الشارب حتى لا يتشبه المسلم بالكافر...
وذلك في مسند أحمد برقم 8430 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : "جُرُوا
الشَّوَارِبَ وَاعْفُوا اللَّحَى وَخَالِفُوا الْمَجُوسَ".
تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

وكان يقول: "عشرة من الفطرة"،منها إعفاء اللحية و وقص الشارب ...
وهذا يعني أن من يطلق شاربه إلى أن يسقط إلى فمه فقد خالف سنة الأنبياء ...
وهذا نبينا الكريم ﷺ كان صاحب لحية عظيمة، كما كان من الأنبياء قبله، ولم
يكن بدعا منهم...
ونحن -المسلمين- نتأسى به وبمن سبقه ، فإن التشبه بالكرام فلاح....
ثم إن هذه الشبهة هي نتاج خيال مريض وجعل عريض من أشباه الرجل، ولا
رجال ...
فليتهم يقلدون يسوع المرسوم في صورهم أو الرهبان بدأ من بولس صاحب اللحية
العظيمة....!

ثانياً: إن العجيب في هذه المسألة أن المعارضين يجهلون تماماً ما جاء في كتابهم
المقدس؛ حيث أمر الرب بإطلاق اللحية، وعدم قص أي جزء منها أبداً
وذلك في سفر اللاويين إصحاح 19 عدد 27 " لا تحلقوا رؤوسكم حول
أطرافها، ولا تقصوا شيئاً من لحاكم".(الترجمة العربية المشتركة).

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو : لماذا يعترضون على نبينا وعلى أمره بإعفاء اللحية
للرجال المسلمين... وهذا هو كتابهم ففيه يأمر الرب بإعفائها وعدم قص شيء منها ... ؟!
لا تعليق!

والله الموفق .

الفهرست

- تقديم: الدكتور/ وديع أحمد فتحي..... 4
- مقدمة: أ / أبو إسلام أحمد عبد الله..... 5
- مقدمة المؤلف / أكرم حسن 7

الباب الأول: شبهات حول عصمته ورسالته ﷺ 10

- رد شبهة: هل أخبر القرآن أن محمداً سيأتي من نسل إسماعيل؟! 11
- رد شبهة: نبيٌّ يأمر بحبه أكثر من حب الإنسان لنفسه.....! 15
- رد شبهة : هل هناك نبيٌّ مذبذبٌ؟! 17
- رد شبهة: نبيٌّ يسحر؟! 22
- رد شبهة : نبيٌّ يسجد للأصنام قصة الغرائيق ! 29
- رد شبهة: نبيٌّ يتلقى الوحي من شيطان ابيض ! 34
- رد شبهة: نبيٌّ يتقرب للرجز الأصنام ! 39
- رد شبهة: نبيٌّ كاد أن يفتن ! 41
- رد شبهة : هل رأى نبيُّ الإسلام ربه أم لا ؟ 44
- رد شبهة: نبي لا يتق الله ! 46
- رد شبهة : نبيٌّ ينسى ما نزل عليه من الكتاب ! 50
- رد شبهة: هل كان نبيُّ الإسلام ابتراً ﷺ؟! 53
- رد شبهة: نبيٌّ يجرح وينزف دماً ﷺ! 45
- رد شبهة: هل أم النبيِّ نجسة؛ لأنها ماتت مشرقةً ! 57
- رد شبهة: نبيٌّ نسبه غير مشرفٍ ! 61

- رد شبهة : نبي الإسلام من كندة ، وليس من قريش ! 76
- رد شبهة : نبي أقاربه في النار ! 70
- رد شبهة: نبي كان ضالاً ! 80
- رد شبهة: نبي يأكل طعاماً ذبح على النصب ! 83
- رد شبهة : نبي يأتيه الملك في مثل صلصلة جرس ! 87
- رد شبهة: نبي يحاول الانتحار ! 93
- رد شبهة: اقتباس نبي الإسلام من الزرادشتية و المانوية..... 97
- رد شبهة: نبي يقول: (نحن أحق بالشك من إبراهيم) ! 125
- رد شبهة: نبي يعظم ويقبل حجر أسوداً ! 128
- رد شبهة: نبي يحرم ما أحله الله له ! 132
- رد شبهة: نبي الإسلام يمنع علياً من التزوج من ابنة أبي جهل..... 134
- رد شبهة: نبي لا يضمن دخول الجنة ! 137
- رد شبهة: نبي يغفل ! 143
- رد شبهة : آمنت بك وبمن أنزلك ! 148
- رد شبهة: نبي يشك في دينه ! 153
- رد شبهة: نبي يعبس في وجه أعمى ! 158
- رد شبهة : نبي اخطأ في علم الساعة ! 162
- رد شبهة: نبي الإسلام كان غير متقن لقواعد اللغة العربية..... 166
- رد شبهة: نبي الإسلام يصلي أمام عنزة - معزة - ليعبدها! 167
- رد شبهة : نبي مات مسموماً ! 169
- رد شبهة : نبي مات وتحلل جسده حتى تعفن ﷺ ! 171
- رد شبهة: نبي بطنه انتفخت بعد موته ﷺ ! 175
- رد شبهة : نبي جاء بآية : (لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ) ! 182

- رد شبهة: هل اسم نبي الإسلام أحمد أم محمد ﷺ؟! 187
- رد شبهة: إنكم تشركون بمحمد ﷺ ...! 189
- رد شبهة: نبي أصحابه ارتدوا بعد موته ...! 192
- رد شبهة: نبي الإسلام يخبر أن الإسلام سينكمش، ويختفي...! 194
- رد شبهة: لماذا تدافعون عن نبيكم؟! 196

الباب الثاني: شبهات حول رحمته و الحدود ﷺ 202

- رد شبهة: هل نبي الإسلام رحمة للعالمين؟! 203
- رد شبهة: نبي ثمار رحمته اقتتال أصحابه من بعده! 204
- رد شبهة: نبي يدخل الناس دينه والسلاسل في أعناقهم! 208
- رد شبهة: نبي يقول: أسلم الناس من خوف السيف! 209
- رد شبهة: نبي يقول: أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ! 211
- رد شبهة: نبي يقول: الجنة تحت ظلال السيوف! 218
- رد شبهة: نبي يقول: لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالدَّبْحِ! 223
- رد شبهة: نبي يقول: نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ! 226
- رد شبهة: نبي يقول: جعل رزقي تحت ظل رمحي، ويأخذ الغنائم! 228
- رد شبهة: هل أمر نبي الإسلام بهدم الأصنام؟ 236
- رد شبهة: نبي قاتل في شهر حرام وفي بلد محرم! 237
- رد شبهة: نبي يأمر بقتل النساء والصبيان! 241
- رد شبهة: نبي يقتل امرأة (أم قرفة)! 243
- رد شبهة: نبي يقتل امرأة (عصماء بنت مروان)! 247
- رد شبهة: نبي يأمر بقتل رجل متهماً بأم ولده دون بينة! 248

- رد شبهة : نبي يقتل غدرًا (كعب بن الأشرف) ! 253
- رد شبهة : نبي سمل أعين ناسًا من عريضة ، و قطع أيديهم ... ! .. 256
- رد شبهة: نبي يقول: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) ! 260
- رد شبهة : نبي الإسلام يقول : جبريل وضع الطين في فم فرعون! 263
- رد شبهة: نبي يحرق النخيل و الزرع ! 265
- رد شبهة : هل أمر نبي الإسلام بقتل الساحر؟ 269
- رد شبهة: نبي يأمر بقتل الكلاب ! 271
- رد شبهة: نبي يقول : اغزوا تغنموا النساء ! 276
- رد شبهة: نبي يقول: لا تبدءوا اليهود و النصارى بالسلام! 279
- رد شبهة : نبي يقول: لا يقتل مسلم بكافر ! 285
- رد شبهة: نبي يقول: أنصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا ! 289
- رد شبهة : نبي يقول : الله يضع ذنوب المسلمين على النصارى! 292
- رد شبهة: نبي يقول: اليهودي والنصراني فكأكك المسلم من النار 296
- رد شبهة: نبي يقول: جدد آدم فجحدت ذريته ! 300
- رد شبهة: نبي يحرم الحرير والذهب على الرجال ! 304
- رد شبهة : نبي يأخذ الجزية ! 307
- رد شبهة : حد الردة ! 313
- رد شبهة : حد الزنا ! 319
- رد شبهة : حد السرقة ! 327

الباب الثالث : شبهات حول أخلاقه وسلوكه ﷺ 333

رد شبهة: لماذا نبي الإسلام أشرف الأنبياء والمرسلين ؟! 334

- رد شبهة: نبي الإسلام ليس خير خلق الله ! 345
- رد شبهة : نبيّ كان مجرماً ! 347
- رد شبهة: نبيّ كان سباباً ولعاناً ! 352
- رد شبهة: نبيّ يسبّ الأنبياءَ قائلًا: إنهم ماتوا بالقمل ! 356
- رد شبهة : نبيّ يقولُ : مَنْ تَعَرَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُوهُ وَلَا تَكُنُوا! 359
- رد شبهة : نبيّ يقول لبعض أصحابه : " ثكلتك أمك " ! 363
- رد شبهة : نبيّ يسب من أصحابِ هـ (حمزة) ! 367
- رد شبهة: نبي يقول : " اهْجُ الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَعَكَ " 370
- رد شبهة: نبيّ يقول: " أنكتها " ؟! 374
- رد شبهة : نبيّ يلعن اليهود والنصارى ! 383
- رد شبهة: نبيّ يخرج عرياناً يجرُ ثوبه ! 389
- رد شبهة : نبي الإسلام تعرّى عند بناء الكعبة ! 392
- رد شبهة: نبيّ يكشف عن فخذه ! 396
- رد شبهة: نبيّ يتبرز أمام الناس، و يأمرهم أن يأتوه بثلاثة أحجار ! 399
- رد شبهة: نبيّ يعري ابنته أمام العبيد (فاطمة) ! 402
- رد شبهة: نبيّ يقول لزوجته أكشفني عن فخذك ! 405
- رد شبهة : نبيّ يستقبل زائريه وهو لابس مرط زوجته ! 408
- رد شبهة: نبيّ يكتحل كالنساء ! 410
- رد شبهة: نبيّ يحني شعره الطويل الذي يبلغ كتفيه ! 413
- رد شبهة : نبيّ يبول كالنساء ! 416
- رد شبهة: انظروا إليه يبُولُ كَمَا تَبُولُ الْمَرْأَةُ ! 417
- رد شبهة : قصة زاهر والنبي ! 420
- رد شبهة: فَدَخَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَمِيصِهِ فَجَعَلَ يَقْبَلُ وَيَلْتَزِمُ ... ! 423

- رد شبهة : نبي هُتِك عرضه ! 425
- رد شبهة : نبي في بيته مخنث ! 430
- رد شبهة : نبي الإسلام يمص لسان الحسن وشفتيه ! 432
- رد شبهة : نبي يشتهي طفلةً فوق الفطيم ! 434
- رد شبهة : نبي يضطجع في قبر ميتة ! 436
- رد شبهة : قصة الفتاة الفزارية مع رسول الإسلام 441
- رد شبهة : نبي يزني مع أمته (مارية القبطية) ! 443
- رد شبهة : نبي تهب له النساء أنفسهن له ! 445
- رد شبهة : رسول الإسلام يبدل الزوجات ! 449
- رد شبهة : قصة خولة بنت الحكيم - خالة النبي - التي وهبت نفسها له! 453
- رد شبهة : نبي يبيت عند النساء دون محرم لهن ! 456
- رد شبهة : نبي الإسلام جاء بجنة بها زنا ... ! 460
- رد شبهة : نبي يتزوج النساء في الجنة منهن مريم ابنة عمران! 462
- رد شبهة : نبي الإسلام يتزوج أكثر من المسلمين 464
- رد شبهة : نبي يقول: حُبب إلي من دنياكم النساء ! 468
- رد شبهة : نبي يتمتع بالنساء ! 471
- رد شبهة : نبي ليس له عمل إلا التزوج بالنساء ! 474
- رد شبهة : نبي يقول: كل فرج مكتوب عليه اسم ناكحة ! 476
- رد شبهة : نبي يقول لامرأة : إنكم أحب الناس إلي! 478
- رد شبهة : نبي يتزوج بغير ولي بخلاف ما جاء في الشرع ... ! 480
- رد شبهة : نبي الإسلام جاء بآية تدعو لزواج الأطفال ! 482
- رد شبهة : نبي يحلل الرذيلة (سحاق النساء) ! 485
- رد شبهة : نبي الإسلام يحدد مدة للمتعة أو الزواج ... ! 489

- رد شبهة: نبيُّ يقول: أزني وأسرق وأدخل الجنة ! 493
- رد شبهة: نبيُّ يأكل من فخذِ حمار ! 496
- رد شبهة : نبيُّ يتوضأ بماءٍ مختلط بلحمِ الكلاب والنتن (بئرُ بُضَاعَة) ! 499
- رد شبهة: نبيُّ يأكل فأرةً ميتة ! 501
- رد شبهة : نبيُّ يلحق أصابعه بعد الأكل ! 503
- رد شبهة: نبيُّ يسرقُ من صلاة من قبله ! 506
- رد شبهة: نبيُّ دعاء بدعاء من قبله- المسيح- ! 509
- رد شبهة : نبيُّ يحل الكذب ! 514
- رد شبهة : نبيُّ في مسجده خمر ! 518
- رد شبهة: نبيُّ يأمر بشرب بوله ! 521
- رد شبهة: نبيُّ يأمر بشرب ما بقي وضوءه 523
- رد شبهة: نبيُّ يؤلف قلوبَ الناس بالمال ! 526
- رد شبهة : نبيُّ يبيع الجنة بالمال ! 529
- رد شبهة: نبيُّ يأمر امرأةً برضاة الكبير ! 532
- رد شبهة : لماذا يأخذ المنصرون الافتراءات من الشيعة ؟ 540

الباب الرابع: شبهات حول معجزاته ﷺ 561

- رد شبهة: نبيُّ ليس له معجزات ! 562
- رد شبهة: نبيُّ تخلو الكتب المقدسة عن البشارة به ! 571
- رد شبهة : نبيُّ يعلمه بشر ! 590
- رد شبهة: هل كان نبيُّ الإسلام كان يعرف القراءة والكتابة ؟ ! 594
- رد شبهات حول قصة الإسراء والمعراج ! 600

- رد شبهة : بناء المسجد الأقصى بعد مئة عام ! 602
- رد شبهات حول معجزة انشقاق القمر ! 604
- رد شبهة : نبي يرمى التراب على المشركين فعميوا ، هل هذه معجزة؟! 608
- رد شبهة: نبي الإسلام أخطأ في تحديد موعد الساعة ! 610

الباب الخامس: شبهات حول المرأة و زوجاته ﷺ 616

- رد شبهة: نبي يقول: المرأة شؤم ! 617
- رد شبهة : نبي يقول : المرأة كالحمارِ والكلب الأسود ! 620
- رد شبهة: نبي يقول: خلقت من ضلع اعوج ! 623
- رد شبهة: نبي يأمر المرأة أن تسجد لزوجها ! 625
- رد شبهة: نبي يقول: المرأة تلغنها الملائكة... 628
- رد شبهة : نبي الإسلام يقول المرأة فتنة أي : شر! 630
- رد شبهة : نبي جاء بآية تأمر بضرب المرأة! 632
- رد شبهة: نبي جاء بآية تقول المرأة سفينة ! 634
- رد شبهة : نبي يقول : صوت المرأة عورة ! 637
- رد شبهة: نبي يقول: إِنَّ الْمَرْأَةَ تَقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ 639
- رد شبهة : نبي الاسلام ينظر للنساء ثم يجامع زوجاته 642
- رد شبهة : نبي يقول عن النساء : ناقصات عقل ودين ! 645
- رد شبهة: نبي يقول: شهادة المرأة نصف شهادة الرجل ! 650
- رد شبهة : نبي الإسلام يقول: عورة الأمة من السرة إلى الركبة! 653
- رد شبهة: نبي يعدد الزوجات ! 659
- رد شبهة : خديجة سقت أباهما خمراً لتتزوج من نبي الإسلام ! 665

- رد شبهة : نبيٌ تكشف له زوجته - خديجة- الوحي بطريقةٍ عجيبة! 667
- رد شبهة : زواج النبي ﷺ من عائشة - رضي الله عنها - ! 669
- رد شبهة : فتوى مفاخذه عائشة بعد العقد عليها ...! 675
- رد شبهة : نبي يقول عن زوجته- عائشة- حميراء أي : حمارة ! 678
- رد شبهة: نبيٌ يأمر زوجته (عائشة) أن تسب زوجته الأخرى (زينب) ! 680
- رد شبهة : زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش- رضي الله عنها - .. 683
- رد شبهة : أميمة بنت النعمان قالت لنبي الإسلام : إنه من السوقة ! 689
- رد شبهة : نبي الإسلام يتزوج ميمونة وهو محرم ! 690
- رد شبهة: نبيٌ يتزوج من امرأة قبل انقضاء عدتها (صفية) 693
- رد شبهة : نبيٌ يطلق امرأة (سودة) لأنها أسنت ! 695
- رد شبهة: نبي الإسلام طلق امرأة لأن بها بياض ... ! 697
- رد شبهة: تزوج نبي الإسلام من العالية بنت ظبيان ! 698
- رد شبهة: نبيٌ يباشر نساءه في المحيض ! 700
- رد شبهة: نبيٌ يقبل زوجته ويمص لسانها وهو صائم ! 702
- رد شبهة: نبيٌ يقرأ القرآن في حجر زوجته وهي حائض ! 703
- رد شبهة: نبيٌ زوجته (عائشة) تقول: وأيكم يملك إربه ! 705
- رد شبهة: نبيٌ يجامع نساءه في ليلة واحدة ويغسل واحد ! 707
- رد شبهة : نبيٌ تقول زوجته (عائشة) له : الله يسارع في هواك ! 712
- رد شبهة: نبيٌ الإسلام زوجته تقول: لا ورب إبراهيم! 714
- رد شبهة: نبيٌ زوجاته يكذبن عليه ! 716

الباب السادس: شبهات حول ما يزعمون أنها خرافات....720

- رد شبهة : هل نبي الإسلام أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ؟ 721
- رد شبهة : نبي لا يأتيه الوحي بسبب كلب ميت تحت سريره ! 722
- رد شبهة : هل الحمار يعفور أول من أسلم بالنبي ؟! 725
- رد شبهة : هل الله يُصَلِّي على النَّبِيِّ ؟! 629
- رد شبهة: لولاك لما خلقت الأفلاك ! 735
- رد شبهة: نبي خُلِقَ من نور ! 738
- رد شبهة : حادثة شق الصدر! 741
- رد شبهة : نبي يحب جبل و الجبل يحبه ! 743
- رد شبهة : نبي يقول : الله شاب أمرد ! 746
- رد شبهة : نبي الإسلام يخبر أن ربه يغار ؟! 748
- رد شبهة: نبي يقول عنه ربه: إنه ينزل من عرشه كل ليلة! 750
- رد شبهة: نبي يقول عن ربه: إن له جد ! 754
- رد شبهة : نبي يقول : خلق الله آدمَ على صورته ! 757
- رد شبهة: نبي يقول: الحجر الأسود يمين الله في الأرض ! 761
- رد شبهة: نبي يقول : ديك رجلاه في الأرض وعنقه مثنية تحت العرش! 763
- رد شبهة: نبي يُخبر عن عذاب القبر! 766
- رد شبهة: نبي يقول : (حورٌ لها قُبُلٌ شهيةٌ وله ذَكَرٌ لا يَنْثني) ! 772
- رد شبهة: ضع كلباً أو تمثالاً ولن تموت...! 773
- رد شبهة: نبي يقول: الجنة فيها خمر...! 775
- رد شبهة : نبي يقول عن جهنم : (إنها سَوْدَاءُ مُظْلَمَةٌ) ! 777
- رد شبهة : نبي الإسلام يقول: والناكح يده ؛ أي متزوج يده ؟! 787
- رد شبهة: نبي يقول: " لا عدوي " ! 780

- رد شبهة : حديث الذبابة ! 782
- رد شبهة: نبيُّ يقول لمريض يشتكي بطنه: اسْقِه عَسَلًا ! 786
- رد شبهة : نبيُّ يقول : الحبة السوداء شفاء من كل داء ! 788
- رد شبهة: نبيُّ يقول: إن في أبوال الإبل وألبانها شفاء ! 791
- رد شبهة : نبيُّ يقول : سبع تمرات عجوة شفاء من السحر والسم ! 793
- رد شبهة: نبيُّ يقول : لا تترك العانة فوق أربعين يوماً ! 795
- رد شبهة : فيسبق عليه الكتاب ! 797
- رد شبهة : قصة القردة الزانية ! 799
- رد شبهة : نبي الإسلام أخبر أن الأنبياء كانوا رعاة للغنم ! 803
- رد شبهة : نبيُّ أخبر أن موسى فقاً عين ملك الموت ! 805
- رد شبهة : نبيُّ الإسلام يقول : خيل سليمان لها أجنحة ! 808
- رد شبهة: نبيُّ يقول: الشيطان يأخذ شعرة من دبر المصلي ! 810
- رد شبهة: نبيُّ يصارع الشيطان فيخنقه، ويجد برد لسانه بين يديه ! 811
- رد شبهة: نبيُّ يقول: إن شيطانه أسلم ! 813
- رد شبهة: نبيُّ يقول: الكلب الأسود شيطان ! 815
- رد شبهة : رسول الإسلام يقول : الشيطان يبيض ! 817
- رد شبهة : نبي الإسلام يقول : (الشيطان له ضراط) ! 821
- رد شبهة : نبيُّ يقول : الشيطان يبول ! 822
- رد شبهة: نبيُّ يقول : مدة الحمل أربع سنوات ! 824
- رد شبهة: لماذا أمر رسول الإسلام بإطلاق اللحية للرجال؟.....
- الفهرست : 830

